

الاستزادة

من أخبار السادة

الجزء الأول

جمعها

علي بن محسن السقاف

□الاستزادة من أخبار السادة

تأليف: الدكتور علي بن محسن السقاف

قرأه وصححه : محمد بن أبي بكر بن عبد الله باذيب

الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

قياس القطع: ١٧×٢٤

الرقم المعياري الدولي: ISBN : ٩٧٨-٩٩٥٧-٢٣-١٣٨-٥

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية: ٢٠٠٩/٣/٢٠٣٠

الاستزادة

من أخبار السادة

علي بن محسن السقاف

الجزء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم



فهرس المحتويات للجزء الأول

الموضوع	الصفحة

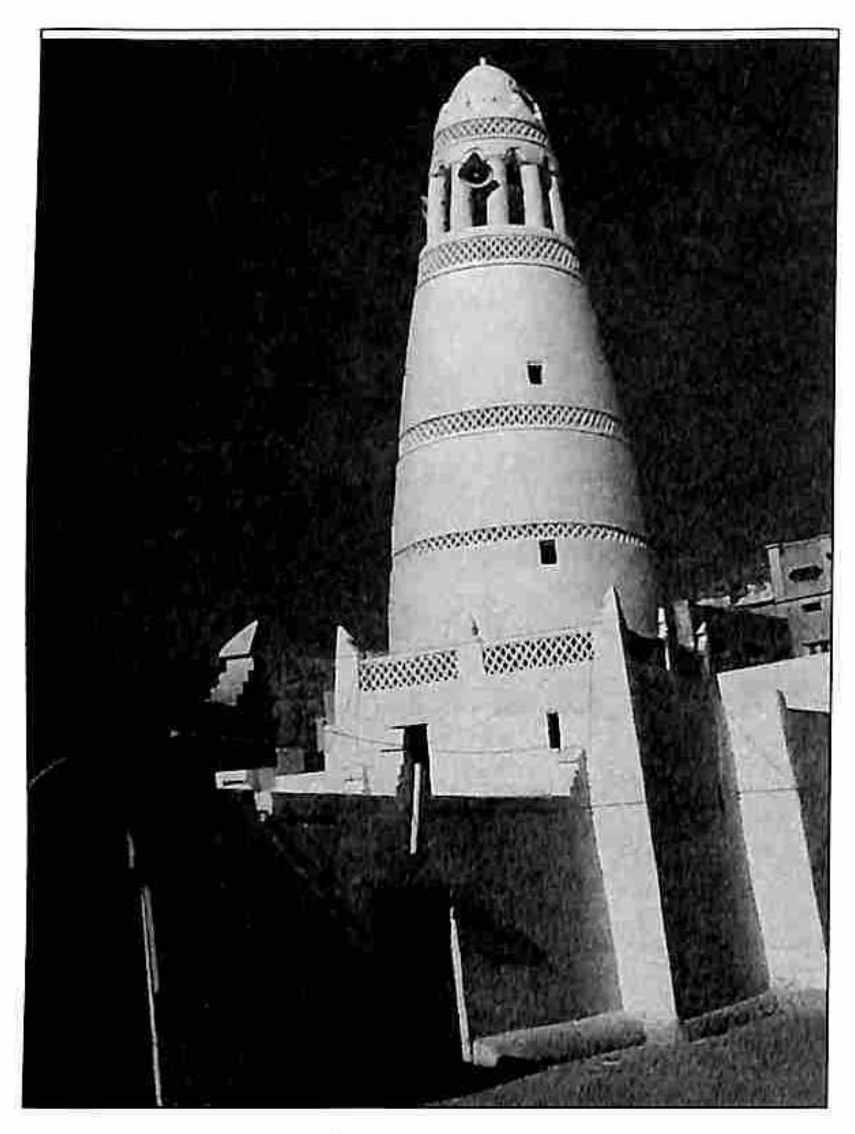
الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

❊ ❊ ❊



المقدمة



مسجد باعلوي أول مسجد للعلويين بتريم

لقد نعمت حضرموت في تاريخها الطويل بأربعٍ من النعم، وتعست بأربعٍ من النقم أما النعم الأربع: فأولاها:دخولها دين الإسلام في سنة ١٠هـ. والنعمة الثانية: هجرة العلويين إليها في سنة ٣١٧هـ، والنعمة الثالثة: تأسيس المملكة العربية السعودية في سنة ١٣٥١هـ (= ١٩٣٣م)، وفتح الأبواب للهجرة الحضرمية. والنعمة الرابعة: توحيد اليمن في سنة ١٤١٠هـ (=١٩٩٠م).

وأما النقم الأربع التي حلت بحضرموت: فأولها: حكم الطوائف اليافعية والذي استمر مائة وخمسين سنة، والثانية: الاستعمار البريطاني الذي دام ثمانين سنة، والثالثة: حكم الحزب الاشتراكي الذي دام ثلاثين سنة، والرابعة: التطرف الديني الذي لازالت مصائبه تظهر بين الحين والآخر والى اليوم.

ولعلي أستطيع بما توفر لي من دراسةٍ لتاريخ حضرموت، أن أقول: إنه لولا الله ثم هذه الهجرة العلوية المباركة، لهلك ثلثُ سكانِ حضرموت بالحروب والغزوات المتتالية التي كان العلويون يبذلون الجهود لإطفائها، ولهلك الثلثُ الثاني من سكان حضرموت بالمجاعات والكوارث الطبيعية والتي عمل العلويون، على تخفيف معاناتها ما وسعهم الأمر، ولاختَفى الجزءُ الثالث من سكان حضرموت بالهجرة الذكورية الأبدية، والتي كان العلويونَ يحذرون من مغبّتها، وينهون عنها كما سنرى في فصول هذا الكتاب. وأما النقم التي حلت بحضرموت فقد أوردنا تفاصيلها بين دفتي هذا الكتاب.

ولقد أسعدني عند فراغي من هذا الكتاب أن قرأت إشارتين مشجعتين: إحداهما: قديمةٌ جاءت في كلام الحبيب محسن بن علوي السقاف المتوفى بسيؤن سنة ١٢٩٠هـ، والثانية: إشارة متأخرةٌ قالها الأستاذُ محمد بن أحمد الشاطري المتوفّى بجدة سنة ١٤٢٢هـ، وكلاهما تحبذ القيامَ بمثل ما قمت به من العملِ، رغم وجوه التقصير في عملي، والتي يمكن أن يتلافها من يتعرض لمثل هذا العمل من بعدي.

أما الإشارة الأولى: فمن كتاب «بضائع التابوت» للعلامة الجدّ بن عبيدالله الذي قال: «قال شيخنا الإمام عبدالرحمن المشهور: كثيرا ما أسمعُ سيدي الوالد محسن بن علوي السقاف يقول: أود لو صنف أحدٌ كتابا سماه «تعريف الخلف بأخبار السلف»، لما يرى من الانحطاط وعدم التأسي بهم، حتى في النطق واللباس فظلا عن العلم والزهد والتقوى الباطنة»(١).

وأما الإشارة الثانية: فجاءت في تقريظ الأستاذ محمد الشاطري لكتاب «فيوضات البحر الملي»، للأستاذ طه بن حسن السقاف، وفيها كتب الأستاذ الشاطريّ عندما ذكر السابقين من العلويين وغيرهم من الصالحين يقول: «فإن هؤلاء جميعاً لم يحظوا بمن قام بالواجب نحوهم بتراجم شيقة في نواحيهم الاجتماعية بالطريقة المطلوبة في هذا العصر، إلا رشفات من بحارٍ، ولكن من يدري فلعل الله يقيض من الكتاب المؤهلين من يكتب عنهم بما قلنا»(٢).

كما أنني لقيت التشجيعَ المتواصل من والدي يحفظه الله الذي كان يدفعني لإكمال هذا العمل، ويحثني على طباعته مهما كلفني ذلك من تكاليف، خدمةً للتاريخ وللأجيال القادمة.

هذا ويستغربُ الباحثُ في تاريخ العلويين عن سرّ المحبة والاحترام الذي تمتعوا به ولا زالوا يتمتعون به، لفترة تزيد عن الألف سنة، وهل كان ذلك لشرفِ نسبهم ورفعة حسبهم؟ أم أنه كان لسببٍ آخر؟ وإذا اعتقدنا أنه النسبُ، فإننا نرى الكثير من سلالات أهل البيت مثل الأشراف الحسنيين والأدارسة والسنوسيين وغيرهم كثيرون، ولكنهم لا يتمتعون بما يتمتع به العلويين من المحبة والاحترام والتقدير، وذلك لأنّ احترام ومحبة

(١) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثالث صفحة ٢٤٢.

(٢) طه حسن السقاف فيوضات البحر الملي صفحة ٥٠٥.

العلويين لم تكن بسببِ النسب والشرف وحسب، لكنه احترامٌ اكتسبوه بإخلاصهم في العمل وزهدهم في الدنيا وإيثارهم للآخرين، ورحمتهم بالضعفاء والمساكين.

ولعل الشهادة التالية تغنينا عن البحث والتقصي، وقد جاءت على لسان واحد من كبار علماء حضرموت وهو الشيخ الإمام الفقيه أحمد بن عبدالله بن عبدالرحمن بلحاج بافضل الذي استشهد في الحرب ضد البرتغال اثناء غزوهم الشحر سنة ٩٢٩ هـ والذي قال: «لقد طفتُ كثيراً من البلدان كمكة المعظمة والمدينة المشرقة، واليمن الأنيس، وغيرها من البلاد، ونظرت كثيراً من الحجاج ممن يفدُ على بيت الله الحرام من أطراف البلاد وسائر الآفاق، وسألتُ غير واحد من الثقات، فما وجدتُ ولا ذكروا لي في الأشراف مثل آل ابي علوي، وطريقتهم في الاستقامة والاتباع للكتاب والسنة»[١].

إلا أن هذا الاحترامَ مرتبطٌ باتباعِ طريقة العلويين السابقين، طريقة أهل السنة والجماعة، ومن يبتعدُ من العلويين عن طريقة أهله وسلفه فلن يستحقَّ هذا الاحترام، ولن يتمتعَ بهذا التكريم، ولن يكون أكرم على الله من ابن سيدنا نوح الذي عصى أباه فأغرقه الله مع الكافرين، ولما طلب سيدنا نوح من ربه استنقاذ ابنه من الغرق كما جاء في الآية ٤٥ من سورة هود: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾، عاتبه ربه سبحانه وتعالى عتابا قويا، وأوضح له أنّ هذا الابنَ ليس من أهله، كما جاء في الآية التالية ٤٦ من نفس السورة: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾، مما دفع سيدنا نوحاً للاعتذار لربه عن طلبه السابق الذي طلبه دون ان تكون له معرفة بحقيقة الأمور، قال تعالى في الآية ٤٧ من سورة هود على لسان سيدنا نوح: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

---

(١) عمربن علوي الكاف الخبايا في الزوايا دار الحاوي للطباعة والنشر صفحة ١٦٢.

واذا تمعنّا في القرآن الكريم نجد أن احد أبناء الصالحينَ استحق القتل في وجود نبي الله موسى كما جاء في الآية ٧٤ من سورة الكهف: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴾، وسبب قتله كما جاء في الآيات ٨٠ و٨١ من نفس السورة: ﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا * فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾.

كما دخلتْ اثنتان من زوجات الأنبياء النار، ولم يشفع لهما كونهما زوجات لأنبياء، قال تعالى في الآية ١٠ من سورة التحريم: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾، بينما دخلت امرأة فرعون بايمانها الجنه قال تعالى في الآية ١١ من سورة التحريم: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

وذكر الأستاذ الشاطري في «أدوار التاريخ الحضرمي»: أن الحبيب عبدالله الحداد كان «ينتقد المناصب الجهلة ويقول: إنهم اتكلوا على وجاهة آبائهم بدون ان يتزودوا من العلم والاستقامة، كما تزود آبائهم. وينتقد في «فصوله العلمية»: على من يغرر بالجاهلين من العلويين، ويقول: إن أمثال هؤلاء المغرِّرين بهم لا يحبونهم، ولو كانوا يحبونهم لحثوهم على الأخذ بطريقة أسلافهم، من التمسك بالعلم والعمل والأخلاق»[1]، انتهى.

ولله در المتوكل الليثي في قوله:

إنّــا وإن أحــسَابنا كَرُمــتْ	لسنا عَلى الأحسَابِ نتكِـلُ
نبنــي كـما كانــت أوائلُنــا	تبني ونفعَـلُ مـثْلما فعلُـوا

---

(١) محمد بن أحمد الشاطرى أدوار التاريخ الحضرمي الناشر عالم المعرفة صفحة ٣٢٣.

هذا، ونختم هذه المقدمة بكلمة لسيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، يقول فيها: «إن ولي محمد من أطاع الله، وإن بعدت لحمته، وإن عدو محمد من عصى الله وإن قربت قرابته»[1].

لقد أحببت أن أقدم في هذا الكتاب، وبأسلوب عصري حديثٍ صورةً لحياة السابقين من العلماء والصالحين بحضرموت من العلويين، مع ذكر بعض المشايخ المشهورين بعلاقتهم بالعلويين، وذكر غيرهم من الصالحين، حتى تترسم الأجيال الجديدة أخلاقهم، وتقتفى آثارهم.

وكان الفراغ الأول من هذا الكتاب في اليوم العاشر من شهر رمضان من سنة ١٤٢٩هـ بعد حوالي سنتين من جمع المعلومات ومراجعتها وكتابتها على الكمبيوتر، ثم استغرق التصحيح والمراجعة قبل الطبع سنة أخرى، وانتهى العمل في الكتاب بنهاية جمادى الآخرة من سنة ١٤٣٠هـ.



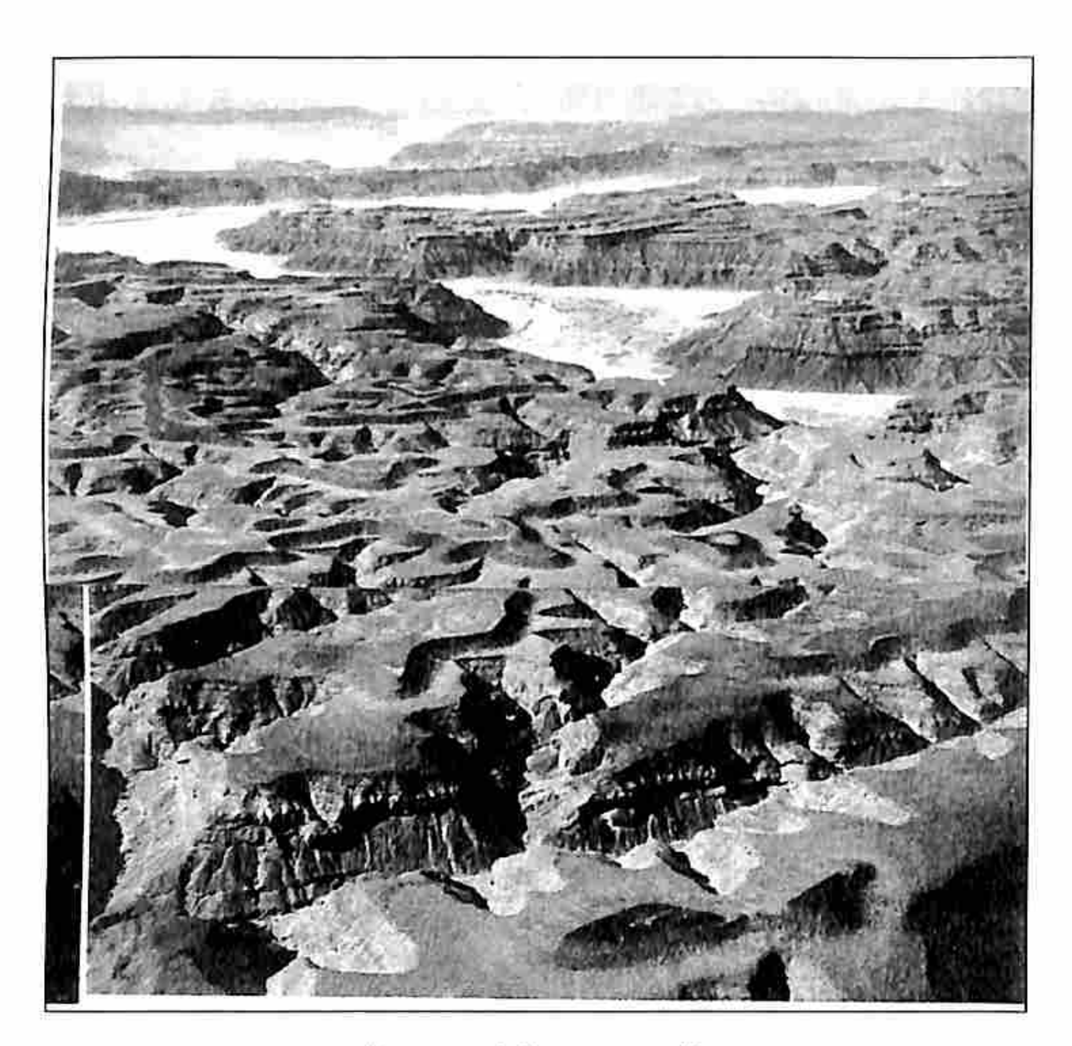
علي محسن السقاف

---

(١) نهج البلاغة، الشريف الرضي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، صفحة ٤٦٩.

الفصل الأول

جغرافيا وجيولوجيا حضرموت



جبال حضرموت كما تبدو من الجو

ذكر كتاب «المسالك والممالك»: أن حضرموت في شبه جزيرة العرب، وتقع في الجزء الشرقي من اليمن، وبها رمالٌ كثيرةٌ تعرف بالأحقاف[١]. وقال الأستاذ صلاح البكري: «إن حضرموت في أصلها مملكة أو ولاية، تقع في جنوب شبه جزيرة العرب، وهي وإن كانت مضافة إلى اليمن وتحسب مخلافاً من مخاليفه، فهي تعد أيضاً من الأقاليم الشهيرة التي تتألف منها جزيرة العرب»[٢].

وعن حدود حضرموت وطبيعة أرضها؛ قال الأستاذ البكري: «إن حضرموت تقع بين ظفار شرقاً، وعدن غرباً، ورمال الدهناء شمالاً، والبحر العربي جنوباً، وتتكون من سلسلة جبال صخرية جرداء، وبين الجبال أودية فسيحة منبسطة، متصلة في بعض الجهات ومقطوعة في الأخرى، وتمتد هذه الأودية شمالاً ثم تنعطف نحو الجنوب، وتنتهي إلى البحر في سيحوت. وعلى امتداد الأودية توجد المدن والقرى، ومساحات واسعة من الأراضي الزراعية، وتشغل الكثبان الرملية مساحات كبيرة»[٣].



أما ساحل حضرموت فيمتد من عين بامعبد غرباً إلى سيحوت شرقاً، وهو عبارة عن شكل غير منتظم، مساحته نحو ٤٥٠٠' كيلومتر مربع، و يمتد للداخل مسافة ٨٠ كيلو متراً من رأس الكلب، وعشرين كيلو متراً عند الحدود الشرقية»[٤].

وقد كُتِبَ كثيرٌ من الكلام عن اسم حَضْرَمَوت فقال ابن عبيد الله في «معجمه» نقلاً عن مصادره التي ذكرها: «إن اسم حضرموت الأول هو (عَبْدَل)، وأن حضرموت كانت تسمى (وَبارا)، ثم سميت وادي الأحقاف، ثم سميت حضرموت».

---

(١) ثابت صالح اليزيدي الدولة الكثيرية الثانية في حضرموت دار الثقافة العربية صفحة ٢٦.

(٢) د. محمد أبوبكر حميد حضرموت فصول في التاريخ والثقافة صفحة ١٣٣.

(٣) صلاح البكري تاريخ حضرموت السياسي دار الآفاق العربية الجزء الأول صفحة ٧-٢٦.

(٤) صلاح البكري تاريخ حضرموت السياسي دار الآفاق العربية الجزء الأول صفحة ٧-٢٦.

قال ابن عبيدالله: «والأحقافُ ـ كما قال قتادة ـ: رمالٌ مشرفةٌ على هجر بالشحر من أرض اليمن، وقال ياقوت: الحقف: أصل الجبل، والأحقاف: سلسلةُ جبال من الشحر إلى الدهناء، تتخللها الأودية. وفي «لسان العرب»: إنّ كل ما طالَ واعوجَّ فقد احقَوقف، وكذلك وديانُ حضرموت وجبالها، ورمالها طويلة ومعوجة». قال ابن عبيدالله: «وكثرة أحقاف الرمل في شمال حضرموت لا يمنع اسم الأحقاف على البلاد بأسرها، وذكر ابنُ عبيدالله: أن الشيخَ أبوبكر باشراحيل الشبامي عَرّف في كتابه «مفتاحُ السنة» حَضرموت؛ فقال: «هي بلاد مشهورة متسعة من بلاد اليمن، تجمع أودية كثيرة، وقد اختصَّ بهذا الاسمِ منها: (وادي ابن راشد)، وساحلها: العين وبروم الى الشحر ونواحيها. والأحقاف: بلادُ عاد. وذكر ابنُ هشام في «السيرة» بلاد عاد فقال: «هي بين حضرموت وعمان».

واستنتج ابن عبيدالله مما سبق: أن الشحر وحضرموت بلادُ عاد؛ وبلاد عاد: هي الأحقاف. قال بن عبيدالله: «واسمُ حضرموت في «التوراة» كما نقله ياقوتُ عن ابن الكلبي: حاضِرمِيْت»[1]، (انتهى النقلُ عن ابن عبيدالله بتلخيص).

وقال ابن عبيدالله: «وفي «الرياض المؤنقة» للسيد علي بن حسن العطاس: أن الأرض الجرز المذكورة في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ ﴾، هي: جهة حضرموت التي يحدّها المشقاصُ إلى عين بامعبد، إلى الشحر إلى مأرب، وليست غيرَها اعتمادا على ما ذكره الإمام البخاريُّ في «صحيحه» في تفسير (الجرُز): أنها الأرض التي لا يصلها من الماء إلا دون كفايتها، ولا نعلم أرضاً أولى بهذه التسمية من الجهة الحضرمية، ولا أجزر ولا أسْنتَ، ولا أغلى أسعاراً، ولا أقل ثماراً»[2]. وكانت حضرموتُ

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مكتبة الإرشاد صنعاء صفحة ١٥-١٦.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مكتبة الإرشاد صنعاء صفحة ١٦.

أرضَ خصب ورخاء، بما كانت تشرب من فضول مياه مأرب، وبما فيها من العيون السائحة على الأرض، والمنبثقة من الجبال إلى أن سدّها مَعنُ بن زائدة حين عاقب أهل حضرموت على قتل أخيه[١]. وفي «النور السافر» و«المشرع الروي» و«الفوائد السنية»: أن بعض المغاربة جاء في أيام بدر بوطويرق، وتعهّد بفتح هذه العيون، ولكن بدراً خاف من رغبة الأتراك فيها[٢].

ونقل ابنُ عبيدالله عن الشيخ عبدالله باسودان: أن تحديد حضرموت في العرف العام كما حققه شيخنا علي بن شهاب: من مرباط إلى حبان، وأما تحديدها في العرف الخاص: فمن شبام الى تريم[٣]. وكتب العلامة ابن عبيدالله بحثاً مستفيضاً في مقدمة معجمه عن كل ما يتعلق بحضرموت من ناحية الاسم والحدود، وماشتهر عنها ومن عرف من عظمائها[٤].

وتنقسمُ حضرموت إلى قسمين:

يسمى الأول: (وادي حضرموت)، ويسميه الأهالي (**حضرموت الداخل**)؛ ويتراوح عرضه من اثنين إلى أربعة كيلومترات، ويجرى من الغرب إلى الشرق، ويمتد واديه الأخضر نسبياً إلى مسافة مائة ميل تقريباً[٥]. وذكر اليزيدي أهمّ ثمان قبائل تسكن حضرموت؛ وأولهم: **الشنافرة**؛ وقد جاءوا من ظفار، ولا تزال علائقهم قائمة بقبائل تلك المنطقة وقبائل عمان. وبعدهم: **آلُ كثير**؛ وهم قسمان: آل عمر، وآل بن عمرو، ومن فروعهم: آل منيباري، وآل مرعي بن طالب. ويجيء بعدهم: **العوامر**؛ وأكثرهم بمنطقة (تاربة). ثم آل

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مكتبة الإرشاد صنعاء صفحة ١٧ .

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مكتبة الإرشاد صنعاء صفحة ١٧ .

(٣) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مكتبة الإرشاد صنعاء صفحة ١٦ .

(٤) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مطبعة الإرشاد صنعاء صفحة ١٥ - ٢٤.

(٥) ثابت صالح اليزيدي الدوله الكثيريه الثانيه في حضرموت دار الثقافة العربيه صفحة ٢٩.

جابر بوادي بن علي، وآل باجري بمنطقة (تاربة) القريبة من سيؤن. كما تعيش بحضرموت قبائل يافعية، ثم قبيلة الحموم؛ وهي من أكبر القبائل التي تعيش في الجبال، ثم قبائل سيبان، ونهد، وآل تميم، والصيعر، وكندة[١].

وقال الأستاذ محمد بن هاشم (ت١٣٨٠ هـ)[٢]: إن تعداد سكان حضرموت يبلغ حوالي نصف مليون نسمة، حضَراً وبدْواً، وينقسمون من الوجهة الاجتماعية إلى ثلاث طوائف كبرى:

أولاها: السادة العلويون؛ ومن يلحقُ بهم من بعض القبائل الحضرمية العريقة في الصلاح، كآل باوزير، وآل العمودي، وآل بافضل، وآل الخطيب الأنصاريون، وغيرهم ومن هذه الطائفة رجالاتُ العلم والفضل والنفوذ وهم المصلحون بين الناس، والساعون في بناء المدارس والأربطة والمساجد، والقائمون بالتعليم والإرشاد وعقود الأنكحة وقسمة المواريث.

أما ثاني هذه الطوائف: فهي طائفةُ الزراع وأرباب الصناعات والعمال، وأهل الأسواق ومن ضاهاهم، وتفصل المنازعات في هذه الطائفة والطائفة التي قبلها بالمصالحة غالبا أو بحكم الشرع على مذهب الإمام الشافعي.

والطائفة الثالثة: وهم حملةُ السلاح من العشائر بدواً وحضراً، وهؤلاء وان يكُ فيهم رجال العقل والصلاح ومحبة الخير، إلا أنه لا يهدأ لهم بالٌ، فجلهم يحارب بعضهم بعضا، وتفض المشاكل بينهم فيما عدا المواريث والأنكحة بواسطة عاداتٍ لهم عرفيةٌ، وبواسطة حكام منهم، انتهى.

---

(١) ثابت صالح اليزيدي الدوله الكثيريه الثانيه في حضرموت دار الثقافة العربيه صفحة ٣٠-٤٢.
علي انيس الكاف مختارات من كتابات شيخ الصحافة محمد بن هاشم تريم للدراسات والنشر صفحة.

(٢) علي انيس الكاف مختارات من كتابات شيخ الصحافة محمد بن هاشم تريم للدراسات والنشر صفحة ١٥٠-١٥١.

طقس حضرموت:

أما عن طقس حضرموت وهوائها؛ فقد ذكر الأستاذ صلاح البكري: أن الرياح الموسمية الجنوبية الغربية المشبعة ببخار الماء تهبّ على حضرموت، فتنزل مطرا عند اصطدامها بجبال الشواطىء، ولا يسقط المطر في الهضاب الداخلية إلا في النادر القليل، ولذلك فقد يشتد الجفاف، ويشتد البرد في الشتاء، وترتفع درجة الحرارة في الصيف، ولا يشعر المرء بالرطوبة ليلا إلا على الجبال المكشوفة، والجو جافّ وملائم للصحة، وفي الصيف تهب الرياح الساخنة التي تسمى بالسموم[١].

وعلى امتداد الوديان؛ توجد متسعات من الأرض بها بعضُ المزروعات، ولكن الإقليم على وجه العموم يتكون من: تلال، ومنحدرات جرداء، وتتدرج سفوحُ التلال نحو البحر مكونةً رءوسا فيها طبقاتٌ من الرواسب النهرية.

ومن الظواهر الطبيعية في هذا الإقليم: (نهر حَجْر)، الذي يصب بالقرب من رأس الكلب، وتكوّن دلتاه (إقليم ميفع) الخصيب، وهو يشق طريقه في ثلاثة خوانق، وعلى امتداده توجد قرىً بها مساحاتٌ من الأراضي الزراعية، غير أن كل مياه الإقليم تذهب إلى البحر.

وتوجد بين (عين بامعبد) و(بروم) تعريجاتٌ عديدة ترسو فيها القوارب، ولكنها غير صالحة لرسوّ السفن في إبان هبوب الرياح الموسمية الجنوبية. وميناء المكلا عميقٌ هادىء، صالح لرسو السفن، أما ميناء الشحر فضَحلٌ، وتهب ـ في شهري: ديسمبر ومايو ـ الرياحُ على البر غالبا من الشمال الشرقي وعلى طول الساحل، فيشعر المرء بنسيم البر والبحر، ويمتد تياره إلى بضعة كيلومترات داخل الوديان[٢]. انتهى (باختصار).

---

(١) صلاح البكري تاريخ حضرموت السياسي دار الآفاق العربيه الجزء الاول صفحة ٧-٢٦.

(٢) صلاح البكري تاريخ حضرموت السياسي دار الآفاق العربيه الجزء الاول صفحة ٧-٢٦.

وذكر الأستاذ ابن هاشم[١] أهمّ الأشجار بحضرموت؛ فقال : «السِّدر: وهي من الأشجار الضخمة الجذع، والمتفرعة الأغصان، ويصنع نحلُ دوعن من أزهارها العسل، وثمرها وهو النَبْقُ (الدَّوم) يُتخَذ غذاءً، ويجفف ويسحق، فيدّخر في أزيار ليُقتاتَ به وقتَ الحاجة، (ويسمّى: **الحتِي**)، لاسيما وقتَ الحرب، ومن جذوعه تتخذُ الدعائمُ وأعمدة السقوف والنوافذ والأبواب.

ثم **شجرةُ المقل**: ويسمّى بالدارجة (**الصّار**)، وتصنع من خوصِه الحبالُ والحصر، ويؤكل ثمره، ويصنع منه شرابٌ مألوفٌ لدى البدو بمثابة النبيذ. **وشجر السُّمُر**: شجرٌ شائك، تقتات منه الإبل والأغنام، ووقوده من أحسن الوقود، كما ان فحمه لا يضاهى في القوة والنفاسة، ويستخلص من عروقه مادة (الفتْخ) التي يدهن بها صيادو الأسماك خيوطهم، فيكسبها قوة وصلابة. أما **شجر القَرَظُ**: فمن الأغذية المألوفة للإبل وغيرها، ويتخذ ورقها لدبغ الجلود، ويقال ان من البدو من يصنعُ منه شراباً يستطيبونه، بمثابة الشاي لدينا. **والمشط**: شجرةٌ تعظم وتمتد فروعها حتى يستظل بها العشرات من الناس، وهي صالحة لعلف الدواب والوقود.

والراكُ: شجرة مألوفة، كثيرة الوجود، تأكل الجمال ورقها وأغصانها التي لم تتصلب بعد، واما الأغنام فلا تستطيع ان تسوغ منه شيئا، واذا جعلت أخشابها في مرافق البيت كالسقوف والأبواب وغيرها فان الأرضة لا تمسها، ويتخذ من عروقها: الأراكُ، وأغصانه أسوكة لجلاءِ الاسنان. **والعريط**: شجر ينبتُ في المسيلة، قد يصل إلى ارتفاع كبير، له ورقٌ يجفّف لعلف الدواب ويستعمل خشبه في أغراض شتى، ويتهافت عليه النجارون». انتهى.

---

(١) علي انيس الكاف مختارات من كتابات شيخ الصحافة محمد بن هاشم تريم للدراسات والنشر صفحة ١٤٠-١٤٢.

وغني عن الذكر: أن أهم أشجار حضرموت هو: **النخيل**؛ الذي يزدان بها وادي حضرموت، كما تزرع بحضرموت الحبوب، وبعض الفواكه: كالرمان والعنب والخضروات المتنوعة.

قال ابن عبيدالله: «ومن خصائص بلدة سدبة؛ فيها يقال: إنها لا تدخلها الغربان، كما ان من خصائص **قارة الشناهز**: ان لا يأكل مزارعها الطير، وإن من خصائص **اللسك**: ان لا يسلط عليها الجراد، وروي: ان الأفاعي لا تضر في ثلاث مواضع من اليمن؛ وهي: صنعاء، وناعط، وظفار، لتحصينها من أيام حمير بالطلاسم[1]. وذكر ستيوارت: أن الجامع الأزهر يحتوى على تعويذه عجيبة؛ وهي: عبارة عن رسم لطيور موجودة في أعلى أعمدة ثلاثة من أعمدته، وذلك من اجل منع الطيور الحية من اتخاذ أعشاش لها داخل مبانيه[2].



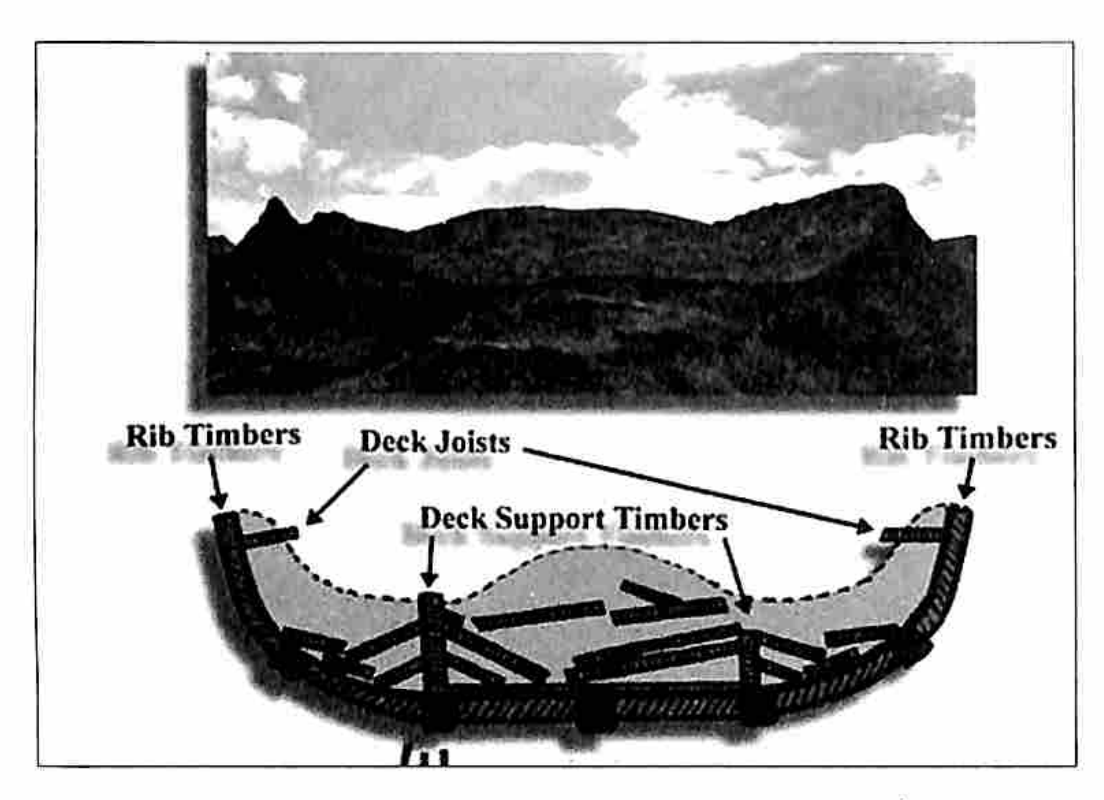
---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مكتبة الإرشاد صنعاء صفحة ٢١٨.

(٢) ديزموند ستيوارت القاهرة ترجمة يحي حقي دار المعارف بمصر صفحة ٢٦٠.

الفصل الثاني

الأحقاف والطوفان



تصورٌ لسفينة سيدنا نوح والمكان الذي وجدت فيه البقايا على جبل جودي

لم تعرف الأرض التي نزل عليها آدم أبو البشر لأول مرة، ثم جاء من نسله قومٌ بعث الله لهم سيدَنا نوحاً عليه السلام نبياً، إلا أن قومه كذبوه فأغرقهم الله بالطوفان. وأنجى نوحاً ومن معه من المؤمنين في سفينة أمره الله قبلا بصنعها.

وصنع نوحٌ عليه السلام سفينةً عظيمةَ الطول والارتفاع والمتانة. وقد اختلف المفسرون في حجمها، وهيئتها، وعدد طبقاتها، ومدة عملها، والمكان الذي عُملت فيه. قال الفخر الرازي في هذا كله: «اعلم أن هذه أمورٌ لا حاجةَ إلى معرفتها البتة، ولا يتعلق بمعرفتها فائدةٌ أصلاً».

ولما كان نوحٌ عليه السلام يبني السفينةَ كان قومه منه يسخرون لأنهم يعيشون في مكانٍ ليس به انهارٌ و لا بحار، فكيف ستجري السفينة؟ ولهذا كلما مرت به طائفة من قومه المكذبين ضحكوا منه. ولما انتهى نوحٌ عليه السلام من صنع السفينة لبث ينتظر آمرَ الله، فأوحى سبحانه إليه: أن فَوَرانَ التنور علامةُ بدء الطوفان، ومن الأقوال المفسرة للتنور: أنه بركان في المنطقة.

وجاء اليومُ الرهيب، فار التنور! وأسرع نوحٌ عليه السلام يفتحُ سفينته ويدعو المؤمنين به، حمل نوحٌ عليه السلام إلى السفينة من كلِّ حيوان وطير ووحش زوجين اثنين، وذلك لضمان بقاء نوع الحيوان والطير على الأرض.

ارتفعت المياه وتجاوزت قممَ الأشجار والجبال على ارتفاعها، وجرت السفينة بنوح عليه السلام في موج كالجبال، ونادى نوح ابنه أن يركب معه السفينة، فرفض وقال: سآوي إلى جبل يعصمني من الماء، فقال له نوح عليه السلام: لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم، ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴾.

وذكر الدكتور محمد بيومي مهران في كتابه «**دراسات تاريخية من القرآن الكريم**»: أن بعض علماء التاريخ وبعض المفسرين يعتقدون أن الطوفان الذي أصاب قوم نوح لم يشمل

كاملَ الكرة الأرضية، بل شمل منطقةً معينةً هي (وادي الرافدين)، ولقد أجرت عدة بعثات أثرية بعضَ التنقيبات في سهول بلاد الرافدين للبحث عن الآثار التي تزخر بها تلك المنطقة التي شهدت عدة حضارات، ولقد كشفت تلك التنقيباتُ أن هذه المنطقة شهدت طُوفاناً عظيماً قضَى على الحضارة السومرية التي كان أهلها يقطنون في سهول الرافدين». هذا وقد أعلن علماء الآثار عام **١٩٥٩** اكتشاف آثار لسفينة نوح على جبل جُودي، في المنقطة الواقعة بين العراق وتركيا وسوريا ونشرت صحيفة «**اللايف**» الأمريكية في عدد سبتمبر من عام **١٩٦٠** تحقيقاً عن اكتشاف سفينة سيدنا نوحٍ عليه السلام مع بعض الصور.

وشكك الباحث اليمني عارف صالح التوي في قصة الكشف عن سفينة سيدنا نوح في جبال تركيا على حدود جمهورية أرمينيا وهو (جبل آرارات)، فقال: «إن هذا الكشف يرجع تاريخه إلى مائة ألف عام خلت، في حين تشير أغلب الروايات إلى أن قصة السفينة لا يتجاوز عمرها ٩٠٠٠ عام». وقال: «ولا تزال البعثاتُ الأثرية تنقب عن السفينة حتى يومنا هذا».

كما توقعَ هذا الباحثُ بناءاً على إحداثيات رسمها معتمداً على أرقام آيات القرآن الكريم: أن تكون بلدة (الهجرين) في حضرموت هي منطلق سفينة نوح عليه السلام، بل إنه حدد على الخارطة المبينة أدناه نقطةَ انطلاق السفينة، والاتجاهَ الذي سلكته.



وقد استنتج الباحثُ عارف التوي؛ بما توفر له من معلومات من البعثات التي درست العمارة في جنوب شبه الجزيرة العربية: أن عمارة أبراجِ (شبام) بنيت بنفس الطريقة التي بنيت بها سفينة نوح عليه السلام، واعتمد على الوصف الذي ورد في كتاب ابن كثير «البداية والنهاية»، والذي قال فيه: بأن السفينة كانت ثلاثَ طبقات: **السفلى**: للدواب والوحوش، **والوسطى**: للناس، **والعليا**: للطيور. وقال: «إن التخطيط الداخليّ لأبراج (شبام) في حضرموت في الوقت الراهن يتبعُ نفس توزيع الطوابق: القاعدة، ثم الدَّور الأرضي: حيثُ المخازن، الدور الأول: للحيوانات، بعد ذلك: أدوار السكن، وفي الأخير: طابق الضيافة.

وقال الباحث التوي: «إن المسطح الجبلي الواسعَ بحضرموت يجعل إمكانية رسوّ السفينة فيه أمراً ممكناً وبسهولة، وتكاد تكونُ جبال حضرموت مطاراتٍ مسطحة». (انتهى النقل).

إلا أنني لم اقتنع بالكلام السابق؛ لأن الكلام عن اكتشافِ بقايا السفينة غيرُ مقنع! إذ كيف يمكن أن تبقَى بقايا من سفينة خشبية لآلاف السنين !! كما أن الافتراض بأن سفينة سيدنا نوح هبطت في بلاد الرافدين، أو في منطقة البحر الأسود، هو افتراضٌ لا تؤيده الدلائل القوية التي سأحاول إيرادها في السطور التالية:

فسيدنا نوح جاء بعد سيدنا آدم كما نص بذلك القرآن الكريم، وجاء بعد قوم سيدنا نوح قوم عاد، كما قال تعالى في سورة الأعراف يخبر عن قوم عاد: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ٦٥].

وقال تعالى في (الآية ٦٩) من نفس السورة: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. وقال تعالى عن قوم عاد في (الآية ٢١) من

سورة الأحقاف: ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾. ثم جاء من بعد قومِ عاد قومُ صالح كما قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةًۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًاۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ٧٣-٧٤]. وقومُ صالح معروفة مساكنهم المنحوتة في الجبال في المنطقة المعروفة حاليا بمدائن صالح في المملكة العربية السعودية، ولا زالت مساكنهم موجودة إلى اليوم في مكانها.

ثم جاء بعد قوم صالح قوم لوط ثم نبي الله شعيبٌ، المبعوث لأهل مدين، وقد اهلكوا مثل قوم صالح بالرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين. ثم تركز الأنبياء في منطقه معينه من العالم تشمل: شمال الجزيرة العربية، وفلسطين، ومصر.

نخلُصُ مما سبق: أن قوم سيدنا نوح ربما كانوا أول سلالة لسيدنا آدم أبي البشر، وأن قوم عاد هم الذين خلفوا قوم نوح عاد، وأن مسكنهم الأحقاف، وأن نبيهم هو هود عليه السلام كما نص على ذلك القرآن الكريم وقبر سيدنا هود ربما كان هو المتعارف على مكانه بحضرموت. ولهذا؛ فان الافتراض المنطقي المعقولَ، هو: أن سفينة سيدنا نوح قد رستْ على جبلٍ مّا في بلاد الأحقاف، في المنطقة القريبة من قبر نبي الله هود، المعروف مكانه بحضرموت، لأنه لا يعقل أن ترسوا السفينة في منطقة البحر الأسود، بينما مكانُ قوم عاد وهم قوم سيدنا هود ، وهم الذين جاءوا بعد قوم نوح في بلاد الأحقاف، كما نص على ذلك القرآن الكريم

ولو تدبرنا بعثاتِ الأنبياء؛ لوجدناها تتحرك من جنوب الجزيرة إلى شمالها، فسيدنا آدم أبوالبشر يخرج من الجنة في مكانٍ مّا من الأرض، ثم يأتي من نسله قومُ سيدنا نوح

الذين أغرق الله الكافرين منهم بالطوفان، ثم يأتي من بعد قوم نوح قومُ عاد ببلاد الأحقاف المعروفة، وبعد قوم عاد يأتي قومُ صالح، ومكانهم معروف بقرب المدينة المنورة، ثم يأتي الأنبياء الباقين في منطقة تمتدّ من شمال الجزيرة العربية إلى فلسطين ومصر، ثم يأتي خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم في مكة المكرمة، فهذه المنطقة هي مهدُ الأديان. ونحن نرى أن حركة بعث الأنبياء السابقين كما ذكرنا سابقا تتحرك من جنوب الجزيرة إلى شمالها.

وفي اعتقادي: أن طوفان سيدنا نوح صار في وادي حضرموت لشواهد كثيرة؛ منها ما ذكرناه سابقا من مجيء قوم عاد بعد قوم نوح، وقد ذكرنا سابقا: أن بعض علماء التاريخ وبعض المفسرين يرون: أن الطوفان الذي أصاب قومَ نوح لم يشمَل كاملَ كرة الأرض، بل شمل منطقةً معينة، وإذا كان ذلك؛ فالأقرب أن يكون في هذا الوادي الضيق الذي تحيط به الجبال العالية من كل جانب.

ومن الشواهد أيضاً: أن نوحا عليه السلام لما كان يصنعُ السفينة كان قومُه منه يسخرون لأنهم يعيشون في أرض جافة، لا أنهار فيها ولا بحار! فكيف ستجري السفينة التي يبنيها نوحٌ إذن؟ مما أثار سخريتهم وضَحِكَهم، وحضرموتُ هي الأقرب إلى هذا الوصف.

ومن الشواهد أيضاً: انه لما طلب نوح عليه السلام من ابنه أن يركب معه في السفينة، رفضَ، قال له ابنه: ﴿قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ قال له نوح عليه السلام ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾، ثم كما جاء في القرآن ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾. ويدل الحوارُ السابق: أن بالمنطقة جبالٌ عالية قريبة يمكنه بسرعة أن يلجأ إليها ويعتصم من الماء، وفي وادي حضرموت هذه الجبال العالية القريبة، والتي تحضن البلادَ من جميع الجهات.

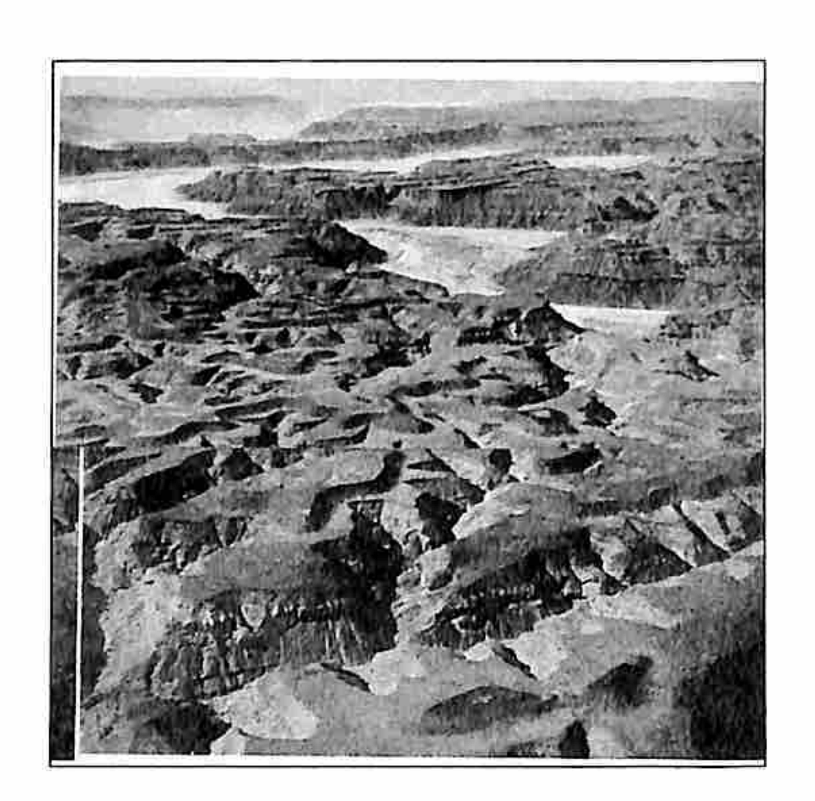
ثم؛ هل هذا التنور الذي فارَ: هل يمكن أن يكون هو بركان عدن؟ الذي ذكر الدكتور محمد علي البار[١] : أن عدن عبارة عن فوّهة بركانٍ قديمٍ ثارَ قبل: ٥٠٥-٦٠٥مليون سنة،

---

(١) ملحق الرساله لجريدة المدينة المنورة صفحة ٨ الجمعه ١٨ شوال ١٤٢٩ هـ.

وظل مشتعلا دهرا ثم خمَدَ خموداً تاماً، ولم يثُر من ذلك الزمان. وقال: «إن بركان عدن من أشهر البراكين، وعندما تمت دراسةُ بركان عدن من قبل البعثة الملكية البريطانية لعلوم البراكين سنة ١٩٦٤م، قال رئيسُ البعثة: إن البراكين الحالية ما هي ألا العابٌ نارية أمام بركان عدن!! وذلك من خلال التركيب البنيَوي لتلك البراكين»، انتهى[١].

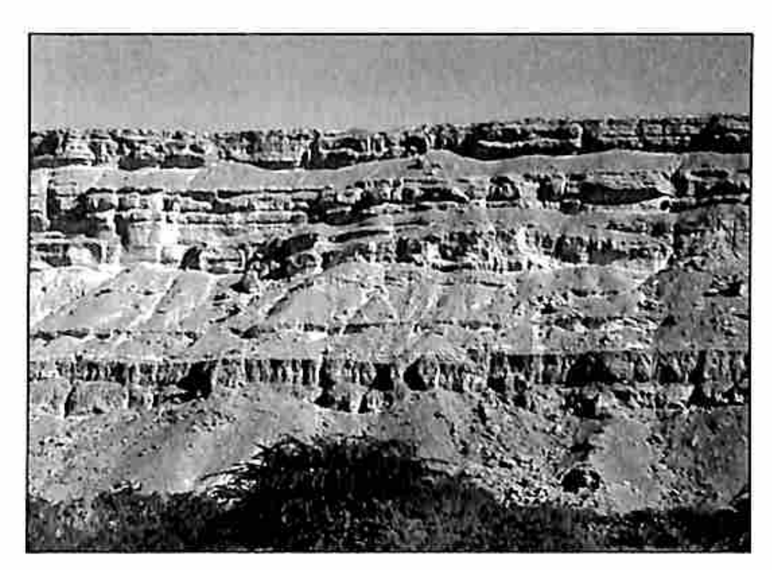
ونقل عن «مجلة المختار» عن أكبر بركانٍ في ذاكرة البشرية، وهو (بركان كراكاتوا) في إندونيسيا الذي انفجرَ عام ١٨٨٣م وتسبب في قتل (٣٦٠٠٠) إنسان، وسُمع دوي البركان على مسافة خمسة آلافِ كيلومتر، وحجب الرمادُ البركاني ضوءَ الشمس عن الأرض لمدة أسبوع، وقدرت القوة التفجيرية لهذا البركان بـ(مائة قنبلة هيدروجينية)، وأن هذا البركان الضخم يعتبر مثل الألعاب النارية بالنسبة لبركان عدن!!»، انتهى.



(١) ملحق الرسالة لجريدة المدينة المنورة صفحة ٨ الجمعه ١٨ شوال ١٤٢٩ هـ.

وإذا نظرنا إلى (وادي حضرموت) من الجو كما في الصورة أعلاه؛ نجد أنه كالقصعة التي يمكن أن تمتلئ بالماء إلى آخرها بسرعة، رغمَ عدم نفي القدرة الإلهية في إغراق العالم كله لو شاء الله تعالى ذلك، كما أن سطوح هذه الجبال مستوية كما تراها في الصورة، فيمكن لأي سفينة مهما كبرت أن تهبط عليها بسهوله وأمان.

وإذا نظرتَ إلى جبال حضرموت العالية، وجدت هذه التدرجات الطبيعية على صفحتها وهي ممتدة مع كل الجبال، ولا يمكن لعوامل التعرية أن تسبب هذا التساوي في هذه التعرجات وفي نظري: أن هذه النتوءات نتجتْ من مياهٍ كانت تغمرُها ثم غاضت تدريجياً، وتركت هذه العلامات الباقية إلى اليوم. بل ربما استمرت هذه المياه دهرا حتى استحالت بها جزيرةُ العرب جناناً خضراء، كما يذكرُ عن تاريخها القديم. بل ربما ركب قومٌ من قومِ نوح نفسَ السفينة او صنعوا سفناً مثلها وركبوا بها سطح هذه المياه وساروا إلى بلاد الله المختلفة.



هذا ولا ننسَى أنّ من علامات الساعة: النار التي تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم، وقد ذكر الدكتور البار في بحث نشره بـ«جريدة المدينة»[1] الأحاديث النبوية

---

(١) ملحق الرسالة لجريدة المدينة المنورة صفحة ٨ الجمعه ١٨ شوال ١٤٢٩ هـ.

التي ذكرت علامات الساعة، ومنها: نارٌ تخرج من اليمن تطردُ الناس إلى محشرهم، وفي «صحيح مسلم» أيضاً: «**ونارٌ تخرج من قعر عدَن ترحل الناس**».

ولعلي أقول: إن حركة البشر منذ نزول آدم عليه السلام كانت من اليمن، واتجه البشر بعد ذلك نحو الشمال، حتى العرب العاربة، انتشروا شمالاً بعد خراب سد مأرب، وأصلهم من اليمن. ويعتقد العلماء والمؤرخون: أن هناك صلةً بين العرب البائدة، مثل: قوم عاد وثمود، وبين قدماء المصريين، بسبب التشابه اللغوي. وكما بدأ انتشارُ البشر في بدء الخليقة من وادي الأحقاف، فكذلك ستكونُ بداية حشرهم بنارٍ تخرجُ من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم.



الفصل الثالث

دخول الإسلام إلى حضرموت[١]



(١) بتلخيص وزياده عن أدوار التاريخ الحضرمي للاستاذ محمد الشاطري صفحة ٨١-١٠٢ .

لما ظهر الإسلام وانتشر، ذهبت وفود الحضارمة في السنة العاشرة للهجرة إلى المدينة المنورة لمقابلة رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام، وإعلان إسلامهم وتعلم الإسلام.

وذكر ابن الأثير أن الأشعث بن قيس كان على رأس وفد كندة، إلا أن الأشعث كان ممن ارتد بعد وفاة النبي ﷺ فسيّر أبوبكر الصديق رضي الله عنه الجنود إلى اليمن لحرب المرتدين، وأسروا الأشعث واحضروه إلى المدينة، فلما مَثُل بين يدي سيدنا أبي بكر رضي الله عنه قال الأشعث: «استبقني يا خليفة رسول الله لحربك، وزوجني أختك»، فأطلقه أبوبكر وزوجه أخته، ولما تزوجها اخترط الأشعث سيفَه ودخل سوق الإبل، فجعل لا يرى جملاً ولا ناقة إلا عرقبه، وصاح الناس: كفَر الأشعث! فلما فرغ طرحَ سيفه، وقال : «إني والله ما كفرت ولكن زوجني هذا الرجل أخته، ولو كنا ببلادنا لكانت لنا وليمة غير هذه، يا أهل المدينة انحروا وكلوا، ويا أصحاب الإبل؛ تعالوا خذوا أثمانها»، فما رئي وليمة مثلها.

وشهد الأشعث اليرموك بالشام، والقادسية بالعراق، والمدائن ونهاوند، وسكن الكوفة وابتنى بها داراً، وشهد صفين مع الإمام علي كرم الله وجهه، وكان ممن ألزم الإمام علي بالتحكيم، واستعمله عثمان رضي الله عنه على أذربيجان، وتزوج الحسنُ ابن علي ابنته، فقيل: هي التي سقَت الحسنَ السمّ فمات منه[١].

وكان أولُ عامل لرسول الله ﷺ على حضرموت: زياد ابن لبيد الأنصاري، أرسله رسول الله ﷺ لينشر تعاليم الإسلام بحضرموت، ويتولى القضاء وتنفيذ الأحكام وجمع الزكاة، وقد أقام أغلب وقته بتريم وشبام، ومكث بحضرموت بقية حياة الرسول ﷺ، وطوال فترة خلافة سيدنا أبي بكر وصدراً من خلافة سيدنا عمر.

كما أرسل الرسول ﷺ الصحابي الجليل معاذ بن جبل لتعليم الناس أحكام الإسلام

---

(١) ابن الاثير اسد الغابه في معرفة الصحابه دار المعرفة بيروت الجزء الاول صفحة ١١٥-١١٦.

وللقضاء بينهم، وممن جاء حضرموت من الصحابة لنفس الغرض: الصحابي الجليل أبوموسى الأشعري. ولم يستقر هؤلاء الصحابة بحضرموت. بل عادوا فيما بعد إلى المدينة المنورة للمشاركة في الجهاد والفتوحات الإسلامية، وتوفي معاذ ابن جبل رضي الله عنه في طاعون عَمواس بالشام سنة ١٨ هـ أما أبوموسى الأشعري فتوفي في خلافة معاوية.

ولم يثبت أهل حضرموت على الإسلام بعد وفاة الرسول الله ﷺ. فارتد بعضهم عنه، وبقي بعضهم على الإسلام، لكنهم امتنعوا عن دفع الزكاة وكان ممن ارتد: الأشعث بن قيس الذي ذكرنا فيما سبق قصته مع خليفة رسول الله ﷺ سيدنا أبي بكر الصديق.

ولم يتهاون خليفةُ رسول مع المرتدين ولم يترك مانعي الزكاة بل قال قولته الشهيرة: «لو منعوني عقال بعير لقاتلتهم من اجله»، ولم يستمع لرأي الصحابة الذين لم يوافقوه على قتال المرتدين، بل سيّر الجيوش في كل اتجاه، وتقدم زياد ابن ربيعه لقتال المرتدين بحضرموت الا انه استقلّ ما معه من الجند مع عظم المهمة، فأرسل يطلبُ المدد من الخليفة الصديق بالمدينة فأمده الخليفة الصديق رضي الله عنه بثلاث فرق: **أولاها**: بقيادة المهاجر بن ابي اميه المخزومي، وقد وصلت حضرموت طريق نجران بعد ان أخضعت من فيها من المرتدين، وجاءت **فرقة ثانيه** يقودها الصحابي البطل: عكرمة ابن أبى جهل المخزومي، شهيد اليرموك، و وصلت **الفرقة الثالثة**: عن طريق بلاد المهرة من الشرق، بعد أن أخضعت من فيها من المرتدين.

واحتدمت المعارك بين جيش الصحابة و جيش المرتدين بحضرموت، وقتل فيها عدد من الصحابة قبروا في جزء مخصص بمقبرة تريم، لا زال يعرف إلى اليوم بمقبرة الصحابة ولا يدفن به أحد. وانتهت المعارك مع المرتدين بانتصار جيش الصحابة، وعودة الحضارم إلى حضيرة الإسلام الكامل، وهكذا حفظ خليفة رسول الله ﷺ أبوبكر الصديق رضي الله عنه الإسلام بحكمته وحزمه وصلابة رأيه، فبقي الإسلام حياً يزيد قوة وانتشاراً مع الزمن، حتى غطى أرجاء المعمورة، ومازال يتمدد إلى اليوم.

وبعد أن رسخ الإسلام في حضرموت وتأثر أهلها بالصحابة كما تقدم، بقي الحضارمة كإخوانهم من جمهور البلاد العربية والإسلامية، هادئين مطيعين لأمرائهم وخلفائهم، لم يشقوا عصا الطاعة ولم يقوموا بفتنة تذكر، بالرغم من وجود زعماء كثيرين بحضرموت، ولكنهم بقوا مشغولين بما هم فيه من جهادٍ خارجي، وإصلاح داخلي، وكان أميرهم يصلهم مباشرة من مركز الخلافة بالمدينة المنورة، أو يعينه لهم عامل الخليفة باليمن، بوصف حضرموت مقاطعة (مخلافاً) من مقاطعات اليمن.

ولقد انقلبت حضرموت انقلاباً تقدمياً عظيماً بدخولها الإسلام، كما انقلبت جميع البلاد العربية إلى حياة إسلامية منظمة، فزالت الفوضى الضاربة أطنابها، وتوقفت الغارات وحروب النهب والسلب وما يترتب عليها من الأضرار والأخذ بالثأر، وكسرت الأوثان ومعابد الأصنام، ومنعت الخمور، وتلاشى الفجور، وطبقت التعاليم الإسلامية، وصار الناس يجتمعون في مواضع الصلوات والجمع والزينات، وانتشر الأمان فازداد العمران، واتسعت رقعة الزراعة في البلاد، وتحسنت الصنائع خصوصاً النسيج، وكانت النساء يتنافسن في جودة النسيج، وقابل أحد الحضارمة رسولَ الله ﷺ بالمدينة المنورة وأسلم على يديه، وأهداه كسوة من صنع أمه، وطلب منه الدعاء لأمه ولنفسه. وتثقفت عقولُ الحضارمة كغيرهم من أبناء العرب بالتعاليم الإسلامية على يد علماء الصحابة، كزياد بن لبيد، ومعاذ بن جبل، ومن بعدهم.

ونشطت الحركة الأدبية فارتفع مستوى البلاغة في خُطبهم وأشعارهم، ونظم شعراء الحضارم القصائد الطنانة، وقصدوا المدينة المنورة وعواصم الخلافة، ومن أبرزهم: امرؤ القيس بن عانس، وخيار بن أبي أوفى النهدي.

وعم العدل والرفاهية حضرموت حين توزعت الزكاة على المستحقين توزيعا عادلاً، واشترك ألوف الحضارمة مع إخوانهم من المسلمين وهم ألوفٌ في غزو فارس والروم ومصر والجزائر وغيرها من بلاد افريقية، ثم عاد بعضهم إلى حضرموت بتلك الغنائم فأنهضوا بها

بلادهم، بينما استقر الآخرون في البلاد والأمصار المفتوحة. وكانت للحضارم في البلاد الإسلامية المفتوحة حاراتٌ خاصة، كحارة كندة في الكوفة وفي الفسطاط وغيرهما من المدن.

وبقي الحضارم رغم استقرارهم خارج حضرموت متصلين ببلادهم وشعبهم لبعض الوقت قبل أن يندمجوا كليا مع مرور الزمن في أهل البلاد التي هاجروا إليها.

وورد في «رحلة الحبيب أحمد بن حسن العطاس» إلى مصر سنة ١٣٠٨هـ: «أنه خرج مرة لزيارة بعض المشاهد فلما كان ببعض الطريق قال لمن معه: إني أجد ريحَ حضرموت في هذا المحل، فقال له أحد صلحاء المغاربة: نعم يا سيدي؛ بناحيتنا قبور بعض أهالي حضرموت، فقال الحبيب أحمد بن حسن: نعم؛ وقد ولي القضاءَ بمصر كثيرون منهم، مثل: ذهبان الحضرمي، وأناسٌ من القبيلة المشهورة ببني لهيعة، ثم قرأ الفاتحة لهم»[1]، انتهى.

وهكذا وحد الإسلام القبائل الحضرمية المتحاربة، ووجه قوتها المشتركة إلى الجهاد لإعلاء كلمة الله، وحفظ الكيان العربي والإسلامي، بدلا عما كانت عليه من الحروب والغزوات فيما بينها. وظهر من الحضارمة القوادُ والفاتحون، كالأشعث بن قيس الكندي، الذي تكلمنا عنه سابقا. ولكن لم يكن تاريخُ بعض الحضارم مشرّفاً لحضرموت، أمثالِ التجيبيِّ المشارك في قتل عثمان بن عفان، وكالتجيبي قاتل ابن الزبير، وكمعاوية بن حديج التجيبي المدبر لقتل محمد بن أبي بكر الصديق عامل الإمام علي بمصر، ومن الحضارم من تولى المناصب الرفيعة في القضاء والشرطة في دولة الخلفاء الراشدين ثم في الدولة الأموية والعباسية وما بعدهما .

إلا أن الحضارمة تأثروا فيما بعد ـ كبقية إخوانهم المسلمين ـ بما ظهر من المذاهب والنحل والأهواء السياسية التي انبثقت بشكل خاص بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وما جرى بين الصحابة رضوان الله عليهم من الخلاف والاقتتال، فظهر

---

(١) علي بن أحمد العطاس؛ ترجمة الحبيب أحمد بن حسن العطاس ورحلاته صفحة ٥٣٣.

بين الحضارمة الناصبيُّ والشيعيُّ والخارجيُّ والسنيُّ، وشارك الحضارمة في الحروب التي جرت بين الأسر القرشية المتنازعة على الملك؛ من: أمويين وعباسيين وعلويين. ولقد كان لهذه الاختلافات الأثرُ الفعال في تخلفِ الدول العربية والإسلامية، وتقويض بنائها، وتمزيق وحدتها، ومخالفة تعاليم الإسلام وهدي القرآن الكريم، حين يقول: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾. وقد سرتْ هذه المذاهبُ والنحلُ والأهواء السياسية إلى الحضارم في مهاجرهم، فوجدت تربة خصبه للفتن والأهواء.

واشتهرت في تاريخ الإسلام شخصياتٌ أصولها حضرمية، كعبد الرحمن بن الأشعث بن قيس، وهو من طبقة التابعين في العراق، وقد قام سنة ٧٠هـ بثورته الشهيرة على الحجَّاج بن يوسف عاملِ عبد الملك بن مروان على العراق. كما تولى القضاء بمصر في زمن الدولة الأموية تسعةٌ من القضاة من أصل حضرمي، قال الشاعر :

لقد ولي القضاة بكل أرض ... من الغر الحضارمة الكرام

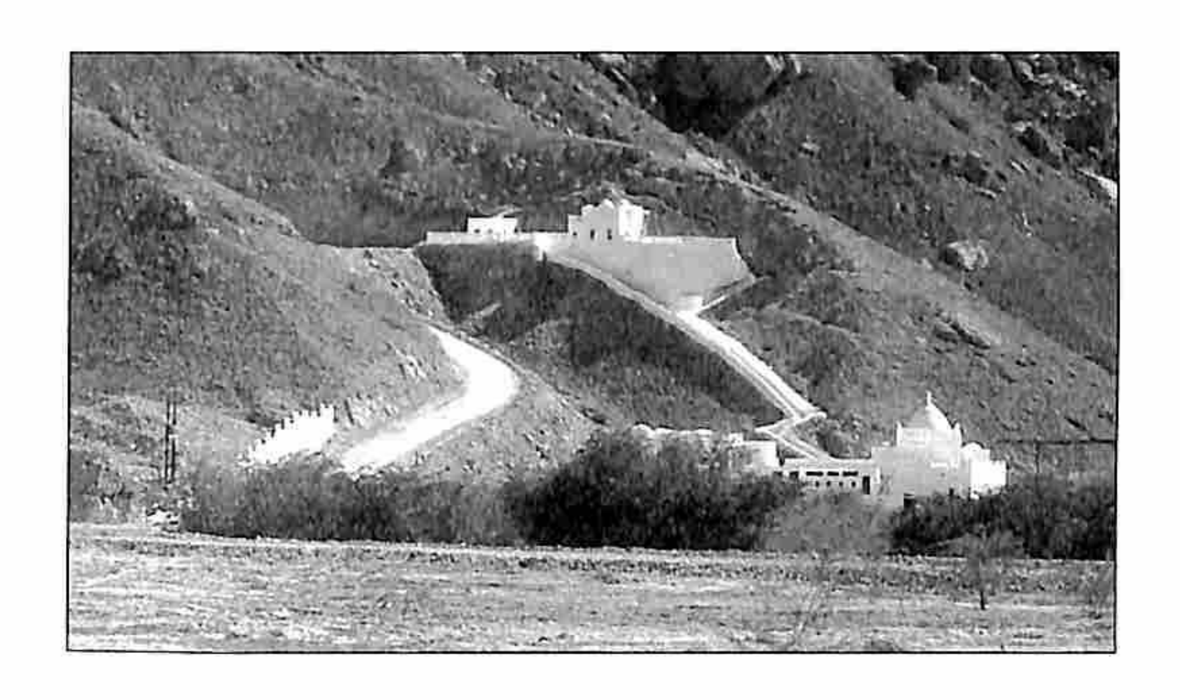
رجال ليس مثلهم رجال ... من الصيد الجحاجحة الضخام

وممن اشتهر من الحضارم السابقين: المؤرخ والفيلسوف الشهير عبد الرحمن بن خلدون المتوفَّى سنة ٨٠٩هـ صاحب «المقدمة الشهيرة» التي ترجمت إلى اللغات الأوروبية، ويقال أيضاً: إن الشاعرّ الشهير أحمد بن الحسين المعروف بالمتنبي، حضرميٌّ الأصل، وقد توفي سنة ٣٥٤هـ.

* * *

الفصل الرابع

هجرة الإمام أحمد بن عيسى إلى حضرموت



الإمام أحمد بن عيسى هو بالنسبة للعلويين مثل سيدنا آدم بالنسبة للبشر، إذ إليه ينتسب كل العلويين الموجودين بحضرموت والهند والحجاز وإفريقيا والشرق الأقصى.

كان مقيما بالبصرة التي كانت في القرن الثالث الهجري، من أعظم مدن العراق أيام الدولة العباسية، وتعد بوابة بغداد، ومدخل دجلتها، المتدفق بضروب المتاع وأنواع السلع المجلوبة من إطراف الدنيا، ومحط الرحالة من الشرق والغرب، ومن مجاهل الصين إلى مفاوز الصحراء الكبرى[١].

ولأهل البصرة في تلك الفترة رحلات بحريه إلى بلاد العالم المختلفة، فقد عبر الرحالة سليمان البصري عام ٢٦٥هـ المحيطَ الهندي، ووصل جزر الصوندا، وذكر جزيرة سومطرا، ومر بشبه جزيرة ملَقَا، ثم انتهى إلى الصين وذكر بها تجاراً من المسلمين.

يتصل نسب الإمام أحمد بن عيسى بسيدتنا فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ، فهو أحمد بن عيسي بن محمد بن علي العريضي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن الأمام علي بن أبي طالب وابن فاطمة بنتِ رسول الله ﷺ.

وكان له بالبصرة مال وجاه إلا أنه كان مشتغلا بالعبادة والدين، ولم يكن يتطلع إلى الرياسة والإمارة، ولم يوافق أخاه محمد بن عيسى في خروجه على الخليفة العباسي بل نصحه أن يقلع عن ذلك ففعل[٢].

ولما استولى القرامطة على البصرة عام ٣٠٧هـ وأحدثوا فيها من الفظائع الكثير، فكر أحمد بن عيسى بالرحيل عن العراق فجمع أهله ومن شاء من بنيه وبني عمومته سنة ٣١٧هـ، واتجه بهم نحو المدينة المنورة، وأقام بها ثم أدى فريضة الحج في السنة التالية

---

(١) تاريخ الإسلام عن كتاب التبصر للجاحظ، جلد ٣ صفحة ٣٢٩.

(٢) الامام المهاجر تأليف محمد ضياء شهاب وعبدالله بن نوح صفحة ١٠١.

٣١٨هـ[١]، وهي نفس السنة التي اقتحم فيها القرامطة مكة وقتلوا الحجاج، وانتزعوا الحجر الأسود من الكعبة المشرفة.

لذا قرر المهاجر أحمد بن عيسى ترك المدينة المنورة والانتقال إلى حضرموت، وهي الجزء البعيد من جزيرة العرب الذي كان مضربَ المثل في البعد [٢]، رغم انه كان يعرف وجود الأباضية بها.

والأباضية هم أتباع عبدالله بن أباض الصريمي الحارثي، وهم إحدى فِرق الخوارج، ويجتمعون مع بقية الفرق الخارجية في القول بتكفير عثمان وعلي ومعاوية وأصحابه والحكمَين، ومن رضيَ بالتحكيم، وفي القول بتكفير الزاني والسارق[٣].

وقد ابتدأ عهد الأباضية في حضرموت سنة ١٢٩هـ عندما التقى عبدالله بن يحيى الكندي الحضرمي بمكة سنة ١٢٨هـ بزعيم من زعماء الأباضية، وهو أبوحمزة الخارجي البصري، فأعجب به وبدعوته ودعاه إلى حضرموت فأجاب دعوته[٤].

وقد صحب المهاجر أحمد بن عيسى بالإضافة إلى أهله وبنيه كثيرٌ من مواليه وخدمه[٥] كما صحبه اثنان من أبناء عمومته، استوطن أحدُهما وادي سهام في اليمن واليه ينتمي بنو الأهدل، واستوطن الثاني وادي سُردُد باليمن،وإليه ينتمي الأشراف بنو قديم.

ولما وصل المهاجر إلى حضرموت استقر في البداية ببلدة الهجرين، واشترى بها داراً وعقاراً، ثم انصرف عنها وقصد الحسيِّسة، وهي قرية قريبة من تريم، فيما يسمى الآن بـ(شعب أحمد)، حيث استقر بها واستوطنها وفيها قبره المشهور[٦].

---

(١) محمد بن أحمد الشاطرى أدوار التاريخ الحضرمي الناشر عالم المعرفة صفحة ١٤٦.

(٢) عبدالرحمن بن عبيداللاه السقاف معجم بلاد حضرموت مكتبة الإرشاد صنعاء صفحة ١٨.

(٣) محمد أبوبكر حميد حضرموت فصول في التاريخ والثقافه صفحة ١٣٥.

(٤) د. محمد أبوبكر حميد حضرموت فصول في التاريخ والثقافه صفحة ١٣٥.

(٥) تاريخ حضرموت صالح الحامد الجزء الاول صفحة ٣٠٤.

(٦) تاريخ حضرموت صالح الحامد الجزء الاول صفحة ٣٠٦.

وقد صرح المهاجر بنسبه بعد وصوله حضرموت، ولم يثنه عن ذلك وجود الأباضية بها، وهم الذين يبغضون الإمام علي وأهل بيته، وهذا دليلٌ على صدق نسبه وشجاعته، لأنه لا يمكن أن يدعي نسباً يكون وبالاً عليه، ولم يذكر التاريخ أن أحداً من أهل حضرموت أنكر عليه نسبه[١].

إلا ان الحضارمة تشككوا فيها بعد في صحة نسب المهاجر، فأرسل المهاجر ابنه عبدالله بن أحمد مع جماعة من أهل حضرموت المتجهين للحج، وقابلهم بحُجَّاج العراق الذين يعرفون المهاجر من البصرة، فشهدوا بصحّة النسب أمام حُجّاج حضرموت، وثبت بعد ذلك نسب بني علوي بحضرموت و جميع الجهات.

نبذة عن الأحوال السياسية زمنَ المهاجر وقبلَه

اشتدت يد الدولة العباسية منذ بداية نشأتها على أهل البيت وتعرضوا في العهد العباسي لأكثر مما تعرضوا له أيام الخلافة الأموية، وكان العباسيون يستخدمون مع أعدائهم السياسة والدهاء، إضافة للقوة العسكرية.

وفي المدينة خرجَ محمدُ بن عبدالله بن الحسن الملقب بالنفس الزكية على الخليفة العباسي المنصور، فبايعه على الخلافة كثيرٌ من الناس، لكن الخليفة العباسيَّ المنصور أرسل جيشا إلى المدينة، وانتهى الأمر بالقبض عليه، وجذَّر عليه المنصورُ بيتَه ليموت حيا بداخله! ويقال: إن هذا البيت بحَسب معالم المدينة المنورة الحالية: يقع في نهاية شارع أبوبكر الصديق المتجه للحرم، عند بداية النفق.

وفي أخريات الدولة العباسية؛ اضطربت الأمور في كافة النواحي، وعمت الفوضى

---

(١) تاريخ حضرموت صالح الحامد الجزء الاول صفحة ٣١٠.

وكثرت الفتن، وكان أعظمها ثورة الزنج، ثم فتنة القرامطة التي شملت بلواها مناطق شاسعة من مناطق الدولة العباسية.

وحدثت ثورة الزنج في خلافة المهدي بالله بن الواثق بن المعتصم سنة ٢٥٥هـ، عندما خرج بالبصرة رجلٌ زعمَ أنه من أهل البيت وهو في الواقع من عبد القيس، واسمُه: علي بن محمد بن عبد الرحيم، فدعا الناسَ إلى بيعته وطاعته، وزعم لنفسِه عددا من الخوارق، واحتال على العبيد الذين يكسَحون السباخَ جهةَ البصرة، فكساهم وأعطاهم السلاح، وحرضهم، فاجتمع له منهم الكثير، ثم انضمّ لهم كثير من الغوغاء، حتى عظم الأمر واستفحل الشر، ثم شخص زعيمُ الزنج إلى البحرين، ودعا الناسَ لطاعته بهجَر، فتبعه كثير من أهل البحرين، وهي المنطقة الساحلية شرقَ جزيرة العرب، فملّكُوه أمرهم ونفذوا أوامره، فدعاهم للإغارة والنهب، ثم ملك بهم البصرة سنة٢٥٧هـ، وأعمل القتل في أهلها أياما، ولم يسلم منهم إلا القليل، كما دخل قرىً أخرَ كثيرة، وأمصارا عديدة، وفعل بأهلها مثل ما فعل بأهل البصرة، ثم تحركت الدولة العباسية لقتاله، وصارت بينهم وقائع متكررة، ولم يزل يقاتلهم ويقاتلونه من بلد إلى بلدٍ لمدةِ خمسَ عشر سنة، حتى قُتل سنة ٢٧٠هـ.

ثم امتحن الله المسلمين بعد ذلك بفتنة أعظم منها؛ وهي: فتنة القرامطة، وكان ابتداءُ أمرهم من سنة ٢٧٨هـ، في خلافة المعتمد على الله ابن المتوكل ابن المعتصم، وقوي أمرهم في سنة ٢٨٦هـ في خلافة المعتضِد، واستمرَّ أمرهم قرنا من الزمان.

وكان أولُ من ظهرَ منهم: رجُلٌ قدِمَ من خوزستان إلى سَواد الكوفة يُظهِر الزهد والتقشف، ويأكل من كَسب يده، ويكثر الصلاةَ، وأقام على ذلك مدةً، ثم أعلمَ الناس أنه يدعو إلى إمام من أهل بيت النبي ﷺ، ولم يزل على ذلك حتى استجاب له خلق كثير.

وأكثر من تبع القرمطيَّ أهلُ سواد العراق والبادية، ممن لا عقل لهم ولا دين، وأخبرهم بعقائد باطلة، وبأحكام مخالفة للشرع، في الصلاة والأذان وغيرهما، فاعتقدوا

صدقه واغتروا بعبادته وزهده وتقشفه، فأجابوه ثم انتقل إلى ناحية الشام وانقطع خبره، إلا إن مذهبه انتشر وكثر المتمسّكون به، وزعم كثير منهم أنهم يدعون إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، وقيل: إنهم يدعون إلى محمد ابن الحنفية، وهو منهم براء.

ثم ظهر من القرامطة بناحية سَماوةَ من العراق رجلٌ تسمى بيحيى بن المهدي، وتكنى أبا القاسم، وزعموا أنه محمد بن عبد الله بن إسماعيل بن جعفر الصادق، فقصد القطيف ونزل على رجُلٍ من غلاة القرامطة يعرف بعلي بن المعلّى، فجمع له ابن المعلّى أتباعه من أهل القطيف، واقرأهم كتابا مع يحيي بن المهدي يزعم أنه من المهديّ، فأجابوه، وكان ممن أجابه: أبو سعيد الجنابي، فاجتمع على أبى سعيد خلقٌ كثير من الأعراب والقرامطة، فقتل من كان حوله ممن لم يدخل في طاعته، ثم سار إلى القطيف ففعل كذلك، واظهر في سنه ٢٨٦هـ: أنه يريد البصرة، فكتب عامل البصرة إلى الخليفة المعتضد بن الموفق طلحة بن المتوكل، فأمره ببناء سور البصرة، فبناه. ثم أغار أبوسعيد بمن معه من الجيوش على نواحي هجَر، وقوي أمره، فجهز المعتضِد لقتاله الجيوش ووقع بينهم وبينه وقائعُ يطول ذكرها.

وكان لهم دعاةٌ كثيرون منتشرون في أقطار الأرض، حتى أحدثوا في كلِّ موضع فتنةً، ومن دعاتهم: على بن الفضل القرمطي في صنعاء اليمن، وكان يعاهد الناسَ على بيعة المهدي الذي بشر به النبي ﷺ، وتبعه خلق كثير وأحدث باليمن فتنا يطول ذكرها وقتل خلقا كثيرا وصار له ملك ضخم واستمر من سنة ٢٩٠ إلى ٣٠٣ حتى دسوا له من قتله بالسم في ذلك العام، وامتد ملك القرامطة إلى نواحي الشام ومصر واليمن والحجاز، وملكوا جانبا من العراق.

وتوفي الخليفة المعتضد سنة ٢٨٩، وبويع بالخلافة ابنه المكتفي، واستمر القتال بينه وبين القرامطة، بل زاد أمرهم وانتشرت جيوشهم في أقطار الأرض، وتعرضوا للحجاج

ونهبوا الحج وقتلوا كثيرا من الحجاج سنة٢٩٤هـ وتوفي المكتفي سنة٢٩٥ وبويع بعده أخوه المقتدر وبقي القتال بينه وبين القرامطة في مواضع كثيرة.

وفي سنة ٣٠١ قتل أبو سعيد الجنابي رئيس القرامطة وقائد جيوشهم قتله خادم له صَقْلبي بالحمام، وقد عهد من بعده لابنه سعيد، فانتزع الأمر منه أخوه أبو طاهر، واستأنف القتال وقيادة الجيوش والدعوة إلى مذهب القرامطة، واستولى القرامطة على هجر والإحساء والقطيف والطائف وسائر بلاد البحرين، ولم يزل أمرهم منتشرا وفتنهم قائمة إلى أن دخل قائدهم أبو طاهر مكة في أواخر سنة ٣١٧هـ وهي السنة التي غادر فيها المهاجر أحمد بن عيسى جد العلويين بحضرموت البصرة إلى حضرموت.

ولم يشعر الحجاج بمكة يوم الثامن من ذي الحجة من عام ٣١٧ هـ إلا وقد وافاهم عدو الله أبو طاهر القرمطي في عسكر جرار، فدخلوا بخيلهم وسلاحهم إلى المسجد الحرام، ووضعوا السيف في الطائفين والمصلين والمحرمين إلى أن قتلوا في المسجد الحرام وفي مكة وشعابها نحو ثلاثين ألف، وسبَوا من النساء والذرية مثل ذلك، وتلك مصيبة ما أصيب الإسلام وأهله بمثلها.

وابتنى أبوطاهر داراً في هجَر وسماها (دار الهجرة)، وأراد نقل الحج إليه، واشتد الخطب حتى انقطع الحج في أيامه، وأراد قلعَ ميزابِ الكعبة وكان من ذهب، فأطلع قرمطيا على الكعبة فأصيب بسهم من جبل أبي قبيس فخرَّ ميتاً، فأطلع أخر مكانه فخرَّ من فوق إلى أسفل على رأسِه فمات، فهاب الثالثُ الإقدامَ على القلع، فترك ذلك أبو طاهر على رغم أنفه وقال: «اتركوه حتى يأتي صاحبه»، يعني المهدي الذي يزعم انه يدعو الناس إليه.

وقتل كثير من العلماء والعباد والزهاد يطول الكلام بذكرِهم، ولم يسلم إلا من هرب من مكة أو صعد في جبالها، ونهبوا دور مكة حتى صار الناسُ بعد ذلك فقراءَ يستعطون الناس، ولم يحجَّ في هذا العام أحد إلا من سمحُوا بأرواحهم.

وأخذ أبو طاهر خزانة الكعبة وما كان فيها من الأموال، واقتلع الحجر الأسود وأقام بمكة ستة أيام وقيل أحد عشر يوما، ثم انصرف إلى هجَر وحمل معه الحجَر، يريد أن يحول الحج إلى دار الهجرة الذي ابتناه،وبقي موضعه خاليا. ولما يئست القرامطة من تحول الحج إلى عاصمتهم هجَر ردوا الحجرَ الأسود سنة ٣٣٩ هـ، فكان مكثُه عندهم اثنين وعشرين سنة. وهذه مصيبةٌ من أعظم مصائب الإسلام فسبحان من لا يسأل عما يفعل. ثم ابتلي أبوطاهر الخبيث بمرض الآكلةِ فصار لحمه يتناثر، وتقطعت أوصاله، وطال عذابه، ومات أشقى مِيتَةٍ، ولعذاب الآخرة اشد وأبقى.

ووقائع القرامطة في مشارق الأرض ومغاربها طويلةٌ مبسوطة في التواريخ، وما زالوا مستمرين على البغي والإفساد إلى سنة ٣٧٥هـ، فاختلَّ أمرُهم، وظهر الضعفُ في دولتهم فوقعت واقعةٌ بينهم وبين صمصَام الدولة ابنِ عضُد الدولة بن بويه في العام المذكور، فهزمهم هزيمة منكرة، وقتل كثيرا منهم، وزال من حينئذ ناموسُهم.

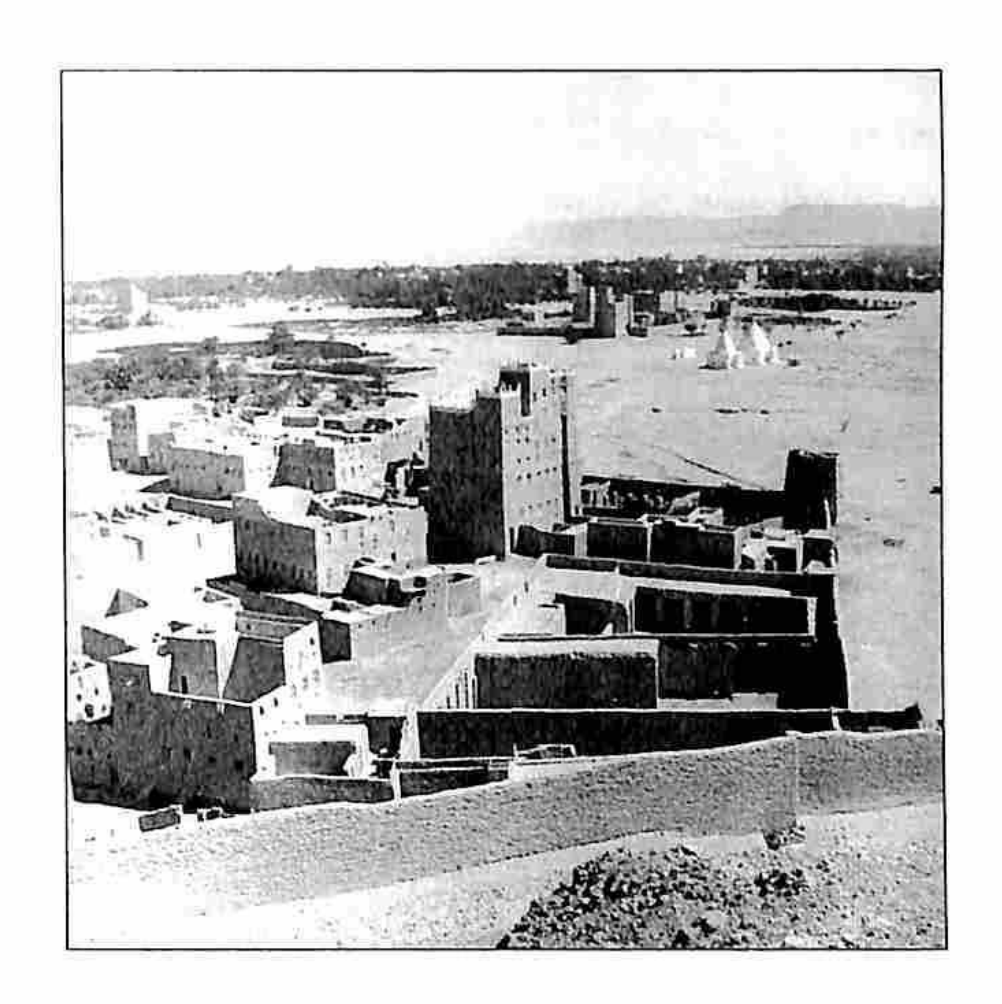
وفي سنة ٣٧٨هـ، جمع الأصغر من بني المتنفق جمعاً كثيراً وقاتلهم قتالاً شديداً، وقتل مقدَّمُ القرامطة، وانهزم أصحابه، وقُتل منهم كثير، وأسر كثير، وسار الأصغر إلى الإحساء فتحصن منه القرامطة، فعدَل إلى القطيف فأخذ ما كان فيها من عبيدهم وأموالهم ومواشيهم وسار بها إلى البصرة، وبعد هذه الواقعة لم يزل أمر القرامطة في انحلال وضعفٍ حتى اضمحلوا، ولم تبق لهم دولة، فمدتهم كلها تقرب من مائة سنة، ولله عاقبة الأمور.

❊ ❊ ❊

الفصل الخامس

الحالة السياسية باليمن وحضرموت

قبل وبعد وصول العلويين[1]



(١) عبدالحكيم صالح العامري السلطان بدر بوطويرق تريم للدراسات والنشر صفحة ٢٨.

كان ملكُ حضرموت عند ظهور الإسلام لكندة، وآخر ملوكهم هو: الأشعث بن قيس، وقد ذكرنا أخباره أخبار إسلامه وإسلام الحضارمة في فصل سابق. ثم لما ظهر مذهبُ الخوارج سنة ١١٩هـ وتفرعت منه فروعٌ مثل الأباضية الذين وصلوا إلى حضرموت وانتشروا بها، ثم انكمش انتشارُهم بعد وصول العلويين إلى حضرموت، ولكن بقيتْ منهم بقيةٌ بحضرمَوت إلى أواخر القرن الثامن، كما ذكره ابن خلدون في تاريخه.

ثم مازالت مناطقُ حضرموت تحتَ عمال اليمن لملوك بني أمية، ثم ملوك بني العباس، وكانت هذه المناطق الحضرمية الموالية تزيد أو تقل حسبَ حركة التاريخ، حتى خرجت حضرموت تماماً عن قبضة العباسيين في خلافة المأمون العباسي، فاستعان المأمون ببني يزيد الأمويين، فأخضعوا له حضرموت في سنة ٢٠٦هـ واستمرت بها دولتهم حتى سنة ٤١٢هـ. قال ابنُ عبيدالله[1]: «وحكمت دولة آل زياد اليمن من قبل العباسيين، ثم انقرضتْ وجاء بعدها (بنو مَعن) واستولوا على عدن ولحج وأبين وحضرموت ثم ذهبت دولتهم وجاءت بعدهم دولة الصليحي في عام ٤٥٥هـ. وكانت دولة شيعية تخطب على منابرها للخلفاء الفاطميين بمصر والمغرب.

و بقيت حضرموت أباضية، والأباضية أعداء للشيعة، واحتمى إمام الأباضية بحضرموت بأئمة عمان الأباضية من الصليحي الشيعي. ثم قتل الصليحي، وتقوضت دعائم ملكه بحضرموت، بعد أن استمرت دولتُه بين سنة ٤٤١-٥٣٢هـ، واستقلت بحضرموت بعض الإمارات الصغيرة التي تنازعت السلطة والنفوذ فيما بينها مثل إمارة آل راشد بتريم وإمارة بني الدغار بشبام وإمارة آل إقبال بالشحر، وانتشرت بسبب هذه النزاعات الفوضى بالبلاد.

إلا أننا لم نسمع بذكر للعلويين بحضرموت في الأحداث التاريخية لحضرموت منذ

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثالث صفحة ٢٧٦-٢٧٧.

وصول المهاجر أحمد بن عيسى لحضرموت سنة ٣١٧ هـ، ولعل السبب في ذلك ما ذكره الأستاذ صالح بن علي الحامد[١] : من أن العلويين بقوا منعزلين عن السياسة العامة بعد وصولهم حضرموت، وانحصر نشاطهم في مكان استقرارهم بحضرموت بقرية بيت جبير، والتي بقوا بها فترة من الزمن قبل أن يقرّروا الانتقال إلى مدينة تريم. ذلك الانتقال الذي كان البدايةّ لدورهم الاجتماعي والإصلاحي والسياسي بحضرموت.

ولعل هذه الفوضى التي انتشرت بحضرموت كانت السبب في إقناع العلويين بالخروج من عزلتهم في بلدة بيت جبير والانتقال إلى تريم، حيث كان انتقالهم إلى تريم بداية لدخولهم معترك الحياة العامة والتأثر بالأحوال السياسية والاجتماعية، والاهتمام بإرشاد الناس والإصلاح فيما بينهم، ولهذا كان أولُ احتكاكهم السياسي بسلطنة آل راشد بحضرموت، وهم أسرة من بني قحطان إحدى الأسر الحميرية، والتي امتدّ حكمها لحضرموت من سنة ٤٠٠ إلى سنة ٧٠٠ تقريباً[٢].

قال الأستاذ الشاطري: «ان دولة آل راشد كانت سنية واشتهر كثير من رجالها بالتقوى والعدالة والإصلاح وأشهرهم السلطان عبدالله بن راشد الذي ينسب وادي حضرموت إلى اسمه فيقال: وادي ابن راشد»[٣]. إلا إن أحدَ سلاطين آل راشد، وهو السلطان راشد بن شجعنة، لم يتقبل ما تمتع به الإمام علوي بن محمد صاحب مرباط من العقل والعلم والثروة والشعبية الكبيرة، لذا حاول التخلصَ منه، ودسّ له السم عدة مرات، رغم تظاهره بحبه، وقبوله لكل شفاعته، ذلك انه خاف أنْ يأمر الناس بالخروج عليه وخلع طاعته[٤]. كما حاول والي تريم الراشدي أن يفسد سمعة الإمام سالم بن

(١) صالح بن علي الحامد تاريخ حضرموت الجزء الثاني مكتبة الإرشاد صنعاء صفحة.

(٢) محمد أحمد الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي: صفحة ١٦٨.

(٣) محمد أحمد الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي: صفحة ١٧٢.

(٤) محمد أحمد الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي: صفحة ١٧٣.

بصري، بأن دبر له شرَكاً ليوقعه في مفسدة أخلاقية مع احد الفتيات الجميلات، ولكن الله حفظه لمتانة دينه وتقواه[١]. ومن تقاليد سلاطين آل راشد: أنهم كانوا يدفنون موتاهم في صناديق تعظيما لهم ولهم مقبرة خاصة بقارة أبي جرش بتريم وتحتها مقبرة أخرى تدعى ديار الحجم[٢].

ومن الحكام الحضارمة المعاصرين لآل راشد: أمراء بني الدغار الذين حكموا شبام وتواصلت بينهم حروب، وأذعنوا لآلِ راشدٍ خلالَ بعض الفترات[٣]، وكذلك إمارة آل إقبال بالشحر، ويقال لهم أيضاً: آل فارس؛ وقد حاولوا الاستيلاء على كثير من المقاطعات الحضرمية[٤].

وبعد أن استولى الأيوبيون على اليمن سنة ٥٦٩هـ بقيادة توران شاه، شقيق صلاح الدين الأيوبي، أرسلوا قوة من الغز للاستيلاء على حضرموت سنة ٥٧٥هـ بقيادة عثمان الزنجبيلي، الذي نجح في مهمته لكنه أبقى آل راشد على ملكهم ولكن تحت سلطة الأيوبيين[٥]. إلا أن آل راشد خلعوا طاعة الأيوبيين فجهز عليهم الزنجبيلي جيشاً آخر سنة ٦١٧هـ، أخضعهم به وأسر السلطان عبدالله بن راشد وإخوته، لكنه أطلقهم فيما بعد. ولما دخلت حملة الزنجبيلي الثانية إلى تريم فتكت بالكثير من العلماء والصلحاء متهمة إياهم بتحريض آل راشد على خلع الطاعة[٦].

وعايشت دولة آل راشد مرحلة ضعف وانهيار السلطة الأباضية التي ما لبثت أن

(١) محمد أحمد الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي: صفحة ١٧٣.

(٢) محمد أحمد الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي: صفحة ١٧٣-١٧٤.

(٣) محمد أحمد الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي: صفحة ١٧٥.

(٤) محمد أحمد الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي: صفحة ١٧٥-١٧٦.

(٥) محمد أحمد الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي: صفحة ١٧٧.

(٦) محمد أحمد الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي: صفحة ١٧٩.

انقشعت عن حضرموت، مع بقاء جيوب منها في بعض مناطق حضرموت ثم آلت الأمور بحضرموت بعد الدولة الراشدية إلى دولة آل يماني والتي امتد حكمها لفترة ثلاثة قرون تقريباً، وهي الدولة التي بدأ معها اهتمامُ العلويين بالأحوال العامة للبلاد.

ولم تستقر الأمور بحضرموت بعد غزو الأيوبيين الأخير، بل بقيت الأمور مضطربة، ثم قامت القبائل النهدية عام ٦٢١هـ بمهاجمة شبام، وقتل القائد الأيوبي وهزيمة جيشه وأنهت السيطرة الأيوبية على حضرموت ووقعت البلاد الحضرمية تحت سيطرة قبيلة نهد.

إلا أن سيطرة نهد على حضرموت لم تستمرَّ، حيث غلبهم مسعود بن يماني، وانتصر عليهم سنة ٦٢٤هـ، وأعاد نهد إلى مناطقهم الأصلية بمنطقة الكسر، وأسس دولة آل يماني بحضرموت وجعل قاعدة ملكه تريم. وارتبط العلويون بدولة آل يماني لما وَجدْوا عند حكامها من الغيرة على الدين والرغبة في تحكيم الشرع الشريف، ونشر العدل بين الناس وتامين الأنفس والأموال، ولهذا بقوا مدافعين عن هذه الدولة التي استمرت سيطرتها ثلاثة قرون، حتى تلاشت وجاءت بعدها دولة آل كثير.

ثم طمع حاكم ظفار سالم بن إدريس الحبوظي في السيطرة على حضرموت، فغزاها بجيشه، وتملك شبام بطريق الشراء، ثم احتل مدينة سيؤون عُنوةً وحاصر مدينة تريم لعدة شهور، إلا أنه لم يتمكن من دخولها بفعل الدفاع المستميت لأميرها عمر بن مسعود بن يماني، ولما طال حصاره غير المجدي، عاد أدراجه إلى شبام ومنها إلى مقر ملكه بظفار، وتزامن مع قدوم الحبوظي الظهورُ السياسي الأول لقبيلة آل كثير الذين ساندوا الحبوظي ونصروه وتولوا إدارة شئونه العسكرية، وبقوا يمثلون سلطَته بحضرموت رغم أن الكثير من مناطق حضرموت انتقضت على سلطة الحبوظي بعد عودته وذهبت خسائره العسكرية والمالية في غزو حضرموت أدراج الرياح.

ثم ارتكب الحبوظي حاكمُ ظفار غلطةً سياسيةً فاحشةً مع إمام اليمن الملك المظفَّر يوسف بن عمر ملك بني رسول، وكانت هذه الغلطةُ هي السببَ في ضياع ملكه وذهاب

دولته وقصة ذلك ان سفينة يمنيه محمله بهدايا الملك المظفّر لملك هرمُز جنّحت بساحل ظفار. فاستولى عليها الحبوظي لتعويض خسائره في حرب حضرموت، فغضب المظفر الرسولي وجهّز على ظفَار في سنة ٦٧٨ هـ حملة بحرية، وأخرى برية وتمكنت الحملةُ من قتل الحبوظي والاستيلاء على ظفار وضمّها إلى أملاك الرسوليين.

وبمقتل الحبوظي استولى آلُ كثير على ما تحت أيديهم من المناطق التي كانوا يحكمونها من قبلُ باسمه، ودانت لهم اغلب مناطق حضرموت فيما عدا مدينة تريم التي ظلت بأيدي آل يماني، ثم تمكن علي بن عمر بن جعفر الكثيري من السيطرة على مجمل الأوضاع في حضرموت ووضع اللبنة الأولى لتأسيس الدولة الكثيرية الأولى سنة ٨١٤ هـ والتي لم تشمل الشحر التي بقيت خاضعة لحكم الرسوليين.

ثم لما ضعُفت دولة الرسوليين باليمن قام حاكم مدينة حَيريج الساحلية الأمير محمد بن سعيد بن فارس، بضم الشحر لإمارته وذلك في سنة ٨٣٦هـ. ثم تواصل ضعف الدولة الرسولية باليمن حتى تلاشت، بعد أن حكمت اليمن من عام ٦٢٦-٨٥٨هـ وخلفتها دولة بني طاهر الذين سيطروا في بداية الأمر على عدن سنة ٨٥٨هـ، ثم امتد حكمهم ليشمل اليمن كله واستمرت دولتهم إلى سنة ٩٤٥هـ.

ولما اضطربت الأحوال السياسية في عدن وضعفت قبضة بني طاهر عليها طمع الأمير أبودجانة حاكم الشحر في الاستيلاء على عدن، وزينت له بعض القبائل اليافعية هذا الرأي رغم معارضة أمّه وقاضيه، فجرّد في سنة ٨٦٢هـ حملةً بحريةً للاستيلاء على عدن، فغرقت سفن الحملة على مشارف عدن بسبب العواصف القوية، ووقع الأمير أبودجانة صيدا سهلا في الأسر، واستولت الدولة الطاهرية على مدينة الشحر.

وقد انتهز السلطان بدر بن محمد بن عبدالله الكثيري هذه الفرصة لتحقيق حلمه بامتلاك الشحر، فاتصل بالطاهريين وقدّم لهم فروضَ الولاء والطاعة، فأنابوه عنهم في حكم الشحر، ليصبح أول حاكم كثيري لمدينة الشحر في تاريخ حضرموت، ولكنه لم يكد يتمتع

بإمارته حتى نازعَه عليها عام ٨٨٣هـ الأمير سعد أبو دجانة، وهو ابنْ أخ أميرها السابق، وطرد الكثيرى منها لكن السلطان جعفر بن عبدالله بن علي الكثيري تمكن من استعادة الشحر سنة ٩٠٠هـ وتوطيد حكم آل كثير بها، ويعتبر بذلك المؤسس الأول للدولة الكثيرية الأولى.

ثم اتجه السلطان جعفر بن عبدالله الكثيري نحو داخل حضرموت، فتمكن سنة ٩٠٥هـ من الاستيلاء على منطقة بور، لكنه توفي فجأة، فخلفه ابنه السلطان عبدالله بن جعفر، المعروف بحبه للعدل ومناصرته للشرع الشريف، ثم لما توفي السلطان عبدالله بمدينة الشحر سنة ٩١٠هـ خلّف ولدين: أكبرهما: **محمد** الذي خلف والده على السلطنة، وأصغرهما: بدر؛ المشهور بلقب (أبوطويرق)، والذي كان حين وفاة والده في السابعة من عمره، ثم لما شب الأمير بدر بوطويرق ظهرت مواهبه العسكرية وعبقريته السياسية، فتخلى له أخوه الأكبر عن السلطنة، واكتفى بحكم ظفار، وبتولي السلطان بدر بوطويرق مقاليد الحكم تدخل حضرموت مرحلة من الحكم الموحد القوي لجميع أجزائها.

وقد احكم السلطان بدر بوطويرق الذي طالت فترته (٩٠٢-٩٧٧هـ) سيطرته على أغلب أجزاء حضرموت عبر حروب متواصلة ومعاهدات محلية ودولية متعددة، وظهرت عبقريته السياسية في استنتاجه المهمّ بأن سيطرته على حضرموت لا يمكن أن تتحقق بقبائلِ حضرموت، بل تحتاج إلى الاستعانة بجنس خارجي، فقام بتكوين جيش من المجنّدين العثمانيين، ومن قبائل يافع والعبيد الإفريقيين، وبعض قبائل اليمن الزيدية ومن أشراف الجوف، وسلح هذا الجيش بالبنادق الرومية، وهو أول من ادخل هذه البنادق إلى حضرموت، ولم تعرف بحضرموت قبله. كما أسس لدولته أسطولاً بحرياً ليحميها من هجمات البرتغاليين الذين ازداد نشاطهم البحري في تلك الفترة، ولكي يوفر لبلاده موارد ماليه عن طريق استخدام هذا الأسطول في النقل التجاري بين موانئ ساحل حضرموت وبين موانئ الهند وشرق أفريقيا [١].

---

(١) نفس المصدر السابق صفحة ٦٧.

كما قام السلطان بدر بوطويرق بإصلاح أحوال دولته، فأمن طرُقَها الرئيسية بمجموعة كبيرة من المراكز والمخافر المكتظة بالجنود، ووضع الحاميات العسكرية في المناطق الاستراتيجية من البلاد لقمع كل من يحاول تعكير الأمن أو التمرد على الدولة. واهتم السلطان بدر بوطويرق بإصلاح القضاء والتعليم، واعتمد في حكمه على القضاة والعلماء، واهتم بنشر التعليم؛ فأسس المدرسة السلطانية بالشحر وأوقف عليها الأوقاف الكافية، واختار لها المدرسين المتميزي،ن كما اختار السلطان بدر مدينة سيؤن لتكون عاصمة داخلية لدولته، بينما بقيت الشحر العاصمة الدولية والسياسية.

أما على مستوى العلاقات الإقليمية: فقد حافظ السلطان بدر بوطُوَيرق على علاقات جيدة بالدولة الطاهرية في اليمن، لثقلها السياسي، ومتاخمتها لحدود دولته، وكان يرسل بالهدايا لحكام عدن الطاهريين ويدفع لهم خَراجاً سنوياً من النقد والمواد الغذائية، ولما تعرضت عدنُ لهجوم البرتغال سنة ٩٢٣هـ وقف السلطان بدر إلى جانب الطاهريين، وبعث لهم السفن المحملة بالمؤن والمقاتلين، واستمرت علاقته طيبة بالدولة الطاهرية حتى سقوطها على يد العثمانيين سنة ٩٤٥هـ.

كما حافظ السلطان بدر بعلاقة طيبة مع أشراف الجوف الذين ساعدوه في حروبه، فلم ينس لهم الفضل، ولما غضب عليهم الإمام شرف الدين بن يحيى وطردهم من بلدهم صعدة، استقبلهم السلطان بدر بوطويرق وأحسن إليهم وضمهم إلى جيشه، وبقوا إلى جواره حتى رضي عنهم الإمام وسمح لهم بالعودة إلى ديارهم في صعدة.

كما كوّن السلطانُ بدرٌ علاقاتٍ دوليةً طيبة بأكبر دولة في العالم لذلك الوقت؛ وهي الدولة العثمانية، التي عاصرَ سلطانَها العظيم سليمان القانوني، فاتصل السلطان بدر بالعثمانيين وأعلن ولاءه لهم، وطلب منهم الدعمَ والمعونة لكي يتمكن من مقاومة البرتغاليين وصد هجماتهم في بحر العرب والبحر الأحمر.

وحكمت الدولة الكثيرية حضرموت، واستمرت سلطتها في حضرموت لفترة ثلاثة قرون ونصف[1]. وتخلل ذلك بعض الفترات التي تَتلاشى فيها معالم الدولة نتيجة صراع السلطة بين آل كثير، حتى سقطت الدولة الكثيرية نهائيا على يد يافع عام ١١٤٩هـ وحكمت بعدها الطوائفُ اليافعية حضرموتَ حتى قيامِ الدولة الكثيرية الثانية عام ١٨٤٥م على يد السلطان غالب بن محسن الكثيري، وبمساندة قوية من العلويين. (وقد أفردنا فصلاً مستقلاً بهذا الكتاب للحديث عن نشأة ونهاية الدولة الكثيرية الثانية).

وإذا أردنا البحث عن علاقة العلويين بالسلطان بدر بوطويرق والدولة الكثيرية الأولى؛ فإننا نشير إلى ما ذكره السيد محمد بن هاشم في «تاريخ الدولة الكثيرية» نقلا عن «تاريخ باهارون»، عن أول اتصال للعلويين بالسلطان بدر بوطويرق فقال: «جاء السلطان بدر بوطويرق إلى تريم ونوَى زيارةَ الولي الصالح أحمد بن علوي باجحدب (المتوفى سنة ٩٧٣هـ)، فقال لجماعته: مرادنا نزور السيد الشريف أحمد ولا نزعجه أو ننكد عليه، وذلك لما علمه من أن السيد أحمد يستوحش من أهل الدنيا، فلما أخبروا السيد أحمد بقدوم السلطان قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، وأيش لنا حاجة بمجيئه؟ وقال: نحن نخرج إليه، ثم أخذ ملحفته وغطّى بها جسده ويديه، ثم خرج لمقابلة السلطان، فلما وصل استلم السلطان يده وبقيَ واقفاً، قال له السيد: اللهَ اللهَ في العدل، فقد كان والدك طيباً مع الناس، وأنت اللهَ اللهَ فيهم. فقال السلطان: قد جئنا بشيء من الذهب والفضة باسم الفقراء تفرقونه على من شئتم من جماعتكم، فقال السيد: لا حاجة لذلك، وأنتم عليكم مصاريف كبيرة، فقال السلطان: اقبلوا منا شيئا من البن والعود، فقال السيد: عندنا البن والعود ولا نحتاج لشيء منهما، ثم استودَع منه، ولما رجع السلطان بدر بوطويرق قال لجماعته: الحمدلله الذي جعل في ولايتي مثل هذا السيد».

---

(١) محمد أحمد الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي: صفحة ١٦٩.

ولما وطّد السلطانُ العظيم بدر بوطويرق أركانَ دولته الواسعة بحضرموت وجعل عاصمة ملكه بالداخل بلدة سيؤن، ثم نظر هذا السلطانُ العبقري إلى عاصمته الجديدة فوجد أنه ينقصُها عنصرٌ مهمٌ يوجد في تريم، فقرَّر دعوة أحد السادة العلويين للإقامة بعاصمته الجديدة سيؤن، ولما عرَفَ أن السيدَ عمر الصافي يتردد على بعضِ الأشخاص بسيؤن، اتصل السلطانُ بدرٌ بهذا الشخصِ، وطلبَ منه أن يرغّب هذا الشريفَ في التزوّج بعاصمته سيؤن، قال: «ليكون لنا سراجا نهتدي به، فليس في عاصمتي أحد من أهل البيت». وتم للسلطان ما أراد، وتزج السيد عمر الصافي عند آل بانجار وهم بقيةُ دولة قديمة، فولدت له ابنه السيد طه بن عمر، الذي لما شبَّ رغِبَ في الانتقال إلى بلد أهله تريم، إلا أن السلطان بدراً طلب من نقيب العلويين بتَريم السيدِ أحمد باجَحْدب أن يقنع الحبيبَ طه بالعودة والإقامة بسيؤن، فعاد. وأقطعه السلطان بدرٌ مساحةً واسعة من الأرض بنّى عليها مسجده وبيته، وهو جد كل آل السقاف العلويين الموجودين ببلدة سيؤن، وتوفي سنة ١٠٠٧ هـ[١]، ومازال مسجدُه من المعالم المهمّة بسيؤن.

وقد ترجم السيد عبد القادر العيدروس في كتاب «النور السافر» للسلطان بدر بوطويرق فقال: «السلطان الأعظم، والملك الأكرم، السلطان بدر ابن السلطان عبدالله ابن السلطان جعفر، سلطان حضرموت، كان مولده سنة ٩٠٢ هـ، وولي السلطنةَ وهو شابٌ، وكان حسن الأخلاق، جواداً كثيرَ الإنفاق، وافر الصورة، وكان لطيفَ المعاشرة، ظريف المحاضرة، شجاعاً مقداماً، وهزبرا ضرغاماً، فكم أباد أحزابَ الضلالة ومزقها، وكم أزال فرق الفساد وفرّقها، وكان محظوظاً جِداً حتى كان لا يقصد باباً مغلقاً إلا انفتح، ولا يقدم على أمر مبهم إلا اتضح، ولا يتوجه إلى مطلب إلا نجَح، وهو الذي دانت له البلاد وخضعت له العباد، وأول من أظهر بحضرموت هيبة الملك، وأسس قواعد السلطنة ومهدها لمن بعده وطالت مدة دولته حتى لم يعلم احد من السلاطين مكث في الملك مثله وقد تعاصر ثلاثة من

---

(١) علوي بن عبدالله السقاف، التلخيص الشافي: صفحة ١٩-٢٠.

السلاطين تقاربوا في السن والولاية ورزقوا السعد والإقبال، وطالت أيام ملكهم: أحدهم: بدر بوطويرق، والثاني: الشريف أبونمي بن بركات، والثالث: السلطان سليمان القانوني، الذي بلغت الدولة العثمانية في عهده أوج اتساعها[١].

وقد أحب العلويون السلطان بدر بوطويرق، وذكر ابنُ هاشم: «أن أحد الناس نال من السلطان بدر بوطويرق بحضور الشيخ أبوبكر بن سالم، فزجره وقال له: أليس هو خير لنا من الأروام؟ (يقصد جماعة الزنجبيلي)، ولولاه لما سلمت منهم حضرموت»[٢]. وفي بداية ظهور السلطان بدر بوطويرق اعتكفَ سبعةٌ من العلويين بشعب نبي الله هود متضرعين إلى الله أن يمكّنه الله من حِفظ القطر كله، وقد استجاب الله الدعاء الصالح، إذ دانت حضرموتُ كلها للسلطان بدر في بضعة شهور، ولم تبق إلا مواضع حقيرة استكملها فيما بعد، ونصب موازينَ العدل، وتمتع بملكه وسلطانه نحواً من خمسين سنة[٣].

ويتضح لنا بُعدُ نظَرِ السلطان بدر بوطويرق في حرصه على وجود العلويين بحاضرة ملكه، بما حدث بعد ذلك بحضرموت من الشواهد التي تبين أهمية وجود العلويين، ودورهم الهام في استقرار الأمور، ومن ذلك: ما ذكره العلامة ابن عبيدالله في «المعجم» حين قال: «ولما ضعف أمر آلِ كثير ببلدة بور واشتدت الفوضوية فيها وفي أعمالها، سعى آل بور وآل باجري في استقدام الحبيب أحمد بن علوي العيدروس، الذي تربى في بور وأمه من آل باعبود، ثم أخذه أبوه صغيراً ليتربى في تريم. وكان أهل بور محتاجين إلى والٍ يجتمعون عليه، فأقاموه منصباً على بور إلى أن توفي سنة ١١٠٤هـ»[٤].

إلا إن علاقة العلويون بدولة آل كثير ازدادت مع السنين، وارتبط الطرفان برباط

---

(١) محمد بن هاشم، تاريخ الدولة الكثيرية، تريم للدراسات والنشر: صفحة ٥٧.

(٢) محمد بن هاشم، تاريخ الدولة الكثيرية، تريم للدراسات والنشر: صفحة ٥٧.

(٣) محمد بن هاشم، تاريخ الدولة الكثيرية، تريم للدراسات والنشر: صفحة ٥٩.

(٤) عبد الرحمن بن عبيد اللاه السقاف معجم بلدان حضرموت الناشر مكتبة الإرشاد صنعاء صفحة ٤١٧.

قوي هدفه إقامة العدل وتحكيم شرع الله ونصرة دينه، وكتُب التاريخ مليئةٌ بكثير من الحوادث التي تكشف عمق هذه العلاقة، ونحن في هذا الكتاب لا نكتبُ تاريخاً، وإنما نستعرض بعضَ الأحداث والوقائع المناسبة لمواضيع الكتاب، ومن يريدُ أن يعرف التفاصيل فعليه أن يستعرض الكتب التي تحدثت عن تاريخ حضرموت.

ولما تلاشت الدولة الكثيرية الأولى، عاشت حضرموتُ قرابة قرن ونصف من الزمن بلا حكومة مركزية، وذاقت البلاد من الويلات والفظائع الكثير، وقد استعرضنا ذلك بإيجاز في فصل مستقل. و بذل العلويون خلال هذه الفترة عدة محاولات لإقامة والٍ عادل، ولكن لم يكتب لمحاولاتهم النجاح، حتى قيض الله لهم عودةَ السلطان غالب بن محسن الكثيري، فوقفوا إلى جانبه بقوة، وأيدوه بأموالهم وجاههم وأنفسهم ودعواتهم، حتى كتب الله انتصار السلطان غالب وقيام الدولة الكثيرية الثانية، واستقرار الأمور مرة ثانية بحضرموت.



الفصل السادس

الدور الأول من أدوار حياة العلويين بحضرموت



مسجد علوي بن عبيدالله بقرية سُمَل القريبة من قرية تاربة

بحضرموت وهو جد العلويين

قسّم ابن عبيدالله السادة العلويين منذُ وصولهم حضرموت إلى تَمام القرن الثالث عشر إلى ثلاثِ طبقاتٍ، وذكر:

آن **الطبقة الأولى**: تمتد من المهاجر إلى الفقيه المقدم، وأن أزياءهم كانت على أزياء الصحابة، وكانوا أيضاً على هيئتهم وأسلحتهم[١].

أما **الطبقة الثانية** من العلويين: فتمتدّ من عصر الفقيه المقدم إلى عصر العيدروس، ورجال هذه الطبقة: همُ الذين قال عنهم السائحُ المغربي في «رحلته» إلى حضرموت سنة ٨٦٥ هـ: أنهم أشبهُ بالملائكة[٢].

وأما **الطبقة الثالثة** فذكر: أنها تمتدّ من زمن العيدروس إلى تمام القرن الثالث عشر[٣].

قال ابن عبيدالله: «إن لرجال الطبقة الثانية الممتدة من الفقيه المقدم إلى العيدروس من الأعمال والرياضات ومجاهدات النفوس ما لا تستقر له العقول ولا تتصوره الأفكار، ولا تقدر على تصديقه القلوب إلا بعد ضرب الأمثال من المشاهدات، وقياس أولئك على من شاهدْنا ممن بقي من فريقِهم وانتهج طريقَهم إلى أوائل أعمارنا، فقد شاهدنا وشاهد أترابُنا كثيراً ممن يقربُ من ذلك النمط، ممن يصدق قولُ السائح المغربي فيهم»[٤].

وقال ابن عبيدالله[٥]: «والفقيه المقدم هو أول من ترك السلاح وسلك طريق الصوفية ولبس (الخوذة)، وهي ما يقال له بمكة وحضرموت: (القبع). ثم تساءل ا بنُ عبيدالله: «هل بقي العلويون من رجال هذه الطبقة بعد تصوفهم في لبس العمامة؟ أم أنهم تركوا لبسها

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مطبعة الإرشاد صنعاء صفحة ٥٠٦.

(٢) عبدالله بن محمد بن حامد السقاف تاريخ الشعراء الحضرميين الناشر مكتبة المعارف بالطائف الجزء الاول صفحة ٨٠.

(٣) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مطبعة الإرشاد صنعاء صفحة ٥٠٨.

(٤) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مطبعة الإرشاد صنعاء صفحة ٥٠٩-٥١٠.

(٥) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مطبعة الإرشاد صنعاء صفحة ٥٠٨.

واستبدلوها بالخوذة الصوفية؟ وهل بقوا على لبس العمامة في المناسبات فقط؟ واستشهد بما جاء في كتاب «الجوهر الشفاف» من: أن الشيخَ عبدالرحمن السقاف كان يلبس (الخوذة)، وأن الشيخ محمد بن علي مولى الدويلة يلبس (القبع).

ثم ذكر بن عبيدالله: أن احد العلويين من رجال هذه الطبقة اشتهر بلقب صاحب **العمائم**، وهو السيد محمد بن علوي بن أحمد بن الفقيه المقدم المتوفى بتريم سنة ٧٦٧هـ، وسبب التسمية: أنه احترق عليه عددٌ من العمائم أثناء استغراقه في القراءة تحت السراج، وذلك يدل على استمرار رجال هذه الطبقة في لبس العمامة، إلا أن ابنَ عبيدالله استدرك فقال: «إن صاحب العمائم، لم يكن مقيما بحضرموت، وإنما هاجر إلى مقدشوه بالصومال، لطلب العلم على يد العلامة الشيخ محمد بن عبد الصمد الجوهي».

قال بن عبيدالله: «وأما **الطبقة الثالثة**: فمن العيدروس إلى تمام القرن الثالث عشر[١]، وانتشرت بعد العيدروس المعارفُ وأينعت العلوم، ولكن نقصت المجاهدات وبدأ الخلل يدخل على طريقة العلويين، ولهذا كان القطب الحداد يأخذ بكلِّ عادة كانت من أيام العيدروس فمن قبله بدون أن يبحث عن الدليل، لتلزُّمِ رجالِ هذه الطبقة بالسنة المطهرة تلزماً شديداً، وأما من جاء بعد العيدروس فلا يقبل عنهم شيئاً إلا بدليله الواضح»[٢].

قال ابنُ عبيدالله: «ونقل غير واحد عن أبي حنيفة أنه كان يقول : ما جاءنا عن رسول الله ﷺ فعلى الرأس والعين، وما جاءنا عن الصحابة رضوان الله عليهم نختار أحسنه، ولم نخرج عن أقوالهم، وما جاءنا عن التابعين فهم رجالٌ ونحنُ رجال»[٣].

قال بن عبيدالله: «ومن أواخر رجال هذا الدورِ مشايخُ مشايخنا؛ كالسادة: عبدالله بن حسين بلفقيه، وعبدالله بن علي بن شهاب، وعبدالله بن أبي بكر عيديد، وأحمد بن علي

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مطبعة الإرشاد صنعاء صفحة ٥٠٨.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مطبعة الإرشاد صنعاء صفحة ٥١٠.

(٣) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مطبعة الإرشاد صنعاء صفحة ٥١٠.

الجنيد، ومن أواخرهم: مفتي الديار الحضرمية شيخنا العلامة الجليل صاحب المؤلفات عبدالرحمن بن محمد المشهور المتوفى سنة ١٣٢٠هـ وكان بطلاً شجاعاً يباشر إبطال الباطل بنفسه ولا يخاف في الله لومة لائم، فرُزِئَ الإسلام بموته رُزءا أليما، وفقدت تريم بفقده ركناً عظيماً، وكان آخرَ من يستحيي منه، وتواتر عنه: أنه لم يترك صلاة الجماعة في أول وقتها أربعين سنة»، انتهى[1].

أما الأستاذ محمد بن أحمد الشاطري، فقد قسّم حياة العلويين بحضرموت إلى أربعة أدوار وقد أوردت في هذا الكتاب الأدوار الأربعة التي ذكرها مع أمثلة مختصرة لكل عهد، واتفق مع ابن عبيدالله في تحديد **الدور الأول**: من حياة العلويين بحضرموت من القرن الثالث (عصر المهاجر)، إلى القرن السابع (عصر الفقيه المقدم). وقال الأستاذ الشاطري: «إن رجال **الدور الأول**: كانوا أشبه برجال الصدر الأول من الإسلام، في أخلاقهم وعلومهم، وقد عملوا على نشر السنة، وتكللت جهودهم بانحسارِ المذهب الأباضي عن أغلب حضرموت، وقادوا الشعب الحضرمي وتزعّموه علمياً وأدبياً واقتصادياً بل وسياسيا تبعا للمصلحة العامة».

وذكر الأستاذ الشاطري بأنه: قَدْ حصل خلافٌ بين المؤرخين في مذهب رجالِ الدور الأول؛ فمنهم من يقول: إنهم إماميون، أما العلامة ابن عبيدالله فقد أثبت في رسالة «نسيم حاجر في مذهب المهاجر»: أن المهاجر كان على مذهب الإمام الشافعي. ويقول الأستاذ الشاطري عن رجال الدور الأول: «إنهم أئمة مجتهدون ويطلق على كبارهم لقب الإمام فيقال الإمام المهاجر مثلا، والإمام علوي بن عبيد الله، وهكذا. وهم مع اجتهادهم وافقوا الشافعيَّ في معظم مذهبه هذا من الناحية الدينية؛ أما من الناحية الاقتصادية: فقد ساعدتهم ثروتهم التي جلبوها معهم من البصرة على شراء المزارع والعقار في الوطن الجديد، واعتنوا بالغرس

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مطبعة الإرشاد صنعاء صفحة ٥١٠-٥١١.

والزرع، وتمكنوا من تنمية ثرواتهم، وتميز رجالُ هذا الدور بالعلم والعبادة والأخلاق، وحظُوا من الشعب الحضرمي بالاحترام والتشريف والتقدير.

وتكلم الأستاذ الشاطري عن المستوى العلمي لرجال الدور الأول من العلويين؛ فقال: «إن معارفهم تشمل الحديث والتفسير والفقه والأدب والجدل والمناظرة. وربما شيئا من التصوف أيضاً، إلا أن رجال هذا الدور لم يعتنوا بالعلم بمثلِ عناية من جاء بعدهم من أجيال العلويين». وتكلم بن عبيدالله عن هذا الموضوع بشيء من النقد فقال: «لا شاهد على التوسع في العلم! ولم ينتسب منهم إلى العلم إلا القليل، ولم يثنوا بالعلم إلا على الفقيه المقدم، وصاحب مرباط، ولم يصِفُوا والدَ الفقيه المقدم إلا بأنه عالم صوفي، وليس ما يدل على أن المهاجر كان واسع العلم، كما لم يذكروا ولده عبيدالله ولا محمد صاحب الصومعة، ولا على العريضي، ولا على خالع قسم، بعلمٍ أصلاً وأضجعوا القول في وصف علوي بن محمد، وعيسى بن محمد، مع إطنابهم في فضلهم وعبادتهم»[١].

وقال الأستاذ الشاطري: «أما أكثر ما تميز به رجال الدور الأول من العلويين: فهو الكرم والشجاعة مع تواضع جم وإباء وشمم، مع الاعتناء بالفروسية وتقلد السلاح، بينما تركَ رجال الأدوار التي جاءت بعدهم حمل السلاح ابتداءً بالفقيه المقدم في أوائل القرن السابع حين سلك العلويون طريق الصوفية، مع أن تصوفهم المعتدلَ يختلف عن الطرق الصوفية المعروفة، كما سنبحث ذلك في فصل مستقل بهذا الكتاب.

أما الهجرة الخارجية في الدور الأول: فكانت محدودة، ومقتصرة على الأقطار الشقيقة المجاورة، كاليمن والحجاز والشام والعراق بغرض التجارة وتلقي العلم، إلا أن أهم هذه الرحلات: كانت الرحلة لأداء فريضة الحج وزيارة المصطفى ﷺ.

ووضّح الأستاذ الشاطري منابت رجال هذا الدور؛ فقال: «إنهم سلالة الإمام عبيد الله

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله معجم بلاد حضرموت مكتبة الإرشاد صفحة ٤٣٥.

بن أحمد بن عيسى، الذي أنجب ثلاثة أبناء؛ هم: بصري وجديد وعلوي وقد انقرضت سلالة بصري وجديد على مشارف القرن السابع الهجري، ولم يعرف من سلالتهم إلا شخصان:

أولهما: الإمام المحدث الشريف أبوالحسن علي بن محمد بن جديد،

والثاني: هو الإمام سالم بن بصري رضي الله عنهما». أما السلالة العلوية التي تعاقبت بحضرموت إلى اليوم فهي سلالة الإمام علوي بن عبيدالله، ولهذا يقال لهم (العلويون)، ولهذا فنسب العلويين كلهم - سواءً من وُجد منهم بحضرموت أو من كان بالشرق الأقصى وإفريقيا - ينتهي إلى علوي بن عبيد الله بن المهاجر أحمد بن عيسى.

وأما سلسلة نسب المهاجر أحمد بن عيسى فهي كالتالي: المهاجر أحمد بن عيسي بن محمد بن علي العريضي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن الأمام علي بن أبي طالب وابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ.

ولم ينتشر نسلُ العلويين بحضرموت ويتفرع إلا بعد القرن السادس الهجري، وعن طريق سيدنا الفقيه المقدم، ونسبه كالتالي: محمد بن علي بن محمد بن علي بن علوي بن محمد بن علوي بن عبيد الله، وكذلك بواسطة عم الفقيه المقدم الإمام الشهير علوي بن محمد (صاحب مرباط) بن علي. وإلى هذين الاثنين ترجعُ جميع أنساب العلويين بحضرموت وغيرها من البلاد، رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين، ويتشابه ذلك مع انحصار نسبِ السادة الحسينيين في الإمام علي زين العابدين ثم في ابنه محمد الباقر رضي الله عنهم أجمعين.

والجدير بالذكر: أن بعضَ قبائل العلويين تعرضت للانقراض في بعض الفترات، مثل قبيلة آل طه بن عمر السقاف بسيؤن، قال ابن عبيدالله: «إنهم كانوا لا يزيدون على سبعة، ومتى وجد لأحد منهم ذكرٌ ماتَ أحدُ السبعة، حتى كانت أيام الجد سقاف بن محمد بن عمر بن طه بن عمر (١١١٥-١١٩٥هـ)، فبدأوا يتكاثرون، ولم يمت إلا وقد بلغت ذريته الثلاثين»[١].

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مطبعة الإرشاد صنعاء صفحة ٣٦٨.

أمثلة الدور الأول

الإمام محمد بن علي بن علوي بن محمد المعروف بصاحب مِرباط



منزل الإمام محمد بن علي بمِربَاط (ظفار)[(١)]

وسمي صاحب مرباط لأنه تديرها، وهي ظفار القديمة التي ورد اسمُها في كتب التاريخ، و ذكر الاستاذ الشاطري[(٢)] في ترجمته: أنه قد نشأ بتريم، وتربى على يد والده علي خالع قسم، حيث هذبه وثقّفه وحفظه القرآن، وبعد أن أتم تعليمه بتريم رحل إلى الخارج للازدياد من العلم والمعرفة وتجارب الحياة، ثم عاد إلى حضرموت وتعلم على يديه كثير من مراجيح الرجال، مثلُ: ابنه الزعيم علوي، وشيخ الإسلام سالم بافضل، والقاضي أحمد باعيسى، وسعد الدين الظفاري، وكثير غيرهم.

---

(١) د مصطفى بدوي الامام الحداد السيرة المصوره الجزء الثاني ص ٥٤.

(٢) محمد بن أحمد الشاطري أدوار التاريخ الحضرمي عالم المعرفة صفحة ١٩١.

وكانت له زعامة ومكانة، لدرجة أنه كان يخفر القوافل المتجهة إلى ظفار بسُبحته! مما يدل على هيبته ومكانته بين السلاطين و العشائر المنتشرة على الطريق بين حضرموت وظفار، ثم انه انتقل إلى العيش بمرباط، وهي ظفار القديمة التي اندثرت الآن، وكان لها مكانة كبيرة في سابق الزمن، وتوفي بها سنة ٥٥٦ هـ.

وللإمام صاحب مرباط الفضل في إدخال العقيدة السنية والمذهب الشافعي إلى ظفار بعدما كان أهلها من الخوارج[١]. كما إن له دوراً دبلوماسياً في تحسين العلاقات بين الدولة الراشدية (والتي امتدت من سنة ٤٠٠هـ إلى سنة ٧٠٠هـ تقريباً) بحضرموت والدولة المنجوية ببلاد المهرة وظفار[٢]. وكان يقوم بالإشراف على أراضيه الواسعة وغرسها وتربية الدواجن. وعرف باستقامته وكرمه ورحابة صدره، فداره مفتوحة للضيوف والزوار، وله صدقات على المحتاجين والغرباء والضيوف[٣].

❊ ❊ ❊

---

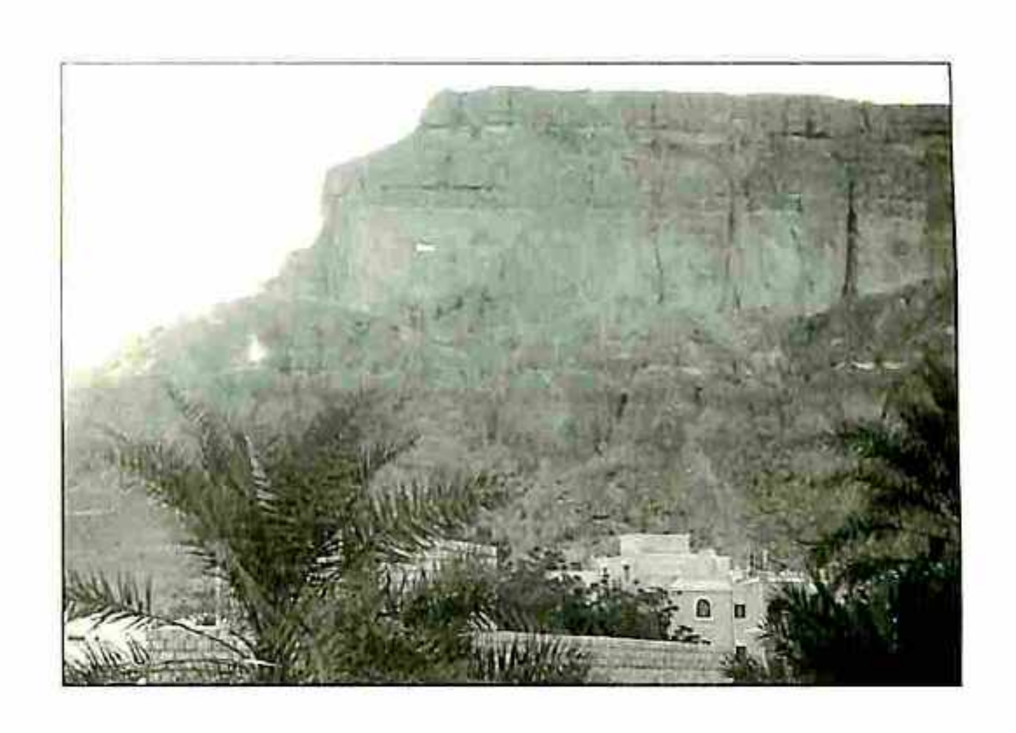
(١) محمد بن أحمد الشاطري أدوار التاريخ الحضرمي عالم المعرفة صفحة ١٩٢.

(٢) محمد بن أحمد الشاطري أدوار التاريخ الحضرمي عالم المعرفة صفحة ١٩٢.

(٣) محمد بن أحمد الشاطري أدوار التاريخ الحضرمي عالم المعرفة صفحة ١٩٣.

الفصل السابع

الدور الثاني من أدوار العلويين بحضرموت



حدد الأستاذ الشاطري ابتداءَ هذا الدور بعَصر سيدنا الفقيه المقدم، وامتدادُه إلى قُرب عصر الإمام الحداد، وبحساب القرون: من القرن السابع الهجري إلى القرن الحادي عشر، ويطلق على مشاهير هذا الدور لقبُ الشيخ، ومنهم: الفقيه المقدم، والسقاف، والمحضار، والعيدروس، وزين العابدين العيدروس، وهم لا يقلون عن آبائهم من رجال الدور الأول في النبوغ العلمي، والأخلاق، وخدمة المصالح العامة، والسير على سيرة الهدي النبوي.

إلا إنهم يختلفون عن رجال الدور الأول، في التصوف والاقتصاد والنظام الاجتماعي، وقد انتعش العلم في هذا الدور أكثر مما سبق، وترتبت حلقات التدريس للشيوخ بالمساجد، وهي دروس مجانية، يلقيها الشيوخ بدون مقابل، كما هو حال التعليم في الجامع الأزهر. وقال الأستاذ الشاطري: «ومن وجوب التحقيق: أن نصرّح بأن رجال هذا الدور لم يبلغوا في التأليف والإنشاء والشعرِ الدرجة القصوى، بل لا يوجد من تراثهم ما يشهد بتفوقهم في النواحي العلمية مثلما تفوقوا بمسائل الدين والأخلاق».

ويؤكد ابن عبيدالله وجهة نظره عن ضعف العلوم لدى العلويين في بداية أمرهم بحضرموت: بأن أكثر شيوخ الفقيه المقدم كانوا من غير العلويين، فقد درس الفقيه المقدم علوم الفقه على: الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن باعبيد، وعلى القاضي أحمد بن محمد باعيسى، واخذ الأصول والعلوم العقلية عن الإمام العلامة علي بن أحمد بامروان، والإمام محمد بن أحمد بن ابي الحب، وأخذ علم التفسير والحديث عن الحافظ المجتهد السيد علي بن محمد بن جديد، واخذ التصوف والحقائق عن عمّه الشيخ علوي بن محمد صاحب مرباط، وعن الإمام سالم بن بصري والشيخ محمد بن علي الخطيب[1].

وقد عزى الأستاذ الشاطري هذا الضعف العلميَّ إلى تغلغل التصوف في قلوب العلويين بهذا الدور، فلم يتوجهوا نحو التأليف والكتابة إلا قليلاً، ولم يلتفتوا إلى متانة

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مكتبة الإرشاد صفحة ٤٢٩

التعابير وجمال التراكيب وانتقاء المعاني، وكانوا كثيرا ما يستعملون في مؤلفاتهم اللغة الدارجة. وحاول بن عبيدالله ان يجد مبررا لهذا التأخر العلمي فقال: «بأن قريشا ومن على شاكلتهم من العرب انصرفوا في تلك العصور عن طلب العلم، لما في طريقه من الذل الذي يمنع من الشرف، ولذلك قلما يوجد المعلم فيهم إلا في النادر. ثم ذكر ابن عبيدالله مبررا سياسيا فقال: «وإذا كان الأمويون والعباسيون يطاردون العلويين لمجرد تفوقهم في الشرف، فهل يا تراهم يسكتون عنهم لو جمعوا إلى الشرف عزةَ العلم وسلطان المعرفة؟». ثم قال: «فما كان العلويون المهاجرون إلى حضرموت ليخرقوا هذه القاعدة إلا بعد مرور السنين وتغير ظروف الزمان والمكان، وربما كان ذلك في أوائل القرن السابع مع استثناء القليل فيما قبل ذلك»[١].

قال الأستاذ الشاطري: «أما عن **المستوى الاقتصادي**: فقد زاد في هذا الدور عن سابقه، حيث اهتم رجالُ هذا الدور بالزراعة والغرس والاسترباح الزراعي، وأسسوا المراكز التجارية في ساحل حضرموت وعدن واليمن، كما سافروا بغرض التجارة ونشر الدعوة الإسلامية إلى الهند وشرق أفريقيا، إلا إن هجرتهم التجارية والدعوية إلى الشرق الأقصى لم تبدأ إلا بعد توسعهم في التجارة بالهند وحضرموت».

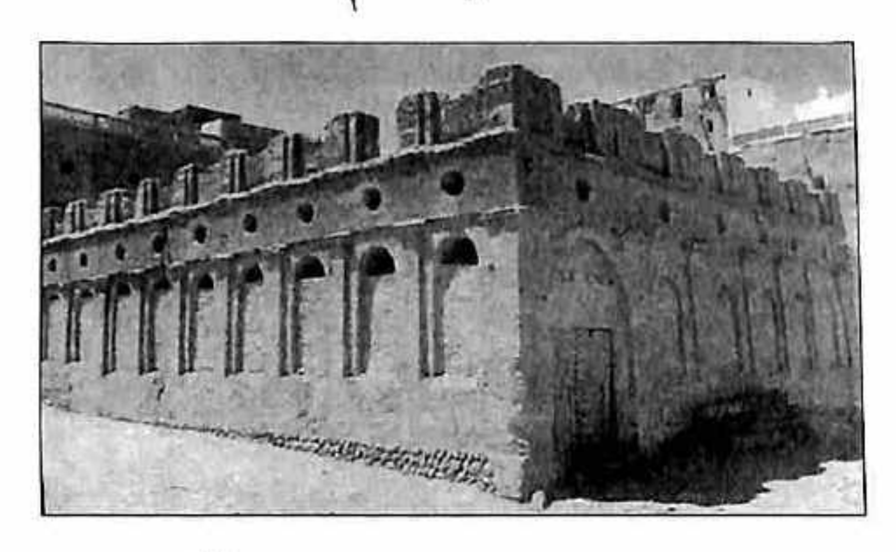
ونوه الأستاذ الشاطري بأن العلويين مع اتجاههم للهجرة والتجارة إلا أن ذلك لم يصرفهم عن المحافظة على عبادتهم وأورادهم الخاصة، مع الاستمرار في نشر الدعوة الإسلامية وسنرى في هذا الكتاب كيف أن هذه الطريقة استمرت حتى في الأزمان الأخيرة، حيث حول العلويون الأغنياء بسنقفورا مجتمعهم المسلِم إلى قطعة من تريم. وقد نظّموا أوقاتهم تنظيما استطاعوا بواسطته إن ينجحوا في تجارتهم ويحفظوا دينهم وطريقة أهلهم، ومارسوا أعمالهم الدنيوية بمقتضي الشريعة المحمدية.

---

(١) المصدر السابق صفحة ٤٣٦.

أمثلة من الطبقة الثانية من العلويين

الفقيه المقدم



منزل الفقيه المقدم بحوطة تريم قبل تجديده [١]

واسمه الكامل محمد بن علي بن محمد صاحب مرباط العلوي ولد بتريم سنة **٥٧٤هـ** وكانت أسرته أسرة علم وصلاح وتقوى وكان شديد الذكاء قوي الحافظة، قوي الشخصية، بعيد النظر ذو شجاعة واستقامة، وتعلم على كبار علماء حضرموت في ذلك العصر.

وكان حكام حضرموت رغم احترامهم الظاهر للعلويين، يتوجسون خيفة من شعبيتهم وتأثيرهم على الناس، وقد خَشي الفقيهُ أن يصيبه شرٌ منهم، خصوصاً وقد رأى

(١) د. مصطفى بدوي الإمام الحداد السيرة المصوره الجزء الثاني ص٩٤.

هجرة جده إلى مرباط، والتي عرف باسمها صاحب مرباط كما تعرّض عمّ الفقيه، علويُّ بن محمد للتسمم على يد حاكم تريم.

لذا قرر الفقيهُ المقدم تركَ السلاح وكسر السيف، والتفرغ للعلم الشرعي والصوفي، خصوصا أن عصرَ الفقيه هو العصرُ الذي انتشر فيه التصوف في العالم الإسلامي، كما فصلنا ذلك في فصل مستقل، إلا أنّ الفقيهَ اختار لنفسه منهجا معتدلا من التصوف وحمل بيده العكاز الذي يرمز إلى التصوف بدلا عن السيف، ولبس الخوذة بدلا من العمامة، وتبعه على ذلك قومُه من العلويين . إلا أن التصوفَ والعلم لم يمنعا الفقيه المقدم من الاهتمام بالزراعة والغرس، وامتلاكَ الكثير من النخيل والمزارع والبساتين، وكان كل ذلك يدر عليه كميات ضخمة من التمور والحبوب، وكان يتصدق بالكثير منها في كل يوم، إضافة إلى الصدقات والهدايا والزكاة.

ولما حانت وفاة الفقيه المقدم مر بفترة اصطلام (غيبوبة) طويلة قدرُوها بشهر، لم يكن يتناول فيها الطعام، ونسبت إليه في غيبوبته كلمات قد لا توافق في ظاهرها القواعدَ الشرعية، إلا أنه لا يعتد بها في مذهب الصوفية، خصوصا وأنها قيلت في فترة الاصطلام والغيبوبة الطويلة التي سبقت وفاته سنة ٦٥٣هـ.

الإمام أبو بكر بن عبد الله العيدروس[١]

بدأ في تريم حياته العلمية والعملية الشاقة، ثم اشتهر أمره بتريم وأغدقت عليه الدنيا من خيراتها، فعاش حياة المترفين في مطعمه ومسكنه وملبسه ومركبه، وكانت له أبهة ومظهر الملوك. وإذا خرج من منزله كان في موكبٌ من مريديه وأتباعه، حتى لا يسمع الصوت من النداء من الضجيج وأصوات الأذكار والسماع. وورد في كتاب «المشرع»: أن

---

(١) عبدالله بن محمد السقاف تاريخ الشعراء الحضرميين الجزء الاول صفحة ١٠٥

ثلاثين خروفاً تذبح كلّ يوم لسماطه في رمضان، وتبلغ صدقاته اليومية أحياناً سبعين أشرفياً، عدى نفقته على أسرته وحاشيته الكبيرة. وكان سادتنا العلويون مبتعدين جهدهم عن الظهور حتى لقد ذكر العلامة السيد أحمد بن حسن الحداد في «الفوائد السنية» والعلامة الجليل السيد محمد بن حسين الحبشي في كتابه «العقود اللؤلؤية» ما معناه: أن العيدروس هو أول من ادخلَ الخلل على طريق العلويين بمظهره وأنهم لاموه[١].

إلا أن هذه الحياة الناعمة لم تؤثر على حياة العيدروس الدينية، ولا على عبادته وزهده وورعه ودروسه وأذكاره، والتي بقيت على ما هي عليه، وكان على جانبٍ كبير من مراقبة الله رقيق العواطف، شديد التأثر، سريع الدمعة، مع وقار وهيبة وضخامة جسم، وكان يتذوق السماع ذوقا عظيما، ولا يكاد يصبر عنه كما هو حال كثير من الأولياء والصوفية. وذكر الأستاذ الشاطري في «تاريخه»: أن بقايا متهدمة من قصر العيدروس لا زالت موجودة بتريم إلى العصر الحالي، وقد بنيّ هذا القصر في القرن التاسع الهجري على نفقة تلميذه السيد عمر بن عبدالرحمن صاحب الحمراء المتوفى بتعز سنة٨٨٩ هـ وهو مكون من ثلاث قصور[٢].

وصاحب الحمراء؛ هو: السيد عمر بن عبدالرحمن بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن الفقيه المقدم وعرف بصاحب الحمراء، وهي قرية باليمن[٣]، مرّ بها في طريقة عودته من الحج فاستعطفه أهلها ورجوه الإقامة بينهم، فوافقهم، وكان موضع التجلّة والاحترام لعموم اليمنيين، حتى إن سلطان اليمن عامر بن عبدالوهاب كان لا يرد له شفاعة على كثرتها، ولما توفي بتعز سنة٨٨٩ هـ أقام السلطان عامر بن عبدالوهاب على قبره قبة عظيمة.

وللإمام العيدروس صدقاتٌ كثيرة، وكرم حاتمي، حتى أنه منح شيخه العلامة عبدالله بن عبدالرحمن بلحاج بافضل داراً عظيمةً وحديقة غناء. واستوطن عدن سنة ٨٨٩ هـ

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت: الجزء الثاني صفحة ٢٣-٢٤.

(٢) محمد بن أحمد الشاطري أدوار التاريخ الحضرمي صفحة ٢٧١.

(٣) عبدالله بن محمد السقاف تاريخ الشعراء الحضرميين الناشر مكتبة المعارف صفحة ٨٧.

وسبب استيطانه عدن: أنه لما وصل عدن في طريق عودته من الحج صادف ذلك وفاة شيخه صاحب الحمراء العلامة عمر بن عبدالرحمن، فذهب إليه علماء عدن، ورجوه الإقامة بينهم، وألحوا عليه في ذلك فاستجاب لطلبهم، وأقام بعدن، وكانت وفاته بها سنة ٩١٤هـ ، وللعيدروس اتصال قوي بسلطان اليمن عامر بن عبدالوهاب الطاهري الذي اشتهر بعدله وصلاحه ومحبته لأهل البيت، وله فيه مدائح كثيرة.

الشيخ أبو بكر بن سالم[١]

(٩١٩-٩٩٢هـ)

ولد بتريم سنة ٩١٩هـ وتربى بها وظهرت مواهبه واستعداداته الفطرية في سن مبكرة، وامتاز بروح عالية، ونفس كبيرة وهمة عالية، وقد أُطلِقَ عليه لقبُ الشيخ لعظم حاله ومكانته في المجتمع. انتقل إلى بلدة عينات واتخذها دار هجرة رغبة في العزلة والتفرغ للعبادة، وما هي ألا سنوات قليلة حتى ذاع صيتُه، وأصبحت بلدة عينات مركزا دينياً مهماً وانتهت إليه بعد وفاة مشايخه الزعامة الدينية، وأصبح أكبر زعيم ديني شديد الاتصال بالحياة الاجتماعية والحالة السياسية، مستعملاً نفوذه في الإصلاح السياسي والاجتماعي.

ومما يدل على عظيم أخلاقه: رده على مَلامة نقيب العلويين قال ابن عبيدالله: «وكان الشيخ العلامة الجليل نقيب العلويين أحمد باجحدب ينحَى باللائمة على الشيخ أبي بكر بن سالم في ظهوره، ولما بلغه عن اثنين من تلاميذه مبالغتُهم في مدحه وإطرائه، قال: ما مع الشيخ أبوبكر بن سالم إلا بسم الله في الكلام، ومثل حبة الطعام، ولما انتهى ذلك إلى الشيخ أبي بكر سجدَ لله شكراً، وقال: تكفيني هذه الشهادة فخراً، ذكره صاحب «المشرع» وغيره[٢].

(١) عبدالله بن محمد السقاف، تاريخ الشعراء الحضرميين، مكتبة المعارف بالطائف الجزء الأول صفحة ١٧-١٦٩.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت: الجزء الثاني صفحة ٢٣-٢٤.

وتأثر الشيخ أبو بكر بن سالم بمن يصله من الجند والسلاطين، وتعلقت به القبائل اليافعية، وأصبحت عينات في زمنه منطقه عسكرية، وكثر إليها الواردون من زعماء القبائل المتحاربة، والسلاطين الذي يطلبون من الشيخ أبو بكر بن سالم التوسط فيما بينهم، ومن العلماء والصلحاء والصوفيين، وغدت له ولعَقبه مظاهرُ خاصة: كالأعلام والطاسات التي تضرب بين يديه، حتى بدا موكبه وكأنه لملكٍ لا لزعيم ديني، ومع ذلك لم يتخل عن أخلاقه العلوية وطريقته الصوفية، ومما يستغرب له: أنه مع وجوده في هذه البلدة النائية من هذا القطر المنعزل إلا أن اتصاله لم ينقطع بالعلماء والأدباء والشعراء من كافة الأقطار العربية حتى عُرِف بمدينة فاس بأقصى المغرب، و توفي سنة ٩٩٢هـ.

قال ابن عبيدالله ولما توفي سيدنا الشيخ أبي بكر بن سالم وقع رداؤه على ابنه عمر المحضار ومن كلام ابنه الشيخ عمر المحضار: «ما ابتلي أهل حضرموت إلا بقدحهم في الشيخ أبي بكر بن سالم، وما شكّوا في ولايته إلا لسوء حظهم، ولكنه كفَى شرهم بالعطاء وبغيره» [١].

واستنتج ابن عبيدالله من كلام الشيخ عمر بن أبي بكر خليفة والده: أن الاتفاق لم ينعقد على فضل الشيخ أبي بكر بن سالم إلا في الزمان المتأخر، وإلا فالناسُ كالناس ولا يزالون مختلفين[٢]. قال ابنُ عبيدالله وفي «الرياض المؤنقة» للعلامة السيد علي بن حسن العطاس: «أن سيدنا الشيخ أبابكر بن سالم ابتلي بعلةِ البرصِ، وان تلميذه أحمد بن سهل بن إسحاق انتقده، فأصابه الكثير من ذلك، حتى صار يلقب (هِرَّ اليمن)»[٣].

---

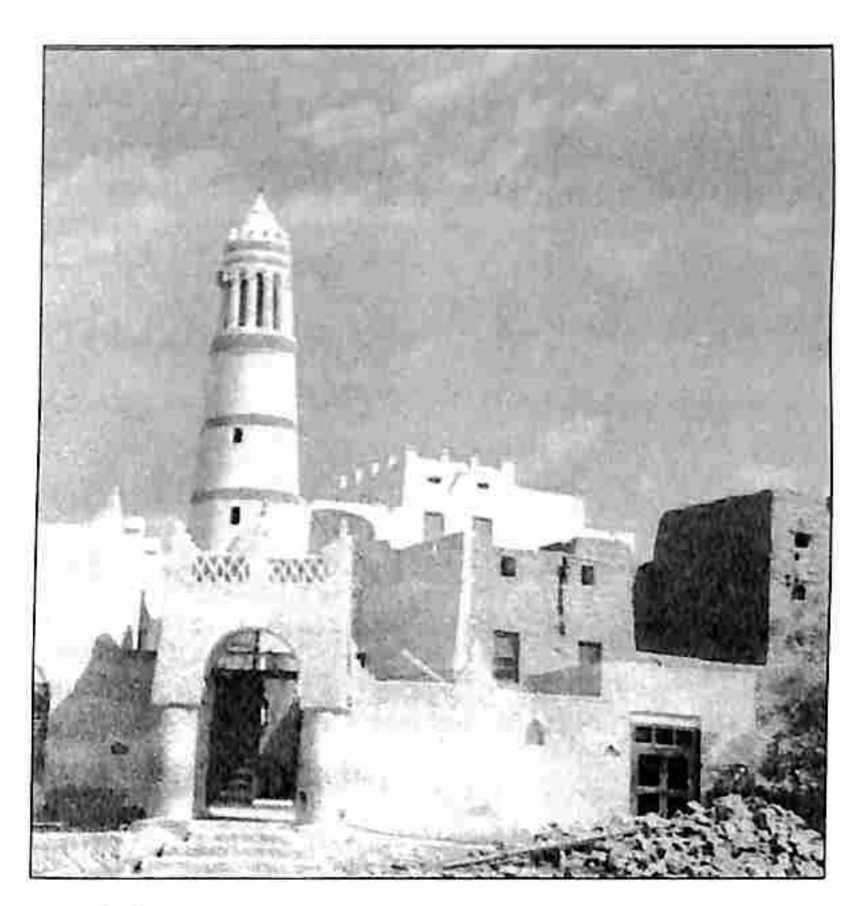
(١) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف معجم بلاد حضرموت مكتب الإرشاد صنعاء صفحة ٥٥٥-٥٥٦.

(٢) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف معجم بلادد حضرموت مكتب الإرشاد صنعاء صفحة ٥٥٦.

(٣) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف معجم بلادد حضرموت مكتب الإرشاد صنعاء صفحة ٥٥٥.

الفصل الثامن

الدور الثالث من أدوار العلويين بحضرموت



مسجد الإمام الحداد بتريم قبل تجديده وبجواره منزله [١]

---

(١) د. مصطفى بدوي الامام الحداد السيرة المصوره الجزء الثاني صفحة ٢١٥.

قال الأستاذ محمد بن أحمد الشاطري: «ويمتد هذا الدور من عصر الحبيب عبدالله بن علوي الحداد إلى عصر الحبايب: أحمد بن زين الحبشي، والحبيب حسن بن صالح البحر، والحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر، وبحساب القرون: من القرن الحادي عشر الهجري إلى القرن الرابع عشر، ويلقب كل واحد من رجاله بلقب: حبيب». قال: «وقد قلّ المستوى العلمي والصوفي في هذا الدور عن مستوى الأدوار التي سبقته، ولكن مع ذلك ظهر في هذا الدور رجالٌ ممتازون، لا يقلّون عمّن سبقَهم ويأتي في مقدمتهم الحبيبُ عبدالله بن علوي الحداد، الذي يعدُّ بحقٍّ مثلاً أعلى لكل العلويين، ثم بعده الحبيب عبد الرحمن بن عبدالله بلفقيه المتوفى سنة١١٦٣هـ.

وتميز هذا الدور عن الأدوار السابقة: بانطلاقِ الهجرةِ بشكل كبير، واتجهت في البداية إلى الهند، ثم امتدت في القرنين الحادي عشر والثاني عشر إلى بلاد جاوا والملايا وغيرها.

أما **عوامل الهجرة؛ فأهمها**: ضيق معيشةِ حضرموت، وتكاثر العلويين بها، وقد بلغ من كثافة هذه الهجرة: أن زادت أعداد المهاجرين من العلويين بالمهجر أضعافَ عددِ العلويين الباقين بحضرموت. وتفوق العلويون في مهجرهم بكفاءتهم واستعدادهم، واحتلوا المراكز والرتب العالية، وتولوا السلطنة في بعض المناطق؛ كمثل: السادة آل العيدروس بسُورَتْ بالهند، ومثل السادة آل القَدْري بجاوا، والسادة آل الشيخ أبي بكر بن سالم بجزائر القمُر، وآل بافقيه بالفلبين، ولهذه السلطناتِ تاريخٌ منشورٌ، وانتشر الإسلام على أيديهم في اندونيسيا والملايو والفلبين. كما هاجرت جماعاتٌ من العلويين إلى الحجاز ومصر والشام والسودان إلا أنهم في الأقطار الثلاثة الأخيرة قليلون.

وبالرغم من اختلاط العلويين بالأعاجم في تلك الأصقاع النائية؛ فقد حافظ الكثير منهم على لغتهم وتقاليدهم مدةً طويلة، واستمروا يذكرون وطنَهم القديم حضرموت، وبالأخص مدينة تريم، عاصمة العلويين، ويسافرون لزيارتها بين الحين والآخر. ولكن لما تعاقب الزمن على العلويين في مهاجرهم وقلّ اتصالهم بوطنهم و أبناء جنسهم بدؤوا يذوبون

في مجتمعاتهم الجديدة، ومع ذلك فقد حافظت بعض عوائلهم على تراثها ولغتها، ونقل المهاجرون إلى وطنهم حضرموت بعض آثار المدنية من الهند وجاوا، إلا أن هذه المظاهر لم تتضح للعيان إلا بعد القرن الثالث عشر الهجري.

ويستغرب الأستاذ الشاطري: أنّ العلويين مع نقمتهم على الهجرة الحضرمية بوجهٍ عام ونصحهم لقومهم بالبقاء في حضرموت والقناعة بعيشها، كما نرى من كلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط، والحبيب محسن بن علوي السقاف، إلا أننا لم نجد أحداً من مفكريهم أو عقلائهم يعمل جدياً لإيقاف سيل الهجرة التي أفرغت حضرموت من رجالها، وأضرت بعاداتها، غير أن الزمان وقف لهذه الهجرة بالمرصاد، فغيّر اتجاهها في السنين الأخيرة إلى البلاد المجاورة الشقيقة، مثل: المملكة العربية السعودية، ودول الخليج، التي فتحت أبوابها مرحبة بإخوتهم الحضارمة.

حافظ العلويون في هذا الدور على مبدئهم الذي سنّهُ لهم جدّهم الفقيه المقدم: بعدم التدخل في السياسة، إلا للمصالح العامة، وبشكل محدود، كما ورد في تراجم العلويين السابقين والمتأخرين، مثل: المحضار، والعيدروس العدني، وزين العابدين العيدروس، والحداد، وغيرهم، ما يصرح بمجالسة ومكاتبة الملوك والسلاطين بالنصح والإرشاد، واستماع هؤلاء لنصح وإرشاد العلويين، إلا أن ذلك لا يتعدي توجيههم نحو المنافع العامة.

كما تمتع العلويون بالنفوذ الروحي القوي بين حملة السلاح من رجال القبائل غير أنهم لم يستغلوا هذا النفوذ لمصلحتهم الخاصة، بل استثمروه في الصلح بين المتحاربين وفي الدفاع عن الفقراء والمساكين، ولو كان العلويون طامحين إلى مباشرة الملك والإمارة لكان من السهل عليهم تحقيق رغبتهم، وهناك شواهد كثيرة تدل على ابتعادهم عن الملك والسلطة، ذكرناها في أماكن أخرى من هذا الكتاب.

ولم يقم العلويون خلال تاريخهم الذي امتد نحو ألف ومائتي سنة بحضرموت بأية محاولة لتأسيس دولة أو إمارة، كما فعل أبناء عمومتهم أشراف الحجاز، وأئمة اليمن،

وسلاطين المغرب، والإدريسي في عسير، ولا تعتبر خلافة السيد طاهر بن الحسين القصيرة إلا محاولةَ لحماية الدين، وصيانة الأموال وحفظ الأرواح، وقد فصلنا ذلك في فصلٍ خاص بهذا الكتاب.



أمثلة الطبقة الثالثة من العلويين

الإمام عبد الله بن علوي الحداد

(١٠٤٤-١١٣٢هـ)

وصفه الأستاذ الشاطري بالكفيف الذي ذاعت شهرته في بلاد العرب والشرق الأقصى[1]، ولد بتريم من أبوين علويين، وكف بصره بسبب الجدري وهو ابن أربع سنوات، فأدرك بحواسه الأخرى ما فاته من حاسة البصر، وتميز بذكائه وحدة فهمه وقوة حافظته. اعتنى أبوه بتعليمه، فحفظ القرآن في صباه، كما حفظ الإرشاد وغيره من المتون والأحاديث والأشعار والحكم، ودرس على نخبة من شيوخ وأئمة عصره، واعتنت أمه أيضاً بتربيته وتهذيبه، وساعده استعداده الفطري والمحيط العلمي الذي نشأ فيه على النبوغ والتفوق.



قال الأستاذ الشاطري: «والحداد ناقد لأهل زمنه، وبالخصوص أهل السلطة والنفوذ، ومن مقولاته الشهيرة: «أهل هذا الزمن فاتهم كل شيء، وادّعو كل شيء وسيبوا كل شيء. ويقول أيضاً: أهلُ هذا الزمان لو خيِّر أحدُهم بين المغفرة وبين مائة درهم لاختار المائة درهم على المغفرة!. ويقول في رجال القبائل المجاورة لموطنه تريم: إنني لا أقدر أن أحكم بكفرهم ولا بإسلامهم؛ لأنني إن حكمت بكفرهم فهم ينطقون بالشهادتين ويصلون، وإن حكمت بإسلامهم فهم يستحلّون قتلَ الأنفس البريئة وينهبون الأموال الحلال!.

---

(١) السيد محمد بن أحمد الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي: ص .

وكان ينتقد السلاطين عند مخالفتهم الأوامر الشرعية، وينتقد المناصبَ الجهلة، ويقول: إنهم اتكلوا على وجاهة آبائهم دونَ أن يتزوّدوا بالعلم والاستقامة كما تزود آباؤهم. وينتقد في «فصوله العلمية» على من يغرّر بالجاهلين من العلويين، ويقول: إن أمثال هؤلاء المغرِّرِ بهم لا يحبونهم وإلا لحثُّوهم على الأخذ بطريقة أسلافهم، من التمسك بالعلم والعمل والأخلاق. وينقد أيضاً بعضَ كبار المتصوفة السابقين الذين يخالفون ظاهرَ الشرع في أعمالهم وأقوالهم، أمثال: الحلاج، والسهروردي، وابنِ عربي، ويقول عن القضاء والقدر: إنه مشكلة لا تنكشف إلا يوم القيامة؛ لغموضٍ وتضارُب ما تقولُه الفرقُ الإسلامية والدينية فيها.

وشارك الإمام الحداد مضطرا في المجال السياسي أيامَ شبابه وفي كهولته وشيخوخته من أجل وطنه وشعبه، رغما عن كونه مكفوفَ البصر، وكان يرسل بآرائه ونصائحه لمعاصريه من السلاطين فيحترمون رأيه ونصيحته، ومثل ذلك: معارضته قيام السلطان بجمع الزكوات وتوزيعها فأشار عليهم الإمام الحداد بترك ذلك للناس، ولم يزل بهم حتى ألغوه وكان له مبررات شرعية في ذلك. وسعى الإمام الحداد لتوثيق روابطه بقبائل حضرموت القوية حتى يستعين بهم في الإصلاح والتوفيق بين القبائل المتحاربة، فزوج ابنه محمد من آل كثير، وزوج احد أبنائه الاخرين من آل قصير التميميين ولما نشبت الحرب بين آل العمودي اتصلوا بالقطب الحداد وطلبوا وساطته فأرسل لهم بابنه محمد فنجح في الصلح بينهم. وأقام القطبُ الحداد في ضاحيةِ الحاوي بتريم كحوطةٍ مستقلة به وبأولاده وخدمه وأتباعه، يسرى عليها نظام الحوَطِ، بحيث لا يتدخّل فيها حاكمُ تريم في أي وقتٍ من الأوقات.

قال الأستاذ الشاطري: «وكما أن الحداد علم من أعلام الأدب والعلم والثقافة والنسك فهو أيضاً من أعلام الاقتصاد في وطنه وبالأخص في الناحيتين الزراعية والتجارية فأما من الناحية الزراعية فله إرشادات خاصة وعناية بالمزارعين». وقد ورث القطبُ الحداد

من أبيه ومن أمه أراض زراعية لا بأس بها، إلا إنه لم يكن غنياً، وقام بتربية الدواجن في مزارعه وفي مسكنه، وكان يباشر إطعامها بنفسه يومياً، كما زاولَ أبناؤه العملَ التجاري تحت إشرافه.

الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي[1]

(١٢٣٧-١٣١٤هـ)

وصف ابنُ عبيدالله الحبيبَ عيدروس بن عمر، فقال: «وما عسى أن يُقالَ في نور الظلام، وكهف الإسلام، وعلم الأعلام، وهو الذي أحيى أسانيد السنة وأعلام الطريقة بحضرموت، وغالب ظني أنه مجدد القرن الثالث عشر».

وقال عنه أيضاً: «جمع إلى الكمال النجابة، وإلى الجمال المهابة، لا نراه إلا ذكرنا به الصحابة، يسري في مجلسه الوقار إلى جميع الحضور، فتراني في العاشرة من عمري أحضرُ مجلسه الطويل فلا أغير جلستي، بلا كُلفةٍ! مع انطباع الصبيان على الحركة، وهو شيء لم أختصَّ به وحدي، بل يشترك فيه كل من يحضر مجلسه مثلي». وقال: «وكثيراً ما سمعت من والدي رحمه الله يقول: إن الأستاذ الأبر قلّما يغلبه البكاء إلا قهره بالتبسم، كما صنعَ في مقابلة المعزِّين يوم ماتَ حفيدُه المنغص الشبابَ أحمد بن محمد بن عيدروس».

وكان الحبيب عبد الله ابن حسين بن طاهر يعرف قدرَه ومكانته، ويظهر ذلك حين أمر أولاده مرةً بزيارة دَوعن، ولما عادوا سألهم عن الحبيب عيدروس بن عمر، فقالوا: لم نتمكن من زيارته، فقطع عنهم كلامه، وصبَّ عليهم ملامه، وألزمهم العود في الحال لزيارته قبل حط الرحال، مع تباعد المحال.

أما مكانته السياسية: فتظهر لنا في أحداث وقعة المحايل، وهي التي أغار في صبيحتها

---

(١) حسن بن عبد الرحمن السقاف ديوان بن عبيد الله مطبعة لجنة البيان العربي بمصر، صفحة ٣٢١-٣٢٩.

السلطان عوض بن عمر القعيطي على حضرموت بثمانية آلاف مقاتل، وظن السلطان غالب بن محسن آن بها نهاية الدولة الكثيرية الوليدة، فجاء الأمير غالب ليلاً يستشير الزعيمَ محسن بن علوي السقاف في الحرب إلى تاربه، فأحاله الحبيب محسن على تلميذه الحبيب عيدروس، فذهب السلطان من فوره بعد هدأةٍ من الليل إلى الغرفة، فأشار عليه الحبيب عيدروس بن عمر بعدم الحرب، وأن يصلح نيته مع الله وأن لا يرهق المساكين في نفقة الجيش، ووعظه، حتى إذا تحقق منه القبول قوّى أمله في الانتصار، وكان انتصار آل كثير وهزيمة القعيطي والقبائل اليافعية في تلك الواقعة برغم ذلك الجيش العرمرم من خوارق التاريخ.

أما عن سيرته بسيرة المصطفى ﷺ فما حاد عنها قيد أنملة، مع تمسكه بالشريعة التي لا يرى في غيرها وسيلة للنجاة، وكان يستحضر دقائق الفقه حتى آخر عمره ويلتزم به في كل أموره، كما تدل على ذلك هذه القصة، قال ابن عبيدالله: «أخبرني الفاضلُ الثقة السيد حسن بن أحمد الحداد أن أخاً له توفي، وأوصى بأن يصلي عليه الحبيب عيدروس، فامتنع الحبيب عيدروس أولاً وثانياً، حتى سئل عن السبب بعد تشعّب الظنون، فقال: إنّ الحقَّ في الصلاة عليه إنما هو للولي فلا تعتبر وصيتُه، وحين أذن له الولي صلى عليه»[1].

كما كان شديدَ البعد عن كل ما يمكن أن يقدح العقيدة، كما تدل على ذلك هذه القصة، قال ابنُ عبيدالله: «واختصم مرةً بعضُ جيرانه من قبائل بلاده في مسألة دَين، فلما حميَ الجدال وأزف القتال، قصد الحبيب عيدروس الدائنُ وكان به مرضٌ، فطلب منه التنازل عن بعض الدين وكان كثيراً، فقال الرجل: سأتنزل لك عن جميع الدّين بشرط أن تضمن لي الجنة، فاربدّ وجهُ الحبيب عيدروس وقال: لا أدري ما يفعل بي ولا بك، ولا أملك لنفسي ولا غيري شيء، وزجره عن مثل ذلك وعرفه بأنه لا يسوغ له هذا القول، فألح الحاضرون على الحبيب عيدروس ليواربَ بعبارة موهمة ترضي الرجل لحسم الفتنة، فلم يرضَ الحبيبُ عيدروس لأنه

---

(١) حسن بن عبد الرحمن السقاف ديوان بن عبيد الله مطبعة لجنة البيان العربي بمصر، صفحة ٣٢١-٣٢٩.

رأى الجراءةَ في مثل هذا الأمر أعظمُ خطراً من شر الفتنة، وبعد طول المراجعة اكتفى الدائنُ منه بالدعاء وابرأ المدين.

ومن تواضع الحبيب عيدروس: أنه لا يمكّنُ أحداً من تقبيل يده إلا من زاد به اختصاصه جدا، وإذا دعيَ إلى وليمه أو نحوها بادر قبلَ اجتماع الناس كراهيةً أن يقوموا له إذا دخل، وإن تكلفَ طولَ الانتظار من أجل ذلك، ويكره المدح، كما يؤلمه ويغضبه نسبة الكرامة إليه.

ومما يدل على عظيم خلُق الحبيب عيدروس: أنه ورده ضيف من السادة آل الشيخ أبي بكر بن سالم ومعه ولده فدخلا بجفاء وغلظة، وسلما تسليما منكراً، ولما استقر به المجلس أخرج علبةَ النشوق وأخذ منها حصةً وافرة، وقال: خُذْ يا عيدروس! فألطف الحبيب عيدروس له القول وألانَ الجانب، وقال: لا نحبه. ثم قال: يا عيدروس! ما جئنا إلا لنسألك عن الربا، ونطلب منك رخصة فيه، فما لنا سببٌ للرزق سواه. فالتفت إليه الحبيب عيدروس بهمة تغلبت حتى على جُثمانه، فامتلأت جثته وامتدت قامته، ولم يزال يعاتبه بكلام ألينَ من الدّهن بالليل، حتى انماعَ الشيخ كما ينماعُ الملح في الماء، فجدد التوبة وبدل الهيئة، ودخل بهيئة البدوي الجاف، وما خرج إلا بطهارة العذب الصاف.

كما تعرض الحبيب عيدروس لأذية شيخِ آل كثير: عائض بن سالمين، حتى لقد تهدده بأخذ فرسه، فما هي إلا أيام حتى اشتبك عائض بن سالمين في حربٍ مع آل كده، قتل فيها ثلاثة عشر وجرح فيها أربعين من عشيرته، وكان عائض بن سالمين بين القتلى، فدخل ولده محمد بن عيدروس وعليه شيء من بشاشة التشفي، وبمجرد ما قام بالباب أخبره الخبر بصوتٍ تظهر فيه نغمة الفرح، قال والدي: فلم ينزعج الحبيبُ عيدروس، ولم يحلَّ حبوته ولم يتحرك، ولم يستفزه شيء، بل لم يتأثر أصلاً، ولم يزد على قوله: سامحهم الله، ثم عاد إلى ما كان من حديثه في الجواب عن سؤالٍ صوفي ألقاه عليه الحبيبُ عبيدالله بن محسن، كأن لم يكن حصل شيء، مع أنه لم يكن نظيرٌ لمثل هذه الحادثة الفظيعة بين الشنافر.

وكان الحبيب عيدروس قليلَ التداخل بين القبائل إيثارا للمهم من أمره، ومراعاة لخواطر بعض المناصب الذين لم يسلم من شرهم، إذ لم يكن سوءُ أدب عائض بن سالمين السابق إلا عن أيدٍ محركة منهم، إلا أن الحبيب عيدروس لا يجدُ بدا في بعض الأحيان من التوسط في الإصلاح لدرء المفسدة عند مسيس الحاجة، ومن ذلك انه لما اشتد الحرب بين جيرانه آل خالد بن عمرو وآل الفاس، وحفر كل منهم سردابا إلى كُوتِ (قلعة صغيرة) الآخر ليحرقَه بمن فيه، فجاءه شيخٌ من شيوخهم، وقال له: غداً تحصلُ الداهية ونفقد أولادنا الأبرياء، فخرج الحبيب عيدروس بن عمر بعد صلاة الفجر وعليه الجلالُ والمهابة، ومعه خادمه عمر بن شيبان، وجلس ما بين الكُوتَين، وأمر خادمه أن يدعو الفريقين المتنافسين، فأسرعوا إليه مهطعين، فأمر كلاً منهم أن يرجع إلى قومه، ونادى بينهم بصلح سنةٍ، وأمر بهدم الكوتين، فاستجابوا له، وأطفأ بذلك فتنةً عمياء يمكن أن تأتي على أرواح الكثير من الأبرياء.

ومما يدل على صبره ورهافة حسه ويقظة ضميره: أنه أوذي مرة من قبل أحد المناصب أذية بالغة، فجاء إلى سيون، واجتمع بمحبيه أمثال الحبيب عبيدالله بن محسن، والسيد علي بن محمد الحبشي، وأخبرهم، فأشاروا عليه بالانتقال إلى سيون، فاعتذر بالحاجة إلى دارٍ كبيرة، ولن توجد، وكان الشيخ أحمد بن محمد بارجا حاضراً وقد فرغ من عمارة دارٍ هي أكبرُ ما يكون في سيون لذلك الوقت، فانتبذ عنهم قليلا ثم جاء بوثيقةٍ تتضمن النذرَ بالدار المذكورة للأستاذ الأبر فأكبروا عمله وشكروا سعيه، وقالوا للحبيب عيدروس: أما الآن فقد توجب الانتقال، فعاد إلى الغرفة ليتحمّل بأهله، حتى إذا بلغ منتصف الطريق قال لخادمه: قد بدا لي أن لا ننتقل لأسباب؛ **منها**: أن لنا قرابة وجيرانا يشق عليهم انتقالنا ونواسيهم بها لا نقدر على إرساله إليهم من سيؤن. **ومنها**: أننا نتعلم الصبر بالبقاء في الغرفة وقد قال أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما أحب أن لي بنصيبي من الذل حمر النعم»، **ومنها**: أننا نخشى أن تختمر في رؤوسنا عجينة الرئاسة من تعظيم آل سيون لنا، وهي الداء العضال،

ومنها: هب أن أحمد بارجا طابت نفسه بإهدائي داره، فما حسرة أهله وأولاده عليها، ثم أمر خادمه أن يكتب انتقالاً في الدار من مُلكه إلى ملك الناذر.

وأما عفوه عند المقدرة: فيظهر من قصته مع شخصٍ سَحره بتكليفٍ من بعض حساده، ولما انكشف الأمر جاؤوا بالساحر إلى الحبيب عيدروس، فاعترف، واعتزم الشيخ صالح بلفاس قتله، ولكن الحبيب عيدروس حالَ بينه وبين ذلك، واقتنع منه بالتوبة، إلا أن هذا الساحر خانَ وعاود العمل برشوةٍ كبرى، وهرب عن حضرموت واشتهر أمره خارجها فقتل[1].

وبلغ من حُسن خلق الحبيب عيدروس ووفائه وتواضعه: أنه كانت له مربيةٌ قذرة الثياب كريهة المنظر، بذيئة اللسان، تعمّرت طويلاً، فكان يزورها وهي تتجنّى عليه وتستطيل بلسانها، وتضربه على ظهره، وإذا عاتبه أولاده في ذلك قال: «إن حُسن العهد من الإيمان».

وكان رفيقاً في معاملة خدمه؛ قال ابنُ عبيدالله: «وسمعته عدة مرات في زيارة شعب هود يعْرض العُقبةَ في ركوب الدابة على خادمه فَرج، ويقول له: لا تستح إذا تعبتَ فأنا أنزل لك بفرحٍ، ذلك الأمرُ الذي ذكرني بما كان من رسول الله ﷺ في غزوة بدر فقد كان يتعاقب هو وعلي وأبو لبابة على جملٍ واحد، وإذا جاءت عُقبة أحدهما قال لرسول الله ﷺ اركب، فيقول رسول الله ﷺ : «والله ما أنتما بأجلدَ مني، ولا أنا بأغنى منكما عن الأجر»، أو ما هذا معناه. وما كان من عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قَدمته الأخيرة إلى الشام فقد كان يتعاقبُ هو وفتاه على الجمل وخفاه بيديه، رضوان الله عليهم أجمعين.

ويعطي الحبيب عيدروس كلَّ واحد من جلسائه نصيبه من الالتفات والحديث حتى يحسب كل واحد أنه أكرم الخلق عليه، وبالجملة؛ فهو أشبه الناس بالنبي ﷺ سيراً، وأكثر من لقيناه على الإطلاق خيراً، لا ينفذ إليه نقد، ولا ينقض لديه عقد، ولا يضبط

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مكتبة الإرشاد صنعاء صفحة ٣٣١.

مدحه سور، ولا تقطع فضاءه نسور، واستسقى أهل سيؤن مرةً بالحبيب عيدروس بن عمر، فبات ليلته مصليا داعيا شاكيا حتى استجاب له ربه، فهطل المطر وسقي الناس.
وصدق فيه قول الشاعر:

فـإذا جفـا الغيـث الـبلاد ... ان تستهل عـلى الثرى قطراتـه
رمـق الـسماء بعينـه فتبجـست ... أنـــواؤه وتنزلـــت بركاتـــه
فاسـتنزلوا حاجـاتكم بدعائـه ... إن الحبيــبَ مجابــةٌ دعواتـــه

وقد يظن البعضُ أن في هذا بدعاً من الأمر لا يوافق السنة النبوية، إلا إن الأمر ليسَ!
فان فقيه الإسلام الأكبر سيدنا عمر بن الخطاب كان يستسقي بعد وفاة رسول الله بعم رسول الله ﷺ العباس بن عبد المطلب رضوان الله عليهما، وذكر ابن العماد في «شذرات الذهب» في أخبار سنة سبع عشرة للهجرة: وفيها استسقى عمر بالعباس رضي الله عنهما فسقوا، وفي سقياهم بالعباس يقول العباس بن عتبة بن أبي لهب:

بعمي سـقى الله الحجـاز وأهلـه ... عـشية يستـسقى بـشيبته عمـر
توجه بالعباس في الجـدب راغبـاً ... إليه فـما ان رام حتـى أتـى المطـر
ومنـا رسـول الله فينـا تراثـه ... فهـل فـوق هـذا للمفـاخر

قال ابن عبيدالله: «وقد مرضتُ في سنة ١٣١٣هـ، حتى صرتُ بهيئة الاحتضار، ثم شفاني الله بدعوةٍ من الحبيب عيدروس خرقت الطباق، بعد ما بلغت الروحُ التراق».

وفي ترجمة الحبيب علوي بن عبدالله بن شهاب: «أنه أصيب في طفولته بألم في بطنه لم يبارحه ليلا ولانهارا، فصادف وقتَ اشتداده وجودُ الحبيب عيدروس بن عمر بتريم، فذهب به عمه إليه فوجده في جمعٍ عظيم، فألقاه بين يديه وأخبره بما يعانيه من الألم، ومن

---

(١) الإمام شهاب الدين أبي الفلاح (ابن العماد) شذرات الذهب دار ابن كثير صفحة ١٦٤-١٦٥.

عدم النمو، فوضع الحبيب عيدروس يده على بطنه وقرأ عليه قراءة طويلة استغرقت نحو ساعة، ثم التفت إلى عمه وقال: إنه أكل أكلة معيونة؛ وطلب منهم أن يسقوه السَّمْنَ المغلي فيه الشمار، وان يمسحوه على بطنه، وقال: «يبرأ إنشاء الله تعالى»، ثم التفت إلى الحاضرين وقال: لم أحضر إلى تريم في هذه المرة إلا لأجل هذا الولد»[١].

ولم يترك الحبيب عيدروس بن عمر التمسكَ بدقائق الفقه حتى في الساعات الأخيرة من عمره، قال ابن عبيدالله عن الحبيب عيدروس: «إنه لما بردت منه الأطراف، وأدرك قرب وفاته، عزم على صلاة العصر وعجَز عن استيفاء آداب الطهارة، فأمر بمراجعة «بيان العمراني» ولما أدركُوها كما قال، أضربَ عن الترخّص، وقال: هذه آخر صلاتي في الدنيا فكيف أتجوّز فيها! مع قوله ﷺ: «صلِّ صلاة مودِّع». قال ابنُ عبيدالله: «وبه ذكرتُ أن بعضَ العلماء وهو أحمد بن المعدّل، أخو عبد الصمد، حجَّ في نحو التسعين من عمره، فأراد أن يتعرضَ للشمس في عرفات مع مزيد ضعفه، فقال له أصحابه: لو أخذت بالتوسعة! فأبى، وقال:

ضحيت لـه كـي أسـتظل بظلـه	إذا الظلّ أضحى في القيامة قالصاً
فوا أسـفا إن كـان سـعيكَ بـاطلاً	وواحسرتا إن كان حجك ناقـصاً

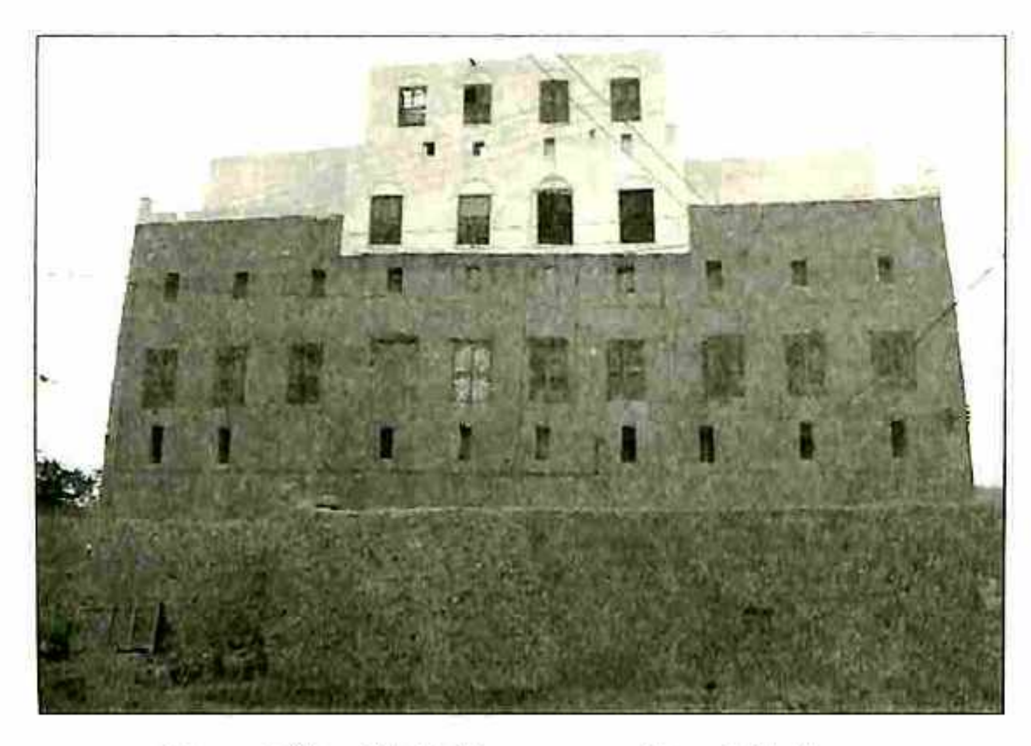
ولما سلم الأستاذ الأبر من آخرِ صلاته في الدنيا، استدعى سائر أهله، وشرب من ماء سقاهم فضلَه، فعزم الله لهم بالثبات والصبر، حتى أوصاهم بتقوى الله، وأخبرهم بأنه آخر العهد على الرضا والتسليم، وودعهم وصافحهم واستودعهم الله، ثم أمر النساء بالخروج من المنزل، وهم جميعاً واجمون، واضطجعَ عل جنبه الأيمن، وأخذ يكرر الجلالة، وأمر الحاضرين بقراءة يَس فما ختموها حتى فاضت روحه الشريفة، سنة ١٣١٤هـ عن سبعة وسبعين عاما، وهذا أغرب مما ذكرُوه عن وفاة الحافظَين أبي زرعة والذهبي، رحمهم الله. (انتهى من ديوان ابن عبيدالله).

---

(١) عمر بن علوي الكاف تحفة الأحباب دار الحاوي للطباعة والنشر صفحة ٨٧-٨٨.

الحبيب عبيد الله بن محسن بن علوي بن سقاف

(١٢٦٢هـ - ١٣٢٤هـ)



بيت العلامة عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف بعلمْ بدر بسيؤن

هو الابنُ الثاني من أولاد الحبيب محسن بن علوي، ولد في سيؤن، وكان شريفاً عفيفاً عالماً عاملاً نبيهاً، وكان والده يثق فيه ويأتمنه على خزانته الخاصة، كما كان منشدَه الخاصَّ، ولازم والده حتى توفي وهو يقرأ عليه، بينما كان شقيقُه عبدالله بن محسن وكيلاً لوالده في حياته، وخليفته في زعامة البلاد من بعده.

تعلق الحبيب عبيدالله تعلقاً كبيراً بشيخه الحبيبِ عيدروس بن عمر الحبشي، فقد عكف عليه بعد وفاةِ والده، وتردد إلى بلده الغرفة ماشيا على قدميه، وكان يقول: إننا إذا

كنا في مجلس الحبيب عيدروس نغيب عن الكون وأهله وكان يذهب إليه في رمضان ليصلى خلفه التراويح مره كل ليلتين مع بعد المسافة بين الغرفة وسيون، إلى أن توفي الحبيب عيدروس سنة ١٣١٤هـ.

وكان يزور تريم ماشياً على قدميه، بل قد يمشى المسافة كلها إلى شعب هود، وربما أخذ زوجته وذهبَا معاً بعد تناول ما تيسر من العشاء مشياً على أقدامهما، فيزوران الفقيه المقدم ومن حوله ويرجعان في ليلتهما إلى سيون، لا يعرجان على شيء آخر، ويصليان الصبحَ في بيتهما بسيئون.

ثم جلس العشرَ السنين الأخيرة من عمره في بيته بعلمْ بدر بسيئون، لا يخرج منه إلا للجمعة ولزيارة أرحامه وقرابته ومن تعلق به، ليدعوهم إلي الله ويشرح لهم سيرة وطريقة أسلافهم. وتحدث بن عبيد الله عن صلاة والده فقال: «وما اذكر صلاة أشفى للنفس، واجمع للقلب، وأبرد للخاطر، من صلواتي في الجهريات خلفَ والدي، وخلفَ شيخنا الفاضل الشيخ حسن بن عوض بن زين مخدّم، وصلواتي خلفَ الأستاذ الأبر عيدروس بن عمر جهرية أو سرية، فانه يسرى إلينا سر من إخلاصه، يلذ لنا به التطويل»[1]. قال: «وقد انطبعت نفسه ورسخت أعضاؤه على إتباع السنة في يقظته وانتباهه وقيامه وقعوده ومدخله ومخرجه وقضائه للحاجة انطباعاً لا يحتاج معه إلي تكلفٍ، بل كثيراً ما يتضجر من النهار، ولاسيما إذا كثر عليه الواردون، مع أن كلامه معهم لا يخرج عن التمجيد والتحميد، والتعريف والتوحيد، والوعظ الذي يلين له الحديد».

وكان يتململُ لما يجد من اللذة في العبادة خوفاً أن ينقطع بها المقصود ويكون حظه من العمل وكان يحكى مثل ذلك عن أبيه، وكان آية في عزة النفس والصدع بالحق والشدة فيه والغيرة عليه، إلى بسطة كف، ورحمة وشفقة، وسلامة صدر، وورع حاجز، واحتياط تام وقناعة بما يجد من حرثه.

---

(١) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف معجم بلاد حضرموت مطبعة الإرشاد صنعاء صفحة ٣٧٣.

قال بن عبيدالله: «وطيلةَ حياتي معه لم أسمعْ منه لغواً قط، وكان أعيانُ زمانه يعرفون ذلك عنه، وكانت ترتعد عنده فرائصُ الملوك لما يرونَ عليه من عزة الإيمان وشرف العلم، وصولة الحق، وسلطان الصدق، وقوة اليقين، فيأمرهم وينهاهم، ولا يؤملون أن يقبل منهم شيء. انتهى النقل عن ابنِ عبيدالله بتلخيص.

وكان الحبيب عبيد الله حريصاً على تشجيع الشباب وتعليمهم، فإذا بلغه عن أحدهم زيادة الاجتهاد في العلم أو العبادة أو العمل أثنى عليه في مجالسه، ليتنافس الشباب في مثل عمله. وكان يرتب درساً أسبوعياً يتنقل فيه بين بيوت إخوانه ليحضروه مع نسائهم وأولادهم فيقرؤوا عليه ما تيسر من كتب السلف، ثم يعظهم ويحثهم ويشرح لهم آثار أسلافهم. وقال الحبيب علوي بن عبد الله في «التلخيص الشافي»: «وكنت ممن حضر بعض دروسه أيام طفولتي، وله ديوانٌ منظومٌ أكثرُه في حثِّ الشباب على التمسك بطريقة سلفهم وله مكاتبات عظيمة ووصايا نافعة».

وقارن ابنُ عبيد الله حالَ والده بحال معاصريه من كبار العلويين، فقال: «وعلى مثل حاله رأيت الحبيبَ شيخان بن محمد الحبشي على ضِيق في عطنه، وخشونة في خلقه، وإلا فقد كان أوسع علماً، وأكثر عبادة، وأشد مجاهدة للنفس، إلا أن والدي كان أجود وأسمح وأفصح وأنصح وأرأف، وأعطف وأظرف وألطف، وكان سيدي عبدِ الله بن حسن بن صالح البحر على قريب من تلك الحال، بل هو أندى بناناً، وأشجع جناناً، وأكثر ضيفاناً، وأطول قياماً وركوعاً، وأغزر بكاءً وخشوعاً، إلا أن والدي كان أكثر علماً، وأغزر فهماً، وأبلغ لساناً، وأفصح بياناً، وأحلى لفظاً، وأنجع وعظاً»، انتهى[١].

ثم ذكر ابنُ عبيدالله طائفةً ممن أدركهم من رجال ذلك العهد، فقال: «وعلى الجملة؛ فقد كان كثير ممن ادر كناهم وأخذنا عنهم على غرارهم، وشريف آثارهم، كسادتي: عبدِالله

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مطبعة الإرشاد صنعاء صفحة ٣٧٥.

بن عمر بن سميط المتوفى بشبام سنة ١٣١٣هـ، وأحمد بن محمد الكاف المتوفى بتريم سنة ١٣١٧هـ، وعبد الرحمن بن حامد السقاف المتوفى بسيون سنة ١٣١٦هـ، والشيخ عمر بن عبود بلخير المتوفى بالغرفة سنة ١٣١٦هـ، وعبد الرحمن بن محمد المشهور المتوفى بتريم سنة ١٣٢٠هـ والشيخ أحمد بن عبد الله بن أبي بكر الخطيب المتوفى بتريم سنة ١٣٣١هـ، والشيخ محمد بن أحمد قُعَيطِبان المتوفى بتريم سنة ١٣١٦هـ، والشيخ أحمد بن عبد الله بن عمر الخطيب المتوفى بتريم سنة ١٣٣٣هـ، والسيد عيدروس بن علوي العيدروس المتوفى بها سنة ١٣٣٠هـ، وأخوه من أمه السيد شيخ بن محمد العيدروس المتوفى بتريم سنة ١٣٣٠هـ والسيد علوي بن عبدالرحمن السقاف المتوفى بسيؤن سنة ١٣٣٨هـ، والسيد عبد القادر بن أحمد قطبان المتوفى بسيؤن سنة ١٣٣٤هـ، والسيد عبد الله بن علي بن شهاب المتوفى بتريم سنة ١٣٤٠هـ والسيد أحمد بن حامد بن سميط المتوفى بشبام سنة ١٣٣١هـ، وممن في طبقاتهم ممن لم تحضرني أسماؤهم حال كتابة هذا، فقد كانوا جمال أيام، وأراكين إسلام»، انتهى[١].

قال بن عبيد الله: «أما مَن قبلهم؛ كسادتي: أحمد بن عمر بن سميط، وسيد الوادي الحسن بن صالح البحر، وعبد الله بن حسين بن طاهر، وعبد الله بن حسين بلفقيه، وعبد الله بن أحمد باسودان، وعبد الله بن سعد بن سمير، وجدي المحسن بن علوي السقاف، وعبد الله بن عمر بن يحيى، وأحمد بن محمد المحضار؛ فقد كانوا أفضل فريقاً، وأقوم طريقاً، بهم تقَرُّ الخواطر، وتطيب الأخبار، وتزين الأسمار»[٢]. وقال: «ومع هذا كله فلا أتصور أن أحداً يتفضّل على سيدي الأستاذ الأبر عيدروس بن عمر الحبشي، وما أدري! أذلكَ هو الواقعُ أو إنما هي دهشة النظر»، انتهى[٣].

وقال في «العود الهندي»: «ولا أزال في وجلٍ من مقالةٍ طرقت سَمعي في «شرح

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مطبعة الإرشاد صنعاء صفحة ٣٧٥-٣٧٦.
(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مطبعة الإرشاد صنعاء صفحة ٣٧٦.
(٣) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مطبعة الإرشاد صنعاء صفحة ٣٧٦.

النهج»، حاصلها: أن سيدنا عمر بن الخطاب استفرغ عدلَ ذريته في نفسِه، فلم يتول بعده منهم عادلٌ إلا نادراً بطريق الشذوذ، والخوف: أن يكون الأمر في أسلافنا العلويين على مَقربةٍ مما ذكر عن ابن الخطاب في بلوغ الغايات من الفضائل، فنخاف أن يكون السابقون إلى عهد الفقيه المقدم قد استفرغوا لمن بعدهم من الجهاد والكفاح، وأن يكون الفقيهُ المقدم ومن بعدَه قد استفرغوا ما لأهل عصرنا من خيرٍ وصلاح، وتقوى وعبادة، وورع وزهادة»[١].

الحبيب علي بن محمد الحبشي

(١٢٥٩-١٣٣٣هـ)

من كبار العلماء والأولياء الذي ظهروا بحضرموت في أواخر هذه الطبقة، ذكر «تاريخ الشعراء الحضرميين»[٢]: «أن الحبيب علي بن محمد الحبشي ولدَ سنة **١٢٥٩**هـ، وهاجر والده مع إخوته الكبار الثلاثة: عبد الله وأحمد وحسين إلى مكة المكرمة هجرة أبديةً سنة **١٢٦٦**هـ، وتركه والده في كفالة والدته الشريفة علوية بنت السيد حسين الجفري، فتلقى معارفه الأولى بحضرموت ثم رحل إلى مكة للحج سنة **١٢٧٦**هـ، ومكثَ مع والده سنتين تلقّى العلمَ خلالها عن والده وعن علماء الحرمين». بدأ الحبيب علي نشاطه العلمي بالتدريس في مسجد حنبل بسيؤن، ثم بنى في سنة **١٢٩٥**هـ مدرسة الرباط، ومسجد الرياض، متلاصقين ببعضهما، وبنى قريبا منهما دار واسعة لنفسه، وله دروس يومية مقررة ومواعظ متكررة.

برع الحبيبُ علي في علم النحو إلى جانب العلوم الأخرى، ووفد عليه الطلاب من كل

---

(١) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف العود الهندى دار المنهاج الجزء الاول صفحة ٣٠٧-٣٠٨.

(٢) عبد الله بن محمد السقاف تاريخ الشعراء الحضرميين الناشر مكتبة المعارف بالطائف الجزء الرابع صفحة ١٢٨-١٤٠.

مكان، واكتسب مظهراً اجتماعياً كبيراً وشهرةً واسعة، وقال صاحب «تاريخ الشعراء»: «إنه لم يماثله في عيشه ورفاهيته وفي الكرم واستقبال الضيوف إلا السيد أبوبكر بن عبدالله العيدروس (العدني)، والشيخ أبوبكر بن سالم، وكان الحبيب علي وافر الاستقامة، متخلقا بالأخلاق النبوية، عاديا في عبادته بدون غلو أو إغراق، وكان يخرجُ كلَّ ليلةٍ إلى المسجد للتهجد وقراءة القرآن حتى أذان الفجر. ورغم تبسطه ودماثة خلُقه ووداعة طبعه؛ فله هيبة عظيمةٌ، يحب الملبس الفاخر، والأكل الطيب، والمسكن المريح، وله القصائد الصوفية الرقيقة التي ينشدها منشدُه الخاص بكران بن عمر بكران. وذكر صاحب «تاريخ الشعراء»: شغفه بالسماع وتشجيه بأصوات القصب والدفوف والطيران، توفي بسيؤن سنة ١٣٣٣هـ[١].

وللحبيب علي أشعار صوفية جميلة، ولا زالت تنشد في المجالس إلى اليوم، وفي كثيرٍ من البلاد كما ألّف الحبيبُ علي بن محمد الحبشي قصةَ المولد المعروف بـ«سمط الدرر» سنة ١٣٢٧هـ، وقال في مكاتبه له من سيؤن إلى أخيه العلامة حسين بن محمد الحبشي مفتي الشافعية بمكة: «وقد ألفنا هذه السنةَ نبذةً في ذكر مولد المصطفى ﷺ سميناها «سمط الدرر في أخبار مولد خير البشر»، جاءت على أسلوب حسنٍ، تبعث من المحبين كامل الشجن، من التعلق بجد الحسن، وقد رتبنا قراءتها ليلة الجمعة من كل أسبوع على المعتاد، وانتشرت كثيرا في أطراف البلاد[٢]. وقد انتشر مولد «سمط الدرر» في حضرموت كلّها وانتشر في بلاد الحرمين واندونيسيا وإفريقيا وظفار واليمن[٣].

وابتليَ الحبيبُ علي بغلو بعضِ مريديه؛ ذكر لك صاحب «تاريخ الشعراء»، فقال: «إن كثيرا تخطّوا في معتقداتهم فيه الحدودَ المحمودة إلى الحدود المذمومة، وكان أبو عمران

---

(١) عبد الله بن محمد السقاف تاريخ الشعراء الحضرميين الناشر مكتبة المعارف بالطائف الجزء الرابع صفحة ١٢٨-١٤٠.

(٢) طه حسن السقاف البحر الملي صفحة ١٨٢.

(٣) طه حسن السقاف البحر الملي صفحة ١٨٢.

وهو من أهل القبلة أول الباذرين لهذه البدعة الشنيعة وفي أهل الشحر نمت بسقيا تلميذه النحوي أحمد سالم باطويح[١]. وقد كان ذلك سبباً لتكدر الصفاء بينه وبين العلامة ابن عبيدالله والتي زادت بفعل الوشاة، قال ابنُ عبيد الله: «وعزَّ ذلك عليَّ مع حبي له وميل طبيعي إليه، وشعوري بالأنس في مجالسه، مما يوجه إليّ من الخطاب، ويساجلني فيه من نوادر الأدب وأشعاره، لأنه كان رقيق الطبع، سليم الذوق، يطرب لبدائع الأشعار، ويتزيّدني منها، وكنت أجد في مجلسه من ضوالّ شبان النادب، وعشاق المازح والفكاهات، ما لا أجده عند والدي ولا عند غيره»[٢].

الحبيب محمد بن هادي السقاف

(١٢٩١-١٣٨٢هـ)



هو أحد العلماء المشهورين، والأشخاص الظاهرين بمدينة سيؤن، ووصفه ابنُ عبيد الله فقال: «.. أخونا العلامة محمد بن هادي السقاف، فلقد شمر في العلم، من نعومة أظفاره،

---

(١) عبد الله بن محمد السقاف تاريخ الشعراء الحضرميين: ٤/ ١٣٦. (المعروف: أن اسم تلميذه: محمد بن سعيد باطويح، ينظر: إدام القوت، طبعة المنهاج: ص٢١٥، **المصحّح**).

(٢) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف معجم بلاد حضرموت مطبعة الإرشاد صفحة ٣٨٤.

وواصل طلاب العلوم بين النهار والليل، ولم يزل يردّ الضجرَ ويدمنُ السهرَ، ويديم التحديق، ويلازم التحقيق، حتى ينعت له الأماني، واقتطف ثمار التهاني، فجاء موضع قول الشريف الرضي:

لو أن عين أبيه اليوم ناظرةٌ ... تعجّب الأصلُ مما أثمر الطرفُ

وكان أكثر تخصّصه في علم النحْو، فهو والشيخُ محمد باكثير فيه فرسَا رهان، ورضيعا لبان، وربما اختلفا في بعض مسائله»[١].

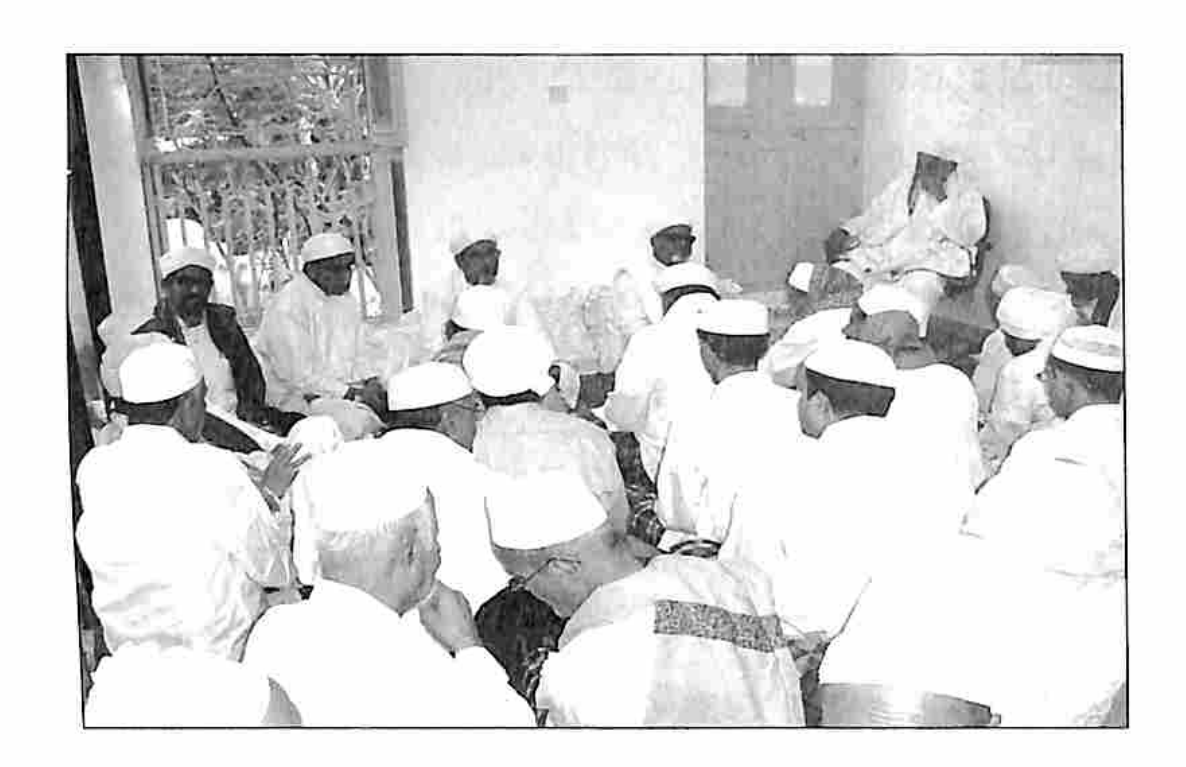
وقد قام الحبيب محمدُ بن هادي برحلةٍ إلى مصر ذكَرنا بعض أخبارها في هذا الكتاب، كما استعرضنا بعض أخبار حجه سنة ١٣٤٧هـ في مكان آخر من هذا الكتاب أيضاً.

* * *

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مكتبة الإرشاد صنعاء صفحة ٣٩١

الفصل التاسع

الدور الرابع من حياة العلويين بحضرموت



حدد الأستاذ الشاطري فترة هذا الدور من أول القرن الرابع عشر إلى العصر الحالي، وقال: «إننا سنتحدثُ في هذا الدور عن سيرتنا وعن تاريخنا المعاصر لنقارنه بسيرة آبائنا في الأدوار السابقة». ووصم الأستاذ الشاطري هذه المرحلة بالتأخر والانحطاط الذي لم يقتصر على حضرموت فقط! بل عمّ جميع البلاد الإسلامية.

وعزى الشاطري سببَ هذا الانحطاط إلى فقد التربية الصحيحة. حيث كان العلويون السابقون يتولون تربية أبنائهم بأنفسهم، ويمنعونهم من مخالطة الأضداد، إضافة إلى مشاهدة أبنائهم اليومية لأحوال أهلهم وما هم عليه من الصلاح والتقوى والعبادة، فيشبون على أخلاق أهلهم ودينهم ومعاملتهم. وقال الأستاذ الشاطري: «ومن المكابرة أن نزعم أن في بيئاتنا الحالية ومدارسنا أو مجالسنا ما يشبه طرقَ التربية القديمة، بل إن كثير منها يجري على الضدِّ من البيئات العلوية السابقة. فالانحطاطُ الخلقي اليوم بلغَ في البعض منا إلى أقصى حد، والنضوبُ العلمي كذلك، والأمراض الاجتماعية منتشرة بيننا.

والخلاصة: إن هناك تخلفاً فظيعاً فينا، والدواءُ واضحٌ، وهو الرجوع إلى ما كانَ عليه آباؤنا السابقون من علم وعمل وأخلاق، وقيادة وسيادة. وهذا الدواء كما هو لنا فهو يصلح لغيرنا من إخواننا المسلمين، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أوله.

وبرغم هذه النظرة التشاؤمية للأستاذ الشاطري، وقسوته الظاهرة على الجيل الحالي من العلويين، إلا انه لازال هناك بقية ممن يترسّمون طريق الأوائل، وينتهجون نهجهم، بل لقد نشط العلويون في السنوات الأخيرة في إنشاء المدارس والمعاهد والكليات التي بدأت تخرج أفواجاً من طلبة العلم من ذوى الأخلاق العالية، والسير الحميدة، ومن حفظة القرآن الكريم، خصوصا في تريم. وسنستعرض في ما يلي بعض الأمثلة لرجال من هذا الدور.

أمثلة على رجال المرحلة الرابعة

الحبيب عبد القادر بن أحمد السقاف



الحبيب عبد القادر بن أحمد السقاف

قال عنه الأستاذ طه حسن السقاف[١]: «هو العالم الكبيرُ الذي عرفَه الناس في أقطار كثيرةٍ من مدة تزيد على خمسين عاماً، وهو الداعي إلى الله بقوله وفعله وأخلاقه وجاهه وماله،

---

(١) طه حسن السقاف، درر وجواهر ديوان شعر الحبيب عبدالقادر، دار الحاوي: ص٥-١٧.

وهو المحبوبُ عند جميعِ الناس كبيرهم وصغيرهم غنيهم وفقيرهم، عالمهم وجاهلهم، بلغ من المكارم أعلاها، ومن الأخلاق أقصاها، وسع الناس بعلمه وحلمه، وكرمه وخلقه.

ولد ببلدة سيؤون سنة ١٣٣١هـ وتربى تحت رعاية والده الإمام أحمد بن عبد الرحمن السقاف، وأخذ عن علماء عصره، وبلغ غاية الاجتهاد والتشمير في طلب العلوم، وتصدر لنشر العلم والدعوة منذ صغره، وعمل مدرسا بمدرسة النهضة العلمية بسيؤن، لفترة من الزمن، وأقام حلقات العلم والوعظ والتدريس بمدينتي سيؤون وجدة.

كان والده شديد العناية بتربيته وتوجيهه، ولازمه من صغره إلى وفاته، وكان لا يفارقه إلا فيما ندر، وكان والده إمام مسجد طه، ولا يسمح لابنه بالتخلف عن صلاة الجماعة بالمسجد، قال الحبيب عبد القادر: «في إحدى الليالي تخلف والدي عن إمامة الصلاة في المسجد لمرضه، فانشغلت بأصحابي وفاتتني صلاة الجماعة بالمسجد، ولما رجعت إلى البيت سألني والدي: أين صليت المغرب؟ فأجبته: في مسجد طه! قال: ومن أمّ الناسّ في الصلاة؟ فأجبته ـ لعلمي بأنه هو الإمامُ ـ أنتَ! فقال والدي: ومن صلى بجوارك؟ قلت: علي مهدمي. فأخذني والدي بيدي إلى منزل الشيخ علي مهدمي، الذي استغربَ قدومنا في تلك الساعة من الليل! فسأله والدي مِنَ الشارعِ: من صلى بالناس المغرب هذا اليوم؟ فقال الشيخ مهدمي: الحبيب عبد اللاه بن أحمد! فسكتَ والدي ولم يعاتبني بأكثر من هذه العبارة: «هذه تكفيك يا ولدي»[١].

وقد حجَّ الحبيبُ عبدالقادر أول مرة طريقَ البر، سنة ١٣٧٣هـ، وأخذ عن علماء الحرمين، ثم زار عددا من الأقطار الإسلامية، كإندونيسيا وسنغافورا، واستقبل فيها استقبالاً عظيماً، كما سافر إلى مصر والشام ولبنان، ووصل إلى زنجبار وجزر القمُر، للاجتماع بالإمام الكبير عمر بن أحمد بن سُميط، وكان رفيقه في هذه الرحلة الداعية الكبير الحبيب أحمد مشهور الحداد، كما سافر إلى العراق وعمان وأبوظبي وأسمره.

---

(١) طه حسن السقاف في تعليقات على كتاب الامالي دار الاصول صفحة ١٤١.

ثم أقام عدة سنوات بمكة المكرمة، ثم استوطن جدة في سنوات حكم الحزب الاشتراكي بحضرموت، وأصبح منزلُه مقصدَ الزوار والوافدين، وأسس المجالس والدروس، وكان يقيم الولائم الكبيرة لجميع الناس، ويستقبل في بيته الضيوف، ويساعد كل من يحتاج إلى مساعدته، ويعين على قضاء الديون، ويمد يد العون للمحتاجين، ويشارك في بناء المساجد والمدارس والأربطة. قال الأستاذ طه حسن: «ورافقته في كثير من رحلاته فكان لا يعرف للراحة طعماً، ويرهق نفسه في تنقلاته، و يزور في اليوم عدة أماكن، ويجتمع بأهلها، ويتحمل السهر والتعب ومجاملة الناس، على كثرة ترددهم عليه لعدة مرات في اليوم الواحد، وبلغ الأمر: أن يتوافد عليه الناسُ لما كان باندونيسيا لصلاة الفجر معه يومياً».

وفي حضرموت كان بيته رغم فقره مفتوحاً للضيوف والاغراب قال والدي السيد محسن بن علوي السقاف: «إنه وصلَ لبيت الحبيب عبدالقادر بسيؤن أحد المناصب! ووصله في نفس الليلة شخصٌ من مصر اسمُه: علي باعبود، وكان باعبود حادَّ الطبع، فاستقبلهما الحبيبُ عبدالقادر، وأنزلهما في بيته، وبعد أن قدم لهما العشاء وهيأ لهما مكان النوم صعد هو لينام، إلا إن المنصبَ تكررَ منه خروجُ الرياح المسموعة! فانزعج باعبود، وتخاصم مع المنصب ولما علت أصواتهما نزل الحبيب عبدالقادر ليصلح بينهما، إلا إن المنصب لم يستطع إيقاف الرياح! ولم يستطع باعبود كظمَ الغيظ، فتكرر خروج الحبيب عبدالقادر إليهما طوال الليل، ولم ينزعج من ذلك أو يتكدر خاطره.

وفي في سنة ١٣٦٥هـ عاتبه بعض أهل سيؤن على إنفاق المالِ والجود والكرم، فرد عليهم بقصيده ذكر فيها أن فعله هو ديدنُ أسلافه الكرام، وقال في هذه القصيدة:

رأوني لا آلـو عـن الجـودِ دائـماً ... فلامُوا وقالوا مسرفٌ وصـغير

وما بي من زيغ ومـا بي سـفاهةٌ ... ولكننـي للمكرمـات أسـير

وذلك مهر المجد والمجد غايـة ... تقـاصر عنهـا باخـلٌ وحقـير

ثم يقول:

ووا أسـفي إن مـر يـوم وليلـة   ومـا نـصبت لي للعفـاة قـدور
ولم أقض حاجاتِ المعيل ولم أفض   عـلى الجـار ممـا في يـدي يمُـور[١]

وقال والدي يحفظه الله: «إنه لما كان الحبيب عبدالقادر السقاف بسيؤن ورده ضيف من نواحي دوعن فوصله في ساعة متأخرة من الليل، فقرع الباب حتى أيقظ الحبيب عبدالقادر، فنزل إليه واستقبله أحسن استقبال، ثم عرف أن الضيف لم يأكل طعاماً منذ الصباح، ولم يشأ الحبيب عبدالقادر أن يوقظ زوجته في هذا الوقت المتأخر من الليل، فذهب وأعد عشاءَ الضيف بنفسه وجاء وقدّمه له، وبعد العشاء أعد له مكانَ النوم، ولما اطمأن على ضيفه صعَد ليكمل نومه. وأخبر الحبيب عبدالقادر والدي بأنه رآى في تلك الليلة حلما ساراً يبشره بالجزاء العظيم».

وبلغ من كرمه لما كان بحضرموت: أنه قد يستدين لإكرام ضيفه، كما فعل عندما وصل الحبيب مصطفى المحضار إلى حضرموت[٢].

وكان للحبيب عبد القادر اعتناء بالشعر والأدب في شبابه وترأس في أحد المرات النادي الادبي بسيؤون وله ديوان شعر فيه الكثير من القصائد القويه الجزلة.

وذهب الحبيب عبد القادر إلى بلدة قسم بحضرموت سنة ١٣٦٨هـ لتعليم الناس والدعوة إلى الله، فاشتاق إلى بلده سيؤون، مثل كل أهل سيؤن الذين لا يطيقون فراق بلدهم، حتى إن السلطان منصور بن غالب لما فكّر في عقاب بعض الأهالي، وجد أن أقسى عقاب لهم هو نفيهُم عنها، وأنشأ الحبيبُ عبدالقادر الأبيات التالية ليبين شوقَه لبلده سيؤن:

---

(١) طه حسن السقاف، ديوان الحبيب عبدالقادر السقاف درر وجواهر: صفحة ١١٣.

(٢) طه حسن السقاف، درر وجواهر ديوان شعر الحبيب عبدالقادر: صفحة ١٦٤.

يا أيها الدار من سيؤن لا برحت ... تطوفُ حولك روحي آخر السّحر
لها أنين حواليها يهيبُ بها ... كأنها نفسُ مقتولٍ على غرر
تودُّ لو طار معها الجسم أو خلقت ... له جناحٌ بها يغدو على النفر

وللحبيب عبد القادر ذاكرة قوية يصفُ بها الأحداث السابقة وقصص الأولين من السلف، ولا ينسى شيئا من التفاصيل، وقد ورث هذه الذاكرة القوية عن والده الحبيب العلامة أحمد بن عبدالرحمن السقاف، الذي وصفه الحبيب علي بن محمد الحبشي «بالعلم والعمل والورع، وعدم النظير له في الفقه بحضرموت، مع حافظة قوية حتى أنه يسرد عبارة «التحفة» بالحرف من حفظه عندما يسأل عن مسألة فقهية، ويسرد حديث البخاري أو غيره من حفظه عندما يسأل عن الحديث، ولا يلحن في الإعراب مطلقاً»[١].

وللحبيب عبد القادر عبادة ومجاهدات، لم أجد شيئا مكتوباً عنها لأنقله، لكنها لابد ان تكون شبيهة بما عليه السلف من العلويين السابقين، وقد ذكرنا شيئا عن طريقة الحبيب عطاس الحبشي، وهو من متأخري السادة، وذكرنا توزيع وقته بين الليل والنهار، والأقرب أن يكون حاله مشابها لحال الحبيب عبد القادر.

ومع امتناعِ الكلام على الحبيب عبد القادر في السنوات الأخيرة، إلا إن بيته استمر مفتوحا للزوار والضيوف، كما يحرص الكثيرون على زيارته ورؤيته، ولكنها أصبحت زيارات نادرة في أوقات محدودة، وهي زيارة تدخل على النفس البهجة والسرور.

---

(١) عبد الله بن محمد السقاف تاريخ الشعراء الحضرميين: الجزء الخامس صفحة ٥٦.

الحبيب أبي بكر العطاس بن عبد الله الحبشي

(١٣٢٨-١٤١٦هـ)



هو من الجيل المتأخر من أعلام العلويين الذين تمكنّا من رؤيتهم والاجتماع بهم، مع حبه للانعزال عن الناس، له وجه مشرق بنور الإيمان، يوحي بالهيبة والجلال. قال عنه ابنه السيد عبدالله: «كان الوالدُ رحمه الله يذكّرنا بما نسمعه عن أسلافنا وأجدادنا من أهل القرون الماضية، في ورعهم وزهدهم وعبادتهم واستغراق جميع أوقاتهم في الطاعات، والتمسك بالسنة في جميع الأحوال والأوقات، وقد اجمع كل من رأى الحبيب عطاس انه ذو هيئة نبوية كاملة»[١]، انتهى. ولقد جاء مرة إلى مستشفى الملك خالد للعيون بالرياض

---

(١) أبو بكر العطاس بن عبدالله الحبشي، التذكير المصطفى: صفحة (ح).

لما كنت أعمل فيه، وكان حجزُه لدى أكبر طبيب أمريكي بالمستشفى، وكان قد اشتهر عن هذا الطبيب بأنه من المسيحيين المتدينين، ولقد استغربتُ كيف تأثر هذا الطبيبُ المسيحي المتشدد بهيئة الحبيب عطاس، فاحترمه احتراماً كبيراً وكان يزوره عدة مرات باليوم ولم تكن تلك من عادة هذا الطبيب مع المرضى الآخرين.

وأوصاني الحبيب عطاس رحمه الله وهو بهذا المستشفى الذي يعمل به العديد من النصارى من جنسيات مختلفة، أوصاني بان أستغل معرفتي باللغة الانجليزية لدعوتهم إلى الإسلام، وذكرني بقول الرسول ﷺ: «**لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم**»، وكرر علي هذا الطلب عدة مرات.

وعند ما وقعت حضرموتُ تحت الحكم الشيوعي الذي حارب رجال الدين وآذاهم هاجر الحبيب عطاس إلى السعودية. ولسفره قصة عجيبة: فقد وصل إلى عدن من حضرموت، واستقل الطائرة المتجهة إلى جدة، ولما استقر الركاب بالطائرة طلع احد مخبري الحزب يسأل عن السيد أبوبكر الحبشي، وهو اسم الحبيب عطاس الأساسي الذي لا يعرفه أهل حضرموت، إنما هم يعرفونه بلقبه (عطاس)، لذا لم يتبرع أحد بالكشف عن هوية الحبيب عطاس، ولما لم يتلق المخبر أي رد خرج من الطائرة وسمح لها بالإقلاع، ونجا الحبيب عطاس الحبشي من أمرٍ لا تحمد عقباه، في وقتٍ كان الحزبُ الاشتراكي يتعقب فيه العلماء والوجهاء ويفتك بهم، فنجاه الله من الشيوعيين كما نجا الله الحبيب المصطفى ﷺ وخليله الصديق من مشركي قريشٍ بغار ثَور.

وبلغَ من ورع الحبيب عطاس: أنه منذ غادر حضرموت إلى السعودية بعد وقوع حضرموت تحت الحكم الشيوعي، لم يتناول أي شيء من المطعومات القادمة من حضرموت، كما كان يمنع أهل بيته من تناولها. وذلك بعد أن عرف أن الشيوعيين استولوا على أموال الناس وأموال الأوقاف فاختلطت الثمار والحاصلات، فصارت كلها في نظره مشبوهة، فتورع

عن تناول أي شيء منها[١]. وحضر أيام كان بحضرموت وليمة مداد بسفح جبل عيديد بتريم وشرط على أصحابها أن يتحروا في كل أمور الطعام ثم نفد الحطب وعرف الحبيب عطاس ذلك فذهبوا يبحثون عن حطب فوجود بواقي من الخشب مرمية بسفح الجبل فأخذوه وأكملوا به طبخ الطعام فسألهم الحبيب عطاس عند وضع الطعام: من أين جئتم بالحطب الناقص؟ فاخبروه، فامتنع عن تناول أي شيء من ذلك الطعام وبقي طاوياً طول النهار[٢].

واستقر الحبيب عطّاسٌ الحبشي في مكة، وكان موضع الاحترام والتقدير من كل من عرفَه، ووصفَ ابنه السيد عبد الله طريقة والده الحبيب عطاس في توزيع وقته بين اليوم والليلة، فقال[٣]: «كان والدي يوزع أوقاته فلا يخلو وقتٌ من أوقاته في ليله ونهاره إلا وهو مستغرقٌ في ذكر أو طاعة أو عمل من أعمال البر والنصح والإرشاد لكل مرتاد، مع شدة اهتمامه بأمور المسلمين وتحمله لهم».

ثم قال: «كان والدي يستيقظُ آخرَ الليل فيتوضأ ويغتسل وذلك ديدنه لكل فرض صيفا وشتاءا وحضرا وسفرا ثم ينتصب في مصلاه كالعمود إلى أن ينادى لصلاة الفجر فيجيب المؤذن ثم يركع السنة بعد أن يأتي بالأذكار قبلها وبعدها ثم يصلي الفجر ويجلس في مصلاه ذاكراً مستغرقاً إلى الإشراق فيصلي الإشراق، ثم يتناول ما تيسر من طعام الإفطار ثم ينام إلى الساعة العاشرة صباحاً، يقوم بعدها فيتوضأ ويغتسل ثم يركع الضحى، ويستمر في الأذكار وقراءة القرآن حتى يؤذن للظهر فيركع أربع ركعات يقرأ في كل ركعة مقرأً من سورة يس وآية الكرسي وثلاث من قل هو الله أحد. ثم يصلي الفرض ويعقبه بالركعات البعدية يأخذ بعدها قِسطاً من الراحة مستلقياً، ثم يتناول طعام الغداء وينام بعده إلى الساعة الرابعة عصرا، فيقوم ويتوضأ ويغتسل، ثم يركع أربع ركعات يأتي بعدها بالاستغفار سبعين مرة. ثم

---

(١) عبد القادر بن عبد الرحمن الجنيد العقود الجاهزه والوعود الناجزه صفحة ١٤٠.

(٢) عبد القادر بن عبد الرحمن الجنيد العقود الجاهزه والوعود الناجزه صفحة ١٤٠.

(٣) أبي بكر العطاس بن عبد الله الحبشي التذكير المصطفى دار الحاوي صفحة (ح).

يصلي العصر ويستغرق بعدها في أذكار وأوراد، حيث تعقد بعدها الروحة التي تقرأ فيها الكتبُ في شتى العلوم، حتى يؤذن للمغرب فيقوم للصلاة ويأتي بعدها بالأذكار لمدة نصف ساعة تقريبا. ثم يركع بعدية المغرب وصلاة الأوابين إلى أن يدخل وقت العشاء، فيصلي قبليته والفريضة، ثم يشرع في قراءة راتب الإمام الحداد جماعيا، ثم يركع بعدية العشاء، ثم يتناول طعام العَشاء، ويذهب للنوم حدود الساعة العاشرة مساءً ليستيقظ عند الثانية ليبدأ يوما جديدا.

وكان يقول لأولاده: «إنكم تتشبهون بنا في حالة الكبر! وأما أيامَ الشباب والنشاط فكانت لنا مجاهداتٌ وأعمال غير ما تروننا عليه الآن».

الحبيب أحمد بن علوي الحبشي

(١٣٣٩-١٤٢٩هـ)



ومن العلويين الذين عاصرناهم: الحبيبُ أحمد بن علوي الحبشي، وكان هذا الحبيب مثالاً لأخلاق العلويين التي حفظتها الأجيال عبر تاريخهم، فقد كان رحمه الله شديد التواضع،

لينّ الجانب، كريم الخلق، لا يلقَى كلَّ من يقابله إلا بالتبسم وطلاقة الوجه. محباً للعلم وأهله، أخذ العلم عن والده وعن العلماء في سيؤون وتريم، ودرس في الرباط الذي أسسه جده الحبيب علي بن محمد الحبشي، ثم درّس هو فيه لفترة سبعين سنة من حياته، واتفق كل أهل حضرموت على محبته. كان شديد العناية بعلم الفقه والنحو وعلم الفرائض، وهي العلوم التي استمر في تدريسها حتى وفاته.

ورحل والده إلى جاوا وهو مازال في بطن أمه، ولم يتمكن والده من العودة إلى حضرموت لظروف الحرب الكونية، وما أعقبها من اضطرابات عالمية، وبقي باندونيسيا حتى وفاته، حيث دفن بجوار المسجد الذي أسسه في الصولو وسماه (مسجد الرياض)، على اسم مسجد جده الحبيب علي بن محمد الحبشي الذي أسسه في مدينة سيؤن.

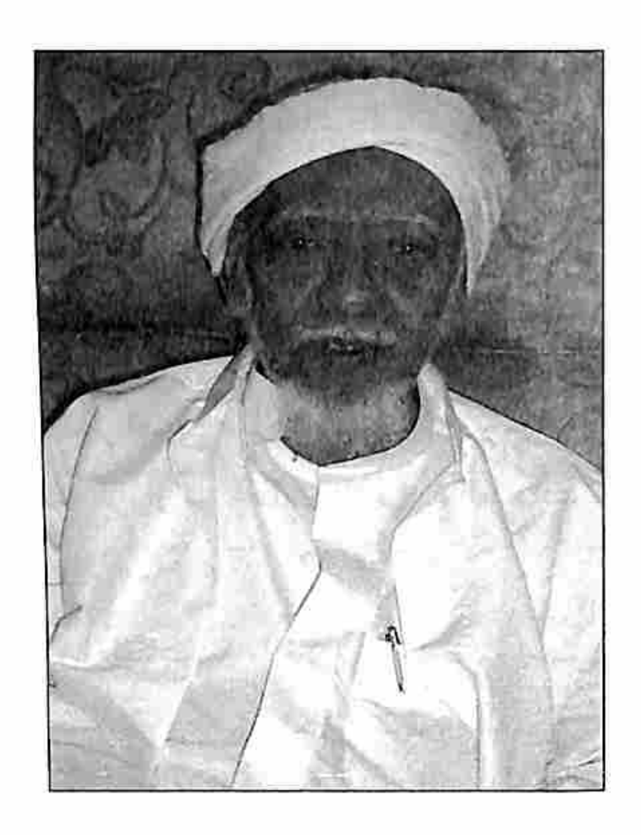
وكان والده عظيم الأخلاق؛ بلغ من خلقِه: أنه لما كان يسافر بدابته مع خادمه داخل حضرموت كان لا يرضى أن يركب ويتركَ خادمه ماشياً، بل كان يتناوب الركوب مع خادمه حتى يصل مقصده. كان منارة علم بمدينة الصولو، ومقصد الواردين، ومن غريب الأمور: أن الحبيب أحمد بن علوي الحبشي سافر إلى جاوه لزيارة أرحامه الكثيرين بها، ثم أدركته الوفاة وهو بتلك البلاد، فدفن بمدينة الصولو بجوار قبر والده الذي لم يره منذ خرج إلى الدنيا!.

❋ ❋ ❋

نموذج من العلويين المغمورين

السيد سقاف بن عبد القادر السقاف (كِرَيسَانْ)

السيد سقاف بن عبد القادر السقاف نموذج من نماذج العلويين الذين لم يشتهروا بين الناس، رغم أخلاقهم العظيمة، وخصائصهم الفريدة. ولد السيد سقاف في سيؤن بحضرموت سنة ١٣٥٠هـ، وأخذ العلم على بعض المشايخ.



وكان عمه السيد محمد (كِرَيسَانْ) من طلبة العلم وممن تولى قضاء سيؤن ثم هاجر عمه بعد ذلك إلى اندونيسيا ولم يعُد. أما **والده** فقد هاجر لطلب العيش بالمملكة العربية

السعودية وعمل السيدُ سقاف فترة مدرساً بمدرسة النهضة بسيؤون. لكنه لحق بوالده في مهجره حوالي سنة ١٣٧٥هـ .

وعمل بعدة وظائف بمدينة جدة، لكنه لما كبر أولاده في السنين الأخيرة كفَوه طلب الرزق، فتفرغ لحضور الجلسات العلمية، والدروس الدينية، وكان من عادته أن يسجل كلّ جلسة يحضرها، ولا يفارقه المسجل الصغير في أي مكان يذهب إليه، حتى وصفه السيد أحمد الأهدل الذي كان من المقربين إليه بقوله: «سقاف: مسجّل وكتاب!»، ثم أضاف للمسجل (كاميرا) يسجل بها بعض الجلسات، وقد اجتمعت له مكتبة عظيمةٌ من الشرائط إلا أنه لم يستطع تفريغها في كتبٍ، ولم يساعده أحد في ذلك.

كما تولّع بجمع الكتب من كل نوع، وخصوصاً الكتب السلفية، وكذلك صور الصالحين التي تملأ جدران غرفته التي يستقبل فيها الناس، حتى أنك إذا دخلت تلك الغرفة أحسست بأنك تعيش في عصر من عصور السلف السابقين.

ويتعامل السيد سقاف مع الناس ببساطةٍ شديدة ولا قيمة عنده للمال، فقد يسلمه ابنه مبلغا من المال فيدفعه كله لسائل يقابله في الطريق، أو يشتري به مجموعة من الشرائط والكتب. وقد عملَ في بيته جلسةً علميةً يوم الاثنين يقدم فيها للحاضرين أطايب الطعام، إلا أن صحته اعتلت، واضطر لعمل عملية قسطرة قلبٍ توقّف بعدها عن هذه الجلسات، ورغم ذلك فلا ينقطع عنه الزوار من مختلف الأعمار والطبقات حتى إن بعض المواطنين السعوديين يحبون زيارته والاجتماع به.

ويحضر المناسبات والجلسات العامة فلا يأبه به أحدٌ، ويجلس حيث ينتهي به المجلس، وقد كانت له ارتباطٌ قوي وعلاقة وطيدة بعدد من صلحاء العلويين، مثل الحبيب عبد الرحمن الكاف، والسيد أحمد الأهدل، والسيد محمد البيتي. وله عبادة وتهجد لا يصرح بهما، كما انه كثير الزيارة للحرمين الشريفين بمكة والمدينة، كما قام برحلة إلى اندونيسيا وأخرى إلى مصر والى عدن وزار حضرموت عدة مرات.

ولما زار عدن؛ أخذه الدكتور أبو بكر بن سالم السقاف إلى الوهْط لحضور جلسة دينية، وصادف أن حضَرها أحد الصلحاء الذين ينذُر حضورُهم الجلسات، فلما دخل الدكتور أبو بكر إلى الجلسة مصطحبا ضيفه السيد سقاف، أشار الرجل الصالح إلى السيد سقاف وقال: «الله اكبر! إن هٰذا الرجل حالُ أويس القرني».

والسيد سقاف ضحوك محب للدعابة الخفيفة، وفي إحدى المرات استقبل في بيته أحد الضيوف الإندونيسيين لعدة أيام، وقد حسبه من أهل العلم والصلاح إلا أنه اتضح فيما بعد أن الضيف يدخّن، فحاول السيد سقاف أن يحمى سمعةَ ضيفه من أهل البيت بتقفيل الأبواب، ولكنه لم يفلح في كشف حقيقة ضيفه، فداعبه أصهاره بقصيدةٍ هاجموا فيها الضيف، خصوصا بعدا أشيع: أنه كان يزين له الزواجَ بأخرى على أختهم المرأة الصالحة، و قالوا في قصيدتهم:

وليَّ الله قـــد فـــاحَ	مـــن الغرفـــة دخـــانُ
فهل قد حـل في البيـت	أو الغرفـــة شـــيطانُ
وقـد كانـت بهـا تـتلى	أناشـــيد وقـــرآنُ
رســـوم في جوانبهـــا	بهـــا الجـــدران تـــزدانُ
وكتب السلفِ الصالحِ	إرشــــاد وتبيــــانُ
فـــان غـــرك بـــالعرس	فـــان العـــرس خـــسرانُ
وزوجـــك في عبادتهـــا	لهـــا بـــالله ســـلوانُ
تـــصوم نهارهـــا والليـــل	لهـــا مـــع ربهـــا شـــأنُ

وقد أعجب السيد سقاف بهذه القصيدة، واحتفظ بها مع كتبه وأوراقه.

* * *

الفصل العاشر

أنساب وكُنى العلويين بحضرموت



قال الأستاذ الشاطري[١] : «لما تكاثرت العوائل العلوية بحضرموت بعد القرن الثامن الهجري، وتشابهت أسماؤهم، وجدت الضرورة لتمييز بعضهم البعض بالكُنى والألقاب. وكان ذلك بعد زمن الإمام محمد صاحب مرباط الذي هو منبعُ السادة بني علوي، والمتوفى بمرباط (وهي ظفار القديمة) سنة ٥٥٦هـ، ووالده هو علي خالع قسم».

وللإمام محمد صاحب مرباط ابنان؛ هما: علي، وعلوي. أما علي، فهو والد الفقيه المقدم محمد بن علي المتوفى سنة ٦٥٣هـ. وأما عم الفقيه وهو علوي بن محمد، فقد توفى سنة ٦١٣هـ، وينتسب جميع العلويين بحضرموت إما إلى الفقيه المقدم، أو إلى عم الفقيه المقدم.

أما بقية النسب من الإمام محمد (صاحب مرباط) إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وزوجه فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ فهو كما يلي: الإمام محمد (صاحب مرباط) بن علي خالع قسم بن علوي بن محمد بن علوي بن عبيد الله بن أحمد المهاجر بن عيسى النقيب بن محمد بن علي العريضي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن الإمام علي بن أبي طالب وابن فاطمة بنت رسول الله صلي الله عليه وسلم محمد بن عبد الله وأبو طالب وعبد الله هما ابنا عبد المطلب بن هاشم إلى آخر النسب الشهير .

واستدل الأستاذ الشاطري بتأخر استخدام العلويين للكنى والألقاب: بأن الأسماء التي كتبت في وثيقةِ نقابة العلويين المكتوبةِ في زمن الإمام المحضار المتوفى سنة٨٣٣هـ، كتبت بالاسم المجرّد دون استخدام للكُنى والألقاب[٢]. وذكر: أن العلويين في أول أمرهم لم يسموا أبناءهم بأسماء الصحابة أبي بكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهم، وأول

---

(١) لقبائل وبطون بنى علوي: محمد بن أحمد الشاطري، المعجم اللطيف: ص.

(٢) محمد بن أحمد الشاطري المعجم اللطيف لقبائل وبطون السادة بنى علوى صفحة ٤٢.

من سمى ابنيه أبا بكر وعمر كان أحمد بن الفقيه المقدم المتوفى سنة ٧٠٦ هـ، ولعل هذا تقليد لآبائهم بعد الإمام علي كرم الله وجهه[١].

كما ذكر: أن الكُنى تكون باسم الأكبر من الذكور. كما هو مستعملٌ عند العرب، وقد يكنى أحد منهم باسم ابنته، وممن كُنيَ بذلك: حمزةُ بن عبد المطلب، فيقال له: أبو عمارة، وتميم الداري، فيقال له: أبو رقية، أو يكنى الشخص لأمه خصوصاً إذا اشتهرت، مثل ابن سِيدَة، وابن سيرين، وابن عائشة[٢]. قال الجاحظ في «رسائله»: «وقد علمنا أن لجماعةِ بني هَاشم طابعا في وجوههم يستبين به كرمُ العتق، وكرم النجار، وليس ذلك لغيرهم»[٣].



(١) محمد بن أحمد الشاطري المعجم اللطيف لقبائل وبطون السادة بنى علوى صفحة ٤٣.

(٢) محمد بن أحمد الشاطري المعجم اللطيف لقبائل وبطون السادة بنى علوى صفحة ٤٣.

(٣) رسائل الجاحظ المجلد الثاني منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلميه بيروت صفحة ١٠١.

التعريف بنسب أهل البيت
وعلم الأنساب بحضرموت

ملخَصٌ من «المعجم اللطيف لقبائل وبطون السادة بني علوي»

للسيد محمد بن أحمد بن عمر الشاطري

تحتفظ معظم الأسر المتصلة بنسَبِ أهل البيت في مشارق الأرض ومغاربها بتسلسل أنسابهم رغم أن بعضا منهم قد أصابهم الإهمال والعجمة. وأما الأقدمون فإنهم قد حققوا ودققوا وألفوا الكتب المختصة بضبط أنساب أهل البيت ومشجراتهم كما فعل العلويون بحضرموت و سادة اليمن وغيرهم من البلاد

هذا ولم يستعمل لقب (السيد) و(الشريف) إلا عند القليل من الناس والفقهاء، يؤيدون ذلك الاصطلاح في كثير من أبواب الفقه كالوقف والوصية وأمثالها؛ بتخصيص هذين اللقبين بنسل السبطين، فيما إذا أوصى أحدٌ مثلا للسادة أو للأشراف، فلا يعطى غيرهم. ولم يتلفتوا إلى المعنى اللغوي فيهما، لأن الاصطلاح والعرف والتواتر غطّت عليه.

وقد خص بعضُ العلماء كتباً بأنساب أهل البيت، كما يلي:

١ـ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب؛ للسيد أحمد بن عنبة المتوفى سنة ٨٢٨هـ.

٢ـ جواهر العقدين في أنساب أبناء السبطين، السيد علي السمهودي المتوفى سنة ٩١١هـ.

٣ـ غاية الاختصار في البيوتات العلوية المحفوظة من الغبار؛ السيد أبو طالب تقي الدين النقيب.

٤ـ تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن: للسيد المحدث حسين بن عبد الرحمن الأهدل المتوفى سنة٨٥٥هـ.

٥ـ النفحة العنبرية في أنساب خير البرية: للسيد أبو الفضل محمد الحسيني الكاظم من أهل القرن التاسع.

٦ـ تحفة الأزهار في أنساب آل النبي المختار: للسيد ضامن بن شدقم من أهل القرن الحادي عشر.

ومنهم: جمال الدين عبد الله الجرجاني الحسيني في مشجره المتضمن أنساب أهل البيت الطاهر، والسيد الإمام محمد بن أحمد عميد الدين الحسيني النجفي صاحب كتاب «بحر الأنساب» المسمى بـ«المشجر الكاشف لأصول السادة الأشراف»، وعلق عليه السيد مرتضى الزبيدي المتوفى سنة ١٢٠٥هـ. ثم كتب عليه تحقيقات وزيادات ضمها إليه السيد العلامة حسين بن محمد الرفاعي المصري فكان من خيرة ما ألف في أنساب أهل البيت النبوي وسماه «بحر الأنساب المحيط»، وبذل فيه مجهوداً كبيراً وانتهى منه سنة ١٣٥٥هـ.

وممن اشتهر من علماء سادة بني علوي بمعرفة الأنساب: العلامة الكبير علي بن أبي بكر السكران، وله مؤلف اسمه «الجواهر السنية في أنساب الحسينية»، وهو عزيز الوجود.

وكان بنو علوي يعتنون بأنساب قومهم، وفي طليعتهم: علي زين العابدين، ووالده عبد الله بن شيخ الأوسط العيدروس، ومن غير هؤلاء كثيرون. وآخر من عُني بأنسابِ بني علوي وضبطها وخدمها: هو العلامة مفتي الديار الحضرمية عبد الرحمن بن محمد المشهور المتوفى سنة ١٣٢١هـ في كتابه «شمس الظهيرة الضاحية المنيرة في أنساب بني علوي وذكر مناقبهم وفروعهم»، ثم لخصها ورتَّبها السيد الكاتب الكبير أحمد بن عبد الله بن محسن السقاف في كتاب سماه «خدمة العشيرة بترتيب وتلخيص وتذليل شمس الظهيرة»، وهو مطبوع ومنتشر. وكتب الأستاذ الجليل السيد ضياء شهاب «تعليقات مبسطة ومفصلة على

شمس الظهيرة»، وبذل في ذلك مجهوداً كبيراً. وقد طبعت في مجلدين كبيرين وانتشرت نسخها في هذه الأيام.

وللسيد العلامة عمر بن علوي الكاف كتاب «الفرائد الجوهرية في تراجم الشجرة العلوية»، يحتوي على نحو ألف وثمانمائة ترجمة ولا يزال مخطوطاً.

ولقبائل السادة بني علوي شجراتٌ مختصة بالقبيلة، مأخوذة من شجرتهم الكبرى العامة التي تقع في نحو العشرين مجلداً، يسجلون في شجرة القبيلة كلَّ فرد منها، وأحياناً يضيفون فيها بعض النساء اللامعات، والأطفال المندرجين من القبيلة. وليتَهم توسّعوا فأضافوا إلى وضع شجرة القبيلة تراجمَ رجالها والبارزين فيها، من العلماء والأدباء والمصلحين والشعراء، فيتم التكامل المطلوب لتاريخهم، ولكنهم اكتفوا بما في المؤلفات السابقة التي ذكرتها، ولو أنهم عملوا بما ذكرته لأفادوا أكثر، ومع هذا فتوجد قلةٌ من الأسر التي كتبت تراجم أسلافها، مثل: السادة آل العيدروس، والسادة آل الحبشي، والسادة آل الجفري .

ولبني علوي شجرة تسمى «شجرة الأمهات»، سجلت فيها الأمهات الأولى لنسائهم ولرجالهم السابقين إلى أوائل القرن الثالث عشر الهجري، وممن عُني بها السيد الإمام عبد الرحمن المشهور صاحب «شمس الظهيرة» السابق ذكرها، وبعده السيد عمر بن عبد الرحمن بن شهاب الدين، ولا تزال نسخة منها مخطوطة موجودة عند أحفاده، وتنسب للسيد علوي بن أحمد عيديد «شجرة أمهات» غير معروفة، ويظهر أنه من أهالي القرن الحادي عشر، وتوجد منها نسخة خطية بمكتبة الأحقاف بتريم.

ومما هو معروفٌ: أن كثيرا من القبائل والأسر الحضرمية والعربية اعتنت بضبط أنسابها وتسلسلها ووضع شجرات لها فمن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر قبيلة كندة ويوجد مؤلف مسمى «**الفرج بعد الشدة في أنساب كندة**» مؤلفه الشيخ عوض بن أحمد الجرو، وهذه القبيلة تشتمل على بطون كثيرة حضرمية، **منها**: آل **باسودان**، وآل باكثير، وآل باقيس، وآل الجرو، وآل إسحاق، وآل جمل، وآل حنان، وآل بابقي، وآل باصهي.

ثم قبيلة مَذحِج؛ ومنهم: **المشايخ آل أبي فضل**، المنتمون إلى سعد العشيرة بن مذحج (بالذال المعجمة)، ونجد في كتاب الشيخ العلامة محمد بن عوض بافضل المسمى «صلة الأهل في مناقب آل أبي فضل»، وهو مطبوع ، معلوماتٍ كثيرة عن أنسابهم، ولهم مشجراتهم، ولا يزال البعض منهم محتفظين بها إلى اليوم.

وكذلك: **آل الخطيب**؛ المنتسبون إلى عباد بن بشر الأنصاري الأوسي، وفي كتاب «البرد النعيم في مناقب خطباء تريم»، معلومات قيمة عنهم، ومؤلفه الشيخ محمد بن سليمان الخطيب، ولا يزال مخطوطا، ومنهم (أي من الأنصار): آل شعيب، وآل باشكيل.

ومن المحتفظين بأنسابهم: **المشايخ آل العمودي**؛ المشتهرون بانتمائهم إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وممن سلسل نسبهم إليه المؤرخ البحاثة السيد عبد الله بن حسن بلفقيه رحمه الله في كتابه «الشواهد الجلية عن مدى الخلف في القاعدة الخلدونية»، وقد طبع قريباً.

ومنهم: **المشايخ آل باوزير**؛ الذين تكلم الأستاذ سعيد بن عوض باوزير عن انتمائهم إلى بني العباس في كتابه «صفحات من تاريخ حضرموت»، وهو مطبوع. كما تكلم عنهم صاحب رسالة «البدر المنير في مناقب آل باوزير»، وهو مطبوع أيضاً.

ومنهم: **المشايخ آل باقُشَير**، بالقاف؛ وقد ألف الشيخ عبد الله بن محمد باقشير كتاباً في مناقبهم يسمى «مفتاح السعادة والخير في مناقب آل باقشير»، أما آل باغَشِير، بالغين؛ فهم من مشايخ حضرموت المشهورين أيضاً، ومنهم: العلامة الشاعر محمد باغشير.

ومنهم: **المشايخ آل باعباد**؛ الذين ينتمون إلى قريش، ومثلهم: آل بارجاء، وآل باحرمي، وقد ذكر سلاسلَ هؤلاء وغيرهم: السيد عبد الله في كتابه «الشواهد الجلية»، الذي مر ذكره.

ومنهم: **المشايخ آل أبي مخرمة**، وينتهي نسبهم إلى قبيلة سَيبان الحميرية.

ومنهم: آخرون كثيرون، كآل بلخير، وآل باسُنْدُوَة (بضم السين وسكون النون وضم الدال وفتح الواو)، وآل باحسين، وآل بازرعة، وآل باشيخ، وآل باجنيد، وآل باعشن، وآل باسلامة، وآل باراس، وآل باشراحيل، وآل باهرمز، وآل باجابر، وآل بلعفيف، وآل باحميد، وآل باذيب، وآل الشبلي، وآل بحرق، وآل بن لاذن، وغيرهم ممن لا يتسع المقام لذكرهم وفي «رسالة الأنساب» للإمام أحمد بن حسن العطاس، وفي مناقب الشخصيات البارزة معلومات وافرةٌ عن جميع مَن ذكرناهم وعن أنسابهم.

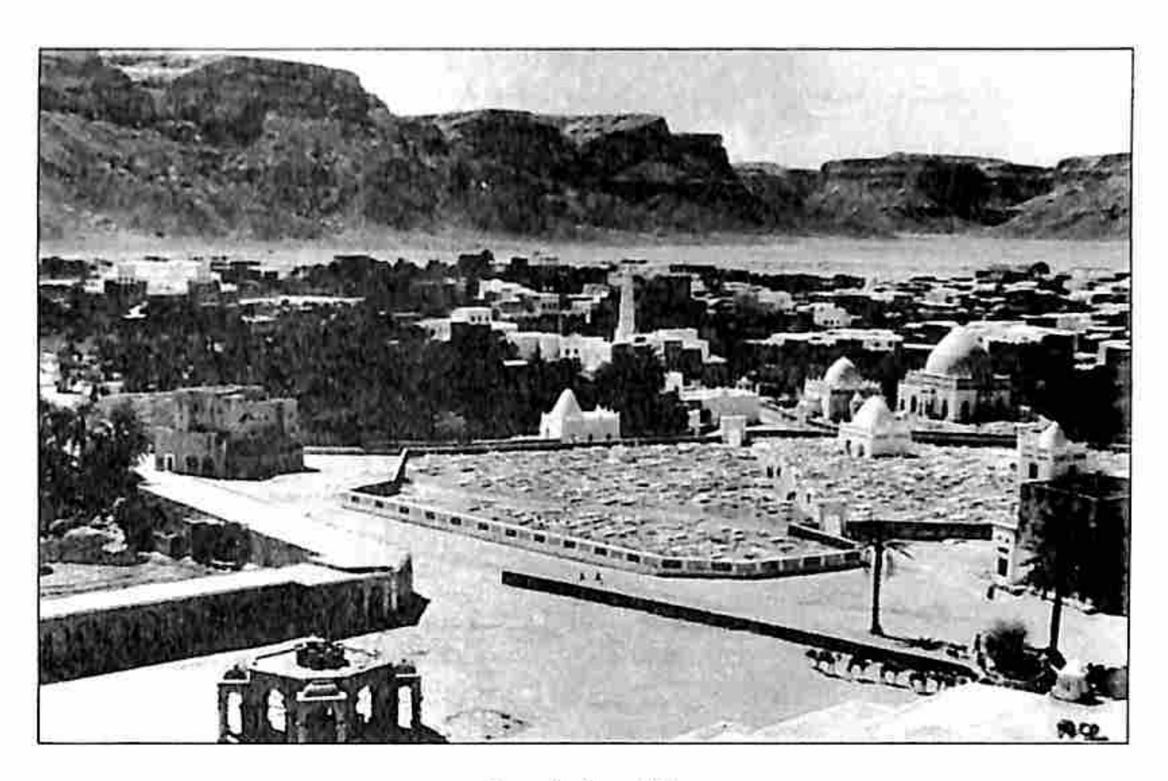
ونجد في كل من الأسر التي حكمت حضرموت أو أجزاء منها أنساباً مسلسلة لها مكتوبة في كتب التواريخ الحضرمية وقد بذلت مجهودا في عمل مشجرات لها في كتابي أدوار التاريخ الحضرمي وهذه الأسر هي سلطنة آل راشد، وسلطنة آل يماني، وسلطنة آل كثير. ونجد للقبائل المسلحة: من نهد ومن غيرهم، سلاسلُ لأنسابهم، في بعض كتب التواريخ الحضرمية المطبوعة والمخطوطة، وليعذرني غير من ذكرتهم من إخواننا الحضارمة الذين لم أستحضرهم، والذين لم أطلع على أنسابهم، و«**الناس مؤتمنون على أنسابهم**» كما في الحديث عن رسول الله ﷺ. وقال بعضهم: هو أثرٌ وليس بحديث.

هذا وفي الشام ومصر والعراق والمغرب واليمن والمملكة العربية السعودية، والإمارات العربية، بل وكل البلاد الإسلامية، قبائلُ وأسر محتفظة بأنسابها، وللبعض منها مشجرات وسلاسل نسب، كمشجَر آل أرسلان أسرة الأمير شكيب أرسلان، فقد سلسل آباءه وأجداده إلى غسان، ابتداء به وبأخيه، وانتهاءً بملوك غسّان، مع ضبط وفاة كل منهم، كما ذكر في كتاب «الأعلام» للزركلي. ويمكن للباحث الاطلاع على جميع ما ذكرته في هذا الباب في كتب الأنساب وكتب التراجم الموجودة في المكاتب العامة والخاصة وعلى المزيد عنه.

❊ ❊ ❊

الفصل الحادي عشر

توزع العلويين على وادي حضرموت[١]



صورة لتريم في زمن قديم

---

(١) ملخص من كتيب أنساب الأسر الحضرمية في كتاب السفينة المجموعة للعلامة الحبيب أحمد بن حسن العطاس (عن مجلة العرب).

وصف الحبيب مصطفى المحضار حضرموت فقال: وحضرموت منبع الشرف والسيادة، والعلم والعبادة، والكرم والزهادة، وقيام الدياجر من وصول المهاجر إلى اليوم الآخر، ولم تزل تجدد فيها العلوم وتتجدد فيها الفهوم لجميع العلوم[١].

وقد استقر العلويون أول أمرهم ببلدة بيت جبير وبقوا فيها بعيدين عن مجريات الأمور إلا أنهم خرجوا عن عزلتهم سنة ٥٢١هـ وتحولوا إلى مدينة تريم، ونشطوا في تحصيل العلم ونشره، ودعوة الناس بالحسنى لما فيه صالحهم.

كما رافق هذا النشاط العلمي والإصلاحي اتجاههم إلى إنعاش الحياة الاقتصادية، وعمارة وطنهم بالزراعة والغرس فقد قام الإمام علي بن علوي خالع قسم بشراء أرض واسعة مملوءة بغرس النخيل، وسماها بقسم ثم تابع أبناؤه وأحفاده الزراعة والغرس حتى صار جد العلويين بحضرموت الفقيه المقدم محمد بن علي (المتوفى سنة ٦٥٣هـ) يتحصل من مزارعه على كميات كبيرة من التمر[٢].

أما تريم فهي المدينة الجامعة للعلويين، وقد أحبها العلويون واعتبروها من المدن الإسلامية المقدسة وفيها يقول العلامة أبو بكر بن شهاب:

حرم البلاد الحضرمية ... مطلع الساري بها والآفل
دبغت بأقدام الأكارم تربها ... فترابها طب السقيم الناحل
وسماؤها امتازت بكثرة صاعد ... الأنوار من عمل التقى المتواصل

وقال ابن عبيدالله[٣] ولله در شيخنا ابن شهاب إذ يقول عن مدينة تريم:

---

(١) ٥٧ محمد بن عبد اللاه المحضار خواطر وأفكار وحكم وأسرار مكاتبات الحبيب مصطفى تريم للدراسات والنشر صفحة.

(٢) صالح بن علي الحامد تاريخ حضرموت الجزء الثاني مكتبة الإرشاد صنعاء صفحة ٦٣٦-٦٣٧.

(٣) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف العود الهندي دار المنهاج الجزء الثاني صفحة ٤٧٤.

إذا نحن زرناها وجدنا ترابها يفوح لنا عن عنبر متنفس
ونمشي حفاة في ثراها تأدباً نرى أننا نمشي بوادٍ مقدس

ووصف الحبيب مصطفى المحضار تريم فقال: بلاد بناها الله وأشادها وأملأها بالأولياء أمواتاً وأحياء ما فيها إلا وليّ، التالي والأولي، وإذا ظهرت غشامة وشباب وجدة، فغير مؤيدة، يجفها نور تريم، ويصرمها صريم، ويذيبها العلم والتعليم ثم قال: ولا تسأل عن تريم بها كم من غريم محفوظة بهم على طول الأيام وهم خير حسام[1].

ومن الغريب أن يشعر حتى الإفرنج الذين يزورون تريم بقداسة هذه المدينة فقد قال هاري سنت جون فيلبى الملقب عبد الله فلبى في كتابه بنت سبأ عند زيارته تريم سنة ١٣٥٤هـ (يشعر المقيم في مدينة تريم بعبق القداسة والتدين)[2].

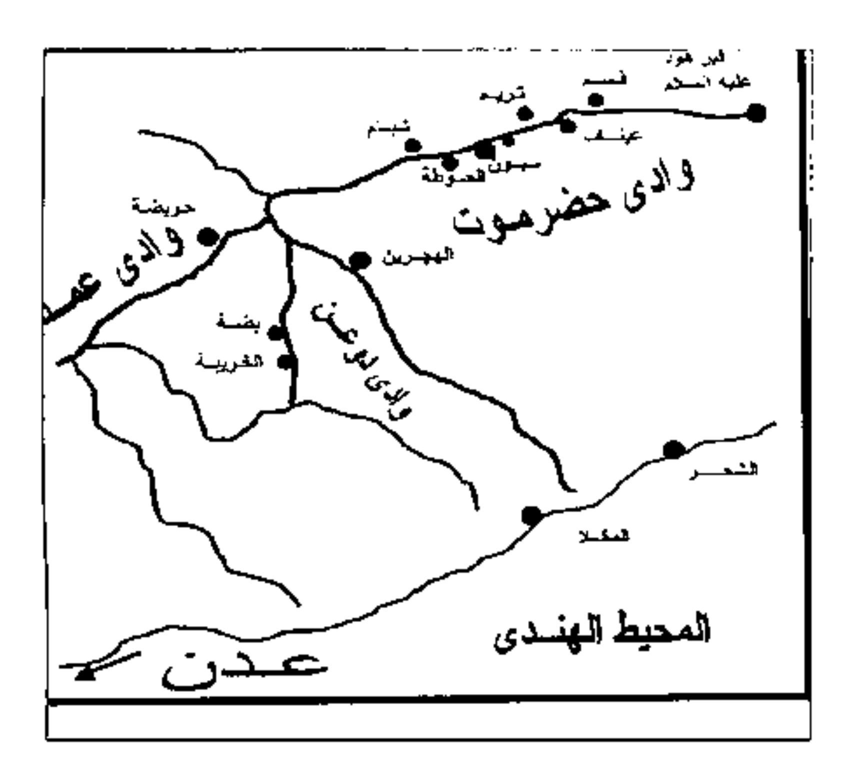
هذا ومن تريم تفرقت قبائل السادة على وادي حضرموت وعلى غيرها من البلاد كالحرمين الشريفين، واليمن، والهند، وجاوه، ومصر، ولمن يريد تفصيل أنسابهم وتعيين محلاتهم فهي مذكورة في الكتب المؤلفة في تراجمهم كالمشرع، والغرر، والقرطاس، والجوهر، والعقد النبوي، وفيض الأسرار، وغير ذلك من كتب المناقب.

وسنذكر فيما يأتي موجز مختصر لتوزع العوائل العلوية في وادي حضرموت كما يلي:

---

(١) محمد بن عبد اللاه المحضار خواطر وأفكار وحكم وأسرار مكاتبات الحبيب مصطفى تريم للدراسات والنشر صفحة ٦٥.

(٢) بنات سبأ تأليف هاري سنت جون فيلبى (عبد الله فيلبى) الناشر مكتبة العبيكان الرياض صفحة ٣٥٣.



فأما آل العيدروس فهم في (تريم)، وثبي، والصومعه، والريضة، وتاربة، وتريم، وبور، والحزم، والشحر، وغير ذلك.

وأما آل شهاب ففي تريم، ودمون.

وأما آل العطاس ففي حريضة، والمشهد، وعمد، وعنق، والجدفرة، ونفحون، وسدبة، والصيف، وموشح، واللسك، والهجرين، وصبيخ، والخريبة، وبضة، والشحر، والمكلا، وحجر، وغير ذلك.

وأما آل الشيخ أبو بكر بن سالم فهم في عينات، ومشطة، وتاربة، وسيؤون، والغريب، وخمور، وعمد، وقارة المحضار، والجبيل، وحيان، ورخية، وبيحان، وغير ذالك.

وأما آل الحبشي ففي خلع راشد، وسيؤون، وتاربة، وخنفر، والرشيد، وغير ذلك.

وأما آل طه بن عمر، وآل علي بن عبد الله السقاف فهم في سيؤون. ووصف ابن عبيد الله آل السقاف بسيون في معجمه[١] فقال: وهم سلالة الحبيب طه بن عمر الثاني المترجم

---

(١) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف معجم بلاد حضرموت مكتبة الإرشاد صنعاء صفحة ٣٦٨.

له بالمشرع، والمتوفى بسيؤن سنة ١٠٦٣ هـ وخلفه ولده عمر، المتوفى بمكة سنة ١٠٨٥ هـ وقد توفي وسنه سبع وعشرون سنه. وخلفه ابنه محمد بن عمر بن طه بن عمر.

قال ابن عبيد الله: وقد رسخت أقدام هذا البيت بسيؤن غير أنهم لم يكونوا يزيدون على سبعة ومتى وجد لأحدهم ولد ذكر مات أحد السبعة حتى كانت أيام الجد سقاف بن محمد بن عمر بن طه المتوفى سنة ١١٩٥هـ والذي دعا الله أن يكثر ذريته فبدوا يتكاثرون حتى بلغوا الثلاثين رجلاً عند وفاته.

وهم بيت طيب مغرس علم، ومنبت صلاح، سيماهم التواضع وشأنهم الخمول، (حب عدم الظهور) يقضون حوائجهم بأنفسهم، ولا يتميزوا عن أحد من الناس إلا بالعلم إذا سئلوا، وقد حفظوا بوجودهم بسيؤن الطريقة العلوية بعد ما أصابها بعض الخلل كما يعرف من الفوائد السنية لسيدي أحمد بن حسن الحداد ومن العقود اللؤلؤية للعلامة السيد محمد بن حسين الحبشي وغيرها وبقوا على ما كان عليه أوائلهم من التلزم بالفقه، وترك البدع والرئاسات، لا يدخل مسجدهم طبل ولا يراع، وكانوا يتوسعون في الفقه، ويشاركون في التفسير والحديث، وليس عندهم من علوم العربية إلا القليل ولبعضهم أشعار لا تنتهي إلى إجادة، ولهم من الأعمال الصالحة وتحمل المشاق في مجاهدة النفوس بما يذكر عن السلف ما لا أستطيع تصديقه لو لم أره عياناً في والدي (انتهى النقل).

وأما آل الكاف ففي تريم، والهجرين، وعمد، والجبوب.

وأما آل البار ففي القرين، والخريبة، وتريم.

وأما آل الصافي ففي الرباط.

وأما آل الجفري ففي تريس، وجبرة، ودوعن، وغير ذلك.

وآل بيتي بكنينة.

وأما آل الحداد فهم في حاوي تريم، وقيدون، والقرين.

وآل سميط بتريم، وشبام، وتارية.

هذا وذكر الأستاذ محمد الشاطري[1] : «أن هناك تداخلاً بين الألقاب والأنساب عند بعض العلويين كالسيد عمر البار بن عبد الله المشهور ولكن جاء أبناؤه ثم أحفاده من بعده ويقال لهم آل البار وإنما هم من المشهور وإنما لقب جدهم بالبار تيمناً بعمر بن عبدالرحمن البار ليكون بار مثله بأبويه».

كما تتداخل الأنساب وتتشابه عندما يسمى الوالد ابنه باسم أحد مشايخه فيلقبون مثلا من اسمه عبد الرحمن بسقاف، ومن اسمه عمر بمحضار، ومن اسمه أبوبكر بعدني، ويلقبون الابن بحبشي على اسم الحبيب علي بن محمد الحبشي، أو يلقبون الابن بعطاس على اسم الحبيب أحمد بن حسن العطاس، وقد ذكرنا في ترجمة الحبيب أبو بكر العطاس بن عبد الله الحبشي (١٣٢٨-١٤١٦هـ) كيف أن لقب عطاس أنقذه من الوقوع في أيدي الشيوعيين الذين كانوا يبحثون عنه باسمه الرسمي في جواز السفر وهو أبو بكر بن عبد الله الحبشي والذي لا يعرفه أحد من العامة.

* * *

(١) محمد بن أحمد الشاطري المعجم اللطيف لقبائل وبطون السادة بني علوي صفحة ٥٥-٥٦.

الفصل الثاني عشر

نظام العلويين الاجتماعي بحضرموت

نقابة العلويين[١]



مسجد المحضار بتريم

---

(١) مختصرة من كتاب أدوار التاريخ الحضرمي للأستاذ محمد الشاطري.

لم يكن للعلويين في بداية أمرهم بحضرموت حاجة إلى نظام اجتماعي خاص بهم؛ وإنما كانوا يتفقون ضمنياً على وجيه أو وجهاء يكونون بمثابة المرجع الطبيعي لهم في نظام أشبه بعمداء العائلات. ولكن لما انتشر العلويون وتعددت قبائلهم شعروا بالحاجة إلى نظام يجمعهم ويساعدهم على حل مشاكلهم، والدفاع عن مصالحهم، فأوجدوا فيما بينهم نظام النقابة.

وكان نظام النقابة معروفاً بالمدينة المنورة وذكر ابن الأثير في أسد الغابة في معرفة الصحابة أن الرسول ﷺ كان يجعل نقيباً لكل قبيلة، وكان نقيب بني ساعدة سعد بن عباده، وكان أسعد بن زرارة نقيب قبيلته بني النجار، ولما مات رضي الله عنه جاء بنو النجار إلى النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله إن أسعد قد مات وكان نقيبنا فلو جعلت لنا نقيباً فقال ﷺ: «أنتم أخوالي وأنا نقيبكم» فكانت هذه فضيلة لبني النجار[١].

أما بالنسبة للعلويين بحضرموت فكان أول ظهور لهذا النظام في زمن الشيخ عمر المحضار الذي انتخب رئيساً عاماً لمجلس من العلويين يتكون من عشرة أعضاء منتخبين يمثل كل واحد منهم قبيلة أو فرقة مخصوصة من العلويين، ويتمتع كل واحد من هؤلاء العشرة بضمان من خمسة من وجهاء قومه كما ورد في نص الوثيقة المكتوبة بينهم في هذا الخصوص. ويقرر مجلس العشرة جميع ما يرون فيه المصلحة بمقتضى الشريعة الإسلامية ويحتكمون عند الاختلاف فيما بينهم إلى رأي النقيب وبعد أخذ القرار والمصادقة عليه يعتبر ملزماً للجميع.

ويفهم من ذلك أن أعضاء المجلس العشرة هم نواب ونقباء عن عوائلهم، والرئيس العام هو نقيب النقباء ويسمونه نقيب الأشراف، ويطيعه كل فرد منهم طاعة متناهية وإليه تنتهي جميع المشاكل والإدارة والإصلاح كما أنه رمز عصبيتهم ونفوذهم.

---

(١) ابن الأثير أسد الغابة في معرفة الصحابة دار المعرفة بيروت الجزء الأول صفحة ٨٤-٨٥.

أما معالجة المشكلات فتكون بالوسائل والطرق السلمية فإذا لم تنجح هذه الوسائل عمدوا إلى سلاح المقاطعة فيمتنع النقيب عن مصافحة كل مخالف ويتبعه في ذلك بقية العلويين إلى أن يعود هذا المخالف إلى رشده صوابه.

وكل ما ذكرناه عن هذا النظام مستمد من الوثيقة التي كتبت بين العلويين في زمن المحضار وعليها توقيع سلطان تريم والتزامه ضم بتنفيذ مقتضاها وتواقيع النقباء والضمناء التي لا تقل عن الخمسين، ومن الأسف أن نسخة هذه الوثيقة بلا تاريخ كما أنه لا يعرف تسلسل النقباء بعد الشيخ عمر المحضار إلا أنه يفهم من كتب التراجم العلوية مثل المشرع الروي وغيره أنه لما توفي الشيخ عمر المحضار رشح العلويين السيد محمد بن حسن بن أسد الله الملقب جمل الليل للنقابة، ولكنه اعتذر عن نفسه ورشح العيدروس الأكبر، وكان في عنفوان شبابه فقبلها بعد تمنع ثم تولاها بعده السيد أحمد بن علوي باجحدب المتوفى سنة ٩٧٣هـ ثم السيد عبد الله بن شيخ بن عبد الله بن أبي بكر العيدروس المتوفى سنة ١٠١٩هـ ثم ابنه زين العابدين المتوفى سنة ١٠٤١هـ.

وتوقف الحديث عن النقابة بعد هذا التاريخ إلا أن العلويون بعد ذلك قد يعترفون بالزعامة الضمنية لأحدهم لعلمه وفضله وجاهه دون نظام ملزم، أو وثيقة مكتوبة، كما هو في نظام النقابة الذي شرحناه سابقاً. غير أن نظام النقابة استبدل فيما بعد بنظام المناصب المعروف المنتشر في كثير من القرى والأودية بحضرموت إلا أن وظيفة المنصب تختلف عن وظيفة النقيب إذ أنه لا يختص بالعلويين وحدهم بل إن من صميم عمل المنصب الإصلاح بين القبائل المسلحة، ونشر العلم، واستقبال الضيوف، والدعوة إلى الله، وسنتحدث عن المناصب في فصل آخر من هذا الكتاب.

وبرغم انقراض نظام النقابة العلوية إلا أن العلويين شعروا في بداية القرن الثالث عشر بالحاجة لنقيب فرشحوا لهذا المنصب الحبيب محمد بن طاهر الحداد المتوفى سنة ١٣١٦هـ والذي برز على أقرانه العلويين في العلم، والوجاهة، والكرم، فاتفقوا على ترشيحه، وكتبوا

على أنفسهم وثيقة بذلك غير أن ذلك لقي معارضه شديدة من ثلاثة من الشخصيات العلوية القوية منهم الحبيب حسين بن حامد المحضار وزير الدولة القعيطية وبذلك فشلت جهود العلويين لإحياء نظام النقابة الذي يجمع كلمتهم ويوحد جهودهم ويدافع عن حقوقهم.

قال ابن عبيد الله[١] وفي حدود سنة ١٣١١ أمضى أكثر أعيان العلويين على وثيقة للسيد الجليل محمد بن طاهر الحداد المتوفى سنة ١٣١٦ الموجود بالتقل من أرض جاوا، ولم يدع له أحد بإمارة وإنما كانت نقابة فقط. وقد كان الحبيب محمد هذا بحراً من الجود، وجبلاً من المجد، حتى لقد انتهى به علو المجد وكبر الهمة إلى أنه كان يحاول كفاية العلويين بحضرموت من أقصاها إلى أدناها، وسار من أجل ذلك إلى حيدر أباد الدكن، وأجله أمراؤها، وأسلم على يده بشر كثير، إلا أنه أعان حساده من العلويين على نفسه بإتباع آراء عقيمة من بعض أصحابه فانتهى أمره بالهند إلى الفشل بعد أن أشرف على النجاح الباهر.

قال ابن عبيد الله: ومن مكارم الحبيب محمد بن طاهر ما ذكره السيد حسين بن حامد العطاس قال: قبضت له خمسة آلاف روبية هندية فمازال يحيل عليها حتى نفدت في مكارم الأخلاق في أربعة أيام.

ولقد كان يعطي من لا يخش الفقر ومن ذلك أن قصده شخص لا يؤبه به من فقراء العلويين في وجه عيد يؤمل ريال أو ريالين فدفع له كلما ما وجده عنده من النقد في ذلك اليوم وكان ستين ريالاً فوجم السيد وكاد يموت من الفرح[٢].

قال ابن عبيد الله: وأما الذين فتلوا في الذرى والغوارب لفشله في الهند فثلاثة أحدهما شيخنا الفاضل العظيم المقدار عيدروس بن حسين العيدروس والثاني هو السيد حسين بن حامد المحضار والثالث هو السيد حسين بن عمر بن هادون العطاس وقد جرت للأخير

---

(١) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثاني -٢ صفحة ٩.

(٢) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثاني -٢ صفحة ١٠.

قصة حاصلها أنه اجتمع له من الهند مال يقدر بسبعين ألف روبية هندية فدفعها لصاحب له من الهنود ليصرفها له ريالات فاختلسها الهندي بأسرها ولم يقف له الحبيب حسين بن عمر على أثر فتعب لذلك تعباً شديداً أثر في صحته، ولم تطل بعدها أيامه بعد وصوله إلى حضرموت.

ومن الغريب أن الأستاذ صلاح البكري لما ذكر الحبيب محمد طاهر الحداد في تاريخه علق على ذلك بأنه قد أخذ تفويضاً من العلويين بتأسيس ملكهم، ويكفي ما ذكرناه من حقائق التاريخ لتفنيد هذا الرأي خصوصاً والذي أفشل مهمة الحبيب محمد بن طاهر هم أفراد من العلويين أنفسهم. ولا أعتقد أن ما قام به الحبيب محمد بن طاهر الحداد يزيد عن محاولة ترتيب وقف مالي بشكل منظم ومستمر بالهند واندونيسيا ينتشل العلويين بحضرموت من فقرهم ويغنيهم عن السؤال ويفرغهم لنشر العلم والدعوة إلى الله.

وقد كان للسادة العلويون بالحجاز وكثير من الولايات العثمانية وضع اجتماعي خاص فيما يسمى مشيخة السادة قال عنه العلامة ابن عبيد الله إنه كان أشبه بدولة داخل الدولة فقد كانوا لا يتحاكمون إلا إلى منصب السادة، ولكن العلويون لم يضنوا على بقية إخوانهم الحضارمة بهذه الامتيازات بل أشركوهم فيها، وقد استمرت هذه الامتيازات من أول فرمان صدر بها سنة ١٢٣٧هـ أيام السلطان العثماني عبد المجيد حتى دخول الملك عبد العزيز إلى الحجاز والذي وافق على استمرار هذه الامتيازات.

إلا أن رياح الفتنة الإرشادية قد هبت من نواحي الجزر الاندونيسية ووصلت إلى الحجاز ولم يعد الحضارمة يكنون للسادة العلويون الاحترام السابق بل اخذوا ينافسونهم في تولي المشيخة مما أدى إلى الفشل وضياع الامتيازات.

وكتب عبد القدوس الأنصاري في موسوعة تاريخ جدة صفحة ٢٣١ نقلاً عن مذكرات محمد صالح باعشن الخطية ما يلي:

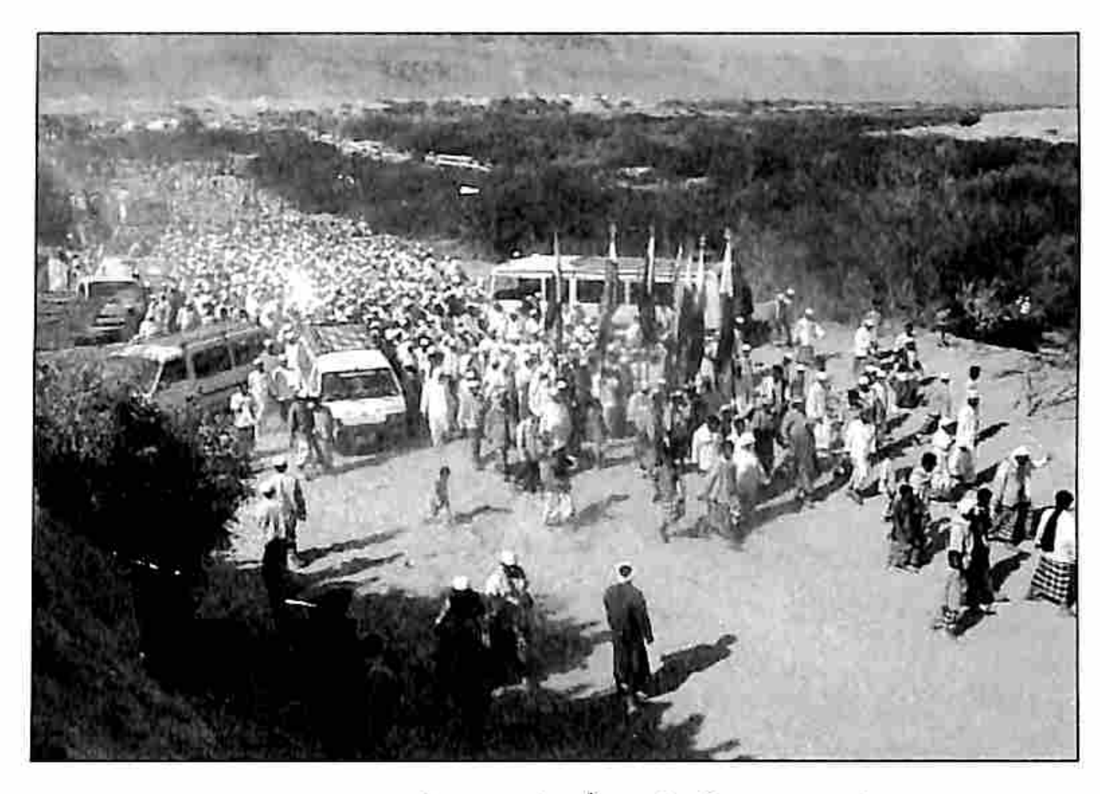
«ولجدة نظمها وتقاليدها الاجتماعية المتواضع عليها بين أبنائها خلال الزمن، ويبدوا من مذكرات المرحوم محمد صالح بن علي باعشن أن كثيراً من تجارات جدة كانت بيد الحضارمة وأن لهم تقاليدهم الموروثة في جدة، وكان لهم شأن يذكر في مجتمع جدة باعتبار أنهم من رجالاته وكانت الدولة العثمانية تعتبر لهم مكانتهم الاجتماعية.

وكانت لهم امتيازات عن السكان الآخرين في مكة والمدينة وملحقات الحجاز فكانت جميع دعاواهم وتركاتهم وبيع دورهم ومشتراها عند شيخ السادة، ولا يتعرضهم وال ولا قاض وكان هذا الامتياز ماشياً بينهم ابتداء من أول فرمان سلطاني عام ١٢٣٧هـ إلى مدة الملك حسين ابن علي سنة ١٣٤٢ هـ ويضيف صاحب المذكرات إلى ذلك ما نصه: بعد زوال الملك حسين بدخول الملك عبدالعزيز طلب الحضارمة تأييد امتيازهم فأعطاهم جلالته ما طلبوه. ولكنهم اختلفوا مع بعضهم في أمر المشيخة فكانت اجتماعاتهم في دارنا وكثر بينهم القيل والقال ولم يتم بينهم أمر وتركت الامتيازات من وقتها وتغير في الحضارمة كل شيء فسبحان الذي يغير ولا يتغير». انتهى النقل.

❊ ❊ ❊

الفصل الثالث عشر

المنصبة والمناصب



قدوم منصب آل الشيخ أبو بكر بن سالم إلى شعب هود

عرّف الأستاذ الشاطري[1] المنصبَ: بأنه المرجعُ في حل المعضلات والمشاكل الاجتماعية. والمناصب موجودون في معظم مدن وقرى حضرموت، ولهم ثلاثة مهمات اجتماعية هامة.

أولها: الإصلاح بين القبائل المتحاربة، وقد يضطر المنصب للدخول بطبوله وبيارقه بين المتحاربين لإيقاف القتال، معرضاً حياته للخطر إلا أن رجال القبائل يحترمون وجود المنصب، ويتوقفون عن القتال عند وصوله، ويقبلون رأيه، ولا يعصون أمره؛ فيتولى المنصب حل النزاع بالطرق السلمية. وإذا نهبت القبائل أموال المساكين يقوم المنصب باستخدام نفوذه لدى القبائل لإعادة الأموال المنهوبة لأصحابها.

لهذا فان وجود السادة والمناصب مهم لحفظ الأمن، وإطفاء نار الفتن؛ ولذا رأينا أن كثيراً من القبائل تحرص على وجود المناصب بينها كما فعل آل باجري حين عملوا إلى إحضار السادة آل العيدروس ليكونوا مناصبهم في بلدتهم بور.

ومن وظائف المنصب الهامة: استقبال الضيوف، وإطعامهم؛ فيصير بيت المنصب فندق مجاني مفتوح لكل قادم في أي ساعة من ساعات اليوم والليلة سواءً كان الضيف متمدناً أو بدوياً أو كان عالماً أو جاهلاً فيستقبلهم المنصب بكل حفاوة وترحيب، ويقدم لهم ما يستطيع من الخدمة، ويذبح لهم الأغنام، ويطبخ لهم الطعام، ويمهد لهم الفراش، وقد يكون المنصب فقيراً فيستدين لإطعام، ضيوفه، والقيام بواجبه وهو بذلك فرح مسرور، ولا يرد المنصب من يرد إليه بتاتاً. وذكر الأستاذ الشاطري بأنه قد تكون لمقام المنصبة أوقاف، ووصايا، ونذور، وهبات، ولكنها لا تكفي غالباً لمهمات المنصبة كما أن قرى الضيف، وإطعام الطعام لا يقتصر على المناصب وحدهم بل هي عادة متأصلة في كثير من العلويين المتقدمين والمتأخرين وقد بحثنا هذا الموضوع في فصل مستقل بهذا الكتاب.

---

(١) محمد بن أحمد الشاطري أدوار التاريخ الحضرمي الناشر عالم المعرفة صفحة ٢٨٧.

وإلى جانب ما ذكرناه سابقاً من وظيفة المنصب الاجتماعية فان المناصب شأنهم شأن بقية العلويين يقومون بنشر المبادئ الإسلامية في بلدتهم وما يحيط بها من الحواضر والبوادي سواءً قام المنصب بذلك بنفسه أو أناب عنه أحداً من تلاميذه، وربما قام المنصب بفتح معهد علمي كما رأينا في رباط عينات الذي أقامه المناصبُ آلُ الشيخ أبي بكر بن سالم.

ومع ذلك فإن كبار العلويين قد لا يرضون أحياناً على بعض تصرفات المناصب وينتقدون جهل المتأخرين منهم بأمور الدين، وإذا تأكدوا من جهلهم أرسلوا لهم المعلمين والمرشدين لهم كما رأينا في قصة الحبيب عبدالله بن يحيى وإرساله ابنه أولاً ثم تكليفه زعيم وادي الأحقاف محسن علوي السقاف للقيام بإرشاد المناصب بجهة عينات.

و ذكر الأستاذ الشاطري: أن الإمام عبدالله الحداد كان ينتقد المناصب الجهلة ويقول أنهم اتكلوا على وجاهة آبائهم بدون أن يتزودوا من العلم والاستقامة كما تزود آباؤهم.

هذا ويتوارث الأبناء وظيفة المنصبة عن آبائهم أو قد تتفق الأسرة على تعيين أحد أفرادها للمنصبة، ومن النادر أن تتولى المنصبة امرأة، وذكر الجد ابن عبيدالله أن امرأة تتولى وظيفة المنصبة في منطقة ميفعة، بحضرموت وهي أرض واسعة فيها قرى، وآبار كثيرة، وعاصمتها قرية تسمى (اصبعون).

ثم قال: «وعلى منصبتها اليوم شريفة منهم يقال لها (سيدة) تبرز للرجال وتحادثهم، ولها جاه واسع لدى آل باقطمي وغيرهم وهي تكرم الضيفان»[١]. وقد لا نستغرب تولي امرأة لهذا المنصب الكبير إذا رأينا أن الفقيه المقدم جد العلويين وأكبر شخصياتهم يختار لخلافته زوجته الشريفة زينب أم الفقراء، ويترك أبناءه الذكور الخمسة، وأكبرهم علوي الذي يكني به وكان المفروض أن يخلفه ابنه علوي لكفاءته وسنه ولكن الفقيه رشح من بين كل هؤلاء زوجته زينب لتكون خليفته من بعده لقوة شخصيتها وكفاءتها يساعدها

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مكتبة الإرشاد صفحة ٣٥-٣٦.

على ذلك ابنها الأكبر علوي، وكان الفقيه يعرف زوجته حق المعرفة ويعرف صلاحها وعبادتها وكفاءتها فقامت بعد وفاته بتوجيه المريدين وتوجيه أبناءها ليصلوا لدرجة أبيهم في العلوم[١].

قال الأستاذ الشاطري: وقد تأسست هذه المناصب في القرن العاشر الهجري، وأول من عرف من المناصب العلامة الكبير أحمد بن حسين العيدروس، وابنه عبدالله المتوفيان بتريم، والشيخ أبوبكر بن سالم صاحب عينات، ومن المناصب من غير السادة الذين ظهروا في القرن العاشر الشيخ أحمد بن محمد العمودي بدوعن كما أن هناك أسر أخرى شهيرة من المشايخ كانت لها وجاهة عظيمة لدى القبائل مثل المشايخ آل باوزير وآل باعباد (انتهى باختصار)[٢]. ونقل ابن عبيدالله نقلاً عن مجموع الجد طه بن عمر الصافي أن أكبر المناصب بحضرموت منصب آل باحميد ومنصب آل باعباد[٣].

قال الأستاذ الشاطري[٤] وقد يختط أحد المناصب أو أحد الصالحين مكاناً ويعلن أنه أصبح حرماً آمناً على الدوام لا يمكن فيه قتل ولا قتال، ولا نهب ولا ظلم من القبائل ولا السلاطين، فيستجيبون ويتعهدون بذلك، ومن دخلها صار آمناً؛ ولهذا سميت كثير من مدن وقرى حضرموت باسم الحوطة مجردة من الإضافة إلى صاحبها كحوطة الحبيب أحمد بن زين، وحوطة سلطانة، وصاحبتها الشيخة سلطانة بنت علي الزبيدي، فاذا خاف أحد من الناس من الظلم أو وقع تحت تهديد الظلمة نزح إلى إحدى تلك الحُوَط فيجد الأمن والحماية.

قال ابن عبيد الله: «وأكثر المناصب العلوية يرجع تاريخها إلى القرنين الحادي عشر

---

(١) محمد بن أحمد الشاطري أدوار التاريخ الحضرمي الناشر عالم المعرفة صفحة ٣٠٧.

(٢) محمد بن أحمد الشاطري أوار التاريخ الحضرمي الناشر عالم المعرفة صفحة ٢٨٩ - ٢٩٠.

(٣) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف معجم بلدان حضرموت الناشر مكتبة الإرشاد صنعاء صفحة ٣٥٨.

(٤) محمد بن أحمد الشاطري أدوار التاريخ الحضرمي الناشر عالم المعرفة صفحة ٢٩١-٢٩٢.

والثاني عشر كمناصب آل العطاس، وآل العيدروس، وآل الشيخ أبي بكر بن سالم، وآل الحبشي، وآل الحداد، وآل الجفري، وآل علوي بن علي، وآل الشاطري، وآل أبونمي، وغيرها وهم يتوارثون المناصب أباً عن جد».

وذكر ابن عبيدالله: منصب المشهد الحبيب علي بن حسن العطاس المتوفى سنة ١١٧٢هـ فقال ولم يزل أولاده يتوارثون منصبه على البر والتقوى، وإكرام الضيف، وإعانة المنكوب وتأمين الخائف والإصلاح بين الناس والحجز بين المتحاربين[١].

قال ابن عبيد الله: «والعمل الذي يشغله المنصب عظيم النفع للدين والإنسانية فيقوم المناصب كما ذكرنا بالإصلاح بين القبائل (حملة السلاح)، وقري الضيف، ومساعدة الضعيف، وإرشاد الجاهل، وكإعانة المحتاج، ولا تزال تلك المراكز إلى اليوم تؤدي واجبها الذي أسست لأجله، ولا يزال القائمون بها يضحون بأحوالهم وأموالهم في ذلك إلا أن كل طبقة في الغالب دون الطبقة التي قبلها في الكفاءة والاستعداد مما أدى إلى ضعف تلك المراكز تدريجياً؛ وذلك لإهمال التعليم الصحيح والتربية العلوية الأصلية».

وقال ابن عبيدالله:

«**ومن المناصب المهمة**: منصب العيدروس ببلدة بور، وذكر أن ولاية بلدة بور كانت لآل باجمال، ثم انتزعها منهم آل بانجار، ثم هجم آل كثير على بور سنة ٧٢٣هـ واستولوا عليها وكانت بور قاعدة ملك آل كثير برهة من الزمن.

ولما ضعف أمر آل كثير ببور واشتدت فيها الفوضوية سعى آل بور وآل باجري في استقدام الحبيب أحمد بن علوي العيدروس وأقاموه منصباً على بور، وكان تربى فيها لأن أمه من آل باعبود، ثم أخذه أبوه وهو صغير إلى تريم للتعليم فتعبت أمه لفراقه، وكان أهل بور محتاجين إلى والٍ يجتمعون عليه فاستقدموه وأقاموه على المنصبة بها إلى أن مات

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مكتبة الإرشاد صفحة ٢١٢.

سنة ١١٠٤هـ، وخلفه ابنه علوي ثم ابنه عبدالله بن علوي المتوفى ببور سنة ١١٤٥هـ وكان فاضلاً، جليل القدر. له اتصال أكيد بالقطب الحداد، ثم خلفه ابنه علوي ثم ولده سالم ثم ولده علوي بن سالم ثم سالم بن علوي وكان عالماً فاضلاً له كلام كثير في التصوف توفي ببور سنة ١٢٨٠هـ.

وتولى المنصبة بعد الحبيب سالم بن علوي ولده: عبدالقادر وكان شهماً، شجاعاً، ذا وجاهة تامة، له يد في الإصلاح، وكم سلمت نفوس بحجزه بين المتحاربين لأنهم متى رأوا علمه يرف كفوا عن القتال مهما يكن من حردهم وغيظهم، وكان من أجهر الناس صوتاً حتى أنه لينادي بصليله فيسمعه من كان بحوطة سلطانه وبينهما نحو من أربعة أميال توفي السيد عبد القادر بن سالم ببور سنة ١٣٢٠هـ[١]. ثم خلفه ولده خواض الغمرات ووقاد الجمرات وحامي الحقائق الفاضل المتواضع عيدروس بن عبدالقادر كان رجلاً بطلاً، طوالاً شديد الأسر، له أخبار كثيرة في النجدة والشهامة[٢].

ولما مات سنة ١٣٤٤هـ خلفه على المنصبة أخيه العلامة الجليل علي بن عبدالقادر بن سالم العيدروس. كان عالماً، فاضلاً، طلب العلم بمكة المكرمة على كثير من مراجيحها، وله تخصص في علم الأصول، ومشاركة قويه في غيره، وعنه أخذت علم الجبر والمقابلة وعلم العروض والقوافي غير أنه لم يبق في ذهني شيء من هذه العلوم إلا النزر من القوافي، وله عناية بغرس النخيل وغرس منه الشيء الكثير فنمت وأتت كلها ودر عليه من أثمارها خير كثير توفي ببور سنة ١٣٦٣هـ[٣] وخلفه ولده عبدالقادر فتح بابه لوجهاء الضيفان ولكن قلت مهمات المنصب لضغط الحكومة عليه ومضايقته[٤] (انتهى النقل).

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلدان حضرموت مكتبة الإرشاد بصنعاء صفحة ٤١٨.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلدان حضرموت مكتبة الإرشاد بصنعاء صفحة ٤١٨.

(٣) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلدان حضرموت مكتبة الإرشاد بصنعاء صفحة ٤١٩.

(٤) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلدان حضرموت مكتبة الإرشاد بصنعاء صفحة ٤١٩.

قال ابن عبيدالله:

«ومن المناصب المهمة بحضرموت: منصب آل أحمد بن زين الحبشي قال ابن عبيدالله: كان الحبيب أحمد بن زين داعياً إلى الله، وجبلاً من جبال العلم، وركناً من أركان الإسلام، توفي فجأة بالحوطة سنة ١١٤٤هـ.

وخلفه على المنصبة ابنه جعفر بن أحمد وله مظهر عظيم إلا أنه من أهل الأحوال التي ينكرها الفقهاء بحق، ولما توفي خلفه على المنصبة ابنه العلامة الجليل أحمد بن جعفر، ثم لما مات الإمام أحمد بن جعفر خلفه ابنه محمد بن أحمد وكان فقيهاً، نبيهاً على القيام بالمنصبة ثم تنازل عنها لأخوه صالح وتوفي سنة ١٢٥٣هـ.

قال ابن عبيدالله: وكان السيد أحمد بن جعفر بن أحمد بن زين الحبشي من العلماء المحققين، وكان على رأي ابن تيميه في جعل الثلاث طلقات باللفظ الواحد واحدة، كما كان يقوم من مجالس أصحابه ومدارسهم إذا سمع بما لا يوافق مشارب الوهأبية، ثم ينكر على أصحابه أحياناً بلسانه ولكنه لم يصبر عليهم حين أنشدوا الأذكار في المسجد على نغمات الدفوف فنهض لتكسيرها فلبجوه لبجاً شديداً ذهب منه مغاضباً إلى (خشامر) عند آل الشيخ علي جابر الوهابيين.

توفي الحبيب عبدالله بن محمد بن أحمد سنة ١٣١٤هـ وخلفه على المنصبة السيد صالح بن أبي بكر بن محمد الحبشي وكان شهما، شجاعا، إلا أنها لم تطل مدته كثيراً بل توفي في حدود سنة ١٣١٨هـ.

وبعد وفاة السيد صالح خلفه السيد سالم بن محمد الحبشي وكان فاضلاً مضيافاً إلا أنه كان لين العريكة وفي أصحابه شراسة فتهضموه وبقي على المنصبة حتى توفي سنة ١٣٣٤هـ فخلفه السيد عبدالرحمن بن حسن بن شيخ حتى توفي سنة ١٣٣٦هـ فوقع الاختيار على السيد عمر بن عبدالله بن محمد الحبشي وكان فكهاً، أديباً، له نوادر وولع كثير بالأغاني والأوتار، وله تهجد واتصال بالسادة الأخيار.

وكانت وفاة السيد عمر بن عبدالله سنة ١٣٦١هـ وخلفه السيد علي بن عبدالرحمن الحبشي وهو رجل لطيف شديد التواضع وكانت منصبتهم لاسيما في أيام السيد محمد بن أحمد وولده عبدالله عبارة عن دولة قاهرة وسلطان نافذ إلا أنها لم تخل من شيء من الاستطالة أما الآن فقد تلاشى نفوذها بما كان من تداخل الأجانب بحضرموت (انتهى باختصار بسيط)[١].

ومن المناصب المهمة: منصبُ آل الشيخ أبي بكر بن سالم بعينات ترجم له تاريخ الشعراء فقال بأنه مولود بتريم سنة ٩١٩هـ ولما شب واتسعت مداركه اتخذ قرية عينات دار هجرة رغبة في العزلة عن الناس والتفرغ للعبادة إلا أن صيته انتشر في البلاد بعد سنوات معدودة وقد اشتهر بلقب الشيخ إلى اليوم لما كان له من المكانة العظيمة في زمنه.

قال ابن عبيد الله: ولما توفي الشيخ أبي بكر بن سالم خلفه ابنه السيد عمر المحضار المتوفى بعينات سنة ٩٩٧هـ. ثم إن السيد عمر المحضار هذا عزم على حمل السلاح لصد عوادي الظلمة فلم يوافقه إخوانه.

فتنازل عن المنصبة لأخيه الحسين الذي حصل عليه أذى من آل كثير؛ فسار إلى مكة وأقام بها سبع سنين، فقدم عليه رؤساء يافع إلى مكة فتحالفوا معه أن يأخذوا بيده إن نصرهم الله على الزيدية المتولين أمور حضرموت في ذلك الوقت وتوفي بعينات سنة ١٠٤٤هـ فخلفه ابنه أحمد فقام بمقام أبيه أحسن قيام إلى أن توفي، فخلفه ابنه سالم واتسع جاهه، وكثرت في أيامه الخيرات، وأكثرها من أرض الظاهر وجبل يافع، ولهذا لما استولت الزيدية على يافع انقطع عنه المدد ولما انتهى إلى المنصب عزم الزيدية على غزو حضرموت، ارتحل إلى الحجاز فحج ثم استقر بالغيظة، ولكن ابنه علي بن سالم عاد مع والدته إلى عينات فتنازل له والده عن ولاية عينات، وأباح له أمواله بحضرموت، وكان يرسل له فوقها من الغيظة بما يكفيه للقيام بواجبات المنصبة، توفي الحبيب سالم بن أحمد بالغيظة سنة ١٠٧٧هـ.

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مكتبة الإرشاد صنعاء صفحة ٣٠٣-٣٠٧.

وبأثر وفاته استدعى ابنه علي كافة إخوته وقال لهم: إنني لا اقدر على القيام بأعباء المنصبة إلا بأموال والدي، وقد صارت إرثاً لكم فخذوها وأقيموا من تحبون في المنصبة. فقالوا له: قد أبحناها لك كما أباحها أبونا لك، ولا تزدنا عما كنت تنفقه علينا في أيامه. إلا أن يافع استعادت في أيامه الظاهر وجبل يافع فدرت الأموال عليه فقال لإخوته: اقتسموا ما تركه لكم أبوكم فقد أغنانا الله تعالى، وأبقى ما كان يجريه عليهم، وتوفي سنة ١٠٩٦هـ وكانت إقامته على المنصبة ١٨ عاماً[١].

وقد استرسل ابن عبيدالله في هذا الباب ويمكن لمن يحب الاستزادة مراجعة فصل عينات بمعجم بلاد حضرموت[٢].

ومن المناصب الأخرى بحضرموت: منصب العطاس بالمشهد وهي قرية صغيرة تبعد شمالاً عن الهجرين بمسافة ساعتين، وكان موضعاً يسمى الغيوار يكمن به اللصوص فيقطعون السبيل، ويخيفون السابلة، ويأتون فيه بالمنكر، وكان الحبيب علي بن حسن العطاس يتنقل في البلدان لنشر الدعوة إلى الله فاختط في ذلك المكان داراً وبنا مسجداً ورغب الناس في البناء بجواره فعم الأمان وبنيت الديار حول المسجد.



وكان الحبيب علي بن حسن العطاس صدراً من صدور الرجال، وله مؤلفات كثيرة منها القرطاس، وسفينة البضائع، وله ديوان شعر، توفي بالمشهد سنة ١١٧٢هـ ولم يزل أولاده يتوارثون منصبه على البر والتقوى، وإكرام الضيف، وإعانة المنكوب، وتأمين الخائف والإصلاح بين الناس، والتأمين بين المتحاربين، والقائم بمنصبهم الآن (١٣٦٦هـ) هو أخونا الفضل المنصب أحمد بن حسين بن عمر العطاس سخي الكف، سليم الصدر، خفيف الروح، قليل الغضب، لا يشينه عبوس، ولا يبطره غنى، ولا يذله بؤس. ولقد أخبرني أن السلطان

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مكتبة الإرشاد صنعاء صفحة ٥٥٤-٥٥٨.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مكتبة الإرشاد صنعاء صفحة ٥٥٥-٥٦٤.

صالح بن غالب القعيطي أراده على حلق لحيته أيام كان معه بمصر لأن أهل مصر لا يحبون اللحاء وبذل له مئة جنيه مصري فامتنع إلا أنه ندم بعد ذلك[1].

هذا؛ ولا زال المناصب موجودين بحضرموت إلى اليوم، إلا أنه لم يعد للمنصبة ما كانت عليه من أهمية هيبة.

* * *

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مكتبة الإرشاد صنعاء صفحة ٢١٠-٢١٢.

الفصل الرابع عشر

الشيخ والسيد والحبيب



ذكر ابن عبيدالله في مخطوطة بضائع التابوت أن كبار العلويون لم يكن يطلق عليهم إلا لقب الشيخ ولعل أشهر من لصق به هذا اللقب الشيخ أبوبكر بن سالم صاحب عينات المتوفى سنة ٩٩٢هـ والذي لا يزال لقب الشيخ يلازمه إلى اليوم، وقال صاحب تاريخ الشعراء إن سبب لقب الشيخ عظم حاله وكبر مكانته في المجتمع[١].

كما ذكر الأستاذ الشاطري[٢] أن أعلام القبائل العلوية لم تستعمل الألقاب والكنى إلا بعد تكاثرها وتناسلها لأنهم لما كتبوا الأسماء في وثيقة نقابتهم في زمن الإمام المحضار المتوفى سنة ٨٢٣هـ ذكروها مجردة من اللقب.

وقال الأستاذ الشاطري وحين نتصفح البرقة المشيقة في إلباس الخرقة الأنيقة للشيخ علي بن أبي بكر السكران المتوفى سنة ٨٩٥هـ فإنه لا يذكر السقاف، ولا السكران، ولا المحضار، ولا العيدروس، إلا بأسمائهم مجردة عن ألقابهم، نعم قد يخطر بالبال بالنسبة للشيخ علي أنه إنما أعرض عن ذكر ألقاب هؤلاء لأنها ألفاظ صوفية وليس لها منزع فقهي وهو كما يروون عنه متشدد في فقهه محافظ على تطبيقه حتى إنه بدافع من هذا التشدد أوقف حضرة جده السقاف لما تشتمل عليه من ضرب بالطيران والدفوف ونفخ في اليراع مثله في ذلك مثل الشيخ إسماعيل بن المقري حين يقول في انتقاده على ما يجريه الصوفية من السماع المشتمل على الضرب بالطيران في المساجد:

أضحت مساجدنا للهو واللعب   برغم سنة خير العجم والعرب

(انتهى).

قال ابن عبيدالله: وقد حصل للفظ الشيخ من الابتذال على ما كان لها من فضل ما لا يخفى على أحد، وكان لبعض العلويين فيه غرض وسعي حثيث، مع أنه لقب آبائهم

---

(١) عبدالله بن محمد السقاف تاريخ الشعراء الحضرميين الجزء الأول صفحة ١٦٧-١٦٩.

(٢) محمد بن أحمد الشاطري المعجم اللطيف لقبائل وبطون السادة بني علوي.

الكرام وقت كان يدعى آل باعباد وآل باقشير بالسادة ولكن الدنيا دار قصاص والجزاء من جنس العمل فأصيب لفظ السيد بما أصيب به أخوه لقب الشيخ.

ولم ترد في أدبيات العلويين في أدوارهم الأولى لفظة السيد إلا في القليل النادر، ولعل أكثرها ما ورد في وصف العلويين لشيوخهم في العلم من غير العلويين فقد مدح السيد عبدالرحمن بن علي السقاف (٨٥٠-٩٢٣هـ) شيخه العلامة عبدالله بن عبدالرحمن بلحاج بافضل المتوفى بالشحر سنة ٩١٨هـ بقصيده يقول فيها[١]:

أقول بحمد الله في مدح من له … علوم وأسرار ونور بصيرة

إمامي وأستاذي وشيخي … حبيبي ومحبوبي وذخري وعمدتي

كما مدح شيخه العلامة سالم بافضل بأبيات يقول فيها[٢]:

والشيخ سالم سيدي … محيي السنن والواجبات

ما ضل به من يقتدي … مبدي العلوم الدارسات

وتكلم ابن عبيدالله في بضائع التابوت عن التسييد في المخاطبة فقال[٣]: وقد اضطربوا في حد السيادة فقيل إن السيد هو الرئيس، وقيل إنه هو الذي فات غيره في العقل والمال والدفع والنفع، وقيل هو الذي لا يغلبه غضبه، وقيل هو الذي يعين بنفسه ويعطي ماله في الحقوق، وقيل إنه العابد الورع، وقيل إنه الذي يصطنع العشيرة ويتحمل الجريرة، وقيل إنه هو الذي يتحمل المكارة ويبتني المكارم، وقيل هو الذي إذا حضر هابوه، وإذا غاب عابوه، وقيل إنه هو الذي له دين يحجزه، وعقل يرشده، وحسب يصونه، وحياء يمنعه (انتهى).

---

(١) عبدالله بن محمد بن حامد السقاف تاريخ الشعراء الحضرميين صفحة ١٠٣ الجزء الأول.

(٢) عمر بن علوي الكاف تحفة الأحباب دار الحاوي صفحة ٢٠٥.

(٣) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثالث صفحة ١٩٥.

وقال ابن عبيد الله في الجزء الأول من بضائع التابوت: إن الإرشاديين بجاوة تقدموا للحكومة الهولندية بجاوة طالبين إباحة اسم السيد لمن يريد دون اختصاصه بالعلويين فأجابتهم لطلبهم.

وقال ابن عبيد الله في الجزء الثالث من بضائع التابوت[1]: وقامت حول لقب السيد ضجة بجاوة بين أهل الرابطة العلوية والإرشاديين لا محل لها من الإعراب إلا ما قلناه قبل من تصيد أموال المغفلين التي جعلوا من دونها أقفال الحديد فلم تخرج إلا بتلك المشاغبات الممقوتة، وقد بذلوا كميه من تلك الأموال لتأكيد الافتراق وتوطيد الاختلاف وترافعوا إلى الحكومة المحلية فقضت فيما سمعت بإباحة استعمال ذلك اللفظ لمن شاء.

قال ابن عبيدالله: وعندي أن كل من الفريقين مخطئ أما خطأ الإرشاديين فلقد تعارف الناس واشتهر بينهم إطلاق لقب السيد على العلويين حتى أنه لو أوصى أحد بوصية أو أوقف وقفاً للسادة لم يدفع لغير العلويين ومن لفهم كما هو مصرح به في التحفة التي هي قبلة الاعتماد عند الحضارم بأجمعهم، وأما خطأ أهل الرابطة فلجهلهم أن كبار العلويين السابقين لم يعترضوا في إطلاق لقب السيد على غير العلويين وتؤكد ذلك كتب المناقب لآل باعباد وآل باجمال وغيرهم وفيها إطلاق السيد على كثير من غير العلويين والأشراف وهي متداولة بالقبول بين عظماء العلويين، ومن أظهرها مفتاح السعادة والخير في مناقب السادة آل باقشير للعلامة الحجة صاحب القلائد؛ فإذن لا منشأ لذلك الاختلاف سوى الجهل والتعصب وما أدري هل ذكر أحد الفريقين شيئاً مما ذكرناه عن صاحب القلائد وأمثاله في تخاصمهم أم أعماهم تعصبهم عن ذلك، وقد جاء في الحديث (كل بني آدم سيد) فالرجل سيد أهل بيته، والمرأة سيدة أهل بيتها، فهو مثل قوله ﷺ : «كلكم راعٍ، وكلكم مسئول عن رعيته» إلى آخره سواءً بسواء.

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثالث صفحة ١٩٥-١٩٦.

وذكر ابن عبيدالله محاولاته المتكررة للصلح بين الإرشاديين والعلويين، وتذكيرهم ونصحهم لهم، ولكن ذلك لم يأت بفائدة فقال: ولكن من يجيب النداء من أولئك المنكرين، ومن يسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين.

وإذا ضلت العقول على علم فماذا تقوله النصحاء

ومن رجع إلى خطبي وألقى نظرة في ديواني عرف أني لم أقصر في النصح بحال؛ وإنما رمت من تقويمهم المحال (انتهى). وقد ذكرنا موضوع هذه الفتنة في فصل خاص بهذا الكتاب.

قال ابن عبيدالله[1]: على أن هناك نكتة لطيفة وهي أنه قل ما انتحل السيادة أحد من أعيان الشنافر وأبطالها إلا ذل وذهبت قبولته أو نقصت على الأقل، وجرى عليه من الإهانة ما لا يقدر على التخلص منه، ولا غرابة في ذلك لأن من تسمت آثار القوم الذين وضع آباؤهم السلاح اختياراً وضحوا بنصيبهم من الشجاعة عن طيبة خاطر لابد وأن يناله ما نالهم، وكل له من اسمه نصيب.

وقد اتفق أن أحد آل محمد بن طالب عاد من جاوة بمال وتلقب بالسيد سالمين فكان لا ينادى إلا بالسيد سالمين ثم أهين وأخذ سلاحه في شبام فأسرع يتذمر إلى عند الشيخ عبيد صالح بن سالمين بن طالب، وقص عليه الأمر فقال له: لا أعظم ولا أفحش مما جرى عليك ولكنه لا يخصنا، ولا يلومنا ذلك؛ لأنك سيد ونحن قبائل، ولكن اذهب إلى محمد بن عبدالرحمن العيدروس بالحزم أو عمر بن عبدالله بن محمد الحبشي بالحوطة فهؤلاء سادة وهم أصحابك عسى أنهم ينفعونك (انتهى النقل).

وتكلم ابن عبيدالله عن المناداة بمولاي فقال في العود الهندي: أما قول الرجل لغيره يا مولاي فللفقهاء فيه كلام فقد قال أبوجعفر النحاس أنه لا يعلم خلاف بين العلماء أنه لا

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثالث صفحة ١٩٦.

ينبغي أن يقال لأحد من المخلوقين مولاي. وقال ابن حجر مر جواز إطلاق مولاي ولكن لا مخالفة بينه وبين كلام النحاس لأن النحاس تكلم في المولى بالألف واللام ولذا قال النحاس يقال: سيد لغير الفاسق، ولا يقال السيد لغير الله تعالى، والأظهر أنه لا بأس بإطلاق المولى والسيد بالألف واللام بشرطه السابق انتهى كلامه وما أشار إلى مروره هو ما ساقه عن النووي (انتهى)[١].

وذكر صاحب مرآة الحرمين أن الشريف عون الرفيق أمير مكة منع اسم السيادة عن أبناء الحسين عموماً، والسادة العلوية خصوصاً، ومنع كتابتها لهم في السجلات الرسمية، وغير الرسمية، ومنع التخاطب بها، وهدد من تسمى أو سمي بسيد[٢]. كما فرش الشريف عون السيد بافقيه العلوي ثلاث مئة عصا لتزوجه شريفة هو مثلها في الكفاءة واكرهه على تطليقها[٣].

ولم يمنع احترام ابن عبيدالله وتعظيمه لشيخه العلامة أبو بكر بن شهاب من انتقاده لاستخدامه كلمة مولاي في بعض قصائده فقال في العود الهندي: ومما يلاحظ على شيخنا ابن شهاب خضوعه في بعض القول لممدوحه فقد قال من قصيدة هي في الاعتبار الأول من الفصاحة والبلاغة وجمال الديباجة ورقة الانسجام للأمير أحمد فضل العبدلي.

فيا أيها المولى وما غـيرك امـرؤ   نسميه من بعد الوصي بمولانا

قال ابن عبيدالله: ثم لم يقف عند ذلك، بل حنث في قوله وخاطب بعد ذلك غيره بمثله[٤]. ثم قال ابن عبيدالله: ولو أني أخذت بيت شيخنا بن شهاب لمخاطبة الحضرة

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف العود الهندي دار المنهاج الجزء الأول صفحة ٣٨٧-٣٨٨.

(٢) إبراهيم رفعت باشا مرآة الحرمين دار المعرفة بلبنان صفحة ٢٧٩.

(٣) إبراهيم رفعت باشا مرآة الحرمين دار المعرفة بلبنان صفحة ٢٧٨.

(٤) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف العود الهندي دار المنهاج الجزء الأول صفحة ٣٨٩.

المتوكلية لكنت أحق به لأنني لم أسمح بذلك لأحد ممن عاصرته سواه وسوى سيدي الأستاذ الأبر عيدروس بن عمر المتوفى من نحو سبعة وثلاثين سنه[١].

وتكلم ابن عبيدالله في الجمع بين الأحاديث الواردة في التسييد وما صح من قوله ﷺ: «لا تقولوا للمنافق سيد فإنه إن يكن سيداً فقد أسخطتم ربكم عز وجل». وقوله لا بأس بإطلاق «فلان سيد ويا سيدي ونحو ذلك» إذا كان المسود فاضلاً خيراً لعلم أو صلاح أو غيرهما، وإن كان نحو فاسق، أو متهم في دينه، كره أن يقال له سيدي انتهى. قال ابن عبيدالله: ولاشك أن سيدي أو السيد أشد كراهة ومما عم به الابتلاء به أن الجهال وأهل الملق لا يتورعون أن يطلقوا الأوصاف الإلهية على من يدعون له الولاية أو يعظمونه من أبناء الدنيا (انتهى كلام ابن عبيدالله)[٢].

أما عن تاريخ بدايات هذه التسميات والألقاب بحضرموت فيقول ابن عبيدالله نقلاً عن السيد علي بن عبدالرحمن المشهور نقلاً عن والده مفتي الديار الحضرمية إنه يقول: سمعتُ كثيراً من مشايخي يقولون كانت المشيخة بتريم للخطباء وآل بافضل فلما سكنها العلويون نزلوا لهم عن تقبيل اليد ولبس العمامة والنداء بلفظ الحبيب فمحوه عن أنفسهم؛ وخصصوه بالأشراف، وجعلوه علامة لهم. إلا أن ابن عبيدالله استدرك وقال: إن الموضوع يحتاج إلى بحث ونظر[٣]. وقال ابن عبيدالله أيضاً: وقال لي بعضهم إن آل باعباد هم الذين حملوا الناس على دعائهم بالحبيب، وعلى تقبيل أيديهم، لا على تقبيل أيدي العلويين وأنهم لا يزالون على ذلك بين أتباعهم إلى اليوم[٤].



قال ابن عبيدالله: والمسألة لا تعدوا في دائرة الظن والاحتمال لاسيما وأن الخطباء وآل

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف العود الهندي دار المنهاج الجزء الأول صفحة ٣٨٩.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف العود الهندي دار المنهاج الجزء الأول صفحة ٣٨٨.

(٣) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف معجم بلدان حضرموت الناشر مكتبة الإرشاد صنعاء صفحة ٣٢٤.

(٤) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلدان حضرموت الناشر مكتبة الإرشاد صنعاء صفحة ٣٢٤.

بافضل لا يزالون معممين، بينما معظم السادة بسيؤون لا يلبسون العمامة، إما اقتصاداً، أو أدباً مع الفقراء من آل بارجاء تلاميذ آل باعباد[١].

قال الأستاذ الشاطري[٢]: وقد يختط أحد المناصب، أو أحد الصالحين مكاناً ويعلن أنه أصبح حرماً آمناً على الدوام فلا يكون فيه قتل ولا قتال، ولا نهب ولا ظلم، فيتعهد السلاطين، ورجال القبائل باحترام الحوطة لتبقى منطقة آمنة، ولهذا سميت كثير من مدن وقرى حضرموت باسم الحوطة مجردة من الإضافة إلى صاحبها كحوطة الحبيب أحمد بن زين، وحوطة سلطانة، وصاحبتها الشيخة سلطانة بنت علي الزبيدي، فإذا خاف أحداً الظلم، أو وقع تحت تهديد من الظلمة، نزح إلى إحدى تلك الحوط.

وذكر ابن عبيدالله موضوع الحوط والحوطة فقال: وكان لآل باعلوي ولآل جديد حافتان بتريم يصونون فيهما أولادهم عن الاختلاط بالأضداد، ولا يمكنونهم من مجاوزتها إلا بعد تمكنهم من الدين، والأخلاق، ثم قال ابن عبيدالله: وفي الأصل إشارة إلى ما بحضرموت من الحوط وإنكار بعض الناس أمرها وكثير من أعقاب أولئك المنكرين يجلون جمال الدين الأفغاني، ولا يتفطنون إلى ما جاء في سياق له من قوله فذهبت إلى مقام عبدالعظيم وهو حرم من دخله كان آمناً[٣].

وقال الأستاذ الشاطري: وأقام القطب الحداد في ضاحية الحاوي بتريم كحوطة مستقلة به وبأولاده، وخدمه، وأتباعه يسري عليها نظام الحوط بحيث لا يتدخل فيها حاكم تريم في أي وقت من الأوقات[٤].

قال ابن عبيدالله: وفي مقال الناصحين للشيخ محمد بن عمر باجمال قال بعض

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلدان حضرموت الناشر مكتبة الإرشاد صنعاء صفحة ٣٢٤.

(٢) محمد بن أحمد الشاطري أدوار التاريخ الحضرمي الناشر عالم المعرفة صفحة ٢٩١-٢٩٢.

(٣) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلدان حضرموت صفحة ٥٢٦-٥٢٧.

(٤) السيد محمد بن أحمد الشاطري أدوار التاريخ الحضرمي.

العلماء كان مشايخ الجهة في حضرموت ينفردون بنفسهم عن القرى، ويسكنون بأهاليهم في حافات منفردة قريبة من القرى، يسمونها حوط، يسكن فيها عندهم من سلك طريقهم، وتشبه بهم في الانقطاع عن العلائق، والانفراد عن الخلائق، والصبر، والفقر، وتكون الحوطة بهذا الوصف محترمه جداً، معظمه بين الناس لا تهتك حرمتها في شيء أصلاً حتى لو جنى جانٍ على أحد والتجأ إليها يتركونه مادام فيها، احتراماً لها وإن عظمت الجناية، وتكون هذه الحوطة عند أهلها وسكانها متميزة عن غيرها بالصيانة عن الفواحش والمعاصي، وعن ذكر الدنيا وأموالها وزينتها، وتكون معظمة بالديانة، وبإظهار شعائر الدين فيها، وقلوب أهلها مؤتلفة على البر والتقوى والإنصاف، لا يتركون أحداً يسكن عندهم إلا من تشبه بهم وسلك طريقهم، وغرضهم الفرار عن مشاهدة الراغبين في الدنيا، فضلاً عن أهل المنكرات، وهذه هي قاعدة الحوط (انتهى نقل ابن عبيدالله)[١].

قال ابن عبيدالله: وقال صاحب المشرع ومن المساجد المشهورة مسجد الشيخ عبدالله بن أبي بكر العيدروس، وهو مسجد قديم ذكر أن عمارته كانت في سنة ٥٥١هـ وأن الشيخ العيدروس جدده فنسب إليه وما بين هذه المساجد الثلاثة (مسجد آل باعلوي، ومسجد السقاف، ومسجد العيدروس) منطقه تسمى الحوطة يحترمها السلطان فمن دونه، ولهذا كثرت قيمة أرضها، وضاقت شوارعها (انتهى نقل ابن عبيدالله)[٢].

قال ابن عبيدالله: وسمعتُ من والدي رضي الله عنه أن هذا المكان هو موضع آل علوي، وآل جديد، وآل بصري، وأنه كان عليه سور، وأنهم لا يمكنون أحداً من أولادهم أن يخرج خارجه حتى يطر شاربه ويكاشف بالأسرار والأنوار، وسمعتُ من غير والدي أن هذا المكان مخصوص بآل علوي بن عبيدالله[٣].

---

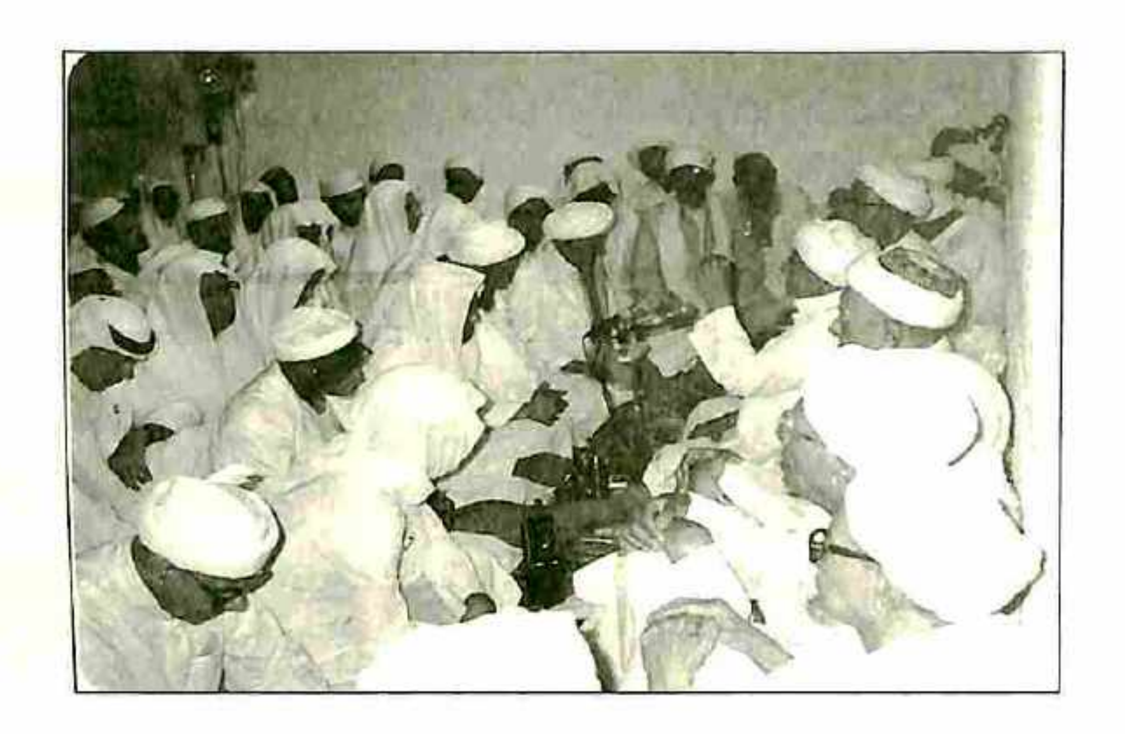
(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثاني/ ٢ صفحة ١٣.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثاني/ ٢ صفحة ١٣.

(٣) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثاني/ ٢ صفحة ١٣.

الفصل الخامس عشر

أخلاق العلويين وطبائعهم



يروى عن الشيخ الإمام الفقيه أحمد بن عبدالله بن عبدالرحمن بلحاج بافضل أنه قال: «طفتُ كثيراً من البلدان كمكة المعظمة، والمدينة المشرفة، واليمن الأنيس، وغيرها ونظرتُ كثيراً من الحجاج ممن يفد على بيت الله الحرام من أطراف البلاد وسائر الآفاق، وسألت غير واحد من الثقات فما وجدتُ ولا ذكروا لي في الأشراف مثل آل أبي علوي وطريقتهم في الاستقامة، والإتباع للكتاب والسنة». وقد استشهد الشيخ بافضل بالشحر سنة ٩٢٩هـ في الحرب ضد البرتغال الذين غزو الشحر[١].

وستحدث في هذا الفصل بإيجاز عن أخلاق العلويين التي أكسبتهم المحبة، والاحترام، سواءً في حضرموت وفي غيرها من البلاد، والتي استحقوا بها هذه الشهادة العظيمة من العلامة الكبير الإمام الفقيه أحمد بن عبدالله بن عبدالرحمن بلحاج بافضل. قال ابن عبيدالله: «وكان السلف إذا نظروا إلى راكب ورجل يحضر معه قالوا قاتله الله من جبار»[٢].

ولهذا تجد في سير العلويين أنهم عندما تكون الدابة واحدة فإنهم يتبادلون ركوبها مع خادمهم، وذكر والدي أن الحبيب علوي بن علي الحبشي والد الحبيب أحمد بن علوي الحبشي كان يسافر مع خادمه يتقاسم معه حصة الركوب في السفر.

قال ابن عبيدالله عن الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي[٣]: وكان رفيقاً في معاملة خدمه، قال ابن عبيدالله وسمعته عدة مرات في زيارة شعب هود يعرض العقبة على غلامه فرج ويقول له: لا تستح إذا تعبت فأنا أنزل لك بفرح. ذلك الأمر الذي ذكرني بما كان من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة بدر فقد كان يتعاقب هو وعلي وأبو لبابة على

---

(١) عمر بن علوي الكاف الخبايا في الزوايا دار الحاوي للطباعة والنشر صفحة ١٦٢.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلدان حضرموت مكتبة الإرشاد بصنعاء صفحة ٣٢٤.

(٣) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف ديوان بن عبيدالله صفحة ٣٢١-٣٢٩.

جمل واحد، وإذا جاءت عقبة أحدهما قال لرسول الله اركب فيقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «والله ما أنتما بأجلد مني ولا أنا بأغنى منكما عن الأجر» أو ما هذا معناه وما كان من سيدنا عمر في قدمته الأخيرة إلى الشام فقد كان يتعاقب هو وفتاه على الجمل رضوان الله عليهم أجمعين.

ومن تواضع الحبيب عيدروس بن عمر أنه لا يمكن أحد من تقبيل يده إلا من زاد به اختصاصه جداً، وإذا دعي إلى وليمة أو نحوها بادر قبل اجتماع الناس كراهية أن يقوموا له إذا دخل وآن تكلف طول الانتظار من أجل ذلك يكره المدح ويؤلمه ويغضب من نسبة الكرامة إليه[١].

وذكر ابن عبيدالله أن والده الحبيب عبيدالله بن محسن (١٢٦٢هـ - ١٣٢٤هـ) كان يسير كل يوم من سيؤون إلى الغرفة لحضور درس شيخه الحبيب عيدروس بن عمر، وكان على علو قدره وشريف منزلته كثيراً ما يعين الحطابين، وباعة الخزف الذين يصادفهم في طريقه على حمل أمتعتهم بنفسه.

وإنه منذ يفع يتصدق بعشائه كل ليلة، ويكتفي بوجبة الغداء، وفي وقت الخريف حيث ينتقلون إلى محلة القرن بقرب سيؤون كان يتكلف الطلوع بعشائه لبلاد سيؤون للتصدق به على الفقراء الذين تعودوا منه الإحسان إلا أن والده أشفق عليه وعاتبه بما لم يسعه معه إلا الامتثال[٢].

ومن أخلاق العلويين اعترافهم بالفضل لمن هو أعلم منهم، فقد ذكر ابن عبيدالله نقلاً عن السيد عمر بن حسن الحداد من أنه كان يقرأ على الحبيب محمد بن حسين الحبشي (١٢١٣-١٢٨١) مفتي الشافعية بمكة أيام كان يعلم بتارية بإشارة الحبيب عبدالله بن

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف ديوان ابن عبيدالله صفحة ٣٢١-٣٢٩.

(٢) المصدر السابق صفحة ٢٨٩.

حسين بن طاهر (١١٩١-١٢٧٢هـ) فقال الحبيب عبدالله للحبيب محمد بن حسين بمسمع من أولاده نحب أن يقرأ عمر بن حسن على الشيخ عبدالله بن أحمد باسودان (توفي بالخريبة سنة ١٢٦٦هـ) لأنه أوسع علماً منك ولم يتورع الحبيب عبدالله عن هذا القول، ولم يحابِ الحبيب محمد بن حسين رغم كونه من أكابر علماء الحجاز، ومفتي الشافعية بها، وقد ذهب الحبيب عمر بن حسن بعد ذلك إلى دوعن وقرأ على الشيخ عبدالله باسودان، وعلى ولده محمد بن عبدالله، وعلى الشيخ سعيد باعشن، وعلى الشيخ أحمد باحنشل.

ومثلها أنه ورد جماعة من العلويين على الشيخ عظيم المقدار عبدالله بن أحمد باسودان وسألوه عن ابنه محمد فقال لهم وابنه محمد يسمع من حيث لا يرونه: لا بأس به فاستثقلها الشيخ محمد من أبيه ونذر الاعتكاف سبع سنين لدرس العلم في جامع الخريبة ليصل إلى ما يرضي أباه مع أن الحبيب عبيدالله بن محسن يحدث بأن الشيخ محمد باسودان أوسع من أبيه في الفقه كما تشهد بذلك فتاويه.

ومن كلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط[١] ما يفرح الإنسان بأحد يكون خيراً منه إلا ولده فهو يفرح أن يكون خيراً منه. وذكر أن الحبيب عبدالله بن شيخ العيدروس المتوفى سنة ١٠١٩هـ أتى بابنه محمد إلى نقيب آل باعلوي الحبيب أحمد باجحدب، وطلب منه أن يباركه فمسح على رأسه وقال له: ابنك محمد خير منك فخر الحبيب عبدالله شكراً لله تعالى. (انتهى).

وذكر الشيخ عمر الخطيب ساكن سنقفورا أن جماعة من طلبة العلم حفظوا كتاب الإرشاد لابن المقري، ومنهم الشيخ علي بن سالم بن محمد الخطيب فجاءوا إلى الشيخ أبي بكر بن أحمد الخطيب ليسمع قراءتهم ففرح منهم وطرب، وقال للشيخ سالم بن محمد الخطيب وكان حاضراً ولدك أحسن منك. (انتهى)[٢].

---

(١) مجموع كلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط دار الفتح صفحة ٢٩٠.

(٢) عبدالقادر بن عبدالرحمن الجنيد العقود الجاهزة والوعود الناجزة صفحة ٥٥٠.

وقال العلامة الكبير أحمد بن عمر الشاطري عن ابنه الاستاذ العلامة محمد الشاطري: أن ابني محمد هو اوسع مني في العلوم العربية والأدبية[١]

ومن اعتراف العلويين بالفضل لمن هو أعلم منهم ما ذكره في مخطوطة بضائع التابوت نقلاً عن السيد عبدالله بن شيخ بن محمد السقاف أن الحبيب محمد بن على بن علوي السقاف كان على إمامة مسجد طه حتى حصل البحث مع السيد عبدالله بن محسن بن علوي السقاف في مسألة تتعلق بسجود السهو وبعد أن طال فيها الأخذ والرد تبين الصواب في جانب السيد عبدالله بن محسن فتخلى له الحبيب محمد بن علي عن القبلة وقال له: إن الأفقه أولى بالإمامة وقد ظهر تفوقك علي فيه.

وذكر الجد العلامة عبدالرحمن ابن عبيدالله السقاف أن الحبيب محسن بن علوي السقاف (١٢١١-١٢٩٠هـ) كان عالماً وفقيهاً وقد وقعت قضية بتريم أفتى فيها علامة تريم الحبيب عبدالله بن حسين بلفقيه (١١٩٨-١٢٦٦هـ) بما ظهر له من كلام التحفة، ولما عرضت القضية على الحبيب محسن أفتى بخلاف ذلك، واستند في فتواه إلى التحفة، وجرت بينهما المكاتبات، ولما زار الجد محسن تريم سأله الحبيب عبدالله عن موضع سنده بالتحفة فطلب الجد محسن كتاب التحفة وأطلعه على ما ذكره ابن حجر في آخر الباب، فقام الحبيب عبدالله وقبل رأس الحبيب محسن، وقال له: الحق ما قلتَه، وقد رجعتُ عن كلامي، والحق أحق أن يتبع[٢].

بل إن الحبيب عبدالله الحداد (١٠٤٤ - ١١٣٢هـ) على سعة علمه وشهرته نراه يستفتي الشيخ حسن باشعيب ـ تلميذ الشيخ أبي بكر بن سالم ـ في ثلاث مسائل أشكلت عليه كما ذكر الجد العلامة ابن عبيدالله في إدام القوت[٣].

---

(١) محمد بن أحمد الشاطري شرح الياقوت النفيس دار الحاوي صفحة ٣٥.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف بضائع التابوت الجزء الثالث.

(٣) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مكتبة الإرشاد صفحة ٥٧١.

وعلى مثل ذلك نرى قاضي سيؤون وواحد من كبار فقهائها السيد علوي بن عبدالله السقاف (١٣١٥-١٣٩٢هـ) يتراجع عن رأيه لما عرض له الصواب في رأي واحد من طلبة الرباط، ولم يكتف هو بالاقتناع إلا أنه صرح لطلبته في اليوم الثاني أثناء الدرس بقوله: لقد راجعت المسألة التي اختلفنا فيها بالأمس، ووجدت الصواب في رأي الشيخ باشعيب.

كما أن القاضي الشهير بسيؤون السيد علوي بن عبدالرحمن السقاف اختلف في قضية علمية في درس من دروسه، ثم راجعها فوجد أن الرأي الآخر هو الأصوب فانتهز وجوده في عقد زواج باليوم الثاني فصرح أمام الحضور بأنه كان على خطأ، وأن الصواب هو في الرأي الثاني.

إلا أننا لا ننسى أن هذه الأخلاق قد وجدت أيضاً في بعض علماء حضرموت فقد ذكر ابن عبيدالله أن القاضي بالشحر الشيخ محمد بن عمر بحرق المتوفى سنة ٩٣٠هـ اختلف وهو والشيخ ابن عبسين في مسألة استطار النزاع فيها، واشتهرت بين الناس فجاء ابن عبسين ومعه كتاب الروضة للنووي، فأوقف بحرقا على النص، فلم يكن من بحرق إلا أن صعد المنبر، وخطب وقال: إن المسألة التي اختلفتُ فيها أنا وابن عبسين كان الحق فيها معه[١].

ولا يجامل العلويين إخوانهم العلويين في إحقاق الحق فقد ذكر ابن عبيدالله العلامة السيد علوي بن طاهر الحداد فقال: علم علوم، ونبراس فهوم، وآثاره ناطقة، ومؤلفاته شاهدة ولم أعرف مبلغ علمه بالفقه إلا أنه اختلف من نحو ثلاثين عاماً هو والقاضي عبدالله بن سعيد باجنيد في مسألة الشفعة، وكتب في ذلك رسالة أسهب فيها قال ابن عبيدالله: ولما رفع إلي كلام الاثنين للنظر أظنني والعهد بعيد رجحت كلام القاضي باجنيد، فرأيت منه

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مكتبة الإرشاد صفحة ٩١.

جفوة من حينئذ ما كان له أن يتحملها إذ لم يزل العلماء بين راد ومردود عليه لكن الإنصاف عزيز ولهذا لم آعامله بمثلها كما يعرف الناس (انتهى)[١].

بل ويتقبل العلويون الحكمة والرأي الحصيف من أي شخص كان، ومهما بلغوا من العلم أو من السلطة كما تدل على ذلك القصة التالية قال ابن عبيدالله: «ولقد شهدت اجتماع الحموم بالشحر في سنة ١٣٣٣هـ متنازعين لدى السيد حسين بن حامد المحضار في كثير من القضايا المهمة، ولما تحير في تفصيلها قال له حبريش: ردها إلي وأنا أحكم فيها على شرطين:أحدهما: أن تجعل لي ألف ريال، والثاني: أن أضع أنا ألف ريال فان نقض حكمي شرع أو عرف، كنت في حل من ألفي. قال ابن عبيدالله: فامتد عنقي لذلك البدوي الأغبر الذي لم أعرفه من قبل، وأكبرت تحديه للشرع وقلت له: هبك أمنت النقض من جهة العرف والعادة لإتقانك لها فمن لك بالأمان من جهة الشرع أفتعرفه؟ فقال: لا ولكني سأحكم بالعدل والعدل لا يتغير، ولا يمكن نقضه بحال. فأكبرت ما في طي تلك الأسمال البالية وتحت تلك اللحية الشعثة من الحكمة التي ابتعدت عن مجالس القضاة اليوم»[٢].

أما وسطية العلويين، وعدم سرعتهم في تكفير المسلمين، فيشهد عليها ما كان يقوله القطب الحداد (١٠٤٤-١١٣٢هـ) في رجال القبائل المحيطة بتريم كما ذكره الأستاذ الشاطري في تاريخه[٣] (إنني لا أقدر أن أحكم بكفرهم ولا بإسلامهم لأنني إن حكمت بكفرهم فهم ينطقون بالشهادتين، ويصلون، وإن حكمت بإسلامهم فهم يستحلون قتل الأنفس البريئة، وينهبون الأموال الحلال (انتهى).

وقريب من ذلك قول الحبيب أحمد مشهور الحداد[٤] مخاطباً أصحاب الغلو، والتشدد،

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مكتبة الإرشاد صفحة ١٩٤.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مكتبة الإرشاد صفحة ٢٣٧-٢٣٨.

(٣) محمد بن أحمد الشاطري أدوار التاريخ الحضرمي دار المعرفة صفحة ٣٢٣.

(٤) حامد مشهور الحداد الإمام الداعية أحمد مشهور الحداد دار الفتح للدراسات صفحة ١٦٢.

الممقوت، وسوء الظن بعباد الله، (أما نحن فلا نكفر من أم قبلتنا، ونحسن ظننا في كل موحد بالله سبحانه وتعالى (انتهى باختصار).

ولا يجد العلويون أي معرة في التوقف عن عمل قد يجر ضرراً مادام أنه ليس متعلقاً بمخالفة الشرع، ومن ذلك أن الحبيب محسن بن علوي السقاف (١٢١١-١٢٩٠هـ) رتب زيارة لتريم في آخر جمعة من محرم في كل عام، يحضرها الجم الغفير، ثم إن بعض السادة من تريم وهو الحبيب عيدروس بن محمد بن عيدروس العيدروس تأخر عن زيارة الحبيب محسن سنة من السنين فسأل عنه فأخبر بأنه مكدر من ازدحام الخلائق بتريم، وخاف أن يقع الناس من ذلك في محذور فلم تعجبه الزيارة فلم يغضب الحبيب محسن أو ينفعل بل سار إليه وهو بارد القلب ونادى بإبطال تلك الزيارة من ذلك اليوم.

ولا يتورع العلويون عن نصيحة بعضهم، وانتقاد بعضهم متى رأوا تجاوزهم لطريقة العلويون الصحيحة فهذا الحبيب عبدالله الحداد (١٠٤٤ - ١١٣٢هـ) نراه ينتقد لمناصب الجهلة من العلويين ويقول: إنهم اتكلوا على وجاهة آبائهم بدون أن يتزودوا من العلم والاستقامة كما تزود آباؤهم، وينتقد في فصوله العلمية من يغرر بالجاهلين من العلويين ويقول: إن أمثال هؤلاء المغررين لا يحبونهم، ولو كانوا يحبونهم لحثوهم على الأخذ بطريقة أسلافهم من التمسك بالعلم، والعمل، والأخلاق. (انتهى)[١].

وقد استغرب المستشرق الهولندي فان ديرميلين عند زيارته حضرموت عن جلوس السادة وعامة الناس في مكان واحد، وأكل الجميع سواسية من أوعيه واحدة، دون أن تكون بينهم فروق طبقية، أو موانع اجتماعيه، ولعله يتعجب أكثر لو قرأ ما كتبه ابن عبيدالله في إدام القوت[٢] عن الحبيب علي بن حسن العطاس (المتوفى سنة ١١٧٢هـ) عندما جاءه إلى قرية

---

(١) محمد بن أحمد الشاطري أدوار التاريخ الحضرمي دار المعرفة صفحة ٣٢٣.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مكتبة الإرشاد صفحة ٢١١.

المشهد جماعة من وجهاء تريم فأكرمهم، وأسبغ قراهم، وكان معهم جمَّال (صاحب جمل) من آل مهري، فلما حضر العشاء افتقد الحبيب علي بن حسن هذا الجمال فسألهم عنه فقالوا له إنه عند المراكيب فأخر عشاءه حتى فرغ الجمَّال من مهمته وقال الحبيب علي بن حسن: معاذ الله أن نأكل إلا ويده مع أيدينا (انتهى).

ومن أخلاق العلويين المتأصلة العفو عند المقدرة ذكر ابن عبيدالله في المعجم[1] أن بعض حساد الحبيب عيدروس بن عمر أغروا متمكناً في فن السحر؛ فسحر الحبيب الجليل عيدروس بن عمر الحبشي، ولما عرف خبره وانكشف أمره جاءوا به إلى حضرة الأستاذ الأبر (عيدروس بن عمر) فاعترف واعتزم الشيخ صالح بن محمد بلفاس قتله، ولكن الأستاذ الأبر حال بينه وبين ذلك، واقتنع منه بالتوبة (انتهى باختصار).

وقد تعرض شيخ آل كثير عائض بن سالمين للحبيب عيدروس بن عمر الحبشي بشيء من الأذية حتى لقد تهدده بأخذ فرسه، فما هي إلا أيام حتى اشتبك في حرب مع آل كده فقضي عليه في ثلاثة عشر قتيلا، وأربعين جريحاً، من عشيرته فدخل ولد الحبيب عيدروس محمد على والده وعليه شيء من بشاشة التشفي، وبمجرد ما قام بالباب أخبره الخبر بصوت تظهر فيه نغمة الفرح قال والدي فلم ينزعج، ولم يحل حبوته، ولم يتحرك، ولم يستفزه شيء، بل لم يتأثر أصلا، ولم يزد على قوله سامحهم الله، ثم عاد إلى ما كان من حديثه في الجواب عن سؤال صوفي كان والدي ألقاه بين يديه كأن لم يكن شيء هذا مع أنها الحادثة التي لم يكن لها نظير من نوعها بين الشنافر (انتهى).

وحدث الشيخ عمر بن عبدالله الخطيب ساكن سنقفورا[2] أن الشيخ العلامة سعد بن أحمد بن علي جابر من بلاد خشامر بحضرموت وهو من الزهاد، ومن تلاميذ ومريدي الحبيب

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مكتبة الإرشاد صفحة ٣٣١.

(٢) عبدالقادر بن عبدالرحمن الجنيد العقود الجاهزة والوعود الناجزة صفحة ٥٢٤-٥٢٥.

أبي بكر بن عبدالله العيدروس، وصل سنقفورا ونزل ضيفاً على المشايخ آل باسويدان، وكان الشيخ سعد حاد الطبع، فتضايق منه آل باسويدان، وبعد فترة أخذوه إلى منزل السادة آل الجنيد، وقالوا له في هذا البيت تقام الدروس والمذاكرات يومياً، وتقام الجماعات، وأنت في النهار معهم، وتعود لنا في الليل لتنام، فوجد الشيخ سعد ضالته في بيت الجنيد ورحبوا به ثم طلبوه أن يقيم معهم إقامة كاملة، وكان يقوم آخر الليل للصلاة، ويصعد درجاً خشبياً فيصدر من حذائه صوت فخاف أن يوقظ أهل البيت؛ فصار يخلع حذاءه فسأله السيد جنيد بن عمر أراك تخلع نعالك إذا وصلت الدرج؟ فقال الشيخ سعد: أخاف أن يوقظكم صوت النعال. فقال له السيد جنيد: أنت ما تقوم إلا وقد قام كل أهل البيت قبلك حتى الخادمة فاستمر في لبس نعالك، ولما قرر الشيخ سعد العودة أعطاه الجنيد ما يكفيه من المال.

ولما وصل الشيخ سعدٌ خَشامرَ سأله أهلها ماذا رأيت في سنقفورا؟ فقال لهم: فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين، بيت جنيد بن عمر وأولاده (انتهى).

وذكر الأستاذ محمد بن أحمد الشاطري في شرح الياقوت النفيس[١] : الإيطان وهو: أن يجعل المصلي له مكانا خاصا بالمسجد يصلي فيه دائما كأمام سارية معينة، وقال الفقهاء يقولون بكراهة ذلك لأنه قد يؤدي إلى شيء من الرياء او العجب بالنفس ولكن بعض الفقهاء وخصوصا الصوفية لا يقولون بالكراهة وقالوا لأن طبيعة الإنسان أنه إذا ألف مكانا أحس فيه بالأنس والراحة (والخشوع) فيه.

وقال الأستاذ الشاطرى وهكذا كانت عادة أسلافنا في مسجد باعلوي بتريم حتى أن السواري سميت بأسماء من يجلس بجوارها وكذلك عندما يذهبون الى جامع تريم يوم الجمعه يغدون مبكرين من بعد صلاة الفجر فيجدون الجامع خاليا فيتقدمون الى الصفوف الاولى وجاء بنوهم من بعدهم والفوا المكان الذي الفه آباؤهم ولايقصدون بذلك حجز هذه الأماكن

---

(١) محمد بن أحمد الشاطرى شرح الياقوت النفيس دار الحاوى الجزء الاول صفحة ٢٤٢-٢٤٣.

لهم دون سواهم وإنما كما قلنا يأتون مبكرين قبل الطوائف الأخرى من العمال والمزارعين ولا احد فيها وبعض الناس أساؤوا الظن واتخذوا من هذا نكرانا وتشنيعاً واتهموهم أنهم يتقاسمون المسجد ولايرون لأحد غيرهم له فيه سبيل وهذا خطأ وانتشر هذا الاعتقاد بين الناس (انتهى النقل).

ومما يدل على أخلاق العلويين التي ملكوا بها قلوب الناس ما حدث مع السيد الصالح عبدالباري العيدروس بتريم فقد كان لهذا السيد سارية بالمسجد اعتاد أن يرتكن إليها لسنين فتحاشاها الناس إلا أن أحد الإرشاديين من أهل ثبي لم يعجبه استئثار السيد بالسارية، وقرر أن يتحدى السيد حتى لو عاركه في المسجد، فبكر يوم الجمعة إلى المسجد وجلس إلى السارية، ولما جاء الحبيب إلى المسجد في موعده المعروف اتجه إلى السارية، ولما وجدها مشغولة فرش سجادته بجوارها، وبدأ في ركوعه، ولما انتهى سلم على الحراث وسأله عن اسمه وشكره على تبكيره إلى المسجد، ودعا له فحاول الحراث أن يتنازل له عن السارية فأبى، وقال: أنت أحق بها مني لأنك سبقتني إلى المسجد ثم بعد الصلاة أخبر الحراث زملاؤه بأنه لو كان السادة مثل هذا الحبيب لقبلت حتى أقدامهم.

وذكر الأستاذ الشاطري[١] في شرح الياقوت النفيس قصة في الموضوع فقال: زارني في يوم الجمعه رجل بارز من كبار الموظفين (وأظن ذلك في جده) وخرج معي لصلاة الجمعة ولما دخلنا المسجد طلبت منه الدخول الى الصفوف الاولى لوجود فراغ فيها فرفض وقال انتم ياسادة لكم اماكن خاصة قلت له لا .. لا هذه عباده وليس فيها تمييز وسوف أخبرك بالواقع بعد الصلاة وأخذت بيده ودخلنا وصلينا معاً وبعد الصلاة قلت له القضية أن أسلافنا كانوا متفرغين للعباده وياتون للمسجد مبكرين لأن الطوائف الأخرى من عمال ومزارعين مشغولين بأعمالهم فيأتون متأخرين فهل ياترى من جاء مبكراً يجلس في الصف الأخير أو في

---

(١) محمد بن أحمد الشاطري شرح الياقوت النفيس دار الحاوي الجزء الأول صفحة ٢٤٣-٢٤٥.

الصف الأول فقال اما مادام الامر كما ذكرت فنعم به فقلت له لكن الذين يبلغون يحرفون الكلم عن مواضعه ويشوهون الحقائق (انتهى النقل).

إلا أن الجرأة على العلويين قد تغضب محبيهم من رجال القبائل الحربيين مثل هذه القصة، فقد ذكر الجد ابن عبيدالله في بضائع التابوت أنه كان ليافع شبه دولة من قديم ببلدة بور حتى قام آل باجري وأتوا بالحبيب أحمد بن علوي العيدر وس وأسندوا إليه منصبة بور في سنة ١٠٧٦هـ وأن أحد آل داعر اليافعيين بقي يعارض الحبيب، ويتقدمه إلى مجلسه من الجامع في يوم الجمعة، فلم يكن من عمر ورسام آل باجري إلا أن قتلوه وبقتله اشتد ساعدهم وتأيد نفوذهم[١].

قال ابن عبيدالله: وآل باجري من القبائل الحضرمية القوية الشكيمة، وذكر أن بعض عبيد تريم عندما غادروها احتجاجاً على طرد اثنين من جماعتهما الذين قتلا جماعة من يافع فضاقت عليهم الدنيا، وغلب الذل على قبائل حضرموت هيبة للحكومة الانجليزية، فكلما نزلوا بأحد القبائل طردوهم ومنعوهم حق الضيافة حتى أتوا للشيخ سعيد بن قطامي باجري وأصحابه فنزلوا عليهم ليقيموا أياما ويرحلون، ثم لم يشعروا إلا بجنود الحكومة يطلبون تسليم العبيد، أو الحرب فقال آل باجري: معاذ الله أن نسلم أضيافنا مازال فينا عرق ينبض واستعرت الحرب بين الطرفين، وجرح أحد آل باجري وأحد العسكر، ثم أحاط آل باجري بالجنود وحصروهم، ثم اتفقوا على رفع الحصار، وانسحاب الجنود إلى حيث أتوا، ثم لما طلب العبيد بعد ذلك الانصراف بلغوهم إلى مأمنهم[٢].

إلا أن هذا لا ينفي أن بعض الجهلاء من السادة المتأخرين وبعضهم ممن تربى خارج دائرة السلف يتصرفون بطريقة سيئة مثل ذلك الرجل الجاهل الذي عاد من الغربة خال الوفاض، فاعتم بعمامة كبيرة، واتخذ زي الأولياء، ودخل متأخراً لمجلس من مجالس العلم

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثاني صفحة ٨١.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف بضائع التابوت الجزء الثالث صفحة ١٧٩.

الكبيرة، وتخطى الناس حتى وصل إلى المقدمة، ثم أمر أحد الحاضرين أن يقوم له عن مكانه؛ غير أن هذا من الشاذ النادر إلا أن المشكلة أن يتخذ الشاذ حكماً على المجموع.

إلا أن كبار العلويين ينكرون على مثل هؤلاء الجهال كما ينكرون على العلويين الذين هجروا العلم واشتغلوا بالملابس، والضيافات، وفي هذا الباب يقول الحبيب علوي بن عبدالرحمن المشهور (١٢٦٣-١٣٤١هـ)[١]:

من تعمم وقف وسط المجالس تربع
حاسب إن السلف كانوا لهم فيه مطمع
إن دعي للضيافة جاء لمدخل ومنزع
أو لمجمع جنازة جاء يهرول ويربع
والسار على من له على السر مطلع
وإن ذكرت المدارس قال أنصت تسمع
ويلهم كم رأينا من شريف مضيع
إننا قد توكلنا على الله أجمع
واللقاء بيننا في يوم نبعث ونجمع
السلف ما كذا كانوا وأفكر وشنع
حسبهم ربهم كم جاهل اليوم يرتع
بانذكر وباندعي ونسأل من الله ينفع

هذا وقد وردت في الكتب بعض المعلومات النادرة التي تذكر تعرض العلويين السابقين للأذى، وصبرهم عليه، ولعل سبب ندرة أخبارها أن العلويين يتغاضون عنها، ولا يحبون ذكرها، فضلاً عن إيرادها في الكتب.

---

(١) أبو بكر العدني المشهور لوامع النور الناشر دار المهاجر للنشر والتوزيع الجزء الأول صفحة ١٤٧.

قال ابن عبيد الله: وتعرض الحبيب أحمد بن زين الحبشي (المتوفى سنة ١١٤٤هـ) للأذى فقد كان يصلي بمدينة الغرفة بمسجد الحمام لبعض فقراء الغرفة، ويدرس لهم العلم إلا أن هؤلاء الفقراء تعرضوا له بالأذى؛ فصبر ومازالوا يؤذونه حتى أخرجوه من المسجد وأخرجوا كتبه، وتعرضوا لمن يتردد عليه، بالأذى، فلم ينزعج، ولم يظهر منه إلا الصبر، والثبات، لكنه انتقل إلى الحوطة الغربية[١].

أما تعامل العلويين مع أقربائهم وإخوانهم فتدل عليه علاقة الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر (١١٩١-١٢٤١هـ) بأخيه السيد طاهر بن الحسين فقد قرأ معه كثير من العلوم بحضرموت، وكان لا يتقدم على أخيه في مشي أو غيره مدى حياته تأدباً معه، وحرمة له، وقال ابن عبيدالله: إن الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر كان كثير الاحترام لأخيه الحبيب طاهر ابن الحسين حتى لقد مكث معه في دار واحدة نحواً من أربعين سنة لم يطأ فيها سقفاً كان تحته أخوه، و هو أدب جليل لم نسمع بمثله إلا عن ذر مع أبيه عمر بن ذر إلا أن ما فعله أبوحنيفه مع شيخه حماد أكبر من ذلك فلقد قال ما صليت صلاة إلا استغفرت لحماد، وما مددت رجلي نحو داره، وان بيني وبينها لسبع سكك (انتهى)[٢].

ويحاول العلويون الابتعاد عن المشاجرة، والخصام ما أمكنهم، ويذكر الحبيب محمد بن حسن جمل الليل أنه صحب الحبيب محمد بن عمر أبا مريم أربعين سنة، ما رآه غضب فيها[٣] ونقل الحبيب أحمد بن عمر بن سميط (١١٧٧-١٢٥٧هـ) أن والده قال لبعض السادة وقد أتاه يحكي له بمشاجرة حصلت بينه وبين بعض أقاربه حين ابتدأ يحكي له يا فلان، فتح لي في قضيتك في ثلاث آيات من كتاب الله تعالى: أولهن ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مكتبة الإرشاد صفحة ٣٠٣.
(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثاني: صفحة ١٢١.
(٣) تحفة الأحباب في ذكر نزر من مناقب الحبيب علوي بن شهاب دار الحاوي صفحة ١٨٦.

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾، ثم بعدها ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾. والثانية: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ﴾، ثم بعدها ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾. والثالثة: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[1].

كما ينصح الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر(١١٩١-١٢٧٢هـ)[2] بترك المنازعة، والخصام، فيقول: اعلم رحمك الله أن المنازعة، والمخاصمة مع الناس الأجانب، فضلاً عن الأقارب، من أضر شيء على الإنسان في دينه، وحاله، وباله، وماله، ومشوش له في صلاته، وقراءته، وذكره، وأوراده، ويقظته، ومنامه، وجميع حالاته، ومحوج إلى مكالفة الأراذل، والأنذال، والأضداد، ومن لا خير فيهم المشاءين بالنميمة، المفرقين بين الأحبة، فهذه الآفات مما توجب تركها، وإن كانت لأجل مال جزيل، فكيف وهي أيضاً من لازمها الغيبة، والكذب، والكبر، والعجب، وسوء الخلق، والمباغضة، والمحاسدة، وغيرها من الفواحش، بل ما من رذيلة إلا وهي مشتملة عليها.

إلا أننا نرى ابن عبيدالله وهو من أكثر الناس انتقاداً للسادة ينعى على العلويين في العود الهندي انقسامهم، وتخاذلهم، وانحطاطهم، ويقول عن مبلغ ذلك: حتى لقد نهب الصيعر اثنتين من الإماء مرة أحدهما لعلوي والأخرى لدلال فأما الثاني فلم يصل إلى ريدة الصيعر لاستنقاذها إلا في أربع مئة من أبناء جنسه جاءوا مدداً له من نواحي حضرموت، وأما العلوي فلم يلبه أحد، ولم يصل إلا وحده[3].

ويقول ابن عبيدالله أيضاً: والعجب أنك لا ترى أحدا من الناس يتكلم في الأخلاق، ومدح الاجتماع مثلهم، ومع ذلك ـ ولا أحاشي ـ تجدهم أكثر الخلق نفاقاً، وأفسدهم أخلاقاً،

---

(١) مجموع كلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط دار الفتح صفحة ٣٤٢.

(٢) مجموع كلام الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر صفحة ١٤٦.

(٣) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف العود الهندي دار المنهاج الجزء الأول صفحة ٣٠٤-٣٠٥.

وإنك لتجد الحاكم ومن دونهم يفضلونهم في الهيئة الاجتماعية بدرجات، فما أقل حياءهم! وما أصفق وجوههم! إذ يتبجحون بالانتساب إلى سادات الكون، على بعد ما بينهم من الفرق والبون، ولله در القائل:

لستم بنيهم ولستم من سلالتهم إن لم يكن أمركم من أمرهم أمما

(انتهى)[١].

بينما قد يجد العلويين النصرة من رجال القبائل، فهذا ابن عبيدالله يثني على الشيخ عوض عبيد بن عبدات في مناصرته له في قضية حاصلها أنه لما كان ابن عبيدالله يتأهب للسفر إلى اليمن إذا بعبد لأحد المثرين يسيء الأدب؛ فأدبه ابن عبيدالله أدباً كبره الأعداء لدى السلطان، قال ابن عبيدالله: فاستدعاني السلطان للحضور عنده، وما هي بعادة، وإنما كان يأتي هو إلي عند الحاجة، فأبيت ذلك، ولأن القضية لم تكن من اختصاصه، ولكنها خاصة بالقضاء الشرعي، فعرضت عليهم الترافع إليه فأحجموا؛ فتوجهت في سفري، ولما انتهيت إلى حوطة آل حبشي أشاعوا أنني أدبرت بالحق، وأعرضت عن الشريعة، فعدت إلى ذي أصبح، ثم إلى الغرة، وأقمت أياماً، والشيخ عوض عبيد بن عبدات يكتب للدولة وللقضاة وغيرهم، ويتحداهم بمقابلتي أمام القضاء فأفحموا، وما أعانني على إظهار الحق أحد سواه، ولن أنساها له (انتهى)[٢].

ويمجد الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر (١١٩١-١٢٧٢هـ) فضيلة الصمت والسكوت فيقول[٣]: فلا شيء أذهب للحسنات، ولا مكثر للسيئات، ولا موجب للحسرات، ولا مضيع للأوقات، من هذه المجالس المعقودة للفضول، والترهات، وتزجية

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف العود الهندي دار المنهاج الجزء الأول صفحة ٣٠٥.
(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثالث صفحة ١٦٢.
(٣) مجموع كلام الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر صفحة ١٥٠.

الوقت في الغفلات، لا على ذكر الله، ولا على مذاكرة علم، ولا لقضاء حاجة، فترى المجلس من أوله إلى آخره ينقضي، ولا تحصل منه فائدة، لا في الدين، ولا في الدنيا، بل خسارة في الدين والدنيا، ويعود على كل من حضره بغفلة، وقسوة، وظلمة، وكثافة، ووحشة، يعرف ذلك كل من معه نور أو شيء من الحضور، فيرى قلبه بعد المجلس ليس هو كقبله، بل يعود عليه بعض آثار ذلك المجلس بعد أيام فيوسوس له ويشوش عليه، والموقع للإنسان في هذه البلايا الصحة، والفراغ، ـ أعني البطالة ـ فتراه يزجي وقته بما يوجب عذابه، فكن جليس بيتك، واشغل نفسك بالعلم والعبادة، ولا تخرج إلا لمهم من دينك أو دنياك، (وعليك بترك العادات) التي عظمها الناس، وجعلوا لها شعاراً ومناراً، وصيروها معلومة بينهم بالضرورة، يتكلمون فيها أهل العمائم واللحى، فضلاً عن الأراذل والنساء، أهلكوا فيها الأموال، وارتكبوا لأجلها المداخل، وخلط معهم الجاهل والغافل، لأجل رضا امرأة ومسخرة، وضيعوا في معاناة هذه العادات الدار الآخرة، والمنازل الفاخرة، وألهتهم عن ذكر الله، وعن الأنس بالله وعن نعيم أهل الله في الدنيا والآخرة (انتهى).

ومن أخلاق العلويين الحرص على اختيار الجليس الصالح، والابتعاد عن فضول الكلام، كما جاء أيضاً في مجموع كلام الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر (١١٩١-١٢٧٢هـ) الذي يقول فيه [١]: وقد كثر في زماننا هذا ذكر الشر والأشرار، وكثرة الخوض والكلام، والقيل والقال في الفضول وفيما لا يعني، وفي الغيبة، والنميمة، وذكر معاصي وقبائح تجري، وتركوا ذكر الصالحين، ومذاكرة العلوم التي تنفعهم، والسؤال عما يعنيهم، قال سيدنا عمر بن سقاف: ومما يشرح الصدر، ويذهب الهم، ترك مجالس العامة المشتملة على اللغو والسخرية بالناس وذكر عيوبهم، وتضييع الوقت في البطالة والجهالة، وكثرة القال في حوادث الزمان بغير اعتبار، وكثرة القال في حوادث الظلم وفعله وكثرة الخوض في ذلك كله

---

(١) مجموع كلام الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر صفحة ١٤٢.

باعتراض وإنكار، فكل ذلك مما يكدر صفاء أهل الإيمان، ويشوش قلوبهم المنيرة، فليبادر إلى العزلة والعباد.

ولعل من يقرأ الكلام السابق يقول لنفسه: إنما هذا كلام يقال، ولكن ما يتميز به السادة بحضرموت أنهم يقرنون العلم بالعمل، والقول والتطبيق، فهذه طريقتهم من قديم الزمان، ولولا ذلك ما استحقوا الاحترام والتقدير الذي بقي لهم عبر الألف سنة ويزيد التي قضوها بحضرموت.

وفي هذا يقول الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر (١١٩١-١٢٧٢هـ): كنا سابقاً نسأل عن العالم العامل بعلمه فإن لم يكن عاملاً بعلمه لم نعبأ به، وأما الآن فنحن نسأل عن العالم وإن لم يعمل، لما رأينا من غلبة الجهل والغفلة عن التعلم، وعدم الهمة في طلب العلم، والرضاء بالجهل والعمل بمقتضاه[1].



ويدعوا علماء العلويين دائماً إلى اجتماع الكلمة، ونبذ الفرقة والخلاف، فيقول الحبيب أحمد بن عمر بن سميط (١١٧٧-١٢٥٧هـ) في كلامه[2]: واطلبوا ما يجمع القلوب حتى تأتي النصرة إذا حصل الاجتماع فالاجتماع رحمة، والفرقة عذاب. ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ أي نصرتكم اطلبوا ذلك قبل رحمة المطر اللهم اجمع قلوبنا على التقوى.

وتعاطوا أسباب الاجتماع قال عليه الصلاة والسلام «ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم» تصافحوا يذهب الغل من قلوبكم «تهادوا تحابوا» ولطفوا الهدية حتى لا تثقل وتنقطع (انتهى).

لعل ما أصاب الحضارمة في بلادهم ومهاجرهم من مصائب كان سببها الفرقة والخصام. ومثل هذا الكلام يردده الحبيب عبد الله بن عمر الشاطري (١٢٩٠-١٣٥٠هـ)

---

(١) مجموع كلام الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر صفحة ٧٦.

(٢) مجموع كلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط دار الفتح صفحة ٢٢٦.

حيث قال أثناء زيارته لدوعن: «قال الله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ وكل من يسعى في الافتراق والشتات على خطر ـ والعياذ بالله ـ بغينا إلا الائتلاف والصفا مع إخواننا المسلمين كلهم، «لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، وكونوا عباد الله إخوانا» وإذا ائتلفتوا باتشكرون كلكم، وأما من فضله الله وشرفه ما نقدر نرده من شرفه ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ ورمضان أفضل الشهور، ومكة أفضل من غيرها، والمساجد كذلك أفضل من غيرها من البقاع، ما بغينا شي يقع افتراق وجينا إليكم ولا قصدنا إلا انتشار العلم ونحبكم، ولا نسخى بكم يامحبين، وكانوا سلفنا على غاية من المحبة والمودة فيما بينهم، ويكفي نحن الفقيه المقدم والشيخ سعيد العمودي كيف كانوا والله الموفق[١].

أما عن حب العلويين للمساكين وعطفهم على ذوى القربى والأرحام فستشفه من ترجمة الحبيب الزعيم محسن بن علوي السقاف (١٢١١-١٢٩٠هـ) قال ابن عبيدالله: وكان الجد محسن رحمة تامة بالضعفاء والمساكين ومن لا ناصر له إلا الله، يعود مرضاهم، ويشيع جنائزهم، ويدخل عليهم السرور، ويسعى في قضاء حاجاتهم، وتكاد تطير روحه إشفاقاً عندما تتبين له منهم آثار الضراء والبؤس، وكان يحكى عن جده الحبيب سقاف بن محمد أمثال ذلك التأثر والانفعال لحاجات أهل العفة من الرجال.

وقلما يصل موضع درس الخميس بقبة جده علي بن عبدالله السقاف إلا وقد زار سبعة أو ثمانية من بيوت أولي الحاجات فيكشف كرباتهم، ويعزيهم، ويعظم نعمة الله عليهم، ثم يسعى جهده فيما يقضي حاجاتهم، وينفض ضيقهم.

وكان وصولاً لأرحامه، متحملاً لشؤونهم وأثقالهم، كافلاً لهم ولعائلاتهم، حتى لقد زوج من إخوانه وأولادهم وأولاده نحواً من خمسين، ومازال كافلاً لهم مع الإكرام التام حتى شب أولاده فتفرقوا فكان يواسيهم بحسب مجهوده، ويسير إلى بيوتهم، ويتفقدهم في

---

(١) محمد بن سالم بن حفيظ نفح الطيب العاطري دار العلم والدعوة صفحة ٢٦٨.

غالب الأيام، وربما دخل في اليوم الواحد خمسة ديار لأقاربه أو أكثر وإذا ضاق بأحد منهم عيشه تكدر كثيراً حتى يفرج الله عنه، وكان يقاسي من أجلهم الصعاب ويتحمل المشاق، ويقول في آخر وقته: إن قدرنا على صلتهم بشيء وإلا فلا أقل من السلام. وكان أولاده يرون حاله فيقولون له إنه لا يليق بك مع ضعف البدن وكبر السن أن تسير إلى بيوتهم؛ فيأبى إلا زيارتهم وكان يقول ليس معي إلا بري وصلتي لأقاربي وأرحامي وقصدي لهم الخير.

قال ابن عبيدالله: وقد تلقى الجد محسن محبة المساكين عن أبيه وعن مشايخه، وله في ذلك وقائع مع سيد الوادي الحبيب حسن بن صالح البحر، وللحبيب حسن بن صالح البحر قصص عظيمة تبين عنايته التامة بالفقراء والمساكين، أوردنا بعضها في فصل آخر وعلى حاله كان حال الحبيب سقاف بن محمد في حبه للمساكين ورعايته لهم، وما الاثنان إلا أمثلة على أخلاق جمهور كبير من العلويين، وقد ذكرنا أخبارهما في مكان آخر من هذا الكتاب.

ومن عادة العلويين الاقتصاد في النفقة كما يقول الحبيب أحمد بن حسن العطاس فلا إسراف، ولا تقتير، مع ملاحظة ظروف الزمان والمكان والإمكان.

ويتقبل العلويين ما يتعرضون له من التعريض بنفوس رضية دون أن يكون في أنفسهم شيء على قائله، فقد ذكر ابن عبيدالله أنه كان لجده الزعيم محسن بن علوي السقاف حراث يجتاح ماله فجاءه ذات غداة يقبل يده وهو بفناء داره فأطال في عتابه على السرقة، ثم قال: لقد غشوني بك، وقالوا لي إنك الميلس ولم يقولوا لي أنك بن دعلة والميلس ـ لقب فلاح ـ وابن دعلة أحد المشهورين بالظلم والنهب، فقال له الحراث: وأنا غشونا بك قالوا لي محسن بن علوي إمام علامة، ولم يقولوا لي إنك عوض مرضاح ـ يعني أحد السماسرة ـ المشهورين بهتك الأعراض فأعجب بها الجد وصار من رقة طبعه وخفة روحه يذكرها في مجالسه حتى لقد خطب وأطال ذات مرة في شبام ثم اعتذر وقال: قد قال لي الميلس كذا (انتهى). فتفكر في عظمة أخلاق الجد محسن بن علوي وهو زعيم البلاد يتقبل كلام الحراث بصدر رحب بل ويكرره في مجالسه.

وبقرب ذلك ما ذكره والدي في مذكراته[1] قال: وحضرنا أحد احتفالات الشبواني الكبيرة، وفيها دخل الشاعر المشهور عمر كرامة يرد على الشاعر الذي سبقه ويقول:

ما تعبر إلا على القرحا وفرق الضان   وعـا لمـساكين والهرشـان والـسادة

قد جعـل الســادة في الأذلين بأسفـل القائمــة، قال الوالـد: ولما ذكرنـا البيت للعم عبدالرحمن بن عبيدالله استلقى على ظهره من الضحك، وأخذ يردده على كل من زاره في ذلك اليوم.

وقارن بين هذه التصرفات وتصرف السلطان عبود بن سالم في القصة التالية التي أوردها ابن عبيدالله في بضائع التابوت[2] (فلم يكن من أحد الحراثين واسمه عبيد امبارك باسعيدة إلا أن قام ذات جمعة يصيح بالمسجد الجامع بعد الصلاة ويقول: لا اله إلا الله يا غافلين آل كثير يفسدون علينا حرثنا ولم يتنبه لنا أحد لا سادة وبدأ بهم ولا دولة ولا غيرهم فغضب لذلك السلطان عبود بن سالم، وأراد قتله فلم يوافقه السلطان منصور بن غالب إلا على قطع أذنيه، فاتوا به إلى عقر القصر وأمروا أحد عبيدهم وهو نصيب منصور أن يقطعها ففعل بمرأى من أم السلطان فتكدرت وانحت عليهم بالعتاب (انتهى).

وذكر والدي أن السلطان غالب القعيطي أمر لابن عبيدالله بصلة، فأوقف السيد حسين بن حامد المحضار صرفها ولم يستجب لطلبات ابن عبيدالله، ولما جاء السيد حسين حامد إلى شبام انتهز ابن عبيدالله هذه الفرصة وأخذ معه شخصاً من آل خرد عرف بسلاطة اللسان، واتفق معه على أن يشتم السيد حسين بن حامد حتى ينفذ الصلة مقابل عشرة ريال لخرد، ولما دخلا على السيد حسين بن حامد الذي يعتبر سلطان البلاد الحضرمية في زمنه انطلق خرد يشتمه ولم يتوقف فطلب السيد حسين بن حامد من ابن عبيدالله أن يوقفه عن

(١) محسن علوي السقاف مذكراتي واختياراتي.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف بضائع التابوت الجزء الثالث صفحة ١٨٤.

الشتم قال بن عبيدالله لن يتوقف قبل أن تدفع ما عليك فقال الحبيب حسين في وجهي فقال ابن عبيدالله لابد من التنفيذ الآن فلم يستطع الحبيب حسين إلا التنفيذ. ولعل هذه الحادثة تدلل على الأخلاق العظيمة للسيد حسين بن حامد المحضار الذي يتحمل شتيمة شخص لا يعرفه مع أن بإمكانه أن يشير على أحد جنوده ليطرده أو يحبسه لكنه اكتفى بدفع ما عليه لابن عبيدالله مقابل التوقف عن سبه المقذع.

وكتب ابن عبيدالله في بضائع التابوت أن الناس أصبحوا ذات يوم بشبام وقد كتب على جدار بالخط الكبير حسين بن حامد ملعون فاغتاظ أحد قواد عسكره وهم بالبحث عن كاتب النص ليبطش به، فقال له الحبيب حسين بن حامد: إذا أردت ذلك فعليك أن تقبض على كل أهل شبام لأنهم كلهم يقولون ذلك.

وحصلت قصة مشابهة للحبيب عبدالله بن حسين السقاف (ت ١٣٤٩) قاضي سيؤون والمستشار الأول للسلطان منصور بن غالب إذا وقف أحد بني عمومته بمسجد طه بعد الصلاة وأخذ يشتمه أمام الناس وهو حاضر، ولكنه لم يغضب، ولم ينفعل، بل قال لمن معه بأن السيد جوعان، ثم طلب من أهل بيته أن يصنعوا طعاماً ويرسلوه إلى بيته فلما وصل الطعام قال له أهل البيت بأننا لم نذق طعاماً منذ أربعة أيام؛ وفي الليلة الأخرى قام نفس الشخص بعد الصلاة يعدد محاسن القاضي.

هذا وقد خصصنا فصلاً كاملاً للتحدث عن كرم العلويين وإطعامهم الطعام، ولكن لا بأس هنا أن نستعرض بعض القصص لتتم الفائدة فقد ذكر الجد ابن عبيدالله في بضائع التابوت[١] أن السيد الجليل محمد بن طاهر الحداد (ت ١٣١٦) كان بحراً من الجود، وجبلاً من المجد، وذكر السيد حسين بن حامد العطاس قال قبضت له خمسة آلاف روبية فمازال يحيل عليها حتى نفدت في مكارم الأخلاق لأربعة أيام (انتهى).

---

(١) المصدر السابق صفحة ١٠.

قال ابن عبيدالله: ومن أهل قسم السيد أبوبكر بن إبراهيم بن عبدالرحمن السقاف له أيادي عظيمة، وأوقاف جسيمة، وقف على مسجد السقاف مالاً بنحو خمسة آلاف ريال وتوفي بقسم سنة ١٢٢٧هـ[١].

ومن الأعمال اليومية للحبيب عبدالله بن علي بن شهاب الدين المتوفى سنة ١٢٦٥هـ وهو أحد العبادلة السبعة أنه يقوم كل يوم بخياطة قلنسوة بيده الكريمة والتصدق بها أو بثمنها[٢].

كما بلغت كثير من الشرائف العلويات درجة كبيرة في الكرم والانفاق، وذكر ابن عبيدالله أن الشريفة فطوم بنت الجد محسن بن علوي السقاف المولودة حوالي سنة ١٢٤٩ وأمها الشريفة بهية بنت الحبيب حسن بن صالح البحر كانت آية في الجود حتى أنها لتتصدق بثوبها فتلبس منزلها وتغلقه على نفسها حتى يفتح الله عليها بغيره[٣].

وكما رأينا في الفصول الأخرى تواضع العلويين وانكسارهم، إلا أنه لا يمكن أن ينحني أحد العلويين احتراماً لبشر مهما علا مقداره، كما تدل على ذلك هذه القصة ذلك أنه لما وصلت ملكة بريطانيا إلى عدن سنة ١٩٥٤م وقررت منح السيد أبوبكر بن شيخ الكاف وسام الإمبراطورية لأعماله الكثيرة لأجل حضرموت ولكن عندما صعد السيد أبوبكر على المنصة التي تقف عليها ملكة بريطانيا عرف أن من بروتوكولات تقليد الوسام أن ينحني أمام الملكة فتغيرت ملامح وجهه، وفاجأ الحضور الحاشد برفض الانحناء، وقال: أنا مسلم والمسلم لا يركع إلا لله وحده، وأحدث هذا الرفض جدلاً كثيراً على منصة الاحتفال إذ لم يحدث مثل ذلك من قبل في تسليم الأوسمة التي يطمح إليها كبار

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلدان حضرموت مطبعة الإرشاد صفحة ٥٦٩.

(٢) عبدالله بن محمد السقاف تاريخ الشعراء الجزء الثالث صفحة ١٤٢.

(٣) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف بضائع التابوت الجزء الثالث صفحة ٢٤٨.

الرسميين والأعيان في كل أرجاء الإمبراطورية ومع إصرار السيد أبوبكر على رأيه حل الإشكال بأن احضروا للمنصة كرسي ليضع السيد أبوبكر عليه إحدى رجليه دون أن ينحني حتى تتم مراسيم تسليم الوسام[١].

أما السيد أبو بكر بن حسين الكاف والذي قررت الملكة أيضاً تقليده وسام الإمبراطورية لقيامه بكثير من أعمال السدود بحضرموت على نفقته، فقد اختفى من تريم حتى لا ترغمه الحكومة على السفر إلى عدن لتقلد الوسام، وقال: إن الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي قلدني سبحته ولن أرضى أن تقلدني امرأة كافرة أي وسام، وغادر تريم لمكان غير معروف ولم يعد إلا بعد مغادرة الملكة عدن.

وتكلم ابن عبيدالله في بحث طويل بالجزء الأول من مخطوطة بضائع التابوت إلى مسألة المصافحة، وتقبيل اليد والقيام للاحترام[٢] وقال في نهاية بحثه: ولئن ورد النهي عن الانحناء كما عند الترمذي وغيره فليس منه الانحناء لغرض المصافحة أو التقبيل أو أي غرض آخر إنما المنهي عنه الانحناء المجرد لأجل التعظيم لأنه من تحايا الأعاجم[٣].

وينهى كبار العلويين عن الهجرة والتغرب لطلب الدنيا، وينصحون بالصبر على معيشة حضرموت، وممن أكثر من الوعظ في هذا المجال الحبيب أحمد بن عمر بن سميط (١١٧٧-١٢٥٧هـ)، والزعيم الحبيب محسن بن علوي السقاف الذي نراه ينصح أهل سيؤون بهذه الأبيات:

يا أهل سيؤون ما هـذا السفه والغبـاوه

يا عجب يـا عجـب مـاذا الجفـا والقـساوه

---

(١) جعفر السقاف، وعلي أنيس الكاف، وأبوبكر بن شيخ الكاف تريم للدراسات والنشر صفحة ٩٨.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف بضائع التابوت الجزء الأول صفحة ٢٤٦-٢٤٨.

(٣) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف بضائع التابوت الجزء الأول صفحة ٢٤٩.

من ترعرع وشب قالوا لـه اعـزم لجـاوه

هـات دنيـا نعـرس لـك ونلقـي حـراوه

فالـسناوه ولا جـاوه ونعـم الـسناوه

فالقناعـة غنـى فيهـا الهنـا والحـلاوه

من قنع حل عنـد أهلـه ولا سـار جـاوه

صافي العيش ما له مـن فـضول أو غـشاوه

يـا أهـل ذا الوقـت مـا هـذا العمـى

همكـم راح في دنيـا عليهـا العـداوه

رامـة خامـة قـزة عليهـا طـلاوه

❊ ❊ ❊

الفصل السادس عشر

العلويون والعبادة



قال بن عبيدالله وفي تريم أودية وشعاب مشرقه بالأنوار لأنها كانت متهجد عبادالله الأخيار حتى إن من أهل تريم من وقذته العبادة إلى حد ان صبيانهم يسالون أمهاتهم عن آبائهم فيقلن لهم أخذتهم الجبال للتهجد بالليل والمساجد للاعتكاف بالنهار [١].

وسأستعرض فيما يلي بعض ما وجدته فيما توفر لي من الكتب عن عبادة العلويين ونبدأ بذكر عبادة الفقيه المقدم (٥٧٤-٦٥٣هـ) جد العلويين فقد ذكر الأستاذ صالح الحامد[٢] في ترجمته نقلا عن مصادره (انه كان يشتغل بالتدريس والصوم بالنهار ويقوم بالأسحار مواظباً على قراءة القرآن سراً وجهراً وإذا ختم ختمه شرع في أخرى وأما زهده فلا يقاس إلا بإبراهيم ابن ادهم وأما تواضعه فلم يسمع انه ادّعى حالاً ولا مقاماً ولا غيرهما مما هو أحق به وأهله ثم قال ولم ينتقم لنفسه بعد القدرة ولا شمت بعدو بعد النفرة وقال في موضع آخر وإذا تكلم في التفسير فهو حامل رايته او ذاكر في الحديث فهو ذو روايته أو أفتى في الفقه فهو مدرك غايته، (انتهى باختصار).

وذكر بن عبيد الله في بضائع التابوت عبادة الحبيب سقاف بن محمد بن عمر (١١١٥-١١٩٥هـ) فقال: كان لا ينام في كل ليلة حتى يسامح كل من ظلمه أو اغتابه أو سبه ومن حاول قتله ومن أمره بذلك وكان مجتهداً في العبادة من صلاة وصيام وقيام وبلغ به الأمر انه يطلع في وقت الاختراف بالقرن وقت الظهيرة من القرن إلى مسجد طه لصلاة الظهر وهي مسافة ليست قصيرة ليتضاعف له الأجر بالمشي والتعب وقد يكون ذلك في رمضان.

وإذا لم يشعر أثناء صيامه رمضان بالجوع والظمأ مشى المسافة من القرن إلى البلاد ليحس بذلك ولتظهر له الحكمة الشرعية من الصوم من تذكر للفقراء والمحتاجين و ترويض النفس على تحمل المشقة، وإبعادها عن الشهوات.

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلدان حضرموت الناشر مكتبة الإرشاد صنعاء صفحة ٥٢٥.

(٢) صالح الحامد تاريخ حضرموت الجزء الثاني الناشر مكتبة الإرشاد صنعاء صفحة ٧٢٦.

ووصف بن عبيد الله عبادة جده زعيم وادي الأحقاف السيد محسن بن علوي السقاف (١٢١١-١٢٩٠هـ) فقال في بضائع التابوت: كان الجد محسن كثير العبادة فكان لا ينام من الليل الا قليلا من أوله وإذا انتبه من نومه يقوم فيتوضأ ثم يصلي ركعتين خفيفتين ثم ياتي بأذكار الانتباه وخاتمه آل عمران ثم يصلي باقي الوتر ثم يتبع ذلك بمناجاة الباري عز وجل بحضور تام وتوجه كامل ويبقى على تلك الحال إلى أن يقرب الفجر فيخرج إلى المسجد ويصلي التحية ثم يستمع لقراءة القرآن ومتى انتهت النوبة في القراءة إلى من يحسنها استكثره منها وخفق قلبه واهتزت روحه واشتد طربه حتى يكاد يلفظ نفسه وربما شغل عن نفسه فكرر في تهجده بعض الأبيات المشتملة على الوجد والافتراق والشوق والدعاء الرقراق.

وأما في رمضان فكان لا ينام أبداً بل يحيى الليل كله في تلاوة القرآن ومراجعة التفاسير والمذاكرة والتذكير ويحضر عنده مجموعه من التفاسير منها تفسير البيضاوي والخطيب والبغوى والكشاف والضياءين والخازن والدر المنثور والجلالين ويقول أن البيضاوي سيد المفسرين وهو فى خلال ذلك يملي من لطائف المعاني وبدائع الحكم بما يفتح الله عليه بما لم تحم حوله الأفكار والمسجد غاص والنشاط كامل.

وفى آخر أيامه استوحش الجد محسن بالآخرة عن الناس واستكثر من الأنس بالله فكان يخرج إلى مكانه المسمى بعلم بدر ومعه جاريه قبيحة الصورة ويتزود لذلك بقليل من الثريد تصبغه له بالنهار بالماء وفى الليل يسهر في العبادة واذا كان من نصف الليل ذهبت الجارية بطعامه إلى ساقية المكان فيتهجد على ما سبق وصفه حتى اذا استخفه الطرب رفع العقيرة متمثلاً بأبيات السهيلى المشهورة أو قول ابن إسحاق الشيرازي:

لبست ثوب الرجاء والناس قد رقدوا ... وبت اشكوا إلى مولاي ما أجد

وقلت يا عدتي فى كل نائبة ... ومن عليه لكشف الضر اعتمد

أشكوا إليك أمورا أنت تعلمها ... ما لي على حملها صبر ولا جلد

وقــد مــددت يــدي بالــذل مفتقــراً　　إليـك يـا خـير مـن مـدت إليـه يـد

فـــلا تردنهـــا يـــا رب خائبـــة　　فبحـر جـودك يـروى كـل مـن يـرد

قال العلامة بن عبيدالله وكان الجد محسن يصلى بهم التراويح بمسجد طه وكثيرا ما يقرأ الآيات المأثورة بدلا عن السور وربما قرأ فى ركعة سوره وفى أخرى آية وكان يحضر الاحتفالات بختم القرآن فى المساجد القريبة إليه كمسجد السلطان ومسجد الحبيب على بن عبدالله والحومره وعبدالملك وعنبر وحنبل كل ذلك لاجل التذكير وكان يقول عقوبات المساجد الختوم والموالد

وذكر الحبيب عبدالله بن عمر الشاطري ان الحبيب علي بن عيدروس بن شهاب كان على غاية من المجاهدة وكان يقوم الليل بداره فيقرأ عشرة اجزاء من القرآن قبل ان يخرج إلى المسجد[١]

اما الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر (١١٩١-١٢٧٢هـ) فهو كثير التهجد والصلاة والأذكار والأوراد ومن أوراده اليومية خمس وعشرين ألف من لا اله الا الله وخمسا وعشرين ألف من يا الله وخمس وعشرين ألف من الصلاة على النبي ﷺ. وكان يؤثر في أواخر حياته الخلوة بربه متعبداً وتالياً وذاكراً متخذاً غرفة في سطح مسجد المسيلة مكانا لخلوته وكان يذهب من منزله كل ليله إلى المسجد عشية كل يوم لحضور الجلسة حيث يدرس الفقه وغير الفقه ومستمعا إلى الحديث حتى اذا دنت الشمس للمغيب قام متأهبا لصلاة المغرب من اغتسال وتطيب وكان يغتسل ويتطيب لكل فريضة صيفاً وشتاءاً.

وقال عنه الحبيب علي بن محمد الحبشي (كان فيه شبه بالنبي ﷺ في صورته وهيئته لو قرأت شمائل الرسول ﷺ في حضرته لرايتها معاينة فيه .. قيامه بالليل بعشرة أجزاء من القرآن وفي صلاة الضحى ثمانية أجزاء)[٢]. وكان حريصا على حفظ الوقت فلا يبرز للزوار

---

(١) المصدر السابق صفحة ٦٠.

(٢) طه حسن السقاف البحر الملي صفحة ٧٢.

مهما على قدرهم الا بعد صلاة الظهر بالمسجد ويقول (بلأنه حريص على حفظ الوقت ومن طلب استشاره او غيرها فهذا وقتها)[١].

وكان الحبيب أحمد بن حسن العطاس[٢] (١٢٥٧-١٣٣٤ هـ) يقسم ساعات النهار والليل بين قراءة الكتب العلمية وإقامة المدارس وتلاوة القرآن وإقامة الجماعة ومواصلة الأوراد وإدامة التهجد وقيام الليل حتى كان لا ينام منه الا نحو ثلاث ساعات وإرشاد الناس وتعليمهم وإصلاح ذات بينهم.

وإذا كان ببلده حريضة يخرج إلى المسجد قبل الفجر بمدة فيصلي ماشاء الله ان يصلي ثم يقرأ خمسة اجزاء من القرآن فاذا طلع الفجر قام إلى الصلاة واثنى بعدها باذكارها مع الحاضرين ثم عاد إلى تكملة أوراده ولا يخرج من المسجد إلا بعد صلاة الاشراق فيعود إلى البيت ثم يجلس في ضحوة النهار لقراءة الكتب النافعه كما يجلس لقراءتها عشية المغرب (انتهى).

اما الحبيب علوي بن عبدالرحمن السقاف (١٣٢٨-١٢٥٦هـ) الذي سماه بن عبيدالله قاضي الآخرة لورعه الشديد فاوقاته كلها معموره بالعلم يخرج للتهجد بمسجد طه عندما يبقى ثلث الليل الاخير ثم يصلي الصبح ويجلس لدروس التفسير حتى تطلع الشمس فيصلي سنة الاشراق ثم يرجع إلى بيته ويفطر على تمرات من العجوه وقهوه ليس سواها شيء ثم يرجع إلى المسجد ويصلي الضحى ويجلس للتدريس في الفقه ولا يترك ذلك حتى لو تأخر الطلبة ولو جاء واحد فقط لجلس لتدريسه حتى يرتفع النهار فيعود للبيت ويجلس للحكم والقضاء ثم يتغدى على ما تيسر ثم يقيل ثم يخرج لصلاة الظهر.

ثم يعود للبيت حيث يقصده خاصة الطلبة ويقصده معهم أصحاب المسائل للفتوى

---

(١) أحمد بن عبدالرحمن السقاف الامالي تعليق واضافة طه حسن السقاف، دار الاصول صفحة ٤٦.

(٢) علي بن أحمد العطاس ترجمة الحبيب أحمد بن حسن العطاس ورحلاته صفحة ١٦.

وأصحاب القضايا للفصل ويشرب قهوة ثم يخرج لصلاة العصر ويتلوا بعدها بعض أوراد المساء مستندا إلى سارية من سواري المسجد ثم يجلس للتدريس في كتب الرقائق والأخلاق والسير والتاريخ ونحوها ثم يصلي المغرب ويجلس بعد النافلة وشيء من الأوراد للتدريس في الفقه حتى موعد صلاة العشاء وبعدها ينتقل بنوافله إلى البيت ثم يتناول لقيمات من العشاء يقمن صلبه ويجلس مع أهله وأولاده يوانسهم ثم يصلي الوتر ثم يأوي إلى الفراش وكان هذا دابه في يومه وليلته [١].

ويهتم العلويين بأداء الأهل والأقارب للصلوات على أكمل وجه وكان الحبيب أحمد بن عمر بن سميط (المتوفى سنة ١٢٥٧) يقول للناس قوموا على اهليكم بها أمر الله واسحبوهم إلى الجنة وإلا سحبوكم إلى النار، وقال: ما حكم الذي يصل أرحامه بالعطاء والصلة الحسنه ولكنه لا يسألهم عن دينهم ولا يعلمهم ذلك هل يحشر يوم القيامة مع الواصلين او القاطعين. ثم قال: وقد ذكر ابن عطاء الله في كتابه التنوير ان من يصلي ويحافظ على الصلاة وله أهل لا يصلون ولم يأمرهم ويزجرهم ويهجرهم لا يحشر مع المصلين بل مع المضيعين وان كان يصلي أول الوقت وفي الجماعة وفي أول صف [٢] (انتهى). ثم ذكر في كلامه ان الشيخ عبدالله بن محمد عباد اخذ اثنتي عشرة سنه يتعبد في مسجد الخوقه لا يدري ماذا قال الناس [٣].

ونقل بن عبيدالله عن كلام الحبيب عمر بن حسن الحداد انه يطلع من منطقة الجرب وهو مكان واسع قرب تريم كانت به قديما قرية: أنه كان يطلع منها سبعون من العلويين على سبعين حمارا كل ليله يصلون العصر في مسجد باعلوي [٤].

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف بضائع التابوت الجزء الثالث صفحة ٢٦٣.

(٢) مجموع كلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط دار الفتح صفحة ٢٥٨.

(٣) مجموع كلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط دار الفتح صفحة ٢٥٩.

(٤) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مطبعة الإرشاد صنعاء صفحة ٥٤٩.

وذكر الحبيب عبدالله بن عمر الشاطري ان الحبيب علي بن عيدروس بن شهاب كان على غاية من المجاهدة وكان يقوم الليل بداره فيقرأ عشرة أجزاء من القرآن قبل ان يخرج إلى المسجد[1].

وحال الحبيب أحمد بن محمد المحضار (١٢١٧-١٣٠٤هـ) عجيب من فجر حياته وله في مناجاة الباري بالظلام والترنم بآيات القران مالا تضبطه الأقلام ولا يصل إليه الكلام زاره احد الأعيان من تريم وقال له أريد أن أكلمك بكلام لكن الموعد الليل، فرد عليه بصوت جهير أما الليل الا حق ربك! فعلم أن لا يستطيع أن يكلمه إلا بالنهار [2] وقد احتفر في آخر حياته قبره وكان ينزل فيه لقراءة القرآن.

ويهتم العلويون بالمحافظة على الصلوات بأركانها وشروطها والوضوء بأركانه وشروطه ومن كلام الحبيب عبدالله بن عمر الشاطري[3] (المتوفى سنة ١٣٦١هـ) ومن اعظم مايقربنا إلى الله المحافظة على الصلوات والمحافظة على اكمال الوضوء خصوصا اهل الخدمه (عمال البناء) تجد بعضهم يتوضأ وعلى بدنه او وجهه او يده نوره (مادة مثل الجبس) ولم يصل الماء إلى ماتحتها يجب علينا ان نتحرى ونعطي الاشياء حقها اهل العلم يقولون شروط الوضوء عشرة والصلاة لها شروط واركان اسألوا اهل العلم احفظوا صلاتكم واحكموها والصلاة الا صلة وهديه لنا بواسطة الحبيب الاعظم ﷺ ومن حفظها وكملها بشروطها وسننها وخشوعها وحضورها يافوزه ويابخته والفاتحه احكموها ولو قلت لواحد باستمع فاتحتك بايشتق (انتهى).

---

(١) المصدر السابق صفحة ٦٠.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف بضائع التابوت الجزء الثالث صفحة ٢٣٩.

(٣) محمد بن سالم بن حفيظ نفح الطيب من كلام الحبيب عبدالله بن عمر الشاطري دار العلم والدعوه صفحة ٨٧.

ومن تشدد العلويين في احكام فاتحة الصلاة ماتدل عليه هذه القصة التى وردت في كلام الحبيب عبدالله بن عمر الشاطري قال جاء إلى شبام الحبيب عبدالله بن عمر بن يحيى وحضر إلى المسجد وقت الصلاة ولما اقيمت الصلاة طلبوا من الحبيب عبدالله بن عمر ان يصلي بهم اماما فدخل والحبيب أحمد بن عمر بن سميط (توفي سنة ١٢٥٧هـ) حاضر فلما دخل المحراب قال من هذا فقالوا له عبدالله بن عمر فقال له اصبر بانسمع فاتحتك خاف فيها شيء فجثى الحبيب عبدالله بن عمر بين يدي الحبيب أحمد بن عمر مثل الاسد ولم يتحرك له خاطر وقرأ الفاتحة بالتمام والكمال فلما اتمها قال له قم الآن صل بنا (انتهى).

وقد عرف الحبيب عبدالله بن عمر بن يحي بتشدده في سنن الصلاة حتى يصل الوقت الذي تستغرقه صلاته الرباعيه إلى اربعين دقيقه و لما حج وصلى خلف امام الحرم غضب من عدم التزامه بالسنن فامر تلميذه الحبيب أحمد بن محمد المحضار فقام ولطم الامام وهرب فتبعه الناس حتى دخل مقام السيده خديجه وانقفل دونه الباب ولما احضروه للشريف قال له لم فعلت ذلك فقال امرني شيخي واشار للحبيب عبدالله بن عمر الا ان الشريف اكبرهما واطلق سراحه.

وذكر الجد بن عبيدالله في بضائع التابوت [١] ان السيد طه بن علوي بن حسن السقاف الذي تولى قضاء سيؤن غرة محرم ١٢٩٧هـ كان كثير التواضع سهل الجانب لين الاخلاق وكان يؤم الناس بمسجد طه فقال له شيخنا العلامه علوي بن عبدالرحمن السقاف لقد بلغني أن في فاتحتك خللاً فاحب ان تسمعنيها فلم يستنكف من ذلك بل أسمعه إياها (انتهى).

ومن كلام الحبيب عبدالله بن عمر الشاطري [٢] (توفي سنة ١٣٦٠هـ) اعرضوا

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الرابع صفحة ٢٠٤.

(٢) محمد بن سالم بن حفيظ نفح الطيب من كلام الحبيب عبدالله بن عمر الشاطري دار العلم والدعوة صفحة ٢٧٢.

وضوءكم وصلاتكم على العلماء الجهل مصيبه كبيره والحذر من ترك الصلاة شوفوا تارك الصلاة ثوبه يلعنه والارض التي هو عليها تلعنه واللقمه التى ياكلها تلعنه ثم يلوم نفسه ومن معه فيقول عن نفسه وان صلينا لاشروط نؤديها سوى (صحيح) ولا سنن ولا طمانينه اهتموا بالصلاة وكله مايكون الا بالعلم.

ثم قال والنساء كذلك خلوهن يعرفن ماعليهن تموت الواحده وندفنها جاهله بدينها واعظم ذنب يلقى الانسان به ربه جهالة اهله وهذا السبب للزنا والخنا والوقوع فيما لايرضي الله (انتهى).

ومن كلام الحبيب عبدالله بن عمر الشاطري ان السلف يعزون من فاتته تكبيرة الاحرام ثلاث ايام ومن فوت الجماعه يعزونه سبع ايام ويطرحون الجنازة تحت داره ويقولون ليس المصاب من فارق الاحباب بل المصاب من حرم الثواب[١].

ومن كلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط (المتوفي سنة ١٢٥٧)[٢] عند ذكر الحديث «كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يرون شيئا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة» لأنهم عرفوا ذلك من فعله عليه الصلاة والسلام حين أتاه ثقيف وأبوا من الصلاة فلم يقبل عليه السلام إسلامهم وقال: «لا خير في دين ولا ركوع فيه» بخلاف الذي أتى مسلما وشرط الفاحشة فقبل إسلامه ثم قال عليه الصلاة والسلام: «أترضى ان يكون ذلك لامك أترضى ان يكون ذلك لأختك!»، ومسح صدره فزال ذلك لان عدم الصلاة المانع منها الكبر وهو أكبر المعاصي ﴿أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ والآية ﴿ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ ﴾، بخلاف الزنا فانه شهوة تنفع فيه موعظة الواعظين اما الكبر فلا ينفع فيه ذلك (انتهى).

---

(١) المصدر السابق صفحة ١٠٦.

(٢) مجموع كلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط دار الفتح صفحة ٢٤٦.

وكان الحبيب عبدالله الحداد يقول في رجال القبائل المجاورة لموطنه تريم إنني لا أقدر أن أحكم بكفرهم ولا بإسلامهم لأنني إن حكمت بكفرهم فهم ينطقون بالشهادتين ويصلون وإن حكمت بإسلامهم فهم يستحلون قتل الأنفس البريئة وينهبون الأموال الحلال[١].

ويتعجب الحبيب أحمد بن عمر بن سميط من عظيم لطف الله مع خروج المكرمي حيث حفظ الله الناس مع كون خروجه والناس في غفلة تسعة أعشارهم مايصلون [٢].

ونقل الحبيب أحمد عن والده الحبيب عمر بن سميط (المتوفي سنة ١٢٠٧) قوله ان تسعة اعشار آل حضرموت مايصلون والعشر الذين يصلون يصلون صلاة ما ادري كيف[٣]. والواقع أن الكلام الخطير السابق يدل على ظلام تلك الفترة حيث منعت الفوضى المستمرة وانعدام الأمن رجال الدعوة من القيام بمهمتهم، ولعلنا نشكر الله تعالى على الوضع الذي عليه حضرموت في هذا الزمن والذي يستطيع الواحد ان يقول: إن تسعة أعشار الناس فيها يصلون.

وقد وصف بن عبيدالله عبادة والده الحبيب عبيدالله بن محسن اليومية (١٢٦٢ هـ - ١٣٢٤هـ) عن مشاهدة يوميه واحتكاك متواصل فقال : ومنذ عرفته وهو يقوم من النوم انتصاف الليل فيخف إلى الطهارة ثم يصلى سنتها ثم الوتر إحدى عشر بحسن قراءة وطول قيام ثم يقرأ حصة من القرآن ثم يأخذ فى الأوراد والمناجاة. وكثيراً ما يقول فى آخر دعائه اللهم أرحمنا إذا عرق منا الجبين وانقطع منا الأنين وايس منا الطبيب وبكى علينا الحبيب اللهم ارحمنا يوم نركب على العود ونساق إلى اللحود اللهم ارحمنا إذا نسى اسمنا واندرس رسمنا وفنينا وطوى ذكرنا ولم يزرنا زائر ولم يذكرنا ذاكر اللهم ارحمنا يوم تبلى السرائر وتكشف الضمائر وتوضع الموازين وتنشر الدواوين.

---

(١) محمد بن أحمد الشاطري ادوار التاريخ الحضرمي.

(٢) مجموع كلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط دار الفتح صفحة ٢٤٤.

(٣) المصدر السابق صفحة ١٥٨.

وإذا جاء فصل الصيف والخريف تهجد على سطح مصلاه أو في بطن مسيله فكأنما تأوب معه الجبال وتكاد تنقد لخشوعه الصدور وتنفطر السرائر، ثم يصلي الصبح ويأخذ في أذكار الصباح حتى إذا أسفر الأفق نبهني وأعاد معي الصلاة وجلس يقرئني إلى أن تطلع الشمس فيصلي سنة الضحى ثمانيا وتارة يختص الإشراق بركعتين.

قال بن عبيدالله: ثم يتناول ما تيسر من الفطور ويعود إلى مصلاه الذى بناه سنة ١٣٠٠هـ ووقف منه قطعة صغيرة للمسجد علينا وعلى ذريتنا فقط ليصح الاعتكاف فيه فيجلس للتدريس به لأناسٍ مخصوصين هم السيد سقاف بن علوي بن محسن والسيد عبدالله بن حسين بن محسن والشيخ عمر عبيد حسان والشيخ محمد بن محمد باكثير والشيخ محفوظ بن عبدالقادر حسان وأما الشيخ محمد بن شيخ الدثنى فقد لازمه ثلاثين سنه.

وكان يحميني من مخالطة ابناء الزمان ومتى فرغ من درسي جاء إليه الدثنى ليقرأ عليه إلى قريب الظهر عندئذ يتناول ما تيسر من الغذاء ثم يقيل نصف ساعة أو اقل يتهيأ بعدها للظهر فريضة ونوافل. ثم يدخل إلي أهله فتقرأ عليه الوالده فكلما انتهت من كتاب شرعت في أخر إلي أن يدخل وقت العصر فيقوم إلى مصلاه ويؤديها نافلة وفريضة بطهر مجدد ثم يشتغل بشيء من الأوراد والحزوب ثم أحضر بكتابي فأقرأ عليه درسا ثم انهض إلي اللعب مع الذين خصصهم لذلك.

ثم يحضر الدثنى فيقرأ عليه إلي المغرب فيستأنف الطهارة ثم يؤدى المغرب بنوافلها الراتبة وغيرها. ثم اقرأ عليه درساً خفيفاً ويخلفني الدثنى في القراءة إلي العشاء وقد يحضر السابقون فى هذا الوقت وغيرهم فيكون درسهم واحدا. ثم نؤدي العشاء ثم نصلى راتبته ويشتغل بعدها بأذكار المساء ثم يتناول العلقة من الطعام ثم يأخذ مضجعه وقد غلب عليه الخوف من الله والشوق اليه فقلما يطمئنّ به فراشه وهكذا دواليك.

وقد انطبعت نفسه ورسخت أعضاؤه على إتباع السنة في يقظته وانتباهه وقيامه وقعوده ومدخله ومخرجه وقضائه للحاجة انطباعا لا يحتاج معه إلي تكلف بل كثيراً ما يتضجر من

النهار ولا سيما إذا كثر عليه الواردون مع أن كلامه معهم لا يخرج عن التمجيد والتحميد والتعريف والتوحيد والوعظ الذي يلين له الحديد، وكان يتململ لما يجد من اللذة فى العباده خوفاً أن ينقطع بها المقصود ويكون حظه من العمل وكان يحكى مثل ذلك عن أبيه.

❊ ❊ ❊

الفصل السابع عشر

العلويون والورع



منارة مسجد طه بسيؤن في خلف بيوت المدينة القديمة

اشتهر العلويون بالورع الشديد، ولهم في ذلك قصص كثيرة، أولها: ما حدث عند انتقالهم من بلدتهم بيت جبير إلى تريم، فلقد كانوا ينقلون الترابَ الذي يستعملونه لبيوتهم من بيت جبير إلى تريم، حتى لا يبنوا بيوتهم إلا من تراب حلال يملكونه.

ومن ورعهم: أنهم كانوا لا يدخلون بيوتَ الأمراء والسلاطين، ولا يأكلون من طعامهم وذلك خوفا أن يكون من مظلمة، ويؤكد ذلك كلام الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر (ت ١٢٧ هـ) الذي يقول: «إنه لا يجوز دخول دار الظلمة والفسقة ولا حضور المواضع التي يشاهد فيها المنكر مع عدم القدرة على تغييره»[١].

وتروى في ذلك قصص كثيرة؛ منها: ما رواه الفقيه عبدالله بن عمر باعباد، وكان شاهد عيان، فقال: «إن السلطان بدر بن عبدالله بن عمر الكثيري الذي تولى السلطنة سنة ١٠٥٨هـ، ذهب قاصدا قرية حريضة لزيارة الحبيب عمر بن عبدالرحمن العطاس، وأرسل له رسولاً يستأذنه في الدخول إلى بلده المذكور، وكان مع السلطان جندٌ عظيم، فأشار على السلطان بالبقاء في مكانه، وأنه سيأتيه، لأنه أحق بذلك، وعمل الحبيب قهوته، وأخذ مجمرته، فقال له الخادم: إن النار توجد عند السلطان، فقال الحبيب: نحن لا نستعمل نارَ السلطان أبدا، وقال السلطان: يا سبحان الله! تتورعون حتى عن قهوتنا ونارنا».

وذكر الأستاذ ابن هاشم: «أن هذا السلطان كان عظيم القدر، دمث الأخلاق، له مكانة رفيعة اكتسبها بحلمه وأخلاقه الفاضلة، وكان يتقصّد أعلام التقوى والولاية يزورهم ويستشيرهم ويحترمهم، ويتحمل ما يبدر منهم من كلمة عتب أو نصيحة قارصة»[٢].

وجاء السلطان بدر بوطويرق مؤسس الدولة الكثيرية الأولى إلى تريم، كما ذكره الأستاذ بن هاشم في «تاريخ الدولة الكثيرية»، ونوى زيارة الولي الصالح السيد أحمد بن

---

(١) مجموع كلام الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر صفحة ١١٤.

(٢) محمد بن هاشم تاريخ الدولة الكثيرية تريم للدراسات والنشر صفحة ١٠١-١٠٢.

علوي باجحدب (المتوفى سنة ٩٧٣هـ) فقال لجماعته: مرادنا نزور السيد الشريف أحمد ولا نزعجه أو ننكد عليه، وذلك لما علمه من السيد أحمد يستوحش من أهل الدنيا، فلما أخبروا السيد أحمد بقدوم السلطان قال: لا حول ولا قوة إلا بالله! وأيش لنا حاجة بمجيئه؟ وقال نحن نخرج إليه، ثم أخذ ملحفته وغطى بها جسده ويديه، ثم خرج لمقابلة السلطان فلما وصل استلم السلطان يدَه وبقي واقفا، قال له السيد: اللهَ الله في العدل، فقد كان والدك طيبا مع الناس، وأنت اللهَ الله فيهم، فقال السلطان: قد جئنا بشيء من الذهب والفضة باسم الفقراء تفرقونه على من شئتم من جماعتكم، فقال السيد: لا حاجة لذلك، وأنتم عليكم مصاريف كبيرة، فقال السلطان: اقبلوا منا شيئا من البن والعود، فقال السيد: عندنا البن والعود ولا نحتاج لشيء منهما، ثم استودعَ منه، ولما رجع السلطان بدر بُوطويرق قال لجماعته: الحمدلله الذي جعل في ولايتي مثل هذا السيد.

وذكر ابن عبيدالله: وصولَ السلطان غالب بن محسن مؤسس الدولة الكثيرية الثانية إلى سيؤون، وما عم البلاد بوصوله من الفرح والابتهاج، وقد خرج العلويون لمقابلته خارج البلد، ولما لاقاهم ترجّل عن فرسه وقبل أيديهم، ثم سايرهم إلى داخل البلد، ولما وصلوا إلى تحت الحصن مقر السلطان، رتب السادة الفاتحة وعادوا إلى أماكنهم، إذ ليس من عادتهم دخول بيوت الجند والسلاطين[١].

إلا إن العلويين قد يكسُروا هذه القاعدة عند الضرورة، فقد ذكر بن عبيدالله في مخطوطة «بضائع التابوت»: أن الحبيب أحمد بن محمد المحضار (١٢١٧-١٣٠٤هـ) خرج لزيارة هود عليه السلام، فلاقاهم الامير عبدالله بن عمر القعيطي اتفاقاً في تشييع جنازة بشبام، وعليه ثيابٌ بيض، ولما جاء يصافحُ الحبيب أحمد المحضار لم يعرفه، وقال له: ظننتك من آل بارجاء! فسار بهم السلطانُ إلى حصنه، ولما رفعوا أيديهم من العشاء، قال له الحبيب

---

(١) المصدر السابق صفحة ١٧.

أحمد: أكل طعامكم الأبرار، وصلت عليكم الملائكة إلا جبريل! فقال له الأمير عبدالله: إن الشأن الجليل إنما هو في صلاة جبريل، فما الداعي إلى استثنائه؟ قال له الحبيب أحمد: أما صلاة جبريل فإنما تكون بعد تفقد بهائمنا، فأشبعوها.

وفي الصباح ذهبوا لزيارة سيدنا عبدِالله بن عمر بن سميط، فعاتبهم بنزولهم عند الأمير وقال له: تعمدون إلى ظالم من الظلمة فتقاربونه بنزولكم عنده! لو لم يكن في ذلك إلا ما سيحدث له من إعجابه بنفسه، واستخفافه بظلمه. فلم يتكلم الحبيب أحمد المحضار ولكن ولده حامد استأذن في الرد، فقال له الحبيب عبدِالله: تكلم، قال: إن أحمد المحضار لم يخرج إلى حضرموت إلا هذا العام، فان لم يزُر شبام كان من التقصير، وان زارها وبات في أحد المساجدِ كان عاراً عليكم وعليه، وان نزل عندك فلن تسَعُوه ومن معه، وهم ستون شخصاً، فسكت الحبيبُ عبدِالله بن عمر، وقيل: إنه قال له: صدقت! انتهى[1].

ومن أخبار ورع العلويين: أن الحبيب الحسين بن طاهر لما قرّر الجلاء بعائلته عن تريم بعدما اشتد فيها الجور والظلم من حاكمها غرامه، وكان ذلك في سنة ١٢٠٨هـ، قال ابنه الحبيب عبدالله بن حسين: كان مقصد الوالد إلى الحِلال من قرية بيت جبير، وهي أول مكان نزل به العلويين قربَ تريم قبل ان ينتقلوا لتريم، لكن الحبيب الحسين بن طاهر رأى في البقعة التي اختارها لسكنه آثارُ عمرانٍ، فانصرف عنها تورعا قائلا: لعلها قد ملكت من قبل، واتجه منها إلى المسيلة، وبنى بها داره في أرض كانت وَصَراً (مكان درْس سنابل القمح) لقَومٍ من آل تميم ابتاعها منهم[2].

وكان الحبيب سقافُ بن محمد بن عمر (١١١٥-١١٩٥هـ) شديدَ الورع حتّى في

---

(١) بضائع التابوت في نتف من تاريخ حضرمةت للعلامه عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف الجزء الثالث مخطوطة صفحة ٢٣٧.

(٢) محمد بن هاشم تاريخ الدوله الكثيريه تريم للدراسات والنشر صفحة ١٤٨.

ملبسه، فكان إذا أراد ثوبا اشترى العطُب (القطن) وأعطاه مِن النساء مَن تفرح بتجهيزه، ويعطيه الحائك المشهور بالورع[(١)].

ومن أخبار الورع في الطعام: ما ذكره بن عبيدالله في «بضائع التابوت»، قال: «أخبرني الفاضل الأخ علوي بن عبدالله الحبشي صاحب رحاب، أن امرأة أرسلت مع أحد قرابتها بثلاث عُكَك من السمن؛ إحداها: للعلامة الصالح أحمد بن عبدالله البار، والثانية: للحبيب أحمد بن محمد المحضار، والثالثة: للحبيب علوي بن سالم خرد.

فأما خرد فقبض عكّته داعيا شاكرا لها، وأما البار فألفاه في الدرس فانتظره حتى فرغ وما فرغ إلا بعدما امتد النهار، وفات الرجلَ كثيرٌ من أعماله، وعند ذلك ناوله العكة فأحفاه المسألة: عن السمن، وعن أصله، فقال: إنها تجمعه من بقرة لها، فقال: ومن أين لها البقرة؟ ومن أين تأكل؟ وأحفاه حتى أضجره وضيق عليه أنفاسه، ولم يستلم العكة إلا بعد أن توثق من الحل، وتضايق الرجل من تلك المساءلة، خاصة وأن عليه أن يذهب بعده إلى المحضار، ولما وصل للمحضار استقبله وداعبه وخففَ عليه ما أصابه من البار، وتقبل الهدية، فلما سأله الرجل عن اختلاف أحوالهم، قال له: أما انا وخرد فنسبح في أطراف الماء، وأما البار، فيخوض لجَجَ البحار[(٢)].

وقال الجد علوي بن عبدالله بن حسين السقاف: «أخبرني من أثق به من أحفاد الوالد عبدِالله بن أحمد بن طه، حفيد الحبيب طه بن علوي: أن الحبيب طه بن علوي أيام قضائه الذي بدأ عام **١٢٧٢**هـ، أجرى عقدَ نكاح بين بعض المزارعين، فخرج من عنده ولم يعطه شيئا، ثم جلس في مسجد الجد طه، فجاءه ابنه أبوبكر يبشره بأن بعض الناس أرسل له حمَلَ جملٍ من طعام، وكان لا يوجد في تلك الليلة في بيته عشاء لأطفاله، فسأله: من الذي أرسله؟

---

(١) المرجع السابق صفحة ١٦٦.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف بضائع التابوت الجزء الثالث صفحة **٢٣٧**.

فاخبره بأنه الذي عقد له النكاح اليوم، فلم يكن من الحب طه إلا أن أخذ منه مُضْرَى ونصف، وقال لهم: أرجعوه له، فإننا لا نستحق إلا مدا ونصف (وهو الأجر المقرر لعقد النكاح)، فحاولوه أن يقبله فلم يقبل». وجرى مثل ذلك للعلامة التقي الحبيب محمد بن على بن علوي، الذى تولى القضاء عام ١٢٦٥هـ وللحبيب علوي بن عبدالرحمن السقاف وقت تقلدهم للقضاء فلم يأخذوا الا ما هو مقرر لهم.

وذكر ابن عبيدالله: شيخه الحبيبَ علوي بن عبدالرحمن السقاف (١٣٢٨-١٢٥٦هـ) في «بضائع التابوت» فقال: «كان مثالاً في الورع والتقوى، بقي على القضاءِ بسيؤن أكثر من اثني عشر عاما، ولم يمتلك مالا ولا عقارا، ولم يخلف دينارا ولا درهما، ولم تزد قيمة أثاث بيته وماعُونه يومَ توفي عن عشرين ريالا. ومن ورعه: انه ماتَ له قريبٌ بالجدري وهو وارثه، وكان زاره قبل وفاته، واكتشف بعدها ان في يده شيء من الطيب، فظن أنه تسبب في وفاته، لان أهل حضرموت يعتقدون بضرر الطيب على الجدري، فتورع أن يأخذ شيئا من ورثه، مع حاجته الشديدة للمال.

وذكر ابن عبيد الله في «بضائع التابوت»: أن جده الزعيم محسن بن علوي السقاف (١٢١١-١٢٩٠هـ) ذهب ذات مرة إلى وادي بن علي، ليعظ أهله فيما انتشر بينهم من المنكرات، وقال للسيد محسن بن جعفر الحبشي: لابد أن تكون معنا على شرط ان لا تدخل بنا دارَ ظالم، ولا صاحب ربا، فالتزم بذلك، ثم لم يكن منه إلا أن ضَوى بهم عند رجل من القبائل، فأسبغ قراهم. وكان من عادة الجد محسن أن يقوم من ليله متهجداً ثم يقرأ من القرآن والأدعية ما ينتهي بطلوع الفجر، فقام الجد على عادته يتوضأ وقرأ وردَه من القرآن والأدعية، ثم صاح بأصحابه وأولاده، وصلى بهم الصبح، ثم عرفوا بقاء الليل فعادوا إلى مضاجعهم وعاد الجد محسن لأوراده، ولما انتهى منها عاد ونبه أصحابه، وصلى بهم ثانيا ولم يطلع الفجر بعدُ. فقال له: محسن بن جعفر، أنت ياحَب محسن يلعب بك الحرام! فبهت الجد محسن، وقال: أوَ في مالِ الرجل شيء؟ قال له الحبشي: كل شيء، قاطع طريق، ومرابي، ومانع إخوانه

من الميراث!. فقال الجد محسن: حسبك الله، ألم أشرط عليك أن لا تدخل بي دار ظالم، فقال له: وهل يمكن ان نأكل هذا اللحم السمين في وادي بن على إلا في داره!.

وذكر ابن عبيد الله في «بضائع التابوت»[1]: أن الحبيب حسن بن صالح البحر (١١٩١-١٢٧٣هـ) كان في زيارة لدوعن، فمر مع الحبيب أحمد بن محمد المحضار (١٢١٧-١٣٠٤هـ) على مقربه من بيوت احد الظلمة المرابين، فتعرض لهم وألح عليهم أن يضيفهم، فقال البحر للمحضار: أفي ماله شيء؟ يعني: من الحرام، فقال له المحضار: نعم، أكثره سُحتٌ! فامتنع الحبيب حسنٌ من قبول ضيافته، وهو يلح، فقال له المحضار: أما عندك كرفوحَه تحلف فيها عليه فعلّق الرجل طلاق الثلاث في أم عياله إن لم يتغدوا عنده ذلك اليوم، فقال المحضار لسيد الوادي: ماذا ترى أتحب أن تكون السببَ في خراب بيت الرجل وشتات شمله؟ فلم يسعهم بعد ذلك إلا أن أجابوه درءا للمفسدة الكبرى بما دونها، على أن الحب حسنَ وعظَه وعظا نافعا وتذكيرا مؤثرا بما يكونُ سبب رجوعه وتوبته، انتهى.

ومن كلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط[2] المتوفى سنة ١٢٥٧هـ قوله: «انظروا بركة الدعوة إلى الله، فأدب الفقير: التعفف، وأدب الغني: التعطف، كررها ثلاثا. ولا يتأتى ذلك إلا بالرفق والاقتصاد، ولا يتأتى الورع إلا بذلك، ومحال ممن بغاه كله، لأن القناعة بساطُ الورع، وإذا عدمت القناعة عدم الورع، لا أحد يغشّ نفسه ويغرها».

ومن كلام الحبيب سقاف بن محمد بن عمر السقاف[3] (المتوفى سنة ١١٩٥هـ): «ثلاث خصال العقوبة فيهن معجلة في الحال: عقوق الوالدين، والدخول في البناء في حرم المسلمين، وإيذاء الجار»، ويقول: «إني شاهدت ذلك مراراً في جملة من الخلق».

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف بضائع التابوت الجزء الثالث صفحة ٢١٥.

(٢) مجموع كلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط دار الفتح صفحة ٢٩٠.

(٣) نشر محاسن الاوصاف في مناقب الحبيب سقاف بن محمد دار الحاوي صفحة ٢٦٢.

وذكر الشيخ عمر بن عبدالله الخطيب ساكن سنغافورا[١]: أن الحبيب محمد بن علوي الكاف كان يحب الصدقة ويواسي المحتاجين وفي مرة رهنت عند شريفه من المسيلة نخلا في عشرين ريالا فرانصه، فلما أرادت إرجاع العشرين ريالا حسَب الحبيب محمد كل ما دخل عليه من هذه النخلات من حين رهنها من تمر وسعف وكرب وقدّر ثمنه، فكان سبعة عشر ريال فلم يأخذ منها إلا ثلاثة ريال فقط.

وفي «معجم بلاد حضرموت» للجد العلامة بن عبيدالله[٢]: أن الشيخ الوقور محمد بن أحمد المخشّب من سكان صُبيخ، وهو الذي تزعم حركة الإصلاح بوادي الأيسر، لما اشتد عليهم الجور من الوزارة المحضارية قدمَ مع الشيخ سالم عبود بالعمش، وهو لسانه وقلمه، قدما إلى سيؤون وأقاما بها ١٨ يوما للمفاهمة مع المستشار الانجليزي.

وذكر والدي عن الشيخ سالم بالعمش: أنهما لما وصلا سيؤن كانا في غاية الجوع والتعب، فسألا عن مكان ينزلان فيه، فأخبرهم الناس أن السيد عمر بن عبدالرحمن السقاف يستقبل الناس في بيته، وهو رجل فقير، فوصلا وأخبراه بأنهما سيمكثان بسيؤن أسبوع او أكثر، وأعطياه ريالا ليشتري به لهما عشاء، فنزل السيد واشترى أشياء بسيطة لم تسد لهما رمق، ولكنهما استحيا أن يسألاه لتوقعهما أن السيد قد استأثر ببقية الريال.

وفي اليوم الثاني ذهبا لزيارة السيد أبوبكر بن شيخ الكاف، الذي أصر على نزولهما في ضيافته حيث الموائد العامرة، والمجالس الحافلة، ولما عادا إلى السيد لأخذ متاعهما أعطاهما باقي الريال، وقال: إنما أردت توزيع الريال على مصاريف الأيام كلها ليكفيكم مدة إقامتكم بسيؤن.

ومن ورع العلويين المتأخرين: أن الحبيب أبوبكر العطاس بن علوي الحبشي (١٣٢٨-

---

(١) عبدالقادر بن عبدالرحمن الجنيد العقود الجاهزه والوعود الناجزه صفحة ٥٢٣.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت الناشر مكتبة الإرشاد صنعاء صفحة ١٧٩.

١٤١٦هـ) حضر أيام كان بحضرموت وليمة مِداد بسفح جبل عيديد بتريم، وشرط على أصحابها أن يتحروا في كل أمور الطعام، ثم نفدَ الحطب، وعرف الحبيب عطاس ذلك، فذهبوا يبحثون عن حطب فوجود بواقي من الخشب مرمية بسفح الجبل، فأخذوه وأكملوا به طبخَ الطعام، فسألهم الحبيب عطاس قبل وضع الطعام: من أين جئتم بالحطب الناقص؟ فاخبروه. فامتنع عن تناول أي شيء من ذلك الطعام، وبقي طاويا طول النهار[١].

وبلغ من ورع الحبيب عطاس: انه منذ غادر حضرموت إلى السعودية، بعد وقوع حضرموت تحت الحكم الشيوعي لم يتناول أي شيء من المطعومات القادمة من حضرموت، كما كان يمنع أهل بيته من تناولها. وذلك بعد أن عرف أن الشيوعيين قد استولوا على أموال الناس وأموال الأوقاف، فاختلطت الثمار والحاصلات، فصارت كلها في نظره مشبوهة، فتورع عن تناول أي شيء منها[٢].

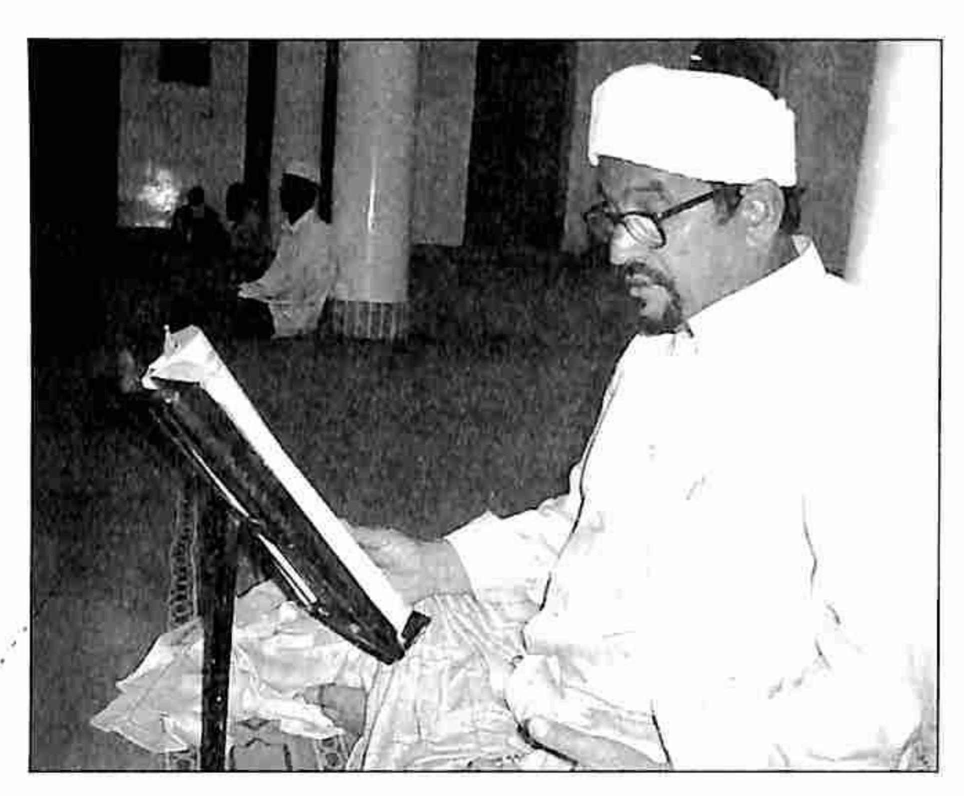
❊ ❊ ❊

(١) عبدالقادر بن عبدالرحمن الجنيد العقود الجاهزه والوعود الناجزه صفحة ١٤٠.

(٢) عبدالقادر بن عبدالرحمن الجنيد العقود الجاهزه والوعود الناجزه صفحة ١٤٠.

الفصل الثامن عشر

العلويون وحفظ القرآن



اهتم العلويون وخاصة القاطنين منهم بتريم بحفظ القرآن الكريم، ولذا نجد في كثير من تراجمهم الجملة المشهورة: «ولد بتريم وحفظ القرآن العظيم». وهذا جد العلويين الفقيه المقدم (٥٧٤-٦٥٣هـ)؛ ذكر الأستاذ صالح الحامد[١] في ترجمته نقلا عن التراجم القديمة: «أنه كان يشتغل بالتدريس والصوم بالنهار ويقوم بالأسحار مواظبا على قراءة القرآن سراً وجهراً، وإذا ختم ختمةً من القرآن شرع في أخرى».

واهتم العلويون بالكتاتيب والمدارس التي تخصصت في تعليم وتحفيظ القرآن الكريم ومن أشهرها: **مِعلامة أبومريّم** بتريم، التي أسسها الإمام محمد بن عمر بن محمد بن أحمد الشهيد ابن الفقيه المقدم المتوفى سنة ٨٢٢هـ. ثم جدد عمارتها سنة ١٢٩٩هـ الحبيب عبدالرحمن بن محمد المشهور. وهي تدرّس القرآن الكريم تلاوة وحفظا إضافةً إلى تدريس الفقه، وقد فتَر فيها التدريس في فترة الحكم الشيوعي الذي استمر ثلاثين سنة، ثم جدد نشاطها السيد محمد بن علوي العيدروس الملقب سعد[٢]، وساعدَه في ذلك السيد مشهور بن حفيظ، وأضافا إلى تحفيظ القرآن: تعليمَ التجويدِ والترتيل، والتحق بها عددٌ كبير من الطلاب تخرجوا منها حافظين لكتاب الله، ولازالت تخرّج الكثيرَ من حفظة كتاب الله إلى اليوم. **ومن معلميها** السابقين: الشيخ محمد بن سالم الخطيب، ثم خلفه ابنه الشيخُ سالم بن محمد، ومن بعده ابنه الشيخ علي بن سالم، وقد حفظ القرآن الكريم على أيديهم وبإشراف الحبيب عبدالله بن عيدروس العيدروس الجمُّ الغفير[٣].

وكان الحبيبُ عيدروس بن علوي العيدروس يتمنى أن يقرأ الطلبة في مسجد السقاف كلهم القرآن حفظاً دونَ الحاجة لسراج للقراءة، وإنها لرفع الظلمة عن الحاضرين

(١) صالح الحامد تاريخ حضرموت الجزء الثاني الناشر مكتبة الإرشاد صنعاء صفحة ٧٢٦.

(٢) عمر بن علوي الكاف الخبايا في الزوايا دار الحاوي للطباعة والنشر صفحة ١٧٣-١٧٤.

(٣) عمر بن علوي الكاف الخبايا في الزوايا دار الحاوي صفحة ١٧٢-١٧٥.

فقط، فتحققت أمنيته، وصارت قراءةُ حزب القرآن بذلك المسجدِ حفظاً عن ظهر قلب ليلا ونهارا، منذ عهد ذلك السيد وإلى يومنا هذا[١].



حلقة قراءة القرآن بمسجد طه بسيؤن

ومن المدارس الشهيرة الأخرى بتريم: **معلامة باغريب**؛ التي أسسها الإمام عبدالله بن أبي بكر العيدروس المتوفى سنة ٩١٤هـ، وتولى التدريس فيها أفراد من أسرة باغريب، فاشتهرت بهذا الاسم. وأسرة آل باغريب مشهورة بالزهد والتواضع، ويقومون بالتدريس بهذه المعلامة مجانا احتساباً لوجه الله رغم حاجتهم للمال. وهم يعلمون التلاميذ إلى جانب حفظ القرآن: أحكام الصلاة والطهارة و القراءة والكتابة، ويربونهم التربية الصالحة[٢].

قال ابن عبيدالله: «ومن أكابر المدرسين بمدرسة باغريب: الشيخ عمر بن عبدالله

(١) عمر بن علوي الكاف الخبايا في الزوايا دار الحاوي صفحة ١٧٥-١٧٦.

(٢) أحمد بن عبدالله بن شهاب تريم بين الماضي والحاضر الجزء الاول تريم للدراسات والنشر صفحة ١٥٩-١٦٠.

باغريب المتوفى سنة ١٢٠٧هـ أطنب في مدحه الحبيب علوي بن أحمد الحداد في كتابه «المواهب والمنن»، وقال: إنه تعلم لديه من السادة أكثر من الألف، وتعلم هو عنده بعد والده ثلاث طبقات من أهل تريم غير السادة الألف، ومن أواخر من علم بها منهم: الشيخ الصالح عمر بن سعيد بن ابي بكر باغريب المتوفى بتريم سنة ١٣٤٧هـ (١).

هذا؛ وبالإضافة للمدرستين السابقتين، فهناك كتاتيبُ أخرى بتريم وغيرها من بلدات حضرموت ومدنها، تهتم بتدريس وتحفيظ القرآن الكريم، وقد ذكرناها في مكان آخر من هذا الكتاب.

ووصف المستشرق الانجليزي سرجنت الاحتفالّ بختم الصبيان للقرآن الكريم بتريم فقال: «وعندما يتم احد التلاميذ حفظ القرآن فان جميع الأولاد يعطون إجازة مدتها سبعة أيام، وفي كل يوم من أيام هذه الإجازة يخرجون في موكب من (العلمة) كما تسمّى مدرسة القرآن وهي (الكُتّاب في مصر)، بعد أن يقرءوا شيئا من القرآن ويتوجهون إلى بيت أبي الولد الذي ختمَ القرآن وهم ينشدون ويرزَحُون بهذه الكلمات:

تم تم كله! تم تم ماشي تِعلّامْ

وعندما يصلون إلى البيت يتناولون الهدايا من الحلوى والسمسم، إذا كان ذلك في استطاعة أهل البيت، ويحدث هذا الموكب في كلِّ يوم من أيام هذه الإجازة. وفي اليوم السابع يقيم الأب ضيافةً يدعوا فيها الأقارب والجيران وبعض الأجلاء الصالحين والأولاد أنفسهم، ثم يقرأ قصة المولد النبوي، وفي حالة أن يكون الولد من السادة يُحضِر الداعي المنشدين المعروفين بأخدام السقاف.

ويرافق الولدَ المحتفَى به ستةٌ من الأولاد يلبسون البنانيس (جمع بنوس)، وهو قطعة من القماش محشوةٌ بالقطن، ومغطاة بالحرير الأخضر والأصفر والأزرق، ومزين بالأزرة

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مكتبة الإرشاد صفحة ٥٢٤.

ورباطٍ تحت الحلق، ويحتفظ المعلم بهذا البنّوس لمثل هذه المناسبات، ويمر عليهم خادمٌ حاملاً لوحا منقوشا عليه بحروف بارزة سورةَ الفاتحة وآية الكرسي»[١].

ومن كلام الحبيب علوي بن عبدالله بن شهاب: «إن عادة السلف بتريم إذا ختم أحد أولادهم القرآن: أن يعملوا له ختما في مسجد باعلوي، فيقرأ هذا الولدُ بين يدي منصب العيدروس من سورة الكوثر إلى قُل أعوذ برب الناس، ثم يقرأ الفاتحة وأول سورة البقرة إلى قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾[٢].

ومع عناية العلويين بحفظ القرآن خصوصا في مدينة تريم إلا أن هناك ضعفاً ملحوظاً في معرفة علم التجويد وعلم القراءات، مما دفع بعضَ العلويين للقيام برحلات إلى الحرمين واليمن لحفظ القرآن وتجويده بالقراءات، ومن كبار العلويين: الحبيب أحمد بن علي الجنيد (١١٩٧-١٢٧٥هـ)، الذي كان ـ رغم ثرائه ـ من العلماء المحققين، فقد رحل إلى صنعاء وأقام بها أربع سنواتٍ، وحقق في رحلته هذه علمَ التجويد والقراءات السبع وأحوال القراء، وأخذ عن العلماء كالإمام الشوكاني صاحب «نيل الأوطار»، والشيخ أحمد قاطن، والشيخ عمر الزبيدي[٣].

ومن حرص الحبيب أحمد بن عمر بن سميط (١١٧٧-١٢٥٧هـ) على تقوية كل فروع العلم بمدينة شبام، فقد طلب من الحبيب أحمد بن على الجنيد سنة ١٢٢٨هـ (١٨١٣م) القدوم إلى شبام لنشر علم التجويد والقراءات ورواتها ففعل[٤].

كما رحل الحبيب أحمد بن حسن العطاس (١٢٥٧-١٣٣٤هـ) إلى مكة في حدود سنة ١٢٧٤هـ وحفظ فيها القرآن الكريم بإشراف شيخه السيد أحمد زيني دحلان، الذي أرسله

---

(١) روبرت سارجنت نثر وشعر من حضرموت ترجمة سعيد دحي صفحة ١٠٠.

(٢) عمر بن علوي الكاف تحفة الاحباب دار الحاوي صفحة ١٨١.

(٣) عبدالقادر بن عبدالرحمن الجنيد العقود العسجديه صفحة ٢٧.

(٤) عبدالقادر بن عبدالرحمن الجنيد العقود العسجديه صفحة ٢٦.

للشيخ المقرئ علي بن إبراهيم السمانودي، وكان هذا الشيخ يحفظ الجزرية في التجويد والشاطبية في القراءات السبع، والدرة في القراءات الثلاث، والطيبة في القراءات العشر. ولما ختم الحبيب أحمد القرآن بالقراءات أقام له شيخه السيد دحلان حفلاً فخما في الحرم المكي، حضره العلماء والرؤساء والقراء ونائب الحرم الشريف عقب صلاة الصبح بحصوة باب الصفا، وعطلت المدارس كلها في ذلك اليوم، ووزعت الحلوى على الحاضرين[١]. وكان الحبيب أحمد من بداية أمره كثير الاجتهاد في العبادة وكانت له أوراد كثيرة يتلوها على كثرتها في أقصر وقت، وكان مجيداً لحفظ القرآن، وقد يقرأ في الظهر بسورة السجدة أو تبارك، وفي المغرب بأواسط المفصل كالمرسلات ونحوها، وكان يصلي الوتر جماعةً بعشرةِ أجزاء من القرآن، وكان يحب تحسين الصوت في القراءة، وكان له فيها نغمة معتدلة غير متكلفة، يميل فيها إلى الحدر، مع الوقوف على مقاطع الآيات، بحيث إن كثيرا من السامعين تلوحُ لهم معاني ما يقرأ من حسن إلقائه، وكان يقول: «إن فهم القارئ يسرى إلى السامع»، وكان يلوم على عدم تحسين الصوت عند القراءة[٢].

وممن رحل إلى الحرمين لحفظ القرآن الكريم السيد حامد بن أبي بكر المحضار، الذي ولد بحضرموت سنة ١٣٢٣هـ، ودرس القرآن الكريم بحضرموت على يد الشيخ عبدالله بن صالح بلخير، ويقول في ترجمته لنفسه: «واستأذنت والدي في السفر إلى الحرمين للحج والزيارة، ثم الذهاب إلى مصر للدراسة بالأزهر، فسافرت سنة ١٣٤٧هـ، وفي الروضة المباركة وجدت الحبيب عبدالله بن طاهر الحداد، فطلبت منه أن يدعوا لي بتيسير حفظ القرآن، وابتدأت الحفظ في الروضة النبوية، ثم توجهت إلى مكة لأداء النسك، وأقمت متنقلاً بين مله وجدة، وفيهما حفظتُ القرآن الكريم كاملا في ثلاثة أشهر»[٣].

---

(١) علي بن أحمد العطاس، ترجمة ورحلات الحبيب أحمد بن حسن العطاس صفحة ١١.

(٢) على بن أحمد العطاس، ترجمة لحبيب أحمد بن حسن العطاس ورحلاته صفحة ١٤.

(٣) حامد بن أبي بكر المحضار، ترجمة الزعيم حسين بن حامد المحضار، عالم المعرفة للنشر والتوزيع صفحة ٢٠٨ -٢٠٩.

ومما يدل على أن اهتمام أهل حضرموت ينحصر في حفظ القرآن وقراءته دون معرفة علومه: ما ذكره السيد أبوبكر المشهور في كتابه «لوامع النور»[١] من أن الحبيب علوي بن عبدالرحمن المشهور (١٢٦٣-١٣٤١هـ) كان ينتقد إهمالَ أهلِ عصره بحضرموت علمَ القرآن وعدم فهم معاني ألفاظه، وقصر الهمم على حفظه وسرده دون تمعن في لفظه ومعانيه، وأنشأ في ذلك قصيدةً قال فيها:

كـم قـارئ لكتـاب الله ديدنُـه ... سردُ الحروف مع الترجيع والطرب

يحيى ويفنى ولو تسأله عـن (دسر) ... وعـن حقـائق أو لفـظ بـه عـربي

أو ما يقال من الأحكـام أو قـصص ... فيه الأعاجيب أو تسأله عـن سـبب

ثم قال:

فقـل لـه لم لا تقـرأ وتنظـر في ... علم التفاسير تاتي الناس بالعجب

ومن الأخبار الطريفة التي تدلل على صعوبة تعلم أهل حضرموت لعلم التجويد: ما ذكره السيد عبدالقادر بن محمد باعقيل السقاف (المتوفّى سنة ١٣٦٧هـ)، وهو رجل بسيط، وله كثير من الطرائف، أقام بمكة فترة من الزمن، ويحبه لظرفه وبساطته كبار العلويين، قال[٢] : «دخلت مكة وأنا صغير، واتصلت بعلمائها مثل: الحبيب حسين الحبشي، والشيخ عمر باجنيد، وقلت لهم: بغيت أتعلم تجويد القرآن، فألحقوني بأستاذ أعمى، فبدأ يعلمني (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) وجلست فيها ثمانية أيام، ثم قلت للجماعة: أخرجوني من عند هذا الأعمى لأنه يضربني على وجهي وعلى رأسي، ويقول لي: اخرج الطاء من طنقرك، وأنا جيت من حضرموت مفتّح وخايف أرجع إليها أعمى!.

---

(١) أبوبكر المشهور، لوامع النور، دار المهاجر للنشر صفحة ١٥٤.

(٢) مخطوطة رحلة الحبيب عبدالقادر باعقيل السقاف جمع محمد زين الجاوي: صفحة ٥٤.

وقلت لهم: طمّروني (انقلوني) من الشيطان الرجيم إلى (بسم الله الرحمن الرحيم)، وشوفوا لي أستاذ مفتّح! وقضيتُ ثمانية أيام أخرى في البسملة، في تشديد الراء، وأشبعني الأستاذ ضرباً، فقلت للحبيب حسين الحبشي: ماشي في طب، حولوني للحبيب علي الحبشي بسيون، وخرجت إلى حضرموت براً، ووصلت إلى سيؤون مع الجمالة (أصحاب الجمال) نصَّ الليل، فقال لي الجمالة: نَم؛ علي حبشي نايم نصفَ الليل، قلت لهم: ما ينام في هذا الوقت! باروح له، فجيت إلى بيته، وطرقتُ بابه، فظهر لي الحبيب علي من الطاقة، وقال: من بالباب؟ قلت له: السقاف مرسول من مكة، وفرح بي الحبيب علي، لأنه يحب مكة وأهلها، فقال له السقاف: حولني عليك ياعم علي الحبيب حسين وعلماء مكة، فقال: قبلنا الحوالة، وأنشد أبياتا ترحيبية».

واشتهر العلويون أيضا بكثرة تلاوة القرآن آناء الليل وأطراف النهار، سواء الأقدمون منهم أو المتأخرون، فهذا الشيخ علي بن أبي بكر بن عبدالرحمن السقاف، المتوفى سنة ٨٩٥ هـ كان لا ينام من الليل إلا السدس، تاليا للكتاب العزيز، متخلقا بما في كتاب «منهاج العابدين»(١).

وذكر ابنُ عبيدالله جدّه السيد الزعيم محسن بن علوي السقاف (ت ١٢٩٠هـ) فقال: «كان الجد محسن كثير العبادة، فكان لا ينام من الليل الا قليلا من أوله، وإذا انتبه من نومه يقوم فيتوضأ ثم يصلي ركعتين خفيفتين، ثم يأتي بأذكار الانتباه وخاتمة آل عمران، ثم يصلي باقي الوتر، ثم يتبع ذلك بمناجاة الباري عز وجل، بحضور تام وتوجه كامل، ويبقَى على تلك الحال إلى أن يقربَ الفجرُ، فيخرج إلى المسجد ويصلي التحية ثم يستمعُ لقراءة القرآن، ومتى انتهت النوبة في القراءة إلى مَن يحسنها استكثره منها، وخفق قلبه، واهتزت روحه، واشتد طربه، حتى يكاد يلفظ نفسه(٢).

---

(١) محمد بن علي بن علوي خرد الغرر صفحة ٢٩٧.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثالث صفحة ٢٢٦

أما في رمضان فكان لا ينام أبداً، بل يحيي الليل كلّه في تلاوة القرآن ومراجعة التفاسير، والمذاكرة والتذكير، ويحضر عنده مجموعة من التفاسير، منها: تفسير البيضاوي، والخطيب، والبغوى، والكشاف، والضيائين، والخازن، والدر المنثور، والجلالين، ويقول: «إن البيضاوي سيدُ المفسرين»، وهو في خلال ذلك يملي من لطائف المعاني وبدائع الحكم بما يفتح الله عليه بما لم تحُم حولَه الأفكار، والمسجد غاص والنشاط كامل.

ولا يحبّ العلويون التعمقَ في قراءة القرآن، مع تشددهم في قراءة الفاتحة، كما عرفنا ذلك في فصل سابق، ومن ذلك: ما ذكر عن الحبيب أحمد بن حسن العطاس: أنه كان يكره التعمق وتشديد الحروف في قراءة القرآن، لما في ذلك من الحيلولة بين الناس وكثرة التلاوة، وبينهم وبين فهم المعاني[1]. وسمع مرةً أحد المأمومين يكرر البسملة في الصلاة تعمّقا منه في النطق بها، فنهره، وقال: «ما هكذا الصلاة؛ تغيرون بتعمقكم الحروف، وتزيدون فيها ما يتولد منها، ولا تنصتون لقراءة الإمام». وكان يقول: «كل من شدد على الناس في العبادة، إنما يصرفهم عنها، فما أضرَّ التشديد!».

ومن الغرائب: ما ذكره بن عبيدالله عن السيد طاهر بن عمر الحداد المتوفى سنة **١٣١٩**هـ حين قال عنه: «الناسك العابد، كان آيةً في حفظ القرآن، وكانت في لسانه حبسةٌ شديدةٌ، حتى لقد أراد أن يعقد لإحدى بناته فلم ينطلق لسانه إلا بعد الفراغ من الطعام، وكانت العادة والسنة: تقديمُ العقد عليه، فلم يؤخروه إلا اضطرارا، ولكنه متى شرع في القراءة في الصلاة أو خارجها اندفعَ بسرعة السهام المرسلة»[2].

ويلتذ العلويون بالقرآن في الصلاة وسماع القرآن خلف الأئمة المجيدين، فهذا بن عبيدالله يقول: «وما أذكر صلاة أشفى للنفس، وأجمع للقلب، وأبرد للخاطر، من صلواتي في

---

(١) علي بن أحمد العطاس ترجمة لحبيب أحمد بن حسن العطاس ورحلاته صفحة ٢٧.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مكتبة الإرشاد صفحة ١٨٨.

الجهريات خلفَ والدي، وخلف شيخنا الفاضل الشيخ حسن بن عوض بن زين مخدّم، وصلواتي خلف الأستاذ الأبر عيدروس بن عمر، جهرية أو سرية، فإنه يسرى إلينا سر من إخلاصه، يلذ لنا به التطويل، وأذكر أن أول صلاةٍ كانت لي بالمسجد الحرام لما حجَجْنا في سنة **١٣٢٢**هـ هي الصبح، خلف واحدٍ من العلماء يدعى فيما أتوهّم: خُوقَير؛ قرأ في الأولى بالتين، فكاد القلب يخرجُ من شغافه عند إشارته إلى البلد بقوله: ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾، ثم ما كفاه حتى قرأ في الثانية سورة قُريش، فلا تسل عما داخلني عند إشارته بقوله: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾، وما بيننا وبينه إلا أذرعٌ يسيرة، فلولا الاعتصامُ بالأجل، لالتحقت الروحُ بالباري عز وجل»[1]. وقال بن عبيدالله: «وكثيرا ما شنف سمعي، واستوكف دمعي، وامتلك لبي، ما سمعته من قراءة إمام الحرم في صلوات الصبح سنة **١٣٥٤**هـ، وتذكرت صلاة والدي، إلا إن تلك أخشع، وقراءة إمام الحرم أجود وأسمع، فهو مقرئ غير مدافَع»[2].

هذا؛ وقد تولى بعض العلويين الإمامة في الحرم النبوي، وبلغ من حسن القراءة والتجويد الشيء العظيم، قال بن عبيد الله[3] في «معجمه» عندما ذكر ذرية السيد زين بن عقيل بن سالم: «**ومنهم**: السيدُ عباس بن علوي بن عبدالرحيم، يسكن الآن كآبائه بالمدينة المشرفة، وهو ملجأ العلويين بل وغيرهم من الحضارم، وقد خنق الخمسين وإليه مشيخةُ العلويين فيها، وأول من تولاها بها منهم: السيدُ عبدالقادر بن عبدالله بن عمر، وكان لها شأنٌ عظيم ،ولاسيما في أيام السلطانين العثمانيين: عبدالمجيد، وابنه عبدالحميد، إذ كانت عبارةً عن دولةٍ في باطن الدولة، ثم وهَت أسبابها، ولم يبق إلا الاسم، وأصابها ما أصاب المنصبة بحضرموت.

وكان السيد علوي بن عبدالرحيم؛ حسنَ الأداء جميل القراءة، وكان أحد أئمة المسجد

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت صنعاء صفحة **٣٧٣**.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت صنعاء صفحة **٣٧٤**.

(٣) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت الناشر بصنعاء صفحة **٥٥٤**.

الحرام النبوي، وعند نوبته في الجهرية يحتشدُ الناس، وربما أغشي على بعضهم من حسن أدائه، ولذا طلبه السلطان عبدالحميد العثماني ليصلي به التراويحَ، ففعل إحدى السنين، وأراده أن يقيم عنده بها يتمناد، فأبى إلا الرجوع إلى المدينة المشرفة، وبها كانت وفاته سنة ١٣٤١هـ عن تسعين ربيعا».

ويحترم العلويون حفظةَ القرآن الكريم، حتى لو سمعوا عنهم ما يقدح في أخلاقهم، ويدل على ذلك ما قاله ابنُ عبيدالله في «إدام القوت»[1]: «وبينما أنا مرة عند السيد حسين بن حامد المحضار بالمكلا، ورد شخص من آل العمودي يقال له: باحسن، عليه زي البادية، فإذا به يحفظ كتاب الله تعالى ويجيد قراءته، ولما اشتد إعجابي به، قال لي العم حسين: لكنه سارق! فسألته، فقال: نعم؛ إني لأحد جماعةٍ من الحفاظ، إذا كان أول الليل سرقنا رأس غنم على أحد أهل قيدون واشتويناه، ثم إذا كان من آخر الليل سرنا إلى الجامع نتدارس آيات القران بظهر الغيب».

قال بن عبيدالله: «وما أدري! أقال ذلك عن حقيقةٍ، أم مازحاً ليوافق هوى الوالد حسين». وكان الحبيبُ حسين بن حامد يرتب الكثير من مثل هذه المقالب والنكات خصوصاً مع ابن عبيدالله. قال بن عبيدالله: «وقد تذكرتُ عند هذا ثلاث أمور:

الأول: ما جاء في «مسند الإمام أحمد» ونصه: «حدّثني عبدالله حدثني أبي حدثنا وكيع حدثنا الأعمش قال أنبأنا أبوصالح عن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن فلانا يصلي بالليل فإذا أصبح سرق، قال: «إنه سينهاه ما تقول»، وهذا السند جيد.

والثاني: لما كنت بسربايا في سنة ١٣٤٩هـ حضر مجلسنا مقرئ من مكة يقال له محمود، فقرأ لنا حصةً من الكتاب العزيز بصوتٍ جميل كاد يقتلع قلبي من مكانه، فطربت لذلك وأمرتهم بالاكتتابِ له، فقالوا: إنه يشرب الخمر! فقلت لهم: من أدرج كتاب الله بين جنبيه

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت صفحة ١٩٦.

وحبّره هذا التحبير لجدير أن لا يموت إلا على حسن الختام، وذكرتُ الحديث، فاكتتبوا له على قدر هِمَمهم بنحو ثلاثمائة ربيه فقط.

والثالث: قول النجاشي يهجوا أهل الكوفة:

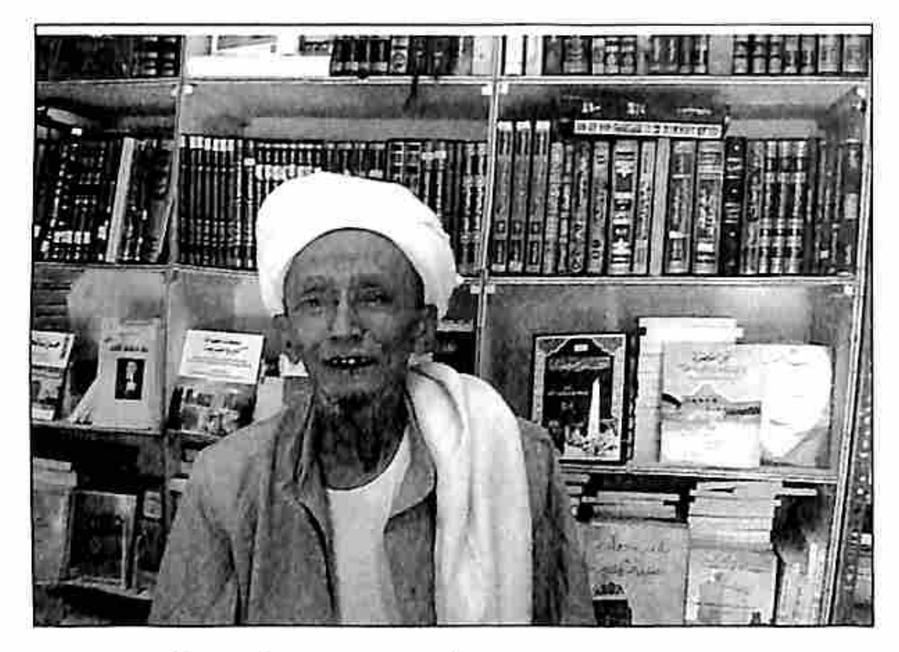
إذا سقى الله قوما صـوبَ غاديـةٍ	فلا سقى الله أهلَ الكوفـة المطـرا
التـاركين عـلى طهـر نـساءهم	النـاكحين بـشطَّي دِجلـةَ البقـرا
والـسارقين إذا مـا جـنَّ لـيلُهم	والدارسـين إذا مـا أصـبحوا
ألـق العـداوة والبغـضاء بيـنهم	حتى يكونوا لمن عـاداهم الجـرُزا

هذا؛ ولا زالت المدارسُ الدينية القديمة التي ذكرناها قائمةً بتحفيظ القرآن الكريم، بل إن الاهتمام بحفظ القرآن الكريم قد تضاعفَ في السنوات الأخيرة، وأصبحت حلقاتُ تحفيظ القرآن تنتشر في جميع المساجد بمدُن وقرى ووديان حضرموت.

* * *

الفصل التاسع عشر

العلويون والكتب والمكتبات



السيد محمد بن علوي العيدروس الأديب ومعلم القرآن بقبة أبي مريّم بتريم

من أوائل العلويين الذين اهتموا بالتأليف: السيد علي بن أبي بكر بن عبدالرحمن السقاف (٨١٨ -٨٩٥هـ)، ترجم له صاحب «تاريخ الشعراء الحضرميين» فقال: «توفي جده وعمره عامان، وتوفي والده وعمره ثلاث سنوات». وقال: «وإنك لتدرك سعةَ علمه من مؤلفاته الكثيرة، ومحفوظاته الكثيرة، فقد حفظ القرآنَ الكريم، والحاوي الكبير في الفقه للماوردي، والحاوي في النحو، عدا المتون الكثيرة في فنون عديدة».

وقرأ الإحياء للعلامة الغزالي خمسا وعشرين مرة، وقرئ عليه مثلها، كما إنه عالم اجتماعي، وله في الفلسفة أبحاث عميقة، تجد بعضا منها في حدائقه الثمانية والعشرين»[١].

وفي عصره وصل السائح المغربي إلى تريم سنة ٨٦٥هـ والذي وصف أهل تريم في ذلك الزمن بالملائكة. ومما يدل على شغف الشيخ علي بن أبي بكر السقاف بالكتب والقراءة أبياته التالية التي يقول فيها[٢]:

شيئان أحلى من عناق الخرد	والذ من شرب القراح الاسود
واعز من رتب الملوك عليهم	حلل الحرير مطرزا بالعسجد
سود الدفاتر ان اكون نديمها	أبد الزمان وبرد ظل المسجد

أما الحبيب محسن بن علوي السقاف (١٢١١-١٢٩٠هـ): فقد ذكر الجد بنُ عبيدالله في «بضائع التابوت»: أنه كان مولعا بقراءة كتب الحقائق والرقائق، وطالما قراها أو قرئت عليه، ولاسيما بعدما فقد بصره في آخر وقته، فقرأ عليه أولاده عبيدالله وعبدالله كتبا كثيرة، منها: مقالات الغزالي، والزنبيل للسيد محمد المدنى، وشرح قصيدة السيد على بن إبراهيم الأمير الصنعاني، وشرح اسماء الله الحسنى لابن برجان، وكان يعجب بذينك الكتابين ويقول: «إن صاحبيهما يشربان من ماء الحياة».

---

(١) عبدالله بن حامد السقاف تاريخ الشعراء الحضرميين الجزء الاول صفحة ٨٠.

(٢) محمد بن علوي العيدروس القراءة والحث عليها دار الضياء للنشر والتوزيع صفحة ٢٣.

وكتاب السوانح للسيد علي المذكور، وهو عجيب في فنه، وكان يعجب بمواضع منه غاية الإعجاب، وكتاب صيد الخاطر لابن الجوزي، وعقد الجواهر فى فضل أهل البيت الطاهر، والسلسلة العيدروسية، ونبذة الشعراني فى التصوف، وسفينة البضائع، والرياض المؤنقة للحبيب على بن حسن العطاس، وبعض كتاب الدعوة، ورسالة المذاكرة للحبيب عبدالله الحداد، ورسالة المحاسبي، وثلاث رسائل للشيخ عبدالله باسودان وكلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط المنثور، والباب السادس من مناقب الحبيب عبدالله الحداد، ومنهاج الطالبين فى الفقه، وكتبا أخرى كثيرة، منها: الطبقات للشعراوى، وروض الحريفيش، وبعض ما سبق من كتب سادتنا، وأكثر ديوان الحبيب عبدالله الحداد.

وفي ترجمة الجد **علوي بن عبد الله بن حسين السقاف (١٣١٥-١٣٩٢هـ)**[١]: أن والده تولى الإشراف المباشر على تعليمه وتربيته، فرباه على حب العلم والتحصيل فكان دائم القراءة على والده فى كتب الحديث والسيرة، والسنن وتراجم الرجال، خصوصا ما كان لأسلافه العلويين. كما قرأ عليه فقهَ الحبيب طه بن عمر الثانى، وديوان الحبيب محسن بن علوى ومكاتباته وكتابه تعريف الخلف، وكتب الحداد كلها، ومكاتبات الحبيب علوى بن سقاف، وخط بيده ما لا يملكه والده من الكتب، خصوصا الكتب المخطوطة، تمرينا له على الكتابة، وحفظا لهذه الكتب من الضياع، كما واظب على دروس والده الفقهية بمسجد طه، ودروس والده الخاصة فى البيت، ولم يفارق والده طيلة حياته.

وكان الحبيب أحمد بن حسن العطاس[٢] **(١٢٥٧-١٣٣٤هـ)**: مثابرا على المطالعة والسماع، لا يكاد يمر عليه يوم في الحضر أو السفر دون أن يستمع فيه إلى كتب العلم زمناً غير قصير، وله عناية بكتبه، واهتمام بجمعها وترتيبها والمطالعة فيها، وكان إذا حضر عنده

---

(١) علوي بن عبدالله السقاف التلخيص الشافي صفحة ١٥٢.

(٢) علي بن أحمد العطاس ترجمة الحبيب أحمد بن حسن العطاس ورحلاته صفحة ١٥.

ضيفٌ أو وافدٌ لا يحتمل ترك القراءة، فكان يأخذ كتابا يضعه في حجره ويقلب صفحاته مع اشتغاله بالحديث معه، وكان يبتدئ بالقراءة في أول النهار ويستمر فيها ساعات الليل، ومن قدم إليه انتظر فإذا ملَّ ذهب، وكان يتفيأ الظلال من الضحى إلى الزوال مستمرا في سماع القراءة، وكان إذا قدم إلى بلد يبادر أهلها بالسؤال عما جدَّ لديهم من الكتب السلفية. وكان عظيمَ الشغف بكتب حجة الإسلام الغزالي، وخاصة الإحياء، ويحث على قراءته والاستفادة منه، وبكتاب زاد المعاد للإمام ابن القيم، ونيل الأوطار للعلامة الشوكاني، ومعجم البلدان لياقوت الحموي، وكتاب الأم للإمام الشافعي، والمدونة في مذهب الإمام مالك، والمهذب وشرحه المجموع في مذهب الشافعي، والفتوحات المكية لابن عربي، وتفسير الطبري وابن كثير، وكتب الحديث والسنن، وشروح ألفية ابن مالك في النحو والصرف وكتب التاريخ[١].

وله في منزله بحريضة مكتبة زاخرة عظيمه مرتبة أحسن ترتيب، وفيها من نوادر المخطوطات والمطبوعات في مختلف الفنون ما يعز وجوده في غيرها. ولما زار مصرَ سنة ١٣٠٨هـ سأله شيخ الأزهر عن الكتب العلمية التي يدرسونها في حضرموت[٢]، فأجابه بقوله: «أما في الفقه: فكتب الإمام النووي، وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، والشيخ ابن حجر، والشيخ الرملي، والشيخ الخطيب، وغيرها من المتعلقات بها. وأما من قبلَ هؤلاء فتعلقُهم واهتمامهم واعتناؤهم بكتب الإمام الغزالي والشيخ أبى إسحاق الشيرازي والرافعي، وكانوا يجزءون المهذب أربعين جزءا يقرءونه مدارسةً بينهم في كل يوم جزء.

وأما في التصوف فكل بما يليق بحاله، وجل قراءتهم في الإحياء للغزالي والرسالة القشيرية، والعوارف، وشرح الحكم لابن عباد، وأما في السنة: فالصحيحان، وغيرهما من كتب الحديث. وأما علمُ اللسان: فلا يتعاطون منه إلا ما يرفعُ سماجة طبع الإنسان ويقوم

---

(١) المصدر السابق صفحة ١٥.

(٢) المصدر السابق صفحة ٤٧.

اللسان من اللحن، وجل اهتمامهم بصلاح قلوبهم وتصفية سرائرهم، وحفظ ما درج عليه السلف الصالح من الاعتقادات والأخلاق، ثم قال: «ورأس المال محفوظ؛ وهو التوحيد وصحة العقيدة».

وللحبيب أحمد بن حسن العطاس ملكة قوية في تمييز ما في المصنفات العلمية من الكلام، وما صدر منه من عن هوى وتعصب أو غير ذلك[١]، ولهذا لما كان في مصر سنة ١٣٠٨هـ وعرض عليه الشيخ محمد الأنبابي شيخُ الجامع الأزهر في ذلك الوقت كتابه الحاشية على نهاية الرملي، فأخذها، ولما أعادها سأله شيخ الإسلام: كيف رأيتها؟ فقال له: حسنةٌ! إلا إن مصطلحَها صعبٌ، فانظروا في مبسوطات كتب المذهب. فقال له شيخ الأزهر: وكيف ذلك؟ فقال: انظروا في كتب المتقدمين مثل العزيز على الوجيز للرافعي، فقال شيخ الأزهر: هو عندي، ودعا به.

ثم ذكر لشيخ الأزهر قدرة شيخ الإسلام ابن حجر في سبك العبارات والتصرف فيها بالتقديم والتأخير والحذف مما يوضح المسألة ويحل إشكالها، وقد ساعدهم هذا الأسلوب على استنباط الحل لمشكلة فقهية استشكلت على السيد أحمد زيني دحلان، وانتهى الى القول بان الإشكال في الفهم قد يكون من المعبر وقد يكون من التعبير وقد يكون من الكاتب وقد يكون من القارئ، وقد ينقل العالم شيئا وهو لا يريد ان يقره او ينفيه، فيطوي العبارة، كما ظهر في الكتب المتأخرة في الفروع [٢].

وسال بعض السادة: عما ينبغي أن يقراه من الكتب؟ فقال له: اقرأ بداية الهداية للغزالي، والأذكار للنووي، والمنهاج في الفقه، والإحياء في التصوف، والبغوي في التفسير، والملحة في الإعراب، وكتب ابن هشام في النحو.

---

(١) المصدر السابق صفحة ١٥.

(٢) المصدر السابق صفحة ٥٠.

وقال: «إن التحفة لابن حجر وأمثالها من الكتب، تنبغي لمن أراد أن يكون قاضيا أو مفتيا، وأما من لم يرد؛ فعليه بكتب السلف كالإمام النووي والغزالي والشيرازي، وأمثالها من الكتب الجامعة السهلة. وقال الحبيب أحمد أيضا: «إذا أردت مسالة من كتب الفقه للفتيا، فراجع أولاً: الإقناع، ثم المغني، ثم النهاية للرملي، ثم التحفة لابن حجر، وما أشبه ذلك من الكتب المخدومة[١].

ولما زار الحبيب أحمد بن حسن العطاس مدرسة الرباط بغَيل باوزير سنة ١٣٢٨هـ، قال مخاطبا طلبة العلم[٢]: «ينبغي للطالب أن يقرأ المعشّر سبعا ويفكر في تقويم ألفاظه، ثم في معانيه سبعا أخرى، ثم يقرأ الرسالة للحبيب أحمد بن زين الحبشي، ثم المختصر اللطيف، ثم المختصر الكبير للعلامة بافضل، ثم الزبد ثم الملحة والرحبية والجزرية، ثم المنهاج للنووي». وحثهم على قراءته كثيرا ومن اراد ان يقرأ شيئا من شروحه فليقرأ المغني اولا ثم النهاية ثم التحفة ومن أشكل عليه شيء من التحفه والنهاية فليراجع الغرر.

ونصح تلميذه العلامة محمد بن سالم بلخير بمداومة قراءة الكتب الثلاثة؛ وهي: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، وشرح النووي على صحيح مسلم، و«اليواقيت والجواهر في عقائد الأكابر» للشعراني. ثم قال: «وما أشكل عليك من بعض العبارات في اليواقيت من كلام أهل الحقائق، أو من التدقيق من أهل الكلام في العقائد فمُرَّ عليه ودعه كما هو ولا تبحث فيه بحال، ويبين بذلك طريقه مفيدة في سرعة الاستيعاب وعدم تضييع الوقت».

وكان يقول: «أربع مقدمات ينبغي قراءتها وتكرارها للمبتدي والمنتهي، المبتدي تنفعه، والمنتهي تذكره، لاحتوائها على علوم كثيرة، وهي: مقدمة تفسير الفخر الرازي، ومقدمة شرح النووي على صحيح مسلم، ومقدمته على المهذب، ومقدمة ابن خلدون»[٣].

---

(١) علي بن أحمد العطاس ترجمة ورحلات الحب أحمد بن حسن العطاس صفحة ٢٢.

(٢) علي بن أحمد العطاس ترجمة ورحلات الحب أحمد بن حسن العطاس صفحة ٢٣.

(٣) علي بن أحمد العطاس ترجمة ورحلات الحب أحمد بن حسن العطاس صفحة ٢٣.

وحج الحبيب عبدالله بن عمر الشاطري مع والده سنة ١٣١٠هـ وأقام بعدها بمكة نحوا من ثلاث سنين وبضعة أشهر، وقرأ الكتب العديدة: كالمنهاج للنووي وشروحه وحواشيه، والإرشاد وشروحه وحواشيه في الفقه، وألفية ابن مالك وشروحها وحواشيها، ومغني اللبيب وحواشيه، والشذور وحواشيه والقطر وشروحه وحواشيه في النحو والجوهرة وشروحها وحواشيها، والسنوسية في التوحيد، والسلم وحواشيه في المنطق، والتلخيص وشروحه، وحواشي السعد في المعاني والبيان والبديع، والسمرقندية وحواشيها في الاستعارات، وجمع الجوامع وحواشيه في الأصول، إلى جانب عدد من التفاسير والمسانيد وكتب التصوف وكتب التاريخ[1].

وقد قضى الحبيب عبدالله بن عمر الشاطري أكثر من خمسين سنة في التدريس بتريم وحولها، وكان يشرع في تدريس العلم كل يوم بعد صلاة الفجر إلى أن تمضي بعد الإشراق ساعة فأكثر، ثم يعود إلى البيت، وبعد تناول طعام الفطور يعقد جلسة للتدريس في مدرسة الرباط إلى أن يضحي النهار، ثم يعقد جلسة أخرى بين العصرين إلى حوالي الساعة العاشرة قبل الغروب، ثم يعقد جلسة رابعة بعد صلاة المغرب إلى حوالي الساعة الثانية بعد العشاء، كما يقوم بتدريس العامة كل ليلة جمعة بجامع تريم بين العشائين»[2].

وقد يندهش كل من قرأ سيرة العلويين من انكبابهم على القراءة المتواصلة في السفر والحضر، فهذا مثلا الحبيب عبيدالله بن محسن السقاف (ت ١٣٢٤هـ) يمضي أغلب وقته في القراءة والعبادة. بل ولا ينقطع العلويون عن القراءة حتى أثناء السفر سواء كان برا أو بحرا ففي رحلة الحبيب محمد بن هادي السقاف (١٢٩١-١٣٨٢هـ): أنه توجه وصحبه بالمركب

---

(١) عمر بن علوي الكاف تحفة الاحباب في مناقب الحبيب علوي بن عبدالله بن شهاب دار الحاوي صفحة ١١٦.

(٢) عمر بن علوي الكاف تحفة الاحباب في مناقب الحبيب علوي بن عبدالله بن شهاب دار الحاوي صفحة ١١٦.

من عدن إلى السويس ليلة الجمعة الساعة السادسة، ثم يقول: «وانتبهنا الساعة الحادية عشر وصلينا الفجر وسنته وقرأنا الأوراد، وجلسنا في المركب عشيه للروحة (جلسة علمية) على العادة، وجرى نقاشٌ بينهم حولَ نجاسة الكلب وذلك أن بعض النصَارى الذين في المركب معه كلبٌ يخدمُه غاية الخدمة، فاشمأزت النفوسُ حذرا من التنجيس، حيث أنه يسير به في مواضع كثيرة من المركب»[١].

ولا يمنع العلويين حتى المرضُ من الاستمرار في القراءة، فقد ذكر الجد علوي بن عبدالله بن حسين السقاف (١٣١٥-١٣٩٢هـ) في رحلةِ حجه عام ١٣٦٧هـ[٢] ما يلي: «وفي ذلك اليوم زرنا الحبيب العلامة الوالد عيدروس بن سالم البار، فوجدناه لازال طريح الفراش، ملقى على فراشه وعليه ناموسية، وتلميذه الشيخ عمر اليافعي يقرأ عليه في الحديث، مع ما يعانيه من المرض الذي أعيى أطباء الأجسام»، ثم قال: «وكان حالَ الدرس يتكلم عن بعض مشكلات الحديث بما لم نسمعه من غيره».

وذكر السيد محمد بن علوي العيدروس (الملقب سعد)[٣]: أنه من شدة حرص السيدين الإمامين طاهر بن الحسين بن طاهر (١١٨٤-١٢٤١هـ)، وأخيه عبدالله بن حسين ين طاهر (١١٩١-١٢٧٢هـ) على الوقت، وحبهما للقراءة والاطلاع: أنهما كانا لا يأكلان معا في وقت واحد، بل يأكل أحدهما ويقرأ عليه الآخر، وعندما ينتهي الأول من الأكل يبدأ الثاني الأكل، والأول يقرأ عليه، وقد عاشا سويا في بيت واحد أربعين سنة.

وكان لكل واحد من الحبايب قارئ مفضل يكون واحداً من أبنائه أو واحداً من تلامذته، فالحبيب عبيدالله بن محسن السقاف (ت١٣٢٤هـ) يقرأ له ابنه العلامة عبدالرحمن بن عبيدالله، ويقرأ له الشيخ محمد الدثني، وتقرأ له زوجته في وقت راحته.

---

(١) عبدالله محمد الحبشي الرحالة اليمنيون مكتبة الإرشاد صنعاء صفحة ٢٧٩.

(٢) علي بن محسن السقاف السيره الذاتيه للحبيب علوي بن حسين السقاف صفحة ٩٩.

(٣) محمد بن علوي العيدروس القراءة والحث عليها دار الضياء للنشر والتوزيع صفحة ٦-٧.

والحبيب علي بن محمد الحبشي (ت ١٣٣٠هـ) يقرأ عليه ابنه عبدالله، ويقرأ له في كثير من مجالسه الحبيب أحمد بن عبد الرحمن السقاف (ت ١٣٥٧هـ)، الذي كان إلى جانب قوة حافظته متمكنا من القراءة، لا يلحن في الإعراب مهما صعب الكتاب المقروء.

وقرأ الجد علوي بن عبدالله بن حسين السقاف الكثيرَ من الكتب المطبوعة والمخطوطة، بل وكان والده يطلب منه أن ينسخ له بيده بعض الكتب التي لا تتوفر له.

وقد يحضر الطلبة للقراءة على شيوخهم من أماكن بعيدة، ويقيمون معهم إقامة مجانية، مثل: الشيخ محمد الدثني الذي أقام مع الحبيب عبيد الله بن محسن لأكثر من ثلاثين سنة! ومثله: الشيخ الحساوي الذي قدم من الأحساء للتلمُذ على القطب عبد الله الحداد، وغيرهم كثير.

وقد يبلغ مدى القراءة مبلغاً عظيما يخرج عن معتاد الطاقة، فقد ورد في مجموع كلام الحبيب أحمد بن عبدالرحمن السقاف (ت ١٣٥٧هـ): أن الحبيب عمر بن زين بن سميط كان لا يمل من القراءة، وكان ابنه الحبيب أحمد بن عمر (ت ١٢٥٧هـ) يقرأ له حتى أشفق عليه أهل شبام، فقالوا لوالده: إنه با يتأثر باليبوسة والخفة! فقال لهم الحبيب عمر: أنا ما أقدر أصبر من القراءة، وأما انتم هاتوا لي با يرطب دماغه، مثل: اللوز وغيره، ثم حضر الحبيب عمر وليمة زواجٍ ووصل المجلس وهو غاصٌّ بالناس، والسادة في صدر المجلس، فدخل وسلم عليهم، ثم جلس حيث انتهى به المجلس، ثم قال لابنه الحبيب أحمد: «اقرأ»، فقرأ، فتوجه الناس نحوه»[1]، (انتهى باختصار).

قال بن عبيدالله في «بضائع التابوت»: «وكان والدي يرحمه الله يجبرني على القراءة حتى يضجرني، فقلت له مرة: هذا رسول الله ﷺ يتخوّل أصحابه بالموعظة مخافة السآمة عليهم،

---

(١) مجموع كلام الحبيب أحمد بن عبدالرحمن بن علي السقاف دار الفقيه للنشر صفحة ١٨٢.

ولست بمثلهم في الإقبال ولا أنت بمثله في القبول، فقال: أو لم تسمع قول نوح: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾، فقلت: وماذا لقي من قومه؟ ألم يزدهم دعاؤه إلا فرارا !

ثم رأينا تأويل المفسرين فيه، ثم أخبر بذلك الحبيب عيدروس بن عمر، فضحك حتى ازدهرت أساريره، وقال: إنما هو صبحُ ليلٍ بدت تباشيرُه، وكلفه أن يرفق بي بعدها، ولكن الطبع غالبٌ، وكان والدي يقيسني بما عنده»[١].

وعند تعرُّضنا لبعض أخبار الحبيب أحمد بن حسن العطاس ذكرنا حبه الشديد للكتب وولعه باقتنائها وإنفاق الأموال الكثيرة على ذلك وله مكتبته الشهيرة بحريضة يتولى هو العناية بكتبها وترتيبها. كما كان العلامة بنُ عبيدالله (ت ١٣٧٥هـ) يبذل وافر الجهد للعثور على أي كتاب جديد يسمع بوجوده عند أحد من الناس، وقد يرسل الرسل لإحضاره من دوعن أو أبعد من ذلك، وقد لا يتمكن من استعارة الكتب فيقرأها في زيارة لصاحبها أثناء الجلسة والكلام، كما جاء في أخبار زيارته لدوعن.

ولعلك تستنتج اهتمام العلويين الشديد بالكتب والحرص على بقائها مع أولادهم حتى بعد وفاتهم، من وصية الحبيب أحمد بن عبد الرحمن بن علي السقاف (ت ١٣٥٧هـ) وهو والد الداعية الشهير الحبيب عبدالقادر بن أحمد السقاف، الذي كتب في وصيته إلى بعض طلبة العلم[٢]: «أن يقوموا بحفظ كتبي التي صارت إلى ورثتي، ويحفظونها بعد التقويم ويقسمونها قسمة شرعية بالسوية، بعد التقويم والتعديل»، ثم قال: «وألزمت وأمرت المذكورين [يقصد: من أوصاهم بكتبه من طلبة العلم] وأولادي كلهم الذكور والإناث أن لا يبيعوا شيئا من الكتب، ولا ينقادوا لأحد يقمُرهم أو يغلبهم حتى تبلغ الحاجة إلى غايتها! وإن أحد من طلبة العلم أراد الاستعارة أو الانتفاع فلا تسلّم له الكتب إلا بوثيقة حتى يرده، لأني تعبت في تحصيلها»، انتهى.

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثالث صفحة ٢٩٢.

(٢) مجموع كلام الحبيب أحمد بن عبدالرحمن السقاف دار الفقيه للنشر صفحة ٢٦١.

وربما زادت محبة احد العلويين للكتب على محبته لأولاده فقد ورد في كتاب «شرف المحيى»: أن الحبيب عبدالله بن عمر بن يحيى (ت ١٢٦٥هـ) كان عظيم المحبة والتعظيم لكتب العلم الشريف، كثير الاستغراق بقراءتها ومطالعتها، وكان يقول لأولاده: «إني أحبها أكثر من محبتكم ! واشتاق لها أكثر من اشتياقي لكم»[١].

ومما يدل على قيمة الكتب الكبرى لدى العلويين: أنهم إذا أعسروا لم يجدوا معهم شيئا ثمينا يرهنونه غير الكتب، ومن ذلك: ما رواه الجد بن عبيدالله في «إدام القوت»: أن الحبيب أحمد بن محمد المحضار (ت ١٣٠٤هـ): «ركبه دين في أيام عسرة، فأرسل بنسخة خطية من كتاب «التحفة» إلى قاضي الخريبة الشيخ عمر بن أبي بكر باجنيد، وشفَعها بقصيده من أبياتها:

صدر الكتابُ إليك يا الشهمُ الذي　　　يقـضي الـديون إذا مطالبهـا زجـر

قال الرسول: فسرت بالتحفة والقصيدة، فتقبلها الشيخ عمر بأحسنِ القبول، وقال: هو أحرى بها مني وإعطاني له مئة ريال، ولما سلمتها للحبيب المحضار: أعطاني منها عشرين ريالاً، فاستكثرتها وامتنعت من قبولها، حتى عزم علي بأخذها فأخذتها»، انتهى باختصار[٢].

وقال المؤرخ ابنُ حميد: «إن الدولةَ آل كثير ألزموه بدفع قرش ونصف مثل إلزامهم بقية الرعية، مع علمهم بفقره حتى ألجئوه إلى بيع كتاب «عمدة السالك» وكتاب «الحصن الحصين في حديث سيد المرسلين» وهو بها ضنين، ورد الأمر إلى الله سبحانه وتعالى»[٣].

وفي أيام المجاعة التي ضربت حضرموت أثناء الحرب العالمية الثانية: بين سنة (١٣٥٨-١٣٦٤هـ) (١٩٣٩-١٩٤٥م)، اضطر الناس إلى بيع كتبهم ومكتباتهم الثمينة بأبخس الأثمان.

---

(١) محمد بن علوي بن يحيى شرف المحيا تريم للدراسات والنشر صفحة ٣١.

(٢) عبدالرحمن بن عبيداللاه السقاف معجم بلاد حضرموت مكتبة الإرشاد صفحة ١٥١.

(٣) سالم بن حميد الكندي تاريخ حضرموت المجلد الثاني مكتبة الإرشاد صنعاء صفحة ٩٩.

ويحافظ العلويين على وجود الكتب حتى في مهاجرهم البعيدة بأفريقيا والهند واندونيسيا، ولاحظ المستشرق الهولندي (فان دن بيرغ): أن بيوت العلويين تختلف عن بيوت غيرهم من الحضارم بوجود الكتب. وقد اعتنى العلويين بتأسيس المكتبات وبذلوا في ذلك المال الوفير وكتب الأستاذ أحمد بن عبدالله بن شهاب بحثاً وافياً عن مكتبات تريم[1].

وذكر من مكتبات تريم الشهيرة:

* مكتبة **آل جنيد**، التي تأسست سنة ١٢٦٨هـ وتحوي ٤١ كتبا و٦٢ مخطوطة.

* ومكتبة **آل بن سهل**، وتأسست سنة ١٢٧٤ هـ وتحوي ٥٢٢ كتابا و٦١٤ مخطوط.

* ومكتبة **الحسيني**، التي أسسها الأديب المؤرخ صالح بن علي الحامد سنة ١٣١٥هـ، تحوي ٩٢ كتابا، و١٩٩ مخطوطاً.

وقد آلت ملكية هذه المكتبات الخاصة في سنة ١٩٧٢م لمكتبة الأحقاف الحكومية.

وهناك المكتبة التي أسسها السيد عبدالرحمن بن شيخ الكاف سنة ١٣٥٠هـ، وقد جمع فيها الكثير من الكتب بالشراء والاستنساخ، وجلب لها من مصر مجموعة من الكتب، وبلغ عدد مخطوطاتها (٤٦٥).

كما أسس السيد حسن بن عبدالله الكاف مكتبه في سنة ١٣٣٤هـ وجمع لها الكتب بالشراء والاستنساخ.

ومن المكتبات القديمة بحضرموت: مكتبة الحبيب عبدالله الحداد، وتأسست سنة ١٢٢٥هـ، وكان القطب الحداد حريصا على الكتب العلمية، وقد أهدى أحفادُه (٥٧) كتاباً مخطوطاً.

وكذلك مكتبة العيدروس والتي تأسست بالحزم سنة ١١١٣هـ ومؤسسها السيد

---

(١) أحمد بن عبدالله بن شهاب تريم بين الماضي والحاضر تريم للدراسات والنشر صفحة ٢٤٣.

عمر بن عبدالرحمن العيدروس، والذي ولد بالحزم بحضرموت، ثم سافر إلى الحجاز والعراق وقد تناقلها أحفاده وجمعت (٩٧) كتاباً وجميعها بالشراء والاستنساخ.

ومكتبة الإمام عبدالله بن شيخ العيدروس، وقد تأسست سنة **٩٤٤هـ** وكانت هذه المكتبة معدةً لارتياد العلماء والباحثين لكثرة ما فيها من مراجع، بحيث لم يكن يضارعها في ذلك العصر بتريم إلا مكتبة السيد عمر بن محمد الهندوان المتوفى سنة **١١١٣هـ**، غير أن محتويات هاتين المكتبين التفت أثناء غزوة بن قملا على تريم في سنة **١٢٢٢هـ**.

وللعلويين مكتبات أخرى مهمة؛ مثل: مكتبة الحبيب عبدالله بن عمر بن يحيى، وقد تأسست سنة **١٢٦٥هـ**، ومكتبة رباط تريم، تأسست سنة **١٣٥٠هـ**، ومكتبة عينات التي تأسست في نفس السنة.

ولا زال العلويون مولعين بتأسيس المكتبات العامة لنفع العلم والمتعلمين، فقد أسس السادة عبدالقادر وعلوي ابنا السيد سالم خرد مكتبةَ مسجدِ خرد في سنة **١٤١٦هـ**، ثم تجددت المكتبة في عام **١٤٢٥هـ**، وزودت بالكتب العديدة إضافة إلى جو المكتبة الهادئ المريح. (انتهى النقل باختصار وتصرف عن ابن شهاب).

كما توجد بمدينة سيؤون مكتباتٌ خاصة في بيوت العلماء والأثرياء، وقد أسس السيد هود التوينة مكتبة ببيته بسيؤن. **ومن الطرائف**: أن السيد الأديب شيخ بن محمد الحبشي (ت **١٣٤٨هـ**) زار مكتبةَ السيد هود وجلس بها يوماً للاطلاع، فوجد أن السيد هود قد كتبَ على كل كتاب من كتب المكتبة هذه العبارة: «قرأنا هذا الكتاب من أوله لآخره»، مع انه ليس من طلبة العلم. فأخذ السيد شيخ قلمَه ـ وكان لطيفاً وصاحبَ نكتة ـ وكتب تحت العبارة السابقة في جميع الكتب: «ولم نفهمه!». وقد وصف العلامة بن عبيدالله السيد شيخ بن محمد الحبشي في «المعجم»[١]: «فقال كان شهما كريما وله شعر جيد وأدب غض، ونكات لطيفة، ونوادر عجيبة، توفي بسيؤن سنة **١٣٤٨هـ**».

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مكتبة الإرشاد صفحة.

إلا أن من المعضلات بحضرموت وجود أشخاص يبخلون بإعارة الكتب، فقد ذكر الأستاذ ابن هاشم نقلا عن «سفينة البضائع» للحبيب علي بن حسن العطاس قوله في هذا الموضوع: «وجئت إلى بعض الخزائن استعير من صاحبها الكتب، وهي أربع خزائن، وقد مات العلماء من أهلها، وما بقي إلا جهالها، فقلت لهم: هاتوا الكتاب الفلاني والكتاب الفلاني إلى تسعة كتب، وهاكُم تسعة مجلدات قابضة لكُم حتى ارجّع حقكم، فقالوا: قد منعنا فلاناً وفلاناً من أكابر السادة، وأنت مثلهم! فقلت لهم: ما ألقيتم خيراً لأنفسكم بمنع مثل هؤلاء،وهذه الخزائن ندعو عليها إن شاء الله بالأرضة تأكلها»[١].

وكان ابنُ عبيدالله يلاقي نفسَ المصاعب في الحصول على الكتب، ويقول عن معلومة لم يجدها فيما توفّر له من أوراق من «تاريخ ابن حميد» فقال: «وقد وعدني الولد علي بن أحمد بن حسن العطاس بإرساله إلي، ووصل به إلى سيؤن بعد الوعد، ولم ادر ما الذي ثناه عن إعارته إلي مع الإلحاح حتى تجشمت السفر إلى حريضة من أجله، وبعد لأيٍ مكنني منه، فنقلت ما شئتُ لكن مع شغلٍ بالمقابلاتِ والزيارات، إذ احتفَى بي أهل حريضة، ولاسيما المنصب الفاضل حسنُ بن سالم العطاس إلى أقصى حد! إلا أن إغراقهم في الإكرام، منعني عن الإقامة أكثر من ثلاثة أيام»[٢].

وتقابل الجد علوي بن عبدالله السقاف مع المنصب السيد علي بن أحمد العطاس بمكة في حج سنة ١٣٦٦هـ، وقال الجد علوي عن هذا اللقاء : «وقد جرت بيننا وبينه مباحثات تاريخية، وذكر لنا عن «تاريخ ابن حميد التريسي» أمورا لا تزال تحت الخفاء ولم تنشر إلى اليوم. ويقول: إن والده الحبيب أحمد بن حسن يحبُّ كتمها، ولم يظهرها لأحد خوفاً من إثارتها لما لا تحمد عقباه!. ولما أخبرته: أن العلامة ابن عبيدالله تكدّر خاطره من تمنُّعك من اطلاعه على هذا التاريخ! ذكر لي هذا العذرَ، ثم استشارني في البقاء على الكتمان أو الإظهار؟ فقلت له: إن

---

(١) محمد بن هاشم تاريخ الدولة الكثيرية، تريم للدراسات والنشر، صفحة ١٣٥-١٣٦.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف، الرحلة الدوعنية: مخطوطة.

ظهور بعض الحقائق لا بد منه، وإذا لم يقع على يديك فسيكون على من يسقُط كتابُ التاريخ في يده من جماعتك، والسبب المانع لوالدك يكاد يضمحل الآن، ثم وعدني أن يطلعني على ذلك التاريخ، ولم يقدر الله ذلك. ثم خرجنا من عنده إلى منزلنا بالرباط شاكرين له أخلاقه الكريمة»[١].

هذا ونرى في أخبار الأدب: أن هناك من حذر من إعارة الكتب أو اشترط إعارتها بضمانة الرهن الباهظ ليضمن رجوعها لعزها وأهميتها فهذا أبوالقاسم علي بن حسن القطيعي يقول[٢]:

جلَّ قدرُ الكتابِ يا صاحِ عندي	فهو أغلَى من الجواهر قَدرا
لستُ يوماً مُعيرَه من صَديقٍ	لا ولا من أخٍ؛ أحاذرُ غَدرا
ما على مَن يصُونه من مَلامٍ	بل له العذرُ فيه سراً وجهرا
لن أعير الكتابَ إلا برهنٍ	من نفيسِ الرُّهون تبراً وبرا

وكنت أتعجب من حرص العلويين على قراءة كتب أسلافهم، والتمتع بذكر اخبارهم، حتى رأيت ما نقله ابن عساكر في تاريخ دمشق: عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها؛ قالت: إذا ذكر عمر في المجلس حسن الحديث، وفي رواية أخرى: زينوا مجالسكم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وبذكر عمر بن الخطاب[٣].

* * *

(١) عبدالله بن علوي السقاف، السيرة الذاتية صفحة ٩٨.

(٢) محمد بن علوي العيدروس، القراءة والحث عليها، دار الضياء للنشر والتوزيع، صفحة ٢٥.

(٣) ابن عساكر، تاريخ دمشق: ٥٣/ ٣٢٥.

الفصل العشرون

نماذج من ترتيب العلويين لأوقاتهم



السيد علوي بن عبدالله السقاف في بيته

ما سيردُ في الصفحات التالية من وصفٍ لترتيبِ العليين لأوقاتهم،قد يكون عاما لمعظمهم إن لم نقُل كلَهم. واستمر ذلك إلى عهد قريب لمعظم العلويين،ولازال كثير من العلويين إلى اليوم يتبعون طريقة أسلافهم في عمارة الأوقات بالطاعة والعبادة، وأظهر ما يكون ذلك: في مدينة تريم التي لم يزل أهلها إلى اليوم من أكثر الناس محافظة على طريقة السلف الصالح، وفيما يلي بعض ما اطلعتُ عليه في كتب التراجم والأخبار التي توفرت لي قراءتها.

ذكر الجد علوي بن عبدالله السقاف في «التلخيص الشافي»: أن الحبيبَ طه بن عمر الصافي الأول (المتوفى سنة ١٠٠٧هـ)، مؤسسّ مسجد طه، كان على ما عليه السلف الصالح من سلامة الصدر وحسن الظن في سائر الصالحين، بل وبكافة المسلمين، مع التواضع والتخلق بخلق أهل الكمال.

وكان يجلس على العصبي (الدكة) القِبلي (الغربي) لمسجده، والناس يجيئون بقهوة وهو يعطيهم البن، فإذا وصلتهم الشمسُ قام هو ومن معه إلى الزاوية، فإذا أذن الظهر قامَ ومن معه إلى المسجد، وصلى بهم وطلع إلى بيته، ثم بعد ساعة يطلع لزيارته خواصه أو الزائر الغريب[١].

و يبرز الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر(١١٩١-١٢٧٢هـ) للزوار في وقت عينه بعد صلاة الظهر ويقول للناس بأنه حريصٌ على حفظ الوقت، وأن من طلب استشارةً أو غيرها فهذا وقتها[٢].

أما الحبيب علوي بن عبدالرحمن المشهور[٣] فكان يستيقظ قبل الفجر بوقتٍ طويل

---

(١) علوي بن عبدالله السقاف التلخيص الشافي صفحة ٢٠.

(٢) أحمد بن عبدالرحمن السقاف الامالي، دار الاصول للنشر صفحة ٤٦.

(٣) ابو بكر المشهور لوامع النور دار المهاجر للنشر والتوزيع صفحة ١٦١.

فيتوضأ ويركع ثم ينزل إلى مسجد المحضار لإحياء الربع الأخير من الليل ويوقظ أبناءه وأحفاده ويخرجهم معه وهناك يقرؤون القرآن على عادة تريم إلى أذان الفجر، وبعد أن يصلي بالناس الفجر يقرأ الورد اللطيف للإمام الحداد، ثم يقيم حلقة درس في تفسير القرآن الكريم، وإذا أشرقت الشمس ركع سنة الإشراق ثم ينصرف إلى بيته. ويفد إلى منزله بعد صلاة الضحى أعداد من طلبة العلم يقرؤون عليه في فنون شتى، ثم بعد انصرافهم يحيى وقته بالمطالعة حتى يأتي الوقت الذي يدرس فيه أهل بيته.

وعند أوان صلاة الظهر يكون قد تناول غداءه فيخرج إلى مسجد (عاشق) الذي قام هو بتجديد عمارته، فيصلي الظهر بالناس إماما، وعقب الصلاة يتصدر لتدريس بعض طلبة العلم في الفقه، ويستمر الدرس إلى العصر وبعد الفراغ من صلاة العصر يرجع إلى بيته لعقد الروحة (جلسة علمية) المعتادة مع بعض الخاصة والمتعلقين به وبعض طلبة العلم، وقد تكون الروحة في بعض الليالي في شِعب خَيلة، فيرجع قبل المغرب ليصلي بالناس في مسجد الشيخ عمر المحضار، ثم يركع ويقرأ أوراده المعتادة، ثم يتصدر تحت المنارة، ويجتمع حوله طلبة العلم يقرؤون عليه حتى العشاء، فيصلي بالناس العشاء ثم يركع ويقرأ جزءا من ورده قبل رجوعه إلى منزله لتناول شيئا من العشاء واخذ قسط من الراحة والنوم. ويتغير هذا النسق في شهر رمضان، وكذلك في رحلاته وأسفاره فهو كثير الأسفار، وقد طوف كثيرا من البلاد، ورحلاته متعددة إلى الهند وسيلان وجاوا وسنقفورا والحجاز، وله الكثير من أعمال البر، تقرأها في ترجمته في كتاب «لوامع النور» لحفيده السيد أبوبكر المشهور [١].

ووصف بن عبيد الله توزيع الأوقات للقاضي العادل السيد علوي بن عبد الرحمن السقاف (ت ١٣٣٨هـ) فقال: «وأوقاته كلها معمورة بالعلم، يخرج للتهجد بمسجد طه عندما يبقى ثلث الليل الأخير، ثم يصلي الصبح ويجلس لدروس التفسير حتى تطلع الشمس، فيصلي

---

(١) أبوبكر المشهور لوامع النور دار المهاجر للنشر والتوزيع صفحة ١٦١.

سنة الإشراق ثم يرجع إلى بيته، ويفطر على تمرات من العجوة وقهوة ليس سواها شيء، ثم يرجع إلى المسجد ويصلي الضحى ويجلس للتدريس في الفقه حتى لو تأخر الطلبة، ولو جاء واحد فقط لجلس لتدريسه حتى يرتفع النهار، فيعود للبيت ويجلس للحكم ثم يتغدى على ما تيسر، ثم يقيل ثم يخرج لصلاة الظهر ثم يعود للبيت، ويقصده خاصة الطلبة، ويقصده معهم أصحاب المسائل للفتوى، وأصحاب القضايا للفصل ويشرب قهوة، ثم يخرج لصلاة العصر ويتلو بعدها بعض أوراد المساء إلى سارية من سواري المسجد، ثم يجلس للتدريس في كتب الرقائق والأخلاق والسير والتاريخ ونحوها، ثم يصلي المغرب ويجلس بعد النافلة وشيء من الأوراد للتدريس في الفقه، حتى موعد صلاة العشاء، وبعدها ينتقل بنوافله إلى البيت، ثم يتناول لقيماتٍ من العشاء يقمن صلبه ويجلس مع أهله وأولاده يؤانسهم، ثم يصلي الوتر ثم يأوي إلى الفراش وكان هذا دأبه في يومه وليلته[1]. وقال عنه: «كان مثالا في الورع والتقوى، بقي على القضاء أكثر من اثني عشر عاما، ولم يمتلك مالا ولا عقارا ولم يخلف دينارا ولا درهما، ولم تزد قيمة أثاث بيته وماعُونِه يوم توفي عن عشرين ريالا»[2].

ووصف العلامة بن عبيدالله عن مشاهدة يوميه حالة والده السيد عبيدالله بن محسن السقاف (ت ١٣٢٤هـ) فقال: «ومنذُ عرفته وهو يقوم من النوم انتصافَ الليل، فيخفُّ إلى الطهارة، ثم يصلي سنتها، ثم الوتر إحدى عشر بحسن قراءةٍ وطول قيام، ثم يقرأ حصة من القرآن، ثم يأخذ في الأوراد والمناجاة. وكثيراً ما يقول في آخر دعائه: **اللهم** ارحمنا إذا عرق منا الجبين، وانقطع منا الأنين، وأيس منا الطبيب، وبكى علينا الحبيب، **اللهم** ارحمنا يوم نركب على العود، ونساق إلى اللحود، **اللهم** ارحمنا إذا نُسيَ اسمُنا، واندرس رسمنا، وفنينَا وطوي ذكرنا، ولم يزرنا زائر، ولم يذكرنا ذاكر، **اللهم** ارحمنا يوم تبلى السرائر، وتكشف الضمائر، وتوضع الموازين، وتنشر الدواوين.

---

(١) عبدالرحمن بن عبيداللاه السقاف بضائع التابوت الجزء الثالث صفحة ٢٦٣.

(٢) عبدالرحمن بن عبيداللاه السقاف بضائع التابوت الجزء الثالث صفحة ٢٦٣.

وإذا جاء فصلُ الصيف والخريف تهجدَ على سطح مصلّاه أو في بطن مسيله، فكأنها تؤوِّبُ معه الجبال، وتكاد تنقدُّ لخشوعه الصدور وتنفطر السرائر.

ثم يصلي الصبح؛ ويأخذ في أذكارِ الصباح حتى إذا أسفر الأفق نبهني وأعاد معي الصلاة، وجلس يقرئني إلى أن تطلع الشمس. فيصلي سنة الضحى ثمانياً، وتارة يختص الإشراق بركعتين. قال بن عبيدالله: «ثم يتناول ما تيسر من الفطور ويعود إلى مصلاه الذي بناه سنة ١٣٠٠هـ، فيجلس للتدريس به لأناس مخصوصين.

وكان يحميني من مخالطة أبناء الزمان، ومتى فرغ من درسي جاء إليه الشيخ محمد بن شيخ الدثني الذي لازمه ثلاثين سنةً ليقرأ عليه إلى قريب الظهر، عندئذ يتناول ما تيسر من الغذاء، ثم يقيل نصف ساعة أو أقل، يتهيأ بعدها للظهر فريضةً ونوافل.

ثم يدخل إلى أهله فتقرأ عليه الوالدة، فكلما انتهت من كتاب شرعت في آخر إلى أن يدخل وقت العصر، فيقوم إلى مصلاه ويؤديها نافلةً وفريضةً بطهر مجدد، ثم يشتغل بشيء من الأوراد والحزوب، ثم أحضر بكتابي فأقرأ عليه درساً ثم أنهضُ إلى اللعب مع الذين خصصهم لذلك. ثم يحضر الدثني فيقرأ عليه إلى المغرب، فيستأنفُ الطهارة ثم يؤدي المغرب بنوافلها الراتبة وغيرها.

ثم أقرأ عليه درسا خفيفاً ويخلفني الدثني في القراءة إلى العشاء، وقد يحضر السابقون في هذا الوقت وغيرهم فيكون درسهم واحدا. ثم نؤدي العشاء ثم نصلي راتبته، ويشتغل بعدها بأذكار المساء ثم يتناول العُلقةَ من الطعام، ثم يأخذ مضجعه وقد غلب عليه الخوف من الله والشوق إليه، فقلما يطمئن به فراشه وهكذا دواليك.

وقد انطبعت نفسه ورسخت أعضاؤه على اتباع السنة، في يقظته وانتباهه وقيامه وقعوده ومدخله ومخرجه وقضائه للحاجة انطباعا لا يحتاج معه إلى تكلفٍ، بل كثيراً ما يتضجر من النهار ولاسيما إذا كثُر عليه الواردون، مع أن كلامه معهم لا يخرج عن التمجيد والتحميد

والتعريف والتوحيد، والوعظ الذي يلين له الحديد. وكان يتململ لما يجد من اللذة في العبادة، خوفاً أن ينقطعَ بها المقصودُ ويكون حظّه من العمل، وكان يحكي مثل ذلك عن أبيه. وكان يرتب درساً أسبوعياً يتنقل فيه بين بيوت إخوانه ليحضروه مع نسائهم وأولادهم فيقرؤا عليه ما تيسر من كتب السلف ثم يعظهم ويحثهم ويشرح لهم آثار أسلافهم.

ومن الجيل الأخير من العلويين الذين أكرمنا الله برؤيتهم والاجتماع بهم: الحبيب أبوبكر العطاس بن عبدالله الحبشي (ت ١٤١٦هـ)، وله وجهٌ مشرق بنور الإيمان لاتستطيع إلا أن تشعر نحوه بالهيبة والجلال، قال ابنه السيد عبدالله: «إن الوالد يذكّرنا بما نسمعُه عن أسلافنا وأجدادنا من أهل القرون الماضية في ورعهم وزهدهم وعبادتهم، واستغراق جميع أوقاتهم في الطاعات والتمسك بسنته في جميع الأحوال والأوقات»[1].

وذكَر توزيع الحبيب عطاس لوقته فقال: «كان والدي يوزع أوقاته فلا يخلو وقت من أوقاته في ليله ونهاره إلا وهو مستغرقٌ في ذكر أو طاعة أو عمل من أعمال البر والنصح والإرشاد لكل مرتاد، مع شدة اهتمامه بأمور المسلمين وتحمله لهم.

وكان يستيقظ آخر الليل فيتوضأ ويغتسل وذلك ديدنه لكل فرض صيفا وشتاءا وحضرا وسفرا ثم ينتصب في مصلاه كالعمود إلى أن ينادى لصلاة الفجر فيجيب المؤذن ثم يركع السنة بعد أن يأتي بالأذكار قبلها وبعدها ثم يصلي الفجر ويجلس في مصلاه ذاكرا مستغرقا إلى الإشراق فيصلي الإشراق ثم يتناول ما تيسر من طعام الإفطار، ثم ينام إلى الساعة العاشرة صباحا يقوم بعدها فيتوضأ ويغتسل ثم يركع الضحى ويستمر في الأذكار وقراءة القرآن حتى يؤذن للظهر فيركع أربع ركعات، يقرأ في كل ركعة مقرأ من سورة يس وآية الكرسي وثلاث من قل هو الله أحد.

ثم يصلي الفرض ويعقبه بالركعات البعدية يأخذ بعدها قسطا من الراحة مستلقيا ثم

---

(١) ابي بكر العطاس بن عبدالله الحبشي التذكير المصطفى دار الحاوي صفحة (ح).

يتناول طعام الغداء وينام بعده إلى الساعة الرابعة عصرا فيقوم ويتوضأ ويغتسل ثم يركع أربع ركعات يأتي بعدها بالاستغفار سبعين مرة ثم يصلي العصر ويستغرق بعدها في أذكار وأوراد، حيث تعقد بعدها الروحة التي تقرأ فيها الكتب في شتى العلوم حتى يؤذن للمغرب فيقوم للصلاة ويأتي بعدها بالأذكار لمدة نصف ساعة تقريباً، ثم يركع بعدية المغرب وصلاة الأوابين إلى أن يدخل وقت العشاء، فيصلي قبليته والفريضة ثم يشرع في قراءة راتب الإمام الحداد جماعيا، ثم يركع بعدية العشاء ثم يتناول طعام العشاء، ويذهب للنوم حدود الساعة العاشرة مساءً ليستيقظ عند الثانية ليبدأ يوما جديدا» (١).

وكان يقول لأولاده: «إنكم تتشبهون بنا في حالة الكبر، وأما أيام الشباب والنشاط فكانت لنا مجاهدات وأعمال غير ما ترونا عليه الآن».

ومما لاشك فيه: أن كثيرا من العلويين من المعروفين والمجهولين كان يسيرون على نفس الطريقة، وإنما أردت في هذا الكتاب أن أقدم نماذج للأجيال القادمة، وليس الهدف سرد الترجمات المجردة.

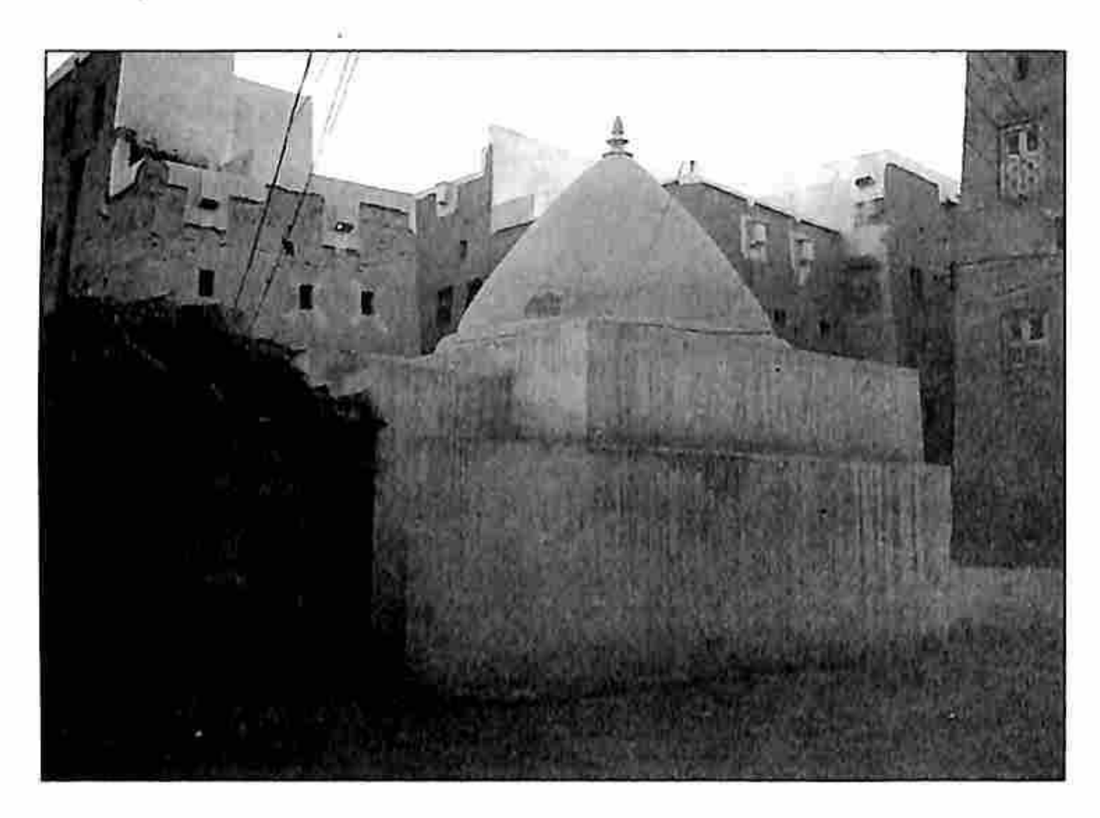
* * *

---

(١) ابي بكر العطاس بن عبدالله الحبشي التذكير المصطفى دار الحاوي صفحة (ح).

الفصل الحادي والعشرون

الشرائف العلويات



مسجد المؤمنات بمدينة سيؤون وهو خاص بالنساء وليست له مئذنة ولا ميكرفون

لم تذكر لنا كتب التراجم كثيراً عن الشرائف العلويات، رغم أن الكثير منهن لا يقل عن رجال العلويين في الورع والتقوى والعبادة، إلى جوار قيامهنّ بحق أزواجهن وتربية أولادهن على الطريقة الإسلامية الكاملة. ويقول بعض الاجتماعيين إنك إذا أردت أن تنظر إلى صلاح قوم فلا تنظر إلى صلاح الرجال فقط ولكن تتبع حال النساء فإن صلاحهن يؤكد صلاح القوم وإن لم يكن النساء صالحات فلا تنخدع بصلاح الرجال مهما بلغ؛ لأن الأم هي المدرسة التي تخرج كرام الرجال.

وللعلويات دور كبير في تربية أولادهن وبناتهن على طريقة السلف، فقد ورد في رحلة المغربي إلى تريم في القرن التاسع الهجري أن أحد العلويين وسنه ثمان سنوات رأى شيئاً في البيت أضحكه فضحك وقهقه وأمه تراه وأخته حاضرة ومعها غيرها فلم يشعر إلا بأمه تكفكف دموعها، ثم قالت أصبحت بيوتنا أهل البيت النبوي الآن كالأسواق محل الغفلات فما هذه القهقهة يا ولدي! بارك الله فيك، ثم ابتدرته أخته فاستتابته من القهقهة، ومن ذلك اليوم وحتى بلغ العشرة من السنين وكل من في البيت حتى الخدامين يوبخونه على ذلك الفعل، ويقولون له عسى توبة مقبولة![1].

وتربى بعض كبار العلويين على يد أمهاتهم حيث كان آباؤهم مغتربين لسنين طويلة في جاوا أو غيرها من البلاد، ومن هؤلاء الحبيب عبدالله بن حسين السقاف، الذي ربته أمه وأشرف على تعليمه عمه الحبيب عبيدالله بن محسن السقاف، ونهل من العلم الكثير حتى تولى قضاء سيؤون وكان المستشار المؤتمن للسلطان منصور بن غالب الكثيري.

كما تربى الحبيب علوي بن عبدالله بن شهاب على يد أمه الشريفة فاطمة بن محمد بلفقيه، وقامت به أحسن قيام، فزارت به معظم المساجد والمدارس، وزارت به صلحاء البلاد

---

(١) رحلة المغربي مخطوطة صفحة.

وأخيارها، وكانت تطلب ممن تلاقيه منهم في الطريق أن يمسح على رأس ولدها ويدعوا له تيمناً وتبركاً، كما أشرف على تعليمه عمه الأكبر محمد بن عيدروس[١].

وتربى الحبيب علوي بن عبدالله السقاف (١٣١٥-١٣٩٢هـ) على يد والدته الشيخة نور آل باحميد، وكانت تسكن بمنزل والدها بجوار مسجد السلطان بمدينة سيؤون، وكانت والدته كما ذكر الجد علوي تقوم من آخر الليل وتتوضأ وتصلي ما شاء لها الله أن تصلي، ثم تذهب للمسجد والجو شديد البرودة لتحضر لهم الماء للوضوء وتسخنه، ثم توقظنا من آخر الليل للصلاة، ثم للذهاب بعدها لمسجد السلطان لصلاة الفجر، ثم تقوم بعد ذلك بعمل القهوة وتحضير ما تيسر للفطور، فإذا عدنا من المسجد وجدنا قهوتنا حاضرة ومعها ما تيسر من الفطور.

وشاركت والدة الحبيب علوي بن سقاف بن محمد المتوفى سنة ١٢٣٥هـ في تربيته، ففي التلخيص الشافي أن أخوة الحبيب علوي بن سقاف ذهبوا من سيؤون إلى تريم للإقامة بها، والأخذ عن علمائها، وبقي الحبيب علوي بن سقاف لصغر سنه ولما جلس للفطور صباحاً مع والديه امتدت يده لأقراص الخبز ليأخذ فوق عادته، ففطنت له والدته رغم أنها كفيفة البصر، وضغطت على يده حتى آلمته، ثم قالت له مؤنبة: إخوتك يطلبون العلم في تريم، وأنت جالس هنا للأقراص. فرق له قلب والده وقال له أنا سأكون شيخك في الفقه، وتذهب للشيخ محمد بارجاء ليكون شيخك في النحو، فزاد في تحصيله للعلم على إخوته الذين ذهبوا إلى تريم[٢].

وقد تكلم الأستاذ الشاطري عن الحضرميات عموماً في كتابه أدوار التاريخ الحضرمي فقال: والمرأة الحضرمية وفية لزوجها، ومنهن من يأخذها زوجها في هجرته أو

---

(١) عمر بن علوي الكاف تحفة الأحباب دار الحاوي للطباعة والنشر صفحة ٨٧.

(٢) علوي بن عبدالله السقاف التلخيص الشافي صفحة ١٠٤.

غزوته للجهاد، ومنهن من تبقى في بلادها وتقوم بتربية أولادها وتدبير منزلها والمشاركة في الزراعة والصناعة مع الرجل وصيانة نفسها ومال زوجها، وقد تمر عليها السنوات العديدة وهي راضية صابرة منتظرة عودة زوجها.

وقال الأستاذ الشاطري ولكن لم تصل غيبة الأزواج للحد الذي وصلته الآن من انقطاع بعض الأزواج عشرات السنين في الخارج حتى تشيب زوجته ويشيب أولاده وهو لا يعرفهم ولا يعرفونه، وهذا خطأ اجتماعي كبير يأباه الشرع والعروبة والإنسانية.

وقد أمر سيدنا عمر بن رضي الله عنه بأن لا يغيب الزوج عن زوجته أكثر من أربعة أشهر حسب الممكن، وكتب إلى قواده بتطبيق هذا الأمر على أفراد الجيش (انتهى النقل)[١].

إلا أن في العلويات والحضرميات على وجه العموم صبر على فراق الأزواج يضرب به المثل، فقد يغيب الزوج بجاوا أربعين سنه أو أكثر، ويقترن هناك بزوجة غيرها ومع ذلك تبقى على وفائها وعهدها، تربي أولادها إن كان لها منه ولد وربما عاد الزوج من غربته الطويلة ليجدها قد شاخت وهزلت فيتزوج بأخرى أصغر منها.

ومن أشهر العلويات زينب أم الفقراء زوجة الإمام الفقيه المقدم، وقد رشحها الفقيه المقدم لتكون خليفته من بعده لقوة شخصيتها ولاستعدادها وكفاءتها، رغم وجود أولاده الخمسة منها إلى جانب خدمه وأتباعه، وكان المفروض أن يصبح أكبر بنيه علوي الذي يكنى به عميداً للأسرة بعد وفاة أبيه لكفاءته وسنه لكنه اختار زوجته لتخلفه، فكانت تقوم بعد وفاته زوجها مع ابنها الأكبر علوي بتوجيهات المريدين وكانت تهيب بأبنائها أن يرتفعوا إلى درجة أبيهم في المعرفة والعلوم[٢].

ويمكن أن تتولى إحدى العلويات منصباً من المناصب المخصصة للرجال، مثل

---

(١) محمد بن أحمد الشاطري أدوار التاريخ الحضرمي، صفحة ٣٠٧.

(٢) محمد بن أحمد الشاطري أدوار التاريخ الحضرمي، صفحة ٣٠٧.

وظيفة المنصبة، فقد ذكر ابن عبيدالله في المعجم منطقة ميفعة بحضرموت وقال: هي أرض واسعة فيها قرى وآبار كثيرة، وعاصمتها قرية (اصبعون)، ثم قال: وعلى منصبتها اليوم شريفة منهم يقال لها سيده، تبرز للرجال وتحادثهم، ولها جاه واسع لدى آل باقطمي وغيرهم، وهي تكرم الضيفان[١].

ولا تبقى امرأة بحضرموت خارج بيتها بعد غروب الشمس، ولهن المصليات الخاصة بهنَّ، وفي تريم مساجد خاصة بالنساء مثل مسجد عزيزة، ومسجد شهابة، أو مسجد بصرية، وفي مدينة سيؤون مسجد المؤمنات الخاص بالنساء الذي أسسه الحبيب عبدالرحمن بن علي السقاف (١٢٢٦-١٢٩٢هـ) بمدينة سيؤون[٢]، وهي ظاهرة لم تعرف في أي بلد إسلامي آخر.

وتواظب النساء من العلويات وغير العلويات على السنن، مثل السواك فلا تجد السواك إلا مربوطا بخمارها، كما تجدها في بيتها في كثير من الأوقات تجلس على سجادتها لابسة قميص صلاتها، تصلي وتذكر الله بمسبحتها التي تكون دائما في يدها، أما البنات العلويات فهنَّ في غاية الاحتشام فلا تخرج من بيتها لضرورة إلا ليلاً، ولا يرى شيئاً من جسدها، ولا يسمع من صوتها حرفاً، وتمنع من الدخول على النساء غير المحارم[٣].

وعاشت كثير من العلويات في الأزمنة السابقة أغلب أوقاتهنَّ وهنَّ لابسات قمصان الصلاة؛ في أغلب الأوقات نظراً لمواصلتهن العبادة حتى إن أحد أبناء الحبيب محسن بن علوي السقاف (١٢١١-١٢٩٠هـ) تزوج بعلوية لكنها لم تكن لتفارق قميص الصلاة فطلقها، وقال: هل زوجتموني امرأة أم قميص صلاة؟!

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مكتبة الإرشاد صفحة ٣٥-٣٦.

(٢) عبدالله بن محمد السقاف تاريخ الشعراء الحضرميين الجزء الرابع-الناشر مكتبة المعارف بالطائف صفحة ٥٣.

(٣) أحمد بن عبدالله بن شهاب تريم بين الماضي والحاضر تريم للدراسات والنشر صفحة ١٤٧.

ومن أخبار ورع العلويات أنه كان لآل بن يحيى مال بقرية العجز المجاورة لتريم، فساوم في شرائه الحبيب شيخ بن أحمد، فقالت له الشريفة علويه بنت الشيخ علي بن أحمد: يا عم شيخ لا تشترِ مال الديوان لآل أحمد بن علي. فقال لها: إنه مال واسع رخيص الثمن. فقالت له: لا تطفيء نورنا بنار الديوان، فترك ذلك ولم يشتره[١].

ومن أخلاق العلويات ما ذكره ابن عبيدالله في المعجم من أن زوجة المنصب أحمد بن علي بن أحمد بن الشيخ أبوبكر بن سالم وهي أم عياله من آل بن يحيى غضبت عليه لزواجه عليها وأبت أن ترجع إلا بترضية مائة دينار، فاخذ صرة بها ما طلبت من الدنانير، وفي الطريق سمع امرأة تقول من حيث لا يراها نحن جياع والمنصب يدفع مائة دينار لبنت آل بن يحيى، فظهر عليها ورماها بالصرة، وقال: هي حلال عليك، فامتنعت من أخذها، فأصر عليها حتى قبلتها، واعتذر لآل بن يحيى عن الحضور، فعظم الأمر عليهم واخبروا بنتهم، فقالت: إني أعلم خلقه فهو لا يخلف وعداً، ولا يبيت على جنابة، ولا يأكل إلا مع ضيف، ولن يتأخر إلا لمهم، وبحثت عن الواقع حتى عرفت ما حصل، فذهبت هي وأولادها إليه مجاناً[٢].

أما عن درجة التحصيل العلمي للنساء فقد ذكر ابن عبيدالله في المعجم أنه اجتمع في قرية صبيخ أربعون عذراء يحفظن إرشاد ابن المقري[٣].

وقد خطب كثير من العلويين نساءً بسبب تحصيلهن العلمي وحفظهن لكتاب الإرشاد لابن المقري، ومن ذلك ما ذكره ابن عبيدالله في بضائع التابوت قال: وسمعتُ من غير واحد من المشايخ الأجلاء أن الحبيب أحمد بن محمد الحبشي خطب إلى أحد آل باعباد بنتاً له تحفظ الإرشاد، فأبى أن يقبله لعدم كفاءته في زعمه، ولكن البنت كانت راغبة فيه فقالت

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مطبعة الإرشاد صفحة ٥٤٦.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مطبعة الإرشاد صفحة ٥٥٩.

(٣) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مطبعة الإرشاد صفحة ١٧٩.

في تشهدها بحيث يسمعها أبوها: اللهم صل على محمد وعلى آل باعباد فانتهرها، فقالت له: بعد سلامها أو ليس آل باعباد أفضل من آل محمد؟! فعرف مغزى الكلام، وأجاب السيد أحمد بالقبول، ولعل هذه المرأة هي التي أشار إليها سيدنا الحبيب أحمد بن زين الحبشي في شرح العينية بقوله تزوج الجد منهم بإشارة وبشارة[١].

وتزوج الحبيب محمد بن حسين الحبشي (١٢١٣-١٢٨١) من شبام امرأة بغرض أن تتولى تعليم النساء، وذكر الحبيب العلامة علي بن محمد الحبشي[٢] (١٢٥٩-١٣٣٣هـ) اقتران والده بوالدته فيقول: سار والدي إلى شبام، وقال للحبيب عمر بن محمد بن سميط (توفي سنة ١٢٥٨)، والحبيب أحمد بن عمر بن سميط (توفي سنة ١٢٥٧): حد معلمة عندكم بغيناها تعلم النساء. قالوا: نعم بغيت حرمة وشريفة ومعلمة؟ قال والدي: نعم، فخطبوا له بنت الرجل الصالح حسين بن أحمد الجفري، وأخبراه بضعف حال الوالد وأنه من الدعاة إلى الله ورغباه في قبوله، فاستجاب لطلبها، فسألاه ماذا تريد من جهاز؟ فقال: ما تعتاده العلويات من أزواجهن. وتم الأمر على أن يكون الزواج في نفس الليلة، ولم يكن معها من مؤن الزواج ولا الكساء شيء. قال الحبيب علي: ودخل الوالد على الوالدة في تلك الليلة، وعاد بها في اليوم الثاني على دابته إلى تاربة.

قال الحبيب علي: وفتحت الوالدة باب التدريس وتعليم النساء بتاربة، وممن تعلم على يدها عجوز لم تصل لله ركعة في حياتها من قبل، فعلمتها الوالدة الصلاة، ولم تمر على وصولها ثلاثة أيام إلا وقد اصطف وراءها في الصلاة أربعة صفوف من الحريم (انتهى باختصار وتصرف بسيط).

وترجم الحبيب أحمد بن عبدالرحمن السقاف (١٢٧٨-١٣٥٧هـ) لوالدة الحبيب علي

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف بضائع التابوت الجزء الثالث صفحة.

(٢) طه حسن السقاف فيوضات البحر الملي صفحة ١٥-١٦.

بن محمد الحبشي في كتاب الأمالي[١] فقال: هي السيدة الصالحة علوية بنت الحبيب حسين بن أحمد الهادي الجفري. كانت رضي الله عنها ذات علم وعقل وتعليم لأهلِ الجهل وحكمه وفضل، لها اليد الطولى في الدعوة إلى الله تعالى، وتعليم النساء ما أوجب الله عليهنَّ، وذكرها العلامة عبدالله بن محمد السقاف في كتابه تاريخ الشعراء الحضرميين[٢] فقال: إنها ولدت بشبام حوالي سنة ١٢٤٠هـ وتربت تحت رعاية العلامة السيد أحمد بن عمر بن سميط، الذي اعتنى بالتعليم النسائي وجلب المعلمات إلى شبام لتعليم النساء، ونالت هذه السيدة حظاً كافياً في الشؤون الدينية بعد ختام (حفظ) القرآن كله، وكانت على جانب عظيم من الاستقامة والتقوى والعقل وحسن التصرف والتدبير ومكارم الأخلاق، وقضت حياتها في سيؤون بمعية ولدها الحبيب علي وبها توفيت سنة ١٣٠٦هـ ثم قال وإلى اليوم مطبوعة صورتها في ذهني من قبل تمييزي بقامتها المعتدلة من غير نحف، ولونها الأبيض الزهري، وملبوسها الأبدي السواد، واختمارها حتى لم يظهر منها سوى وجهها المدور. (انتهى بتصرف بسيط).

ومن العلويات من برع في علم النحو مثل الشريفة آمنة بنت الحبيب محمد بن حسين الحبشي، ذكر ابن عبيدالله السيد صالح بن أحمد الحبشي[٣] فقال: إنه كان لا يتكلم إلا بالإعراب ولذلك سبب؛ وهو أنه وصل إلى بيت مفتي الشافعية بمكة السيد محمد بن حسين الحبشي أيام كان بالقنفذة فسأل عنه باللغة الدراجة فضحكت منه واستهزأت به بنته آمنه التي تزوجها السيد علوي بن أحمد السقاف صاحب الحاشية على فتح المعين، فآلى على نفسه أن يتعلم النحو وأن لا يتكلم إلا بالإعراب.

ونقل الأستاذ جعفر بن محمد السقاف[٤] عن كتاب الجامع لليمنيين لبامطرف عن

---

(١) أحمد بن عبدالرحمن السقاف الأمالي دار الاصول صفحة ١١٠.

(٢) عبدالله بن محمد السقاف تاريخ الشعراء الجزء الرابع صفحة ١٢٩.

(٣) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مكتبة الإرشاد صفحة ٣٠٤.

(٤) جعفر محمد السقاف محاضرات عن دور الحضارم جامعة الأحقاف صفحة ٣٨.

الشريفة آمنة بنت محمد بن حسين الحبشي (١٢٦٠-١٣٣٣هـ) فقال: (تلقت تعليمها بسيؤون، وهي أخت الإمام الكبير الحبيب علي بن محمد الحبشي، تزوجت على العلامة علوي بن أحمد السقاف صاحب المؤلفات بمكة المكرمة، منها: (شرح فتح المعين) في الفقه مكون من أربعة أجزاء، وأخذت المزيد من الدراسة على والدها وزوجها، ثم سافرت مع زوجها إلى استانبول حيث قامت بنشر الدعوة الإسلامية في الأوساط النسائية التركية، وانتفع بها خلق كثير، وعادت إلى لحج باليمن، وبعد وفات زوجها بلحج عادت إلى تركيا واستأنفت نشاطها الدعوي وتوفيت باستانبول بتركيا (انتهى).

وفي ترجمة والدة العلامة السيد محمد بن عقيل بن يحيى أن الحبيب علي بن محمد الحبشي كان يعرج على المسيلة وينزل على السيد عمر بن عقيل اليومين والثلاثة؛ استجابة لإرادة الشريفة زهراء بنت الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر للحق الذي لأبيها، ولجلالة قدرها العلمي والعملي، فقد كانت خليفة لعمتها البركة خديجة بنت الحسين التي بلغت درجة الإمامة العظمى لولا أنها أنثى[1].

ومن العلويات العالمات الشريفة خديجة بنت الحبيب علي بن محمد الحبشي. ولدت في سنة ١٢٩٣هـ ونشأت في حجر والدها الحبيب علي على حالة عظيمة من التقوى والصلاح، لها بعض قصائد حمينية ولها يقول والدها الحبيب علي:

يـــا خديجــة عليــه جــردي للعبــادة	واتركي كل شاغل واقطعي كل عـاده
وازهدي فالهنـاء والعافيـة في الزهـادة	في طريق السلف سيري ويا نعم ساده

وتزوجت من الحبيب عبدالله بن حسين بن علوي السقاف، ثم مات عنها وخلف منها بنات نشأن في حجرها وتربين تحت رعايتها، وتوفيت بسيؤون سنة ١٣٥٣هـ (انتهى باختصار)[2].

---

(١) محمد بن عقيل بن يحيى العتب الجميل تريم للدراسات والنشر صفحة ٢٢.
(٢) طه حسن السقاف فيوضات البحر الملي صفحة ٢٩٨.

وكانت والدة العلامة ابن عبيدالله على جانب عظيم من العلم، فقد ذكر ابن عبيدالله في بضائع التابوت أن والده صوفي المشرب حتى إنه لتنطلي عليه بعض حكايات للقوم مما يتوجب عليها الاعتراض من جانب الفقه، ولكنه رجَّاعٌ إلى الحق وقَّافٌ عليه حالما يتبين له الصواب ولو على يد أصغر خلق الله، وكثيراً ما أتحاور معه في تلك المسائل ويصعب لي القول وأصعب له، حتى تكون الوالدة هي الحكم بيننا لأنها على جانب من العلم عظيم[١].

ويعتد علماء العلويين بآراء زوجاتهم في مؤلفاتهم فنرى مثلا العلامة العظيم عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف يتراجع نهائيًا عن نشر مجموعة من التراجم التي ألفها لكل من رثاهم في ديوانه وذلك بسبب أن زوجته أم ولده حسن وأشقائه سمعت جملة منها فقالت له: إنها ثقيلة على السمع فزهدتني كما قال فيها شئت أم أبيت. ووصفها ابن عبيدالله في المعجم فقال: إنها راضية بعيشها، قانعة برزقها، مصونة في قصرها، قائمة بحق ربها، صالحة في دينها، على جانب واسع من المعرفة والأدب، لا يعرض لها حال إلا تمثلت ببعض بيت إذ كان عندها مئآت الأطراف من الأبيات، ولكنها بالأكثر لا تستوفي البيت حفظاً ولا تقيمه لحنا[٢].

وإذا أردنا أن نعرف الحياة الأسرية لأسلافنا العلويين فلن نجد وصفاً أدق وصراحة متناهية مما ذكره ابن عبيدالله عن حاله مع زوجته وأم أبنائه حسن وإخوته قال ابن عبيدالله في المعجم: وأنا وإياها ولله الحمد في عيش طيب،وبال رضي، وسكون تام، ومودة ورحمة، واسترسال ومؤازره، لا نختلف في شيء قط من أمر الدنيا، مع أنها أمية لا تكتب ولا تحسب أمر البيت، كما قضى رسول الله ﷺ بين علي وفاطمة إلا أن من شأنها بطيء الحركة[٣].

ويصف ابن عبيدالله نقاط خلافه مع زوجته فيقول: بأنها لا تلوم أحداً من أولادها إلا

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف بضائع التابوت الجزء الثالث صفحة ٢٩٣.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف بضائع التابوت الجزء الرابع صفحة ٢٦٣.

(٣) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مكتبة الإرشاد صفحة ٣١٥.

كنت معها عليه، وإذا انعكست القضية كانت معه علي، مع اعتقادي أني مصيب في الحالين، أما من هذه المواضع فان الشيطان يجد السبيل المهيج، فيذكي جمرات الغضب، ويثير معركة النزاع، ويقف مع النظارة، ولا تسل عما يجري حينئذ وربما يكون الأمر شيء من العتب الجميل لشيء صغير من أنواع ما تقدم، فيحصل في الاعتذار لون من التلبيس، فعند ذلك يشتعل الوطيس ويبلغ ما يريده الشيخ إبليس.

بل ويغلب على ابن عبيدالله طبعه في الصراحة المتناهية حتى في هذا المقام فيقول: ومن سيئاتها أنها لم تغرس لنفسها هيبة في صدور أولادها تعينها على ما يجب على الأم من التأديب والتثقيف والتعليم والتهذيب، بل تلقي لهم الحبل على الغوارب، فلا تعاتب أحداً على تقصير، ولا تزجره على إساءة أدب، ولا تكلف أحداً بعمل ينفعه عند الحاجة فهي تسيء إليهم من حيث تريد الإحسان، غير أنه يكف من ثورتي عليها لذلك قول الإمام مالك: الأدب أدب الله، لا أدب الآباء والأمهات. وقول الشعراني: لقد كنت في عناء من تأديب ولدي عبدالرحمن حتى وكلت أمره إلى الله فصلح، أو ما يقرب من هذا، ومن جراء ذلك استهانة الخدم بأوامرها، ثم يقول: ومهما يكن من الأمر فإن إفراطها في المياسرة مع رعيتها قد أتعبنا وإياها، وأدى إلى حالة جسيمة لا تحتمل، ولاسيما في تدبير أمر البيت لأنني أجعل تبعة تقصيرهم عليها بحكم قوله ﷺ: «والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها) (انتهى باختصار)[١].

وكانت الجدة زهراء بنت الحبيب عبداللاه بن حسن البحر وزوج الجد العلامة الجد عبدالرحمن ابن عبيدالله آية في الصلاح، ولا ترى أغلب أوقاتها إلا لابسة قميص صلاتها.

وذكر ابن عبيدالله في المعجم الدعاء الذي يدعوا به لزوجته وأولاده وهو: أسأل الله أن ييسرني وإياها وأولادنا اليسرى، وأن يجنبني وإياها العسرى، وان يجمع لنا ولهم من

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مكتبة الإرشاد صفحة ٣١٥.

خيرات الدنيا والأخرى، وأن يحسن عاقبتنا وعاقبتهم في الأمور كلها، ويجيرنا وإياهم من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، وأن يبارك لي فيها وفي أولادي ولا يضرهم، وأن يجنبنا وإياهم الشيطان، ويرزقنا برهم، وأن يطيل لنا ولهم الأعمار في خير ولطف وعافية وثبات على الإيمان بمنه وجوده (انتهى)[١].

والعلويون شديدو المحبة لزوجاتهم، شديدو الجزع لفراقهن، قال ابن عبيدالله في العود الهندي[٢] (وما أرق نسيم مولانا عبدالله بن علوي الحداد، فان ديوانه ممتلئ بدموع الأسف على فراق الأحباب، ومن ذلك قوله في رثاء زوجته:

ولا تنس ما بين القبور بزنبل لقبر بقلبي قط لا ينسى

تضمن إلفاً صالحاً ومباركاً فأكرم به قبراً وأكرم به رمسا

دفنت به من فيه روحي وراحتي فعاد أغض العيش من بعده يبسا

(انتهى باختصار).

وذكر ابن عبيدالله حزن السيد حامد بن أبي بكر المحضار على فراق زوجته فقال[٣]: ودلني على رقة طبعه، وزاد في مكانته كثرة بكائه وحنينه، وفرط تحسره و أنينه، على أول زوج له اغتالها الموت، ونالتها عيون الكمال بالفوت، وهي بنت الفاضل الجليل المقدار الوالد مصطفى بن أحمد المحضار، وما أرق قول أبيها في مطلع رثائها:

لا حل للموت لو شاور عطيناه ست ولا اثنى عشر وهذي ما نباها تبت

قال ابن عبيد الله: أما حامد فله عدة مراثي فيها سماها دموع الوفاء في الحسرة على شفاء، وقد كتب إلي يشكوا جواها، وما أضر به من نواها، فتصعدني الكلام عن الجواب،

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مكتبة الإرشاد صفحة ٣١٧.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف العود الهندي الجزء الثاني صفحة ٣٢.

(٣) المصدر السابق الجزء الرابع.

ولاسيما بعد ما ذقت مثله في سنة ١٣٢٨ وما أقبح ما يتناقله الفقهاء عن أبي بكرة من قوله إن موت الزوجة حزن ساعة مع أنه ﷺ سمى عام موت خديجة عام الحزن.

قال ابن عبيدالله: ولقد عزيت الأخ العلامة علي بن عبد القادر العيدروس لاشتداد جزعه على فراق أم ولده سالم فأفاق وهان عليه أمر الافتراق (انتهى).

وممن نكب من العلويين بموت زوجته وحزن عليها حزناً شديداً الحبيب عبدالله بن عمر الشاطري. فقد توفيت زوجته أم أولاده أبي بكر وحسن فجأة إثر ولادة وهو بشعب نبي الله هود سنة ١٣٥٤هـ، وقد تأثر الحبيب عبدالله لما بلغته وفاتها وهو بشعب هود تأثراً خيف منه على حياته، وقد عزاه فيها الحبيب مصطفى المحضار بكتاب فيه: «وموت أمات الزقور يقصم الظهور، ويورث القهور، وإن كان صاحبه مأجور، وتعظم له الأجور، وأحسن له بقاها، ترد عليه الصوت وصوتها، أخير من كل صوت، ولا صديق أصدق من المرأة الصالحة»[١].

وحصل مثل ذلك للحبيب علي بن محمد الحبشي قال ابن عبيدالله في مخطوطة بضائع التابوت: ولما ماتت خالتي زوج الحبيب علي بن محمد الحبشي اشتد به عليها الحزن، وعظم به عليها الوجد، وتغير حاله وشكى إلي مرة ما يجد من احتراق قلبه لفقدها، وقال لي هل من دواء لذلك؟ فقلت له: نعم قال ابن عياش لقد كنت أجد من مرارة الأحزان لفقد الأحباب ما يكاد ينقطع له نياط قلبي، وأنا أتجمل وأتجلد حتى سمعتُ أعرابياً متكياً على سيئة قوسه ينشد:

لعل انحدار الدمع يعقب راحة ... من الوجد أو يشفي نجي البلابل

فصرت إذا أصابتني مصيبة أرسلت دموعي فأجد لذلك راحة ففرج الله عني بذلك الأعرابي عند ذلك برد غله وخف عبئه وشكرني على ذلك (انتهى)[٢].

---

(١) محمد بن سالم بن حفيظ نفح الطيب العطري دار العلم والدعوه صفحة ٦٨.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف بضائع التابوت الجزء الرابع صفحة ٢٧٩.

إلا أن الحبيب مصطفى لما توفيت (حميدة) زوجة الأستاذ الأديب صالح بن علي الحامد وحزن عليها كثيراً وألقى في رثائها القصائد الطوال، فكتب له الحبيب مصطفى المحضار، يلاطفه بأسلوبه الفكاهي المسجوع يقول: «وقد توفيت جنيدة، وهي نعم الصيدة، معاد إلا حميدة» وجنيدة هي زوجة السيد أبوبكر بن شيخ الكاف المشهورة بالجمال والثروة.

ثم نتساءل عن الحب والعشق في حياة العلويين وهو من المواضيع التي يندر أن تبحث في المجالس، فضلاً عن أن تكتب في الكتب، إلا أن صاحب تاريخ الشعراء الحضرميين ذكر السيد سالم بن عمر السقاف (١٢٩٤-١٣٢٤هـ) فقال: إنه طلق زوجته ثم أسف على ذلك أسفاً شديداً، حتى تحول ذلك الأسف إلى عشق وهيام، وقد يشتد به الوجد في فترات متقطعة فيغدوا في ذهول ودموع ولا يفيق حتى تذكر له مطلقته، وربما ذهب إلى رؤية مسكنها من بعيد تسكيناً لما به من وجد، وقد يطوف بمسكنها ليلاً أو نهاراً من غير شعور، وربما فتح له أهلها منزلهم وأسمعوه صوتها من وراء ستار لكونها متزوجة رحمة به وشفقة عليه، ولما فشلت كل موعظة وحيلة في زوال ما به من العشق والوله أرسله والده إلى جاوا رغبة في سلوه عنها وشفائه من هذا العشق، فسافر على كره منه إلى جاوا سنة ١٣٢٢ وتوفي بها بعد سنتين من وصوله[١].

ومن الأمور العظيمة التي لا تتحملها النساء في حضرموت أن يتزوج عليها زوجها بأخرى، ومن القصص النادرة ما ورد في ترجمة العلامة السيد محمد بن عقيل بن يحيى (المتوفى سنة ١٣٥٠هـ) من أنه كان كثير الزواج وقد أعانه على ذلك ويسره له ما كانت تقوم به زوجته الصالحة مريم الجنيد، والتي كانت تحرص على تزويجه كلما سنحت لها الفرصة على غير عادة النساء في حضرموت[٢].

---

(١) عبدالله بن محمد السقاف تاريخ الشعراء الحضرميين الجزء الخامس صفحة ٢١٧.

(٢) محمد بن عقيل بن يحيى العتب الجميل تريم للدراسات والنشر هامش صفحة ٢٨.

أما قوة الشخصية والحزم في النساء العلويات فتتمثل في والدة الحبيب عبدالله بن عمر بن يحيى ذكر ابن عبيدالله في بضائع التابوت آن حاكم تريم عبدالله عوض غرامه كان صارماً شجاعاً، طائش السيف، صادق اللهجة، له شذوذ وعنده عنجهية، ومن أخباره أن حمل السادة بتريم على الإفتاء بقول مرجوح يوافق غرضه، ثم أرسل عبيده إلى السيد عبدالله بن عمر بن يحيى (١٢٠٩-١٢٦٥هـ) يطلب مصادقته على هذه الفتوى وقال لعبيده إن لم يكتب المصادقة عليها بخطه فاقتلوه، ولما وصلوا عند الحبيب عبدالله بن عمر واخبروه شاور أمه وكانت على جانب من العلم والفضل عظيم، فقالت: وا عجبي منك يا عبدالله أو في هذا رأي؟! لقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يسافرون المسافات البعيده في طلب الشهادة، وقد جاءتك الشهادة إلى بيتك، فكيف تتأخر عنها؟! فمزق الكتاب في وجوههم حتى افتخر بك إن قتلوك واحتسبك عند الله. ففعل ما قالت له به أمه ومزق الكتاب في وجوههم وألقى الله عليهم الهيبة وكفاه شرهم[1].

من قصص الحزم والتدبير للنساء العلويات ما ذكره الوالد محسن في مذكراته عن جدته لأمه الشريفة شفى أنه لما سافر زوجها إلى جاوا لإصلاح أحواله دفع لها قبل سفره بعشرة من الريالات النمساوية لتستعين بها على معيشة نفسها وعيالها في غيابه، إلا أنها دبرت أمورها بطريقة عجيبة فكان أهلها الأغنياء يدعونها للغداء كل أسبوع فتعتذر، وتطلب إرسال طعامها لبيتها فيكفي ما يرسلونه لإطعام كل أفراد العائلة، كما استثمرت مالاً لها في الزراعة مع بعض الحراثين عاد عليها بالفائدة، ثم عاد زوجها من سفره خال الوفاض ووجدته عند وصوله مقتبضاً حيراناً، فعرفت أنه لا يملك أجرة الجمال الذي أوصله من الشحر لسيؤون. فقالت له: لا تكتئب، وذهبت وأحضرت له العشرة ريالات التي أعطاها لها عند سفره، وقالت له: خذها وادفع منها للجمال أجرته فلم احتج لشيء منها.

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء صفحة.

هذا وقد وصف الأستاذ بن هاشم المرأة الحضرمية فقال: إنها من أقل النساء في العالم انصياعاً للخرافات، وسعياً وراء الروحيات، فهي لا تعرف الزار ولا شبهه، ولا تخرج وراء الجنازة، ولا ترغب في زيارة القبور إلا نادراً[١].

وقال أيضاً: وللمرأة الحضرمية باع طويل في تأديب أطفالها، فلا تسمع من أحدهم كلمة فيها شيء من البذاءة إلا وتبادر إلى مسحوق الصبر فتضعه في فيه، ثم تأخذ في توبيخ الطفل وتهويل الذنب في نظره وإعلامه بأن لا كفارة له سوى تنظيف فمه، والإمساك عن الكلام برهة حتى لا يؤذي الناس ببقية نتن الكلمة[٢].

❊ ❊ ❊

(١) علي أنيس الكاف مختارات من كتابات شيخ الصحافة محمد بن هاشم صفحة ١٦١ .
(٢) علي أنيس الكاف مختارات من كتابات شيخ الصحافة محمد بن هاشم صفحة ١٦٠ .

الفصل الثاني والعشرون

العلويون وتربية الأولاد والبنات



إن طريقة العلويين في التربية هي ربط العلم بالعمل أو بصيغة أخرى ربط العلم الشرعي بالحياة السلوكية والأخلاق الحميدة، ويهتمون في المقام الأول بتأديب الطفل بالبيت وعزله عن الأضداد الذين يمكن أن يؤثروا على أخلاقه وسلوكه.

وذكر المغربي في رحلته إلى تريم في القرن التاسع أن العلويون يمسكون أولادهم في بيوتهم ويعلمونهم بأفعالهم قبل أقوالهم وهم في بيوتهم مشغولون دائماً بربهم حتى من يخدمهم كانوا على غاية من الصلاح والاستقامة، وربما منعوا أولادهم من الذهاب إلى حضور بعض المجالس خوفاً عليهم من لقاء بعض الأضداد في الطريق فيسترقون شيئاً من طباعهم[١].

وفي نفس المخطوطة مما سمعه المغربي من كلام العلويين أن عيون الصبيان هي الباب الواسع النافع في تربيتهم وتعليمهم فيما يتعلمونه بالمشاهدة من أفعال آبائهم وأمهاتهم وممن يختلطون بهم في صغرهم ينتفعون به انتفاعاً عظيماً أو يتضررون به ضرراً عظيماً ولا كذلك ما يتعلمونه بآذانهم فما يشاهدونه بعيونهم يقتدون به ولو من غير قصد، وإذا نظرت إلى أفعال الصبيان وحركاتهم رايتهم يتمثلون بمن حولهم ويحاكونهم فيما يرونه صادرا منهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر، ثم قال: فما يراه أولادنا من أفعالنا اليومية المختلفة تؤثر فيهم تأثيراً بليغاً، وتبقى معهم زمناً طويلاً، وإذا مات آباؤهم فقد ينسون تعاليمهم التي سمعوها بآذانهم ولا ينسون أبداً ما شاهدوه بأعينهم[٢].

قال ابن عبيدالله وكان لآل باعلوي ولآل جديد حافتان بتريم يصونون فيهما أولادهم عن الاختلاط بالأضداد ولا يمكنونهم من مجاوزتها إلا بعد تمكنهم من الدين والأخلاق[٣]. وعلى نفس المبدأ تربى العلامة ابن عبيدالله الذي يقول عن تربية والده له: كان يحميني من

---

(١) رحلة المغربي إلى تريم مخطوطة صفحة ١٥.

(٢) المصدر السابق صفحة ٢٤.

(٣) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلدان حضرموت صفحة ٥٢٦-٥٢٧.

مخالطة أبناء الناس ويسرب إلي أولاداً في مثل سني يرضاهم للعب معي، يراقب أخلاقهم وأحوالهم بنفسه منهم: السيد علوي بن حسين بن محسن، ومنهم: الشيخ سالم بن حسن حسان[١].

ونرى أن العلامة عبدالرحمن ابن عبيدالله السقاف (١٢٧٩-١٣٧٥هـ) بعد أن تقدم به العمر واتسعت خبرته بالحياة والناس، يتفق مع والده في أسلوب التربية فيقول عن مدرسة زارها: لا يرجى الخير من مدرسة يختلط أبناؤها بالأوساط الفاسدة؛ وإنما يرجى الخير من مدرسة داخلية ينتخب لها معلمون صالحون على أبلغ ما يكون من التقوى والنزاهة فيأتي التلاميذ على غرارهم في الديانة والأخلاق الفاضلة[٢].

كما نرى الثري الكبير السيد عبدالرحمن بن علي الجنيد (١٢٧٤-١٣٤٦هـ) يحرص على تربية أولاده وأحفاده التربية الدينية الصحيحة، ورغم أنه من مواليد سنغافورا فإنه لا يسمح لأولاده بمجالسة الأضداد ومن لا يرضى سيرته من الناس، وكان لا يترك أولاده يخرجون من البيت إلا لضرورة، وكان يلزمهم بالتزيي بالزي العلوي السلفي، وينتقد كل من يتزيى بغير زي العلويين[٣].

وقد انتقل الجنيد بعائلته من سنغافورا إلى مكة المكرمة في القرن التاسع عشر كعادة أثرياء العلويين بسنغافورا في ذلك الزمن، والذين اعتادوا الانتقال بعوائلهم من سنغافورا إلى مكة المكرمة عند وصولهم إلى سن معين، حيث يقيمون بمكة ويستوطنونها ويفضلونها على حضرموت بسبب تدهور الحالة الأمنية بحضرموت في ذلك الزمن.

ولكن السيد عبدالرحمن الجنيد لم يلبث بمكة إلا ثلاث سنوات حتى قرر العودة إلى

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مطبعة الإرشاد صفحة ٣٧٠.
(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلدان حضرموت الناشر مكتبة الإرشاد صنعاء صفحة ٢٠١.
(٣) عبدالقادر بن عبدالرحمن الجنيد العقود العسجدية صفحة ٢٠٠.

تريم بحضرموت، ولما سأله قرابته عن السبب لهذه العودة المبكرة قال «أنني منذ وصلت إلى مكة حتى اليوم رأيت أخلاق أولادي وطباعهم التي كانوا عليها بتريم قد تغيرت وتبدلت وذهبت ثلاث أرباعها ولم يبق معهم من أخلاقهم الطيبة إلا الربع فقط فالأولى أن نعجل بهم مع ما بقي معهم إلى تريم لتعود إليهم أخلاقهم وطباعهم الحسنه»[١].

وحذر الحبيب عبدالله بن عمر الشاطري من صحبة الأضداد، وذكر محافظة الحبيب محمد بن حسين الحبشي على أولاده بمكة المكرمة وأنه يصلي بهم في بيته ويدع صلاة الحرم، وهي كما لا يخفي فضلها، إيثاراً للحفظ من الضد، ثم قال: كان الحبايب آل عبدالله بن شيخ لا يخرج ولدهم إلا الجمعة فقط. ثم قال: كانوا سلفنا رحمهم الله يربون أولادهم لو رأى عمامة ولده وفيها شيء قال له وراك هكذا وزجره[٢].

وبعد أن يتأدب الطفل في بيته بآداب أسرته[٣] يعهد بتدريسه إلى معلم الصبيان، أو يرسل إلى الكتاب الذي يسميه أهل حضرموت بالمعلامة حيث يتعلم مبادئ القراءة والكتابة ثم لا يصل الطفل سن العاشرة إلا وقد حفظ القرآن الكريم.

كما كان العلويون يدربون أولادهم على قيام الليل من بداية حياتهم، وقد قيل أنهم كانوا يحركون المهد عند السحر ليألف الطفل الاستيقاظ في تلك اللحظة، فإذا كبر وشب تعود على الخروج آخر الليل للتهجد بالمسجد حباً لا قسراً، وترتب في المساجد حلقات قراءة القرآن العظيم التي يسمونها بالحزوب ومفردها حزب ويتم من خلالها ختم القرآن العظيم كل أسبوع.

وذكر لي والدي تعدد حلقات تدارس القرآن في مسجد طه بسيؤون أثناء شهر رمضان

---

(١) عبدالقادر بن عبدالرحمن الجنيد العقود العسجدية صفحة ١٨٩.

(٢) محمد بن سالم بن حفيظ نفح الطيب في مناقب شيخ الإسلام عبدالله بن عمر الشاطري دار العلم والدعوة صفحة ١٨٥.

(٣) أحمد بن عبدالله بن شهاب تريم بين الماضي والحاضر تريم للدراسات والنشر صفحة ١٤٦.

حيث يتوزعون بالمسجد حلقات وتتبع كل حلقه لفخذ من أبناء الحبيب سقاف بن محمد بن عمر (١١١٥-١١٩٥هـ) ويتنافس القراء في الإسراع بختم القرآن، ويرفعون أصواتهم عند الختم بصوت واحد ليشعروا الحلقات الأخرى بأنهم قد سبقوهم بختم القرآن، حتى تصل بهم السرعة في القراءة إلى عدم فهم الآيات.

ويقسم العلويين الحياة العلمية لأولادهم إلى ثلاثة مراحل كل منها سبع سنوات كما جاء في كلام الحبيب مصطفى المحضار عن طريقة تعليم السلف لأولادهم حيث قال: وقالوا في تعليم الأولاد: سبع صبا، وسبع تعلم، وسبع تعليم، وبعدها عبادة ونصر ما ينحصر[١].

وإذا أردنا أن نعرف العلوم التي يعلمها العلويون لأولادهم في مراحل حياتهم الأولى فإنهم يهتمون بتعليم أطفالهم العلوم الظاهرة الضرورية، مثل معرفة الفروض والواجبات والسنن والمكروه والمباح، ومعرفة كل أنواع الحلال والحرام، وحفظ بعض المنظومات الشعرية في الفقه والتوحيد، مع تدريسهم شيء من التصوف الذي هو بعيد عن ما يعرف خارج حضرموت بالطرق الصوفية، وإنما غرض التصوف العلوي أن ينمي في نفس الطفل مخافة الله ومحبة الزهد والورع، وكان العلويون يخافون من تعلم الفقه إذا لم يكن معه شيء من التصوف من أن يؤدي بصاحبه لتعلم الحيل الفقهية؛ التي تحلل المشبوه والحرام.

ويؤكد ما سبق كلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط (١١٧٧-١٢٥٧هـ) الذي يقول فيه: وقد أخذ ساداتنا آل باعلوي على بعضهم العهد أن لا يقرئوا أحداً من آل باكثير كتاب فقه إلا بكتاب في التصوف معه؛ لان فيهم فهماً وذكاءً وحاجةً، وربما تازيهم الحاجة فيفتحون شيئاً من هذه الأبواب، قال والدي رضي الله عنه (الحبيب عمر بن سميط): إلا آل ابن قاضي منهم فان عليهم نظر من الحبيب أحمد بن زين، انظر إلى الشيخ علي بن قاضي (توفي سنة ١٢٣٠) وورعه، وقد صنف كتاب (البواتر الدامغة) بإشارة الحبيب حامد بن عمر[٢] (انتهى).

---

(١) محمد بن عبيدالله المحضار خواطر وأفكار وحكم وأسرار تريم للدراسات والنشر صفحة ٧٣.

(٢) دحمان بن عبدالله لعجم مجموع كلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط دار الفتح صفحة ٢٦٠.

ويتضح مقصد الحبيب أحمد بن عمر بن سميط من الحيل الفقهية بما ورد من كلامه عند ذكره ما في بعض البيوع من الحيل مثل بيع العينة الذي جوزه الإمام الشافعي مع الكراهة، وحرمه الأئمة الثلاثة مالك وأحمد وأبوحنيفة، قال كتب الفقه بغَت شيخ من شيخ لأنهم وضعوا فيها شيئاً من هذه الحيل ومرادهم بها مثل الدرقة (الترس) يتقى بها، فمن جعلها كذلك انتفع بها، ومن جعلها سيفاً ضرته[1].

وتكلم الحبيب أحمد بن حسن العطاس (١٢٥٧-١٣٣٤هـ)[2] عن طريقة تعليم العلويين لأولادهم فقال: كان السلف لا يتركون الولد يضع العمامة على رأسه حتى يحفظ البداية ويحفظ أذكاره، وكانوا يعلمونهم العمل قبل العلم؛ حتى أنهم نفعوا وانتفعوا.

وأكمل قائلاً: ثم يأخذ الولد من علوم الفقه المبسط والرسائل المختصرة سواءً كانت للإمام الغزالي، أو الحبيب أحمد بن زين الحبشي، أو سفينة النجاة، ومنها إلى المختصرات في الفقه كالمختصر، ومنه إلى أبي شجاع، ثم العمدة، ثم الياقوت النفيس للسيد أحمد بن عمر الشاطري، ثم فتح المعين، ثم المنهاج للإمام النووي (انتهى).

ويذكر الحبيب علوي بن عبد الله بن شهاب ما يجب تعلمه وما يجب تركه مخاطباً بعض الحاضرين في الروحة: قرءوا الأولاد في الكتب التي يحبها السلف مثل (السفينة)، والرسالة، والمختصر، والحذر تعلمونهم على طريقة السؤال والجواب، ما كذا ما كذا، والخطط الجديدة التي جاؤوا بها من الجهات الأخرى إما من مصر، أو عراق، أو حراق، فهذه الخطط كلها ما تفيد ولا تنفع، ولا باتكسب العلوي شيء من سر أهله وسلفه، وغايته يحرر جريدة، أو يكتب قصيدة يمدح فيها من لا يستحق المدح، لأنكم ما باتحصلون أخلاق مثل أخلاقهم، ولا طريقة مثل طريقتهم، ولا سيرة مثل سيرتهم، ولا بلد مثل بلدهم، وقال لي المنصوري المصري

---

(١) دحمان بن عبدالله لعجم مجموع كلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط دار الفتح صفحة ٢٦٠.

(٢) رحلة الحبيب أحمد بن حسن العطاس لزيارة هود مخطوطة جمع الحبيب علوي بن طاهر الحداد صفحة ٧٤.

الذي نزل عند السيد أحمد بن عمر بن يحيى: إن أهل مصر اليوم الخير منهم من يطلب العلم ويقرأ كتب الفقه لتتبع الرخص (انتهى)[١].

وبتريم كثير من الكتاتيب التي تسمى في حضرموت بالمعلامة وهي التي يستكمل فيها الطفل دراسته بعد دروسه الأولى في بيت أهله، ذكرها بن شهاب في كتاب تريم بين الماضي والحاضر[٢] فقال: وقد صمدت بعض معلامات تريم لتعاقب الأزمان بسبب إخلاص القائمين عليها فهذه معلامة باغريب أسسها الإمام عبدالله بن أبي بكر العيدروس المتوفى سنة ٨٦٥هـ، وقد سميت بهذا الاسم لان القائمين بالتدريس فيها من أسرة آل باغريب، وهي أسرة طيبه ذات زهد وتواضع، يقومون بالتدريس مجاناً مع حاجتهم للمال، ولا زالت هذه الأسرة الطيبة قائمة بالتدريس بهذه المعلامة إلى يومنا الحاضر، ولا يحصى من استفاد منها من العلماء والأئمة والشيوخ.

ومن الكتاتيب القديمة أيضاً معلامة أبومريم أسسها الشيخ الإمام محمد بن عمر بن أحمد الشهيد بن الفقيه المقدم المتوفى سنة ٨٢٢هـ وكان يكنى أبو مريم، وقيل إنه ختم عليه القرآن ثمانمائة حافظ، وكانت له مع قيامه بتعليم الصبيان مجاهدة في العبادة وقيام الليل، ويغتسل لكل، فرض ويمكث في المسجد من وقت تهجده حتى يصلي الضحى، ويذهب بعدها إلى المعلامة لتعليم الصبيان وغيرهم من البالغين في سبيل الله، فإذا فرغ من ذلك ذهب إلى داره للقيلولة وأخذ ما تيسر، ثم يصلي الظهر ويعلم القرآن إلى قريب المغرب، ويعتكف في المسجد حتى العشاء، ويصوم الأيام البيض.

ومن متأخري مدرسي هذه المعلامة المشايخ الفضلاء من آل الخطيب، ثم أغلقت أثناء العهد الاشتراكي، وأعيد افتتاحها بعده.

---

(١) تحفة الأحباب في ذكر نزر من مناقب الحبيب علوي بن شهاب دار الحاوي صفحة ١٨٨.

(٢) أحمد بن عبدالله بن شهاب تريم بين الماضي والحاضر تريم للدراسات والنشر صفحة ١٥٨.

ومن الكتاتيب القديمة الشهيرة أيضاً معلامة باحرمي المنسوبة للشيخ أحمد بن محمد بارشيد، أما العلامة محمد بن أحمد الشاطري فيذكر أن مؤسسها هو العيدروس الأكبر المتوفى سنة ٨٦٥هـ. وقد اكتسبت اسمها لكون القائمين بالتدريس بها هم المشايخ الفضلاء آل أبي حرمي من الإمام الشهير أحمد بن محمد بن أبي حرمي المتوفى سنة ٨٠٠هـ إلى الشيخ محمد بن عبدالرحمن باحرمي المتوفى سنة ١٣٩٩هـ.

وقال بن شهاب[١]: ومن أماكن التعليم الزوايا وهي أماكن للتدريس ملصقة بالمساجد، حيث يتمكن الطلبة من أداء صلوات الفرض في المسجد الملاصق بسهوله.

ومن زوايا تريم القديمة التي أنشئت منذ مئآت السنين ولا زالت تقوم بدورها إلى اليوم زاوية الشيخ علي بن أبي بكر السكران، تفتح أبوابها للدراسة في يومي الاثنين والخميس، وزاوية الشيخ سالم بافضل التي بناها وتولى التدريس فيها بنفسه، ويذكر أن الفقيه المقدم المولود في سنة ٥٧١هـ قرأ الفاتحة في أول سلوكه لطريق العلم على يد الشيخ سالم بافضل في تلك الزاوية. واختير وقت التدريس في هذه الزوايا من القديم بين العصرين (الظهر والعصر) وهو وقت الراحة للعمال والفلاحين في الزمن القديم، مما يمكنهم من حضور هذه الدروس[٢].

وللعلويين أساليبهم التربوية المختلفة في تنشئة أبنائهم كما يفهم من كتبهم، فقد ذكر الجد ابن عبيدالله في معجم بلاد حضرموت[٣] من كلام الحبيب أحمد بن حسن الحداد أن للحبيب عبدالله الحداد ستة أولاد، يلازمه منهم اثنان أو ثلاثة، والباقون يسكن بعضهم الحاوي وبعضهم بتريم، وهو يترك حبالهم على غواربهم، فيسافرون إلى حيث شاءوا، وأكبرهم محمد، وكل من تزوج منهم بنا له دار لاتصل نفقتها إلى عشرين ريالاً، ويقول له اسكنها وهو يواسيه (انتهى).

---

(١) أحمد بن عبدالله بن شهاب تريم بين الماضي والحاضر تريم للدراسات والنشر صفحة ١٥٨ .

(٢) أحمد بن عبدالله بن شهاب تريم بين الماضي والحاضر تريم للدراسات والنشر صفحة ١٦٨ .

(٣) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مطبعة الإرشاد صفحة ٥٣٤ .

أما الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر (١١٩١-١٢٧٢هـ) إذا زوج احد أولاده أفرده بدارٍ وأعطاه بقرة وحماراً وسائر آلات الحرث، ونفقة خمسة أشهر، وقال له: أنت بالخيار إن شئت جعلتني أباً، وإن شئت جعلتني أخاً، وإن شئت جعلتني كواحد من المسلمين.

وكان الحبيب سقاف بن محمد السقاف المتوفى سنة ١١٩٥هـ يخبر عن والده أنه يقول: يا أولادي، ما معي لكم إلا النية، لا ضرب ولا زجر، من بايصلح يصلح، وإني لا أقول لأحدٍ منكم اسقني ماء؛ خوفاً عليكم وشفقة؛ لئلا يقوم أحد منكم وهو كاره فيصاب[١].

وينتقد ابن عبيدالله أم أولاده؛ لأنها لم تغرس لنفسها هيبة في صدور أولادها تعينها على ما يجب على الأم من التأديب والتثقيف والتعليم والتهذيب، بل تلقي لهم الحبل على الغوارب فلا تعاتب أحداً على تقصير، ولا تزجره على إساءة أدب، ولا تكلف أحداً بعمل ينفعه عند الحاجة، فهي تسيء إليهم من حيث تريد الإحسان، غير أنه يكف من ثورتي عليها لذلك تذكر قول الإمام مالك: الأدب أدب الله، لا أدب الآباء والأمهات. وقول الشعراني: لقد كنت في عناء من تأديب ولدي عبدالرحمن حتى وكلت أمره إلى الله فصلح. أو ما يقرب من هذا[٢].

ويعترف الحبيب أحمد بن عمر بن سميط بصعوبة تعليم الأهل والولد، ويعلل السبب فيقول: الحق الخالص الصرف ثقيل على النفس، بخلاف الذي للنفس فيه حظ، والخالص مثل تعليم الأهل ونحوهم، وغيره مثل تعليم باقي الناس، وكل ما ثقل على النفس ثقل في الميزان[٣].

وللشيخ علي بن أبي بكر بن عبدالرحمن السقاف (٨١٨ -٨٩٥هـ) رأي في تعليم

---

(١) نشر محاسن الأوصاف في مناقب الحبيب سقاف دار الحاوي صفحة ٢٦٣.
(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مكتبة الإرشاد صفحة ٣١٥.
(٣) المصدر السابق صفحة ٤٣٣.

الأولاد يقول فيه: بالتكرير يحصل التأثير، وتعليم الصبي على يد غير أبيه أولى، لأن تعليم الأب ابنه يورث الغلظة فيتولد من ذلك العقوق فيكون سببه[١].

وقد كان والدي يحفظه الله يستغرب أن العلامة الكبير الجد عبد الرحمن ابن عبيد الله السقاف لم يستطع تعليم أحد من أبنائه ليصل إلى مستواه العلمي، ثم إنني وجدتُ في ترجمة الحبيب جعفر بن أحمد العيدروس (١٣٠٨-١٣٩٦هـ) أنه تربى في حجر جده الحبيب عبدالقادر بن سالم العيدروس، الذي اعتنى به وأحبه حباً جما، وكان جده الحبيب عبدالقادر من كبار العلماء، ومن العلويين القلائل الذين حصلوا على شهادة العالمية من الأزهر، إلا أن الحبيب عبدالقادر اختار أن يجعل حفيده أمياً لا يحسن القراءة والكتابة، وكان والده السيد أحمد بن عبدالقادر يعترض على هذه التربية الأمية، فيقول له الحبيب عبدالقادر: خله أمي وعادك باتشوفه بعد كيف يكون، لكن الحبيب جعفر تعلم في كبره بجهوده الذاتية القراءة والكتابة[٢].

وتكلم الحبيب عبدالله الحداد (١٠٤٤-١١٣٢هـ) في كتاب النصائح الدينية عن طريقة التعامل مع الأولاد فقال: ينبغي ويستحب للوالدين أن يعينوا أولادهم على برهم بالمسامحة وترك المضايقة في طلب القيام بالحقوق، وقد قال عليه الصلاة والسلام (رحم الله والداً أعان ولده على بره). ثم قال وليحذر الوالدان كل الحذر من الدعاء على ولدهما العاق فان ذلك يزيده ضرراً وفساداً وعقوقا. ودعاء الوالد مستجاب فينبغي أن يدعو له ولا يدعو عليه فقد يصلحه الله ببركة دعائه فيعود باراً فينتفع والده ببره وتقر به عين (انتهى النقل)[٣].

وقال العلامة ابن عبيدالله (١٢٧٩-١٣٧٥هـ): ويروى أن رجلاً قال لابن الخطاب

---

(١) صفحة ٢٩٨.

(٢) ديوان الحبيب جعفر بن أحمد بن عبدالقادر العيدروس دار الأصول للنشر والتوزيع صفحة ٧.

(٣) الحبيب عبدالله الحداد كتاب النصائح الدينية صفحة ٢٣٧.

أنفعك بنوك؟ فقال: بل أغناني الله عنهم. وكنتُ استحسنه، وادعوا بمقتضاه حتى تفطنت لما فيه[١]. ولهذا استقر ابن عبيدالله على الدعاء التالي لزوجته وأولاده: (وأسأل الله أن ييسرني وإياها وأولادنا اليسرى، وأن يجنبني وإياها العسرى، وأن يجمع لنا ولهم من خيرات الدنيا والأخرى، وأن يحسن عاقبتنا وعاقبتهم في الأمور كلها، ويجيرنا وإياهم من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، وأن يبارك لي فيها وفي أولادي ولا يضرهم، وأن يجنبنا وإياهم الشيطان، ويرزقنا برهم، وأن يطيل لنا ولهم الأعمار في خير ولطف وعافيه وثبات على الإيمان، بمنه وجوده (انتهى)[٢].

وذكر سيدي الوالد محسن أن والده الحبيب علوي بن عبد الله السقاف (**١٣١٥-١٣٩٢هـ**) علمه الدعاء التالي وطلب منه أن يكرره كل يوم: (اللهم بارك لي في أهلي وأولادي، واحفظهم ولا تضرهم، ووفقني وإياهم لطاعتك، وارزقني برهم).

وتكلم الحبيب عبدالله الحداد (**١٠٤٤ - ١١٣٢هـ**) عن حقوق الأولاد على آبائهم فقال: للأولاد على الوالد حقوقاً، وذلك في القيام بكفايتهم ماداموا محتاجين إلى ذلك، وفي تأديبهم، وحسن تربيتهم، وهدايتهم إلى الأخلاق المحمودة، والصفات الحسنه، والخصال الجميلة، وحفظهم وصيانتهم من أضداد ذلك، وتحسين أسمائهم، وأن يختار لهم الأمهات المباركات من المنابت الحسنة الصالحة، كما قال عليه الصلاة والسلام «تخيروا لنطفكم الأكفاء فإن العرق دساس». وعليه أيضاً أن يسوي بينهم في العطية، وأن لا يقدم أحداً منهم على أحد بمجرد ميل الطبع وإتباع هوى النفس. وقال أيضاً: وأهم ما يتوجه على الوالد في حق أولاده تحسين الآداب والتربية، ليقع نشوءهم على محبة الخير ومعرفة الحق، وتعظيم أمور الدين، والاستهانة بأمور الدنيا، وإيثار أمور الآخرة (انتهى)[٣].

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مطبعة الإرشاد صنعاء صفحة ٤٨٦.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مكتبة الإرشاد صفحة ٣١٧.

(٣) الحبيب عبدالله الحداد كتاب النصائح الدينية صفحة ٢٣٨.

وذكر الحبيب أحمد بن عبدالرحمن السقاف في كتاب الأمالي[١] عن الحبيب محمد بن علي السقاف (١٢٢٥-١٣٠١هـ) أنه كان من أشفق الناس، وأرحم الآباء على الأولاد والزوجات والذريات، يراعيهم أتم المراعاة، ويسامحهم أعظم المسامحة، ويتنزل معهم كما يتنزل الولد على الوالد، ويوسع لهم ويطلق لهم الإذن في فعل ما شاءوا، ويصبر على أخلاقهم وطبائعهم، ويقوم بما يقدر عليه من إيصال النفع إليهم، وترك العتاب والغضب عليهم، ويسامحهم فيما له من الحقوق عليهم؛ خشية أن يصل إليهم إثم العقوق، ويحب توادهم وتراحمهم، ويحرص على تأديبهم وتهذيبهم (انتهى).

كما كان زعيم وادي الأحقاف الحبيب محسن بن علوي السقاف (١٢١١-١٢٩٠هـ) يتعامل مع أبنائه تعامل الصاحب مع أصحابه، ذكر الجد ابن عبيدالله في مخطوطة بضائع التابوت أنه كان يقول لأولاده إذا تبرموا بضيق المعيشة: لو شئت لغديتكم بالبر واللحم، غير أني أختار لكم هذه. فيقول له ولده علوي: إذا كنت تتركنا على هذا الحال مع القدرة فما هو إلا أثر دعاء أصابك من أحد أبويك، فلا يزيد الجد محسن على الضحك.

وأكثر ما يكون هو وأولاده سروراً وقتما يتنادرون عند الغداء أو العشاء، لاسيما إذا كان خشنا.

وقد وصلهم السادة آل باعبود من بور فأضافهم الجد فلم يجد ما يقدمه لهم إلا عشاء عائلته، ولما قدموا لهم العشاء أراد ابنه علوي أن يدخل ليتعشى مع الضيفان، فمنعه أخوه عبدالله؛ لأنه كان أكولاً، فذهب علوي إلى نافذة قريبة من مكان الضيوف فأطل منها وقال: اتقوا الله يآل باعبود في عشانا فإنكم إن أكلتموه كله بتنا طاوين، فرفعوا أيديهم عن العشاء حتى أقنعوهم بكذبه.

وله مع أولاده مداعبات يسقط فيها التكلف، وتضع فيها الحشمة، وكان الجد محسن

---

(١) أحمد بن عبدالرحمن السقاف الأمالي دار الأصول صفحة ٨٠.

قد فقد إحدى عينيه بسبب الحبل الذي يوضع عليه الستر الذي يفصل الرجال عن النساء، ثم لحقتها عينه الأخرى بعد مده بسبب الماء الأبيض، وعاش من عمره عشر سنوات وهو كفيف، إلا أن ذلك كما يعرف من سيرته لم يقلل من نشاطه أو يؤثر على همته.

وقد جاء إلى حضرموت أطباء للعيون فقال له ابنه عبدالله: لو دعوناهم لك يا أبتي، فقال الجد محسن: وأيش عاد نحنا بانشوف عاد حد حسن بن صالح؟! ولا أحمد بن عمر بن سميط؟! أو عبدالله بن حسين طاهر؟!

إلا أن ابنه علوي بن محسن قال لأخيه عبدالله بمسمع من الجد محسن أسكت فوالله لقد عنانا أبونا وهو أعمى فكيف به لو أبصر، فلا يزيد الجد محسن على التبسم.

قال ابن عبيدالله وكان أبناء الجد محسن علوي السقاف يختلسانه في عشائه فيشاركه علوي تارة، وسقاف تارة أخرى، غير أنه بقوة حسه قلما يدع أحدهم يأخذ لقمه أو لقمتين إلا أمسك يده فيكثر الضحك والتنادر، وقلما يأتمن أحداً من أولاده سوى ابنه عبدالله لأنه وكيله ومدبر أمره، وسوى ابنه عبيدالله لفرط أمانته.

إلا أن الحبيب محسن بن علوي السقاف لا يتسامح مع أولاده في الأمور المخالفة لشرع الله، ولا يتهاون في الردع عن سوء الخلق، كما نرى من تعامله مع حفيده محمد بن عبدالله الذي زوجه على بنت بنته سعود، فأساء عشرتها وتعدى عليها تعدياً أغضب عليه جده المحسن فعاتبه ودعا عليه، وسافر هذا الحفيد بعد الحادثة إلى جاوة وانقطع عقبه[1].

وعلى هذا المنوال تربى علامة حضرموت ومفتيها السيد عبدالرحمن ابن عبيدالله السقاف (١٣٠٠-١٣٧٥هـ) فقد ذكر في تاريخه طريقة تربية والده له فقال: إنه بعد أن ينتهي والده من التدريس لأناس مخصوصين منهم السيد سقاف بن علوي بن محسن، والسيد عبدالله بن حسين بن محسن، والشيخ عمر عبيد حسان، والشيخ محمد بن محمد باكثير،

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثالث صفحة ٢٦٠.

والشيخ محفوظ بن عبدالقادر حسان، فإذا قضى أولئك درسهم يستدعيني ليباشر تعليمي بنفسه، بعقب انصراف المخصصين بتعليمي بمحلنا إذ كان يحميني من مخالطة أبناء الناس، ويسرب إلي أولاداً في مثل سني يرضاهم للعب معي، يراقب أخلاقهم وأحوالهم بنفسه، منهم: السيد علوي بن حسين بن محسن، ومنهم: الشيخ سالم بن حسن حسان[١].

قال ابن عبيدالله في بضائع التابوت وكان والدي ـ يرحمه الله ـ يجبرني على القراءة حتى يضجرني، فقلتُ له مرة هذا رسول الله ﷺ يتخول أصحابه بالموعظة مخافة السآمة عليهم، ولست بمثلهم في الإقبال، ولا أنت بمثله في القبول، فقال: أولم تسمع قول نوح ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾، فقلت: وماذا لقي من قومه؟! ألم يزدهم دعاؤه إلا فرارا! ثم رأينا تأويل المفسرين فيه، ثم أخبر بذلك الحبيب عيدروس بن عمر فضحك حتى ازدهرت أساريره وقال: إنما هو صبح ليل بدت تباشيره وكلفه أن يرفق بي بعدها، ولكن الطبع غالب وكان والدي يقيسني بما عنده[٢].

ويحرص العلويين على تعويد أولادهم على قراءة الكتب المتعددة ونسخها، فقد ذكر الحبيب علوي بن عبدالله بن حسين السقاف (١٣١٥-١٣٩٢هـ) أن أغلب وقته مع والده كان مصروفاً للقراءة، وكان والده يكلفه بنسخ ما لا يوجد لديهم من الكتب بيده، ثم بعد ذلك يقرأها عليه، وقد نسخ لذلك بيده العديد من المصنفات الكبيرة، ثم لما أحب أن يساعد والده في مصاريف أسرتهم الكبيرة واستأذن والده في السفر قال له: والده أما في حياتي فلا، وأما بعد موتي فحبلك على غاربك.

أما عن الأساليب المفيدة في تعليم الصبيان فقد ذكر ابن عبيد الله[٣] في معرض

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مطبعة الإرشاد صفحة ٣٧٠.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثالث صفحة ٢٩٢.

(٣) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مطبعة الإرشاد صفحة ٥٦٣.

الحديث عن تذكره لرسالة علمية قرأها في سن السابعة، ولا زالت عالقة بذهنه قال: (ولولا أن خط صاحبها كان بديع الحسن وقد زين تلك الرسالة بالنقوش والألوان لما بقي عندي منها أثراً أصلاً، لكن وقوعها بتلك الصفة التي تستهوي عقول الصبيان، وتستلفت أنظارهم هو الذي حملني منه ما لا تزال بقاياه بالذاكرة، وكأنها بعيني الساعة.

ويحرص العلويون على تعويد أولادهم أداء الصلوات جماعة بالمسجد، كما أنهم لا يقابلون تقصيرهم بالعقاب والتعنيف، ولكنهم يكتفون بتعريفهم بالخطأ الذي ارتكبوه، فقد ذكر الحبيب عبد القادر بن أحمد السقاف أن والده الحبيب أحمد بن عبد الرحمن السقاف (١٢٧٨-١٣٥٧هـ) إمام مسجد طه بسيؤون كان يؤكد عليه في طفولته أن لا يترك صلاة الجماعة في مسجد طه، وفي أحد الليالي تأثر والده ولم يستطع الذهاب لإمامة الصلاة بمسجد طه، وانشغل الصبي بأصحابه ففاتته صلاة الجماعة بمسجد طه، ولما رجع إلى البيت سأله والده أين صليت المغرب؟ فأجاب: في مسجد طه. قال له: ومن أم الناس في الصلاة؟ فأجاب والده: أنت. قال له والده: ومن صلى بجوارك؟ قال: علي مهدمي. فاخذ والده بيده وخرج معه بالليل إلى منزل الشيخ علي مهدمي الذي استغرب قدومهما في هذا الوقت من الليل، فنادى عليه من الشارع وقال له: لا تخرج جئنا نسألك من صلى بالناس المغرب؟ فقال الشيخ مهدمي: الحبيب عبيدالله بن أحمد. فرجع الحبيب أحمد مع ابنه إلى البيت ولم يعاتبه واكتفى بقوله هذه تكفيك يا ولدي[١].

ولا يقبل العلويين من أبنائهم الخروج عن سمت الوقار والضحك الكثير بلا سبب، فقد حدث المغربي في رحلته إلى تريم سنة ٨٦٥هـ أن أحد الأطفال العلويين لم يتجاوز سنه ثمان سنوات رأى شيئاً أضحكه فضحك وقهقه، وأمه تراه وأخته حاضرة أيضاً وغيرها، فلم يشعر إلا بأمه تكفكف دموعها ثم قالت: أصبحت بيوتنا أهل البيت النبوي الآن كالأسواق

---

(١) طه حسن السقاف في تعليقات على كتاب الأمالي دار الأصول صفحة ١٤١.

محل الغفلات، فما هذه القهقهة يا ولدي بارك الله فيك؟! ثم ابتدرَتني أخته فاستتابته من القهقهة، ومن ذلك اليوم وحتى بلغ العشرة من السنين وكل من في البيت حتى الخدامين يوبخونه على ذلك الفعل ويقولون عسى توبة مقبولة؟!

وكما يحرص العلويون على التربية فإنهم يحرصون على التزام الأولاد بالزي المناسب، ولهذا نجد أن الحبيب علوي بن عبدالله بن شهاب (١٣٠٣-١٣٨٦هـ) كان يغار على تربية الأولاد، ويعاتب من يكشف رأسه أو من ينحي قلنسوته فإما أن يوجه له النصح مباشرة، وإما أن يخبر أباه بذلك، كما ينهى عن شرب الدخان نهياً قاطعاً[١].

ويشدد الحبيب أحمد بن عمر بن سميط في تعليم الأولاد والنساء فيقول: خذوا حذركم من أولادكم ونسائكم بتعليم ما أوجب الله وإلا رجعت صداقة الدنيا عداوة في الآخرة[٢] قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾، وقال تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾، يخاصمونكم عند الله يقول أحدهم يا رب، خذ لي حقي من أبي كما ظلمني، ما علمني شرائع الإسلام (انتهى).

ولا يغفل العلويين الآثار الخارجية على تربية الأجيال فنرى القاضي والمربي السيد الجد علوي بن عبدالله بن حسين السقاف (١٣١٥-١٣٩٢هـ) ينقل في مذكراته هذه الفائدة: إذا كان للإسلام خلق يتميز به فهو الحياء، وإنما الإسلام أخلاق كريمة كله، لقد كان المجتمع الإسلامي مجتمعاً يغلبه الحياء، فتراه في الرجال والنساء، والحياء هو الإيمان.

ولكن الغرض الأساسي لحرب أوروبا على الإسلام يهدف إلى خلق الحياء الذي يحاول الغرب أن يهدمه بالميوعة في بعض الرجال، فنحن محتاجون إلى شباب يغلبه الحياء فلا يرى ساقطاً في مهاوي الفساد ونرجو من شبابنا أن يضحوا بشيء مما تهواه أنفسهم في سبيل

---

(١) أحمد بن عبدالله بن شهاب تريم بين الماضي والحاضر تريم للدراسات والنشر صفحة ١٤٨.

(٢) مجموع مواعظ وكلام الحبيب عمر بن أحمد بن سميط جمع دحمان لعجم باذيب دار الفتح صفحة ٢٧٧.

هذا الخلق الكريم، فقد حاول الغرب أن يكون أول ما يهدمه من أخلاق الإسلام هو الحياء لأنه إذا عدم هذا الخلق كانت الأخلاق الأخرى تبعاً له[١].

ولم يكن العلويون يحرصون على تربية أولادهم فقط، بل كانوا حريصين أيضاً على تربية أبناء القبائل، فهذا الحبيب أحمد بن عمر بن سميط (١١٧٧-١٢٥٧هـ) يقول في كلامه: تبصروا في عيال القبائل البنات والأولاد خلوهم يتفقهون وهم أبناء سبع سنين أو ثمان، معاد يبلغ خمس عشرة سنة إلا وقد أحرز أمر دينه، ولو عرفوا من القرآن الفاتحة تكفي، فهي أم الكتاب لكنك لو صليت خلفه استأمنت ونرجو من الله أن يكون ذلك بذر السلطان العادل (انتهى)[٢].

ويبين الحبيب أحمد بن عمر بن سميط الضرر الحاصل من عدم تعليم أولاد القبائل فيقول: هذا الهوش (السرقات) الجاري في تريس من آل كثير؛ سببه عدم التذكير ودعوة القبائل، وربما نحن نشاركهم، يبات الإنسان راكعاً ساجداً وهو شريك في القتل والهوش بسبب سكوته. ثم قال: وواجب على أهل كل بلد يخرجون إليهم (أي القبائل) ويذكرونهم ويعرفونهم أنهم يركضون في طريق النار (انتهى)[٣].

بل ويهتم العلويون بتعليم كل من حولهم ممن استطاعوا الوصول إليه، وقد يصبح بعض هؤلاء أئمة في العلم والعبادة، ففي كلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط أن الشيخ علي باراس رضي الله عنه كان يرعى الغنم عند الحبيب عمر العطاس فقال الحبيب عمر: علموا الراعي لا تخلونه كذا. حتى صار من ورد الشيخ علي ربع من القرآن وهو يرعى الغنم، ثم ترقى إلى أن صار عين زمانه فأقامه الحبيب عمر داعياً إلى الله[٤].

---

(١) علوي بن عبدالله السقاف السيرة الذاتية صفحة ٣٢٣.

(٢) المصدر السابق صفحة ٣١٠.

(٣) المصدر السابق صفحة ٣٨٢.

(٤) المصدر السابق صفحة ٣٩٧.

ومن كلام الحبيب محمد بن هادي السقاف (١٢٩١-١٣٨٢هـ) وأكثر من يحرم نفع الولي ثلاثة: ولده، وزوجته، وخادمه، أما الولد فإنه يغتر بتعظيم الناس له لصلاح والده، فيحيد عن طريقه، ويتكل على عمل والده، فان حمل نفسه على ما حمل عليه سلفه أنفسهم نال ما نالوا، وفاز بما فازوا، وأما الزوجه فلكونها ترى أن ذلك الولي محتاج إليها لقضاء شهوته منها، وهو مع ذلك غير ناظر إلى شهوات الدنيا ولذاتها؛ لاستغراقه بمحبة الله، فإن شهدت بولايته وخصوصيته سعدت وفازت، وأما الخادم فلأنه يشاهده كغيره يأكل ويشرب وينكح، ولا ينظر إلى ما اختصه الله به من الكرامة، وبذلك يحرم بركته (انتهى).[١]

ولا يفهم مما سبق أن للعلويين عناية بتربية الأبناء الذكور فقط، بل إنهم يهتمون أكثر بتربية البنات ولعل القصيدة التالية التي وجهها زعيم وادي الأحقاف الحبيب محسن بن علوي السقاف (١٢١١-١٢٩٠هـ) لبنته سعود تلخص طريقة العلويين في تربية البنات التربية الإسلامية السليمة:

سعـــود إن شـئتي الخـير	جــدي إلى ربــش الــسير
ولا تـــشوفين للغــــير	إلا إلى عـــالي الـــشأن
دومـي عـلى طاعتـه دوب	للفـرض صـلي ومنـدوب
تحـصلي كــل مطلـــوب	من ذي العطايا والإحسان
حجـي وزكـي وصـومي	للــــه بالحـــق قومــــي
عـــلى مراضـــيه دومــــي	بصدق وإخلاص وإتقـان
والــصبر فيـــه الفوائـــد	خــيره عــلى المــرء عائــد
ومــن شــكر نــال زائــد	همـــا في الـــدين ركنـــان
وإن تريـــدي الـــسيادة	تجـــــردي للعبـــــادة

(١) محمد شيخ المساوى المنحة الإلهية في الرحلة الحجازية مخطوطة صفحة ٢٧١-٢٧٢.

واتركـــي كـــل عـــادة ذو العـادة اليـوم لا كـان
وبالتقـــى والأمانـــة والـصدق ثـم الـديانه
تحـــقـقي بالزيانـــة هي حليـة أربـاب الإيـمان
ترعـاش عـين العنايـة وتـدركي كـل غايـة
وتظفـــري بالـــولاية فـضلاً مـن الله وإحـسان
تجنبـــي غيبـــة النـاس فإنهـا عيـــن الإفـلاس
تـدعو إلى النـار والبـأس فكـم بهـا ضـل إنـسان
ثـــم الحـسد والخيانـــة أخـسس بهـا مـن بطانـة
والعـــش ثـــم الغبانـــة سحقاً لمـن غـش أو خـان
ومـــن سـعى بالنميـــمة والكذب هو خـس شـيمة
خـصلة قبيحـة ذميمـــة يـا ويـل مـن نـم أو مـان
ثم احفظي سبعة أعضاش عـما نهـى عنـه مـولاش
ثـم اسـألي منـه يرعـاش مـن كـل إثـم وعـدوان
وارجـي لـربش وخافيـه وابعـدي عـن معاصـيه
خاب الـذي كـان يعصيه في يـوم حـشر وميـزان
واسـعي لمـا فيـه نفعـش في يـوم تـأوين فرشـش
وحـين ينـسوش أهلـش ويـدرجونش بالأكفـان
قـبر بـه لا مـوانس ولا حـلي أو ملابـس
ولا مجـير وحـارس إلا ملائـك وديـدان
وعـاد بـه هـول يفجـع نكـير منكـر يفـزع
يـا رائـد الخـير أقلـع عـن كـل ذنـب وعـصيان

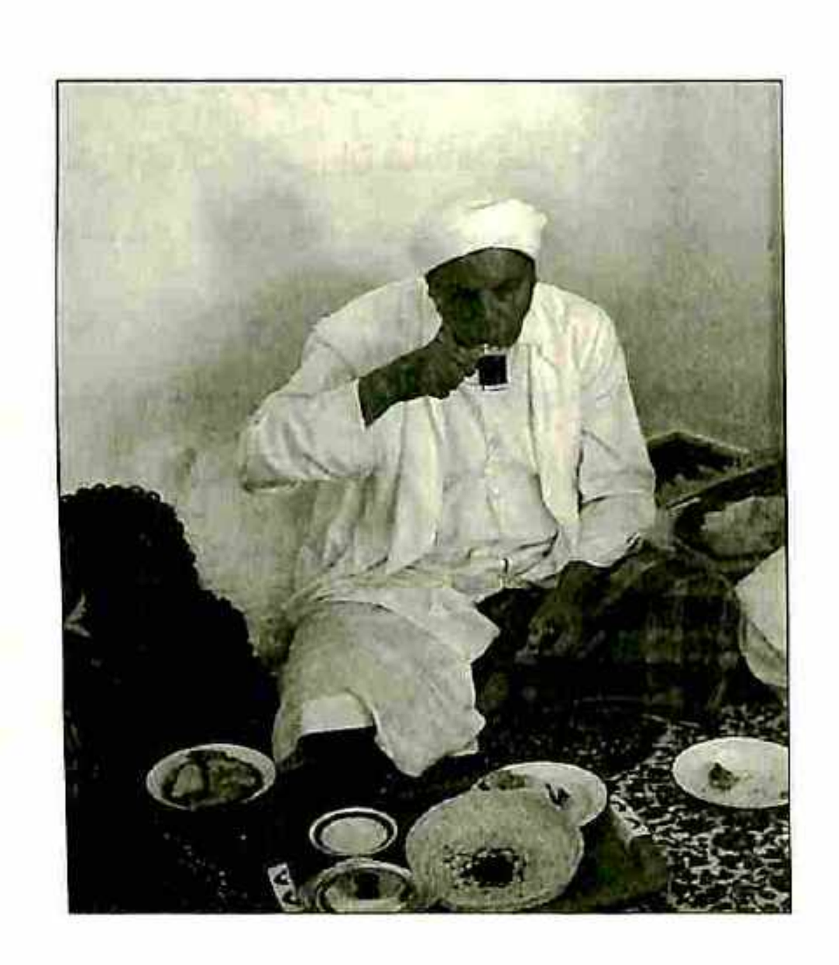
ثم يوصيها بعدم الالتفات إلى زخارف الدنيا وزينتها فيقول:

هـذا ويـا ابنتـي أوصـيش   لا تنظـــرين إلى الـــريش
إلا إلى الـــرب بـــاريش   حـذار مـن رويـة الفـان
مـن كـل حائـل وزائـل   كـما حجـول أو سلاسـل
فالكـل زخـرف وباطـل   أيـن الـذي في البطـر كـان
أيـن الـذي كـان يلـبس   للخرش والمسح الأطلس
وفي حجـول البطـر دس   مـا كـأن حـد مـنهم كـان
أضـحوا بطـون المقـابر   بعـد الغـرف والمحـاضر
ولـبس مـا كـان فـاخر   لا عـاد مـسح وحرقـان
يكفي كفى المـوت واعـظ   عـن الخُطـب والمـواعظ



الفصل الثالث والعشرون

معيشة العلويين بحضرموت



قال ابن عبيدالله في بلابل التغريد[١]: وأهل البيت فيما ترى العين كسائر الناس، فيهم الغني والفقير والمكفي والمسكين، بل إن الفقر هو الأغلب عليهم ولهذا قال الشريف الرضي:

عتبت على الدنيا وقلت: إلى متى	أكابـد همـا ليلـة غـير مـنجلي
أكـل شريـف مـن عـلي أصـوله	حـرام عليـه الـرزق غـير محلـل
فقالت: نعم يا بن الأكارم، أننـي	حقدت عليكم منذ طلقنـي عـلي

ثم تحدث ابن عبيدالله عن ما يمكن أن يرجف به الراجفون من الريبة في نسب من اتصف بالثروة من العلويين مع دعوة رسول الله ﷺ: «اللهم اجعل قوت آل محمد كفافاً»، قال ابن عبيدالله: لكن الجواب المرضي إن شاء الله تعالى في هذه المسألة أنه ﷺ إنما اختص بالدعاء أهل بيته الموجودين إذ ذاك، وقد مضت حالهم على ما استجيب له فيهم[٢].

وكان الحبيب أحمد بن عمر بن سميط (١١٧٧-١٢٥٧هـ) ينصح بعدم التغرب لأجل جمع المال، وينصح بالصبر على معيشة حضرموت القاسية ويقول: من بايجلس في حضرموت يبني أمره على قول سيدنا الحداد:

يصبر على الطاعـة والقناعـة	والفقـر والإقـلال والمجاعـة
فما الشجاعة غير صبر سـاعة	والفوز في العقبى لكل صبار

ثم قال ولا يتجشم الغرب من عقبه إلى غبه، وإذا شق عليه ضيق العيش يذكر القبر[٣].

وأول ما تعلمون أهليكم القناعة والاقتصاد، يقنعون بصيم التمر الصبح، والحجيف (كسرة خبز) في الليل، وتقولون لهم هذا الذي عبروا عليه سلفنا، حتى أنهم تفرغوا للعمل والعبادة، ونحن لما أضعنا ذلك ترى نحن مطردين في هند وحيدر عباد.

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت صفحة ٨٧.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت صفحة ٨٧.

(٣) دحمان عبدالله لعجم مجموع مواعظ وكلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط دار الفتح للنشر صفحة ٤٢٦.

وذكر الحبيب علي بن محمد الحبشي (١٢٥٩-١٣٣٣هـ) عن جده صاحب الشعب أنه كان يحتطب ويبيع الحطب ويقتات بثمنه، ثم قال الحبيب علي: وعلى مثاله كان الوالد محمد بن حسين لما كان بالحجاز يطلب العلم، فلما قصرت به النفقة صار يحتطب ويبيع الحطب ويقتات بثمنه[١].

أما صعوبة العيش في حضرموت فشملت حتى كبراء العلويين، فهذا زعيم وادي الأحقاف محسن بن علوي السقاف (١٢١١-١٢٩٠هـ) يجلس للتدريس في المسجد وليس معه عشاءاً لأولاده. قال ابن عبيدالله في بضائع االتأبوت[٢] وكان رضي الله عنه يطلب من أولاده ترسم القناعة في معيشتهم ويذاكرهم بالأبيات التي تقول:

أفـادتني القناعـة كـل عـز	وهل عز أعز من القناعـة؟!
فصيرها لنفسك رأس مـالٍ	وصير بعدها التقوى بضاعة

وكان يقول لأولاده لم يربنا والدي إلا على دخن المرقدة (والدخن نوع من الحبوب والمرقدة أرض بالقطن موقوفة على من يتولى القضاء بسيؤون)، وكان لا يشبعنا منه مع ذلك بل يجعله مثلثاً ثلث من الدخن، وثلث من الرائب المنزوع الدهن، وثلث من الماء.

قال ابن عبيدالله: كان الجد محسن مقتصداً في معيشته، وكان يقول ينبغي لأهل البيت الرفق والاقتصاد مع الاستعانة بشيء من الأسباب ولن يتيسر العلم إلا بالطاعة والقناعة (انتهى).

قال ابن عبيدالله: ومنها أن سائلاً طرق باب الجد محسن بن علوي السقاف وصادف قلة ما عنده فلم يعطه إلا اليسير، فقال السائل: ولم هذه السدة للدار وهذه التزاويق للجدار؟ فقال الجد محسن:

---

(١) طه حسن السقاف البحر الملي صفحة ٣٣.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع االتابوت الجزء الثالث صفحة ٢٢٠.

من عبر شاف ذي السدة ولاقباع والخيش
غره الوصف حاسب كل شيء عندنا فيش
عنـدنا إلا الجهالـة والقناعـة في العـيش
مابنا غير ذا وش جأبوا أهل البقش ويش
جأبوا إلا الكدر والهم والغم والطيش

قال ابن عبيدالله ولم يكن الجد محسن بن علوي فقيراً، فقد كانت له آبار وزراعة وصباغة إلا أنه يعيل أسرة تزيد على الستين، ويتكلف تكاليف كبيره في ما يتطلبه منصبه ومركزه من تكاليف، وما يقدمه من مساعدات حتى إنه أحياناً ولكثرة مسئولياته لا يجد عشاءاً أو غداءاً لعائلته، فيجلس للتدريس في المسجد وليس لعائلته ما تأكله في البيت فيأتيه خادمه إلى المسجد فيعطيه الجد محسن خاتمه ليرهنه عند أحد التجار من آل حسان ليعطى عائلته عشاء ليلتهم.

وقال له أولاده ذات يوم نفد الحب ولا غداء لأهل الدار هذا اليوم فاهتم لذلك، لاسيما مع ضيق ما بيده، فلم يكن منه إلا أن أغلق على نفسه باب منزله الخاص وشرع في قراءته وما هي إلا ساعة إلا ووصل لهم حمل بعير من البر.

قال الوالد ابن عبيدالله وسمعتُ والدي يقول: بأن الجد محسن أخذ يقرأ يس وكان مجازاً في قراءة قسمها ومجرباً قبول الدعاء وانفراج الضيق بأثره.

وحدث العلامة السيد أحمد بن حسن العطاس (١٢٥٧-١٣٣٤هـ) قال: جئتُ إلى سيؤون في جماعة من أهل الجانب القبلي، وزرنا الحبيب محسن بن علوي السقاف (١٢١١-١٢٩٠هـ) في مسجد طه، وحضرنا عليه درس العشيّ به فقال لنا أمام الناس أهلاً بكم نريد أن نعمل لكم ضيافة ولكن لاشيء في الدار هذه الأيام، وعلى رجوعكم من تريم يفتح الله بجوده فنضيفكم فلما عدنا أولم لنا وليمة فاخرة ذبح فيها ضانة داجنة وختم يومئذ سنن الترمذي، فخدمت تلك الوليمة غرضين.

وزار الحبيب علي بن حسن الحداد الحبيب محسن بن علوي السقاف بسيؤون، ولما قدموا له العشاء أحسوا بحركة عند الباب فإذا بأخي الجد محسن عبدالرحمن بن علوي يتسور عليهم الباب فقال له الجد: من أين جئت؟ قال: جئت معي بعشائي، وإنما ليس له إدام فأردت أن أشارككم في الإدام فقط. فقال له العم عبدالله بن محسن: وأين عشاؤك؟ فقال: هذا؛ وأخرج قرصاً لا يصلح أن يكون غطاءاً لإبريق، فعزم عليه الحبيب علي بن حسن أن يأخذ هذا القرص ليعرضه على مترفي تريم، ويعيرهم بعشاء أخي محسن بن علوي، وهم على ما هم عليه من التقلب في الشهوات، ففعل وكان لموعظته تأثير بليغ واتعاظ عظيم.

ويذكر أن الجد محسن كان يقول لأولاده إذا تبرموا بضيق المعيشة: لو شئت لغديتكم بالبر واللحم غير أني أختار لكم هذا. فيقول له ولده علوي: إذا كنت تتركنا على هذا الحال مع القدرة فما هو إلا أثر دعاء أصابك من أحد أبويك. فلا يزيد الجد محسن على الضحك. وأكثر ما يكون هو وأولاده سروراً وقتما يتنادرون عند الغداء أو العشاء لاسيما إذا كان خشنا.

قال ابن عبيدالله وكثرت في دار الجد محسن الولادات مع قلة ذات اليد وما يتطلبه ذلك من نفقة فقال أبياتا شعرية لطيفة تصف حالته:

يقول خو سقاف	ضاقت يا الله أدرك بالنفس
نفسه قفا نفسه	وعد العمر كله في نفس
إلى متى يا رب؟!	يكفي ما بنا يا رب بس
فأهل العيال اليوم	في حيره وفي حالة جرس
لا عيش يهناهم ولا	مجلس صفا إن حد جلس
بخ لراض بأس	من شخص ابتأس
يا ربي، ما هذا شكاية	وأنت تعرف ما هجس
ذلا شكاية حال	نفسه وافقت ساعة فلس

وعل مثل حاله كان الحبيب أحمد بن محمد المحضار (١٢١٧-١٣٠٤هـ) إذ لم يكن يهتم إلا بالعبادة وتلاوة القرآن، وترك تدبير أمور البيت لولده حامد، فتأخر مرة ابنه حامد عن حضور مجلسهم الذي يعقده بعد صلاة الظهر لتدارس القرآن، ولما أقبل بعد فراغهم من القراءة أخذ يعاتبه علناً، فقال السيد حامد لوالده لو علمت إن عشاءك الليلة من كيس أجذم لما عاتبت قال له: وكيف ذلك؟ قال: أقبل رمضان ودارك أفرغ من صحن مسجدك، فسرت إلى الخريبة لأشتري طعاماً فلم يرض أحد بذمتي، ولما رجعتُ دعاني أحد الجذمان وأعطاني ريالين نذراً منه لحبيبه أحمد فتسلمتها مسروراً وعدتُ إلى الخريبة وأخذت لكم ما تحتاجون حتى اللحم لعشائك. فقال له الحبيب أحمد: بارك الله فيك.

وكان الحبيب أحمد المحضار يصف نفسه كما يصف معاصره الحبيب محسن بن علوي السقاف نفسه فيقول:

من عبر شاف في السوم داري	قـــال مـــاشي كماهـــا
يقـــول هـــاذك ســـيد	حـــاز قـــدراً وجاهـــا
ومــــــا درى أن داري	مـــا تحـــصل عـــشاها

وقد اشتكى الحبيب أحمد أيضاً من كلفة النساء الحوامل ووجه شعراً إلى حفيده حسين بن حامد قائلاً:

حسين ربك يسهل	كل ما هـو صـعب
حسين معنا حبـالى	ست في الـدار تـب

فرد الحبيب حسين بن حامد من فوره:

عسى المهيمن يـسهل	أمـــرهن يـــستتب
ولا إلى المقـــــبرة	كلـــن بـــشغبه يهـــب

فصاح الحريم عليه فال الله ولا فالك.

إلا أن العلويين على فقرهم وفاقتهم وضيق معيشتهم لا ينسون الفقراء والمساكين من أبناء بلدهم، ذكر الجد ابن عبيدالله أن والده الحبيب عبيدالله بن محسن رغم ما ذكرناه من ضيق معيشة والده في كثير من الأحيان كان منذ صغره يتصدق بعشائه كل ليله، ويكتفي بوجبة الغداء، وفي وقت الخريف حيث ينتقلون إلى محلة القرن (مخترف السادة بسيؤون) بقرب سيؤون كان يتكلف الطلوع بعشائه لبلاد سيؤون للتصدق به على الفقراء الذين تعودوا منه الإحسان، إلا أن والده أشفق عليه وعاتبه بما لم يسعه معه إلا الامتثال.

وفي ترجمة الحبيب أحمد بن حسن العطاس[1] (المتوفى سنة **١٣٣٥**) أنه يقتصر في أكله على ما قل وخشن، فلا يميل إلى المأكولات الدسمة، ولا إلى الألوان المختلفة، ولا إلى ما طبخ بالأفاويه، وإنما يأكل القليل من الأرز، أو خبز الذرة، وقلما يأكل اللحم ومع قلة ما يتعاطاه من الطعام، كان ظاهر الدم والصحة، نشيط البدن لاسيما في العبادة، وكان يسافر شهراً وهو في العقد السابع من عمره راكباً على فرسه أو ناقته منتصبا بإحدى يديه عنانها أو خطامها وبالأخرى المظلة مرفوعة من الساعة الأولى أو الثانية من أول النهار إلى ما بعد الزوال، وقد يكون ذلك في موسم الصيف فيستمر راكباً لا يتزحزح، ولا يضطرب، ولا يرتمض من طول السير، ولا يشرب أثناءه، ولا يثني رجلاً، ولا يحني ظهراً، بل يبقى كما هو معتدلاً منتصباً.

وكان شأنه في أمر دنياه ونفقته قائماً على الاقتصاد، فلا إسراف ولا تقتير مع ملاحظة ظروف الزمان والمكان والإمكان، معتمداً على الله في ذلك، متجملاً كل التجمل، فلا يشكوا ضيقاً ،ولا يتحدث في شؤونه المعاشية إلا قليلاً، ولا تعجبه مظاهر الترف والتأنق ولا تلائمه، ويميل إلى التقشف، ويفضل خبزاً مفتوتاً بالقهوة على ألوان الخبز المصنوع بالسكر أو العسل، ومع ذلك كان يعد في منزله الضيافات العظيمة للوافدين عليه وخاصة في رمضان[2] (انتهى).

---

(١) علي بن أحمد العطاس ترجمة ورحلات الحبيب أحمد بن حسن العطاس صفحة ١٨.

(٢) علي بن أحمد العطاس ترجمة ورحلات الحبيب أحمد بن حسن العطاس صفحة ١٩.

ومن كلام الحبيب أحمد بن حسن العطاس أيضاً: عادة السلف أنهم يصرفون ثلث أموالهم في حرث الأرض، وثلثها فيما يكرمون به، وثلثها فيما يأكلونه.

وقال: التجارة تبغى ثلاث خصال: الهمة، والنية، والتوكل على الله تعالى.

وقال: ينبغي لمن أراد أن يباشر أمراً دنيوياً كحراثة أرض أو سفر لطلب العيش أن ينوي به العون على الطاعة والخير؛ لينال ثوابه وتيسر أموره، ولا يقصد مجرد الأكل والشرب والراحة والبناء ونحو ذلك، والعادة تنقلب عبادة بالنية[١].

ولا يحب العلويين تغيير طريقتهم في الأكل والشرب حتى ولو كان على سبيل المجاملة، فقد أولم شيخ الأزهر ببيته وليمة للحبيب أحمد بن حسن العطاس أثناء زيارته لمصر سنة ١٣٠٨هـ ووضعت الملاعق على الأواني فاخذوا يأكلون بها وابتدأ الحبيب أحمد الأكل بيده، فسأله شيخ الأزهر لم لا تأكل بالملعقة؟ فقال: كنا بمنى مع شيخنا السيد أحمد دحلان وأحضرت المائدة والملاعق فأكلت بيدي فقال السيد دحلان: لم لا تأكل بالملعقة؟ فقلت: لقول ابن مالك في ألفيته:

وفي اختيار لا يجيء المنفصل   إذا تـأتى أن يجـيء المتـصل

فرمى شيح الإسلام الملعقة وأكل هو والحاضرون بأيديهم، وقال بملأ فمه فلتحي السنة ولتمت البدعة[٢].

ومما يستغرب من أخبار العلويين أنهم على انقطاعهم للعلم والعبادة والسعي على رزق أولادهم إلا أنهم أيضاً يساعدون أهلهم في أعمال البيت ففي تحفة الأحباب[٣] نقل عن الحبيب علوي بن عبدالله بن شهاب قوله كان السلف رضوان الله عليهم يشاركون أهلهم في

---

(١) علي بن أحمد العطاس ترجمة ورحلات الحبيب أحمد بن حسن العطاس صفحة ٢١.

(٢) علي بن أحمد العطاس ترجمة ورحلات الحبيب أحمد بن حسن العطاس صفحة ٥٠.

(٣) عمر بن علوي الكاف تحفة الأحباب دار الحاوي صفحة ٢٢٤.

أعمال البيت وقد قال الحبيب عبدالله الحداد لأهله رغم كونه أعمى: اجعلوا لي وظيفة من الوظائف التي تعملونها في البيت فجعلوا عليه طي القرب فكان رضي الله يأتي كل اليوم إلى القرب الفارغة فيطويها.

ونرى كثيراً من كبار العلويين يتولى مهمة إطعام الغنم كل ليله، ويلقط الضدح مع الخادمات، ويكنس بيته. وكان الحبيب عبدالرحمن المشهور يقول: كنت أدخل المطبخ أساعد أخواتي في الطبخ، وإذا دخلت المطبخ كانت استأمنت أمي علي أكثر من أخواتي (انتهى).

وفي السيرة الذاتية[١] للسيد العلامة علوي بن عبدالله بن حسين السقاف (**١٣١٥-١٣٩٢هـ**) أن من واجباته اليومية في طفولته أن يقوم قبل ذهابه إلى النوم بإطعام الدواب، وإقفال جميع الأبواب والنوافذ، ثم إذا ما انتهى من كل ذلك آوى إلى فراشه، ليقوم مع والده لصلاة الفجر بمسجد طه، وكان يقوم أثناء قيامه بهذه المهمة اليومية بمراجعة حفظه للزبد وألفية ابن مالك في النحو (انتهى).

وكمثال على حالة الفقر الشديد لبعض العلويين ما أورده الجد عبدالرحمن بن عبيدالله في بضائع التأبوت عن نفر من آل السقاف المقيمين بصنعاء الذين قال عنهم: (ولما كنت في صنعاء عام **١٣٤٩هـ** اجتمعت بأربعه من آل السقاف يعيشون في فقر مدقع، حتى لقد بلغ أكثرهم سن الكهولة ولم يقدر على التزوج، وكان يتعيشون من دلالة البز الحضرمي، ولهم بها مرسوم إمامي شريف عليه إمضاء الأئمة المتوكل محمد بن يحيى بن منصور، والثاني هو المنصور بن علي المهدي، وقد فقد آل السقاف المذكورين سلسلة انتسابهم، ولكن ذكر السيد أحمد الجنيد أن للسيد (محمد بن طه بن حسين بن طه بن أحمد بن أبي بكر بن عبدالرحمن بن عمر بن عبدالرحمن بن عقيل بن السقاف) بصنعاء أولاد إلى حال التاريخ فهذا هو جدهم من غير شك (انتهى).

---

(١) علي محسن السقاف السيرة الذاتية صفحة ١٣.

وعلى الجانب الآخر نجد أن بعض العلويين اشتهر بالثروة والكرم رغم كونهم من كبار العلويين المشتهرين بالعلم والتصوف، فهذا الفقيه المقدم وهو أول من تصوف من العلويين بحضرموت قال عنه الأستاذ الشاطري أنه يعتبر من أساطين الزراعة والغرس في عصره، فكان له الكثير من النخيل والمزارع والبساتين، وكان يتصدق كل يوم على الفقراء والمساكين بزير واحد على الأقل، يحتوي ما يساوي ١٨٠٠ رطل، وكان يتعهد نخيله وزرعه بنفسه، كما يشرف على شؤونه البيتية والاعتناء بضيوفه إلى حد أنه يشتري السمك بنفسه مباشرة من السوق، مع العلم أن التمر الذي يكبس في هذه الجرار إنما هو التمر الفاضل من الرطب بعد الأكل والصدقات والهدايا والزكاة، وذكر الشاطري أن الفقيه المقدم يعتني ويهتم بإدارة تلك المزارع وتوزيع ما ينتجه النخيل وما يحصل من تلك المزارع، ويصرف معظمه في المصالح العامة.

أما الشيخ عبد الله بن علوي بن الفقيه المتوفى سنة ٧٣١هـ فقد بلغ من كثرة ثروته أنه أوقف على مسجد باعلوي بتريم ما قيمته تسعون ألف دينار، وكان له ديواناً مرتباً فيه أسماء المحاويج للإنفاق عليهم زيادة على ما يعطيه من جوائز لمن يمتدحه من الشعراء، رغم كونه في ناحية التصوف والنسك يكاد يكون منقطع النظير.

أما سيدنا السقاف فمع كثرة أوراده وأذكاره فكانت له مزارع كثيرة بلغ من كثرتها أنها تسقى بثمانين، وفي رواية بأربعين غرباً يومياً، ويحاسب عماله في المصاريف بين العشاءين كما يحدثنا بذلك الخطيب مؤلف الجوهر، أما نخيله فقد غرس بنفسه خلاعات كثيرة ويقرأ عند كل نخلة مع غرسها يس.

وسيدنا المحضار ابن السقاف المتوفى سنة ٨٣٣ وهو أعظم شيخ معتقد في عصره، نجد من ممتلكاته الكثيرة مراكب شراعية وأطياناً واسعة، وعبيداً ونخيلاً كثيراً، كما يتبين ذلك من وصيته.

وهذا الإمام أبو بكر العدني ابن العيدروس صاحب القبة بعدن يعد من المثرين الكبار في عصره، فقد ذكر المترجمون له أنه تذبح لسماطه يومياً في رمضان ثلاثون خروفاً ومن المبالغ التي صرفها ثلاثين ألف دينار مقابل دين أبيه بعد وفاته، وتوفي العدني سنة ٩١٤.

وهؤلاء سلالة ابن أخيه عبد الله بن شيخ العيدروس المتصلون ببعض ملوك الهند إذا تصفحنا تراجمهم يستولي علينا الإعجاب بما أنتجته قرائحهم من مؤلفات عديدة، مع ما قاموا به من إصلاحات عامة، وبما جمعوه مع تقاهم واهتمامهم بالعلوم والعبادة، من الثروات التي لا يدانيهم فيها إلا الملوك والأمراء، وقد أنفقوا معظمها في سبيل الإصلاح ومكارم الأخلاق.

ثم لا نبعد بعيداً فقد أوردنا في الفصل الذي تحدثنا فيه عن أغنياء العلويين المتأخرين كيف أنهم حريصون على القيام بأمور دينهم على أكمل وجه، وكيف أنهم يسخرون ثروتهم لأعمال البر والخير.

وقد عاش بعض العلويين المتأخرين على ما يدره عليهم استثمارهم العقاري في الملايو وسنغافورا، ذكر الأستاذ الشاطري في تاريخه انتشار فكرة استثمار العقارات في المهاجر وفي مقدمتها اندونيسيا وملايا، وكان الحضرمي يشتري له عدداً من العقارات ويعتمد في معيشته بحضرموت على إيراداتها وتأسست شركات الوكالات لشراء البيوت وتأجيرها وإرسال ريعها لأصحابها المقيمين بحضرموت مثل شركة الجنيد، وشركة السقاف، والكاف، وبن يماني، والحداد، وقد هدف الآباء المؤسسين لهذا الاستثمار إلى تامين معاش أبنائهم ليتفرغوا للعلم والتصوف، إلا أن هذا الاستثمار لم يحقق هدفه كما قال الأستاذ الشاطري فنشأ فيما بعد جيل عاطل بالوراثة غير مكترث بالدراسة والعلم[١].

وكانت هذه البيوت أمنية أهل حضرموت، ومن ذلك ما ورد في كتاب تحفة الأحباب[٢]

---

(١) محمد بن أحمد الشاطري أدوار التاريخ الحضرمي عالم المعرفة صفحة ٤١٧.

(٢) تحفة الأحباب بذكر نزر من مناقب الحبيب علوي بن شهاب دار الحاوي صفحة ١٦٦.

من أن الحبيب علوي بن عبدالله بن شهاب والذي عاش فقيراً في كنف أمه بتريم بينما كان والده مغترباً في أغلب وقته (فكتب لوالده مرة وقال له: عساك لقيت لك شيء من المال؟ أو أخذت لك بيوت؟ فجوب والده وقال له: يسرني منك أني منذ سافرت لم يبلغني عنك خبر يسوءني فأنت إذاً أحسن لي من البيوت والعقار.

وأما قولك ما ألقيت لك بيوت فأنت عندي أحسن من البيوت، وأنت إن بغيت لك بيوت فالعامة تقول .. من بغى الحرفوف .. يركض له (انتهى).

إلا أن بعض العلويين يعارضون هذا المبدأ ويفضلون عيش التوكل على الله، فقد ذكر المشهور في كتاب لوامع النور[1] أن الحبيب علوي بن عبدالرحمن المشهور المتوفى سنة ١٣٤١هـ اجتمعت له بعض الدراهم لدى التاجر الشهير السيد شيخ الكاف بسنغافورا فقال السيد شيخ الكاف في نفسه: هذا علوي مشهور كل يوم في سفر من مكان إلى مكان من بلاد الغال إلى الهند إلى السند إلى السواحل فاشترى له بالمال ثلاثة بيوت في سنغافورا، ولما جاء الحبيب علوي ليودع السيد شيخ الكاف قبل سفره، قال له السيد شيخ بما فعل له، وعاتبه على عدم التدبير وأخبره أن هذه البيوت ستدر عليه في كل خمسة أو ستة شهور مبلغ من المال يصله إلى تريم، فغضب الحبيب علوي المشهور، وقال له: أنت باتقطع علي باب التوكل على الله ... بأجلس في تريم منتظر متى باتجي فلوس سنغافورا، .. عاد فلوس سنغافورة تأخرت. أنا متوكل على الله مانا متكل على البيوت أعطنا المال أو بابيع البيوت بأقل ثمن فلم يسع السيد شيخ الكاف إلا أن يعطيه ماله (انتهى).

وعلى مثل ذلك كان الحبيب حسن بن صالح البحر قال ابن عبيدالله: إن أهل بلدة الغرفة كانوا أهل ثراء، ولهم في الحبيب حسن بن صالح جميل اعتقاد، حتى لقد كان الشيخ أحمد بن علي طرموم يدفع لمن يبشره بقدوم الحبيب حسن إلى الغرفة كسوة كاملة، فترى

---

(١) أبوبكر المشهور لوامع النور دار المهاجر للنشر صفحة ٣٥٨ الجزء الأول.

الصبيان له بالمرصاد حتى إذا أبصروه تسابقوا إلى طرموم فيكسوا السابق، ثم لا يحرم الباقين. فأحب الشيخ أحمد طرموم هو وغيره من أهل الغرفة أن يشتروا نخلاً للحبيب حسن يكفي لاختراف واختراف ضيوفه على الأقل، وقالوا: لا يكلمه في ذلك إلا شماخ خادمه، فلما كلمه خادمه شماخ استعاد الحبيب حسن الحديث وكان في سمعه شيء من الضعف نتيجة اغتساله لكل فريضة، ولما استوضحه انتهره وقال له: أيريد أهل الغرفة أن يدخلوا بيني وبين ربي، والله لأنا أوثق بما عنده مما في يدي، فضلاً عن غيره[1].

ونختم هذا الفصل بالأبيات التالية لزعيم وادي الأحقاف محسن بن علوي السقاف (١٢١١-١٢٩٠هـ) والتي يلخص فيها ما قلناه سابقاً من الكلام:

مالي أرى الناس ضلت	عقولهم ثم ولت
عن كل خير تولت	وطرق بر وإحسان
أمسوا عبيد العوائد	كل عليها مجاهد
دائم حليف الشدائد	من كثرة السعي حيران
يطوي المسافات قطعاً	حرصاً وجمعاً ومنعاً
من بر في بحر يسعى	من حب دنياه سكران
إن القناعة هي الساس	بناءها ليس يهتاس
قرينها خيرة الناس	يعيش سامي وفرحان
سالم من العار والذم	والكرب والهم والغم
من لا قنع سوف يندم	وسوف ترهقه الأحزان
وقته يقضيه غربه	في حزن دائم وكربه

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء صفحة.

لم لا يقـــــضيه قربـــــه	في طاعــة المفــضل المــان
يــا مــن زهــد في الملابــس	وأمسى حليف المدارس
عـــلى المعـــالي ينـــافس	في درس علـــم وقـــرآن
بـــشراك بـــالفوز غـــدوه	في جنـــة مـــا بهـــا أذوه
يحلهـــا كـــل صـــفوه	جـــوار حـــور ورضـــوان
جنـــة بهـــا أنهـــار تجـــري	عـــسل مـــصفى وخمـــر
وكـــم فواكـــه وثمـــر	وتـــين حـــالي ورمـــان

❊ ❊ ❊

الفصل الرابع والعشرون

العلويين وإطعام الطعام



وتختلف حالة العلويين الاقتصادية، فالغالبية العظمى منهم بحضرموت غالبية فقيرة، لا تكاد معيشتها تسد رمقها، ومع ذلك فقد ورد في سير العلويين المكتوبة أن منهم من هو على فقره وفاقته قد يتصدق بعشائه على مسكين ابتغاءً للثواب.

وذكر الجد ابن عبيدالله أن والده الحبيب عبيد الله بن محسن السقاف (١٢٦٢هـ - ١٣٢٤هـ) كان يتصدق بعشائه، أما العلويين الموسرين فتروى في سيرهم كثير من الأخبار العظيمة في الكرم وإطعام الطعام.

وذكر الحامد[١] في تاريخ حضرموت عن كرم الفقيه المقدم نقلاً عن مصادره فقال: (وكانت داره مشيدة البناء، رحبة الفناء، تلجأ إليها الأيتام والفقراء والأرامل، ويفد عليها الراجي والآمل (انتهى باختصار).

وذكر الحامد[٢] أن الإمام عمر المحضار المتوفى بتريم سنة ٨٩٣هـ كان مضرب المثل في الجود والبذل والبر والإصلاح، فكان منزله حيث ما حل وأينما نزل مأوى للضيوف واللاجئين كما تدل سيرته التي ذكرها المؤرخون، كأبي وزير، والخطيب، وخرد، والسيد أحمد بن زين، وغيرهم فكان ينفق على أكثر بيوت الأشراف بتريم واتفق مرة أن مر عليه وهو بقرية (عرف) عسكر كثير من جهة الداخل، وفيهم نحو ثلاثين فارساً فترددوا في النزول عليه وذلك لكي لا يثقلوا عليه بمؤنتهم ومؤنة خيلهم، ثم نزلوا عنده فعاتبهم على ترددهم، وأحسن قراهم، وقدم لخيلهم العلف الكافي، وفوق ذلك أعطى لكل فارس ما يزيد على ثلاثة أمداد من الحب (انتهى باختصار).

وكان منصب عينات السيد أحمد بن علي بن أحمد الذي تولى المنصبة سنة ١١٤٢هـ مضيافاً يذبح كل يوم ستاً من الأغنام سوى ما يذبحه للواردين[٣].

---

(١) صالح الحامد تاريخ حضرموت الجزء الثاني الناشر مكتبة الإرشاد صنعاء صفحة ٧٢٦.

(٢) صالح الحامد تاريخ حضرموت الجزء الثاني الناشر مكتبة الإرشاد صنعاء صفحة ٧٥٠.

(٣) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلدان حضرموت مكتبة الإرشاد بصنعاء صفحة ٥٥٩.

أما السيد زين بن عبد الله جمل الليل[١] فقد ولد بحضرموت، وارتحل إلى الهند، ولازم بها السيد محمد بن عبد الله العيدروس، ثم بعد وفاة شيخه اعتنى به أحد ملوك الهند، إلا أنه طلق الدنيا وارتحل للحرمين، وأقام بالمدينة المنورة، وكان لا يمسك شيئاً من المال، فإذا دخل عليه شيء منه أنفقه، وكانت له صلات وهبات جزيلة لاسيما للفقراء.

وكان سماطُه مقصوداً، ولجميع الناس ممدود، يحضره كل صباح ومساء خلائق من الرجال والنساء، ولا يرى منه ضجر ولا عبوس ولو كان في غاية الإفلاس والبوس، ويعمل الطعام الفاخر خصوصاً في رمضان، وبلغ من تواضعه أنه كان يحمل أرغفة الخبز عند الخروج من الدار، يقسمها على الفقراء والضعفاء والصغار، وقد توفي بالمدينة سنة **١٠٥٨** هـ ودفن بالبقيع.

وفي كتب شرف المحيا أن الحبيب عبد الله بن عمر بن يحيى (**١٢٠٩-١٢٦٥** هـ) كان آية باهرة في الكرم والسخاء والإنفاق وإطعام الطعام والصدقة، وفاق أهل عصره في ذلك مقرباً للأضياف الأطعمة الوافرة الفاخرة، ولا تزال الوفود تفد إليه ولا يخلوا يوماً من الأيام ولا ليلة من الليالي عن الضيف، ويفرح فرحاً عظيماً بالضيف، ويزيد سروره كلما كثر الضيوف، وإذا قل ضيوفه حصل عنده قبض، وكان يقول للأضياف: من يريد البركة فليأكل كثيراً.

وكان غالباً ما يدعو أصحابه وأقاربه وغيرهم للضيافة، وكان يقول: أنا لا استضيف أحداً لأجل المكابرة أو المحاذرة، ولا ادعوا إلا من انشرح به خاطري، وأنا صادق بدعوته ولا أطيل الكلام عليه بذلك، وأما من لا ينشرح خاطرنا به فلا ندعوه، ولا نكره حضوره (انتهى)[٢].

---

(١) عمر بن علوي الكاف خلاصة الخبر دار المنهاج صفحة **١٤٢**.

(٢) محمد علوي بن يحيى شرف المحيا في تراجم آل بن يحيى تريم للدراسات والنشر صفحة **٣٢-٣٣**.

ويصف صاحب تاريخ الشعراء الحضرميين[١] الحبيب علي بن محمد الحبشي (١٢٥٩-١٣٣٣هـ) فيقول: إن مظهره الاجتماعي وشهرته ومكانته وميزته في الهيئة البشرية تسامت على كل مظهر وشهرة ومكانة وشخصية ومن يماثله في عيشه ورفاهيته وتنعماته بحيث لم يكن له شبيه على الإطلاق، إذا لم نستثن العلامة السيد أبابكر بن عبدالله العيدروس، والعلامة الشيخ أبوبكر بن سالم صاحب عينات، ومن هو العظيم أو الزعيم أو المثري أو الأمير الذي أسبغ الله عليه ما أسبغ على شيخنا صاحب الترجمة من النعم الظاهرة والباطنة، وحوز الدنيا والآخرة، القصور الكبيرة، والمفارش الوثيرة، والحدائق الكثيرة، والثروة الوفيرة، والمماليك والخدم والحشم، وطفوح الغرف المنزلية وسواها بالمعدات الغذائية، والذبائح ذبائح، والمطابخ مطابخ، وربما استمرت إلى منتصف الليل للنازلين والقادمين (انتهى).

أما السيد عمر بن عبدالرحمن صاحب الحمراء (٨٢٣-٨٩٩هـ) فقد بلغ من الكرم غايته، حتى أنه وهب السيد عبدالله العيدروس قصراً فخماً وأعطى شيخه العلامة عبدالله بن عبدالرحمن بلحاج بافضل داراً عظيمة، وحديقة غناء، عدى صدقاته الكثيرة وقيامه بمؤنة جماعته[٢].

وفي ترجمة السيد عبد الله باعلوي من المشرع أنه أعطى تلميذه الشيخ محمد علي باشعيب أرضاً واسعةً، فغرسها الشيخ محمد نخلاً، وتسمى بئر باشعيب، ووقف على ضيوف بلده المسماة بالواسطة نخلاً وأرضا[٣].

كما تميز الحبيب أبو بكر بن عبد الله العيدروس الملقب بالعدني (٨٥١-٩١٤هـ) بالكرم الحاتمي، وكثرة الإنفاق، وذكر الجد العلامة ابن عبيد الله في بضائع التابوت[٤] أنه لما زاره

---

(١) عبدالله بن محمد السقاف تاريخ الشعراء الحضرميين الجزء الرابع صفحة ١٣٥ .

(٢) عبدالله بن محمد السقاف تاريخ الشعراء الحضرميين الجزء الأول صفحة ٨٦.

(٣) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلدان حضرموت مطبعة الإرشاد صفحة ٥٧٢.

(٤) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثاني صفحة ٥.

الشيخ عمر بن أحمد بن محمد بن عثمان العمودي بعدن ذبح له الشيخ أبوبكر العدني على كل درجة صعدها رأساً من الغنم، فوقع في نفس العمودي أن ذلك إسراف فتفرس الشيخ العدني ذلك فقال أكرمناهم قالوا إسراف (انتهى).

ومع أن بعض الناس أو بعض الأهل والأقارب قد ينتقدون إسراف العلويين في الكرم، إلا أن ذلك لا يثنيهم عن مكارم الأخلاق، ويلخص الحبيب أبوبكر بن عبدالله العيدروس فلسفة العلويين في هذا المجال في الأبيات التالية[1]:

وآمرة بالبخل قلتُ لها اقصري ... فإحسان رب العالمين جزيل

فإني وإن ساءت ظنون عشيرتي ... ببذلي فظني في الإله جميل

وإني امرؤ لا أجمع المال راغباً ... لذخر وما عندي لذاك سبيل

أأجمع مالاً للوريث يحوزه ... وإثمي به حمل علي ثقيل

سأبني به حصناً من المجد عالياً ... وأكسب أجراً نعم ذاك بديل

ومن عز بالخلاق فهو معظم ... ومن عز بالمخلوق فهو ذليل

ويقول عن نفسه وسجيته:

أنا الذي لا أرى الإمساك يصلح لي ... فلا أفارق جودي خوف إعساري

أيمسك المال خوف الفقر ذو كرمٍ ... عرق الندى في مجاري جسمه جاري

ولو تدينت ملأ الأرض من ذهبٍ ... ما بات عندي منه عشر معشاري

ونلاحظ أن هذه الفلسفة العلوية في الإكرام والبذل حتى مع ضيق ذات اليد التي تُلجأ الشخص إلى الاستدانة نجدها مازالت باقية إلى زمننا هذا، فهذا الحبيب السيد عبد القادر بن

---

(١) عبدالقادر محمد الصبان الحركة الأدبيه في حضرموت دار حضرموت للنشر صفحة ٦٠.

أحمد السقاف رغم ضيق ذات يده إلا أن بيته مفتوح للضيوف والواردين ولما انتقده المنتقدون رد عليهم بالأبيات التالية[١] في سنة ١٣٦٥هـ:

رأوني لا آلو عن الجود دائماً ... فلاموا وقالوا مسرف وصغير

وما بي من زيغ وما بي سفاهة ... ولكنني للمكرمات أسير

وذلك مهر المجد والمجد غاية ... تقاصر عنها باخل وحقير

ثم يقول:

ووا أسفي إن مر يوم وليلة ... وما نصبت لي للعفاة قدور

ولم أقض حاجات المعيل ولم أفض ... على الجار مما في يدي يمور

ويصف ديوان الشعراء الحضرميين الحبيب محمد بن أحمد المحضار (١٢٨٠-١٣٣٩هـ) المتوفى باندونيسيا فيقول: ولان جاز أن يكون له مماثل في صفة من صفاته الغرر، فلا نعلم أحد يماثله في كرمه، وعلو همته، إذا استثنينا فلاناً وفلاناً من العلويين تجاوزوا حاتماً، والبرامكهة، وهارون الرشيد، ومن على شاكلتهم في الكرم والجود، فإنهم يتضاءلون أمامه عند مقارنتهم بكرمه وجوده وهمته، حيث أن حطام الدنيا لا قيمة له عنده مهما كان عظيماً، وكل هبة يهبها مهما عظمت ليست بذي شان في نظره، مع أن رزقه على الله وليست له جهة مخصوصة يبذخ منها، يعطي بنفس سخية من الربيات الواحد والعشرة والمائة والألف روبية من غير منه، كما لا يرجع عن هبته مهما كانت عظيمة.

ومن كرمه أن قد يذبح للضيوف عشرين ذبيحة لكثرة الواردين، وكانت نفقاته اليومية فوق نفقات الملوك والسلاطين، كما له نوادر في الكرم فقد قضى دين السيد علي الحنيد البالغ عشرين ألفاً من الروبيات، ومن طبعه الميل إلى كل جميل فمركوبه أحسن المركوب،

(١) طه حسن السقاف ديوان الحبيب عبد القادر السقاف درر وجواهر دار الحاوي للطباعة صفحة ١١٣.

ومأكله أطيب المأكولات، وفرشه أحسن الفرش، وملبسه أحسن الملابس، يتودد إلى الفقراء والمساكين ويجالسهم، ويحسن إليهم ويكرمهم، ويعطف على اليتامى والأرامل، ويواسى المحتاجين، وبيته مقصد القاصدين والغرباء والزائرين، ينجد الملهوف، ويتحمل مغارم المعسرين، ويقضي ديون المدينين، ويعضد الأعمال الخيرية، ويفرح مع من فرح ويتألم مع من تألم (انتهى باختصار)[١].

وإذا نظرنا إلى حال شقيقه الحبيب مصطفى بن أحمد المحضار نجده لا يختلف عن حال الحبيب محمد مع فارق الحال بين جاوا وحضرموت، ففي ترجمة الحبيب مصطفى[٢] نقلاً عن كتاب تاج الأعراس (لما نشبت الحرب العالمية في العقد السبعين من القرن الرابع عشر من الهجرة، وعم القحط الجهة الحضرمية، وبيع فيها الرطل من حلي الفضة بأربعة ريال، وانقطعت المواصلات بين الساحل والداخل، وعاثت المجاعة في الناس، فتح باب داره بالقويرة على مصراعيه لإطعام الطعام، فوفده طلاب الإسعاف من كل حدب ينسلون غير العجزة الذين يواسيهم في بيوتهم.

وكان من عادته أن لا يبيع شيئاً من تمره الذي يجنيه من نخله مهما كثر، بل يدخره ويأكل هو وأضيافه منه، وربما جاء التمر الجديد فوق التمر القديم، فلما كان وقت المجاعة أطعمهم الجديد ثم الدويل، ثم رهن النخل جميعه وقبض المال وأطعم به الجياع، وهو يقول: رخصت الجنة في هذا الوقت ولكن أين الموفقون لذلك (انتهى).

قال المترجم[٣] وقد باع الحبيب مصطفى المحضار وقت المجاعة سنة **١٣٦٢**هـ من أمواله ونخيله ما يقدر بقيمة نحو خمسة وسبعين ألف ريال، وكلها أنفقها على الفقراء والمحتاجين وأبناء السبيل، حتى أنه كان يقدم أحياناً لضيوفه أكله الخاص حتى ظهر عليه

---

(١) عبدالله بن محمد السقاف تاريخ الشعراء الحضرميين الجزء الرابع صفحة ٨٥.

(٢) محمد بن عبداللاه المحضار خواطر وأفكار تريم للدراسات صفحة ٢٠.

(٣) محمد بن عبداللاه المحضار خواطر وأفكار تريم للدراسات صفحة ٢١.

الضعف، فكان أهله يحتالون عليه ويرسلون بأكله الخاص للجيران حتى لا يتصدق به خوفاً عليه من الضعف (انتهى باختصار).

وقال عنه السيد علوي بن طاهر الحداد في كتابه (الشامل)[١] بعد أن ترجم لوالده وعلى قيد الحياة ابنه مصطفى بن أحمد المحضار قام بمقام أهله ولم يزل بيته مثابة للأضياف يتلقاهم بصدر رحب ووجه طلق، ويكرمهم بالنزل إكرام من لا يخاف الفقر، له الإنشاء المستعذب على نمط والده، بل اغرب، وهو ذو جلالة ووجاهة، وكلام مسموع، وشفاعة مقبولة، كريماً لا يبقى على شيء حتى ثيابه الحسنه التي يهديها له أصدقاؤه ومحبوه، قلما تمكث عليه إلا قليلاً ثم يعطيها الطلاب ويلبس عوضاً عنها إزاراً من الكاره مصبوغاً (انتهى باختصار).

وقد يظن القارئ أن الحبيب مصطفى وإخوته قد تربوا عيشة غنى ورفاهية؛ لتكون لهم هذه الأخلاق، إلا أنك تندهش إذا علمت بأن والدهم الحبيب أحمد بن محمد المحضار لم يكن يستطيع أحياناً أن يدبر لهم العشاء كما ذكر ذلك العلامة ابن عبيدالله في بضائع التابوت وأوردناه في فصل سابق.

وكان السيد أحمد بن علي الجنيد (المتوفى سنة ١٢٧٥هـ) من الأثرياء بحضرموت، وكان كريماً ينفق ماله في أعمال الخير، وإطفاء الفتن، وإغاثة الملهوف، وإصلاح ذات البين، والصلح بين رجال السلاح من القبائل، وداره الواسعة مفتوحة للواردين، ولا يكاد يمر يوم دون أن يصله أحد الضيوف أو السلاطين وعظماء العصر، فيمكثون لديه اليومين والثلاثة، وكان من عادته تأخير الغداء حتى يلحق الغداء من تأخر به الطريق من الضيوف، بل إنه بكى مرة بأعلى صوته عندما مر عليه أسبوع ولم يرده ضيف خوفاً من أن يكون الله قد غضب عليه بانقطاع الضيوف[٢].

---

(١) محمد بن عبداللاه المحضار خواطر وأفكار تريم للدراسات صفحة ٢١.

(٢) عبدالقادر بن عبدالرحمن الجنيد العقود العسجدية صفحة ١٠٢.

وكان الجد ابن عبيدالله ممن يستقبل الضيوف في بيته ويكرمهم، وذكر مرة قصته مع أحد الضيوف فقال: وردني ضيف بعد ما ترجل النهار، فأشرت بذبح جدي لا تزيد قيمته عن أربع روبيات، فذهب وهم الجدّة إلى شاة تزيد عن ثلاثين، وادخلوا اللحم على حاله لم تؤثر فيه النار.

ثم قال ولما ذاكرتها بقضية الشاة تنصلت من الذنب، وأحالته على شوم ناصية الضيف، وقالت قد جاءك مرة وبعثت في شراء لحم له فنسي الرسول ثم أرسلت رسولاً آخر فجاء باللحم متاخراً، واقتضى الأمر إدخال اللحم عليه في مثل حال لحم الشاة[١].

ومن بني علوي المشهورين بالكرم وإطعام الطعام الحبيب جعفر بن أحمد بن عبد القادر العيدروس (١٣٠٨-١٣٩٦هـ)، من مواليد بلدة بور بحضرموت وقد تربى في حجر جده العلامة عبدالقادر بن سالم العيدروس، ثم انتقل إلى مدينة سيؤون وارتبط بالحبيب أحمد بن عبدالرحمن السقاف، ثم لما توفي الحبيب أحمد انتقل إلى مدينة تريم، وأقام بها في بيت متواضع، وارتبط بالحبيب عبدالله بن عمر الشاطري، والحبيب علوي بن عبدالله بن شهاب، واستمر مع أولاده في حضور الدروس برباط تريم وحضور مجالس شيوخ العلويين بتريم.

وذكر مترجمه في مقدمة ديوانه أنه لم يكن للمال عنده قيمه ولا قدر، ولا يلتفت إليه[٢]، قط ومع ضعف حاله كان يؤمه ذوي الحاجات، فلا يخيب أحداً رغم قلة موارده وصغر منزله المتواضع، وكان له في كل يوم ضيافات وعزومات[٣].

جاءه مرة أحد السادة من وادي بن علي يطلب المساعدة، وكان لا يتوقع أكثر من خمسة شلن، فأعطاه ربطة فيها خمسين شلن، فذهل الرجل ولم يصدق ما رأى[٤]. وعمل

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلدان حضرموت مكتبة الإرشاد بصنعاء صفحة ٣١٦.

(٢) ؟؟

(٣) ديوان الحبيب جعفر بن أحمد بن عبدالقادر العيدروس دار الأصول للنشر والتوزيع صفحة ١٠.

(٤) ديوان الحبيب جعفر بن أحمد بن عبدالقادر العيدروس دار الأصول للنشر والتوزيع صفحة ١١.

بداره المتواضع مطبخاً كبيراً وعين طباخاً خاصاً بالولائم التي تقام في بيته كل ليلة للعلماء وغيرهم من العامة الذين يترددن على منزله كل ليلة من بعد صلاة المغرب[١]. توفي الحبيب جعفر بتريم، ودفن إلى جوار قبر جده العيدروس بمقبرة زنبل بتريم.

ومن العلويين المشهورين بالكرم الحاتمي السيد أبوبكر بن شيخ الكاف، فقد ذكر في ترجمته[٢] أن بيته يغص كل يوم بكثرة الضيوف من مختلف القبائل والأسر الحضرمية، وينزل في بيته الحجازي والشامي والمصري والتركي والجاوي والسنغافوري والهندي ومعظم الأجانب، والرحالة والمستشرقين. ولم يعرف عن السيد أبي بكر بن شيخ الكاف طيلة حياته أنه أكل في بيته لوحده بدون ضيف على الإطلاق (انتهى).

وفي ذلك يقول الشاعر الحضرمي المشهور بالفرزدق:

الكاف بوسقاف بحره ما تجاوزه الحدود

ومن بغا له رز داره ما تفارقها الوفود

وذكر سيدي الوالد محسن بن علوي السقاف في مذكراته[٣] حب السيد حامد بن أبي بكر المحضار للضيوف وأنه لما كان بأسمرة كان بيته مفتوحاً على الدوام؛ لاستقبال الضيوف، حتى ولو سافر خارج أسمرا فان بيته يبقى مفتوحاً وسماطه ممدود، وقال والدي: وكنا أيام أقامتنا بأسمرة نتعشى معه كل ليلة مع مجموعة من الأصحاب، ويقدم لنا على السفرة رأس غنم مطبوخ، ويندر أن يأكل بمفرده دون ضيوف، وحتى بعد انتقاله من أسمرة إلى جدة واستقراره بالسعودية لم يغير عادته، وبقيت سفرة عشائه ممدودة كل ليله لمن يزوره.

---

(١) ديوان الحبيب جعفر بن أحمد بن عبدالقادر العيدروس دار الأصول للنشر والتوزيع صفحة ١٢.

(٢) جعفر السقاف وأنيس الكاف أبوبكر بن شيخ الكاف تريم للدراسات والنشر صفحة ٣١-٣٢.

(٣) محسن علوي السقاف مذكراتي ومختاراتي صفحة.



الحبيب محمد بن علوي السقاف صاحب سورابايا مع السيد محسن بن علوي السقاف وأولاده بالمدينة المنورة

ومن العلويين المتأخرين المشهورين بالكرم وحب الضيوف السيد محمد بن علوي السقاف، والذي ولد بسيؤون، ثم هاجر في شبابه إلى اندونيسيا هجرة أبديه، وعمر إلى التسعين سنة، وتوفي بسربايه سنة ١٤٢٨، فقد كان يرحمه الله شديد الاعتناء بالضيوف، ولا يحب أن يتناول غداءه إلا مع ضيف، ويمد لضيوفه الموائد العامرة، وإذا أقبل وقت الغداء ولم يكن عنده ضيف ذهب إلى فندق مصر بسورابايا المجاور لبيته يبحث عن ضيف من الغرباء ليدعوه للغداء في بيته.

هذا وقد درج والدي السيد محسن بن علوي السقاف على أقامة حفل عشاء للحجاج الحضارمة والمقيمين من منطقة سيؤون وتريم وما حولها، القادمين من المنطقة الكثيرية، في الأيام الأولى من شهر الحجة، وقبل الحج حيث يحضر فيها العلماء والصلحاء، ويلتقون

بالحجاج ويتكلمون إليهم ويعظوهم، وقد تبعه في هذا الطريق العم علي بن عبدالله السقاف فيما بعد، واستمرت هذه الوليمة تقام كل سنة قبل الثامن من ذي الحجة، ثم لما كبر الوالد محسن في السن وضعفت قواه بعد أكثر من ثلاثين سنه من تكرر مأدبته السنوية توقف عنها، ولكن تواصلت مأدبة العم علي بن عبدالله السقاف على يد ابنه السيد حسن بن علي إلى اليوم.

هذا ولم تكن عزومة الحجاج هذه بدعاً جديداً على ما يبدوا إذ ذكر العم محمد بن هادي السقاف (١٢٩١-١٣٨٢هـ) في رحلة حجه سنة ١٣٤٧هـ أنه في صبح الثلوث من يوم ٥ ذو الحجة عمل السيد الجواد علوي بن شيخ السقاف ضيافة لجميع الحجاج الحضارم في المنزل الذي كنا نازلين به، فاجتمع خلق كثير، ووقعت ضيافة فاخرة، شكر الله له ذلك[١].

والخلاصة أن هذا الموضوع بحر ليس له آخر ولا استطيع أن أذكر إلا اليسير مما اعترض طريق قراءتي بالصدفة ودون ملاحقه مقصوده، ومن يريد التوسع فعليه الرجوع إلى كتب التراجم المتنوعة لهؤلاء القوم.

* * *

(١) محمد شيخ المساوى المنحة الإلهية في الرحلة الحجازية مخطوطة صفحة ٣٣٩.

الفصل الخامس والعشرون

العلويون والقهوة والشاي وما في حكمهما



ذكر الأستاذ محمد بن أحمد الشاطري في أدوار التاريخ الحضرمي[١] : أن القهوة وصلت حضرموت من اليمن في القرن الثامن الهجري، وأحبها الحضارمة، وتفننوا في طبخها، فأحياناً يعملونها من البن الخالص أو مع قشره، وربما أضافوا لها السكر أو شربوها غير مسكرة، وقد يضيفوا لها الهيل والزنجبيل، كما استخدموا لها الفناجين الخزفية المصنوعة محلياً، وربما بلغ بهم الأمر إلى بناء دكه (يسمونها الرقدة) بغرفة الاستقبال لطبخ القهوة وقلي البن والقشر، فتنبعث من عملية القلي رائحة شذية تعطر المكان (انتهى).

وذكر الأستاذ جعفر بن محمد السقاف[٢] أن دخول شراب القهوة إلى حضرموت كان قبل ٤٠٠ سنة وأنه غيَّر تصميم غرف المنزل بشبام، فخصصت منصة لصناعة القهوة وخزن أدواتها الكثيرة، وتبنى هذه المنصة في أحد أركان المنزل بارتفاع قدم واحد، ويحفر لها في الجدارين بزاوية الركن مكان للموقد، وله فوهة تخترق جدار المنزل إلى السطح لينفذ منه الدخان حتى تمنع اختناق المنزل، كما تحفر بالجدارين أرفف أفقيه متعددة لحمل أدوات القهوة الكثيرة، (مثل المدق، والكؤوس، والحطب، والفحم، ...الخ) وتزين هذه الأرفف بالنقوش والزخارف الجميلة، وتكون أهم واجهة بالمنزل تجلس إليها ربة البيت لصناعة القهوة (انتهى). وتتناول الأسر قهوتها وقت الضحى في مجلس عائلي شيق.

وذكر الرحالة المغربي الفاسي القهوة عند زيارته تريم في سنة ٨٦٥هـ فقال[٣] عند زيارته لأحد العلويين: فدخل علينا غلام معه القهوة فوضعها بيننا وذهب، فتناولها الشيخ وجعلها في آنية صغيرة من خزف، وناولني منها إناءاً واحداً وهنا قلت للشيخ: من أين يجلب لكم البن؟ فقال: من اليمن فقلت له: لعل كل ما تحتاجون إليه كذلك يأتيكم من اليمن

---

(١) محمد بن أحمد الشاطري أدوار التاريخ الحضرمي عالم المعرفة صفحة ٢٨٠.

(٢) جعفر بن محمد السقاف محاضرات عن الفن المعماري باليمن صفحة ٦.

(٣) مخطوطة رحلة المغربي إلى تريم صفحة ١٦.

فقال: لا وإنما هي القهوة فقط من اليمن، وأغلب ما نحتاج إليه إنما هو من بلادنا إلا إبر الخياطة، ومواسي الحلاقة، وكحل العيون، فيأتينا به الحجاج (انتهى).

وقد انتشرت القهوة بحضرموت وأصبحت توزع في نهاية الدروس العلمية بالمساجد والزوايا، ويتولى ذلك أناس مخصوصين لا يسمحون لغيرهم بمنافستهم في هذا الشرف، وقد ذكر صاحب كتاب الخبايا في الزوايا[١] أن الاختلاف في توزيع القهوة بين أهل الحاوي وأهل الحارة قد أدى إلى تعطيل الدرس بمسجد الأوابين بتريم لمدة قد تزيد على السنة.

وفي تحفة الأحباب أن الحبيب علوي بن عبدالله بن شهاب كان يتولى طبخ القهوة في مجلس شيخه الحبيب العلامة عبدالرحمن بن محمد المشهور، فعابه بعض الناس وقال له إنما أنت كحصاة المسيال يمر بها الماء ولا تستفيد منه، فتوقف عشرة أيام عن طبخ القهوة حتى اتصل به شيخه وقال له عد إلى طبخ القهوة وإن شاء الله تسبق جميع أقرانك[٢].

وأحب العلويين القهوة منذ قدومها حضرموت ويقول جد آل الحبشي الحبيب أحمد بن محمد الحبشي صاحب الشعب: اختص المتأخرون بثلاثة أشياء: ديوان بامخرمة، وشرح الحكم لابن عباد، والقهوة البنية، وقال الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي: والرابعة: كتب الحبيب عبدالله الحداد[٣].

ومن كلام الحبيب أبوبكر بن عبدالله العطاس (١٢١٦-١٢٨١هـ) إن أهل دوعن تسكن بيوتهم الجن لأنهم لا يطبخون القهوة، ومكانين لا يقربهما الجن: المكان الذي تطبخ فيه القهوة، والمكان الذي يوجد فيه الخيل، قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ

---

(١) عمر بن علوي الكاف الخبايا في الزوايا دار الحاوي صفحة ٩٦.

(٢) عمر بن علوي الكاف تحفة الأحباب دار الحاوي صفحة ٩٠.

(٣) عمر بن علوي الكاف تحفة الأحباب دار الحاوي للطباعة والنشر صفحة ١٧٧-١٧٨.

وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ الآية قال بعض المفسرين إنهم الجن[١].

ولكن لا يعني ذلك أن كل العلويين يحبون القهوة، ويشجعون على شربها، بل العكس فنجد واحد من كبار العلويين وهو الحبيب أحمد بن عمر بن سميط (١١٧٧-١٢٥٧هـ)، له رأي مختلف فهو ينتقد استخدام القهوة، ومن كلامه[٢]: وسبب ما نحن فيه (يقصد من بلاء) ضياع الاقتصاد في المعيشة، راحت الأموال في الكعدة، (آنيه خزفية لطبخ القهوة) وما ضاهاها من زوائد العوائد، ثم سأل كم يستغرق آل حضرموت في القهوة؟ فقيل له نحو ستين ألف قرش في السنة جفل (بن)، وسكر، ونحوهما ،قال هذي المبالغ باتقيم لنا والياً يسوق نحن إلى الجنة، ويرد نحن من طريق النار، ماذا نقول حين نسأل عن المال فيما أنفقناه؟ فاستحيوا من الله، شوفو الحجة قائمة علينا (انتهى).

وقال في موضع آخر[٣] ما منع من المال عن حق ذهب في الباطل أضعافه، ألا ترى هذه القهوة وتسلطها على الأموال، وما شاكلها من زوائد العوائد (انتهى).

ويقول الحبيب أحمد بن عمر بن سميط رضي الله عنه في موضع آخر[٤]: ومن كيد الشيطان هذه العوائد والتكلفات حتى يمضي عمر الإنسان وهو مهموم مغموم وذلك مقصد الشيطان اللعين ﴿لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾، فهذه العوائد مجبنة محزنة مبخلة، خصوصاً هذه القهوة التي وقعت على أهل الزمان محنة وفتنة على النساء والرجال. ثم قال: قال سيدنا عمر بن سقاف في تفريح القلوب: خرجت هذه القهوة التي فيها الجفل والسكر عن القهوة الممدوحة التي مدحها الصالحون (انتهى).

---

(١) علوي بن طاهر الحداد مخطوطة رحلة الحبيب أحمد بن حسن العطاس إلى هود صفحة ٤٦.

(٢) مجموع مواعظ وكلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط دار الفتح للدراسات صفحة ٣٠٤.

(٣) نفس المصدر صفحة ٤١٩.

(٤) نفس المصدر السابق صفحة ٢٢٧.

ونفهم من كلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط السابق أن انتقاده منصب على القهوة المتكلفة التي تحلى بالسكر وخلافه، وأن هناك قهوة عادية وهي التي مدحها الصالحون.

وقد يكتفي بعض الفقراء بالقهوة الحلوة بدلاً من العشاء الذي لا يتوفر لهم في أغلب الأحيان، كما ذكر ذلك الحبيب علوي بن عبدالله بن حسين السقاف بأنه قضى طفولته في بيت جده لأمه الشيخ طه باحميد بسيؤون وأنه إذا عملت قهوة حلوة (أي بالسكر) في البيت يقول جده لأهل البيت: هذه تكفيكم عشاء.

وتختلف مراسيم شرب القهوة بين الحجاز وحضرموت، فقد ذكر ابن عبيدالله في بضائع التابوت أن الحبيب حسين بن حامد المحضار زار أثناء حجه مع السلطان عوض بن عمر القعيطي سنة ١٣١٧هـ الشريف عون الرفيق شريف مكة، فقدمت القهوة، وبمجرد ما وضعوا الفنجال للحبيب حسين بن حامد أخذه وشرع في الشرب، فنظر إليه بعض أعوان الشريف شزراً، فنهرهم الشريف وقال: ما على الغريب عادة، وكان من عادتهم أن لا يأخذوا فناجيلهم إلا بعد أن يشرع الشريف في الشرب (انتهى)[١].

وعن طريقة شرب القهوة قال الجد ابن عبيد الله (١٢٧٩-١٣٧٥هـ) في العود الهندي[٢]: (وأفتى ابن حجر الهيتمي تبعاً لجماعة من علماء اليمن بحرمة إدارة القهوة على نحو ما تدار الخمر بين الشربة (انتهى).

بل بلغ الأمر ببعض السادة أن يقدموا القهوة عند ترتيب الفاتحة لاعتقادهم بالقبول معها، ولما اعترض أحدهم على هذا الاعتقاد قالوا له: سنطبخ القهوة الآن ونرتب معها الفاتحة بنية تطليق زوجتك، ولما حصل الطلاق عاد وطلب منهم طبخ القهوة وترتيب الفاتحة بنية إعادة زوجته.

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثاني/ صفحة ١٠٩.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف العود الهندي الجزء الثاني دار المنهاج صفحة ٢٨٨.

ويقولون في فاتحة القهوة[١]: (الفاتحة لمشايخ القهوة البنية، والسادة العلوية والصوفية، وكل ولي ووليه، ومن شربها بنية، أن الله يصلح الطوية، ويقضي الحوائج الدينية والدنيوية، بجاه خير البرية، أن يسهل البُنَين والعُوَين (المال)، ويقضي عنا الدين، ويصلح ذات البين، بجاه الحسن والحسين، وعمران بن حصين، وخديجة زوجة سيد الكونين، وإلى حضرة النبي سيدنا محمد ﷺ).

ويحب الصوفية القهوة البنية؛ لأنها تعينهم على السهر وقيام الليل. وبقيت القهوة بحضرموت إلى اليوم شرابهم الوحيد المفضل، حتى ظهر الشاي في مطلع القرن الرابع عشر الهجري، ووصلهم عن طريق الحجاز والشرق الأقصى، وذكر الأستاذ محمد بن أحمد الشاطري أن أول من جلبه لحضرموت السيد حامد بن عبدالله الجنيد.

أما دخول الشاهي إلى مدينة سيؤون فقد كان على يد السادة آل الحبشي، جلبوه من مكة حيث يعيش فرع من عائلتهم هناك، وقد تأنق السادة آل الحبشي في إعداد الشاي، وتفننوا في انتقاء أوانيه الزجاجية وعقد مجالسه الخاصة، ووضع القواعد الصحيحة لصبه وشربه.

وسئل الحبيب أحمد بن حسن العطاس هل للشاهي فاتحه مثل فاتحة القهوة؟ فقال: نعم فاتحة لأهل الكساء (أهل البيت) بالطريقة المناسبة، لأن الشاهي حلو وأهل الكساء أحلى شيء في الكون.

وذكر الحبيب عمر بن حامد السقاف أن الحبيب علي بن محمد الحبشي كان يجتمع على شرب الشاهي مع الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي، وللحبيب علي بن محمد الحبشي منظومة قالها في الشاهي قال فيها:

عند أهل الحضور فيه حضور[٢]

---

(١) منح العباده صفحة ٤٥٥.

(٢) طه بن حسن السقاف فيوضات البحر الملي في مناقب الحبيب علي صفحة ٣١٤و٣١٥.

قال الجد ابن عبيدالله (١٢٧٩-١٣٧٥هـ) في العود الهندي[1]: (ولأهل بلادنا ولع شديد بشرب الشاي، وتأنق كثير في طبخه وإدارته، وأنا وإن كنت لا أحبه فإنني أجاريهم في استعماله، وأنبسط كثيراً بمجلسه، ولي فيه عدة مقاطيع إذ قل ما يقترح علي في وصفه إلا بادرت بما يفتح الله به فمن ذلك قولي (واخترت منها بيتين):

لها صبغة من عندم قبل مزجها ... بماء وبعد المزج صفراء كالورس
زجاجاتها كالماء صفوا ورقة ... ولطفاً أتت من صنعة الروم والفرس

ثم أضاف ابن عبيدالله في موضع آخر[2] (وقد أفضى بأهل بلادنا الافتتان في استعمال الشاي والتأنق فيه إلى الاختلاف في كيفية صبه؛ فاختار بعضهم أن يكون إلى نصف الكأس، وأن يبقى أعلاه فارغاً وفي ذلك يقول شاعرهم:

وامتلاء الكؤوس قالوا معيبٌ ... ورأوا أنه على النصف زاهي

قال ابن عبيدالله: وبمجرد ما سمعتُ هذا البيت نقضته على صاحبه من طرف اللسان بقولي:

قال رب الأنام كأساً دهاقاً ... وهو رد لقول أهل الملاهي

ثم رأيت أن الشعراء اختلفوا من قبلنا في نظير ذلك، وأورد الأبيات التي قيلت في هذا الاختلاف (انتهى باختصار).

وذكر الحبيب محمد بن هادي السقاف أنه لما كان بمكة في رحلة حجه سنة **١٣٤٧هـ** ذكروا الشاهي وتولع الناس به، فأخبرهم السيد حسن بن محمد فدعق عن والده العلامة الصالح إمام الحرم في عصره أن القطب السنوسي أول من شرب الشاهي، وكان السنوسي

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف العود الهندي الجزء الثاني دار المنهاج صفحة ٤٧٨.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف العود الهندي الجزء الثاني دار المنهاج صفحة ٤٨٢.

المذكور يأمر الفقراء إذا سألوه أن يدعوا لهم بسعة الرزق بعمل الشاهي وشراء أدواته واستعماله، فيحصل لهم اليسار ويزول عنهم الإقتار، وأغلب من تعلق بالقطب السنوسي له تعلق بالشاهي وتولع باستعماله (انتهى)[١].

وقد تطورت ثقافة الشاي بحضرموت في السنين الأخيرة ودخلت البلاد منه أنواع كثيرة، منها المعطرة، ومنها التي بنكهة الياسمين، ومنها بنكهات أخرى متنوعة، ويخلط الحضارم حالياً أنواعاً مختلفة من الشاي؛ للحصول على مشروب فاخر، وقد اكتسبوا في ذلك خبرة واسعة.

ويستورد الشاي الموجود بحضرموت حالياً من كينيا، حيث يقل ثمنه كثيراً عن الشاهي الهندي والسيلاني، ويأتي الشاهي الكيني على شكل مسحوق ويخلط مع الشاي السيلاني للحصول على أفخر مشروب من الشاي.

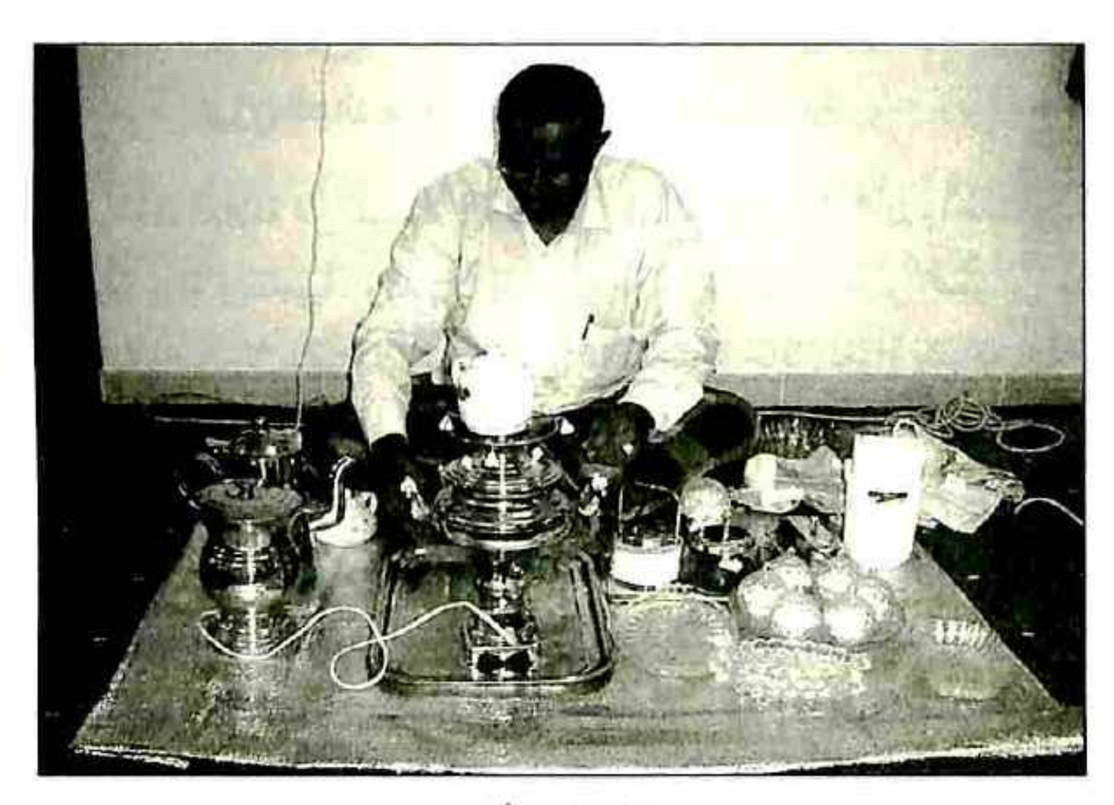
وفي كتاب لوامع النور أن الحبيب علوي بن عبدالرحمن المشهور(١٢٦٣ - ١٣٤١هـ) يحب الشاي الملبن فلما كان في زيارة السيد محمد بن مصطفى بن حفيظ جاءوا له بالشاي الملبن في براد عجيب، وكان الشاي منتوج السواحل، فلما شرب منه قال: يا محمد هذا شاي متقون. فرد السيد محمد هذا قليل في حقكم[٢].

ولقد تولع بعض السادة المتأخرين بحضرموت بالشاهي حتى أطلق لقب الشاهي على بعضهم، كما يتفنن أهل سيؤون تفنناً عظيماً في عدة الشاهي، ويعتبرونها من الأمور الأساسية في جهاز العروس.

---

(١) محمد شيخ المساوى المنحة الإلهية في الرحلة الحجازية مخطوطة صفحة ٢٦٧-٢٦٨.

(٢) أبوبكر العدني المشهور لوامع النور دار المهاجر للنشر والتوزيع الجزء الثاني صفحة ١١٣.



عدة الشاهي لدى أهل سيؤون

أما التبغ فأول ما ظهر بحضرموت في القرن العاشر وربما قبله، وانتشر بين الجند والبدو والجمالين من الرجال، وكان أهل العلم والوعظ يحاربونه، ومنهم من أفتى بتحريمه في ذلك الزمن. ومن أشد محاربي التبغ من العلويين الأوائل الحسين ابن الشيخ أبي بكر بن سالم صاحب عينات المتوفى سنة ١٠٤٤هـ، فقد بلغ به الأمر في محاربة التبغ أن اشترى جميع ما هو موجود منه بحضرموت، وأمر ولاة الأمر بحضرموت بمنع دخوله، ومصادرة ما يدخل البلاد منه، ونودي بذلك المنع في الأسواق، وتحقق له غرضه بفضل إخلاصه، ووجاهته لدى الأمراء والسلاطين.

ولكن كما ذكر الأستاذ الشاطري فقد عاد التبغ إلى حضرموت، وأصبح التنباك يزرع بسواحل حضرموت، بل واشتهر التبغ الحضرمي بجودته، وتولع العامة باستخدامه حتى ليقول شاعرهم في شعره:

قـال بـداع القـوافي   كـل مـن عمـر يمـز
بوري التنباك عنـدي   خـير مـن مـدين رز

وذكر الجد العلامة ابن عبيدالله في مخطوطة بضائع التابوت[1] أن واحداً من شيوخ شبام كان فيه جفاء وعنجهية، وكان لا يصغي لكلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط، (١١٧٧-١٢٥٧هـ) ولا يلتفت لإرشاده، حتى كان اجتماع حافل لعزاء بشبام، فلما صافح هذا الرجل الحبيب أحمد بن عمر سقط كيس تنباكه في حضن الحبيب أحمد بن عمر، وكان شديداً في النهي عنه، فقال الحبيب أحمد: لمن هذه الحبيبة (وهي اسم لنوع من المكسرات بحضرموت) التي وقعت في ثوبي، خذوها فأخذوها منه، فارعوى ذلك الشيخ وقال: لا أقدر اليوم على مجازاة أحمد بن عمر الذي رد تنباكي حبيبة وأقلع عن التدخين، وأمر كل من يأتمر بأمره أن يقلع عن التدخين، وكانوا أكثر من الثمانين ولم يغب بعد ذلك عن دروس الحبيب أحمد بن عمر حتى تحصل له خير كثير (انتهى).

وأخفى السيد عبد القادر باعقيل السقاف نزيل مكة وهو من أصحاب النوادر والمتوفى سنة ١٣٦٧ رشبته في ردائه وهي معمولة من ثمرة النارجيل، ودخل الحرم وكان هناك تشدد في ذلك الوقت على شرب الشيشة والتتن، ولما بدأ يطوف شد أحدهم معطفه فسقطت الشيشة على الأرض، فلم يكمل الطواف بل أطلق لساقيه الريح، ولما وصل البيت بسلام قال لأهله كان أهون علي أن تبول على رأسي عشرون تكرونية (أفريقيه) ولا يحصل لي ما حصل اليوم.

وذكر الحبيب أحمد بن حسن العطاس[2] أن الحبيب عبدالله بن عمر بن يحيى اتفق بمكة برجل من الفقهاء ينكر على الصوفية وغيرهم، وكان يشرب التنباك فقال له الحبيب عبدالله: شرب التنباك غير لائق بك لعلمك، وكونه منتن كريه الرائحة، ومكروه الاستعمال فقال له: وأنتم تستعملون القهوة وهي مختلف فيها فقال له: هلم إلى الإنصاف أنا بأعمل

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثالث صفحة ٢٠.

(٢) رحلة الحبيب أحمد بن حسن العطاس لزيارة هود مخطوطة جمع الحبيب علوي بن طاهر الحداد صفحة ٤٧.

القهوة وآتي بها إلى الحجر في الحرم با أشربها فيه وتأتي أنت برشبتك (الشيشة) إلى الحرم وننظر.. فمن أنكر عليه المسلمون فهو المخطئ فعند ذلك أنصف الرجل من نفسه (انتهى).

وينصح الحبيب مصطفى المحضار أهل الغيل في مسألة التنباك فيقول (والغيل رّيض بأهله، ساحات واسعة، وأنهار جارية، وأثمار سارية، لولا عشقهم لهذا التنباك ما شفناه أورثهم إلا ضعف وضناك، ما شفنا أحد ربح منه، ولا حد استغنى منه، من طلع رقدتين انتكس في أربع رقد، وكم قد شفنا وسمعنا، ثم قال: والغيل إلا غيل الرحمة كانوا أهله في نعمة ما يزرعون إلا المزارع المباركة[1] (انتهى باختصار)

وورد في مخطوطة بضائع التابوت[2] إن الحبيب أحمد بن محمد المحضار (١٢١٧-١٣٠٤هـ) خرج للمسجد يتهجد آخر الليل، فشم رائحة التنباك بالمسجد فقال: ما هذا فإذا أخوه صالح قدم من حبان، فتعانقا ثم قال له: ما هذا؟ قال تنباك أنا استعملته فقال له: استعملته في المسجد! أما علمت أنه يطرد الملائكة؟ فقال له: ليس في مسجدك ملائكة حتى يطردهم تنباكي.

وكان أحد السادة يستعمل التبغ بتريم، وله مزرعة نخيل بتريم إلا أن شخصاً من الصالحين يدعى الشيبة سالمين تولع بأكل تمرها كلما نضجت ثماره، فاشتكى السيد للزعيم أبي بكر بن شيخ الكاف، فلما استدعاه قال سالمين إن هذا السيد خرج عن طريقة أهله باستعماله التبغ، ولن أتوقف عن أكل تمر هذا السيد حتى يرجع إلى طريق أهله.

وفي تحفة الأحباب[3] أن الحبيب علوي بن عبدالله بن شهاب يذم من يتعاطى الدخان، ويطيل الكلام في ذمه وذم متعاطيه، ويقول: أنا أعرف صاحبه وأميزه من بين مئة نفر.

---

(١) محمد عبد الله المحضار خواطر وأفكار من مكاتبات الحبيب مصطفى المحضار تريم للدراسات صفحة ٣٠٧.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثالث صفحة.

(٣) عمر بن علوي الكاف تحفة الأحباب دار الحاوي صفحة ١٥٨.

ومما جاء في رحلة الحبيب محمد بن هادي السقاف (١٢٩١-١٣٨٢هـ) حين سفره لفلسطين لزيارة المسجد الأقصى سنة ١٣٤٧هـ قال صلينا الجمعة بالمسجد الأقصى وبعد الصلاة سرنا إلى بيت السيد الشريف الحاج أمين الحسيني مفتي الحرم المقدس، ووقعت عنده جلسة عجيبة، ولما جلسنا أتى إلينا الخدم بالتنباك ظناً منه أنا نشربه لكونهم لا يرون فيه باساً، فاعرضنا عنه جميعاً فقال السيد أمين للسيد محمد بن هادي: لم لا تشربون التنباك؟! أحرام أم حلال؟ فأجابه السيد محمد: أنا لا نألفه لأن أبناء جنسنا وأجدادنا المتقدمين ومن رأيناهم ومشايخنا لا يتعاطونه، ولا يشربونه شراباً ولا نشوقاً ولا مضغاً قال السيد أمين: وهو أولى بكم وأحسن، وأنتم المغبوطون إذ غاية الأمر لو كان مكروهاً فهو ضياع مال بلا فائدة، فالأولى والأحسن إعدامه من بلاد المسلمين[1] (انتهى).

وذكر والدي ـ يحفظه الله ـ أن والده الحبيب علوي بن عبدالله بن حسين السقاف (١٣١٥-١٣٩٢هـ) كان بالمدينة، ولما علم بوجود المقرئ الشيخ عبدالباسط عبدالصمد بأحد فنادقها عزم على زيارته، إلا انه لما رآه يتناول الدخان عزف عن هذه الزيارة.

أما القات المخدر فلم يعرف بحضرموت إلا في سنين متأخرة، عندما كان بعض الشباب الأثرياء يأتون ببعض حزمه إلى حضرموت، ثم انتشر استعماله في السنين الأخيرة وإن ندر ذلك بين السادة العلويين، وحاربه الدعاة والمصلحون وألزموا الحكومة بنقل سوق بيعه إلى منطقه بعيده من تريم، يحس من يرتادها بأنه يفعل فعلاً مستنكرا.

وتكلم المؤرخ صلاح البكري عن القات أثناء زيارته لعدن سنة ١٩٤٧ فقال[2]: (والقات شجرة تنموا في اليمن، ويهتم اليمنيون بزراعته كثيراً، ومضغه ليس تسلية أهل اليمن فقط، بل وأهالي عدن أيضاً، ولا أثر له والحمد لله في حضرموت، وتجارته رابحة لكثرة عشاقه،

---

(١) عبدالرحمن بن أحمد الكاف جراب المسكين صفحة ٢٣١.

(٢) صلاح البكري في جنوب الجزيرة العربية مكتبة الثقافة الدينية بمصر صفحة ٢٠.

وتكلف الحزمة المكونة من ستة أغصان حوالي اثنا عشر عانة، ولكن المولعين به يصرفون أكثر مما يصرفه المدخنون في السجائر، وحين كنت في عدن مضغتُ ورقة منه مندفعاً بحب الاستطلاع فشعرت بأنه قذارة، ولكن عندما يتعوده الإنسان يجعله يشعر بنكهة غريبة تدوم مادام الشعور غير مفقود، وهو كما يزعم بعضهم ينبه الشعور، ويرهف الذكاء، وإني لا عرف أن أكثر المدمنين للقات في أشد الحاجة إلى شحذ ذكائهم، وتنبيه حسهم، ونتائجه لا تدوم إلا وقتاً قصيراً، وأحب الأيام لتعاطيه هو يوم الجمعة، وهو يوم الإجازة حيث يجتمعون لذلك، ويأتي كل منهم إلى مكان الاجتماع حاملاً معه حزمة من القات، وكل ما يعمله المضيف إحضار المبصقات، وبعد حوالي ساعة من مضغ القات تبدأ النكت والقصص، ومجالسهم تشبه إلى حد كبير مجالس الصينيين المدمنين للأفيون.

ويجب أن يكون القات طازجاً وإلا فإنه عديم النفع، وتجمع غصونه في الصباح المبكر وتحزم داخل حشائش وأغصان خضراء لحفظه طازجاً، ثم تنقل على الجمال إلى لحج ومنها بالسيارات إلى عدن (انتهى).

قال ابن عبيدالله[١] واتفق لما كنت باليمن أن جرت بيني وبين جماعة من الأعيان والعلماء محاورة في القات، فأنشأت أبياتاً في ذمه على البديهة، ولما دخلت على الإمام وقد انتهى إليه الخبر قال: إن إخوانك رفعوا دعوى عليك في تعرضك بالذم للقات وأنا اقترح عليك مدحه، فأنشأت من لسن القلم أبياتاً تستهل بقولي:

طابت لنا بأبي الأشبال أوقات   يكمل الأنس في أثنائها القات

وجاءت لزومية وبما أن المستأجرة ليست كالثكلى لم تنطلق لساني في مدحه بغير ما في الشطر الثاني من هذا البيت، ثم تحول علي مجرى القول ولا أذكر هل كان مولانا أمير المؤمنين يتناول منه أم لا؟ ولكنه يوجد في مجلسه الشريف (انتهى).

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثاني صفحة ٧٥.

وذكر والدي السيد محسن بن علوي السقاف أنه لما كان بمقام الإمام أحمد حميد الدين سنة **١٣٦٣** هـ كان القات بمجلس الإمام، وقد يتناول أحياناً منه ورقه، وقد أعطاني غصناً منه على سبيل التكريم.

وذكر باحمدان في كتابه عهد السلطان صالح بن غالب القعيطي أن السلطات في المكلا كانت تمنع دخول القات عبر المنافذ الجمركية، وتصادر أي كمية تصل منه، بل تجبر حامليه على دفع غرامية مالية أو السجن[١]. وقال ورغم ذلك فقد كان بعض سكان حضرموت والمهرة وهم بأعداد محدودة للغاية يتعاطون القات سراً، ويسعون إلى جلبه إلى حضرموت بالتهريب، وبعض هؤلاء كان يستعين بنفوذه السياسي أو الإداري أو المالي لإدخال القات المهرب إلى حضرموت[٢].

ولمعرفة حجم مشكلة القات باليمن ذكر الدكتور محمد فارع الدبعي[٣] أستاذ الموارد المائية بجامعة صنعاء: أن القات يحتل المرتبة الثانية بعد الغذاء في إنفاق الأسرة اليمنية الذي يتراوح بين **٢٦-٣٠**٪ من دخلها. وذكر الدكتور الدبعي: أن الخطة الخمسية للتنمية قدرت حجم الإنفاق الشعبي على تعاطي القات بنحو **٢٥٠** مليار ريال يمني سنوياً، كما تستنزف شجرة القات أكثر من **٣٠-٤٠**٪ من المياه المستخدمة في الزراعة هذا المحصول الذي تزداد زراعته بنسبة **٩-١٠**٪ سنويا على حساب المحاصيل الأخرى، (انتهى).

وذكر لي أحد متعاطي القات والعهدة عليه: أن متعاطي القات يمر بثلاث مراحل تبدأ أولا بالفرفشة والنكات، ثم يعقب ذلك فترة هدوء وصمت، وبعد ذلك تأتي الخيالات والأفكار، وذكر أحد أصدقاء والدي: أنه لما كان باليمن تناول بعض القات على سبيل التجربة

---

(١) محمد سالم باحمدان عهد السلطان صالح بن غالب القعيطي **١٤٢**.

(٢) محمد سالم باحمدان عهد السلطان صالح بن غالب القعيطي **١٤٢**.

(٣) صحيفة الايام العدنيه **٢٠** فبراير **٢٠٠٩** صفحة **٥**.

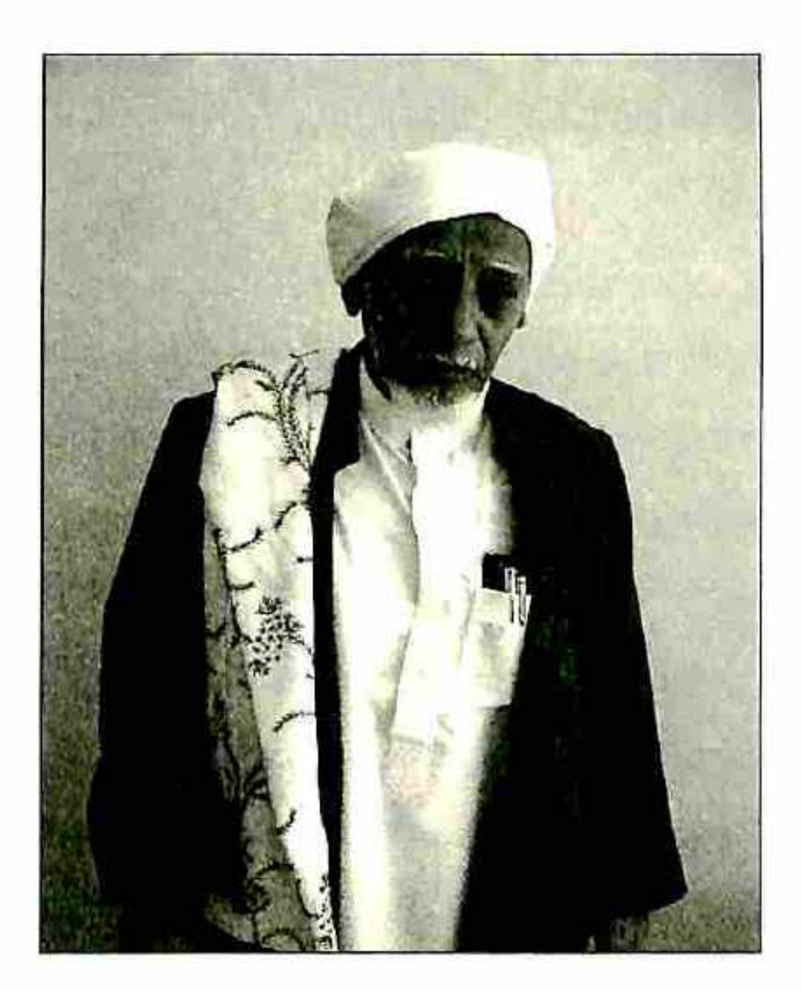
ولكنه لما شعر بحشر البول وذهب للحمام ارتبكَ، ولم يعرف من أين يبول؟ وعاد لأصحابه مرتبكا، فسقوه اللبنَ بسرعة، وهو يذهب بتأثير القات وبعد شرب اللبن عاد طبيعياً.

هذا وقد عرفت ببعض مناطق حضرموت نبتة الخشخاش وتسمى الجليجلة وكانت العلاج الوحيد المتوفر لمرض ضيق النفس، وقد يضطر بعض المصابين إلى تدخينها ولو في داخل المسجد.

❊ ❊ ❊

الفصل السادس والعشرون

ملابس العلويين



السيد سقاف بن عبد القادر السقاف (كريسان)

قال ابن عبيدالله في إدام القوت[١]: والسادة العلويون بحضرموت على طبقات ثلاث، **أما من المهاجر إلى الفقيه المقدم**: فكانوا على أزياء الصحابة وهيئتهم وأسلحتهم.

وأما الطبقة الثانية: فهي طبقة الفقيه المقدم إلى العيدروس والفقيه أول من ترك السلاح من العلويين، وسلك طرق الصوفية، ولبس الخوذة الصوفية، وهذه هي الطبقة التي وصفها المغربي في رحلته بالملائكة.

أما الطبقة الثالثة من العلويين بحضرموت: فمن العيدروس إلى تمام القرن الثالث عشر، وتساءل ابن عبيدالله هل هجر العلويون من رجال هذه الطبقة العمامة رأساً؟ أم كانوا لا يلبسونها إلا في الرسميات؟

وذكر ابن عبيدالله أن السيد محمد بن علوي بن أحمد بن الفقيه المقدم اشتهر بصاحب العمائم بعد أن احترقت عليه عدة عمائم بسبب الاستغراق في المطالعة بجوار السراج إلا أن ذلك لا يؤكد كما استنتج ابن عبيدالله الاستمرار في لبس العمائم لأن صاحب العمائم لم يكن يلبسها بحضرموت، وإنما كان بمقدشوة من أرض الصومال حيث كان هاجر إليها لطلب العلم على العلامة الشيخ محمد بن عبدالصمد الجوهي[٢].

قال ابن عبيدالله وفي مناقب سيدنا الحسن بن عبدالله الحداد المسمى المواهب والمنن لحفيده العلامة علوي بن أحمد ابن الحسن ما نصه: (ولم يلبس بعد الحج إلا الخوذة والبثت من غزل الحاوي، والسبير فوق الشقة وفي البيت الشقة والكوفية البيضاء المخرمة والعمامة للجمعة والزيارة والأوابين في البلد وسروال وقميص من البفْت، وفوقه أيضاً بفت وكان حجه في سنة **١١٤٨**هـ.

وقد استقر العلويون بلباس أبيض يعرفون به وهم يتحرون الحشمة في اللباس ويهتمون

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلدان حضرموت مكتبة الإرشاد صفحة **٥٠٦**.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مكتبة الإرشاد صفحة **٥٠٦-٥٠٧**.

بذلك، كما نرى في كلام الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر (١١٩١-١٢٧٢هـ) الذي يقول: ومن المنكرات الفاحشة كشف العورات عند من يحرم نظره إليها، وقد تساهل الناس بذلك جداً، حتى أنه صار لا ينكر ولا يستقبح ذلك، فترى الرجال يتماشون ويتجالسون ويتحدثون ويحترفون وشيء مما بين السرة والركبة مكشوف ظاهر بارز عمداً، ولا ينكر بعضهم على بعض ذلك، ولا ينكر عليهم غيرهم مع معرفته بحرمة ذلك.

وكذلك النساء يمشين في الطرقات ويجلسن مع الرجال الأجانب من أهل الحرف وغيرهم، وشيء مما يجب ستره تكشفه عمداً للرجال ولا يرون ذلك حراماً ولا قبيحاً ولا عاراً ولا فضيحةً، ومعلوم أن عورة الرجل ما بين سرته وركبته في الصلاة وخارجها، وعورة الأنثى عند الرجال الأجانب جميع بدنها، ولا يجوز للرجل أن يصافح أجنبية أو تصافحه قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ الآيتين، وقال رسول الله ﷺ: «**النظرة سهم مسموم من سهام إبليس، فمن تركها خوفاً من الله أعطاه الله إيماناً يجد حلاوته في قلبه**» (انتهى باختصار)[١].

وعن ألوان العمامة قال ابن عبيدالله في العود الهندي نقلاً عن ابن حجر في تحفته: والأفضل في لونها البياض، وصحة لبسه ﷺ لعمامة سوداء، ونزول أكثر الملائكة يوم بدر بعمائم صفر وقائع محتمله فلا تنافي عموم الخبر الصحيح الأمر بلبس البياض، وأنه خير الألوان في الموت والحياة كذا قال الشيخ[٢].

قال ابن عبيدالله: ثم العمامة سنة للصلاة، وللتجمل خارجها، وتحصل السنة بكونها على الرأس أو نحو قلنسوة تحتها، وينبغي ضبط طولها وعرضها بما يليق بلابسها عادة في زمانه ومكانه، فان زاد فيها على ذلك كره[٣].

---

(١) مجموع كلام الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر صفحة ١٢١.

(٢) عبدالرحمن بن عبيد الله السقاف العود الهندي دار المنهاج الجزء الثاني صفحة ٥٠٢.

(٣) عبدالرحمن بن عبيد الله السقاف العود الهندي دار المنهاج الجزء الثاني صفحة ٥٠٣.

وإذا تساءلنا متى يبدأ العلويون بلبس العمامة فإننا نستفيد في معرفة ذلك من كلام الحبيب أحمد بن حسن العطاس الذي يقول:كان السلف لا يتركون الولد يضع العمامة على رأسه حتى يحفظ البداية ويحفظ أذكاره[١].

وقد اشتهر العلويون بلبس البياض، ولعلهم يتبعون في ذلك هدي النبي المصطفى ﷺ كما جاء في الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**البسوا من ثيابكم البياض فإنها من خير ثيابكم، وكفنوا فيها موتاكم**»، رواه أبوداود، والترمذي وقال حديث حسن صحيح[٢].

ويبدوا أن الحضارمة لبسوا السواد شعار العباسيين في فترة الخلافة العباسية، ولم يكن ذلك باختيارهم كما يوضح ذلك ما ورد في كتاب المشرع الروي[٣] من أن معن بن زائدة الشيباني لما كان والياً على قطر اليمن من قبل المنصور العباسي أرسل أخاه أميراً على حضرموت، فتظاهر بالفسق، وأكثر في الحضارم القتل فقتلوه، ولما بلغ معن بن زائدة مقتل أخيه أمر بسد العيون بحضرموت وقطع الأشجار، وكانت حضرموت كثيرة الأشجار، كثيرة العيون، كما أمر أهل حضرموت بلبس السواد، ثم استمرت عادة الحضارم بلبس السواد، بل والتزين بلبس السواد وقد قال: الشيخ عبدالله بن عمر بامخرمه في شرح العدة والسلاح: إن أهل حضرموت يعدون بعض أنواع السواد من الزينة.

وذكر الجد ابن عبيدالله[٤] أن حضرموت كانت مضرب المثل بحسن النسيج، ففي حديث الهجرة أن علياً تسجى ببرد النبي ﷺ الحضرمي الأخضر، وأخرج ابن سعد بسنده

---

(١) علوي بن طاهر الحداد مخطوطة رحلة الحبيب أحمد بن حسن العطاس إلى هود صفحة ٧٤.

(٢) الإمام النووي رياض الصالحين دار المأمون للتراث صفحة ٣٤٤.

(٣) المشرع الروي في مناقب السادة آل أبي علوي لمحمد أبي بكر الشلي باعلوي صفحة ٢٩٦.

(٤) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مكتبة الإرشاد صفحة ١٩.

إلى عروة بن الزبير أن ثوب رسول الله ﷺ الذي كان يخرج فيه إلى الوفد ورداؤه حضرمي، طوله أربعة أذرع وعرضه ذراعان وشبراً.

وعلى العموم فقد تغير لباس أهل حضرموت حسب تغير الزمان وتحسن الأحوال الاقتصادية، كما ورد في مجموع مواعظ وكلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط[١] (١١٧٧-١٢٥٧هـ) الذى قال: قال لي عبدالله بالسعود قال لي الحبيب جعفر بن أحمد بن زين الحبشي (متوفى بالحوطه سنة ١١٨٠هـ): أدركنا أهل شبام ثلاث طبقات: أول طبقة: لباسهم كوافي بيض، ورودادي (أرديه) شمال. وثاني طبقة: كوافي سوسي، وملاحف بيض. وثالث طبقة: كوافي صنعانيات من نصف قرش، وملاحف سود. ثم قال: ومن بعد توسعوا في الأشياء صوف محبوك الأطراف وموشى) وكوافي صنعانيات من قرشين، ورجعوا في غرب طويلة، وعوائد قدوتهم فيها النساء، ومن لا خلاق له ممن عقله عقل النساء (انتهى).

وفي التلخيص الشافي[٢] أن السيد عبد الله بن أحمد بلفقيه كتب في شجرة السادة أن السيد طه بن عمر الصافي (المتوفى سنة ١٠٠٧هـ) لم يتغير على ما كان عليه من صفات السلف الصالح، وهو أنه يلبس في الشتاء دراعة، ـ أي قميصاً غير كبير ـ وخودة، وفي الصيف شقة حزامه، وشقة بيضاء يتجول بها، وعمامة نظيفة ويوم الجمعة دراعة أي قميصاً (انتهى).

وفي التلخيص الشافي[٣] أيضاً أن الحبيب عمر بن طه بن عمر الصافي (المتوفى سنة ١٠٥٣هـ) غلب عليه التصوف، ومع ذلك كان حاله جمالياً، ويلبس ملابس فاخرة مما أحله الشرع، وكان يحب الطيب والتطيب، وإذا صلى العصر خرج يتمشى إما إلى حائط (حديقة) المسجد فيجلس تحت شجرة ليم (ليمون)، أو إلى وادي جثمة المشهور بسيؤون، أو إلى مكانه المعروف بالقرن (وهو مخترف سيؤون) (انتهى باختصار).

---

(١) مجموع مواعظ وكلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط دار الفتح للدراسات والنشر صفحة ٢١٧.

(٢) علوي بن عبدالله السقاف التلخيص الشافي صفحة ٢٠.

(٣) علوي بن عبدالله السقاف التلخيص الشافي صفحة ٢١.

ووصف السيد علي بن حسن العطاس في سفينة البضائع الحبيب أحمد بن زين الحبشي فقال: جئت إلى شبام وأنا في نحو أربعة عشر سنه وسرت مع الخال بكار بن محمد إلى مسجد بن أحمد وفيه سيدي العلامة محمد بن زين بن سميط، فبينما نحن جلوس إذ دخل علينا الحبيب أحمد بن زين كأنه البدر في تمامه، وعليه كساء أبيض فاخر، قميصان وعمامة وشال أبيض مشجر بأسود[١].

وذكر العلامة محمد بن أحمد الشاطري[٢] أن أهل حضرموت يعتنون بزراعة القطن ويغزلونه بواسطة مغازل خشبية معروفه تصنع بحضرموت، وتستعملها النساء في البيوت لغزل خيوط النسيج التي تسلم فيما بعد للحاكة، حيث ينسجون منها جميع أنواع الثياب التي تكفي السكان، وتصدر للخارج، ومنها المصبوغ، ومنها الصافي، وبلغ النسيج الحضرمي غاية من الإحكام، وتضاف له أحياناً الخيوط الحريرية، ويرسل إلى البلاد المجاورة كاليمن والحجاز، حيث يباع بأثمان باهضة.

وفي رحلة السائح المغربي إلى تريم[٣] سنة **٨٣٢**هـ قال: وسألت الشيخ من أين تجلب لكم القهوة؟ فقال: من اليمن فقلتُ له: لعل ما تحتاجون إليه أيضاً يأتيكم من اليمن فقال: لا وإنما هي القهوة فقط من اليمن، وأغلب ما نحتاج إليه من بلادنا إلا أبر الخياطة، ومواسي الحلاقة، وكحل العيون، فيأتينا به الحجاج مع رجوعهم من الحج. فقلتُ له: وهذه الثياب تنسجونها هنا؟ فقال: نعم، وتزيد عن الحاجة فيذهب بها التجار إلى اليمن فيبيعونها هناك معاوضة عن البن.

وكان للبز الحضرمي وكلاء يستوردونه ويبيعونه، قال ابن عبيدالله في بضائع التابوت:

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مكتبة الإرشاد صفحة **٣٠٣**.

(٢) محمد بن أحمد بن عمر الشاطري أدوار التاريخ الحضرمي الجزء الثاني صفحة **٥٧**.

(٣) رحلة السائح المغربي إلى تريم مخطوطة صفحة **١٦**.

ولما كنتُ في صنعاء عام ١٣٤٩هـ اجتمعت بأربعة من آل السقاف يعيشون في فقر مدقع حتى لقد بلغ أكثرهم سن الكهولة ولم يقدر على التزوج، وكان يتعيشون من دلالة البز الحضرمي ولهم بها مرسوم إمامي شريف، عليه إمضاء الأئمة المتوكل محمد بن يحيى بن منصور، والثاني هو المنصور بن علي المهدي، وقد فقد آل السقاف المذكورين سلسلة انتسابهم.

وكان الحبيب سقاف بن محمد بن عمر (١١١٥-١١٩٥هـ) شديد الورع حتى في ملبسه فكان إذا أراد ثوباً اشترى العطب (القطن) وأعطاه من النساء من تفرح بتجهيزه ويعطيه الحائك المشهور بالورع[١].

وكان يقول: إذا لبس ثوبه المستخدم في ستر العورة الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة، وكان يقول إذا لبس ثوباً جديداً لأول لبسه الحمد لله الذي كساني هذا الثوب ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة، وإذا رأى على إنسان ثوباً جديداً قال ألبس جديداً، وعش حميداً، ومت شهيداً، وقد يقول ابل واخلق.

و إذا أبلى الحبيب سقاف بن محمد بن عمر (١١١٥-١١٩٥هـ) شيئاً من ثيابه أعطاه أحدا من النساء تصدقاً منه، ويقول اجعلوه قميصاً للصلاة حتى يبلى ذلك الثوب كله في ذات الصلاة[٢].

أما السيد أحمد بن علي الجنيد (١١٩٧-١٢٧٥هـ) فيحرص أن تكون ملابسه كلها نسيج حضرموت، أما الملابس الفاخرة التي يرسلها له أخوه عمر من سنغافورا فيكدسها في خزائنه ولا يستعملها، ويقول: إن في استعمالها إضرار بالإنتاج المحلي، وأن أناساً بتريم عملهم النسيج ،فإذا استعملنا نحن هذه الأقمشة المستوردة؛ فسوف تبور منسوجاتهم فيتعطلون وتسوء حالتهم المادية، كما أن منسوجاتنا المحلية صنعها قوم مؤمنون بالله يذكرون

---

(١) المرجع السابق صفحة ١٦٦.

(٢) كتاب نشر محاسن الأوصاف تأليف الحبيب حسن بن سقاف السقاف صفحة ٢١٨.

الله تعالى حين غزلها وحين نسجها، أما المستوردة فقد نسجها قوم غير مؤمنين فما نرى فيها بركه مثل هذه المنسوجة لنا (انتهى)[١].

ويتكون لباس العلويين من إزار أبيض طويل الأكمام، وله جيب علوي وجيبان سفليان، ويلبس غالبية العلويين تحت الإزار الفوطة الجاوية باللون الأبيض، وحزام عريض به جيوب بالناحيتين؛ تحمل الساعة وما توفر من مال والأوراق المهمة، أما الجيب العلوي ففي الأغلب لا يحتوي شيء؛ وإنما يستخدم حالياً لمحفظة النقود والمسواك.

ثم الكوفية البيضاء التي تلف حولها العمامة التي تختلف في شكلها باختلاف مناطق سكنى العلويين، ويكتمل الزي بالسترة المسماة بالطويلة والتي تلبس فوق الإزار، هي طويلة تصل إلى العقبين ومفتوحة من الإمام، لوها أكمام طويلة واسعة، وتكون في الغالب من القماش الأبيض، وفي الشتاء تعمل السترة من قماش الصوف الداكن اللون.

وتكون اللحية صغيرة ومهذبة، والشوارب مقصوصة ولا يستبقي شعر العارضين إلا في القليل منهم.



بعض العلويين بمدينة جدة بالمملكة العربية السعودية

(١) عبدالقادر بن عبدالرحمن الجنيد العقود العسجدية صفحة ١٢٢.

ويتأثر لباس العلويين المتأخرين بحسب تأثير مهاجرهم فليس لعامة العلويين المقيمين بالمملكة العربية السعودية والخليج لباس مميز، فلباسهم هو لباس بلاد مهجرهم إلا أن الكهول منهم يلبسون الثوب الأبيض، ويعتمرون كوفية بيضاء مشيشة، وغترة بيضاء بلا عقال، ومن النادر جداً أن يلبسوا الشماغ الأحمر، إلا الشباب منهم تولعوا بلبس الشماغ الأحمر، أما رجال العلم من العلويين المقيمون بالمملكة العربية السعودية فقد يلبسوا أيضاً عمامة على الرأس، ويضعوا شالاً على الكتف.

ويلبس العلويون المقيمون بشرق أفريقيا مثل السادة آل بن سميط الألفية وفي الغالب بلا عمامة.

ولا يعرف العلويون ولا الحضارم على وجه العموم في السابق لبس السروال الداخلي إلا أن الأمور تغيرت في الزمن المتأخر.



صورة عملة جزر القمر وعليها صورة الحبيب عمر بن أحمد بن سميط

هذا ويلبس رجال العلم والدين بحضرموت من العلويين وغيرهم ملابس متشابهة، بل إن بعض السلاطين قد يتزيى بنفس زي العلويين، مثل السلطان عمر بن جعفر الكثيري، وقال الحبيب أحمد بن عمر بن سميط أن السلطان علي بن بدر (بن عمر بن بدر أبي طويرق

المتوفى بالشحر سنة ١١٠٧هـ) كان زيه زي الصوفية بياض، ولما رأى هذا السلطان أن بعض السادة يتزيا بزي مخالف لزي أهله العلويون أمر بحبسه، ونزع ما عليه من كساء وغيره بغيرة، ثم بعد مدة أخرجه من الحبس وأرسل للحلاق فحلق له شعره وأخرج له بقشة كساء أبيض وألبسه منها، وقال له: هذا زيك، وخلنا اسمع بك في تريم من مدرس إلى مدرس فانتجب السيد المذكور وصار مدرساً، وكان إذا رتب الفاتحة ابتدأ بالسلطان علي بن بدر قبل الفقيه المقدم فقيل له كيف ذلك فقال ماردنا شريف إلا السلطان[١].

كما اشتهر الأمير عبدالله بن عمر القعيطي[٢] بلبس البياض وعندما هاجم آل كثير شبام على حين غره وقاربوا على الاستيلاء عليها مر بهم الأمير عبدالله بن عمر القعيطي على حصانه وهو يلبس البياض، فظنه آل كثير من العلويين فلم يعترضه أحد، وتمكن الأمير عبدالله بعد ذلك من إعادة تنظيم جنوده وعبيده ودحر آل كثير عن مدينة شبام.

وممن عرف بلبس الزي الصوفي العلوي أسد البحار الملاح العربي الشهير أحمد بن ماجد السعدي[٣] المتوفى بعد سنة ٩٠٠هـ كما أورده الدكتور عبدالهادي التازي في كتابه ابن ماجد والبرتغال، فقد ذكر أن ابن ماجد كان متصوفاً، وأن بعض أراجيزه احتوت على بعض الأبيات للعيدروس، وهو الإمام السيد أبا بكر بن عبد الله العيدروس المشهور بالعدني المتوفى بعدن سنة ٩١٤هـ، والذي كان مكرماً للضيوف والأصدقاء والقاصدين، محسناً إلى ذوي الحاجات والأرامل والأيتام، وذكر الكاتب أن الأمر الذي يجعلنا نعتقد أن ابن ماجد كان يتحدث في أراجيزه عن الحالة في سنة ٩١٤هـ = ١٥٠٨م وهي السنة التي توفي فيها شيخه السيد أبي بكر بن عبدالله العيدروس، وهي نفس السنة التي اتجه فيها الملاح الأسباني البوكيرك نحو مملكة هرمز.

---

(١) مجموع كلام ومواعظ الحبيب العلامة أحمد بن عمر بن سميط دار الفتح للدراسات والنشر صفحة ٢٦٨.

(٢) بضائع التابوت في نتف من تاريخ حضرموت للعلامة الجد عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف (مخطوطة).

(٣) دراسات عن العرب والإسلام في شرق أفريقيا للسيد حامد بن أحمد مشهور الحداد دار المنهاج صفحة ٥٥.

وذكر السيد محمد بن أحمد الشاطري في كتابه أدوار التاريخ الحضرمي أزياء الحضارمة فقال: يستعملون العمائم بأشكالها، والجبب، والحلل، والأزر، والبرود، والسراويل، ومنهم من يكتفي بالبعض منها خصوصاً سكان البوادي، أما ميسوري الحال فقد يجمع بينها كلها، وتفضل غالباً من الأقمشة المتنوعة، وقد تتخذ في فصل الشتاء من أدم الأنعام المدبوغة دبغاً جيداً بأوبارها وأصوافها.

ومما تستعمله النساء الخمر والبراقع على رؤوسهن، كما يستعملن الفساتين على أجسادهن، وتختلف شكلاً عن الفساتين العصرية، ويستعملن المروط ويتحلين بالعقود حول أعناقهن، والأقراط في آذانهن، والدمالج في معاصمهن، والمناطق في خصورهن، والخلاخل في أرجلهن، وكثير منهنَّ لم يزلن سافرات.

ووصف كتاب عادات وتقاليد حضرموت الغربية للمستشرق الروسي رودينوف أن السادة في السابق كانوا يعرفون بكسائهم الأبيض الطويل (قميص ـ قمصان)، والصديرية والعمامة الخضراء أو شال الرأس الأبيض، وكانت نساء هذه الطبقة يلبسن داخل البيت ثياب حريرية حمراء اللون، أما خارج البيت فكن يرتدين الثياب السود والقناع ومنديل الرأس، وكان المشايخ يتميزون بخناجرهم المستقيمة، وبمقدورهم أن يلبسوا مثل السادة أو مثل القبائل الذين يرتدون الشيذر القصير مع ملحفة وشال على الشعر أو سير جلدي ولابد من الخنجر المعقوف (الجنبية) على الخصر.

أما ثياب القرويين فهي الصاروم وقميص قصير وحزام وشال على الرأس وآخر على الكتف، ولا يجوز لهم حمل الخنجر أو الجنبية ويمكنهم حمل السكين فقط.

وبالنسبة لفقراء الفلاحين والمستأجرين فيلبسون أردية متواضعة (طان ـ طانه) تربط بأحزمة جلدية رفيعة، مع حلق رصاصية دائرية، أما الفلاحات فيلبسن الثياب السوداء

ومناديل الرأس بدون قناع، ويرتدي العبيد والصبيان أيضاً (الطان)، ونساء هذه الطبقة لا يسترن وجوههن (انتهى)[١].

ولما دخل الحبيب علوي بن عبدالرحمن المشهور (١٢٦٣-١٣٤١هـ) إلى أفريقيا الشرقية اشتكى له الناس من سفور النساء بسبب تكلفة ثياب الحجاب المعمول من عدة ثياب ملفوفة تعيق حركة المرأة، فاقترح عليهم الحبيب علوي استخدام الشقق السوداء، وهي الحجاب الحضرمي أو قريباً منه، وانتشر بينهم هذا الحجاب الذي سموه (البوي بوي) ولازال هو السائد حتى اليوم.

وكما ذكرت فإن الزي العلوي هو لبس البياض ومن النوادر التي تحكى عن الحبيب مصطفي المحضار أنه كان في أحد جلساته في أحد العشايا في مرتفع يطل على الوادي إذا رأى على البعد بياضاً فتساءل الحبيب مصطفي ماذا يكون هذا البياض؟ فأجابه ابن رضوان على الفور وكان مرحاً وله الكثير من النوادر والحكايات التي يستملحها الحبيب مصطفي وكان جوابه (يا كلاب، يا سادة) أي ربما كانت كلاب، أو سادة، لان كلاب حضرموت بيضاء، إلا أنهم عرفوا تورية ابن رضوان بالشتيمة فضحك الحبيب مصطفي وضحك معه الحاضرون.

ويحافظ العلويون على لباسهم المعروف حتى في أسفارهم للبلاد البعيدة، وقد ذكر كثير من الحضارم المغتربين في أفريقيا والهند وسيريلنكا بأن كثير من أهل البلاد المسلمين لا زالوا يلبسون ملابس مشابهة لملابس العلويين، ويتبعون طريقتهم، ولعلهم من الذين دخلوا الإسلام على يدي العلويين، أما في الجزر الجاوية فإن الزي العلوي منتشر، ويحضا باحترام أهل البلاد، ولازال الطلاب الجاويون من الجنسين يحرصون على تلقي العلوم بدار المصطفي بتريم، وبرباط تريم، وتفد منهم كل سنة أعداد كبيرة وهم يتزيون بزي رجال العلم العلويين ويتبعون طريقتهم.

---

(١) أرودينوف عادات وتقاليد حضرموت الغربية ترجمة د. علي صالح الخلاقي دار جامعة عدن للطباعة والنشر.

وقد ذكر أحد السواح الخليجيين أنه استقل سيارة تاكسي بجاكرتا وهو يلبس لباسه الخليجي وظن سائق التاكسي من ملابسه البيضاء أنه من العلويين، فاحترمه وقدره ولما طلب منه الرجل إيصاله إلى ملهي من ملاهي الليل غضب منه السائق الاندونيسي وطرده من السيارة.

وقد اختصر شباب العلويين بحضرموت في الوقت الحاضر لباسهم إلى الإزار الأبيض والفوطة التي تكون بيضاء أو ملونه مع تغطية الرأس بالكوفية البيضاء دون العمامة، إلا أن لبس البياض بقي هو الشكل المميز للعلويين بحضرموت، رغم أن تميز العلويين بزيهم الأبيض قد يسبب لهم مشاكل في بعض الأحيان، من ذلك أنه حدث في ضاحية القرن بمدين سيؤون بحضرموت في السنين القريبة خلاف علمي بين بعض السلفيين وبعض عوام العلويين، فما كان من السلفيين إلا أن دخلوا المسجد في اليوم الثاني بعد الصلاة وأوسعوا كل من يلبس البياض بالضرب والركل.

ويشبه ذلك ما ذكره أحد أطباء الشام قال أتتنا إلى المستشفي زوجة رئيس المباحث ولم تتلق الاهتمام الشديد الذي توقعته من الأطباء والممرضين، ولما عادت وأخبرت زوجها بما حصل أرسل لنا طاقم من الجند لتأديب هيئة المستشفي، فوصلوا وأمسكوا بكل لابسي البلاطى البيضاء، وأوسعوهم ضرباً بالأيدي والأقدام، ولم ينقذ الأطباء والممرضين إلا التخلص الفوري من البلاطي البيضاء التي تكدست في ردهات وممرات المستشفي.

وللزي العلوي تأثير كبير على شخصية العلويين ويحكى أن بعضاً من أولاد السادة قرروا السفر إلى الهند لطلب الرزق، ولما ودعوا والدهم قال لهم لا أريد منكم إلا شيئاً واحداً؛ وهو أن تحافظوا على لباسكم العلوي، ولا تلبسوا لباس الكفار؛ فتعهدوا لوالدهم بالمحافظة على زيهم العلوي ما داموا بالهند، فكانوا بالهند كلما هموا بدخول مكان من الأماكن التي لا تليق بمثلهم وجدوا أن لباسهم العلوي لا يتناسب مع المكان الذي قصدوه، وهكذا حماهم لباسهم العلوي من الدخول لهذه الأماكن المشبوهة، وعرفوا حكمة والدهم في طلبه وهدفه.

ويغار الحبيب علوي بن عبدالله بن شهاب[١] على تربية الأولاد حتى أنه يعاتب على من يكشف رأسه أو من ينحي قلنسوته فإما أن ينصحه مباشرة، وإما أن يطلب من أبيه أن ينصحه، كما ينهى عن شرب الدخان نهياً قاطعاً.

بل إن الحبيب حسن بن صالح البحر (١١٩١-١٢٧٣هـ) غضب لما غير السلطان العثماني عبدالمجيد بن محمود زي الجنود العثمانيين، فكتب من حضرموت إلى الصدر الأعظم بالاستانة يقول: (وقد بلغنا أن جندهم تزيوا بزي الكافرين الملحدين من النصارى المحادين، لله وما ذلك إلا أن استحسنوا دينهم وخلا الإيمان من قلوبهم)، ثم يطلب منه إبطال ذلك فيقول: (فإن كانوا بوعد الله مصدقين، ولأمره ممتثلين؛ فليخرجوا هذا الذي تشبهوا به وشاركوا فيه الكافرين الملحدين، وليقوموا بأمر الله وليغاروا على دين ويعزوا المسلمين، ويذلوا الكافرين)[٢].

ويهتم كبار العلويون بالنصيحة على المحافظة على الزي العلوي، فنرى الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر (١١٩١-١٢٧٢هـ) يقول[٣]: اعلم رحمك الله أن من مكائد الشيطان العظيمة لأبناء الأخيار أن يزين لهم التزيي بزي الجند والأشرار، من لبس السلاح، وتقصير الثياب، وتبقية الشعر، ومن تشبه بقوم فهو منهم، وشبه الشيء منجذب إليه، قال سيدنا الإمام الغزالي في الإحياء عند ذكر الظلمة والتحذير من مجالستهم: فمن عرف بذلك فقد عرف ومن لم يعرف فعلامته القباء وطول الشارب وسائر الهيئات المشهورة، فمن رُئي على تلك الهيئة يجب اجتنابه، ولا يكون ذلك من سوء الظن لأنه الذي جنى على نفسه إذ تزيا بزيهم، ومساواة الزي تدل على مساواة القلب.

---

(١) تريم بين الماضي والحاضر الجزء الأول أحمد بن عبدالله بن شهاب صفحة ١٤٨.

(٢) سالم بن حميد الكندي تاريخ حضرموت تحقيق عبدالله الحبشي صفحة ١٩٦-١٩٧.

(٣) مجموع الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر طبعة دار الكتب العربية الكبرى بمصر صفحة ١٣٦.

ثم قال وقد ابتلي بهذه الخصلة بعض إخواننا العلويين وغيرهم من أبناء الصالحين، فتراهم مثل الجند في زيهم ولباسهم، حتى أنهم يلبسون الفضة والحرير، ويظهرون بعض عورتهم من كثرة كفتهم الإزار، حرصاً منهم على التشبه الكلي بالجند والأشرار، وتركاً وفراراً من سيرة سلفهم الصالحين الأخيار، ثم إنهم لا يزالون يربون أطفالهم من حين صغرهم على ذلك، فيكون عليهم وزرهم ووزر أولادهم؛ لعدم إرشادهم إلى سبيل الصلاح والرشاد، وعدم منعهم وردعهم عن التشبه بأهل الفساد (انتهى النقل).

وقد كان العلويون يستنكرون زي الجند حتى فيمن انتسب إلى العلم من غير العلويين، فكما ذكر الجد ابن عبيدالله أن آل باشراحيل وضعوا السلاح وسلكوا طريق التصوف ،والشيخ عبدالقادر باشراحيل هو الذي بشر بالحبيب أحمد بن زين الحبشي وهو في بطن أمه، وقد كان في شبابه على زي الجند حتى لقيه بعض السادة بتريم فقال له: ابن من أنت؟ فقال: ابن الشيخ محمد باشراحيل. فقال له السيد حاشاً محمد باشراحيل منك؟! فوقعت من قلبه وجاء إلى مسجد حارث، وهو ببلاد الغريب التي كانت معمورة، وفيها جامع وصدقات واسعة، وفيها الشيخ حارث باشراحيل جد آل باشراحيل، وآلا على نفسه أن لا يخرج من المسجد إلا بعد أن يختم القرآن ثم كان من أمره ما كان[٤٧٥].

ومن كلام السيد عبدالقادر باعقيل السقاف[٤٧٦] المتوفى سنة ١٣٦٧هـ، وكان من الصالحين الذين ملكوا حلاوة اللسان، وخفة الجنان، وقد اشتهر بحبه إمامة الصلاة وأقام بمكة عدة سنوات، وله الكثير من القصص والحكايات الطريفة، قال: في سنة من السنين دخلتُ وادي عمد صحبة السيد أحمد بن حسن العطاس في يوم الخميس، وفي الصباح دخل علينا الحبيب عمر بن صالح بن عبدالله وقال: ياعم أحمد بن حسن، البارح ماجانا النوم وكنت وحلان مانا داري من بايصلي بنا الجمعة منكم أنت وإلا السقاف؟ فقال الحبيب أحمد: أنا باصلي الجمعة والسقاف يجيب

(٤٧٥) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مكتبة الإرشاد صفحة ٢٩٤.

(٤٧٦) جواهر مقتطفة من كتاب تاج الأشراف في رحلة الحبيب عبدالقادر بن محمد باعقيل السقاف جمعها محمد زين الجاوي مخطوطة صفحة ٩.

وعظ جديد ويسبر (يبدأ) بالسادة، وقد كانوا السادة في ذلك الوقت حد لاقي لـه جنبيـه، وحـد لاقي له ميزر (بندقيه)، وأغلبهم مربين شعر رؤسهم، وحد منهم عصرته قصـيرة، فقـال الحبيـب أحمد بن حسن قم يا السقاف، وهت مثل في الحبايب. فقـام السـقاف وقـال: سـلفنا لاقـين أربـع خصال لأربع خصال: السجادة للصلاة، والسبحة للتسبيح، والمسواك للسنة، والملقاط للشـوكة، وأنتم يا حبايب، لاقين أربع خصال لأربع خصال: جنبية للطعن، وميزر للضرب، وشعر للقمل، وعصر قاصرة للجهل، والدنيا كلها أربعة أوقات: وقت خير من الجنة، ووقت كما الجنة، ووقـت يشبه الجنة، ووقت فيه ريح الجنة، والذي خير من الجنة هـو وقـت النبـي صلى الله عليـه وسـلم، والوقت الذي كما الجنة وقت الصـحابة، والـذي يشـبه الجنـة وقـت التـابعين إلى الفقيـه المقـدم، والوقت اللي فيه ريح الجنة وقتكم هذا.

ولا يحب العلويون التأنق الزائد عن الحد في اللباس حتى مـن غـير العلـويين، ومـن ذلـك أن شخصاً يدعى التوي دخل على الحبيب مصطفي المحضار بصارون طويل، وكوفيه مقلوفة، فقـال له الحبيب مصطفي: من معي؟ فقال له التوي؟ فقال الحبيب مصطفي: زودتها شوي. وقد اشـتهر الحبيب مصطفي بالسجع الجميل في الكتابة والكلام.

ولكن لا يعني ذلك كراهية العلويون للثياب الجميلة، بل العكس فقد اشتهر بعضـهم بالتـأنق في الثياب، واختيار الطيـب الجيـد، ومـنهم الحبيـب علـوي بـن عبـدالرحمن المشـهور (١٢٦٣- ١٣٤١ هـ) الذي كان لا يلبس من الثياب إلا أجملها، ومن العطور والروائح إلا أزكاها وأعطرها، بل كان يأخذ العود الأخضر ويغمسه في المسك والزباد السـواحلي ويبخـر بـه المنـازل (الغـرف)، ويطلي به الجدران والسواري[٤٧٧].

* * *

(٤٧٧) أبوبكر العدني بن علي المشهور لوامع النور دار المهاجر للنشر صفحة ٤٠.

الفصل السابع والعشرون

بحث في التغيرات الحديثة في اللباس



مما يؤسف له في هذا الزمن المتأخر ظهور الألبسة غير المحتشمة، والتي تكشف ما يتوجب ستره، وقد افتتن الناس بها شباباً ونساءً، فهم مهتمون بمتابعة أخبار الموضة في اللبس، غير عالمين بالخطر العظيم الذي يمكن أن يصيبهم بسلوكهم هذا المسلك الجديد، ولو راجعنا أنفسنا لوجدنا الله سبحانه وتعالى قد أنزل أول عقاب بآدم وحواء بأن كشف عنهما سوءاتهما أو عوراتهما، ثم تلا ذلك إخراجهم من الجنة كما قال تعالى في الآية ١٩ من سورة الأعراف: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وقد قال الشيخ متولي الشعراوي إن هذه الجنة التي وجد فيها سيدنا آدم ليست هي جنة الجزاء لأن جنة الجزاء لابد أن تأتي بعد التكليف، ومن يسكنها لا يخرج منها، وآدم كما علمنا مخلوق للأرض فهذه الجنة هي مكان التدريب لآدم على الخلافة في الأرض[١].

وأكد الشعراوي كون آدم مخلوقاً للأرض بقوله تعالى في أول بلاغ نزل من الله بخصوص آدم في الآية ٣٠ من سورة البقرة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، ثم قال: ولا تظلموا آدم وتقولوا إنه مخلوق للجنة وكنا سنعيش فيها لولا أنه عصى ربه وأنزلنا إلى الأرض[٢]. فالله سبحانه وتعالى أمر آدم وحواء بالأكل من كل شيء وبعدم الاقتراب من شجرة معينة، وقد فسر الشيخ الشعراوي ـ رحمه الله ـ كون الله تعالى أمر آدم بعدم الاقتراب من الشجرة ولم يقل به لا تأكل منها، لأن المعصية تتوجب الاقتراب وعند ذلك يوسوس الشيطان فتقع المعصية، قال الشعراوي: ولا يحوم المرء حول ما حرمه الله لأنه لا يأمن حين يرى ما حرم الله أن تميل نفسه إليه[٣].

---

(١) محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، المجلد ٧، صفحة ٤٠٨٢.

(٢) محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، المجلد ٧، صفحة ٤٠٨٠.

(٣) محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، المجلد ٧، صفحة ٤٠٨٢.

وكان النهي عن الاقتراب من هذه الشجرة هو الامتحان الأول لآدم في الجنة، ولكن لماذا النهي؟ وما هي علته؟ فهذا من علم الله ونحن منهيون في دنيانا عن بعض المطاعم والمشارب لعلل لا نعرفها، على وجه التفصيل فشرب الخمر خطيئة، وكذلك أكل لحم الخنزير. قال سيد قطب ويسكت القرآن عن تحديد هذه الشجرة لأن تحديد جنسها لا يزيد شيئاً في حكمة حضرها مما يرجح أن الحظر في ذاته المقصود. لقد أذن الله لهما بالمتاع الحلال، ووصاهما بالامتناع عن المحظور، ولابد من محظور يتعلم منه هذا الجنس أن يقف عند حد وأن يدرب في طبعه الإرادة التي يضبط بها رغباته وشهواته، فهذه هي خاصية الإنسان التي يفترق بها عن الحيوان[١]. وعندما استجابا لوسوسة الشيطان وأكلا من الشجرة عاقبهما الله بأول عقاب وهو أن ظهرت لهما سوءاتهما، والسوءة هي ما يسوء الإنسان النظر إليه، ونطلقها على العورة.

قال الشعراوي: ولابد أن هناك لباساً كان عليهما ليختفي وتظهر لهما العورات، وقال العلماء الكثير عن هذا اللباس، وقيل أيضا أنه النور الإلهي الذي كان يلفهما[٢]. إن ستر الجسد حياءً إنما هو فطرة خلقها الله في الإنسان، ثم هي شريعة أنزلها الله للبشر، والله يذكر البشر بنعمته عليهم في تشريع اللباس والستر صيانة لإنسانيتهم من أن تتدهور إلى عرف البهائم[٣].

إلا أنَّ لي فهماً أتمنى أن يكون فيه شيء من الصحة، وهو أن الله سبحانه وتعالى عندما ذكر الألبسة ذكر منها لباس التقوى الذي هو خير، فلعله هذا اللباس الذي كان يستر آدم وحواء وسنتكلم بالمزيد عن ذلك لاحقاً.

نخلص أن **العقاب الأول** لآدم وحواء: كان كشف العورة.

والعقاب الثاني: كان الطرد من الجنة.

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، الجزء الثالث، صفحة ١٢٦٨.

(٢) محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، المجلد ٧، صفحة ٤٠٨٥.

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، الجزء الثالث، صفحة ١٢٧٩.

والعقاب الثالث: أن يكون بعضهم لبعض عدُواً، كما قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾، فلقد هبطوا جميعاً إلى الأرض: آدم وزوجه وإبليس وقبيله هبطوا ليصارع بعضهم بعضاً، وليعادي بعضهم بعضاً، بل تقع العداوة والصراع بين نسل آدم من البشر، وقد بدأت بقابيل الذي قتل أخاه هابيل، وهذه العداوة مستمرة على الأرض إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

والعقاب الرابع: كان تحديد الأعمار والتي كانت في الجنة ممتدة، ثم كانت طويلة أيام سيدنا نوح الذي دعا قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، ثم تناقصت إلى أن وصلت إلى أقل من مئة سنه في عصرنا الحاضر، قال تعالى في الآية **٢٤** من سورة الأعراف: ﴿ قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ فالاستقرار في الأرض محدود بمدة معينة، وليس أبدياً مثل الجنة.

والعقاب الخامس: قطع الله سبحانه وتعالى فيه أمل آدم وزوجته حواء بالعودة مرة ثانية إلى الجنة وهم بالأرض حين قال تعالى: ﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾ [الأعراف: **٢٥**].

قال سيد قطب ولكن أين كانوا؟ وأين هي الجنة؟ هذا من الغيب الذي ليس عندنا من نبأ عنه إلا ما أخبرنا به من عنده مفاتح الغيب[١] سبحانه وتعالى.

وبعد ذكر قصة آدم يحذر الله سبحانه وتعالى بني آدم من أن يكرروا خطيئة آدم، ويذكرهم بنعمته عليهم في تشريع اللباس والستر صيانة لإنسانيتهم أن تتدهور إلى عرف البهائم بقوله تعالى في الآية **٢٦** من سورة الأعراف: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾.

وقال الشعراوي إن في كلمة ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ ﴾ لفت نظر إلى ماضي أبيهم آدم مع إبليس،

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، الجزء الثالث، صفحة ١٢٧٠.

لأن أول مخالفة حدثت كشفت السوأة، وفسر الشعراوي إنزال اللباس بكونه تعالى أنزل المطر فنبتت النباتات التي غزلناها فصارت ملابس[١]، وفسر سيد قطب «﴿أَنزَلْنَا﴾» أي شرعنا لكم في التنزيل وإلباس قد يطلق على ما يواري السوأة وهو اللباس الداخلي، والرياش قد يطلق على ما يستر الجسم كله ويتجمل به وهو ظاهر الثياب[٢].

أما لباس التقوى الذي هو خير الألبسة والذي وصفه سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ فهو اللباس الذي يمنع الإنسان من النظر إلى العورات ولو تكشفت، ويمنع الإنسان أن يكشف من نفسه ما ينبغي ستره، فالتقوى كما قال تعالى هي خير الألبسة لأنها تحجب أكثر مما يحجب اللباس والرياش، ولو فرضنا أن الإنسان اخترع ما يخترق به حجاب الملابس فإن التقوى ستمنع التقي من استخدام هذا الاختراع، والتقوى آية من آيات الله لأنها شيء غير محسوس ولا مرئي، يكون حجاباً شديداً بينك وبين رؤية العورات والسوءات، ولهذا غلب فهمي أن يكون لباس التقوى هو الذي كان يخفي سوءة آدم وحواء، فلما ذهبت التقوى بعصيان أمر الله بدت لهما سوءاتهما.

ولأهمية التقوى فقد كرر الله تعالى في سورة الطلاق الجزاء عليها في أربع آيات: الآيتان ٢ و٣ ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾، وفي الآية ٤ ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾، وفي الآية الخامسة: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾.

ولأهمية الحشمة واللباس يكرر الله سبحانه وتعالى في الآية ٢٧ من سورة الأعراف قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾.

---

(١) محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، المجلد ٧، صفحة ٤٠٩٤.

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، الجزء الثالث، صفحة ١٢٧٨.

وفى الآية إن الشيطان سيحاول فتنة الناس بالتعري كما فتن آدم في الجنة، والتعري هو الطريق إلى الفاحشة والزنا، والشيطان كما قال الله تعالى يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم وقبيله كما قال الشعراوي هم جنوده وذريته، وينبهنا الله تعالى إلى أن الشيطان لن يكتفي بنفسه ولا بذريته، بل سيزين لقوم من البشر أن يكونوا شياطين الإنس[1] ليعينوه على تحقيق هدفه، وقد نرى في خلوتنا صورة أو فيلماً هو من عمل قبيل الشيطان الذين تصلنا فتنتهم، ولكننا لا نراهم ولا نعلمهم.

وذكر الشيخ سيد قطب أن الشيطان أقدر على فتنة الناس بوسائله الخفية وإننا محتاجون إلى شدة الاحتياط ومضاعفة اليقظة[2]. وقال سيد قطب أيضاً ومن هنا يستطيع المسلم أن يربط بين الحملة الضخمة الموجهة إلى حياء الناس وأخلاقهم، والدعوة السافرة لهم إلى العري الجسدي باسم الزينة والحضارة والموضة، وبين الخطة الصهيونية لتدمير إنسانيتهم كما ذكر سيد قطب، إلى جانب العري البدني العري النفسي الذي تدعو إليه أقلام بعض الكتاب؛ بنشر القصص والأخبار التي تقضي على عواطف الخير الغامضة في أعماق النفوس[3] حتى لتصبح بعض الأعمال والأفعال الشنيعة مقبولة بين الناس، وبعبارة أخرى نستطيع أن نقول هي الحرب على الحياء.

ونقل الجد علوي بن عبد الله السقاف[4]: إذا كان للإسلام خُلق يتميز به فهو الحياء وإما الإسلام أخلاق كريمة كله.

لقد كان المجتمع الإسلامي مجتمعاً يغلب عليه الحياء فتراه في الرجال والنساء، والحياء من الإيمان. وكان الغرض الأساسي لحرب أوروبا على الإسلام يهدف إلى خلق الحياء

---

(١) محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، المجلد ٧، صفحة ٤١٠١.

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، الجزء الثالث، صفحة ١٢٨٠.

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، الجزء الثالث، صفحة ١٢٧٩.

(٤) علوي بن عبدالله السقاف، السيرة الذاتية، صفحة ٣٢٣.

الذي يحاول الغرب أن يهدمه بالميوعة في بعض الرجال، لأنه إذا عدم خلق الحياء كانت الأخلاق الأخرى تبعاً له، فنحن محتاجون إلى شباب يغلبه الحياء فلا يُرى ساقطاً في مهاوي الفساد (انتهى).

ثم قال سيد قطب: وإذا استسلمنا للشيطان وأعوانه، وتبعنا شهواتنا، واستملحنا التعري وخلع اللباس، فإننا لن نكون من المؤمنين وساعتها يتولانا الشيطان فنبرر كل فاحشة نعملها بأننا ورثناها عن آبائنا والله أمرنا بها، كما كان مشركو العرب يقولون وهم يزاولون فاحشة التعري عند طوافهم ببيت الله الحرام، وفيهم النساء ثم يزعمون أن الله أمرهم بها، فقد كان أَمَرَ آباؤهم بها ففعلوها ثم هم ورثوها عن آبائهم ففعلوها[١] كما جاء في الآية ٢٨ من سورة الأعراف ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾.

قال سيد قطب في تفسيرها إن الله لا يأمر بالفحشاء إطلاقاً، والفاحشة كل ما يتجاوز الحد، والعريُ من هذه الفاحشة فالله لا يأمر به، وكيف يأمر الله بالاعتداء على حدوده والمخالفة عن أمره بالستر والحياء والتقوى[٢]. أما نتيجة فتنة العري الذي يزينه الشيطان وقبيله للبشر فهو الوقوع في الفاحشة، ولهذا يقول الله سبحانه وتعالى في هذه الآية: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ فالله سبحانه وتعالى بعدما استعرض طريقة غواية الشيطان الموصلة للفحشاء رد على فاعلي الفاحشة الذين يكذبون على أنفسهم وعلى ربهم بدعوى إن الله أمرهم بفعل الفحشاء. وكانت العرب في جاهليتهم يطوفون بالبيت عراة الرجال في النهار والنساء ليلاً ويزعمون أن ما وجدوا عليه آباءهم هو من أمر الله وشرعه[٣].

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، الجزء الثالث، صفحة ١٢٨٠.

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، الجزء الثالث، صفحة ١٢٨٠.

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، الجزء الثالث، صفحة ١٢٧٩.

فجاءت الآية التي يقول الله سبحانه وتعالى فيها: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

قال سيد قطب ومن عجيب ما روي عن حال المشركين أنه لما لبس المسلمون الثياب وطافوا بالبيت عيرهم المشركون باللباس فنزلت الآية ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِ﴾[1]. ثم قال سيد قطب وماذا تصنع الجاهلية الحاضرة بالناس إلا أن تعريهم من اللباس وتعريهم من التقوى والحياء، ثم تدعو هذا رقياً وحضارةً وتجديداً ثم تعير الكاسيات من الحرائر العفيفات المسلمات بأنهن رجعيات تقليديات أو ريفيات[2].

ويبدو لي أن الأمر الإلهي بالاقتصاد في الأكل والشرب وعدم الإسراف مرتبط بسياق الموضوع؛ لأن الإسراف في الأكل والشرب يهيئ النفس للبحث عن الملذات الأخرى التي يكون التعري الطريق الموصل إليها، ولهذا فان الرسول ﷺ أمر الشاب الذي لا يستطيع الزواج بالصوم لأن الجوع كفيل بكبت شهوته.

أما قبيل الشيطان الذي يقف وراء ما نشهده اليوم من العري الفاضح فيقول عنه سيد قطب مع أن ما حصل في زمنه لا يقارن بما نراه اليوم، يقول سيد قطب: إن بيوت الأزياء ومصمميها، وأساتذة التجميل ودكاكينها، هي الأرباب التي تقف وراء هذا الخبل، الذي لا تفيق منه نساء الجاهلية الحاضرة، ولا رجالها كذلك. إن هذه الأرباب تصدر أوامرها فتطيعها القطعان والبهائم العارية في أرجاء الأرض طاعة مزرية. ثم يقول: ومن ذا الذي يقبع وراء بيوت الأزياء ودكاكين التجميل ووراء سعار العري والتكشف ووراء الأفلام والصور والروايات والقصص والمجلات والصحف التي تقود هذه الحملة المسعورة.

وقال الشعراوي: إن الفاحشة مأخوذة من التفحش أي التزيد في القبح، ولذلك صرفها

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، الجزء الثالث، صفحة ١٢٨٣.

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، الجزء الثالث، صفحة ١٢٨٣.

بعض العلماء إلى لون خاص من الذنوب وهو الزنا، الذي يزيد في القبح لأن كل معصية يرتكبها الإنسان تنتهي بأثرها إلا الزنا فإنه يخلف آثاراً مثل وأد المولود، أو إجهاض المرأة، أو نشوء طفل لقيط يعيش طريداً في مجتمعه[١].

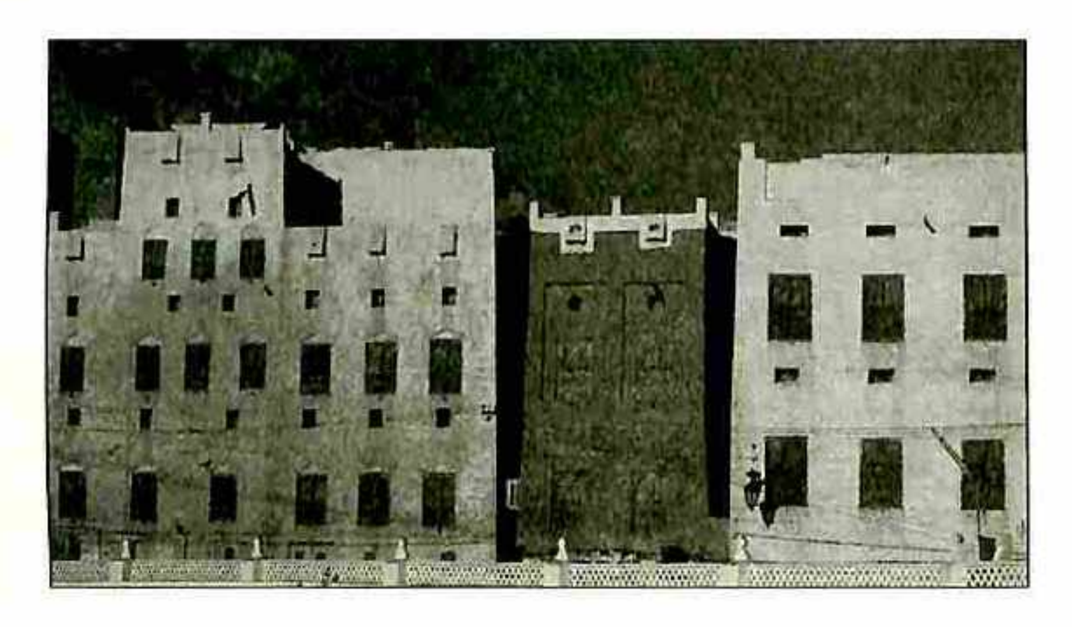
❊ ❊ ❊

---

(١) محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، المجلد ٧، صفحة ٤١٠٥.

الفصل الثامن والعشرون

بيوت العلويين ومساجدهم



من بيوت مدينة سيون

تتميز مساكن العلويين بالبساطة، ولا تختلف في مظهرها عن بقية بيوت أهل البلاد إذا استثنينا من ذلك بعض أصحاب الثروة من العلويين الذين جمعوا ثرواتهم من الهند والملايو في القرن الأخير.

وتوجد بمدينة تريم آثارٌ لبعض بيوت كبار العلويين التي بنيت بالطين، وقد ورد وصف بيت الفقيه المقدم عرَضاً في عبارة بتاريخ الأستاذ صالح الحامد[١] نقلا عن مصادره فقال: «وكانت داره مشيدة البناء رحبة الفناء تلجأ إليها الأيتام والفقراء والأرامل، ويفد عليها الراجي والآمل»، (انتهى باختصار).

وذكر الأستاذ الشاطري: أن من القصور القديمة التي شارفت على الخراب في تريم، دار الإمام عبدالله بن أبي بكر العيدروس والذي بني في القرن التاسع الهجري على نفقة تلميذه عمر بن عبدالرحمن صاحب الحمراء المتوفى بتعز سنة٨٨٩ هـ وكلف ثمانمائة دينار ومكون من ثلاث قصور[٢] .

وذكر الأستاذ الشاطري في شرح الياقوت النفيس: أن أول من أسس الجوابي (البرك) بمساجد حضرموت هو الإمام السيد عبدالرحمن السقاف وأول جابيه لا تزال موجودة إلى اليوم (حال تأليف الكتاب) جابيه أثرية بمفردها على يسار الداخل إلى مسجده أسست في القرن الثامن الهجري[٣].

وتبنى هذه البيوت باللبِن المخلوط بالتبن ويعمل لها أساس من الحجر بارتفاع المتر أو أكثر لمقاومة السيول، وتصنع الأبواب والنوافذُ من جلاميدِ خشب السدر المتينة، وتستخدم جذوع الشجر القوية والتي يسميها الحضارمة بالقَواسم في رفع الأسقف المصنوعة من جريد النخل مع التبن.

---

(١) صالح الحامد تاريخ حضرموت الجزء الثاني الناشر مكتبة الإرشاد صنعاء صفحة ٧٢٦.

(٢) محمد بن احمد الشاطري ادوار التاريخ الحضرمي صفحة ٢٧١.

(٣) محمد بن احمد الشاطري شرح الياقوت النفيس دار الحاوي للطباعه والنشر الجزء الثاني صفحة ٢٢١.

ومن خصائص الطين: أنه عازل للحرارة فتكون هذه البيوت باردة نسبياً في الصيف دافئة في الشتاء، ويتوفر بنوعياتٍ وأصناف مختلفة، وتتميزُ بعض البلاد بجودة طينها مثل بلدة تاربة، والطين مادة بناء لا تنضب ويمكن إعادة استخدام الطين في البناء عدة مرات، وقد تبقى بيوت الطين إلى أربعمائة سنة وربما أكثر، تبعاً للصيانة وقوة البناء، وهناك مساجد طينية بحضرموت، يقارب عمرها الألف سنة مثل مسجد قرية بور.

وعند حرقِ لبنات الطين في الأفران، نحصل على اللبنات الفخارية المسماة بالطابوق، والتي استخدمت في بناء عدة مساجد قديمة بحضرموت مثل جامع هارون الرشيد بشبام و جامع عبدِاللاه الذي يتكون من طابقين وقد مرت ببنايته ثلاث مراحل[١].

ويتحرى العلويون مصدر الطين عند بناء بيوتهم، ليتأكدوا انه جاء من مصدر حلال كما يتأكدون من صحة امتلاك الأرض، ولهذا قام العلويون عند انتقالهم لأول مرة إلى تريم من قريتهم المسماة بيت جبير بنقلِ الطين المطلوب لبناء بيوتهم بتريم من قرية بيت جبير، ولما قرر الحبيب الحسين بن طاهر الجلاء عن تريم سنة ١٢٠٨ هـ بعدما اشتد ظلم حاكمها عبدالله غرامه قصد أولا كما ذكره ابنه الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر إلى الحلال من قرية بيت جبير وهي أول مكان نزل به العلويين قرب تريم، لكن الحبيب طاهر بن الحسين رأى في البقعة التي اختارها لسكنه آثارَ عمرانٍ، فانصرف عنها تورعا قائلاً: لعلها قد ملكت لآخرين، واتجه منها إلى المسيلة وبنا بها داره في أرضٍ كانت وَصَرا (مكان درس سنابل القمح) لقومٍ من آل تميم ابتاعها منهم[٢] (انتهى بتلخيص).

وينتقد الحبيبُ علوي بن عبدالله بن شهاب تركَ الورَع في مصدر الطين، فيقول : ديارنا كلها نجُرّ طينها من حقّ الغير من ذبور (أرض) المساجد ولا نتخبر هي موقوفة او غير

(١) جعفر بن محمد السقاف محاضرات عن الفن المعماري باليمن صفحة ٣.

(٢) محمد بن هاشم تاريخ الدوله الكثيريه تريم للدراسات والنشر صفحة ١٤٨.

موقوفة، ثم قال: الإنسان إذا أراد أن يبني دار، يتورع في ذبره وفي طينه، واذا رأى شبهة في الذبْر يروح إلى غيره[١].

ووصف الصبان[٢] البيوت بمدينة سيؤن وتريم، فقال: إن بيوت سيؤن تبنى غالبا من ثلاثة أو أربعة طوابق ارتفاع الطابق تسعة إلى ستة اذرع ويقسم البيت نسلين (شقين): شق للنساء وشق للرجال، ويحتوي كل شق منافعه الخاصة، ولابد أن تكون في البيوتِ الكبيرةِ غرفةٌ كبيرةٌ تسمّى (أمَ أربعة أسهم)، وهي حجرةُ الاستقبالات والاجتماعات. وبعد انتهاء البناء بالطين يطلى البيت بالنورة المحلية من الداخل وأحيانا من الخارج حسب القدرة المادية لصاحب البيت، وتتكون النورة من بودرة حجرية تنتج من حرق الحجارة وصهرها في الافران ثم تفتتت بالدق وهي عازله للماء إضافة إلى أنها تعطى البناء منظرا جميلا.

ووصف الصبان بيوت تريم فقال: انها تشبه بيوت سيؤون وتزيد عليها بمساحتها العريضة، وبالنقوش والتلاوين على جدرانها وبجودة أخشابها وقد يكتبون على الجدران آيات من القرآن الكريم أو أبيات من الشعر ولبعض البيوت الكبيرة فناء داخلي يسمونهم الشمسة للتهوية ولزيادة الحرص على عزل النساء [٣].

ووصف المستشار انجرامس بيوت تريم سنة ١٩٣٤م فقال [٤]: وتتميز تريم ببيوتها الواسعة في نمط يحاكى النمط الملاوي من اللبن والطين ويكلف بناء بيت واحد في تريم ٦٠,٠٠٠ ريال (فرانصه) وتزين البيوت من الخارج بالطلاء الأزرق والأخضر والأصفر كما تجهز البيوت من الداخل بكل الاحتياجات الضرورية الحديثة والإضاءة الكهربية

---

(١) عمر بن علوي الكاف تحفة الاحباب بكر نزر من مناقب الحبيب علوي بن شهاب دار الحاوي صفحة ٢٤٢.

(٢) عبدالقادر محمد الصبان، تعريفات تاريخيه صفحة ٨.

(٣) عبدالقادر محمد الصبان، تعريفات تاريخيه صفحة ٨ .

(٤) دبليو اتش انجرامس، حضرموت ١٩٣٤-١٩٣٥ تعريب سعيد النوبان صفحة ٥٦.

والمراوح والتلفون كما وجدت الحمامات الأوروبية طريقها إلى بعض هذه البيوت في الوقت الذي لا يوجد كرسي واحد في بيوت شبام أو دوعن في حين تمتلئ صالات الاستقبال في تريم بالكراسي الفخمة والأرائك والسجاد الانجليزي والمرايا والشماعات والخزائن الزجاجية المليئة بالاطباق والفناجين وغيرها من الأواني وكله مستورد ينقل من الساحل إلى الداخل على ظهور الجمال عبر الجبال في رحلة تستغرق ستة أيام (انتهى).



من قصور تريم القديمة

وللعلويين تأثير على التطور المعماري بحضرموت ومن ذلك انه لما وصل الحبيب عبدالرحمن بن علي السقاف (١٢٢٦-١٢٩٢هـ) إلى الشحر في طريقه إلى الحج أمر أهلها ببناء بيوت الماء (الحمامات) في بيوتهم لقضاء الحاجة وكانوا يبرزون إلى سيف البحر كاشفين العورات عند قضاء الحاجة [١]

كما أن لبعض العلويين شغف بالتصاميم الجميلة للمنازل خصوصا بعد عودتهم من إسفارهم الطويلة إلى للهند والملايو ومنهم الحبيب علوي بن عبدالرحمن المشهور (١٢٦٣-١٣٤١هـ) الذي كان شغوفاً بالتصاميم الجميلة للبيوت وادخل على تصميم منزله ولأول

---

(١) احمد بن عبدالرحمن بن علي السقاف الأمالي في التراجم دار الأصول صفحة ٦٨.

مرة بحضرموت الاسطوانات المدورة التي تفصل بينها العكوف شبه المستديرة والمسماة بالكشاري وقد عتب عليه العلماء في نقل هذه البدعة المعمارية إلى حضرموت

كما عمّر الحبيب علوي المشهور بمنزله حديقةً بديعة وعمل بها بركة ماء كبيره وأخرى صغيره وانبت حولها الورود والأزهار، واتخذ له ولزواره ولطلبة العلم متكأ يجلسون فيه بعد عصر كل يوم للروحة المعتادة [١].



من بيوت تريم القديمة

إلا أن كبار العلويين وعلمائهم لا يحبون الافتنان ببناء البيوت وتزويقها وينكرون على من يفعل ذلك ويقول الحبيب احمد بن عمر بن سميط (١١٧٧-١٢٥٧هـ) : تشييد المباني من الفتن العظيمة التي عمت في حضرموت قال الإمام الغزالي رحمه الله في باب عجائب القلب من كتاب الإحياء (ومن أبواب الشيطان العظيمة التي يدخل بها إلى قلب الإنسان حب التزين للخلق في الأثاث والمراكب والدور ونقل عن والده الحبيب عمر بن سميط : جاء بعض السادة من آل تريم إلى حبيبي عمر حامد وهو في مرض موته فقال لهم كل أموركم مليحة يا سادة إلا تشييد المباني (انتهى)[٢].

---

(١) أبو بكر العدني بن علي المشهور لوامع النور دار المهاجر للنشر صفحة ٣٨.

(٢) مجموع مواعظ وكلام الحب احمد بن عمر بن سميط دار الفتح صفحة.

وذكر الأستاذ الشاطري أن تصاميم البيوت تبدلت بحضرموت في أوائل القرن الثاني عشر الهجري حيث بنى الوجهاء والموسرين قصورا فخمه مثل القصر الفخم للإمام علي زين العابدين العيدروس والذي بنى بيته على ربوة بسحيل تريم وقد ادخل عليه بعض الفن المستورد من الهند[١] . وقد تصيب القارئ الدهشةَ إذا عرف أن السيد أبو بكر بن محمد بلفقيه استقدم مهندسا من الهند في سنة ١٠٩٧هـ لبناء قبة نبي الله هود وقبة مسجد بلفقيه بتريم[٢] حيث لم يتمكن البنائين الحضارمة من إتقان بناء القباب الكبيرة.

ومن عباقرة العلويين في الهندسة المعمارية السيد علوي بن أبو بكر الكاف الملقب بالخضيب (والخضيب طائر صغير يتفنن في بناء عشه) وقد صمم معظم قصور آل كاف بتريم وسيؤن مثل قصر السيد أبوبكر بن شيخ في سيؤون وقصر عشه بتريم.



قصور في تريم تداعت وباد سكانها

ولقد ظهرت في أوائل القرن الثالث عشر بعض القصور الفخمة لبعض الأغنياء من تريم وسيؤون واستخدمت فيها تصاميم البناء المستخدمة في الهند وسنقفورا إلا أن اغلب

---

(١) محمد بن احمد الشاطري ادوار التاريخ الحضرمي صفحة ٢٧١.

(٢) نفس المصدر السابق صفحة ٢٧١.

هذه القصور الضخمة أصبحت في زمننا هذا أطلالا وبعضها تصدع وتهدم وبعضها هدم وزال. ويميل اغلب العلويين من متوسطي الحال إلى بناء البيوت الكبيرة التي تمكنه ممن استقبال الضيوف بمعزل عن سكن العائلة والحريم مع وجود سلّمين بكل جهة ويمكن القول بان هذه البيوت عبارة عن بيتين كاملين ملصقين ببعضهما البعض، كما ذكرنا في بداية الفصل. ولبيوت الموسرين حدائق غناء بها أشجار النخيل والليمون والرمان وبعض الخضروات وتسقى من بئر خاصة ينزح منها الماء في الأيام الماضية يدويا ثم تحول ذلك إلى إلى مضخات المياه الكهربائية.

وتتميز بيوت العلويين بسيؤن وتريم بالمساحة المفتوحة المسماة بالتكة والتي تستخدم للجلسات الكبيرة وكذلك الغرف غير المسقوفة المسماة بالريوم والمستخدمة للمبيت في أوقات الصيف كما تعمل النوافذ واسعة وطويلة وتصل حافتها السفلى الى قرب ارض الغرفة و تكون متعددة حتى في الغرف الصغيرة ويفيد ذلك في الاستفادة من منظر الحديقة البهيج كما تغني كمية الضوء الداخلة عن استخدام الإضاءة الصناعية بداخل البيت.

اما بيوت شبام فقد وصفها المستشار انجرامس بقوله: إنها أكثر بيوت حضرموت ارتفاعا وتتكون من سبعة وثمانية طوابق وتوصف بناطحات السحاب وهي مبنية من اللبن والتبن وتحوي شبام حوالي خمسمائة بيت كلها متساوية في الشكل والارتفاع وتبدوا من البعد ككتله بيضاء اللون ورغم ارتفاع هذه البيوت إلا أنها ضيقه من الداخل وليس لها دهاليز ولا أحواش ولا غرف استقبال كبيرة ونظرا لارتفاع البيوت فان الأزقة التي تفصل البيوت عبارة عن أخاديد يغمرها الظلام (انتهى باختصار وتصرف بسيط)[١].

ووصف بن عبيدالله بيوت شبام فقال[٢] إنها على شبه بديار صنعاء فهي متضايقة

---

(١) دبليو اتش انجرامس حضرموت ١٩٣٤-١٩٣٥ تعريب سعيد النوبان صفحة ٥٦

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مكتبة الارشاد صفحة ٢٨٠

وأزقتها ضيقه وجوها ليس بالنقي لكثرة مياه المراحيض مع أن الشمس لا تتخللها لطول ديارها فلا تقصر ما بها من الجراثيم ثم قال ولقد اتفق لي أن دخلت ساعة من نهار بمنزل الشيخ احمد كويران فحدث لي اتعاظ عظيم واقشعر جلدي وترطب خدي وذكرت ضيق القبور نسأل الله السلامة والعافية.

وقد ذكر الأستاذ محمد أبو بكر باذيب اختفاء المظاهر السابقة من بيوت شبام مع إدخال نظام التصريف الحديث.

ومن أهل شبام الشيخ احمد بركات وله نوادر لطيفة، منها: أن احد أهل سيؤن سأله كيف تتمكنون يا شيخ أحمد من طلوع هذه البيوت الطويلة؟ فأجابه الشيخ بركات: إن الحريم يتزينّ ويطلعن من العشي إلى الريوم بأعالي هذه البيوت، ويكنّ بالانتظار، فإذا أقفلنا الدكاكين طلعنا إلى الريوم خبَباً، بدون أن نشعر بالتعب!.

ووصل لبيت الشيخ بركات سائلٌ، فوجدَه قد وصلَ لسطح بيته بعد جهد، فقال للسائل: ماتريد؟ فقال السائل: انزل أريد أن أكلمك، فقال الشيخ أحمد بركات: لا تكلفني النزول، وكلمني من عندك، فأبى الرجل فظن الشيخ بركات أن الأمر مهم، فلما نزل له قال له: الرجل أريد منك مساعدة! فقال له الشيخُ بركات: لا بأس، ولكن اتبعني لسطح البيت، فتبعه السائل خلالَ الدرج الطويل، ولما وصلا إلى السطح، والسائل يلهث، قال له: الله كريم!

أما بيوت القبائل بحضرموت فتكون أحيانا متصلة ببعضها البعض، وعليها سور واحد بسبب الحروبِ القبلية المستمرة، مع ضيق النوافذ، حتى لا تسمح بتسور الأعداء عليهم ليلاً، إلا إن لبعض بيوت أعيان العلويين سراديب تصلُ بعض البيوت ببعضها، مثل دار قاضي سيؤن العلامة عبدالله بن حسين السقاف المتوفى سنة ١٣٤٩هـ، والذي يتصل بسردابٍ ببيت قريب لهم، ويفيد السردابُ في تحريكِ أفراد العائلة والغنم عندما يهجمُ عبيد السلطان على بيوت الأعيان عند تأخر رواتبهم.

وقد تغيرت أساليب البناء في السنوات الأخيرة واتجه الناس إلى بناء البيوت من الخرسانة المسلحة، واتخذوا بها المراحيض الحديثة، وزينوا جدرانها بالألوان البديعة، وأرضيتها بالرخام او الآجر، وأسقفها بالجبس الموشّى، واتخذوا فيها الأنوار الكهربية الحديثة، وفرشوها بالفرش الوثيرة.

بل وقد تطورت بيوت الطين القديمة، فنورت بالنُّورة البيضاء، وتحولت مراحيضها القديمة والتي كانت مناسبة جدا لأحوال البلاد لعدم تأثيرها السلبي على البيئة، إضافة لتوفيرها السماد الطبيعي للزراعة، ولهذا نجد أنه لما انتشرت المراحيض الإفرنجية اتجه المزارعون للسمادِ الصناعي المكلِّف والمضِر بالصحة، كما أثرت مياه الصرف الصحي من هذه الحمامات على المياه الجوفية، خصوصا وان التربة طينية رخوة، فزادت ملوحتها وأصبح ماءُ الآبار في مدينة كسيؤون، والتي كان يضرب بها المثلُ في حلاوة الماء، أصبح ماء آبارها أجاجاً، إضافة إلى ما لم يعرف بعدُ من أنواع التلوث البكتيري، لهذه المياه نتيجة اختلاطها بمياه الصرف الصحي.

ويقول خبراء البناء الحضارمة: إن البناء المسلح مع شدة مقاومته للسيول والأمطار إلا أن فترة بقائه لا تصل لعمر بيوت الطين، والتي صمدت مع العناية بها لمئآت السنين، كما أن بيوت الطين باردة من الداخل صيفا وحارة شتاء، بعكس بيوت الخرسانة المسلحة التي تكون حارة في الصيف كافران الخبز.

إلا أن بيوت الطين تحتاج إلى رعاية مستمرة، وإذا توقفت رعايتها وصيانتها فإنها قد تنخسف مع مرور الزمن، كما أن البيوت الطينية ذات الطابقين قد لا تحتمل أسقفها الأحمال الثقيلة، فتنخسف على ساكنيها. وذكر كتاب الخبايا في الزوايا: أن الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي (١٢٣٧-١٣١٤هـ) نزل بالمسيلة في بيت أحد السادة آل بن يحيى، ولما كانوا في صلاة العشاء (التي يبدوا ان الناس تزاحموا لحضورها) انخسفَ بهم سقفُ الدار، فسلم الأكثرون

ومنهم الحبيب عيدروس بن عمر، ولم يصب من المصلين إلا سبعة مات منهم ثلاثة[١].
وحدث مثل ذلك للحبيب مصطفى المحضار: إذ انخسف سقف البيت وهم نيامٌ، فلما قاموا للصلاة استغربوا كونَ السراج أصبح بعيدا عنهم، ثم عرفوا ما حصل ولكن لم يصب أحد منهم بأذى.

ويكره العلويون بيع بيوتهم ويستحسنون رهنَها بدل البيع عند الحاجة الشديدة، وذكر السيد عمر بن علوي الكاف: أن السيد العلامة عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف (١٢٧٩-١٣٧٥هـ) جاء إلى الحبيب علوي بن عبدالله بن شهاب، وقال له: أنا جئتك اليوم لأستشيرك في مكان معي في علمْ بدر بسيؤن، وقد دعتني الحاجة إلى بيعه، فهل ترى الصالح لي في بيعه أو عدم بيعه؟ فقال له الحبيب علوي: إن كان هذا المكان ورثته من أهلك وأجدادك فلا خيرَ لك في بيعه، وغايةُ الأمر ترهنه فقط، وإن كنتَ أنتَ الذي اشتريته، أو وهبه لك أحدٌ فلا بأسَ أن تبيعه عند الحاجة، فقال ابنُ عبيدالله: بل ورثته عن أهلي، فقال له: لاتبعه والأحسن أن ترهنه، (انتهى)[٢].

ولما فرغ الحبيب علوي بن عبدالرحمن المشهور من بناء منزله الجديد في منطقة بلعشر بتريم عام ١٣٠٦ هـ باعَ منزله القديم على السيد حسن بن شهاب ثم ندم على البيع ورجع إليه يطلب الإقالة لأنها بيوت موروثة عن والدته، ولكن السيد حسن بن شهاب لم يقبل الإقالة ومضى البيعُ فأصاب السيد علويّ هم شديد، وتمنى لو قدر على العود إلى منزل أمه بأي ثمن[٣]. إلا أن الحبيب علوي استفاد من هذه التجربة، لذلك لما زار احد الزائرين

---

(١) علوي بن عبدالرحمن الكاف الخبايا في الزوايا دار الحاوي صفحة ١٠٣.

(٢) عمر بن علوي الكاف تحفة الاحباب بذكر نزر من مناقب الحب علوي بن شهاب دار الحاوي صفحة ١٥٣.

(٣) أبو بكر العدني بن علي المشهور لوامع النور دار المهاجر للنشر صفحة ٣٧.

حديقتَه البديعة، أشار عليه ببيعها لأنه رأى أن ستحقّق له ربحاً كبيرا، فانفعل الحبيب علوي وهجاه بقصيده من أبياتها:

قسما بمن فلق الصباح بأنك الغر الغبي تبدي للأمور الخارقة

لم ينتهي لعويص فهمك ما ترى ممن يفوق للسهام المارقة

او ما علمت بان بثري هذه عندي أعز من الجنان الفائقة



قصر بنقاله في سيؤن ولم يعد له اثر الآن

ومن قصور العلويين المشهورة بسيون: قصر بنقالة، وقد بني لحساب السيد عبدالقادر بن عبدالرحمن السقاف وزير السيد محمد بن أحمد السقاف بسنقفورا، وقد بني بضخامة لم يعهدها أهل حضرموت من قبل وأصبح حديث الناس وأعجوبة من عجائب الزمن حتى قيلت فيه الأشعار:

سابق زمن في الطويلة دار بنقاله في الطول والعرض وريومه وأقبالـه

قال بن عبيد الله[1]: وقد بناه في بير كانت لمسجد طه، فاشتراها السيد عبد القادر بألفين ريال وهو أكثر من ثمن المثل، وسمعت والدي يقول: إنه لن يسكنه! فكان كذلك. وكان سنة

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثالث صفحة ١٥٤.

١٣٢٠ موجودا بحضرموت، وكان له بها شان وعلم وخبر، وزار والدي فأنبه ووعظه، فقال لخاصته: ما صدقني القولَ إلا عمي عبيدالله، ثم سار السيد عبدالقادر إلى سنقفورا، وقتل بها، وبيع قصر بنقاله الذي أنفق عليه ثلاثين ألف ريال بعشرة آلاف ريال! وكان الذي اشتراه السيد عبدالله بن احمد بن عبدالله بن سقاف، فسكنه مدة ثم اختل حاله وتوفي، فاشتراه آل الكاف من ورثته بخمسة عشر ألف ريال، وما أظنه إلا شوما (انتهى). وفُتحَت بقَصر بنقاله أول مدرسة متوسطة للبنين بمدينة سيؤن في العام الدراسي ١٩٥٨/٥٧م، وتدهورت حالة القصر بعد ذلك نتيجة الإهمال، ثم بيع وهدم سنة ٢٠٠٢م[١].



قصر آل بن بصري بسيؤن

ومن القصور الأخرى الكبيرة بسيؤن: قصر السيد علوي بن بصري، وكان مهتما بإتقان بناء هذا القصر، حتى انه قدم من جاوة مرات لمتابعة تنفيذه، وبلغ به الحد في طلب الإتقان انه قد يهدمُ جزءا مبنيا إذا رأى فيه اعوجاجا، او شكلا مغايرا لما يريد، ولما أقعده المرض كان يحمل في محفة ويتابع تنفيذ البيت، وهذا البيت لم يزل معمورا إلى هذا اليوم.

ومن قصور أثرياء العلويين الأخرى بسيون: قصر السيد هود التويني السقاف، وهو من أوائل من استخدم التليفون السلكي في بيته، ومن أوائل من أحضر السيارة مفككةً على

(١) التعليم في وادي حضرموت النشأة والتطور اعداد لجنة توثيق التاريخ صفحة ١١٨.

ظهور الجمال إلى سيؤن قبل تعبيد الطريق بين ميناءِ المكلا وداخل حضرموت. وقد هدم هذا القصر وأقيمت مكانه مدرسة النهضة للبنات.

ومن القصور المشهور بسيون: قصر السيد يوسف المشهور المعروف بالسرّيسّار، وقد تهدم، ثم قصر السيد أبو بكر بن شيخ الكاف المعروف بـ(بن داعر)، وقد تحولَ بعد أن تراجعت أحوال السيد أبو بكر بن شيخ الكاف إلى مدرسة داخليةٍ للبنين لسنين عديدة، ثم هجر، وهو الآن أطلال متداعية.



قصر السيد أبو بكر بن شيخ، من تصميم السيد علوي الخضيب

أما قصور العلويين بتريم فهي أكثر مما بسيؤن، وقد تهدم بعضها وبقي البعضُ الآخر شاهداً على مقدار الثروة التي تمتعَ بها هؤلاء الناس في ذلك الزمن، وقد أنير بعضها بالكهرباء، وأحضر آل الكاف السيارات من الخارج مفككه على ظهور الجمال.

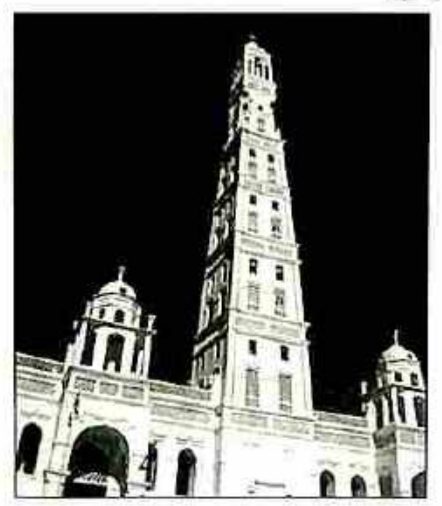
وفي السنين الأخيرة قام بعضُ الموسرين من أهل تريم من الذين جمعوا ثروة من مهاجرهم، ببناء القصور الحديثة التي تحتوي على التكييف المركزي والمصاعد الكهربية وزينات الجبس الداخلية بما يزيد كثيرا عن مستوى البلاد الحضرمية.

وتتمثل عظمة العمارة الطينية في منارة مسجد المحضار العظيمة الارتفاع بتريم والتي صممها السيد العلامة أبو بكر بن عبد الرحمن بن شهاب (١٢٦٢-١٣٤١هـ) عند تجديده

عمارة هذا المسجد على نفقته وقد نفذ هذا التصميم البديع عام ١٣٣٣هـ المعلم عوض سليمان عفيف (توفي سنة ١٣٤٥هـ). وأبناؤه والذين نفذوا أيضا منارة مسجد الرياض الجميلة بسيون، وعددا من المساجد والقصور الأخرى، ويتسع مسجد المحضار لألف مصل[١].

ولعل العلامة ابن شهاب استفاد من رحلاته إلى بلاد العالم، حيث يلاحظ الداخل لهذا المسجد بعض التشابه في التصميم بينه وبين بعض المساجد الإسلامية الشهيرة، مثل الحرم المدني والجامع الأموي بدمشق والمسجد الأزهر بالقاهرة، من حيث وجود الفناء المفتوح المحاط بالأروقة، والجزء الداخلي المسقوف.

وذكر السيد أبوبكر المشهور في كتاب لوامع النور[٢] نقلا عن احد السادة المعمرين: أن الحبيب علوي بن عبدالرحمن المشهور جاء بصورةٍ لمنارة احد المساجد بالهند أعجبته واقترح أن يعمل مثلها لمسجد المحضار، مع أن المعروف المتداول أن المخطط والمصمم والمنفذ للمسجد والمنارة هو السيد العلامة أبوبكر بن عبدالرحمن بن شهاب، ولعل الحبيب المشهور شارك في تصميم المشروع.



مسجد المحضار بتريم من الخارج

(١) احمد بن عبدالله بن شهاب تريم ببين الماضي والحاضر صفحة ٧٢

(٢) أبوبكر المشهور لوامع النور دار المهاجر للنشر صفحة٥٧ الجزء الأول

وقد تميزت مئذنة مسجد المحضار المربعة عن المنائر الدائرية المعتادة بحضرموت، وارتفعت إلى أكثر من أربعين متراً بمادة الطين، وكان هذا الارتفاع عاملا مهما في إيصال الصوت إلى المناطق المجاورة، حيث كان المؤذن يصعد إلى أعلى هذه المئذنة بعد أن يكون قد قطع أكثر من ١٣٤ درجه لكل صلاة[١]. ومع إعجابي بروعة العمارة المتمثلة في هذه المئذنة إلا أني شديد الإعجاب أيضا بمؤذن مسجد المحضار في ذلك الوقت، والذي كان يصعد حوالي سبعمائة درجة في اليوم على مدار السنة، ليؤذن للصلوات الخمس ولعله كان أسعدَ الناس باختراع الميكرفون.

ومما اثأر انتباهي في مسجد المحضار: إقامة الصلاة مباشرة بعد الأذان، كما يحدث تماما في المسجد الأزهر بخلاف بقية المساجد بمصر، وكذلك في تريم حيث لا تقل الفترة بين الأذان والإقامة فيها عن ربع الساعة.

أما مساجد العلويين القديمة بتريم: فقد ذكر السيد أحمد بن عبدالله بن شهاب[٢] أسماء ٩٤ مسجداً من المساجد القديمة، و٢١ مسجدا حديثاً، بما يوصل مجموع المساجد بتريم إلى مائة وخمس عشرة مسجداً، وهو عدد كبير بالنظر لمساحة المدينة وعدد السكان. وتتميز المساجد القديمة ببقائها على حالتها القديمة، مع بعض الترميمات.

وأشهرها: مسجد باعلوي، وكان يسمى في القديم مسجد بني أحمد، وكذلك مسجد السقاف ومسجد المحضار وجامع تريم، وقد تجدد بناءه القديم على نفقة الأمير عبدالله بن علي العولقي ساكن حيدرأباد. وللمساجد مراحيض تكون في زاوية بعيدة من المسجد، ويتعهدها المشرفون بالنظافة، ولها سقايات لماء الشرب استبدلت حديثاً بالبرادات الكهربية. أما المساجد الحديثة فقد بني كثير منها من الخرسانة المسلحة، وزينت من الداخل بالجص

---

(١) عوض سليمان عفيف باني منارة المحضار مركز النور للدراسات صفحة ٣٩.

(٢) احمد بن عبدالله بن شهاب تريم ببين الماضي والحاضر صفحة ٥٤.

الملون، ونورت بالمصابيح الكهربائية، وزودت بالمراوح الكهربية لتلطيف الجو كما زودت المساجد الكبيرة مؤخرا بمكيفات الهواء.

ومن أشهر المساجد بسيون مسجد طه الذي أسسه السيد طه بن عمر الصافي الأول (٩٥٣-١٠٠٧هـ)، ثم بنى ابنه السيد عمر بن طه المتوفى سنة ١٠٥٣هـ الجانب الجنوبي منه، كما بنى لنفسه دار بهذه الجهة وقام بالتنفيذ المعلم بامصباح من أهل تريم، ثم قام الزعيم السيد محسن بن علوي بن سقاف (١٢١١-١٢٩٠هـ) بهدم القبب الصنوبرية بسطح هذا المسجد وسواها حتى يتمكن الناس من الصلاة بسطح المسجد أثناء الصيف على نفقة صديقه الثرى عمر دُحمي بافضل، وكان ذلك فى رمضان، واكتمل العمل فى مدة لم تتجاوز عشرة أيام، ولم تأت ليلة سبعة وعشرين رمضان إلا وكان ختم مسجد طه في سطحه. ومن أعمال السيد محسن بن علوي أيضا: عمارة وتجديد المسجد الجامع بسيون على نفقة الشيخ عبدالله بن على العولقي المقيم بالهند[١].



مسجد طه بسيؤن بعد تجديده الى اليمين

---

(١) علوي بن عبد الله السقاف التلخيص الشافي: ص .

ثم قام حفيد حفيده السيد علوي بن عبد الله السقاف (١٣١٥-١٣٩٢هـ) بهدم مسجد طه القديم بسيون وتوسعته توسعه كبيره وأعاد عمارته بشكله الحديث الحالي لاستيعاب الزيادة الكبيرة في أعداد المصلين، خصوصاً في صلوات العشاء برمضان ومن صفات هذا المسجد انه لم يدخله منذ تأسيسه قبل خمسمائة سنة طبل ولا يراع.

ومن العادات القديمة بسيؤن والتي تلاشت في السنوات الأخيرة: اقتصار صلاة العشاء في رمضان على مسجد طه بسيون، فتجتمع الخلائق لصلاة العشاء من سيؤن وضواحيها، فيضيق بهم المسجد على سعته ويكون ذلك اجتماعا مشهودا. كما لم تكن صلاة الجمعة تقام بسيون إلى وقت قريب ألا بالمسجد الجامع، ثم لما تكاثر الناس أقيمت صلاة الجمعة بترتيب الجد علوي بن عبدالله السقاف بمسجد طه، وكان ذلك في السبعينات الميلادية، أما الآن فتقام صلاة الجمعة بعدة مساجد في سيون.

ومن مساجد سيؤون الكبيرة: المسجد الجامع الذي اقتصرت عليه صلاة الجمعة والعيدين إلى وقت قريب، إضافة إلى عدد من المساجد الأخرى القديمة مثل: مسجد السلطان، ومسجد عبد الملك، ومسجد الرياض الذي شيده الحبيب علي بن محمد الحبشي في سنة ١٢٩٥هـ، أما المساجد الحديثة ففقد كثرت في السنوات الأخيرة بسيؤن وبقية مدن وقرى حضرموت.

* * *

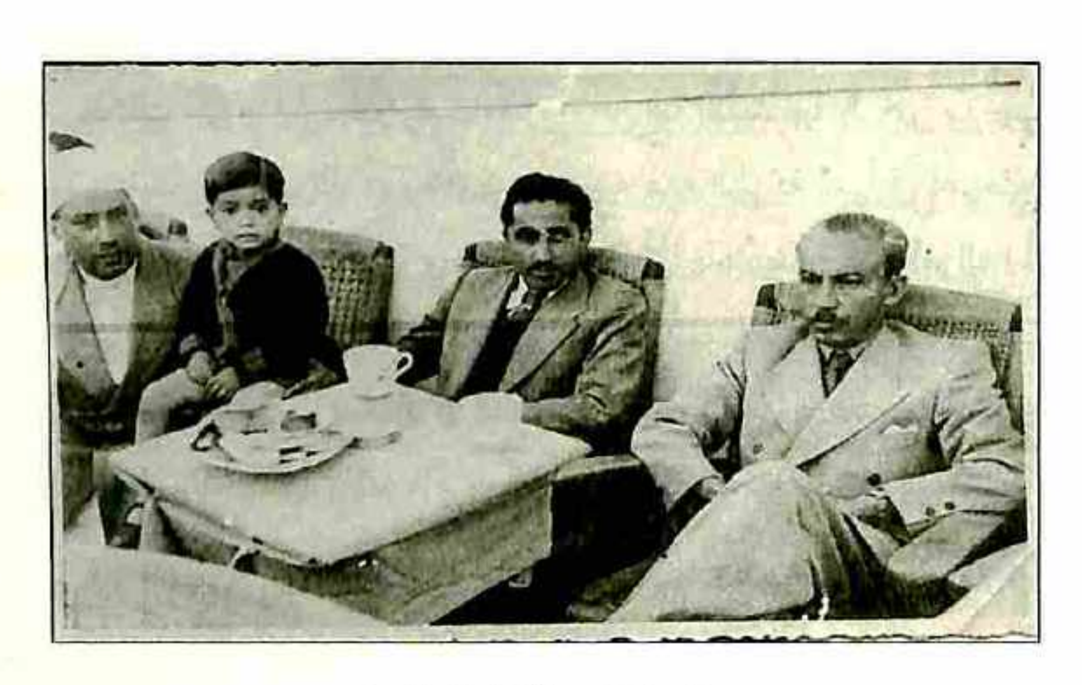
الفصل التاسع والعشرون

العلويون وهندسة المباني

السيد علوي بن أبي بكر بن علوي الكاف

سنان باشا حضرموت

١٣١٤-١٣٧٣ هـ



السيد علوي الكاف إلى اليمين

مع السيد محسن السقاف في الوسط والسيد حامد المحضار إلى اليسار

يلقب السيد علوي بن أبي بكر الكاف بالخضيب، وذكر لي الشيخ عمر الخطيب المتوفى بسنقفورا: أن الخضيب طائر معروف في حضرموت بكثرة اعتنائه ببناء عشه، وهو من أعظم المهندسين الحضارمة الذين برعوا في تصميم القصور والمساجد والسدود، وتلقى هذه الموهبة الفطرية في التخطيط والهندسة دون أن يلتحق بمعهد للهندسة أو كلية للعمارة.

وكان ميلاده في سورابايا بإندونيسيا. وقد نشأ في بيت أخواله بجاوة، وقد كانوا أهل علم وصلاح وتقوى ونظام دقيق للمعيشة، ثم سافر به والده إلى حضرموت عندما كان عمره سبع سنوات، ثم توفي والده بحضرموت سنة ١٣٢٠هـ فتربى في بيت أخيه الأكبر صادق، وتعلم اللغة العربية والعلوم الدينية، وكان حسن الخط متقناً للرسم، كما عرف في طفولته بالاعتناء بهندامه ومظهره وكان محبوباً من الناس[١].

ثم سافر السيد علوي الكاف إلى سنقفورا سنة ١٣٤٤هـ، وتزوج ابنة المرحوم شيخ بن عبد الرحمن الكاف التي ما لبثت أن توفيت، فتزوج من ابنة السيد عبد الرحمن بن جنيد الجنيد، وعمل في شركة الكاف وشركاه في وقت شهدت فيه هذه الشركة نمواً في أعمالها، واستطاع السيد علوي ضبط حسابات الشركة وتطوير إدارتها، كما قام أيضاً بتنمية أمواله الخاصة من دون الإخلال بالتزاماته لشركة الكاف، فامتلك بعض العقارات والبيوت، واكتسب خبرة كبيرة في أعمال الحسابات، كما انخرط في النادي الأدبي بسنقفورا واعتنى بمراسلة الصحف العربية والأجنبية، واشترك في مجلات المصور والهلال ومجلة الفكاهة ومجلة كل شيء[٢].

ثم عاد السيد علوي الكاف إلى حضرموت سنة ١٣٥٢هـ ليتولى إدارة أعمال آل الكاف بحضرموت، كما أسس بعض الشراكات التجارية مع تجار حضرموت.

---

(١) محمد الجنيد وحسين الكاف، المهندس علوي بن أبي بكر الكاف رائد العمارة الطينية، مركز النور للدراسات، صفحة ٥٠-٥١.

(٢) محمد الجنيد وحسين الكاف، المهندس علوي بن أبي بكر الكاف رائد العمارة الطينية، صفحة٥٦-٥٧.



قصر المنيصورة لآل بن يحيى من تصميم السيد علوي الكاف

وخلال هذه الفترة ظهرت عبقريته الهندسية في تصميم المساجد والقصور بتريم وسيؤن، وابتكار عدد من الأساليب الهندسية التي لم تعرف قبله بحضرموت، مثل استخدام الزجاج المعشق في بعض شرفات القصور، وعمل التيجان المزينة لواجهات القصور وعمل الشرفات والبلكونات والابتكارات في مجال الزخرفة الداخلية، وفي مجال الإنارة والتهوية التي تظهر جلية في قصر عشه لعمر بن شيخ الكاف، وبنى أكبر صالون في حضرموت بدون أعمده بقصر بن داعر بسيؤن للسيد أبي بكر بن شيخ الكاف، واستعمل في ذلك ولأول مرة بحضرموت جسور الإسمنت المسلح، وعمل تصمياً بقصر الدولة يتيح للسيارات الوصول للدور العلوي(١).

وكانت أعشاب الجاتي والكافور(٢) وبعض النوافذ المطلوبة والزجاج المعشق والبويا الملونة تجلب من سنقفورا عبر رحلة بحرية طويلة إلى الشحر، ثم على ظهور الجمال إلى تريم

(١) محمد الجنيد وحسين الكاف، المهندس علوي بن أبي بكر الكاف رائد العمارة الطينية، صفحة ١٧٠.

(٢) محمد الجنيد وحسين الكاف، المهندس علوي بن أبي بكر الكاف رائد العمارة الطينية، صفحة ٢٢٢.

في رحلة تستغرق عدة أيام. وهو الذي بنى أول مطار بتريم ووضع تصميم سد النقرة بعد أن فشل التصميم الذي وضعه المستر بكتن، كما صمم سجن سيؤن، وجلب مكينة زراعية لبير حمدون كانت الأولى بتريم، وأشرف على تنفيذ طريق الكاف للسيارات الواصل بين الشحر وداخل حضرموت.

وكان للسيد علوي الكاف نشاط اجتماعي بتريم فقد كان عضواً نشيطاً بجمعية الحق، وله دور في تأسيس مدرسة الكاف الأهلية التي افتتحت سنة **١٣٥١** هـ، والتحق بها **١٢٠** طالباً، وتولى السيد علوي مسؤولية مراقبة السلوك والآداب بالمدرسة[١]، وله دور في تأسيس نادي الشبيبة بتريم سنة **١٣٥٠** هـ وهو أول نادٍ رياضي، وجعل بيته أول مقر لهذا النادي. كما كان السيد علوي حريصاً على تعليم نفسه، لذا فإنه يحرص على اقتناء الكتب الهندسية وكتب العمارة والتصاميم من مصر[٢]، ويشتري سلسلة علّم نفسك الإنجليزية[٣].

ومن صفاته دقة ملاحظته واهتمامه بالتفاصيل الصغيرة وحبه الشديد للعمل، وعشقه الإبداع والإتقان في العمل، وكانت لديه موهبة الاستفادة من تجارب الآخرين، ومن المعلومات المتوفرة وتكييفها بما يناسب الحال[٤]. كما أنه كثير الاستشارة في أعماله وتصاميمه فيأخذ رأي أبنائه، ومن يعتمد عليهم من مساعديه، حتى إنه يستشير زوجته في شؤون عمله[٥].

وفي الأربعينيات الميلادية انتقل السيد علوي الكاف إلى عدن وأسّس شركة الكاف للمقاولات التي نفذت عدداً من المشاريع الكبيرة واستأجر سفينة صيد إيطالية، كما استأجر مع التاجر علي بن كوير سفينة لنقل البضائع بين عدن والمكلا وأنشأ مصنعاً لتعليب الأغذية،

---

(١) محمد الجنيد وحسين الكاف،المهندس علوي بن أبي بكر الكاف رائد العمارة الطينية، صفحة ٢١١.

(٢) محمد الجنيد وحسين الكاف،المهندس علوي بن أبي بكر الكاف رائد العمارة الطينية، صفحة ٨٧.

(٣) محمد الجنيد وحسين الكاف،المهندس علوي بن أبي بكر الكاف رائد العمارة الطينية، صفحة١٥٥.

(٤) محمد الجنيد وحسين الكاف،المهندس علوي بن أبي بكر الكاف رائد العمارة الطينية، صفحة١٦١.

(٥) محمد الجنيد وحسين الكاف، المهندس علوي بن أبي بكر الكاف رائد العمارة الطينية، صفحة ١٥٥.

إضافة إلى شركة للدراجات الهوائية[١]. وكان السيد علوي الكاف كريماً مضيافاً يستقبل الضيوف في بيته، ولما تزايد عددهم استأجر لهم منزلاً خاصاً.

أدى فريضة الحج سنة ١٣٥٦ هـ، كما قام برحلة إلى مصر سنة ١٣٥٥ هـ[٢]، ثم توفي بعدن ودفن بمقبرة بازرعة بعدن عن عمر سبعين عاماً. وقد صمم قصور الكاف بتريم وسيؤون، فكانت من أعظم الإنجازات المعمارية، واستخدم في بنائها المواد الخام الأولية دون أن يستورد لها مكونات من الخارج إلا فيما ندر. وهو يشبه في عبقريته المعمارية المهندس العثماني العظيم سنان باشا الذي بنى أغلب المساجد الضخمة والقصور الفارهة بالآستانة والتي مازالت باقية إلى اليوم شاهدة على عبقريته وعظمة البناء التركي في زمانه.



قصر السيد أبي بكر بن شيخ الكاف بسيؤن (بن داعر)

من تصميم السيد علوي الكاف

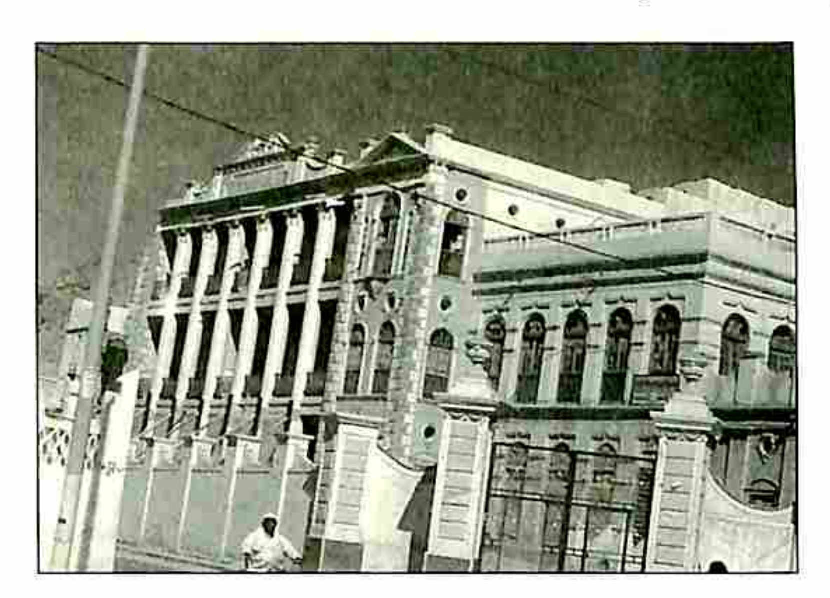
وقد استخدم في بناء أسقف قصر أو سرايا السيد أبو بكر بن شيخ الكاف المسمى بن داعر والظاهرة صورته بالأعلى إلى اليمين والمبني بمدينة سيؤن سنة ١٩٣٥ من الاعمده

---

(١) محمد الجنيد وحسين الكاف، المهندس علوي بن أبي بكر الكاف رائد العمارة الطينية، صفحة ١٦٠.

(٢) محمد الجنيد وحسين الكاف، المهندس علوي بن أبي بكر الكاف رائد العمارة الطينية، صفحة٦٤-٦٥.

الإسمنتية، ذلك لأول مرة في حضرموت[١]. والسبب في ذلك كما يروي والدي يحفظه الله أن السيد أبا بكر بن شيخ الكاف رغب في أن تكون بقصره قاعة كبيرة للاجتماعات والمناسبات بلا أعمده في وسطها، وكان ذلك مستحيلاً بحسب إمكانات المعمار الحضرمي في تلك الأيام، إلا أن السيد علوي الكاف تصدى لهذا العمل واستخدم الأعمدة الإسمنتية في بناء السقف، وكان يقوم بنفسه بالإشراف على بنائها. ومما يدل على متانة بناء هذا القصر أنه رغم مرور ثلاث وسبعين سنة على بنائه، إلا أنه لم يتهدم ويندثر رغم الإهمال الشديد الذي تعرض له على مدى عدة عقود.



قصر عبد الرحمن بن شيخ الكاف بتريم من تصميم السيد علوي الكاف

ولم تقتصر خبرة السيد علوي الكاف على بناء القصور، بل شملت السدود، وتفوق في هذا المجال على خبير السدود الإنجليزي المستر بكتن الذي جلبته بريطانيا من قبرص لبناء سد النقرة بين بلدتي قسم وعينات، حيث لم يقتنع الإنجليز بالتصميم الذي وضعه السيد علوي الكاف لهذا السد فبنى المستر بكتن الذي وصل حضرموت حاملاً آلة موسيقية بدلاً

---

(١) جعفر السقاف وعلي أنيس الكاف، الزعيم الحكيم أبو بكر بن شيخ الكاف، تريم للدراسات والنشر، صفحة ٣٦.

من آله هندسية سداً بلغ طوله ٤٤٠ قدماً وعرض أساسه ٤٥ قدماً، واشتغل في بنائه ٧٠٠ عامل، واستخدمت لبنائه أموال إغاثة حضرموت من المجاعة، ولكن سد بكتن لم يصمد أمام أول سيل تعرض له، وذهبت أموال إغاثة حضرموت أدراج الرياح[١].

ثم أعاد السيد أبو بكر بن شيخ الكاف بناء السد على نفقته بالتصميم الذي وضعه السيد علوي الكاف، فكان أقوى من سابقه.

وحتى يستكمل السيد علوي الكاف الخبرة الهندسية والزراعية فقد رافق بقية السادة الكاف إلى مصر في سنة ١٩٣٦ م في رحلة تهدف للاستفادة من الخبرات والتجارب المصريه في مجال الزراعة والهندسة المعماريه وغيرها من المجالات[٢].

كما أنه أرسل المعلم التريمي أحمد عبيد إلى سنقفورا سنة ١٣٤٥هـ ليتعلم التعامل مع الإسمنت، وعمل الصبات المسلحة، وحتى ينتفع بهذا العلم أهل حضرموت الذين قد لا تتوفر لهم الأعمده الخشبية المطلوبة[٣].

وكان السيد علوي الكاف إلى جانب عبقريته المعمارية لطيفاً أريباً، ومع أنه قليل الكلام إلا أنه يحب المزاح اللطيف، وهو من أصدقاء والدي الحميمين. ذكر والدي أنه كان معه مرة في ضيافة السيد خالد باخشب في مدينة كرن باسمرا سنة ١٣٦٣هـ فقرر الوالد الذهاب إلى الحلاق الإيطالي المشهور، إلا أن السيد علوي الكاف استغفل الوالد وأخذ محفظة نقوده، وذهب الوالد للحلاق بلا نقود حيث عومل معاملة الوجهاء، لكنه عند دفع الحساب لم يجد

---

(١) جعفر السقاف وعلي أنيس الكاف، الزعيم الحكيم أبو بكر بن شيخ الكاف، تريم للدراسات والنشر، صفحة ٨٣.

(٢) جعفر السقاف وعلي أنيس الكاف، الزعيم الحكيم أبو بكر بن شيخ الكاف، تريم للدراسات والنشر، صفحة ١٢٣.

(٣) محمد الجنيد وحسين الكاف، المهندس علوي بن أبي بكر الكاف رائد العمارة الطينية، مركز النور للدراسات، صفحة٢١٥.

محفظته، فاعتبرها الحلاق إحدى حيل العرب وتصرف معه على هذا الأساس، وعاد الوالد وهو يتصبب عرقاً ليسلمه السيد علوي الكاف محفظته التي اختلسها منه ليضعه في هذا الموقف الحرج مع الحلاق.

وكان أحد الوجهاء بحضرموت يخفي عينه العوراء بنظارة سوداء، وفي مأدبة كبيرة كان جلوسه بجوار السيد علوي الكاف، ولما قام هذا الوجيه ليتوضأ للصلاة ترك نظارته، فتناولها السيد علوي بخفته وأزال العدسة السوداء من أمام العين العوراء، ولما توضأ السيد عاد إلى مكانه ولبس نظارته بسرعة، ولم يتنبه لماحدث إلا بعد أن فاجأه الحاضرون بالضحك مع النظر إليه فعرف ما حصل.

أقام السيد علوي الكاف مع أولاده في عدن ردحاً من الزمان، وكان كريماً يستقبل الضيوف القادمين من حضرموت على الرحب والسعة وبيته مفتوح للقادمين والذاهبين.

❊ ❊ ❊

الفصل الثلاثون

العلويون وحب المساكين



اشتهر العلويين بمحبتهم الشديدة للمساكين، والدفاع عنهم ضد الظلمة من رجال القبائل والسلاطين، ولهم في ذلك القصص الكثيرة.

وذكر أن الحبيب سقاف بن محمد بن عمر السقاف المتوفى سنة ١٢١٠هـ إذا حصلت مجاعة واشتد القحط بحضرموت يشتد به الحال رحمة على الضعفاء والمساكين، فإذا اشتد الأمر فإنه يستدين ويستقرض من الأغنياء ويضع ما استقرض عند أصحاب الدكاكين، فإذا رأى مدنفاً حوله على صاحب الدكان، ويرتب لبعض الناس القوت مدة القحط، يريد إحياء نفس ليدخل في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾[١].

وكان الحبيب سقاف مرة صائماً، فلما وضع له طعام فطوره وجده طعاماً مليحاً، فقال: احملوا الطعام إلى الرجل الصالح عبدون ماشع فآثره على نفسه مع جوعه وحاجته للطعام، وكان كثيراً ما يفعل ذلك[٢] وقد وصف الله أمثاله بالآية الكريمة ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾.

ومن حب الحبيب سقاف بن محمد للمساكين أنه إذا دعي في ضيافة أو وليمة عرس لم يحضر إلا أن رأى فيها المساكين المستضعفين، وقد يشترط ذلك لكي يحضر، وقد خرج مرات عدة من بيوت الضيافة لعدم وجود المساكين، حتى يراجعه أصحاب الضيافة ويقولون له: هات من أردت وارجع، ولا تكسر همتنا، فيرجع ويطلب من أراده من المساكين، فإذا انقضت الضيافة قال لهم أعطوا السؤال ولا يخرج من البيت إلا وقد أخرجوا للسؤال[٣].

ونصح الحبيب سقاف التجار في مدرسه يوم الخميس فقال: اتقوا الله في بيعكم، إذا جاءت إليكم امرأة بلفة من الغزل ما صدقت إنها تغزلها، أخذتموها بفائدة وبعتموها بفائدة جمعتم مصلحتين، من مسكينة ما حصلت ذلك إلا بتعب[٤].

---

(١) نشر محاسن الأوصاف في مناقب الحبيب سقاف دار الحاوي صفحة ٢١٤.

(٢) المصدر السابق صفحة ٢١٠.

(٣) المصدر السابق صفحة ٢٣٠.

(٤) المصدر السابق صفحة ٢٥٨.

وقد بلغ من رحمته بالضعفاء والمساكين أنه عندما يسمع بوصول رسائل وهدايا من المهاجرين لذويهم ويعرف أن بعض الأرامل لم يصلهن شيء من أولادهن الغائبين، يستدين من التجار ويشتري شيئاً من الكساء يجعله بصورة الهدية التي ترسل من الخارج، ويأمر بمن يوصله إليهن دون معرفتهن بمرسله ليفرحن مثل غيرهن[١].

وكان شديد الحرص على سرور أهل بلده سيؤون حتى إنه ليرتقي سطح داره في أيام الصيف والخريف فان لم يسمع غناءً ولا طبلاً تكدر لمعرفته أن أهل سيؤون لا يتركون ذلك إلا لضيق في العيش، أو تشوش في البال.

قال ابن عبيد الله وعلى مثل ذلك كان حفيده الحبيب محسن بن علوي السقاف (١٢١١-١٢٩٠هـ)، الذي كان لا يقر له قرار ولا يطمئن بجنبه مضجع إذا لم يسمع أصوات الطبول والأغاني وشارات الأنس بسيؤون، لأن ترك ذلك لا يكون إلا عن ملم يشغل الأفكار، ويشوش الخواطر، وقل ما يغب عن سيؤون دق الطبول وشارات الأنس، لتواصل أفراحهم وغلبة مسراتهم، واطراحهم هم الدنيا بما عندهم من القناعة فهي أصل سعادتهم، وكان يذكر مثل ذلك عن جده سقاف بن محمد[٢] (انتهى).

وذكر ابن عبيدالله شفقة الحبيب محسن بن علوي (١٢١١-١٢٩٠هـ) على الضعفاء والمساكين فقال: كان رحمة تامة بالضعفاء والمساكين ومن لا ناصر له إلا الله، يعود مرضاهم، ويشيع جنائزهم، ويدخل عليهم السرور، ويسعى في قضاء حاجاتهم، وتكاد تطير روحه إشفاقاً عندما تتبين له منهم آثار الضراء والبؤس، وكان يحكي عن جده سقاف بن محمد أمثال ذلك التأثر والانفعال لحاجات أهل العفة من الرجال (انتهى)[٣].

---

(١) المصدر السابق صفحة ٢٥٨ .

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثالث صفحة ١٨٢-١٨٣ .

(٣) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثالث صفحة ٢٢٣.

وقال: بأنه لا يصافحه أحد من المساكين إلا جس بدنه ليتعرف حاله، فإن رأى خيراً شكر الله، وإن رأى بؤساً وفاقة سعى له فيما يكشف عنه ذلك الضر، وأوصى به من يجلس بقربه من أهل اليسار (انتهى)[١].

قال ابن عبيدالله: وبات الحبيب محسن بن علوي السقاف ليلة قلق الخاطر، مذهوب الفكر، مكدر البال، منغص العيش؛ بسبب مظالم جرت على المساكين من جند البلد، فلم يطمئن مضجعه، ولم تكتحل عينه بنوم إلا لماماً، ولما قام من آخر الليل وهو بتلك الحال يقول في نفسه يا رب سلطت كلابك على المساكين، وإذا بالرجل الذي ينبه الناس خارج من مسجد طه ينفض نعاله ليلبسها ويشرع في العمل، وكان أول ما يبتدئ عمله يستفتح بآية أو بيت من الشعر، فانتظر الجد محسن ما يبدر منه فرفع الرجل عقيرته ببيت الشيخ عمر بامخرمة

فإن ماطرك مالـه ملتقـى إلا كنانـك ذيبها منك والرعيان والضان ضانك

فانثلج خاطره وبرد قلبه، وعاد على نفسه بالملام يقول: إن الأمر منه وإليه، وعنه وعليه، وعد ذلك تنبيهاً له من الله لما حاك في نفسه من التحمل (انتهى)[٢].

بل إن من أسباب وفاة الحبيب محسن بن علوي السقاف تألمه لما جرى لأحد المساكين قال ابن عبيدالله في بضائع التابوت: إن الحراث المبارك باسعيده وقف في المسجد الجامع بعد صلاة الجمعة يشتكي ظلم آل كثير، فطلب السلطان عبود بن سالم من السلطان منصور بن غالب أن يقتله، إلا أن السلطان منصور خفف الحكم إلى قطع أذنه فقطعت، فتأثر الحبيب محسن من ذلك، وعندما خرج لمدرس الأحد المعقود لدراسة صحيح البخاري وقف يخطب، وتعرض لأمور الدولة وما ينال الرعايا من أذيتهم وجورهم، واشتد في ذلك حتى كاد من فرط الغضب أن يقع، ثم قال: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني ما كانت الوفاة

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثالث صفحة ٢٢٢.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثالث صفحة ٢١٨.

خيراً لي. ولم يعش بعد هذه الخطبة إلا تسعة أيام، قال ابن عبيدالله: فناهيك بهذا شجاعة ونصحاً للدين وحمية للضعفاء والمساكين[١].

وذكر الجد العلامة ابن عبيدالله في معجمه[٢] أن السلطان محسن بن عمر بن جعفر نهب دمون وضواحي تريم، فجاء الحبيب طاهر بن محمد بن هاشم يقول للحسن بن عبدالله الحداد: ما بقي لأحد جاه عند هذا الظالم غيرك، فإن شفعت في رد أموال المساكين؛ وإلا فالإثم عليك. فتوجه الحبيب حسن إلى السلطان وطلبه فيها فردها لأهلها (انتهى).

قال ابن عبيدالله ولما غزا المكرمي حضرموت تزلزلت أركانها، وتحصنت قبائلها بالحصون والمعاقل، ما عد سيدنا الحبيب سقاف بن محمد، وسيدنا الحبيب علي بن عبدالله السقاف، فلم يتحركا عن منازلهم ولما استقر المكرمي بسحيل شبام توجه الجد سقاف لملاقاته، فقال له: خرجت تريد حضرموت ومعك هؤلاء الدولة والجهاوره وآل هرهره وفي صدورهم ضغائن على أصحابهم وعلى سائر أهل حضرموت، فأناشدك أن لا تشفي لهم غيضاً وأن لا تساعدهم على الانتقام، فقبل منه النصيحة وأعطاه العهد على ذلك، وكان الحبيب سقاف يتشفع في أموال الناس وأملاكهم، ويمنع رجال المكرمي من هدمها أو نهبها، مدعيا أنها ملكه، وقد اعترض جنود المكرمي قافلة جمال ليافع موقرة بالخريف فمنعهم الحبيب سقاف من أخذها حتى أوشك أن يعرض نفسه للأذى، عندما اعتقد قادة المكرمي إنما هو يواد يافع ويحابيهم (انتهى بتلخيص)[٣].

أما الحبيب حسن بن صالح البحر (١١٩١-١٢٧٣هـ) فيضرب به المثل في حب المساكين، ليس في حضرموت فقط، بل في كل بلاد الإسلام، وقد غضب لما علم بتحقير الفقراء والمساكين بالحرم المكي، فكتب إلى الصدر الأعظم بالاستانه في عهد السلطان عبد المجيد يقول:

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثالث صفحة ١٨٦.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلدان حضرموت مطبعة الإرشاد بصنعاء صفحة ٥٣٥.

(٣) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثاني صفحة ١٠٣.

(وبلغنا توقير أهل الدنيا، وإهانة الضعفاء والمساكين من عباد الله، وإخراجهم من الصفوف، ويجعلون مكانهم أهل الجدة (الأغنياء)، وربما يكون منهم من تستجاب دعوته ويغضب بغضبه جبار السموات والأرض)(١).

ثم يقول ومن المنكرات أخذهم الأجر الكثير على الطائفين، يعجز عنه الفقراء، ويتعب عنه الأغنياء، وإن لم يعطوهم سبوهم وشتموهم، فعلى الولاة والعلماء أن يزيلوا هذه المنكرات، ليحضوا برضاء رب الأرضين والسماوات)(٢).

ولم تكن هذه الأمور موجودة في أيام حج الحبيب حسن بن صالح، وإلا لرأيناه اتجه مباشرة إلى الوالي أو الشريف لإزالتها، لأنه يقول في رسالته: «وقد حججنا في زمن قبل، ولم نر تلك المنكرات، وصار هذا من رابة الدين والأمور المستقبحات»(٣).

ومن قصص حب الحبيب حسن بن صالح البحر للمساكين وهي كثيرة جداً ما رواه ابن عبيد الله الذي قال: صاهر الحبيب محسن بن علوي السقاف الإمام البحر على بنته بهية، ولما كانت ليلة البناء حسب العادة المطردة بحضرموت يأتي الزوج في موكبه إلى دار أبي العروس، فيقدمون لهم العشاء، فلما أطل الحبيب حسن من النافذة يستطلع وصول العريس وجماعته وجد الدار محفوفاً بالنظارة من الفقراء والمساكين من كل ناحية، فأمر بإدخالهم وتقديم الطعام المعد للعريس وقومه لهم، وطبخ مائدة أخرى للعريس وأصحابه، فلم يجد أولاد الحبيب حسن بداً من الاستجابة لأمره، مع صعوبة ذلك عليهم؛ حيث لم تبق لحظات من وصول العريس الذي أقبل في موكب فخم فاستأنفوا الذبائح والطبائخ وانتظروا حتى جهز العشاء الثاني فقدموه لهم(٤) (انتهى).

---

(١) سالم بن حميد الكندي تاريخ حضرموت تحقيق عبدالله الحبشي مكتبة الإرشاد صنعاء صفحة ١٩٧.

(٢) سالم بن حميد الكندي تاريخ حضرموت تحقيق عبدالله الحبشي مكتبة الإرشاد صنعاء صفحة ١٩٨.

(٣) سالم بن حميد الكندي تاريخ حضرموت تحقيق عبدالله الحبشي مكتبة الإرشاد صنعاء صفحة ١٩٨.

(٤) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثالث صفحة ٢٢٣.

قال ابن عبيدالله وزار الحبيب حسن مرة أصهاره، وهم الجد محسن بن علوي بن سقاف، والحبيب علوي بن سقاف الجفري، ومعه أخوه وكان متزوجاً زهراء بنت الحبيب حسن، ومعهما الشيخ عمر دحمي، وكان الحبيب حسن مقترنا بابنته، فأمر الحبيب حسن أهله بأن يصلحوا لهم طعاماً، ومن عادة النساء بحضرموت التأنق فيما يصنعنه للأصهار، وكان من عادة الحبيب حسن أن يذوق الطعام ويبارك عليه قبل أن يقدموه للضيوف، فلما ذاقه رأى فيه شيئاً فوق العادة، فعاد إلى أصهاره وقال لهم إن أهل البيت عملوا طعاماً لم يذق مثله جيراننا من مساكين قرية ذ ي أصبح قط، فإن شئتم آثرناهم بهذا الطعام وأي رجل منكم ينزل على أحد من أهل بلدة الغرفة فسيذبح لهم ويبالغ في إكرامهم، فقالوا له: رضينا بما تحبه فختم لهم المجلس بالفاتحة وساروا، وأرسل الطعام للمساكين بذي أصبح[1].

قال ابن عبيدالله: وله أمثال ذلك الشيء الكثير، فلقد زاره جماعة من أعيان تريم فعزم عليهم أن لا ينصرفوا إلا بعد تناول العشاء، فقالوا: على شرط أن تبادروا به لنركب بعده، فأمر الحبيب حسن خادمه شماخ بعمل العشاء، فذبح لهم كبشاً قل وجود مثله، ولما تهيأ العشاء على أحسن ما يكون أخبره خادمه بذبح الكبش ليسره بذلك، فقال الحبيب حسن بن صالح: أما الكبش فقد نويته لمساكين ذي أصبح، فادعوهم له إلى الزاوية وقدموه لهم مع الطعام الماضي، واصنعوا طعاماً غيره للضيفان، وكان من بركته أن اتسع الوقت حتى جاء عشا ء ضيوفه كما اشترطوا لم يتأخر إلا قليلاً[2] (انتهى).

قال ابن عبيدالله: وحدث غير واحد عن بلخطب وكريفان، وهما جمالان من جعيمه، قالا جئنا بحمل حطب في وجه عيد الأضحى لنمتار بثمنها من الغرفة، فلما حاذينا ذي أصبح أهديناه للحبيب حسن استقلالاً لثمنه، إذ لن تزيد القيمة لو بعناه عن ثمن ريال،

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثالث صفحة ٢٢٣.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثالث صفحة ٢٢٣.

فأشار علينا الحبيب حسن بالانتظار، وأمر لنا بغداء وبعد انتهائه من صلاة الظهر قدم عليه ناس من تجار بور فسلموا لخادمه شماخ عشرة ريال، وملحفة فيها السكر والجفل والزنجبيل والدخون، فأمره أن يعطي سائر ذلك كله لنا، فما كدنا نصدق ثم قاربنا أن نجن من فرط السرور، ومن فرط حب الإمام البحر للمساكين ومزيد اعتنائه بهم[١] (انتهى).

قال ابن عبيدالله نقلاً عن والده أن الثروة كانت لذلك العهد في أهل الغرفة، ولهم في الحبيب حسن جميل اعتقاد، حتى لقد كان الشيخ أحمد بن علي طرموم يدفع لمن يبشره بقدوم الحبيب حسن إلى الغرفة كسوة كاملة، فترى الصبيان له بالمرصاد حتى إذا أبصروه تسابقوا إلى طرموم فيكسوا السابق، ثم لا يحرم الباقين.

فأحب هو وغيره من أهل الغرفة أن يشتروا نخلاً للحبيب حسن يكفي لاخترافه واختراف ضيوفه على الأقل، وقالوا لا يكلمه في ذلك إلا شماخ خادمه، فلما كلمه خادمه شماخ استعاده الحديث وكان في سمعه شيء من الضعف نتيجة اغتساله لكل فريضة، ولما استوضحه انتهره، وقال له أيريد أهل الغرفة أن يدخلوا بيني وبين ربي، والله لأنا أوثق بما عنده مما في يدي، فضلاً عن غيره[٢] (انتهى).

قال ابن عبيدالله: ولقد أتته ذات يوم كثير من الدراهم ففرقها يومها، وأعطى لكل من أولاده ما أراد ففرحوا بذلك إلا ابنه عبدالله، وكان أفضل بنيه لم يقبلها، وقال لأبيه: ما اصنع بها؟ فلا أريد إلا الدعاء بالثبات على الإيمان. فسر منه كثيراً، وقال له: قرت بك عيني فأطلق عليه هذا اللقب من يومئذ، وغلب على ابنه عبداللاه الانقطاع للعبادة مع ورع حاجز وغيرة شديدة للدين، وكرم فائض للخاص والعام[٣] (انتهى).

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثالث صفحة ٢٢٣.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثالث صفحة ٢٢٤.

(٣) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثالث صفحة ٢٢٤.

وذكر الشيخ عبدالله بن سعد بن سمير[١] أنه لما قدم السلطان جعفر بن علي من الهند في حوالي سنة ١٢١٨هـ رأى معه الحبيب حسن قدراً كبيراً من النحاس، فتمنى الحبيب حسن أن يكون هذا القدر له ليستعمله في ضيافة المساكين، ثم لما توفي السلطان جعفر بعد زمن اشترى الحبيب حسن ذلك القدر بثمن كبير، وذلك بعد خمس وعشرين سنه من حين تمناه (انتهى).

ثم نعود لذكر أخبار عدد آخر من العلويين في حب المساكين وخدمتهم، فقد ذكر الحبيب علي بن محمد الحبشي أن الحبيب علي بن عيدروس بن شهاب كان يقوم آخر الليل ويقرأ عشرة أجزاء من القرآن، وكان متواضعاً حتى أنه دخلت في رجل أحد أخدامه شوكة ولم يجد المسكين من يخرجها له من رجله، فقال له الحبيب علي بن عيدروس: أنا بأخرجها، فتمنع الرجل حياءً من الحبيب الذي أقسم أن لا يخرجها أحد إلا هو، وأخرج الشوكة بيده[٢].

ونرى في القصة التالية تخلي العلامة السيد عبدالرحمن ابن عبيدالله عن مبدأ العلويين بعدم الذهاب إلى بيت السلطان لأي أمر عندما تعلق الأمر بإنقاذ حياة أحد المساكين، قال ابن عبيدالله في بضائع التابوت: كان السلطان منصور بن غالب الكثيري يهاب أخاه محسن بن غالب ويراعيه، ولقد جاءني السلطان منصور مرة قبل أن تطلع الشمس ومعه أحد الاكرة (العمال) وقال: لقد أقسم السلطان محسن أن يقتل هذا، وقد أجرته البارحة، ولا يمكنني أن استبقيه عندي فخذه عندك، واذهب لمراجعة محسن وسأنتظرك في قبة الشيخ عمر بامخرمه لتخبرني بما يرد عليك. قال ابن عبيدالله: وما كانت عادتي أن ادخل دار السلطان، وإنما ادعوه عند الحاجة إلى بيتي أو إلى بيت أحد الأعيان أو إلى المسجد، ولكن لما كان الأمر عظيماً أسرعت وناديت السلطان محسن، وطلبت منه أن يخرج إلى فناء داره، وقلت له: لي إليك حاجه فاطلبني قال: قد أطلبتك، قلت: أرجوك أن تعفوا عن فلان، فقال لقد تآليت البارحة بمحضر من

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الأول صفحة ٤٥٣.

(٢) نفح الطيب من مناقب الحبيب عبدالله الشاطري صفحة ٢٠٢.

منصور أن أقتله، ثم ندمت ندماً شديداً، فاجعل لي طريقاً في يميني وأنا أنعمك بالعفو عنه، على شرط أن لا تقول لمنصور بأنني ندمتُ بل أظهر له شدتي، وأنني أتعبتك في المراجعة لئلا يعرف مني الضعف، وإلا فإني كنت عازماً إليك لتجعل لي مخرجاً مما وقعتُ فيه، وما تمكثت إلا لأنني علمتُ بخروج منصور بالخادم إليك فانتظرت، قال ابن عبيدالله فقلت له: أما المخرج فكفارة يمين، ثم عدتُ إلى منصور بن غالب في قبة الشيخ عمر، فألفيته على أحر من الجمر فقال ما وراءك؟ قلت له: لا تسل عما جرى تعريضاً بالشدة التي لا أثر لها، فقال: وماذا قلت له؟ وماذا قال لك؟ فقلتُ له: لا تتعبني وإنما الخلاصة العفو والسلام (انتهى)[١].

وعلى مثل ذلك كان الحبيب حسين بن حامد المحضار وزير الدولة القعيطية (توفي سنة ١٣٤٥هـ)، وذكر ابن عبيدالله بعض القصص التي تدل على عنايته بالضعفاء، وشفقته على المساكين، إلا أنه يبدوا أنها حدثت قبل توليه الوزارة القعيطية، حيث أنه في هذه الحال لن يرد له طلب.

قال ابن عبيدالله في بضائع التابوت: وحدثني الحبيب حسين بن حامد أنه ركب في عودته من جاوا إلى المكلا على باخرة أوروبية، تعاقد عليها الحبيب هود بن أحمد السقاف على أن ترسوا في المكلا أثناء رحلتها لأوروبا، وأعطته الشركة العدد المقرر له من التذاكر، إلا أن أنه لم يستطع إلا أن يبيع بعضها لقلة المسافرين، ولما أبحرت الباخرة وجاء وقت التفتيش عثروا على فقير ركب بغير نول (تذكره) فاحتبسوه في مكان ضيق، قال السيد حسين فجئت إلى السيد هود أطلب منه ورقه لهذا المسكين فأبى، فما كان مني إلا أن ذهبت لموضع الأسير وأعطيته ورقتي، وقلت لرئيس الباخرة: هذه ورقة المسكين الذي أمسكتموه، والمكتوب عليها اسمه ولكنى أخذتها عليه بدون حق، وأنا الذي ركبت بغير نول، فأطلقوه واجعلوني إن شئتم مكانه، فاهتز رئيس الباخرة لهذه المروءة والعاطفة وأطلقه وشكرني (انتهى باختصار)[٢].

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثالث صفحة ١٢٠.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثاني جزء ٢ صفحة ١٢٨.

والواقع أنني استغربت ذلك التصرف من الحبيب هود، مع كرمه وإنفاقه الأموال الكثيرة على المساكين وفي وجوه البر والخير وإصلاح ذات البين، ثم قرأت في أحد الكتب أن أحد الأثرياء المشهورين بالكرم فاصل بائعاً في بضاعة ثمنها درهم، فقال له أحدهم: أتفعل ذلك وأنت تنفق ألوف الدنانير؟! قال: ذاك مالي أجود به، أما عقلي فأنا ضنين به، ومثله كان حال السيد هود.

وذكر سيدي الوالد محسن أن للحبيب هود في حياته الخاصة قوانين يلتزم بها، ولا يخالفها أبداً، ولا يسمح لأحد بمخالفتها، ولهذا لم يرض أن يخالف هذا الراكب قانون السفر ويركب الباخرة بلا تذكره.

وكتب ابن عبيدالله في بضائع التابوت وحدثني الحبيب حسين بن حامد أيضاً أن بعض آل العمودي فرض في أيام دولتهم إتاوةً على مسكين فلم يقدر عليها، فاحتبسه العمودي، فقال الحبيب حسين: فجئت اشفع له فلم يقبل، فقلت له: إما أن تطلقه، وإما أن تسجنني معه، وكان مقيداً في الشمس، ومازلت في مراجعته حتى أطلقه على ضمانتي في خمسة عشر ريالاً بذلتُ كل جهد في تحصيلها فلم تتيسر، فجئته على الوعد بحلي والدتي، وخيرته بين أن يقبضه رهناً في الدراهم، وبين أن يجعلني في الشمس مكان المسكين، وسلمته نفسي، ولكنه كان على شره خيراً من هود السقاف إذ أعفاني بعد التي واللتيا (انتهى)[1].

ونجد حرص العلامة ابن عبيد الله على مصلحة الناس العامة، ومصلحة الصيادين في نصيحته لابن كوير بعدم احتكار الأسماك، قال ابن عبيد الله في المعجم عند ذكره حصن آل كوير: إنني نصحت سعيد بن كوير عما يحاوله من احتكار الأسماك، لأن في ذلك إضرار بالصيادين، ومضايقة لأهل الساحل في حضرموت، فقال لي: ليس فيه إلا خصبهم ومصلحتهم والله أعلم بحقيقة الحال (انتهى)[2].

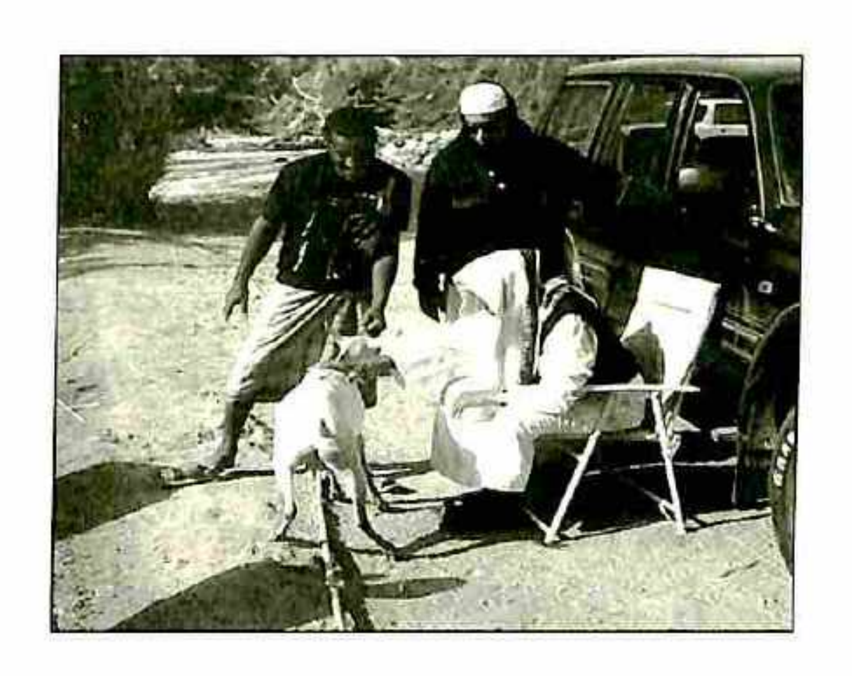
---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثاني جزء ٢ صفحة ١٢٨.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مكتبة الإرشاد صفحة ٢٤٢.

الفصل الحادي والثلاثون

رحمة العلويين بالبهائم



وتتلخص نظرة العلويين في الرحمة بالبهائم في كلام الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر (١١٩١-١٢٧٢هـ)، الذي يقول بعد أن تكلم بتوسع عن ظلم المسلمين وأذيتهم: ويلحق بظلم المسلمين ظلم البهائم، وربما يكون ظلم البهائم أشد من حيث كونها لا يمكنها الهرب ولا الشكاية، ولا يمكنها دفع الظلم عن نفسها بحال، وظلمها من ثلاثة أوجه: تجويعها وعدم القيام بكفايتها، وتكليفها من العمل ما لا تطيق، وضربها بغير حق، وقد ورد عنه ﷺ «اتقوا الله في البهائم، فان امرأة دخلت النار في هرة ربطتها حتى ماتت، لا هي أطعمتها، ولا هي تركتها تأكل خشاش الأرض» الحديث[١].

ولهذا لم ينس العلويون حتى البهائم من برهم، كما يدلنا على ذلك ما تناثر من أخبار قليلة في كتبهم عن هذا الموضوع، ومن ذلك أن الحبيب سقاف بن محمد السقاف المتوفى سنة ١٢١٠هـ عمل في وقت المجاعة قوت مسبر (مرتب) ما ينقطع للكلاب[٢].

وفي كلام السيد المعمر عبد القادر بن محمد باعقيل السقاف[٣] المتوفى سنة ١٣٦٧هـ قال: كنت مرة عند الحبيب عمر بن صالح بن عبد الله العطاس في وادي عمد، فقال قم يالسقاف شل عشرة محازم قصب وأنا باشل عشرين، قلتُ له ونروح بهن فين؟ قال: الوقت حاف (مجاعة)، والناس خلوا بهائهم بدون أكل، بانخرج بانفرقها في المطاريق (الأزقة) حتى تأكلها البهائم.

ومن كلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط[٤] (١١٧٧-١٢٥٧هـ): أعط الحسنة

---

(١) مجموع كلام الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر صفحة ١٢١.

(٢) نشر محاسن الأوصاف في مناقب الحبيب سقاف بن محمد بن عمر السقاف جمع ابنه الحبيب سقاف بن محمد صفة ٢٢٧.

(٣) جواهر مقتطفة من كتاب تاج الأشراف في رحلة الحبيب عبد القادر بن محمد باعقيل السقاف جمع محمد زين الجاوي صفحة ٥ مخطوطة.

(٤) مجموع مواعظ وكلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط دار الفتح صفحة ٣٤٠.

كلباً أو هراً، ولا تعطها قاطع الصلاة، لأن في البهائم صدقة كما قال عليه الصلاة والسلام «في كل كبد حرى أجر». ومن كلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط أيضاً كانت إحدى الصالحات بتريم تخرج كل يوم لقمة تتصدق بها فاتفق في بعض الأيام أنها لم تجد مسكيناً فوجدت عفوة (الأتان الصغيرة) فأعطتها اللقمة. قال سيدي أحمد بن عمر بن سميط لأنها تحفظ الحديث السابق (انتهى)[١].

وذكر ابن عبيد الله في بضائع التابوت[٢] أن السادة الحبيب أحمد بن محمد المحضار والعطاس وباهادون ذهبوا للإصلاح بين القبائل، فلما انتصف النهار ذهبوا للمسجد وشرعوا في قراءة القرآن، وبينما هم كذلك إذا سقط عليهم الطائر الذي يسميه آل حضرموت بارماده ثم لم يقوَ على الطيران فانتبه له الحبائب وقالوا: ربما كان جائعاً، فأحضروا له حباً فلم يأكل، فقالوا ربما كان عطشان، فاحضروا له الماء فلم يشرب، فقالوا إذن هو مريض فأخذه الحبيب أحمد المحضار ووضع العصفور في عمامته، وشرعوا في قراءة سورة ياسين بنية شفاء العصفور، بينما كان المتحاربون ينتظرونهم للإصلاح، فجاء الحبيب حامد بن أحمد يستفسر عن تأخرهم فوجدهم مشغولين بمرض بارماده، فقال لهم: من هو بارماده؟ وظنه إنساناً فأخرج له الحبيب أحمد المحضار الطائر من عمامته، فغضب الحبيب حامد وأخذ الطائر وألقى به بعيداً، فقال العطاس للمحضار: إن ابنك هذا موسوي الحال (يشير إلى الآية: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِ﴾).

كما أحب بعض العلويين تربية الخيل، لأن في ناصيتها الخير، فقد ورد في ترجمة الحبيب جعفر بن أحمد بن عبد القادر العيدروس (١٣٠٨-١٣٩٦هـ) أنه كان له ستة رؤوس من الخيل يملكها لكونه يحبها كثيراً، مع أنه لا يستخدمها في خدمة أو ركوب، وكان مهتماً اهتماماً شديداً بخدمتها وأكلها وشربها، ويرعاها حق رعايتها، ولم تكن الخيول موجودة في حضرموت في

---

(١) مجموع مواعظ وكلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط دار الفتح صفحة.

(٢) السيد عبدالرحمن بن عبيد الله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثالث.

زمنه، فجلبت له من اليمن، وعند وصولها إلى بوابة تريم أرسل لاستقبالها مجموعة من الناس عند سدة تريم ومعهم المجمرة والدخون، واستقبلها بهيبة وتعظيم، واحتفل بقدومها احتفالاً كبيرا، وكان يحب تربيتها لأن الخيل معقود بنواصيها الخير[١].

كما كان لدى الحبيب جعفر العيدروس أكثر من ثلاثين رأساً من الغنم موجودة دائماً ولا يذبح منها شيئاً، وإنما يستفيد منها اللبن والسمن وبعضها يربيه للبركة، أما الأغنام التي يذبحها للضيوف فتجلب له من السوق[٢] (انتهى).

كما كانت للحمير أهمية كبيرة لدى العلويين، فهي مظهر من مظاهر الثروة، وهي وسيلة تنقلهم الرئيسية في الأسفار المحلية، وكانوا يتوارثونها في التركات، وذكر والدي أن والده السيد علوي بن عبدالله السقاف (١٣١٥-١٣٩٢هـ) اشترى دابة من خاله عبدالرحمن بن محمد بن طه السقاف كانت مشهورة بالقوة والثبات في المشي، وقد توارثوها فيما بعد.

ومما يدلنا على أهمية الحمير الجيدة ما ورد في كلام الحبيب أحمد بن عبدالرحمن السقاف (١٢٧٨-١٣٥٧هـ) الذي قال: إنه لما بنى الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي (١٢٣٧-١٣١٤هـ) داره قامت عليه كم مائة قرش دين في ذمته، فجاء الشيخ أحمد مكارم إلى الحبيب علي بن محمد الحبشي (١٢٥٩-١٣٣٣هـ) يستأذنه في السفر لقضاء دين الحبيب عيدروس، فأذن له وقال الشيخ أحمد: أنا متوجه القابلة، وأطلب منك تكلم السيد علوي الحداد معه حمار جواد باشتريه منه، فسار الحبيب علي إلى عند السيد علوي فكلمه في الحمار فقال السيد علوي: الحمار كبير علي، عادنا إلا خذته، وانته عندي أكبر من الحمار، شلوه برأس ماله. فأخذه الشيخ أحمد مكارم وسافر به وقضى دين الحبيب عيدروس[٣] (انتهى).

---

(١) ديوان الحبيب جعفر بن أحمد بن عبدالقادر العيدروس دار الأصول للنشر والتوزيع صفحة ١٢.

(٢) ديوان الحبيب جعفر بن أحمد بن عبدالقادر العيدروس دار الأصول للنشر والتوزيع صفحة ١٠.

(٣) الحبيب عبدالقادر بن أحمد السقاف مجموع كلام الحبيب أحمد بن عبدالرحمن السقاف دار الفقيه للنشر والتوزيع صفحة ١٨٦-١٨٧.

ومن القصص أيضاً أن أحد السادة من تريم كان ضخم الجثة، حاد الطبع، عال الصوت، وكان يتشدد على مخالفات العمال، فأقبل يوماً راكباً دابته الصغيرة على جماعة من العمال، وهم يضربون المدر في السابلة، فصاح عليهم ما هذا المنكر تضربون المدر في طريق المسلمين! فقام أحدهم وكان ذكياً فقال: يا حبيب، المنكر أنك تركب دابة أصغر منك. فلم يحر السيد جوابا وانصرف عنهم، ولما روى الأستاذ محمد بن أحمد الشاطري هذه القصة للحبيب علوي بن طاهر الحداد مفتي جوهور بالملايو استغرق في الضحك، وقال: المضحك أنه ساواه في القدر بالدابة.

هذا ولا يمتلك الحمير إلا ذوي الثروة واليسار، ومن يريد السفر فعليه أن يكتري حماراً أو يستلفه، وذكر الحبيب محسن بن علوي السقاف (١٢١١-١٢٩٠هـ)[١] في ديوانه أن السيد عمر بن طه بن عمر بن سقاف استعار حمار الحبيب عمر بن سقاف لزيارة نبي الله هود عليه السلام، إلا أن الحمار توعك في طريق العودة ووافاه الأجل، فلم يتجرأ أحد على أخبار الحبيب عمر بمصير الحمار، ثم اتفق رأيهم على تعزيته بأبيات مسلية للتخفيف عليه، فلما أنشدت بين يديه إشتحن وضول ثم استرجع وحوقل ومن هذه الأبيات:

الحمد لله ذي ما من قضاه اعتذار

ولا من أمره ولا حكمه لخلقه فرار

يعيضك الله يا سيد عمر في الحمار

ثم يرثي الحمار بالأبيات التالية:

يا نسل يعفور تبكيك الطرق والقفار

والجار والدار والشرج البرك والآبار

(١) ديوان الحبيب محسن بن علوي السقاف تحقيق علي بن عبدالرحمن السقاف صفحة ١٦.

ثم يصف الحمار فيقول:

في الحد والجد ماله نـد يـا نـاس نـار
يشل بالردف وأما الحمل يحمل بهـار
قامتـه عدلـه وآذانـه حطيطـة قـصار

ويستمر واصفاً الحمار في أبيات أخرى كثيرة.

وحيث أن الحمير من أدوات الثروة؛ لذا فهي محور كثير من الصفقات التجارية، وقد وصل إلى سيؤون جماعة من السادة آل الهدار ومعهم ناقة كبيرة، أعجبت الحبيب محسن بن علوي السقاف (١٢١١-١٢٩٠هـ)، فأخذها منهم مقابل أتان (حمار)، ولم يتمكن الحبيب محسن لمشاغله الكثيرة من فحص الناقة قبل الشراء، ولما اشتراها ووصل بها البيت اكتشف عيوبها الكثيرة، فسجلها في القصيدة التالية:

قـال بوشـيخ شـوري ... ذي الذي ألقيت عـاثر
بعــت تــاني وخذتــه ... عرضــها شــن فــاطر
مـا يجـد ضرس فيهـا ... غـير مـروض مـشافر
لا لحمــلاه تــصلح ... أو لــشد أو مــساطر

ثم قال:

مــن قــدا ســقيها ... والقوت كلين حـاير
دوبنـا تحتهـا نغـرف ... بعــــر بالمحـــــافر

وذكر الأستاذ بن هاشم[1] أن أغنام حضرموت تشبه في الحجم أغنام سوقطرة، واللون الغالب عليها هو البياض، ثم السواد، وتندر السمرة والحمرة.

(١) علي أنيس الكاف مختارات من كتابات شيخ الصحافة محمد بن هاشم تريم للدراسات والنشر صفحة ١٣٧-١٣٩.

وللأبقار أهمية عظيمة في الحرث، وقليلاً ما ينتفع بلحومها وألبانها، وقد يتفشى في الأبقار وبالأخص في أعلى حضرموت مرض الطاعون المخصوص بالمواشي والمسمى (أبوهد)، فيفعل بها الأفاعيل، وقد ذهب نتيجة هذا المرض بمدينة الهجرين وضواحيها في نحو يومين ستين رأساً من البقر، ويقول الخبير الانجليزي مستر هيلد: إن خلاصة مغلي الفحل يعطى للدابة المصابة بطاعون المواشي فيفيدها.

أما الجمال فهي أكثر المواشي عدداً، وأهمهن فائدة، فضلاً عن الانتفاع بلحومها وألبانها وجلودها، وتستخدم للحمل، والنقل، ورفع الماء من الآبار، وإثارة الأرض للزراعة، ودرس الحبوب بالنورج عقب الحصاد، وإدارة المعاصر لاستخراج زيت السمسم، وهي المراكب البرية التي تحمل الركاب والأمتعة إلى المسافات الشاسعة.

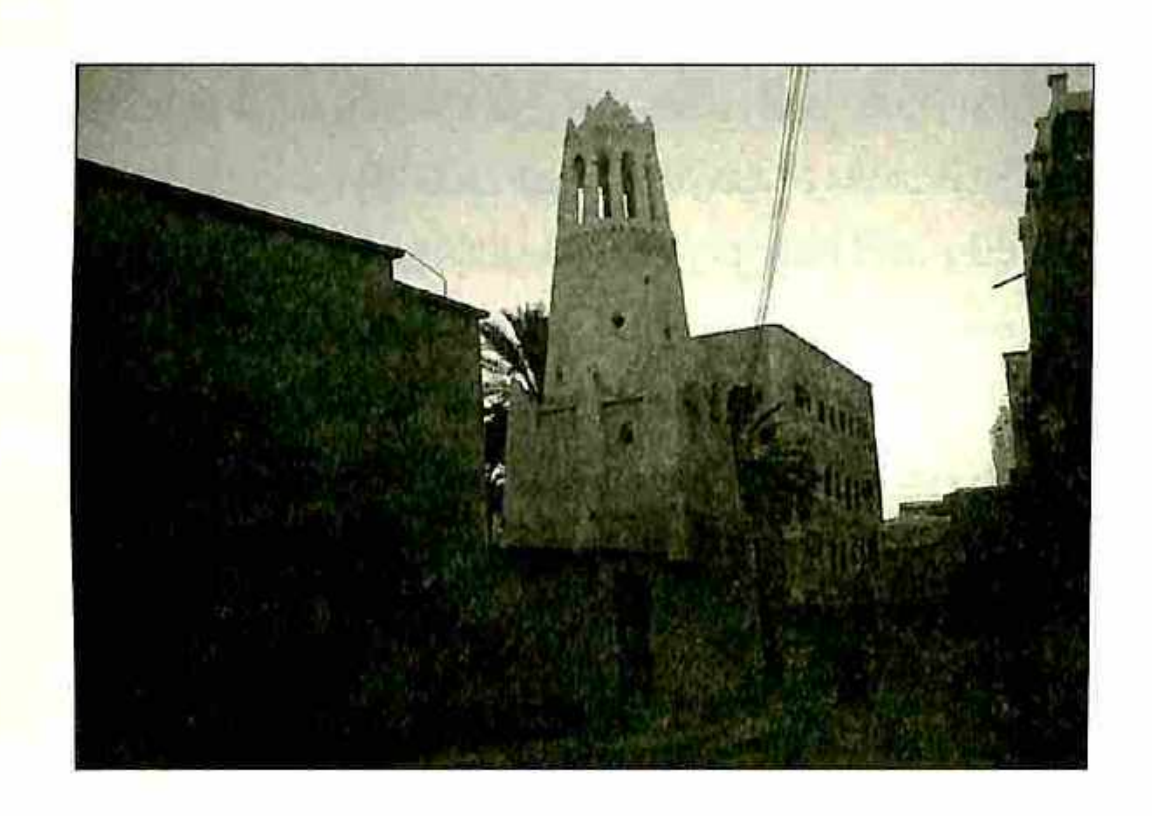
هذا ويقام بحضرموت للدواب والمواشي أسواق ومواسم سنوية كشعب هود، والمشهد، وقيدون (انتهى النقل باختصار).

ومن الطرائف أن أحد العلويين بعد أن اشترى كبشاً للعيد ووضعه في شنطة السيارة، وكان ذلك في نهاية حكم بريطانيا لعدن حيث عم التوتر وانتشرت الحواجز الأمنية والجنود المتأهبون لإطلاق النار، فتوقفت السيارة عند حاجز أمني، وطلب منه الجندي الانجليزي النزول وفتح الشنطة، فنزل وفتحها، فقفز الكبش، وذعر الجندي، وأطلق الرصاص على الكبش وهو يظنه من المقاتلين.

* * *

الفصل الثاني والثلاثون

عقيدة العلويين



قال الأستاذ محمد الشاطري وبني علوي بحضرموت هم مسلمون، سنيون، شافعيو المذهب، مبتعدون كل البعد عن البدعة والفسق، معتنين كل الاعتناء بكامل التوحيد، وقد يتوهم الشخص الذي لا يعرف طريقتهم أن في طريقهم شيء مما يشوب التوحيد الخالص.

ويلخص أحد كبار العلويين وهو الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر (١١٩١-١٢٧٢هـ) عقيدة العلويين في كلام طويل يصعب اختصاره لترابطه ومن كلامه (ونشهد أن لا اله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، آمنت بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وباليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، آمنت بالشريعة، وصدقت بالشريعة، وتبرأت من كل دين خالف دين الإسلام، ونعتقد أن خير الدنيا والآخرة تقوى الله وطاعته، وأن شر الدنيا والآخرة في معصية الله ومخالفته، وأن الموت حق، وأن عذاب القبر ونعيمه والقيامة والحساب والميزان والصراط والحوض والثواب والعقاب والجنة والنار حق، وأن رسل الله وأنبياءه وكتبه المنزلة حق، واعلموا رحمكم الله تعالى أن أصدق الحديث كلام الله تعالى، وأحسن الهدي هدي سيدنا محمد ﷺ، قال الله تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ﴾، وقال تعالى: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ * ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ﴾ (الآيتين) وقال عليه الصلاة والسلام «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي» أو كما قال، وسيرته ﷺ في عباداته وعاداته وأحواله وأقواله وأفعاله وأخلاقه معلومة مشهورة، فقد تركنا على المحجة البيضاء، والحنيفية السمحاء، ليلها كنهارها، فاتبعوا ولا تبتدعوا، فالخير كله في الإتباع، والشر كله في الابتداع، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾ وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ الآية وقد سار بسيرته، واستن بسنته، وسلك على سبيله جميع أصحابه رضي الله عنهم مثل ساداتنا أبي بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن والحسين وفاطمة الزهراء، وأزواجه الطاهرات، وبقية الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، فكلهم عدول أبرار، حكماء

أخيار، شهد لهم بذلك كتاب الله ومدحهم وأثنى عليهم، كذلك رسول الله وحذر من ذمهم والوقوع فيهم، وشدد وهدد، ثم إنه سار بسيرة الصحابة رضي الله عنهم أكثر التابعين وتابعيهم بالإحسان، مثل إمامنا الشافعي، والأئمة أحمد، ومالك، وأبوحنيفة رضوان الله عليهم ومن سار بسيرهم وسلك مسلكهم ونهج نهجهم (انتهى باختصار)[١].

و تحدث الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر (١١٩١-١٢٧٢هـ) في مكان آخر من كتابه عن التوحيد فقال: وكتب الله المنزلة أول ما تدعوا الخلق إلى التوحيد، إلا أن الخلق يتفاوتون فيه تفاوتاً لا ينحصر، وقال رسول الله ﷺ: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»، وقال ﷺ: «أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير»، وقال ﷺ: «يا غلام ألا أعلمك كلماتٍ! أحفظ الله يحفظك، أحفظ الله تجده إمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف، فإن استطعت أن تعمل لله بالرضا في اليقين فافعل، فإن لم تستطع فإن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن بعد العسر يسراً» (انتهى باختصار)[٢].

ويحذر الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر عن الاستسقاء بالأنواء، كأن يقول مطرنا بنجم السماك، فهذه من مقالات ذوى الأهواء، ولا يقول ذلك ذو تقوى، بل المتقي يعترف بفضل ربه ورحمته، فيضيف الأشياء إلى ربه كما هو معتقده بقلبه[٣].

---

(١) مجموع كلام الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر صفحة ١٠٤-١٠٨.

(٢) مجموع كلام الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر صفحة ٢٢٠.

(٣) مجموع كلام الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر صفحة ٢٣٧.

وتأكيداً لذلك نجد ابن عبيدالله (١٢٧٩-١٣٧٥هـ) مع اعتقاده القوي في ولاية الشيخ سعيد بن عيسى العمودي الذي يقول عنه عندما زار ضريحه وكيل خزانة الأسرار العلوية، إلا أنه قال ولأهل قيدون من الغلو في الاعتقاد بالشيخ سعيد العمودي ما يخرج عن حد الاعتدال، وقال لقينا واحداً منهم على مستنقع من مستنقعاتهم التي يحفظون فيها مياه الشرب ويسمونها كرفان لعزته لديهم، فسألنها عن عهدهم بالسيل فقال: (في آخر رجب أدركتهم نفحة، فسقاهم الشيخ سعيد سيلاً عاماً ملأ المستنقعات وسقى الأرض) ونحن لا نشك أن هذه من جملة كرامات الشيخ سعيد الخارجة عن دائرة الحسبان، إلا أننا انتقدنا عليه إسناده الفعل إلى الشيخ وقطعه النظر عن رب الشيخ، ولكن الجهل أبو العجائب والغرائب[1].

كما يحذر الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر (١١٩١-١٢٧٢هـ) من الحلف بغير الله فيقول: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾، وأما الحلف بالآباء والجدود وبكل مخلوق وإن عظم فغير محمود، ويختلف الحكم فيه باختلاف المقصود، فبعض صوره قادح في التوحيد، وما دون ذلك فمكروه للنهي الشديد[2].

وذكر الحبيب أحمد بن عمر بن سميط (١١٧٧-١٢٥٧هـ) مراتب المعاصي فقال: المعاصي ثلاث مراتب: أعظمها الكفر والعياذ بالله، ثم البدعة، ثم الفسق[3].

وحذر الحبيب أحمد بن عمر بن سميط (١١٧٧-١٢٥٧هـ)[4] من الشرك بالله فقال: فضائل التوحيد تقابلها فضائح الشرك، احذروا من الشرك جميعه، وحذروا أولادكم ونساءكم من ذلك، قال عليه الصلاة والسلام: «من حلف بغير الله فقد أشرك» «لينتهين أقوام عن الحلف بغير الله أو ليكونن أهون على الله من الجعلان» أو كما قال.

---

(١) مخطوطة رحلة السيد عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف إلى دوعن سنة ١٣٢٩هـ.

(٢) مجموع كلام الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر صفحة ٢٣٧ .

(٣) مجموع كلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط صفحة ٢٦٦.

(٤) مجموع كلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط دار الفتح للدراسات صفحة ٢٢٥.

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ لما نزلت هذه الآية شق ذلك على الصحابة، وقالوا يا رسول الله، أينا لم يلبس إيمانه بظلم؟! فنزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، ففسر الظلم بالشرك (انتهى).

أما مسألة الذبح لغير الله فهي من الشرك، وذكر ابن عبيد الله في بضائع التابوت أنه لما زال الخلاف بين الحبيب سقاف بن محمد بن عمر (١١١٥-١١٩٥هـ) ومنصب الحزم الحبيب عمر بن أحمد العيدروس، جاء المنصب إلى سيؤون مع أولاده تخفق عليهم راياتهم ومعهم رأس غنم يقودونه هديه للجد سقاف، وكان ذلك داعية الألفة والاتحاد وواسطة الأخوة، وعلق ابن عبيدالله على موضوع الشاة فقال: أما الشاة التي يقودونها فمعاذ الله أن تذبح بمرأى الجد سقاف للتعظيم، لأن إنهار الدم عبادة، ففعلها لغير الله من الشرك الظاهر، (انتهى النقل عن بضائع التابوت بتصرف بسيط).

وانتقد الحبيب علوي بن طاهر الحداد في كتابه الشامل في تاريخ حضرموت ما يفعله بعض الجهلة بحضرموت من ذبح الذبائح عند ضرائح الأولياء، فقال[1]: وهذه العقائر مما أهل به لغير الله، فهي ميتة حرام أكلها والانتفاع بها، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ وما نص على ذلك العلماء في كتب الفقه لا يخفي على طالب علم (انتهى).

ومن نصائح الحبيب محمد بن هادي السقاف (١٢٩١-١٣٨٢هـ) لتجنب أمراض النفس المسببة للشرك الخفي قوله: النفس إذا بقيت متخلقة بأخلاقها وأوصافها صار العبد أسيرها، فلا بد له من معاداتها، فإنها أعدى أعدائه، قال النبي ﷺ: «أعدى عدوك نفسك التي بين يديك» فليسع الإنسان لعلاج أمراض الباطن قبل استيلاء المرض عليه، فحينئذ لا تنفع الأعمال وإن كثرت وسدت الخافقين.

وأخلاق النفس الأمارة بالسوء إما متعلقة بالخلق مثل الرياء والسمعة، وهذا هو الشرك

---

(١) علوي بن طاهر الحداد الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها صفحة ٢١٥.

الخفي، وهو ينافي التوحيد قال الله تعالى في الحديث القدسي : «من عمل عملاً أشرك فيه غيري تركته وشركه». وعلامة السلامة من ذلك الإخلاص في العمل وأن يستوي عنده المدح والذم (انتهى)[١].

أما الصلاة فيتشدد العلويين في أمرها تشدداً يفوق الوصف، كما نفهم من كلام الإمام عبدالله الحداد (١٠٤٤-١١٣٢هـ) الذي يقول في مقدمة كلام طويل عن الصلاة: إن الصلاة عماد الدين، وأجل مباني الإسلام الخمس بعد الشهادتين، ومحلها من الدين محل الرأس من الجسد، فكما أنه لا حياة لمن لا رأس له، فكذلك لا دين لمن لا صلاة له[٢].

ثم نذكر رؤوس المواضيع التي تكلم فيها القطب الحداد بإسهاب ومنها: أن للصلاة صورة ظاهرة، وحقيقة باطنة، لا كمال للصلاة ولا تمام لها إلا بإقامتهما جميعاً، فأما صورتها الظاهرة فهي القيام والقراءة والركوع والسجود ونحو ذلك من وظائف الصلاة الظاهرة، وأما حقيقتها الباطنة فمثل الخشوع وحضور القلب وكمال الإخلاص والتدبر والتفهم لمعاني القراءة والتسبيح ونحو ذلك من وظائف الصلاة الباطنة[٣].

ثم قال ومن المحافظة على الصلاة والإقامة لها كمال الطهارة والاحتياط فيها في البدن والثوب والمكان. ومن المحافظة على الصلاة المبادرة بها في أول مواقيتها، وفي ذلك فضل عظيم، وأما تأخير الصلاة حتى يخرج وقتها أو يقع بعضها خارجه فغير جائز، وفيه إثم والأذان والإقامة من شعائر الصلاة تتأكد المحافظة عليهما، وفيهما طرد للشيطان لقوله عليه الصلاة والسلام: «إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان» الحديث[٤].

---

(١) محمد شيخ المساوى المنحة الالهية في الرحلة الحجازية مخطوطة صفحة ٢٦٨-٢٦٩.

(٢) الحبيب عبد الله الحداد النصائح الدينية والوصايا الإيمانية الناشر للطباعة والتوزيع بيروت صفحة ٨٥-١١١.

(٣) الحبيب عبدالله الحداد النصائح الدينية والوصايا الإيمانية الناشر للطباعة والتوزيع بيروت صفحة ٨٧.

(٤) الحبيب عبدالله الحداد النصائح الدينية والوصايا الإيمانية الناشر للطباعة والتوزيع بيروت صفحة ٨٨.

ومن المحافظة على الصلاة حسن الخشوع فيها، وحضور القلب، وتدبر القراءة، وفهم معانيها، واستشعار الخضوع والتواضع لله عند الركوع والسجود، وامتلاء القلب بتعظيم الله وتقديسه عند التكبير والتسبيح وفي سائر أجزاء الصلاة، ومجانبة الأفكار والخواطر الدنيوية، والإعراض عن حديث النفس في ذلك[١].

وعن فضيلة الجماعة قال الإمام الحداد: ومن المحافظة على الصلاة المداومة والمواظبة على فعلها في الجماعة، وذلك لأن صلاة الجماعة تفضل صلاة المنفرد بسبع وعشرين درجه كما ورد في الحديث[٢]. وقال رضي الله عنه: ومن المتأكد الذي ينبغي الاعتناء به والحرص عليه الملازمة للصف الأول، والمداومة على الوقوف، وأورد الأحاديث المؤكدة لذلك.

ومن السنن المهمة تسوية الصفوف والتراص فيها، وقد كان عليه الصلاة والسلام يتولى ذلك بنفسه، ويكثر التحريض عليه والأمر به[٣].

وتحدث القطب الحداد (١٠٤٤-١١٣٢هـ) عن صلاة الجمعة والتشديد في تركها من غير عذر، وتحدث عن فضل يوم الجمعة وعن الساعة الشريفة التي يستجاب فيها الدعاء، وقال أيضاً: ومن السنة قراءة سورة الكهف، والإكثار من الصلاة على النبي ﷺ في يوم الجمعة وليلتها، وحث على البكور إلى الجمعة وأقل ذلك الخروج قبيل الزوال أو معه، وقال: وكن رحمك الله حسن الإصغاء والاستماع إلى الخطبة والوعظ، واتعظ بما تسمعه واستشعر أنك مقصود ومخاطب بذلك[٤].

وقال ومن البدع المنكرات تأخر بعض أهل الأسواق والحرف من الذين تجب عليهم

---

(١) الحبيب عبدالله الحداد النصائح الدينية والوصايا الإيمانية الناشر للطباعة والتوزيع بيروت صفحة ٨٩.

(٢) الحبيب عبدالله الحداد النصائح الدينية والوصايا الإيمانية الناشر للطباعة والتوزيع بيروت صفحة ٩٣.

(٣) الحبيب عبدالله الحداد النصائح الدينية والوصايا الإيمانية الناشر للطباعة والتوزيع بيروت صفحة ٩٧.

(٤) الحبيب عبدالله الحداد النصائح الدينية والوصايا الإيمانية الناشر للطباعة والتوزيع بيروت صفحة ٩٩-١٠١.

الجمعة عن المجيء إليها، ويجب على ولاة الأمر أن يحملوهم على ذلك، ويعاقبوا من تخلف منهم على الجمعة بعد التعريف والإنذار[١].

وقال الإمام الحداد (١٠٤٤-١١٣٢هـ) ومن المحافظة على الصلوات حسن المحافظة على رواتبها وسننها، وذلك لأن النوافل جوابر للفرائض كما ورد، ثم ذكر الإمام الحداد صلاة الوتر والضحى وصلاة التسبيح وبين طريقتها وأحكامها.

وقال: ومن المستحب المتأكد إحياء ما بين العشاءين بصلاة وهو الأفضل، أو تلاوة قرآن، أو ذكر الله تعالى من تسبيح أو تهليل أو نحو ذلك[٢].

ثم قال: وأما قيام الليل ففضله عظيم، وثوابه جزيل، والوارد في فضله من الكتاب والسنة شيء يطول ذكره ويعسر حصره[٣].

ثم طلب الإمام الحداد من ولاة الأمر التشديد على تاركي الصلاة فيقول: «وعلى ولاة الأمر أن يحملوا العامة على فعل الصلاة المكتوبة، وعليهم أن يعاقبوا من تركها كسلاً بالقتل، وذلك بعد الاستتابة إن لم يتب، وعلى الولاة إثم عظيم وحرج إذا سكتوا عن ذلك مع العلم وقصروا في القيام به، ولا رخصة لهم في ترك ذلك وما يجري مجراه من الدين»[٤].

وكما كان الحبيب عبدالله الحداد (١٠٤٤-١١٣٢هـ) يتكلم في تريم ويتشدد في أمر الصلاة كان الحبيب أحمد بن عمر بن سميط (١١٧٧-١٢٥٧هـ) يتكلم كذلك عن نفس الموضوع في شبام، و يذكر الحديث الذي فيه «كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة»، ثم يقول: لأنهم عرفوا ذلك من فعله عليه الصلاة والسلام

---

(١) الحبيب عبدالله الحداد النصائح الدينية والوصايا الإيمانية الناشر للطباعة والتوزيع بيروت صفحة ١٠١.

(٢) الحبيب عبدالله الحداد النصائح الدينية والوصايا الإيمانية الناشر للطباعة والتوزيع بيروت صفحة ١٠٥.

(٣) الحبيب عبدالله الحداد النصائح الدينية والوصايا الإيمانية الناشر للطباعة والتوزيع بيروت صفحة ١٠٦.

(٤) الحبيب عبدالله الحداد النصائح الدينية والوصايا الإيمانية الناشر للطباعة والتوزيع بيروت صفحة ١١١.

حين أتاه وفد ثقيف ولم يقبلوا الصلاة فلم يقبل عليه الصلاة والسلام إسلامهم، وقال: «لا خير في دين لا ركوع فيه»، بخلاف الرجل الذي أتاه مسلماً وشرط الفاحشة فقبل إسلامه، ثم قال له: «أترضى أن يكون ذلك لأمك؟ أترضى أن يكون ذلك لأختك؟» ومسح صدره فزال ذلك عنه، لأن عدم الصلاة المانع منها الكبر وهو أكبر المعاصي، ﴿أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ والآية ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾، بخلاف الزنا، فإنه شهوة تنفع فيه موعظة الواعظين، أما الكبر فلا ينفع فيه ذلك (انتهى)[١].

ويطلب الحبيب عبد الله الحداد من الناس التشديد على الأهل والأولاد في أمر الصلاة، وعدم التهاون في ذلك فيقول: وكما يجب عليك أن تحافظ على الصلاة، ويحرم عليك أن تضيعها، كذلك يجب عليك أن تشدد على أهلك وأولادك وكل من لك عليه ولاية؛ في إقامة الصلاة ولا تدع لهم عذراً في تركها، ومن لم يسمع منهم ويطع فهدده وعاقبه واغضب عليه أشد الغضب، أعظم من غضبك عليه لو أتلف مالك، فإن لم تفعل ذلك كنت من المستهينين بحقوق الله وبدينه، ومن عاقبته وغضبت عليه ولم يمتثل وينزجر فأبعده عنك، واطرده منك، فإنه شيطان لا خير فيه ولا بركه، وتحرم موالاته ومعاشرته، وتجب معاداته ومقاطعته، وهو من المحادين لله ورسوله قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ﴾ الآية، فنفي الإيمان عن الموادين للمحادين له ولرسوله وإن كانوا من أقرب الأقربين[٢].

ويتكلم الحبيب أحمد بن عمر بن سميط (١١٧٧-١٢٥٧هـ) في نفس الموضوع فيقول للناس: قوموا على أهليكم بما أمر الله، واسحبوهم إلى الجنة وإلا سحبوكم إلى النار.

وقال: ما حكم الذي يصل أرحامه بالعطاء والصلة الحسنة، ولكنه لا يسألهم عن دينهم ولا يعلمهم ذلك، هل يحشر يوم القيامة مع الواصلين أو القاطعين؟.

---

(١) مجموع كلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط دار الفتح صفحة ٢٤٦.

(٢) الحبيب عبدالله الحداد النصائح الدينية والوصايا الإيمانية الناشر للطباعة والتوزيع بيروت صفحة ١١٠.

ثم قال: وقد ذكر ابن عطاء الله في كتابه التنوير أن من يصلي، ويحافظ على الصلاة، وله أهل لا يصلون، ولم يأمرهم ويزجرهم ويهجرهم، لا يحشر مع المصلين، بل مع المضيعين وإن كان يصلي أول الوقت، وفي الجماعة، وفي أول صف[١] (انتهى).

ومع تشدد الحبيب عبدالله حداد إلى هذه الدرجة في موضوع الصلاة نجده يقول عن رجال القبائل المجاورة لموطنه تريم: «إنني لا أقدر أن أحكم بكفرهم ولا إسلامهم، لأنني إن حكمت بكفرهم فهم ينطقون الشهادتين ويصلون، وإن حكمت بإسلامهم فهم يستحلون قتل الأنفس البريئة وينهبون الأموال الحلال»[٢].

ويتبين اهتمام العلويين الشديد بالصلاة وحض الناس عليها من رسالة الحبيب حسن بن صالح البحر (١١٩١-١٢٧٣هـ) إلى النقيب علي بن ناجي بن علي بريك حاكم الشحر، والتي يقول له فيها: (فنوصيك حفظك الله أن تقوم بحق ربك على نفسك وأهل مودتك وقرابتك ورعيتك بإقامة الصلاة، وزجر من تخلف عنها وتهاون بها، ولا تقبل لأحد عذر في تركها من الرجال والنساء والعبيد والأحرار، فهي عمود الدين بعد شهادة التوحيد، فما يتركها إلا عدو لله مطرود بعيد، قد استحوذ عليه الشيطان المريد، ليكون معه في العذاب الشديد[٣].

قال ابن عبيدالله[٤]: وسمعت من جماعة أن الحبيب حسن بن صالح البحر كتب لحاكم الشحر علي ناجي أن لا يمكن أحداً من البادية يدخل الشحر إلا بعد أخذ العهد عليه بالمواظبة على الصلاة جماعة في مساجد الشحر مادام فيها، فلم يأنف أحد من ذلك، بل اتفقت البادية على قبوله والتلزم به، حتى أقبل جماعة من العوابثة فأراد صاحب السدة (بوابة

---

(١) مجموع كلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط دار الفتح صفحة ٢٥٨ .

(٢) محمد بن أحمد الشاطري أدوار التاريخ الحضرمي الناشر عالم المعرفة صفحة ٣٢٣.

(٣) سالم بن حميد الكندي تاريخ حضرموت تحقيق عبدالله الحبشي المجلد الأول مكتبة الإرشاد صنعاء صفحة ٤٢٨ .

(٤) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثاني صفحة ٧٤.

الشحر) أن يعاهدهم على الصلاة فامتنعوا وانصرفوا إلى أصحابهم آل عمر باعمر بالغيل، وهم يرتجزون بقول أحدهم:

قولوا لناجي بن علي	كلين يؤخذ له ملاه
ما رأس بن عوبث غلب	ما بايعاهد عالصلاه

وتلمس ابن عبيدالله لهم العذر الشرعي فقال: وللمسألة وجهان: أحدهما: أن عهد الإسلام كاف، وأنهم لم يريدوا أن يجعلوا لغير الله شوباً في العبادة (انتهى).

وقال الحبيب أحمد بن عمر بن سميط (١١٧٧-١٢٥٧هـ) تبصروا في دعوة قاطع الصلاة، إذا أردت أن تعطيه الحسنة قل له هذه الحسنة لك إن باتصلي، وعلمه الفاتحة وشروط الصلاة، حتى تخرج من عذره، وإلا عاونته على معصيته إذا سكت له، ولا تدعه يا مسكين تغره، بل قل هاك ياشرّي.

ومن كلام الحبيب عبد الله بن عمر الشاطري[1] (توفي سنة ١٣٦٠هـ): اعرضوا وضوءكم وصلاتكم على العلماء، فالجهل مصيبة كبيرة، والحذر من ترك الصلاة، شوفوا تارك الصلاة ثوبه يلعنه، والأرض التي هو عليها تلعنه، واللقمة التي يأكلها تلعنه، ثم يلوم نفسه ومن معه فيقول: وإن صلينا لا شروط نؤديها سوى (صحيح)، ولا سنن، ولا طمأنينة، اهتموا بالصلاة، وكله ما يكون إلا بالعلم. ثم قال: والنساء كذلك خلوهن يعرفن ما عليهن، تموت الواحدة وندفنها جاهلة بدينها، وأعظم ذنب يلقى الإنسان به ربه جهالة أهله، وهذا السبب للزنا والخنا والوقوع فيما لا يرضي الله (انتهى).

ثم نتساءل نحن بعد ما سبق ذكره هل يطبق العلويون ما ذكره الإمام الحداد في أمر

---

(١) محمد بن سالم بن حفيظ نفح الطيب من كلام الحبيب عبدالله بن عمر الشاطري دار العلم والدعوة صفحة ٢٧٢.

الصلاة فنقول: نعم، بل يقومون بذلك وأكثر، ولا زالوا ولله الحمد يعطون الصلاة عنايتهم القصوى، ولنضرب بعض الأمثلة.

فهم كما يتشددون في القيام بالصلاة المكتوبة يهتمون كثيراً بصحة قراءة الفاتحة، حتى لا تبطل الصلاة، ولا يستنكفوا من امتحان قراءة الفاتحة، حتى لو كانوا من كبار العلماء، فقد وصل الحبيب عبد الله بن عمر بن يحيى (١٢٠٩-١٢٦٥هـ) إلى شبام وحضر إلى المسجد وقت الصلاة، ولما أقيمت الصلاة طلبوا من الحبيب عبدالله بن عمر أن يصلي بهم إماماً، فدخل والحبيب أحمد بن عمر بن سميط حاضر، فلما دخل المحراب قال لهم من هذا فقالوا له عبدالله بن عمر بن يحيى، فقال له: اصبر بانسمع فاتحتك خاف فيها شيء، فجثا الحبيب عبدالله بن عمر بين يدي الحبيب أحمد بن عمر مثل الأسد، ولم يتحرك له خاطر، وقرأ الفاتحة بالتمام والكمال، فلما أتمها قال له الحبيب أحمد بن عمر: قم الآن صل بنا (انتهى).

وذكر الجد ابن عبيدالله في بضائع التابوت[1] أن السيد طه بن علوي بن حسن السقاف الذي تولى قضاء سيؤن غرة محرم ١٢٩٧هـ كان كثير التواضع، سهل الجانب، لين الأخلاق، وكان يؤم الناس بمسجد طه، فقال له شيخنا العلامة علوي بن عبدالرحمن السقاف: لقد بلغني أن في فاتحتك خللاً، فأحب أن تسمعنيها، فلم يستنكف من ذلك، بل أسمعه إياها (انتهى).

ومن حرص العلويين على صحة قراءة الفاتحة وصحة صلاة العامة ما روي عن الحبيب علوي بن عبد الرحمن المشهور (١٢٦٣-١٣٤١هـ) أنه لما كان بالشحر في طريقه للسفر بالبحر صلى المغرب بالناس في المسجد، ثم جلس يذاكرهم حتى العشاء، ولما لم يسأله أحد عن مسائل الدين، عاتبهم وقال: لماذا لا تسألون؟ ثم سألهم هل كلكم علماء؟ هل منكم من يحسن قراءة الفاتحة؟ قالوا: لا قال: وشروط الصلاة من يعرفها؟ قالوا: بعضنا. فأسمعهم

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الرابع صفحة ٢٠٤.

الفاتحة، ثم جلس يستمع للفاتحة من كل واحد منهم، ويصححها له، وأخذ ذلك منه وقتاً كثيراً دون أن يتعب منه، ولما انتهوا قال لهم: غداً إن شاء الله بانتعلم كيفية الوضوء وأقسام المياه، وبانعلمكم الصلاة، وكان من عادة الحبيب علوي تمثيل طريقة الصلاة للناس، ويجهر بالصلاة التعليمية، ويجهر كذلك بالتحيات ليتعلموا، ولبث معهم فترة حتى اطمأن على صلاتهم، فأكمل سفره[1].

أما حرص العلويين على صلاة الجماعة فيظهر لنا في قول الحبيب عبد الله بن عمر الشاطري: إن السلف يعزون من فاتته تكبيرة الإحرام ثلاث أيام، ومن فوت الجماعة يعزونه سبع أيام ويطرحون الجنازة تحت داره، ويقولون: ليس المصاب من فارق الأحباب، بل المصاب من حرم الثواب[2].

وأما عن المحافظة على الصلاة جماعة بالمسجد فقد نقل ابن عبيدالله عن كلام الحبيب عمر بن حسن الحداد أنه يطلع من منطقة الجرب ـ وهو مكان واسع قرب تريم كانت به قديماً قرية ـ أنه كان يطلع منها سبعون من العلويين على سبعين حماراً كل ليلة يصلون العصر في مسجد باعلوي[3].

وذكر ابن عبيدالله السيد محمد بن أحمد باعلوي المتوفى ببلدة قسم سنة ٧٨٧هـ فقال: إنه كان كثير العبادة، شديد المجاهدة، وقد استوطن في آخر عمره بلدة قسم، وكان يطلع من قسم بعد أن ضعف وكف بصره لصلاة الجمعة بتريم[4].

وذكر الحبيب علوي بن عبدالله بن شهاب عن شيخه مفتي الديار الحضرمية الحبيب عبدالرحمن المشهور «أنه كان يؤدي الصلوات المكتوبة جماعة في أوائل أوقاتها، بحيث لا

---

(١) أبوبكر المشهور لوامع النور دار المهاجر للنشر والتوزيع الجزء الأول صفحة ٧٤-٧٥.

(٢) المصدر السابق صفحة ١٠٦.

(٣) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مطبعة الإرشاد صنعاء صفحة ٥٤٩.

(٤) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مطبعة الإرشاد صنعاء صفحة ٥٦٥.

يدركها معه إلا من كان متهيأً للصلاة قبل دخول الوقت، وكان يتولى بنفسه الأذان والإقامة والإمامة بمسجد جده الشيخ علي بن أبي بكر، وقد واظب على ذلك نحوا من أربعين سنة. وكان يقوم طول عمره من منتصف الليل إلى الفجر حتى إذا أوتر أوتر بإحدى عشر ركعة، مع المداومة على صلاة الضحى والتسبيح والرواتب وسائر الصلوات الراتبة[1]».

أما إذا أردنا أن نضرب أمثلة عن عبادة العلويين الإضافية فكما قال ابن عبيدالله: إن أودية وشعاب تريم مشرقة بالأنوار، لأنها كانت متهجد عباد الله الأخيار، حتى أن من أهل تريم من وقذته العبادة إلى حد أن صبيانهم يسألون أمهاتهم عنهم! فيقلن لهم: أخذتهم الجبال للتهجد بالليل، والمساجد للاعتكاف بالنهار[2].

وإذا أردنا أمثلة على صفة عبادة بعض العلويين فنبدأ بالفقيه المقدم (٥٧٤-٦٥٣هـ) فقد ذكر الأستاذ صالح الحامد[3] في ترجمته نقلاً عن التراجم القديمة (أنه كان يشتغل بالتدريس والصوم بالنهار، ويقوم بالأسحار مواظباً على قراءة القرآن سراً وجهراً، وإذا ختم ختمة من القرآن شرع في أخرى (انتهى باختصار).

ومن العلويين المتأخرين الحبيب محسن بن علوي السقاف (١٢١١-١٢٩٠هـ) والحبيب أحمد بن حسن العطاس (١٢٥٧-١٣٣٤هـ)، وقد أوردنا وصفا لصلاتهم وترتيب أوقاتهم في فصل آخر من هذا الكتاب.

كما أعطى ابن عبيدالله وصفاً دقيقاً لحال والده الحبيب عبيدالله بن محسن السقاف (١٢٦٢هـ -١٣٢٤هـ)، ونتبين من هذا الوصف كيف يمضي وقت العلويين بين اليوم والليلة، وليس هذا خاصاً بالحبيب عبيد الله بل هو شامل للأغلبية من العلويين في عصره، وقد أوردنا ذلك في ترجمته في الفصل السابع من هذا الكتاب.

---

(١) تحفة الأحباب في ذكر نزر من مناقب الحبيب علوي بن شهاب دار الحاوي صفحة ٩٤.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلدان حضرموت الناشر مكتبة الإرشاد صنعاء صفحة ٥٢٥.

(٣) صالح الحامد تاريخ حضرموت الجزء الثاني الناشر مكتبة الإرشاد صنعاء صفحة ٧٢٦.

ولا يحب العلويين التنطع ولا الوسوسة في الصلاة، ففي ترجمة الحبيب أحمد بن حسن العطاس[1] (١٢٥٧-١٣٣٤هـ) أنه كان يكره التعمق وتشديد الحروف في قراءة القرآن، لما في ذلك من الحيلولة بين الناس وكثرة التلاوة، وبينهم وبين فهم المعاني. وسمع مرة أحد المأمومين يكرر البسملة في الصلاة تعمقاً منه في النطق بها، فنهره وقال: ما هكذا الصلاة تغيرون بتعمقكم الحروف، وتزيدون فيها ما يتولد منها، ولا تنصتون لقراءة الإمام.

وكان يقول: كل من شدد على الناس في العبادة إنما يصرفهم عنها، فما أضر التشديد.

وكان ينهى أشد النهي أن يضع المصلي أمامه في المسجد سجادة أو منديلاً ليسجد عليه لتوهم نجاسة الأرض، فإن ذلك من وسوسة الشيطان، ويقول: كان الحبيب أبوبكر العطاس والحبيب أحمد بن محمد المحضار وأمثالهما يسجدون على الحصير ونحوه، ولا يقولون نجس، ولا مستعمل.

وصلى إماماً في مسجد الحبيب محسن بن حسين العطاس (توفي سنة ١٢٨١هـ) بحريضة، فسمع رجل يجهر بتكبيرة الاحترام عدة مرات قبل إن يتمها، فزجره بعد الصلاة وقال له: ليس هذا عمل النبي ﷺ، ولا عمل السلف الصالح، فإذا كنت صاحب وسوسة فالأولى أن توسوس في زكاة مالك، مثل صاحب هذا المسجد فإنه كان يزكي ماله ثلاث مرات في السنة، ويقول ربما قد أخطأت في موضعها في مرة، فهذه وسوسة مفيدة نافعة للفقراء، بخلاف وسوستك (انتهى باختصار).

وذكر سيدي الوالد عن الجد ابن عبيدالله (١٢٧٩-١٣٧٥هـ) أنه قد يكرر تكبيرة الإحرام عملاً برأي ابن حجر، الذي يرى أن يسترجع المرء عند التكبير كل حركات وسنن الصلاة، وكان يقول أحياناً بعد الصلاة (الله أكبر على ابن حجر) لتشديده.

وكما يتشدد العلويين في أمر الصلاة وفي صحة قراءة الفاتحة، فإنهم يحرصون أيضاً على

---

(١) علي بن أحمد العطاس ترجمة لحبيب أحمد بن حسن العطاس ورحلاته صفحة ٢٧.

صحة الوضوء والإتيان بسننه كاملة، ففي كلام الحبيب علوي بن شهاب رضي الله عنه[١]: كان السلف رضي الله عنهم يتوضئون في الديار، ثم يخرجون إلى المساجد للصلاة، وكان الحبيب عمر بن حسن الحداد مثلهم يتوضأ في البيت، وكان وضوءه يستغرق ساعة كاملة، يأتي فيه بجميع السنن التي في الوضوء.

إلا أن الحبيب أحمد بن حسن العطاس (١٢٥٧-١٣٣٤هـ) ينظر إلى أحوال البادية وأهل القرى التي تقل فيها المياه، وينقل لها الماء من أماكن بعيدة، ولهذا لا يرى لزوم إعادة الوضوء لمن لمسته امرأة أجنبية، وهناك ضرورة كزوجته وجاريته، لأن العامة قد يتركوا الصلاة إذا كلفوا الإعادة، وفي المذاهب الأخرى سعة، ولا يحكم بالنجاسة إلا بالتغير في الماء سواءً كان الماء كثيراً أو قليلاً، ويذكر قول الحبيب عبدالله الحداد: لولا الأدب مع السلف لقلدنا الإمام مالكا في المياه[٢] (انتهى باختصار).

وكلما ذكر عن عبادة العلويين فيما سبق إنما ذكره تلاميذهم وأبناءهم بعد وفاتهم لأنهم، لا يحبون أن يعرف الناس شيئاً عن أعمالهم وعبادتهم في حياتهم، وما ذكر تلاميذهم ذلك إلا يضربوا للناس المثل، ويستنهضوا الهمم في العبادة والعمل، لأن العلويين هم أبعد الناس عن الرياء وعن الأمور التي يمكن أن تفتح باب الرياء، فقد روى الحبيب علوي بن عبدالله بن شهاب أن الحبيب عبدالله الحداد عاتب تلميذه الشيخ الحساوي لما قام بركعة رابعة لما سلم الإمام من ركعات الوتر الثلاث، وقال له مرادك أن يعرف الناس أنك تصلي الوتر إحدى عشر ركعة[٣].

وقد اشتهر بعض العلويين بحب إمامة الصلاة، ومنهم السيد عبد القادر بن محمد باعقيل السقاف المتوفى سنة ١٣٦٧، وهو رجل لطيف، وله نوادر كثيرة قال السقاف: جئت

---

(١) تحفة الأحباب في ذكر نزر من مناقب الحبيب علوي بن شهاب دار الحاوي صفحة ١٨٧.

(٢) على بن أحمد العطاس ترجمة لحبيب أحمد بن حسن العطاس ورحلاته صفحة ٣٠.

(٣) عمر بن علوي الكاف تحفة الأحباب دار الحاوي صفحة ١٧٤.

مرة لزيارة الحبيب مصطفي المحضار بالقويرة، وكان يوم جمعة وفي ذلك اليوم كان عنده الحبيب عبدالرحمن ابن عبيدالله السقاف، فقال الحبيب مصطفي لابن عبيدالله: ليتك ما جيت اليوم قال له ابن عبيدالله: لماذا؟! قال له: شف ذاك السيد عبدالقادر السقاف مقبل، وهو يحب الإمامة، فإن قدمناك عليه بايزعل، وإن قدمنا السقاف ما هو سوى وأنت عالم وعلامة، فأجابه ابن عبيدالله بقوله: هو أولى مني ومنك بها، لأنه زاهد في الدنيا لا مال معه ولا نخل. فقال له الحبيب مصطفي: مني ولا منك وصلى السقاف إمام[١].

ومنهم الحبيب حسين بن محمد السقاف إمام مسجد طه الذي لا يتجاسر أحد بالتقدم لإمامة الصلاة حتى يحضر.

وذكر عنه والدي في مذكراته بعض المواقف الطريفة في هذا المقام[٢].

أما حرص العلويين على التناصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فنجده في أفعالهم وكلامهم، فالحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر (١١٩١-١٢٧٢هـ) يقول في كلامه: (وعليك رحمك الله بتنبيه كل من رأيته مرتكباً لمحرم، أو تاركاً لواجب، أو يخل بشيء من واجبات الصلاة، أو غيرها من العبادات والمعاملات، وكذلك الأمر بالفضائل، فإن الدال على الخير كفاعله، ولا يكمل إيمان عبد حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أحد معالم الدين وواجباته ومهماته، وليكن تنبيهك بصيغة المحبة والشفقة والرفق واللين (انتهى)[٣].

ويستنكر العلويين بشدة كما نفهم من أخبارهم الجراءة على الله سبحانه وتعالى بضمان الجنة لأحد عبيده، كما يفهم من قصة السطان بدر بن عبدالله الكثيري الذي خلع نفسه عن السلطنة سنة ١٠٢٤هـ وذهب إلى الحبيب الحسين بن الشيخ أبي بكر بن سالم بعينات وعرض

---

(١) محمد بن زين الجاوي جواهر مقتطفه من تاج الأشراف في رحلة السقاف مخطوطة صفحة ٧٥.

(٢) محسن علوي السقاف مذكراتي ومختاراتي.

(٣) مجموع كلام الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر صفحة ١٦.

عليه تولى السلطنة فرفضها الحسين بن أبي بكر، ثم قال له السلطان: أطلب منك أن تدعوا لي بثلاث خصال: الأولى: أن يغفر ربي ذنوبي، والثانية: أن أموت بمكة أو المدينة أو بعينات، والثالثة: أن أكون معك في الجنة، فقال الحبيب الحسين بن أبي بكر: أما الأولى فلا سبيل لها لأنك وليت أمر الناس سنوات، وحقوق الناس ما تترك ولا تسامح إلا بردها، وأما الموت فكل يعود إلى طينته وأمر ذلك إلى الله تعالى كما قال: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ صدق الله العظيم، وكذلك الجنة إلا برحمة الله وما يدريك أن نكون نحن في النار، وقد توفي هذا السلطان بمكة ودفن بها (انتهى)[١].

وكذلك كان الحال مع الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي فقد ذكر ابن عبيدالله أنه اختصم مرة بعض جيران الحبيب عيدروس من قبائل بلاده في دين، فلما حمى الجدال وأزف القتال قصد الدائن وكان به مرض فاستنزله الحبيب عيدروس عن بعض الدين، وكان كثيراً فقال الرجل: سأنزل لك عن جميعه بشرط أن تضمن لي الجنة، فاربد وجه الحبيب عيدروس وقال: لا أدري ما يفعل بي ولا بك، ولا أملك لنفسي ولا غيري، وزجره عن مثل ذلك وعرفه بأنه لا يسوغ له فألح الحاضرون على الحبيب عيدروس ليوارب بعبارة موهمة لحسم الفتنة، فلم يرض لأنه رأى الجراءة في مثل ذلك أعظم خطراً من شر الفتنة، وبعد طول المراجعة اقتنع الدائن منه بالدعاء وابرأ المدين[٢].

كما يهتم العلويين بالحشمة في اللباس كما يتبين من كلام الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر (١١٩١-١٢٧٢هـ) الذي يقول: ومن المنكرات الفاحشة كشف العورات عند من يحرم نظره إليها، وقد تساهل الناس بذلك جداً، حتى أنه صار لا ينكر ولا يستقبح، فترى جملة من الرجال يتماشون ويتجالسون ويتحدثون ويحترفون وشيء مما بين السرة والركبة مكشوف ظاهر بارز عمداً، ولا ينكر بعضهم على بعض، ولا ينكر عليهم غيرهم ممن هو عالم

---

(١) محمد بن هاشم تاريخ الدولة الكثيرية تريم للدراسات والنشر صفحة ٩٣-٩٤.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف ديوان بن عبيدالله صفحة ٣٢١-٣٢٩.

بحرمة ذلك، وكذلك النساء يمشين في الطرقات ويجلسن مع الرجال الأجانب من أهل الحرف أو غيرها وشيء مما يجب ستره تكشفه عمداً للرجال، ولا يرون ذلك حراماً ولا قبيحاً ولا عاراً ولا فضيحةً، ومعلوم أن عورة الرجل ما بين سرته وركبته في الصلاة وخارجها، وعورة الأنثى عند الرجال الأجانب جميع بدنها، ولا يجوز للرجل أن يصافح أجنبية أو تصافحه، قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ الآيتين، وقال رسول الله ﷺ: «النظرة سهم مسموم من سهام إبليس، فمن تركها خوفاً من الله أعطاه الله إيماناً يجد حلاوته في قلبه»[١].

ولا يوافق العلويين على بعض المظاهر الصوفية التي يرون أنها تخالف الدين القويم، ولقد ذهب ابن عبيدالله في هذا المجال بعيداً، بل إننا نرى علماً من أعلام العلويين يقول في هذه الأمور أكثر من ما قاله مالك في الخمر، فهذا العلامة أبو بكر بن شهاب يقول في بعض مدعي الولاية بالهند أبياتا شعرية أوردها الأستاذ الشاطري في تاريخه، وأوردناها في موضع آخر من هذا الكتاب[٢].

ولا يحب العلويون مجالس القيل والقال، بل يحضون على الصمت والسكوت وحفظ اللسان، كما نرى في مجموع كلام الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر[٣] (١١٩١-١٢٧٢هـ) الذي يقول: فلا شيء أذهب للحسنات، ولا مكثر للسيئات، ولا موجب للحسرات، ولا مضيع للأوقات، من هذه المجالس المعقودة للفضول والترهات، وتزجية الوقت في الغفلات، لا على ذكر الله، ولا على مذاكرة علم، ولا لقضاء حاجة، فترى المجلس من أوله إلى آخره ينقضي ولا تحصل منه فائدة، لا في الدين ولا في الدنيا، بل خسارة في الدين والدنيا، ويعود على كل من حضره بغفلة وقسوة وظلمة وكثافة ووحشة.

---

(١) مجموع كلام الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر صفحة ١٢١.

(٢) محمد بن أحمد الشاطري أدوار التاريخ الحضرمي الناشر عالم المعرفة صفحة ٤٥٤.

(٣) مجموع كلام الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر صفحة ١٥٠.

ثم قال: فكن جليس بيتك، واشغل نفسك بالعلم والعبادة، ولا تخرج إلا لمهم من دينك أو دنياك، «وعليك بترك العادات» التي عظمها الناس وجعلوا لها شعاراً ومناراً، وصيروها معلومة بينهم بالضرورة، يتكلم فيها أهل العمائم واللحى، فضلاً عن الأراذل والنساء، أهلكوا فيها الأموال، وارتكبوا لأجلها المداخل، وخلط معهم الجاهل والغافل، لأجل رضا امرأة ومسخرة عيال، وضيعوا في معاناة هذه العادات الدار الآخرة، والمنازل الفاخرة، وألهتهم عن ذكر الله، وعن الأنس بالله، وعن نعيم أهل الله، في الدنيا والآخرة (انتهى باختصار).

وفي ترك مجالس اللغو يقول الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر (١١٩١-١٢٧٢هـ)[١]: قد صرح بذلك رسول الله ﷺ حيث قال: «مثل الجليس السوء كمثل صاحب الكير، إن لم يحرقك بشرره علق بك من ريحه» فكما أن الريح يعبق بالثوب ولا يشعر به فكذلك يسهل الفساد على القلب وهو لا يشعر به، وقال «مثل الجليس الصالح مثل صاحب المسك، إن لم يهب لك منه تجد رائحة طيبة» انتهى كلام سيدنا الغزالي، أقول وقد كثر في زماننا هذا ذكر الشر والأشرار، وكثرة الخوض والكلام، والقيل والقال، في الفضول وفيما لا يعني، وفي الغيبة والنميمة، وذكر معاصي وقبائح تجري، وتركوا ذكر الصالحين ومذاكرة العلوم التي تنفعهم، والسؤال عما يعنيهم، قال سيدنا عمر بن سقاف: ومما يشرح الصدر ويذهب الهم ترك مجالس العامة المشتملة على اللغو والسخرية بالناس، وذكر عيوبهم وتضييع الوقت في البطالة والجهالة، وكثرة القال في حوادث الزمان بغير اعتبار، وكثرة القال في حوادث الظلم وفعله وكثرة الخوض في ذلك كله باعتراض وإنكار، فكل ذلك مما يكدر صفاء أهل الإيمان، ويشوش قلوبهم المنيرة، فليبادر إلى العزلة والعبادة.

أما حسن الخلق وحسن المعاملة فهو ما يميز العلويين عن غيرهم في جميع البلاد فهم

---

(١) مجموع كلام الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر صفحة ٢١٧.

يعاملون الناس بالمعاملة الطيبة، ويتجنبون المنازعة والمخاصمة ما استطاعوا لذلك سبيل، ويصلحون بين الناس.

وفي معرفة أنواع الناس وطرق التعامل معهم يقول الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر(١): اعلم أن الناس بعد هؤلاء في حقك ثلاثة أقسام: إما مجاهيل، وإما أصدقاء، وإما معارف، فإن بليت بالعوام المجهولين فأدب مجالسة العامة ترك الخوض معهم في حديثهم، وقلة الإصغاء إلى أراجيفهم، والتغافل عن ما يجري من سوء ألفاظهم، والاحتراز من كثرة لقائهم والحاجة إليهم، والتنبيه على منكراتهم باللطف والنصح عند رجاء القبول منهم.

وأما الأخوة والأصدقاء فعليك معهم وظيفتان: أحدهما: أن تطلب أولا شروط الصحبة والصداقة، قال رسول الله ﷺ: «المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل» فلا تواخ إلا من فيه خمس خصال:

الخصلة الأولى: العقل، فلا خير في صحبة الأحمق، وإلى الوحشة والقطيعة يصير آخرها، وأحسن أحواله أن يضرك وهو يريد أن ينفعك، والعدو العاقل خير من الصديق الأحمق.

والخصلة الثانية: حسن الخلق، فلا تصحب من ساء خلقه، وهو الذي لا يملك نفسه عند الغضب.

والخصلة الثالثة: الصلاح، فلا تصحب فاسقاً، لأن من لا يخاف الله تعالى لا تأمن غائلته، بل يتغير بتغير الأغراض، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾، ومشاهدة الفاسق والمعصية على الدوام تزيل من قلبك كراهية المعصية، ولذلك هان على القلوب معصية الغيبة لا لفهم لها.

والخصلة الرابعة: أن لا يكون حريصاً على الدنيا، فصحبة الحريص على الدنيا سمٌّ

(١) مجموع كلام الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر صفحة ١٤٢.

قاتل، لأن الطبع يسرق من الطبع من حيث لا تدري، فمجالسة الحريص تزيد في حرصك، ومجالسة لزاهد تزيد في زهدك.

والخصلة الخامسة: الصدق، فلا تصحب كاذباً، فإنك منه على غرور، وهو كالسراب يقرب منك البعيد ويبعد منك القريب، ولعلك تعدم هذه الخصال في سكان المدارس والمساجد، فعليك بالعزلة والإنفراد، ففيها سلامتك، ولا تخالط إلا بقدر الضرورة.

وذكر الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر أنواع الناس فقال: الناس ثلاثة: أحدهم: مثل الغذاء، لا يستغني عنه. والثاني: مثل الدواء، لا يحتاج له إلا في وقت دون وقت. والثالث: مثل الداء، لا يحتاج إليه قط، ولكن العبد قد يبتلى به، وهو الذي لا أنس فيه ولا نفع منه، فتجب مداراته للخلاص من شره، وفي مشاهدته فائدة عظيمة، وهي أن تشاهد من خبائثه ما نستقبحه فتجتنبه، فالسعيد من وعظ بغيره.

ويؤكد الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر على أن مذهب العلويين هو العمل بالعلم، إلا أنه يعترف بأن ذلك قل في الزمن المتأخر، لذا نراه يقول: كنا سابقاً نسأل عن العالم العامل بعلمه، فإن لم يكن عاملاً لم نعبأ به، وأما الآن فنحن نسأل عن العالم وإن لم يعمل، لما رأينا من غلبة الجهل والغفلة عن التعلم، وعدم الهمة في طلب العلم، والرضا بالجهل والعمل بمقتضاه[١] (انتهى).

أما اعتقاد العلويين في التوسل فلا أعتقد أنني بحاجة إلى شرحه، لأن الموضوع يتضح مما ذكر في هذا الباب وفي أبواب أخرى من هذا الكتاب، على أن بعض علماء العلويين بحثوا هذا الموضوع بإسهاب، ومنهم ابن عبيدالله الذي يقول:ولي في التوسل والاستغاثة رسالة ضافية الذيل، ابتعدت فيها عن طرفي الإفراط والتفريط، واعتمدت فيها النقل عن العلامة ابن تيميه وتلميذه ابن القيم، لأن كلامهما أقوى حجة في الموضوع على من يتطرف فيه[٢].

---

(١) مجموع كلام الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر صفحة ٧٦.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثاني/ ١ صفحة ١٢٣.

ومن امثلة ادعية العلويين المقتصرة على التوسل بالله والاستعانة به دعاء الحبيب علي بن محمد الحبشي الذي يدعوه في بداية العام الجديد وفيه يقول[١]: اللهم انى قد مددت يد افتقارى في ليلى ونهارى متوسلا بك اليك وطامعا فيك وفيما لديك ثم يقول وليس لي معول في شاني كله الا عليك ولا طمع الا فيك (انتهى باختصار).

إلا أن العامة قد يبتدعوا أمراً يصير مع مرور الزمن عادة من العادات، حتى أن أهل الشام لما أبطل الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز سب الإمام علي كرم الله وجهه على منابر الشام قالوا بأن الخليفة أبطل سنه من السنن، ويقول ابن عبيدالله: إن العامة بحضرموت قد ابتدعوا عادات وطرقاً غير مقبولة، ولم يستطع علماؤهم تغييرها رغم نصائحهم ووعظهم، ثم قال: ومنذ أيام أنشأت رسالة في تزييف ما شاع عندنا من تعظيم يوم عاشورا، وإظهار السرور فيه، وقراءة أحاديث وحكايات في فضله لا يقبلها إلا سفيه[٢].

وقد كسب العلويون محبة الناس واحترامهم في حضرموت وفي بلاد العالم المختلفة، ولا زالوا محبوبين إلى اليوم بأخلاقهم وعملهم، وليس بأنسابهم، ففي عالمنا اليوم كثير ممن ينتسب إلى الحسن والحسين إلا أنهم لا يتمتعون بالمحبة والاحترام مثل العلويين الحضارمة، بل إن مسألة النسب ليست بمحل افتخار، كما نرى في كلام واحد من كبار العلويين وهو الحبيب عبدالله الحداد الذي يقول في نصائحه الدينية[٣]: ومن افتخر على الناس بنسبه وبآبائه ذهبت بركتهم عنه، لأنهم (يقصد السلف) ما كانوا يفتخرون ولا يتكبرون على الناس، ولو فعلو ذلك لبطل فضلهم، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «من بطؤ به عمله لم يسرع به نسبه»، وقال ﷺ: «يا فاطمة بنت محمد، ويا صفيه عمة رسول الله، لا أغني عنكم من الله شيئاً، اشتروا أنفسكم من النار»، وقال عليه الصلاة والسلام: «لا فضل لأحمر على أسود،

---

١ مخ العبادة لاهل السلوك والارادة صفحة ٢٤٢

(٢) علوي بن عبدالقادر السقاف تحقيق الفرق صفحة ٦٠.

(٣) الحبيب عبدالله الحداد النصائح الدينية صفحة ٣٠٦.

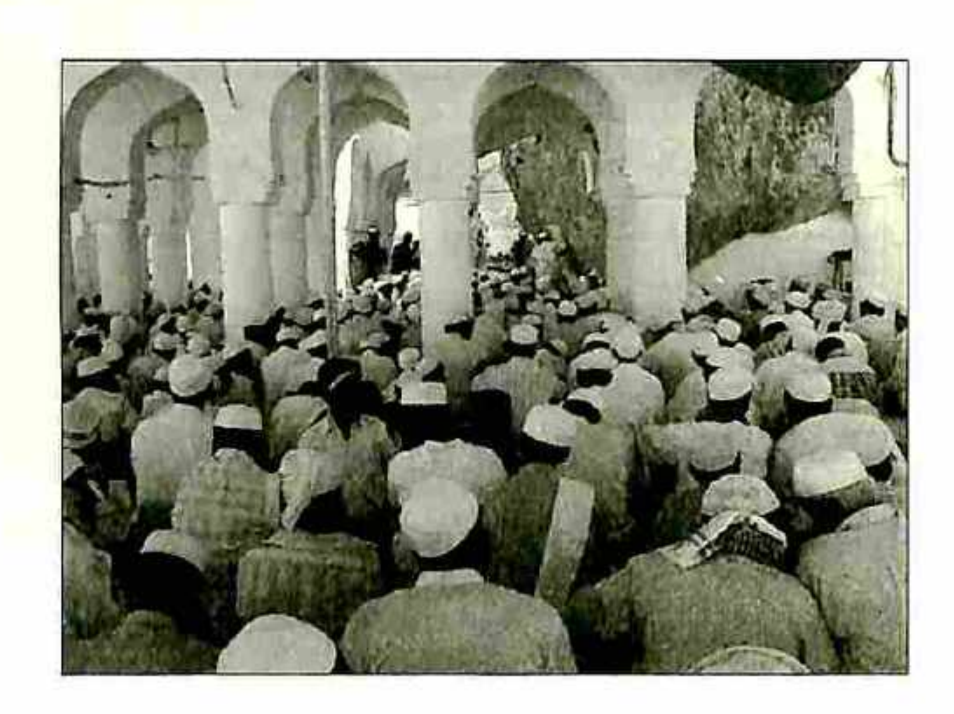
ولا لعربي على عجمي، إلا بتقوى الله، أنتم من آدم، وآدم من تراب» وقال عليه الصلاة والسلام: «لينتهين أقوام عن الفخر بآبائهم، أو ليكونن أهون على الله تعالى من الجعلان» فالفضل والكرم بالتقوى لا بالنسب كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾، ولو أن الإنسان كان من أتقى الناس وأعلمهم وأعبدهم، ثم تكبر على الناس، وافتخر عليهم، لأحبط الله تقواه، وأبطل عبادته، فكيف بالجاهل المخلط الذي يتكبر على الناس بتقوى غيره، وصلاح غيره من آبائه وأجداده، فهل هذا إلا جهل عظيم، وحمق فظيع، وإن الخير كله في التواضع والخشوع والخضوع لله، قال عليه الصلاة والسلام: «من تواضع رفعه الله، ومن تكبر وضعه الله» انتهى النقل.



الفصل الثالث والثلاثون

العلويين والتصوف

أولاً ـ التعريف بالصوفية[1]



(١) ملخص عن كتاب الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة صفحة (٣٤١-٣٥٣)، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض ـ المملكة العربية السعودية.

التصوف حركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي عقب اتساع الفتوحات وازدياد الرخاء الاقتصادي، كردة فعل مضادة للانغماس في الترف الحضاري، مما حمل بعضهم على الزهد الذي تطور بهم حتى صار لهم طريقة مميزة معروفة باسم «الصوفية»، وطرقوا سبل تربية النفس والسمو بها بغية الوصول إلى معرفة الله بالكشف والمشاهدة، لا عن طريق التقليد أو الاستدلال، لكنهم جنحوا بعد ذلك في المسار حتى تداخلت طريقتهم مع فلسفات هندية وفارسية ويونانية مختلفة.

ومن العلماء الزهاد إبراهيم بن أدهم (ت١٦١هـ) الذي ترك الملك والسلطان، وأقبل على الزهد والتصوف، وكذلك سفيان الثوري (٩٧-١٦١هـ) الذي يقول: «الزهد في الدنيا هو قصر الأمل، وليس بأكل الخشن ولا بلبس العباء».

ومن الصوفية من رمي بالكفر مثل أبو مغيث الحسين بن منصور الحلاج (٢٤٤-٣٠٩هـ) الذي ولد بفارس حفيدا لرجل زرادشتي، ونشأ في واسط بالعراق، وهو أشهر الحلوليين والاتحاديين، وقد رمي بالكفر وقتل مصلوباً لتهم أربع وجهت إليه، أولها: اتصاله بالقرامطة. و ثانيها: قوله (أنا الحق).وثالثها: اعتقاد أتباعه بإلوهيته. ورابعها: قوله في الحج بأنه ليس من الفرائض الواجب أداوها، وفي شخصيته كثير من الغموض، فضلاً عن كونه متشدداً وعنيداً ومغالياً، ومن مؤلفاته كتاب (الطواسين) الذي أخرجه وحققه المستشرق ما سينيون.

ومن الصوفية شخصيات كبيرة مثل الإمام أبي حامد الغزالي الملقب بحجة الإسلام (٤٥٠-٥٠٥هـ) ولد بطوس من إقليم خراسان، ثم رحل إلى جرجان ونيسابور ولازم نظام الملك، ودرس في المدرسة النظامية ببغداد، ثم اعتكف في منارة مسجد دمشق، ورحل بعد ذلك إلى القدس، ومنها إلى الحجاز، ثم عاد إلى موطنه، وألف عدداً من الكتب منها «تهافت الفلاسفة، والمنقذ من الضلال» وأهمها «إحياء علوم الدين» ويعد الغزالي رئيس مدرسة الكشف في المعرفة، ومن جليل أعماله هدمه للفلسفة اليونانية، وكشفه لفضائح الباطنية.

وقال فيليب حتى عن الغزالي «ولقد كان من حسن حظ المتصوفة أن ظهر فيهم رجل استطاع أن يوفق بين آرائهم وبين عقيدة أهل السنة والجماعة، ويرد إليهم حقوق الأخوة والمساواة في الأمة الإسلامية، إن هذا الرجل كان سيداً من سادة علماء الكلام، وفقيهاً بارعاً، وفيلسوفاً قديراً، وصوفياً واصلاً، ولقد تمثل هذا المزيج السعيد في شخص نادر المثال، هو الغزالي أحد كبار المجاهدين في التاريخ في سبيل الفكر الديني»[1].

ومن أشهر المتصوفة محي الدين ابن عربي الملقب بلقب الشيخ الأكبر (٥٦٠- ٦٣٨هـ) رئيس مدرسة وحدة الوجود، يعتبر نفسه خاتم الأولياء، ولد في الأندلس، ورحل إلى مصر، وحج، وزار بغداد، واستقر في دمشق حيث مات ودفن، وله فيها إلى الآن قبر يزار، طرح نظرية الإنسان الكامل التي تقوم على أن الإنسان وحده من بين المخلوقات يمكن أن تتجلى فيه جميع الصفات الإلهية إذا تيسر له الاستغراق في وحدانية الله، وله كتب كثيرة يصل بعضهم بها إلى ٤٠٠ كتاب ورسالة.

أما أقطاب الصوفية الأربعة أصحاب الطرق فهم: عبد القادر الجيلاني، وأحمد الرفاعي، وأحمد البدوي، وإبراهيم الدسوقي، وسيأتي الحديث عنهم.

ومن أقوال الصوفية قول أبو الحسن الشاذلي: إذا تعارض كشفك مع الكتاب والسنة فتمسك بالكتاب والسنة، ودع الكشف. ويقول أيضاً: إذا لم يواظب الفقير (أي الصوفي) على حضور الصلوات الخمس في الجماعة فلا تعبأ به.

و يقول أبو يزيد البسطامي: لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى يرتقي في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي، وحفظ الحدود، وأداء الشريعة. ويقول أيضاً: لو أن رجلاً بسط مصلاه على الماء، وتربع في الهواء، فلا تغتروا به

---

(١) الدكتور فيليب حتى الإسلام منهج حياة تعريب الدكتور عمر فروخ دار العلم للملايين صفحة ١٤٥.

حتى تنظروا كيف تجدونه في الأمر والنهي. ومن أقوال الإمام الغزالي: لو رأيت إنساناً يطير في الهواء، ويمشي على الماء، وهو يتعاطى أمراً يخالف الشرع فاعلم أنه شيطان.

ويتحدث الصوفيون عن العلم اللدني الذي يكون في نظرهم لأهل النبوة والولاية، كما كان ذلك للخضر عليه السلام، حيث أخبر الله تعالى عن ذلك فقال: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾. وعند الصوفية درجات في السلوك، كما أن هناك فرق بين الصوفي، والعابد، والزاهد، إذ إن لكل واحد منهم أسلوباً ومنهجا وهدفاً. أما درجات السلوك عند الصوفية فأولها حب الله ورسوله، ودليله الاقتداء برسول الله ﷺ. ثم الأسوة الحسنة، ثم التوبة، ثم الورع، ثم الزهد، ثم التوكل، ثم المحبة، ثم الرضا.

أما مقامات الصوفية فهي المنازل الروحية التي يمر بها السالك إلى الله فيقف فتره من الزمن مجاهداً في إطارها حتى ينتقل إلى المنزل الذي يليه، ولابد لهذا الانتقال من جهاد وتزكية. أما أحوال الصوفية فهي النسمات التي تهب على السالك فتنتعش بها نفسه في لحظات خاطفة تمر تاركة عطراً تتشوق الروح للعودة إلى تنسم أريجه، وقال الجنيد:الحال نازلة تنزل على القلوب فلا تدوم.

ومن أقوال الصوفية الأحوال مواهب، والمقامات مكاسب، ويعبرون عنها بقولهم: الأحوال تأتي من عين الجود، والمقامات تحصل بالمجهود.

أما الطرق الصوفية المشهورة فهي كالتالي:

ـ **الطريقة القادرية**: تنسب إلى عبد القادر الجيلاني (٤٧٠-٥٦١هـ) المدفون في بغداد، حيث تزوره كل عام جموع كثيرة من أتباعه للتبرك به، اطلع على كثير من علوم عصره، وقد نسب أتباعه إليه كثيراً من الكرامات، رزق بتسعة وأربعين ولداً حمل أحد عشر منهم تعاليمه ونشروها في العالم الإسلامي.

ـ **الطريقة الرفاعية**: تنسب إلى أحمد الرفاعي (ت٥٨٠هـ) من بني رفاعة قبيلة من العرب، وجماعته يستخدمون السيوف والحرب في إثبات الكرامات، كان زاهداً كثير الرياضة النفسية، انتشرت طريقته في غرب آسيا.

ـ **الطريقة الأحمدية**: وتنسب إلى أحمد البدوي أكبر أولياء مصر (٥٩٦- ٦٣٤هـ) ولد بفاس، حج ورحل إلى العراق، واستقر في طنطا حتى وفاته، له فيها ضريح مقصود، امتاز بالفروسية، عكف على العبادة، وامتنع عن الزواج، وأتباعه منتشرون في جميع أرجاء مصر، ولهم فيها فروع كالبيومية والشناوية وأولاد نوح والشعبية، وشارتهم العمامة الحمراء.

ـ **طريقة الدسوقية**: تنسب إلى إبراهيم الدسوقي (٦٣٣-٦٧٦هـ) وطريقته تدعو إلى الخروج عن النفس وحظوظها، رأس مالهم المحبة لجميع الخلق، والتسليم والسكون تحت مراد الشيخ وأمره، وتدعو طريقتهم إلى العلم والعمل به، مع عدم استحباب الخلوة إلا إذا كانت بأمر من الشيخ.

ـ **الطريقة الأكبرية**: نسبة إلى الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي، وتقوم طريقته على الصمت والعزلة والجوع والسهر، ولها ثلاث صفات، الصبر على البلاء، والشكر على الرخاء، والرضا بالقضاء.

ـ **الطريقة الشاذلية**: نسبة إلى أبي الحسن الشاذلي (٥٩٣-٦٥٦هـ)، ولد بقرية قرب مرسية وانتقل إلى تونس، وحج عدة مرات، ثم دخل العراق، ومات أخيراً في صحراء عيذاب في طريقه إلى الحج، قيل عنه «إنه سهل الطريقة على الخليقة» لأن طريقته أسهل الطرق وأقربها، فهي تقوم على كثرة العلم والذكر، وليس فيها كثير مجاهدة، وانتشرت طريقته في مصر واليمن وبلاد العرب، وأهل مدينة (مخا) يدينون له بالتقدير والاعتقاد العميق في ولايته، وانتشرت طريقته كذلك في مراكش وغرب الجزائر وفي شمال أفريقيا وغربها بعامة.

- **الطريقة البكداشية:** وينتمي إليها الأتراك العثمانيون وهي ما تزال منتشرة في ألبانيا، وهي أقرب إلى التصوف الشيعي منها إلى التصوف السني، وقد كان لهذه الطريقة دوراً بارز في نشر الإسلام بين الأتراك والمغول، وكان لها سلطان عظيم على الحكام العثمانيين ذاتهم.

- **الطريقة المولوية:** أنشأها الشاعر الفارسي جلال الدين الرومي (ت ٦٧٢هـ) والمدفون بقونية في تركيا، يتميزون بإدخال الرقص والإيقاعات في حلقات الذكر، وقد انتشروا في تركيا وآسيا الغربية، ولم يبق لهم في الأيام الحاضرة إلا بعض التكايا في تركيا وفي حلب وفي بعض أقطار المشرق.

- **الطريقة النقشبندية:** تنسب إلى الشيخ بهاء الدين محمد بن محمد البخاري الملقب بشاه نقشبند (٦١٨- ٧٩١هـ) وهي طريقة سهلة كالشاذلية، انتشرت في فارس وبلاد الهند وآسيا الغربية.

وتكلم الإمام الغزالي عن شطحات الصوفية وانتقد من غلبة الغرور منهم فقال: إن فرقة اغتروا بالزي والهيئة والمنطق، وفرقة ادعت علم المعرفة، ومشاهدة الحق، ومجاوزة المقامات والأحوال. وفرقة وقعت في الإباحة وطووا بساط الشرع ورفضوا الأحوال وسووا بين الحلال والحرام. (انتهى النقل باختصار).

* * *

ثانياً ـ العلويون والتصوف



داخل مسجد باعلوي بتريم

كتب الأستاذ الشاطري في أدوار التاريخ الحضرمي عن وصول التصوف إلى حضرموت[١] فقال: وفي أوائل القرن السابع وصلت الطريقة الصوفية إلى حضرموت بعدما انتشارها في ذلك العصر على يد الجيلاني في الشرق، والشيخ شعيب أبومدين في المغرب، و هو الذي بعث بمندوب إلى حضرموت تمكن من ضم اثنين من الشخصيات الحضرمية الكبيرة إلى دائرة التصوف وهما جد العلويين بحضرموت الفقيه المقدم، والثاني هو الشيخ سعيد بن عيسى العمودي، وهما الشخصان اللذان انتشر بهما التصوف بحضرموت.

وقال الأستاذ الشاطري في محاضرة مطبوعة: وقد كان الفقيه المقدم قبل تصوفه يتلقى العلوم عن مشايخ حضرموت ومنهم الشيخ علي أبي مروان، وهو متقلد سلاحه تارة وواضع سيفه على فخذيه تارة أخرى، وكان صاحب عبقرية وفهم، وسمي الفقيه لنبوغه في الفقه، فلما بسلك طريق التصوف كسر سيفه تعبيراً عن نبذه القوة وتزيي بالزي الصوفي، ولبس الخوذة الصوفية المسماة في مكة وحضرموت بالقبع، وحمل بيده العكاز، ولما رآه شيخه أبو مروان غضب عليه، كما اعترض عليه عدد آخر من علماء تريم لخوفهم من تركه للفقه ولعلوم الشرعية والتخلي عن الزعامة والقيادة والإمامة التي لا يرون غيره يستحقها[٢].

أما المظهر الصوفي الذي أنكره شيخ الفقيه أبي مروان وبعض علماء تريم فهو ما ذكره ابن عبيدالله من أن الفقيه المقدم غير ما كان عليه آباؤه من الزي ولبس الخوذة الصوفية المسماة في مكة وحضرموت بالقبع والتي بقيت شعارهم حتى أخذت تتقلص من أيام العيدروس (انتهى).

وتكلم الأستاذ محمد الشاطري عن الأسباب التي دفعت الفقيه المقدم إلى ترك السلاح واعتناق المبادئ الصوفية فقال: إن الفقيه المقدم رأى أن التصوف يناسب حالة العلويين

---

(١) محمد بن أحمد الشاطري أدوار التاريخ الحضرمي عالم المعرفة صفحة ٢٥٥.

(٢) محمد بن أحمد الشاطري سيرة السلف من بني علوي الحسينيين محاضره مطبوعة صفحة ٢٠.

بحضرموت في ذلك الزمن حيث أن حكام حضرموت المعاصرين له بدؤوا يتوجسون من النفوذ الروحي للعلويين، ويخشون أن يتسبب ذلك في سلب ملكهم، فأحاطوا كبار العلويين بسياج من الرقابة، وضيقوا عليهم الخناق، وتوقع الفقيه إذا استمر هذا الحال أن يتعرض العلويين بحضرموت لما سبق أن تعرض له العلويون في الشام والعراق على يد الأمويين والعباسيين وغيرهم من الحكام الآخرين، وقد أدرك الفقيه بذكائه هذا الخطر المحدق خصوصاً وقد تعرض جده صاحب مرباط للأذى حتى اضطر إلى الهجرة لظفار، كما دس حاكم تريم السم لعمه علوي، فرأى الفقيه المقدم ببعد نظره أن من الأفضل ترك السلاح وسلوك طريقة التصوف المعتدل، والابتعاد عن ما يمكن أن يكون سبباً لشر مستطير يكتوي منه العلويون بحضرموت.

واستخلص الفقيه المقدم لنفسه ولقومه من بين طرق الصوفية طريقاً واضحاً معتدلاً، وحمل بيده العكاز الذي يرمز إلى التصوف، بدلاً عن السيف الذي يرمز وقتئذ إلى القتل والنهب والسلب وطلب الملك، وأثبت الفقيه المقدم لحكام حضرموت أنه وقومه لا يريدون ملكاً ولا يسعون إلى زعامة، وقد تأثرت بتصوف الفقيه المقدم الأوساط الحضرمية من غير العلويين فنزعوا سلاحهم واعتنقوا التصوف العلوي المعتدل، وهم الذين عرفوا فيما بعد بالمشايخ[١] (انتهى).

وقال ابن عبيدالله في بضائع التابوت[٢]: ولما تلاشت الأسباب التي دفعت الفقيه المقدم والعلويين من بعده إلى سلوك الطريق الصوفي تراجع التصوف لدى العلويين وتركوا التزيي بالزي الصوفي الذي بدأ يتقلص من أيام العيدروس (انتهى).

ويعتقد العلامة ابن عبيدالله أن بداية تصوف العلويين قد سبق عصر الفقيه المقدم فقال في تاريخ بضائع التابوت: إن الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم، والشيخ سعيد بن عيسى

---

(١) محمد بن أحمد الشاطري أدوار التاريخ الحضرمي الناشر عالم المعرفة صفحة ٣٠٤-٣٠٥.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثاني صفحة ٣.

العمودي كانا أول من سلك طرق الصوفية بالفعل، ومشيا عليها بالحال، وإلا فقد عرف التصوف قبل ذلك بحضرموت وقرئت كتبه بحضرموت مثل قوت القلوب، وورد أن الإمام عبيدالله بن أحمد بن عيسى قرأ كتاب قوت القلوب أو بعضاً منه على مؤلفه أثناء وجوده بمكة المكرمة عام حجه في سنة **٣٧٥**هـ[١].

وقال الأستاذ الشاطري في محاضرة مطبوعة[٢]: إلا أن تصوف الفقيه المقدم وسلالته المعتدل اختلف عن تصوف الطرق الصوفية المعروفة، فلم تكن للفقيه المقدم ولا لأتباعه مرقعات ولا سياحات ولا دروشة ولا طرائق منكرة، ولا يقلدون شيوخهم تقليداً أعمى فيما قد يخالف الكتاب والسنة، بل تنحصر طريقتهم العلوية في إتباع الكتاب والسنة، والاقتداء برجال الصدر الأول، كما تصرح بذلك كتبهم ومواعظهم ومقالاتهم، كما نرى في أبيات الإمام عبدالله الحداد (**١٠٤٤-١١٣٢**هـ) التي تقول:

والزم كتاب الله واتبع سـنة   واقتد هداك الله بالأسلاف

(انتهى). بل إن الإمام الحداد كان ينتقد كما ذكر الأستاذ الشاطري بعض كبار المتصوفة السابقين الذين يخالفون ظاهر الشرع في أعمالهم وأقوالهم أمثال الحلاج والسهرودي وابن عربي (انتهى)[٣].

وقال الأستاذ الشاطري إن العلويون رغم إعجابهم الشديد بكتب الإمام الغزالي وفلسفته الأخلاقية، وقراءتهم إحياء علوم الدين عشرات ومئات المرات، حتى حفظه بعضهم كالعلامة محمد بن علوي الشاطري المتوفى سنة **٨٩٧**هـ، لكنهم لم يقلدوا الغزالي في كل ما يقول تقليداً أعمى، بل إنهم كانوا ينتقدون بعض ما جاء في كتابه إحياء علوم

---

(١) محمد بن أحمد الشاطري سيرة السلف من بني علوي الحسينيين محاضره مطبوعة صفحة **٢٠**.

(٢) محمد بن أحمد الشاطري سيرة السلف من بني علوي الحسينيين محاضره مطبوعة صفحة **٢٠**.

(٣) محمد بن أحمد الشاطري أدوار التاريخ الحضرمي دار المعرفة صفحة **٣٢٣**.

الدين ويقول بعضهم: إن في الإحياء قولات لو استطعنا أن نموحها بدموعنا أو بماء عيوننا لفعلنا[١].

بل إن كثيراً من العلويين المتأخرين لا يصدقون بعض أحاديث الصوفية، وذكر العلامة ابن عبيدالله في كتابه بضائع التابوت أن والده صوفي المشرب حتى أنه لتنطلي عليه بعض حكايات للقوم مما يتوجب عليها الاعتراض من جانب الفقه، ولكنه رجّاع إلى الحق وقاف عليه حالما يتبين له الصواب، ولو على يد أصغر خلق الله، وكثيراً ما أتحاور معه في تلك المسائل ويصعب لي القول وأصعب له حتى تكون الوالدة هي الحكم بيننا لأنها على جانب من العلم عظيم[٢].

كما يعتقد العلويون المتأخرون أن طلب العلم الفقهي أفضل من التصوف، ويدل على ذلك أن الحبيب أحمد بن عمر بن سميط (١١٧٧-١٢٥٧هـ) سأل رجلا يطلب العلم هل تريد أن تكون عالماً فقيهاً، أو صوفياً؟ فأجابه الرجل: أريد فقهاً في الدين. فقال له الحبيب أحمد بن عمر: حزت الشيئين[٣].

وذكر الأستاذ الشاطري تعريف الحبيب علي بن محمد الحبشي (١٢٥٩-١٣٣٣هـ) للتصوف «بأعمال خلت من شوائب وعلم وأخلاق وكثرة أوراد«ثم قال الأستاذ الشاطري: فالعلويون صوفية، إلا أن تصوفهم لم يشغلهم عن إدارة شئونهم الاجتماعية، فضلاً عن العائلية، فهم يتشابهون في ذلك مع من نسب إليهم التصوف من الصحابة والتابعين[٤].

قال الأستاذ الشاطري والعلويون صوفية زهاد، ولكن زهدهم لم يمنعهم من جمع الأموال الطائلة من طرقها المشروعة لإنفاقها في مكارم الأخلاق من إطعام الطعام، والصدقة

---

(١) محمد بن أحمد الشاطري أدوار التاريخ الحضرمي الناشر عالم المعرفة صفحة ٢٥٩.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف بضائع التابوت الجزء الثالث صفحة ٢٩٣.

(٣) دحمان بن عبدالله لعجم مجموع كلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط دار الفتح صفحة ٢١٥.

(٤) محمد بن أحمد الشاطري سيرة السلف من بني علوي الحسينيين محاضرة مطبوعة صفحة ١٣.

على الفقراء والمساكين، وفي بناء المساجد والمدارس والزوايا، ووقف الأوقاف عليها، وفي بناء السقايات للشرب، وفي نشر العلم، والدعوة إلى الله، وإصلاح ذات البين.

وقال الأستاذ الشاطري أيضاً: والعلويون صوفية شافعية في مذهبهم يحب البعض منهم السماع، ولكنه السماع المعتدل الذي ليس فيه عربدة ولا شرب مخدر، كما ينسب ذلك لبعض رجال الطرق الأخرى[1].

إلا أنه قد يغلب الفقه على بعض العلويين أكثر من التصوف، ومثال ذلك الشيخ علي بن أبي بكر السكران المتوفى سنة ٨٩٥هـ صاحب كتاب البرقة المشيقة في إلباس الخرقة الأنيقة، فإنه لا يذكر في كتابه السقاف و السكران والمحضار والعيدروس إلا بأسمائهم مجردة عن ألقابهم الصوفية التي لا يقبلها، لأنها ألقاب صوفية بحته، وليس لها منزع فقهي، لأنه كان متشدداً في فقهه، محافظ على تطبيقه، حتى أنه بدافع من التشدد في الفقه أوقف حضرة جده السقاف لما تشتمل عليه من السماع المصحوب بضرب بالطيران والدفوف ونفخ في اليراع.

وقال الأستاذ الشاطري: والعلويون صوفية لا توجد بينهم الخلوات ومزاولة الرياضات الصوفية إلا نادراً، ولا يقصدون بهذه الرياضات أجهاد عقولهم ولا تعذيب أنفسهم، بل يقصدون بها تهذيب أنفسهم ولجم شهواتهم وكبت أطماعهم[2].

وفي اعتقادي أن العلويين لم يتعمقوا في التصوف، وإنما فهموه كتهذيب للنفس واستغراق في العبادة وزهد في الدنيا والتحلي بمكارم الأخلاق كما نرى في كلام الحبيب مصطفي المحضار[3] الذي يقول فيه: «إن السلف لا يقرؤون أولادهم كتاب في الفقه إلا ويقرأ معه كتاب في التصوف» حتى يبعدهم التصوف عن الحيل الفقهية التي تستعمل لاستدرار المال.

---

(١) محمد بن أحمد الشاطري سيرة السلف من بني علوي الحسينيين محاضره مطبوعة صفحة ٢٢.

(٢) محمد بن أحمد الشاطري سيرة السلف من بني علوي الحسينيين محاضره مطبوعة صفحة ٢٢.

(٣) محمد بن عبداللاه المحضار خواطر وأفكار وحكم وأسرار تريم للدراسات والنشر صفحة ٧٣.

ولنفس السبب وللذكاء المعروف عن عائلة آل باكثير الحضرمية نجد أن العلويين كانوا لا يعلمون الفقه أحد آل باكثير إلا ويعلمونه معه كتاب في التصوف، كما قال الحبيب أحمد بن عمر بن سميط: وقد أخذ ساداتنا آل باعلوي على بعضهم العهد أن لا يقرئوا أحدا من آل باكثير كتاب فقه إلا بكتاب في التصوف معه، لأن فيهم فهماً وذكاءً وحاجةً وربما تأزيهم الحاجة فيفتحون شيئاً من هذه الأبواب[١] (انتهى).

ويتوضح مقصد الحبيب أحمد بن عمر بن سميط (١١٧٧-١٢٥٧هـ) من الكلام السابق في مقوله أخرى له يقول فيها: كتب الفقه بغت شيخ من شيخ، لأنهم وضعوا فيها شيئاً من هذه الحيل ومرادهم مثل الدرقة (الترس) يتقى بها، فمن جعلها كذلك انتفع بها، ومن جعلها سيفاً ضرته.

وينطبق مفهوم العلويون في التصوف عن ما ورد عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان قال: ما من عبد إلا وله أربع أعين: عينان في وجهه يبصر بهما أمر الدنيا، وعينان في قلبه يبصر بهما أمر الآخرة، فإذا أراد الله بعبد خيراً فتح عينيه اللتين في قلبه فيبصر بهما ما وعد بالغيب، قال وهما غيب فآمن الغيب بالغيب، وإذا أراد الله بعبد غير ذلك تركه على ما هو عليه ثم قرأ ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[٢].

ونستطيع أن نتعرف أكثر على مفهوم العلويين في التصوف وما يجب أن يكون عليه الشيخ الصوفي من الأخلاق الفاضلة والمعاملات الحسنة من تعريف الشيخ سعيد بن عيسى العمودي لمقام الشيخ، والشيخ سعيد بن عيسى كما هو معروف زميل الفقيه المقدم جد العلويين، وهما أول من تصوف من أهل حضرموت، قال ابن عبيدالله في بضائع التابوت: إن ابن أبي الجعد سأل الشيخ سعيد بن عيسى عن حال الشيخ فقال[٣]: (حرام على الشيخ

---

(١) دحمان بن عبدالله لعجم مجموع كلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط دار الفتح صفحة ٢٦٠.

(٢) ابن الجوزي صفوة الصفوة دار المعرفة بيروت ٣-٤ صفحة ٤٣٢.

(٣) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثاني صفحة ٤.

النجاح إذا رضي أن يقال له يا شيخ وكان ذلك نصيبه من الآخرة، بل لابد للشيخ أن يكون جوال الفكرة، جوهري التفكر، جميل المنازعة، كريم المراجعة، عظيم الحلم، كثير العلم، واسع الصدر، ذليل النفس، تكلمه تبسم، واستفهامه تعلم، يذكر الغافل، ويعلم الجاهل، لا يشمت بمصيبة، ولا يذكر أحداً بغيبه، مأموناً على الأمانات، بعيداً عن الخيانات، لا يجهل على من جهل عليه، مسروراً بمن أتى إليه، أنساً للغريب، عوناً للمسلمين في كل أمر تعيب، أباً لليتيم، معيناً للضعفاء، محزوناً قلبه مسروراً بربه، مستوحشاً من أهل الدنيا، لا يبخل ولا يعجل ولا ينتصر ولا يغتاض على من يؤذيه، بل يحلم ويصفح، ولا يخوض فيما لا يعنيه، إن شتم لا يشتم، وإن سئل لم يمنع، وإن منع لم يغضب، ألين من الزبد، وأحلى من الشهد، قريباً من الخير وأهله، بعيداً عن الشر وأهله، لا يغضب إلا بحكم عدله، عالماً بأصول الدين وفروعه (انتهى).

وقال الأستاذ الشاطري ولكن عرف عن أفراد قليلون من العلويين كما ورد في تراجمهم مزاولة رياضيات وأعمال شاقة، كالسهر طول الليل، والصوم عن الطعام، وتلاوة عدة مصاحف ليلاً ومثلها نهاراً، إنما اختص بذلك أفراد قليلون منهم، وهي حالات استثنائية تستغرب جداً، حتى في المحيط الذي عاشوا فيه[١].

ولكن لم يمنع التصوف كبار العلويين من تولى المناصب الشرعية من قضاء وفتوى وتدريس، ومن مزاولة التجارة والزراعة والصناعة، سواءً كان ذلك بالمزاولة أو الأشراف والإدارة.

وقال الأستاذ الشاطري: لقد كان الفقيه المقدم من أساطين الزراعة والغرس في عصره، فكان له الكثير من النخيل والمزارع والبساتين، وكان يتصدق كل يوم على الفقراء والمساكين بزير (جرة كبيرة لحفظ التمر) واحد على الأقل، مع العلم أن التمر الذي يكبس في

---

(١) محمد بن أحمد الشاطري سيرة السلف من بني علوي الحسينيين محاضره مطبوعة صفحة ٢٤-٢٥.

هذه الجرار إنما هو التمر الفاضل من الرطب بعد الأكل والصدقات والهدايا والزكاة، وكان يعتني ويهتم بإدارة تلك المزارع وتوزيع ما ينتجه النخيل وما يحصل من تلك المزارع، ويصرف معظمه في المصالح العامة[١] (انتهى).

وقال الأستاذ الشاطري كما أن الحبيب عبدالله الحداد (١٠٤٤-١١٣٢هـ) ليس علماً من أعلام الأدب والعلم والثقافة والنسك فقط، بل إنه أيضاً علم من أعلام الاقتصاد في وطنه وبالأخص في الناحيتين الزراعية والتجارية، فأما من الناحية الزراعية فله إرشادات خاصة وعناية بالمزارعين حيث كان يحثهم على الإكثار من زراعة الحبوب وبالأخص البر، وله إرشادات عن موسم الزراعة وطرقها.

وقال الأستاذ الشاطري ويعد الإمام الحداد من متوسطي الحال رغم أنه ورث عن أمه وأبيه أطياناً زراعية، وقام الإمام الحداد بتربية الدواجن في مزارعة وفي مسكنه، وكان يباشر بنفسه إطعامها يومياً، وأضاف إلى العمل الزراعي أعمالاً تجارية يقوم بها أبناؤه وتحت أشرافه[٢] (انتهى).

وقال الأستاذ الشاطري: أما ما كتبه بعض المؤرخين القدماء من تصريح أفراد من صوفية العلويين بكلمات متناقضة في ظاهرها مع قانون الشرع والعادة وهي ما يسمى بشطحات الصوفية فهذه الكلمات إذا ما صح نسبتها إليهم ولم يمكن تأويلها تأويلاً متمشياً مع الشرع والعادة إلا أنهم لم يقولوها اعتقاداً بوحدة الوجود ولا افتخاراً أو تبجحاً كما يزعم البعض، ويشهد على ذلك نزاهة تاريخهم إنما قالتها ألسنتهم وهم في حالات شاذة من الغيبوبة والذهول، ولهذا فهم معذورون وغير مؤاخذين على إلقائها[٣].

---

(١) محمد بن أحمد الشاطري أدوار التاريخ الحضرمي الناشر عالم المعرفة صفحة ٣٠٦.
(٢) محمد بن أحمد الشاطري أدوار التاريخ الحضرمي الناشر عالم المعرفة صفحة ٣٢٥.
(٣) محمد بن أحمد الشاطري سيرة السلف من بني علوي الحسينيين محاضره مطبوعة صفحة ٢٥.

ولعل الأستاذ الشاطري يشير فيما سبق إلى الفقيه المقدم والذي توفي سنة ٦٥٣هـ بعد فترة اصطلام (غيبوبة) طويلة قدروها بشهر قل أن يتناول فيها شيئاً من الطعام، ونسبت إليه أثناءها كلمات تبدو في ظاهرها غامضة إذا أريد تنزيلها على ظاهر القواعد الشرعية، إلا أن قوله إياها كان في فترة الغيبوبة الطويلة هذه والتي انتهت بوفاته، ولهذا لا يمكن الاعتماد عليها أو مؤاخذته بها[١].

ويقول العلامة ابن تيميه في هذا الباب في صفحة ٣٣٧ من كتاب السلوك «ويحكم على هؤلاء أن أحدهم إذا زال عقله بسبب غير محرم فلا جناح عليهم فيما يصدر عنهم من الأقوال والأفعال المحرمة، بخلاف ما كان سبب زوال العقل والغلبة أمراً محرماً... وكما أنه لا جناح عليهم فلا يجوز الاقتداء بهم، ولا حمل كلامهم وفعالهم على الصحة، بل هم في الخاصة مثل الغافل والمجنون في التكاليف الظاهرة»[٢].

وقد يكون العلامة ابن عبيدالله الوحيد بين العلويين ممن درس مذهب الصوفية وعرف مشاربهم وعلاقتهم بمذاهب الفلاسفة وعلماء الكلام، وكتب بحثاً طويلاً في الموضوع في كتابه بضائع التابوت، إلا أن ابن عبيدالله نبه إلى خطورة البحث في هذه المواضيع فقال في نهاية البحث: «إن الخوض في حقائق الصوفية والفلاسفة لا يقل خطراً من الخوض عن علم الكلام، وقد جلت فيه مع الجائلين حتى خشيت على نفسي من تشوش الفكر، فطفقت أعالجها بآيات القرآن وتناسي تلك المباحث حتى برأت ولله الحمد»[٣].

ونفهم من ما سبق أن تمسك العلويون بالطريقة الصوفية تقلص من أيام العيدروس ومازال يتقلص مع الأيام حتى انحصر التصوف في العلويين في الصور المتأخرة إلى الورع و حسن الأخلاق وإخلاص العبادة.

---

(١) محمد بن أحمد الشاطري أدوار التاريخ الحضرمي الناشر عالم المعرفة صفحة ٢٥٤.

(٢) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب الندوة العالمية للشباب الإسلامي الرياض صفحة ٣٥١.

(٣) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثاني صفحة ٣٦.

وإذا نظرنا إلى نشاط العلويين في مجالسهم العلمية والدينية فإننا نجد أن هذا النشاط ينحصر في جلسات لقراءة كتب الفقه، أو الحديث، أو دراسة علوم النحو، والكتب التي تروي أخبار أسلافهم العلويين، وقراءة كتاب الإحياء لحجة الإسلام الغزالي، وقراءة قصة المولد النبوي في شهر ربيع الأول وفي غيره من الأشهر.

مع بعض الأشياء الأخرى البسيطة التي تعرضنا لها في الفصول الأخرى مثل الأناشيد الدينية بمدح الحبيب المصطفي ﷺ في بعض المجالس العامة، وترتيب الفاتحة عند ختم المجالس.

ويمكننا أن نقول: إن طريقة العلويين هي أقرب ما يكون لطريقة الصحابة والرعيل الأول من المسلمين، وهي طريقة تختلف في الممارسة تمام الاختلاف عن الطرق الصوفية في بلاد العالم الإسلامي كمصر والمغرب وحتى في البلاد القريبة من حضرموت مثل عدن والحديدة.

ونؤكد ما قلناه سابقاً بوصف احتفالات الطرق الصوفية بالحديدة وعدن كما شاهدها المستشرق المسيحي أمين الريحاني في رحلته عبر اليمن سنة ١٣٤٠هـ الموافق ١٩٢٢هـ لنلاحظ مدى الاختلاف الكبير بين هذه الطرق وبين الطريقة العلوية، كما عرفها أهل حضرموت فقد ذكر الريحاني في كتابه ملوك العرب[١] عن حلقة الذكر الصوفية للطريقة المرغنية بالحديدة فقال[٢]: وكان قد توفي يومئذ شيخ الطريقة المرغنية فاشتركت الطرق كلها في حلقة ذكر من أجله ضمت أربعمائة من المصلين، واستمرت خمس ساعات، وكان الناس جالسين على الحصر في الإيوان، وعلى الأرض في الفلاة، وجلس في الصدر أبناء الشيخ المتوفى ومشايخ الطرق الأخرى، وبعد ذكر مناقب الفقيد أنشد عدة منشدين، ثم وقفت الحلقة أربع صفوف، ووقف أحد أبناء الفقيد في وسطها، فبدا بقوله: لا اله إلا الله فمالت الحلقة إلى الأمام، ومالت إلى الوراء، وراحت تكررها وتردد الشهادة، وكان صوت الأربعمائة مصلي وكأنه صوت واحد،

---

(١) أمين الريحاني ملوك العرب الناشر دار الجيل بيروت صفحة ٢٨٩-٢٩٢.

(٢) أمين الريحاني ملوك العرب الناشر دار الجيل بيروت صفحة ٢٨٩-٢٩٢.

وحركتهم وكأنها حركة واحدة، يتدرجان سرعة وهياجاً عملاً بلهجة الشيخ وبإشارة يمناه، وهو يجول في الحلقة مستحثاً مستعرضاً.

وجلس الشيخ فقام آخر يثب وثباً ويقول: حيم قيم، وتحركت الحلقة حركة سريعة كأنها تدق رأسها في الأرض، ثم نطحاً في الجو، واستمرت في حيم قيم نصف ساعة، والشيخ يثب وسطها ويحلج ويصفق كفا على كف، ينقلها كل مرة من درجة في السرعة إلى أخرى، وما كادت تنتهي حتى بدأ يسقط صريعاً من فاز بنعمة في الحال.

ثم نهض فتى لا يتجاوز الثانية عشرة سناً هو أصغر أولاد الفقيد فبدأ حيث انتهى أخوه وكان يتلوى كالسكران ويرقص تارة، ويثب طوراً كالمجنون فكهرب الفتى الحلقة وصاح بها فرددت الصيحات، وصرنا لا نفهم ما يراد، وبدأت تظهر كرامات الشيخ الفقيد فهذا عبد أمسى جماداً فرفعه اثنان فوق رؤوسهم وأخرجوه، وآخر خرج من الحلقة فراح يدق رأسه بالحائط فسقط صريعاً مغمي عليه، وسقط وسط الحلقة شيخ لحيته بيضاء طويلة والزبد يسيل عليها من فمه، فوثب فوقه آخر فلم يأبه له وهذا آخر يخلع ثيابه (انتهى).

ووصف أمين الريحاني حلقة للطريقة الرشيدية في عدن فقال[1]: حلقة حضرتها في عدن فيها ولدان ينغمون، ورجال يطيبون ويتصابون، وصفوف من الحسن والشوق تميل بعضها إلى بعض، وعيون ترنو إلى القمر في السماء، ثم إلى الأقمار أمامها، وشيخ الحلقة جالس على منصة يراقب منها العمل، بل التمثيل أنه في تعليم الولدان لأستاذ بارع يعلمهم الغناء والحداء والسجود فيستصبي في أذكارهم الجلمود، ويغرس في الحلقة سر الوجود، خاتمة المحامد والورود (انتهى).

إلا أنه لا يخفي على القارئ صبغة التهكم في كتابة الريحاني، حتى حين يكتب عن بعض الأمور التي هي من صلب الدين الإسلامي، كما ذكرنا لك في فصل آخر من هذا الكتاب.

---

(١) أمين الريحاني ملوك العرب الناشر دار الجيل بيروت صفحة ٣٠٣ .

وأما نظرة العلويين إلى ممارسات الطرق الصوفية الأخرى أو مشاركتهم فيها فلم أطلع على تعليق يقودني لمعرفة رأيهم في ذلك إلا ما ذكر في ترجمة الحبيب علوي بن عبد الرحمن المشهور (١٢٦٣-١٣٤١هـ) من اتصاله بمكة بالسيد الحسني شمس الدين الفاسي[١] المولود بمكة والذي ورث مشيخة الطريقة الشاذلية الفاسية عن والده، وكانت له في الحرم المكي حلقة ذكر يجمع فيها أتباع الطريقة الشاذلية، وقد تعرف عليه واتصل به الحبيب علوي بن عبدالرحمن المشهور، وحصلت بينهما ألفة ومودة، فالتزم مجالسه ودروسه، وصار يزوره في بيته، ثم ذكر له انتشار الطريقة الشاذلية بسيلان ودعاه إلى مرافقته الرحلة إلى سيلان، وكانت هذه الرحلة الأولى إلى سيلان للحبيب علوي الذي صار فيها بعد كثير التردد على جزيرة سيلان، وله بها أتباع ومحبين كما فصلنا في فصل خاص عن سيلان، وكانت في قرى ومدن سيلان كثير من الطرق الصوفية المتنافسة، فكان الحبيب علوي المشهور يكرس جهده في الإصلاح بين أتباع هذه الطرق المختلفة، ويزور أصحاب الطرق ويتحدث إلى الأتباع والمريدين وينصحهم، ويجتهد في إزالة التعصب المبنى على الجهل وسوء الظن والاعتقادات الفاسدة، كما كان يسهم بقريحته الشعرية إلى جانب علمه ووعظه في مشاركة أهل أولئك كثير من حضراتهم ومجالسهم وحلقات ذكرهم[٢].

وقد أثرت المبادئ الصوفية حتى على بعض سلاطين حضرموت فهذا سلطان شبام في القرن العاشر الهجري على بن عمر بن جعفر الكثيري تغلب عليه الروح الصوفية ويتخذ مستشاريه من العلماء مثل الشيخ معروف باجمال، ويباشر الأعمال اليدوية بيده، وله ثروة من النخيل والمزارع ينفق منها على خزينة دولته المتواضعة، دون أن يلجأ لفرض الضرائب على رعاياه.

---

(١) أبوبكر المشهور لوامع النور دار المهاجر للنشر والتوزيع الجزء الأول صفحة ٢٧٩-٢٨٠.

(٢) أبوبكر المشهور لوامع النور دار المهاجر للنشر والتوزيع الجزء الأول صفحة ٨٩.

ثم نرى السلطان عبدالله بن عمر أبي طويرق والذي تولى السلطة بعد أبيه يزهد في الحكم والسلطنة بعد أن حكم شعبه حكماً عادلاً ابتداءً من سنة ١٠٢١هـ إلا أنه تأثر بصالحي عصره وذهب وهو في عز قوته وملكه إلى الإمام الشيخ الحسين ابن الشيخ أبي بكر بن سالم، وخلع نفسه من السلطنة وحاول أن يوليها للشيخ إلا أن الشيخ لم يرتضها لنفسه ولا لأحد من أهله، ثم أشار عليه بتولية أخاه بدراً إلا أن اختفاء السلطان العادل أشعل الخلاف فيما بعد بين خلفه واستعان أحد الفريقين بالزيدية، والآخر بالقبائل اليافعية، وانتهى الأمر بتلاشي السلطة الفعلية للدولة الكثيرية[١].

أما السلطان محمد بن جعفر المولود بشبام سنة ٩٤٢هـ فقال عنه الأستاذ بن هاشم[٢]: إنه أحب الأدب والأدباء، ونزع إلى التصوف ورجاله، وله قصيده يمدح فيها الشيخ أبوبكر بن سالم منها قوله:

إن جئـت عينـات فحـي ثراهـا	واستنـشق العرفـان مـن رياهـا
والـصق جبينـك بـالتراب مقبـلاً	شـكراً لمـن أولاك لـثم ثراهـا
واسـتقبل الـشيخ المعظـم خاشـعاً	في ذل نفـس كـي تنـال مناهـا
يا ليت شعري كيف ضاع حجاه من	تـرك الرشـاد ونفـسه أشـقاها

وكما تأثر سلاطين حضرموت في الزمن السابق بتصوف رعاياهم من العلويين فقد حدث ذلك مع السلاطين المتأخرين فقد ذكر الجد العلامة ابن عبيدالله في بضائع التابوت أن السلطان صالح القعيطي كان معتني بكتب الصوفية، ولاسيما فتوحات الشيخ الأكبر، ثم قال ومع ما أكرم الله به هذا السلطان من العلم فقد زاده بسطة في الجسم (انتهى)[٣].

---

(١) المصدر السابق صفحة ٢٤٣.

(٢) محمد بن هاشم حضرموت ـ تاريخ الدولة الكثيرية تريم للدراسات والنشر صفحة ٨٤.

(٣) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثاني صفحة ١٢٦.

وننهي هذا الفصل بالحديث عن تأثير التصوف على حضرموت، وقد تكلم الأستاذ محمد الشاطري في هذا الموضوع فقال: إن التحول الصوفي أثر سلباً على الاشتغال بالعلوم الشرعية والعربية والعقلية، فتقلص العلم والثقافة مع الاهتمام بسرد كتب التصوف في المجامع دون الاهتمام بالتأليف العلمي، رغم غزارة معارفهم وعمق معرفتهم، كما قل الاهتمام بتحسين أسلوب الكتابة وتنميق العبارات، وبهرجت الألفاظ (انتهى بتصرف)[(١)].

كما أن قروناً من التصوف والعبادة والزهد قد أثرت على شجاعة العلويين وأضعفت قدراتهم العسكرية ومهاراتهم القتالية، قال ابن عبيد الله وفي سنة **١٢٢٩**هـ أرسل الأمير عبد الله غرامة بثلة من جنده للتحرش بأهل المسيلة، فلم يجسروا على مقابلتهم وعند انصرافهم التقوا بجماعة من السادة عسكر الحبيب طاهر بن الحسين، فانهزم السادة بمجرد ما سمعوا إطلاق البنادق انهزاماً فاحشاً، مع أن عبيد غرامة لم يتعمدوا أصابتهم وإنما أرادوا كفهم، فلم يقفوا عند حد الانهزام حتى لقد سقط إزار أحدهم فتركه وهب يجري عريانا[(٢)] (انتهى).

قال ابن عبيد الله أيضاً: وفي سنة **١٣٥٣**هـ قتل الشيخ عمر بن محمد الشبلي مؤسس المدرسة الخيرية بحبان في قضية ثارية، وكان قتل الشيخ عمر وإلى جانبه أحد طلبة العلم النبهاء من تريم وهو ابن السيد أحمد بن حسين بن عبد الرحمن بن سهل، سافر من حضرموت واجتاز حبان فامسكوه عندهم للتعليم، ولما قتل الشيخ عمر وهو إلى جانبه انفطر قلبه ولم تطل مدته بعدها، بل مات قريباً بحبان[(٣)].

❊ ❊ ❊

---

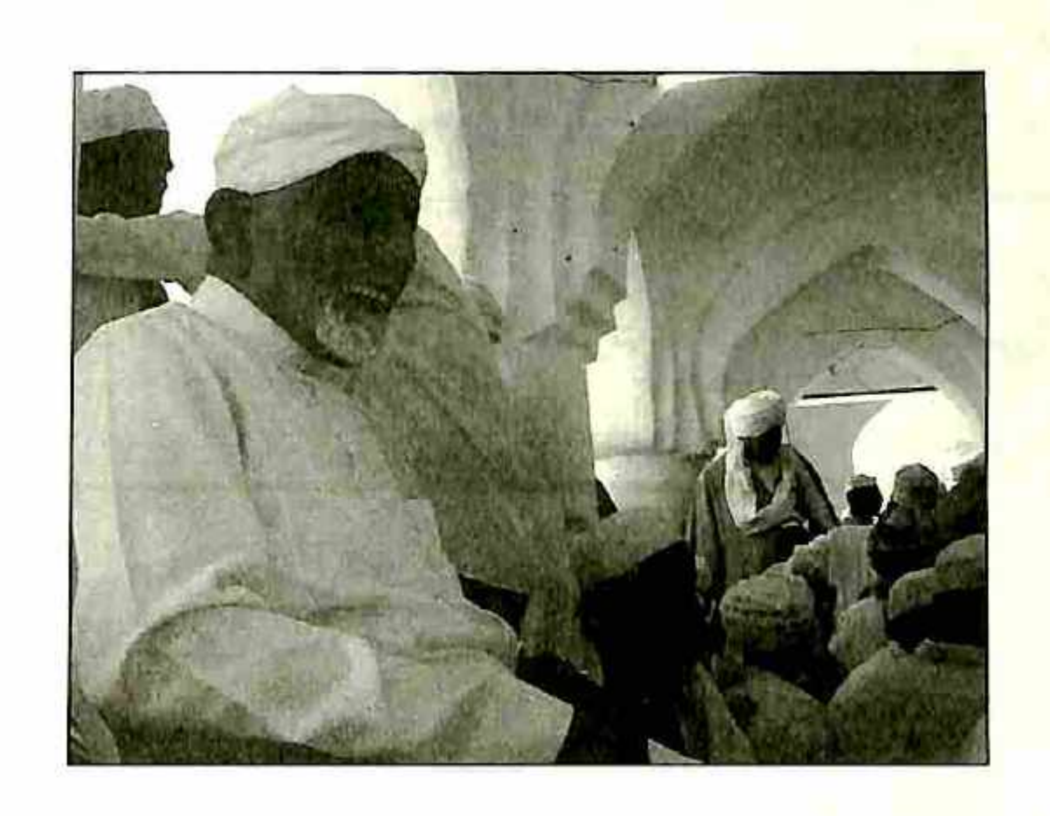
(١) محمد بن أحمد الشاطري أدوار التاريخ الحضرمي الناشر عالم المعرفة صفحة **٢٥٥**.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلدان حضرموت مكتبة الإرشاد بصنعاء صفحة **٥٤١**.

(٣) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثاني جلد **٢** صفحة **١٥٩**.

الفصل الرابع والثلاثون

العلويون والكرامات



قال الأستاذ الشاطري في أدوار التاريخ الحضرمي[١]: (ونجد بعض المؤرخين يتحدثون كثيراً في كتبهم عن الحوادث الخارقة للعادة الواقعة على أيدي المشايخ الأتقياء، وهي الكرامات التي يعتقدها المسلمون بل وغير المسلمين من أرباب الديانات الأخرى لأنها من فصيلة المعجزات، إلا أن الملاحظ أنهم يتسامحون في معنى الكرامة، ويسوقون أحياناً الرؤى المنامية، وما يدرك بحدة الذكاء ورهافة الحس على أنه من الكرامات، ونشأ من هذا الاتجاه عند بعض الناس اعتقاد غريب في الكرامات التي ظنوا بأنها تقع في تلك العصور يومياً وعلى الدوام لأنه يقرأها دفعة واحدة في كتاب، بينها هي قد جمعت عن مشايخ عديدين في عدة قرون فلا تقع إلا نادراً، ويظهر أيضاً أنهم يجدون في ذكرها عزاء وروحنة وتقوية لاجتهاد المريدين في الأعمال الصالحة و العبادات والرياضات، حتى يصلوا لدرجة شيوخهم من أصحاب الكرامات، ولكن المعروف عن معظم أولئك الشيوخ أنهم يبتعدون عن إبداء الكرامات ويقولون الاستقامة أعظم كرامة (انتهى باختصار).

ومن ذلك أن الحبيب أحمد بن حسن العطاس (١٢٥٧-١٣٣٤هـ) ذكر واقعة حدثت له، فكتبها الحبيب علوي بن طاهر الحداد فقال له: «مثل هذه لا تكتبها، والكرامات تمر مثل البرق، ولا تكتبوا إلا ما فيه إرشاد وتذكرة وتبصرة مما يبقى وينفع الناس ويقوي إيمانهم»[٢].

وذكر ابن عبيد الله بديوانه في ترجمة الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي (١٢٣٧-١٣١٤هـ) فقال: أنه لا يمكن أحد من تقبيل يده إلا من زاد به اختصاصه جداً، وإذا دعي إلى وليمة أو نحوها بادر قبل اجتماع الناس كراهية أن يقوموا له إذا دخل، وأن تكلف طول الانتظار من أجل ذلك، كما كان يكره المدح ويؤلمه، ويغضب من نسبة الكرامة إليه[٣].

---

(١) محمد بن أحمد الشاطري أدوار التاريخ الحضرمي الجزء الثاني صفحة ٢٦٢٦ دار المعرفة للنشر.

(٢) علوي بن طاهر الحداد مخطوطة زيارة الحبيب أحمد بن حسن العطاس إلى هود صفحة ٧٦-٧٧.

(٣) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف ديوان بن عبيدالله صفحة ٣٢١-٣٢٩.

وذكر ابن عبيدالله مثل ذلك عن جده زعيم وادي الأحقاف محسن بن علوي السقاف (١٢١١-١٢٩٠هـ) فقال في الجزء الثالث من بضائع التابوت: أما كرامات الجد فأكبرها الاستقامة، وقد رأيت من شواهدها ومن جلائل أعماله في هذه المجموعة ما تقر به العين، وينثلج به القلب، وأما خوارق العادات وإن كانت كثيرة، ولم يذكر منها في ترجمته للجد إلا قطرة من غدير، فإننا نسلك فيها مسلكه، ونتسمت رأيه في كرامات الصالحين، فكثيراً ما سمعت أن الجد محسن كان يأمر بتجاوز ذكر الكرامات كلما عرضت في شيء من كتب الرقائق أو التراجم، وكان لا يمكن أحداً يقرأ بالدروس العامة في روض الرياحين، ولا في الجوهر الشفاف، لما فيها من المجازفة في ذكر الكرامات، أما روض الحريفيش فقد سبق أنه يمكن ولده عبدالله من القراءة فيه، ولعله في البيت للتفكه ومجرد الاطلاع، وإلا فالمأثور عنه أنه يقول لا كرامة إلا الاستقامة، إذ قد مشى على الماء أقوام ومات بالعطش من هو أفضل منهم.

ولما قال رسول الله ﷺ في يوم أحد كيف يفلح قوم دموا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى الله، أنزل عليه الله سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾، ومن المعلوم أنه أقرب الخلق عليه وأقربهم إليه (انتهى)[1].

قال ابن عبيد الله في العود الهندي: وكان الحبيب حسن بن صالح البحر (١١٩١-١٢٧٣هـ) جواداً كريماً، محباً للفقراء والمساكين، ومن عادته أن لا يبيت عنده دينار ولا درهم، ولقد أراد بعض السادة آل الحبشي امتحانه فقالوا لوكيله: متى علمت فراغ جيبه ونفاد ما في بيته فاخبرنا، فظن بهم أنهم لم يقولوا ذلك إلا ليتشرفوا بإعانته على فعل المعروف، فاخبرهم فجاءوا إليه بقضهم وقضيضهم وخيلهم ورجلهم عندما وجبت صلاة المغرب في ذلك الوقت الذي لا يتفرغ فيه لغير مولاه، فقابلهم بما جبل عليه من البشاشة وبعقب الصلاة استأذنهم وفزع إلى ورده يستفتح به أبواب القرى من فائض الجود، فما كان بأسرع من أن جاء

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف بضائع التابوت مخطوطة الجزء الثالث صفحة ٢٤٧.

خادمه يقول له: أهدى إليك آل فلان كبشاً فقال له: أصلحوه ثم جاءه، واحد من جيرانه وقال: إن عندي آصعاً من البر إن كانت لك في شرائه حاجة، وإلا بعتها لغيرك قال وأي حاجة هاتها وفرقوها على أبيات من أهل قريتنا يوافونا بها مخبوزة مع العشاء، وما كاد يفرغ من حزبه حتى حلت صلاة العشاء فصلى بهم، ثم أخذ في مؤانستهم إلى أن حضر ذلك الطعام، فتولى بنفسه قسمة اللحم بينهم ـ كما هي العادة عندنا ـ فبارك الله فيه حتى كفاهم أجمعين.

وعشاق الخرافات يكذبون في رواية هذه القصة، ويدعون أنه أخرج الطعام بعد صلاة العشاء من مخدعه، وأنه جاء به من مطبخ الإمام الجيلاني ببغداد، والواقع إنما هو ما ذكرناه (انتهى)[١].

وتكلم ابن عبيدالله في الجزء الثاني من بضائع التابوت عن نفس الموضوع فقال: وفي تراجم العلويين وغيرهم من الجزاف ما يبعث الشك، ويذهب بكثير من الصدق عند العقلاء المفكرين، فلو لم تكن إلا هي (يعني الكرامات) لتعذر الوصول إلى حقيقة ما عليه السلف من الفضل الجم، إلا أننا شاهدنا من فضل بقيتهم ما يقطع مجال الشك، ويسد منافذ الإيهام، وقديماً كان يقال جاء العيان فالوي بالأسانيد، وعلى هذا بنى ابن نباته قوله في ابن الزملكاني:

حبراً رأينا يقين الجود من يده ... وأكثر الجود في الدنيا حكايات

فلا تصغ لأحاديث الذين مضوا ... ألوى العيان بما تملي الروايات

وقال المتنبي:

خذ ما تراه ودع شيئاً سمعتَ به ... في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

ولقد حدثني من أثق به عن شيخنا العلامة ابن شهاب أنه قال أمام الجمع تجاه الضرائح الزاهرة بمقبرة زنبل: لولا أني شاهدت محسن بن علوي السقاف، وأحمد بن محمد المحضار،

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف العود الهندي الجزء الثاني صفحة ٤٣٦ دار المنهاج.

وعيدروس بن عمر الحبشي، لما كدت أصدق ما يروى من فضائل هؤلاء لعظمها، وخروج كثير منها عن متناول القدرة البشرية، ولكن لما رأينا هؤلاء صدقنا.

ثم قال ابن عبيدالله: وكثيراً ما سمعتُ والدي يروي عن والده أنه ليصعب على العقل التصديق بما يروى من مجاهدات السلف وكثرة عبادتهم وصدقهم في ذات الله، لولا أننا شاهدنا ذلك عياناً في أحمد بن عمر بن سميط، وحسن بن صالح البحر، وعبدالله بن حسين بن طاهر، ومن على شاكلتهم ولله در المتنبي في قوله:

والعيان الجلي يحدث للشك　　　زوالا وللمــــراد انتقـــالا

وقال أبوعبادة يمدح أبا يوسف:

لـولا مواهـب يخفيهـا ويعلنهـا　　　لقلت ما حدثوا عن حاتم كذب

وبعد فان كثيراً من المؤرخين الذين يرمون الكلام على عواهنه لا يدفعون عن الإخلاص وبياض السريرة، وربما يكون الذي أوقعهم في الجزاف واعتماد الخوارق والاستكثار منها بالحق وبالباطل وجود كثير من المغرضين ملئوا مواضعهم وأوراقهم بالطامات، فتوهم أولئك البسطاء بحسن النية أن لا سبيل إلى التعريف بأهل المجد الحق إلا بمثلها (انتهى النقل).

بل من العلويين من قد ينكر الكرامات مباشرة عند ذكرها حتى في حضرة كبار العلويين فقد ذكر ابن عبيدالله قصة حدثها به الحبيب الزعيم حسين بن حامد المحضار (توفي سنة ١٣٤٥هـ)، وكان الحبيب حسين كما ذكر ابن عبيدالله قوي الحجة، شديد العارضة، حاضر الجواب، جريء اللسان، قال: حدثني بقصة جرت له مع الأستاذ الوالد أحمد بن حسن العطاس (١٢٥٧-١٣٣٤هـ) قال: لما وردت القويرة ألفيته بها قبل موته بمدة يسيرة فبينما نحن معه يوماً في مجلس مشهود اجتمعت فيه من كل ناحية الوفود، وتلميذ له يقرأ في مجموعة كلامه حتى جاء على ذكر شيء من أحوال الكشف، قال فلم أشعر إلا وقد انفلت مني أن قلتُ له: يا عم أحمد، أما نحن فنكذب على الناس والأمر سهل، ونخاف أن يكون

كلامكم هذا كذباً على الله، فوجم لها القوم كأنما ضربوا بصاخة، وغلب علي الخجل بأثرها، ومرت دقائق والناس سكوت كأنما على رؤوسهم الطير، ثم استدعاني العم أحمد وقبل ما بين عيني، ثم قال ارجع إلى مكانك فرجعت، ثم قال إن الغيب عليه سور، ومن ورائهم برزخ إلى يوم النشور، وإنما هي إشارات وبشارات، وقد قال عليه السلام «ذهبت النبوة وبقيت المبشرات» وتمثل ببيت للشيخ بامخرمة (انتهى)[١].

ومن المنكرين للكرامات من العلويين السيد الجليل عثمان بن عبدالله بن يحيى حفيد العلامة الفاضل الجليل عقيل بن عمر بن يحيى، المتوفى بجاوا سنة ١٣٣٠هـ قال ابن عبيدالله في إدام القوت: (ولقد جاء ذكر الكرامات بين يديه فأنكر مجازفة المغرورين فيها إنكاراً شديداً، وقال: لقد كنت مختصاً بخالي وسيدي عبدالله بن حسين بن طاهر وهو ممن لا تدفع ولايته وجالسته زمناً طويلاً، فلم أر منه إلا كرامتين، ليس فيها خرق عادة وإنما أولاهما: أنه خرج يصلي العصر وعليه رداء فتنني وتمنيت أن لو كان لي مثله، ومرت صلاتي وأنا أفكر فيه، وما كاد ينفتل من صلاته حتى دعاني، وقال لي: هذا الرداء لك وأعطاني مفتاحه الخاص لآتيه برداء آخر وصفه لي، ولولا أنه تفرس ما في خاطري ما خالف عادته من عدم الكلام إلا بعد فراغه من ورده. والأخرى أن السيدين محمد وعمر ابني السيد عبدالله بن عمر بن يحيى عزما على الانتقال سراً من المسيلة وتكتما الأمر عنه حتى لا يمنعهم، قال فلما صلينا العشاء وفرغ من ورده ونافلته قال لي: ادعهم لي فدعوتهما: فقال لهما إذا عزمتما على أمر فشاوراني فيه، فعندي ما ليس عندكما من العقل، وقد جربت الزمان وأهله، لم يزد على ذلك فسكتا، ولكنهما انصرفا عما كانا نوياه من السفر، وأنا على يقين أنه لم يكن إلا عن فراسة صادقه إذ لم تعلم حتى ثيابهم بما كانوا يبيتون (انتهى)[٢].

إلا أن الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر (١١٩١-١٢٧٢هـ) يقول في كلامه: لا

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف بضائع التابوت مخطوطة الجزء الثاني صفحة ١٢٩.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مطبعة الإرشاد صفحة ٤٥٥.

ينبغي للإنسان أن ينكر كرامات الصالحين ولا مواجيدهم وأحوالهم وأذواقهم، وإن خرجت عن مقتضى عقله، وبعدت عن درك فهمه، ولا يستبعد ذلك، ولا يستحيله، فان الله تعالى يختص برحمته من يشاء، ويؤتي الحكمة من يشاء، وينزل الروح من أمره على من يشاء[١] (انتهى).

ومن الطرائف أن الحبيب أحمد بن حسن العطاس جمع القبائل في نفحون ليصلح بينهم، واخذ أياماً معهم يراودهم فلم ينصاعوا، فتوعدهم أنهم إذا لم يقبلوا الصلح فستصيبهم مصائب، وكان معه الحبيب حسين بن أحمد بن عبدالله العطاس فقال له الحبيب أحمد بن حسن: قم يا حسين بن أحمد كلم الجماعة، فقام الحبيب حسين بن أحمد وقال للقبائل: اقبلوا الصلح، وإلا شوه بايكفر مائة سيد إذا احد أصابه شيء منكم، بايقولون تصرف فيهم أحمد بن حسن وباينسون الله (انتهى)[٢].

وبعد أن عرفنا كراهية كبار العلويين نسبة الكرامات لهم، ورأي الكثير منهم في الكرامات بما ينفي ما يقوله أعداؤهم عنهم، فإننا نستطيع أن نرد أيضاً على من يرم العلويين بأنهم يوهمون العامة بقدرتهم على التشفع بغفران الذنوب أو ضمان الجنة لمن يريدون، ويتضح ذلك جلياً من القصة المشهورة للسلطان عبدالله بن عمر الكثيري، الذي تولى السلطنة بعد أبيه سنة ١٠٢١هـ مع الحسين بن أبي بكر بن سالم، فقد مكث هذا السلطان في السلطنة ثلاث سنوات ثم قرر سنة ١٠٢٤هـ التوبة والهجرة إلى مكة، فاتجه إلى الحبيب الحسين بن أبي بكر بن سالم بعينات، وطلب منه أن يخلفه في السلطنة فلم يرض الحبيب بقبولها، وقال: لا أرضاها حتى لخادمي، ثم طلب منه السلطان أن يدعوا له بثلاث خصال: الأولى: أن يغفر الله ذنوبه. والثانية: أن يموت بمكة أو المدينة أو بعينات. والثالثة: أن يكون مع الحبيب الحسين في الجنة. فقال الحبيب الحسين: أما الأولى فلا سبيل إليها، لأنك وليت أمر الناس سنوات وحقوق العباد ما تترك ولا تسامح إلا بردها، وأما الموت فكل يعود إلى طينته،

---

(١) مجموع كلام الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر دار الحاوي للطباعة والنشر صفحة ٢٢٩.

(٢) عبدالقادر بن عبدالرحمن الجنيد العقود الجاهزة والوعود الناجزة صفحة ٥٣١.

وأمر ذلك إلى الله تعالى قال سبحانه: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ صدق الله العظيم، وكذلك الجنة لا تدرك إلا برحمة الله، وما يدريك أن نكون نحن في النار[١].

وعلى مثل ذلك تصرف الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي (١٢٣٧-١٣١٤هـ)، فقد ذكر ابن عبيدالله أنه اختصم مرة بعض جيران الحبيب عيدروس من قبائل بلاده في مسألة دين، فلما حمى الجدال وأزف القتال قصد الحبيب عيدروس الدائن، وكان به مرض فاستنزله الحبيب عيدروس عن بعض الدين، وكان كثيراً ،فقال الرجل سأنزل لك عن جميع الدين بشرط أن تضمن لي الجنة، فاربد وجه الحبيب عيدرروس وقال: لا أدري ما يفعل بي ولا بك، ولا أملك لنفسي ولا غيري، وزجره عن مثل ذلك، وعرفه بأنه لا يسوغ له، فألح الحاضرون على الحبيب عيدروس ليوارب بعبارة موهمة لحسم الفتنة، فلم يرض، لأنه رأى الجراءة في مثل ذلك أعظم خطراً من شر الفتنة، وبعد طول المراجعة اكتفى الدائن من الحبيب عيدروس بالدعاء وابرأ المدين[٢].

بل إن نرى واحد من كبار العلويين، وهو العلامة أبوبكر بن شهاب، يحمل على جماعة بالهند يتظاهرون بالدين والتقوى، ولهم أعمال ضد ذلك يغشون بها السذج والعامة، وذكر الأستاذ الشاطري الأبيات التي قالها[٣]:

نشكو إلى الله من هذه الغوغاء	شكوى من رماه الزمان
من ماكر ذي سبحة أو مرا	ء قارئ همساً وذي طيلسان
ورامز بالغيب ذي حيلة	يلفظ بالقول الكثير المعاني
رواد صيد كلهم حاذق	في الرمي لا يصطاد إلا السمان

---

(١) محمد بن هاشم تاريخ الدولة الكثيرية تريم للدراسات والنشر صفحة ٩٣-٩٤.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف ديوان بن عبيدالله صفحة ٣٢١-٣٢٩.

(٣) محمد بن أحمد الشاطري أدوار التاريخ الحضرمي الناشر عالم المعرفة صفحة ٤٥٤.

شباكهم دعوى الكرامات والـ	ـكشف وتزوير المرائي الحسان
هــذا يــرى المختــار في نومــه	وذاك يـــستخبره بالعيـــان
كأنــه مــن بعــض أتبــاعهم	يحــضر في كــل مكــان وآن
ومنهم المخبر عن برزخ الموتـــى	شـــقي أو ســـعيد فـــلان

(انتهى).

وفي رحلة الحبيب محمد بن هادي السقاف للحج سنة ١٣٤٧هـ[١] ذكر له السيد حسن بن محمد فدعق ما كان من المكانة والمنزلة للشيخ محمد سعيد بابصيل عند الشريف عون، حتى أنه جعله وزيراً للمعارف بمكة، فلا يطبع كتاب إلا بموافقته، فرغب مديرو الطباعة طباعة رسائل فيها شيء من البدع، فلم يأذن لهم الشيخ فطبعوها دون إذنه، فاشتكاهم للشريف، فوبخهم وأمر بإحراقها، فحقدوا على الشيخ محمد، وبحثوا عن الكتب التي طبعوها بإذن الشيخ، حتى عثروا على كتاب شرح العينية للحبيب أحمد بن زين الحبشي، فوجدوا فيه ذكر كرامات لسيدنا الفقيه المقدم فاحضروها للشريف، واشتكوا له تعصبه للحضارم، فغضب الشريف وأرسل للشيخ محمد ليعنفه، وقال له: ما كنت أدري أنك متعصب إلى هذا الحد فأطرق الشيخ ساعة، ثم تذكر أنه لم يوقع على ورقة الإذن بالطباعة، فقال للشريف إن هذا الكتاب طبعوه دون إذني، فاطلب منهم أن يأتوا بالسند الذي أذنت لهم فيه بالطبع، فطلبه الشريف ففتشوا ولم يجدوه فلامهم الشريف، وعظم قدر الشيخ عنده (انتهى).

هذا وينبغي لمن يتعرض لكتابة سير السلف الصالح في هذه الأيام سواءً كانوا من العلويين أو من غيرهم، أن يعتبروا بتغير الزمان وأهله، وأن يعلموا أن الإكثار من ذكر الكرامات قد يسيء إلى السلف من حيث ظن رواتها أنهم يمجدونهم، خصوصاً وأن بعض

---

(١) محمد شيخ المساوى رحلة الحبيب محمد بن هادي للحج مخطوطة صفحة ٢٨٣.

المريدين كما قال الأستاذ الشاطري قد يخلطون أحياناً بين الرؤيا المنامية وبين الكرامة، فيثبتون ما يسمعون منها في باب الكرامة، وعليهم بيان ما كان عليه السلف من الأخلاق العظيمة والمجاهدات التعبدية الشديدة، حتى تتبع الأجيال الجديدة أعمالهم وتقتفي آثارهم وتسير سيرتهم.

إلا أن أي مسلم يؤمن الله وبرسوله وكتابه لا يستطيع أن ينفي ما يجريه الله على يد بعض عباده من خوارق العادات، وإلا ما نقول في نبي الله موسى الذي لم يكلم الله بشراً كلاماً مباشراً سواه، ومع هذه جمعه الله بعبد من عباده الصالحين، أعطاه الله فوق ما أعطى نبيه موسى، قال تعالى في سورة الكهف آية ٦٥: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾.

قال الشيخ محمد متولي الشعراوي في تفسير هذه الآية[1] فقال: وقد تكلم العلماء في معنى الرحمة هنا فقالوا: الرحمة وردت في القرآن بمعنى النبوة، ومطلق الرحمة تأتي على يد جبريل عليه السلام، وعلى يد الرسل، أما هذه الرحمة فمن عندنا مباشرة دون واسطة الملك.

ثم يقول الحق سبحانه وتعالى بعدها: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ أي من عندنا لا بواسطة الرسل، لذلك يسمونه العلم اللدني، كأنه لا حرج على الله تعالى أن يختار عبداً من عباده وينعم عليه بعلم خاص من وراء النبوة.

إذن علينا أن نفرق بين علم وفيوضات تأتي من الله تعالى مباشرة لمن اختاره من عباده، لأن الرسول يأتي بأحكام ظاهرية تتعلق بالتكاليف: أفعل كذا، ولا تفعل كذا، ولكن هناك أحكام أخرى غير ظاهرة، لها علل باطنة فوق العلل الظاهرية، وهذه هي التي اختص الله بها هذا العبد الصالح (الخضر) كما سماه النبي ﷺ، والدليل على ذلك أن النبي يأتي بأحكام تحرم القتل، وتحرم إتلاف مال الغير، فأتى الخضر وأتلف السفينة، وقتل الغلام، وقد اعترض

---

(١) الشيخ محمد متولي الشعراوي تفسير الشعراوي المجلد ١٤ صفحة ٨٩٥٤.

موسى عليه السلام على هذه الأعمال، لأنه لا علم له بعلتها، ولو أن موسى عليه السلام علم العلة في خرق السفينة لبادر هو إلى خرقها.

إذن فعلم موسى غير علم الخضر لذلك قال له: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۞ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾ [الكهف: ٦٧-٦٨].

فهذا علم ليس عندك، فعلمي من كيس الولاية، وعلمك من كيس الرسل، وهما في الحقيقة لا يتعارضان، وإن كان لعلم الولاية علل باطنة، ولعلم الرسالة علل ظاهرة (انتهى كلام الشيخ الشعراوي).

ثم يعلق الشيخ الشعراوي[١] على الحوار الذي دار بين موسى والخضر عليهما السلام في هذه الآيات فيقول: ونلحظ في هذا الحوار أدب الحوار، واختلاف الرأي بين طريقتين، طريقة الأحكام الظاهرية، وطريقة ما خلف الأحكام الظاهرية، وأن كلاً منهم يثبت رأي الآخر ويحترمه، ولا يعترض عليه أو ينكره، كما نرى أصحاب المذاهب المختلفة ينكر بعضهم على بعض، ويكفر بعضهم بعض، فإذا رأوا مثلاً عبداً من عباد الله اختاره الله بشيء من الفيوضات فكانت له طريقة وإتباع نرى من ينكر عليه، وربما وصل الأمر إلى الشتائم والتجريح بل والتكفير (انتهى).

وفي سورة النمل نرى عبداً من عباد الله، منحه الله علماً من علوم الكتاب، قال تعالى في الآية ٤٠ من سورة النمل: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾.

قال الأستاذ سيد قطب عن ذلك في ظلال القرآن[٢]: فإذا الذي عنده علم من الكتاب يعرض أن يأتي بعرشها في غمضة عين قبل أن يرتد إليه طرفه، ولا يذكر اسمه، ولا الكتاب

---

(١) الشيخ محمد متولي الشعراوي تفسير الشعراوي المجلد ١٤ صفحة ٨٩٥٨.

(٢) سيد قطب في ظلال القرآن الجزء الخامس دار الشروق صفحة ٢٦٤١.

الذي عنده علم منه، إنما نفهم أنه رجل مؤمن على اتصال بالله، موهوب سراً من الله، يستمد به من القوة الكبرى التي لا تقف لها الحواجز والأبعاد، وهو أمر يشاهد أحياناً على أيدي بعض المتصلين، ولم يكشف سره ولا تعليله لأنه خارج عن مألوف البشر في حياتهم العادية، وهذا أقصى ما يقال في الدائرة المأمونة التي لا تخرج إلى عالم الأساطير والخرافات.

ولقد جرى بعض المفسرين وراء قوله: ﴿عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ فقال بعضهم: إنه التوراة، وقال بعضهم: إنه كان يعرف اسم الله الأعظم، وقال بعضهم غير هذا وذاك، وليس فيما قيل تفسير ولا تعليل مستيقن، والأمر أيسر من هذا كله حين ننظر إليه بمنظار الواقع، فكم في هذا الكون من أسرار لا نعلمها، وكم فيه من قوى لا نستخدمها، وكم في النفس البشرية من أسرار كذلك وقوى لا نهتدي إليها، فحيثما أراد الله هدى من يريد إلى أحد هذه الأسرار وإلى واحدة من هذه القوى فجاءت الخارقة التي لا تقع في مألوف الحياة، وجرت بإذن الله وتدبيره وتسخيره، حيث لا يملك من لم يرد الله أن يجريها على يديه أن يجريها.

وهذا الذي عنده علم من الكتاب كانت نفسه مهيأة، بسبب ما عنده من العلم أن تتصل ببعض الأسرار والقوى الكونية التي تتم بها تلك الخارقة، التي تمت على يده، لأن ما عنده من علم الكتاب وصل قلبه بربه على نحو يهيئه للتلقي ولاستخدام ما وهبه الله من قوى وأسرار (انتهى كلام سيد قطب).

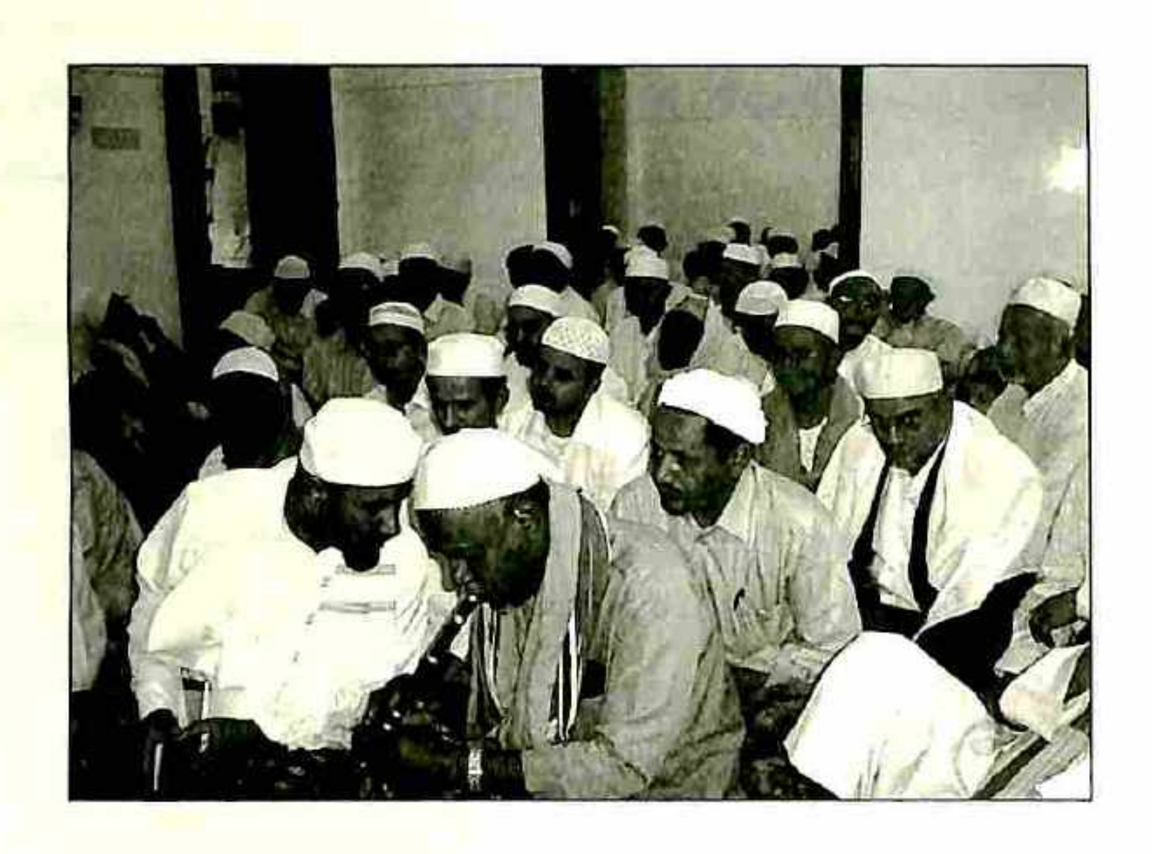
وختاماً فنحن نرى أن العلويين ليسوا ممن يحب أن يظهر الكرامات، أو يتكلم فيها، ورأينا ذلك في الحبيب حسن بن صالح البحر، والحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر، والحبيب أحمد بن عمر بن سميط، والحبيب عيدروس بن عمر الحبشي، فلم نر في تراجمهم شيئاً من هذا القبيل، وإنما اتصفوا بالعلم والعبادة وحب المساكين، وكذلك زعيم وادي الأحقاف الحبيب محسن بن علوي السقاف (١٢١١-١٢٩٠هـ)، الذي أورد ابن عبيدالله طائفة من أخباره، إلا أن بعض الطلاب وبعض المريدين قد ينسبون لشيخهم شيئاً من الكرامات حباً له، فيضرونه

من حيث يعتقدون أنهم يحسنون إليه، وعلى كل إنسان أن يحكم بعقله وعلمه في هذه الأمور، مستعيناً بما ذكرناه في هذا الفصل.

* * *

الفصل الخامس والثلاثون

العلويون والسماع



ومما أخذه العلويون من صفات الصوفية حب السماع، وإنما هو سماع مهذب، إذ ينشد الحادي في ختام مجلسهم أو أثنائه بعض المدائح النبوية فتنعش القلوب وتزيل عنها الران وتجليها لاستقبال المواعظ، وقد يصاحب السماع في بعض الأحيان المزمار، ويسميه الحضارم القصبة وأحيانا يستخدمون الطيران.

وتدل شدة تأثّر العلويين بالسماع على رقة عاطفتهم وسلامة ذوقهم، قال ابن عبيدالله في العود الهندي وحدثني الفاضل الوجيه السيد حسن بن محمد بلفقيه عمن حضر دفن سيدنا عبد الله بن عمر بن يحيى، وكان يوماً مشهوداً لم يتأخّر عنه أحد من رجالات حضرموت وهي إذ ذاك بهم ملآنة، قال إنهم لما انصرفوا من دفنه اجتمعوا في بيته فأنشد بعض الحداة بقصيدة القطب الحداد:

تفيض عيوني بالدموع السواكب		وما ليَ لا أبكي على خير ذاهب

فلا تسل عما حصل من النشيج، وارتفع من الضجيج، وسال من العبرات، وتصاعد من الزفرات، حتى لقد كانت تحمل الجنائز[١].

ومرّ الحبيب أحمد بن حسن العطاس أثناء وجوده بسيؤن على بير (مزرعة) فيها أناس يسنون (ينزحونَ الماء) ويحدون بأصوات حسنة، فوقف عندهم وأمرهم بالحدو (الإنشاد) وبقي يستمع حتى أكملوا ثلاثة أصوات، ثم ساق فرسه وأرسل لهم جعلاً (جائزة)[٢].

ونقل السيدُ عبد القادر الجنيد عن العلامة الشيخ عمر الخطيب المتوفى بسنقفورا أنّ الحبيب عبد القادر بن محيي الدين بلفقيه كان يتأثر بالسماع لدرجة البكاء وأنه سمع مرة المنشد المعروف بتريم أبا سكر الجمال وهو رجل صالح من عبيد العوامر وكان كبار العلويون يحبون صوته، ومرة سمع الحبيب عبد القادر وهو في بيته صوت أبي سكر يغني فقام وطرح

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، العود الهندي، دار المنهاج، الجزء الأول، صفحة ١٢١.

(٢) علوي بن طاهر الحداد، مخطوطة رحلة الحبيب أحمد بن حسن العطاس إلى هود، صفحة ٩.

رأسه على النافذة يتسمع لأبي سكر وهو يبكي، وقد وضعت له زوجته العشاء فقال لها صوت أبي سكر حرم علي العشاء ولم يذقه[(١)] (انتهى).

وللعلويين منذُ زمن قديم مجالس مخصصة للأناشيد الدينية والتي تتحدث في معظمها بمدح الرسول ﷺ وتستعمل مع الأناشيد الطيران، وتسمى هذه الجلسات الحضرة وهي مجالس فيها أدب واحتشام وسكينه ووقار، وأشهرها حضرة السقاف المقامة بمسجد السقاف بتريم[(٢)] وهو المسجد الذي بناه الإمام عبد الرحمن بن محمد السقاف في سنة ٧٦٨هـ وقد بناه ولم يفارقه حتى توفي ولم يعرف الأستاذ الشاطري تاريخ ابتداء السماع فيه وتوقع أن يكون ذلك من أول إنشائه، وبلغ من الاهتمام بمسألة السماع أن جلب لهذا الحضرة منشدين من منطقة عرف قرب الشحر، ولهذا يسمون آل باعرفان، ثم جلب الحبيب أحمد بن حسين العيدروس[(٣)] المتوفى سنة ٩٦٩هـ سبعة منشدين من مصر عرفوا بآل بومصري، استوطنوا تريم، وما زالت سلالتهم تقوم بالإنشاد في هذه الحضرة بعد أكثر من ٤٥٠ سنة من وصولهم حضرموت.

وقد يستغرب القارئ وصول المنشدين من مصر إلى تريم في ذلك الزمن البعيد، مما يدل على أنّ هناك همزة وصل بين حضرموت ومصر في تلك الأيام، أو لعل هذا الاتصال تمّ في مكة أثناء رحلات الحج.

ويصطفّ المنشدون في الحضرات بطريقة خاصة، يتولى فيها الكبار من المنشدين الضرب على الطيران أو حمل الشبابات العتيقة، وأما الصغار فيحملون المطارق، ويمكثون حوالي الساعتين في ترديد القصائد السلفية للشيخ عمر المحضار والشيخ علي بن أبي بكر السكران. ولا تسل عن ما يغشى الحاضرين من سكينة وخشوع، وهم يستمعون إلى هذا

---

(١) عبد القادر بن عبد الرحمن الجنيد، العقود الجاهزة والوعود الناجزة، صفحة٥٥٤.

(٢) أحمد بن عبد الله بن شهاب، تريم بين الماضي والحاضر، تريم للدراسات والنشر، صفحة ٦٩.

(٣) محمد بن أحمد الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي، الجزء الثاني، عالم المعرفة للنشر، صفحة ٢٦٤.

الإنشاد الديني الشجي الذي يرطب القلوب ويروح النفوس ويعينها على الاستمرار في مجاهدات العبادة،

ومع ما ذكرناه من وجود هذه الحضرة بهذا المسجد العتيق إلا أنّ هذا لم يتعارض مع خصائص هذا المسجد القديم المتمثلة في كون جميع القراء يتلون فيه القرآن حفظاً عن ظهر قلب ويواظبون على مدارسته أول الليل في فترة ما بين العشاءين أو في وقت السحر، وهو آخر الليل، كما يكتظ المسجد بالأعداد الكبيرة من المصلين والمعتكفين. وللمسجد منارة صغيرة، وقد بقي المسجد على نفس حالته منذ بُني مع بعض الترميمات.

إلا أن العلويين لا يتفقون كلهم في مسألة السماع، سواء في الزمن القديم أو الزمن الحديث، فقد ذكر الأستاذ الشاطري أن الشيخ علي بن أبي بكر السكران المتوفى سنة ٨٩٥هـ كان متشدداً في تطبيق الفقه، فاعترض على حضرة السقاف بمسجد جدّه لما يحدث فيها من ضرب الطيران والدفوف ونفخ اليراع، وهو يتبع في ذلك صاحب الإرشاد الشيخ إسماعيل بن المقري حين يقول في انتقاده على ما يجري من السماع بهذه الصورة في المساجد:

أضحت مساجدنا للهو واللعب   برغم سنة خير العجم والعرب

إلا أن ابنه عبد الرحمن أقنعه بالموافقة على إعادة الحضرة فوافقه على إعادتها.

وذكر الأستاذ الشاطري: أنه ورد في شرح العينية للإمام أحمد بن زين الحبشي: أنّ الإمام العيدروس كان ينهى المريدين عن استماع السماع، ويقول: «واترك السماع فلا فائده في قربه للمريدين خصوصاً في هذا الزمان»[١].

ومع عدم اعتراض بن عبيدالله على السماع وطريقة أخدام السقاف إلا أنّنا نراه ينكر إنكاراً شديداً في كتابه صوب الركام على طريقة لأخدام السقاف كانت موجودة في زمانه

---

(١) محمد بن أحمد الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي، الجزء الثاني، عالم المعرفه للنشر، صفحة ٩٥.

لكنها أبطلت في السنين الأخيرة، ولكن لا بأس بذكر ما كتبه لاستكمال كتابة التاريخ، وقد كتب بن عبيدالله ما يلي: (لا شكّ في حرمة ما يفعله اخدام السقاف عندنا في الأعراس وغيرها من الجثي على الركب أمام السادات، وذلك أنهم بينما هم يمشون بدفوفهم وشباباتهم أمام الناس إذ وقفوا ووقف الناس بوقوفهم، ثم انعطفوا وخرّوا جثياً على الرُّكب وأخذوا يزحفون عليها، حتى إذا وصلوا إلى أقدام الأشراف وهم قيام كالبنيان نهضوا في سيرهم، وهكذا دواليك حتى يبلغوا المكان الذي يريدون. ولا شكّ أنّ هذا الغلو والخروج عن الأدب الشرعي بدرجة فظيعة يزيد عن سجود الأغبياء بين يدي مشائخهم وفي المتون أنّ السجود للمخلوق من الكفر. قال المؤلف بخلاف الركوع لأن صورته كثيراً ما تقع للمخلوق ومحلّ الفرق بينهما عند الإطراق، أما من قصد تعظيم المخلوق كما يعظم به الملائكه فلا شكّ في كفره (انتهى نقله عن المتون) ومتى كان الكلام في الكفر فما بالك بمجرد التحريم (انتهى)[1].

وقد يتساءل القارئ وما دام أنّ المسألة كذلك فلماذا لا يزيل بن عبيدالله هذا المنكر ويجيب ابن عبيدالله على هذا السؤال بنفسه فيقول: (وطالما أنكرت ذلك الصنيع وذاكرت فيه الإخوان ولا جواب إلا قولهم ماذا نقول وقد حضره فلان وفلان (يقصدون كبار العلماء)، ويرد ابن عبيدالله عليهم (بأنه لا عبرة بالإجماع الفعلي في الأزمنة الفاسده (انتهى)[2].

وفي نظري أنّنا قبل أن نتحامل على هذه الحضرات ونطلب منعها علينا أولاً أن ننظر إلى تأثيرها على العوام، حيث يجلبهم السماع للحضور إلى المسجد، ثم ترقق الأناشيد مشاعرهم وتجعلها أكثر قابلية للمواعظ والإرشاد، وهذا يتأكد من القصة التالية التي ذكرها ابن عبيدالله في بضائع التابوت قال: إنّ الحبيب محسن بن علوي السقاف زار الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر في سنة ١٢٦٦هـ فطلب منه أن يسير إلى عينات لإرشاد السادة بها بعد أن فشل في ذلك الدعاة السابقون، فسار الحبيب محسن ومعه خادمه عبدون بن حيمد باصالح، وهو ممن يُحسن

---

(١) علوي بن عبدالقادر السقاف، تحقيق الفرق، صفحة ٦٤-٦٥.

(٢) علوي بن عبدالقادر السقاف، تحقيق الفرق، صفحة ٦٤-٦٥.

الغناء والسماع، فكان ذلك أوّل ما يبدأ به حتى إذا اجتمع السادة وطربوا تكلم فيهم ووعظهم وذكّرهم فقبلوا منه وتأثّروا بكلامه، وتبرأ الكثير من أزيائهم المشابهة لأزياء القبائل وما جاءت الجمعة إلا ونصفهم بلباس أبيض وعمائم بيضاء[١].

ثم نمضي في ذكر المحبين والمعترضين على السماع. ومن أشهر من أحبّ السماع من الحضارمة الشيخ عمر بامخرمه المتوفى سنة ٩١٢ هـ فقد ذكر الجد بن عبيدالله في معجم بلاد حضرموت[٢] وصول الشيخ عمر بامخرمه إلى تريم في جمع من أتباعه، والسماع بين يديه فانتهى خبره إلى الشيخ الفقيه حسين بن عبد الله بن عبد الرحمن بلحاج المشهور، فقام من مدرسته في جمع من تلاميذه للإنكار عليه في ضرب السماع والشبابات، لكنه طرب حين لاقاه وغاب عن حسّه وصار يصفق بيديه.

قال بن عبيدالله ونظير ذلك ما يحكى عن معاوية بن أبي سفيان لما ذهب إلى منزل عبد الله بن جعفر للإنكار عليه في الغناء، فلما استقر بمنزله أطلع له جواريه يغنين فطرب حتى ضرب برجله الأرض ولم يثرب، فلما خرج قال له عمرو بن العاص : إنك لشرٌّ ممن جئت للإنكار عليه فقال له: إنّ الكريم طروب (انتهى النقل).

ومن العلويين المتأخرين الذين تشددوا في إنكار السماع السيد أحمد بن جعفر بن أحمد بن زين الحبشي الذي كان مخلصاً للطريقة السلفية. قال العلامة بن عبيدالله إنه كان يقوم من مجلس أصحابه ومدارسهم إذا سمع بها لا يوافق مشارب الوهابية، ثم صار ينكر عليهم أحياناً بلسانه ولكنه لم يصبر حين أنشدوا الأذكار في المسجد على نغمات الدفوف، فلم يتمالك أن نهض لتكسيرها فلبجوه لبجاً شديداً[٣].

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ٢٠٦.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، أدام القوت، مكتبة الإرشاد، صفحة ٢٣٢.

(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صفحة ٣٠٦.

وقال بن عبيدالله عن السادة آل طه بن عمر بسيؤون[١] إنهم إلى الآن لا يسمحون بأن يدخل مسجدهم طبل ولا يراع، وقال عنهم: وهم بيت طيب مغرس علم ومنبت صلاح سيماهم التواضع وشأنهم الخمول (حب عدم الظهور)، يقضون حوائجهم بأنفسهم ولا يتميزون عن أحد من الناس إلا بالعلم إذا سُئلوا، وقد حفظوا بوجودهم بسيؤون الطريقة العلوية بعدما أصابها بعض الخلل كما يعرف من الفوائد السنية لسيدي أحمد بن حسن الحداد، ومن العقود اللؤلؤية للعلامة السيد محمد بن حسين الحبشي وغيرها، وبقوا على ما كان عليه أوائلهم من الالتزام بالفقه وترك البدع والرئآسات.

لا يدخل مسجدهم طبل ولا يراع، وكانوا يتوسعون في الفقه ويشاركون في التفسير والحديث وليس عندهم من علوم العربية إلا القليل، ولبعضهم أشعار لا تنتهي إلى إجادة، ولهم من الأعمال الصالحة وتحمل المشاق في مجاهدة النفوس ما لو لم أره عياناً في والدي لم يكن لي بما يذكر عن السلف قوة على التصديق (انتهى النقل).

إلا أن علوياً آخر من آل الحبشي يحب الأغاني والأوتار، قال بن عبيدالله: وفي سنة **١٣٣٦** وقع اختيار آل أحمد بن زين ومنصب الحداد للمنصبة على السيد عمر بن عبد الله بن محمد بن أحمد الحبشي، وكان فكهاً أديباً له نوادر وولع كثير بالأغاني والأوتار، وله تهجد واتصال بالسادة الأخيار[٢].

وممّن يحب الأغاني والأوتار من العلويين أيضاً السيد صافي بن عبد الرحمن بن صالح ذكره بن عبيدالله في أدام القوت[٣]، فقال إنه من ذرية السيد عبد الله بن عبد الرحمن الجفري بقرية حوفة، وقد نجع في سنة **١٣٠١** هـ من حوفة إلى المدينة المنورة، ولم يكن له من عمل إلا

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صفحة **٣٦٨**.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صفحة **٣٠٧**.

(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مطبعة الإرشاد، صفحة **١٨٢**.

الإنشاد على ضرب الطار حتى ضمّه حفل مع شيخ السادة بالمدينة السيد الجليل عبد الرحيم بن سالم فلم يعجبه أن يكون علوياً قوالاً فأخذه إلى بيته وعاتبه فاعتذر بالحاجة، فقال له الزم بيتي وأنا أكفيك المؤنة، ففعل وخدم بنشاط فأحبه وزوّجه بنته (انتهى).

وقد يبلغ تأثير الإنشاد على العلويين مبلغاً عظيماً، فقد ذكر الجد بن عبيدالله في بضائع التابوت [١] نقلاً عن الشيخ هادي بكران الصبان أن الحبيب محسن بن علوي السقاف (١٢١١-١٢٩٠هـ) مرّ تحت دارهم ذات يوم فسمع منشداً ينشد بقصيدة القطب الحداد:

تفيض عيوني بالدموع السواكب　　　وما ليَ لا أبكي على خير ذاهب

فألقى الحبيب محسن بعصاه تحت جبهته، واتكأ عليها يذرف الدموع حتى سقط مغشياً عليه. وسَمع مرة مغنياً بعيديد بتريم فداخله أمر عظيم وأجاز تلك الأبيات (انتهى).

وذكر ابن عساكر في تاريخ دمشق: أن قوما جاءوا إلى سيدنا عمر بن الخطاب، فقالوا: إن لنا إماما يصلي بنا العصر، فإذا صلى صلاته تغنى بأبيات، فقال عمر: قوموا بنا إليه، فاستخرجه عمر من منزله، وقال له: إنه بلغني أنك تقول أبياتا إذا قضيت صلاتك، فأنشدنيها، فإن كانت حسنة قلتها معك، وإن كانت قبيحة نهيتك عنها، فقال الرجل:

وفؤادي كلما نبهته　　　عاد في اللذات يبغي تعبي
لا أراه الدهر إلا لاهيا　　　في تماديه فقد برح بي
يا قرين السوء ما هذا الصبا　　　فني العمر كذا باللعب
وشباب بان مني فمضى　　　قبل أن أقضي منه أربي
ما أرجي بعده إلا الفنا　　　ضيق الشيب علي مطلبي
نفس لا كنت ولا كان الهوى　　　اتقي المولى وخافي وارهبي

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الرابع.

فقال عمر: نعم، نفس لا كنت ولا كان الهوى، وهو يبكي ويقول: اتقي الله وخافي وارهبي، ثم قال عمر: من كان منكم مغنيا فليغن هكذا. انتهى[١].

وذكر بن عبيدالله جاء في بضائع التابوت[٢] أيضاً أنّ السلطان غالب بن محسن الكثيري كان حاضراً مرة عند جدنا المحسن بن علوي بمجلسه العامر المشهور عشية الجمعة فأنشد الحادي بقصيدة للجد محسن انتحب السلطان عند بعض أبياتها انتحاباً مرّاً وخاف أن يلحقه من تبعة البغي ما يفضي للاضمحلال حتى هدّأه الجد محسن وسكن باله (انتهى).

قال بن عبيد الله: وأكثر الجد محسن في آخر وقته من الأمر بالإنشاد من ديوانه في مجالسه فكان ابنه الحبيب عبيد الله بن محسن ينشد له في المجلس الواحد عدة قصائد منه لما فيها من التزهيد فى الدنيا والترغيب في الآخرة وشرح أحوال السلف وذكر عيوب الزمان.

قال بن عبيدالله في بضائع التابوت [٣]وقد جرت بين السيد محمد بن طاهر الحداد ١٣١٦) وبين قاضي القضاة بجاوا العلامة السيد عثمان بن عبد الله بن يحيى مناقضات في الأوتار لأنّ الأول يسمعها والثاني يشتد في منعها وبينهم في ذلك رسائل موجودة، وقد كان القطب الحداد يحضرها هو والسيد حسين بن عمر العطاس، غير أن الشيخ علي باراس كان غير راض عن حضورهما (انتهى).

وذكر السيد عمر الكاف في تحفة الأحباب أن الحبيب عبد الرحمن المشهور كان يقول: إنّ التداخل في أمور الحوف والقنبوس تذر الديار بلاقعَ [٤].

وذكر الأستاذ طه بن حسن السقاف في فيوضات البحر الملي قصة ذهاب الحبيب علي

---

(١) ابن عساكر تاريخ دمشق: المجلد الثالث والخمسون، صفحة ٢٦٥.

(٢) المرجع السابق، الجزء الرابع، صفحة ٢٩٧.

(٣) المرجع السابق، الجزء الثالث، صفحة ١٠.

(٤) عمر بن علوي الكاف، تحفة الأحباب، دار الحاوي، صفحة ١٥٨.

بن محمد الحبشي (١٢٥٩-١٣٣٣هـ) إلى شبام لمقابلة الحبيب أحمد بن محمد المحضار (١٢١٧-١٣٠٤هـ) وذكر دخوله مع الحبيب أحمد حصن الدولة حيث قرءوا فيه المولد فطرب الحبيب أحمد المحضار للسماع وأخذ الطار بيده وتواجد إلى غاية بعيدة وكان يتمايل حتى كاد رأسه يصل إلى الأرض، وسرى الوجد في الحاضرين وكان الحبيب أحمد أيام شبابه حادياً وإذا قبض الطار يحرك حتى الجماد.

ولكن لا يغرنك طرب الحبيب أحمد المحضار بل عليك أن تستمع لبقية القصة كما رواها الحبيب علي بن محمد الحبشي الذي قال : ولما مضت حصة وافرة من الليل خرجنا من حصن الدولة فإذا الحبيب أحمد المحضار في مسجد الخوقة يهدر ساعة يركع وساعة يدرج وبات يحن طول الليل يقرأ القرآن [١] (انتهى بتصرف).

والحبيب أحمد المحضار هو الذي لا يستقبل أحداً في الليل كما ذكرنا في مكان آخر من هذا الكتاب لأنه يقول إن الليل حق ربي، أي إنه مخصص للعبادة.

وقد مضت عليه نحو خمسين سنه يتلو كل يوم وليلة ختمة من القرآن ويذكر أنه حفر قبراً لنفسه في حياته وكان يقرأ فيه القرآن حتى قيل إنه قرأ فيه سبعة آلاف ختمة[٢]، ومع ذلك نجده يروّح عن نفسه بالسماع وينفعل مع المجيدين من المنشدين

وذكر السيد علوي بن طاهر الحداد في مخطوطة زيارة الحبيب أحمد بن حسن العطاس لشعب هود أنّ الحبيب علي بن محمد الحبشي قال: «ومرة جيت إلى عند الحبيب أحمد بن محمد المحضار ومعنا الشيخ أحمد البيتي وهو حادي يجيد الحدا فلما وصلنا إلى عند الحبيب أحمد لاقانا بنفسه ثم قال شوفوا ذي الليلة بغيناها سفطة لله، فقلت يا خير شور، فقال: معكم حادي؟ قلت: نعم. فأنشده حادينا قصيدة الحبيب عبد الله الحداد التي يقول مطلعها:

---

(١) طه حسن السقاف، فيوضات البحر الملي، صفحة ١٣٣ .

(٢) طه حسن السقاف، فيوضات البحر الملي، صفحة ١٢٧ .

هواكم بقلبي والفؤاد مقيم وشوقي إليكم مقعد ومقيم

فمن حين بدأ المنشد بالإنشاد ودموع الحبيب أحمد المحضار تجري على خديه متراسله كأنها وابل مطر، إلى أن أكمل آخر بيت منها، ثم جاء الشيخ حسين باعلي فقال له: شف منشدهم بكانا، هل حد منكم باياخذ بثاري يبكيهم، فأنشد الشيخ باحسين ثم حضر أولاد الحبيب أحمد فشلوا حضرة بنغمات شجية، وبعد أن أكملوها قاموا وهاكوا ونصروا وأملى عليهم الحبيب أحمد أرجوزة داروا بها في جوانب المحضرة ثم قال الحبيب أحمد معاد بقي إلا الدحيقة، ولكنها ما باتقع في المحضرة قوموا إلى الوصر ، وقمنا إليه وعملنا الدحيقة وبيتنا في ليلة سعيدة وكانت فعلاً ليلة سفطة لله كما قال[١].

ونكاد لا نستثني أحداً من العلويين في حب السماع بدون شبابات أو قصبة أو أوتار وأنا أروي ما وجدته من الأخبار فيما توفر لي من الكتب، فهذا الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي ذكر الأستاذ طه حسن السقاف في فيوضات البحر الملي أنه جلس مع محبه الشيخ عمر شيبان عند الحبيب علي بن محمد الحبشي مجلساً خاصاً وكان منشده بكران باجمال ينشد من قصائد الحبيب علي، وكلما انتهى من قصيدة طلب الحبيب عيدروس قصيدة أخرى (انتهى)[٢].

ومع أن الحبيب علي بن محمد الحبشي (١٢٥٩-١٣٣٣هـ) يحب السماع وله القصائد الشهيرة التي يحدوا بها الحداة في كل حضرموت وخارجها إلا أنه لا يحب آلات اللهو وهو العود كما توضح القصة التالية: فقد ذكر تلميذه الحبيب محمد بن هادي السقاف (١٢٩١-١٣٨٢ هـ) في رحلته إلى الحرمين[٣] أنّ من الأولياء من لا يحب آلات اللهو وينهى عنها

---

(١) مخطوطة رحلة الحبيب أحمد بن حسن العطاس إلى هود، جمعها السيد علوي بن طاهر الحداد، صفحة ٦٥-٦٦.

(٢) طه حسن السقاف، فيوضات البحر الملي، صفحة ٣٧٢.

(٣) محمد بن شيخ المساوي، المنحة الإلهية في الرحلة الحجازية، مخطوطة، صفحة ٢٩٣.

كسيدي الإمام علي بن محمد الحبشي، اتفق له أنّه طلب منه بعض طلبة العلم ممن أولع بآلات اللهو أنْ يوصيه فامتنع من إعطائه الوصية، وقال له: لا أوصيك وأنت تتخذ آلة اللهو المحرمة، ثم قال الحبيب محمد بن هادي وأما ما وقع مع بعض السادة لمّا مرّ على مجلسهم الحبيب علي وهم يضربون العود فقرع الباب ودخل عليهم وأمرهم أن لا يقطعوا طربهم، فاستمروا على غنائهم حتى طرب الحبيب علي وأنشأ في ذلك المجلس قصيدته التي يقول فيها: قال الفتى الحبشي شجاني البارحة صوت الطرب، فتلك واقعة نادرة، ولعل في ذلك مصلحة ظهرت له وخفيت علينا، واستطرد إلى ذكر بعض الأولياء المتأخرين وسماعهم للعود وأنهم لقوا من المعترضين انتقاداً عنيفاً (انتهى).

وتوحي القصة التالية بأنّ الحبيب علوي بن عبد الرحمن المشهور (١٢٦٣ - ١٣٤١هـ) لا يحب السماع والطبل والمزمار [1]، فقد ذكر السيد أبو بكر المشهور في لوامع النور أنّ الحبيب علوي بن عبد الرحمن المشهور مرَّ في طريقه للشحر على قرية (حقب)، فصادفه بها عرسٌ، وكان البدو مجتمعين على لهوهم ورقصهم رجالاً ونساءً، وقد حلّ الظلام وأشعلوا النيران للقهوة والرشب (الشيشة)، ولما قعدوا للاستراحة وانشغلوا بالحديث والقهوة تلطف الحبيب علوي فشق الطار من طرفه وأخرب المزمار، فلما عجزوا عن استكمال الطبل والزمر قال لهم الحبيب علوي: لقد أراد الله لكم الليلة في هذا الزواج المبارك مولداً نبوياً تسمعونه حتى يصلح الطبل والمزمار، فطلب منهم جمرة وضع الحبيب علوي عليها الدخون وبدأ في قراءة المولد النبوي، ثم ذكّرهم بالله مذاكرة مؤثرة حتى استأنست أرواحهم وثابوا حتى أنهم لما صلح الطبل والمزمار فيها بعد لم يقبلوا إلا التعليم والتذكير (انتهى باختصار).

وتبين القصة التالية ما يلاقيه المطربون ممن يستعملون العود من التكريم، وما يتوفر لهم من المال من هذا السبيل، إلا أنّ هذه الفلوس لا بركة فيها، فقد ذكر أبو بكر المشهور في

---

(١) أبو بكر المشهور، لوامع النور، صفحة ٧٢.

لوامع النور أن الحبيب علوي بن عبد الرحمن المشهور[١] سافر من المكلا إلى السواحل على أحد المراكب برفقة السيد محمد بن مصطفى بن الشيخ بوبكر بن سالم وسافر معهم على نفس المركب رجل من السادة اسمه صالح الحامد، كان يطرب بالقنبوس ويغني. وقد أقام الحامد عدة حفلات بالمكلا حضر بعضها السيد حسين بن حامد وزير القعيطي، وكانوا يجمعون له الدراهم من الناس في نهاية السمر، فقال بعض الناس للحبيب علوي: شوفوا هذا السيد كيف يجمع الفلوس، فقال الحبيب علوي هذي فلوس ما فيها بركة، فلوس قنبوس ورباب.

وعند السفر ركب الحامد ومعه بعض المرافقين في مقصورة الدرجة الأول، بينما ركب الحبيب علوي المشهور ومرافقه في الدرجة الثانية، ومرت تلك الليلة على أصحاب الدر- الأولى في طرب وسمر ومرح.

وفي اليوم التالي التقى السيد صالح الحامد بالسيد محمد بن مصطفى فقال له: ها يا بن مصطفى شفتها صحبة المشهور ما تنفع ما هي كما صحبة أهل الفن، فقال له السيد محمد: أنا لو أبغي الدرجة الأولى با ادعي ربي وبا تشوف، فلم يصدق الحامد. وبعد ذلك أصيبت زوجة قبطان الباخرة بصداع شديد ولم ينفعها علاج، فقالت لهم خادمتهم بأنّها شاهدت رجلاً صالحاً يقرأ الأدعية منفرداً من الفجر فطلبوه، فكان ذلك الرجل هو السيد محمد بن مصطفى، فقرأ عليها وربط على رأسها فشفيت فقال له القبطان ماذا تريد من جائزة؟ قال لا أريد إلا الدرجة الأولى، فصرّح له القبطان بالانتقال لها في الحال. ولما أصبح في الدرجة الأولى استدعى الحامد ليريه قبول دعوته (انتهى بتصرف بسيط).

وذكر الأستاذ الشاطري في أدوار التاريخ الحضرمي[٢] أن أحد كبار السادة بتريم زار دوعن (لم يذكر اسمه)، ولما كان في الخريبة اقترح عليه بعضهم أن يؤلف كتاباً في حلّ

---

(١) أبو بكر المشهور، لوامع النور، دار المهاجر للنشر، الجزء الثاني، صفحة ١١٤.

(٢) محمد بن أحمد الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي، الجزء الثاني، دار المعرفة للنشر، صفحة ٢٦٥.

القنبوس (العود)، فقال: إن حضره الشيخ علي باراس فعلت ذلك، فعملت مائدة حضرها السيد حسين بن عمر العطاس والشيخ علي باراس، ولما بدأ العوّاد يداعب القنبوس نهض الشيخ علي باراس تورعاً عن سماعه فتبعه السيد حسين العطاس متعجباً من قيامه مع وجود ذلك الإمام وغيره من كبار العلماء، فقال الشيخ علي باراس: لو كان شيخي عمر بن عبد الرحمن العطاس يسمع العود لسمعته (انتهى النقل).

وفي مجموع كلام الحبيب أحمد بن عبد الرحمن السقاف[1] أنّ الحبيب طاهر بن الحسين (١١٨٤-١٢٢٠هـ) كان يشتد في منع القنبوس، فزاره بالمسيلة الحبيب عمر بن سقاف الذي ورد عليه حال أثناء الزيارة فقيل للحاضرين: إن بغيتوا الحبيب عمر ينبسط هاتوا قنبوس، فسار الحبيب طاهر بن حسين إلى الغرف عند بعض قرابته وكان عنده قنبوس، وكان الحبيب طاهر يعاتبه عليه جداً فقال له: هات القنبوس، الحبيب عمر بن سقاف عندنا، ورد عليه حال بغيناك تبسطه، فقال له: إني بعته لبعض القبائل في الغرف، فساروا إليه وطلبوه منه، فسمح لهم به ورجعوا إلى عند الحبيب عمر بن سقاف وجلسوا يحركون على القنبوس حتى انبسط الحبيب عمر رضي الله عنه وأنشأ يقول:

نعم طاب الغناء والملتقى طاب   وكاس الود في العشقه صفا لي

(انتهى).

وكتب العلامة بن عبيدالله في بلابل التغريد[2] بحثاً مستفيضاً في الأوتار، ذكر فيه من أحلّه ومن حرّمه من الفقهاء ومن تولع بسماعه، ثم ختمه بقوله: «ثم إني من أشد الناس بعداً عن هذه الآلات وأهلها لما اشتط فيه الفقهاء من شأنها واتفقوا عليه من تحريمها، ولكنه الاطراح للتعصب والخروج عن الهوى والاسترواح إلى الأدلة التي بين أيدينا، ولعل عند

---

(١) مجموع كلام الحبيب أحمد بن عبد الرحمن السقاف، دار الفقيه للنشر، صفحة ١٥٢.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بلابل التغريد، صفحة ١٤٢.

المانعين من طرائح الحظر مما لم نطلع عليه وإنما هي حرية الضمير ونتيجة التفكير وعصارة التأمّل، وما سمعت العود طول عمري إلا مرتين قلدت فيهما القائلين بالحل، وكانت المرة الأولى بالشحر سنة ١٣٢٢ عندما ألحّ عليّ في حضوره أحد عمومتي وأمّنني سخط والدي ومعاتبته، وكان الذي يغني على العود ليلتئذٍ رجلاً من يافع مليح الطلعة، حسن الشارة، يقال له سلطان، أطربنا للغاية بحسن إتقانه، فلا زال يرن في أذني صوته بالقصائد التي غنى بها.

وكانت المرة الثانية بالمكلا سنة ١٣٣٠ بتكليف من العم حسين بن حامد المحضار، وما كدت أرضى حتى نزل المغني على علو منصبه وهو السيد الفاضل محمد بن عبد الله بن محمد الحبشي على اقتراحي فغنى بقصيدة ابن زريق البغدادي، ثم وقف عن الغناء لأنا لم نطرب له ولأنه إنّما غنى متكرهاً متثاقلاً جبراً لخاطر السيد حسين بن حامد (انتهى باختصار).



الفصل السادس والثلاثون

العلويون والقباب والتوابيت



سقيفة تضليل الزوار على قبر الفقيه المقدم جد العلويين

لقيت معارضة من العلويين أنفسهم

قد يعتقد بعض الناس أن العلويين هم الذين ادخلوا القباب والتوابيت إلى حضرموت، والأمر ليس كذلك، بل قد يكون للعلويين نظرة مختلفة في هذه المسألة قد لا يتوقعها الناس، وسنتعرض لها فيما بعد، أما أول التوابيت في حضرموت فقد ذكر العلامة عبدالرحمن ابن عبيدالله في الجزء الأول من بضائع التابوت أن السلطان مسعود بن يماني توفي بتريم سنة ٦٣٨هـ، وكان قد تولى على تريم وغيرها سنة ٦٢١هـ، وكان رجلاً كثير اللهو والملذات، إلا أن الله ختم له بصالحة فأقلع قبل وفاته على يد شيخه علي بن محمد الخطيب، وترك الملك لابنه عمر بن مسعود، ودفن حسب وصيته بمقبرة الفريط بتريم إلى جانب شيخه المذكور، وبنى عليه ولده السلطان عمر قبة لطيفة، وهي أول قبة على الإطلاق بجبانة تريم.

وذكر ابن عبيدالله مملكة آل قحطان بتريم المتفرعة ولايتهم عن إمارة الهزيلي على شبام سنة ٢٧٠هـ، وقد قال صاحب كتاب برد النعيم أن ولايتهم امتدت إلى أكثر من ثلاثمائة سنة، ومدافنهم بالرضيمة من تريم، وكانوا يدفنون موتاهم في صناديق، وفي كلام القطب الحداد أن بالرضيمة صناديق من ذهب، فلعل الصناديق التي كانوا يدفنون موتاهم فيها كانت من الذهب، كما تفعل الملوك (انتهى)[١].

قال الأستاذ الشاطري عن دولة سلاطين دولة آل راشد بحضرموت والتي امتدت ثلاثة قرون تقريباً (٤٠٠-٧٠٠هـ) إن من تقاليدهم أنهم يدفنون موتاهم في صناديق تعظيماً لهم، ولهم مقبرة خاصة بقارة أبي جرش بتريم، وتحتها مقبرة أخرى تدعى ديار الحجم[٢].

إلا أن العناية بالقبور لم تكن مقصورة على حضرموت فقط، فقد لاحظ العلامة اليمني إسماعيل بن حسين جغمان في رحلة حجه سنة ١٢٤١هـ على مقبرة مدينة جدة كثرة المناكير بها، منها أنهم يزخرفون القبور غاية الزخرفة، ومنها أنهم يضعون على بعض القبور لوحاً من

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلدان حضرموت مكتبة الإرشاد بصنعاء صفحة ٥٣٧.

(٢) محمد بن أحمد الشاطري أدوار التاريخ الحضرمي الناشر عالم المعرفة صفحة ١٧٣-١٧٤.

البلاط قائم على القبر عليه تصوير المقبور حتى عمامته وقلنسوته، بالإحكام البالغ والصناعات الباهرة، وهي محرمه (انتهى)[١].

وربما تكون أول قبة بنيت على قبر أحد العلويين كانت بمدينة تعز، ولم تكن بحضرموت، وهي التي بنيت على قبر السيد عمر بن عبد الرحمن صاحب الحمرا‌ء العلوي المولود بتريم سنة ٨٢٣هـ والمتوفى بتعز سنة ٨٨٩هـ وقد بنى السلطان عامر بن عبد الوهاب الطاهري على ضريحه قبة عظيمه[٢].

أما قصة إقامة صاحب الحمراء السيد عمر بن عبد الرحمن باليمن، فقد ذكر صاحب تاريخ الشعراء الحضرميين أنه توجه إلى الحرمين حاجاً وزائراً ومتلقياً للعلوم، وفي طريق عودته قصد مدينة عدن للأخذ عن علمائها، ثم سافر منها إلى داخلية اليمن متنقلاً في مدنه وقراه، ولما دخل قرية الحمراء وجد من أهلها عطفاً شديداً وإلحاحاً صادقاً في الإقامة بين ظهرانيهم والاستيطان عندهم، وكان موضع التجلة والإكرام من عموم اليمنيين قاطبة، حتى كان السلطان عامر بن عبدالوهاب الطاهري لا يرد له شفاعة على كثرتها، وكان هذا السيد عظيم الكرم وله الصدقات الكثيرة[٣].

قال ابن عبيدالله إن السلطان عامر بن عبد الوهاب سلطان اليمن وعدن، كان كثير الخيرات والعمارات، وكان الإمام أبوبكر بن عبدالله العدني يحبه ويثني عليه، ونقل ابن عبيدالله عن كتاب النور السافر أن السلطان عامر بن عبدالوهاب بنى مسجداً داخل عدن وأجرى له المياه، وعمل بها صهريجاً كبيراً، كما عمر السلطان عامر سد بلدة ثبي بحضرموت بتكلفة ألفين وثلاثمائة دينار[٤].

---

(١) عبدالله محمد الحبشي الرحالة اليمنيون مكتبة الإرشاد صنعاء صفحة ١٨٢.

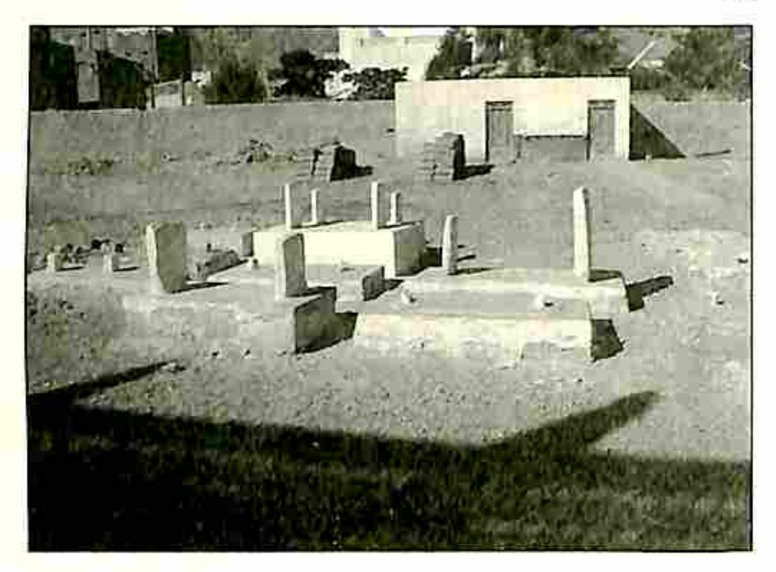
(٢) عبدالله بن محمد السقاف تاريخ الشعراء الحضرميين مكتبة المعارف بالطائف الجزء الأول صفحة٨٨.

(٣) عبدالله بن محمد السقاف تاريخ الشعراء الحضرميين مكتبة المعارف بالطائف الجزء الأول صفحة ٨٧.

(٤) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مكتبة الإرشاد صنعاء صفحة ٤٧٥.

ونعرف مما سبق أن القباب والتوابيت ما كانت إلا بدعه لغير العلويين، فآل طه بن عمر السقاف بسيؤون يتمسكون بطريقة سلفهم، فلا يدخل مسجدهم طبل ولا يراع، ولم توضع قبة على قبر جد هم بسيؤون الحبيب طه بن عمر الصافي إلى اليوم، بل إنهم يرفضون أن يضع أحدهم تابوتاً على قبر موتاهم، قال ابن عبيدالله: ولقد عمل الشيخ عوض جبران تابوتاً لقبر جدي المحسن بن علوي السقاف فمنعته من وضعه عليه[1].

ولكن ذلك الرفض لم يمنع بعض المحبين من وضع التوابيت على قبور بعض كبار العلويين في العصور المختلفة.



قبر مفتي حضرموت وعلامتها الشهير عبد الرحمن بن عبيد الله وعائلته بمقبرة علوي بسيؤن

بل قد يشتد الخلاف في بعض الأوقات بين العلويين في مسألة وضع التوابيت على القبور، فقد ذكر ابن عبيد الله أنه حدثت فتنة في تريم سنة ١١٦١هـ بسبب تابوت القطب الحداد، فان آل العيدروس جدوا في منعه ومعهم حلفاؤهم من آل جابر، بينما صمم آل الحداد على وضعه ومعهم حلفاؤهم من آل كثير ومنصب الشيخ أبي بكر بن سالم، وأما يافع

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مكتبة الإرشاد صنعاء صفحة ٣٦٩.

فافترقوا وواربوا، وكانت النتيجة أن التابوت وضع على قبر الحداد ثم أحرق، ثم رمم، ثم وضع، ثم أزيل، قال ابن عبيد الله ولذلك حديث طويل مستوفي بالأصل (يقصد كتابه بضائع التابوت)[١].

وأورد ابن عبيدالله في إدام القوت فتوى الحبيب محمد بن طاهر بن هاشم[٢] حول موضوع تابوت الحداد وهي مطولة تحوي الكثير من الأسانيد الفقهية، ثم بحث ابن عبيدالله وهو أفقه أهل زمانه كما شهد له بذلك السيد حامد بن أبي بكر المحضار العلامة والسياسي والحاصل على العالمية من الأزهر الشريف، والذي قال عن ابن عبيدالله «الخطيب المصقع، والفقيه الذي لا يجارى في مذهب الشافعية، وما أحسب له نداً في فقه الشافعي»[٣].

بحث ابن عبيدالله هذه المسألة من الناحية الفقهية بحثاً مستفيضاً وخلص إلى القول التالي: (ومنها يتبين أن المسائل ثلاث: الأولى: تسوية القبر على نحو العالم وهي جائزة مطلقاً قبل البلاء وبعده في المسبلة وغيرها لحرمة النبش، إلا أن ذلك يشكل علينا صنيع الأسلاف في مقبرة زنبل، فما زال نبش العلماء عادتهم، حتى لقد نبشوا قبر الشهيد سالم بن بصري ودفنوا بقبره حسن ابن الشيخ علي.

والمسألة الثانية: بناء نحو القبة على نحو العالم لانتفاع الزائرين، وهو جائز في المملوكة، لا في المسبلة على كلام فيه يأتي عن الزواجر والاذرعي والزركشي.

وأما بناء القبر نفسه فإنه ممنوع، كما تصرح به العبارة الثالثة مطلقاً ولو في المملوكة، هذا حاصل العبارات وبعضه لا يوافق ما نقله الحبيب طاهر في فتواه[٤] (انتهى).

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مكتبة الإرشاد صنعاء صفحة٤٤٧.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثاني/ ١ صفحة ١٦٢.

(٣) حامد بن أبي بكر المحضار ترجمة الزعيم حسين بن حامد المحضار عالم المعرفة للنشر والتوزيع صفحة ٢٠٧.

(٤) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثاني / ٢ صفحة٢.

ثم استرسل ابن عبيدالله مرة أخرى في بحث هذا الموضوع من الناحية الفقهية، وأتى بالكثير من الأدلة والأسانيد، ويمكن لمن يرغب أن يراجع الجزء الثاني من مخطوطة بضائع التابوت مجلد ٢ صفحة ١-٣.

أما الإمام الشهيد سالم بن بصري الذي ذكره ابن عبيدالله في كلامه فقد توفي سنة ٦٠٤هـ، وذكر الأستاذ محمد الشاطري إجماع المؤرخين على موته ميتة طبيعية، بل ماعدا بعض النسخ من تاريخ شنبل التي ذكرت أنه قتل، وقد توفي هذا الإمام في حكم دولة آل راشد، واستبعد الأستاذ الشاطري مقتله من قبلهم، لأن الوالي لذلك العهد كان السلطان عبدالله بن راشد، وهو صديقه وعلى طريقته، وربما قتل الشهيد سالم بن بصري أثناء الحصار والهجمات التي تعرضت لها تريم في تلك الفترة من أعداء السلطان عبدالله بن راشد[١].

ونعود إلى الموضوع فنقول بأن العلويين قد لا يوافقون على ما هو أقل من وضع التابوت، فقد ذكر ابن عبيدالله في الجزء الثاني من مخطوطة بضائع التابوت أن شيخه العلامة الجليل عبدالرحمن بن محمد المشهور ابتنى في حدود سنة ١٣١٠هـ سقيفة على أعمدة دقيقة من الخشب، تظلل زائري سيدي الفقيه المقدم ومن حوله من الشمس، فاشتد في إنكارها شيخنا العلامة علوي بن عبدالرحمن المشهور، ولكن لم يسمع له كلام، ثم ابتنى الفاضل السيد عبدالقادر بن أحمد الحداد سقيفة أخرى على مقبرة آل الحداد، فأنكر عليه الصالح التقي السيد عبدالرحمن بن عبدالله خرد، فلم يكن لصوته صدى، غير أن السقيفتين لم تأخذا إلا قدر ما يمسك قوائمهما من الأرض، ولا أثر عليهما للمباهاة أو للتعظيم كما يشاهد من هيئتهما وكيفيتهما[٢].

هذا ولم يقبر أحد من العلويين في مسجد، ولا أوصى أحد منهم أن تبنى على قبره قبة،

---

(١) محمد بن أحمد الشاطري أدوار التاريخ الحضرمي عالم المعرفة صفحة ٢٠٢.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثاني / ٢ صفحة٣.

وذكر ابن عبيدالله قبر العلامة الجيل السيد علي بن عبدالله بن عبدالرحمن بن عقيل السقاف فقال: إنه توفي سنة ١١٨١هـ وقبر بجانب مسجده بدون وصية منه، بل قيل له في مرض موته أين تحب أن يكون قبرك فقال حيثما يريده الله.

وقال ابن عبيدالله عن الحبيب علي بن عبدالله بأنه نشأ في ظنك من المعيشة وشدة شديدة، وكان إذا جاء الحاوي بتريم هو وزوجته ينسونهم بلا غداء، ولكن القطب الحداد كان يتفقدهم بنفسه، ثم فتح الله عليه في آخر عمره بسيؤون، فكان يكثر من شرب السمن بالليل حتى ذهب بصره، وكان كثير التنقل بين البلدان ولاسيما حوطة الشيخة سلطانه بنت علي الزبيدي، ثم سار إلى الهند وعاد كما بدأ متجرداً عن الدنيا واستقر ببلدة سيؤون، ولم يزل يتنقل في ديار منها حتى بنى لنفسه مكاناً بمنطقة يثمه بسيؤون، فكان مكانه منهلاً للواردين ومرجعاً للطالبين واستقر بمكانه يكرم الضيفان وينشر العرفان (انتهى)[١].

ولا يختلف رأي العلويين بحضرموت في المشاهد والقباب والذي ذكرناه سابقاً عن رأي السيد أحمد بن محمد الإدريسي.

(١١٧٣هـ ١٢٥٣هـ) وهو من شيوخ العلويين بحضرموت وقد وجه له فقهاء عسير في مناظره السؤال التالي: (هذه المشاهد والقباب الموضوعة في اليمن إنما هي للاعتقاد في أهلها، فقال السيد أحمد: لاشك أنه وقع من كثير من العامة ومن هو قريب منهم من الخاصة شيء من العقائد المفضية إلى الكفر والشرك، وتنوسي الشرع المحمدي بسبب إهمال الملوك لذلك، وعدم استماعهم لإرشاد أهل العلم، وأما خواص الأمة ففيهم طائفة من العلماء وغيرهم لا يزالون ما بقيت الدنيا قائمين بالحق يحفظ الله بهم الشرع، فهم منزهون من الشرك، ولا يخلوا قطر من الأقطار منهم، فلا يصح الحكم بالشرك على الأمة جميعاً بسبب من جهل عوامهم، ومن لا يتقيد بالشرع من خواصهم، ومن كفر مسلماً فقد كفر بنص الأحاديث، وأما القباب والمشاهد

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مطبعة الإرشاد صنعاء صفحة ٣٧٨.

فهي بدعة منافية للشرع المحمدي، لم يحدثها على القبور سوى جهلة الملوك ومياسير العوام، من غير مشاورة لعالم، والباطل لا قيد له (انتهى)[1].

أما زيارة العلويون وغيرهم لمقابر الأولين فليست كما قد يتصور البعض للتوسل أو الاستغاثة، بل هي في أغلبها لتذكر هؤلاء الرجال والتأسي بسيرهم وتذكر الآخرة، ولا تتجاوز مراسم الزيارة أكثر من قراءة القرآن وإهداء ثواب القراءة للمتوفى، وذكر السيد عمر بن علوي الكاف في تحفة الأحباب ما يلي: أما زيارة الحبيب عبدالله الحداد إلى مقبرة تريم فإنه لا يزور فيها إلا الفقيه المقدم فقط، ويقرأ ثلاثاً من الإخلاص والمعوذتين، ثم يرتب الفاتحة ويرجع[2].

ويتأكد لنا غرض العلويين من زيارة القبور من قراءة ما كتبه في رحلته إلى حضرموت الحبيب عمر بن أحمد بن سميط المولود بجزر القمر سنة ١٣٠٣هـ، والذي حرص كغيره على زيارة قبور الصالحين بحضرموت من العلويين وغير العلويين.

كتب الحبيب عمر بن سميط في رحلته ما يلي: وبعد صلاة المغرب خلف الحبيب مصطفي المحضار توجهنا إلى عند السيد علوي بن محمد المحضار، وتناولنا العشاء وبعد الفراغ منه عدنا إلى محضرة (غرفة) الحبيب أحمد المحضار، وبتنا بها واستيقضنا آخر الليل وخرجنا إلى المسجد، فوجدنا الحبيب مصطفي في وسط المحراب مستغرقاً في أذكاره، ولما دخل وقت الصلاة أذن بصوته الذي يخشع له القلب، وبعد الصلاة خلفه والإتيان بالأذكار والأوراد تأهبنا للعود إلى شبام، ودخلنا وإياه قبة والده وقرأ لنا الفاتحة[3].

ثم قال الحبيب عمر بن سميط في رحلته المذكورة وتوجهنا بصحبة أستاذ مدرسة

---

(١) الحسن بن أحمد الضمدي مناظرة أحمد بن إدريس تحقيق د.عبدالله أبوداهش صفحة ٢٨-٢٩.

(٢) عمر بن علوي الكاف تحفة الأحباب دار الحاوي صفحة ٢٠٣.

(٣) الحبيب عمر بن أحمد بن سميط النفحة الشذية إلى الديار الحضرمية صفحة ٢٠١-٢٠٢.

الفلاح الأهلية الشيخ محمد بن علي باحنان وابنه علي إلى قيدون، وقصدنا قبة الشيخ سعيد العمودي، وحول ضريحه قبور عدد من أولاده وأحفاده، فقرانا ما تيسر من القرآن عندهم واهدينا ثواب ذلك إلى أرواحهم، ثم دخلنا مسجده المجاور لقبته وتنفلنا في محرابهم[١].

وقال أيضاً: وتوجهنا إلى بلدة الخريبة وقصدنا المسجد الجامع وكان في جانب منه ضريح الشيخ عبدالله بن أحمد باسودان وابنه الشيخ محمد، فقرأنا عندهم الفاتحة ويس وأهدينا ثواب ذلك إليهما، ثم جلسنا في المسجد ولما حضرت الصلاة قدموني فصليت بهم إماماً[٢].

وقد حرص الحبيب عمر بن أحمد بن سميط أيضاً على زيارة المنزل الذي عاش فيه العلامة الصالح عبدالله بن أحمد باسودان فقال: وتوجهنا إلى زيارة دار الشيخ عبدالله بن أحمد باسودان، ولقينا هناك ابن حفيده الخطيب الشيخ أبوبكر بن عبدالله[٣].

ثم قال وانصرفنا إلى قبة الشيخ علي بن عبدالله باراس وقرانا الفاتحة عند ضريحه، وأهدينا ثواب ذلك إلى روحه، وانصرفنا إلى بعض المساجد فصلينا فيه صلاة العصر[٤].

هذا وقد حفر بعض العلويين قبورهم في حياتهم وكانوا يزورونها للاتعاظ بذكر الموت والآخرة، ومن هؤلاء الحبيب أحمد بن محمد المحضار (١٢١٧-١٣٠٤هـ)، والذي احتفر قبره قبل وفاته وكان ينزل إلى قبره كل يوم ليقرأ حزبا من القرآن رتبه فيه، ومن العلويين المتأخرين الذين حفروا قبورهم في حياتهم السيد عبد القادر بن محمد السقاف (أبوعلوي) المتوفى بسيؤون سنة.

قال ابن عبيدالله وأول من علمته حفر قبراً لنفسه في حياته من السلف الطيب هو

---

(١) الحبيب عمر بن أحمد بن سميط النفحة الشذية إلى الديار الحضرمية صفحة ٢٠٣.

(٢) الحبيب عمر بن أحمد بن سميط النفحة الشذية إلى الديار الحضرمية صفحة ١٩٧.

(٣) الحبيب عمر بن أحمد بن سميط النفحة الشذية إلى الديار الحضرمية صفحة ١٩٨.

(٤) الحبيب عمر بن أحمد بن سميط النفحة الشذية إلى الديار الحضرمية صفحة ١٩٨.

أبوسفيان بن الحارث بن عبدالمطلب، الذي مات سنة عشرين وصلى عليه عمر بن الخطاب، ودفن في دار عقيل ابن أبي طالب بالبقيع، وقد حفر قبره بنفسه قبل أن يموت بثلاث أيام[١] (انتهى).

قال ابن عبيد الله وكان الأمير عبد الله غرامه اليافعي حاكم وسط تريم يذهب إلى مجالس العلويين العلمية، ويطلب منهم القراءة في كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب، واستمر يدعوا لذلك ثلاثين سنة، فقال له الإمام عبد الله بن حسين بلفقيه (١١٩٨-١٢٦٦هـ): نحن وهابية من جدنا محمد بن عبد الله، لا نرى فاعلاً ولا خالقاً ولا رازقاً ولا ضاراً ولا نافعاً إلا الله تعالى[٢] (انتهى باختصار).

قال ابن عبيدالله وما رجم عبدالله غرامة العلويين بالأوهام وسوء الاعتقاد وعبادة القبور، فذلك أمر يكذبه الحس بالنسبة لعلمائهم وعقلائهم، ويكفي للرد عليه مقالة الإمام عبدالله بن حسين بلفقيه السابقة لغرامة، ثم قال الجد ابن عبيدالله وإنني لمن أشد الناس إنكاراً على من يفعل بعض ذلك (يقصد تعظيم القبور)، وكثيراً ما أستمد حجتي في الإنكار من أقوال السادة العلويين وغيرهم (انتهى)[٣].

كما استدل ابن عبيدالله على سلامة عقيدة العلويين من كلام الشيخ عبدالله بن أحمد باسودان لسان حال العلويين في عصر الأمير عبدالله غرامه وهو القائل في كشف المذام الفرعونية عن توشيحات فتح الرحمن[٤]: (وأما الحلف بالآباء والجدود وبكل مخلوق وإن عظم فغير محمود، ويختلف ذلك باختلاف المقصود، فبعض صوره قادح في التوحيد، وما دون ذلك إما حرام وإما مكروه للنهي الشديد، وأشد من ذلك وأغلظ منه إطلاق النفع

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثاني / ١ صفحة ١١٧.

(٣) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثاني / ١ صفحة ١٢٠.

(٤) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثاني صفحة ١٢٠.

والضر إليهم، فإن اعتقدوا تأثير ذلك وأنه بفعلهم فهو كفر صريح، وإن لم يعتقدوا ذلك فهو سوء أدب قبيح، ولا يخفي ما في ذلك من الحرج العظيم والمقت من الله القاهر الجبار، الذي خاطب مختاره وحبيبه من الأبرار بقوله: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ﴾ وسيقول الله تعالى لروحه وكلمته يوم القيامة (سيدنا عيسى) : ﴿ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّ﴾ الآية.

فالأولياء أحباء الله وأصفياؤه ومختاروه من خلقه، ولهم الكرامات الخارقة بإذنه تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ فحق الأولياء على الناس احترامهم وتعظيمهم، واحترام المنتسبين إليهم بالنسب الديني وهو الأحق بالتقدم، والنسب الطيني وهو متأخر عن ذلك، إلى أن قال: فلا تجوز المبالغة بإطلاق التصرفات إلى الأولياء، وإن دلت القرائن على نسبتها إليهم ووقوعها على أيديهم، وقضى بجوازها العقل والنقل، وأوجب الشرع الإيمان بها، وأنها واقعه بإذن الله تعالى وقضائه وقدره، وإنما نسبتها إلى الأولياء نسبة الأعمال الصالحة إلى عامليها.

وقال الشيخ عبدالله باسودان لسان حال العلويين: كما أن نسبة العوام الضر والنفع إلى الأولياء كما هو عادتهم ذنب عظيم، ولاسيما إذا كان مع اعتقاد التأثير منهم في ذلك بدون تقييد أنه بإذن الله ومشيئته وقضائه وقدره، وليتحقق الموفق أن الله غيور أن يشرك به شيئاً في عباده أو غيرها، وأن الكبرياء رداؤه والعظمة إزاره فمن نازعه فيهما قصمه (انتهى النقل).

قال ابن عبيد الله وإذا كان هذا لسان حال العلويين فكيف يتأتى لومهم واتهامهم بالقدح في التوحيد؟ بل إن بعض العلويين مثل سيدنا الحبيب علوي بن سقاف الجفري وكان من أكابر العلماء المحققين المختصين بسيدنا الإمام حسن بن صالح البحر كان كثيراً ما ينزع إلى مشارب الوهابية، وكان من أكثر العلويين إعظاماً لشيخ الإسلام ابن تيميه وتلميذه ابن القيم، وأوفرهم نظراً في كتبهم يترسم بذلك طريقة شيخيه، وأولهما شيخ العلويين

بأسرهم، وهو السيد أبو بكر بن عبد الله الهندوان، والثاني هو العلامة الشهير القاضي محمد بن علي الشوكاني[١].

وقال ابن عبيد الله ولي في التوسل والاستغاثة رسالة ضافية ابتعدت فيها عن طرفي الإفراط والتفريط، واعتمدت فيها النقل عن العلامة ابن تيميه وتلميذه ابن القيم، لأن كلامهما أوضح حجة في الموضوع على من يتطرف فيه.

قال ابن عبيدالله وكان الأمير عبدالله غرامة مع ذلك شديد الاحترام لسيدنا الحسن بن صالح البحر مع خشونته له، وكان أيضاً كثير التعلق بفريد عصره الإمام أبي بكر بن عبدالله الهندوان الذي يقول فيه الجنيد: كان جامعاً لجميع العلوم المنطوق منها والمفهوم، وكان أفقه أهل عصره يرجعون إليه في الفتاوى، ولا يقدر أحد من علماء وقته أن يخالفه، مع زهد في الدنيا وتواضع وعدم مبالاة بنفسه، يخدم أهل بيته بيده، ويحب المساكين ويرحمهم، وكان قليل الدنيا، وكثيرها عنده قليل، ينفق ما بيده ولا يدخر لغد، والغالب عليه العزلة، وكان شيخه الحبيب حامد بن عمر يعظمه ويبجله، ووقع عليه امتحان من بعض يافع حتى أنهم تعرضوا لقتله لما ظنوا من تعليمه لعبدالله غرامة في أمور التوحيد حتى زال من البلاد إلى بيت جبير (انتهى)[٢].

وقال ابن عبيدالله[٣] كما كان لغرامة عدة أصحاب من خيرة العلويين ومراجيح رجالهم، منهم السيد الجليل عبدالرحمن بن أبي بكر المشهور، والد شيخنا العلامة علوي بن عبدالرحمن المشهور، ومنهم السيد الفاضل الجليل حسين بن عبدالرحمن بن سهل، فقد كان غرامة يحتفي به ويفديه بروحه، ولا يخرج عن إشارته، وبلغ به الحال أن تنازل له عن البلدية

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثاني / ١ صفحة١٢١.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثاني ١٢٥.

(٣) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثاني ١٢٥.

والمالية، لولا أن خاله الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر لام ابن سهل على الدخول في ذلك، وعاتبه بقصيدته التي يقول فيها:

يا حسين اعلم أن الشيطنة قد لها نـاس	قد لها ناس قاموا في بناها عـلى سـاس
دأبهم في بحور الشر من كاس لاكاس	خلها فكها واندق بهـا فـوق لنجـاس

هذا ولا يوافق علماء العلويين على ما يفعله بعض العامة والجهلاء من التمسح بالقبور، كما يدل على ذلك ما ذكره الجد العلامة الفقيه علوي بن عبدالله السقاف حين قال: (أخبرني الوالد النجيب حسين بن محمد بن هادي السقاف أنه حضر مجلس فقه بمسجد طه يتصدره الأخ عبد القادر الروش، فجرى البحث في تقبيل القبور والتمسح بها، وأن ابن حجر يقول بكراهيته، ثم ذكر أنني لم أطلع على كلام الرملي إلا من الروش، ثم راجعته ووجدت الشبراملسي علق عليه بأن لا يفعله من يقتدي به، خوفاً من أن يعتقده العامة ويغالون فيه، كما الواقع، وقال حسين إن والده الحبيب محمد بن هادي السقاف (١٢٩١-١٣٨٢هـ) على كبر مشهده في الرجال وحسن اعتقاده فيهم لا يعمل شيئاً من التقبيل والتمسح بقبورهم مهما بلغ صيتهم، اعتماداً لما قاله الفقهاء، وأنه زار معه مرات المهاجر وغيره منفرداً ومع جماعه فلم يره يعمل شيئاً من ذلك[١].

هذا وقد تكون زيارة القبور مفيدة بشكل غير مقصود، فقد زار أحد العلويين المقيمين ببريطانيا حضرموت وزار بها عدد من المقابر، وأخذ لها الصور الفوتوغرافية، ولما عاد من رحلته ووصل مطار لندن سأله مسئول الأمن بالمطار، وكانت في نفسه ريبه من زيارته اليمن في عصر الإرهاب، فسأله ماذا كنت تفعل في اليمن؟ فأجاب: كنت أزور المقابر. فلم يقبل مسئول الأمن هذا الجواب، وأمر بتفتيشه تمهيداً لتوقيفه فوجد في شنطته البوم صور، ولكنها

---

(١) علوي بن عبدالله السقاف السيرة الذاتية.

كلها صور للمقابر والقبور، فعلم صدقه وأخلى سبيله، وهو يستغرب قضاء الإجازة في زيارة القبور.

ولا يتوسل العلويون بمن هم في المقابر عند حدوث النوازل، يدل على ذلك أنه لما حصل جدب بسيؤون، واشتكى الناس نقص الثمار وهلاك الأنعام، ذهبوا إلى الحبيب علي بن محمد الحبشي يطلبون منه أن يتوجه إلى الله بالدعاء فأحالهم على الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي لما علم بوجوده بسيؤون، فبات الحبيب عيدروس بن عمر ليلته مصلياً داعياً شاكياً إلى الله حتى ظهر سحاب زاد فيما بعد حتى أمطرت السماء، وارتوت الأرض، وصدق فيه قول الشاعر:

فإذا جفي الغيث البلاد وأمسكت — أن تستهل على الثرى قطراته
رمق السماء بعينه فتبجست — أنواؤه وتنزلت بركاته
فاستنزلوا حاجاتكم بدعائه — إن الحبيب مجابة دعواته

وقد يظن البعض أن في هذا بدعاً من الأمر لا يوافق السنة النبوية، إلا أن الأمر ليس كذلك لأن فقيه الإسلام الأكبر سيدنا عمر بن الخطاب كان يستسقي بعد وفاة رسول الله بعم رسول الله العباس بن عبدالمطلب رضوان الله عليهما، وذكر ابن العماد في شذرات الذهب في أخبار سنة سبع عشرة للهجرة وفيها استسقى عمر بالعباس رضي الله عنهما فسقوا، وفي سقياهم بالعباس يقول العباس بن عتبة بن أبي لهب:

بعمي سقى الله الحجاز وأهله — عشية يستسقى بشيبته عمر
توجه بالعباس في الجدب راغباً — إليه فما إن رام حتى أتى المطر
ومنا رسول الله فينا تراثه — فهل فوقها للمفاخر مفتخر[1]

(١) الإمام شهاب الدين أبي الفلاح (ابن العماد) شذرات الذهب دار ابن كثير صفحة ١٦٤-١٦٥.

أما مسألة التوسل فهي مسألة طويلة تحتاج إلى بحث موسع ليس هذا الكتاب بمكانه، ولكنى أشير إلى ما لخصه العلامة ابن عبيدالله في المعجم في هذا الموضوع بعد أن ذكر أن السيد أبوبكر بن عبدالله الهندوان وهابي قح، وأن عند مولانا الحبيب حسن بن صالح البحر مسحة من تلك الآراء بغاية الاعتدال لموافقتها، لما هو فيه من الاستغراق في التوحيد، وعدم التفاته إلى غير الحميد المجيد، قال ابن عبيدالله: وما كان سيدنا البحر ومن على شاكلته ليخرجوا عن حد الاعتدال أو يكفروا أحداً إلا بعد ثبوت الكفر والإصرار عليه بعد الاستتابة، مع أنهم ينكرون إنكاراً شديداً على القبوريين حسبما قاله لسان حالهم الشيخ عبدالله بن أحمد باسودان في غير موضع من كتبه[١].

ويقول ابن عبيدالله: ولي في التوسل والاستغاثة رسالة ضافية الذيل، ابتعدت فيها عن طرفي الإفراط والتفريط، واعتمدت فيها النقل عن العلامة ابن تيميه وتلميذه ابن القيم، لأن كلامهما أقوي حجة في الموضوع على من يتطرف فيه[٢].

بل إن ابن عبيدالله يحارب البدع المنافية للدين ويقول: ومنذ أيام أنشأت رسالة في تزييف ما شاع عندنا من تعظيم يوم عاشورا، وإظهار السرور فيه، وقراءة أحاديث وحكايات في فضله لا يقبلها إلا سفيه[٣] (انتهى).

وقال بن عبيد الله: ورأيت للسيد محمد بن أحمد الأهدل سياقه توافق ما هم عليه (أي العلويين) منها أن طلب التوجه إلى الله في المهمات من الأولياء، مع اعتقاد برأتهم من الحول والقوة والاتصاف بالعبودية المحضة، جائز وهو معنى التوسل، ولكنه لا يكون إلا عند ضعف اليقين، والأولى للمؤمن القوي الإيمان أن لا يجعل بينه وبين الله واسطة، فقد قال تعالى:

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مكتبة الإرشاد صنعاء صفحة ٣٥١-٣٥٢.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثاني/ ١ صفحة ١٢٣.

(٣) علوي بن عبدالقادر السقاف تحقيق الفرق صفحة ٦٠.

﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ وقد كان ﷺ لا يستعين إلا بالصبر والصلاة، ومتى حز به أمر فزع إلى الصلاة. أما الأولياء فإنهم مع وجاهتهم وقرب دعائهم من القبول ـ ضعفاء فقراء لا يملكون لأنفسهم ـ فضلا عن غيرهم ـ نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً[١] (انتهى).

وقد عاش العلامة ابن عبيدالله حياته يحارب هذه الاتجاهات بين العلويين وغير العلويين حتى امتلأت كتبه بالكثير من الكلام في هذا الموضوع.

❋ ❋ ❋

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مكتبة الإرشاد صنعاء صفحة ٣٥٢.

الفصل السابع والثلاثون

العلويون وقصة المولد النبوي



ومن نشاطات العلويين المحبّبة قراءة قصة المولد النبوي في جو وقور وفي سكون وخشوع حيث يتلو القارئ قصة السيرة النبوية، بينما يصغي الحاضرون كباراً وصغاراً إلى القراءة. وقد كثر الاتجاه إلى قراءة الموالد في مناسبات العلويين من زواج أو وليمة تسمية المواليد، وما إلى ذلك، وهم يهدفون بذلك لأن يكون المجلس مجلس ذكر يشترك فيه جميع الحاضرين دون أن يترك المجال إلى اللغو والكلام غير المفيد.

ولعل شبابنا وشاباتنا يحتاجون في هذه الأيام أكثر من غيرها إلى قراءة سيرة الرسول الأعظم ﷺ، حيث فشت بينهم الملهيات، وكثرت بينهم المغريات، وشاعت المفسدات من كومبيوتر وتلفاز وشبكة انترنت، وكلها تتواصل عروضها بالليل والنهار.

وتختلف قراءة الموالد عند العلويين اختلافاً كلياً عن الموالد التي تقام في مصر وباقي البلاد العربية، ولا تتشابه معها إلا في التسمية. وسنورد في هذا الفصل وصفاً لمولد سيدنا الحسين، كما ذكره أبو الحسن الندوي عند زيارته مصر في سنة ١٩٥٠م وعلق عليه بعدم الرضا. ومن هذا الوصف يظهر لنا البون الشاسع بين الموالد التي يقيمها العلويون والموالد الأخرى في مختلف البلاد الإسلامية والتي يمكن أن يدخل بعضها في دائرة البدع المذمومة.

زيارة الاحتفال بمولد سيدنا الحسين [١]:

قال أبو الحسن الندوي[٢]: توجهنا إلى مسجد سيدنا الحسين والطرق كلها مكتظة بالسابلة وزائري المسجد والمتفرجين حتى خفنا على أنفسنا من الزحام، فأخذ بعضنا بيد بعض، وعلى مشقة وجهد قربنا إلى المسجد فوجدنا حلقة ذكر قائمة على الشارع هي بفرقة رياضية أشبه منها بجماعة أهل الذكر، وسمعنا أنهم من المنتسبين إلى بعض الطرق، قال الشيخ عثمان سنرجع إليهم، وتقدمنا إلى (أم الغلام) المحسنة التي جاءت برأس الحسين رضي الله عنه، كما

---

(١) أبو الحسن علي الحسني الندوي، مذكرات سائح في الشرق العربي، صفحة ٦٨.

(٢) أبو الحسن علي الحسني الندوي، مذكرات سائح في الشرق العربي، صفحة ٦٨.

يعتقد كثير في مصر. ومررنا في طريقنا إليها بكل نوع من أنواع الملاهي والبهلوانية، وكل صنف من أصناف الدكاكين والباعة، والزحام لا حدَّ له، والأصوات والغلبة لا نهاية لها، وفيها من يجري في وسط الزحام بنار مشتعلة لا يبالي بال، ويدخل شبان فيدفع بعضهم بعضاً حتى يكون قطار يشق طريقه في هذا الزحام، وهنا شممنا رائحة الخمر ورجعنا أدراجنا، ووصلنا إلى باب المسجد فرأينا حلقة ذكر قائمة، ورأينا حركات رياضية مجهدة وهم في ذلك يذكرون الله ويخرجون النفس من أنوفهم بقوة لا يقدر عليها ضعيف، وينحنون إلى نصف القامة ثم يقفون كبعض الأعمال الجمبازية، وشيخ الحلقة هو شاب محلوق اللحية لابس طربوشا ينشد قصيدة لأحد أصحاب الطرق في الزجل وفيها ما معناه «لو وضعت سري على الجبال لصارت دكاً، ولو وضعت سري على البحار لأصبحت قاعاً صفصفاً، ولو وضعته على ميت لعاش بإذن مولى الموالي»، أو ما يقرب من معناه. وبينا نحن في ذلك وحركة الذكر قائمة على قدم وساق ووطيسه حام، إذ تواجدت امرأة مسنّة فعانقت الرجال وغلبت على أمرها وسمعت واحداً يقول «تحب النبي»، وسمعنا أنهم أصحاب الطريقة الثناوية الأحمدية، ورأينا في ركن من أركان المسجد حلقة ثانية قالوا هذه الطريقة البيومية.

ولقصص الموالد التى يقرأها العلويون تأثير عجيب على الناس كما سنرى في هذا الفصل وقد أسلم كثير من الجاويين بعد حضورهم الموالد التي يقيمها العلويون بالجزر الإندونيسية مثل موالد الحبيب علي بن عبد الرحمن بن عبد الله الحبشي والذي سنذكره فيما بعد.

ومن الموالد الشهيرة بحضرموت المولد الذي بدأه الحبيب علي بن محمد الحبشي بسيؤون ولا زال يقيمه أحفاده إلى اليوم، وهي موالد مقتصره على الرجال يحفها الوقار والسكون، وتتخللها بعض المدائح النبوية، يحدوها الحداة بأصوات شجية تبعث الرقة في القلوب، كما تستقطب الجموع من عامة الناس وخاصتهم للحضور، ولهذا ينتهز العلويون هذه الفرصة للقيام بالوعظ والإرشاد أثناء المولد.

وتدل القصة التالية على استفادة العلويين من اجتماع الناس في الموالد للقيام بوعظهم وإرشادهم فقد ذكر السيد أبو بكر المشهور في كتابه لوامع النور أنّ الحبيب علوي بن عبد الرحمن المشهور مرّ وهو في طريقه للشحر على قرية (حقب) فصادفه بها عرسٌ، وكان البدو مجتمعين على لهوهم ورقصهم رجالاً ونساءً، وقد حل الظلام وأشعلوا النيران للقهوة والرشب (الشيشة)، ولما قعدوا للاستراحة وانشغلوا بالحديث والقهوة، تلطف الحبيب علوي فشق الطار من طرفه، وأخرب المزمار، فلما عجزوا عن استكمال الطبل والزمر قال لهم الحبيب علوي: لقد أراد الله لكم الليلة في هذا الزواج المبارك مولداً نبوياً تسمعونه حتى يصلح الطبل والمزمار، فطلب منهم جمرة وضع الحبيب علوي عليها الدخون وبدأ في قراءة المولد النبوي، ثم ذكرهم بالله مذاكرة مؤثرة حتى استأنست أرواحهم وثابوا، حتى أنهم لما صلح الطبل والمزمار فيما بعد لم يقبلوا إلا التعليم والتذكير (انتهى باختصار)[١].

وذكر بن عبيدالله أنّ للسيد علوي بن عبد الرحمن المشهور (١٢٦٣-١٣٤١هـ) مؤلفات وأشعاراً منها نظمه لقصة المولد الشريف[٢].

وكان العلويون من سكان المدينة المنورة يقيمون موالدهم في الحجرة الشريفة بالحرم النبوي، وذكر ذلك الحبيب شيخ بن محمد الحبشي أثناء وجوده بالمدينة المنورة سنة ١٣٠٨ هـ، وقبل القيام برحلته للشام وتركيا على خط حديد الحجاز، فقال: «وفي يوم اثني عشر ربيع الأول أقيم المولد النبوي الذي أنشأه أخونا قطب حضرموت السيد علي بن محمد الحبشي في الحجرة الشريفة وحضره جمع غفير من أهل المدينة»[٣].

وقال المستشرق سرجنت: «ويذكر أنه قبل ثلاثمائة سنة دخل الشيخ الفاضل علي باراس إلى الحرم المدني يتبعه حشد من الناس، وقاموا بأداء مولد حافل دعا إليه أعيان المدينة

---

(١) أبو بكر المشهور، لوامع النور، صفحة ٧٢.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صفحة ٥١٣.

(٣) عبد الله محمد الحبشي، الرحالة اليمنيون، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٢٤٨.

بعد أن قام بجمع الحضارمة الموجودين هناك وحداهم بقراءة مولد (شرف الأنام) محافظا على الأداء بالطريقة الحضرمية في الإنشاد، وقد عمت النشوة والسعادة جميع المشاركين، وعاد سكان المدينة إلى بيوتهم، وقد امتلأت صدورهم بمشاعر الإعجاب بتلك الألحان الرائعة)[١].

وقد أدهشني ما عرفت من تأثير موالد العلويين حتى على الأعجام من الأتراك الذين لا يعرفون اللغة العربية، فقد ورد في رحلة الحبيب شيخ بن محمد الحبشي إلى الشام وتركيا ومصر والتى بدأها مستقلاً خط حديد الحجاز سنة ١٣٠٨هـ من المدينة المنورة ما يلي[٢]: فوصل القطار تبوك على ليلتين من المدينة المنورة حيث نزلنا بها للحجر الصحي (الكرنتينه).

وقال «والرئيس الكبير صاحب الكرنتينه هو إسماعيل أفندي أحبّنا حباً شديداً، وصار يتردد علينا ويقضي أغراضنا ويصلي معنا الجماعة. وفي إحدى الليالي طلب منا قراءة المولد النبوي (فاجتمع في الخيمة خلق كثير ثم إنّا شرعنا في قراءة المولد) ووقع حضور تام، وبعد انتهاء المولد قام الحبيب شيخ وخطب فيهم، قال (ودعوناهم إلى الله ووعظناهم).

وقال مؤلف كتاب الرحالة اليمنيون «وهكذا لم يشأ الرحالة أن يترك الفرصة تمرّ عليه دون أن يدعو هؤلاء الجند إلى الله ويحثهم على ملازمة الفروض المكتوبة إلى غير ذلك» [٣].

وذكر السيد حسن بن عبد الله الكاف الذي استقل خط حديد الحجاز من حيفا إلى المدينة المنورة سنة ١٣٣٠هـ فقال: «فلما كانت الساعة الثامنة من الليل تحرك القطار مقلاً المسافرين إلى حبيب الزائرين ومنتهى آمال القاصدين»، ثم قال: «وفي ليلة الجمعة ١٤ من شهر القعدة قرأنا المولد النبوي (بالقطار أثناء الرحلة) فداخلت الأرواح نشوة الأفراح، ولما سمع بالتلاوة بعض الأتراك المأمور بنقلهم إلى معركة الحرب البلغارية جاءوا إلينا لسماع الأوصاف النبوية، فظهرت عليهم آثار الوجدان لسماع تلك الشمائل الحسان، وحين انتهت

---

(١) روبرت سرجنت، نثر وشعر من حضرموت، ترجمة سعيد محمد دحي، صفحة ٨٧.

(٢) عبد الله محمد الحبشي، الرحالة اليمنيون، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٢٤٩.

(٣) عبدالله محمد الحبشي الرحالة اليمنيون مكتبة الارشاد صنعاء صفحة ٢٤٩

القراءه شرع شاب منهم في التذكير بالصلاة على البشير النذير ﷺ بنغم حسن يثير الشجن، فأشرنا إليهم أن يسمعونا آيات من كتاب الله تعالى، فشرع أحدهم في تلاوة عمّ يتساءلون وحبرها تحبيراً يسلي المحزون فسبحانه من خبأ سره في عباده وعلى وجوههم آثار الشجاعة والحماسة وهم ذاهبون إلى المدينة الشريفة ومنها إلى الآستانة العلية، ثم قال الكاف: ولما انتصف الليل وقفت بنا السكة في تبوك»[١].

وذكر المستشرق سرجنت أنه تقرأ بحضرموت ثلاثة كتب لقصة المولد النبوي وهي مولد الديبعي وهو ذو عبارة جزلة، ومؤلفه من بلدة ديبع باليمن، ومولد شرف الأنام للحريري، ويقرأ في المناسبات الكبيرة، ويحتوي على أكثر من عشرين قصيدة في مدح النبي، ولكل قصيده لحن حضرمي بهيج يردده المنشدون[٢]، وهناك أيضاً مولد البرزنجي وهو من أهل البيت المقيمين بالمدينة المنورة.

وقد ألّف الحبيب علي بن محمد الحبشي قصة المولد المعروف بسمط الدرر سنة ١٣٢٧ هـ، وقد قال الحبيب علي في مكاتبة له من سيؤن إلى أخيه العلامة حسين بن محمد الحبشي مفتي الشافعيّة بمكة ما يلي: «وقد ألّفنا هذه السنة نبذة في ذكر مولد المصطفى سميناها «سمط الدرر في أخبار مولد خير البشر» جاءت على أسلوب حسن تبعث في المحبين كامل الشجن من التعلق بجد الحسن . وقد رتبنا قراءتها ليلة الجمعة من كل أسبوع على المعتاد وانتشرت كثيراً في أطراف البلاد» [٣]، وقد انتشر مولد سمط الدرر في حضرموت كلها وانتشر في بلاد الحرمين وإندونيسيا وأفريقيا وظفار واليمن[٤].

ومن كلام الحبيب علي بن محمد الحبشي في وصف الموالد التى يقيمها «وقد كانت

---

(١) حسن بن عبدالله الكاف رحلة وديوان صفحة ١٠٠

(٢) روبرت سرجنت نثر وشعر من حضرموت ترجمة سعيد محمد دحي صفحة ٨٧

(٣) طه حسن السقاف، البحر الملي، صفحة ١٨٢.

(٤) طه حسن السقاف، البحر الملي، صفحة ١٨٢.

تجتمع في أيّام الموالد نحو ثلاثين ألف نفر وكلهم أتولى نفقاتهم ونفقات بهائمهم، ويقيمون عندي ثلاثة أو أربعة أيام، ومبسوط غاية البسط بهم، وربي سبحانه وتعالى عودنا الجميل»[١].

وفي إندونيسيا يقيم السيد علي بن عبد الرحمن بن عبد الله الحبشي الموالد الكبيرة، ذكره بن عبيدالله في المعجم فقال: إنّه ولد بجاوا في حدود سنة ١٢٨٦هـ، وخرج إلى حضرموت سنة ١٢٩٨، وأخذ عن أراكينها، وأقام مدة خمس سنوات ببور يطلب العلم ويتردد إلى مدائن حضرموت للأخذ والتلقي، ثم عاد إلى جاوا وحج أربع مرات، الأولى سنة ١٣١١هـ.

ثم قال بن عبيدالله: ولا يزال له بجاوا شأن عظيم وله لسان في الوعظ باللغة الجاوية، وانتفع به خلائق وأسلم على يده الكثير، ولا يزال ناشراً الدعوة إلى الله، وله تواضع وخلق حسن ودمعة غزيرة [٢].

وتقام الموالد بالطريقة العلوية في الهند أيضاً، فقد ذكر الداعية الشاب السيد محمد بن عبد الرحمن السقاف احترام الهنود وحتى الهندوس منهم لمقام الحبيب شيخ بن محمد الجفري المتوفى بكاليكوت من بلاد الهند سنة ١٢٢٢ هـ[٣]، الذي كان له تلاميذ ومريدين لا عداد لهم، ولا سيّما بالمليبار من أرض الهند، ولا زال مقامه بالهند كثير الازدحام بالزائرين حتى من غير المسلمين، وذكر السيد محمد بن عبد الرحمن بأنه حضر مولداً بمقام الحبيب شيخ بالهند أقيم على الطريقة العلوية وزاد عدد حاضريه على نصف المليون شخص.

وذكر المستشرق سارجنت الموالد المقامة بحضرموت فقال «ويحتوى كتاب المولد واسمه (شرف الأنام) على أكثر من عشرين قصيدة في مدح النبي ﷺ، ولكل قصيدة لحن حضرمي بهيج يردده المنشدون دائما، وقال: وفي يوم مولد الرسول في شهر ربيع الأول يجتمع

---

(١) طه حسن السقاف، البحر الملي، صفحة ٤٠٩.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مطبعة الإرشاد، صفحة ٤٤٤.

(٣) عبد الله بن محمد السقاف، تاريخ الشعراء الحضرميين، الناشر مكتبة المعارف بالطائف، الجزء الثاني، صفحة ٢١٨.

الناس لقراءة المولد، وعادة ما يكون مولداً قصيراً اسمه (مولد الديبعي)، أما في المناسبات الكبيره فيقرأ (شرف الأنام)، ويستغرق ذلك اليوم بأكمله (نهاراً كاملاً)، ويجتمع الناس في جامع تريم قادمين من المناطق المحيطة حيث يبدأ المولد قبل شروق الشمس[١].

وذكر سرجنت المشائخ آل باحرمي، فقال: وأفراد هذه العائله هم الذين يقرأون (شرف الأنام) ويعرفون أنغامه، وهم بالفعل مرتلو القرآن في مساجد تريم، وعند تجمع الجمهور يشرعون في نشيد المولد، كما يقرأ المولد أحياناً في مناسبات الزواج للتبرك[٢].

والجدير بالملاحظة أن الإنشاد الديني قد انتشر في الأيام الأخيرة حتى في الأوساط التي كانت تنكره إلى وقت قريب. وقد عرف الجميع اليوم وقع هذه الأناشيد الجميلة على النفوس حيث تتركز في غالبيتها على مدح الحبيب المصطفى ﷺ وذكر محاسن الأخلاق، وهذه الأناشيد الحديثة المنتشرة هذه الأيام لا تختلف في صيغتها عن الأناشيد التي تنشد في الموالد التي يقيمها العلويون.

ومن الأمور التي قد يستنكرها بعض الناس في موالد العلويين مسألة القيام عند الوصول في الرواية إلى ولادته ﷺ حيث يقوم الحاضرون احتراماً لهذه المناسبة العظيمة التي غيرت وجه الإنسانية ونقلت البشرية إلى أرقى طور من أطوارها، حيث ينشد المنشد في أثناء هذا القيام قصيده في مدح الرسول ﷺ والحاضرون ينصتون ويكررون في سكون ووقار.

وقد ذكر بن عبيدالله هذه المسألة في حوار له مع مجموعة من المعترضين فقال: إنه أثناء زيارته للسيد محمد بن علي الإدريسي بصبيا سنة ١٣٤٠هـ كان يزوره وفد ممن ينكرون المولد، وكان الإدريسي ينتظر ضيفاً نصرانياً، قال بن عبيدالله في بضائع التابوت «وهناك جرت بيننا وبينهم عدة محاورات منها انتقادهم على أمثال الحضارمة القيام عند ذكر ولادة

---

(١) روبرت سرجنت، نثر وشعر من حضرموت، ترجمة سعيد محمد دحي، صفحة ٨٨.

(٢) روبرت سرجنت، نثر وشعر من حضرموت، ترجمة سعيد محمد دحي، صفحة ٨٨.

النبي صلى الله عليه وآله وسلم عندما تقرأ قصص الموالد وطال الكلام بيننا في ذلك من دون اقتناع حتى قلت لهم: إنّ أحد النصارى قادم عليكم الآن فإن لم تقوموا تركنا قيام المولد وإلا فلا تلومونا على القيام للنبي إذا قمتم للنصراني، فما أتممت كلامي إلا ودخل النصراني ومثلوا له قياماً بدون رغبة ولا رهبة، فكانت الفيصولة وتقنعوا حياءً، غير أنّ الشريف الإدريسي لامني وقال: كان الأولى أن لا تذكر القيام للنصراني إلا بعد وقوعه وإلا فما الذي يؤمنك أن يتواطؤوا على ترك القيام حتى لا تلزمهم الحجة، فقد أعنت على نفسك بكشف الأمر ولكن جاء التوفيق»[1].

إلا أنّ قراءة المولد في أول مسجد أقامه العلويون بتريم والمعروف بمسجد باعلوي لا يشمل القيام المذكور لأنّ لهذا المسجد خصائص تميزه عن غيره من المساجد كما ذكر ذلك بن شهاب في كتابه عن تريم، وهي الابتعاد عن المسائل الخلافية بين أئمة المسلمين، ولهذا لا تدخله الجنائز بل يصلى عليها خارج المسجد لقول الأحناف بالنجاسة، وكذلك عدم القيام أثناء قراءة المولد الشريف، كما أنّ من خصائص هذا المسجد المواظبة على ركعتي قبلية العشاء وقراءة صحيح البخاري في الحديث[2].

ومع إنّ أكثر الموالد المقامة بحضرموت تخلو من اختلاط الرجال بالنساء إلا أنه قد يقع ذلك في بعضها، خصوصاً في البوادي، حيث لا ينفصل الرجال عن النساء في الحياة العامة انفصالاً كاملاً، وذكر بن عبيدالله المولد الذي يقام بقرية المشهد بحضرموت فقال: «وهذا المولد من أقل الموالد بدعاً ومفاسدَ إلا ما قد يقع من كثرة النساء فيه ولكن لم يشتهر عنه فساد»[3].

وختاماً لهذا الفصل أقول بأنه ما أحوجنا اليوم إلى تذكير أبنائنا وبناتنا بسيرة الحبيب

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ١٣٦.

(٢) أحمد عبد الله بن شهاب، تريم بين الماضي والحاضر، الجزء الأول، تريم للدراسات والنشر، صفحة ٦٤.

(٣) علوي بن عبد القادر السقاف، تحقيق الفرق، صفحة ٣٩.

المصطفى ﷺ وتكرارها وإعادة سردها في كل زمان ومكان خصوصاً في هذا في الوقت الذي يتعرض فيه نبينا ﷺ من أعداء الإسلام لعداوة ظاهرة متكررة، وليس أقرب إلى تجميع قلوب هؤلاء الشباب وجذبهم غير النشائد الدينية والتي انتشرت بحمد الله في كل مكان واتفق الجميع تقريباً على عدم ممانعتها، بل وأصبحت تعقد مسابقات الإنشاد الديني وتستقطب الجموع من الشباب والشياب والكهول.

مقال ملحق الرسالة لجريدة المدينة السعودية عن المولد

عدد الجمعة ١٠ ربيع الثاني ١٤٢٨هـ الموافق ٢٧ أبريل ٢٠٠٧م

وحتى تكتمل الفائدة فقد أحببت أن أورد المقال التالي من جريدة المدينة دون أي نية منّي للنقاش في الموضوع لإيماني بعدم التعرض للأمور الخلافية بين مذاهب المسلمين والتي يتوجب تركها للعلماء والفقهاء، وأنا لست منهم. عنوان المقال: «مناقشة شرعية هادئة لكل شبهات واعتراضات من يرى بدعية المولد النبوي».

قال الكاتب: يصر الفريق المخالف أن الاحتفال بالمولد بدعة لا دليل شرعي عليه، وهذه مسألة مرتبطة بما قبلها، فما دام الأمر ليس عبادة فما الحاجة للبحث في الأدلة الشرعية، ثم إن المحتفلين عندما يأتون بأدلة إنما يسوقونها للدلالة على جواز الاحتفال وليس لإثبات أنها عبادة منصوص عليها.

كما يصر أهل المدرسة السلفية على أن المولد بدعة ويستشهدون بالحديث «كل بدعة ضلالة»، فيعتبرون كل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة هكذا على وجه الإطلاق.

لكن ما هي البدعة؟ هي ما أحدث على غير مثال سابق. روى البيهقي عن الشافعي قال «المحدثات في الأمور ضربان: أحدهما ما أحدث مما يخالف كتابا أو سنة أو أثراً أو إجماعاً فهذه البدعة الضلالة، والثاني: ما أحدث من الخير لا خلاف فيه لواحد وهذه محدثة غير مذمومة».

ولو أن هذا الكلام نسب إلى متأخري مدرسة المولد لتم اتهامهم دون تردد أنهم أتوا بما لا دليل عليه، ولم يقله أهل القرون المفضلة، لكن الكلام كلام للشافعي وهو بالتأكيد من القرون المفضلة (٢٠٤هـ) فهل يمكن أن نتهم الشافعي بأنه لا يفهم اللغة العربية أو لا يفهم الحديث. وهو يعد أحد أذكياء الدنيا. وهاكم أيضا كلام أحد أعلام الأمة ممن يصنف أنه من المدرسة السلفية إنه ابن رجب الحنبلي، يقول ابن رجب في كتابه «جامع العلوم والحكم» في تعليقه على حديث «كل بدعة ضلالة»: فكل من أحدث شيئاً ونسبه إلى الدين ولم يكن له أصل في الدين يرجع إليه فهو ضلالة والدين بريء منه، وسواء في ذلك مسائل الاعتقادات أو الأعمال أو الأقوال الظاهرة والباطنة (جامع العلوم ص٥٠١).

بل إن ابن رجب يذكر صراحة أن البدعة قد تكون حسنة «وكثيراً من الأمور التي حدثت ولم يكن قد اختلف العلماء في أنها هل هي بدعة حسنة ترجع إلى السنة أم لا؟ فمنها كتابة الحديث، نهى عنه عمر وطائفة من الصحابة ورخص فيه الأكثرون» (جامع العلوم ص٥٠٤).

وها هو الحافظ السيوطي يبني موقفه من المولد على أساس رأي الشافعي: يقول السيوطي: «وعمل المولد ليس فيه مخالفة لكتاب ولا سنة ولا أثر ولا إجماع فهي غير مذمومة كما في عبارة الشافعي»، بل إن الحافظ السيوطي حدّد موقفه من المولد مع وعيه الكامل أن المسألة لم تحصل في القرون المفضلة. يقول السيوطي: (وهو ـ المولد ـ من الإحسان الذي لم يعهد في العصر الأول فإن الطعام الخالي عن اقتراف الآثام إحسان، فهو إذن من البدع المندوبة كما عبر بذلك سلطان العلماء العز بن عبد السلام ..).

ثم أورد الكاتب مواقف بعض علماء المسلمين، فقال: إنّ أغلبية المسلمين يحيون هذه الذكرى بغض النظر عن الاختلاف في طبيعة الاحتفال، وأبرز علماء المسلمين اليوم يفتون بجواز الاحتفال بالمولد.

يقول الدكتور يوسف القرضاوي : هناك لون من الاحتفال ممكن أن نقره ونعتبره نافعاً للمسلمين ونحن نعلم أن الصحابة رضوان الله عليهم لم يكونوا يحتفلون بمولد الرسول ﷺ ولا بالهجرة النبوية ولا بغزوة بدر، لماذا؟ لأن هذه الأشياء عاشوها بالفعل وكانوا يحيون مع الرسول ﷺ، كان الرسول ﷺ حياً في ضمائرهم لم يغب عن وعيهم، كان سعد بن أبي وقاص يقول كنا نروي لأبناءنا مغازي رسول الله ﷺ كما نحفظهم السورة من القرآن بأن يحكوا للأولاد ماذا حدث في غزوة خيبر فكانوا يحكون لهم ماذا حدث في حياة النبي ﷺ فلم يكونوا إذن في حاجة إلى تذكر هذه الأشياء.

ثم جاء عصر نسي الناس هذه الأحداث وأصبحت غائبة عن وعيهم، وغائبة عن عقولهم وضمائرهم، فاحتاج الناس إلى إحياء هذه المعاني التي ماتت والتذكير بهذه المآثر التي نسيت، صحيح اتخذت بعض البدع في هذه الأشياء ولكنني أقول إننا نحتفل بأن نذكر الناس بحقائق السيرة النبوية وحقائق الرسالة المحمدية فعندما أحتفل بمولد الرسول فأنا احتفل بمولد الرسالة فأنا أذكر الناس برسالة رسول الله وبسيرة رسول الله.

ويرى الأستاذ فيصل مولوي نائب رئيس المجلس الأوربي للإفتاء والبحوث: أن ذلك جائز شرعاً ولو لم يكن له أصل بمعنى أنه لم يحتفل به الصحابة والتابعون ولا تابعو التابعين من أهل الفقه في الدين وهم خير القرون، ولكن لما جهل كثير من المسلمين صفات الرسول ﷺ وحياته وكيف كان يعيش حياة البساطة والتواضع والرحمة والشفقة وأصبحت محبة الرسول ﷺ في قلوب الكثيرين محبة سطحية جمع أحد سلاطين المسلمين العلماء وطلب من أحدهم أن يؤلف كتاباً يتناول حياة الرسول منذ الولادة إلى الوفاة وذكر أخلاقه الطيبة العطرة، وأقام لذلك احتفالاً مهيباً وصار الاحتفال بالمولد ذكرى استحبها كثير من العلماء وبقيت حتى يومنا هذا.

إلا أنه لا بدّ من القول إن هذا الاحتفال ليس نوعاً من العبادات التي يشرعها الله، ولكنه من أنواع العادات والأعراف التي يخترعها الناس ثم يأتي الشرع بإباحتها إذا لم يكن

فيها حرام، أو بمنعها إذا اشتملت على محرمات، وبما أن ذكرى المولد في الأصل تذكير بسيرة الرسول ﷺ وأخلاقه فهي مباحة وفيها من الأجر إن شاء الله ما لا يخفى.

ثم إذا أخذنا مسألة الإحداث والبدعة على وجه الإطلاق فأخشى أن معظم ما نعيشه في حياتنا اليوم سيكون من البدع والمحدثات الضالة فهل كان الصحابة رضوان الله عليهم ينظمون مسابقات للقرآن الكريم يجمعون لها أبناء المسلمين من جميع أنحاء العالم؟ وهل كانوا يمنحون الفائزين جوائز؟ وكذلك الحال بالنسبة للسنة والسيرة المشرفة. وهل كان عند الصحابة جامعات ومعاهد إسلامية بهذا الاسم؟ أو ليست الامتحانات والشهادات هي البدعة بعينها؟ وهل سمعتم أن صحابياً واحداً كان يقال له الدكتور. وهل سمعتم أن صحابياً أحرم في الطائرة وغير ذلك كثير..؟

ثم قال الكاتب: إن الكثرة ليست دليلاً، وقال أعرف أن إخواننا في مدرسة السلفية سيردون على هذه النقطة بأن الكثرة ليست دليلاً شرعياً بل إنهم يستدلون بالآية الكريمة ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

وأعتقد أن هذا اتهام خطير بأن نحكم على أغلبية المسلمين بأنهم أهل ضلال، لكن إن كانت الكثرة ليست دليلاً شرعياً فهل القلة هي بذاتها الدليل الشرعي، فالأصل أن الحق ثابت، قد يكون مع الكثرة كما أنه قد يكون مع القلة. ثم ختم مقاله بقوله إذا كان المحتفلون يحيون الذكرى فرحاً بمولده فلماذا لا يقيم الآخرون مأتما بهذه المناسبة ما داموا رأوا أن الحزن أولى.

أما النقاط الأخرى التي أشرنا إليها سابقا ضمن اعتراضات السلفيين مثل التشبه بالنصارى والجهل والتعصب واتهام الصحابة بعدم فهم مقاصد الشرع، فأظن أن أي إنسان يتسم بالحد الأدنى من الإنصاف والموضوعية والعدل لا يمكنه أن يصدق أن المسلمين يحتفلون بالمولد النبوي الشريف تعصباً أو جهلاً أو تشبهاً بالنصارى، فكيف أن يتهموا الصحابة بأنهم لم يفهموا مقاصد الشرع.

كلام خطير: لعل أخطر ما يؤخذ على إخواننا في السلفية قولهم إن الفرح إنما يكون بالمبعث والإسلام وليس بالمولد. يقول أحد هؤلاء «المولد نفسه ليست فيه المنة كما في بعث الرسول ﷺ ... إلى أن يقول: إذ أن الرسول عليه الصلاة والسلام قبل أن يوحى إليه ليس نبياً ولا رسولاً ولا تالياً لآيات الله ولا معلماً للكتاب والحكمة».

ويقول آخر: فالفرح هو بالإسلام والهداية ولم يذكر الله الفرح أبداً بالمولد في كتابه الكريم .. فليست الولادة المجردة هي النعمة المطلقة بل الهداية والإيمان والبعث..

أما نحن فنقول إننا نفرح بمولده بمجرد مولده وبمبعثه وبوحيه وبملته وبهجرته وشريعته وبكل أثر من آثاره عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ونحمد الله ونثني عليه أن خلقه وبعثه وهدانا به.

ونقول عن مولده ﷺ كما قال السيد أبو الحسن الندوي بعد أن ذكر أنه ولد يوم ١٢ ربيع الأول قال: فكان أسعد يوم طلعت فيه الشمس (السيرة النبوية ص٨٦)، ولكني أخشى أن يكون كُتَّاب السير من العصر الأول وحتى اليوم قد ابتدعوا عندما وصفوا لنا تفاصيل حياته ﷺ منذ مولده بل قبل ذلك إلى طفولته وفتوته ومكانته في قومه، فلعل ذلك من البدع ما دمنا لا يهمنا من حياته إلا البعثة المشرفة وما بعدها.

وأقول أخيراً لإخوتنا المعارضين: إن كل ما أريده هو أن يسلموا بأن الاحتفال بالمولد هو مسألة خلاف بين أهل العلم من شاء اتبع هذا الفريق ومن شاء اتّبع النهج الآخر والمسألة فيها سعة.

فلا يعقل أن يكون الشافعي لا يفهم معنى البدعة ولا يستساغ أن ابن رجب والعز بن عبد السلام وبن حجر والسيوطي بلغوا من الجهل أن أيدوا أو سكتوا عن الاحتفال بالمحدثات الضالة. ليأتي بعض المتأخرين ينبهونا على جهلهم. وكذلك بعض أجلاء المشايخ في عصرنا الحاضر لا بدّ أنهم يميزون ماذا تعني البدعة المذمومة.

وأتساءل أخيرا لماذا نضيع كل هذا الجهد في هذه المسألة التي لا تزيدنا إلا تشتتاً وفرقة في وقت نحن أحوج فيه لأن نجتمع ونتعاون ونتصالح وننظر إلى ما يجمعنا أكثر من نظرنا إلى ما يفرقنا؟ ألسنا كلنا من المسلمين؟ ألسنا كلنا من أهل السنة؟ إلا إذا أصر بعضنا على إخراج غالبية المسلمين من السنة..



بحث
حول أسباب التعرض بالسبِّ لرسول الله ﷺ

ورد في الحديث عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»(١).

وقد تكررت في صحف الغربيين هذه الأيام الإساءة المتعمدة إلى الحبيب المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم وإلى كتاب الله تعالى ومقدسات المسلمين لسبب خفي وعلة مبهمة. ولقد أعملت فكري محاولاً استنباط الهدف من هذا العمل الشنيع فلم أجد من سبب لذلك إلا الرغبة منهم في توليد رد من المسلمين المقيمين بين ظهرانيهم ليتعرفوا على الجماعات التي لم تندمج في مجتمعهم بحسب معاييرهم التي وضعوها لأنفسهم، وبالتالي تكون هذه الفئات مؤهلة للطرد في أيّة فرصة مواتية تحت أي تهمة من التهم. والهدف الثاني الأهم هو تهييج عوام المسلمين في البلاد الإسلامية بأعوان لهم يحرضونهم في الصحف الإسلامية على الردود المشاغبة العنيفة والتي يصورونها إذا حدثت آلاف الصور، ثم يختارون أبشعها ليعرضوه على شاشاتهم ليل نهار حتى يخيفوا شعوبهم من المسلمين ويهيجوا مشاعر شعوبهم ضد المسلمين، بما يساعد حكوماتهم على استمرار أعمالها العدائية ضد المسلمين والتي ربما لا توافقهم عليها هذه الشعوب لو لم يثيروهم بالطريقة السابق ذكرها، بل إنّهم قد يدسوا بين عوام المسلمين من يقود العامة إلى فعل أعمال العنف المستنكرة حتى تنجح خططهم وتؤتي ثمارها المرجوة.

---

(١) مختصر صحيح مسلم، تحقيق محمد ناصر الألباني، المكتب الإسلامي، صفحة ١٤.

وقد استعمل الروس هذه الأساليب في حربهم ضد الدولة العثمانية، فقد ذكر الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) مدحت باشا في كتاب أرسله للسلطان عبد الحميد سنة **١٢٩٤**هـ ما يلي[١]: «لا يخفى على رشادتكم أنّ الروس تتذرع بمسألة الشقاق الحاصل بين المسلمين والمسحيين لقلب أفكار أوروبا واستعمالها ضدنا فهي تحرك المسلمين ضد النصارى للوصول الى بغيتها واذا تخاصم الفريقان حركت دول أوروبا قائلة: انظري، الأتراك يقتلون المسيحيين، وهذا هو سلاح روسيا ضدنا».

ثم قال: «وهذا هو سلاحها الذي تفعل به ما لا تفعله بالسيف والمدفع»[٢]، وقال مدحت باشا أيضاً: «فهم يشتغلون ليلاً ونهاراً لتوليد الشقاق وحمل المسلمين على قتل عدد من الأجانب» [٣]. ثم قال: «وليعلم المسلمون في الآستانة وفي الخارج أنّ الروسيا لا تغلبنا بالسلاح بل بمثل هذه الأعمال»[٤].

ومع ألمنا الشديد من هذه الأذايا المتكررة على مقدسات المسلمين إلاّ أنه يجدر بالمسلمين الابتعاد عن ردود الفعل العنيفة التي ينتظرها ويتمناها أعداؤهم، والأفضل أن يكون الرد اقتصادياً بحتاً نمنع فيه أنفسنا عن شراء ما تهواه من منتجات البلاد التي تحارب ديننا وتعادي نبينا المأمورين بحبه أكثر من حبّنا للوالد والولد والناس أجمعين، وحبذا لو أصدرت الغرف التجارية العربية كتيباً معتمداً لمنتجات البلاد المختلفة المتوفرة بالأسواق العربية يكون متاحاً لجميع الناس حتى نكون على بيّنة مما يمكن أن نشتريه، وما يتوجب أن نمتنع عنه، ومن المعروف أنّ هذه الدول لا تتوجع في عصر العولمة إلا بليِّ ذراع الاقتصاد، ولعل في معرفتهم وجود هذا الكتيب رادعاً قوياً لمن يتجرأ بالشتم أو الرسم أو من يفكر بذلك مستقبلاً كما

(١) مدحت باشا، حياته مذكراته محاكمته، الدار العربية للموسوعات، صفحة **١٦٧**.

(٢) مدحت باشا، حياته مذكراته محاكمته، الدار العربية للموسوعات، صفحة **١٦٧**.

(٣) مدحت باشا، حياته مذكراته محاكمته، الدار العربية للموسوعات، صفحة **١٦٨**.

(٤) مدحت باشا، حياته مذكراته محاكمته، الدار العربية للموسوعات، صفحة **١٦٨**.

سيمنع هذا الكتيب المعتمد بعض التجار من النفي الكاذب أو الإشاعة المغرضة عن البضائع المنافسة.

وما قلنا سابقا يتفق مع التوجيه الإلهي بالتروي وعدم التسرع، وترك الأمور للمختصين القادرين على استنباط الخفايا، قال تعالى في الآيه **٨٣** من سورة النساء: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾.

قال الشيخ الشعراوي في تفسير الآية السابقة: «وهنا يوضح الحق لهم: إذا سمعتم أمراً يتعلق بالأمن أو أمراً يتعلق بالخوف فإيّاكم أن تذيعوه قبل أن تعرضوه على رسول الله ﷺ، أو تعرضوه على أولياء الأمر الذين رأى رسول الله ﷺ أن يعطيهم بعض السلطة فيه لأنهم هم الذين يستنبطون هذا يقال أو لا يقال»[1].

ويمكن أن يضاف إلى المعنى السابق الأمور التي يؤدي الاستعجال فيها وعدم ردها لولاة الأمر الذين يستنبطون خفايا الأمور إلى عواقب سيئة على المسلمين.

ثم لنتعرف كيف تصرف الرسول المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم عندما أوذي بالطائف أبلغ أذيّة. قال أبو الحسن الندوي في كتابه عن السيرة النبوية: «فلما قدم رسول الله ﷺ الطائف عمد إلى نفر منهم سادة ثقيف وأشرافهم فجلس إليهم ودعاهم إلى الله فكان ردهم شر ردّ، واستهزأوا به ﷺ وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به ويرجمونه بالحجارة، فعمد ﷺ إلى ظل نخلة وهو مكروب فجلس، وكان ما لقي في الطائف أشدّ ممّا لقيه من المشركين، وقعد له أهل الطائف صفّين على طريقه، فلما مرَّ جعلوا لا يرفع رجليه ألا رموها بالحجارة حتى أدموه وهما تسيلان الدماء، وفاض قلبه ولسانه بدعاء قال فيه: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين أنت رب

---

(١) الشيخ محمد متولى الشعراوي، تفسير الشعراوي، المجلد ٤، صفحة ٢٤٩٠.

المستضعفين وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني؟ أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي، غير أنّ عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك أو يحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بالله».

فأرسل الله له ملك الجبال يستأذنه في أن يطبق الأخشبين، فقال له رسول الله ﷺ: بل أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً»[١].

ثم نذكر ما حصل منه ﷺ تجاه المشركين لما فتح ﷺ مكة ودخل منتصراً على المشركين الذين آذوه وسبوه وحاولوا قتله، لكنه ﷺ بأخلاقه العظيمة لم يتشف منهم بعد أن أمكنه الله منهم، بل قال لهم كما قال سيدنا يوسف لإخوته: لا تثريب عليكم اليوم، قال لهم ﷺ: اذهبوا فأنتم الطلقاء.

وذكر الله تعالى في كتابه العزيز أنّ لكلّ نبي عدواً من الإنس والجن وأمر رسوله بالإعراض عنهم كما قال تعالى في الآية ١١٢ من سورة الأنعام: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾.

فهؤلاء الأعداء ليسوا مختصين بزمان أو مكان بل قد يظهرون في أي بلد من البلادوفي أي زمن من الأزمان كما نعاصره في أيّامنا هذه. ولا ننسَ أن سبَّ الرسول ﷺ يتكرر من الكفار والمشركين في كل عصر، فقد ذكر المؤرخ الحضرمي ابن حميد أنّه حصل في بندر بومبي بالهند سنة ١٢٦٧هـ أن أسلم خمسة من الهندوس (ويسميهم الفرس) وأشاع المسلمون إسلامهم فشق ذلك على الهندوس وكتبوا كتاباً ضمنوه سبَّ النبي ﷺ، فوقع الكتاب بيد المسلمين فشق عليهم ذلك مشقة عظيمة وامتلأوا غيظاً وغضباً، ودخلوا على الهندوس في محل

---

(١) أبو الحسن علي الحسني الندوي، السيرة النبوية، دار الشروق، جدّة، صفحة ١٤٧.

اجتماعهم وقتلوا منهم نحو ستين، فاشتكى الهندوس إلى الإفرنج (يقصد الإنجليز الذين يحكمون الهند) فأجابوهم: بأنّ ليس على المسلمين في ذلك جناح ولا حرج لسبكم نبيهم[١].

والإسلام هو دين الأخلاق الفاضلة والمعاملة الحسنة التي تعلمناها من أخلاق رسولنا المصطفى ﷺ وإرشاداته لنا وما ورد في كتاب الله الذي نهانا سبحانه وتعالى عن سب غير المسلمين كما ورد في الآية ١٠٨ من سورة الأنعام في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الآية.

ويخفف علينا ألمَ ما نعانيه هذه الأيام (٢٠٠٨) من الاجتراء على سيد الخلق رسول الأمّة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنّ الله توعد من يؤذي الرسول ﷺ بالعذاب الأليم والعذاب المهين، قال تعالى في الآية ٥٧ من سورة الأحزاب: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾. وقال تعالى في الآية ٦١ من سورة التوبة: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. وقال تعالى في الآية ٦٣ من سورة التوبة: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾. ومعنى يحادد أي يعادي.

وما دام الله سبحانه وتعالى قد توعد من يؤذي الرسول بالعذاب الأليم والعذاب المهين والخلود في نار جهنم فلْننمْ قريري العين لأنّ الله تعالى يمهل ولا يهمل.

وما هذه الإساءات الأوروبية المتجدّده للإسلام إلا بفعل حسد من عند أنفسهم بعد ما رأوا من الانتشار السريع للإسلام ببلادهم، ففي تحقيق لملحق الرسالة بجريدة المدينة السعودية [٢] حول هذه الإساءات الأوروبية المتعددة للإسلام قال الكاتب: إنّ الإسلام أخذ

---

(١) سالم بن حميد الكندي، تاريخ حضرموت، تحقيق عبد الله الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، المجلد الثاني، صفحة ٧١.

(٢) جريدة المدينة المنورة، ملحق الرسالة، الجمعة ٤ ابريل ٢٠٠٨، صفحة ٤.

ينتشر بأوروبا بأكثر ممّا كان عليه بالسابق فالإسلام هو الدين الثاني بأوروبا، ويصل معتنقوه إلى قرابة الخمسين مليوناً، وترافق مع هذا انتشار المساجد والمراكز الثقافية الإسلامية في ربوع العواصم والمدن الأوروبية الكبرى ما جعل الإعلام الأوروبي يسلط الضوء على خطورة هذه الظاهرة وتداعياتها، بل ظهرت تحذيرات من انحسار الهوية المسيحية أمام المد الإسلامي وذكرت مجلة السياسة الخارجية الأمريكية في أواخر ٢٠٠٦ إنّ المسلمين سيشكلون ٣٠٪ من سكان فرنسا خلال عشرين عاماً، وتوقعت صحيفة الإيكونومست أنّ يصل تعداد المسلمين إلى نصف تعداد روسيا خلال ٢٥ عاماً، أمّا هولندا فخلال ثلاثين عاماً سيصبح المسلمون أغلبية.

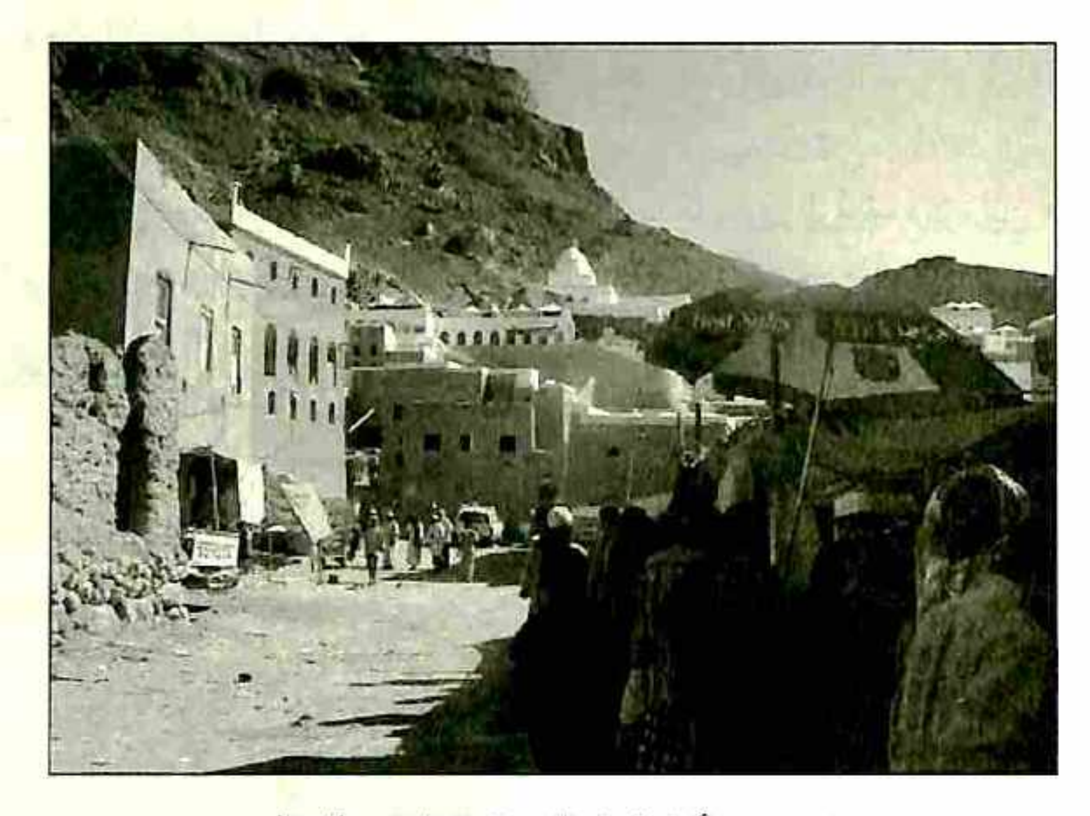
كما ذكرت مجلة (دير شبيجل) في عدد ٢٨ مايو ٢٠٠٥ أنّ الإسلام ينتشر بسرعة بين الهنود الحمر خاصة في جنوب المكسيك وقالت كونداليزا رايس مستشارة الأمن القومي الأمريكي في يوليو ٢٠٠٧ إن الإسلام أسرع الأديان انتشاراً.

وأعتقد أنّ العاقل سيحكم على النتائج، ولن يبادل السبَّ بالسبِّ كما أمرنا الله تعالى بذلك في الآية ١٠٨ من سورة الأنعام في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الآية.

* * *

الفصل الثامن والثلاثون

العلويون وزيارة شعب نبي الله هود



شعب هود أثناء الزيارة السنوية وتشاهد بسطات البيع

للعرب أسواق منذ الجاهلية، وهي منتديات أدبية كانت تقوم في الجاهلية والإسلام، وأدت دوراً مهماً في حياة العرب الدينية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية.

وأشهرها سوق عكاظ، وهو مكان بين مكة والطائف، وهو سوق أدب يجتمع فيها الشعراء من كل ناحية ولهم فيه محكمون، وفي عكاظ علقت القصائد السبع الشهيرات، وكانت هذه الأسواق أيضاً مكاناً لأصحاب الدعوات الإصلاحية وقد قصد الرسول الكريم صلى الله عليه وعلى آله وسلم هذه الأسواق وغيرها يدعو من كان يحضر المواسم إلى الإسلام، وقد بدأت هذه الأسواق بعد عام الفيل ببضع عشرة سنه، ثم تضاءل شأنها بعد سنة ١٢٩هـ بظهور حركة الخوارج[١].

ويقام في حضرموت اثنين من أسواق العرب أحدها سوق الرأبية، ذكره ابن عبيدالله نقلاً عن معجم البلدان عندما ذكر المكان المسمى (بالرأبية) وقال إنه كان يقام به سوق من أسواق العرب[٢].

أما سوق العرب الأهم بحضرموت فهو سوق مهرة ويسمى أيضاً سوق الشحر، ويقام تحت ظل الجبل الذي عليه قبر هود عليه السلام في النصف من شعبان، ولم تكن بها خفارة حيث تقوم المهرة بحفظ الأمن.

ومن الأسواق الأخرى سوق صحار في أول يوم من رجب، ثم يرتحلون منه إلى سوق دما، وهي من بلاد عمان.

ثم سوق عدن أول يوم من رمضان، ثم سوق صنعاء في النصف من رمضان، ثم تقام سوق عكاظ بأعلى نجد قريب من عرفات وهو أعظم أسواق العرب، تأتيه قريش، وهوازن،

---

(١) الموسوعة العربية العالمية المجلد الثاني صفحة ١٣٨.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مكتبة الإرشاد صفحة ٥٨١-٥٨٢.

وغطفان، وسليم، والأحابيش، وعقيل، والمصطلق، وطوائف من العرب، يبقون بها إلى هلال الحجة، ثم يأتون ذا المجاز وهو قريب من عكاظ.

وأول ما ترك من أسواق العرب سوق عكاظ، وقد ترك في زمن الخوارج بسبب انعدام الأمن والملاحظ لحركة هذه الأسواق أنها تتحرك حركة متسقة من أسفل حضرموت لأعلى نجد مروراً بعدن وصنعاء.

وما أردتُ أن أثبته في هذه المقدمة هو أن سوق الشحر بأسفل جبل هود كان سوقاً من أسواق العرب، ولعله الوحيد الذي لازال باقياً إلى اليوم في نفس موعده تقريباً بشهر شعبان، هو سوق لم يخترعه العلويون كما يتهمهم خصومهم، وإنما استفاد العلويون من وجود هذا السوق واستفادوا من استتباب الأمن في أيامه؛ لأجل الدعوة إلى الله وتوعية رجال القبائل بحضرموت بأمور دينهم ودنياهم.

ولا يمكن أن يضيع العلويون الذين يبذلون الجهود العظيمة لنشر الدعوة الإسلامية في فيافي وقفار حضرموت وفي خارج حضرموت مثل هذه الفرصة التي تتجمع فيها القبائل من كل أرجاء حضرموت في مكان واحد اتفقت العرب منذ القديم على حفظ أمنه وصيانة أرواح رواده، ولهذا فإنهم يتمكنون خلال أيام السوق من تعليم الجاهل وإرشاد الغافل بالأسلوب المحبب إلى قبائل وأهل حضرموت، ويعلمونهم أمور دينهم، ويسمعونهم وعظ الواعظين، الذين يحذرونهم من مغبة السلب والنهب وسفك الدماء، ويتمكن العلويون بهذه الوسيلة من إيصال الدعوة الإسلامية الصحيحة إلى المناطق النائية من حضرموت حيث يتعلمها الرجال الذين يرتادون السوق ثم ينقلونها إلى أهلهم وذويهم.

كما تحصل الفوائد العظيمة للعلماء أنفسهم باجتماعه الحاشد فهم يتقاطرون إلى شعب هود من كل أنحاء حضرموت ليتباحثوا في المسائل العلمية والقضايا الفقهية، بحيث لم تكن لتتوفر فرصة مثلها لمثل هذا الاجتماع، ولعل المطلع على رحلة الحبيب أحمد بن حسن العطاس لزيارة هود يتعرف على المقاصد العظيمة للعلويين من هذه الزيارة.

قال ابن عبيدالله في مخطوطة بضائع التابوت[١] إن من كبريات مقاصدهم (أي العلويين) بزيارة هود عليه السلام نشر الدعوة والتشاور فيما يعود نفعه على الأمة.

ثم أورد نص رسالة بخط الحبيب محسن بن علوي السقاف (المتوفى سنة ١٢٩٠) جاء فيها: الحمد لله، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، فقد اتفق السادة الأشراف عبدالله بن عمر بن أبي بكر بن يحيى، ومحسن بن علوي بن سقاف الصافي، ومحمد بن حسين بن عبدالله الحبشي، على أنهم يبذلون وسعهم وطاقاتهم في دعوة إخوانهم من السادة خصوصاً وغيرهم عموماً في وادي حضرموت وإرشادهم إلى التمسك بالعلم والعمل، وما حث عليه الشرع المبجل من الأعمال الصالحات، والجري في العادات وفق المتابعة لأشرف البريات، اتفق الثلاثة المذكورون على أنهم متظاهرون متآزرون على هذا الأمر الشريف.. الخ ما جاء في الرسالة (انتهى باختصار).

غير أن سوق الشحر قد غلبت عليه الصبغة الدينية منذ أن اهتم العلويون بزيارة نبي الله هود، فلم يعد يسمى بسوق الشحر وإنما أصبحت التسمية المعروفة هي زيارة نبي الله هود، مما أعطى منتقدي السادة ممن ليست لهم دراية بالتاريخ فرصة للإيحاء بأن هذه الزيارة والسوق الذي يصحبها إنما هي من بدع العلويين.

أما الأهمية الاقتصادية لزيارة نبي الله هود بالخصوص ولغيرها من الزيارات بحضرموت فقد ذكرها المستشرق الروسي رودينوف والذي مكث بحضرموت مع بعثة البحث الروسية ثمان سنوات فقال ما يلي: (إن الأهمية الكبيرة بالنسبة للحياة الاقتصادية في حضرموت الغربية كانت تمثلها الزيارات التي تصاحبها الأسواق عندما كانت تتوقف الحروب والنزاعات الأهلية وتتنقل القوافل بالبضائع بأمان في البلاد.

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثالث صفحة ٢٣١.



تاجر يبيع بضاعته في أيام الزيارة بشعب هود

كما أن الحرفيون الذين يأتون إلى الزيارات مع منتوجاتهم كانت لديهم إمكانية منتظمة للتعرف على بضائع زملائهم، ومناقشة قضايا المهنة، وفي بعض الأحيان وضع خط عام نسبياً للأسعار، واستلام المواد الخام الأولية.

ثم عدد عشرة من الزيارات المهمة غير زيارة نبي الله هود، وبين مواعيد انعقادها وهي ليست كلها للعلويين، فهناك زيارة قيدون للشيخ سعيد بن عيسى العمودي، في الجمعة الأخيرة من رجب، وزيارة بضه في ١٩ الحجة للشيخ معروف باجمال، وزيارة الشيخ أحمد بن عبدالقادر باعشن في ١٧ محرم بالقرب من الرباط، وزيارة الشيخ عمر بن عبدالله باراس بالقرب من معبر شتنة في الأول من أكتوبر[١]. (انتهى).

---

(١) رودينوف عادات وتقاليد حضرموت الغربية ترجمة علي الخلاقي دار جامعة عدن للطباعة صفحة ١٨٥ .

وقال الأستاذ محمد بن هاشم (١٣٠٠-١٣٨٠هـ) إنه يقام للدواب والمواشي أسواق ومواسم سنوية كشعب نبي الله هود، وكالمشهد، وقيدون، والقطن، وغيرها[١].

وقد وافقت منطقة شعب هود المنعزلة هوى العلويين في البحث عن الأماكن المنعزلة التي يقصدونها للعزلة والعبادة كما ذكر ذلك الحبيب أحمد بن حسن العطاس[٢] الذي قال: (كان السلف يرتبون أوقاتهم وقت يذكرون الله فيه في الجبال والمواضع الخالية، ووقت يصرفونه في طلب الحلال والسعي وراء ما يعينهم على آخرتهم، ووقت في تأنيس أهلهم وغيرهم من المندوب إليه شرعا (انتهى).

فكان العلويون يذهبون إلى هود للخلوة والعبادة، وذكر الأستاذ صالح الحامد في تاريخ حضرموت أن الإمام عمر المحضار المتوفى بتريم سنة ٨٩٣هـ أمضى شهراً كاملاً بشعب هود، لم يقتت خلاله بأكثر من رطل من السمك[٣].

قال ابن عبيدالله[٤] نقلاً عن مفتاح السعادة والخير للشيخ عبدالله باقشير: وأعقب الشيخ حكم باقشير بنتاً يقال لها حكيمة، تزوجها السيد على بن محمد صاحب عيديد (المتوفى سنة ٨٦٢هـ)، بإشارة السيد عبدالله بن أبي بكر العيدروس، وكان هو الذي دفع عنه الجهاز، وكانت الوليمة دخناً ودجراً مأدومين بلحم في جفنه واحده، ثم بعد أيام سار الشيخ حكم باقشير إلى شعب هود وأخذ معه علياً يروضه وبقيا على العبادة، وأكثر قوتهم هناك ثمر الأراك توفي علي المذكور سنة ٩١٩هـ.

واستمر العلويون على هذه السيرة إلى العصور المتأخرة فقد ذكر الحبيب علوي بن

---

(١) علي أنيس الكاف مختارات من كتابات شيخ الصحافة محمد بن هاشم تريم للدراسات والنشر صفحة ١٣٩.
(٢) رحلة الحبيب أحمد بن حسن العطاس لزيارة هود مخطوطة جمع الحبيب علوي بن طاهر الحداد صفحة ٤.
(٣) صالح الحامد تاريخ حضرموت الجزء الثاني الناشر مكتبة الإرشاد صنعاء صفحة ٧٤٩.
(٤) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مكتبة الإرشاد صفحة ٥٢٨.

عبدالله بن شهاب[١] زيارة الحبيب عبدالرحمن المشهور لشعب هود فقال: وربما أقام بهود في بعض السنين مدة طويلة قد تبلغ شهراً أو أكثر، التماساً للخلوة، وتفرغاً للعبادة، حتى قيل إن كتابه «بغية المسترشدين» ألفه كله أو معظمه هناك (انتهى باختصار).

قال الحبيب أحمد بن حسن العطاس[٢] في كلامه للناس بشعب هود: وكان السلف إذا أشكلت مشكلة، أو نزلت بالوادي نازلة، اجتمعوا هنا ورفعوا يد الابتهال، فانووا النيات الحسنة للوادي (يقصد حضرموت) والنادي.

وذكر الحبيب أحمد بن حسن العطاس[٣] أن أول من رتب الزيارة سيدنا الفقيه المقدم فزار بالناس، ثم جاء بعده ولده سيدنا علوي بن الفقيه فزار بالناس، ثم ولده علي بن علوي فزار بالناس، ثم ولده سيدنا محمد بن علي مولى الدويلة، ثم ولده عبدالرحمن بن محمد السقاف، ثم ولده سيدنا أبوبكر السكران، ثم ولده سيدنا عبدالله العيدروس، ثم أخوه سيدنا علي بن أبي بكر، ثم ولده عبدالرحمن بن علي، ثم ولده شهاب الدين أحمد بن عبدالرحمن، الذي استخلف في حياته سيدنا الشيخ أبوبكر بن سالم (انتهى).

وقد اجتمع في زيارة هود مع الفقيه المقدم الشيخ سعيد بن عيسى العمودي، والشيخ أحمد الجعدي، والشيخ عبدالله باعباد، والشيخ عبدالله باقشير[٤].

ولم تكن زيارة شعب هود مقتصرة على أهل حضرموت فقط، بل يفد إليها الناس من أنحاء اليمن كما ورد ذلك في رحلة الحبيب أحمد بن حسن العطاس لزيارة هود إذ قال: واجتمعت في بعض زيارات هود ستة عشر مئة طار من زبيد، وبيت الفقيه، ودوعن، وغيرها من بلدان الجهة الحضرمية[٥].

---

(١) عمر بن علوي الكاف تحفة الأحباب دار الحاوي صفحة ٩٤.

(٢) رحلة الحبيب أحمد بن حسن العطاس لزيارة هود مخطوطة جمع الحبيب علوي بن طاهر الحداد صفحة ٣١.

(٣) رحلة الحبيب أحمد بن حسن العطاس لزيارة هود مخطوطة جمع الحبيب علوي بن طاهر الحداد صفحة ٧.

(٤) رحلة الحبيب أحمد بن حسن العطاس لزيارة هود مخطوطة جمع الحبيب علوي بن طاهر الحداد صفحة ٤٤.

(٥) رحلة الحبيب أحمد بن حسن العطاس لزيارة هود مخطوطة جمع الحبيب علوي بن طاهر الحداد صفحة ١٦.

ومع أنه لا يسمح للنساء بمشاركة الرجال في زيارة هود مطلقاً إلا أن هذا الأمر لم يكن كذلك في الزمن القديم، فقد ورد في رحلة الحبيب أحمد بن حسن العطاس لزيارة هود قوله: وبلغنا أنه زار مع الشيخ القديم في بعض الزيارات من الذكور ألف، ومن النساء خمسمائة امرأة[١].

وربما كان حضور النساء زيارة هود في ذلك الزمن لقرب عهدهم بأسواق العرب في هذا المكان، ولكون حضور السوق ليس مقتصراً على الرجال، بعكس ما نراه اليوم، حيث أصبح التركيز في الزيارة على الأمور الدينية و لا يسمح لأي أمراه حضريه كانت أو بدوية بالتواجد بالشعب أيام الزيارة الرسمية في شهر شعبان.

وإذا أردنا أن نتعرف على كراهية العلويين للزيارات المختلطة، وابتعادهم عن الأمور التي يمكن أن تقود إلى الفسوق والوقوع في الفاحشة، فعلينا الاطلاع على الرسالة التي بعث بها الحبيب حسن بن صالح البحر إلى النقيب علي ناجي بريك حاكم الشحر، والتي أوردها ابن حميد في تاريخه، وفيها يقول الحبيب حسن بن صالح للنقيب ابن بريك: «فابعد حماك الله من الفسوق واللمم والفواحش، وما يدعوا إلى ذلك من اجتماع الرجال والنساء على الملاهي والمزارات، التي يظنوا بها خيراً وهي محض الشقاء، لما يقع فيها من الفواحش ولا يرضى ولي الله أن يجتمع عنده من يخالف أمر ربه، ويعصيه بارتكاب المحذورات، وفعل المنكرات المهلكات»[٢].

بل بلغ الأمر أن طلب الحبيب حسن بن صالح يطلب التفريق بين الرجال والنساء في الطواف، كما ورد في رسالته التي بعث بها للصدر الأعظم بالآستانة في عهد السلطان

---

(١) رحلة الحبيب أحمد بن حسن العطاس لزيارة هود مخطوطة جمع الحبيب علوي بن طاهر الحداد صفحة١٦.

(٢) سالم بن حميد الكندي تاريخ حضرموت تحقيق عبدالله الحبشي مكتبة الإرشاد صنعاء صفحة ٤٢٩.

عبدالمجيد، ويقول فيها: «وبلغنا أيضاً مزاحمة النساء الرجال في المطاف فليميزوهن، بأن يكن في حاشية المطاف كما ذكره العلماء، لأن اختلاط الرجال بالنساء موجب للفتنه، ووقوع الفتنه ولو مع النظر لبيت الله العظيم»[١].

بل وقد ذهب الحبيب حسن بن صالح إلى أبعد من ذلك، فطلب من أمير الشحر على ناجي بريك إبطال الزيارات التي يقع فيها الاختلاط والملاهي فقال له في رسالته: «ومن أزال ذلك وحسم مادة الشر فيبشر بعون الله ونصرته، ومن تساهل به فالعائدة على نفسه، وقد عرض نفسه لسخط الله ومقته»[٢].

قال الجد ابن عبيدالله: ومازالت السوق التي تقام في شعب نبي الله هود تقام في النصف من شعبان إلى ما قبل اليوم (سنة ١٣٦٦هـ) بنحو مائتي سنة، فتغير الموعد بعد زمان القطب الحداد، أو ربما في زمانه، فصار أهل سيؤون ومن غربية يدخلون الشعب في اليوم الثامن من شعبان، وينفرون في العاشر، وآل تريم يردون في التاسع، وينقلبون في الحادي عشر، وآل عينات يدخلون في العاشر، ويصدرون في الثاني عشر، ثم حاول السيد أحمد بن حسن العطاس إرجاع الأمر إلى ما كان من الاجتماع في النصف من شعبان، فتم الأمر بعد مراجعات، ثم اختلف أهل تريم وأهل عينات، ثم لم تسو القضية إلا بإعادة الأمر إلى ما كان عليه بالآخرة[٣].

وورد في رحلة الحبيب أحمد بن حسن العطاس[٤] لزيارة هود أن سبب تغير موعد الزيارة عن النصف من شعبان هو تدهور الحالة الأمنية، بسبب الغزوات الخارجية التي قام بها المكرمي صاحب نجران، والسلفيين أصحاب بن قملا، وتدهور الأمن كذلك بسبب المشاحنات بين قبائل حضرموت، كما نعرف ذلك من رسالة للحبيب أحمد بن حسن بن

---

(١) سالم بن حميد الكندي تاريخ حضرموت تحقيق عبدالله الحبشي مكتبة الإرشاد صنعاء صفحة ١٩٧.

(٢) سالم بن حميد الكندي تاريخ حضرموت تحقيق عبدالله الحبشي مكتبة الإرشاد صنعاء صفحة ٤٢٩.

(٣) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مكتبة الإرشاد صفحة ٥٨١-٥٨٢.

(٤) رحلة الحبيب أحمد بن حسن العطاس لزيارة هود مخطوطة جمع الحبيب علوي بن طاهر الحداد صفحة ١٩.

عبدالله الحداد بتاريخ شعبان سنة ١٢٠٢هـ، والتي يطلب فيها تأخير الزيارة لما بعد شهر رمضان بسبب انعدام الأمن حتى بداخل تريم نفسها (انتهى).

وصف ابن عبيدالله شعب هود في إدام القوت[١] فقال: هو شعب متقد بالنور، فياض بالسرور، شبيه بمنى من حيث الاجتماع والبهجة والدور، ثم قال: وكيف لا يكون كذلك وهو مهبط وحي، ومعقل نبوة، ومختلف ملائكة، ومتنزل سكينة، وقد دللت بالأصل (يقصد كتاب بضائع التابوت المخطوط) على وجود نبي الله هود في حضرموت بالدلائل المجلوة، ومن أقواها هذه الآية المتلوة: ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ والأحقاف شاملة حضرموت من دون نزاع، وإن فصلها الجبل.

قال ابن عبيدالله: ولقد حضرتُ تلك المحافل المشهودة بذلك الشعب الشريف كثير من المرات. وذكر ابن عبيدالله المحاورات الفقهية التي حدثت بين العلماء في موضوع جمع وقصر الصلاة للمسافرين إلى هود، وتكررت مثل هذه المباحثات في الزيارات الأخرى (انتهى).

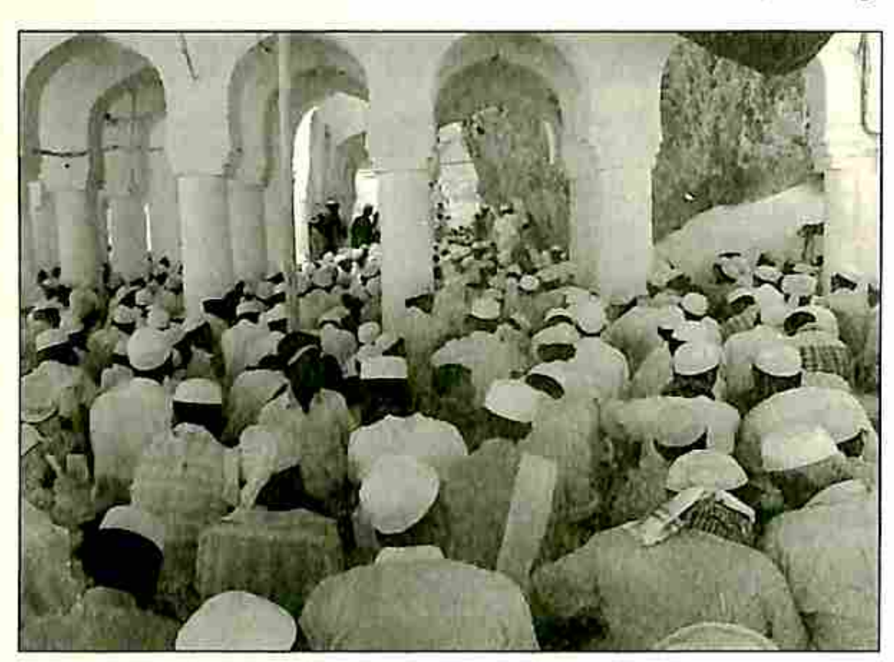


الاغتسال في النهر بشعب هود نظافة وترويح

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مكتبة الإرشاد صفحة ٥٧٨.

وحتى نتعرف على تفاصيل زيارة شعب نبي الله هود نذكر ما ورد في مخطوطة رحلة الحبيب أحمد بن حسن العطاس (١٢٥٧-١٣٣٤هـ) لشعب هود سنة ١٣٢٦هـ، وقد قال فيها كاتبها الحبيب علوي بن طاهر الحداد أنهم تحركوا من تريم على ظهور الدواب بعد صلاة الصبح بغلس يوم الأربعاء ١٣ شعبان، ثم توقفوا بقرية فغمة، ثم أدلجوا من فغمة سحرا الساعة تسعة ونصف فوصلوا شعب هود حين انبسط نور الشمس يوم الخميس ١٤ شعبان، وقصدوا النهر المعروف هناك فاغتسل الحبيب أحمد بن حسن، واغتسل مرافقوه، ثم رقي الجمع إلى الصخرة الموجودة فوق النهر، وركع أربع ركعات بنية الإشراق والاستخارة وقضاء الحاجة والحفظ في جميع الأمور من جميع الشرور، ثم قرأ الجميع ما يعتادونه من القرآن من سورة ياسين.



وتوجه الحبيب أحمد مع الجمع الكثير بعد ذلك إلى بئر يعتقد سلف العلويين اجتماع أرواح الأنبياء فيها، فسلم بهم على أرواح الأنبياء الحبيب حسن بن محمد بن إبراهيم بلفقيه، ثم رقى الجمع درجات عدة إلى مكان قبر نبي الله هود عليه السلام، وهو في محل مرتفع بالجبل، وبعد السلام على نبي الله هود ينزل الجمع درجات إلى مكان يقال له الناقة، يجتمع فيه

الناس وهو بيت القصيد في الزيارة، حيث تقرأ الأدعية، وينتهز علماء العلويين هذه الفرصة لتذكير الناس ووعظهم، وفي تلك الزيارة طلب الحبيب أحمد بن حسن العطاس من حضر من علماء السادة أن يقوم بتذكير الناس ووعظهم، وقال: ادعوا عباد الله إلى الله، وأصلحوا بين الله وعباده، ذكروهم دينهم، وفهموهم تعاليم الإسلام، قال الله تعالى لنبيه: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾، ثم قال وبشروا، ولا تنفروا، وحببوا ربهم إليهم، وحببوا نبيهم إليهم، وفرحوهم بدينهم، وحذروهم من المخالفة، واذكروا لهم ما يرغبهم في الخير، واذكروا لهم عقوبة من أعرض عن الخير. فقام الحبيب علوي بن عبد الرحمن المشهور (١٢٦٣-١٣٤١هـ) وذاكر الناس بما فتح الله به عليه.

ولك أن تتصور تأثير هذه الإرشادات والمواعظ على رجال القبائل، ورجال البادية، وعامة الناس، الذي لا يعرفون إلا الاقتتال وسفك الدماء، و هم مع ذلك نائين في أوديتهم وقراهم التي لا يستطيع الوعاظ والعلماء الوصول إليها لوعورة المسالك، واضطراب الأمن، ولهذا فإن للاجتماعات والمواعظ أثناء الزيارة فائدة كبيرة جداً.

هذا وتمضي أيام الزيارة تتخللها الزيارات التي يقوم بها العلماء لبعضهم البعض في فترة النهار، والمجالس العامة التي تعقد في أطراف النهار، أما الليالي فيمضيها العلويون في عبادة الرحمن بين ثنايا الوادي وخلجات الشعب.

ويكون الأكل والشرب والإقامة في السنوات الأخيرة لأغلب الناس بالمجان، يتحمل ذلك ذوي اليسار من العلويين وغيرهم.

ثم انتهت زيارة الحبيب أحمد بن حسن العطاس عشية السبت ١٦ شعبان ١٣٢٦هـ، ولخص الحبيب أحمد بن حسن نتائج الزيارة فقال[1]: (ولم يكن اجتماع مثل هذا النفر من أيام السلف إلا في هذه الزيارة السعيدة، فقد اجتمع السادة في جميع المجالس والمحاضر على

---

(١) رحلة الحبيب أحمد بن حسن العطاس لزيارة هود مخطوطة جمع الحبيب علوي بن طاهر الحداد صفحة ٤٣.

الاجتماع والتشاور، وتمت بركة الاجتماع، وحصل الانتفاع، وقد حصل لكافة الناس من التذكير والتأثير والدعوة إلى الله وتعليم الشرائع وتفهيم الدين بما لا يحصل في غير هذا الموطن، والحمد لله على ذلك (انتهى باختصار).

وقد اتفق السادة في تلك الزيارة (١٣٢٦هـ) على ترتيب أوقات العودة من الزيارة على طريقة السلف، فأهل سيؤون وما والاها يكون مرجعهم صباح ١٥ شعبان، وأهل تريم يرجعون عشيتها، وأهل عينات يبكرون يوم ١٦ شعبان.

وتحدث ابن عبيدالله في المعجم وهو أفقه أهل عصره باعتراف من عاصره من العلماء تحدث عن مشروعية الزيارة فقال: وأما الحديث الصحيح «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد» فقد اختلف فيه العلماء، واتفق الأكثرون على أنه عام مخصوص بالمساجد، فلا تشد الرحال إلى شيء منها لتقاربها في الفضيلة ماعدا الثلاثة لتميزها بزيادتها في الفضيلة، إذ لا يحرم بالاتفاق شدها للتجارة، وطلب العلم، وزيارة الأحباب والصالحين من الأحياء وما أشبه ذلك، ولكن قد نص إمام الحرمين، ومثله القاضي حسين على تحريم السفر لزيارة القبور، واختاره القاضي عياض بن موسى بن عياض في (إكماله)، وهو من أفضل متأخري المالكية، وقام وقعد في ذلك الشيخ الإمام ابن تيميه، وخطأه قوم، وصوبه آخرون، ومهما يكن من الأمر فليسعه ما وسع الجويني والقاضيين حسين وعياضا، ولكنهم أفردوه باللوم والقول واحد، وقال مالك ابن أنس: من نذر المشي إلى مسجد من المساجد ليصلي فيه كره ذلك لقوله ﷺ: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد»، وقال ابن سريح وهو من كبار أصحاب الشافعي: إن الزيارة قربة تلزم بالنذر، والخطب يسير لم يوسعه إلا الحسد والتعصب، وإلا فالتثريب في موضع الاختلاف ممنوع (انتهى)[١].

وذكر ابن عبيدالله ما يكون في أيام الزيارة من المذاكرات العلمية الكثيرة فذكر ما كان

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مكتبة الإرشاد صنعاء صفحة ٥٧٨.

في الزيارة التي حضرها سنة ١٣٢٤هـ فقال: وقد تداول الخطابة فيها جماعة من الأفاضل هم السيد علي بن محمد الحبشي، وسيدي الوالد علوي بن عبدالرحمن السقاف، وسيدي عمر بن عيدروس بن علوي العيدروس، المتوفى بتريم آخر سنة ١٣٢٨هـ عن عمر قصير، وكان خطيباً مفوهاً آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، وأشار ابن عبيدالله إلى تغير الخطباء في الزيارات اللاحقة نتيجة موت العلماء وفقدهم.

وذكر ابن عبيدالله في موضع آخر توارد الخطباء على الخطابة في أيام الزيارة وما يحدثوه من التأثير على الحضور، فتذرف العيون، وتغرق الجفون، وتقشعر الأبدان، وترجف القلوب، ويحصل المطلوب[1].

ثم يذكر ابن عبيدالله الجانب الاقتصادي للزيارة فيقول: (وتنعقد ثم الأسواق المجلوبة إليها الأغنام والإبل من أطراف بلاد المهرة والمناهيل، غير أن آخرين لا يمكنون الأولين من دخول الشعب إلا في اليوم العاشر، ويستأثرون بها قبله عليهم (انتهى باختصار)[2].

وقد تحدث بعض الحوادث النادرة أثناء الزيارة أو بعدها، فقد ذكر ابن حميد في تاريخه[3] أن مجموعة من السادة والعرب ذهبوا إلى شعب هود في الخامس من شعبان سنة ١٢٦٧هـ وبكر بعضهم بالعودة، منهم الحبائب عيدروس وعبدالله أبناء الحبيب صالح بن الحسن بن صالح، و لما دخلوا في طريق عودتهم مضيقاً في الطريق وجدوا اثنين بهيئة البدوا المسلحين، وقد كمنوا لنهب من ظفروا به من ضعفة الزوار، فرمى أحدهم السيد عبدالله بن صالح فأصابه في دماغه فخر ميتاً، وهربا، وتبين فيما بعد أنهما من بدو السادة من بيت حمودة.

ونستطيع أن نشبه زيارة هود وما يكون فيها من المحاضرات العلمية والأسواق التجارية بالمؤتمرات والمعارض السنوية التي تعقدها الهيئات العلمية في جميع أنحاء العالم،

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مكتبة الإرشاد صفحة ٥٧٨.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مكتبة الإرشاد صفحة ٥٧٨.

(٣) سالم بن حميد الكندي تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة مطبعة الإرشاد المجلد الثاني صفحة ٣٨٥.

لإلقاء المحاضرات العلمية، وعرض المستجدات الصناعية، والتشاور والتباحث بين العلماء، مع ما يتخلل هذه المؤتمرات من معارض وأسواق وزيارات وولائم وحفلات.

ولا اعتقد أن أحداً من العامة يذهب للزيارة في أيامنا الحالية بقصد زيارة قبر نبي الله هود بذاته، بل يذهب أكثر الناس للنزهة والاجتماع والاستفادة من مواعظ العلماء، ويزيد عليهم الخاصة بعبادة آخر الليل في أعطاف الجبل.

إن زيارة شعب هود كانت ومازالت سوق من أسواق العرب، حول العلويون مساه، وأكثروا في نهاره من الدروس العلمية، والخطب الوعظية، والنقاشات الفقهية، مع النشاطات الاجتماعية، وخصصوا ليله للعبادة، والاستغفار، وذكر الله عز وجل.



الفصل التاسع والثلاثون

العلويون وعادة تقبيل الأيدي



قال الجد بن عبيد الله في الجزء الثاني من مخطوطة بضائع التابوت[1] وقد أجمع الحضارمة من الصغير إلى الكبير ومن المأمور إلى الأمير على تقبيل أيدي الأشراف بلا قيد ولا شرط وما ثم سلطان ولا ثم دولة ولكنه الود الإلهي والفضل.

ثم قال «وما كان انتشار التقبيل بين الحضارمة إلا أثراً من آثار التزامهم بالفقه وعملهم بالعلم، إذ إنّ المذهب الوحيد بالقطر الحضرمي هو المذهب الشافعي. وقد قال النووي في الروضة: وأمّا تقبيل اليد فإن كان لزهد أو صلاح أو علم أو شرف وصيانة ونحوه من الأمور الدينية فمستحب، وإن كان لدنياه وثروته ووجاهته ونحو ذلك فمكروه شديد الكراهة» (انتهى). وقال في الأسنى وتقبيل اليد لزهد أو صلاح أو كبر سن أو نحوها من الأمور الدينية كشرف وصيانة مستحب اتباعاً للسلف والخلف (انتهى).

وذكر بن عبيدالله عبارة التحفة التالية «وأفتى المصنف بكراهة الانحناء بالرأس وتقبيل نحو رأس أو يد أو رجل لا سيما لنحو غني لحديث من تواضع لغني ذهب ثلثا دينه، ويندب ذلك لنحو صلاح أو علم أو شرف لأنّ أبا عبيدة قبل يد عمر رضي الله عنه» (انتهى).

قال بن عبيدالله وقال الحافظ ابن حجر في شرحه على البخاري: قال ابن بطال الأخذ باليد هو مبالغة المصافحة، وذلك مستحب عند العلماء، وإنما اختلفوا في تقبيل اليد فأنكره مالك وأنكر ما روي فيه وأجازه آخرون واحتجوا بما روي عن ابن عمر أنّهم لما رجعوا من الغزو حيث فروا قالوا نحن الفرارون، فقال ﷺ: بل أنتم العكارون أنا فئة المؤمنين قال فقبلنا يده.

وقبّل أبو لبابة وكعب بن مالك وصاحباه يد النبي ﷺ حين تاب الله عليهم. ذكره الأبهري. وقبَّل أبو عبيدة يد عمر حين قدم، وقبّل زيد بن ثابت يد ابن عباس حين أخذ ابن عباس بركابه «هذا ما اخترته من بضائع التابوت والبحث طويل لمن يريد الاستزادة»[2].

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني/ ١، صفحة ١٢١.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الأوّل، صفحة ٢٤٤.

وفي مناظرة السيد أحمد بن محمد الإدريسي[١] (١١٧٣ -١٢٥٣ هـ) مع فقهاء عسير سأله أحد فقهاء عسير السؤال التالي: «وأنت يا أحمد أصحابك يقبّلون يديك ورجليك ويخضع لك أصحابك خضوعا لا يستحقه إلا الله تعالى، وهذا عين الشرك والتذلل من العبادة، والعبادة لا تصلح لمخلوق.

قال السيد أحمد وهو من شيوخ العلويين بحضرموت: إنّ كنت متقيداً بالشرع المحمدي فاسمع ما أقول لك: قد صحّ في الحديث أنّ وفد عبد القيس لما وفدوا على رسول الله ﷺ قبّلوا يديه ورجليه، وقد جمع بعض العلماء المحدثين جزءاً لطيفاً في جواز تقبيل اليدين والرجلين، وأورد أحاديث جمّة قاضية بجواز تقبيل أيدي أهل البيت وأيدي العلماء من غيرهم، وأمّا قولك إنّ هذا عبادة فلو عرفت معنى العبادة ما قلت هذا، فالعبادة في طريق والتعظيم والأدب في طريق، فتعظيم العلماء واجب، قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾. وقال ﷺ: «**ليس منا من لم يعرف لعالمنا حقه**»، ومن حقوق العالم التأدّب معه بتقبيل يديه ومعرفة فضله، ومن عظّم عالماً فقد عظّمَ الله تعالى ورسوله ﷺ، لأنّه حامل للشرع الشريف. فالتعظيم في الحقيقة لما هو حامله. وقد ثبت حديث «**العلماء ورثة الأنبياء**» (انتهى).

ويعتقد البعض بأنّ العلويين هم الذين أدخلوا إلى حضرموت عادة تقبيل اليد ولبس العمامة والمناداة بلفظ الحبيب، غير أن هذه الأعمال كانت موجودة بحضرموت قبل وصول العلويين. فقد أورد بن عبيدالله نقلاً عن السيد علي بن عبد الرحمن المشهور نقلاً عن والده مفتي الديار الحضرمية أنّه يقول: سمعت كثيراً من مشائخي يقولون كانت المشيخة بتريم للخطباء وآل بافضل، فلما سكنها العلويون نزلوا لهم عن تقبيل اليد ولبس العمامة والنداء

---

(١) الحسن بن أحمد عاكش، مناظرة أحمد بن إدريس، تحقيق عبد الله بن محمد أبو داهش، صفحة ٣٠-٣١.

بلفظ الحبيب فمحوه عن أنفسهم وخصّصوه بالإشراف وجعلوه علامة لهم، إلا أنّ بن عبيدالله استدرك وقال إنّ الموضوع يحتاج إلى بحث ونظر[١] (انتهى).

وقال بن عبيدالله أيضاً: وقال لي بعضهم إنّ آل باعباد هم الذين حملوا الناس على دعائهم بالحبيب وعلى تقبيل أيديهم لا على تقبيل أيدي العلويين وإنهم لا يزالون على ذلك بين أتباعهم إلى اليوم[٢]. قال بن عبيدالله والمسألة لا تعدوا دارة الظن والاحتمال لا سيما وأنّ الخطباء وآل بافضل لا يزالون معمّمين بينما معظم السادة بسيؤن لا يلبسون العمامة، إمّا اقتصاداً أو أدباً مع الفقراء من آل بارجاء تلاميذ آل باعباد[٣].

وقال بن عبيد الله: وكان للشيخ عبد الله القديم ولذريته من بعده تعلق عظيم بالعلويين، وسمعت من بعض المشائخ أنّه أول من سن تقبيل أيدي العلويين بحضرموت[٤]. إلا أنّه لا يخفى كراهة كبار العلويين أن يبادر الكبير إلى تقبيل يد الصغير من العلويين، قال الجد بن عبيدالله: وكان والدي وسيدي علوي بن عبد الرحمن السقاف ينهياننا عن تمكين الشيوخ من تقبيل اليد لتعارض الأسباب حسب ما ذكر في بداية البحث. كما كان كبار العلويين يأمرون أبناءهم بتقبيل يد العلماء من المشايخ وغيرهم من غير السادة قال بن عبيدالله وما كان شيخنا الجليل القدر العظيم المقام الشيخ حسن بن عوض بن زين مخدم يرسل يده لنا لنقبلها حتى عزم عليه والدنا عزمة لا تؤثر فيها المراجعة[٥].

ويحرص بعض كبار العلويين على تقبيل أيدي العلماء ومن يرون فيهم الصلاح والتقوى، فقد ذكر الحبيب علوي بن عبد الله السقاف (١٣١٥-١٣٩٢هـ) زيارته للحبيب

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلدان حضرموت، صفحة ٣٢٤.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلدان حضرموت، صفحة ٣٢٤.

(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلدان حضرموت، صفحة ٣٢٤.

(٤) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلدان حضرموت، صفحة ٣٢٤.

(٥) المصدر السابق، صفحة ٢٤٦.

عيدروس بن سالم البار بمكة في رحلة حجه سنة ١٣٦٦هـ فقال: وفي اليوم الثالث من وصولنا إلى مكة زرنا الحبيب العارف بالله سيدنا الوالد العلامة عيدروس بن سالم البار ووجدناه متأثراً مُلقىً على الفراش لا يستطيع الجلوس بسبب مرض لم يعرف الأطباء علاجه، ومع ذلك فالقراءة عنده في الحديث متواصلة، ووجدنا تلميذه الخاص الشيخ عمر اليافعي يقرأ عليه في الحديث، ثم لما انتهت القراءة طلب مني أن يقبل يدي فامتنعت هيبة وحياء، ثم قربت منه وأدخلت رأسي بأذنه في الناموسية التي عليه وتمكنت من تقبيل وجهه الشريف عندها أخذ يدي يقبلها فاستحييت خجلاً ثم رتب لنا الفاتحة[1].

ويشق على كثير من العلويين تقبيل الناس أيديهم ولكنهم لا يستطيعون منعهم حتى لا يجرحوا خواطرهم، ففي مناقب الحبيب سقاف بن محمد بن عمر السقاف (١١١٥-١١٩٥هـ) أنّه كان يشق عليه تقبيل يده، ومن حاول تقبيل رجله منعه وزجره وقال له تكفي اليد وهو على العموم يكره تقبيل يده، ولكونه لا يريد أن يكسر قلوب من يحاول تقبيل يده مع كراهته ذلك فقد كان يطيب يده من أجل أن يدخل السرور على المسكين الذي يقبل يده عندما يشم رائحة الطيب، ويقول رضي الله عنه لعل ذلك أن يكون مكافأة من قبل التقبيل[2].

وقد يتفرس العلماء من تقبيل اليد أشياء غريبة، من ذلك أنّ الحبيب سقاف بن محمد الذي أدرك من زمن الحبيب عبد الله الحداد سبع سنوات حمله والده إلى الحبيب عبد الله الحداد فقرأ عليه الفاتحة وبارك عليه وقال لوالده إنّ في ولدك سقاف يا محمد علامة من علامات جده عبد الرحمن السقاف، وهي أن أحد منخرية أقصر من الآخر، وقد أدرك الحبيب عبد الله الحداد فيه هذه الصفة بمجرد تقبيل الحبيب سقاف ليده الكريمة رغم أنّ الحبيب عبد الله الحداد مكفوف البصر.

---

(١) علوي بن عبد الله السقاف، السيره الذاتية، صفحة ٩٧.

(٢) نشر محاسن الأوصاف في مناقب الحبيب سقاف، دار الحاوي، صفحة ٢١٥.

وذكر بن عبيد الله بديوانه في ترجمة الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي (١٢٣٧-١٣١٤هـ)[١]: أنه لا يمكن أحد من تقبيل يده إلا من زاد به اختصاصه جداً وإذا دعي إلى وليمة أو نحوها بادر قبل اجتماع الناس كراهية أن يقوموا له إذا دخل وإن تكلف طول الانتظار من أجل ذلك، كما كان يكره المدح ويؤلمه ويغضب من نسبة الكرامة إليه[٢].

ولم يستطع الحبيب مصطفى المحضار أن يكسر خاطر بدوية طلبت تقبيل يده بل إنّه اضطر إلى إعطائها يده بدون حائل حتى لا تتصور أنّه يستقذرها، وقصة ذلك أنّ الحبيب مصطفى بن أحمد المحضار (١٢٨٢-١٣٧٤هـ) كان خارجاً من بيته لأداء صلاة الجمعة فصادف عند باب المسجد بدوية تريد أن تقبل يده فحاول الحبيب مصطفى أن يجعل رداءه على يده حتى لا ينتقض وضوؤه بملامسة امرأة أجنبية، كما هو الحكم في مذهب الإمام الشافعي، فظنت البدوية التي لا تعرف هذا الحكم الشرعي أنّ الحبيب مصطفى وضع الرداء استقذاراً ليدها فقالت له: يا حبيب الآن غسلت يدي، فلم يشأ الحبيب مصطفى أن يكسر خاطرها ومكّنها من تقبيل يده بلا حائل ودخل المسجد وصلى بالناس وبعد الصلاة سأله أحد محبيه أنّه رآه يمكن البدوية من يده بلا حائل ثم يصلي بالناس، فأجابه الحبيب مصطفى: لقد قلدت أصحاب المذاهب الأخرى[٣].

وقد اشتهر الحبيب حسين بن حامد المحضار (توفي سنة ١٣٤٥هـ) وزير السلطنة القعيطية بالإسراف في العناق وتقبيل رأس من يقبل يده عند الاستقبال والاستيداع، وقد تندر عليه الجد عبد الرحمن بن عبيدالله لهذا السبب بأبيات في عدة مواضع، فذكر له أنّ ذلك التقبيل كان بوصية من جدهم الحبيب الحبيب أحمد بن محمد المحضار لأولاده بتقبيل رأس من يقبل يدهم.

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، ديوان بن عبيدالله، صفحة ٣٢١-٣٢٩.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، ديوان بن عبيدالله، صفحة ٣٢١-٣٢٩.

(٣)٣ محمد بن عبداللاه المحضار، خواطر وأفكار وحكم وأسرار، تريم للدراسات والنشر، صفحة ٢٨.

أما الحبيب جعفر بن أحمد بن عبد القادر العيدروس (١٣٠٨ -١٣٩٦هـ) فكان من عادته أنه إذا صافحه أحد وقبّل يده سواء كان المصافح من العلماء أو من العامة آو المساكين فإنّ على المصافح أن يعطي الحبيب جعفر يده ليقبلها الحبيب سواء بسواء. وذات مرة صافحه أحد المساكين وقبّل يد الحبيب جعفر وأبى الرجل إرجاع يده ليقبلها الحبيب جعفر، وخرج فغضب الحبيب جعفر وأمر من حوله أن يحضروا هذا المسكين مهما كان الأمر فأحضروه وطلبوا منه إعطاء يده للحبيب جعفر ليقبلها، فاستعظم الرجل هذا الأمر ولم يوافق إلا بعد المراجعة، فسلم يده للحبيب جعفر وهو يبكي فقبّلها الحبيب جعفر وذهب عنه الغضب (انتهى)[١].

ومما سبق نرى أن العلويين لا يقدرون عن الامتناع على تسليم اليد لمن أراد التقبيل لأن ذلك قد يتسبب في كسر الخاطر وشيء من العداوة، وذكر بن عبيدالله أنّ الفقيه ابن عبد السلام ندب القيام لمن يتأذى بتركه، فإنّ تأذيه بذلك مؤدٍ إلى العداوة. وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا، فهو لا يؤمر به لعينه بل لكون تركه صار وسيلة إلى هذه المفاسد في هذا الوقت، فلو قيل بوجوبه لم يكن بعيداً لأنّ تركه صار إهانةً انتهى. قال ابن عبيدالله ومتى تغير لأجل هذه المصلحة حكم ما ورد النهي المقتضي للتحريم عن أصله وهو القيام، فمن باب أولى أن يتغير حكم ما ورد ندب أصله إلى الوجوب عند ظهور المصلحة وهو التقبيل ولا سيما لمن اعتاده[٢].

هذا ويعتبر امتناع كبار العلويين عن السماح بتقبيل اليد دليلاً على عدم الرضا، كما تدل عليه هذه القصة، فقد اعتاد الشيخ عايض بن سالمين وهو من كبار رجالات آل كثير على تقبيل يد الحبيب حسن بن صالح البحر وصلاة العصر خلفه ولما ادعى عايض بن سالمين

---

(١) ديوان الحبيب جعفر بن أحمد بن عبد القادر العيدروس، دار الأصول للنشر والتوزيع، صفحة ١٣.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مطبعة الإرشاد، صفحة ٢٤٨.

على الشيخ حسن بارجاء مبلغاً من المال دون وجه حق واشتد في الخصومة ولم يستجب لتوسلات الحب حسن في الصلح غضب عليه الحبيب حسن بن صالح وعاقبه بمنعه من تقبيل يده ومن الصلاة خلفه، فكان ذلك أكثر ما شقّ على الشيخ عايض بن سالمين حتى إنه عندما تم الصلح زاد في طلب التعويض لقاء ما حصل له من ضرر بترك مصافحة الحب حسن والصلاة خلفه.

كما أنّنا نرى أنه حتى السلاطين في حضرموت لا يتركون تقبيل يد العلويين ويغضبون إن منعهم أحد يده، قال والدي السيد محسن بن علوي السقاف إنّ السلطان منصور بن غالب الكثيري كان شديد الاعتقاد في العلويين ويقبل أيديهم حتى الصغار منهم ويغضب إذا منعه أحدهم يده.

وذكر الجد بن عبيدالله سلطان لحج السلطان عبد الكريم بن فضل بن علي[1] فقال: وبعد انتهاء الحرب العظمى وتسليم علي سعيد باشا نفسه لحكومة عدن عاد السلطان عبد الكريم ومعه العبادلة جميعهم إلى مقر ملكه بلحج وأخذ في عمارة الأرض وهو مشهور بالجد والنشاط وحسن الأخلاق ومراقبة أحوال السياسة، وله رحلات كثيرة إلى مصر وأوروبا وغيرها، وقد انعقدت بيني وبينه الصداقة منذ سفرنا معاً بالباخرة إلى الهند، واجتمعت به سنة ١٣٤٠هـ في عدن، ولما أردت أن أنزع يدي منه حين صافحني إكراماً لدولته أبى إلا التقبيل، وقال إنّما نحن خدامكم (انتهى). هذا؛ وقد ذكرنا في فصل سابق كيف أن السلطان العثماني عبدالحميد الثاني كان يقبل يد السيد فضل بن علوي بن سهل، رغم كونه إمبراطور أكبر دولة عالمية في زمنه.

إلا أنّك لا تملك وأنت ترى إقبال الجموع الكبيرة على تقبيل يد كبار العلويين إلا أن تحسّ بالشفقة عليهم (أي العلويين) لما يسببه لهم ذلك التقبيل من الأذى، حتى أنّ العلامة

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ١٥٣.

الأستاذ محمد بن أحمد الشاطري أصيب في آخر سنوات عمره بحساسية في يده من كثرة التقبيل اضطرته لأن يلبس قفازاً حتى لا يمتنع عن كسر خواطر محبيه الذين يطلبون تقبيل يده.

ومن الطرائف التي تدل على أن تقبيل أيدي العلويين قد يسبب بعض الضرر ما حدث للسيد عبد القادر بن محمد باعقيل السقاف وهو رجل لطيف معروف بكثرة دعاباته وأقام بمكة فترة من الزمن، وتزوج بها، وقد كان ماشياً كما يروى في إحدى المرات بحارة الباب بمكة سنة **١٣٤٨** هـ فقابله فوال حضرمي اسمه سعيد باطرفي من أهل قيدون فناداه يا حبيب سقاف، قال له السقاف قلها سقاف حاف (يعني بلا كلمة حبيب) لأنّ هناك ناساً يسمون بالغطغط يراقبون الأسواق في تلك الأيام، ولم يرغب السقاف في تقبيل يده خوفاً من الغطغط، فقال باطرفي لا تخف يا السقاف وقبّل يده فرآهم اثنان من الغطغط وسألوه لماذا تقبل يده هكذا؟ قال لهم لأنّه سيد فاضل، فقال له السقاف: ماذا قلت لك يا حمار؟ قال باطرفي نسيت يا حبيب فأعطوا باطرفي خمسين باكورة وأعطوا السقاف خمس بواكير (انتهى)[١].

كما أنّ احترام العامة الزائد عن حدّه قد يسبب للعلماء بعض الضرر، كما حصل لبن عبيدالله بالمكلا والذي ذكر في رحلته الدوعنية سنة **١٣٢٩**هـ: أنه في الساعة العاشرة من يوم الجمعة ذهبنا لأداء صلاة العصر في المسجد الموسوم بالروضة، وبعد الصلاة ألزموني بالجلوس للدرس واجتمع بشر كثير لكنهم لمجاوزتهم الحدود في حسن الظنون أخذوا يتمسحون بي إثر انقضاء الدرس، فخسرت بذلك جبة جديدة من اللاس أفسدوها بكثرة الأوساخ، هذا ما جنيته من وراء الخطابة والتدريس (انتهى)[٢].

ولاحظ المستشرق الهولندي فان دن بيرخ في دراسته عن الحضارم في إندونيسيا أنّ القبائل الحضرمية التي تعيش في الأرخبيل الهندي أقلّ خشونة وأكثر تديناً منها في حضرموت،

---

(١) محمد زين الجابري، مخطوطة جواهر من رحلة السقاف، صفحة **٧٦**.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، الرحلة الدوعنية، مخطوط، صفحة **٢٢**.

وأنّ النفوذ الذي يتمتع به السادة في حضرموت يتقلص كثيراً بالأرخبيل مع أنّه يمكن للشخص أن يستفيد من كونه سيداً إذا كان مشهوراً بالصلاح والعلم أو كان غنياً، ولكنه لن يستفيد لمجرد أنّه سيد ما عدا علامات التقدير المعتادة مثل تقبيل اليد حينما يدخل في اجتماع عام. وذكر فان دن بيرخ أنّ كلمة سيد هي التي تطلق على أفراد فئة السادة وليس كلمة حبيب النادرة في مختلف مناطق الأرخبيل الهندي باستثناء منطقة أتشيه، كما لاحظ المستشرق أنّ بعض السادة المولدين ولاسيما الذين فقدوا سماتهم العربية يستبدلون لقب سيد بلقب شريف، كما لو أنّهم أحفاد للحسن[١].

بل إنّ الاختلاف في تقبيل اليد كان من أسباب الفتنة بجاوى، فقد ذكر بن عبيدالله إنّ شرارة الفتنة بين الإرشاد والعلويين استعرت عندما التقى العالم السيد عمر بن سالم العطاس ذات مرة في محطة السكة الحديد في بتاوي بالشيخ عمر بن يوسف منقوش رئيس العرب، لذلك العهد بجاوا فاستنكف الشيخ عمر منقوش من تقبيل يد السيد عمر العطاس بمرأى من الإفرنج والعامة، وقد وقر في سمع العطاس ما سمعه من أفكار الإرشاديين، فغضب العطاس من ذلك وتلاحيا[٢].

ولا شكَّ أنّ على العاقل أن لا يطلق حكمه في تقبيل اليد وغيرها من تصرفات بعض العلويين، فليس كل العلويين ممن يعرف العلم ويحسن التصرف. ومن الطرائف أنّ أحد المسنين من عوام العلويين لا يعتبر صلاح العامّة إلا بتقبيل اليد فإذا قيل له وصل فلان من الغربة وهو من الطيبين، قال دعْكم من هذا، ولكن أخبروني هل هو يشم (يقبل اليد) أو لا يشم.

ومن الطرائف أنّ أحد السادة دُعي إلى وليمة فيها كثير من الأعيان فوضع قبل مغادرته بيته بعض الطيب بيده حتى يتجمل به أمام الأعيان الذين سيقبلون يده في المأدبة، والطيب لا

---

(١) مسعود عمشوش، الحضارم في الأرخبيل الهندي، صفحة ١٣٧-١٣٨.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مطبعة الإرشاد، صفحة ٢٤٩.

يتوفر لأهل حضرموت بتلك الأيام إلا في ما ندر، إلا أنّ السيد ما كاد يخرج من بيته حتى استلمه المساكين والحراثين في الطريق بأعداد كبيرة، وهو يصيح يا عباد الله حطينا قليل طيب بغيناه لذولاك خلصتوه علينا.

ومن النوادر ما ذكره لي الأخ عطاس بن حفيظ أنّه كان في زيارة إندونيسيا مع أخيه الداعية عمر بن حفيظ (سنة ٢٠٠٨) وآخرين من طلبة العلم العلويين ورافقهم في رحلتهم الشيخ العامري من تريم، وكان لطيفاً وصاحب نظر، ولّما شاهد العامري الحب الجارف الذي يتلقاه العلويون بكل مكان يذهبون إليه بأندونيسيا وكيف أنّ اجتماعاتهم تستقطب مئات الألوف من المسلمين وكيف يتدافع الألوف لتقبيل أيديهم حتى إنّ السلطات تأتي بالشرطة لحمايتهم، وإذا مرَّ بنو علوي بين الناس بزيهم العلوي المميز ارتفعت ألسنتهم بالدعاء والتكبير والبكاء ما أدهش الشيخ العامري الذي قال للسادة آل بن حفيظ: يا حبايب أنتم يكفيكم هذا الحبّ وما ضرّكم في قايتين من الناس بحضرموت (يشير إلى تعداد حضرموت القليل) إن حبّوكم أو بغضوكم.

قال بن عبيدالله ولئن ورد النهي عن الانحناء كما عند الترمذي وغيره فليس منه الانحناء لغرض المصافحة أو التقبيل أو أيّ غرض آخر، إنّما المنهي عنه الانحناء المجرد لأجل التعظيم لأنّه من تحايا الأعاجم.

ومن يقرأ كتاب الأدب الصغير في أدب الملوك يأخذه العجب من النصائح المقدمة من المؤلف لتعظيم الملوك حتى إنك تحسبهم فوق البشر.

واعترض العلامة بن عبيدالله في كتابه صوب الركام على طريقة لاخدام السقاف كانت موجودة في زمانه، لكنها أبطلت في السنين الأخيرة ولكن لا بأس بذكر ما كتبه لاستكمال التاريخ، قال بن عبيدالله «لا شكّ في حرمة ما يفعله اخدام السقاف عندنا في الأعراس وغيرها من الجثي على الركب أمام السادات ولك أنهم بينما هم يمشون بدفوفهم وشباباتهم أمام الناس إذ وقفوا ووقف الناس بوقوفهم ثم انعطفوا وخروا جثياً على الركب وأخذوا يزحفون عليها

حتى إذا وصلوا إلى أقدام الأشراف وهم قيام كالبنيان نهضوا في سيرهم، وهكذا دواليك حتى يبلغوا المكان الذي يريدون، ولا شك آنّ هذا الغلو والخروج عن الأدب الشرعي بدرجة فظيعة يزيد عن سجود الأغبياء بين يدي مشائخهم، وفي المتون أنّ السجود للمخلوق من الكفر. قال المؤلف بخلاف الركوع لأنّ صورته كثيراً ما تقع للمخلوق ومحل الفرق بينهما عند الإطراق، أمّا من قصد تعظيم المخلوق كما يعظم به الملائكة فلا شك في كفره. انتهى. ومتى كان الكلام في الكفر فما بالك بمجرد التحريم[١] (انتهى).

وقد يتساءل القارئ وما دام أنّ المسألة كذلك فلماذا لا يزيل بن عبيدالله هذا المنكر؟ ويجيب بن عبيدالله على هذا السؤال، يقول: «وطالما أنكرت ذلك الصنيع وذاكرت فيه الإخوان ولا جواب إلا قولهم ماذا نقول، وقد حضره فلان وفلان (يقصدون كبار العلماء)؟» ويرد بن عبيد الله عليهم «بأنّه لا عبرة بالإجماع الفعلي في الأزمنة الفاسدة» (انتهى)[٢].

ولما وصلت ملكة بريطانيا إلى عدن سنة ١٩٥٤ م وقررت منح السيد أبا بكر بن شيخ الكاف وسام الإمبراطورية لأعماله الكثيرة لأجل حضرموت، ولكن عندما صعد السيد أبو بكر على المنصة التي تقف عليها ملكة بريطانيا عرف أنّ من بروتوكولات تقليد الوسام أنْ ينحني أمام الملكة فتغيرت ملامح وجهه وفاجأ الحضور الحاشد برفض الانحناء، وقال: أنا مسلم والمسلم لا يركع إلا لله وحده، وأحدث هذا الرفض جدلاً كثيراً على منصة الاحتفال إذ لم يحدث مثل ذلك من قبل في تسليم الأوسمة التي يطمح إليها كبار الرسميين والأعيان في كل أرجاء الإمبراطورية، ومع إصرار السيد أبي بكر على رأيه حل الإشكال بأن أحضروا للمنصة كرسياً ليضع السيد أبو بكر عليه إحدى رجليه دون أن ينحني حتى تتم مراسيم تسليم الوسام[٣].

---

(١) علوي بن عبد القادر السقاف، تحقيق الفرق، صفحة ٦٤-٦٥.

(٢) علوي بن عبدالقادر السقاف، تحقيق الفرق، صفحة ٦٤-٦٥.

(٣) جعفر السقاف وعلي أنيس الكاف، أبو بكر بن شيخ الكاف، تريم للدراسات والنشر، صفحة ٩٨.

كما قررت ملكة بريطانيا منح السيد أبي بكر بن حسين بن عبد الله الكاف (توفي سنة ١٣٨١هـ بتريم) وسام الإمبراطورية تقديراً لقيامه بكثير من المشاريع الخيرية، منها أنّه حفر بئراً وأصلح بركاً للغسل والوضوء بشعب نبي الله هود، ومنها مشروعه الكبير الذي جلب فيه الماء لسكان بلدة عينات من مسافة بعيدة بعد أن كانوا يعانون من عدم توفر مياه الشرب، فحفر بئراً في سفح أحد الجبال المجاورة لعينات وجعل فيها مضخة ترفع الماء إلى خزان علوي، ومنه مدّ الأنابيب إلى خزان بوسط بلدة عينات يستقي منه الناس، وذلك على نفقته ابتغاء الأجر من الله[١]. ولمّا علم السيد أبو بكر بن حسين بعزم الملكة تقليده الوسام اختفى من تريم حتى لا يرغمه أحد على السفر إلى عدن، ولم يعد إلا بعد سفر الملكة من عدن. وقال إن الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي قلّدني سبحته، وهذا أكبر وسام، ولن أرضى أن أتقلّد بعده أيّ وسام.

ومع رفض العلويين الانحناء لملكة بريطانيا إلا أنّنا نرى سيد الوادي الحبيب حسن بن صالح البحر يطأطئ رأسه استجابة لأمر الشيخ عتيق باجبير وهو شخص ظريف وفقير من أهل الغرفة كان الحب حسن يحبه، فقد مرّ الحبيب حسن بن صالح البحر (١١٩١-١٢٧٣هـ) مرةً تحت مسكن الشيخ عتيق فناداه عتيق من داخل بيته قائلاً: يا حسن ألا تحب أن تزور الملك في قصره (يعني نفسه)، فرد الحبيب حسن: بلى، ولما عزم الحبيب حسن على الدخول لبيته وكان الباب قصيراً قال له طاطئ رأسك يا حسن كما هي العادة في الدخول على الملوك، ففعل الحبيب حسن ثم قدم عتيق للحبيب حسن طاسة من الفخار تطفح بالماء وقال له: اشرب فإن هذا كاس الملك وسيد الوادي يمتثل لأوامر عتيق بصدر منشرح وخاطر مبسوط[٢] (انتهى)، فأعظِمْ بها من أخلاق علوية وطباع هاشمية.

---

(١) عبد القادر بن عبد الرحمن الجنيد، العقود الجاهزة والوعود الناجزة، صفحة ٩٣ .

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٢٨٩.

الفصل الأربعون

العلويين ومسألة ختم المجالس بالفاتحة



ومن عادة العلويين التي لازالت سائرة إلى اليوم ختم المجالس بالفاتحة، ويتولى ذلك كبير الحاضرين في المجلس، وهم لتواضعهم يتدافعونها فيما بينهم، وإن كان المشاهد الذي لا يعرفهم قد يحسب أن في هذا التدافع نوع من التصنع، وأحياناً يكون هناك جماعة من المشايخ مختصين بترتيب الفاتحة في المجالس العامة.

ويطلق العلويون ومحبيهم على ختم المجلس بالفاتحة ترتيب الفاتحة، وقد انتقدهم على ذلك أحد خصومهم فقال لهم: الفاتحة قدها مرتبة في كتاب الله فكيف ترتبونها؟!

وذكر ابن عبيد الله الاعتراض على عادة ختم المجالس بالفاتحة فقال في بضائع التابوت: ولقد كان من العادة المطردة بحضرموت ختم المجالس بدعوات تقرأ بعدها الفاتحة لروح المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فاتفق لأحدهم إنكار هذه العادة بدعوى أنها زيادة في دين الله بما لم ينزل به سلطاناً، فرد عليه الحبيب طاهر بن الحسين (١١٨٤-١٢٢٠هـ) برسالة لم تجيء دلائلها مقنعة، وإنما خرجت مخرج الوعظ والتذكير[١].

هذا وقد أيد واحداً من كبار العلويين الاعتراض على ختم المجلس بالفاتحة، قال ابن عبيدالله: فلم يكن من الإمام علوي بن سقاف الجفري إلا أن نقض ما نقله الحبيب طاهر بن الحسين برسالة سماها الدلائل الواضحة في الرد على رسالة الفاتحة، ترجم فيها لابن تيميه، ولابن القيم، ولابن عبد الوهاب.

ثم قال ابن عبيدالله: وأعجب من هذا أن سيدنا الإمام عبدالله بن حسين كتب على النقض السابق بخط يده: علوي بن سقاف يقول الحق.

ولم يعرف ابن عبيدالله من المقصود بعبد الله بن حسين وهل هو الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر؟ أو المقصود عبدالله بن حسين بلفقيه؟ فقال ابن عبيدالله: وقد تردد النظر عندي بين أن يكون المقصود هو الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر أخا الحبيب طاهر وما

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثاني/ ١ صفحة ١٢١.

هو إلا شيء عظيم، لأنه كان كثير الاحترام لأخيه، حتى لقد مكث معه في دار واحدة نحواً من أربعين سنة لم يطأ فيها سقفاً كان تحته أخوه، ويحتمل أن يكون المقصود الحبيب عبدالله بن حسين بلفقيه وهذه هو الاقرب[١].

إلا أن ابن عبيدالله احترم ما حصل من اتفاق في الرأي بين الحبيب عبدالله بن حسين بلفقيه، والحبيب علوي بن سقاف الجفري على الحق رغم ما بينهما من التنافس فقال: وفي ذلك عجب لوجود التنافس بين بلفقيه والجفري ولكنهما اجتمعا على الحق لأنه عندهم فوق كل شيء.

واعتبر ابن عبيدالله أن إنكار الحبيب علوي بن سقاف يتعلق بالندب لا الاستحسان ويقول عن ذلك: أما استحسان ختم المجالس بالفاتحة فلا يظن أن عليه انتقاد بعد ما ورد في فضل الفاتحة بالخصوص أكثر من خمسة وعشرين حديثاً، وفي فضل القرآن بالعموم أكثر من مائتي حديث، كما في قسم الأقوال من كتاب كنز العمال.

ثم إن ابن عبيدالله لم يتورع عن الرد على الحبيب علوي بن سقاف الجفري لو كان المقصود من رده إنكاره المطلق لختم المجلس بالفاتحة، قال ابن عبيدالله: فان فعل (يقصد الحبيب علوي بن سقاف) فإنه على فضله، وغزارة علمه، وكبر مقامه، محجوج بما في البخاري وغيره عن أنس أن رجلاً من الأنصار كان يؤمهم في مسجد قباء وكان كلما افتتح سورة يقرأ لهم بها في الصلاة مما يقرأه افتتح بقل هو الله أحد حتى يفرغ منها، ثم يقرأ سورة أخرى معها، وكان يصنع ذلك في كل ركعة، فكلمه أصحابه وقالوا إنك تفتتح بهذه السورة، ثم ترى أنها لا تجزئك حتى تقرأ بالأخرى، فإما أن تقرأ بها، وإما أن تدعها وتقرأ بأخرى فقال: ما أنا بتاركها إن أحببتم أن أؤمكم بذلك فعلت، وإن كرهتم تركتكم. وكانوا يرون أنه من أفضلهم وكرهوا أن يؤمهم غيره، فلما أتاهم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أخبروه

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثاني/ ١ صفحة ١٢١.

الخبر فقال: يا فلان، ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك؟ وما يحملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة؟ فقال: إني أحبها. فقال: حبك إياها أدخلك الجنة. قال الحافظ فدل تبشيره بالجنة على الرضا وهو أكبر من المطلوب[١] (انتهى).

قال الجد ابن عبيدالله فإن قيل بدخول سورة الإخلاص تحت مشروعية السورة في الصلاة ولا كذلك الفاتحة في المجالس، ولا قياس مع الفارق، ثم أجاب فان الجواب أن لا فارق مع مشروعية الاستغفار و الأذكار في المجالس، والفاتحة أمها فانتفت الفوراق، وفي السنن من حديث أبي هريرة: «ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله تعالى فيه ولم يصلوا على نبيهم إلا قاموا عن مثل جيفة حمار، وكان عليهم حسرة» وفي رواية الترمذي «ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه، ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم ترة فان شاء عذبهم، وإن شاء غفر لهم» وقال النووي في المجموع: يكره لمن قعد في مكان أن يفارقه قبل أن يذكر الله تعالى فيه، وذكر فيه حديثاً عن أبي هريرة أخرجه أبوداود بإسناد حسن يقرب من الأول، ثم ذكر حديث الترمذي.

ولا نجد ذكراً أفضل من الفاتحة، فينبغي أن يرتفع النزاع إن لم ينعقد الإجماع، إذ يتركب إذا قياس منطقي من الشكل الأول، وهو هكذا: الفاتحة ذكر، وختم المجالس بالذكر سنة، فتكون النتيجة من هاتين المقدمتين الصحيحتين ختم المجالس بالفاتحة سنة، وهذا هو البرهان القاطع[٢] (انتهى)

قال ابن عبيد الله: وما أرجو اذخره وبركته صحة الإجازة لي وتكررها من حضرة سيدي الأبر عيدروس بن عمر الحبشي، ومن والدي ومن الشيخ عمر بن عوض شيبان، في جميع مروياتهم، ومنها ما جاء في إجازة الحبيب محمد بن عيدروس عن الشيخ عمر بن

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثاني/ ١ صفحة ١٢٢.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثاني/ ١ صفحة ١٢٢.

عبدالكريم بن عبدالرسول العطار من قوله بعد ذكر آيات وأدعيه مخصوصة، ومنها ختم المجلس بقراءة الفاتحة، ينبغي المواظبة عليها لكل مؤمن راغب في الخير[١].

ونقل ابن عبيدالله حكاية عجيبة استنتج منها أن ختم المجالس بالفاتحة ليس مخصوصاً بالعلويين الحضرميين، بل شائعاً ذائعاً بين العلماء المحققين[٢].

قال ابن عبيدالله: أما ما ذكره اليافعي وغيره من حديث (الفاتحة لما قرئت له) فقد بالغ الحبيب علوي بن سقاف في توهينه، وقال السيوطي: إن حديث الباذنجان لما أكل له موضوع بإجماع أئمة الحديث، وأما حديث (ماء زمزم لما شرب له) فقد أخرجه ابن ماجه بسند جيد، والخطيب في تاريخه بإسناد على رسم الصحيح كما قاله الدمياطي، وألف الحافظ ابن حجر فيه جزءً، وقال ضعفه جماعة، وصححه آخرون منهم المنذري، والدمياطي، والصواب أنه حسن لكثرة شواهده[٣].

قال ابن عبيدالله: ونقل لي الفاضل الشيخ محمد بن عوض بافضل عن الحبيب عبدالله بن أحمد بلفقيه أنه استدل لاستحسان ختم المجالس بالفاتحة بما سبق عن اليافعي، وبحديث ابن عباس عند أحمد والبيهقي «فاتحة الكتاب شفاء من كل داء» وفي رواية «إن القرآن شفاء من كل داء»، وفي رواية «فاتحة الكتاب شفاء من كل سم» إلى آخر ما بعث به إلي من صفحة **٣٨٧** من سبيل المهتدين للسيد عبدالله بن علوي العطاس[٤].

ثم فند ابن عبيدالله الكلام السابق بقوله: وأقول أما الاستدلال بما ذكره اليافعي فقد علمت ما قلناه فيه، وأما «فاتحة الكتاب شفاء من كل داء» فأخرجه البيهقي مرسلاً في شعب

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثاني / ١ صفحة ١٢٢.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثاني / ١ صفحة ١٢٣.

(٣) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثاني / ١ صفحة ١٢٣.

(٤) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثاني / ١ صفحة ١٢٣.

الإيمان عن عبد الملك بن عمير عن جابر «إلا أخبرك بخير سورة نزلت في القرآن؟، فاتحة الكتاب، فيها شفاء من كل داء» وهو وإن كان في حكم المرفوع، لأن مثله لا يقال من قبل الرأي، لكن الأحاديث الضعيفة موجودة بكثرة في الشعب، وهو كبقية الأحاديث الخمسة والعشرين التي أسلفتُ ذكرها في فضل الفاتحة، ولا حاجة لهذا الحديث مع ما جاء في الصحيح بمعناه.

قال ابن عبيدالله: «وما أدراك أن الفاتحة رقيه» فقد أخرج اليلمي في مسند الفردوس عن عمران بن حصين «فاتحة الكتاب، وآية الكرسي لا يقراهما عبد في دار فتصيبهم ذلك اليوم عين أنس أو جن»، وأما حديث «فاتحة الكتاب شفاء من السم» فأخرجه ابن حبان وسعيد بن منصور عن أبي سعيد وأخرجه أيضاً أبو الشيخ في الثواب عنه، وعن أبي هريرة، ولم يذكر صاحب كنز العمال أحمد مع تقصيه لمخرجي هذه الأحاديث (انتهى)[1].

وختم ابن عبيدالله الموضوع بقوله: ومهما يكن من الأمر فما قلته أوضح وما دللت به أرجح إن شاء الله تعالى.

نموذج من دعاء ختم المجالس بالفاتحة

تختلف طريقة قراءة الفاتحة، فقد تكون قصيرة جداً، وقد تطول، وإذا طالت لا تخرج عن أمثال الدعاء الذي يقرأ في المسجد الحرام في الوتر بعد التراويح، حيث يقول الشيخ الدعاء ويؤمن الحاضرون، ومثال الفاتحة الطويلة فاتحة للحبيب عبد الله بن عيدروس العيدروس وردت في كتيب مخ العبادة[2].

والفاتحة التالية من النوع المتوسط الطول وصيغتها في كتيب مخ العبادة كالتالي:

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثاني/ ١ صفحة ١٢٣.

(٢) مخ العبادة صفحة ٤٥٦-٤٦١.

الفاتحة بان الله يغيث المسلمين، ويرحم المسلمين، وإلى أرواح الأئمة والمجتهدين والعلماء العاملين ومشايخنا في الدين، وإلى أرواح والدينا ووالديكم خاصة، وأموات المسلمين عامة، بأن الله يتغشاهم بالرحمة، ويسكنهم الجنة، وان الله يكفينا وإياكم شر الظالمين وشر المؤذين وشر الحاسدين، وأن الله يعطي كل سائل منا ومنكم سوله، على ما يرضى الله ورسوله، والحجاج والمسافرين، والغزاة والمجاهدين، بأن يبلغهم مقاصدهم، ويردهم إلى أوطانهم سالمين، في خير وعافية، وأن الله يتوب علينا، ويختم لنا ولكم بالحسنى في لطف وخير وعافية، وإلى حضرة النبي محمد ﷺ[١].

هذا وقد اشتهر بعض العلويين بالفاتحة المطولة ومنهم السيد المعمر عبدالقادر بن محمد باعقيل السقاف، المتوفى سنة ١٣٦٧هـ، الذي أقام بمكة فترة طويلة.

وصفه ابن عبيد الله فقال: السيد النزهة النديم، الخفيف النسيم، صاحب النوادر اللطيفة، والحالات الشريفة، عبد القادر بن محمد السقاف، وهو من المعمرين، عاش في أكناف الأكابر، وحظي باعتنائهم وصحة ولائهم، وله دالة عظيمة عليهم، وكثيراً ما يمثل هيئاتهم وأصواتهم وقراءاتهم وكيفيات مشيهم وحركاتهم، فيخفف من حسرتنا على عدم الاجتماع بكثير منهم، كسيدي طاهر بن عمر الحداد، وابنه محمد، وسادتي عمر بن هادون، ومحمد بن صالح وأمثالهم، وفي ذلك التمثيل نوع من الوصال ليس بالقليل، وهو الآن بمكة المكرمة، على ضيافة صاحب المروءة الشيخ عبد الله سرور الصبان، أحسن الله جزاءه (انتهى)[٢].

وكان الشيخ عبدالله سرور يحبه ويستظرفه، وأخذه مرة إلى بيت أخيه الشيخ محمد سرور فاستظرفه، وذهب به إلى بيت الشيخ عبدالله السليمان وزير مالية الملك عبدالعزيز، وجلسوا معه جلسة خاصة، وبعد الصلاة رتب السقاف فاتحة مطولة كعادته، ثم دعى الشيخ

---

(١) مخ العبادة صفحة ٢٢١.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مكتبة الإرشاد صفحة ١٩٥-١٩٦.

عبدالله السليمان الشيخ محمد سرور مرة أخرى إلى بيته، وطلب منه أن يحضر معه السيد، ولما دخل السقاف المجلس وجده غاصاً بالمطاوعة، فطلب الشيخ عبدالله السليمان من السقاف الفاتحة بعد الصلاة، ولكن السقاف كان ذكياً، فلما نظر المجلس وقد امتلأ بالإخوان قال: يا حنان يا منان تحفظ بن سليمان، وباقي الإخوان، وبسر الفاتحة.

وهذا ومن الملاحظ على العلويين وعلى الحضارمة عموماً صعوبة شق القاف عند قراءة الفاتحة، حتى بلغ الأمر أن أحد كبار العلويين أم جماعة بمكة وقرأ القاف في الفاتحة بطريقة أهل حضرموت، فأعاد الناس الصلاة بعد فراغه منها، وذكر ابن عبيدالله في بضائع التابوت أن الحبيب سقاف بن محمد بن عمر (١١١٥-١١٩٥هـ) أخذ عن العلامة عبد الرحمن بن عبدالله بلفقية، وكاشفه العلامة بلفقيه في اعتماد صحة الصلاة مع عدم شق القاف، لما دار بخاطره بأنه لا يقدر على ذلك مخالفاً لابن حجر.



الفصل الحادي والأربعون

العلويون والتشيع



مذهب العلويين بحضرموت هو المذهب الشافعي، وهم سنّة. وقد حصل بعض الاختلاف بين المؤرخين الحضارمة عن مذهب المهاجر أحمد بن عيسى أول من وصل حضرموت من العلويين، فقال بعضهم بأنّه إمامي المذهب، أي إنّه شيعي المذهب. وقال آخرون بأنّه شافعي المذهب. وكتب العلامة بن عبيد الله رسالة طويلة في الموضوع سماها «نسيم حاجر في مذهب المهاجر».

قال الأستاذ الشاطري في أدوار التاريخ الحضرمي: ولم يعرف التشيع بين العلويين بحضرموت مطلقاً، بل إنّهم لا يذكرون معاوية بن أبي سفيان إلا بالخير، على اعتبار أنّه من صحابة الرسول الأعظم ﷺ وكاتب من كتبة الوحي ولا يفرقون بين الأئمة الأربعة رضوان الله عليهم أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، ولا يحبون الخوض فيما صار بين الصحابة من الفتن.

ويقول بن عبيد الله في بضائع التابوت[١]: لقد كاد التشيع وما هو إلا نوع من أنواع الغلو يعادل الكفر بين المحدثين في إسقاط الرواية على أنّ من المقرر بينهم قبول رواية المبتدع الثقة ما لم يدعُ إلى بدعته أو يروي ما يؤيدها.

ثم قال لكنهم تحاموا كثيراً من زهاد الشيعة وأتقيائهم لأدنى شيء من الغلو في محبة علي كرم الله وجهه.

وقد عرف التشيع عن أشخاص من العلويين في الفترة الأخيرة إلا أنّ عددهم لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة، لكن هذا التشيع ما كان إلا مذهباً فكرياً أكثر منه ممارسة لعقيدة الشيعة، وتتلخص مظاهره في سبِّ الأمويين، وقد يذهب بعضهم أكثر من ذلك. قال الأستاذ الشاطري[٢] في أدوار التاريخ الحضرمي: وقام العلامة أبو بكر بن شهاب الدين بدور فعال بين علماء حضرموت، ثم بين علماء الإسلام في النزاع حول معاوية بن أبي سفيان،

---

(١) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، بضائع التابوت مخطوطة.

(٢) محمد بن أحمد الشاطري، أدور التاريخ الحضرمي، الجزء الثاني، دار المعرفة للنشر، صفحة ٤٥١.

بل هو في الحقيقة بطل المعركة الجدلية، فقد ألّف صديقه العلامة السيد محمد بن عقيل بن يحيى بإشرافه كتابه «النصائح الكافية لمن يتولى معاوية»، ونشره وقامت ضجة حوله لأنه حكم فيه بمروق معاوية عن مبادئ الإسلام وبأنه ليس من الصحابة، وصدر أمر من المجلس النيابي العثماني بمصادرة نسخ الكتاب، ومن أبرز من رد عليه السيد حسن بن علوي بن شهاب بكتاب سماه «الرقيه الشافيه من سموم النصائح الكافيه» حاول فيه إثبات صحبة معاوية وأنّه من أهل الفضل والعدل، وجاء بالأحاديث والوقائع التاريخية التي تؤيد وجهة نظره، فرد عليه العلامة السيد أبو بكر بن شهاب بكتاب سماه «الحميه من مضار الرقيه».

وقال الشاطري وقد اعترض معظم فقهاء وصوفية حضرموت على كتاب النصائح الكافية وكتاب الرقية واعتبروهما من الكتب الضارة التي تسمّم أفكار الجيل وتصبغها بصبغة البدعة والرفض. وقد أحدثت هذه الكتب ثورة ضد مؤلفيها ابن عقيل وابن شهاب، وذلك لأنّهما اصطدما باعتقاد العلويين القائم على احترام معاوية وتسييده واعتباره واحداً من صحابة رسول الله ﷺ (انتهى).

ولاحظ الأستاذ الشاطري أنّ في شعر العلامة أبي بكر بن شهاب لوناً من ألوان الشعر الشيعي الذي اتصف به كثير من فحول الشعراء الأقدمين مثل الفرزدق ودعبل والكميت وغيرهم، ومن ذلك قوله في قصيدة طويلة:

هل تسوموننا انتقاص علي ... فنغيض المهيمن القهار

أم تريدون أن نحب ابن هند ... وعن النصّ مثلكم نتوارى

ثم يقول في معاوية:

خاض لج الضلال عشرين عاماً ... ثم ولى يزيده الخمّارا

لو يكون الذي زعمتم صواباً ... لارعوى بعد قتله عمّارا

ومن الطرائف التى ذكرها الأستاذ محمد الشاطري أنّ العلامة أبا بكر بن شهاب زار مرة مع أصحابه أحد المعاهد الإسلامية التي تدرس اللغة العربية والتاريخ الإسلامي بالهند، فطلب منه عميد المعهد أن يختبر معلومات الطلاب فأملى عليهم هذين البيتين:

إنّــما المــولى عــليٌّ وهــو في ... ملكه الواسع يبدي ويعيــد

ولــه الــصدّيق والفــاروق ... والشيخ عثمان موالي وعبيد

فقال عميد المعهد بالأوردية ما معناه إنّ هذا يمثل أعلى درجات الرفض، ومنع الطلبة من تفسير البيتين، ولكن ابن شهاب أوضح لهم ما فيه من التورية (انتهى)[١]، حيث إنّ المقصود أن المولى عالٍ في ملكوته.

وذكر بن عبيد الله تشيع العلامة أبي بكر بن شهاب فقال: كان ابن شهاب يتشيع لكن بدون غلو، بل لقد اعتدل اعتدالاً حسناً جميلاً بعقب زيارته لحضرموت واطلاعه على كتاب الروض الباسم ورسائل الإمام يحيى بن حمزة (انتهى)[٢].

وذكر قول ابن شهاب:

مــذهبي مــذهب الــوصي أبي ... السبطين فالحقُّ دائر حيث دارا

وذكر بن عبيد الله في ترجمة السيد محمد بن عقيل بن يحيى، وهو أول من عرف بالتشيع بين العلويين فقال عنه: إنّه كان بدء أمره معتدلاً في تشيعه حتى لقد دخل العراق سنة ١٣٣٠هـ ومعه السيد محمد بن علي الحبيد والسيد يوسف بن أحمد الزواوي صاحب مسقط، فلم يرض به الشيعة ولا أهل السنة لخروجه عن سمت الفريقين، ولكنه غلا بالآخرة في

---

(١) محمد بن أحمد الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي، الناشر عالم المعرفة، صفحة ٤٥٨.

(٢) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مطبعة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٤٨٨.

تشيعه حتى وصل إلى سادات الأمة رضوان الله عليهم أو كاد، وغضب من كلامه بعض كبار العلويين[١] (انتهى).

قال بن عبيد الله: أمّا أنا فقد اتعظت بغلو العلامة ابن عقيل اتعاظاً حسناً وسلمت باستنكاره من الوقوع في الحمى الذي لا ينبغي أن يقرب وحاميه سيد ولد آدم ﷺ وما لمثلي والدخول بين المهاجرين الأولين وتعريف طبقاتهم وترتيب درجاتهم، هيهات لقد أحن قدح ليس منها كما قاله الإمام علي كرم الله وجهه (انتهى).

ولما توفي السيد ابن عقيل أقيمت له حفلة تأبين كبيرة في مصر، وكان ممن حضرها ميرزا مهدي رفيع مشكي بك عميد الجالية الإيرانية في القطر المصري وشقيقه محسن بك[٢].

قال بن عبيد الله: ولقد أشيع ميل بعض أهل الرابطة العلوية بإندونيسيا إلى التشيع إلا أنّ العلامة بن عبيد الله الذي خبرهم كتب في بضائع التابوت[٣] (ثم ليس لأهل الرابطة تشيع عن عقد ضمير وليس للإرشاديين غرض من النكير غير التشهير.

وقد اجتمعت بالمكرم محمد بن طالب (من زعماء الإرشاديين) وكان لي صديق وحضر معه جماعة فذكر هو أو غيره فحولة معاوية ليغضبني، فلم يكن منّي إلا أن قلت له: وهل يلد عبد مناف غير الفحول؟ فقال الشيخ ربيع (زعيم العرب بإندونيسيا) أو غيره معنى هذا الكلام أن لا حظّ لنا في فضل معاوية، فقلت: هو كذلك.

قال بن عبيد الله وبه ذكرت مجلساً ضمّني وجماعة من الشيعة والشاميين بالحجاز عند أحد الوجهاء، فطفق بعضهم يتملق الشاميين بمدح معاوية حتى اسودّت وجوه الشيعة وخشيت أن ينشق المجلس، فتناولت الكلام وقلت ما خفي عليك أكثر، وذكرت من أخباره

---

(١) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مطبعة الإرشاد، صفحة ٤٦٤-٤٦٥.

(٢) محمد بن عقيل بن يحيى، العتب الجميل، تريم للدراسات والنشر، صفحة ٤٥.

(٣) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الأوّل، صفحة ٢٨٤.

ما اعترف فيه بصريح الفضل لآل علي رضوان الله عليهم، وأسهب بن عبيد الله بعد ذلك في تفصيل ما قال.

وذكر بن عبيد الله في موضع آخر وأظنه لما كان بإندونيسا: «ولقد اتفق في مجلس تطرق فيه بعض أبناء السادة إلى سبِّ الصحابة وتمنّى محاربة من خرج على الإمام علي بحماس شديد كاذب وأرادوني على إنشاء مقالة في ذلك لينشروها إذكاءً للمشاغبة بين العلويين والإرشاديين، فجاشت نفسي وخطبت فيهم بما يلي: (وهي خطبه طويلة أوردت مقاطع قصيرة منها ـ المؤلف) قال بن عبيد الله في خطبته[1]: «فكيف نصدقكم في هذا البغض الذى مضى عليه أكثر من ألف سنة فيما أنتم تتوددون إلى فسّاق عصركم بل إلى دعاة النصرانية تتزلفون إليهم، فلو انكشف حالكم لمن تتشيعون له (يقصد الإمام علي كرم الله وجهه ـ المؤلف) لرماكم رمي السقب غرسه وترككم ترك الظبي ظلّه ولو أنّكم لزمتم بعض ما رسمه للشيعة لكنتم من مزاعمكم على ذريعة، فكيف وقد اخروط بكم الطريق واحرورف عليكم التوفيق، ولا أخفي عليكم أن الشيعة لم تشتط في معاداة من حارب الإمام إلا لما ورد من أنّ حربه حرب لله فأنّى لكم بتلك الدعوى وقد حاربتم الله مباشرة وارتكبتم البوائق مجاهرة».

ثم قال لهم بن عبيد الله: وغاية أمركم بعد هذا أن تدعوا العصبية ومع هذا فلسنا بمصدقيكم لأنها لا تكون إلا من أهل الأنوف الحميّة والنفوس الأبيّة وأنّى أنتم منهم؟ ثم قال بعد استطراد وما هذه الرابطه المموهة (يقصد الرابطة العلوية بإندونيسيا) إلا خدعة الصبي عن اللبن، وأنشوطة مؤقتة لجمع الإعانة والتصيد بالتفريق، ثم استمر في خطبته الطويلة (انتهى باختصار).

ومن الطرائف المتعلقة بالموضوع ما ذكره بن عبيد الله في معجم بلاد حضرموت[2]

---

(١) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الأول، صفحة ٢٨٧.

(٢) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مطبعة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٢٧٢.

من أن السيد زين بن أحمد بن سميط (ت ١٣٠٧هـ) وهو من أهل شبام ومعروف بنوادره اللطيفة، وقد كان بعدن فمرّ بشبامي ويهودي يتلاطمان في (عدن)، فلما أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما انسل الشبامي وترك زيناً مع اليهودي حتى حجز بينهما الشرطة وساقوهما إلى السجن فسأل زين عن المقربين لدى الحكومة فقيل له: صالح جعفر فأرسل إليه فوصل، فاستخف صالح جعفر روحه، فضمن عليه وأخذه إلى داره وأكرم مثواه، فرأى عنده من النعمة ما لا يعرفه في بيوت آل شبام بعدن، فانقطع عنهم وما زالوا يبحثون عنه حتى ظفروا به، فسبهم وقال: لقد خرجت من النار إلى الجنة، قالوا: لكنك لا تدري ما حال صالح جعفر؟ قال: وما حاله؟ قالوا: يبغض الشيخين أبا بكر وعمر، فاستعظمها وقال: إذا كان يبغض هذين فأي دين له ومن يحب؟ قالوا: لا يحب إلا فاطمة الزهراء رضي الله عنها وأرضاها وزوجها وأولادها، فازدهر وجهه بعد العبوس وقال: أما إذا كان يحب أهلي فليبغض من شاء وأنا كبدي محترقة من أبي بكر لعجم وعمر بن أبي بكر باذيب فسألعنهما جبراً لخاطره، ثم نهض من فوره ودخل على صالح جعفر وأوهمه أنه عثر فقال: لعنة الله على أبي بكر وعمر.

هذا وعرف الحبيب جعفر بن أحمد بن عبد القادر العيدروس (١٣٠٨ -١٣٩٦هـ) بمحبة الإمام علي كرم الله وجهه، حيث كان يختم أغلب قصائده بمدح الإمام علي وذكر صفاته، ولكنه لا يشير إلى أي خلاف بين الصحابة، وقد يظن من لا يعرف الحبيب جعفر أنّ في هذا تشيعاً، ولكن الحقيقة أنه يحب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه حباً لا يوقع في خطر النيل من باقي الصحابة رضوان الله عليهم[١].

وذكر الأستاذ جعفر السقاف في كتابه حامد المحضار كما عرفته أنّ السيد حامد المحضار قرأ في شبابه بعض كتب المذهب الزيدي فأعجب به وتأثر بالمذهب الزيدي رغم أنّ

(١) ديوان الحبيب جعفر بن أحمد بن عبد القادر العيدروس، دار الأصول للنشر والتوزيع، صفحة ١٥.

والده لم يكن يوافقه، وكان ذلك من أسباب إرسال والده له للدراسة بالحرمين وبالأزهر الشريف[١]. وقال الأستاذ جعفر بأنّ السيد حامد ورث التشيع لأهل البيت من أساتذته السيد أبي بكر بن شهاب والسيد محمد بن عقيل، وقال الأستاذ جعفر «كان حامد يرميه أعداؤه بالغلو في التشيع لأهل البيت وتجاهله الآخرين، وهذا محض افتراء عليه»[٢].

وأوضح بن عبيد الله في بضائع التابوت أنّه قد يلصق الأعداء بعظيم تهمة الرفض وسب الصحابة للحطّ من شأنه، فقال[٣]: «إنّ كبراء الدنيا وأهل الجاه والنفوذ وأهل السلطان إذا أرادوا أن يحطوا من عظيم قدر قذفوه بداهية وألصقوها به وبذلوا في ذلك كل ما يقدرون عليه من التمويه فيشفون الغليل منه ويرضون العامة في الوقت نفسه». وذكر بن عبيد الله أنّ أعداءه رموه بفريتين وغلطة فاحشة، وقال: «أمّا الفريتان فزعمهم أنّي أسبّ الصحابة رضوان الله عليهم وأنّني أبغض الصالحين، وأمّا الغلطة فزعمهم أنّ ما قد آخذه على كتابة الفتاوى وتلقين المظلوم الحجة حرام». (انتهى).

هذا ومن المناسب أن نختم هذا الفصل بترجمة للسيد محمد بن عقيل بن يحيى حيث إنّه أوّل من عرف بالتشيع من العلويين، ولقيت مؤلفاته معارضة شديدة من العلويين بحضرموت.

---

(١) جعفر بن محمد السقاف، حامد المحضار كما عرفته، تريم للدراسات والنشر، صفحة ١٩ - ٢٠.
(٢) جعفر بن محمد السقاف، حامد المحضار كما عرفته، تريم للدراسات والنشر، صفحة ٥٠-٥١.
(٣) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ٣٢٥.

ترجمة السيد محمد بن عقيل بن يحيى

(١٢٧٩-١٣٥٠هـ)



السيد محمد بن عقيل بن يحيى

ولد في المسيلة بحضرموت سنة ١٢٧٩هـ، واحتاج للرحلة عن وطنه وهو صغير بعد وفاة والده المبكرة فوصل سنغفورا سنة ١٢٩٦هـ، ثم دخل جزيرة جاوى واشتغل في بعض نواحيها وفيها جاورها بالتجارة والزراعة والتصدير، فكانت له صلاتٌ تجارية واسعة الأطراف ببلاد متعددة في الصين واليابان وجزر الفلبين وسومطرة وغينيا الجديدة والهند والسند وبورما وسيلان واليمن والحجاز ومصر والشام والعراق والآستانة والأناضول وبعض أوروبا، وله معارف ببعض تلك البلاد وحضر معرض باريس التجاري سنة ١٩٠٠م.

وذكر الدكتور عبد الله يحيى الزين في كتابه «النشاط الثقافي والصحفي لليمنيين في

المهجر» أنّ تجارته قد بلغت ٤٠٠,٠٠٠ روبية وهو مبلغ خيالي في ذلك الوقت، وكان يتاجر في الماس والكتب وغير ذلك، وكان دقيقاً في توثيقه لحساباته بشهادة بعض المتخصصين الذين وقفوا على دفاتره المخصصة لذلك.

ويقول عنه العلامة السيد علوي بن طاهر الحداد مفتي جوهور بماليزيا بأن ابن عقيل كان يرى المال وسيلة فقط فليس له عنده منزلة إلاّ بمقدار الحاجة الحاضرة وكان سخياً متلافاً، ولذلك كان اشتغاله بالتجارة كعادة من سبقه من أجداده وأسلافه الذين حملوا هم الدعوة الإسلامية على ظهورهم أن يستعين بالمال على نشر الدعوة والعلم[١].

وصفه بن عبيد الله فقال: كانت له حافظة قوية واطلاع تام وإكباب على المطالعة». (انتهى). وكانت داره أشبه بمكتبة عظيمة تحوي كتباً ومجلات وجرائد كثيرة في مختلف المجالات[٢]. وقال عنه الحبيب علوي بن طاهر الحداد إنّه لم يكن ينام أيام اعتدال صحته حتى يقرأ مائة وخمسين صفحة غالباً، وكان يقيد في مطالعته كل ما يحتاج إلى التقييد ويصحح الأغلاط ويعلق الملاحظات بصبر وعناء قلما يوجد[٣].

ومن أعماله في سنقفورا تأسيس المجلس الاستشاري الإسلامي الأعلى الذي كان أمير الإحسان السيد محمد بن أحمد السقاف أول رئيس له، كما أنشأ بسنقفورا سنة ١٣٢٦هـ جريدة الإصلاح ومجلة تدعى الإمام بلغة الملايو وبحروف عربية كما أسس رحمه الله في سنة ١٣٢٥هـ مدرسة سماها مدرسة الإقبال، وأتى لها في سنة ١٣٢٦هـ بمعلمين من مصر[٤]. كما ساهم السيد محمد بن عقيل بن يحيى مع السيد شيخ الهادي في جمع التبرعات لمشروع خط

---

(١) محمد بن عقيل بن يحيى، العتب الجميل، تريم للدراسات والنشر، صفحة ٢٨-٢٩.

(٢) محمد علوي بن يحيى، شرف المحيا، تريم للدراسات والنشر، صفحة ١٣٢.

(٣) محمد بن عقيل بن يحيى، العتب الجميل، تريم للدراسات والنشر، صفحة ٤٩.

(٤) محمد علوي بن يحيى، شرف المحيا، تريم للدراسات والنشر، صفحة ١٣١-١٣٢.

سكة حديد الحجاز وكذا لمشروع عين زبيدة بمكة، كما اهتم بدعم جمعيات دعم منكوبي طرابلس الغرب لما حلّ بها من الإيطاليين وغيرها من بلاد الإسلام [١].

وبعد هجرة طويلة قرّر السيد محمد بن عقيل العودة إلى البلاد العربية، فاختار أولاً الإقامة بمكة المكرمة، وأرسل في سنة ١٣٣٨هـ عائلته وحاشيته إلى مكة ثم تبعهم بعد ذلك وأقام بمكة ستة أشهر، وعلى ما يبدو فإنّه ترك عائلته بمكة وواصل أسفاره، ثم عاد إلى حضرموت فوصل المكلا سنة ١٣٤٠هـ واستقر بها.

وكانت بريطانيا تنظر إلى ابن عقيل بنظر الريبة، ولم ترتح لوجوده في أيّ مكان بمستعمراتها ومحمياتها، ذلك أنّ أعماله كانت متصادمة مع مصالحها [٢].

وكان السيد محمد بن عقيل في المكلا صريحاً في انتقاد أوضاع البلاد الحضرمية والمطالبة بإصلاح القطر الحضرمي، فاتهمته الحكومة القعيطية بالاتصال بأئمة اليمن وأمروه بمغادرة المكلا والانتقال إلى عدن فأرسل عائلته إلى حضرموت وسافر إلى عدن حيث لقي فيها استقبالاً حاشداً، وتحولت داره في عدن إلى مكتب استفتاء ومعهد وناد أدبي يدرس عنده الطالب ويأتيه السائل والمستفهم وتنعقد مجالس الأدب والظرف ومنضدته تتكدس عليها الأوراق فيلازمها في وقت معين من كل يوم للإجابة على الرسائل الواردة إليه من مختلف الأنحاء، إضافة إلى ما تعوده من القراءة اليومية وتقييد الفوائد. وقد مكث العلامة ابن عقيل فترة بعدن ولا أدري هل لقي مضايقة من الإنجليز أم أنّه قبل دعوة الإمام يحيى للإقامة باليمن بمحض إرادته، فتوجه إلى اليمن سنة ١٣٤٩هـ، وتوفي فيها بعد سنة من وصوله سنة ١٣٥٠هـ.

ويعتبر السيد محمد بن عقيل بن يحيى في وقته من أكبر علماء العالم الإسلامي وأعظم رواد الإصلاح فيه، وقد أسّس في دار هجرته بجزيرة سنغافورا دعوة إسلامية إصلاحية

---

(١) محمد بن عقيل بن يحيى، العتب الجميل، تريم للدراسات والنشر، صفحة ٥٧.

(٢) محمد علوي بن يحي، شرف المحيا، تريم للدراسات والنشر، صفحة ٤١.

امتدت إلى إندونيسيا وغير إندونيسيا. وتمثلت طريقته في إنشاء الجمعيات وتأسيس المدارس ونشر الصحف وتعتبر جريدته التي أصدرها بسنغافورا أول جريدة عربية في تلك المهاجر، وكذلك جمعيته ومدرسته التي حرص على أن تكون مدرسة عربية وإسلامية. وكان تأسيس الجمعية سنة ١٣٢٢هـ وتولى رئاستها السيد أحمد السقاف، كما كانت هذه الجمعية نواة الجمعيات الإصلاحية في البلاد الجاوية كلها، وصارت مركزاً عاماً يقصده المثقفون، بل سبباً لجمع شمل العرب المتفرق في تلك المهاجر البعيدة، ثم أضاف السيد محمد بن عقيل إلى نشاطه إصدار مجلة عربية سماها (الإمام)، كما أسّس سنة ١٣٢٦هـ (١٩٠٨) مدرسة سماها مدرسة الإقبال. ونظراً لصعوبة الحصول على مدرسين يدرسون باللغة العربية فقد جلب لمدرسته مدرسين من مصر. ثم صدرت بمساعيه جريدة الإصلاح التي لم تعمر طويلاً، شأنها شأن مجلة (الإمام). وكانت هذه النهضة العربية في سنغافورا مدعاة لأن تقوم مثلها في إندونيسيا وبلدان جنوب آسيا التي كانت تصلها مجلة الإمام وجريدة الإصلاح فتأسّست في جاكرتا جمعية خير سنة ١٣٢٤هـ، وتأسست معها أول مدرسة لجمعية خير في جاكرتا وفي فلمباغ بمسعى السيد علي بن عبد الرحمان المساوي والسيد محمد بن عبد الرحمان المنور سنة ١٣٢٦. كما تأسست مدرسة سورابايا في السنة نفسها بمسعى السيد شيخ بن زين الحبشي. ومدرسة في جاكرتا بمسعى السيد عبد الله بن علوي العطاس. وكلّها مدارس عربية التدريس إسلامية المناهج.

وكان ابن عقيل يزور إندونيسيا بين الحين والحين لدعم النهضة فيها وبث الإصلاح بين رجالها، وكانت آخر زيارة له لجاوا سنة ١٩١٨.

ونستطيع ممّا عرفناه سابقا أن نعد السيد محمد بن عقيل رائد نهضة وداعي إصلاح ومربي أجيال. وقد طبعت بعض مؤلفاته ولكن معظمها مازال مخطوطاً.

❊ ❊ ❊

الفصل الثاني والأربعون

العلويون وعادات الزواج



عقد زواج بمدينة سيؤن

يندر بين العلويين من عزف عن الزواج وتفرغ للعلم والعبادة مثل السيد أحمد بن علوي ابن المعلم محمد الشهير باجحدب المتوفى بتريم سنة ٩٧٣هـ. وعندما ألحّ عليه تلميذه السيد أحمد بن حسين العيدروس في الزواج، قال: شيء تركته لله لا أرجع فيه[١]. ومثل السيد محمد بن عقيل[٢] المتوفى بتريم سنة ١٠٠٦هـ الذي أعرض عن الزواج خوفاً من ذبح العلم على أفخاذ النساء.

وبقي العلامة الشيخ عمر بن عبد الله الخطيب (١٣٢٦-١٤١٨هـ) سنوات عديدة بسنقفورا بلا زوجة فلامه على ذلك السيد محمد بن حسن شهاب وحثه على الزواج وذكر له قول المتنبي[٣]:

اسكن إلى سكن تسر بـه	ذهب الزمان وأنت منفرد
ترجو غداً وغدا كحاملـة	في الحي لا يدرون ما تلـد

إلا أنّ الشيخ عمر أجابه بأبيات الزمخشري التي يقول فيها:

اجعل طعامـك كـل يـوم مـرة	واحذر طعاماً قبل هضم طعام
واحفظ منيك ما استطعت فإنّه	مـاء الحيـاة يـراق في الأرحـام

هذا، ومن العلويين من اشتهر بكثرة الزواج الحبيب أحمد بن محمد الحبشي صاحب الشعب. ذكر السيد عمر بن علوي الكاف في خلاصة الخبر أنه ولد بتريم ثم استوطن الحسيسة في آخر عمره، وهي التي تقع بجوار قبر المهاجر أحمد بن عيسى، وتوفي بها سنة ١٠٣٨هـ وهو جد السادة آل الحبشي بسيؤن، وكانت له مجاهدات ورياضات، وجاور

---

(١) عمر بن علوي الكاف، خلاصة الخبر، دار المنهاج، صفحة ١١٩.

(٢) عمر بن علوي الكاف، خلاصة الخبر، دار المنهاج، صفحة ٥٤.

(٣) عبد القادر بن عبد الرحمن الجنيد، العقود الجاهزة والوعود الناجزة، صفحة ٥٢٧.

بالحرمين لعدة سنين وكان كثير الصيام والقيام بالليل، وكان عظيم الكرم قوي الورع يصدع بالحق ولا يخاف لومة لائم، وكان كثير الزواج، أخبرني ابنه الحسن أنّ اللاتي دخل بهن والده من النساء ثلاثمائة وستين امرأة، وله من الأولاد خمسة عشر ذكراً وأربع عشرة بنتا[١].

وكان يحب القهوة البنية. ومن عظيم شكره لنعمة ربه أنّه إذا أكل التمر يصلى بكل نواة ركعة، وكان يمشي كل يوم من الحسيسة إلى عينات (حوالي ٥٠ كلم) ليحضر درس الشيخ أبي بكر بن سالم بعينات، وكان يجيء قبل الطلبة، ثم يرجع إلى الحسيسة، وكان يحتطب ويبيع الحطب ويقتات بثمنه[٢] وقد عمر ١١٠ سنوات[٣]. ومن العلويين الذين اشتهروا بكثرة الزواج أيضاً الحبيب سقاف بن محمد بن عمر السقاف (١١١٥-١١٩٥هـ)، إلاّ أنّ أكثر زواجاته كانت بالعقد فقط من غير دخول، وذلك ليسهل عليه الاتصال بالخلق ليقربهم إلى الله.

وكان ينهى عن كثرة التزوج ويقول لأولاده اقتدوا بي في أحوالي كلها دون ولاية القضاء والزواج [٤]. وقال الجد العلامة بن عبيدالله في معجمه[٥] «وتزوج القطب الحداد بنيف وثلاثين امرأة: أربع عشرة من الشرائف والبواقي من غيرهن، وأم ولده محمد من آل كثير. (انتهى). كما كان الإمام عبد الرحمن السقاف (٧٣٩-٨١٩ هـ) رضي الله عنه مع عبادته واشتغاله بالعلم كثير التزوج، ولم يقصر ذلك على بلدة تريم بل تعداها إلى بلدة العر وغيرها، ولذلك مات وله من الولد ثلاثة عشر ولداً ذكراً وسبع بنات[٦].

---

(١) طه حسن السقاف، البحر الملي، صفحة ٣١.

(٢) طه حسن السقاف، البحر الملي، صفحة ٣٢-٣٣.

(٣) طه حسن السقاف، البحر الملي، صفحة ٣١.

(٤) حسن بن سقاف السقاف، نشر محاسن الأوصاف، دار الحاوي، صفحة ٢٣٢.

(٥) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلدان حضرموت، مطبعة الإرشاد بصنعاء، صفحة ٥٣٥.

(٦) صالح الحامد، تاريخ حضرموت، الجزء الثاني، الناشر مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٧٤٥.

وفي ترجمة الحبيب عبد الرحمن بن علي السقاف (١٢٢٦-١٢٩٢هـ) أنه كان كثير الزوجات والعيال[١].

وقال حفيده الحبيب أحمد بن عبد الرحمن السقاف (١٢٧٨-١٣٥٧هـ): كان مع جدي لامي محمد الخطيب أربع بنات أصغرهن والدتي، وعلمهن القرآن إلا والدتي لصغر سنّها، وكانت مرغوباً فيها لنسبها وحسبها وجمالها فتزوجها ابن عمها وأخذت معه مدة ثم طلقها، وبعد مدة رجع يطلب تزويجها، وجاءها زوج آخر. وبينما هم يتشاورون في أمر تزويجها جاءهم جواب من جدي الحبيب عبد الرحمن بن علي السقاف يطلب يدها فقبلوه[٢].

ومن الأخبار الغريبة ما ورد في ترجمة العلامة السيد محمد بن عقيل بن يحيى (المتوفى سنة ١٣٥٠هـ) فقد ذكر المترجم له أنّه كان كثير الزواج، وقد أعانه على ذلك ويسّره ما كانت تقوم به زوجته الصالحة مريم الجنيد والتي كانت تحرص على تزويجه كلما سنحت لها الفرصة على غير عادة النساء في حضرموت [٣].

وذكر بن عبيدالله أنّه: كان لعبد الله بن أحمد باذياب بنت مشهورة تسمى عبودة، تنافس عليها الخطاب وكان منهم محمد بن عمر باعقيل (ويعود نسبه إلى آل السقاف ووالده من الأثرياء بسربايا)، فأعطاهم باعقيل ألف ريال وشرطوا عليه فوق المبلغ السابق هدايا طائلة ولا يتم الزواج إلا أن جاء بها على موعد ضربوه له وإلا انفسخت الخطبة وضاع الألف، فتأخر عن وعده فتركوه، ويقال إنّهم رفعوا أمره إلى السيد حسين بن حامد المحضار فحكم عليه وكلّفه مع ذلك غرامة الدعوى ومقدارها مائتا ريال، وقيل إنّه تزوجها وإنّما كان النزاع بعد الزواج.

---

(١) أحمد بن عبد الرحمن السقاف، الأمالي، دار الأصول، صفحة ٦٦.

(٢) الحبيب عبد القادر بن أحمد السقاف، مجموع كلام الحبيب أحمد بن عبد الرحمن السقاف، دار الفقيه للنشر والتوزيع، صفحة ١٥٠.

(٣) محمد بن عقيل بن يحيى، العتب الجميل، تريم للدراسات والنشر، هامش صفحة ٢٨.

قال بن عبيدالله: ومن غرائب الصدف أنّ عبودة هذه تزوجت من الشيخ حسن بن أحمد القحوم العمودي فأولدها بنتاً تزوجت أحد أولاد السيد محمد بن عمر باعقيل [١].

ومن أخبار السيد محمد باعقيل أنه تمرد على الدولة القعيطية فتمكن منه السيد حسين بن حامد المحضار وحبسه، وفيه يقول الشاعر الشعبي:

البنك بايطلق محمد بن عمر   أبـوه مالقـا قبـه وجـاه
أبوه القا له صرر بارض الكفر   ملقاه في مسجد ينادي بالصلاة

ويفهم من أشعار الحبيب محسن بن علوي السقاف (١٢١١-١٢٩٠هـ) أنه من الذين لا يشجعون على التعدد في الزواج، ومن أشعاره:

صاحب الثنتين طلق واحده   واحده تكفي ولخرى زايـده

ويعتب في قصيدة من قصائده على أحد أصدقائه الذي تزوج خفية ولكن فُضح بعد ذلك أمره فيقول [٢]:

وانت ويش انشبك في ذا الشبك المعقد   وانت سـاكن معـافى في شـؤنك تـردد
من تبع قحرته يصبر على الضيم والكد   والحفا والجفا والعرفجه وأنـت أزهـد

ثم ينصحه بمصالحة أهله، فيقول:

واترك الشور ذا رح سد لاهلك كمن سد   ماحـسبنا معـك تـسخين يـا بومحمـد

ومن الطرائف أنّ القاضي العادل الحبيب علوي بن عبد الرحمن السقاف (١٢٦٥-١٣٢٨هـ) تزوج على زوجته فغضبت عليه ولكنها لم تستطع ترك البيت لأنّها لم يكن لها أهل

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٢١٧-٢١٨.
(٢) ديوان الحبيب محسن بن علوي السقاف، تحقيق علي بن محمد السقاف، صفحة ٧٥.

بسيؤون فمدت بينه وبينها ستراً تحتجب به عنه أثناء جلوسها معه في البيت، وبعد أيام وهم جلوس وبينهم الستر مد الحبيب علوي يده إلى الستر وشده وصاح خلاص سدينا (أي اصطلحنا).

ويقول الحبيب مصطفى المحضار[1] بأسلوبه السجعي وأفكاره الطريفة عن الزواج الثاني: «والزواجه تبا شبابين ونواخذ وربابين ومراكب هيرابها استوى يخوضون بها بحار الهوى قالو لاعرابي تزوج قال مرحبا ودخل على المره ليله وفكها قالو له وراك فسحت في المرأه قال فيش (يكفي) من مثلي ويكفي من الزرا (البهذله) ليله ونحن قد مضت الاعمار كلها في زرا ويكفى ما قد جرى». (انتهى باختصار).

قال بن عبيدالله [2]: وبلغني أنّ الحبيب أحمد بن محمد المحضار كان يقول: من أراد أن يتزوج بخمسين ريالاً فليدفع لامرأته ريالاً وليتوهم أنّها المرأة التي يهواها، قال بن عبيدالله: وفي الصحيح أيّما رجل منكم رأى امرأة فأعجبته فليذهب إلى امرأته فإنّ معها مثل الذي معها. (انتهى).

ومن الطرائف التي تحدث للشيبان عند زواجهم الثاني أنّ الحبيب أحمد بن عمر بن يحيى والحبيب عبد الله الشاطري تزوجا بتريم زواجاً جديداً بعد أن تجاوز كل منهما السبعين سنة من عمره ولما قدما سيؤون أقيمت على شرفهم مأدبة بهذه المناسبة وقبل الغداء طلبوا من السيد محمد المساوي النشيد فأنشد القصيدة التالية:

غير مستحسن وصال الغواني ... بعد سبعين حجة وثمان

ولما انتهى من نشيده قال له الحبيب أحمد بن عمر بن يحيى وراك يا ولدي .. ثا .. واو .. را!!!

---

(١) محمد بن عبداللاه المحضار، خواطر وأفكار، تريم للنشر والدراسات، صفحة ٢٣٣.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ٢٤١.

وتزوج كثير من العلويين من بنات القبائل والمشائخ، ولهذا اختلطت غالبية دماء العلويين بدماء مشايخ وقبائل حضرموت منذ الزمن القديم، فأم الحبيب علي بن أبي بكر بن عبد الرحمن السقاف (توفي سنة ٨٩٥هـ) مريم بنت أحمد بارشيد، وأم أم الحبيب عبد الله العيدروس بن أبي بكر بن عبد الرحمن السقاف (المتوفى سنة ٨٦٥هـ بطريق الشحر) عائشة بنت عبد الله الخطيب، ووالدة جد جميع السادة آل طه بن عمر السقاف بسيؤن الحبيب طه بن عمر الصافي من آل بانجار من سيؤن، وكثير غيرهم كذلك.

وكان من عادة العلويين أنّه إذا تزوج أحدهم بعلوية ولم تنجب له تزوج بغير علوية وأحياناً يكون الزواج الثاني غير مشهر أمام الناس، مع أنّه زواج مكتمل الأركان وليس بمثل ما عرف من أنواع الزواج التي ظهرت في السنوات الأخيرة كالزواج العرفي وزواج المسيار أو زواج المتعة. ولهذا السبب تزوج القاضي والعلامة الحبيب عبد الله بن حسين السقاف عند المشايخ آل باحميد وأنجب ابنه العلامة علوي بن عبد الله السقاف (١٣١٥-١٣٩٢هـ).

ومن الطرائف أنّ أحد العلويين تزوج سراً فقابله جماعة فسألوه عن زواجه فأنكر فقالوا له سنسأل الشهود فأجابهم: قد مكنت الشهود (يعني أكدت عليهم بعدم الكلام)، ففضح نفسه.

ومن عادة السادة العزوف عن تزويج من يعرف بكثرة الأسفار وطول الغربة، ففي ترجمة الحبيب عبد الله بن عيدروس بن شهاب[١] أنّه لما عاد من سفره الطويل إلى تريم في سنة ١٣٠٢ وعزم على التزوج خطب عند كثيرين من أهالي تريم فلم يقبلوه لما عرفوه عنه من أنّه كثير الأسفار والغيبة عن تريم ولا يطيل الإقامة بها، وفي الأخير خطب الشريفة فاطمة بنت السيد محمد بن عمر بلفقيه، وكاد أهلها أن يردّوه ولا يقبلوه لذلك السبب، لولا أنّ السيد محمد بن عبد الرحمن المشهور ذهب إليهم ونصحهم ورغبهم في إجابة خطبته فتزوجها وأولدت له

(١) عمر بن علوي الكاف، تحفة الأحباب، دار الحاوي، صفحة ٤٢.

الحبيب علوي بن عبد الله بن شهاب لكنه سافر قبل ولادة زوجته بشهرين متوجهاً إلى الحرمين ومنها إلى فليمباغ بجاوا (انتهى).

أمّا إذا تطرقنا إلى عادات الزواج فقد استحدث العلويون وغيرهم من الحضارمة خصوصاً المقيمين منهم بالسعودية عادات مكلفة للزواج جمعوا فيها التراث الحضرمي والتراث السعودي فزادت التكاليف وعظمت الخسارة.

رغم أننا نرى كبار العلويين ينهون عن هذه التكاليف حتى في زمنهم السابق الذي كانوا فيه على درجة عظيمة من التقشف والبساطة، فهذا مثلا الحبيب علوي بن عبد الله بن شهاب نراه ينتقد العوائد المستحدثة في الزواج ويقول: حتى نحن يا السادة إذا كان عندنا زواج نسوي عراض وبنادق وشبواني ما هكذا كان أهلنا شوفونا تغيرنا وكل منا حاد عن طريق أهله سادتنا ومشايخنا وعبيدنا ومساكيننا.

وقال: شيابتنا كانوا إذا سمعوا أحداً حتى يسمع (ينشد) ينهونه مع أن التسميع مباح وأما ذا الحين إذا كان عند حد زواج نبيت في حالة ما يجي نحن النوم يبيتون يشترحون وإذا بيتوا بهذه الحالة وناموا عادهم بايقومون لصلاة الصبح حاشاء الله ما بايقومون، ثم قال يا ليته شرح فقط ولكنهم قالوا يشترحون مع امرأة أجنبية لا إله إلا الله شوفوه بايقع بعد الشرح زنا، ثم قال الإنسان في الزواج لا باس يلقي فرح قليل، لكن ما هو هكذا تروحون تجيبون بدوية نعوذ بالله من هذا الأمر أجنبي يمشي مع أجنبية، وختم وعظه بقوله: شوفوا كانوا جنود في هذه الأرض أبادهم الله بخصلتين الزنا والربا (انتهى باختصار)[1]. فماذا نقول نحن الآن بعد هذا الكلام في حفلات الزواج المكلفة التي تتواصل إلى أذان الفجر.

وإذا استعرضنا ما كتبه المؤرخون عن أعظم حفلات الزواجات بحضرموت في الزمن الماضي فقد ذكر بن عبيد الله في بضائع التابوت[2] زواج عيسى الحداد فقال: وفي سنة

---

(١) عمر بن علوي الكاف، تحفة الأحباب، دار الحاوي، صفحة ٢٤٣-٢٤٤.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، بضائع التابوت، الجزء الثالث، مخطوط، صفحة ٢٥٨.

١٣١٣هـ عمل الحبيب عبد القادر بن أحمد الحداد احتفالات ومآدب عظيمة لزواج ولده عيسى بن عبد القادر، ودعا الناس، وكان أعظم زواج علمناه بحضرموت، لم نسمع قبله ولا بعده بمثله، واستدعى طوائف من آل كثير وغيرهم من حملة السلاح ومع الزفاف بالعريس في العشي من دار السيد عمر بن أحمد الشاطري بتريم إلى الحاوي أراد آل كثير أن يرتجزوا بزواملهم حسب عادتهم في الأفراح فمنعهم السلطان محسن الكثيري خشية أن يصاب أحد بشيء من الرصاص، فلم يبالوا بمنعه وكاد أن يحدث بينهم وبين المستقبلين من آل تميم شر بسبب أن بعضهم يطلق الرصاص على مقربة من هامات الرجال، ولكن الله سلم. ثم قال بن عبيدالله: وبأثر ذلك مرض السيد عبد القادر بن أحمد الحداد فحملوه إلى الحوطة على أعناق الرجال ومروا به في طريقهم بالغرفة، فسمع الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي جلبة في الطريق فسأل فأخبروه بأن ذلك السيد الحداد نقلوه من تريم إلى الحوطة ليكون مكان أبرك من مكان، فأطرق الحب عيدروس ثم قال: إنْ كان في العمر بقية فلم يمض نحو أسبوع إلا وجاء نعيه إلى تريم، وكان ذلك في أواسط سنة **١٣١٣**هـ.

ومن الحوادث التي حدثت في الزواجات الكبيرة ما ذكره بن عبيدالله في بضائع التابوت[١] من أنّه حدثت فتنة بتريم سنة **١٣٦٠**هـ بين العبيد والجند اليافعي أثناء زواج لآل الكاف وأطلق الرصاص وحدث هرج ومرج، وكان بين المدعوين بركات الأردني قائد جيش البادية مما دفع بجيش البادية إلى الهجوم على دار الزواج لإنقاذه، وبلغ الخوف والهلع بالناس مبلغه، وصاحت النساء حتى أجهضت بعض الحوامل، وانجلت الفتنه عن إصابات في يد السيد مشهور بن حسن الكاف وقتيلين من يافع وقتيل من العبيد. (انتهى باختصار وتصرف).

وفي تحفة الألباب[٢] أنّ الحبيب علوي بن شهاب لم يشعر بالرغبة في الذهاب إلى هذه

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ١٧٨.

(٢) عمر بن علوي الكاف، تحفة الأحباب، دار الحاوي، صفحة ١٦٠.

الحراوة، ولكنه ذهب تكلفاً فحدث ما حدث في الحراوة من القتل والخوف، وقتل تحت البيت ثلاثة نفر وماج الناس وخافوا وقر الأكل في أفواه الخلق. (انتهى).

وعلى الجانب الآخر سنستعرض بعض القصص التي تبين بساطة السلف في أمور الزواج والابتعاد عن التكلف. قال بن عبيدالله[1] نقلاً عن مفتاح السعادة والخير للشيخ عبد الله باقشير، وأعقب الشيخ حكم باقشير بنتاً يقال لها حكيمة تزوجها السيد علي بن محمد صاحب عيديد (المتوفى سنة ٩١٩هـ) بإشارة السيد عبد الله بن أبي بكر العيدروس، وكان هو الذي دفع عنه الجهاز، وكانت الوليمة دخناً ودجراً مأدومين بلحم في جفنة واحدة، ثم بعد أيام سار الشيخ حكم باقشير إلى شعب هود وأخذ معه علياً يروّضه وبقيا على العبادة، وأكثر قوتهم هناك ثمر الأراك (انتهى).

وفي ترجمة الحبيب أحمد بن حسن العطاس[2] جاء قوله: «عادة أغنياء أسلافنا أن لا يمنعوا أزواج بناتهم للفقراء منهم مثل الحبيب محسن بن حسين بن عمر العطاس والحبيب أحمد بن محمد المحضار، ثم هم ينفقون عليهن وعلى أزواجهن. (انتهى).

ومن بساطة السلف في القرن الثالث عشر يذكر الحبيب العلامة علي بن محمد الحبشي[3] اقتران والده بوالدته فيقول: سار والدي إلى شبام وقال للحبيب عمر بن محمد بن سميط (توفي سنة ١٢٥٨)، والحبيب أحمد بن عمر بن سميط (١١٧٧-١٢٥٧هـ): حد معلمه عندكم بغيناها تعلم النساء، قالوا نعم بغيت حرمة وشريفة ومعلمة، قال والدي: نعم، فسار الحبيب أحمد بن عمر بن سميط والحبيب عمر بن محمد بن سميط إلى عند والدها الرجل الصالح حسين بن أحمد الجفري وأخبراه بحال الوالد (فقره) وأنّه من الدعاة إلى الله ورغّباه في قبوله، فبادر بإجابتهما إلى ما طلبا، إلا أنّهما قالا له: ماذا تريد من جهاز؟ فأجابهما

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صفحة ٥٢٨.

(٢) علي بن حسن العطاس، ترجمة الحبيب أحمد بن حسن العطاس ورحلاته، صفحة ٢٤ .

(٣) طه حسن السقاف، فيوضات البحر الملي، صفحة ١٥-١٦.

إنها شريفة علوية يعطيها زوجها ما تعتاده العلويات، إذا وصلت عنده يعطيها حقها. وتم الأمر على أن يكون الزواج في ليلة ذلك اليوم، ولم يكن معها من مؤن الزواج ولا الكساء شيء. قال الحبيب علي: ودخل الوالد على الوالدة في تلك الليلة، وفي النهار الثاني أركبها على دابته وهو يسوقها وسار بها إلى بلدة تاربة حيث يقيم.

وذكر الحبيب علي آثار هذا الزواج فقال: وبدأت الوالدة التدريس وتعليم النساء، ووجدت عجوزاً لم تُصلِّ في عمرها قط، فعلمتها الصلاة. ثم قال: قالت الوالدة وما مرت ثلاثة أيام إلا وقدها أربعة صفوف يصلين خلفها (انتهى باختصار)[١].

أمّا عادات الزواج بالشحر وأحوال العروس وأهلها فيصفها الشاعر الغنائي حسين بن أبي بكر المحضار[٢] بشكل لطيف ويقول في شعره:

البنــــت كانــــت في خفــــا ... مــا تــشوفها حتــى الــسماء

مكلوسة لا يشوفها هذا ولا ... هذا ما غير دائم في الـصوان

ثم يبين عدم علم البنت المخطوبة بالأمر فيقول:

البنت مـا هـي داريـه ... أن شي خطوبة جاريـة

في يــد أبوهــا طايعــة ... للأمــــر منقــــادة

في النار ولا في الجنـان

ويصف الحالة المالية لأهل العروس وما أصابهم من الضائقة المالية فيقول:

وقطبــوا أهــل العــروس ... بــما معــاهم مــن فلــوس

شيء للذهب شيء للخرق ... أو فـــــرش ووســــــادة

---

(١) طه حسن السقاف، فيوضات البحر الملي، صفحة ١٥-١٦.

(٢) حداد بلفقيه حسين المحضار، حنين وأنين، تريم للدراسات، صفحة ٣٧.

ثم يصف إرسال دعوات الزواج فيقول:

كتبــوا قــوائم في عجــل	تعــال يــا الــداعي تعــل
دع ألف أو ألفين للاكل وزيادة	وحــذر أن تنــسى فــلان

ويصف العقد فيقول:

نجلــس وجــابو المقطــرة	للخطبــة القــاضي قــرأ
وتقابلو لثنين والقاضى شهد	في الحــال تــم عقــد القــران

وبعد إتمام الزواج والتعب والخسارة ذكر أنّ هناك من يوجه النقد فيقول:

وبعد ذا تــمّ العــرس	لي داخ منه كل حس
وعاد من بعد التعب	ذا نــاس نقــاده

ماشي في الطبخة دهان. (انتهى).

* * *

عادات الزواج بتريم[1]

يتم الاتفاق بين الأسرتين على الخطوبة فيتحدد موعد بين الطرفين لدفع مبلغ من المال مقابل ما يسمى عندنا بالجهاز، فيتم ذلك خلال جلسة تعقد غالباً ببيت أهل البنت فتعقد الجلسة، ويدار البخور، وترتب الفاتحة بنيّة البركة في الخطوبة والزواج وقد يتحدد الموعد للزواج في نفس الجلسة أو فيما بعد.

وبعد ذلك توجه الدعوات مكتوبة لجميع المدعوين قبل موعد الزواج بأسبوع، ثم يبدأ الزواج في اليوم المتفق عليه، وهناك فرق إنشاد مختصة بالأفراح ومنها فرق خاصة بالرجال وأخرى خاصة بالنساء فيختار أهل العروسين الفرق التي ستحيي الفرح، وتبدأ مراسيم الزواج من بعد عصر اليوم الأول للزواج فتأتي فرقة السماع إلى بيت العريس، ويسمى ذلك بالعراض، فيستقبلهم أهل العريس وأقاربه والمدعوّون من رجال وأطفال. وعند وصول فرقة المنشدين تقوم النساء بالحجير (الزغرطه) من شرفات المنزل ويسميه أهل تريم الزغاريط بالتعاييط.

وتبدأ جلسة العراض بضرب الطبول والزفين (نوع من الرقص)، وينشد المنشدون صوتاً بعد صوت إلى قبيل المغرب، ويدار عليهم البخور والماء والقهوة وتستمر الحفلة إلى ما قبل المغرب وتختم بقراءة الفاتحة.

أمّا جلسة عراض النساء فتكون في بيت العروس فتحضر فرقة المشترحات (منشدات

---

(١) ملخصة عن كتاب الدليل القويم في ذكر شيء من عادات تريم، تأليف السيد حامد بن محمد بن شهاب الدين.

وراقصات بدويات) لإحياء الحفلة النسائية بالشرح والزفين وتستمر المراسيم إلى قرب أذان المغرب. وبعد صلاة العشاء من تلك الليلة يتوافد المدعوون إلى بيت العريس لتناول طعام عشاء، ويسميه أهل تريم (المرجة)، وخلال تجمعهم ينشد المنشدون بأصوات السماع، وعندما يكتمل حضور المدعوين يقدم لهم طعام العشاء، وبعد تناول الطعام يوزع الشاي ثم يدار البخور وتبدأ فرقة الإنشاد بالتسميع بضرب الطبول صوتاً بعد صوت، وبعد الصوت الثالث يخرج العريس من داخل البيت يتقدمه شخص يلهج بالصلاة على النبي ﷺ، ويتوجه العريس لمصافحة الأعيان وكبار السن ثم يجلس بينهم، وتدار قهوة البن وينشد المنشدون صوتاً واحداً، وبعد الانتهاء منه يحضر أقارب العريس أدوات الحناء: الفراش والوسائد وأدوات الحناء ويجلس العريس عليها ماداً رجليه استعداداً للحناء في قدميه.



الحنة للعريس

وعند ذلك يبدأ المنشدون الأناشيد الخاصة بالحناء (مثل حنوا له ـ غلب ما يحني) وأناشيد أخرى فيها ذكر الله والصلاة على نبيه ﷺ، ويدورون حول العريس. وهكذا حتى ينتهي الحناء فيتوقف المنشدون ويقوم العريس ويطوي الفراش ويذهب إلى غرفته الخاصة به حيث يزوره فيها بعض أقاربه وأصحابه، وتدار عليهم القهوة ويليها البخور، ويرتب الفاتحة

أكبر الحاضرين سناً، ثم ينصرف كبار السن من الحاضرين وتبقى مجموعة كبيرة من الشباب ومن في حكمهم. ويستمر الإنشاد والرقص الذي يشارك فيه الحضور على الأصوات المتنوعة التي تقدم حسب رغبات الحضور، ويستمر السمر إلى قرب منتصف الليل ثم يعود كل واحد إلى بيته.

وبعد هذا الاحتفال الأول تكون الحراوة وهي سير العريس بمن معه لمنزل العروس ثم عقد النكاح ووجبة العشاء، ويتم ذلك على كيفيتين هما:

الكيفية الأولى: يتجمع المدعوّون من قبل أهل الزوج في بيته ويأتي المنشدون المعروفون باسم اخدام السقاف، ويتميزون بلبس العمائم السود وعددهم سبعة أشخاص، ثلاثة منهم مختصون بالقصب وهي ما تسمى بالشبابات وتسمى باليراع ومعروفة لدى العامة بالمدروف، وأربعة مختصون بضرب الدفوف المعروفة بالطيران، ولهم ألحان متنوعة وقصائد كثيرة كل بما يناسب المقام، ويحضرون إلى بيت الزوج قبل أذان صلاة العصر بحوالي ساعة، ويقوم شخص بتلبيس الزوج اللباس السلفي الخاص بالعريس، وفي أثناء ذلك يكثر من الصلاة على النبي ﷺ، ويتكون لباس العريس التقليدي من جبتين ـ أي طويلتين ـ ملونتين باللون الأخضر واللون الأحمر ورداء يوضع على كتفي العريس يسمى ذلك الرداء بالمصنف، كما يوضع على كتف العريس الأيمن منديل تربط فيه سبحة ليأتي بها ببعض الأذكار مثل ما شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله وغير ذلك من الأذكار، وتوضع على رأس العريس العمامة المعروفة بالألفية، ويربط بها الهذب في الجانب الأيسر والآخر من خلفه، والهذب المذكور عبارة عن نسيج من القماش الأبيض في طرفه خيوط تتدلى على الجانبين المذكورين من العمامة.

ويلبس العريس الجبتان معاً، ولكن تختلف طريقة اللبس من حالة لأخرى، ففي الحراوة يلبس الجبة الخضراء أولاً وفوقها الجبة الحمراء، وفي وليمة الغداء في اليوم الثاني وهي المسماة بالصبحة يلبس الجبة الحمراء أولاً وفوقها الجبة الخضراء، وبعد اكتمال لبس العريس للحراوة يخرج العريس من غرفته إلى الغرفة التي تجمع بها المدعوّون لحضور الحراوة، وإذا

حان وقت صلاة العصر يؤذن أحد الحاضرين، وبعد الأذان تقام الصلاة جماعة ثم يخرجون بعد الصلاة من البيت وينتظمون في صفوف متتابعة يتقدمهم أخدام السقاف (المنشدون)، ويواصلون المشي على الأقدام، متجهين إلى بيت أهل العروس، وإذا كان البيت بعيداً فإنهم يركبون السيارات في الجزء الأول من الطريق، ولكنهم يترجلون قبل بيت العروس بمسافة وينتظمون في صفوف الحراوة ويواصلون المشي حتى يصلوا إلى بيت العروس فيستقبلونهم بالحفاوة والاحترام، وبعد جلوسهم بدار العروس ينشد أحد المشائخ الموجودين من آل باحرمي وآل باغريب، وبعد إكمال النشيدة تحضر المباخر فارغة عدا الجمر فيضع أحد أفراد عائلة العريس عليها الدخون من جيبه، ويرتب الفاتحة أحد المناصب أو الأكبر سناً من الحاضرين، وتقرأ خطبة النكاح من قبل قاضي العقود أو أحد أعيان البلاد، ويتم تلقين الزوج وولي الزوجة بصيغة العقد، ثم ترتب الفاتحة وتقرأ من قبل الحاضرين ويبتهلون بالدعاء للعريسين بمباركة الزواج، ثم يقوم العريس بمصافحة من بجانبه من العلماء والأعيان ويهنئونه بالبركة لعقد القران، ثم يجلس العريس ويدار البخور ويوزع السمسم المعروف عند أهل تريم بالفحيط، ويواصل أخدام السقاف ضرب الطبول كعادتهم، وتقدم الوجبة الخاصة بالوليمة، ويقوم أهل الحافة (الحارة) بخدمة الضيوف من غسل الأيدي وإدارة الماء وأخذ الأواني بعد الانتهاء من تناول الطعام.

وتختم جلسة الحراوة بإدارة البخور على الحاضرين وترتيب الفاتحة، وينصرف بعد ذلك الجميع ويعود العريس مع أهله وأقاربه وبعض الأعيان إلى بيته يتقدمهم أخدام السقاف، وإذا وصلوا إلى البيت تقدم لهم القهوة ويدار عليهم البخور وترتب الفاتحة وينصرف كل إلى بيته. ثم تستأنف العودة إلى بيت العريس، وبعد صلاة العشاء من نفس اليوم يعود الناس إلى بيت العريس لحضور السمر الذي يستمر لوقت دخول العريس على عروسه.

وما يجري من مراسم في بيت العريس يجري مثله في بيت العروس، ويشمل ضرب الطبول من قبل النساء المخصصات للغناء والرقص (المشترحات) وتواصل فرقة المشترحات

الشرح ويشارك النساء بالزفين (رقص محتشم) وتلهج بينهن امرأة بذكر الله والصلاة على النبي ﷺ ويتواصل الحجير (الزغرطه) وتستمر السهرة إلى ما بعد منتصف الليل.

وفي حين يحتفل الرجال بالحراوة تتوافد النساء المدعوات لطعام الغداء إلى بيت العروس وتقوم المشترحات بالنشيد والرقص ويتشارك النساء الحاضرات في الزفين حتى يحين وقت طعام الغداء، وبعد الغداء يقدم لهن الشاهي، وبعد ذلك يقدم النساء هدايا العروس من لباس وحلي ودراهم، وهو ما سمّي بالطرح، ثم يتواصل الحفل بعد صلاة العشاء ويقدم لهن طعام العشاء أيضاً ثم الشاي، وبعد ذلك تذهب النساء مع العروس إلى بيت العريس حيث يتواصل السمر والشرح والزفين والحجير حتى يحين وقت دخول العروس على زوجها في بيت العريس فيتمنى لها الجميع دخيلة ميمونة مباركة وليلة سعيدة وحياة جديدة مع تمنيات الجميع بالزواج المبارك.

أما الصبحة فتكون في دار العريس في موعد تحدد مسبقاً وأرسلت به الدعوات مقدماً، وتشمل الدعوة أقارب العريس والعروسة والمعارف والجيران وأعيان البلد. وفي الموعد المحدد يأتي المدعوّون إلى بيت العريس ويسبقهم في الحضور المنشدون من أخدام السقاف والبعض من المعالمة آل باغريب وآل باحرمي ويتبادل المنشدون النشائد من أشعار السلف.

وعندما يكتمل حضور المدعوين لوليمة الصبحة في بيت العريس يرسل أهل العريس رسولاً لأهل الزوجة يطلبهم للحضور، حيث يكونون في انتظار هذا الطلب، وفي أثناء فترة الانتظار ببيت العروس يدار عليهم البخور وترتب لهم الفاتحة، ثم يتحركون معاً لبيت العريس لكنهم يتجمعون قبله فيأتي المنشدون من أخدام السقاف فيستقبلونهم بضرب الدفوف ويمشون معهم إلى بيت العريس حيث يستقبلون بالحفاوة والاحترام، وتنطلق حناجر النساء من شرفات البيت بالحجير (الزغرطه)، وبعد جلوسهم يدار البخور ويواصل أحد المعالمة المذكورين النشيد ويليه أخدام السقاف.

ويأتي أهل الحافة (الحارة) بالمغاسيل لغسل أيدي الجميع قبل تناول الطعام ثم يوزعون أطباق الطعام ويتقدم الضيوف إلى الطعام بعد أن يدعوهم أحد أهل الحافة لتناوله. وبعد تناول الطعام يدير أهل الحافة المغاسيل لغسل أيدي الناس ويرفعون الأطباق، وبعد الانتهاء من غسل الأيدي ورفع الأطباق يدار البخور ويختم أخدام السقاف جلسة الصبحة بالدعوات والابتهالات وبالجلالة والتوسل إلى الله، ثم ترتب الفاتحة لختام المجلس.

هذا وما ذكره ابن شهاب في الوصف السابق ينطبق أيضاً على عادات الزواج بسيؤن وبقية مدن حضرموت الأخرى مع بعض الفروقات البسيطة إلا أنها تختلف عن مراسيم زواج العلويين في السعودية ودول الخليج والتي أصبحت متشابهة لكل الحضارمة، ولكن لا يتسع المجال للتوسع والشرح هنا.

* * *

الفصل الثالث والأربعون

وفيات العلويين وعزاؤهم



جلسة تأبين لأحد العلويين

نبدأ هذا الفصل بما ورد في بعض التراجم عن صفة وفاة بعض كبار العلويين، فقد ذكر الأستاذ صالح الحامد[١] صفة وفاة الفقيه المقدم في سنة **٦٥٣**هـ فقال: إنّه بقي مئة ليلة مصطلماً لا يأكل ولا يشرب، ولما طالت غيبته عزم عليه أولاده أن يأكل شيئاً فأبى، فلما كان آخر يوم في عمره أكرهوه على إيلاج شيء من الطعام إلى بطنه، فلما أحسّ بالطعام فتح عينيه وقال: أضجرتم مني؟ وتوفي بعدها رحمه الله. (انتهى باختصار).

وقد ذكر الحامد[٢] صفة وفاة الإمام عمر المحضار فقال: سمع المؤذن يؤذن لصلاة الظهر فقال مرحباً بالقائلين عدلاً، ثم أجاب المؤذن ثم أذّن مؤذن آخر فقال لأهله: هذا فلان؟ قالوا: نعم، فتيمم ثم أذّن لنفسه ثم أقام وأحرم بصلاة الفرض وقرأ وركع واعتدل ثم سجد ففاضت روحه الزكية في السجود، فلم يزل كهيئته ساجداً لم يتحرك، وعندما استبطأه الحاضرون حركوه فإذا هو قد فارق الدنيا، وكان ذلك يوم الاثنين ثاني القعدة من سنة **٨٣٣**هـ، وعندما خرجت جنازته سار معه خلائق لا يحصون، وضجّ الفقراء والمساكين يبكون حول الجنازة لكثرة إحسانه إليهم، ودفن بمقبرة زنبل بتريم. (انتهى).

أمّا صفة وفاة الحبيب عبد الله بن شيخ العيدروس المولود بتريم سنة **٩٤٥**هـ كما وردت في خلاصة الخبر[٣] «أنه لما صلى آخر جمعة وأقبل الناس للسلام عليه كعادتهم أوقفهم ودعا بهم كالمستودع وكان يقول أنا الآن أُعدّ من أهل الآخرة. وفي يوم وفاته سأل عن وقت العصر فقيل: هذا أول وقته، فطلب الماء وتوضأ فأصابه برد، فقيل له: لو أخرت الصلاة حتى تدفأ فإنّ في الوقت سعة، فقال: لا ما بقي في الوقت مهلة، فأحرم بصلاة العصر قائماً وجلس لقراءة الفاتحة فلما هوى للركوع وقيل للسجود تمايل وقال: الله الله، فخرجت روحه الزكية إلى ربها راضية مرضية. (انتهى باختصار).

---

(١) صالح الحامد، تاريخ حضرموت، الجزء الثاني، الناشر مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة **٧١٢**.

(٢) صالح الحامد، تاريخ حضرموت، الجزء الثاني، الناشر مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة **٧٥٦**.

(٣) عمر بن علوي الكاف، خلاصة الخبر، دار المنهاج، صفحة **٢٠١**.

وتوفي الحبيب عبد الرحمن بن علي السقاف (١٢٢٦-١٢٩٢هـ) بالسكتة القلبية بعد صلاة الضحى بمصلاه من يوم الجمعة ٣٠ من شعبان[١].

وذكر بن عبيدالله صفة وفاة الحب عيدروس بن عمر الحبشي فقال[٢]: إنه لما هزّه الشوق وحضره السوق بلغت به الألطاف وأذن لقوم أرادوا مصافحته، وقد بردت منه الأطراف، فاستدعى جمراً للتسخين كيلا يعلم الزائرون قرب الحين، ولما خرجوا عزم على صلاة العصر وعجز عن استيفاء آداب الطهارة، فأمر بمراجعة بيان العمراني يحفظها عنه، ولما أدركوها كما قال أضرب عن الترخيص وقال: هذه آخر صلاتي في الدنيا فكيف أتجوز فيها مع قوله ﷺ «صلّ صلاة مودع»، وبه ذكرت أن بعض العلماء وهو أحمد بن المعدل أخا عبد الصمد حجّ في نحو التسعين من عمره، فأراد أن يتعرض للشمس في عرفات مع مزيد ضعفه فقال له أصحابه: لو أخذت بالتوسعة فأبى وقال:

ضحيت له كي أستظل بظله	إذا الظلّ أضحى في القيامة قالصا
فوا أسفا إن كان سعيك باطلاً	وواحسرتا إن كان حجك ناقصا

ولما سلم الأستاذ الأبر عيدروس بن عمر من آخر صلاته في الدنيا استدعى سائر أهله وشرب من ماء سقاهم فضله فعزم الله لهم بالثبات والصبر حتى أوصاهم بتقوى الله وأخبرهم بأنه آخر العهد على الرضا والتسليم وودعهم وصافحهم واستودعهم الله ثم أمر النساء بالخروج من المنزل وهم جميعاً واجمون واضطجع عل جنبه الأيمن وأخذ يكرر الجلالة، وأمر الحاضرين بقراءة يَس فختموها حتى فاضت روحه الشريفة سنة ١٣١٤ عن سبع وسبعين عاماً.

---

(١) عبد الله بن محمد السقاف، تاريخ الشعراء الحضرميين، الجزء الرابع، صفحة ٥٣.

(٢) حسن بن عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، ديوان بن عبيد الله، مطبعة لجنة البيان العربي بمصر، صفحة ٣٢٢.

وذكر الحبيب أحمد بن عبد الرحمن السقاف في كتاب الأمالي[١] صفة وفاة الحبيب محمد بن علي السقاف (١٢٢٥-١٣٠١هـ) فقال: إنه خرج لصلاة الضحى أول النهار إلى مسجد الشيخ عمر المحضار واغتسل وتوضأ ودخل المسجد وأحرم بالصلاة وصلى ما قدر الله له أن يصليه، فلما كان في سجدة من السجدات أطال السجود جداً فعلموا أنّه قد حضرته الوفاة ولم يبق إلا بقية من النسم وجبهته لاصقه بالأرض فاحتملوه ولم يتركوه يقضي نحبه في ذلك السجود فاحتملوه إلى الدار حيث اكتملت به الوفاة. (باختصار).

وعند دنوّ وفاة الحبيب شيخ بن محمد الجفري المتوفى بمدينة كاليكوت بالهند حدث له ذهول قوي واستدام مصطلماً لا يشعر بشيء في أكثر وقته إلى صعود روحه لارئها[٢].

وقد ولد هذا السيد بتريم في أجواء عام ١١٣٧هـ وبدا رحلة الغربة منذ السنة التاسعة من العمر، وتنقل بين الأقاليم والمدن حتى استوطن مدينة كاليكوت من إقليم المليبار بالهند. ويقول عنه تلميذه الشيخ العلامة عبد الله باسودان أنّه اتجه في بداية أمره للمنهج التجاري إلا أنّه لم يرتح لهذا الاتجاه فتركه واشتغل بالعلوم والتصوف.

وكان كثير التردد من المليبار إلى الحرمين الشريفين ناسكاً ومقيماً بمكة والمدينة والطائف مُدداً، ومرّ بمسقط ودخل باليمن مدينة زبيد وغيرها وتوجه من الحجاز إلى الشام وفلسطين ومصر[٣].

وذكر تاريخ الشعراء[٤] وفاة السيد عمر بن عبد الرحمن البار (مولى جلاجل) (١١٦٠-١٢١٢هـ)، فقال إنّه لما علم بمبارحة شيخه السيد شيخ الجفري السابق ذكره مليبار بالهند في طريقه للحج رغب في اللحاق به فأسرع بالارتحال وركب سفينة شراعية من المكلا إلى جدة

---

(١) أحمد بن عبد الرحمن السقاف، الأمالي في التراجم، دار الأصول، صفحة ٨٤.

(٢) عبد الله بن محمد السقاف، تاريخ الشعراء الحضرميين، الجزء الثاني، صفحة ٢٢٠.

(٣) عبد الله بن محمد السقاف، تاريخ الشعراء الحضرميين، الجزء الثاني، صفحة ٢٢٠.

(٤) عبد الله بن محمد السقاف، تاريخ الشعراء الحضرميين، الجزء الثالث، صفحة ٣٤.

وفي معيته تلميذه العلامة الشهير عبد الله بن أحمد باسودان، ولما غادرت السفينة الحديدة متجهة إلى جدة باغته مرض شديد، ولكنه رغم مرضه لم تفته فريضة إلى يوم وفاته ثم وافته المنية على ظهر السفينة قرب وادي دوقة، وهو وادٍ كبير به قرى ومزارع، وهو بين بلدة القنفذه وبلدة الليث، فاستبقي في السفينة إلى أن رست في ميناء دوقة المعروف بجلاجل فأنزل منها إلى البر وشيّعه ركاب السفينة وقبر على الساحل. (انتهى).

وممن مات على ظهر سفينة ميتة طبيعية من العلويين السيد الأديب الشاعر أحمد بن عبد الله بن محسن السقاف (١٢٩٩-١٣٦٩هـ) ركب الباخرة من جاكرتا متوجهاً إلى الشحر، وبعد يومين توفي على ظهر الباخرة وقُبر في البحر، وهو من مواليد الشحر ورحل إلى سيؤن في الرابعة من عمره، حيث تلقى العلم على علماء تريم وسيؤن، ثم هاجر إلى جاوا، وكان أوّل ناظر لأول مدرسة خيرية أقيمت بسورابايا، وتخرج على يديه كثير من الطلاب[١].

وذكر بن عبيد الله وفاة جده الحبيب محسن بن علوي السقاف (١٢١١-١٢٩٠هـ) نقلاً عن عمه السيد عبد الله بن محسن فقال[٢]: وفى اليوم الخامس من شهر رمضان المعظم من سنة ١٢٩٠هـ توفي إلى رحمة الله الحبيب العلامة محسن بن علوي السقاف، وكان قد أحرم بسنّة الوضوء ووجّه نفسه إلى القبلة، ثم خرجت روحه الشريفة رحمه الله رحمة الأبرار وأسكنه دار القرار.

ويفصل بن عبيد الله الأحداث نقلاً عن عمه عبد الله وكان قد حدث له في آخر عمره فتق في أسفل بطنه سبب له الكثير من الألم وبقي يحضر معه المجالس والمدارس، ويتكلف الذهاب إلى البلدان الشاسعة لدعوة الخلق إلى الله، ولا يشكو ولا يئن، بل يصبر ويتجلد حتى إنه لم يخبرنا بآلامه مع اختصاصنا به إلا في آخر عمره، فلقد انجمع فى بيته الذي ابتناه

---

(١) مخطوطة فقيد العلم والتربية والأدب الشاعر الناثر أحمد بن عبد الله بن محسن السقاف، لمؤلف غير معروف.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ٢٤٣-٢٤٤.

بعلم بدر مكان جده الحبيب سقاف بن محمد ليخلو بعبادة ربه ويتلذذ بالانفراد به، فاشتد به ذلك الألم واستدعانا فحملناه إلى البلد، وكان الوقت خريفاً والناس يخترفون بالقرن، غير أنّ المتعلقين به طلعوا منه إليها وبقي نحواً من ثلاثة أيّام، ثم تماثل وخرجنا نحن وإياه إلى القرن وبقي نحواً من شهر. ولما انتهى الخريف وعدنا إلى البلاد عاوده الألم يوم الأحد قبيل رمضان بأيام قليلة، واتفق أن دعاه سيدنا الحبيب شيخ بن عمر بن سقاف لحضور عقد بنته وكان متألماً فأحبّ مبادرة الموت بالعقد فقلنا للوالد: لا تكلف نفسك الذهاب مع شدة الألم، فقال: وأين أجد شيخ بن عمر بعد اليوم؟ فحملناه على دابته وأمسكه ثلاثة منّا، وكان جلوسه بدار الحبيب شيخ بن عمر إلى جانبه وكلاهما متألم، غير أنّ الحبيب شيخ عاش إلى سنة **١٢٩٨هـ** فحصل للحاضرين من الرقة لمرآهما على تلك الحالة ما أفاض العبرات وصاعد الزفرات، وبانتهاء العقد عدنا بسيدنا إلى داره، فخفّ عنه الألم. ولما كان قبيل رمضان بيومين خفّ سيدي محسن لحضور درس البخاري الراتب في مسجد طه وكان ذلك بعد قطع أذني الفلاح باجيدة المذكور سابقاً، فخطب خطبة طويلة تناول فيها شؤون الدولة، واشتد غضبه من جورهم حتى لقد قام مغضباً في ذات الله فكاد أن يسقط، وقال: اللهم أحيني إن كانت الحياة خيراً لي وتوفني ما كانت الوفاة خيراً لي، كما سبق ذكر ذلك. وكان في ذلك شبيهاً بالعباس بن عبد المطلب إذ قال: اللهم أسبق بي ما لا خير فيه فلم يعش إلا أسبوعاً، وكان قالها حين عجز عن تلافي الأمر بين عليّ وعثمان.

وقد استجاب الله دعاء الجدّ كما استجاب للعباس، فعجل له الوفاة في اليوم التاسع من ذلك اليوم، ولم ينقطع عن الجماعات ودروس العشى في مسجد طه إلا الليلة التي سبقت وفاته. وفي عشية السبت من الجمعة قال لأولاده: سأرتب الفاتحة للحاضرين والغائبين منكم بأنّ الله يهديكم ويجعلكم قرة عين ويجمع لكم خيري الدارَين، ويدفع عنكم كل شين. وأطال بدعاء عجيب غريب، ثم قرأ الفاتحة وقال: اقرأوها كلكم فإنّها ساعة إجابة إذ هي آخر ساعة من أول جمعة من رمضان، فقرأناها ثم رفع يديه إلى السماء وأطال في الدعاء بما

استشعرنا معه دنوّ الأجل، إذ لم يكن من عادته أن يدعو لنا أمامنا خشية الاغترار علينا، وبعد السحور من تلك الليلة اشتد به الألم وأقبل عليه يوم السبت ويوم الأحد وهو ثابت لا يتوجع ولا يشتكي، غير أنه قال: هيئوا أنفسكم فإنّ مرضي مرض فناء لا كسائر أمراضي. قال العم عبد الله بن محسن: فذهبت لبعض شأني وعنده الإخوان والعم أحمد وعقيل بن عبد الرحمن والشيخ أحمد العمودي، ولما جئت عزم على الوضوء فأخذناه إلى ناحية من المنزل فاستنجى ثم غسل وجهه ويديه بنفسه ثم مسح رأسه وغسل رجليه، فتولينا ذلك وثقل علينا جداً حتى لم نقدر على حمله ونحن ستة نفر فأضجعناه وظهر لنا أنّه أحرم بالصلاة ففاضت روحه عند ذلك وقت اصفرار الشمس يوم الأحد لخمس من رمضان ١٢٩٠هـ فارتجّت البلاد وانزعجت الخلائق وأجهش الناس وارتفعت الأصوات وعظمت الرزيّة وعمّت المصيبة وسيرنا الكتب إلى البلدان بوفاته مع بسط العذر عن الحضور لمشقة الصوم، فلم يأخذوا به بل أقبلوا من كل ناحية، وبِتّنا بغاية الحزن نقرأ القرآن وهو مُسجى بيننا في الوضع الذي يذكر أن جدّه الحبيب سقاف بن محمد توفي فيه، وما زلنا على ذلك حتى جاء ميعاد صلاة التراويح، فخرج بعضهم يصليها في المسجد، وصليناها نحن مع من بقي بالمنزل، ثم لم نترك مجلسنا حتى تناولنا نحن وإيّاهم السحور، ثم أقبل الذي يغسل الأموات فشرع في تغسيل والدنا ونحن نعينه، وغسلناه الغسل الواجب والمَسنون، وكفّناه كذلك، ثم خرجنا به بعد طلوع الفجر إلى المسجد، وحصل لنا مع الخروج به من الحزن والانتحاب والبكاء والاكتئاب ما لم يكن قط في الحساب.

وذكر بن عبيد الله منصب آل أحمد بن زين السيد صالح بن محمد بن أحمد الحبشي فقال: «وانتهى به بياض السريرة إلى أنّه تفرس قرب أجله فسير كتباً للأعيان منهم سيدنا الأستاذ الأبرّ عيدروس بن عمر يخبرهم بيوم وفاته وبات ليلتها يعظ الناس ويذكر أعيان زمانه بما فيهم ثم مات من آخر تلك الليلة»[١].

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٣٠٤.

وروى الخال حسن بن عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف قصة وفاة والده علامة حضرموت ومفتيها العظيم بن عبيد الله (١٢٢٦-١٢٩٢هـ) فقال: إنّه مرض بالحمى، وبينما هو جالس بين عوّاده أراد قراءة قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ فخنقته العبرات حتى أشفقنا عليه ثم أتمّها بصوت متهدج وبات يصابر الداء حتى أسلم روحه لبارئها فجر الخامس والعشرين من ربيع الثاني عام ١٣٧٥هـ [١].

أمّا قصة وفاة الجد علوي بن عبد الله السقاف (١٣١٥-١٣٩٢هـ) فيرويها سيدي الوالد محسن بن علوي فيقول: ورقد الوالد علوي على سريره بالمستشفى وأنا ملازمٌ له وهو في شبه غيبوبة يغذّى بالدم والمغذيات، وفي الساعة العاشرة من مساء السبت ٢٥ ربيع الأول ١٣٩٢ قام فجأة من سريره وطلب مني مساعدته على الذهاب للحمام للوضوء فساعدته وتوضأ، ثم عاد إلى سريره وركع ركعتين وأنا مستبشر بحصول العافية، ثم قال لي لقني الشهادتين فلقنته الشهادتين وكنت وأنا في تلك الحال في حيرة من أمري، فهل ترى لو نزل بالوالد قضاء الله هل أنقله إلى جدة ليدفن بمكة أم أسافر به إلى حضرموت، ولم يكن أيّ من هذه الأمور متيسراً ولا سهلاً فلم أكن قد تحصلت على الجنسية السعودية، وإعادة الوالد ليدفن بمكه ليس بالأمر المتيسر، كما أنّ نقله إلى حضرموت في ذلك الوقت أمر فيه صعوبة وخطر، فقد كان الحزب الشيوعي باليمن الجنوبي في فورة تنكيله بالعلماء والوجهاء وخاصة المغتربين منهم.

قال سيدي الوالد محسن: وكان يمكن لو رجعت حضرموت في تلك الفترة أن لا أتمكن من العودة إلى عملي وعائلتي بجدة إلا أنني لم أكن لأتأخّر عن تنفيذ أي طلب يطلبه والدي مني مهما كانت النتائج وبلغت العواقب. ولما كنت في حيرتي التفت الوالد ناحيتي وكأنه يعرف ما يدور بخاطري وقال لي: إذا متّ فادفني حيث أموت. قال سيدي الوالد

---

(١) حسن بن عبد الرحمن السقاف، ديوان بن عبيدالله، مطبعة لجنة البيان العربي بمصر، صفحة ٥٤٨.

محسن: وبعد أن نطق والدي بالشهادتين كرّر قوله: أعانكم الله، أعانكم الله، ثم انسدح على سريره، وبعد قليل صعدت روحه الشريفة إلى بارئها.

وقد بقي في نفس والدي شيء من دفن والده بمصر حتى عثر على أبيات قديمة أرسلها له والده لما قارب عمره تمام أربع وسبعين سنة، وفيها يتمنى أن يدفن بالبقيع بالمدينة المنورة، إلا أن مات في غير الحجاز، فمع ربه حيث يموت وفيها يقول:

أقول وقد جاوزت سبعين حجة	من العمر بل زادت على ذلك العدد
إلى محسن أوصيت بعدي بفعل	ما يسرّ فؤادي بعد موتي إلى الأبد
إذا مت فادفني بمقبرة البقيع	فذاك تمام البرّ يا أيها الولد
وفي قرب أهل البيت غاية منيتي	وفاطمة أمي على رغم من حسد
وحاول بكل الجهد أن لا يفوتني	جوار رسول الله في ذلك البلد
وإن متُّ في غير الحجاز فأينما	أموت وربّي حاضر حيث لا أحد

وذكر عبد القادر الجنيد وفاة الحبيب أبو بكر العطاس بن عبد الله الحبشي (١٣٢٨-١٤١٦هـ) فقال: إنّه أخذته أواخر حياته غيبوبة دامت معه أسابيع حتى توفي بمكة حيث يقيم، ودفن بمقبرة المعلاة. وعلق الجنيد على ذلك فقال: وهذه الغيبوبة التي تسبق الوفاة توارثها العلويون من جدهم الفقيه المقدم [١].

هذا وقد اعتاد الناس أن يقولوا لأقارب المتوفى عظّم الله أجرك، إلا أنّ ابن عبيدالله قال في هذا الموضوع: وفي رواية عن الشافعي أنّه لا يحب أن يقال له في التعزية: أعظم الله أجرك لما في طيّه من الاستكثار من المصائب، قال ابن عبيدالله: فسحبت عندئذ ما كان مني من استحسان ذلك القول وتبت عنه توبة صادقة أرجو الله قبولها [٢].

---

(١) عبد القادر بن عبد الرحمن الجنيد، العقود الجاهزة والوعود الناجزة، صفحة ١٤٨.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مطبعة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٤٨٧.

أمّا تجلد العلويين عن وقوع المصائب فيدل عليه ما ورد متفرقاً في بعض التراجم. قال بن عبيدالله: وكثيراً ما سمعت من والدي رحمه الله أن الأستاذ الأبرّ عيدروس بن عمر الحبشي قلّما يغلبه البكاء إلا قهره بالتبسم، كما صنع في مقابلة المعزين يوم مات حفيده المنغص الشباب أحمد بن محمد بن عيدروس، فهو إذن كما قال الأمير تميم بن المعز:

وبي كلُّ ما يبكي العيون أقلُّه   وإن كنتُ منه دائماً أتبسّم

قال بن عبيد الله: ومن فضلاء بضة اليوم السيد حسين بن حامد العطاس (توفي سنة ١٣٦٦هـ)، كان صحيح التقوى صادق الإخلاص كثير العبادة نقيّ الجيب وقور الركن جم التواضع، نكب في حدود سنة ١٣٣٧هـ بقرتي عين من أولاده فاحتسبهم عند الله بجأش ثابت ورضا تام وبال صابر[١].

وذكر الجد بن عبيدالله السيد الناسك العابد طاهر بن عمر الحداد المتوفى سنة ١٣١٩هـ فقال: ولما مات ولده محمد تحاشى الناس عن أخباره لأنّه الأمر العظيم، لكنه لم يظهر بعدما أخبروه إلا بأكمل ما يكون من مظاهر الرضا التام، فلم ينزعج ولم يتغير ولم يحل حبوته، وما زاد على الاسترجاع والاستغفار للفقيد والترحم عليه[٢].

وقال السيد أحمد بن علي بن هارون الجنيد[٣]: إنني امتحنت منذ صغري بالأسفار خدمة لوالدي وسعياً على رزقهما ورزق إخوتي الصغار، فلما كبر أخي عبد الله سافر هو وكفاني هذه المئونة لأتفرغ لطلب العلم، وذقت منه برّ الإخوة الأوفياء.

ولما ترعرع ابني علوي وقد نشأ على طاعة الله وحب العلم وعلقت آمالي عليه توجه

---

(١) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مطبعة الإرشاد بصنعاء، صفحة ١٦٥.

(٢) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صفحة ١٨٨-١٨٩.

(٣) عبد القادر بن عبد الرحمن الجنيد، العقود العسجدية، صفحة ١٣٦-١٣٧.

مع أخي عبد الله لقصد الحج في مركب باعمر، فلما بلغوا جزيرة كمران انكسر بهم المركب وغرقوا وكان ذلك سنة ١٢٥٠هـ، ولما وصله نبأ وفاتهم حمد الله وأثنى عليه وفوّض الأمر إلى الله ولم يتغير له حال مع كمال الرضاء.



عادات الوفيات بتريم[1]

يقوم أهل الميت بإشعار الأقارب والجيران والمعارف والأعيان وكافة أهل البلد ومن يلزم له الإعلام من خارج البلد بوفاة فقيدهم الراحل فيتوافدون لتقديم التعازي والمواساة، ويستدعي ذوو الفقيد أصحاب الحافة (الحارة) بالحي ليرتبوا ما يلزم لتجهيز الميت بعد أن قام أهل الميت بعمل ما هو مسنون من إخراج ملابسه وتغميض عينيه وشدّ لحيه وتليين مفاصله ولو بالدهن إن لزم ذلك حال الوفاة ووضعه على الشطفة بدلاً من الفراش وهي مصنوعة من خوص النخل.

ويكون الميت ميمماً وجهه إلى القبلة وعليه غطاء أبيض من قماش خفيف يسجى به جميع جسمه، ومن الأشياء المتعلقة بتجهيز الميت: قيام أصحاب الحافة بإشعار القراء ومن يقوم بالغسل، وحفر القبر والنبأ العام في جميع أحياء المدينة بموعد تشييع الجنازة والصلاة وتعيين الدفن بالمقبرة التي عينت لدفنه إلى جوار آبائه وأجداده.

ويتم الإعلام العام بالوفاة بالمناداة في جميع الأحياء من قبل أبناء الحافة الذين ينادون باسم صاحب كل بيت في الحي بأن فلاناً أو فلانة توفي والجنازة أول الإشراق إذا كان التشييع في الصباح أو أول العصر اذا كانت بعد العصر. أمّا في الوقت الحالي فتكون المناداة بإعلام الوفاة وموعد الصلاة على الميت في جميع الأحياء بمكبرات الصوت في مساجد معينة بكل حي بدلاً من المناداة الشفهية حسب الطريقة القديمة.

---

(١) ملخصة عن كتاب الدليل القويم في ذكر شيء من عادات تريم، تأليف السيد حامد بن محمد بن شهاب الدين.

ويتجمع الناس في بيت المتوفى لحضور العزاء ويتلون ما تيسّر من القرآن فيقرأ كل شخص ما لا يقل عن جزء، وبعد ذلك يبدأ ختم القرآن من سورة الضحى إلى سورة الناس وتبدأ القراءة من صدر المجلس، يبدأها الأكبر سناً من الأعيان والمناصب فيقرأ الحاضرون السور معاً أو الواحد تلو الآخر حتى سورة الناس فيقرأ الفاتحة وأول سورة البقرة إلى المفلحون ثم ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾، ثم يقرأ آية الكرسي وآخر سورة البقرة من قوله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ....﴾ إلخ.

وبعد ذلك يقرأ المعلم الخطبة الخاصة بالأموات والتي هي عبارة عن تذكير ودعاء للميت، ثم ترتب الفاتحة وينصرف الجمع لتشييع الجنازة ويتم حمل الجنازة على الأعناق من البيت الذي خرجت منه الجنازة إلى المكان الخاص بالصلاة على الجنائز وهو الموقع المعروف بجبانة تريم بحي الخليف، وأحياناً يصلى عليها بجامع تريم. ويتقدم الجنازة شخص ماسكٌ للشمط، وهو الغطاء الذي يوضع على الجنازة ووظيفة هذا الشخص تكرار ما يسمى بالتشهودة، ووظيفة البقية من حملة النعش تكرار الكثير من الصيغ للصلاة على النبي ﷺ، فإن كانت الصلاة على الجنازة عصراً يخرجون بها قبل دخول وقت العصر حيث يصلون إلى الجبانة أو إلى الجامع قبل دخول وقت العصر، فإذا حان الوقت أذن المؤذن وبعد الأذان يركعون سنة العصر ثم تقام الصلاة ويؤمهم لصلاة العصر أحد الأعيان أو أحد المناصب، وبعد صلاة العصر يصلون على الميت فيصلي عليه أحد أعيان البلد من أهل العلم والصلاح حسب وصية الميت بعد الإذن ممن له الحق من أقارب الميت.

وفي هذا الباب نذكر القصة التاليه: قال بن عبيد الله: إنّ الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي كان يستحضر دقائق الفقه حتى آخر عمره ويلتزم به في كل أموره كما تدل على ذلك هذه القصة التالية، قال بن عبيد الله: أخبرني الفاضل الثقة السيد حسن بن أحمد الحداد أن أخاً له توفي وأوصى بأن يصلي عليه الحبيب عيدروس، فامتنع الحبيب عيدروس أولاً وثانياً حتى

سئل عن السبب بعد تشعب الظنون فقال: إن الحق في الصلاة عليه إنما هو للولي فلا تعتبر وصيته وحين أذن له الولي صلى عليه[1].

وبعد الصلاة يحمل النعش وينادي القائم بالتشهودة بطلب العفو والمسامحة للميت من قبل الجميع ويواصلون التشييع إلى المقبرة وخلال الفترة التي يتم فيها اللحد والدفن تقرأ ختمة كاملة من القرآن تسمى ختمة الوحشة، وعندما يوارون على الميت التراب يلهجون بقولهم رحمه الله فيكررون الترحم عليه مع طلب المغفرة له والرضوان، ويقرأ المعلم الخطبة الخاصة بالتلقين، وبعد الانتهاء منها يقرأ الشخص القائم بحفر القبر الفاتحة وإحدى عشرة من سورة الإخلاص. وبعد قراءة ذلك يقرأ المعلم الخطبة الثانية الخاصة بدفن الميت ويرتب الفاتحة أحد الحاضرين من الأعيان، وينصرف معظم الناس ويبدأ ختم القرآن من سورة الضحى إلى سورة الناس وبعد الانتهاء من ختم القرآن يقرأ المعلم أيضاً الخطبة المعتادة عند الدفن ويرتب الفاتحة وينصرف الجميع وينادي الشخص القائم بالتشهودة قبل انصراف المجموعة الأولى بأن التسابيح والختم تكون بالتربة هذا حسب العادة القديمة، وحالياً تكون التسابيح والختم في المسجد القريب من بيت المتوفى.

* * *

(١) حسن بن عبد الرحمن السقاف، ديوان بن عبيدالله، مطبعة لجنة البيان العربي بمصر، صفحة ٣٢١-٣٢٩.

الفصل الرابع والأربعون

العلويون والتجارة والثروة



بعض أثرياء تريم في نزهة

تحدث المستشار انجرامس عن التجارة في حضرموت لما وصلها سنة ١٩٣٦ فقال: وأهمّ السلع الحبوب بأنواعها والبلح والعسل والتبغ والزيت والسمسم والسمن والتوابل وهذه من غلات البلاد، والسكر والبنّ والشاي والغاز والمنسوجات بأنواعها والسلاح كالبنادق والمواشي كالجمال والحمير والخيل والبقر والغنم وهذه ترد من الخارج، ولا يُصدَّر شيء من حاصلات البلاد إلى الخارج سوى التبغ (الحمي) من غيل باوزير، ويصدر من دوعن فقط العسل الجيد حمولة ٤٠٠-٥٠٠جمل سنوياً. وأعظم مركز للتجارة بحضرموت مدينة شبام وهي قلب حضرموت. وتُباع كل البضائع التي تأتيها مهما كانت كثيرة وغالية بأسرع وقت، وتجارها مشهورون بالجد والنشاط وحب العمل وبالمهارة في ترويج متاجرهم، ولقد عُرف الشباميون بذلك حتى أنّ بعض التجار في المدن الأخرى يبعثون أبناءهم إلى شبام ليتعملوا عند تجارها بلا مقابل ليتمرنوا على التجارة وطرق الكسب. وتأتي بعد شبام في التجارة سيون وتريم والمكلا.

والنقد المتداول في حضرموت هو الريال الفضي وكان متداولاً في الإمبراطورية النمساوية في القرن الثالث عشر وبنوع خاص في عهد الإمبراطورة مارتريزا، وكان يُعرف في مصر (بأبي طيرة)، ثم الروبية الفضية البنقالية، ثم نقود فضية صغيرة يقال لها أوقية وربع وحرف وأم خمس ثم نقود أخرى من النحاس صغيرة. أمّا الذهب والورق فلا وجود لهما، وليس للحكومة نقود مضروبة باسمها، وفي إمكان الواحد ضرب ما يشاء من النقود، ولكن الفضة غالية الثمن والنحاس قليل الوجود ولا يوجد هناك بنك يحفظ أموال الناس ولا شركات تجارية منظمة[1].

وقدر انجرامص ما يصل حضرموت من الأموال عبر عدن بحوالي سبعة آلاف روبية شهرياً في شكل حوالات إلى بومباي، وتباع في المكلا نقدا على أيدي التجار الهنود وكبار

---

(١) دبليو اتش انجرامص، حضرموت ١٩٣٤-١٩٣٥م، تعريب د. سعيد النوبان، دار جامعة عدن للنشر، صفحة ٨٠-٨١.

التجار العرب ولا يأخذ التجار عمولة، أما إذا شحت العملة محليا فتؤخذ العمولة بمقدار ٤ عانات لكل مائة روبية، كما ترد العملة أيضاً مع القوافل التي تصل من الداخل وتكون هذه العملة جزءاً من التجارة بين الداخل والمكلا، ويكتمل الميزان التجاري بما تحمله القوافل للبيع من العسل والخشب والعلف وتحول الريالات من المكلا إلى عدن، إلا إذا شحت العملة بالمكلا. ويصل العمانيون وغيرهم من التجار على السفن الشراعية ببضائع يتسلمون ثمنها نقداً [١].

وذكر انجرامص أن معظم تجارة حضرموت مع عدن وأنّ معظم تجارة حضرموت تنتقل بالبحر، لكن معظم تجارة شبام تنتقل براً إلى حضرموت وترد بعض البضائع من الداخل مثل السمن والذرة والقمح والشعير والزيت والزبيب والقطن والملابس المنسوجة والحيوانات، وهي في الغالب منتجات محلية من أجزاء مختلفة من محمية عدن، فالبنّ من يافع وصنعاء، والزبيب من صنعاء فقط. وتصل كمية قليلة من السلاح والذخيرة إلى حضرموت من اليمن ونجران عن طريق شبام [٢].

الأغنياء من العلويين

وذكر بن عبيدالله تأثير الثروة على آهل سيؤن فقال: إنّ آهل سيؤون كانوا من فرط الصفاء وترادف السرور في فقر مدقع تساوَوا فيه وإنْ وجد لدى أحد شيء من المال لم يعرف أثره في لباسه ولا في داره ولا في أثاثه، وإنّما يظهر في الإحسان ومواساة الأقارب والجيران كسيدي جعفر بن شيخ وعمر دحمي [٣].

---

(١) دبليو اتش انجرامص، حضرموت ١٩٣٤-١٩٣٥ م، تعريب د. سعيد النوبان، دار جامعة عدن للنشر، صفحة ٧٩.

(٢) دبليو اتش انجرامص، حضرموت ١٩٣٤-١٩٣٥ م، تعريب د. سعيد النوبان، دار جامعة عدن للنشر، صفحة ٨٠-٨١.

(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٣٩٣.

وفي أوائل هذا القرن بدأت زهرات ضئيلة من الثروة استفزت بعض أهل العلم فاستمالوا أهلها وعظموهم وكبروهم في أنفسهم وحملوهم على اقتناء الفراش والأثاث وتشييد الدور وزخرفة القصور، ونهجوا لهم السبيل إلى اتباع الشهوات والتقلب في اللذات، فأخذ السرور يغيض والأحزان تفيض، حتى انحلّ الرباط وطوى البساط وتقوض ذلك الفسطاط وأذبل الاجتماع بالفراق والاتحاد بالانشقاق، وانكسرت خواطر الفقراء فاقشعر بهم بطن البلاد وتوزعتهم الأقاليم النائية ونجمت المنافسات والمزاحمات[١].

ويستنتج من كلام بن عبيدالله السابق أنّ التساوي في الفقر من أسباب صفاء العيش وأنّ التفاوت في الثروة يكدر العيش ويدفع الناس إلى الهجرة لاكتساب المال وهي نظرية جديرة بالتأمّل ونراها مطبقه في كثير من البلاد.

قال الحبيب أحمد بن عمر بن سميط (١١٧٧-١٢٥٧هـ) في المال ثلاثة أشياء حادث ووارث وحارث فالحادث الفوات في برّ أو بحر، والوارث أن تموت وتتركه لزوج حليلتك، والحارث الذي يحرث به الخير ويقدمه للآخرة. قال بعضهم فكن خير الثلاثة يعنى الحارث[٢].

وقد برز عدد من الأغنياء بحضرموت وفي المهاجر، وذكر بن عبيد الله من أغنياء العلويين بجاوة السيد عمر بن علوي باعقيل، ويرجعون في النسب إلى السيد عبد الرحمن السقاف، وقال عنه: جمع ثروة طائلة بسورابايا من أرض جاوا، ولم ينس حق الله فيها من إعانة الضعيف وإغاثة اللهيف، وبقي مع كثرة أمواله على حاله من التواضع، توفي بسربايا لعله في سنة ١٣٢٨هـ. (انتهى)[٣]. هذا؛ وقد ذكرنا في فصل آخر ابنه السيد محمد بن عمر الذي تمرد على القعيطي وكانت له حوادث مع السيد حسين المحضار.

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد صنعاء، صفحة ٣٩٣-٣٩٤.

(٢) دحمان بن عبد الله لعجم، مجموع كلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط، دار الفتح، صفحة ٢٧١.

(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد بصنعاء، صفحة ١٩٥.

وسنورد تراجم مختصرة لبعض أثرياء العلويين مع بيان مبلغهم من العلم كما وردت في مواضع متفرقة أخرى من هذا الكتاب أخبار لبعض أغنياء العلويين الذين لم نتمكن من ذكرهم في هذا الفصل.

السيد العلامة عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه[1]

(١٠٨٩-١١٦٢هـ)

وهو من تلاميذ القطب الحداد الذي وصفه بقوله (علامة الدنيا)، وكان اقتصادياً بارعاً برغم اشتغاله في أغلب أوقاته بالعلم والتعليم والعبادة. قال صاحب تاريخ الشعراء عنه «إنّه كان ثرياً مزارعاً ومن كبار الاقتصاديين المستثمرين للقاع والبقاع»[2].

فقد ملك مساحات واسعة من الأراضي الزراعية المعمورة بالنخيل، ومن جملة هذه الأراضي منطقه تقع في غرب وادي حضرموت تعرف باسم الباطنة وبها مأوى للضيوف، ولا يزال يقصدها إلى اليوم من يطلب الراحة من المسافرين أثناء مرورهم عليها في سفرهم. وبالباطنة مساحات كبيره مزروعة انتقلت إلى ملكية ورثته.

وبنى على نفقته سبعة عشر مسجداً متفرقة بين مدن حضرموت، ولا يزال بعضها قائما إلى اليوم. ومن بقايا أملاكه أرض عامرة بالنخيل قرب تريم، وأخرى في تريم نفسها لا زالت تستغل إلى اليوم، كما وقف بعض أملاكه على المساجد التي بناها، ويقال إنّه يوزع غلات مزارعه ثلاثة أثلاث، فثلث لصرفياته الخاصة وثلث للصرف على الزراعة نفسها وثلث للضيوف في محلات له مختلفة.

---

(١) أحمد بن زين بلفقيه، ترجمة في كتاب مطالع الأنوار، دار الأصول للنشر، صفحة ٧-١٦.

(٢) عبد الله بن محمد بن حامد السقاف، تاريخ الشعراء الحضرميين، الناشر مكتبة المعارف بالطائف، الجزء الثاني، صفحة ٨٦.

وقد رزق السيد عبد الرحمن بلفقيه بذكاء نافذ وذاكرة قوية مكنته من حفظ القرآن الكريم غيباً، كما حفظ الإرشاد في الفقه لابن المقري وألفية ابن مالك في النحو والعديد من الكتب الأخرى. وقد تصدى للإفتاء والتدريس قبل أن يتم العشرين سنة. وعندما توجّه للحج وزيارة سيد الكونين مرّ في طريقه على اليمن للأخذ عن علماء زبيد والتي كانت تزخر بالعلم والعلماء في ذلك الزمان، ومكث بها زمناً.

وذكر صاحب تاريخ الشعراء نقلاً عن عقد اليواقيت «احتفاء علماء وأعيان زبيد به واعترافهم بمكانته العلمية الشامخة حيث استمر أياماً يتكلم في شرح البسملة بمدهشات العلوم»[١]. كما حج ومكث بالحرمين وأخذ العلم عن علمائها، وذكر صاحب تاريخ الشعراء «إنّ السيد العلامة مشيخ بن جعفر باعبود تلقى عنه بالمدينة المنورة أصول الفقه»[٢]. وله مؤلفات في الفقه والعقيدة وعلوم القرآن كما أنّ له ديوان شعر.

السيد العلامة أحمد بن علي الجنيد

(المتوفى سنة ١٢٧٥هـ)

وهو من أهل الثروة الواسعة، وأكثر ثروته جمعها من حضرموت، وكان شقيقه عمر بن علي يرسل له سنوياً من سنقفورا خمسمئة ريال فرانصة، كما يرسل له شقيقه عبد الله بن علي بمائة ريال فرانصة سنوياً من اليمن فيقول: إنّي أجد بركة في مائة عبد الله أكثر من خمسمئة عمر[٣].

---

(١) عبد الله بن محمد بن حامد السقاف، تاريخ الشعراء الحضرميين، الجزء الثاني، الناشر مكتبة المعارف بالطائف، صفحة ٨٥.

(٢) عبد الله بن محمد بن حامد السقاف، تاريخ الشعراء الحضرميين، الجزء الثاني، الناشر مكتبة المعارف بالطائف، صفحة ٨٦.

(٣) عبد القادر بن عبد الرحمن الجنيد، العقود العسجدية، صفحة ١٢١.

وحيث إن الشيء بالشيء يذكر فقد ذكر الحبيب أحمد بن عبد الرحمن السقاف[١] أنّ الحبيب عبد الله الحداد تكلم عن أموال جاوة وأنها سريعة الفوات إمّا لطمعهم وإمّا لأنّهم لا يتحرون الورع فيها، وإمّا لعدم زكاتهم لها (انتهى باختصار).

وكان الجنيد مزارعاً مشهوراً وله مزارع في أكثر حضرموت، إلا أنّ ثروته أطمعت فيه حكام تريم اليافعيين الثلاثة، فكانوا يتعسفونه ويلزمونه بدفع الإتاوات ويحبسونه، فاحتاط لنفسه وصار يخزن إنتاج زراعته ونقوده لدى مزارعيه، ومع ذلك لم يسلم من الحبس، حتى إن الأمير عبد الله غرامة حاكم الجزء الأوسط من تريم حبسه ظلماً لفترة أربعة عشر شهراً.

وأغرب من ذلك أنّ الحبيب أحمد الجنيد كان مقيماً في النويدرة، وهي جزء من تريم يحكمه الأمير صالح حسين بن عبد القادر، ويعتبر الجنيد من رعيته وتحت حمايته، ولكن لما عرف صالح بن عبد القادر اعتقال السيد أحمد الجنيد لم يتحرك لحمايته، بل على العكس من ذلك فإنّه أمر جنوده بالذهاب إلى بيت الجنيد واحتلاله ونهب كل ما فيه وإحضار النساء والأطفال إلى حصنه، ففعلوا حتى أسقطت من الخوف إحدى الحوامل بالبيت، بل لقد ذهب ابن عبد القادر لأبعد من ذلك حين أراد أن يزوج إحدى بنات الجنيد لأحد أولاده، عندها ضجّ الناس ووصل إلى تريم الحبيب حسن بن صالح البحر وطلب إطلاق سراح النساء والأطفال، فطلب ابن عبد القادر فدية عظيمة، فقالوا له: كيف تطلب ذلك وعائلهم في سجن غرامة؟ فلم يستجب لهم إلا بعد أن دفعوا له ما طلب، وكان الجنيد يدخر بعض أمواله عند مزارعيه لمثل هذه الظروف[٢].

وذكر بن عبيدالله[٣] أنّ الأمير عبد الله غرامه ألقى في سنة **١٢٥٣** أو سنة **١٢٥٤هـ**

---

(١) مجموع كلام الحبيب أحمد بن عبد الرحمن السقاف، دار الفقيه للنشر والتوزيع، صفحة ١٨٠-١٨١.

(٢) عبد القادر بن عبد الرحمن الجنيد، العقود العسجدية، صفحة ١٥١.

(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ١٣٠.

القبض على السادة الأجلاء أحمد بن علي الجنيد وأخيه عمر بن علي وابن عمهم علي بن محمد واستمر حبسهم لفترة طويلة، وتوسط فيهم الحبيب حسن بن صالح البحر إلا أنّ غرامة أعرض في البداية إلا أنه انزعج فيما بعد وخاف من عاقبة دعاء الحبايب عليه فوسّط من يفاوض الجنيد حتى وافق على إطلاقهم مقابل ثلاثة آلآف ريال، فأمّا السيدان عمر بن علي وعلي بن محمد فلم يطب لهما المقام بتريم بعد ذلك فسافرا مباشرة بعد خروجهما من السجن إلى سنقفورا، أمّا الحبيب أحمد الجنيد فبقي بتريم يكابد الخطوب والأهوال ولم يسلم من الأذى حتى بعد زوال غرامة فقد طالبه الدولة آل عبد الله الكثيريين بمال وحبسوه لأجله (انتهى باختصار).

وكان الجنيد كريما ينفق ماله في أعمال الخير وإطفاء الفتن وإغاثة الملهوف وإصلاح ذات البين والصلح بين رجال السلاح من القبائل، وأبقى داره الواسعة مفتوحة للواردين، ولا يكاد يمرّ يوم دون أن يصله أحد الضيوف أو السلاطين وعظماء العصر، فيمكثون لديه اليومين والثلاثة، وكان من عادته تأخير الغداء حتى يلحق الغداء من تأخر به الطريق من الضيوف، بل إنّه بكى مرة بأعلى صوته عندما مر عليه أسبوع ولم يرده ضيف خوفاً من أن يكون الله قد غضب عليه بانقطاع الضيوف[1].

ورغم ثروة الجنيد وغناه فإنّه كان راسخ القدم في النسك والعبادات يصلي صلواته كلها في المسجد ويقيم فيها حزوب القرآن بين المغرب والعشاء.

وكان ملازماً لقيام الليل والتهجد، وكان من عادته أن يقرأ في صلاة آخر الليل في بيته كل ليلة عشرة أجزاء من القرآن ثم يخرج إلى المسجد ويشارك الموجودين بالمسجد في تلاوة القرآن حتى أذان الفجر. كما لم يترك الجنيد شيئاً من أوراده وقرآنه وقيام ليله أثناء إقامته الطويلة بسجن غرامة، وقرأ كتاب الإحياء للغزالي في سجنه أربع مرات[2].

---

(١) عبد القادر بن عبد الرحمن الجنيد، العقود العسجدية، صفحة ١٠٢.

(٢) عبد القادر بن عبد الرحمن الجنيد، العقود العسجدية، صفحة ١٠٠-١٠١.

ويظهر لي من قراءة تاريخ هؤلاء الرجال أنّهم لم يكتسبوا ثروتهم بالحظ فقط بل إنّه كانت لهم مواهب وعقول تميزهم عن غيرهم من الناس وفوق كل شيء توفيق من الله. ومن مواهب الجنيد أنّه كان قوي الشكيمة لا تزعزعه الخطوب والنوائب، ويذكر معاناته من صغره فيقول: إنّه كابد منذ صغره الأسفار طلباً للرزق، فلما كبر أخوه عبد الله كفاه مؤنة السفر ثم شبّ ابنه علوي على طاعة الله وحب العلم إلاّ أنّه لما ذهب أخوه عبد الله وابنه علوي للحج انكسر بهم المركب قرب كمران وغرق الاثنان فتلقى الخبر برباط جأش وصبر وسلم أمره لله[1]. ثم صبر على الظلم والسجن الطويل حتى إنّ أحد مزارعيه لما زراه في السجن بكى فقال له الجنيد لا تحزن فأنا راضٍ بقضاء الله[2].

وللسيد الجنيد نظرة اقتصادية عميقة تظهر في تشجيعه الإنتاج المحلي، ففي ترجمته[3] أنّ ملابسه كانت كلها نسيج حضرموت، أمّا الملابس الفاخرة التي يرسلها له أخوه عمر من سنقفورا فيكدسها في خزائنه ولا يستعملها ويقول إنّ في استعمالها إضراراً بالإنتاج المحلي وإنّ أناساً بتريم عملهم النسيج فإذا استعملنا نحن هذه الأقمشة المستوردة فسوف تبور منسوجاتهم فيتعطلون وتسوء حالتهم المادية، كما أنّ منسوجاتنا المحلية صنعها قوم مؤمنون بالله يذكرون الله تعالى حين غزلها وحين نسجها أمّا المستوردة فقد نسجها قوم غير مؤمنين، فما نرى فيها بركةً مثل هذه المنسوجة لنا (انتهى).

كما لم يكن الجنيد شخصاً ميسور الحال فقط، بل إنّه كان من طلبة العلم المشهورين وله مؤلفات ثلاثة لا زالت مخطوطة، وقد رحل أولاً إلى عمان ومسقط سنة ١٢١٥هـ (١٨٠٠م) واجتمع فيها بالعلامة السيد علوي بن حسن مدهر باعلوي إلى اليمن وأخذ عنه، كما رحل إلى اليمن ثلاث رحلات كانت الأولى لزبيد حيث أخذ عن علمائها مثل السيد

---

(١) عبد القادر بن عبد الرحمن الجنيد، العقود العسجدية، صفحة ١٣٦-١٣٧.

(٢) عبد القادر بن عبد الرحمن الجنيد، العقود العسجدية، صفحة ١٤٤.

(٣) عبد القادر بن عبد الرحمن الجنيد، العقود العسجديه، صفحة ١٢٢

سليمان الأهدل وابنه عبد الرحمن. وكانت الرحلة الثانية لصنعاء، وأقام بها سنتين وأخذ فيها عن علمائها مثل العلامة القاضي محمد بن علي الشوكاني صاحب المصنفات العديدة والسيد عبد الله بن محمد الأمير، ثم رحل مرة ثالثة إلى صنعاء ومكث بها أربع سنوات تفرغ فيها لدراسة علم التجويد والقراءات السبع وأحوال القراء[١].

وحج وأخذ عن علماء الحرمين ومنهم العلامة الفقيه علي بن محمد البيتي، وكانت أول حجة له سنة ١٢١٥هـ (١٨٠٠)، ثم حج سنة ١٢٢٠ (١٨٠٥م) ثم حج ثالثاً سنة ١٢٢١هـ وحج المرة الرابعة سنة ١٢٢٤ (١٨٠٩م) صحبة العلامة الحبيب حسن بن صالح البحر[٢].

وقد ورد أنّه مرّ في رحلة حجه الأخيره صحبة العلامة الحبيب حسن بن صالح البحر على السيد أحمد الإدريسي بصبيا بعد أن ذاع صيته باليمن وحضرموت وحضروا مجلسه[٣].

كما أخذ الجنيد عن علماء حضرموت الكبار ومنهم الحبيب أحمد بن عمر بن سميط الذي طلبه إلى شبام لتدريس علم التجويد والقراءات، كما أخذ عن الحبيب حسن بن صالح البحر والحبيب طاهر بن حسين بن طاهر وأخيه الحبيب عبد الله بن حسين وغيرهم كثير.

ثم بعد دراسته الطويلة تأهّل للتدريس فكان يعقد درساً في الفقه وأصول الدين بمسجد باهارون يومياً من بعد صلاة الفجر إلى ما بعد الأشراف ويعقد درساً آخر في الحديث بعد صلاة الظهر إلى العصر بمسجد العيدروس.

ولما تقدمت به السن وكفّ بصره انتقل بدرسه إلى فناء بيته، إلا أنّه كان درساً في الوعظ والإرشاد حيث يحضره العامة والسلاطين وجنودهم[٤].

---

(١) عبد القادر بن عبد الرحمن الجنيد، العقود العسجدية، صفحة ٢٧.

(٢) عبد القادر بن عبد الرحمن الجنيد، العقود العسجدية، صفحة ٢٨.

(٣) طه حسن السقاف، فيوضات البحر الملي في مناقب الحبيب علي الحبشي، صفحة ٥٩.

(٤) عبد القادر بن عبد الرحمن الجنيد، العقود العسجدية، صفحة ٩٥-٩٦.

الحبيب حسين بن عبد الرحمن بن سهل

(المتوفى بالشحر سنة ١٢٧٤هـ)

قال بن عبيدالله [١] عنه كان رجلاً فاضلاً كريماً أديباً يحب أهل الفضل والصلاح ولا سيما الحبيب حسن بن صالح البحر والحبيب عبد القادر بن محمد الحبشي والحبيب أحمد بن عمر بن سميط والحبيب أبو بكر بن عبد الله عيديد والحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر، وله اعتقاد تام فيهم ويواسيهم، وكان عيناً في تريم ومقصداً للغرباء بتريم، يفرح بالضيف ويكرمه، وله أخلاق حسنة ويراعي طلبة العلم وينفق على بعضهم ويواسيهم، وجمع جملة كتب من كلّ فنّ في خزانتين كبيرتين بمنزله.

وكان الحبيب حسين بن سهل يعيش في منطقة تريم التي يحكمها غرامة وكانت بينه وبين غرامة علاقة طيبة بفضل سخائه على غرامة إلا أنّ حاكم النويدرة من تريم صالح بن عبد القادر كان يتوق إلى القبض على ابن سهل وابتزازه فانتهز فرصة وصوله إلى النويدرة لزيارة خاله الحبيب أحمد الجنيد فأرسل عبيده فقبضوا عليه حال خروجه من بيت خاله وساروا به إلى حصن بن عبد القادر وطالبه بفدية كبيرة إلا أنّ الحبيب حسين استأذن لدخول الخلاء وربط عمامته بنافذة وتدلى بها إلى الأرض، ولم يشعر بن عبد القادر بذلك إلا بعد وصول بن سهل إلى مأمنه بوسط تريم [٢].

وتدل القصة السابقة على عبقريته ودهائه، وتماثلها قصة أخرى وهي أنّه قرّر الانتقام من ابن عبد القادر على فعلته السابقة وصمّم على إحضار ابن عبد القادر أسيراً في نفس الليلة،

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ١٣٣.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ١٣٢.

فذهب لغرامة يخبره بأنه إن لم يساعده على ذلك فهو مسافر الليلة بكل أهله إلى الشحر، ولما أخبره غرامة باستحالة القبض على بن عبد القادر في نفس الليلة لاحتياج العبيد إلى بناء متاريس قال له بن سهل، أنا أكفيك المتاريس. فأرسل لي عبيدك وأحضر العمال وأخرج أربعمئة قوصرة من التمر. وقال للعمال احملوها واعملوا بها متاريس للعبيد، ثم أعيدوها إلى مخازني كما هي. وقال للعبيد من أتاني بسدة (بوابة) حصن بن عبد القادر فله مائة ريال، ومن أتى بنافذة أو باب من النويدرة فله عشرة ريالات، فهجم العبيد على النويدرة وانتهى الأمر بأسر بن عبد القادر في نفس الليلة، إلا أنّ غرامة لم يضيق عليه لأنّه يافعي مثله وسمح له أن يمشي بسلاحه تحت مراقبة العبيد[1].

ثم قرر بن عبد القادر الانتقام بقتل ابن سهل وعلم بوجوده في مسجد العيدروس فسار إلى المسجد بنية الفتك به فبصر به أحد أصحاب بن سهل فتسلل إليه وحذره، فخرج بن سهل من باب المسجد الخلفي وبقي بن عبد القادر في الانتظار، ولما وصل الحبيب حسين إلى داره استدعى غرامة وقص عليه ما حصل، فنزع غرامة سلاح بن عبد القادر وشدد مراقبته ثم ساءت أمور بن عبد القادر المالية بدرجة ألجأته إلى طلب المواساة من بن سهل[2].

إلاّ أنّ ابتزاز الأغنياء من العلويين استمر حتى بعد دخول دولة آل عبد الله الكثيريين إلى تريم، فقد أكثروا عليه المطالبة بالنقود وقرروا عليه خمس ريالات في كل يوم، وهو مبلغ كبير في ذلك العهد، فقرر مغادرة تريم والسفر إلى الحجاز، ولعلمه أن السلطان عبد الله بن محسن الكثيري سيمنعه من السفر، فقد استعان بدهائه لعمل خطة تغطية لسفره، فقام بتفريق جميع ما عنده من الكعك وهو زاد السفر ووزعه على مساجد تريم ليشعرهم بانفساخ عزمه على السفر، ولما اطمأن خاطر السلطان عبد الله بن محسن بعدم نية بن سهل على السفر خرج الحبيب حسين بن سهل مع بعض عبيد الدولة للتنزه في بعض بساتينه، ثم أخبر العبيد بنيته

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ١٣٤.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ١٣٥.

زيارة عينات، وأعطاهم الدراهم وطلب منهم الرجوع إلى تريم، أمّا هو فقد زار عينات ومنها إلى الشحر فالحجاز وكان ذلك سنة ١٢٦٦هـ وخلفه على أمواله صهره السيد عبد الرحمن بن أبي بكر المشهور، فبقي الدولة آل عبد الله يطالبون صهره بما قرروه على ابن سهل فلمّا عجز عنها حبسوه مع السيد أحمد الجنيد واستولى آل عبد الله على بعض أموالهم حتى صالحهم العلامة الحبيب علوي بن عبد الرحمن المشهور على خمسة وعشرين ريالاً كل عام، وعاد السيد حسين من الحجاز سنة ١٢٦٨هـ[١].

وقد بقي السيد حسين بن سهل وفياً لآل غرامة، ذلك أنّه لما انهزم عبد القوي غرامة أمام زحف الدولة آل كثير وحلفائهم من أشراف الجوف، وانتهى الأمر بأن يتخلى عبد القوي غرامة عن عبيده لآل كثير ويبقى هو في بيوته، ويجري لهم آل عبد الله كفايتهم احتال الحبيب حسين بن سهل بحيلة ليضمن سلامة عبد القوي غرامة، فسعى لتزويج سلمى أخت عبد القوي غرامة على الأمير المنتصر عبود بن سالم الكثيري[٢].

وذكر بن عبيدالله في بضائع التابوت فقال: وكان لغرامة عدة أصحاب من خيرة العلويين ومراجيح رجالهم منهم السيد الفاضل الجليل حسين بن عبد الرحمن بن سهل، فقد كان غرامة يتحفى به ويفديه بروحه ولا يخرج عن إشارته، وبلغ به الحال أن تنازل له عن البلدية والمالية لولا أن خاله الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر لام ابن سهل على الدخول في أمور السلطة ذلك وعاتبه بقصيدته التي يقول فيها:

يا حسين اعلم أنّ الشيطنة قد لها نـاس ... قد لها ناس قاموا في بناهـا عـلى سـاس

دابهم في بحور الشر من كاس لا كاس ... خلها فكها وانـذق بهـا فـوق لنجـاس

وقال بن عبيدالله في بضائع التابوت: وذكر غير واحد من الثقات أنّ السيد حسين بن

(١) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ١٣٣.

(٢) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ١٣٨.

عبد الرحمن بن سهل أشار لما كان بالشحر على النقيب علي ناجي بريك بسبب مصلحة من المصالح رآها في حينها بزيادة بقشة أو نصف بقشة في الرسوم على كل طرد مدة محدودة ريثما ينتهي أمد تلك المصلحة ففعل، فلما انتهت المصلحة طالبه برفعها فامتنع علي ناجي فتعب السيد حسين بن سهل تعباً كثيراً ودفع لعلي ناجي أربعة آلاف ريال على شرط أن يرفعها عن الناس حتى لا تبقى ذنوبه متصلة إلى ما بعد المات، وقد اختلف على الرواة فمن قائل إنه قبلها ورفع ذلك، ومن قائل إنّه لم يقبلها ولم يرفعه (انتهى)[١].

وذكر السيد أبو بكر المشهور في كتاب لوامع النور[٢] أنّ السيد حسين بن سهل ابتدأ حياته بتحصيل العلم على طريقة العلويين فلازم شيخه الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر وصار من أهل التحصيل في العلم والجد في العبادة حتى أنّه نسخ كتاب الإحياء كاملاً بخط يده، ثم سافر إلى بندر فنتيانك عاصمة بورنيوا بالهند الشرقية، وتزوج هناك بإحدى بنات ملوكها، وتعاطى أسباب التجارة، وكانت له سفن تنقل البضائع، فجمع ثروة كبيرة، ثم عاد إلى حضرموت وبلغ من ثروته أنّه سكّ عملة خاصة به، وكان كثير النفقة خصوصاً على طلبة العلم، وإذا علم بسفر أحد منهم أعطاه طلبته ورجاه أن لا يسافر وأنْ يبقى لخدمة العلم بحضرموت.

وقد وصله وهو بالشحر أحد السادة آل بن سميط، وقد نوى السفر إلى السواحل الأفريقية رغبة في قضاء دين ركبه قدره ثلاثمئة ريال، فاستضافه السيد حسين بن سهل ريثما يحين وقت السفر، ولما هبت رياح موسم السفر الموسمية لم يكن من السيد بن سهل إلا أن أرسل له بالهدايا من الملابس وسواها وأعطاه مائتين وخمسين ريالاً وتحويلاً بسداد دينه، وقال له ارجع إلى حضرموت لنفع العباد والبلاد ومثلكم لا يصلح له السفر. (انتهى).

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني/ ٢، صفحة ٧٢.
(٢) أبو بكر المشهور، لوامع النور، دار المهاجر للنشر والتوزيع، صفحة ٢٤٤-٢٤٦.

قال بن عبيدالله [1] وأخبرني الثقة عمّن حضر اجتماع الأعيان بمحضر الإمام حسن بن صالح البحر للمشاورة في غرض من الأغراض أنّ السيد الجليل أحمد الجنيد وكان بصيراً (يقصد أعمى) سبق إلى مجلس يقرب من الصدر فأقامه الشهم الهمام السيد حسين بن سهل وقال له: إنّما الصدر للصدور من أهل العلم، وأمّا مجلسي وإيّاك ومن لفّنا من أهل الثروة فإنّما يكون في الأخريات. (انتهى).

إلا أنّ الغنى لا يدوم، وقد تحول كثير من أولاد الأثرياء الكبار إلى فقراء لا يجدون قوت يومهم. وقد ذكر بن عبيدالله قصة فيها الكثير من العبرة. قال بن عبيدالله: إنّ السيد أحمد بن حسين بن عبد الرحمن بن سهل مرّ في طريقه بالرباط فأراد ناظر الرباط السيد عبد المولى بن طاهر أنْ يداعبه فاستدعاه وقال له: تكلّم على الطلبة، وغرضه إفحامه، فتكلم في الطلبة وقال لهم: لا أزيدكم على كلمة، لقد دامت شوارع تريم ملأى بمراكيب المدعوين لاحتفال ختاني ثمانية أيام، ثم إنّ غداءنا اليوم رطلان من التمر الصيم وهما هذان أخذتهما من السوق، فلا يمكن لأحد أنْ يغتر بالدنيا ويسكن إليها والسلام[2].

السيد شيخ بن عبد الرحمن الكاف

(١٢٥٥-١٣٢٨هـ)

ولد بتريم وتعلم القرآن في علمة باغريب وطلب العلم الديني على فقهاء تريم، وحفظ كتاب الإرشاد في الفقه لابن المقري على يد العلامة الشيخ عبد الله بن أحمد باسودان بالخريبة، واتصل بالأئمة الأعلام مثل الحبيب حسن بن صالح البحر والعلامة الحبيب عبد الله بن حسين بلفقيه والحبيب محسن بن علوي السقاف.

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، العود الهندي الجزء الأول، دار المنهاج، صفحة ٤٠٥.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٥٢٥.

ثم هاجر السيد شيخ الكاف إلى جاوا، ومنها إلى سنقفورا حيث اشتغل بالتجارة وكون بها ثروة ضخمة، ويعتبر من الرواد الذين ساهموا في بناء نهضة سنقفورا وخلدت حكومة سنقفورا دوره بتمثال وضعته له في متحف الشمع[١].

قال بن عبيدالله[٢]: وأغنى أهل تريم بل أهل حضرموت على الإطلاق في الزمن الأخير السيد الفاضل شيخ بن عبد الرحمن بن أحمد الكاف، وكان مع ذلك لطيفاً صالحاً متواضعاً يحب العلم وأهله لا يكاد يفوته شيء من دروس شيخنا عبد الرحمن المشهور، وكان يحفظ كتاب الإرشاد وكتبه بخط يده نحواً من سبعين مرة بالأجرة في أيام فقره، وله اعتناء بعد أن أصبح غنياً بقراءة كتاب الإحياء في داره كل صباح يحضره ثلة من المساكين فيقدم لهم الفطور، وله خيرات ومبرّات جزيلة وأوصى بنحو ثلث ماله لما كان يعتاد مثله في أيامه من البر ومع لين جانبه لأهل العلم والدين، فقد كان شديد الشكيمة على الأمراء والمتكبرين، وجرت له أمور ذكرتها بالأصل، ولما أنشدته قولي:

يموت شيخ الكاف في ماله ... كموت باحشوان في فقره

طرب له واستجاده وكرره واستعاده. توفي بتريم سنة ١٣٢٨هـ. وقد سكّ السيد شيخ الكاف في سنة ١٣١٥هـ عملة فضية تغطيها ضمانته، وسبب سكّها تلاشي العملات التي كانت موجودة في ذلك الوقت مثل عملة بن سهل، كما سكّ بن عبدات عملة خاصة به أيضاً[٣].

وقد خلف شيخ الكاف أولاداً في حضرموت ومنهم السيد عبد الرحمن بن شيخ والسيد أبو بكر بن شيخ الكاف الذين استمروا يتمتعون بالثروة والنفوذ بحضرموت. وقد

---

(١) جعفر السقاف وأنيس الكاف، أبو بكر بن شيخ الكاف، صفحة ١٨ .

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٥١٧ .

(٣) جعفر السقاف وأنيس الكاف، أبو بكر بن شيخ الكاف، صفحة ٢٤ .

قامت أسرة الكاف بعدد من المشاريع الخيرية بحضرموت مثل إنشاء مستشفى الكاف الخيري بتريم ومدرسة الكاف النموذجية ودار الصدقة (دار الغريب) الذي يأوي الغرباء والزائرين لتريم، كما حفروا الآبار وبنوا السقايات وأسّسوا عدداً من المساجد، كما أقاموا سوقَ الكاف بوسط سوق سيؤن الحالي ويحوي عدداً من الدكاكين التي يوزع دخلها على الفقراء والمساكين[١]. أمّا أهمّ أعمال الكاف فهو إنشاء الطريق البري بين ساحل حضرموت وداخلها والذي استغرق بناؤه عشر سنوات.

كما أنّ عدداً من العلويين كونوا ثروات بالهند وجاوة. ذكر بن عبيدالله منهم السيد أحمد بن محمد بن عبد الله بن شهاب، فقال: نجع إلى جاوة وجمع ثروة طائلة حتى كانت له قرية في جانب بتاوى (جاكرتا) تسمى (مينتيغ)، وقد أعان الحبيب علي بن محمد الحبشي في إنشاء الرباط[٢].

وذكر بن عبيدالله في المعجم[٣] السيد علي بن صالح الحامد فقال: الشهم الغيور الفاضل جمع ثروة من جاوا فوصل فيها الأرحام وأطعم الطعام وأقرض المحتاجين وأعان على نوائب الحق وأوصى بما يصل نحواً من ثمانمئة وخمسين روبية لمثل ما كان يفعله من الضيافة والمعروف في حياته، ينكر الخرافات والدعاوى الزائفة، وقال بن عبيدالله: ولما واظب على حضور دروسي في الشمائل النبوية، تأكد ما بخاطره من ذلك فوافقنى على إنكارها. توفي بسيؤن سنة ١٣٤٩هـ، ورثاه جماعة من أدباء سيؤن منهم ولده النجيب صالح بن علي الحامد. (انتهى).

كما ذكر بن عبيدالله في المعجم السيد عقيل بن عبد الله بن يحيى فقال[٤]: ومن مكارم

---

(١) جعفر السقاف وأنيس الكاف، أبو بكر بن شيخ الكاف، صفحة ٢٤.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صفحة ٥٥١.

(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صفحة ٤٤٣.

(٤) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صفحة ٤٦٤.

عقيل أنّه وضع عند أبي بسيط أربعين ألف ريال عن مائة ألف روبية هولندية بمصرف ذلك العهد على سبيل القرض، فلما تأخر شغل أبي بسيط كتب له الناصحون ليتلافى ماله بالسفر إلى سورابايا من أرض جاوا فلامهم وقال: إني لا أضيق على صديقي في أحرج الأوقات ولو كان مالي بأسره يخفف عليه ما وقع فيه لأعطيته إياه. (انتهى).

* * *

الفصل الخامس والأربعون

أغنياء المشايخ



وذكر الحبيب علي بن محمد الحبشي (١٢٥٩-١٣٣٣هـ) جيرانه من تجار سيؤن المجاورين لمسجد حنبل في أيامه الأولى بسيؤون فقال[١]: كان صاحب هذه الدار عبد الله بن زين باسلامة (١٢١١-١٢٨٠هـ) رجلاً صالحاً عابداً ورعاً باشر الأسباب (التجارة) بورع. كان يطيب الجفل (البنّ) بيده ويخرج الغش منه وكان له قدم في قضاء حاجة المحتاج وإنظار المعسر وكان يحب الصالحين ويحبونه.

وكان له قدم في تلاوة القرآن، وقيام الليل وإذا دخلت مسجد حنبل آخر الليل وجدته قائماً في جانب المسجد يتلو كتاب الله مع القيام ويقابله في الجانب الآخر العبد الصالح حسين بن أحمد بابهير يتلو كتاب الله مع القيام أيضاً ما كأنّهم أهل أسباب (أغنياء).

قال بن عبيدالله في بضائع التابوت: نشأ الشيخ عبد الله باسعيد باسلامة في خدمة الشيخ عمر دحمي بافضل، ثم وجهه إلى الهند لمطالبة السلطان غالب بن محسن الكثيري بما انكسر له من الدين، ثم إنّه سافر إلى جاوا وعمل بالتجارة وأثرى ثراءً كبيراً حتى قال له أحد جماعته إنّ أموال عمر دحمي لا تساوي عشر العشور مما آتاك الله، فقال له باسلامة: نعم، لكني لم أبلغ فضله لأنّه كان يرسلني في كل ليلة إذا جلس لعشائه بمثل عشائه إلى إحدى الشرائف العنائن، وبمجرد ما يعرفن صوتي يقلن لي أرسلك سعيد الحياة، وكنت أغبطه على هذه الجملة وأتمنى أن يكون لي مثلها، وكان جميل الاعتقاد في الجدّ محسن بن علوي السقاف (١٢١١-١٢٩٠هـ)، وقد وصل الشيخ عبدالله باسلامة حضرموت في أثناء العقد الأول من هذا القرن (الثالث عشر) فلم يدع أحداً إلا أهدى إليه، ولا مسجداً إلا فرشه بالسجاد الهندي. وقد قرّر في نفسه أن يتبرع بجزء من ماله في وجوه البر. (انتهى باختصار).

ثم أكمل الحبيب علي بن محمد الحبشي كلامه فقال[٢]: ثم عقبه في هذه الدار العبد

---

(١) طه بن حسن السقاف، فيوضات البحر الملي، صفحة ١٦٠-١٦١.

(٢) طه بن حسن السقاف، فيوضات البحر الملي، صفحة ١٦٠-١٦١.

الصالح العابد الزاهد محبّنا أحمد علي مكارم وهو من أهل الأسباب (التجارة) أيضاً، كان إذا أراد أن يخرج إلى مخزنه (دكانه) حرّر نيات صالحة: نويت قضاء حاجة المحتاج، نويت إنظار المعسر، نويت صلة الأرحام، نويت صلة الفقراء والمساكين، ولا يخرج إلى مخزنه إلا بهذه النيّات.

وكان له قدم في العمل، وورده كل ليلة ثمانية أجزاء من القرآن مع القيام، كثير الصدقات، يحب الصالحين وله تعلق بهم. ومثله العبد الصالح محمد بن محمد الخطيب، كان رجلاً صالحاً عالماً عاملاً يحب الفقراء والمساكين، وكان كثير الصدقه عليهم بالتمر. (انتهى بتلخيص بسيط).

ومن مكارم الشيخ أحمد بن علي مكارم أنّه لما بنى الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي داره قامت عليه مائة قرش دين في ذمته، فجاء الشيخ أحمد مكارم إلى الحبيب علي بن محمد الحبي يستأذنه في السفر لقضاء دين الحب عيدروس فأذن له، وقال الشيخ أحمد: أنا متوجه القابله وأطلب منك تكلم السيد علوي الحداد معه حمار جيد باشتريه منه، فسار الحبيب علي إلى عند السيد علوي فكلمه في الحمار فقال السيد علوي: الحمار كبير علي عادنا الا خذته وانته عندي أكبر من الحمار شلوه براس ماله. فأخذه الشيخ أحمد بن علي وسافر به وقضى دين الحبيب عيدروس[1].

وذكر بن عبيدالله الشيخ سعيد بن عوض بن كده، فقال: كان الشيخ سعيد ليّن الجانب سهل الأخلاق بعيداً من الشرّ يحب قضاء الحاجات وتفريج الكربات، لا يرد مقترضاً قط، ثم إن أعاد له ما اقترضه وثق به واستمر على قضاء حاجته عند كل طلب، وإن لم يردّ كانت الفيصولة بدون مطالبته بما عنده. مات آخر سنة ١٣٦٠هـ[2].

---

(١) الحبيب عبد القادر بن أحمد السقاف، مجموع كلام الحبيب أحمد بن عبد الرحمن السقاف، دار الفقيه للنشر والتوزيع، صفحة ١٨٦-١٨٧.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلدان حضرموت، الناشر مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٢٩٢.

ومن آل بامطرف ذكر بن عبيدالله الشيخ محمد عبيد وإخوانه فقال[١]: لهم تجارة واسعة بالمكلا والقطن وغيرها بواسطة الوكلاء، وقد بلغني أنهم بقوا ينفقون على عملائهم الذين انقطعت صلاتهم من جاوا (زمن الحرب) مع تفارط الأيام وطول المدة بنصف ما كانوا يعتادون في أيام السعة، ويؤجلونهم حتى يأتي الله بالفرج من عنده ولا سيما إذا قارنتهم بما عليه تجار سيؤن. وذكر بن عبيدالله أنه يعرف أحد التجار من السادة وهو وكيل الكثير من الناس تصل دراهمهم من جاوا وسنغفورا عن طريقه، يخصم عليهم منها خدمة وافرة وينتفع ببقائها تحت يده يصرفها بالأرباح لنفسه، لأن صاحبها لا يأخذ إلا تدريجاً عند الحاجة، ثم لا يحاسبه في شيء قط، بل يدع له حبله على غاربه يفعل ما يريد، وبمجرد ما انقطعت الأسباب «يقصد ما حصل أثناء الحرب العالمية» تنكر له تنكراً فاحشاً كاد ينقطع معه الكلام والسلام[٢].

ومع إعجاب بن عبيدالله بأخبار الشهامة والوفاء فإنّه يتألم من نقيضها، لذا ختم ما سبق بقوله: «فلعنة الله تترى ثم تترى على اللئام»[٣]، ومثل ذلك قوله بعد سرده قصة قتلٍ مشوبةً بالغدر: «ولكن الغدر يؤلم قلبي ويحرق جوفي»[٤].

ومن أغنياء المشايخ الشيخ عمر عبادي، وورد في كلام الحبيب أحمد بن عبد الرحمن السقاف (١٢٧٨-١٣٥٧هـ): كان عمر عبادي رضي الله عنه من البياعة المشترية وصاحب متجر كبير في الغرفة والشحر وفي عدن، وكان محباً لأهل البيت الطاهر ومحباً للعلماء والمؤمنين، كثير الصدقات سراً وعلانية، وسافر الحبيب عبد الله بن عيدروس الحبشي قاصداً جاوة عند ولده علي وعليه نحو سبعمائة ريال من الحرث، وكان حراثاً.

ولما وصل عدن قصد عند الشيخ عمر عبادي فرحب به وأهله وآنسه، وقال له: ما

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلدان حضرموت، الناشر مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٢٤٨.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلدان حضرموت، الناشر مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٢٤٨.

(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلدان حضرموت، الناشر مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٢٤٨.

(٤) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صفحة ٥٥٣.

سبب طلوعك يا حبيب وأنت رجل شيبة؟ فقال له: بغيت عند ولدي علي وعليَّ دين. فقال: إن شاء الله تقضى الحاجة، فخرج وقال في نفسه: اليوم الفائدة لي حصلها من البيع والشراء، ستكون للحبيب، فجاءت السواعي بالجفل (البن) فخرج الشيخ عمر واشترى الجفل كلَّه، ثم باعه، ولما حسب الفائدة وجدها سبعمائة ريال، فقال للحبيب: الحاجة قُضيت وبغيناك ترجع إلى الغرفة وهذه السبعمائة الريال قضاء دينك، والهدية شلها من وكيلي بالشحر[١].

ولما مرض عمر عبادي بعدن عزم على الخروج إلى الغرفة، ولما كان تحت سيؤن كتب إلى صاحبه أحمد بن علي مكارم: أعط الحبيب علي الحبشي جونية رز وعشرة ريال فرانصة يفعل بها فسحة لطلبة العلم بنيّة الشفاء فأعطاها الحبيب علي وفعل بها فسحة لطلبة العلم، وكان الشيخ مكارم في كل عيد يقسم رزاً ولحماً في البندر وعدن والغرفة، ومات ليلة عيد الحجة بالغرفة وهم يقسمون ذلك[٢].

وذكر بن عبيدالله في ترجمة الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي[٣] (١٢٣٧-١٣١٤هـ) المقيم ببلدة الغرفة أنّه أوذي مرة من قبل أحد المناصب أذية بالغة، فجاء إلى (سيون) واجتمع بمحبيه أمثال الوالد والسيد علي بن محمد الحبشي وأخبرهم فأشاروا عليه بالانتقال إلى (سيون) فاعتذر بالحاجة إلى دار كبيرة ولن توجد، وكان الشيخ أحمد بن محمد بارجا حاضراً، وقد فرغ من عمارة دار هي أكبر ما يكون في سيون لذلك الوقت، فانتبذ عنهم قليلاً ثم جاء بوثيقة تتضمن النذر بالدار المذكورة للأستاذ الأبر عيدروس بن عمر فأكبروا عمله وشكروا سعيه وقالوا للإمام: أمّا الآن فقد توجب الانتقال، فعاد إلى الغرفة ليتحمل بأهله حتى إذا بلغ

---

(١) الحبيب عبد القادر بن أحمد السقاف، مجموع كلام الحبيب أحمد بن عبد الرحمن السقاف، دار الفقيه للنشر والتوزيع، صفحة ١٥١.

(٢) الحبيب عبد القادر بن أحمد السقاف، مجموع كلام الحبيب أحمد بن عبد الرحمن السقاف، دار الفقيه للنشر والتوزيع، صفحة ١٥١-١٥٢.

(٣) حسن بن عبد الرحمن السقاف، ديوان بن عبيدالله، مطبعة لجنة البيان العربي بمصر، صفحة ٣٢١-٣٢٩.

منتصف الطريق قال لخادمه: قد بدا لي أن لا ننتقل لأسباب منها أن لنا قرابة وجيراناً يشق عليهم انتقالنا ونواسيهم بما لا نقدر على إرساله إليهم، ومنها أننا نتعلم الصبر في الغرفة. وقد قال أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما أحب أن لي بنصيبي من الذل حمر النعم، ومنها أننا نخشى أن تختمر في رؤوسنا عجينة الرئاسة من تعظيم آل سيون لنا وهي الداء العضال، ومنها هبْ أن أحمد بارجا طابت نفسه بالدار فما حسرة أهله وأولاده عليها، ثم أمر خادمه أن يكتب انتقالاً في الدار من ملكه إلى ملك الناذر. (انتهى).

ومن أغنياء المشايخ المتأخرين الشيخ سالم عبيد باحبيشي، وهو من مواليد الحبشة. ذكر والدي أنّه كان محباً للخير ومساعدة المحتاجين، وكان متعلقاً بحب العلويين، وكان إخوته من الأغنياء والوجهاء بأسمرة، وكانوا يلومونه على سرفه. ومن مكارمه أنّه أنشأ أول محطة كهرباء بحضرموت بمدينة سيؤن على نفقته الخاصّة وجلب لها المكائن والمهندسين من إيطاليا والحبشة، وقال العم محمد بن علوي السقاف الذي تولى الإشراف على إدارة شركة الكهرباء بسيؤن أنّ الشيخ سالم باحبيشى كان ينفق كل الأرباح التي يحصل عليها من شركة الكهرباء على الأيتام والأرامل والفقراء والمحتاجين وفي وجوه البر الأخرى.

ومن مكارمه إيصاله مياه الشرب إلى قريته بدوعن بعد أن كان أهلها يمشون المسافات الطويلة لإحضار قربة واحدة من المياه، فاشترى عيون ماء مملوكة للأهالي، ودفع فيها مبالغ مالية كبيرة، وتكبد مشقة كبيرة في مدها، واحتاج أيضاً إلى دفع مبالغ كبيرة من المال كي يسمح الأهالي بمرور الأنابيب عبر أراضيهم رغم كونهم المستفيدين من المشروع، ولكنه نجح في النهاية في تذليل الصعاب وإيصال مياه الشرب إلى قريته حوفة.

كما أكمل الشيخ سالم باحبيشى بناء مستشفى الجحي، ولكن تعرقل افتتاح المستشفى لأسباب مختلفة، كما ساعد الشيخ سالم باحبيشى في بناء المساجد والمدارس، وتحمل عام ١٩٦٠ إنشاء مبنى جديد لمدرسة النهضة الابتدائية بسيؤن.

ومن مكارمه الكبيرة مساهمته بمبلغ مائة ألف شلن لإعادة بناء أشهر مسجد بسيؤن وهو مسجد طه، وعندما تجاوزت التكاليف المبالغ المرصوده للمشروع تبرع الشيخ سالم باحبيشي بمائة ألف شلن أخرى وكتب على نفسه ورقه ببيع بيوته بسيؤن إن اعترته ظروف منعته من الوفاء بهذا المبلغ. ثم انتقل الشيخ سالم باحبيشي إلى مصر واستقر بها وأقام لنفسه بها سكناً وعمارات ومشاريع، كما ساهم مساهمات كبيرة في أعمال البر المتنوعة بمصر والسودان فأقام المساجد التي تتبعها المستوصفات الخيرية في أماكن متعددة بمصر والسودان، وساعد الفقراء والمساكين، كما اشترى أرضاً بمدينة القاهرة بمصر أوقفها مقبرة لليمنيين. وفي سنوات عمره الأخيرة كان يقضي شهر رمضان من كل سنة معتكفاً بمكة المكرمة إلى آخر عمره.

ولما استولى الجنرال الشيوعي منجوستو على الحكم بالحبشة استولى على جميع الأملاك الخاصة وفقدت أسرة آل باحبيشي جميع أملاكها بالحبشة، إلا أنّ وجود أخيهم الشيخ سالم بمصر أنقذ موقفهم، فاستقبلهم عنده مع عوائلهم على الرحب والسعة ورتّب أمورهم ومعيشتهم. ومع أنّ كثيراً من أولاد الأغنياء يفقدون ثروتهم بعد وفاة آبائهم المؤسّسين إلا أنّ أولاد الشيخ سالم عبيد باحبيشي ما زالوا محفوظين بما قدّمه والدهم من أعمال الخير والبر.

ومن أغنياء المشايخ المتأخرين المعلم محمد عوض بن لادن المتوفى سنة ١٣٨٦هـ. وآل بن لادن أصلهم من رخية، وانتقلوا بعد ذلك إلى رباط آل باعشن، ورحل كثير منهم إلى السعودية. والشيخ محمد بن لادن شخص كريم ومحب صادق لأهل البيت، قال عنه بن عبيدالله: له أعمال كبيره بالحجاز وتجارة واسعة ومساعي مشكورة ومحاسن مشهورة، وله أخ اسمه عبد الله يساعده على إغاثة الملهوف واصطناع المعروف وإعانة المنكوب. وتوفي المعلم عبد الله بن لادن سنة ١٤٢٢هـ بالمدينة المنورة.

أمّا المعلم محمد عوض بن لادن فقد كان حاذقاً في العمارة والبناء وقد اعتمدت عليه الحكومة السعودية في كثير من مشاريعها الكبيرة كعمارة الحرمين وشق الطرق عبر الجبال والقيام ببناء المطارات.

وكان في أول حياته بحضرموت كما يقول الحبيب مصطفى المحضار: «يخدم عندنا كل يوم بأوقية وينور السحيح والمطاهير وأصله من رخية، ولا يقرأ ولا يكتب ولا يحسب وسافر ويوم الحظ زين شفه قده فين»[١].

ويقول والدي يحفظه الله ولقد زرت مع والدي السيد علوي بن عبد الله السقاف المعلم محمد بن لادن أثناء عمله بطريق الهدى، وكان الجد علوي قد بدأ في هدم مسجد طه الشهير بسيؤن بعد تصدع بنائه لتوسعته وإعادة بنائه كي يتسع للأعداد المتزايدة من المصلين، إلا أنّ التكاليف تجاوزت ما جمعه الجد علوي بكثير، وتوقف العمل في المسجد، فقرّر الجد علوي أن يطلب مساهمة المعلم محمد بن لادن لإكمال المشروع، قال والدي: ولما وصلنا مقر إقامة المعلم بقرية الهدى الجبليه وجدناه مجتمعاً مع مجموعة كبيرة من المهندسين العرب والأوروبيين، ولما رأى الوالد بلباسه العلوي المميّز ترك كل من حوله واتجه نحو الوالد وهو لم يعرفه من قبل، واخذ يقبل رأسه ويده، وأخذنا على الفور إلى منزله الجبلي، وترك كل من حوله، وقد شرح له الجدّ مشكلة مشروع المسجد، وكان المعلم نفسه في ورطة مشابهة، فقد زادت تكاليف مشروع طريق الهدى على السعر الذي اتفق عليه مع الحكومة، وبقي المعلم يفكر ثم قال للجد علوي: غدا تذهبون لزيارة جدّكم، وإن شاء الله بايكسر السيل الضمر، وقد طلب المعلم من سكرتيره أن يرتب للحبيب علوي ومن معه زيارة المدينة. قال سيدي الوالد: وقبل الفجر ذهبنا معه لصلاة الفجر بمسجد ابن عباس بالطائف، وهي مسافة بعيده نسبياً، وبعد الصلاة تجمع الناس حول سيارة المعلم ففتح درج سيارته وأخرج منها ربط النقود من الفئات الكبيرة والصغيرة وأخذ يوزعها على الناس حتى انتهت، عندها أمر سائقه بالمسير.

وكان المعلم شديد المحبة للعلويين، ويعتني بالفقراء والمساكين، وينفق على الكثير

---

(١) محمد بن عبداللاه المحضار، خواطر وأفكار وحكم وأسرار، مكاتبات الحبيب مصطفى، تريم للدراسات والنشر، صفحة ٢٤٧.

منهم. وفي كل عام يرتب الحج لأعداد كبيرة من الحضارم وغيرهم على نفقته، وينصب لهم الخيام ويوفر لهم الطعام.

هذا وبعد عودة الجد علوي وصحبه من المدينة حدثت مفاجأتان: أولاهما تبرع المعلم بمبلغ ثلاثمئة ألف شلن لمشروع المسجد وهو مبلغ كبير في تلك الأيام وثانيتهما موافقة الحكومة السعودية على تعويض كل خسائر المعلم بن لادن في مشروع الطريق. وهكذا تخلّدت ثلاثمئة ألف المعلم في جدران المسجد إلى قرون قادمة إن شاء الله.

وذكر الجد علوي بن عبد الله السقاف في رحلة حجّه سنة ١٣٦٦هـ أنّه لما عزموا مع جماعة من الحجاج لزيارة المدينة كان أكثر أصحابنا لا يقدرون على دفع الرسوم المقررة، فوفّر لهم المعلم محمد بن لادن سيارة على نفقته تكون تحت أمرهم في الذهاب والإياب[١].

وقال السيد علي حافظ: إن المعلم محمد بن لادن دعاه وأخاه عثمان والشيخ محمد صالح قزاز إلى الطائف، وقال: صعدنا قليلاً إلى الجبل نشاهد انفجارات الألغام وتطاير الحجارة التي كانت تتساقط أمامنا، حتى أنّنا خفنا أن تصيبنا فابتعدنا قليلاً، ولما حان وقت الغداء قال المعلم محمد بن لادن: تفضلوا نتغدَ في الطائف، فقلنا: وكيف نصعد؟ قال: انزلوا معي، فنزلنا جميعاً إلى سطح جبل كرى فوجدنا مطاراً صغيراً مستطيلاً تقف عليه طائرة صغيرة لا تتسع لأكثر من ستة أشخاص، فدخل المعلم الطائرة وقال: ادخلوا فتردّدنا، ثم دخلنا مع الشيخ صالح قزاز وحرك قائد الطائرة جهاز الطائرة، وجلس المعلم ابن لادن إلى جانبه يساعده وارتفعت الطائرة إلى الجو، وما هي إلا دقائق حتى هبطت بالهدى قرب الطائف. وبعد الغداء عدنا بها إلى سفح جبل كرى ومنه إلى مكة وجدة. (انتهى)[٢].

ونستنتج من الكلام السابق استخدام المعلم للطائرة في تنقلاته بين مناطق عمله الوعرة،

---

(١) علوي بن عبد الله السقاف، السيرة الذاتية، صفحة ١٠٤.

(٢) علي حافظ، نفحات من طيبة مطبوعات تهامة، الطبعة الأولى، صفحة ١٦٩.

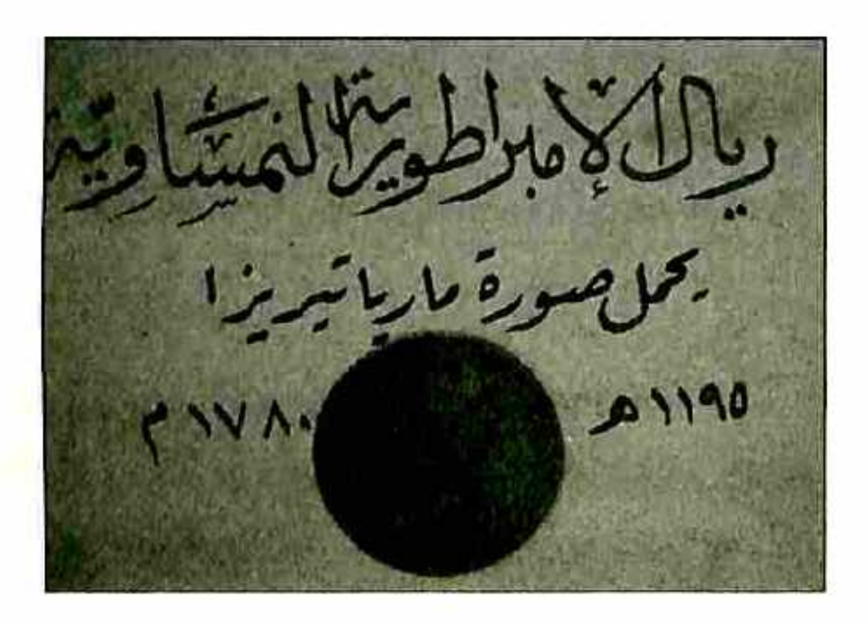
بل ومساعدته قائد الطائرة في القيادة. وقد مات المعلم عندما سقطت به طائرة من هذه الطائرات الصغيرة، كما تولع سالم أكبر أبنائه بقيادة الطائرات، وتوفي هو الآخر باصطدام طائرته في أمريكا.

وبعد وفاة المعلم بن لادن بقي أولاده على عمله بل تضاعفت أعمالهم عن سابقها عشرات المرات، وتولوا مشاريع الحكومة السعودية لتوسعة الحرمين ومشاريع منى وعرفات إضافة لعدد كبير من المشاريع المدنية المحلية والعالمية. ولا زالت شركة بن لادن من أكبر شركات المقاولات في العالم.



الفصل السادس والأربعون

النقود بحضرموت



العملات بحضرموت[1]

---

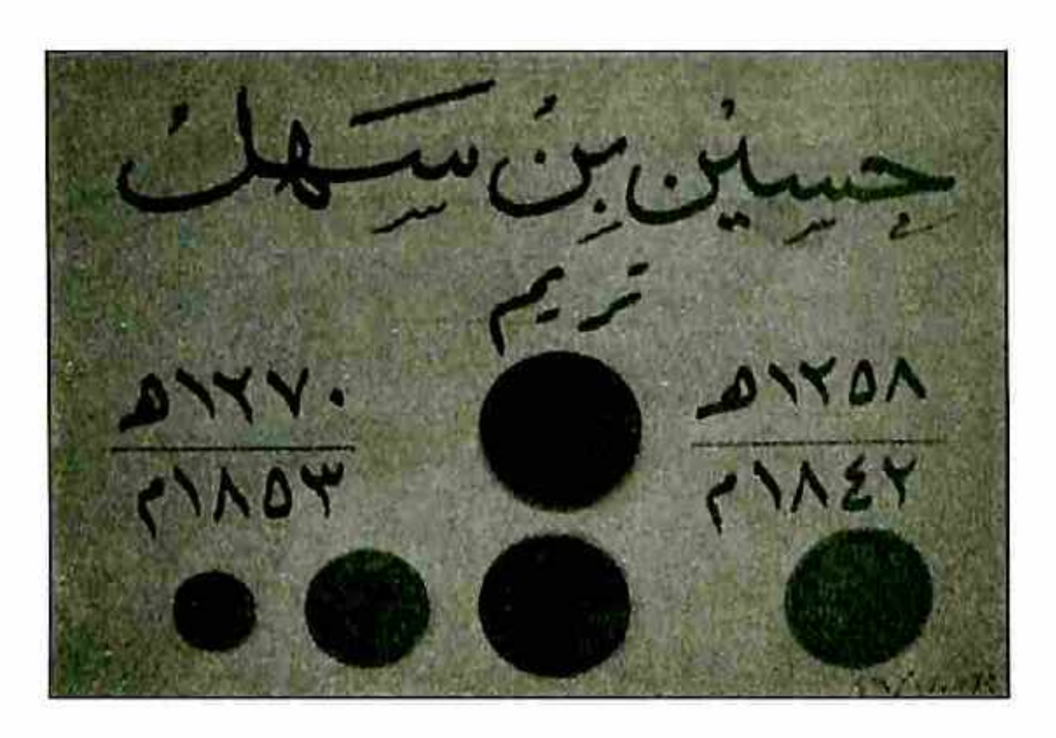
(١) صلاح البكري، تاريخ حضرموت السياسي، دار الآفاق العربية، الجزء الأول، صفحة ١٣٥.

لم تتوفر لي معلومات متكاملة عن النقد المستخدم في حضرموت في الزمن القديم، ولكن توفرت بعض الإشارات عن هذا الموضوع في الكتب المختلفة، فقد ذكر بن عبيد الله النقود اليمانية فقال: ومن آثار الإمام الباقية بدوعن إلى اليوم السكة المضروبة على اسمه، حدثني السيد علوي بن عبد الله الحبشي صاحب رحاب بأنّ تلك السكة متنوعة أكبرها الأوقية، وكلها من الفضة تقرأ عليها آثار الكتابة إلى اليوم، وعلى وجهها اسم المهدي، وعلى ظهرها اسم باعبد الله، وهو الذي يخاطبه القطب الحداد بقوله: «يا جميل إن ستر الله على الخلق باقٍ»، وكانت سلطنة رحاب لآل باعبد الله المذكورين (انتهى)[١].

قال الأستاذ صلاح البكري: والنقد المتداول في حضرموت هو الريال الفضي، وكان متداولاً في الإمبراطورية النمساوية في القرن الثالث عشر، وبنوع خاص في عهد الإمبراطورة مارتريزيا، وكان يعرف في مصر (بأبي طيرة)، كما تتداول الربية الفضية البنقالية، ثم نقود فضية صغيرة يقال لها أوقية وربع وحرف وأم خمس، ثم نقود أخرى من النحاس صغيرة.

أما الذهب والورق فلا وجود لهما، وليس للحكومة نقود مضروبة باسمها، وفي إمكان الواحد ضرب ما شاء من النقود، ولكن الفضة غالية الثمن، والنحاس قليل الوجود، ولا يوجد هناك بنك يحفظ أموال الناس ولا شركات تجارية منظمة (انتهى)[٢].

(١) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني/ ١، صفحة ٧٥.
(٢) صلاح البكري، تاريخ حضرموت السياسي، دار الآفاق العربية، الجزء الأول، صفحة ١٣٦.



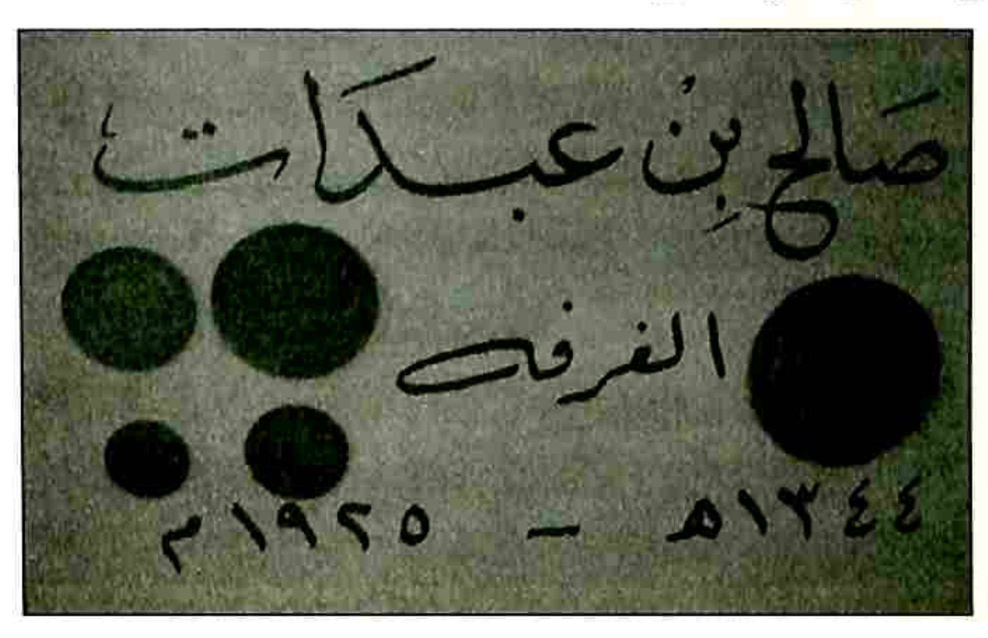
عملة بن سهل في متحف سيؤن

وقد سكَّ السيد الثري حسين بن عبد الرحمن بن سهل عملة خاصة به قال عنها الأستاذ الشاطري: إنّ عملة بن سهل فضية ونحاسية وقد جُزِّئ الريال النمساوي إلى عشرين وحدة فضية وعشر وخمس يساوي مجموع كل من هذه الوحدات نصف ريال نمساوي، أي نصف أوقية ويضاهي الريال قيمة مائة وعشرين سنتاً يسمى السنت خمسية، وكان ضرب هذه العملة في إحدى مدن أوروبا سنة ١٢٥٨هـ[١].

وفي كتاب الزعيم أبو بكر بن شيخ الكاف ورد ما يلي: «وقام السادة آل الكاف بسكّ عملة خاصة يتم التعامل بها محلياً، وهي عملة من الفضة قام بسكها السيد شيخ بن عبد الرحمن الكاف بضمانته الشخصية سنة ١٣١٥هـ وهي عبارة عن ثلاث قطع فضية تسمى أم ستة وأم اثني عشر وأم أربع وعشرين، ومكتوب عليها الرقم ٩١٠، وهي بحساب الجمل

(١) محمد بن أحمد الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي، الناشر عالم المعرفة، صفحة ٣٩٧.

ترمز إلى اسم شيخ، وسبب سكّها تلاشي العملات التي كانت موجودة بحضرموت في ذلك الوقت مثل عملة بن سهل» (انتهى)[1].



عملة بن عبدات في متحف سيؤن

كما سكّ زعيم الغرفة بن عبدات في الغرفة سنة **١٣٤٤**هـ عملة خاصة به حتى يكون مستقلاً عن تأثير الدولة الكثيرية بسيؤن والقعيطية بالمكلا، ولم تتوفر لي معلومات عن هذه العملة سوى الصورة أعلاه الموجودة بمتحف سيؤن.

وذكر انجرامس العملة في حضرموت فقال: «تتكون العملة من الروبية والريال (ماريا تريزيا)، وقيمة التبادل تعتمد على قيمة الفضة، ففي نوفمبر سنة **١٩٣٤** حين جمعت أكثر مادة هذا الكتاب كان الريال مساوياً للروبية تقريباً، ولذلك تُستخدم العملتان دون تمييز، ولكن في منتصف مايو **١٩٣٥** تعدّلت القيمة، فحين كانت **١٤٩** روبية تعادل **١٠٠** ريال في عدن نجد أنّ القيمة في المكلا تختلف حيث تعادل **١٥٠** روبيةً **١٠٠** ريال.

---

(١) جعفر بن محمد السقاف وعلي أنيس الكاف، الزعيم الحكيم أبو بكر بن شيخ الكاف، تريم للدراسات والنشر، صفحة ٢٤.

أمّا العملة الصغيرة فهي العملة الهندية البريطانية رغم أنّ المرء يجد في المكلا بعض العملات الجاوية والليرة الإيطالية المجلوبة من الصومال، ويتداول الأهالي العملة الورقية الهندية بحرية تامّة في المكلا، وبشكل عام يمكن صرف أي عملة في المكلا، وتدخل في الوادي بعض العملات القديمة ضمن عملية الصرف، وهناك عملة خاصة بأسرة الكاف (انتهى)[١].

وذكر بن عبيد الله في بضائع التابوت: والبقشة هي جزء من ثمانين جزءاً من الريال، أمّا في اليمن فالبقشة جزء من أربعين جزءاً من الريال (انتهى)[٢].

هذا وقد دخلت عملة الشلن الأفريقي إلى حضرموت سنة ١٣٧٤هـ (١٩٥٥م) مع افتتاح أوّل بنك في المكلا، وهو البنك الشرقي، ولكن استمر التعامل في السوق المحلي بالعملات السابقة [٣].

واستخدمت الدولة الكثيرية الشلنات الأفريقية، وصارت العملة الرئيسية المتداولة إلى نهاية الدولة الكثيرية الثانية سنة ١٩٦٩هـ. ويساوي الشلن الأفريقي الريال السعودي تقريباً، وبعده يجيء النصف شلن والاثنان من الفضّة، أمّا العملات الأصغر فهي نحاسية وتسمى العانة والبيسة وهي نصف عانة، وذكر العانة شاعر شعبي فقال:

قـال حبليـل مانـا بـسبري   حـس يمنـاي فيهـا ليانـه
لا تـشوفون طـولي وعـرضي   لو دخلت السوق ما جبت عانه

وبعد سقوط الدولة الكثيرية وظهور دولة اليمن الديموقراطية الشعبية التي استمرت

---

(١) دبليو اتش انجرامص، حضرموت ١٩٣٤-١٩٣٥م، تعريب د. سعيد النوبان، دار جامعة، عدن للنشر، صفحة ١٧.

(٢) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني/ ٢، صفحة ٧٢.

(٣) محمد سالم باحمدان، عهد السلطان صالح بن غالب القعيطي، صفحة ١٤٤.

في الحكم ثلاثين سنة كانت العملة المستعملة هي الدينار الجنوبي المبينة صورته أعلاه، وبعد توحد اليمن أصبحت العملة الرسمية هي الريال اليمني.



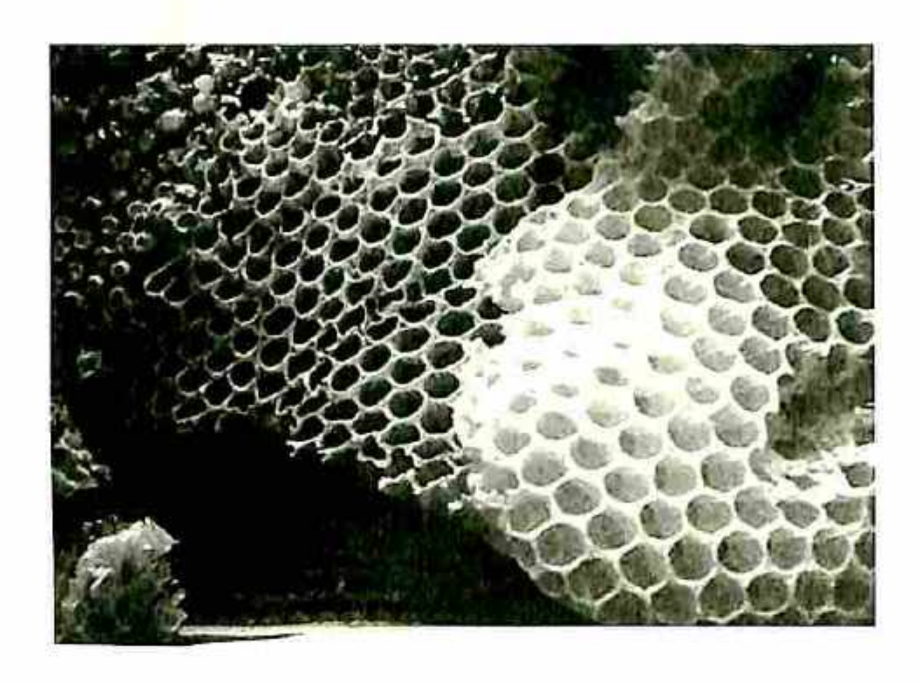
عملة الدينار الجنوبي

أمّا العملات المعمول بها في الحجاز أيام الأشراف والدولة العثمانية فيصفها العلامة اليمني إسماعيل بن حسين جغمان أثناء رحلة حجه سنة ١٢٤١هـ فيقول: إنّ القرش يسمى في القنفذة وما بعدها ريالاً، والقرش عبارة عندهم عن الزلطة، وهي درهم منقوش عليه اسم الضارب ومكانه، ويساوي القرش في القنفذة ستة عشر ريالاً وفي جدة خمسة عشر وفي مكة أربعة عشر، ويزداد أو ينقص في بعض الأحايين، وثمة ضربة ذهب تسمى برغوثة، عبارة عن ثلاثة قروش إلا ربع زلط، وضربته أم عشرين، وهي عبارة عن نصف الزلطة وأم عشرة عن ربعها، وأم خمسة عن ثُمنها والديواني فضة خالصة، وهو شيء يسير، عبارة عن ربع عشر الزلطة والأرباع الفرانصي كثيرة يتأمل بها، والزلط أنفق منها، وثمة ضربة زلط كبار جيدة، الفئة تباع الواحدة منها بثلاث زلط من النحاس، وتجد الصيارفة بكثرة في الأسواق فتأخذ ما أردت منهم [١].

(١) عبد الله محمد الحبشي، الرحالة اليمنيون، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ١٦٢.

الفصل السابع والأربعون

العلويون والعسل والدخون



ذكر انجرامس في كتابه عن حضرموت بين سنة ١٩٣٤م – ١٩٣٥م، المعلومات التالية: عسل دوعن الشهير هو المحصول الثاني ذو القيمة الاقتصادية بحضرموت بعد التنمباك. ولعسل منطقة جردان بالذات شهرة محلية، لكنه لا يجنى بكميات كبيرة ولا تنجح صناعة العسل في مناطق مثل تريم بسبب وجود حشرات تأكل النحلة (حشره ذات خدّ أزرق)، وكثرة نوع من الطيور لم أشاهد مثلها إطلاقاً في وادي دوعن.

والبيت الذي يربى فيه النحل يسمى (الجبح)، وهو مبنى على شكل نفق على جدرانه بيوت صغيرة من أقسام دائرية، قطر الواحد منها قدم واحد. وعلى الجدار الخارجي ثقب صغير لتدخل منه النحلة وتخرج.

وتمتاز دوعن بموسمَين لجني العسل: الأوّل في الأشهر (يونيو ـ يوليو ـ أغسطس)، وفيها ينتج أفضل العسل، لأنّ النحل يجمع الرحيق من أشجار العلب. أمّا العسل في الموسم الثاني (نوفمبر ـ مارس) فيجمع من عشب يقال له كرملة. وبالرغم من جودته إلا أنّه يعتقد أنّه يرفع الحرارة، وعادة ما تمنع المرأة الحامل من أكله. وإذا اشتدت الأمطار خلال شهري أبريل ومايو يجمع الناس عسلاً أسود يقال له (صلب)، وتتقوى النحلة في هذه الفترة لأنّها تستهلك العسل بنفسها.

وتترك الملكة التي تعرف باسم (أب) المنحل مع مجموعة من النحل بالطريقة التالية: إذ يقوم مالك النحل بلفّ حصير على هيئة منحل قافلاً إحدى الفتحات فقط، ويرشّ الحصير بعطور السيدات، ثم يتقدم نحو الملكة (الأب) ويأخذها بين أصابعه، ثم يضعها في قفص صغير، ويوضع القفص في الحصير الملفوف ثم يدق شخص آخر الطبول كي يغادر بعدها باقي النحل مكانه متجهاً نحو الملكة التي تنقل إلى المنحل وتتبعها البقيّة.

ويجمع النحل المحصول خلال فترة من ١٢ إلى ٢٠ يوماً، وحين يجد المالك أنّ المنحل قد امتلأ يضيف أقساماً أخرى للمنحل ليملأها النحل بالعسل، ويقدر محصول المنحل الواحد بحوالي ٣٠-٤٠ رطلاً من العسل.

ويستخدم المواطنون طريقة تدخين المنحل لطرد النحل حتى يتمكّنوا من جمع المحصول، وحين يغادر النحل المنحل يقفل الثقب الذي يؤخذ منه العسل تاركين جزءاً واحداً كغطاء، وخلال أيّام الجفاف يوضع العسل في المنحل ليتغذى عليه النحل.

قال انجرامس: ويُعبّأ العسل بشمعه أو خالياً من الشمع في صفائح دائرية من المعدن تزن الواحدة ٤-٧ أرطال، ويباع الرطل من العسل الخالي من الشمع بروبية واحدة، ويُقدّر إجمالي الإنتاج من العسل بحوالي (٩٠,٠٠٠ رطل) (الأسعار الحالية في سنة ١٤٢٩هـ هي ٩٠٠٠ ريال يمني لكيلو العسل الصبيب و١٢٠٠٠ ريال لقصعة العسل بالشمع).

وقال انجرامس: ونظراً للسمعة الواسعة لعسل دوعن في جنوب الجزيرة العربية وجزر الهند الشرقية، ونظراً لاستحسان الأوروبيين له، فقد ظننت أنّ هناك إمكانية لتسويقه في لندن فأرسلت صفيحة كاملة عبر وزارة المستعمرات إلى المختبر الأميري لتحليله، فكانت النتيجة مخيبة للآمال إذ يبدو أنّه لن يكون مربحاً في بريطانيا. (انتهى النقل عن انجرامس).

إلا أنّ للسيد علوي بن أبي بكر الكاف الخضيب (المتوفى بعدن سنة ١٣٧٣هـ) تجربة مختلفة فقد أسس في عدن معملاً لتعبئة العصائر والمواد الغذائية سمّاه معمل الفلاكا (مقلوب كلمة الكاف)، وكانت أشهر منتجات هذا المعمل العسل ماركة الفلاكا الذي يختار من أجود أنواع العسل الحضرمي، ويصدر للخارج، وقد لقي رواجاً كبيراً بسنقفورا[١].

وذكر بن عبيداللاه بلاد جردان في المعجم فقال: إنّها من أقدم بلاد حضرموت. وجردان مشهور بحسن عسله، وعسل حضرموت خير عسل اليمن، وعسل جردان خير عسل حضرموت لأنّه يجرس عسل السدر، وهو السبب الذي يمتاز به عسل جردان وحضرموت فإنّه لا يطيب إلا متى جرس نحله ذلك الزهر، أمّا الذي لا يجرسه كالذي

---

(١) محمد الجنيد وحسين الكاف، المهندس علوي بن أبي بكر الكاف رائد العمارة الطينية، مركز النور للدراسات، صفحة ١٥٧.

يعسل في أيّام الصيف فإنّه لا يكون إلا رديئا للغاية ولو من جردان. فالعسل لا يتفاوت إلا من هذه الناحية، ويسمونه المرية (انتهى)[١].

ومن قيمة العسل الدوعني فإنّه يتخذ هدايا للملوك، فقد ذكر بن عبيداللاه في بضائع التابوت أنّه لما حجّ السلطان عوض بن عمر القعيطي ومعه الحبيب حسين بن حامد المحضار سنة ١٣١٧هـ أهدى السلطان عوض للشريف عون الرفيق هدايا طائلة فيها سيف محلى بالجواهر ومائة قصعة من العسل الدوعني (انتهى)[٢].

وذكر غازي باحكيم في كتابه صناعة النحالة في وادي حضرموت[٣] أنّ قيمة صادرات العسل من حضرموت في عام ١٩٨٧م بلغت حوالي الخمسة والنصف مليون دولار[٤] وبلغت صادرات اليمن من العسل سنة ١٩٨٣م ٣٨.٨ طناً قيمتها ٣.٤ مليون دولار[٥].

وتحتل حضرموت المرتبة الثالثة في الحيازات النحلية بعد محافظة لحج التي تأتي في المرتبة الأولى، ومحافظة أب في المرتبة الثانية[٦]، كما تحتل اليمن المرتبة الأولى بين الدول العربية في تصدير العسل. وتشكل صادرات وادي حضرموت من العسل حوالي ٦٠ ٪ من إجمالي صادرات اليمن من العسل[٧].

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ١١٤.

(٢) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني/ ٢، صفحة ١٠٩.

(٣) غازي علي باحكيم، صناعة النحالة في وادي حضرموت، دار حضرموت للدراسات والنشر، المكلا، حضرموت.

(٤) غازي علي باحكيم، صناعة النحالة في وادي حضرموت، دار حضرموت للدراسات والنشر، المكلا، حضرموت، صفحة ١٢.

(٥) غازي علي باحكيم، صناعة النحالة في وادي حضرموت، دار حضرموت للدراسات والنشر، المكلا، حضرموت، صفحة ١٤.

(٦) غازي علي باحكيم، صناعة النحالة في وادي حضرموت، دار حضرموت للدراسات والنشر، المكلا، حضرموت، صفحة ١٣.

(٧) غازي علي باحكيم، صناعة النحالة في وادي حضرموت، دار حضرموت للدراسات والنشر، المكلا، حضرموت، صفحة ١٤.

وذكر باحكيم أنّ سلالة النحل بوادي حضرموت من سلالات النحل الأصفر، وتتميّز بتلاؤمها مع الجفاف وكونها هادئة وثابتة على الأقراص ومقاومة نسبياً للآفات والطفيليات، كما أنّها تعمر لأكثر من ثلاثين سنة، إلاّ أنّ هذه السلالة تعرضت للخلط والتهجين مع بعض السلالات المستجلبة من بعض المحافظات اليمنية أو المستوردة من الخارج وأصبحت السلالة الحضرمية بصفاتها الوراثية النقية نادرة الوجود في الوقت الراهن[١]. وذكر باحكيم أنّ النحل بحضرموت قلّما يعتمد على المحاصيل الزراعية التقليدية ما عدا الذرة الرفيعة، وإنّما تُعد أشجار العلب (السدر) وأشجار السمر (الأكاسيا) أهمّ المراعي لتربية النحل بوادي حضرموت[٢].

وذكر أن هناك نوعين من العسل الحضرمي: أولهما عسل العلب (السدر)، ويسمى محلياً (عسل البغية)، وهو أشهر أنواع العسل، ويُصدَّر للخارج. ويقطف عسل البغية في شهر نوفمبر، وقد تكون هناك فرصة لمحصول آخر من العسل إذا هطلت الأمطار خلال الربيع وازهرت العلوب ثانية بعد شهرين ونصف من هطول الأمطار، إلاّ أنّ المحصول الثاني أقلّ جودة من المحصول الأوّل.

أمّا النوع الثاني من أنواع العسل الحضرمي فيسمى (عسل المرية)، ويقطف عادة خلال شهر أبريل وهو أقلّ جودةً من عسل البغية ويستهلك غالباً في السوق المحلي[٣].

ويتوفر العسل الحضرمي على شكل أقراص توضع داخل عبوات دائرية من الصفيح

---

(١) غازي علي باحكيم، صناعة النحالة في وادي حضرموت، دار حضرموت للدراسات والنشر، المكلا، حضرموت، صفحة ١٥.

(٢) غازي علي باحكيم، صناعة النحالة في وادي حضرموت، دار حضرموت للدراسات والنشر، المكلا، حضرموت، صفحة ١٧.

(٣) غازي علي باحكيم، صناعة النحالة في وادي حضرموت، دار حضرموت للدراسات والنشر، المكلا، حضرموت، صفحة ٢٢.

تسمى القروف، كما يتوفر العسل السائل المسمّى محلياً بالصبيب، ويستخلص من الأقراص القديمة بطرق مختلفة.

هذا وقد تغيرت طرق تربية النحل بحضرموت، وكانت الخلية في الطريقة القديمة، تتكون من عدة أسطوانات فخارية مصنعة محلياً تتصل ببعضها بواسطة قطعة مبللة بالماء والطين، ويضاف للقطعة الأمامية للخلية قمع مخروطي الشكل ينتهي من الأمام بشفة لخروج العسل، هذا ويبلغ طول الخلية ١٢٠ سنتمتراً وقطرها ١٨ سنتمتراً، ويلفّ حولها الخيش لحمياتها من الكسر أثناء النقل ولتخفيف حرارة الشمس عنها، وتوضع الخلايا على كراسي من الحديد [١].

أمّا الطريقة الحديثة للنحالة فهي تربية النحل بالخلايا الخشبية المربعة، وقد أدخلت هذه الطريقة لحضرموت وطورت بمساعدة المنظمة العربية للتنمية الزراعية، كما أضيفت لها تحويرات محلية لإنتاج أقراص العسل الدائرية التي يعرفها الحضارمة منذ زمن طويل بدلاً من الأقراص المربعة الشكل، وتشكل طرق التربية الحديثة حوالي ٧٠٪ من طرق تربية النحل بمديرية سيؤن [٢].

هذا ومن أشهر العلويين الذين تفرغوا لتربية النحل في الزمن الحالي السيد شيخ جمل الليل، وقد جاوز السبعين من عمره إلا أنّه قوي البنية ولا زال يقوم بتربية النحل بنفسه رغم ما في ذلك من مشقة وتعب. وقد هاجر في شبابه لطلب الرزق مع والده إلى المملكة العربية السعودية، ثم عاد واستقر بحضرموت وعمل بالزراعه، وكان يقوم باستيراد بعض فسائل الفواكه من الصومال ويزرعها بحضرموت، إلاّ أنّ النشاط الزراعي لم يكن مشجعاً، فانتقل

---

(١) غازي علي باحكيم، صناعة النحالة في وادي حضرموت، دار حضرموت للدراسات والنشر، المكلا، حضرموت، صفحة ٣٢.

(٢) غازي علي باحكيم، صناعة النحالة في وادي حضرموت، دار حضرموت للدراسات والنشر، المكلا، حضرموت، صفحة ٣٥.

إلى النشاط التجاري، ثم تخصص في تربية النحل، ولا زال يمارسها إلى الآن (١٤٢٩هـ). وله فيها خبرة واسعة.

ومن العلويين الذين عملوا بتربية النحل السيد علي بن حامد البار، وقد أقام بمصر لفترة من الزمن، وتزوج بها، وكان يسكن بمنطقة المعادي من ضواحي القاهرة، وكان خبيراً بصناعة العسل، فكانت له عدة مناحل بمصر ينتج منها كميات كبيرةً من العسل يعرضها للبيع، واستمر كذلك طوال إقامته الطويلة بمصر، ولم يتركها إلاّ في شيخوخته حين عاد ليستقر بجده. وقد كنت أثناء دراستي بمصر في السبعينيات الميلادية من زبائنه، وقد وجدت أنّ إنتاجه من العسل أحسن من أنواع العسل الأخرى المتوفرة بالسوق المصري، وكان رخيص الثمن، إلا أنّه ليس بجودة النوع الأدنى من العسل الحضرمي، ولعل ذلك كما يقول هو عائد لكون نحله يتغذى على الزهور والورود المصرية وليس على السدر والسمر مثل نحل حضرموت.



أما الدخون الذي يسميه بقية العرب (العود) فقد عرفه أهل حضرموت بعد هجرتهم إلى الشرق الأقصى، وأحضره بعضهم إلى حضرموت فأحبوه حباً جماً، وكانوا يتهادونه في

المناسبات، فيكون من أنفس الهدايا. ولا زال الدخون إلى الآن مرغوباً فيه ومستعملاً في حضرموت، إلا أنّ أسعاره ارتفعت فلم يعد أهل حضرموت قادرين على شراء الجيد منه، ولهذا يكون استخدامه في المناسبات الهامّة والأعراس.

وكان الزعيم الحبيب محسن بن علوي السقاف (١٢١١-١٢٩٠هـ) يقول:

متى أهل جاوة يجيون أهل الذهب والدخون

وإذا لم يتوفر الدخون يتدخن العلويون باللبان كما نفهم ذلك من خطاب من الحبيب مصطفى المحضار إلى السيد عبد الرحمن بن جنيد الجنيد المرسل إلى سنقفورا سنة **١٣٦٦**هـ والذي يقول فيه: والدخون وصل وفرحنا به ويا خير به معاد أحسن منه لنا عشر سنين ندخن بلبان من جبال الصومال[١].

ومن عادات العلويين الصباحية تدخين المنزل باللبان، حيث ينشر في البيت رائحة طيبة، وله فوائد أخرى، ويعتقد العوام أنّه يطرد الشياطين من البيت.

وهناك تركيبة مشهورة ذات رائحة زكية تسمى (المعسلة) تصنع بتركيبة معينة من أخلاط من العطور، ومن أشهر من يعملها بحضرموت الحبيب أحمد بن علوي الحبشي الذي ذكرنا ترجمته في فصل آخر من هذا الكتاب.

ومن عجائب الدخون أنّ أحد المحبين القادمين من الشرق الأقصى أهدى للحبيب عبدالقادر بن أحمد السقاف عكازاً مصنوعاً من خشب الدخون فسلّمها الحبيب عبد القادر لأحد المسافرين ليوصلها إلى داره بسيؤن، إلا أنّ العكاز ضلّ الطريق ولم يصل إلى الآن.

❊ ❊ ❊

---

(١) عبد القادر بن عبد الرحمن الجنيد، العقود العسجدية في مناقب الأسره الجنيدية، صفحة ٣١٥.

الفصل الثامن والأربعون

العلويون والعبيد



الأوروبيون ينقلون العبيد عبر المحيط

ليس من طبيعة العلويين شراء العبيد ولا التسري بالجواري وإنّما يشتري العبيد حملة السلاح الذين يتقوَّون بهم على القهر والبأس، كما لم تعرف الجواري بحضرموت حتى بين الأثرياء والأعيان، محافظة منهم على ما يبدو على نقاوة الدم وإنّما تتخذ الجواري إنْ وجدت للخدمة في البيوت في القليل النادر من الأحوال.

وذكر المستشار الإنجليزي انجرامص أنّ بالدولتين الكثيرية والقعيطية أكبر نسبة من الرقيق، وهم يمثلون القوة الكبرى لحفظ النظام للدولة، ويلقون معاملة متميزة، ويصل البعض منهم إلى أعلى المراتب الإدارية، فحاكم شبام الحالي منهم، وكذلك حاكم الهجرين وحاكم المكلا [١]. وكما ذكرت فلا يعتقد المستشار الإنجليزي انجرامس أن للأهالي رقيقهم الخاص. وعن معاملة الرقيق قال انجرامص: «ولا يميز هؤلاء الرقيق إلا الملامح الأفريقية، ولم أسمع إلا عن معاملة كريمة لهم»[٢].

وتكلم الأستاذ صلاح البكري عن تجارة الرقيق بحضرموت فقال:[٣] إنها لم تزل موجودة إلى اليوم (حال كتابته أي سنة ١٣٥٣هـ)، وأصلهم من الحبشة ومن سواحل أفريقيا الشرقية. وللحكومتين القعيطية والكثيرية عبيد كثير يطلق عليهم الحاشية، ولبعض الأغنياء من حملة السلاح عبيد أيضاً يبتاعونهم من البدو الذين يأتون بهم من العوالق ومن اليمن، وتبلغ قيمة العبد أحياناً خمسمئة ريال (فرانصة)، وهذا أقصى ثمن. وثمن الأَمَة (الجارية) التي يتخذها سيدها خادمة في بيته نحو مائتين إلى أربعمئة ريال، وجميع هؤلاء الموالي مخلصون

---

(١) دبليو اتش انجرامص، حضرموت ١٩٣٤-١٩٣٥م، تعريب د. سعيد النوبان، دار جامعة عدن للنشر، صفحة ٥٣.

(٢) دبليو اتش انجرامص، حضرموت ١٩٣٤-١٩٣٥م، تعريب د. سعيد النوبان، دار جامعة عدن للنشر، صفحة ٥٣.

(٣) صلاح البكري، تاريخ حضرموت السياسي، دار الآفاق العربية، الجزء الأول، صفحة ١٣٦.

لأسيادهم كل الإخلاص لأنّهم يلاقون منهم احتراماً ومعاملة حسنة، وقد ينيبونهم لحكم بعض البلاد، كما فعلت الحكومة القعيطية (انتهى).

هذا وكان للموالي دور كبير في تاريخ حضرموت فما من أحد من رؤساء قبائل حضرموت فكّر في إقامة دولة أو استعادة ملك إلا وبادر أوّل ما بادر بشراء العبيد. وقد اشتهر هؤلاء الموالي في حضرموت بشدة البأس والتفاني في خدمة سيدهم، كما تميز بعضهم بالدهاء وحسن السياسة مثل مولى القعيطي الماس عمر الذي أرسله القعيطي من الهند ليؤسس ملكه بحضرموت فأتمّ المهمة على أفضل ما يكون.

قال صلاح البكري[١]: وفي سنة **١٢٨١**هـ مات الماس عمر فخسرت الدولة القعيطية رجلاً وطنياً مخلصاً، وكان من أبرز الشخصيات وأبعدهم نظراً وأسرعهم إدراكاً وأنشطهم تفكيراً وأكثرهم إخلاصاً. وقد لحقه في السنة التالية عاهل الدولة القعيطية ومنشئها الجمعدار عمر بن عوض القعيطي، فقد توفي بحيدر اباد في سنة **١٢٨٢**هـ.

ويمكننا أن نتعرف على طرق وصول العبيد إلى حضرموت ممّا ورد في كتب التاريخ، فقد ذكر بن حميد في تاريخ سنة **١٢٩٢**هـ [٢] وصول ثمانية أو تسعة عبيد من السواحل اشتُروا بدراهم أرسلها السلطان غالب من الهند.

وذكر أيضاً في أخبار السنه نفسها[٣] وصول خمسة وعشرين عبداً مصدرين من عند السلطان سعيد بن أحمد بن جعفر بن أحمد من الشام إلى تريم باسم السلطان غالب بن محسن، وفيهم عبد مليح مصدر من سيدنا الحبيب العلامة إسحاق بن عقيل بن يحيى هدية للسلطان عبود بن سالم (انتهى). وهناك بعض المصادر المحلية للأرقاء، فقد انتشرت في حضرموت في

---

(١) صلاح البكري، في جنوب الجزيرة العربية، مكتبة الثقافة الدينية بمصر، صفحة **١٩٤**.

(٢) سالم بن حميد الكندي، تاريخ حضرموت، المجلد الثاني، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة **١١٣**.

(٣) سالم بن حميد الكندي، تاريخ حضرموت، المجلد الثاني، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة **١١٤**.

فترة من الفترات جريمة خطف الأطفال وبيعهم كرقيق. ويروي الناس عن ضحايا الخطف من الجنسين الكثير من القصص المحزنة، وذكر ذلك بن عبيد الله في المعجم فقال[١]: كان جعفر بن عبود يخطف صبيان المساكين (بحضرموت) ويبيعهم إلى من يذهب إلى القبلة والحجاز، وقد حاق به بغيه حتى مات في سجن الحكومة الكثيرية. (انتهى).

وقد سأل العم علي بن عبد الله السقاف أحد خطاف الصبيان عن أسلوبه في الخطف فأجاب: أترصّد الصبيان قرب السوق فإذا رأيت طفلاً منفرداً أغريته بالحلوى فإذا جاء كمّمته وأخذته على ناقتي التي تعرف الطريق فتنطلق بنا كالريح المرسلة ولا تقف إلا بجهة القبلة حيث أبيعه.

وقد تعرض بعض أولاد العلويين للخطف والاسترقاق على يد مثل هؤلاء الناس وعلى ما يبدو فإنّ عادة خطف الصغار عادة قديمة في بلاد العرب، فقد ذكر أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني: أنّ الجارية المسماة شارية وهي من المشهورات بالجمال والصوت الجميل كانت تقول إنّ أباها من قريش وإنها سُرقت صغيرة فبيعت في البصرة[٢].

وتكلم حافظ وهبة[٣] عن تجارة الرقيق في مكة فقال: كانت مكة أكبر سوق للرقيق في جزيرة العرب، وكان العرب يحرصون على شراء الجواري والعبيد منها لأنّ لأهل مكة عناية خاصة بتربية الجواري والعبيد وتمرينهم على الخدمة المنزلية، وقد تتجاوز قيمة العبد ستين جنيهاً والجارية مائة وعشرين جنيهاً، وأفضل الجواري والعبيد المجلوبين من الحبشة لأنهم أخلص في الخدمة وأوفى لسادتهم، ثم قال: ولقد جرت محاولات لإبطال الرقّ في بلاد العرب. ففي سنة **١٢٧٢**هـ أمرت الدولة العثمانية بمنع الرقيق فحصل هرج ومرج بمكة جعل الحكومة التركية تتراجع عن أمرها. وفي سنة **١٣٤٥** اتفقت الحكومة البريطانية والملك

---

(١) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مطبعة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٣٠٨.

(٢) الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني، المجلد ١٦، صفحة ١٣.

(٣) حافظ وهبة، جزيرة العرب في القرن العشرين، دار الآفاق العربية، صفحة **٣٢-٣٣**.

عبد العزيز على القضاء على الرقيق، فوضع الملك عبد العزيز بعض القيود للاتجار فيه، فضعفت هذه التجارة. والمسألة في واقعها اقتصادية، فلو توفر الخدم في مكة وباقي بلاد العرب ما لجأ الناس إلى الرقيق (انتهى باختصار).

وبسبب ذلك توفرت فرص العمل للحضارمة الذين كانوا يسافرون إلى الحجاز للخدمة المؤقتة، ذكرهم الرحالة النمساوي بيركهارت[1] الذي حج وزار الحجاز سنة ١٨١٤ م، فقال: إنّ العرق الوحيد الذي عرفته مثابراً بين أهل شبه الجزيرة العربية هو شعب حضرموت، أو كما يُدعَون الحضارمة، حيث يعمل العديد منهم خداماً في بيوت التجار وبوابين ومراسلين وحمالين، وهم مفضلون على غيرهم لمثابرتهم ونزاهتهم. (انتهى).

وتختلف حضرموت عن الحجاز في تلك الفترة التي كان التسري فيها بالجواري شائعاً بين كبار القوم وعامّتهم، حتى أنّه تغلب على بعض الأمراء والأشراف سمرة البشرة نتيجة اختلاط الدماء. ومن النوادر أنّ أحد السادة بمكة واسمه عمر كانت له جارية سوداء أحضرها لتخدم زوجته إلا أنّه اخذ يتردد عليها في ظلام الليالي دون علم زوجته حتى استرابت في أمره، ولما تحسسته في إحدى الليالي ولم تجده نزلت تتبعه فدخلت عليه وهو مع جاريته عرياناً، لكنها لم تبصر الجارية في ظلمة الليل والتي تسلّلت مختبئة عند المداهمة، ولما رأى الرجل زوجته أحرم بالصلاة فقالت له زوجته لما فرغ من صلاته: كيف تصلي عرياناً؟ فقال أتستّر بظلام الليل. فلمّا أصبح الصباح ذهبت تستفتي السيد حسن مشاط عن حكم صلاة الرجل في الظلام وهو عريان، وكان زوجها قد سبقها إليه وحكى له الواقعة لمعرفته بمجيئها إليه، فقال لها السيد حسن مشاط: كان سيدنا عمر يصلي في الظلام وهو عريان، وهو يقصد زوجها السيد عمر، فاقتنعت بكلامه وصدقت زوجها.

وذكر الجد بن عبيد الله أنّ أمير الإحسان السيد محمد بن أحمد السقاف لما زار السلطان

---

(١) جون لويس بيركهارت، رحلات إلى شبه الجزيرة العربية، مؤسسة الانتشار العربي، صفحة ٤٦.

عبد الحميد بالآستانة استقبله السلطان وأكرمه وأهداه جارية شركسية فأبقى السقاف الجارية بالآستانة للاستبراء عند أحدهم، وريثما يكمل جولته الطويلة بأوروبا، ولكن المؤتمن غلبه هواه فأنكر السقاف لما عاد للآستانة لاستلام الجارية، وادّعى بأنّ السلطان إنّما أهداها له وأعطاها السقاف ليوصلها إليه.

ومن النوادر أنّه كانت لإحدى الحضرميات جارية حبشية، فلما بلغت أرادت تزويجها فأقنعها زوجها بأن توكّله لتزويجها حيث لا يصح ذلك منها لأنها أنثى، فوافقته ووكلته أمر تزويجها إلا أنّ الزوج خدعها وعقد بها على نفسه وأسكنها بعيداً عن بيت الزوجية القديم.

وهناك بعض المماليك الذين وصلوا إلى درجات عالية من الشرف والسؤدد فذكر بن عبيد الله قصة الشيخ فرج يسر مع الحبيب عقيل بن يحيى[١] فقال عن الشيخ فرج يسر الثري الشهير صاحب الخيرات الكثيرة والأربطة المعروفة بجدة ومكة وكان عبداً حبشياً أعتقه بعض أهل الحديدة، وذكر سبب ثروته أنّه لمّا وقف المركب الذي يستقله إلى الهند بميناء كولومبو بسيلان اشترى فرج يسر صندوقين قديمين من البضائع القديمة (الروبابيكيا) التي يبيعها الدلالون بالميناء، فلما أقلع بهم المركب الشراعي أخذ ركابه يتندرون على فرج، وكان في خلقه شراسة وفي طبعه حدّة، فهمّ بإلقاء الصناديق في البحر، لكنه قرر فتحها قبل رميها فوجدها مشحونة بالأوراق المالية من ذوات الألف روبية بما يعادل الملايين، فاستعملها في فعل المكرمات. ولم يكتف بهذه الثروة التي هبطت عليه فجأة، بل أخذ يوسعها بالتجارة فاقتنى العديد من المراكب الشراعية التي يمخر بها عباب البحار.

وذكر محمد علي مغربي في أعلام الحجاز أنّه كان لفرج يسر أسطولٌ من السفن يصل تجارته بالهند وأنه لما احتفل بزواج ابنه أوقد المصابيح في مائة سفينة حشدها في مدينة جدة[٢].

---

(١) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مطبعة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٤٦٣-٤٦٧.

(٢) محمد علي مغربي، أعلام الحجاز، الجزء الثالث، صفحة ٤٣١.

قال بن عبيد الله في بضائع التابوت: ولمّا عزم السيد عقيل بن عبد الله بن يحيى الذي وصفه بقوله رجل شهم قوي النفس حمي الأنف، وكان رجل جدّ وله غرائب، لما عزم على السفر إلى جاوا بعد أداء النسكين انعقدت بينه وبين الشيخ فرج يسر صداقة متينة، قال بن عبيد الله: وكانت أمّ السيد عقيل بن عبد الله بن يحيى حبشية، فهذا هو الجامع بينهما مع اتفاقهما على عشق المكارم وتحمل المغارم.

فقال له الشيخ فرج مثلك لا ينبغي له أن يغيب عن حضرموت، فقال له: لا يمكنني الرجوع إليها إلا ببسطة كفّ أستعين بها على حقوق المجد والشرف، فقال له فرج: كم تؤمل من جاوا؟ فقال له: ما أنت وذاك؟! فألحّ عليه، فقال له: لا يمكنني الرجوع إلى حضرموت إلا بثمانين ألف ريال، فأعطاه إياها مع ملء مركب شراعي من الأرز وما يناسبه من البضائع والحبوب. وبمجرد ما وصل السيد عقيل إلى حضرموت بنى سداً للماء في مسيال عدم، كلّفه نحواً من خمسين ألف ريال، فاجتاحه السيل في ليلة واحدة. (انتهى باختصار وتقديم وتأخير).

وذكر محمد علي مغربي نقلاً عن الأنصاري مكارم الشيخ فرج يسر فقال: إنّ التاجر فرج يسر قام في سنة ١٢٧٠هـ بإعادة إجراء عين الماء من وادي قوص شمال الرغامة، وهي الأرض التي تقوم عليها حالياً جامعة الملك عبد العزيز والتي كان السلطان الغوري قد أجراها لجدّة في القرن العاشر الهجري، ثم خربت وانقطع الماء عن جدّة فأصلحها فرج يسر وقام ببناء المناهل التي يتجمع فيها الماء الواصل من العين في أنحاء متفرقة من المدينة ليأخذ أهل جدة حاجتهم من الماء. وقد استمر جريان هذه العين مع ضعفها إلى سنة ١٣٠٤هـ، إذ عنيت بعدها حكومة السلطان عبد الحميد بإيصال العين الوزيرية[1].

وذكر المغربي أنّ من آثار فرج يسر المتبقية بجدة مسجداً يحمل اسمه حتى اليوم، ويقع في شارع الذهب الموازي لشارع الملك عبد العزيز، وهو مفتوح تقام فيه الصلوات الخمس

(١) محمد علي مغربي، أعلام الحجاز، الجزء الثالث، صفحة ٤٣٥-٤٣٦.

حتى اليوم، وله مسجد آخر خارج مدينة جدة[١]. وذكر المغربي أنّ فرج يسر توفي فقيراً مريضاً لا يملك ما يعينه على حياة الفاقة والمرض[٢].

وتحفل كتب التاريخ الحضرمي بالدور العسكري للموالي بحضرموت، قال بن عبيد الله[٣] في روايته لأحداث الحرب بين غرامة وآل كثير سنة ١٢٦٣هـ: «وفي أثناء الحرب هجم اثنان من عبيد غرامة على كوت فيه عشرة من أقوام القبلة فهزموهم وركبوا أكتافهم حتى قتلوا تسعة، ولّما رأى العاشر أنّه لم يبق غيره سلّم سلاحه للعبيد على شرط أن يجمعوه بعبد القوي غرامة، ولما انتهوا به إلى حصنه أشرف عليه عبد القوي فحياه الأسير بقوله:

مني سلام الفين يا عبد القوي	يا شيخ يافع يا عريض الساعدين
تسعة خـوة ليـه خـرجتم بهـم	من سـدة المحـضار لما باحـسين

فرقّ له عبد القوي وأكرمه. (انتهى).

واشترك العبيد في الحرب ضد السلطان بدر بوطويرق وتكبدوا خسائر فادحة، فقد ذكر بن عبيد الله أنّ السلطان بدر بن عبد الله بوطويرق حصر في سنة ٩٥٨هـ خمسمئة من عبيد آل يماني في قرية الجرب واستأصلهم عن بكرة أبيهم[٤].

وللعبيد عادات غريبة بحضرموت قد يصعب عليهم تركها، منها ما ذكره الجد بن عبيد الله في أدام القوت[٥] أنّ العبيد بدوعن وهم كثرة على أيّام الحبيب علي بن حسن العطاس كانوا يجتمعون في آخر جمعة من رجب لزيارة الشيخ سعيد بن عيسى العمودي،

---

(١) محمد علي مغربي، أعلام الحجاز، الجزء الثالث، صفحة ٤٣٧.

(٢) محمد علي مغربي، أعلام الحجاز، الجزء الثالث، صفحة ٤٣٨.

(٣) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني ١، صفحة ١٣٨.

(٤) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مطبعة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٥٤٩.

(٥) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مطبعة الإرشاد، صنعاء، صفحة ١٩٧.

ويدخلون بطبولهم ومزاميرهم والخطيب في خطبة الجمعة، فحدث مرة أنّ غضب منهم أحد آل العمودي وقام وكسر آلاتهم، فغضبوا وهمّوا بقتله، لكنهم لم يفعلوا وقرّروا الجلاء عن دوعن، ولم يستطع أحد من أهل دوعن صدهم عن ذلك، وأغلب أعمال أهل دوعن وخدمتهم متوقفة عليهم، فسار إليهم الحبيب أحمد بن حسن العطاس وقال لهم: إنّ رحلتم فسنرحل معكم لأنّه لا تطيب لنا الإقامة بدونكم، وما زال يسايرهم حتى أثناهم عن الرحيل، على أن تبقى زيارتهم على حالها وأن يحبسوا العمودي الذي كسر الطبول لمدة شهر. (انتهى بتلخيص).

ومن شهامة العبيد ما ذكره بن عبيد الله في بضائع التابوت[1] أنّه حدث بين الشيخ سعيد بن محمد بن سليمان وبين أحد آل جشاش الزبيديين بالغرف حرب طال أمدها حتى فقد الشيخ سعيد معظم ماله، بينما لم يبالِ الحشاش بكثرة الإنفاق، وكان للشيخ سعيد عبد يقال له سعد، فقال الشيخ سعيد لسعد: لا بدّ أن نهجم الليلة على بيت الجشاشي، ويفعل الله ما يشاء، فقال له العبد: لا تخاطر بنفسك وأنا أكفيك المؤونة، وتسور سعد دار الجشاشي بالغرف من تلك الليلة، ولما قام الجشاشي يبول خلفه على فراشه، ولّما عاد أمسكه بيد والأخرى على الخنجر، وقال له: لئن رفعت صوتك قبل أن تسمع كلامي لأذيقنّك الموت، قال له: ما معك؟ قال له: ضاقت علينا ونفد ما عندنا، ولئن لم ترفع الحطة عن مولاي وتصالحه على ما يحب من صباح الغد لأذبحنَّك على فراشك، والذي أدخلني الليلة دارك سيدخلني عليك ليلة أخرى، فسأقتلك بهذا الخنجر بمرأى من امرأتك، فضمن له الحشاشي كلّ ما يريد وأخذ قبضة من الريالات ليدفعها إليه فترفع عنها وقال: لا أرضى حتى يرضى مولاي، ولا أتحمل لك يداً تمنعني عن تنفيذ ما أريد فيك إن خست بعهدك، ثم ما لبث الجشاشي أن سار إلى منزل الشيخ سعيد وصالحه على ما يريد بمحضر السيد طاهر بن الحسين، وكتبوا بذلك وثيقة أوردها بن عبيد الله، وتاريخها آخر محرم من سنة ١٢٢٧هـ. (انتهى).

---

(١) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني ٢، صفحة ٢٣.

وذكر بن عبيد الله أنّ العبيد بسيؤن تقدموا بمسألة شرعية إلى السادة فلم يحيروا جواباً عليها، وأتوا إلى ابن عبيد الله يرجونه عدم مناصرة السادة ضدهم، ففعل وترتب على ذلك حصول العبيد على سهم من صدقة السقاف المرسلة من سنقفورا لفقراء سيؤن والسماح لأولادهم بالدراسة بمدرسة عمر بن محمد السقاف بسيؤون، وقد وفى العبيد لابن عبيد الله فأرسلوا بعض أولادهم لتأديب السيد سقاف بن محمد السقاف في بيته لما تعرض لابن عبيد الله في مسجد القرن. (انتهى بتلخيص)[١].

وتعرض بن عبيد الله لإساءة الأدب من عبد أرسله أحد الأثرياء، ولم يذكر اسمه، قال ابن عبيد الله[٢]: فأدبته أدباً كبّره الأعداء لدى السلطان وكثّروا القول فيه، فاستدعاني السلطان للحضور عنده، وما هي بعادة، وإنّما كان يأتي هو إليّ فأبيت لذلك، ولأنّ القضية لم تكن من اختصاصه ولكنها خاصة بالقضاء الشرعي. (انتهى).

قال ابن عبيد الله في المعجم [٣]: وفي سنة **١٣٢١هـ** هجم العوامر على مريمة واستولوا عليها ونهبوا ما فيها، ثم تقدموا نحو القرن من سيؤن فلاقتهم عبيد الدولة والتحم الطرفان، ولكن العوامر كثروا على العبيد وأحاطوا بهم، ولولا أنّ الله أدرك العبيد بالمنصب السيد عيدروس بن عبد القادر العيدروس فحجز بينهم لاستأصلوهم. (انتهى).

وحدثت فتنة بتريم سنة **١٣٥٢هـ** بسبب خلاف بين آل كاف وعبيد تريم ذكرها بن عبيد الله[٤] فقال: إنّ جماعة من السادة آل كاف خرجوا للنزهة بأحد جبال عيديد ومعهم جماعة من العبيد وبأثر رجوعهم أخذوا يرتجزون ويطلقون البنادق على نحو ما تفعل القبائل في الأفراح فانزعج من ذلك عبيد تريم وظنوا بأنّ عدواً باغت البلاد، وتقاطروا من كل

---

(١) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة **١٣٧-١٣٨**.

(٢) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ١٦٢.

(٣) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مطبعة الإرشاد، صنعاء، صفحة **٤١٢-٤١٣**.

(٤) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة **١٦٣**.

صوب وكادوا أن يفتكوا بآل الكاف لولا أنّ خفرهم من معهم من العبيد وأسمعوا آل الكاف كلاماً قبيحاً فغضب السادة آل الكاف وقرروا الانتقال إلى سيؤون، ثم إنّهم اتفقوا مع سلاطين الكثيري على تحريض القبائل آل سلمة وآل تميم على حرب تريم نكاية بالعبيد، إلا أنّ العبيد صدوهم عن تريم وهزموهم. (انتهى بتلخيص).

ومن الطرائف أنّه كان لأناس من آل باجبع بحضرموت عبدٌ، ثم جاء سيل عظيم وأخذ العبد فيمن أخذ، ولما نظر سيده ووجد أنّ العبد أصبح يصارع الأمواج ولم يعد يظهر إلا رأسه صاح عليه شفك معتوق يا سالمين، وذهب هذا العتق مثلاً بحضرموت.

هذا وينفذ العبيد أوامر سادتهم حتى لو كانت جائرة، قال بن حميد في تاريخ سنة ١٢٦٦هـ[١]: وفي ليلة الجمعة خامس شهر رجب سرى عبيد من عبيد يافع لإيذاء المساكين ووصلوا إلى شرقي بلد تريس، فوجدوا عمر بن سعيد بلطيور وولديه الاثنين الصغيرين، أصغرهم ابن سنتين عند محل له بقرب البلد، وذلك وقت العشاء الأخير، فقتلوه هو وأولاده عدواناً وظلماً وغشماً قاتلهم الله أنّى يؤفكون، وفعلوا فيه طعناً لا يفعل إلاّ في كافر أو خصم، ثم إنّ العبيد عادوا ليلة ثانية في الشهر المذكور وقطعوا خريف سواد (تمر نخيل) تريس بقرب البلاد لسيدنا الحبيب الإمام علوي بن سقاف الجفري عمداً (انتهى).

ولكن قد يعارض العبيد في بعض الأحيان الأوامر الجائرة لسادتهم، ذكر بن عبيد الله[٢] أنّ حاكم تريم اليافعي عبد الله غرامة أمر بعبيده بالذهاب إلى الغرف للقبض على السيد عبد الله بن حسين بن شهاب، وكان ممن غادر تريم لما اشتد بها الجور ولديه نوع استعداد بالأسلحة، فعزم أبناؤه على الدفاع، فنهاهم وطيّب خواطر العبيد وأكرم وفادتهم ووفر جائزتهم، ثم قال لهم: أترون أنّ غرامة على حق فيما أمركم به أم على باطل؟ فقالوا: بل على باطل، فقال: فكيف تساعدونه على الفعل القبيح وتبوؤن بالإثم؟ قالوا: صدقت ولن نتعرض لك بعد هذا، قال:

---

(١) سالم بن حميد الكندي، تاريخ حضرموت، مطبعة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٢٩.

(٢) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ١٢٧.

لا يكفيني هذا منكم. قالوا وما تريد؟ قال: أنا عازم على تزويج ابنتي بتريم ولابد من حضوري، وأخشى أن يقبض علي سيدكم غرامة. قالوا له: أنت آمن ولك علينا العهد والميثاق، وإنما عليك أن تزور سيدتنا الأميرة إذا حضرت، وعاد العبيد واعتذروا لغرامة عن السيد، فسكت على مضض، ثم إنّ السيد ابن شهاب وصل بعد ذلك إلى تريم وأرسل أحد أولئك العبيد إلى الأمير والأميرة يخبرهم بأنّهم سيزورهم في وقت عيّنه، فلما وصل رحّب به الأمير، ودخل به المنزل حيث الستر مضروب ومن ورائه الأميرة وأعطاهم الهدية، فذهبت الموجدة وزالت المشقة (انتهى).

وذكر باحمدان[١] في كتابه عهد السلطان صالح بن غالب القعيطي أنّ السلطان صالح قام باستدعاء رؤساء العبيد إلى قصره في المكلا وخيّرهم بين أمرين: إمّا أنْ يصبحوا جنوداً نظاميين وتصرف لهم رواتب كغيرهم من الجنود الآخرين، وتقطع عنهم (الكيلة) التي كانوا يستلمونها في السابق، أو توزع عليهم أراضي زراعية في منطقة ميفع الخصبة ليستثمروها على سبيل التعويض مقابل خدمتهم في الدولة، ولكنهم رفضوا الخيارين. (انتهى).

❊ ❊ ❊

---

(١) محمد سالم باحمدان، عهد السلطان صالح بن غالب القعيطي، صفحة ١٤٢-١٤٣.

الفصل التاسع والأربعون

العلويون وطلب العلم



استنتج بن عبيد الله أنّ أوائل العلويين بحضرموت من المهاجر إلى الفقيه المقدم لم يتصفوا بالعلم، حيث يقول في المعجم: فلا شاهد بشيء على التوسع في العلم ولا ينتسب منهم إلى العلم إلا القليل، ولم يثنوا في التراجم بالعلم إلا على الفقيه المقدم وصاحب مرباط، ولم يصفوا والد الفقيه المقدم إلا بأنّه عالم صوفي وليس ما يدل على أنّ المهاجر كان واسع العلم، كما لا يذكرون ولده عبيد الله ولا محمداً صاحب الصومعة ولا علي العريضي ولا على خالع قسم بعلم أصلاً، وأوسعوا القول في وصف علوي بن محمد وعيسى بن محمد مع إطنابهم في فضلهم وعبادتهم [١].

وأكّد بن عبيد الله استنتاجه بما ذكره الحبيب عيدروس بن عمر في عقد اليواقيت من أنّ أكثر مشائخ الفقيه المقدم من غير العلويين، فقد درس الفقه على الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن باعبيد وعلى القاضي أحمد بن محمد باعيسى وأخذ الأصول والعلوم العقلية عن الإمام العلامة علي بن أحمد بامروان والإمام محمد بن أحمد بن أبي الحب، وأخذ علم التفسير والحديث عن الحافظ المجتهد السيد علي بن محمد باجديد، وأخذ التصوف والحقائق عن عمّه الشيخ علوي بن محمد صاحب مرباط وعن الإمام سالم بن بصري والشيخ محمد بن علي الخطيب [٢].

إلا ابن عبيد الله لم ينس فضل هؤلاء العلويين ومكانتهم في المجتمع فقال: ولا نزاع فيما يؤثر عن سابقي العلويين من الشهامة والفتوة والكرم والمروءة والجاه والشرف والسيادة والحلم والصبر والعبادة والنجدة والتواضع والتقوى، ولهذا انقاد لهم العامة بسلامة قلوبهم ونشأتهم على الفطرة إقبالاً عظيماً.

قال ابن عبيد الله: وكان سيدنا محمد بن علي صاحب مرباط ليخفر القوافل من بيت

---

(١) عبد الرحمن بن عبيد الله، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صفحة ٤٣٥.

(٢) عبد الرحمن بن عبيد الله، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صفحة ٤٢٩.

جبير إلى ظفار بضخامة جاهه كما ذكره الشيخ سالم بن حميد عن الشيخ عبد الله بن عمر الكثيري الذي قال: وكانت القوافل ترحل من حضرموت إلى صنعاء في خفارة مسبحة سيدنا الشيخ عبدالله باعلوي.

وعلّل بن عبيد الله السبب لاستنتاجه السابق من عدم اهتمام الجيل الأوّل من العلويين بالعلم فقال: إنَّ قريشاً ومن على شاكلتهم من العرب انصرفوا في تلك العصور عن طلب العلم لما في طريقه من الذل الذي يمنع من الشرف، ولذلك قلّما يوجد المعلم فيهم إلا في النادر، كالباقر وأخيه، والصادق وابنه، والإمام أحمد بن عيسى بن زيد، ثم المرتضى وأخيه، والناصر للحق من بعدهم. ثم ذكر بن عبيد الله سبباً آخر، فقال: وإذا كان الأمويون والعباسيون يطاردون العلويين لمجرد بسوقهم في الشرف أفَتراهم يسكتون عنهم لو جمعوا إلى الشرف عزة العلم وسلطان المعرفة؟

ثم قال ابن عبيد الله: فما كان العلويون المهاجرون إلى حضرموت ليخرقوا هذه القاعدة إلا بعد مرور السنين وتغير ظروف الزمان والمكان، وربما كان ذلك في أوائل القرن السابع مع استثناء القليل فيما قبل ذلك[١].

وممّا يدل على أنّ حضرموت في فترة من فتراتها عانت من التدهور العلمي ما جاء في كتاب جوهر الأنفاس للشيخ عبد الله بن أحمد باسودان عن الشيخ محمد بن عمر جمال أنّه يقول: عمّت البلوى في جهة حضرموت بكثرة الجهل والجهلة أشبه بالشياطين في أحوالهم وأقرب إلى البهائم في طبائعهم. وقد كانت هذه الجهة معمورة بالعلم، حكى المؤرخون أنّه كان ببلد تريم ثلاثمئة مُفتٍ، وفي شبام ستون مفتياً وقاضٍ شافعي وقاضٍ حنفي، وفي الهجرين قريب من ذلك[٢].

---

(١) عبد الرحمن بن عبيد الله، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صفحة ٤٣٦.

(٢)عبد الرحمن بن عبيد الله، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صفحة ٤٣١.

ولعل السبب السابق هو الذي دعا العلامة الشيخ سالم بن عبدالكريم بافضل المتوفى بتريم سنة ٥٨١هـ أن يسافر إلى العراق ويتغرب أربعين سنة لتحصيل العلوم حتى ظن أهله أنه مات، ثم عاد إلى وطنه تريم محملاً بكتب العلم وبذل نفسه بعد عودته لنشر العلم ونصرة المذهب السني، وأحيا العلم مرة ثانية بتريم بعد أن كاد يندثر. ومن تلاميذه الإمام سالم بن بصري والإمام علوي بن محمد صاحب مرباط وغيرهم، وقيل إنّ الفقيه المقدم كان من تلاميذه رغم أنّه توفي وعمر الفقيه المقدم لم يتجاوز سبع سنوات[1].

إلاّ أنّ للعلويين محاولات متعددة لتحصيل العلم خارج حضرموت، منها هجرة السيد محمد بن علوي بن أحمد بن الفقيه المقدم المشهور بصاحب العمائم لطلب العلم في مقاديشو على العلامة الشيخ محمد بن عبد الصمد الجوهي، وسمي بصاحب العمائم لأنه احترقت له عدة عمائم بسبب الاستغراق في المطالعة بنور السراج [2].

إلا أنّ الوضع العلمي للعلويين تغير بعد الفقيه المقدم الذي أخذ من العلم بنصيب وافر حتى أنّ شيخه علي بن أحمد بامروان اعترض على تصوفه حتى لا يعيقه ذلك عن الاستمرار في الأخذ العلمي [3]، وواصل العلويون بعد الفقيه الأخذ من العلوم المختلفة، وسافروا لطلب العلم إلى عدن واليمن والحرمين وعمان والهند. ويمكن لمن يريد البحث مراجعة ما كتب عن ذلك في كتب التراجم.

وسنتكلم في الفصول التالية على نماذج من الأخذ العلمي للعلويين بحضرموت وباليمن وبالحرمين وبغيرها من البلاد، كما سنتكلم أيضاً في فصل خاص عن دور العلويين في نشر العلم بحضرموت وخارجها وما أقاموه من المدارس والأربطة.

---

(١) محمد بن أحمد الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي، الناشر عالم المعرفة، صفحة ١٩٣-١٩٩.

(٢) عبد الرحمن بن عبيد الله، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صفحة ٥٠٦-٥٠٧.

(٣) محمد بن أحمد الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي، الناشر عالم المعرفة، صفحة ٢٥٥.

وبجانب محبة العلويين للعلم وقيامهم بنشره وتعليمه فإنهم أظهروا كذلك احتراماً كبيرا للعلم ولرجال العلم كما تدل على ذلك أخبارهم.

فالحبيب علوي المشهور يترجل عن فرسه لما قابل في طريقه الشيخ بكير احتراماً للعلم وأهله، ويرسل العلويون أولادهم للأخذ عن العلماء المشايخ ويسافرون إليهم في أمكنتهم البعيدة بوادي حضرموت، ويقيمون إلى جوارهم الأيام الطويلة.

ومن تقدير العلويين للعلم أن الميسورين منهم إذا ختم الدارسون كتاباً أقاموا لهم وليمة تكريماً للعلم وأهله، ولا زال ذلك التقليد سائراً بين العلويين إلى اليوم سواءً كان ذلك بحضرموت أو خارجها.

وكان الحبيب علوي بن عبدالرحمن المشهور إذا قابل الشيخ سالم بكير بطريق وهو راكب يترجل إعظاما وترغيبا بالعلم، وإظهارا لشرف حملته[١].

من تقدير العلويين للعلم أنّ الحبيب علوي بن عبد الرحمن المشهور وصل الشحر وتصدر كعادته كلّما وصل الشحر للتدريس في أحد المساجد فطلب أن يأتي أحد من الحاضرين بدليل فقهي فلم يُجب أحد، فعاتبهم الحبيب علوي، ثم تكلم أحد المشايخ من آخر الجلسة من قرية (تبالة) وجاء بالدليل من كتاب الزبد ففرح الحبيب علوي منه فرحاً شديداً وقرّر شراء رأس من الغنم وما يلزم لعمل ضيافة لأهل تبالة تكريماً للعلم[٢].

وحضر سلمان عوض بلدرم وهو من عامة أهل تريم درساً بمسجد طه بسيؤن، وكان المتصدر فيه الحبيب علوي بن عبد الرحمن السقاف (١٢٥٦-١٣٢٨هـ) فوردت مسألة طال فيها النقاش بدون حلّ فعرف سلمان من حوله بحل المسألة فاستدعاه الحبيب علوي وسأله عن اسمه وبلده، فقال له بأنه من تريم، فقال له: وكيف عرفت المسألة؟ قال له: سمعت

---

(١) المصدر السابق، الجزء الثاني صفحة ١٧٧.

(٢) أبو بكر العدني المشهور، لوامع النور، دار المهاجر للنشر والتوزيع، صفحة ٧١.

حبيبي عبد الرحمن المشهور يقرّرها، فقال الحبيب علوي بن عبد الرحمن للحاضرين: شفتوا صحة ما يقولون، خذوا العلم حتى من أسواق تريم [١].

ومن تقدير العلويين البالغ للعلم وأهله أنّ الحبيب عبد الله بن عمر الشاطري جاء إلى سيؤن ورأى العلامة عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف يدرس في المنهاج في الفقه فبكى من الفرح لما رأى سعة علم بن عبيد الله [٢].

أما نظرة العلويين لآداب العالم والمتعلم فنتعرف عليها من كلام الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر (١١٩١-١٢٧٢هـ) الذي يقول عن آداب العالم (الأستاذ): سعة الاحتمال ولزوم الحلم والجلوس بالهيبة على سمت الوقار مع إطراق الرأس وترك التكبر على جميع العباد وإيثار التواضع في المجالس والمحافل وترك الهزل واللعب، والرفق بالمتعلم والتأني بالمتعجرف وإصلاح البليد بحسن الإرشاد وترك الحرد عليه، وترك الأنفة من قول (لا أدري)، وصرف الهمة إلى السائل وتفهم سؤاله وقبول الحجة والانقياد للحق بالرجوع إليه عند الهفوة ومنع المتعلم من كل علم يضرّه، وزجره عن أن يريد بالعلم النافع غير وجه الله تعالى، وصدّ المتعلم على أن يشتغل بفرض الكفاية قبل الفراغ من فرض العين، وإصلاح ظاهره وباطنه بالتقوى [٣].

أمّا أدب المتعلم مع العالم فيقول عنه الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر: أن يبدأ أستاذه بالسلام وأن يُقلّ بين يديه الكلام ولا يتكلم ما لم يسأله أستاذه، ولا يسأله ما لم يستأذنه أولاً، ولا يقول في معارضة قوله: قال فلان خلاف قولك ولا يشير عليه بخلاف رأيه فيرى أنه أعلم بالصواب من أستاذه، ولا يناجي جليسه في مجلسه ولا يلتفت فيه إلى

---

(١) عبد القادر بن عبد الرحمن الجنيد، العقود الجاهزة والوعود الناجزة، صفحة ٥٥٤.

(٢) محمد بن سالم بن حفيظ، نفح الطيب العاطري من مناقب شيخ الإسلام الشاطري، دار العلوم والدعوة، صفحة ١٩٧.

(٣) مجموع كلام الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر، دار الحاوي للطباعة والنشر، صفحة ٣٦٧-٣٦٨.

الجوانب، بل يجلس مطرقاً ساكتاً متأدباً كأنه في الصلاة، ولا يكثر على أستاذه عند ملله، وإذا قام أستاذه فلا يتابعه بكلامه ولا يسيء الظن به [١].

وذكر الأستاذ طه بن حسن السقاف نقلاً عن عقد اليواقيت أنّ الحبيب عبد الله بن عمر بن يحيى والحبيب محسن بن علوي السقاف والحبيب محمد بن حسين الحبشي تعاهدوا فيما بينهم، وكتبوا بينهم كتاباً على بذل وسعهم وطاقتهم في دعوة إخوانهم من السادة وغيرهم من أهل حضرموت إلى التمسك بالعلم والعمل وماحثّ عليه الشرع الشريف من الأعمال الصالحات، والجري على سنة أشرف البريّات ﷺ وهم متظاهرون متآزرون على ذلك لا يصدهم عنه شاق ولا مشفق ولا ناصح ولا ذو عناد إلى أن يقطعهم عن حمام، ثم ينتقلون إلى بوادي ذلك الوادي ويعمون بالدعوه من فيها من العباد [٢].

وذكر بن عبيد الله ترتيب العلويين للدروس والمجالس ببلدة سيؤن فقال: وفي غرة صفر من سنة ١٢٤٠هـ اجتمع رأي السادة آل طه بن عمر في سيؤون على ترتيب الدروس والمجالس فكانت كما يلي:

مجلس بكرة الاثنين بزاوية مسجد طه وبكرة الخميس بمسجد الحبيب علي بن عبد الله السقاف، وظيفة الحبيب علي بن محمد السقاف وبكرة الجمعة بمسجد عبد الملك وبعد ظهر يوم الاربعاء وظهر يوم الأحد بمسجد الحارثي وظيفة الحبيب محمد بن عمر بن سقاف وبعد ظهر يوم الخميس وظيفة الحبيب عمر بن محمد بن سقاف وبعد ظهر يوم الاثنين وظيفة الحبيب علوي بن حسن بن سقاف كلاهما في مسجد طه وبكرة يوم الأحد وبكرة يوم الأربعاء بمحضرة الحكم (وهي غرفة في بيته يتولى فيها أمور القضاء) وظيفة الحبيب محسن علوي السقاف وبكرة السبت وظيفة الحبيب عبد الله بن حسن السقاف بمسجد والده

---

(١) مجموع كلام الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر، صفحة ٣٦٨.

(٢) طه حسن السقاف، تعليقات على كتاب الأمالي، دار الأصول، صفحة ٣٠.

وبكرة الثلاثاء بمسجد الحارثي وظيفة الحبيب شيخ بن عمر السقاف والمطالعة في الليل على حسب النشاط والعادة الراسخة بمسجد طه [١]. (انتهى باختصار).

هذا، ولا زالت هذه الدروس مستمرة خصوصاً في تريم. وذكر السيد حامد بن شهاب في كتابه عادات تريم برنامج الدروس والجلسات لأيام وليالي الأسبوع بتريم، وهي متعددة وكثيرة، كما بيّن جدول حزب القرآن اليومي بمساجد تريم والذي ينتهي بختم القرآن الكريم كل أسبوع [٢].

ومن أشهر العلويين الذي أفنوا حياتهم منقطعين إلى التدريس الحبيب عبد الله بن عمر الشاطري (١٢٩٠-١٣٥٠هـ)، فبعد أن بذل جهداً كبيراً في طلب العلم بالحرمين عاد إلى تريم وصرف أغلب وقته في التدريس الذي يبدأه بعد صلاة الفجر إلى بعد الإشراق بساعة أو أكثر، ثم يرجع إلى بيته لتناول شيئاً من الفطور، ثم يعود ويعقد جلسة خاصة بالطلاب النبهاء المتقدمين إلى ضحوة النهار، ثم يعود إلى بيته للغداء، ثم يبدأ درساً بعد صلاة الظهر إلى أذان العصر، ثم يذهب إلى الجلسات التي يعقدها بعض مشايخه، ثم يستأنف التدريس بعد صلاة المغرب إلى الساعة الثانية ليلاً (بالتوقيت العربي).

كما استمر في قراءة قصة المولد النبوي بجامع تريم ليلة كل جمعة يقوم بعدها بتذكير الحضور وتعليمهم، كما كان يعقد الكثير من المجالس العلمية خارج دروسه المقررة بمدرسة رباط تريم [٣].

ولم ينقطع عن دروسه التي يعقدها بالرباط بعد الفجر وبعد الظهر وبعد المغرب يوماً

---

(١) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ٢٠٤.

(٢) حامد بن محمد بن شهاب، الدليل القويم في عادات تريم، مكتبة تريم الحديثة، صفحة ١١٧-١٢٢.

(٣) محمد بن سالم بن حفيظ، نفح الطيب العاطري من مناقب شيخ الإسلام الشاطري، دار العلوم والدعوة، صفحة ٤٠-٤١.

واحداً إلا لعذر شرعي، وكان يتجلد ويتكلّف الحضور ويقول: «إنّنا نحضر بصداعنا ووجعنا ونستشفي بسماع الدروس». وقد يدعو الطلبة لتدريسهم في بيته إذا أحسّ في بدنه ثقلاً يمنعه من الخروج حتى لا يضيع وقتهم سدى[١].

بل إنّ الحبيب عبد الله بن عمر الشاطرى كان يتجنب المجالس التي يميل إليها القلب رغبة في أن لا ينقطع عن التدريس ويقول لطلبته الذي يستغربون انقطاعه للتعليم: «لا تظنوا يا أولادي إنّه ليس لنا أصحاب يطلبون منّا كثرة التردد إليهم وحضور مجالسهم البسيطة التي تدار فيها كؤوس الشاهي، ولكنا نعرض عنهم ونفضل خدمتكم حرصاً على نفعكم وإفادتكم»[٢].



وقد قام الحبيب عبد الله بن عمر الشاطري بالتدريس في رباط تريم لمدة خمسين عاماً، وكان إلى جانب ذلك يطوف على المدارس الأخرى بتريم وضواحيها ويتردّد إليهم ويحضر امتحاناتهم. وقد يذهب إلى ثبي وإلى تاربة، وقد يذهب إلى عينات فيمكث أسبوعاً أو أسبوعين في التدريس والوعظ، وكان يساعد طلبة العلم ويجمع لهم الإعانات.

إلا أنّه في رمضان يتفرغ للعبادة والمناجاة ويكل أمر التدريس في الرباط إلى من يثق به من المدرسين ويطلب منهم أن لا يبلغوه أيّ أمر يمكن أن يشغله عن ربه في رمضان[٣].

إلا أنّ جهوده لم تذهب هباءً، فقد انتشر طلبته في كل الأصقاع من تريم ودوعن وقراه وحضرموت وسواحلها وظفار وسيحوت ومأرب وحبان وزنجبار والشرق الأقصى[٤].

---

(١) محمد بن سالم بن حفيظ، نفح الطيب العاطري من مناقب شيخ الإسلام الشاطري، صفحة ٤١.

(٢) محمد بن سالم بن حفيظ، نفح الطيب العاطري من مناقب شيخ الإسلام الشاطري، دار العلوم والدعوة، صفحة ٤٢.

(٣) محمد بن سالم بن حفيظ، نفح الطيب العاطري من مناقب شيخ الإسلام الشاطري، صفحة ٥٣.

(٤) محمد بن سالم بن حفيظ، نفح الطيب العاطري من مناقب شيخ الإسلام الشاطري، صفحة ٤٦.

وسمع أحد السادة وهو يمشي في زقاق بمدينة عدن اثنين من الجمالة يتحاوران في مسأله فقهية ويقول أحدهما للآخر: أنا سمعت الحبيب عبد الله الشاطري يقول فيها كذا [١].

وللحبيب عبد الله رحلات داخلية بعيدة نسبياً، فقد وصل إلى الغيل، ولما عرف جهل أحد رجال البادية وما يقعون فيه من مخالفات شرعية رتّب لهم وفداً من طلبة العلم بتريم لتعليمهم وإرشادهم.

هذا وقد حافظ أبناء الحبيب عبد الله بن عمر الشاطرى الحبيب حسن والحبيب سالم على طريقة والدهم فواصلوا مجهوده في التعليم والوعظ والإرشاد إلى يومنا هذا.

وعلى مثل ذلك كان كثير من علماء تريم، فهذا الحبيب عبد الرحمن بن محمد المشهور المولود بتريم سنة **١٢٥٠**هـ حفظ القرآن الكريم بتريم وأخذ عن كبار علمائها، وكان يقرأ في كل يوم على شيوخه اثني عشر درساً، وأخذ عن العلماء خارج تريم مثل الحبيب الحسن بن صالح البحر بذي أصبح والحبيب أحمد بن محمد المحضار بدوعن والحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر بالمسيلة، وعلى الزعيم السيد محسن بن علوي السقاف وغيره من علماء سيؤن، وكان يكثر التردد على سيؤن ويذهب إليها ويعود ماشياً على رجليه وعلى كتفه كتبه وزاده وفراشه [٢].

واستمر الحبيب عبد الرحمن بن محمد المشهور إلى فترة طويلة من شبابه متلقياً علوم الفقه والحديث والتفسير والفلك والنحو والتصوف، وأقبل عليه الطلاب لحضور دروسه بزاوية مسجد جده الشيخ علي بن أبي بكر وسواها من مجالسه الخاصة والعامة وروحاته (جلساته العلمية) المسائية بعد العصر [٣].

---

(١) محمد بن سالم بن حفيظ، نفح الطيب العاطري من مناقب شيخ الإسلام الشاطري، دار العلوم والدعوة، صفحة **٤٨**.

(٢) عمر بن علوي الكاف، تحفة الأحباب، دار الحاوي للطباعة والنشر، صفحة **٩٢**.

(٣) عمر بن علوي الكاف، تحفة الأحباب، دار الحاوي للطباعة والنشر، صفحة **٩٣**.

ومن مؤلفاته كتاب البغية في الفقه ومختصر فتاوى ابن زياد ومختصرات أخرى في الفقه والشجرة العلوية الكبرى في خمس مجلدات ضخمه [١].

وإلى جانب هذا النشاط العلمي المتواصل فلم ينقطع الحبيب عبد الرحمن بن محمد المشهور عن عبادته، حيث كان يقوم طول عمره كل ليلة من منتصف الليل إلى الفجر ثم يوتر بإحدى عشرة ركعة مع المداومة على صلاة الضحى والأوابين والتسبيح والرواتب وسائر النوافل، وكان ورده في كل يوم من رمضان مائة ركعة. أمّا الصلوات المكتوبة فيؤديها جماعة في أوائل أوقاتها بحيث لا يدركها معه إلا من كان متهيئاً لها قبل دخول الوقت، وكان يتولى بنفسه الأذان والإقامة والإمامة بمسجد جده الشيخ علي بن أبي بكر، وقد واظب على ذلك أكثر من أربعين سنة[٢].

كما لم ينقطع إلى جانب قيامه بالإفتاء والتأليف والمطالعة والمراجعة وعمل شجرات الأنساب والجداول الفلكية لمعرفة أوقات الصلوات الخمس المكتوبة مع قيامه بالسعي لإصلاح ذات البين وترميم الزوايا والمعابد والترب.

وساهمت أسرة الكاف في نشر العلم فأسّسوا بتريم سنة ١٣٥٧هـ مدارس لتعليم الأولاد بالمجان وقالوا في إعلان تأسيسها: «نعلن لكافة الناس أنّنا عازمون على فتح مدارس لتعليم الأولاد مجاناً مفرقة في حارات تريم [٣].

كما فرغ السيد أبو بكر بن شيخ الكاف جزءًا من قصره المسمى بنقالة للمدرسة الثانوية وباع قصره الثاني المسمى بن داعر بثمن بسيط مشترطاً أن يتحول إلى مدرسة[٤].

---

(١) عمر بن علوي الكاف، تحفة الأحباب، دار الحاوي للطباعة والنشر، صفحة ٩٤.

(٢) عمر بن علوي الكاف، تحفة الأحباب، دار الحاوي للطباعة والنشر، صفحة ٩٤.

(٣) جعفر بن محمد السقاف وعلي أنيس الكاف، الزعيم الحكيم أبو بكر بن شيخ الكاف، تريم للدراسات والنشر، صفحة ٧٣.

(٤) جعفر بن محمد السقاف وعلي أنيس الكاف، الزعيم الحكيم أبو بكر بن شيخ الكاف، صفحة ٧٣-٧٤.

وكان الحبيب مصطفى المحضار يحب العلم وأهل العلم، وإذا رأى الرغبة في أحد من عنده في العلم شجعه وسانده وساعده ووقف معه شأنه في ذلك شأن والده الإمام أحمد بن محمد المحضار الذي كان ينفق على عشرين طالباً من طلبة العلم في القويرة ويهيئ لهم السكن والأكل والشرب حتى يتفرغوا تفرغاً كاملاً للعلم، وكان يحث أهل الخير بأن يقفوا مع طلبة العلم، بل كان هو بنفسه يتحسسهم ويتفقدهم[1].

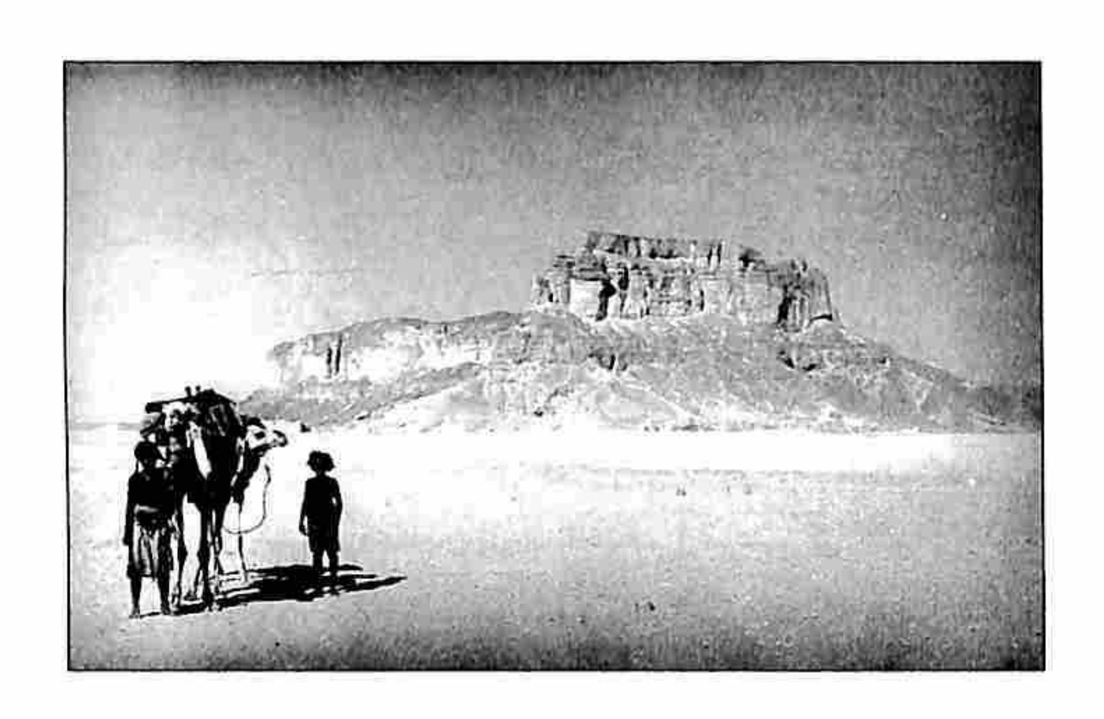
❊ ❊ ❊

---

(١) محمد بن عبدالله المحضار، خواطر وأفكار وحكم وأسرار، مكاتبات الحبيب مصطفى، تريم للدراسات والنشر، صفحة ٣٥.

الفصل الخمسون

رحلات العلويين لنشر العلم والدعوة



وتتلخص فلسفة العلويين في التعليم والإرشاد في كلام الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر(١١٩١-١٢٧٢هـ) الذي يقول: وواجب على كل فقيه فرغ من فرض عينه وتفرغ لفرض الكفاية أن يخرج إلى من يجاور بلده من أهل السواد ومن العرب والأكراد وغيرهم ويعلمهم دينهم وفرائض شرعهم ويستصحب مع نفسه زاد يأكله ولا يأكل من أطعمتهم فان أكثرها يكون شبهه[١].

ثم يقول وكل عامي عرف شروط الصلاة فعليه أن يعرف بها غيره وإلا فهو شريك في الإثم وكل من تعلم مسألة واحدة فهو من أهل العلم بها ويجب عليه تبليغها لمن يجهلها[٢]. وقد ركز العلويون رحلات الدعوة والإرشاد إلى داخل حضرموت وإلى المناطق المجاورة منها مثل العوالق وبيحان وإلى الجهات البعيدة مثل الهند واندونيسيا وإفريقيا وسيلان. وليست هذه الرحلات من السهولة بمكان بل إن الداعية يتجشم فيها المصاعب والأخطار ويعبر القفار ويخوض البحار في زمن كان فيه السفر قطعة من العذاب.

وقد حرص العلويون منذ قدومهم إلى حضرموت على هداية الناس إلى النهج القويم وما تحولت حضرموت من المذهب الأباضي إلى مذهب السني إلا بفضل مجهوداتهم ولم يبق العلويون منكفئون على أنفسهم منقطعين إلى مساجدهم وعبادتهم كما كانوا في بداية وصولهم إلى حضرموت بل كانوا يشاركون في العلم والتعليم والتوفيق والإصلاح حتى صارت بلدانهم بحضرموت منارات للعلم يؤمها الطلاب من البلاد البعيدة والأصقاع النائية ثم بدأ العلويون رحلات طلب العلم فتجشموا الأخطار وسافروا إلى اليمن والحرمين بل وإلى أبعد من ذلك ليتلقوا العلم على أهلها ثم يعودوا بحصيلتهم العلمية إلى حضرموت ليعلموا الناس ويفيدوا أهل بلادهم وقد لا يستقرون في أماكنهم بل إنهم يترحلون بين قرى وأودية حضرموت لهداية الناس وإرشادهم وهم يرون ذلك واجباً عليهم خصوصاً إذا علموا بأمر يخالف تعاليم الدين.

---

(١) مجموع كلام الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر صفحة ١١٥.

(٢) مجموع كلام الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر صفحة ١١٥.

لهذا فإننا نرى الحبيب محسن بن علوي السقاف (١٢١١-١٢٩٠هـ) إضافة إلى زعامته السياسية واهتمامه باستقرار وأمن حضرموت وجهوده العظيمة في إسقاط الدويلات اليافعية وإقامة الدولة الكثيرية الثانية نراه لا يتوقف عن إلقاء الدروس في مسجد طه وفي المسجد الجامع بسيؤون ويرتب الدروس لعلماء سيؤون لكامل الأسبوع بل إنه رتب بالمسجد الجامع درساً خاصاً لأهل السوق وأصحاب الحرف وكان يتردد على بلدة مدودة للدعوة والإرشاد وطلب منه شيخه الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر (١١٩١-١٢٧٢هـ) أن يتوجه إلى عينات بعدما تفشى الجهل فيها فذهب ومكث بها فترة ونجح في مهمته وقد ذكرنا ذلك في فصل آخر من هذا الكتاب.

وذكره ابن عبيدالله في بضائع التابوت أن الحبيب محسن بن علوي عزم ذات مره على السفر إلى وادي بن علي ليعظ أهله فيما انتشر بينهم من المنكرات وقال للسيد محسن بن جعفر الحبشي لابد أن تكون معنا على شرط أن لا تدخل بنا دار ظالم ولا صاحب ربا فالتزم بذلك ثم لم يكن منه إلا أن ضوى بهم عند رجل من آل العليمي فأسبغ قراهم وكان من عادة الجد محسن أن يقوم من ليله متهجداً ثم يقرأ من القرآن والأدعية ما ينتهي بطلوع الفجر فقام الحبيب محسن على عادته يتوضأ وقرأ ورده من القرآن والأدعية ثم صاح بأصحابه وأولاده وصلى بهم الصبح ثم عرفوا بقاء الليل فعادوا إلى مضاجعهم وعاد الحبيب محسن لأوراده ولما انتهى منها عاد ونبه أصحابه وصلى بهم ثانياً ولم يطلع الفجر بعد فقال له محسن بن جعفر أنت يا حبيب محسن يلعب بك الحرام فبهت الجد محسن من كلامه وقال أو في مال الرجل شيء قال له الحبشي كل شيء قاطع طريق ومرابي ومانع إخوانه من الميراث فقال الحبيب محسن حسبك الله ألم أشرط عليك أن لا تدخل بي دار ظالم فقال له الحبشي وهل يمكن أن نأكل هذا اللحم السمين في وادي بن علي إلا في داره (انتهى)[١].

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثالث صفحة ٢١٤-٢١٥.

ومما يدل على مشقة هذه الرحلات على العلويين وتحملهم لها لأجل الهدف الأسمى ما ذكر عن الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس الذي أشار على تلميذه الحبيب عيسى بن محمد الحبشي بالجلوس في واد عمد للتذكير والدعوة إلى الله حتى قال لشيخه: طرحتنا في مكان ما في أهله من الخير ضربة عصا ولكن بهمة الحبيب عمر وصبر الحبيب عيسى تنور الوادي بدعوته[١].

ولم تنقطع رحلات العلويين التعليمية والإرشادية عبر القرون رغم ما فيها من المشقة والجهد وفراق الأهل والفراش فهذا الحبيب عبد القادر بن أحمد السقاف الذي عاصرناه ذهب إلى بلدة قسم بحضرموت سنة ١٣٦٨هـ لتعليم الناس والدعوة إلى الله وقد عبر عن ما يعتلج صدره من الشوق إلى بلده وأهله بسيؤون بأبيات قال فيها:

يا أيها الدار من سيؤن لا برحت	تطوف حولك روحي آخر
لها أنين حواليها يهيب بها	كأنها نفس مقتول على غرر
تود لو طار معها الجسم أو خلقت	له جناح بها يغدوا على النفر

هذا وسأسرد بعض ما توفر لي من معلومات عن رحلات العلويين للدعوة ونشر العلم فقد ذكر السيد أبوبكر المشهور في كتابه لوامع النور رحلات الحبيب علوي بن عبدالرحمن المشهور الدعوية داخل حضرموت وخارجها[٢]. فقال وفي سنة ١٣١٧هـ توجه الحبيب علوي بن عبدالرحمن المشهور إلى بيحان وأرض العوالق لنشر الدعوة في البادية وزيارة العديد من طلبة العلم بتلك النواحي

وقد كان السيد علوي هذا من الدعاة الذين لا يكلون ولا يتعبون في سبيل هدفهم وقد كتبنا بعض أخباره في نشر الدعوة بالشحر وبين بادية الحموم في فصل آخر من هذا الكتاب.

---

(١) مجموع كلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط دار الفتح صفحة ٣٩٧.

(٢) أبوبكر المشهور لوامع النور دار المهاجر للنشر والتوزيع الجزء الأول صفحة ٨٣-٩٢.

ومن رحلاته الخارجية سفره سنة ١٢٩٦ إلى المكلا ومنها بحرا إلى عدن ثم اتجه من عدن إلى مصر ومكث بها خمس سنوات ثم عاد من مصر بطريق البر حيث عبر بلاد الشام وزار مدنها وبعض قراها وأخذ عن مشايخها وانتهت رحلته إلى بلاد الحرمين فمكث فيها قليلاً ثم عاود السفر إلى تركيا ومكث بها عاماً مجاوراً لشيخه العلامة فضل بن علوي بن سهل مولى الدويلة وعاد منه إلى الحجاز ثم اليمن وحضرموت ولا يفوته أن يلتقي في كل مكان بعلمائه وصلحائه.

وكانت له رحله أخرى إلى الحرمين سنة ١٣٠٨هـ حيث رافق في نفس السنة شيخه بالحرمين السيد العلامة شمس الدين الفاسي شيخ الطريقة الشاذلية الفاسية إلى سيلان. ثم قام برحلة أخرى إلى سيلان سنة ١٣١٦هـ واستقبله العلماء والحكام والأهالي استقبالاً حافلاً حيث قام بنشر الدعوة الإسلامية في مدنها وقراها المختلفة.

كما رحل الحبيب علوي بن عبدالرحمن المشهور مابين عامي ١٣١١-١٣٢٩ إلى جزر اندونيسيا داعياً إلى الله وزيارة أقاربه ومحبيه بها.

هذا ويتعرض العلويون في رحلاتهم هذه للكثير من المنغصات والمضايقات سواءً داخل حضرموت أو خارجها من ذلك ما جاء في لوامع النور من أن الحبيب علوي بن عبدالرحمن المشهور قام في سنة ١٣٣٠ برحلة إلى شرق أفريقيا فاستقبل في تنزانيا استقبالاً عظيماً وانتهز الفرصة كعادته لنشر الدعوة وإصلاح أحول الناس بتلك الجهات وعالج مشاكل المهاجرين ومنها على سبيل المثال مشكلة السفور بأن اقترح لبس حجاب يشبه حجاب المرأة الحضرمية والذي لا زال هو اللباس السائد إلى اليوم ويعرف باسم (البوي بوي).

ولما دخل ممباسة وقع له استقبال عظيم حتى أن الحاكم الانجليزي وقواده استغربوا هذه الاستقبالات ولما سألوا عنه قال لهم الناس إنه داعية للدين الإسلامي فأمر الحاكم الانجليزي أن تفرض عليه رقابة مشددة طيلة إقامته بالبلاد وكان الحاكم يحضر بنفسه

اجتماعات المسلمين الحاشدة مع الحبيب علوي ويستمع إلى كلماته التي تترجم له ترجمة فورية[١].

ولما زاد إقبال الناس وكثرت تجمعات المسلمين واحتفالاتهم مع الحبيب علوي ضغط الحاكم الانجليزي على مستضيفي الحبيب علوي وأمر بتسهيل أمر سفره خارج البلاد ولترضية الحبيب علوي قدم الحاكم مبلغاً من المال هدية للحبيب علوي الذي رفض استلام المبلغ لولا أن بعض خواصه كلفوه بأخذ المبلغ لوصوله له من غير طلب فوافق الحبيب علوي بعد تمنع شريطة أن يشتروا بهذا المبلغ أخشاباً ومعدات بناء ويشحنوها إلى المكلا لبناء مسجد هناك[٢].

وقد أتم الحبيب علوي بناء هذا المسجد بالمكلا سنة ١٣٣٠هـ ووقف أرضه وجميع ما عليها من البناء مسجد للصلاة وللاعتكاف ولقراءة القرآن ولدراسة العلم النافع.

كما أوقف بيتاً لصالح المسجد وأوقف مصالح أخرى منها بيت ملاصق للمسجد واثنين من الدكاكين تحت المسجد وخصص عزله (غرفة صغيرة) تحت المنارة كان يسكن فيها كلما جاء إلى المكلا[٣].

ولعل تصرف حاكم زنجبار الانجليزي ليس بمستغرب لأن الدول الأوروبية المستعمرة للبلاد الإسلامية تتوجس من رجال الدين وتكره العلويين على وجه الخصوص وتتخوف من اجتماع الناس حولهم وتحاول تشويه سمعتهم وتصفهم باسوا الأوصاف ومن هذا ما ذكره تقرير حاكم ممباسا عن الحضارمة الذي وصف فيه العلويين بالمتسولين حين قال: «ونخص بالذكر مجموعة غير محبوبة من المهاجرين المؤقتين من الأشراف الذين يزورون

---

(١) أبو بكر المشهور لوامع النور دار المهاجر للنشر والتوزيع الجزء الأول صفحة ٩٢.

(٢) أبو بكر المشهور لوامع النور دار المهاجر للنشر والتوزيع الجزء الأول صفحة ٩٢

(٣) أبو بكر المشهور لوامع النور دار المهاجر للنشر والتوزيع الجزء الأول صفحة ٦٥-٦٦.

البلاد مرة في العام يجمعون فيها ما يستطيعون جمعه من الأهالي كما أنهم عنصر خطر يؤجج عدم الرضا والشعور بالسخط بين جاليتهم ويستقر البعض منهم ولكنه يعيش عالة على الآخرين ولا يعمل شيئاً.[١][٢].

بل إننا نجد في فصل آخر من هذا الكتاب وصف لتصرف هولندا مع الدعاة من العلويين ومع الحضارمة العرب عموماً وكيف تضع العراقيل لدخولهم اندونيسيا وإذا سمحت لهم بالدخول تحدد إقامتهم وتمنع تجولهم بين مناطق اندونيسيا بل لقد حاول الهولنديون القبض على الحبيب عبدالله بن عمر بن يحيى الذي وصل إلى جاوا فأفتى بفتاوى تتعارض مع سلطتها على المسلمين باندونيسيا فأرسلت هولندا الشرطة لمحاصرة بيته والقبض عليه إلا أنه تمكن من التسلل ليلاً والهرب.

ولا يتعرض العلويين للمضايقة والطرد في البلاد الخارجية فقط بل إنهم كثيراً ما يتعرضون للمضايقات والمنغصات داخل حضرموت نفسها ومع ذلك يتجرعون غصتها ويواصلون جهودهم فقد جاء في لوامع النور من أن الحبيب علوي المشهور لما كان بالشحر جاءه أحد محبيه من آل باشميلة وطلب منه أن يتولى عقد الزواج لابنه قصد البركة فوافق الحبيب بعد أن رأى استكمال الشروط إلا أن بعض حساد الحبيب أبلغوا قاضي الشحر فلما انتهى الحبيب علوي من صلاة الفجر والدرس الذي يعقد بعد الصلاة جاءه جندي من المحكمة وقال له كنا بانجي لك البارح ولكن قم الآن القاضي يريدك ولما وصل قال له القاضي:يا شيخ من قال لك تعقد لآل باشميلة فقال الحبيب علوي قالوا لي اعقد والولي حاضر والشروط مكتملة قال له القاضي أما تعرف أن في البلاد قاضي ثم قال له انتظر حتى نفرغ من أعمال المحكمة ثم ننظر في أمرك فبقي الحبيب علوي منتظراً بالمحكمة فترة طويلة

---

(١) دبليو اتش انجرامص حضرموت ١٩٣٤-١٩٣٥م تعريب د سعيد النوبان دار جامعة عدن للنشر صفحة ١٦٩.

(٢) أبوبكر المشهور لوامع النور دار المهاجر للنشر والتوزيع الجزء الثاني صفحة ١١٥.

حتى توسط بعض أهل الشحر لدى القاضي وقالوا ما يجوز تترك هذا الشريف هكذا طول النهار ولما أكثروا على القاضي أدخل الحبيب علوي وقال له: هيا انتبه تعود لمثل هذا ثم أطلقه (انتهى)[١].

ونعود لضرب الأمثلة على رحلات العلويين للدعوة والإرشاد فنذكر الحبيب سالم بن حفيظ ابن الشيخ أبي بكر بن سالم ذكر صاحب لوامع النور[٢] أنه ولد باندونيسيا سنة **١٢٨٨**هـ ثم لما بلغ التسعة سنوات سافر به والده إلى بلدتهم حوطة مشطة بحضرموت وقد حرص والده على تعليمه فجلب له المعلم عبود بن سعيد باشعيب من قرية السويري بأجرته ثم سافر معلمه للحج فجلب له معلماً آخر ثم أكمل دراسة القرآن مع جملة من أقرانه على يد المعلم عبدالله بن حسن باشعيب ثم لما كبر واشتد عوده أرسله والده إلى تريم لطلب العلم الشريف ودراسة القرآن العظيم بقبة أبي مُريّم على يد المعلم عبدالله بن أحمد باغريب بل إن والده رغبة منه في شدة التحصيل أسكن ابنه بتريم بدار معلمه الشيخ عبدالله باغريب .

وبعد أن خذ بحظ وافر من القرآن الكريم انتقل لأخذ العلم على يد الحبيب عبد الرحمن بن محمد المشهور مع الإقامة بمنزل الحبيب عبدالرحمن حيث لم تقتصر الدراسة على دروس العلم بل كانوا يسيرون بسيرة شيخهم المشهور فيقومون معه آخر الليل إلى مسجد الشيخ علي بن أبي بكر السكران لتدارس القرآن حتى الفجر ثم قراءة بعض الكتب عند الحبيب عبد الرحمن المشهور إلى وقت الإشراق ثم العودة إلى البيت وبعدها يتوزعون على مجالس العلم في بيوت المشايخ الباذلين أنفسهم ووقتهم لإفادة الطلبة. وفي سنة **١٣٠٥** انتقل والده إلى سيؤون وتزوج بها فانتهز الفرصة لأخذ العلم على يد من بها من العلماء والصالحين ومنهم الحبيب عبيدالله بن محسن السقاف كما استمر في التردد على تريم ومشطة حتى تزوج بمشطه.

---

(١) أبو بكر المشهور لوامع النور دار المهاجر للنشر والتوزيع الجزء الأول صفحة **٧٥-٧٦**.

(٢) أبو بكر المشهور لوامع النور دار المهاجر للنشر والتوزيع الجزء الثاني صفحة **٢١-٢٢**.

وفي سنة ١٣٢٠هـ توجه لأداء فريضة الحج وزيارة سيد الكونين وأخذ فيها عن علماء الحرمين ثم عاد إلى حضرموت فكانت له رحلات عديدة في سبيل الدعوة ونشر العلم كرحلته إلى دوعن سنة ١٣٤٩هـ ورحلته الثانية إلى الحرمين سنة ١٣٥٥هـ ورحلته إلى جاوا سنة ١٣٥٦هـ ورحلته إلى الهند وجاوا ثم عودته إلى الحرمين سنة ١٣٥٧هـ ثم رحلته منها إلى زنجبار وممباسة وعودته منها إلى حضرموت سنة ١٣٥٨هـ وكان له في هذه البلدان إلى جانب جهوده في نشر العلم والدعوة إلى الله اتصالات بمن فيها من كبار العلماء والصالحين (انتهى)[١].

وكان الحبيب مصطفى المحضار يحب العلم وأهل العلم وإذا رأى الرغبة في أحد من عنده في العلم شجعه وسانده وساعده ووقف مع شأنه في ذلك شأن والده الإمام أحمد بن محمد المحضار الذي كان ينفق على عشرين طالباً من طلبة العلم في القويرة ويهيئ لهم السكن والأكل والشرب حتى يتفرغوا تفرغاً كاملاً للعلم وكان يحث أهل الخير بأن يقفوا مع طلبة العلم بل كان هو بنفسه يتحسسهم ويتفقدهم[٢].

وبلغ من اهتمام العلويين بتعليم العوام كما يذكر الحبيب علي بن محمد الحبشي (١٢٥٩-١٣٣٣هـ) عن والده قال: لما صار الوالد محمد بن حسين داعياً إلى الله بتريم رأى تأخر العوام ليلة عن مجلس التذكير فسأل عنهم فقيل له إن معهم سمر قنيص فقال الحبيب محمد: إنهم كل ليلة يجبرون (يجاملون) نحن، والليلة بانسير إلى عندهم بانجبرهم فلما دخل عليهم استحوا منه فقال لهم: لا بأس عليكم جينا الليلة بانحضر سمركم جبراً لخواطركم كما إنكم تجيئون إلى عندنا جبراً لخواطرنا ففرحوا غاية الفرح ولما انتهوا من سمرهم وهو معهم لا

---

(١) أبو بكر العدني المشهور لوامع النور دار المهاجر للنشر والتوزيع الجزء الثاني صفحة ٢١-٢٢.

(٢) محمد بن عبداللاه المحضار خواطر وأفكار وحكم وأسرار مكاتبات الحبيب مصطفي تريم للدراسات والنشر صفحة ٣٥.

يتكلم قال لهم عاد حقنا فقالوا له أما الآن لو باتسني (تنزح الماء) بجلودنا حتى إلى الفجر فشرع يعلمهم (انتهى)[١].

وبلغ من اهتمام العلويين بتعليم العامة أن الحبيب محسن بن علوي السقاف (١٢١١-١٢٩٠هـ) يعقد درساً خاصاً لأهل الحرف بالسوق بالمسجد الجامع ويحضره العامة والسادة ومن حضر سيؤون من الأعيان لمقابلة الحبيب محسن[٢].

بل إن من شدة حرص العلويين على تعليم العوام وإرشادهم اختيارهم وقت التدريس في الزوايا والمدارس من القديم بين العصرين (الظهر والعصر) وهو وقت الراحة للعمال والفلاحين في الزمن القديم مما يمكنهم من حضور هذه الدروس[٣].

هذا وينبغي التنويه أن رحلات نشر العلم لم تكن مقتصرة على العلويين بل قام بها كثير من علماء ومشايخ حضرموت وبذلوا في هذا المجال جهوداً عظيمة إلا أن موضوع هذا الكتاب يتركز على جهود العلويين ولكننا لا نستطيع أن ننسى الجهود العظيمة لعلماء حضرموت مثل الإمام الجليل الشيخ أحمد بن عبدالله الخطيب (١٢٥٧-١٣٣١هـ) الذي رحل إلى الحجاز وجاور بالحرمين ومكث نحواً من أربع أو خمس سنين داعياً إلى الله بين جبال الطائف وبواديها بأمر شيخه السيد أحمد زيني دحلان كما حج هذا الإمام ثلاثين حجة غير حجة الإسلام ثم بعد عودته إلى حضرموت تصدى للتدريس ونشر العلم بحضرموت[٤].

ومما يثير الدهشة والاستغراب أن نعرف أن من طلبة العلم العلويين ممن عاصرناهم في السنين المتأخرة مثل السيد يحيى العيدروس المتوفى بجدة قد قضى عدة سنوات بين جبال الطائف وبواديها للتعليم والإرشاد تاركاً ما توفر له من دعة العيش وطيب المعيشة.

---

(١) طه حسن السقاف البحر الملي صفحة ٢٩-٣٠.

(٢) سالم بن حميد الكندي تاريخ حضرموت مكتبة الإرشاد صنعاء صفحة ٢٧.

(٣) أحمد بن عبدالله بن شهاب تريم بين الماضي والحاضر تريم للدراسات والنشر صفحة ١٦٨.

(٤) عمر بن علوي الكاف تحفة الأحباب دار الحاوي للنشر صفحة ٩٩-١٠٠.

هذا ومن العلويين المتأخرين الذين سلكوا مسلك أسلافهم في الانقطاع إلى العلم والتعليم الحبيب زين بن إبراهيم بن سميط المولود بجاكرتا من بلاد اندونيسيا سنة **١٣٦١هـ** وقد تلقى علومه الأولية على عدد من علماء جاوا ثم سافر به والده إلى تريم بحضرموت وسنه لم يتجاوز الثلاثة عشر فأخذ عن كثير من علمائها وصلحائها وتردد على رباط تريم ثم بعد أن أمضى بمدينة تريم ثمان سنوات طلبه مفتي البيضاء العلامة السيد محمد بن عبدالله الهدار فتوجه إلى مدينة البيضاء والتحق برباط الهدار بها مواصلاً لطلب العلم ومدرساً لطلبة الرباط وأقام باليمن نحواً من ثلاثين عاماً يتنقل بين المدن والقرى للتعليم والدعوة إلى الله كما سافر لزيارة البلاد الخارجية كمصر وجاوا وشرق أفريقيا ثم أقام بالمملكة العربية السعودية آخذاً العلم عن علماء الحرمين كما لم ينقطع عن تلامذته وزواره وله عدد من المؤلفات القيمة[١].



(١) محمد بن زين بن سميط مقدمة كتاب الفيوضات الربانية لوالده صفحة ٧-٩ دار العلم والدعوة.

الفصل الحادي والخمسون

العلويين والمدارس والأربطة الدينية



مسجد الرياض ورباط الحبيب علي بن محمد الحبشي بسيؤن

ومن الأنشطة المحببة للعلويين نشر العلم وإنشاء المدارس والأربطة التي يتوفر فيها العلم والطعام والمسكن مجاناً أو بأجر رمزي، ليس في حضرموت فقط بل وفي كل مكان ذهبوا إليه، فقد ذكرنا مدارسهم في المهاجر التي هاجروا إليها وهم لا يختصون بهذه المدارس قبيلتهم أو قومهم الحضارم، بل هي مدارس مفتوحة لجميع المسلمين، ولهذا ما زلنا نرى مدارس العلويين وأربطتهم في تريم وغيرها يؤمها مختلف المسلمين من مشارق الأرض ومغاربها، حتى أن بلدة تريم القابعة في منطقة منسية من العالم لا زالت منارة مشعة للعلم تصل خيوط أنوارها إلى أقاصي الشرق والغرب.

والرباط هو المكان الذي يرابط فيه طلبة العلم مثابرين وملازمين لحلقات الدروس، وقد اشتهرت بعض الأربطة بحضرموت بتعليم الكبار تعليماً عالياً في علوم العقيدة والشريعة الإسلامية وعلوم اللغة العربية.

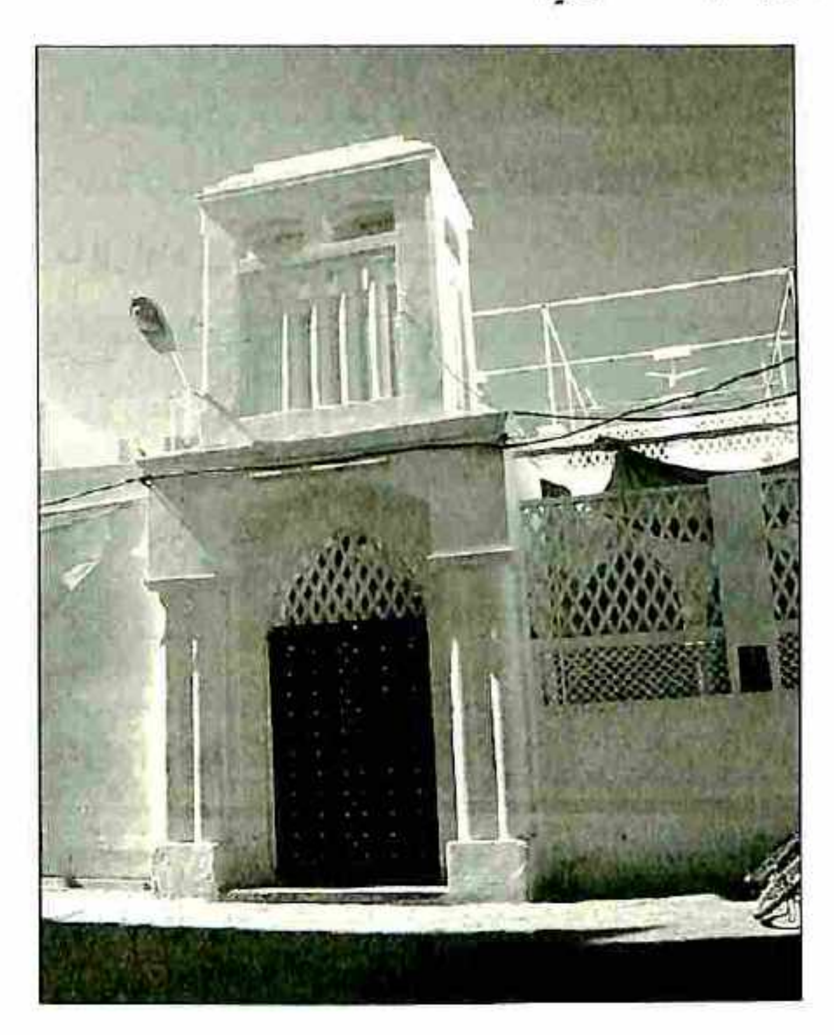
ومن أوائل الأربطه التي بناها السادة رباط سيؤن الذي أسّسه الحبيب علي بن محمد الحبشي، وذكر الأستاذ طه بن حسن السقاف[1] نقلاً عن تاريخ ابن حميد قوله: وفي سنة ١٢٩٦هـ ابتنى سيدنا الحبيب العلامة الشاب النجيب الناشئ في طاعة الله علي بن محمد بن حسين الحبشي رباطاً لطلبة العلم ببلد سيؤن للغرباء والمقيمين بساحة مسجد عبد الملك في صورة مسجد، وفيه غرف في أعلاه وأسفله وجابية كبيرة قرب البير التي احتفرها، وجعل نفقة لسكانه ووقفت عليه الأوقاف.

وذكر تاريخ الشعراء أن الرباط تأسّس في الوقت نفسه مع مسجد الرياض الملاصق له سنة ١٢٩٥هـ، ثم تجدد بناؤه وبنيت منارته سنة ١٣١٦هـ. وقام بنفقة مسجد الرياض والرباط تلميذه السيد أحمد بن محمد بن شهاب من أغنياء تريم وبتاوي، غير أن تجديد الرباط وبناء منارته عام ١٣١٦هـ كان على نفقة الحبيب علي نفسه. وأما نفقة الطلبة المقيمين بالرباط فمن وقف الشيخ عبد الله بن سعيد باسلامة، من أغنياء سيؤن وبتاوى. (انتهى باختصار).

---

(١) طه حسن السقاف، فيوضات البحر الملي، صفحة ١٦٤-١٦٥.

وقد قام ببناء منارة مسجد الرياض البديعة الصنع المعلم التريمي عوض سليمان عفيف (توفي سنة ١٣٤٥هـ)، والذي بنى أيضاً منارة مسجد المحضار بتريم التي ما زالت أعجوبه من عجايب البناء الحضرمي.



مدخل رباط تريم

قال بن عبيدالله [١]: وفي أوائل القرن الرابع عشر كان بناء الرباط بتريم ومن أكبر القائمين به والساعين له الصدر الجليل السيد عبد القادر بن أحمد الحداد، وممن ساعد أيضاً

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٥٠٨.

على بناء ذلك الرباط السيد أحمد بن سقاف الجنيد والسيد محمد بن سالم السري والشيخ محمد بن عمر عرفان، وكانت لهم إدارة الرباط ثم انتهت الإدارة بعد وفاة السابقين إلى السيد عيسى الحداد والسيد عمر بن أحمد الشاطري. فالحداد يتسلم مال الرباط من إيراد بسنقفورا، ويرسله إلى السيد عمر بن أحمد وهو يصرفه بمنتهى الأمانة والتدبير.

قال بن عبيدالله : وما زال رباط تريم معموراً بالعلم منذ بني، وحصل به نفع عظيم، وتخرج به كثير من العلماء من تريم ودوعن والبيضاء وغيرها من الأقاليم. وكان القائم بالدرس فيه بكرتي السبت والأربعاء هو شيخنا العلامة الوالد عبد الرحمن بن محمد المشهور ثم خلفه بعد وفاته ولده الصالح علي بن عبد الرحمن. أما إدارة التعليم فكانت إلى العلامة الجليل السيد عبد الله بن عمر الشاطري الذي يباشر التعليم والتدريس الخاص فيه مع من يخصصهم لباقي الأقسام، ثم بعد وفاته سنة **١٣٦١** خلفه على رئاسة الدعوة والدروس العامة بتريم الحبيب علوي بن عبد الله بن شهاب. (انتهى).

وقد اشتهر الرباط حتى بين الشباب كمدرسة ومأوى. ومن الطرائف أن الحبيب أبا بكر صاحب قرسي أرسل بأولاده من جاوى ليتعلموا العربية وعلوم الدين بحضرموت، ونزلوا على السيد شيخ بن حسين السقاف وكيل مدرسة النهضة وهو رجل فقير لا يوجد في داره إلا التمر واللخم فسمعوا برغد العيش في رباط تريم فتآمروا على الهرب إلى هناك وأخذوا معهم قليل من التمر ومشوا على أرجلهم قاصدين تريم وهم لا يعرفون الطريق فضلوا طريقهم وأكلوا تمرهم ولولا أن الله سهل لهم من يدلهم على الطريق لهلكوا، ولما وصلوا الرباط متأخرين طلبوا من ناظر الرباط الانضمام إليه فقال لهم الناظر: هل معكم ورقة من ولي أمركم؟ فأجابوا ببساطة الموالدة (نحن إلا شردنا)، فقال المسئول نحن لا نقبل الشاردين.

وتخرج من رباط تريم مجموعة من العلماء توزعوا على جهات حضرموت، وممن تخرج من أهل عينات برباط تريم على يد العلامة الفاضل السيد عبد الله بن عمر الشاطري العالم

الواعظ الناسك السيد حسن بن إسماعيل الذي عاد إلى عينات وابتنى رباطاً مقيماً به إلى اليوم (١٣٦٧) على نشر العلم والتعليم.

وقد تدهورت أحوال رباط تريم في العهد الاشتراكي إلا أنه عاد له نشاطه بعد قيام الوحدة في اليمن وواصل السيدان حسن بن عبد الله الشاطري وسالم بن عبد الله الشاطري رسالة والدهم في نشر العلم ووعظ الناس في الرباط وفي بيوتهم وفي المحافل العامة.

هذا وللدلالة على محبة العلويين للتدريس وإقامة المدارس نذكر ما كتبه السيد أبو بكر المشهور في كتاب لوامع النور[1] عن الحبيب علوي بن عبد الرحمن المشهور (١٢٦٣-١٣٤١هـ) فقال إنه وصل إلى الشحر من إحدى رحلاته الخارجية الكثيرة فلفت نظره ضعف التعليم بها وقلة المتعلمين، ووجد الأطفال يهيمون في الشوارع ولا مدرسة يتعلمون بها، فجمع أهل الشحر وأقنعهم بأهمية إقامة مدرسة، فوافقوا وتوجهوا إلى المكلا يطلبون إذن السلطان فوافقهم ووهبهم مبنى خاص يسمى الباغ، فنشط الحبيب علوي محمد في إعداد هذا المبنى ليكون المدرسة الجديدة التي سميت بمدرسة مكارم الأخلاق، بل إنه وضع منهجها الدراسي وقسم فصولها إلى عشرة أقسام حسب تفاوت معارف الطلبة وأعمارهم، وجلب الحبيب علوي لها المدرسين الصالحين من بلدة قسم وأحضر من تريم السيدين عمر ومحمداً ابنَي السيد أبي بكر بن علوي المشهور لتدريس الأصول في الفقه والنحو والحديث والتفسير للصفوف العالية، كما طلب من الشيخ سالمين بن سعيد بن سرور أن يضع أربعين درساً في النحو للصف الرابع، وتولى إدارة المدرسة السيد أبو بكر بن علوي المشهور، ولم تمر أربع سنوات إلا وقد تخرج أول فوج من العلماء من هذه المدرسة، منهم من أصبح من القضاة المشهورين مثل الشيخ سالمين شطر والشيخ محفوظ المصلي، ولولا هذه الجهود لبقي الجهل مخيماً على الشحر وبقي الأطفال يهيمون في الأزقة والحارات. (انتهى بتصرف بسيط).

---

(١) أبو بكر المشهور، لوامع النور، دار المهاجر للنشر والتوزيع، الجزء الأول، صفحة ٦٩-٧١.

أما المدارس الأولية الأهلية بحضرموت فمنها مدرسة الخيرات، وتعرف أيضاً بمدرسة سالم بن علوي، أسسها بتريس السيد سالم بن علوي الجفري عام ١٩٠٥م، وبعد وفاة مؤسسها استمر تمويل المدرسة من قبل آل الجفري في إندونيسيا، كما قام عيدروس بن سالم ابن المؤسس بفتح عدد من المدارس بإندونيسيا تحت اسم مدرسة الخيرات حفاظاً وأسوة بما قام به والده.

تقع مدرسة سالم بن علوي في وسط قرية تريس، كما أنشئ بجوارها مسكن خاص بالطلبة القادمين إليها من الأماكن البعيدة. وقد استمر تمويل مدرسة سالم علوي بعد وفاة مؤسسها مدة ثلاثين عاماً، ثم أغلقت وقامت مكانها مدرسة حكومية.



السيد سقاف بن محمد مؤسس مدرسة النهضة بسيؤن

كما فكر السيد سقاف بن محمد بن عبد الرحمن السقاف بتأسيس مدرسة أهلية بسيؤون[1]، وتزعم جمع التبرعات لها بإندونيسيا وساعده في ذلك السيد أبو بكر بن طه بن

---

(١) لجنة توثيق تاريخ التعليم بالوادي، التعليم في وادي حضرموت، النشاة والتطور،،صفحة ٤١.

عبد القادر السقاف. وبعد أن جمع التبرعات قررا شراء عقار للمدرسة بسنقفورا يوقف دخله لمصاريف المدرسة.

ثم وصل المؤسسان إلى حضرموت، وفي الفاتح من شهر شعبان **١٣٣٩**هـ افتتحت مدرسة النهضة العلمية بسيؤون في بيت للإيجار يسمى باحوّاش، ويقع وسط سيؤن بالقرب من مسجد الصبان، وكان السيد أبو بكر بن طه السقاف أول مدير لها.



وفي الثامن من شهر صفر **١٣٤١**هـ الموافق **٢٩** سبتمبر انتقلت المدرسة إلى مبناها الخاص الجديد والذي لا زالت تشغله إلى اليوم، كما تم افتتاح فرع لمدرسة النهضة بحي السحيل بسيون عام **١٣٤٠**هـ، وفي عام **١٣٥٩**هـ افتتح معهد ديني بمستوى متوسط ملحق بمدرسة النهضة لتخريج مدرسي اللغة العربية والدين. وفي عام **١٣٨١**هـ افتتحت مدرسة متوسطة بمبنى مدرسة النهضة بسيؤون إلا أنها أغلقت بعد أربع سنوات لعدم توفر مدرسين للغة الإنجليزية والرياضيات، وللظروف الصعبة التي مرت بها مدرسة النهضة في تلك الأيام بسبب انخفاض ريع عقاراتها بسنقفورا نتيجة الضرائب وانخفاض قيمة الإيجار. وفي عام **١٣٦١**هـ تأسست مدرسة النهضة للبنات بنفس مناهج البنين، وعمل بها عند التأسيس

مدرسون، ثم تمّ استبدالهم بالمدرسات، ثم انتقلت المدرسة لمبناها الجديد سنة **١٣٨١**هـ والذي تحمل تكاليف بنائه محب العلويين الشيخ الشهم الكريم سالم عبيد باحبيشي، كما تأسست في السنوات الأخيرة مدرسة النهضة الثانوية في مبناها الخاص، وما زالت هذه المدارس مستمرة في دورها التعليمي إلى اليوم.

ومن المدارس الأخرى التي أسسها العلويون: المدرسة العيدروسية بتاربة على نفقة السيد عبد الله بن حسين بن علوي العيدروس عام **١٣٥٤**هـ، واستمرت إلى سنة **١٣٦٧**هـ، كما أسس السيد عبد القادر بن علي العيدروس مدرسة النور الوطنية ببور عام **١٣٧٥**هـ. وإلى جانب مدارس العلويون قامت عدة مدارس أخرى أسسها جماعة آخرون، مثل مدرسة القرن الأهلية ومدرسة مدودة الأهلية التي أسسها الشيخ عبد الله بن سالم باحميد ومدرسة طرموم بالغرفة.

أما مدارس تريم الحديثه فأولها مدرسة جمعية الحق التي تأسست سنة **١٣٣٤**هـ وتولى نظارتها الأستاذ محمد بن هاشم، ولكنها توقفت بعد سبعة عشر عاماً من تأسيسها لأسباب اقتصادية بسبب الحرب العالمية والمجاعة التي ضربت حضرموت. ومن خريجيها المشهورين العلامة السيد محمد بن أحمد الشاطري والقاضي الورع الشيخ مبارك عمر باحريش، ويشمل منهج هذه المدرسة العلوم الدينية ومبادئ العربية والتاريخ والحساب والجغرافيا وشيء من الطبيعية(١).

ثم تأسّست مدرسة الكاف بتريم سنة **١٣٥٧**هـ من صدقات المرحوم شيخ الكاف التي فتحت أبوابها لجميع الراغبين في الدراسة، وقد تقلب على إدارتها عدة أشخاص إلا أنها شهدت نقلة نوعية في إدارة الأستاذ شيخان الحبشي الذي أدخل المواد الحديثة كالحساب والجغرافيا والعلوم، بالإضافة إلى الاهتمام بالأنشطة البدنية والرياضية وإقامة المهرجانات

---

(١) محمد الجنيد وحسين الكاف، المهندس علوي بن أبي بكر الكاف رائد العمارة الطينية، مركز النور للدراسات، صفحة ٢٧.

والسباقات في الساحات العامة[1]. والجدير بالذكر أنه لما توقف إرسال الأموال من سنقفورا أثناء احتلال اليابان لسنقفورا في الحرب العالمية استمر المعلمون في التدريس بدون مقابل، حتى انتهت تلك الأزمة[2].

ويتساوى في فرص التعليم الجميع من العلويين وغيرهم، وحتى البعثات الخارجية لم يستأثر بها العلويون لأنفسهم، بل إن الاختيار يعتمد على التفوق الدراسي، وقد شملت البعثة الدراسية الأولى التي أرسلتها جمعية الإخوة والمعاونة إلى العراق سنة ١٣٥٧هـ أربعة طلاب منهم الشيخ حسن جابر. وشملت البعثة الدراسية الثانية لجمعية الأخوة والمعاونة والتي توجهت إلى دمشق سنة ١٣٦٦هـ أربعة طلاب أحدهم الشيخ كرامة بامؤمن[3].

أما المعاهد العلمية المتخصصة فقد ذكر منها بن شهاب في كتابه تريم بين الماضي والحاضر المعهد الفقهي[4] وقال: بأنه تأسس بمدينة تريم سنة ١٣٧٧هـ، وذلك عندما تم دمج مدرستي الكاف ومدرسة جمعية الإخوة.

وكان على رأس المؤسسين لهذا المعهد السيد الفاضل أبو بكر بن حسين الكاف والسيد الباحث المؤرخ السيد عبد الله بن حسن بلفقيه والسيد العلامة محمد بن سالم بن حفيظ والسيد حمزة بن عمر العيدروس والسيد الفاضل عبد الله بن علي المشهور والسيد سالم بن علوي الخرد والسيد العلامة عمر بن علوي الكاف والشيخ العلامة سالم بن سعيد بكير باغيثان.

وكان الغرض من تأسيس هذا المعهد هو إحياء الحركة الفقهية وعلوم العربية وآلاتها،

---

(١) محمد الجنيد وحسين الكاف المهندس علوي بن أبي بكر الكاف رائد العمارة الطينية، مركز النور للدراسات، صفحة ٣٠.

(٢) محمد الجنيد وحسين الكاف المهندس علوي بن أبي بكر الكاف رائد العمارة الطينية، مركز النور للدراسات، صفحة ٣١.

(٣) محمد الجنيد وحسين الكاف المهندس علوي بن أبي بكر الكاف رائد العمارة الطينية، مركز النور للدراسات، صفحة ٣٩.

(٤) أحمد عبد الله بن شهاب، تريم بين الماضي والحاضر، صفحة ٢٢٢.

إضافة إلى إدخال بعض المواد الجديدة كالتاريخ والتوحيد والجغرافية، وكانت شهادته تعادل الفصل الثاني من المدرسة الثانوية فيستطيع الطالب الالتحاق بالمدارس الحكومية بعد التخرج. وقد تم فتح التعليم به من فصلين ثم توسع بفتح فصلين للدراسة الليلية، وقد بلغ عدد طلابه خمسة وستون طالباً.

ومن المواد التي تدرس أيضاً: السيرة، والمنطق، والنحو، والأجرومية، والألفية في النحو لابن مالك، وفي الفقه المختصر الكبير والياقوت النفيس وعمدة السالك والمنهاج للإمام النووي.

أما النقلة النوعية الكبيرة التي حصلت في السنين الأخيرة فهي قيام السيد عمر بن سالم بن حفيظ بتأسيس مدرسة دار المصطفى بتريم وملحق بها سكن للطلاب ومدرسة وتدرس به العلوم الشرعية إضافة إلى العلوم الحديثة. وقد تعددت أنشطة دار المصطفى وطبقت شهرته الآفاق وورد له الطلاب من أنحاء العالم، كما افتتح له فرع للبنات سمي بدار الزهراء وأخذت مناهج دار المصطفى وأساليبه التعليمية والدعوية تتطور مع مرور الوقت. ونقتطف فيما يلي بعض ما كتبه السيد عبد الله بن شهاب في كتابه تريم بين الماضي والحاضر:



مدخل دار المصطفى بتريم

لقد ابتدأ تأسيس دار المصطفى للدراسات الإسلامية[١] بمنطقة عيديد بتريم في عام ١٤١٤هـ تحت رعاية الأخوين السيد علي المشهور بن محمد بن سالم بن حفيظ وأخيه الداعية العلامة السيد عمر بن حفيظ، ثم تواصل العمل في إنشاء المبنى المخصص له وافتتح الجزء الأول منه بتاريخ التاسع والعشرين من شهر ذي الحجة عام ١٤١٧هـ وتخرجت الدفعة الأولى منه عام ١٤١٩هـ.

وقد نالت دار المصطفى شهرة واسعة في وقت قصير، حيث تقاطر عليها الطلاب من كافة بلاد الله الواسعة شرقاً وغرباً بنين وبنات شيوخاً وشباباً كهولاً وصبياناً حتى بلغ عدد طلابه المئات، وذلك بفضل من الله ونعمة. وكان للسيد علي بن عبد الرحمن الجفري الشأن الأكبر في انتشار صيت هذه الدار في البلدان البعيدة كأمريكا وبريطانيا وكندا وأستراليا، مع جهد السيد عمر بن حفيظ الذي ما برح يجوب الآفاق من قارة لأخرى مبتغياً بذلك رضاء الله، وحتى أصبحت الجنسيات المختلفة تشكل نموذجاً رائعاً للوحدة الإسلامية في تلك الدار المتواضعة في شكلها.

وإلى جانب اهتمام الدار بتلقي العلوم الشرعية كالفقه والحديث وقواعد اللغة العربية فقد فتح باب التعليم النظامي الموافق لمنهج التربية والتعليم في الجمهورية اليمنية، حيث فتحت المدرسة الأساسية ذات الصفوف التسعة، وبعدها يمكنه الالتحاق بالمدرسة الثانوية التي يتخرج الطالب منها وقد جمع بين علمي الشريعة والعلوم المادية الأخرى، وباستطاعة الطالب المتخرج ـ إن أراد ـ أن يلتحق بإحدى الجامعات سواء عن طريق الانتساب أو عن طريق الانتظام. أضف إلى ما سبق الصفوف التمهيدية، وهي لصغار السن وذلك لتدريسهم مبادئ المعارف قبل دخولهم الصف الأول.

وأوقات الدار معمورة كلها بالعلم والذكر منذ تباشير الصباح، أي حين السحر حتى المساء فتعقد حلقات الذكر لترتيل الأوراد والأذكار المأثورة فيما قبل وبعد صلاة الفجر.

---

(١) أحمد عبد الله بن شهاب، تريم بين الماضي والحاضر، صفحة ٢٢٣.

وبعد ذلك تبدأ الدروس حتى حوالي العاشرة، ثم يأخذ الطلاب قليلاً من الراحة، ثم يعودون بعد ذلك لصلاة الظهر وإقامة الأذكار وإلقاء الدروس، وبعد العصر كذلك، ثم تعقد الروحة التي تقرأ فيها كتب التصوف والفقه وشيء من الأناشيد الدينية وانعقادها يتم في أغلب أيام الأسبوع.

كما يبدأ الطلاب بعد صلاة المغرب بتلاوة القرآن الكريم ثم تعقد الدروس في حلقات موزعة إلى صلاة العشاء والتي تصلى جماعة، وبعدها تبدأ قراءة الأذكار والرواتب كراتب الإمام الحداد وراتب الإمام عمر بن عبد الرحمن العطاس، وتقرأ في ليلة الجمعة قصة المولد النبوي الشريف وغالباً ما يقرأ (الضياء اللامع) للسيد عمر بن حفيظ وتحتفل الدار في المناسبات الدينية كسائر الزوايا والأربطة بقراءة المولد العام، ويحضره الجم الغفير من ربوع الوادي، وتلقى فيه المذكرات والمواعظ من قبل العلماء البارزين.

ولدار المصطفى نشاطات خارجية تتمثل في إقامة المحاضرات العامة وبخاصة ليلة الثلاثاء من كل أسبوع، حيث تتنوع المحاضرات والمواعظ والقراءة في الحديث الشريف وفي تفسير القران الكريم، ويعقد كل ذلك في الساحات العامة.



على يمين الصورة السيدان عمر ثم مشهور ابنَي الحبيب سالم بن حفيظ المؤسسان لدار المصطفى بتريم

هذا ومن الجدير بالذكر أن دار المصطفى عقدت اجتماعا لعلماء المسلمين ضم أكابر العلماء من مختلف البلاد الإسلامية، وتناول فيها العلماء مشكلات العالم الإسلامي والوسطية في الإسلام.

كما إن لدار المصطفى نشاطاً إعلامياً يتمثل في الإذاعة المحلية والتي تتنوع براجمها من إذاعة القران الكريم والحديث والفتاوى المباشرة والأناشيد ونقل المناسبات الدينية في داخل البلد. كما تصدر دار المصطفى مجلة أنوار التلاقي، وهي مجلة فصلية، وقد تحسن إخراجها كثيراً وتناولت موضوعاتها شتى المعارف والعلوم وهموم التربية والصحة.



الفصل الثاني والخمسون

العلويون والاعتناء بتعليم رجال القبائل بحضرموت



بقيت حضرموت لعدة قرون ترزح تحت أحكام القبولة القاسية والتي عرفها الأستاذ محمد الشاطري في كتابه أدوار التاريخ الحضرمي[١] بقوله: (القبولة مجموعة صفات مختلطة منها الحسن ومنها القبيح وهو الأغلب فهي مزيج من الإباء وحماية الجار والأخذ بالثار وإغاثة الملهوف وصلابة الرأي ووجهها الثاني الظلم والغشم والاعتداء وبطر الحق والقوة والبطش والحمية الجاهلية ولهم تشريعات خاصة بهم من بقايا الجاهلية ومخالفه للشرع الإسلامي. ومن قوانين القبولة أنهم لا يقتلون القاتل بعينه وإنما يكتفون بقتل أي واحد من قبيلته ويقولون الطارف غريم (انتهى). وقد حدثت الكثير من المآسي بسبب هذا القانون الجاهلي فكم من مغترب غاب عن أهله عشرات السنين ثم لم يكد يصل إلى بلده إلا ويقابله طالب ثار لا يعرفه فيقتله قبل إن يصل إلى أهله وولده. ولا تخفف من قسوة هذا القانون القبلي حرمة شهر رمضان أو قدسية مناسبة عيد فقد ذكر ابن عبيدالله في المعجم[٢]: أن والد الشيخ لحمان بن علي من رؤساء آل عبدالعزيز قتل في حرب ولما كان الثامن والعشرين من شعبان جاءه أحد غرمائه ليؤكد الصلح بمناسبة رمضان فلم يوافقه ولما خرج من عنده وكاد يصل داره صوب إليه بندقيته فأرداه قتيلاً (انتهى).

كما قد يقتل شخص على شبهة امتلاكه ريالات فقد ذكر ابن عبيدالله في المعجم «أنه مر ذات يوم جابري في ردائه قيد بعير يقعقع فظنه أحد آل يماني ريالات فضية فأطلق عليه الرصاص ثم خف مع أخيه لسلبه وبالقتيل رمق فاستل القتيل خنجره وطعن أحدهما به ففاضت روحاهما معا»[٣](انتهى).

وقتل عائظ بن سالمين وهو واحد من أكبر القادة والزعماء الكثيريين سنة **١٣٠٨هـ** وقتل معه مجموعة من الرجال بسبب عذق خريف لا يحمل أكثر من تمرات قال ابن عبيدالله

---

(١) محمد بن أحمد الشاطري أدوار التاريخ الحضرمي علم المعرفة الجزء الثاني صفحة ٣٤١.

(٢) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف معجم بلاد حضرموت مكتبة الإرشاد صنعاء صفحة٢٨٦.

(٣) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف معجم بلدان حضرموت مكتبة الإرشاد بصنعاء صفحة ٢٩٨.

في المعجم[١] (إن أحد آل كده أخذ عذق خريف من نخيل آل جعفر بن طالب فقتلوه فكبر عليهم قتل ولدهم في عذق خريف فكمنوا لهم بالليل وفي الصباح أطلقوا عليهم البنادق فخرج عليهم عائظ بن سالمين بأصحابه وأردى منهم اثنين واستلبوهما وكف عنهم إلا أن أحد أصحابه عيره بقوله تريد القهوة عند غصون (وهي زوجته من آل عامر أصحاب آل كده) فحمي عائظ وتقدم بهم وقد تستر آل كده بأشجار الأراك وأكوام الرمل وجاءتهم نجدة فأصلوهم نار حامية فعمد عائض وأصحابه إلى السلاح الأبيض ومازالوا يتناحرون حتى حجز بينهم السيدان عبدالله بن حسن البحر وعيدروس بن حسين العيدروس ولكن بعد ما قتل من آل كده ومن معهم سبعة ومن آل جعفر بن طالب ثلاثة عشر قتيلاً وثلاثون جريحاً) وكان عائظ بن سالمين بين القتلى (انتهى).

وقد تسبب قانون الثأر القبلي في نهاية إمارة السيد فضل بن علوي بن سهل على ظفار قال ابن عبيدالله في بضائع التابوت[٢]: إنه لما استقر السيد فضل بن علوي بن سهل بظفار سنة ١٢٩٢هـ دانت له القبائل بأسرها وتساقطوا الدماء الواقعة بينهم وأخذ عليهم العهود أن النفس بالنفس وأن الأمور تجري على حكم الله ورسوله ومرجعها إلى السيد فضل وأنه ملك البلاد وسلطان العباد ثم إنه قتل رجل من آل كثير غيلة فجاءت قبيلة المقتول إلى عند السيد فضل وقالوا له إن قاتله من آل فلان فقال لهم عينوا القاتل حتى نقتص لكم منه فقالوا لا نعرف إلا قبيلته فقال لهم لا يحكم الله بهذا وقد توثقنا عليكم أن مرجع الأحكام إلى الشريعة فلم يكن من قبيلة المقتول إلا أن خلعت طاعة السيد فضل وأحاطت ببيته وأثارت عليه الحرب وحصرته هو ومن معه نحواً من ثلاثة أشهر تمكن بعدها من الخروج وغادر ظفار مقهوراً مكسوراً ولم يساعده أحد ثم ركب إلى المكلا أولاً سنة ١٢٩٦ ومنها إلى اليمن ثم إلى جده (انتهى).

---

(١) عبدالرحمن بن عبيد الله السقاف معجم بلدان حضرموت مكتبة الإرشاد بصنعاء صفحة ٣١٩.

(٢) عبدالرحمن بن عبيد الله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثالث صفحة ٤١.

وقد حارب العلويون قوانين القبولة هذه المخالفة لشريعة الإسلام إلا أنها كانت متجذرة في موروث القبائل الاجتماعي فلم تنفع مواعظ العلويين ولا دروسهم في اجتثاثه رغم أن جهود المناصب من علويين وغيرهم للصلح بين القبائل المتحاربة كثيراً ما يعصم الدماء البريئة من الإهدار بفعل هذه القوانين القبلية الجائرة.

وممن بذل المجهود في محاربة شرع القبولة الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر (١١٩١-١٢٧٢هـ) الذي يهاجم شرع القبولة[١] ويصفه بأنه من أحكام الجاهلية ويقول هؤلاء قوم لا يفقهون ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ أليس الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ فكيف يستبدلون الأدنى بالذي هو خير إن هي إلا مكيدة كادهم الشيطان كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾، وقال سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ فهذا كلام الله العظيم الحكيم يهدي إلى الحق وإلى الطريق المستقيم ويزجر عن هذا المسلك الذميم.

فاحذروا رحمكم الله مخالفة الشرع المصون ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾.

ثم أورد الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر كلام الحبيب علي بن حسن العطاس الذي يقول: إن هذه القبولة مؤسسة على النار وذلك أنهم إذا قتل إنسان إنساناً بادر أصحاب المقتول بطلب ثأرهم فمن وجدوه من قبيلة القاتل قتلوه وهذه طريقة أعظم من طريقة الجاهلية لأن أهل الجاهلية يقتلون النفس بالنفس وهذا القانون خطر عظيم ومورد وخيم

---

(١) مجموع كلام الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر صفحة ٢٢٩.

(انتهى باختصار). ويقول الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر في نصيحته للقبائل: اعلموا رحمكم الله تعالى أن لحمل آلة الحرب واتخاذها لغير جهاد الكفار أو قتالهم شرور كثيرة ومفاسد عديدة وفيه التشبه بالظلمة والأشرار ثم ذكر الفتن وقتل الأنفس التي حرم الله إلا بالحق والتحاكم إلى غير شرع الله (والكلام طويل)[١].

وقد ذكرنا في فصل تأثير العلويين على المدن الجهود المتواصلة الذي بذلها العلويون مثل الحبيب أحمد بن عمر بن سميط لتعليم وإرشاد رجال القبائل بحضرموت.

ويهاجم الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر حملة السلاح الذي يتعدون على المساكين فيقول: رأيت في هذا الزمان ما لا يسع مؤمناً السكوت عليه من التعدي والظلم والعدوان والنهب والسرقة وغيرها من المظالم لكل من لا ناصر له إلا الله مع عدم مبالاة بما ورد في ذلك من الوعيد الشديد عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ ولا رحمة عندهم بالمظلوم وإن شكى وبكى (والكلام طويل)[٢].

قال الأستاذ محمد الشاطري[٣]: ومن عوائد القبولة أيضاً ما يسمونه الشائم والشراحة حيث يفرضون على الملاك والفلاحين عشر الحاصل من النخيل أو غيرها من الثمار كُرهاً ويسمونه في عرفهم الشائم أما الشراحة فهو أن يفرض القبيلي سلطته على النخيل والمال في منطقته وينتقي التمر الممتاز بالكمية التي يريدها وقد يطرد المالك من تحت نخله اليانع ليتركه يتضور جوعاً ثم أضافوا فوق ذلك شيئاً آخر سموه الباطل ويذيق القبيلي المالك أو الفلاح الخسف في استيفاء ذلك وأفظع من ذلك أن دماء وحقوق أفراد القطاعات الشعبية العزل كلها مهدرة إذا أصيبت من قبيلي (انتهى باختصار).

---

(١) مجموع كلام الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر صفحة ٢٢٦-٢٣١.

(٢) مجموع كلام الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر صفحة ١٠٨-١١١.

(٣) محمد بن أحمد الشاطري أدوار التاريخ الحضرمي علم المعرفة الجزء الثاني صفحة ٣٤١.

وقد تجذرت في حضرموت بعض العادات القبلية القديمة التي لم يستطع العلويون إلغاءها رغم تضررهم منها والسبب في بقائها أنها مرتبطة بالفقر والعوز اللذان لم يفارقا حضرموت. وقال المستشرق الروسي رودينوف وفي القرن الخامس عشر أطلق على الشراحة عادة حضرموت وكانت القبائل المسلحة تأخذ من الملاك مقابل حراسة التمور الخمس من العناقيد والعشر من الحبوب وعيدان الذرة[١].

وقال: إن نظام الشراحة القسري تساوى بعادة الحظر في الانتفاع التي تفرضها القبائل على الحرثان أو المساكين الواقعين تحت اضطهاد فرع قبلي آخر فكانت القبيلة تستطيع دون اللجوء إلى حكم شرعي الإعلان عن منع الواقعين تحت الوصاية من بعض الأعمال مثل منع أخذ الماء من البئر أو الجابية ومنع البنائين من التشييد والعمارة ومنع القوافل من اجتياز منطقتها كما تستطيع القبيلة الحضر على حوانيت أبناء المساكين ومستودعات البضائع بشكل عام ويكفي أن يقول ممثل القبيلة أن البلد محظورة ليقع الحظر العام الذي لا يلغى إلا بحل الخلاف بوساطة السادة والمشايخ أو المحاكم القبلية[٢].

وأورد المستشرق الروسي ملخصاً لأرجوزة الحبيب طاهر بن الحسين بن طاهر التي تبين غطرسة وكبرياء القبيلي الذي يعتبر أفراد قبيلته رجال الدم أما الفلاحين فرجال الزبل[٣].

ومن الطرائف في هذا الباب أن ن السيد الثري صاحب المزارع والأطيان أحمد بن علي

---

(١) م رودينوف عادات وتقالي حضرموت الغربية ترجمة د علي الخلاقي دار جامعة عدن للطباعة والنشر صفحة ١٨٣.

(٢) م رودينوف عادات وتقالي حضرموت الغربية ترجمة د علي الخلاقي دار جامعة عدن للطباعة والنشر صفحة ١٨٤.

(٣) م رودينوف عادات وتقالي حضرموت الغربية ترجمة د علي الخلاقي دار جامعة عدن للطباعة والنشر صفحة ١٨٣.

الجنيد وعظ شارح مزارعه واسمه عبود الغاوي من آل تميم عن أكل أموال الناس بالباطل واستيلائه بالقوة على النخيل والأراضي التي تحت حمايته ظلماً وعدواناً بدون حق فأجابه عبود بقوله الظاهر أنك يا حبيب ما تقرأ القرآن فقال السيد الجنيد كيف ما أقرأ القرآن فقال له عبود: أما تقرأ قول الله تعالى: ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ * رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ﴾ فالله تعالى لم يقل رزقاً للجنيد بل قال رزقاً للعباد وأنا منهم يا حبيب فاكتفى الجنيد بالتبسم[1].

وكما تكشف هذه القصة ذكاء أهل حضرموت فهي تكشف أيضاً سريان تعاليم العلويين فيهم وبمعرفتهم بأمور الدين بما جعلهم يختلفون عن باقي القبائل العربية كما تكشف أيضاً العلاقة الخاصة بين العلويين وأهل حضرموت من قبائل ومشايخ وحراثين رغم ما يحدث بينهم من اختلافات ولهذا نرى أن عبود الغاوي شارح نخيل الجنيد بقرية القوز وصاحب القصة السابقة يتوجه إلى سنغافورا سنة ١٢٩٧هـ (١٨٨٠م) وما أظنه سافر إلا بدعوة من حبيبه الجنيد الذي اشتاق له كما يبدوا لأنه أنزله في بيته وداعبه عند وصوله بقصيدة لطيفه تبين حالة التصادم الحضاري بين رجل القبيلة الحضرمي والمجتمع الأوروبي في سنغافورا ويقول فيها:

الغاوي الليث من سمي عبود ... غاوي على اسمه ولكنه غشيم
القبولة قال من إرث الجدود ... والظلم أيضاً وراثه من قديم
لكنه اليوم تائب للودود ... نادم وربه بما قاله عليم

ثم وصف الصدمة الحضارية التي تعرض لها هذا القبيلي الحضرمي في سنغافورا التي يدخلها لأول مرة فقال:

شاف القلع والعساكر والجنود ... شاف الأمم في الأزقه والحريم
أجناس شاف الخلائق حد هنود ... وحد من الشين في البلدة مقيم

---

(١) عبدالقادر بن عبدالرحمن الجنيد العقود العسجدية صفحة ٤٤٧.

ثم بين في صيغة سؤال لعبود مع جواب عبود الغاوي على السؤال أن سفر عبود كان بسبب الشوق إلى حبيبه الجنيد:

لما بدا قلـت مـن أيـن الوفـود	مـن ذا معـي ظنـي بـن تمـيم
عبود خادمـك لي رأسـه ينـود	من كثر فقدك وقد حاله سقيم

إلا أن عبود لم تطب له الإقامة بسنغافورا وأخذ يتذكر شوارع ووهاد حضرموت ويتشوق للعودة إلى حضرموت:

يا حي تيك الشوارع والوهـود	لا غبهـا وابـل الغيـث المـديم
عـسى إلهـي بفـضله بـايجود	متـى وقـدنا في الغنـا تـريم

وقد جاء بين ثنايا هذا الكتاب في مواضع متفرقة ما يدل على اعتناء العلويين بتعليم رجال القبائل والمشايخ والحراثين والرعاة كما جاء في قصة الحبيب عمر العطاس مع الشيخ علي باراس.

❊ ❊ ❊

الفصل الثالث والخمسون

العلويون والحراثون



السيد محسن علوي السقاف ومزارعه الشيخ كرامه بالطيور

وبينهما محبه واحترام شديدين

وقد ذكرنا في الفصل الخاص بالزراعة اهتمام العلويين بالزراعة واشتغال كثير منهم بها وكانت علاقة العلويين بحراثيهم علاقة محبه واحترام متبادل ومن ما يدل على ذلك أنه لما سجن عبد الله غرامه حاكم وسط تريم السيد أحمد بن علي الجنيد بقصد ابتزاز ماله كان مزارعوه يزورونه ويهتمون لما أصابه وكان الجنيد يسألهم عن الزراعة ويطيب خواطرهم[١].

ومن ثقة السيد أحمد بن علي الجنيد في مزارعيه أنه كان يودع لدى أصدقائه ومحبيه من آل تميم ما كان يخاف عليه[٢] ولا يترك في بيته شيئاً يخاف عليه كحلي النساء من ذهب وفضة وجواهر وغير ذلك وإنما يبقى في بيته الأشياء الضرورية ويودع ويخزن عند مزارعيه بعض المطعومات وبعض النقود دون أن يعلم بها أحد[٣]. وذلك حتى لا ينهبها غرامه وجنوده والذين تعودوا بعد سجن الجنيد أن ينهبوا محتويات بيوته.

وقد اهتم العلويون بتعليم الحراثين أمور دينهم وقد تخرج كثير من الحراثين من مدارس العلويين وأربطتهم الدينية وبعضهم أصبح من كبار العلماء.

وعندا ذكر ابن عبيدالله افتتاح مدرسة الكاف بتريم قال وقد تخرج منها جماعة أنجبهم الشيخ سالم سعيد بكير وامبارك عمير باحريش فبها انفتحت أذهانهم وإن كانا إنما توسعا في الفقه بعد انفصالهم عنها وأصلهما من الحراثين ثم تشرفوا بالعلم والذكاء والفهم إلى تواضع ونسك إلا أنه مشوب بشيء من التعصب فتراهم لا يرجعون عن رأي ولا يذعنون لحجة ومن خريجيها السيد محمد بن أحمد بن عمر الشاطري ذكي نبيه وشاعر فقيه[٤] (انتهى).

وترجم المشهور في لوامع النور للشيخ سالم بكير فقال إنه ولد سنة **١٣٢٣**هـ وكان

---

(١) عبدالقادر بن عبدالرحمن الجنيد العقود العسجدية صفحة ١٤٤.

(٢) عبدالقادر بن عبدالرحمن الجنيد العقود العسجدية صفحة ١٥١.

(٣) عبدالقادر بن عبدالرحمن الجنيد العقود العسجدية صفحة ١٥٠.

(٤) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلدان حضرموت مطبعة الإرشاد صفحة ٥٢٤-٥٢٥.

أول استفتاحه في التعليم في معلامة العيدروس الأكبر على يد الشيخ أحمد باحرمي ثم التحق بمدرسة جمعية الحق عند افتتاحها سنة ١٣٣٤هـ كما قرأ فنون عدة على عدد من مشايخ عصره منهم السيد أبوبكر بن أحمد الخطيب ومنهم الحبيب عبدالله بن عمر الشاطري واختاره السيد أحمد بن عمر الشاطري للتدريس بمدارسة جمعية الفضائل التي أنشأها وكان الشاطري في طليعة مشايخه ثم اختير للتدريس برباط تريم سنة ١٣٤٦هـ وتولى رآسة مجلس الإفتاء.

وكان شيوخه يجلونه ويحترمونه وبلغ الأمر بالحبيب علوي بن عبدالرحمن المشهور أنه إذا قابله بطريق وهو راكب ترجل إعظاماً وترغيباً بالعلم وإظهاراً لشرف حملته (انتهى)[1].

ويتجسد اهتمام العلويين بتعليم الحراثين وأهل البادية في أعمال الحبيب علوي بن عبدالرحمن المشهور(١٢٦٣-١٣٤١هـ) الذي لا تنقطع رحلاته نحو الوديان والقرى ومن أخباره أنه كان في طريقه إلى الشحر فدخل قبلها قرية (حقب) فوجد أهلها في حفل زواج حيث يرقص الرجال مع النساء في الشبواني على المزمار والطبول فدخل بينهم الحبيب علوي ومعه ابنه فلم يلتفتوا لهم وألف الحبيب علوي بيتاً من الشعر على وزن ما يرقصون عليه فأعجبهم ولما توقفوا عن الرقص بعد فترة للراحة وشرب القهوة وتركوا المزامير والطبول فأشار الحبيب علوي على ولده فأعطب آلات اللهو من حيث لم يشعروا فلما عادوا فوجئوا بما حصل فقال لهم الحبيب علوي مادام هذا حصل لأدوات الرقص فما رأيكم لو قرأنا الليلة في هذا الزواج المبارك مولداً نبوياً تسمعونه حتى يصلح المزمار والطبل فوافقوا فطلب منهم جمرة للدخون فقالوا ما عندنا إلا مجامر الرشب فقالوا هاتوها فوضع عليها الدخون من جيبه ثم شرع في قراءة المولد وكان في أثناءه يذكرهم بطريقه مؤثرة حتى ثابت أرواحهم واستأنسوا ولما صلح المزمار والطبول ما قبلوا إلا أن يستمر التذكير والتعليم ثم شاورهم الحبيب علوي في بناء مسجد لهم فقالوا نحن يا سيد أهل حراثة وصلاتنا فوق أسوام الحراثة

---

(١) أبو بكر المشهور لوامع النور دار المهاجر للنشر والتوزيع الجزء الثاني صفحة ١٧٧.

فقال لهم لابد لكم من مسجد تقيمون فيه شعيرة الجمعة والجماعة ولو بأربعة ثم ذكرهم بالوعيد الشديد في ما ثبت من الأحاديث باستحواذ الشيطان على من لم يقم الجمعة والجماعة فامتثلوا إلا أن أحدهم قال يا حبيب المسجد يحتاج إلى ماء كثير وأرضنا قليلة الماء فأشار إلى جبل قريب وقال احفروا ساقية إلى هذا الجبل من غدكم وإن شاء الله تجدون به الماء وأخرج من جيبه ريال فرانصة مشاركه في بناء الساقية والمسجد فقال أحد الحاضرين وأنا من عندي مائة ريال وقال غيره ومني مائتين وتتابعوا حتى اجتمع لبناء المسجد مال كثير فوصلوا بالساقية إلى الجبل ووجدوا بالجبل معيان ماء كبثر فأقاموا المسجد في فترة قصيرة (انتهى باختصار)[١].

وقد بلغ الحبيب علوي المشهور مبلغاً عظيماً في محبته تعليم العوام وإرشادهم من ذلك أنه وصل الشحر عائداً من رحلة طويلة إلى سيلان ومعه الشاي والدخون وأطايب الهند كعادته عند عودته من السفر وكان ينزل بالشحر عند محبه المتعلق بالأخيار الشيخ سعيد بن عمر الكلالي فأخبر الكلالي بنيته الجلوس في الشحر مدة شهر لتذكير الناس وتعليمهم فقال الكلالي يا حبيب أنت جيت من بلاد بعيدة ومعك حاجاتك وهدايا عيالك والأحسن تسافرون إلى حضرموت فقال الحبيب علوي هذا الشهر بانقضيه بالشحر وبانعتبره من السفر وسأله كم عدد المصلين في صلاة الصبح جماعة فقال الكلالي ثلاثة أو أربعة نفر فقط فقال الحبيب علوي إن شاء الله بانخلي أهل البلاد كلهم يصلون وأخبر الناس هذه الليلة بعد صلاة العشاء أن من صلى الصبح له هدية وسيكون الفطور في بيت الشيخ الكلالي لمن صلى الصبح فقط ورتب الحبيب علوي أمور الفطور مع الشيخ الكلالي ولم ينم الناس خوفاً من فوات الصلاة وامتلاء المسجد في الصلاة لآخره وبعد الصلاة اتجهوا للفطور بمنزل الشيخ الكلالي على نفقة الحبيب علوي وقبل إن يوزع الحبيب علوي الهدايا طلب سماع الأسامي فأجاز الأسماء الطيبة حتى قال أحدهم اسمي (مصاقع) فقال الحبيب ما بغينا هذا الاسم فقال الرجل لا أحد يعرفني بغيره فقال الحبيب من اليوم اسمك (مصالح) وقال للناس من

---

(١) أبوبكر المشهور لوامع النور دار المهاجر للنشر والتوزيع الجزء الأول صفحة ٧٢-٧٤.

اليوم اسمه مصالح والحاضر يخبر الغائب. ثم أخذ الحبيب علوي في تذكيرهم قبل إن يوزع عليهم الهدايا (انتهى باختصار)[١].

وجاء الحبيب علوي المشهور للدعوة إلى الله بنواحي الشحر وزار قرية (واسط) فوجد إمام المسجد ضعيف القراءة ويلحن في الصلاة وبعد الصلاة قال له الحبيب علوي بغيتك يا ولدي تذهب معي تريم مدة سنة كاملة للتعليم وقوتك ومسكنك مكفول علينا[٢].

ولا يمل الحبيب علوي المشهور ولا يتعب في تعليم الناس فكان مرة في أحد النواحي ولما صلى المغرب وذاكر الناس ثم قرأ للناس الفاتحة وقال لهم اضبطوا لي أي غلط فيها ثم طلب من كل منهم قراءة الفاتحة وهو يسمعها ويصحح أخطاء القراءة وأخذ ذلك منه وقتاً كثيراً ثم قال للناس من الغد نتعلم إن شاء الله كيفية الوضوء وأقسام المياة وبانعلمكم الصلاة وكان يمثل ذلك لهم لتسهيل الأمر على العوام[٣].

ولقد حمل الحضارمة تعاليم العلويين وإرشادهم إلى مهاجرهم بالسواحل الأفريقية وبالهند وسيلان وأرخبيل الملايو فكانوا مختلفين في سلوكهم وطباعهم وعبادتهم عن بقية الناس. لهذا نجد المستشرق الهولندي فان دن بيرخ يمتدح الحضارمة بجاوا في دقتهم في أداء الزكاة واعتدالهم في المأكل والملبس وابتعادهم عن المشروبات الروحية والأفيون وحرصهم على صيانة أعراضهم والابتعاد ببناتهم عن مظاهر الانحراف[٤].

وفي السواحل الأفريقية يختلف الحضارمة عن بقية العرب في رفض الزي الأوروبي وذكر انجرامس (أنه من النادر أن تجد حضرمياً يرتدي لباساً غير زيه الوطني) وقال (والحضرمي يفضل المحافظة على عاداته ويصعب عليه تبني عادات أخرى[٥].

---

(١) أبوبكر المشهور لوامع النور دار المهاجر للنشر والتوزيع الجزء الأول صفحة ٧٧-٧٨.
(٢) أبوبكر المشهور لوامع النور دار المهاجر للنشر والتوزيع الجزء الأول صفحة ٧٨-٧٩.
(٣) أبوبكر المشهور لوامع النور دار المهاجر للنشر والتوزيع الجزء الأول صفحة ٧٤-٧٥.
(٤) مسعود عمشوش الحضارم في الأرخبيل الهندي صفحة ٨٦.
(٥) دبليوا اتش انجرامس حضرموت تعريب سعيد النوبان دار جامعة عدن للطباعة والنشر صفحة ١٧٦.

وبحضرموت كثير من الحراثين اشتهروا بالصلاح والتقوى ذكر منهم ابن عبيدالله[1] في المعجم فقال الرجل الصالح سالم عبد الشيخ له عمل مبرور وسعي مشكور وتواضع جم مذكور (انتهى).

ومن طرائف العلويين مع الحراثين أن الحبيب عبد المولى كان لطيفاً ظريفاً إلا أنه لم يكن من الذين يحبون استقبال الضيوف وكان من عادة العمال من المناطق القريبة من تريم أن يذهبوا يوم الجمعة إلى بيوت الحبايب فيتغدوا معهم قبل إن يذهبوا إلى صلاة الجمعة والحبايب يفرحون لأنهم يرون محافظتهم على صلاة الجمعة ولما كان يوم الجمعة وصل الفلاح عمره وقصد بيت حبيبه عبدالمولى الذي لم يكن يعتاد الضيوف فاستقبله الحبيب عبدالمولى إلا أنه فكر في الاستفادة منه مقابل غداه في هذا اليوم فأعطاه ملابسه التي يذهب بها للجمعة ومعاها صابون وقال له مازال الوقت مبكراً للغداء والصلاة فاغسل هذه الثياب في الجابية حتى يأتي وقت الجمعة فاستلم عمره الثياب والصابون ولكنه بدلاً من أن يغسل ثياب الحبيب غسل ثيابه هو وبعد الغداء واقتراب موعد الجمعة نزل الحبيب عبدالباري يريد ثيابه فاعتذر عمره وقال إن الصابون الذي أعطاه إياه لم يكف إلا ثيابه هو بالكاد.

وفي مسجد باعلوي بتريم يجلس الناس بعد صلاة الفجر للتسبيح وقراءة القرآن فسمع الحبيب علوي بن عبدالرحمن المشهور مجموعة من الفلاحين يتكلمون فذهب إليهم يعاتبهم وقال لهم على سبيل التشجيع سبحوا الله فإن كل تسبيحة بخلعة في الجنة وبعد الشروق وخروج الناس من المسجد اقترب عمره من الحبيب علوي المشهور وقال له يا حبيب شفنا ألقيت سبعين خلعة في الجنة وذلحين (الآن) بابيعها عليك بخلعتين في عشره وهي بئر الحبيب علوي فلم يعجب الكلام الحبيب علوي وأعرض عنه.

وذكر أن الحبيب أحمد بن علي الجنيد يغضب من الكلام اللغو أثناء الدرس الذي يلقيه

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مطبعة الإرشاد صنعاء صفحة ٤٤٥.

بالمسجد وإذا سمع أحداً يتكلم في الدرس زجره وقد يأخذه الغضب خصوصاً إذا كان المتكلم من الشباب بل كان يغضب حتى من الجهر بالذكر في أثناء الدرس ويقول هذا مجلس إفادة واستفادة والذي يحب أن يسبح ويهلل فليذهب إلى ناحية أخرى بالمسجد[١].

ومن ذكاء الحراثين وصلاحهم أن الحبيب علوي بن علي الحبشي سافر إلى جاوا وكان أشبه ما يكون بوالده الحبيب علي بن محمد الحبشي خلقاً وصورة فكان يميل في جاوا إلى استعمال الزي العصري ثم مرض مرضاً شديداً فطلبوا من يحجم له فعرفوا حجاماً من أهل حضرموت يعيش في منطقه جاوية بعيدة فأتوا به على الطائرة ولما حضر وحجم للحبيب علوي داعبه الحبيب علوي بقوله: يا باسيف الناس يطلعون إلى جاوا يدورون فلوس وأنت طلعت بمحجمك فرد عليه باسيف: نعم يا حبيب لأني سمعتُ والدك يقول «من لا سلك طريق أهله تهيم وضاع» وهذا طريق أهلي فبقيت عليها فعرف الحبيب علوي أن باسيف يقصده بالكلام فاتعظ من كلامه وترك ما كان يستعمله من الزي العصري ولازم لباس أسلافه العلويين (انتهى)[٢].

ومن أهل تريم الشيخ سعيد سهيل ذكر الشيخ عمر الخطيب أنه سمع أن أحد السادة تقدم إلى المحكمة الشرعية ضد زوج ابنته في قضية عائليه فجاءه الشيخ سعيد وقال له: يا حبيب أنا أسمع أن الشرع في الزواجة إلا بحذف العين (يعني شر) فصالح السيد زوج بنته لما سمع هذه القولة[٣].

وتفوق أحد الحراثين على أكبر شاعر عرفته حضرموت وهو السيد أبوبكر بن شهاب (١٢٦٢-١٣٤١هـ) فقد ذكر الشيخ عمر الخطيب[٤] أنه حصل زواج عند آل شهاب

---

(١) عبدالقادر بن عبدالرحمن الجنيد العقود العسجدية صفحة ٩٧.

(٢) عبدالقادر بن عبدالرحمن الجنيد العقود الجاهزة والوعود الناجزة صفحة ٥٣٠.

(٣) عبدالقادر بن عبدالرحمن الجنيد العقود الجاهزة والوعود الناجزة صفحة ٥٢٣.

(٤) عبدالقادر بن عبدالرحمن الجنيد العقود الجاهزة والوعود الناجزة صفحة ٥٢٨-٥٢٩.

وكانت بينهم قضية مع آل عبدالله بن شيخ العيدروس فنظم الحبيب أبو بكر بن شهاب خيبعان «قصيدة تقال في الزواجات» وهجا فيها آل عبدالله بن شيخ ثم حصل بعد ذلك زواج عند آل عبدالله بن شيخ العيدروس فبحثوا عن شاعر لينتقم لهم من ابن شهاب فدلوهم على كرامة سعيد بلدرم وهو تلميذ ابن شهاب فقال لهم موافق شريطة أن تدفعوا لي عشرة ريالات فرانصة فدفعوا له ما طلب فعمل قصيدة خيبعان أغضبت بن شهاب لكنه هدأ لما عرف قائلها وقال بن شهاب ما حد قهرنا إلا اثنين بلدرم في الخيبعان والثاني البحبوح من أهل القوز وقصة البحبوح أن ابن شهاب هجا آل تميم بقصيده يقول فيها:

مبقل عطب وايش بايكون المقبل	لي صابته ضربه يبسن اغصانه
من دأهل التعطيل رده يمحل	ومن السناوه خورته عرقانه

فأغضبت القصيدة المقدم بن يماني فبحث عن شاعر يرد على بن شهاب فوجد والبحبوح من القوز فرد على ابن شهاب الذي كان متولياً مالية مسجد المحضار بقوله :

من صدقة المحضار عطل بطل	من يأكل الصدقه تطيح أركانه

فقال بن شهاب قصم ظهري البحبوح (انتهى).

ومن الطرائف أن الشيخ كرامة حيمد كان حراثاً ببئر الحبيب عبيدالله بن محسن (١٢٦٢هـ-١٣٢٤هـ) وهو أخو الشيخ المعمر صالح حيمد وكان له ابنان أحدهما أسمر البشرة والآخر فاتح البشر فسأله مرة الحبيب عبيدالله بن محسن متبسطاً معه الحديث مع كرهه لغوا الكلام إذ أن أغلب كلامه في العلم المفيد فسأل الحبيب عبيدالله الشيخ كرامة لماذا هذا أسمر وذاك أبيض فأجاب كرامة الحبيب عبيدالله من فوره مازحا ذاك يا حبيب بيضُوه عيال السادة فبهت الحبيب عبيدالله من هذا الجواب وندم على سؤاله.

ومن متأخري صلحاء الحراثين الشيخ بايعشوت كان حراثاً على أرض ابن عبيدالله

المعروفة ببئر الخلع وله وجه مشرق بنور الطاعة والصلاح وكان يطلع يومياً منها إلى مسجد طه للصلاة ماشياً على قدميه وهي مسافة تزيد على ثلاثة كيلومترات وكانت له بالمسجد بكرة معروفه يستند إليها ولا ينافسه فيها أحد ولما شاخ كان السادة آل طه بن عمر يذهبون لزيارته ومعايدته في العيد وكان والدي السيد محسن بن علوي السقاف يزوره كلما وصل إلى سيؤن ويتعنى في هديته وكان يتبادل معه تقبيل الأيدي ويطلب منه الدعاء.



الفصل الرابع والخمسون

العبادلة السبعة



قال الأستاذ الشاطري[1] والعبادلة السبعة هم سبعة من العلماء عاشوا في فترة واحدة وجمعوا بين العلم والثقافة والصدارة والتصوف والتدريس والتأليف والإصلاح الاجتماعي ينضم إليهم علماء آخرون من هذا الطراز كالإمامين الكبيرين الحسن بن صالح البحر ساكن ذي أصبح والمتوفى بها سنة ١٢٧٣هـ وأحمد بن عمر بن سميط ساكن شبام والمتوفى بها سنة ١٢٥٧ وعلوي بن سقاف الجفري ساكن تريس والمتوفى بها سنة ١٢٧٢هـ ومحسن بن علوي السقاف ساكن سيؤون والمتوفى بها سنة ١٢٩٢هـ وأحمد بن علي الجنيد ساكن تريم والمتوفى بها سنة ١٢٧٥هـ.

قال الأستاذ الشاطري وقام كل واحد من هؤلاء بدور بارز في مكافحة الظلم ونصر الضعيف وإصلاح ذات البين وشاركوا مشاركة فعالة في نهضة الإمام طاهر بن الحسين وتعرض بعضهم للسجن والتهديد بالقتل ولكنهم تحملوا في سبيل الدين والوطن كما تميزوا بالإنتاج الفكري والأدبي والزعامة الاجتماعية وبالتقوى والاتساع في العلوم والمعارف وقد جاءت ترجمة بعضهم في فصول أخرى متفرقة من هذا الكتاب ولم أذكر في هذا الفصل إلا من لم يرد ذكرهم في فصول الكتاب الأخرى.

أما العبادلة السبعة فهم:

الاسم	الموطن	الوفاة
عبد الله بن أبي بكر عيديد	تريم	١٢٥٥هـ
عبد الله بن سعد بن سمير	خلع راشد	١٢٦٢هـ
عبد الله بن علي بن شهاب	تريم	١٢٦٤هـ
عبد الله بن عمر بن يحيى	المسيلة	١٢٦٥هـ

(١) محمد بن أحمد الشاطري أدوار التاريخ الحضرمي الناشر عالم المعرفة صفحة ٣٩٦-٣٩٧.

الاسم	الموطن	الوفاة
عبد الله بن حسين بلفقيه	تريم	١٢٦٦هـ
عبد الله بن أحمد باسودان	الخريبة	١٢٦٦هـ
عبد الله بن حسين بن طاهر	المسيلة	١٢٧٢هـ

الحبيب عبد الله بن حسين بلفقيه[١]

(١١٩٨-١٢٦٦هـ)

ولد وتوفي بتريم ونشأ في رعاية والده محاطاً بالعلم والعلماء والصالحين وتلقى العلم في تريم على يد والده وعلى مجموعة من علماء تريم. ورحل للحج وأخذ عن علماء اليمن والحجاز مثل العلامة محمد بن علي الشوكاني والعلامة السيد عبدالرحمن بن سليمان الأهدل وتتلمذ بمكة على الحبيب عقيل بن عمر بن يحيى والعلامة الشيخ عمر عبدالرسول العطار.

ويعتبر من أكثر العلماء مشاركة في جميع الفنون موسوعي المعارف كما يتضح من مؤلفاته المتعددة في الفقه والتوحيد والشعر والأدب والعلوم الأخرى وبعضها طبع وأكثرها مخطوط ولعل أشهر كتبه مجموع فتاواه الفقهية في مجلد ضخم لخصه الحبيب عبدالرحمن بن محمد المشهور في كتابه بغية المسترشدين.

وقد تتلمذ على يديه عدد من كبار علماء حضرموت مثل الحبيب علوي بن سقاف الجفري والحبيب أحمد بن علي الجنيد والشيخ رضوان بارضوان بافضل والحبيب عيدروس بن عمر الحبشي.

---

(١) عبدالله بن محمد السقاف تاريخ الشعراء الحضرميين مكتبة المعارف بالطائف الجزء الثالث صفحة ١٨٩-١٩٥.

السيد عبد الله بن أبي بكر عيديد[1]

(١١٩٥-١٢٥٥هـ)

ولد بتريم وقد أخذ عن علماء تريم في عصره وعن الحبيب أحمد بن عمر بن سميط والحبيب طاهر بن حسين بن طاهر.وقد رحل في سنة ١٢١٥هـ إلى صنعاء للأخذ عن علمائها وأقام بها سنوات وقرأ عدة علوم على العلامة الشيخ عبد الله بن عمر الزبيدي.

وحج أربع مرات وتتلمذ في مكة على العلامة عبد الله سراج والشيخ عبدالباقي الشعاب في علم الحساب وعلم الهيئة وعلم الفلك. ثم رحل إلى سنغافورا وبتاوي وغيرهما من بلاد الشرق الأقصى ولم يفته الأخذ العلمي حتى وهو بجاوا حيث تتلمذ على الشيخ عبدالرحمن المصري. ثم قرر العودة إلى حضرموت وقد توقفت سفينته المتجهة من جاوا إلى الشحر بمدينة مسقط بعمان فانتهز الفرصة والتقى بالعلامة العماني محمد بن عبد الرحمن الزواوي.

وبعد عودته إلى تريم لقي مشقة وامتحان من حاكم تريم عبدالله غرامة اليافعي وبلغ الأمر أن قتل غرامة في سنة ١٢٢٩هـ أخاه السيد سالم بن أبي بكر عيديد فاضطر بعد ذلك إلى مغادرة تريم وحط المقام بقرية السويري القريبة من تريم.

ولم يكن له مظهر كبير إلا أنه وصف بالأخلاق الكريمة والالتزام في العبادة والورع حتى أنه لا يجمع الصلاة في السفر خروجاً من الخلاف ويقضي صلوات الأسفار في البحر بعد وصوله. ومن تلاميذه العلامة السيد عبدالله بن عمر بن يحيى والعلامة السيد أحمد بن علي الجنيد.

---

(١) عبدالله بن محمد السقاف تاريخ الشعراء الحضرميين مكتبة المعارف بالطائف الجزء الثالث صفحة ١٧٨- ١٨٨.

السيد عبد الله بن علي بن شهاب الدين[١]

(١١٧٨-١٢٦٥هـ)

ولد بتريم وتلقى علومه على علمائها ومشايخها وقد استخلفه شيخه العلامة السيد عبدالرحمن بن علوي السقاف مولى البطيحاء ليقوم مقامه في التدريس وهو في السابعة عشر من عمره. وقد تميز بكثرة طلابه الذين يردون عليه من مختلف البلدان حتى أن السيد علي بن سالم ابن الشيخ أبي بكر بن سالم يأتيه من عينات ماشياً وهي مسافة طويلة وكانت له من الهيبة والجلال ما يفوق الوصف برغم تواضعه وكرمه وأخلاقه الفاضلة.

وبالإضافة إلى عبادته وأذكاره وتلاوته وصدقاته فقد كان يخيط بيده كل يوم قلنسوة (طاقية) ويتصدق بها أو بثمنها. وتوجه للحج سنة ١٢١٢هـ طريق البحر مع العلامة السيد عمر بن عبدالرحمن البار وتلميذه العلامة الشيخ عبدالله باسودان فتوفي العلامة البار على السفينة التي أرست مراسيها لأجل دفنه ببلدة جلاجل القريبة من القنفذة حيث دفن بها السيد عبد الرحمن البار.

السيد عبد الله بن حسين بن طاهر[٢]

(١١٩١-١٢٧٢هـ)

ولد بتريم ودرس على مشايخها وعلمائها ثم ارتحل إلى الحجاز وأقام فترة بمكة والمدينة حيث درس على العلامة عقيل بن عمر بن عقيل بن يحيى شرح مسلم وإحياء علوم الدين

(١) عبدالله بن محمد السقاف تاريخ الشعراء الحضرميين مكتبة المعارف بالطائف الجزء الثالث صفحة ١٣٨- ١٤٤.

(٢) عبدالله بن محمد السقاف تاريخ الشعراء الحضرميين مكتبة المعارف بالطائف الجزء الثالث صفحة ١٦٢- ١٧٨.

ومن شيوخه بمكة العلامة السيد علي البيتي الذي درس عليه كتاب البخاري في الحديث كما قرأ القرآن بالتجويد والتفسير على الشيخ عمر عبد الرسول العطار وقرأ في المدينة تيسير الأصول على العلامة أحمد بن علوي جمل الليل العلوي.

كما تدل علاقته بأخيه السيد طاهر بن الحسين على عظيم أخلاقه فقد قرأ معه كثير من العلوم بحضرموت وكان يتجنب الصعود إلى مكان يكون أخوه تحته كما لم يتقدم على أخيه في مشي أو غيره مدى حياته تأدباً معه وحرمة له.

وقد انتقل بهم والدهم من تريم إلى المسيلة سنة ١٢١٠هـ بعد أن زادت مظالم حكام تريم اليافعيين وجورهم كما ذكرنا ذلك في فصل آخر من هذا الكتاب وكان لانتقالهم هذا تأثير كبير على المسيلة وأهلها.

وكان الحبيب عبدالله بن حسين كثير التهجد والصلاة والأذكار والأوراد ومن أوراده اليومية خمس وعشرين ألف من لا اله إلا الله وخمساً وعشرين ألف من يا الله وخمس وعشرين ألف من الصلاة على النبي ﷺ.

وفي أواخر حياته كان يؤثر الخلوة بربه متعبداً وتالياً وذاكراً متخذاً غرفة في سطح مسجد المسيلة مكاناً لخلوته وكان يذهب من منزله إلى المسجد عشية كل يوم لحضور الجلسة حيث يدرس الفقه وغير الفقه ومستمعاً إلى الحديث حتى إذا دنت الشمس للمغيب قام متأهباً لصلاة المغرب من اغتسال وتطيب وكان يغتسل ويتطيب لكل فريضة صيفاً وشتاءاً.

وقال عنه الحبيب علي بن محمد الحبشي «كان فيه شبه بالنبي ﷺ في صورته وهيئته لو قرأت شمائل الرسول ﷺ في حضرته لرايتها معاينة فيه .. وكان قيامه بالليل بعشرة أجزاء من القرآن وفي صلاة الضحى ثمانية أجزاء»[١].

وكان حريصاً على حفظ الوقت فلا يبرز للزوار مهما كان قدرهم إلا بعد صلاة الظهر

(١) طه حسن السقاف البحر الملي صفحة ٧٢.

فيستقبلهم بالمسجد ويقول «بأنه حريص على حفظ الوقت ومن طلب استشاره أو غيرها فهذا وقتها»[١].

بل بلغت محافظته على الوقت أنه عاتب ابن أخته العلامة عبدالله بن أبي بكر بن يحيى حين أبلغه بمقدم العلامة الكبير السيد الحسن بن صالح البحر مؤثراً عدم إبلاغه حتى يخرج إلى الصلاة فيلقاه في المسجد حتى لا يشغله شيء عن ربه[٢].

ومع ما ذكرناه من تبتله وانقطاعه للعبادة إلا أنه لم يكن مبتعداً عن الحياة الاجتماعية والسياسية فقد كان من أوائل المبادرين بحمل السلاح عند ما اشتد ظلم حكام الطوائف بحضرموت واضطر العلويون وذوي الرأي إلى تولية أخاه الحبيب طاهر بن الحسين سنة **١٢٢٤**هـ وقد ذكرنا ذلك في فصل آخر من هذا الكتاب.

كما شارك الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر في دعم الدولة الكثيرية وتمت كثير من الاتفاقات السياسية في بيته وشارك في هزيمة الطوائف اليافعية سنة **١٢٦٥**هـ وأقام فترة بمدينة الشحر.

وتتلمذ على يديه كثير من كبار علماء وزعماء حضرموت مثل السيد عبدالله بن عمر بن يحيى والسيد محمد بن حسين الحبشي مفتي الشافعية بمكة والزعيم محسن بن علوي السقاف والشيخان عبدالله بن أحمد باسودان وعبدالله بن سعد بن سمير والسيد عيدروس بن عمر الحبشي. وللحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر مؤلفات في الفقه والنحو ومجموع لكلامه ونصائحه في مجلد كبير وتوفي في المسيلة ودفن بها.

* * *

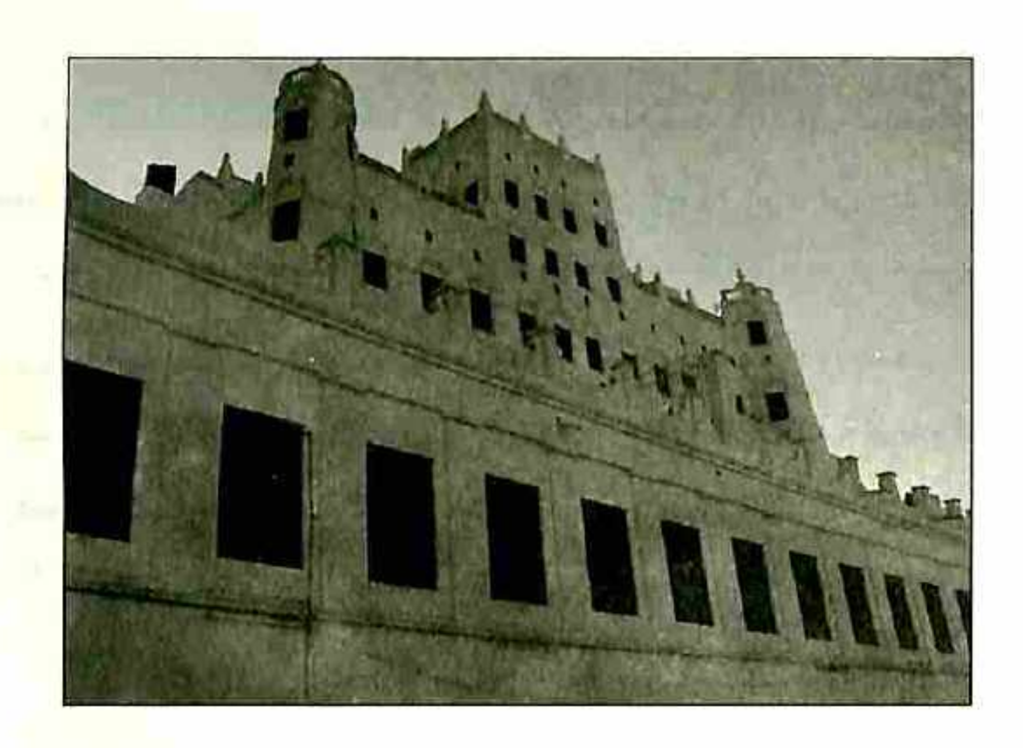
---

(١) أحمد بن عبدالرحمن السقاف الأمالي تعليق وإضافة طه حسن السقاف دار الأصول صفحة ٤٦.

(٢) عبدالله بن محمد السقاف تاريخ الشعراء الحضرميين مكتبة المعارف بالطائف الجزء الثالث صفحة ١٦٨.

الفصل الخامس والخمسون

الزعماء السياسيون من العلويين



قال الأستاذ الشاطري كان من مبادئ شيوخ العلويين وكبرائهم عدم التدخل في شؤون السياسة إلا إذا دعت الحاجة لذلك فيتدخلون فيما كان فيه خدمة المصالح العامة ولكن بشكل محدود. فقد اتصل كبار العلويين السابقين مثل المحضار والعيدروس والعدني والحداد ومن جاء بعدهم بالأمراء والسلاطين وتواترت بينهم المكاتبات حيث كان هؤلاء الأمراء والسلاطين يسترشدون بآرائهم ويحترمون توجيهاتهم وهذا ليس بدعا في سلاطين حضرموت فالسلطان بدر بوطويرق رجل الدولة الكثيرية الأولى جعل مستشاره والمتحدث باسمه واحد من كبار رجال العلم وهو العلامة عبدالله بن عمر بامخرمة.

وقال الأستاذ الشاطري ولكنا إذا بحثنا عن ماهية هذا الاتصال نجده لا يتعدى توجيههم نحو المنافع العامة وإلا فقد كان للعلويين من النفوذ الروحي بين رجال القبائل وحملة السلاح بحضرموت ما يمكن أي طامح للملك أن يستغله لإقامة دولة بسهولة.

وقد نشأت الكثير من الدول بسبب هذا الطموح فدولة العمودي بحضرموت نشأت بتأثير النفوذ الروحي للشيخ سعيد بن عيسى العمودي زميل الفقيه المقدم ثم تحولت بعده إلى ملك عضوض كان فيه قتال وسفك دماء ودولة الإدريسي بصبيا نشأت من النفوذ الروحي للسيد الإدريسي بل إن كثير من الدول الإسلامية نشأت بفعل هذا النفوذ الروحي والعصبية القبلية.

وفي تاريخ حضرموت كثير من الوقائع التي تؤكد عزوف العلويين عن مباشرة الحكم كواقعة زين العابدين العيدروس مع الحسن بن القاسم إمام الزيدية وفي رفض الشيخ الحسن بن أبي بكر بن سالم قبول السلطنة بعدما تنازل السلطان الكثيري عنها وفي حادثة الحسين بن سهل في التراجع عن قبول بلدية ومالية تريم من الأمير عبد الله عوض غرامة.

ولم تصدر من العلويين أي مغامرة خلال أكثر من ألف ومائتين سنة لتأسيس دولة أو إنشاء إمارة بحضرموت كما صدرت من أبناء عمومتهم أشراف الحجاز وأئمة اليمن وسلاطين

المغرب. ولا يمكن أن نسمي الفترة التي اضطر فيها الإمام طاهر بن الحسين بن طاهر في إعلان نفسه خليفة كما سيرد في هذا الباب إلا محاولة لوقف الفوضى العامة بحضرموت وإيجاد والٍ عادلٍ يقيم شرع الله ويحفظ الأموال والأنفس بعد ما عمت الفوضى حضرموت واضطربت الأمور إلى أبعد الحدود وقتلت الأنفس البريئة وسلبت الأموال وهتكت الأعراض وفشلت كل محاولات العلويين لطلب المعونة من الخارج والداخل لإقامة والٍ عادل بحضرموت ومع ذلك لم تصمد محاولة الحبيب طاهر بن الحسين لإقامة خلافة إسلامية وإنما كانت كغمضة عين عاد بعدها الحبيب طاهر إلى عبادته ومصلاه.

وسنستعرض فيما يأتي بعض الزعامات السياسية من العلويين بحضرموت.

الشيخ أبو بكر بن سالم[١]

(٩١٩-٩٩٢هـ)

وقد سبقت ترجمته في الطبقة الثانية من العلويين.

الإمام طاهر بن الحسين[٢]

(١١٨٤-١٢٤١هـ)

ولد بتريم وحفظ القرآن الكريم ونشأ بها نشأة دينية ثم انتقل مع أسرته من تريم إلى مسيلة آل شيخ في حدود سنة ١٢٠٨هـ بسبب ما تعرضت له أسرته من العسف من حاكم تريم الأمير عبدالله غرامة اليافعي.

---

(١) عبد الله بن محمد السقاف تاريخ الشعراء الحضرميين مكتبة المعارف بالطائف الجزء الأول صفحة ١٦٧-١٦٩.

(٢) تاريخ الدولة الكثيرية محمد بن هاشم صفحة ١٦٠.

وقد عرف الحبيب طاهر بالاستقامة التامة والأخلاق الفاضلة مقتصداً في الملبس والمطعم شغوفاً بإطفاء الفتن والإصلاح بين المتخاصمين وقد أصلح بين الكسادي صاحب المكلا وبين ابن بريك صاحب الشحر حين استفحل بينهما الشر ونشبت الحرب وتضرر الناس من ذلك بسبب توقف القوافل التي تصل الداخل بالساحل فانطفأت بجهود الحبيب طاهر الفتنة وزالت عن الناس المحنة.

ولما التهبت نيران الفتن في حضرموت في سنة ١٢٢٠هـ وأصبح الناس خائفين على أموالهم وأنفسهم وأعراضهم كما غزا الأخوان حضرموت في نفس الفترة فازداد الأمر على الناس فاضطر الإمام طاهر بن الحسين إلى دعوة أولاده وعشيرته وأهل بلدته لحمل السلاح والدفاع عن أنفسهم وأموالهم وأعراضهم رغم كراهية العلويين لذلك الأمر.

واتفق السادة ورؤساء القبائل من تميم وآل كثير في آخر محرم من عام ١٢٢٦هـ على حمل السلاح لنصرة الشريعة وبايعوا الحبيب طاهر بن الحسين بن طاهر إماماً عليهم وحمل الإمام طاهر بنفسه السلاح وتلقب بناصر الدين وكان يخطب الناس في الجمعة متقلداً سيفه وحاملاً بندقيته رغم أن بعض العلويين أنكروا عليه ترك المبدأ الذي وضعه للعلويين جدهم الفقيه المقدم الذي كسر السيف وترك السلاح فرد عليهم الحبيب طاهر بقوله لو حضر الفقيه المقدم زماننا هذا لأمر بتجنيد النساء فضلاً عن الرجال.

ثم زحف الإمام طاهر بن الحسين بمن معه من السادة والقبائل على تريم لتخليصها من شر عبدالله غرامة والقبائل الظالمة التي تحكمها وحاصر تريم لفترة إلا أن حاكم تريم الداهية عبدالله غرامة الذي يعرف طبيعة العلويين وطيبتهم أرسل إليه بعض العجائز يشكين ما حصلن عليهن من الضرر بفعل الحصار فتأثر الحبيب طاهر لحالهن وسارع برفع الحصار عن تريم وعاد بمن معه إلى المسيلة. لا أن تحالف القبائل مع الحبيب طاهر لم يلبث أن انفرط حيث يصعب على القبائل الحضرمية التي تعودت على السلب والنهب وظلم المساكين يصعب عليها أن تتقيد بالأحكام الشرعية ولهذا حاول الحبيب طاهر إنقاذ ما يمكن إنقاذه

فأقام نواباً عنه من القبائل والسادة كل على قومه ليقوموا برد القبائل عن الظلم وإرشادهم إلى تطبيق الشرع الشريف.

الحبيب أحمد بن عمر بن سميط

(١١٧٧-١٢٥٧هـ)



ولد الحبيب أحمد بن عمر بن سميط في مدينة شبام وتعلم القرآن لدى بعض أهل شبام إلا أن والده أرسله فيما بعد إلى تريم لتعلم القرآن في معلامة باغريب على يد الشيخ عمر بن عبدالله باغريب ثم أكمل تعلم القرآن بقبة أبي مريم بتريم ثم درس على علماء تريم وأخذ أغلب علومه عن والده بشبام الذي قرأ عليه كثيراً من الكتب في مختلف الفنون والعلوم وكان والده شغوفاً بالقراءة حتى بلغ به الأمر أن حضر وليمة زواج بشبام وجلس في آخر المجلس وطلب من ابنه الحبيب أحمد بن عمر أن يقرأ له فقرأ عليه حتى حضر الطعام[١]. واستمر الحبيب أحمد بن عمر في خدمة والده حتى وفاة والده ثم اتصل بعد ذلك بعلماء تريم وسيؤون وتريس وكان يمشي لكل بلد مرة في الأسبوع للأخذ العلمي وكلها مسافات ليست بالقصيرة.

ثم جلس للتدريس بشبام فازدحم على دروسه الطلاب من كل حدب وصوب وقد أخذ عنه مجموعة من الشخصيات الكبيرة منهم الحبيب حسن بن صالح البحر والحبيب عيدروس بن عمر الحبشي والحبيب محسن بن علوي السقاف والسيد أحمد بن علي الجنيد والحبيب محمد بن حسين الحبشي والشيخ عبدالله بن أحمد باسودان والحبيب أحمد بن محمد المحضار ومجموعة من علماء ومشايخ شبام من آل باذيب وآل بكار وآل باجمال. وعلق

---

(١) دحمان عبد الله لعجم مجموع مواعظ وكلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط دار الفتح للنشر صفحة ١٧-١٩.

الأستاذ محمد بن أبي بكر باذيب على ذلك فقال «وفي ظني أنه لم يتوفر لعلم من أعلام حضرموت أن أخذ عنه مثل هؤلاء الأكابر»[١]. وعرف الحبيب أحمد بن عمر بن سميط بالزهد والتواضع والإعراض عن الدنيا وحج بيت الله الحرام سنة ١٢١٢هـ ولكنه كان مقلاً في التأليف.

أما نهضة الحبيب أحمد بن عمر بن سميط العلمية في شبام فقد بنيت على رأي ثاقب وعلم واسع مع التشديد على الدعاة في أداء واجبهم مع إرسال الدعاة إلى القرى البعيده والبوادي النائية وإنشاء الكتاتيب للتعليم ووضع نظامها وطريقة عملها كما حارب الحبيب أحمد بن عمر الهجرة الطويلة لغرض جمع المال وتكلم عن ذلك كثيراً وكان يكرر في كلامه من القول: من بايجلس في حضرموت يبني أمره على قول سيدنا الحداد:

يصبر على الطاعة والقناعة ... والفقر والإقلال والمجاعة
فما الشجاعة غير صبر ساعة ... والفوز في العقبى لكل صبار

ثم قال ولا يتجشم الواحد الغرب من عقبه إلى غبه (الأمواج العاتية) وإذا شق عليه ضيق العيش يذكر القبر[٢].

واهتم الحبيب أحمد بن عمر بن سميط بتحسين الحالة المالية لأهل شبام فقرن فقراء شبام بأغنيائها بحيث يكون رأس المال على الأغنياء منهم وعلى الفقراء الجهد والعمل والربح مناصفة بين الطرفين وقد نجحت هذه الطريقة واستفاد منها الفقراء والأغنياء بشبام ولم يكتف الحبيب أحمد بن عمر بن سميط بذلك بل بذل جهداً واسعاً في محاربة الربا كما ابتكر أساليب شرعية لإقراض المال بعيدة عن الربا وحيل الربا.

---

(١) دحمان عبدالله لعجم مجموع مواعظ وكلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط دار الفتح للنشر صفحة ٢٨.
(٢) دحمان عبدالله لعجم مجموع مواعظ وكلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط دار الفتح للنشر صفحة ٢١٢.

كما بذل الحبيب أحمد بن عمر بن سميط جهداً في تعليم الفتيات لأجل تربية الأجيال الصالحة وأثمرت جهوده حتى لقد صارت النساء تنهى رجالها عن المخالفات الشرعية. كما لم يترك الحبيب أحمد بن عمر بن سميط فرصة إلا ودعا إلى إقامة والٍ عادل بحضرموت يجمع كلمة الناس ويطبق الشرع الشريف ويؤمن البلاد والعباد ورغم علاقته الطيبة بسلطان شبام منصور بن عمر الكثيري الذي حج معه سوياً إلا أن الحبيب أحمد بن عمر بن سميط كان يطمح إلى والٍ عادل يجمع القطر الحضرمي كله ويعتقد أن منع وجود الوالي العادل هو من العقوبة على أهل حضرموت وكان ينشر آراءه في كل مجالسه ويكررها في خطبه وأشعاره. وكان الحبيب أحمد بن عمر بن سميط يخاطب السلاطين وأهل النفوذ فيما فيه مصلحة البلاد والعباد[١].

الحبيب حسن بن صالح البحر

١١٩١-١٢٧٣هـ

ولد الحبيب حسن بن صالح البحر بقرية خلع راشد القريبة من سيؤون والمعروفة حاليا بالحوطة وتوفي والده وهو رضيع فكفلته أمه وكفله جده لأمه السيد عيدروس بن أبي بكر الجفري وتعلم القرآن والعلوم الأولية على يد الشيخ العلامة عبدالله بن سعد بن سمير وكان يذهب مع شيخه مشياً إلى شبام لسماع دروس الحبيب عمر بن زين بن سميط كما تلقى الحبيب حسن بن صالح البحر العلم عن كثير من علماء زمانه ثم أخذ يقوم بتعليم العلم وله أسلوب أخاذ في التعليم والوعظ والإرشاد وكانت مجالسه مزدحمة بالطلاب والمستمعين.

---

(١) دحمان عبد الله لعجم مجموع مواعظ وكلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط دار الفتح للنشر صفحة ٣٥-٣٧.



إطلال منزل الحبيب حسن بن صالح البحر ببلدة ذي أصبح

وفي سنة **١٢١٣هـ** بنى مسجده وبيته بقرية ذي أصبح وأصبحت بعد ذلك موطنه وموطن ذريته من بعده واكتسبت هذه القرية المجهولة بوجوده أهمية كبيرة في تاريخ حضرموت.

وقد بلغ الحبيب حسن بن صالح من العبادة والورع حداً لم يبلغه أحد مثله في عصره فكان كثير التلاوة للقرآن الكريم ويتهجد كل ليله بنصف القرآن وقد حج سبع مرات وكان أثناء مقامه بمكة يطوف بالكعبة كل ليلة من منتصف الليل إلى طلوع الفجر يتلوا كتاب ربه في طوافه.

وللحبيب حسن بن صالح البحر أدوار كثيرة في إطفاء الفتن بحضرموت والإصلاح بين القبائل والسلاطين وقد جاءت أخباره متفرقة بين ثنايا هذا الكتاب (انتهى باختصار)[1].

---

(١) عبد الله بن محمد بن حامد السقاف تاريخ الشعراء الحضرميين الناشر مكتبة المعارف بالطائف الجزء الثالث صفحة ١٤٥-١٦١.

وقد بلغ الحبيب حسن بن صالح البحر مبلغاً عظيماً في حب المساكين والعطف عليهم وإطعامهم ذكرنا بعضاً منها في باب العلويين وحب المساكين

أما قناعة الحبيب حسن بن صالح البحر وتوكله على الله فتدل عليها القصة التالية التي ذكرها ابن عبيدالله في بضائع التابوت نقلاً عن والده فقال[1]: وحدث الوالد يرحمه الله أن الثروة كانت لذلك العهد في أهل الغرفة ولهم في الحبيب حسن بن صالح جميل اعتقاد حتى لقد كان الشيخ أحمد بن علي طرموم يدفع لمن يبشره بقدوم الحبيب حسن إلى الغرفة كسوه كاملة فترى الصبيان له بالمرصاد حتى إذا أبصروه تسابقوا إلى طرموم ليخبروه فيكسوا السابق ثم لا يحرم الباقين.

ثم أحب الشيخ أحمد طرموم هو وغيره من أهل الغرفة أن يشتروا نخلاً للحبيب حسن يكفي لاخترافه واختراف ضيوفه على الأقل وقالوا لا يكلمه في ذلك إلا شماخ خادمه فلما كلمه شماخ استعاد الحبيب حسن الحديث وكان في سمعه ضعف نتيجة اغتساله لكل فريضة ولما استوضحه الأمر انتهره وقال له أيريد أهل الغرفة أن يدخلوا بيني وبين ربي والله لأنا أوثق بما عنده مما في يدي فضلاً عن غيره (انتهى).

قال ابن عبيدالله وكان في نفسي شيءٌ من اقتران الإمام البحر بابنة دحمي وهو من أهل الثروة مع صدق زهد الإمام البحر ورسوخ توكله على الله حتى علمت أنه لم يخطبها ولم تكن له وإنما خطبها السلطان عبدالله بن محسن فلم يجد أبوها ما يعتذر به عن قبوله إلا قوله إنها مخطوبة للحبيب حسن بن صالح ثم أرسل للحبيب حسن بالخبر وألح عليه في البناء بها وكان الحبيب حسن متزوج بامرأة عزيزة عليه جداً وهي أم ابنه قرة العين عبيدالله ومع ذلك فلم يكن من الإجابة بد فاقترن بها سراً غير أنه لما شرع في ورده امتلأ بالمعبود فغاب عن الوجود وكان كثيراً ما يأخذه ذلك الحال العظيم فانكشف أمر زواجه وغضبت تلك المرأة

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثالث صفحة ٢٢٤.

فاخبرها بالعذر وقال لها ما يرضيك قالت لا يرضيني إلا أمتك رحمة تعطيني إياها لأعتقها في سبيل الله حتى يعتق الله رقبتي من النار فزاد بذلك مقامها عنده وعظم قدرها (انتهى)[1].

قال ابن عبيدالله: ولقد أتي ذات يوم للحبيب حسن بكثير من الدراهم ففرقها يومها وأعطى لكل من أولاده ما أراد ففرحوا بذلك إلا ابنه عبدالله وكان أفضل بنيه فإنه لم يقبلها وقال لأبيه ما أصنع بها فلا أريد إلا الدعاء بالثبات على الإيمان فسر منه كثيراً وقال له قرت بك عيني فأطلق عليه هذا اللقب (قرة العين) من يومئذ وغلب عليه التأله والانقطاع للعبادة مع ورع حاجز وغيرة شديدة على الدين وكرم فائض للخاص والعام (انتهى).

أما مشاركات الحبيب حسن بن صالح السياسية والاجتماعية فهي كثيرة وقد أشير إليها في كثير من المواضع بهذا الكتاب قال ابن عبيدالله [2]: وقد حاول الحبيب حسن بن صالح أن يجمع سلاطين حضرموت الثلاثة لذلك الوقت وهم غالب بن محسن ومنصور بن عمر والقعيطي في دولة واحده تقيم الشريعة مع استقلال كل منهم بدولته استقلالاً داخلياً فوافقه السلطان غالب بن محسن بكل سرور وارتياح وتأكد لهم صدق رغبته بتنفيذ حدود الله حتى على أخيه أو من هو أقرب منه وأما منصور بن عمر فوارب في الجواب وأما نواب القعيطي في القطن فلم يحسنوا الإجابة بالكلية ويفهم من الأحداث التاريخية التالية أطماع القعيطي الرابض في القطن في الامتداد بأراضي حضرموت والاستيلاء على دولة منصور بن عمر في شبام (انتهى). وذكرنا في فصل سابق مداعبات الشيخ عتيق باجبير للحبيب حسن بن صالح وتقبله لكل ذلك بصدر رحب وخاطر منشرح.

وقد توفي الحبيب حسن بن صالح في بلدة ذي أصبح، وفي عام **١٣٧٣**هـ أي بعد مائة عام من وفاته أراد العلامة ابن عبيدالله أن يعمل احتفالاً كبيراً بهذه المناسبة فكتب

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثالث صفحة **٢٢٤**.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الأول صفحة **٤٧٥**.

للحبيب مصطفى المحضار فقال له لا تعمل لا أنت تقدر ولا يقدر أحد يعمل بعدك فلم يعمل الاحتفال (انتهى)[١].

الحبيب عبد الله بن عمر بن يحيى

(١٢٠٩-١٢٦٥هـ)

ولد بالمسيلة وتتلمذ على يد والده وخاله الحبيب طاهر بن حسين بن طاهر ثم على يد عدد من العلماء بالمسيلة وتريم وسيؤون وشبام منهم خاله الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر والعلامة الحبيب حسن بن صالح البحر والحبيب أحمد بن عمر بن سميط. ظهر نبوغه العلمي منذ الصغر فحفظ كثير من الحواشي والمتون وأذن له مشايخه بالتدريس منذ شبابه ومن تلاميذه الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي.

وقد تبحر في علم الفقه وله الفتاوى الكبرى التي اختصرها العلامة السيد عبدالرحمن بن محمد المشهور في كتاب بغية المسترشدين. وبلغ من ذكائه وعلمه أنه لما وصل جاوا سنة ١٢٢٧هـ حكموه في قضية تركة المثري السيد حسين بن عبدالرحمن عيديد والتي عجز الحكام والعلماء بجاوا عن الفصل فيها فحكم فيها حكماً منصفاً مدهشاً.

أما عبادته وتهجده فقد ذكر أنه لم يصل فرض منفرداً قط ولم يترك التهجد من صغره أبداً تالياً فيه في كل ركعة من تهجده ثلث القرآن وهو من المطيلين للصلاة حتى أنه يمكث في الصلاة المفروضة أربعين دقيقه فما بالك بالسنن والرواتب وصلاة التهجد حتى أنه يقال إن رجليه ورمتا من كثرة القيام في الصلاة.

وقد مرض الحبيب عبدالله مرضاً أدنف فيه فتوجه الحبيب حسن بن صالح البحر بالدعاء له بالشفاء كما توجهت الجموع المحبة له بالدعاء له بالشفاء وتكاثرت لأجل ذلك

---

(١) طه حسن السقاف حواشي كتاب الأمالي دار الأصول صفحة ٤٠.

الصدقات حتى شفاه الله. وقد حج الحبيب عبدالله بيت الله وزار مسجد رسوله وأخذ أثناء إقامته بالحرمين عن العلامة الشيخ عمر عبدالرسول العطار كما مر باليمن وتلقى العلم على العلامة السيد عبدالرحمن بن سليمان الأهدل

وإضافة إلى انقطاع الحبيب عبدالله بن عمر بن يحيى للعبادة إلا أنه كان مشاركاً في الشؤون العامة وفي الأمور السياسية. فقد حمل السلاح في حركة خاله الحبيب طاهر بن الحسين سنة ١٢٢٤هـ كما شارك في المفاوضات السياسية التي أدت إلى تأسيس الدولة الكثيرية الثانية وأقنع حاكم تريم المقدم عبدالله غرامة ببيع ناصفة تريم للسلطان غالب بن محسن الكثيري وكان ذلك البداية لتوطيد السلطة الكثيرية بحضرموت. وقد وردت في أماكن أخرى من هذا الكتاب بعض أخبار شجاعته في مواجهة عبيد غرامة وفي معارضة الاستعمار الهولندي باندونيسيا وتوفي بالمسيلة من حضرموت (انتهى)[١].

وكان الحبيب عبدالله بن عمر بن يحيى آية في الكرم والسخاء وإطعام الطعام والصدقة كان لا ينقطع عن بيته الضيوف ويفرح بهم وإذا انقطع عنه الضيوف يحس بالانقباض[٢].

كما كان يتساوى عنده الناس في المعاملة القوي والضعيف والشريف والوضيع والعدو والصديق يجهر بالحق ولا يخاف في الله لومة لائم[٣].

قال بن عبيدالله في العود الهندي وحدثني الفاضل الوجيه السيد حسن بن محمد بلفقيه عمن حضر دفن سيدنا عبدالله بن عمر بن يحيى وكان يوما مشهودا لم يتأخر عنه أحد من رجالات حضرموت وهي إذ ذاك بهم ملآنة قال إنهم لما انصرفوا من دفنه اجتمعوا في بيته فأنشد بعض الحداة بقصيدة القطب الحداد:

---

(١) عبدالله بن محمد بن حامد السقاف تاريخ الشعراء الحضرميين الناشر مكتبة المعارف بالطائف الجزء الثالث صفحة ٢٠٨-٢١٣.

(٢) محمد علوي بن يحيى شرف المحيا في تراجم عدد من آل بن يحيى تريم للدراسات والنشر ٣٢.

(٣) محمد علوي بن يحيى شرف المحيا في تراجم عدد من آل بن يحيى تريم للدراسات والنشر صفحة ٣٢.

تفيض عيوني بالدموع السواكب ... ومالي لا أبكي على خير ذاهب

فلا تسل عما حصل من النشيج وارتفع من الضجيج وسال من العبرات وتصاعد من الزفرات حتى لقد كانت تحمل الجنائز[١].

الحبيب محسن بن علوي السقاف

(١٢١١-١٢٩٠هـ)



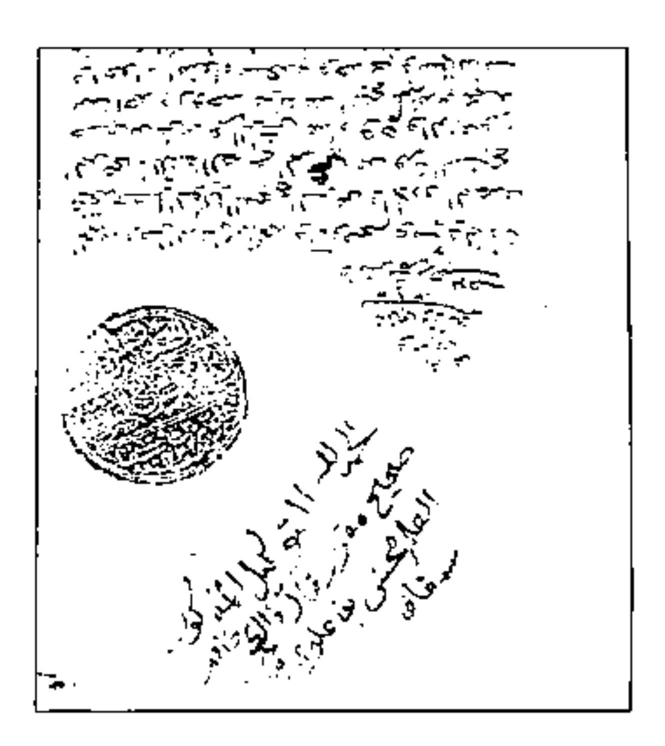
وصف ابن عبيدالله[٢] جده الحبيب محسن وصفاً يعتمد على قراءته للتاريخ فقال: لم تعرف البلاد عظيماً مثله منذ وطئتها أقدام جدنا عمر الصافي ولئن تفضل عليه أبوه وجده طه بن عمر الثاني وأخوه علي بالتبحر في الفقه فقد اختص هو بخصوصيات لا يناهزه فيها أحد ومن ذا الذي أقعد دولة وأقام أخرى سواه (انتهى).

وقد ولد الحبيب محسن بن علوي في سيؤون وتربى على يد والده وأعمامه وظهرت عليه علائم القيادة والنبوغ من بداية حياته وتوفي والده وهو لم يكمل الأربع وعشرين سنة فطلب لتولى القضاء بل تولى أعباء البلاد الحضرمية كلها ولم يكن راغباً في تولي القضاء لولا الإصرار على ذلك من شيخه الحبيب حسن بن صالح البحر وأعمامه وقرابته فتولى القضاء على مضض وعانى في تحمله الكثير من المشاق.

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف العود الهندي دار المنهاج الجزء الأول صفحة ١٢١.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثالث صفحة ٢١٦.



خط الحبيب محسن وخاتمه

وإذا أردنا أن تكلم عن سياسته وبعد نظره فلا أدل على ذلك من استشفافه إمكانية إحياء الدولة الكثيرية بعد معاناة شديدة مع الطوائف اليافعية التي حكمت حضرموت مائة وخمسين سنة كما ذكرنا في موضع آخر بهذا الكتاب، وعدم توفر قوة أخرى داخلية أو خارجية يمكنها أن تقيم دولة في حضرموت تقيم الشرع وتحمي العباد والبلاد بحضرموت ولهذا لما أخبر السلطان أحمد الكثيري الحبيب محسن بإرسال السلطان غالب بن محسن بدراهم كثيرة من الهند لإقامة منزل له ببلدة تاربة عرف الحبيب محسن بثاقب نظره أن ما أرسله غالب ما هو إلا جزء مما يملكه وأن لديه ثروة كبيرة بإمكانه أن يستخدمها لاستعادة ملك آبائه بحضرموت لذا قال الحبيب محسن بن علوي للسلطان أحمد بأننا لا نريد غالب أن يبني بيتاً ولكننا نريده أن يبني ملكاً في حضرموت وبعقب ذلك تم شراء بلدة الغرفة لآل كثير لتكون النواة التي تنطلق منها الدولة الكثيرية الثانية.

قال ابن عبيدالله ولم يكتف الحبيب محسن بتأييد السلطان غالب بن محسن وجمع الأنصار له ومكاتبة أغنياء العلويين لمساعدته بل إنه أخذ يمهد الطريق لفتح سيؤون بعد استيلاء آل كثير على تريم فعقد الصداقة بين آل عبدالله الكثيريين وبعض آل الضبي اليافعيين من حكام سيؤون حتى يفتحوا الأبواب لجيش الدولة الكثيرية يوم نزوله بساحتهم أو يمتنعوا على الأقل عن مساعدة أصحابهم[١].

قال ابن عبيدالله وفي تلك الأثناء كان ينال الجد محسن شيء من أذى بعض رؤساء يافع غير أنه لا ينال من همته ولا يثني من عزيمته.

أما شجاعة الحبيب محسن بن علوي السقاف فتتمثل في مقاومته ليافع بسيؤون رغم ظلمهم وجهلهم غير آبه بما قد يتعرض له منهم قال ابن عبيدالله إن الحبيب محسن جمع أعيان سيؤون للكلام مع يافع ولما اجتمعوا تكلم الأعيان بمدح يافع ورغبتهم في ردع العبيد والسفهاء منهم وإصلاح الحال ثم تكلم الحبيب محسن في آخرهم فقال: ما قاله الجماعة لكم كذب فنحن لا نحبكم ولا ندعو لكم بل نبغضكم وندعوا عليكم إلا أن نهضتم بإصلاح البلاد وإزالة المنكرات والتوبة الصادقة وإلا فأنتم زائلون وهذا آخر مجلس بيننا وبينكم فقال زعيم يافع سنتشاور فيما بيننا فقال الحبيب محسن ليس فيما طلبناه من إزالة المنكرات مشاورة فقالوا لن نرجع لكم جواباً إلا بعد المشاورة فصاح الحبيب محسن ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾ وكررها[٢].

إلا أن يافع قبضت على الحبيب محسن ومجموعة من أعيان سيؤون من السادة وغير السادة ينتهي عددهم إلى العشرين نفراً وساقوهم فاتحة صفر سنة ١٢٦٤هـ إلى دار الشيخ محمد بن عبدالله بارجاء خطيب جامع سيؤون فلم يرض الشيخ أن يؤذى أحد من أولئك

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة إدام القوت الجزء الثاني قسم ٢ صفحة ٢٨.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثاني مجلد ٢ صفحة ٢٧-٢٨.

الأعيان بالحبس في داره فألح على يافع في إخراجهم منه فأخرجوهم إلى دار الشيخ عبدالله بن زين باسلامة وبقوا في دار باسلامة أربعة أيام وتكلم بعضهم على الحبيب محسن بكلام قبيح ثم قرروا أن يسمحوا له بالذهاب لصلاة الجمعة بمراقبه فلم يرض[١].

كما تعرض الحبيب محسن للقتل عندما عاودت يافع الهجوم على حضرموت بعد خروجها بمساعدة القعيطي في جيش كبير وأشيع أن هذا الجيش يحمل القيود باسم الحبيب محسن وباسم آخرين من أعيان السادة.

ويتمثل دهاء الحبيب محسن بن علوي في واقعة أخرى مهمة ساهمت في المحافظة على استمرار الدولة الكثيرية الثانية ذلك أنه لما توفي السلطان غالب بن محسن الكثيري طمع اثنان من خلفائه الأقوياء في الملك وهما ابن أخت السلطان غالب عبود بن سالم وشقيق السلطان غالب أحمد بن محسن إلا أن الحبيب محسن ببعد نظره وثاقب فكره أحس أنهما غير مؤهلان لقيادة الدولة الجديدة وضمان بقائها أما الأول فرغم شجاعته وبسالته وكونه المؤسس الحقيقي للدولة وكونه قد لعب الدور الذي لعبه أبومسلم الخرساني في تأسيس الدولة العباسية إلا أنه كان رجلاً ظالماً قصير النظر في السياسة كما أن التوفيق لم يكن يحالفه في غزواته وقد اختلف مع العلويين وقسى على العامة ومما يدل على قصر نظره أن اثنين من البدو غررا به رغم نصيحة المحنكين من أصحابه واستصحباه في رحلة سفر اغتالاه في أثنائها وأما الثاني فلم أجد في كتب التاريخ ما يدل على تأهله للقيادة والملك غير كونه شقيق السلطان.

ولهذا لما فرغ الناس من دفن السلطان غالب بن محسن سأل الحبيب محسن بن علوي عن ابنه منصور بن غالب ولم يكن قد تجاوز السادسة عشر من العمر وظن الناس أنه سيعزيه في والده ولكن لما جاء منصور خلع الحبيب محسن عمامته وأمام دهشة الجميع ألبسها منصور وأعلن توليته بعد أبيه وبهذه الحركة البعيدة النظر ضمن الحبيب محسن للدولة الكثيرية الثانية

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثاني مجلد ٢ صفحة ٢٨-٢٩.

أن تستمر لمائة سنة قادمة ومن المدهش أيضاً في هذه الحادثة قبول هذه الشخصيات القوية لهذه التولية دون أي نزاع ولا اعتراض.

وأما ثبات قلب الحبيب محسن ووقار ركنه واستجماع رأيه وحسن سياسته فيظهر في تعامله مع قطاع الطريق قال ابن عبيدالله في بضائع التابوت خرج الجد محسن قاصداً الشحر ولما كانوا ليلاً في الطريق أقبل عليهم رجلان يرتعدان وكان الجد محسن يجلس بعيداً عن القوم منشغلاً بقراءة راتب الحداد وغيره من الأوراد فقال لهم ما شأنكم قالوا قوم واصلة إلينا وقد نهبوا قوماً قبلنا فصاح الجد محسن على قافلته بالرحيل حتى الوصول إلى الماء وشجعهم وقال لهم إن معكم الشريعة فلن تنهزموا فثابت إليهم نفوسهم والبادية تطلق الشريعة على القاضي قال الجد محسن وارتحلنا ولم ننزل إلا عند الماء وما انشق الفجر إلا والقوم مقبلون علينا من جوانب الجبل ومن أعلاه فشجعنا أصحابنا فصبروا على قلتهم والتحم الحرب إلى آخر وقت العصر حتى اشتد بهم العطش فسالمونا ليحصلوا على الماء وحصل الفرج وسلم الله من شرورهم.

قال ابن عبيدالله وكان بمعية الجد في تلك السفرة رجل قوي البنية جهير الصوت من آل سيؤون يقال له فضل فعندما أقبل القوم أشار عليه الجد أن يناديهم بأعلى صوته ويقول لهم يا ذي القوم إنكم عشانا لتخويفهم وتثبيطهم فلم يكن من فضل إلا أن صاح عليهم بأعلى صوته ولكنه قلب من خوفه الكلام المراد فقال يا ذي القوم والله إننا عشاكم ولكن القوم من لطف الله لم يفهموا الغلط وإلا لاشتد طمعهم فينا[1].

كما تظهر مضاء عزيمة الجد محسن في نفس هذه السفرة عندما سأل الجماعة المرافقين له في السفر عن أسمائهم فقالوا الكليبي وبالخاش وابن قويران فتطير من هذه الأسماء ولكنه استمر على عزمه وقال لهم هذه الألقاب فما الأسماء قالوا سعد وسعيد وسالم فسكنت نفسه واطمأن خاطره. أما دبلوماسيته فتتوضح باتصالاته مع مراكز القوى بداخل حضرموت

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء صفحة.

وخارجها ومحاولته الاستعانة بإمام اليمن وسلطان ظفار والعثمانيين ومحمد علي باشا ومكاتباته معهم.

وأما كياسة الحبيب محسن بن علوي السقاف وحسن سياسته فتتضح في الطريقة التي سلكها في إرشاد السادة من آل الشيخ أبوبكر قال ابن عبيدالله ولقد كان الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر (١١٩١-١٢٧٢هـ) مهتماً بإرشاد السادة آل الشيخ أبي بكر بن سالم فأرسل لهم السيد عمر بن عبدالله بن يحيى غير أنه تشدد في الدعوة والإرشاد فلم يقبلوا منه ولم يأخذوا عنه بل أساء بعضهم الأدب عليه ثم طلب الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر من الزعيم محسن بن علوي القيام بهذه المهمة وكان قد جاء إلى زيارته مع أولاده الصغار ولم يترك له فرصه لإعادة أولاده إلى سيؤون بل طلب منه الذهاب مباشرة إلى عينات فسار إلى عينات مع أولاده ومعهم خادمه عبدون بن حيمد باصالح وهو ممن يحسن الغناء والسماع فكان أول ما يبدأ بالسماع حتى إذا اجتمع السادة وطربوا تكلم فيهم الحبيب محسن ووعظهم فقبلوا منه وتأثروا بكلامه وتركوا أزياءهم المشابهة لأزياء القبائل وما جاءت الجمعة إلا ونصفهم في لباس أبيض وعمائم بيضاء[١].

وأما عن لطافة الحبيب محسن وحسن جوابه فيتضح من رده على انتقاد الحبيب ابن يحيى له عند طلبه الاستئذان للوعظ بجامع تريم وكان الحبيب ابن يحيى قد انتقد في جامع تريم بعض ما ورد في ورد الإمام الحداد فقام آل الحداد وقطعوا جبته فرد الحبيب محسن على انتقادات بن يحيى بقوله أنا لا املك إلا جبة واحدة لو قطعوها لم أجد غيرها أما أنت فمعك عدة جبب إذا قطعوا واحدة لبست الأخرى.

وفي مراعاته للآخرين وحبه لنبذ ما يوجب الخلاف نرى قصته في إبطال الزيارة التي رتبها لتريم في آخر جمعة من محرم في كل عام يحضرها الجم الغفير ثم إن بعض السادة من تريم وهو الحبيب عيدروس بن محمد بن عيدروس العيدروس تأخر عن زيارة الجد محسن

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثالث صفحة ٢٠٦.

بن علوي سنة من السنين فسأل عنه الحبيب محسن فأخبروه بأنه مكدر من ازدحام الخلائق بتريم وخاف أن يقع الناس من ذلك في محذور فلم تعجبه الزيارة فلم يغضب الجد أو ينفعل بل سار إليه وهو بارد القلب ونادى بإبطال تلك الزيارة[١].

ومن ذلك تصرفه في قضية هلال العيد قال ابن عبيدالله: ولما أثبت الحبيب محسن هلال عيد الفطر لم يرق ذلك للسادة آل بن يحيى بالمسيلة فبعثوا بحمل من الكساء وحمل من الطعام ودراهم إلى السلطان غالب بن محسن الكثيري وطلبوا منه الإعلان بعدم دخول العيد وإعلان أن الغد من رمضان وحبس الشهود فجاء السلطان غالب إلى الحبيب محسن وأخبره بما أرسله له السادة آل بن يحيى وما طلبوه وأن الهدية وصلت والسلطان لا يملك شيئاً للعيد ثم قال السلطان للحبيب محسن أما الشهود فقد أرضيناهم واتفقنا معهم على حبسهم صورياً وأما إبطال العيد وإعلان الغد من رمضان فالأمر للحبيب محسن ولم يغضب الحبيب محسن من فعل السلطان، ولكنه لم يستجب لطلبه.

قال ابن عبيدالله وكان الجد محسن رحمة تامة بالضعفاء والمساكين ومن لا ناصر له إلا الله يعود مرضاهم ويشيع جنائزهم ويدخل عليهم السرور ويسعى في قضاء حاجاتهم وتكاد تطير روحه إشفاقاً عندما تتبين له منهم آثار الضراء والبؤس وكان يحكى عن جده الحبيب سقاف بن محمد أمثال ذلك التأثر والانفعال لحاجات أهل العفة من الرجال.

قال ابن عبيدالله إن الجد محسن بن علوي كان ذاهباً لصلاة عيد الفطر في نهاية أيام يافع بسيؤون فأشرف عليه صالح بن سالم بن هرهرة من نافذة محبسه وهو أعدى عدوه فقال له ادع لنا يا حبيب محسن بالفرج فإن غدائي اليوم في كسرة إبريق من الخزف فرق له الحبيب محسن وتبادرت دموعه على محجريه وآثره على عياله بأحسن طعامهم في ذلك اليوم[٢].

---

(١) علوي بن عبدالله السقاف التلخيص الشافي صفحة ١١٧-١١٨.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثاني مجلد ٢ صفحة ٤٨.

قال ابن عبيدالله وكانت ليافع عند زوالهم عن سيؤون ولاسيما نسائهم وأطفالهم رنات حزن مؤثرة وكيف لا ولفراق الأوطان عامة ما لا يخفى من الحسرة واللوعة حتى قرنه الله بالانتحار[١]. وكان الحبيب محسن بن علوي لرقة طبعه وفرط حنانه يتعمد مبارحة البلاد كلما عرف بعزم طائفة من يافع على الخروج كي لا يحس بشيء من تلك العبرات والزفرات[٢].

قال ابن عبيدالله[٣] وكان الجد محسن وصولاً لأرحامه متحملاً لشؤونهم وأثقالهم كافلاً لهم ولعائلاتهم حتى لقد زوج من إخوانه وأولادهم وأولاده نحواً من خمسين ومازال كافلاً لهم مع الإكرام التام حتى شب أولاده فتفرقوا فكان يواسيهم بحسب مجهوده ويسير إلى بيوتهم ويتفقدهم في غالب الأيام وربما دخل في اليوم الواحد خمسة ديار لأقاربه أو أكثر وإذا ضاق بأحد منهم عيشه تكدر كثيراً حتى يفرج الله عنه وكان يقاسي من أجلهم الصعاب ويتحمل المشاق ويقول في آخر وقته إن قدرنا على صلتهم بشيء وإلا فلا أقل من السلام وكان أولاده يعرفون ضعف صحته فيقولون له إنه لا يليق بك مع ضعف البدن وكبر السن أن تسير إلى بيوتهم فيأبى إلا زيارتهم وكان يقول ليس معي إلا بري وصلتي لأقاربي وأرحامي وقصدي لهم الخير.

قال ابن عبيدالله: وقلما يصل الحبيب محسن موضع درس الخميس بمسجد جده علي بن عبدالله السقاف إلا وقد زار سبعة أو ثمانية من بيوت أولي الحاجات فيكشف كرباتهم ويعزيهم ويعظم نعمة الله عليهم ثم يسعى جهده فيما يقضي حاجاتهم وينفس ضيقهم (انتهى)[٤]. قال ابن عبيدالله ولم يتمكن الجد محسن من أداء الحج بسبب ظروف البلاد المضطربة في تلك الفترة وما يتحمله الجد محسن من مسؤوليات تجاه البلاد والعباد إلا أنه لما قدم شوال

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة إدام القوت الجزء الثاني قسم ٢ صفحة ٣١.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة إدام القوت الجزء الثاني قسم ٢ صفحة ٣١.

(٣) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثالث صفحة ٢٢٢.

(٤) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثالث صفحة ٢٢٢.

وهو في الشحر تحرك العزم عنده للحج وشجعه الحبيب عبدالله بن عمر بن يحيى الذي كان موجوداً حينها بالشحر غير أنه قال لن أقدم على أمر حتى أستأذن مشايخي في حضرموت فكتب إليهم فأشاروا عليه بتأخيره لما يرون في إقامته من النفع العام لأهل الإسلام.

قال ابن عبيدالله: ثم إن المركب الذي عزم الجد محسن على الركوب فيه إلى الحجاز أدركه الغرق وهلك جميع من فيه وسلمه الله ببركة امتثاله لأمر مشايخه ودعائهم له.

و عن القدرة الخطابية للحبيب محسن بن علوي قال ابن عبيدالله إن العلامة أبوبكر بن شهاب أثنى على خطابة الجد محسن ثناءً جماً وقال مره لقد سمعته يخطب بجبانة تريم وشعب هود فما رأيت أحداً يفري فريه ولا يتكلم كلامه الذي يكاد يقتضب القلوب من بين الجوانح يقول ابن عبيدالله وإذا سمع ابن شهاب كلامي يقول له كأنما نفحك جدك بسره.

وقد قدم الجد محسن إلى شبام ولما انتهى من صلاة العصر بالجامع أخذ في التذكير وكان أحد تجار شبام لا يفارق حانوته غير أنه لما سمع كلام الحبيب محسن خلب قلبه فكان كلما رفع مفاتيح حانوته ليقوم وضعها فقلت له ما شأنك فقال أما ترى هذا السيد خيط ثيابي في الأرض كلما فرغ من فاكهة شرع في أخرى فشدهني عن نفسي وقطعني عن شغلي.

وكان الجد محسن لا يحضر إلى صلاة أو زيارة أو مجلس علم إلا حضر لحضوره الخلق الكثير والجم الغفير لأنه مغناطيس القلوب ولأنه عند الله وعند خلقه محبوب[١].

قال ابن عبيدالله[٢]وكان الجد محسن نير الفكر ثاقب الذهن وكان مرهف الحواس فحدث السيد عبدالقادر بن محمد السقاف فقال فلما خرجت من آخر الليل إلى مسجد طه إلا وناداني الوالد محسن حتى تلطفت ذات ليلة في المشي وخففت الوطأ ولم أعتمد إلا على أطراف أصابع رجلي فلم يكن منه إلا ناداني حسب العادة.

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء صفحة.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثالث صفحة ٢٢٥.

وقال ابن عبيدالله نقلاً عن عمه عبدالله بن محسن إن الشيخ أحمد جواس المعروف بالعاقل كان بالشحر فخرج بغتة مع صحب البريد لأمر أزعجه وانتهى إلى ساحة طه بعد العشاء ونحن نسمر مع الوالد في خير فقال لنا الوالد هذا حس أحمد جواس في الساحة فقلنا وأين منا أحمد جواس وهو بأقصى الشحر الآن ثم فأطل الوالد محسن من النافذة وقال يا أحمد جواس فتلكأ لأنه لا يحب أن يعلم به أحد قبل وصوله ولكن لم يسعه بعد تكرير النداء إلا الإجابة. قال العلامة ابن عبيدالله وأنت بالخيار إن تعد هذه وما جرى مجراها من ثقوب الذهن وقوة الحس وبين أن تعدها من نور البصيرة وصدق الإلهام (انتهى).

وقد فقد الجد محسن بصره في آخر حياته فاحتاج إلى قائد يأخذ بيده إلا أنه كان كثيراً ما ينبه قائده إذا غفل ويرد عليه إذا أخطأ. قال ابن عبيدالله أما كرامات الجد فأكبرها الاستقامة وقد رأيت من شواهدها ما تقر به العين وأما خوارق العادات وإن كانت كثيرة فإنه لم يذكر منها عنه إلا قليل بل إنه عند قراءات أخبار الكرامات المكتوبة في الكتب يأمر بتجاوزها ويقول لا كرامة إلا الاستقامة.

هذا ومن أعماله في مسجد جده طه إن هدم القبب الصنوبرية الشكل الموجودة بسطح المسجد حتى ينتفع الناس بالصلاة في السطح في الليل أثناء الصيف وذلك على نفقة صديقه الثرى عمر دحمي بافضل الذي قال له اعزم عليه ولا تهتم بالمصاريف وكان ذلك في شهر رمضان من سنة ١٢٨٦هـ واكتمل العمل في مدة لم تجاوز عشرة أيام ولم تأت ليلة سبعة وعشرين رمضان إلا وكان ختم مسجد طه في سطحه[1].

كما قام الجد محسن بعمارة وتجديد المسجد الجامع بسيؤون على نفقة الشيخ عبدالله بن على العولقي المقيم بالهند. فهدم المبنى القديم وأعاد بناءه بناءاً محكماً.

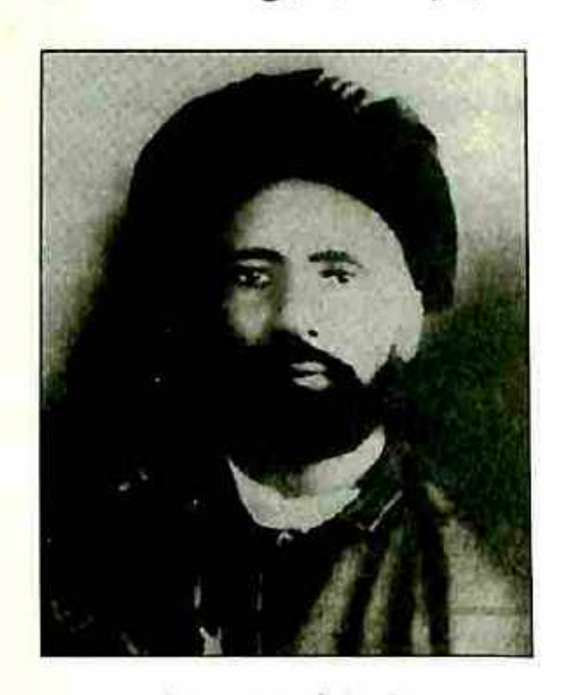
وأما عبادة الحبيب محسن وتهجده فقد ذكرناها في الفصل الخاص بعبادة العلويين.

---

(١) علوي بن عبدالله السقاف التلخيص الشافي صفحة ١٢١-١٢٢.

قال ابن عبيدالله[١] وفي اليوم الخامس من شهر رمضان المعظم من سنة **١٢٩٠هـ** توفي إلى رحمة الله الحبيب العلامة محسن بن علوي السقاف وكان قد أحرم بسنة الوضوء ووجه نفسه إلى القبلة ثم خرجت روحه الشريف رحمه الله رحمة الأبرار وأسكنه دار القرار.

الحبيب حسين بن حامد المحضار



(بسمارك حضرموت)

حسين بن حامد المحضار توفي سنة ١٣٤٥هـ

هناك وجه تشابه بين المستشار الألماني بسمارك وبين لحبيب حسين بن حامد المحضار الذي بسط سلطة الدولة القعيطية على أغلب القطر الحضرمي وخاض في سبيل ذلك حروب وعقد المعاهدات والأحلاف حتى تحقق له ما أراد ومثل ذلك فعله بسمارك الذي وحد ألمانيا وكان الحبيب حسين بن حامد قوي الشخصية عظيم الهمة ذو دهاء وسياسة وسنعقد مقارنه بينه وبين بسمارك في نهاية هذا الفصل.

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثالث صفحة ٢٤٣.

قال عنه ابن عبيدالله[١] في بضائع التابوت: كان بادئ أمره مشاركته الشيخين الجليلين عبدالله بن أبوبكر بن عبدالله باسودان وأخاه في وزارة السلطان عوض ثم استقل بها بعدهما وكان موضع ثقة السلطان عوض لإخلاصه في تدبير أموره ومغامرته في حروبه مع أهل حجر وغيرهم أما السلطان غالب فلقد ألقى إليه مقاليد السلطنة وفوض إليه الرفع والخفض والإبرام والنقض لا راد لأمره ولا معقب لحكمه وكان السلطان يمضي في الطوامير (الأوراق) الفارغة ليكتب السيد حسين فيها ما شاء تحت إمضائه بلا شرط ولا قيد وبلغ به الأمر أن يرد أمر السلطان غالب وينقض حكمه فلا يغضب عليه السلطان وكان لا يسمح للسلطان بكثرة الإنفاق إشفاقاً على خزينته

أما السلطان عوض بن عمر فقد تصرف معه كما تصرف الإمبراطور ولهم مع المستشار بسمارك لأنه كما قال ابن عبيدالله ناقشه في أواخر أمره الحساب واسمعه مر الكلام وأذاقه حر العتاب حتى احتاج الحبيب حسين للإنفاق في مصالح الدولة من خالص ماله وقد قال يحيى ابن الفرج بن زياده:

لا تغبطن وزيرا للملوك وإن	أناله الدهر منهم فوق همته
هارون وهو أخو موسى الشقيق له	لولا الوزارة لم يأخذ بلحيته

قال ابن عبيدالله وأخبرني السيد محمد بن عبدالله باهادون بأن السيد حسين بن حامد قال لولده وهو على فراش الموت إنني لقتيل عمر بن عوض[٢].

أما مبدأ الحبيب حسين بن حامد في السياسة فما يزال في غموض فهو كثير الألوان يتغير بتغاير الزمان ومن عادته الإهمال وعدم إتمام الأعمال لا يتقيد بنظام ولا قانون له غير

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثاني قسم ٢ صفحة ١٢٦-١٣٤.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثاني/ ٢ صفحة ١٢٦.

رأيه في الأحكام وما أكثر ما يوجد ذكر الإصلاح في شعره بين القعيطي وآل عبدالله حتى تم ذلك بمسعاه في عدن سنة ١٣٣٥هـ[١]

قال ابن عبيدالله[٢] وكان السيد حسين ينصف جلساءه ويعطي كلاً نصيبه من الكلام والنظر حتى يحسب كل واحد أنه أقرب الناس إليه.

جمع الوداعة والدماثة والاحتمال ولين الجانب وسعة الصدر والحنكة بمصائر الأمور وحوادث الدهور والقيام بوظائف العبادة والتهجد وله في استمالة القلوب وخلب العقول ما لا يبلغه التصور وإن كان كثيراً ما يضيم الوجهاء والرؤساء ويلوي بمواعيده لهم ويحجبهم عن الوصول إليه حتى يتذمرون وتضطرم صدورهم حقداً ثم متى قابلهم بالطلاقة والبشاشة وتقبيل رأس من يقبل يده زال كل ما اضطغنوه عليه.

وهو فكه وخفيف روح وصاحب دعابة خلابة وكانت له عناية بالضعفاء وشفقه عليهم في بادئ أمره وأورد ابن عبيدالله قصتين له في هذا المجال أوردناها في غير هذا الباب (انتهى).

وكان قوي الحجة[٣] شديد العارضة حاضر الجواب جريء اللسان كما كان سيال القريحة في الترسل الدارج والشعر الحميني ويعجبني بل يبكيني قوله من قصيدة قدمها للمرحوم السلطان غالب يستعفي من الوزارة:

حبيبـــــك المحـــــضار	مستعفي مـن الخدمـه وتـاب
شـــــيبه في الخمـــــسين	جا وقت الحصوده والصراب
والـــــشيب في اللحيـــــه	نسوحها كـما ريـش الغـراب

---

(١) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثاني/ ٢ صفحة ١٢٦.
(٢) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثاني/ ٢ صفحة ١٢٨.
(٣) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثاني/ ٢ صفحة ٢٩.

ووصف العم حامد المحضار عمل الحبيب حسين بن حامد اليومي فقال: قلما استقبل الفجر إلا تالياً لكتاب الله وبعد صلاة الفجر يرقد حتى الثامنة صباحاً وفي التاسعة يبدأ عمله ويستقبل زائريه أثناء عمله ويبت فيما يعرض عليه أو يحيله لجهة الاختصاص وما كان يدع عمل يومه لغده وإذا ما أذن الظهر أنهى عمل الصباح وانصرف إلى إقامة صلاة الظهر بمن عنده وبعد صلاة الظهر يتناول طعام الغداء مع كل من عنده من الضيوف الطارئين والدائمين ثم يغفوا بعد تناول الغداء غفوة لا تزيد عن نصف ساعة ثم يهب بعدها لصلاة العصر التي يصليها بمسجد الروضة إذا كان بالمكلا أو بمسجد آخر إذا لم يكن بالمكلا وإذا لم يتيسر المسجد صلى بمن معه من الضيوف ورجال الدولة وقلما خلا مجلسه من أحد القضاة الذين لا يفارقونه لحاجته إليهم وبعد تناول طعام العشاء يجلس للسمر ويسمع ما قد يكون فيه من الإنشاد والتطريب بالألحان[١].

وعن اهتمامه بأحوال الرعية قال العم حامد المحضار: وكان يهتم ببريد الدولة الذي يأتيه من كل أنحائها ويقلقه ويغمه ما قد يصل إلى علمه مما يصيب الرعية من الظلم ويعطف على ذوي الحيثيات من أن تذل كرامتهم وتصاب عزتهم[٢].

وكنت في حيرة من أمري في مسالة العلاقة بين الحبيب حسين بن حامد والانجليز لأن رأي العلويين واضح في هذه العلاقة ولم أتصور أن يختلف عنهم الحبيب حسين بن حامد حتى اتضح لي موقفه عندما قرأت ما ذكره ابن عبيدالله في بضائع التابوت من أن الحبيب حسين بن حامد كان يشفع بالعداوة علي في أيام الحرب العظمى لموالاتي علي سعيد باشا ولمكاتبتي لأمير المؤمنين الإمام يحيى ولكنه كان يشجعني في السر على توثيق العلائق مع الأول ويدفع أجور البريد التي أسيرها إليه من جيبه[٣].

---

(١) حامد بن أبي بكر المحضار ترجمة الزعيم حسين بن حامد المحضار عالم المعرفة للنشر والتوزيع صفحة ١٠.

(٢) حامد بن أبي بكر المحضار ترجمة الزعيم حسين بن حامد المحضار عالم المعرفة للنشر والتوزيع صفحة ١٠.

(٣) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثاني/ ٢ صفحة ١٣٠.

كما لم يوافق السيد حسين بن حامد على مساعدة الانجليز في محاربة الأتراك المحتلين لإقليم لحج وأثار حرباً صورية بين الكثيري والقعيطي وهي المسماة «حرب قسبل» ليتعلل بها عن مساعدة حكومة عدن في تلك الحرب وفي ذلك يقول ابن عبيدالله وأكثر الناس يتفرس أن السيد حسين بن حامد المحضار كان يتعلل بتلك المناوشات عما تطالبه به حكومة عدن من الاشتراك في مباشرة الحرب على سعيد باشا بلحج ولما شعر الحبيب حسين بن حامد بانتهاء الحرب العظمى الأولى أشار على حكومة عدن بإيقاف حرب قسبل واستقدام المحاربين إلى عدن وهناك اتفقوا على المعاهدة في سنة ١٣٣٦هـ[١].

قال ابن عبيدالله[٢] ومن طبائعه أنه يقترب من الإنسان حتى يحسب أنه في يده وهو أبعد عنه من منال النجم يتسقط ما عند الرجال من الأخبار ليستخرج الزبد بلا مخض ثم لا يعتمد إلا على الاستبداد المحض ومن طبعه التكتم بمقاصده والمغالطة في أغراضه يحب أن يستخدم الناس فيها من حيث لا يعلمون لا يصادق أحداً بحيث يعتمد عليه ويربط به ثقته ولا يخاصمه بحيث يسعى في جلب الشر عليه إلا نادراً ومن شأنه التريث حتى مع ظهور وجه الصواب في الأمر وتعين المصلحة في البدار.

وأصبح ذات غداة مكتوباً على باب داره بشبام حسين بن حامد ملعون فغضب لذلك بعض خاصته وأكد الأيمان أن يبحث عن الكاتب حتى ينزل به أليم العقاب ولما رآه السيد حسين متنمراً وجاداً في البحث قال له إذا كنت فاعلاً فاقتل كل من تراه من أهل شبام فكلهم يقول في نفسه هذا القول ولم يزل به حتى صرفه عن ما يريد.

هذا وبين ابن عبيدالله والحبيب حسين الكثير من المكاتبات والمساجلات والممازحات ذكرنا بعضها في فصل آخر من هذا الكتاب.

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مكتبة الإرشاد صنعاء صفحة ٣٩٦.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثاني/ ٢ صفحة ١٣٢.

واستمر ابن عبيدالله في ترجمته للحبيب حسين بن حامد فقال[١]: وأحسن ما فيه حفظه لكتاب الله وحسن تغنيه به في الأسحار وكان لا يدع أحداً يخرج من عنده مكسور الخاطر ولقد استقبل في إحدى المرات منصب غيل باوزير في المكلا في عصر رمضان بكلام قارص وعاتبه عتاباً مراً على تقصيره في أمر الصدقة ثم ندم على ذلك ولما جاء وقت الإفطار آلا أن لا يفطر إلا هو وإياه ففتشوا عن المنصب بالمكلا فلم يجدوه إذ عاد إلى الغيل فما كادت تحل العيد حتى سار من المكلا إلى بيت المنصب بالغيل لترضيته وطلب العفو منه وعلى الجملة فأخباره طويلة وغرائبه كثيرة (انتهى).

أما في السياسة والدهاء فحدث ولا حرج فقد خاض حروب وتمكن بدهائه ومركزه وقوة شخصيته أن يوطد سلطة القعيطي على كافة أرجاء القطر الحضرمي وأخبار ذلك كثيرة في تاريخ الدولة القعيطية.

وذكر ابن عبيدالله في بضائع التابوت أن الحبيب حسين بن حامد حج مع السلطان عوض بن عمر القعيطي سنة ١٣١٧هـ وذكر الحبيب حسين بن حامد أن السلطان عوض دخل مكة بغاية التواضع ولم ينزل إلا في بيت صغير غير أنه أهدى الشريف عون الرفيق هدايا طائلة فيها سيف محلى بالجواهر ومائة قصعة من العسل الدوعني فقال الشريف للسيد حسين بن حامد لولا أن لي الشرف عليه بولاية حرم الله وولادة نبيه ﷺ لأسرعت للترحيب به لما اشتممت فيه من روائح العروبة ولكني مع ذلك أخشى أن تكون عادة علي لكل من يقدم من عظماء الرجال فيتسع الخرق وإنا أحب أن يزورني وبإثر ذلك خف السلطان عوض لزيارة الشريف (انتهى)[٢].

وقال ابن عبيدالله نقلاً عن الحبيب حسين: وبعد أيام جاء مرسول الشريف يشعرهم

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثاني/ ٢ صفحة ١٣٤.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثاني/ ٢ صفحة ١٠٩.

بأنه واصل لرد الزيارة فاستمهله السلطان عوض إلى الغد ريثما استأجر منزلاً فخماً أثثه بما تزيد قيمته عن عشرة آلاف ريال ولكن ما كاد الشريف يستقر بمجلس السلطان عوض إلا وأخذته نوبة صرع انزعج لها السلطان وظنها أعراض الموت وخاف أن تحوم حوله التهمة في سمه حتى هون أصحاب الشريف الأمر على السلطان وقالوا إنه يعتاد ذلك الصرع (انتهى)[١].

وقال الحبيب حسين أن السلطان كان يكثر من الطواف ليلاً إلى ليل ويكثر من البكاء في الملتزم ويجدد التوبة بإخلاص وقال السيد حسين وكان يكره أن يتقدمه مطوف ويقول لا اجب أن يكون بيني وبين ربي واسطة وأما أنت فلابد لي منك لأنك عندي على ما فيك وأنا لا أنظر إليك ولكن أنظر إلى جدك ﷺ (انتهى)[٢]. توفي الحبيب حسين بن حامد بالمكلا في شهر الحجة من سنة ١٣٤٥هـ ودفن بها إلى جوار الشيخ يعقوب.

وحتى نتعرف على وجه الشبه بين الحبيب حسين بن حامد المحضار وبين المستشار الألماني الحديدي بسمارك دعونا نتعرف على المستشار الألماني أوتو فون بسمارك ١٨١٥-١٨٩٨م[٣] فقد بنى بسمارك نجاحه في تحقيق الوحدة الألمانية على القسوة والعسكرية الصارمة والحكمة الاستثنائية وبراعة التنفيذ والمهارة الدبلوماسية التي مكنته من عقد المعاهدات التي تحصن وضع ألمانيا في أوروبا فعقد الحلف الثلاثي مع النمسا والمجر وإيطاليا ثم رأى أن وضع ألمانيا في أوروبا قد يتعرض للخطر فعقد اتفاقية مع روسيا تضمنت حياد ألمانيا في حالة أي هجوم على روسيا وقد مكنته هذه المعاهدة على الاطمئنان على عدم خوض حرب على جبهتين.

خاض بسمارك ثلاثة حروب لتوحيد الولايات الألمانية بدأت ضد الدنمارك سنة

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثاني/ ٢ صفحة ١٠٩.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثاني/ ٢ صفحة ١٠٩.

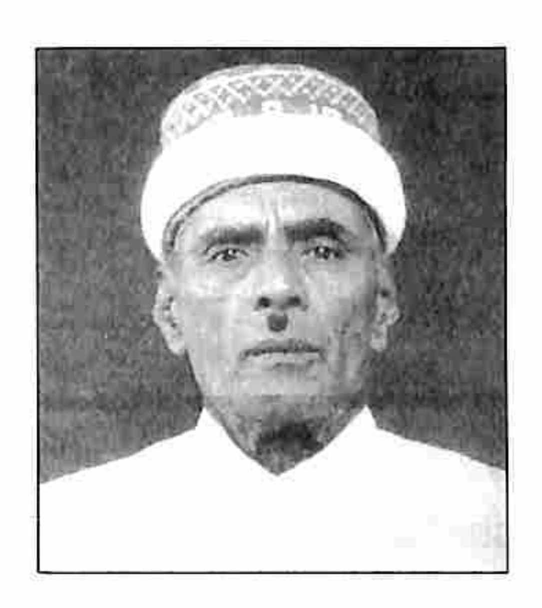
(٣) الموسوعة العربية الإسلامية الجزء الرابع صفحة ٤٣٠.

١٨٦٤ ثم خاض في سنة ١٨٦٦ حرب الأسابيع السبعة ضد النمسا ثم حربه سنة ١٨٧٠م ضد فرنسا نابليون الثالث والتي انتهت بتوحيد ألمانيا وتتويج ولهلم الأول إمبراطورا على ألمانيا وأصبح بسمارك مستشار للإمبراطورية الألمانية الجديدة وكان يلقب بالمستشار الحديدي.

وفي سنة ١٨٨٨ أصبح ولهلم الثاني إمبراطوراً لألمانيا وقام بطرد المستشار الهرم لأنه كان يغار من الشهرة التي نالها بسمارك.

السيد أبو بكر بن شيخ الكاف

(١٣٠٥-١٣٨٥هـ)



وهو صاحب شخصية قوية وبعد نظر ورؤية سياسية وثروة ورثها عن والده وقد ولد بسنغافورا وساعده احتكاكه بمجتمع سنغافورا ومعايشته الإدارة الانجليزية فيها على تكوين فكرة حالمة عن الدور الذي يمكن أن يلعبه الانجليز لتوطيد الأمن في حضرموت وجعل الحياة فيها مشابهة لحياة سنغافورا. فوالده شيخ الكاف كان من كبار الأغنياء بسنغافورا وقد عاد السيد أبوبكر إلى حضرموت مع والده سنة ١٣١٠هـ وعمره خمس

سنوات واستقر بحضرموت حتى وفاته وأخذ في صغره شيئاً من العلوم الدينية والقرآن وجالس الكثير من علماء تريم وصلحاءها وزار سنغافورا عدة مرات.

ويعتبر السيد أبو بكر بن شيخ أول من استقر من آل الكاف بمدينة سيؤون وقد انتقل إليها في سنة ١٣٣٣هـ (١٩١٥م) بعد فتنة حصلت في تريم.

والسيد أبوبكر بن شيخ الكاف واحد من كرماء العرب وله قصص مشهورة في هذا الباب فبيته فندق مجاني مفتوح لكل الغرباء ولم يعرف عنه أنه أكل في بيته لوحده دون ضيوف[١].

وكان يوزع الرز والبر واللحم على سادة تريم ومشايخها وفقراءها وقراها وضواحيها وقد يقيم وليمة لكل أهل تريم وضواحيها من صغار وكبار وأحرار وعبيد من تريم وضواحيها[٢]. كما ساهم في تأسيس المساجد والمدارس وحفر الآبار وبناء السقايات وأسس أول مستشفي خيري بتريم وسوق الكاف الخيري بتريم المخصص دخله للفقراء والمساكين إلا أن أهم أعماله هو شق أول طريق للسيارات يربط الشحر بتريم ويمتد نحو ٣٠٠ كيلومتر واستغرق العمل فيه نحو عشرة سنوات وتعرض فيه لمتاعب كثيرة وافتتح هذا الطريق لأول مرة سنة ١٣٥٧هـ (١٩٣٨م)[٣].

ويعتقد البعض أن للسيد أبو بكر بن شيخ الكاف دور أساسي في جلب الإنجليز إلى حضرموت ولكن التاريخ يقول غير ذلك فقد انفتحت شهية الإنجليز فجأة لحضرموت

---

(١) جعفر بن محمد السقاف وعلى أنيس الكاف الزعيم الحكيم أبو بكر بن شيخ الكاف تريم للدراسات والنشر صفحة ٣٢.

(٢) جعفر بن محمد السقاف وعلى أنيس الكاف الزعيم الحكيم أبو بكر بن شيخ الكاف تريم للدراسات والنشر صفحة ٣٣.

(٣) جعفر بن محمد السقاف وعلى أنيس الكاف الزعيم الحكيم أبو بكر بن شيخ الكاف تريم للدراسات والنشر صفحة ٥٤.

لسبب غير معروف فقد عقد الإنجليز أول معاهدة لهم بحضرموت مع الدولة القعيطية سنة ١٨٨٢ ثم مع الدولة الكثيرية فيما بعد لكنهم بقوا بعيداً عن شؤون حضرموت الداخلية مكتفين بموقعهم القوي في عدن وما جاورها تاركين الأمور بحضرموت تسير بسيرها الطبيعي دون أن يتدخلوا في شؤونها.

غير أن ما حصل أن السيد أبو بكر بن شيخ الكاف كان قلقاً من تدهور الأمن بحضرموت رغم كل ما بذل من جهود للإصلاح بين القبائل فاعتقد السيد أبوبكر أن أمن حضرموت لن تضبطه إلا قوة تملك سلاح طيران يقدر أن يصل إلى البوادي والجبال حيث تتحصن القبائل المتمردة وتوافق هذا الاعتقاد مع بداية اهتمام بريطانيا بحضرموت ووصول المستشار انجرامس الذي استغل رغبة السيد أبوبكر وحيويته وثروته وموقعه الاجتماعي في كسب ولاء القبائل لحكومة مركزية يرأسها السلطان الكثيري أما القبائل الممانعة فقد تولى سلاح الجو الملكي إخضاعها.

إلا أن السيد أبو بكر بن شيخ لم يكن يعرف في ذلك الوقت الأهداف البعيدة للإنجليز وكان يعتقد أن بإمكانهم جعل حضرموت قطعة من سنغافورا ولهذا نجده يطلب من انجرامس كما قال الأخير في مذكراته التي رد عليها العم حامد المحضار «والطريقة الوحيدة التي كان السيد أبوبكر قد يسبب لي الإحراج بها هي رغبته في أن تحكم بريطانيا حضرموت كما كانت تحكم سنغافورة في تلك الأيام»[١].

وقال الأستاذ جعفر السقاف وعلي الكاف عن هذه المسألة (وهكذا قرر السيد أبوبكر بن شيخ الكاف مع النخبة من قيادات المجتمع الحضرمي الاستعانة بالبريطانيين في تحقيق الأمن والسلام في حضرموت ووقعت المعاهدة الثالثة والأخيرة وتسمى معاهدة الاستشارة

(١) حامد بن أبي بكر المحضار ترجمة الزعيم حسين بن حامد المحضار عالم المعرفة للنشر والتوزيع صفحة ٢١٨.

بين بريطانيا والسلطان القعيطي والكثيري ويلتزما فيها بقبول الاستشارة البريطانية فيما عدا الدين والعادات والتقاليد ووقعها القعيطي سنة ١٩٣٧ والكثيري سنة ١٩٣٩م وعين بعدها المستر انجرامس مستشاراً على حضرموت)[١].

وإذا أردنا أن نلوم العم أبوبكر بن شيخ على موقفه الذي أملته عليه دواعي الأمن المتدهور في حضرموت ذلك الوقت فكيف نبرر ما ذكره انجرامس في كتابه الذي نقل العم حامد المحضار جزاء من ترجمته ونقتطف منه المقاطع التالية «قال انجرامس وكان كل همي إن يواصل أبناء السلطان تعليمهم في عدن ولكن رفض أبوهم ذلك هذه المرة فغضبت وقلت له إني سأترك هذا البلد وخرجت إلى منزلي في غيظ وقلق».

ثم قال انجرامس وبعد عودتي استيقظت من نومي على أثر طرق عليّ الباب «ولما فتحت وجدت اثنا عشر زعيماً وعلى رأسهم عوض بن عزان وكلهم ببزتهم الرسمية» وقال انجرامس «ثم سألني عوض عما إذا كنت بحق معتزماً مغادرة البلاد» «عندها سألني عوض عما إذا كنت مستعداً لقبول السلطنة إذا عزلوا السلطان لقد كانوا جميعاً جادين في الأمر لدرجة التهور»[٢] وقد اتهم العم حامد المحضار انجرامس بالكذب واستبعد أن يطلب منه زعماء حضرموت هذا الطلب.

إلا أن السيد أبو بكر بن شيخ الكاف اكتشف بعد ذلك محدودية دور الإنجليز بحضرموت وعدم رغبتهم عمل شيء لا يخدم مصلحتهم فسعى عند ذلك إلى قيام وحدة بين دولتي حضرموت وأرسل في سنة ١٩٥٠م بكتاب إلى السيد مرتضى بن محضار عيديد وهو من

---

(١) جعفر بن محمد السقاف وعلى أنيس الكاف الزعيم الحكيم أبو بكر بن شيخ الكاف تريم للدراسات والنشر صفحة ٦٥.

(٢) حامد بن أبي بكر المحضار ترجمة الزعيم حسين بن حامد المحضار عالم المعرفة للنشر والتوزيع صفحة ٢٤٩.

الشخصيات البارزة في ماليزيا طالباً أن يوافيه بتقرير مفصل عن وحدة الملايا وآثارها على السلاطين ونظام الرآسة والمحاكم[١].

كما قدم الخبير الاجتماعي حسين جمل الليل وهو من ماليزيا أيضاً قدم للسيد أبو بكر تصوراً عن الكيفية المتوقعة لوحدة حضرموت إلا أن جهود السيد أبوبكر في هذا المجال لم تكلل بالنجاح بسبب العداء المتأصل بين الكثيري والقعيطي[٢].

ومع ذلك فلا يختلف أحد على الدور الهام الذي لعبه السيد أبو بكر بن شيخ الكاف لأجل حضرموت وأمن حضرموت وما قام به من مشاريع وانفق من صدقات كما أنه قام بالكثير من الرحلات الشاقة والخطرة للإصلاح بين القبائل الحضرمية المتحاربة.



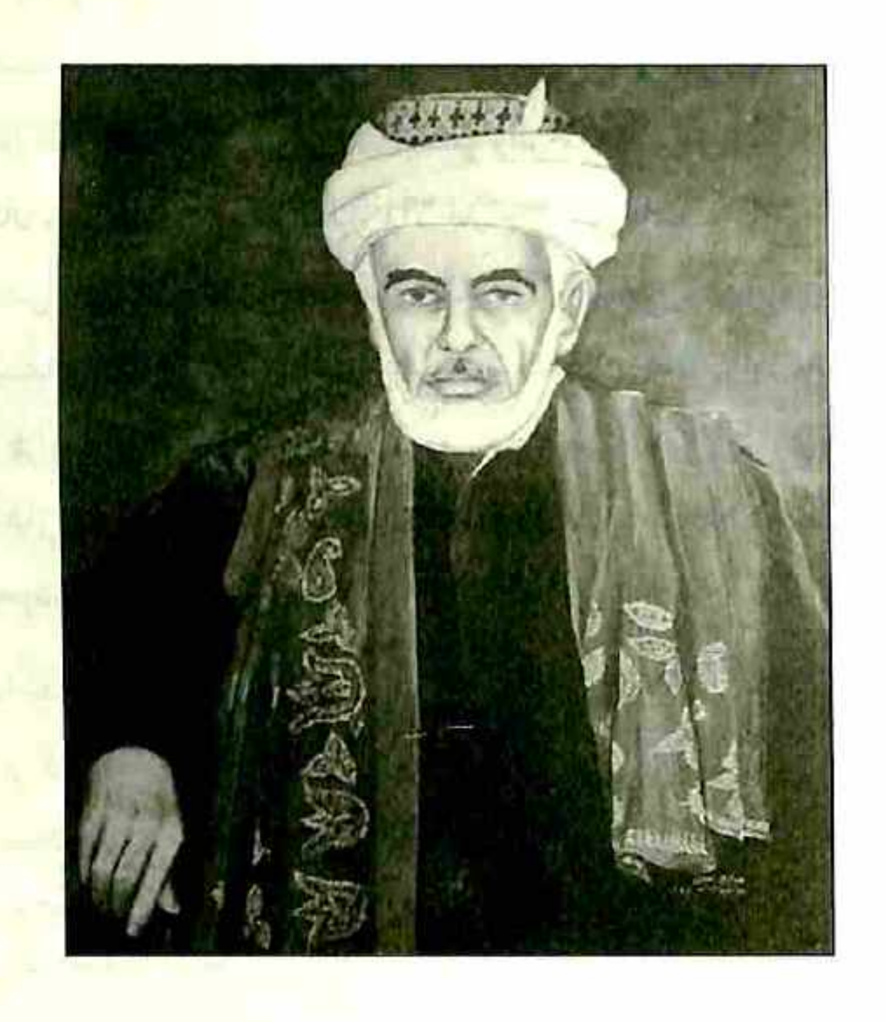
---

(١) جعفر بن محمد السقاف وعلى أنيس الكاف الزعيم الحكيم أبوبكر بن شيخ الكاف تريم للدراسات والنشر صفحة ٨٤.

(٢) جعفر بن محمد السقاف وعلى أنيس الكاف الزعيم الحكيم أبوبكر بن شيخ الكاف تريم للدراسات والنشر صفحة ٨٥.

الفصل السادس والخمسون

السيد العلامة عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف



ولد ابن عبيدالله بقرية علم بدر بسيؤن في ليلة السابع والعشرين من رجب سنة ١٢٩٩هـ وصفه الجد علوي بن عبد الله بن حسين في التلخيص الشافي فقال: إمام المفتين الوحيد في القطر الحضرمي[١]، ووصفه في مكان آخر فقال: علاّمة البلاد ومفتي حضرموت الأكبر[٢].

وكتب في ترجمته فقال : وتربى على يد والده العظيم وحظي بجميل رعايته وحسن عنايته، فقد رباه تربية دينية عالية، وحماه من طفولته من قرناء السوء، وحفّظه القرآن الكريم عن ظهر غيب وقدمه والده إلى من بقي من مشايخه الأجلاء، وفي مقدمتهم القطب الأبر عيدروس بن عمر الحبشي، فنظر إليه بعين النظر والرحمة، وتفرس فيه النجابة، وقرأ عليه وحدّثه، وكان منه التعلق التام مع التبجيل والاحترام لشيخه الحبيب عيدروس بن عمر، ولا يذكره بمجلس أو يتذكر ما مضى معه من مجالس إلا وتنحدر الدموع على خديه وتختنق عبراته فلا يستطيع أن يكمل الحديث، وقد شاهدت منه ذلك عدة مرات، بل إن بن عبيدالله يعتبر نفسه كرامة من كرامات الحبيب عيدروس بن عمر (انتهى)[٣]. ويذكر بن عبيدالله سبب ذلك فيقول: وقد مرضت في سنة ١٣١٣هـ حتى صرت بهيئة الاحتضار ثم شفاني الله بدعوة منه خرقت الطباق بعد ما بلغت الروح التراق .[٤]

قال الجد علوي بن عبد الله السقاف: وكان ابتداء تعلمه القرآن على يد الشيخ الصالح عبد القادر بن عبد الله باحميد الذي كان بن عبيدالله يثني عليه غاية الثناء ويمتدح اقتداره على التعليم النافع المجدي «وقال الجد علوي وكنت ممن قرأ عليه» ثم قرأ ابن عبيدالله النحو وما

---

(١) علوي بن عبد الله السقاف، التلخيص الشافي، صفحة ١٣٨ .

(٢) علوي بن عبد الله السقاف، التلخيص الشافي، صفحة ١٣٣ .

(٣) علوي بن عبد الله السقاف، التلخيص الشافي، صفحة ١٣٧ .

(٤) حسن بن عبد الرحمن السقاف، ديوان بن عبيدالله، مطبعة لجنة البيان العربي بمصر، صفحة ٣٢٩ت.

تعلق به على شيخنا العلامة المتفنن الشاعر الناثر الشيخ محمد بن محمد باكثير، وكان يقدمه على أقرانه لنبوغه وتفوقه، وكان بن عبيدالله منذ صغره لا يسمع بمشكلة من كلام العلماء بسائر أصنافهم من فقهاء ولغويين ونحاة وصرفيين وأصوليين ومنطقيين إلا ويبادر بالسؤال عنها والبحث فيها رغم حداثة سنه وقد يحتدم النقاش العلمي بين الشيوخ من زوار والده فيشاركهم وقد يرجعوا في كثير من الأحيان إلى رأيه (انتهى)[١].

ثم قال الجد علوي: وقد بلغ بن عبيدالله رتبة الإفتاء والتدريس في حياة أبيه وشيخه العلامة علوي بن عبد الرحمن السقاف وتصدر للتدريس بمسجد طه بسيؤن بإذن منهم، وصار كثير ممن قرأ عليهم يقرئون عليه وهي حالة لا تقع إلا لقليل من الأفراد، ومن جملة من حضر دروسه من شيوخه الشيخان عمر عبيد حسان ومحمد بن محمد باكثير (انتهى)[٢].

وقال الجد علوي بن عبد الله السقاف: ولقد حضرت من صغري دروسه فلم أر مَن يساويه أو حتى يقاربه في التقرير، وكان يطلب مني أن أكتب درسه في المنهاج في ربع صفحه ويبقى باقي الصفحه لتعليقاته التى يأتي بها من حفظه بعبارات التحفة والأسنى والنهاية وابن قاسم والشبراملسي وعبد الحميد، وكانت دروسه تذكرنا بما سمعناه عن إمام الحرمين الجويني وعن الإمام الغزالي والنووي والرافعي، وكان يلقي درساً كل أسبوع بعد المغرب في مسجد طه في التفسير ودرساً في الشمائل كما قرأت عليه في بيته مع بعض زملائي في أصول الفقه والتوحيد، فكان يأتي بالعجب العجاب مما لم يسطر في كتاب، ولم يحفظ في جراب)[٣].

وقال الجد علوي «إن الحبيب عبد الله بن عمر الشاطري إمام مدينة تريم والذي تخرج على يديه ألوف الطلبة الذين نشروا العلم في أكثر البلدان الإسلامية، انه لما حضر درس بن

---

(١) علوي بن عبد الله السقاف، التلخيص الشافي، صفحة ١٣٨.

(٢) علوي بن عبد الله السقاف، التلخيص الشافي، صفحة ١٣٨.

(٣) علوي بن عبد الله السقاف، التلخيص الشافي، صفحة ١٣٨.

عبيدالله في المنهاج بعد المغرب وسمع ما يلقيه بن عبيد الله على من حوله وهم يربون على المئات بكى وانتحب إعجاباً بوجود مثل بن عبيد الله في هذا العصر»[١].

ومن كلام الحبيب عبد الله بن عمر الشاطري «جينا مرة إلى سيؤن فوجدنا الأخ عبد الرحمن بن عبيد الله يدرس في المنهاج في الفقه ويلقي من حفظه فاغتبطنا به جم وفرحنا حتى ذرفت عيوننا من الفرح بمثل هذا الاخ حتى قلت له مرة: عرف إخواننا مقام العلم وشرفه يعرفون العلم وقدره ولا يظنون الشرف في الثياب والبنايات»[٢].

وقال الجد علوي عن بن عبيد الله «وله المؤلفات الكثيرة في فنون متعددة من فقه وتاريخ وأدب أعظمها صوب الركام في الفقه تعقب فيه على من سبقه من فقهاء الشافعية لاسيما الشيخ ابن حجر في تحفته، وله بضائع التابوت في تاريخ حضرموت ومعجم البلدان والقرى الحضرمية والعود الهندي في نقد الشعر وبلابل التغريد في حل مشكلات التجريد أي تجريد صحيح البخاري وكتاب النجم المضيء في شعر الشريف الرضي ورسائل كثيرة خفيفة منها السيف الحاد في الرد على أهل الإلحاد ونسيم حاجر في مذهب المهاجر، وله ديوان شعر كبير يزيد على جزأين أو ثلاثة وهو من جيده كما يقول إخواننا الشعراء»[٣].

ولم يبلغ أحد مبلغه في معرفة فقه الإمام الشافعي في زمانه وصفه تلميذه الفقيه والقاضي العلامة علوي بن عبد الله بن حسين فقال: «وجميع من يتولى الحكم في البلاد في أيامه يكونون عالة على فقهه ولا يتجرأ أحد أن يلاحظ على القضاء في أحكامهم غيره وإن وجد فهي منسوبة إليه وإن لم يظهر»[٤].

---

(١) علوي بن عبد الله السقاف، التلخيص الشافي، صفحة ١٣٨.

(٢) محمد بن سالم بن حفيظ، نفح الطيب العاطري من مناقب شيخ الإسلام الشاطري، دار العلوم والدعوة، صفحة ١٩٧.

(٣) علوي بن عبد الله السقاف، التلخيص الشافي، صفحة ١٣٩.

(٤) علوي بن عبد الله السقاف، التلخيص الشافي، صفحة ١٣٩.

وعن فقه بن عبيدالله تحدث السيد العلامة والشاعر حامد بن أبي بكر المحضار وهو حاصل على العالمية من الأزهر فقال: «الخطيب المصقع والفقيه الذي لا يُجارى في مذهب الشافعية، ولا أحسب له ضريعاً، في فقه الشافعي وهو شاعر فحل متحدث حلو الحديث وجزله»[١]. ويقول الجد علوي عن شخصية بن عبيدالله «وإذا حضر أي مجلس فيكون المتكلم الوحيد في ذلك المجلس»[٢].

أما عن بن عبيدالله كخطيب فيقول الجد علوي «وإذا اعتلى منبر الخطابة فهو الخطيب المصقع وله خطب ألقاها بصلاة الجمعة بالقرن وخطب لعيد الأضحى والفطر وخُطَبٌ بليغة طنانة تُقرأ ليلة الحادي عشر والحادي والعشرين من رمضان بمسجد طه بعد صلاة العشاء الكبرى»[٣].

وقال نجله الخال حسن بن عبد الرحمن السقاف «وعندما حج عام ١٣٥٤هـ التفَّ حوله كثيرٌ من أعلام الأدب وضمهم حفل حاشد في منى وتبادلوا الخطب فانحدر بن عبيدالله انحدار السيل في خطبته، وكان من عادته أن يرتجل، وعلق على خطب من سبقه وندد بالأدباء الذين افتتنوا بأدب الغرب ولم يحفلوا بأدب العرب وقال: هاتوا ما شئتم من أدب الغرب آتكم بعشرات الأمثال عليه من آداب العرب وما انتهى من خطبته حتى حملوه على الأعناق تكريماً له وتبجيلاً لفضله وأدبه وغزارة علمه وقوة عارضته»[٤].

---

(١) حامد بن أبي بكر المحضار، ترجمة الزعيم حسين بن حامد المحضار، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، صفحة ٢٠٧.

(٢) علوي بن عبد الله السقاف، التلخيص الشافي، صفحة ١٣٩.

(٣) علوي بن عبد الله السقاف، التلخيص الشافي، صفحة ١٣٩.

(٤) حسن بن عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، ديوان بن عبيد الله، مطبعة لجنة البيان العربي بمصر، صفحة ٥٤٦.

وذكر الشيخ عمر بن عبد الله الخطيب[١] المتوفى بسنقفورا محاجة ابن عبيدالله مع مفتي فلسطين في منى بحضرة الملك عبد العزيز فقال بأن بن عبيدالله أسكت مفتى فلسطين حيث أتى بالموضوع نقطة نقطة، وعلق الحبيب علوي بن طاهر الحداد على ذلك فقال هذه محاجة ابن عبيدالله إن كان قد حضرها في ذهنه واستعد بها من قبل فذاك من سعة علمه وإن كان قالها على البديهة بدون أي مقدمات فإنها هي معجزة (انتهى).

وعن جرأة بن عبيدالله يتحدث الجد علوي بن عبد الله فيقول: «وقد يجلس أيام شبابه مع من يكبره في السن بل يكبر أباه ويعتقده الناس فلا يترك أي خطا يرتكبه في فهم أو نقل إلا ويرد عليه لا تعتريه هيبة ولا تصده رهبه»[٢].

بل بلغت جرأة بن عبيد الله انه كان لا يصبر حتى على مناقشة والده ويقول عن ذلك: إن والدي صوفي المشرب حتى أنه لتنطلي عليه بعض حكايات للقوم مما يتوجب عليها الاعتراض من جانب الفقه ولكنه رجاع إلى الحق وقّاف عليه حالما يتبين له الصواب ولو على يد أصغر خلق الله وكثيراً ما أتحاور معه في تلك المسائل ويصعب لي القول وأصعب له حتى تكون الوالدة هي الحكم بيننا لأنها على جانب من العلم عظيم [٣].

قال بن عبيد الله في بضائع التابوت: وكان والدي يرحمه الله يجبرني على القراءه حتى يضجرني فقلت له مرة: هذا رسول الله ﷺ يتخول أصحابه بالموعظه مخافة السآمة عليهم ولست بمثلهم في الإقبال ولا أنت بمثله في القبول، فقال: أولم تسمع قول نوح ربي إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً، فقلت وماذا لقي من قومه؟ ألم يزدهم دعاؤه إلا فراراً؟ ثم رأينا تأويل المفسرين فيه ثم أخبر بذلك الحبيب عيدروس بن عمر، فضحك حتى ازدهرت

(١) عبد القادر بن عبد الرحمن الجنيد، العقود الجاهزه والوعود الناجزه، صفحة ٥٢٦.

(٢) علوي بن عبد الله السقاف، التلخيص الشافي، صفحة ١٣٩.

(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ٢٩٣.

أساريره، وقال: إنما هو صبح ليل بدت تباشيره وكلفه أن يرفق بي بعدها، ولكن الطبع غالب وكان والدي يقيسني بما عنده [١].

ووصف الحبيب مصطفى بن أحمد المحضار بن عبيدالله فقال: السيد الشهم وفوق الوهم وقد شاعت أخباره وإعلانه وأسراره وقد أسكت الأدباء وأفحم الخطباء، وقد حج وزار هو والمحضار، ثم قال وعبد الرحمن ركن الأركان وميزابها والسكان وعودها وجدارها وعليه مدارها [٢].

وقال عنه أيضاً: أخونا بقية الأهل والإخوان وتحفة الزمان في كل مكان وحيثما ركن فالأرض كلّها له سكن ولرطينه في الآذان طنين وفي القلوب له حنين أخونا عظيم العظماء وعالم العلماء [٣] (انتهى باختصار).

وعرف بن عبيد الله: السلاطين والملوك والزعماء والشخصيات فقد قابل الملك عبد العزيز آل سعود وذكر هذه المقابلة في مخطوطة بضائع التابوت فقال: ولما اجتمعت بملك الحجاز ونجد في سنة ١٣٥٤هـ قال لي: إن الحكومة الإنكليزية أرسلت إلي وفداً في رمضان من هذا العام يقول لي لابد من إصلاح حضرموت وتم الكلام على إرسال وفد من عندي ومن عند الأخ يحيى ومن عندهم للاستفتاء، فإن اختاروا الأخ يحيى فبها وإن اختاروني فعلي أن أذب عنهم بما أذب به عن أهلي وولدي وإن اختاروا الإنكليز فشانهم وأنفسهم (انتهى)[٤].

كما كانت لبن عبيد الله علاقة قوية بالسيد الإدريسي وفصلنا ذلك في مكان آخر من

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث صفحة ٢٩٢.

(٢) محمد بن عبداللاه المحضار، خواطر وأفكار وحكم وأسرار، مكاتبات الحبيب مصطفى، تريم للدراسات والنشر، صفحة ١٣٥.

(٣) محمد بن عبداللاه المحضار، خواطر وأفكار وحكم وأسرار، مكاتبات الحبيب مصطفى، تريم للدراسات والنشر، صفحة ١٣٦.

(٤) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٦٠٥.

هذا الكتاب، أما الإمام يحيى حميد الدين فكانت تربطه به رابطة قوية وكان يجيبه على كتبه وقصائده شعراً. ولما اغتيل الإمام يحيى أقام عليه بن عبيدالله صلاة الغائب بمسجد سيؤن، ثم رحل إلى تعز لتعزية ابنه الإمام أحمد بن يحي حميد الدين [١]. وزار بن عبيدالله الهند وقال في مقدمة إحدى قصائد ديوانه [٢]ولما كنت في حيدر أباد الدكن سنة ١٣٤٩هـ عمل لي رئيس الوزراء مأدبة فاخرة حضرها سائر الأمراء والأعيان واقترح علي تاريخ وقت الاجتماع والتعارف لولعهم بذلك فأجبته من غير طول تلبُّث (انتهى).

وتعرف بن عبيدالله على كثير من الشخصيات الإسلامية منهم السيد حسن البنا، كما كانت له علاقه بعزام باشا أول رئيس للجامعة العربية[٣].

وكان بن عبيدالله يلاقي صعوبة في توفير مصادر كتبه قال عن معلومة لم يجدها في ما توفر له من أوراق تاريخ ابن حميد فقال: «وقد وعدني الولد علي بن أحمد بن حسن العطاس بإرساله إلي ووصل به إلى سيؤن بعد الوعد ولم أدر ما لذي ثناه عن إعارته إلي مع الإلحاح حتى تجشمت السفر إلى حريضة من أجله وبعد لأي مكنني منه فنقلت ما شئت، لكن مع شغل بالمقابلات والزيارات إذ احتفى بي أهل حريضة ولا سيما المنصب الفاضل حسن بن سالم العطاس إلى أقصى حد، إلا أن إغراقهم في الإكرام منعني عن الإقامة أكثر من ثلاثة أيام».

وكان بن عبيدالله يتجشم المشقة لتأكيد بعض الأخبار بسماعها من أفواه المعمرين ويستأجر من يذهب لتلقيها عنهم قبل أن يقابلها بما يعرف أو يسمع من عمومته ومشايخه قبل أن يسجلها في تاريخه، فهو حين يؤرخ لسقوط يافع بسيؤن وانهزامه أمام السلطان غالب

---

(١) حسن بن عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، ديوان بن عبيد الله، مطبعة لجنة البيان العربي بمصر، صفحة ٥٤٨.

(٢) حسن بن عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، ديوان بن عبيد الله، مطبعة لجنة البيان العربي بمصر، صفحة ٣٥٧.

(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مطبعة الإرشاد، صنعاء، صفحة.

بن محسن حيث لم تكن الأخبار واضحة فيقول: «استأجرت الأجراء لتلقيه عن أفواه المعمرين وبقي بخزانة الحفظ ما يصدقه من الآثار عن العمومة والمشائخ»[١].

وزار بن عبيدالله الهند وجاوة والسواحل الأفريقية، إضافة إلى اليمن وبلاد الحرمين واستقبل في كل مكان بما يستحقه من الحفاوة والتكريم، إلا أن البلد الوحيد الذي تمنى زيارته ولم يتحقق له ذلك كانت مصر ولقد كان الوحيد الذي دعي إلى مؤتمر الخلافة بمصر الذي عقد بعد سقوط الدولة العثمانية وإلغاء الخلافة.



الحبيب عمر بن سميط إلى اليمين مع بن عبيد الله في الوسط في ممباسا

وكان بن عبيدالله يتمنى زيارة مصر إلا أنه لم تتح له الفرصة لزيارتها، ويقول في بضائع التابوت [٢]: وأشد ما تحلو لي نكات المصريين وأطرب بها إلى حد الحجل وأتمنى أن لو كان لي مثلها ولكنى لو قلدت فيها لكنت متصنعا (انتهى).

---

(١) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثانى/ ٢، صفحة ....

(٢) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثانى/ ٢، صفحة ٢٥.

وكان بن عبيد الله من أكبر المؤيدين للدولة العثمانية والمناوئين للحماية البريطانية، وكان على اتصال متواصل مع قائد العثمانيين بلحج علي سعيد باشا، بل بلغ به الأمر أن يستقبل طلب القائد العثماني باعتراف سلاطين حضرموت بأنهم تبع للدولة العثمانية قال بن عبيدالله: وما زلت بالسلطانين حتى وقعا على الوثيقة المكتوبة، فوقعها السلطان محسن بن منصور والسلطان علي بن منصور بصفته ولي عهد أبيه وسيّرتُها إلى القائد العثماني فَلَمْ يكتف بها بل طلب إمضاء المناصب ورؤساء القبائل، وما زلت بهم حتى أمضى أكثرهم على مثلها وسيرتها إليه وغضبت لها حكومة عدن وتوعدني السيد حسين بن حامد ظاهرا ولكنه كان يغريني في السر على توثيق العلائق بيني وبين علي سعيد باشا وعلى مواصلة الكتب إليه[١].

إلا أن حكومة عدن التي علمت من جواسيسها باتصالات بن عبيد الله وضعت جائزة لمن يغتاله، وقال بن عبيدالله أيضاً إن سلاطين آل كثير ومن على رأيهم من الأغنياء بعد أن علموا غضب حكومة عدن من تلك الوثيقة وعلموا انهزام الأتراك في الحرب العالمية تجافوا عني وكتموني أخبارهم لأنني لا أرضى انسحاب حكم الحماية الإنجليزية على بلادنا، ثم يقول بن عبيدالله: وبالغت جهدي في عرقلة ذلك (يقصد فرض الحماية) والتحذير من سوء مغبته، فكان أول ما زين لهم محبو الحماية الابتعاد عني، ففعلوا وما زالوا على ذلك إلى اليوم، ثم قال ومع تألبهم علي وابتغاء لي الغوائل وتطلبهم لي العثرات فلا تغير رأيي ولا تزحزحت عن مبدأي الذي لخصه في قصيده نقتطف منها قوله:

فقد طوقوا أعناقهم بملاوم تدوم إلى أن يبعث الخالق الورى

وقد أنشبوا أوطانهم في معاطب تطيل لذي اللب البكاء والتحسرا

وتكثر للوالي الندامة والأسى لو انتبهت أفكاره وتدبرا

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٣٩٦.

وكأنما ابن عبيدالله يقرأ في أبياته هذه مستقبل حضرموت والسلاطين بعد معاهدة الحماية فقد ذكر العم حامد بن أبي بكر المحضار الوثيق الصلة بالسلطان القعيطي وكان رئيساً سابقاً لحكومة القعيطي ذكر أن بريطانيا تدخلت في كل شؤون حضرموت تدخلا أرغم السلاطين على رفع أيديهم عن كل مقدراتهم وجعل الأمر كله وقفا على المستشار الإنجليزى وأصبح السلطان موظفاً[١]. وقال العم حامد المحضار أيضاً «لقد شكا أمامي السلطان علي بن منصور وشكى السلطان صالح بن غالب بما فعله بهما انجرامس، ولكنهما لم يكونا من الشجاعة بحيث يصرحان له ليوقفاه عند حده»[٢].

ولعل الأمر أوضح في حالة السلطان جعفر بن منصور الذي ذهب إلى الحبيب علوي بن عبد الله بن شهاب يستشيره وبكى بين يديه بكاءً مراً، وقال: جاءت حكومة يا حبيب علوي ولم تبق لنا أمراً ولا نهياً ونرى المناكر بين أعيننا ولا نستطيع أن ننكرها، وصرت الآن سلطاناً صورة فقط وأنا الآن أحببت أن أعزل نفسي عن السلطنة وأصحابي بصرهم بأنفسهم[٣].

ومن المؤسف أن السلاطين الكثيريين اقتصروا في مشورتهم على الجانب المؤيد للإنجليز وتجاهلوا الآراء الوطنية المخلصة لبن عبيد الله بل أكثر من ذلك فقد ناصبوه العداوة. ولقد فرض عليه السلطان علي بن منصور الإقامة الجبرية في بيته وفعل ذلك من بعده السلطان جعفر، بل حاول ابن السلطان جعفر اغتيال بن عبيد الله، كما حاول بن عبدات اغتياله وأرسل إليه بعبده ليقتله تقرباً للإنجليز إلا أن ذلك لم يتحقق مع معرفة السلاطين بل كل أهل الحل والعقد بحضرموت بمقام بن عبيد الله وإخلاصه وقوته في الحق بل إن

---

(١) حامد بن أبي بكر المحضار، ترجمة الزعيم حسين بن حامد المحضار، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، صفحة ١١٩.

(٢) حامد بن أبي بكر المحضار، ترجمة الزعيم حسين بن حامد المحضار، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، صفحة ٢٨٢.

(٣) عمر بن علوي الكاف، تحفة الأحباب، دار الحاوي للطباعة والنشر، صفحة ١٥٢-١٥٣.

السلاطين تربوا في مدرسته فهذا السلطان علي بن منصور كان من جلسائه الدائمين حيث تعلم الأدب في مدرسة بن عبيدالله وكان يقوم بطبخ الشاهي.

ولم ينس بن عبيدالله أن يبرئ نفسه عن تبعات التقرب للإنجليز وطلب الحماية البريطانية حيث لم يستمع أحد لرأيه ولم يلتفت أحد لمشورته فقال في البيت الأخير من قصيدته:

وقد خار لي الرحمن في البعد عنهم ... فلا ذنب لي إذ لا حضرت ولا أرى[١]

وبلغ من إخلاص بن عبيدالله وحبه لدولة الخلافة العثمانية ولإمام اليمن أنه لما زاره السيد حسين حامد المحضار بمنزله بسيؤن بعد توقيع معاهدة سنة ١٣٣٦هـ بعدن بين الكثيري والقعيطي ومعه ١٥٠٠ شخص من العلويين والسلاطين ويافع وآل كثير والعوامر وآل تميم، إلا أن ابن عبيدالله الجرى الصريح لما ألقى قصيدة ترحيبية بالسيد حسين بن حامد لم ينس في ختامها الدعاء بالنصر للأتراك ولإمام اليمن، حيث قال:

يا رب وانصر جيوش الترك دولتنا ... واملأ قلوب العدا بالخوف والوجل

واحم الشريعة في شبه الجزيرة بالمولى ... الإمام من الآفات والعلل[٢]

وكان ابن عبيدالله بطبيعته الثائرة لا يصبر حتى على مناقشة والده والاعتراض على بعض آرائه، كما ذكرنا في بداية هذا الفصل.

وقد أكسبت بن عبيدالله طبيعتُه الثائرة ونفوره عن المجاملة ونزوعه إلى قول الحق مهما كان مرا، بل وأكسبته عداوةَ السلاطين بسيؤن وعداوة كثير من العلويين ويعترف بن عبيدالله بأنه لا يحسن السياسة فيقول في بضائع التابوت: غير أنه لم يكن عندي من السياسة ما يحفظ لي به المكان عندهم متى عدمتها من الجانب الثاني، بل صرت بصراحتي وحرية فكري مبايناً

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٣٩٨.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٣٩٧.

للفريقين وأخشى أن ينطبق علي ما جاء في معجم الأدباء لياقوت عن بعضهم أنه لم يكن يلطف صدعه بالحق بتعريض ولا يرقه بتدريج فأكبر عيبه عند المنصف له جهله بسياسة العلم التي هي أعوض من إتقانه (انتهى)[١]

إلا أن بن عبيدالله لم يكن يصبر على القطيعة ويشعر بالندم الشديد عندما يعتذر منه الطرف الآخر، كما حدث له مع منصب الحبشي، وقد قال عن ذلك في بضائع التابوت: ثم ما رأيتنى أشد انكساراً في نفسي ولا أكثر استحقاراً لحالي ولا أحر ندماً على ما فرط مني يوم تنازل الفاضل الجليل الحبيب عمر بن عبد الله بن محمد الحبشي عن رئاسته ومنصبه وجاء إلى منزلي لترضيتي مع ظني أننى المتجرم عليه، إذ قلما يعرض ذكره إلا أسأت القول فيه وهترته، كما كانت الصدّيقة عائشة تهتر يزيد بن قيس الأرجى كلما عرض ذكره، وذلك لما يكثره عليه أصحابه عندي فلم يكن منه إلا أن أدبني في نفسي بجميل صنعه وحميد تواضعه تاديباً بليغاً أرجو ذخره وبره عند الله إذ قد بغض إليَّ الاغتياب وتجدد لي بسببه منه خالص المتاب فجزاه الله عنا أفضل الجزاء (انتهى)[٢].

هذا ومع علم بن عبيدالله وعبقريته إلا أنه كان على درجة كبيره من اللطافة وخفة الروح، وله الكثير من الممازحات والنوادر مع السيد حسين بن حامد ومع السلطان عبد الله بن محسن الكثيري وغيرهم، ولا يمكن أن نعطى بن عبيدالله جزءاً من ما يستحقه في هذه العجالة. وسيتعرف القارئ من خلال ما ورد في هذا الكتاب من النقل عن مؤلفات بن عبيدالله مبلغ ما وصل إليه من العلم رغم أننى لم أنقل في هذا الكتاب إلا عن عدد يسير من مؤلفاته التاريخية.

قال ابنه الخال حسن في ترجمة والده: «ثم مرض بالحمى، وبينما هو جالس بين

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ١٣٥.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ٣٢٩.

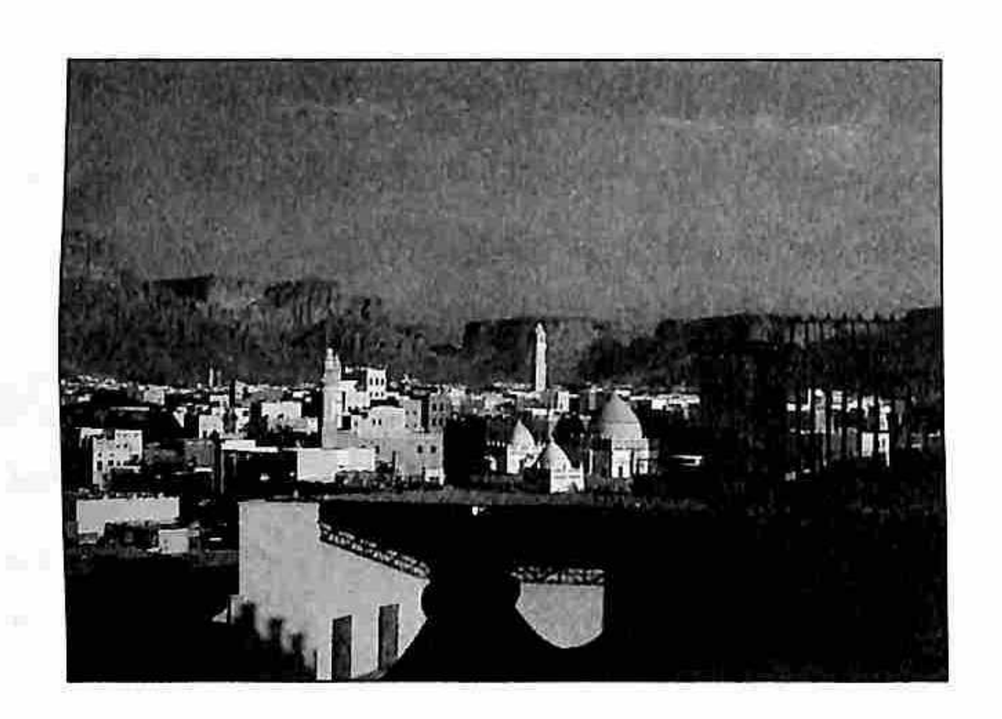
عواده أراد قراءة قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾، فخنقته العبرات، حتى أشفقنا عليه، ثم أتمها بصوت متهدج، وبات يصابر الداء حتى اسلم روحه، في فجر الخامس والعشرين من ربيع الثاني عام ١٣٧٥هـ وهو بسيون، فسارت النعاة بنعيه في طول الوادي وعرضه، وشيعت جنازته في مشهد عظيم لم تشهد سيون أعظم منه في سابق عهدها، وأقيمت له حفلات تأبين كثيرة في مختلف البلاد التي زارها، أو وصل إليها تلاميذه رحمه الله وأجزل مثوبته»، انتهى[١].

❊ ❊ ❊

(١) ديوان بن عبيدالله، مطبعة البيان العربي: ص ٥٤٨.

الفصل السابع والخمسون

تأثير العلويين على المدن



قد يؤدي استقرار العلويين بمكان ما من حضرموت إلى تأسيس مدينة جديدة أو اشتهار مدينة كانت منسية مع التأثير الكبير لوجود العلويين على خصائص البلاد وطبيعة أهلها. وينطبق على الكلام السابق على تأسيس مدينة المشهد قال ابن عبيدالله في معجمه[١]، إنها تأسست في موضع يقال له الغيوار يكمن به اللصوص فيخيفون السابلة ويقطعون السبيل ويأتون في ذلك المكان بالمنكر فبدا للحبيب علي بن حسن العطاس الذي كان يتنقل في البلدان لنشر الدعوة أن يختط بذلك المكان دار ويبني به مسجداً ورغب الناس في البناء بجواره وعندما رأى الناس عموم الأمان بتلك الناحية بنيت الديار حول مسجده وبذلك تأسست مدينة المشهد وبقي آل العطاس مناصبها إلى اليوم (انتهى).

وذكر ابن عبيدالله دمون فقال وهي مساكن آل سلمه وهم قبيلة جلها من تميم كانت لهم خشونة في القبولة ورغبهم العلامة الجليل السيد علي بن شيخ بن شهاب في سكنى دمون لحمايتها وكان أكثر دمون ملكاً للسيد علي المذكور وكان عالماً جليل القدر توفي بالشحر سنة ١٢٠٣هـ[٢].

كما تغيرت كذلك حالة بلدة المسيلة بعد انتقال العلويين إليها فقد ذكر الأستاذ بن هاشم في تاريخ الدولة الكثيرية أن الحبيب الحسين بن طاهر قرر في سنة ١٢٠٨هـ الانتقال من تريم بعد أن زاد فيها الظلم والجور من حاكمها اليافعي عبدالله غرامه فاخذ أولاده وعائلته واتجه بهم إلى بلدة المسيلة وبنى بها داراً واستوطنها قال الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر وقد عظم علينا أمر الهجرة من تريم وشق علينا الخروج إلى الضواحي ولكن من لنا بمراجعة الوالد وهو رجل عظيم الهيبة جداً ولا يستطيع أحد أن يراجعه في قراراته.

قال الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر وكان أهالي المسيلة على جانب عظيم من الغفلة وكان الأكثر منهم قاطعاً للصلاة وفيها جماعة من العلويين اندمجت عوائدهم في عوائد

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مكتبة الإرشاد صفحة ٢١٠.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مكتبة الإرشاد صفحة ٥٥١.

أهلها وطباعهم فبذلنا جهودنا نحن والوالد والأخ طاهر في تلطيف طباع الأهالي وإرشادهم حتى نجحنا في الدعوة وحصل التأثير النافع[1] (انتهى بتلخيص).

ومما لاشك فيه أن هجرة العلويين إلى حضرموت كان لها تأثير واسع على البلاد التي سكنوها وعلى السلاطين والشيوخ والقبائل وعامة الناس وحتى على اللصوص وقطاع الطرق.

قال صاحب المشرع الروي[2] ومن خواص إقليم حضرموت أن الخمر والنبيذ وسائر المنكرات لا توجد فيه ثم حدث بعضها في الأزمنة المتأخرة دون مجاهرة مع خوف الافتضاح ومنها كثرة حفاظ القرآن بها ومداومتهم على تلاوته وكثرة الاشتغال بعلم الفقه والتصوف ومنها عموم الأمن في نواحيها من السراق وقطاع الطرق بخلاف أكثر البلاد ومنها كثرة حجاجها الوافدين إلى بيت الله الحرام بحسب ما يقدرون عليه ماشين وراكبين ومنها غلبة الفقر على أكثر أهلها مع قناعتهم بأكلهم وملبوسهم (انتهى باختصار).

وقد عرف كثير من سلاطين آل كثير بحضرموت بالتقوى والصلاح فهذا السلطان علي بن عمر الكثيري المولود سنة ٩٠٦هـ وصفه صاحب السناء الباهر فقال إنه حفظ القرآن الكريم واشتغل بتحصيل العلم وحج وزار وصحب الأخيار وتولى سلطنة حضرموت وكانت أيام ولايته أيام أمن ورضى وكان شجاعا اشتهر في وقائع هائلة ثم زهد في السلطنة ورغب في الانقطاع إلى الله تعالى (باختصار عن بن هاشم[3]).

ثم السلطان عبدالله بن جعفر بن عمر قال عنه بن هاشم[4]: كان على جانب من العلم والصلاح يعضده اعتقاد العامة فيه أنه عالم من العلماء وولي من الأولياء وله في علم

---

(١) محمد بن هاشم تاريخ الدولة الكثيرية تريم للدراسات والنشر صفحة ١٤٧-١٤٨.

(٢) محمد بن أبي بكر الشلي المشرع الروي صفحة ٢٩٥.

(٣) محمد بن هاشم حضرموت ـ تاريخ الدولة الكثيرية تريم للدراسات والنشر صفحة ٧٩.

(٤) محمد بن هاشم حضرموت ـ تاريخ الدولة الكثيرية تريم للدراسات والنشر صفحة ٨٢.

التأليف رسالة اسمها «الدلائل والأخبار في خصائص ظفار» ولم يعرف بن هاشم تاريخ ولادته أو وفاته.

أما السلطان محمد بن جعفر المولود بشبام سنة ٩٤٢هـ فقال عنه بن هاشم[١] إنه أحب الأدب والأدباء ونزع إلى التصوف ورجاله وله قصيده يمدح فيها الشيخ أبوبكر بن سالم منها قوله:

إن جئت عينات فحي ثراها … واستنشق العرفان من رياها
والصق جبينك بالتراب مقبلاً … شكراً لمن أولاك لثم ثراها
واستقبل الشيخ المعظم خاشعاً … في ذل نفس كي تنال مناها
يا ليت شعري كيف ضاع حجاه … ترك الرشاد ونفسه أشقاها

أما أقصى ما يمكن أن يذهب إليه سلطان من السلاطين فهو السلطان عبدالله بن عمر بن بدر الذي تولى بعد أبيه في سنة ١٠٢١هـ قال ابن هاشم وهو الذي تنسب إليه دولة آل عبدالله الكثيرية فقد قرر فجأة التخلي عن السلطنة والتوجه إلى الله فتوجه إلى عينات وقصد إلى الشيخ الحسين بن أبي بكر بن سالم في قصة غريبة الأحداث حيث تنازل للشيخ عن السلطنة فرفضها الشيخ ثم توجه السلطان عبدالله بعد تخليه عن السلطنة لأخيه إلى الحرمين الشريفين ومات بمكة سنة ١٠٤٥هـ.

ومن سلاطين حضرموت المتأخرين من تأثر بالتصوف فقد ذكر الجد العلامة ابن عبيدالله في بضائع التابوت أن السلطان صالح القعيطي كان معني بكتب الصوفية ولاسيما فتوحات الشيخ الأكبر ثم قال ومع ما أكرم الله به هذا السلطان من العلم فقد زاده بسطة في الجسم (انتهى)[٢].

---

(١) محمد بن هاشم حضرموت ـ تاريخ الدولة الكثيرية تريم للدراسات والنشر صفحة ٨٤.
(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثاني صفحة ١٢٦.

ويمكن أن نعرف الأسباب المؤثرة في سلاطين وحكام حضرموت بعد الاطلاع على الرسالة التي بعثها الحبيب حسن بن صالح البحر (١١٩١-١٢٧٣هـ) لحاكم الشحر علي بن ناجي بريك وأوردها بن حميد في تاريخه ونقتطف منها ما يلي: «فنوصيك حفظك الله أن تقوم بحق ربك على نفسك وأهل مودتك وقرابتك ورعيتك بإقامة الصلاة وزجر من تخلف عنها وتهاون بها ولا يقبل لأحد عذر في تركها من الرجال والنساء والعبيد والأحرار فهي عمود الدين بعد شهادة التوحيد». ثم يوصيه برعيته فيقول: «ثم بعد ذلك انظر في أمر رعيتك ومن ولاك الله عليهم بعين الشفقة والرحمة واحملهم على ما يرضى به ربك» ثم واصل يقول: «وأشفق برعيتك ولا تغير قلب أحد منهم عليك فيدعوا عليك بدعوة توقعك في بأس الله وسخطه وعذابه الأليم»[١].

أما تأثير العلويين على المدن فيتضح أكثر ما يكون في تريم حيث القول الشائع أن شوارع تريم شيخ من لا شيخ له ولازال هذا التأثير باقياً إلى اليوم وقد أورد السيد حامد بن محمد شهاب[٢] تفصيل لعادات تريم ومساجدها وزواياها.

وقال الحبيب عبدالله الحداد في تريم:

منازل خير ساده   لكل الناس قاده
محبتهم سعاده

كما قال القطب الحداد في تريم أيضاً:

فهي لمن بعد المساجد الثلاثة   لمن خير بلاد الله[٣]

(١) سالم بن حميد الكندي تاريخ حضرموت تحقيق عبدالله الحبشي مكتبة الإرشاد صنعاء صفحة ٤٢٨-٤٢٩.

(٢) حامد بن محمد بن شهاب الدليل القويم في ذكر شيء من عادات تريم الناشر مكتبة تريم الحديثة.

(٣) عمر بن علوي الكاف تحفة الأحباب دار الحاوي للطباعة والنشر صفحة ١٧٦.

ويقول الحبيب علوي بن عبدالله بن شهاب وقد كان والي تريم يفتخر بتفوقها على غيرها من البلدان بثلاث خصال فلا يوجد فيها حرام ولا يوجد فيها سارق ولا يوجد فيها محتاج لكثرة ما يبذله أغنياؤها لفقرائها. وقال: ويمر المار في السوق بتريم فيجد أهلها كلهم يذكرون الله ولا يوجد فيهم غافل وأما اليوم فقد انعكست الحالة[١].

ويقال إنه دخل تريم في زمن الشيخ السقاف شخص فمر في طريقه بأربعين داراً كلها قد شرع أهلها في قراءة سورة يس. وكان أحد السادة يمشي في زقاق بعدن فسمع اثنان من الجهالة يتحاوران في مسألة فقهية ويقول أحدهما للآخر أنا سمعت الحبيب عبدالله الشاطري يقول فيها كذا وكذا فاستغربا أمرهما فقالا قد درسنا العلم في رباط تريم على الحبيب عبدالله الشاطري[٢].

والحبيب عبدالله بن عمر الشاطري (١٢٩٠-١٣٥٠هـ) أكبر شخصيه في عصره خدمت العلم بحضرموت ولو لم يكن إلا قيامه بالتدريس في رباط تريم الذي يرده الطلاب من جميع النواحي والأقطار زهاء خمسين عاماً مجاناً لوجه الله الكريم لكفى[٣].

بل إننا ذكرنا في فصل سابق أن أهل بادية حضرموت يختلفون عن غيرهم من رجال البوادي كما تدل عليه القصة التالية قال ابن عبيدالله في بضائع التابوت[٤] وأخبرني السيد علوي بن عبدالله الحبشي صاحب رحاب أن الحبيب أحمد بن حسن العطاس كان يحترم أحد الصيعر واسمه عون وكان من أكبر قطاع الطريق فلامه أصحابه فقال غداً تعرفون خبره فجاءه في الصباح فقال له تعرف ربك قال نعم هو الذي خلق الجبال ورفع السماء وهو الذي يطعمني ويسقيني فقال له تعرف نبيك ﷺ فقال له نعم فقال له معي لك كلام لا يكون

(١) عمر بن علوي الكاف تحفة الأحباب دار الحاوي للطباعة والنشر صفحة ١٧٧.

(٢) محمد سالم بن حفيظ نفح الطيب العاطري الناشر دار العلم والدعوة صفحة ٤٨.

(٣) محمد سالم بن حفيظ نفح الطيب العاطري الناشر دار العلم والدعوة صفحة ٤٥.

(٤) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثاني صفحة ١٠١.

ببالك منه لأن لك الخيار فيه فقال هات قال أنت رجل فقير وقد دفعك فقرك إلى النهب وقطع الطريق وبالأمس أرسل صالح بن عبد الله النهدي ستمائة ريال وقال من أراد أن يبيع نصيبه من شفاعة النبي بمائة ريال فخذوه لي فهل تريد أن تبيع نصيبك يا عون منها بمائتين ريال فحمي الشيخ عون وقال ومن رفع سبع وأوطأ سبع لو غيرك قالها لما أجبته إلا بخنجر في لبته والله لو قالوا لي الدنيا كلها بنصيبي من شفاعة محمد بن عبدالله ما رضيت (انتهى).

كما أن من أكثر البلاد الحضرمية تأثراً بالعلويين مدينة شبام التي وصف ابن عبيدالله أهلها فقال[١]: ولأهلها مناقب كثيرة ومحاسن شهيرة ولاسيما في الورع وصدق المعاملة مع الله وحمل الكل وفعل المعروف والإعانة على نوائب الحق. إلا أنه قال[٢] ولم يبق بأيدي آل شبام اليوم (١٣٦٧هـ) من المناقب الشريفة السابقة لأهلهم إلا حسن التأسي فيما بينهم ومساعدة الضعيف وقضاء الحاجة وجبر المنكوب وقلما ترفع من أولي مرؤتهم دعوى إلى القضاء وإنما يسوون أمورهم فيما بينهم بالإصلاح وهذا ليس بالقليل مع تراذل الزمان (انتهى).

وذكر ابن عبيدالله بعض القصص التي تدل على ورع أهل شبام منها قوله[٣] وبلغني أن الشيخ عوض بن عبدالله باذيب اشترى خرابه من الأمير على بن صلاح قيل أن بعض أهلها مسافر في غيبه طويلة وانفق على بنائها سبعة آلاف ريال ولما احتاج ورثته لبيعها لم تنفق (يشتريها) إلا واحد من آل باهرمز بألفين ريال فقط لان آل شبام بما بقي في قلوبهم من هيبة الدين والورع تحاموها وإلى الآن وهم يتحامون عن شراء التمر الذي يجمعه من المكس (الجمركة) صاحب السدة مع أنه أرخص من غيره بثلث القيمة.

قال ابن عبيدالله وأخبرني المكرم الشيخ كرامه بن أحمد بريكات قال كنت بمقديشو في

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت جزء ١ من الجزء الثاني صفحة ٢٦٨.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلدان حضرموت مطبعة الإرشاد بصنعاء صفحة ٢٧١.

(٣) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلدان حضرموت مطبعة الإرشاد بصنعاء صفحة ٢٦٨.

سنة ١٣٣٤هـ فأرسلت بثلاثمائة وخمسين روبية برعما وهو نوى القطن إلى عدن عند الشيخ أحمد بن عمر بلفقيه فباعه لي واربحني النصف وأبرق إلي أن خذ ما تقدر عليه وحول لي بالثمن فاشتريت أولاً بنحو من ألف روبية وثانياً بمثله وقدمت له حساباً في ثمنه وسائر مصاريفه وخدمته ولم يبق لي عنده بحسب ما قررته في دفتري إلا أربعون ربيه فقط ولما وصلت عدن بعد خمس سنوات أعطاني كاتبه وهو الشيخ محمد سالم باعبيد تحويلاً إلى شبام في ألفين ونحو خمسمائة روبية فشككت فيها وتوهمته غالطاً ولما قدمت شباماً أخبرت الوالد أحمد بن عمر بلفقيه فاخذ بأذني وقال: إذا لم نربكم نحن فمن يربيكم وقد ربانا ناس على مثل هذا فنحن مدينون به وإذا به قيد لي أرباح البراعم بأسرها (انتهى).

كما أن آل شبام يتورعون عن مال الجند وحملة السلاح قال ابن عبيدالله[1] إن أحد أهل شبام أخذ دراهماً من أحمد ناصر اليافعي فهجروه حتى ردها وإن ثمانين حملاً من الحوير وردت شبام وفيها حمل لأحد آل كثير فاشتروها بأسرها إلا ذلك الحمل لم يأخذه أحد وعاد به صاحبه (انتهى).

ولا نستطيع أن نذكر أخلاق أهل شبام دون أن نذكر تأثير السادة آل بن سميط على الشباميين وبالذات دعوة الحبيب أحمد بن عمر بن سميط التي يقول عنها الحبيب علوي بن عبدالله بن شهاب المتوفى سنة ١٣٨٦هـ «دعوة الحبيب أحمد بن عمر طرقت المسامع أكثر من دعوة الإمام الحداد»[2]. قال ابن عبيدالله: وممن تدير شبام من العلويين السادة آل سميط وأولهم العلامة الجليل محمد بن زين بن سميط وصلها لغرض السفر منها إلى القبلة (دوعن) فأبطأت عليه القوافل فأشار عليه الحبيب أحمد بن زين الحبشي أن يتديرها للإرشاد والتعليم وقال له إن أهل شبام أهل اعتقاد وانتقام وبقي بها إلى أن توفي بها سنة ١١٧٤هـ. (انتهى).

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلدان حضرموت مطبعة الإرشاد بصنعاء صفحة ٢٦٩.

(٢) دحمان بن عبدالله لعجم مجموعة مواعظ وكلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط دار الفتح للنشر صفحة ٣٥.

ومن عقبه الحبيب عمر بن زين بن سميط قال ابن عبيدالله قال سيدي الأبر عيدروس بن عمر إن الحبيب عمر بن زين مكث سبعة عشر عاماً لا يضع جنبه على الأرض اجتهاداً في العلم وكان ولده أحمد بن عمر أكثر من يقرأ عليه الكتب وإذا غلبه النوم أعطاه شيئاً من اللوز والزبيب ليطرد به النعاس وينشطه للقراءة (انتهى).

ومن آل سميط بشبام الإمام أحمد بن عمر بن زين بن سميط قال عنه ابن عبيدالله[1] القطب المجدد الداعي إلى الله كان علم هدى ونبراس دجى ونور الإسلام وفرد أعلام. ثم قال ابن عبيدالله ولقد كلل الله أعماله بالنجاح في نشر الدعوة إلى الله حتى انقشعت الجهالة وزالت الضلالة وانتبه الجهاء من النوم وتقيل آثاره اراكين القوم (انتهى باختصار).

وقد اهتم الحبيب أحمد بن عمر بن سميط (١١٧٧-١٢٥٧هـ) بأمر الدعوة فأرسل الدعاة وطلب لهم المعونة المالية وأرسلهم يجوبون القرى وينادون على المنابر وبعد الصلوات وينادون على المنابر الصلاة جامعه فيجتمع أهل القرية بالمسجد فيعلمونهم ويعظونهم[2]. ثم أخذ في نشر الكتاتيب للتعليم ووضع لها نظاماً وخص البوادي بمزيد من العناية وجعل للبوادي البعيدة التي لا يستطيع الدعاة الوصول إليها ليالي معينة لتعليمهم بشبام فهذب أهل البادية وبصرهم بأمور دينهم.

كما اهتم الحبيب أحمد بن عمر بن سميط بتعليم الفتيات فلم تمض فترة وجيزة حتى انتشر التعليم والقراءة في البيوت وأصبحت النساء دليل الرجال إلى طرق الخير والفلاح[3].بل إن من آثاره الباقية بشبام إلى اليوم أن المؤذن متى ما فرغ من الأذان يتلوا التشهد والفاتحة

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلدان حضرموت الناشر مكتبة الإرشاد صنعاء صفحة ٢٦٥.

(٢) دحمان بن عبدالله لعجم مجموعة مواعظ وكلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط دار الفتح للنشر صفحة ٣٦.

(٣) دحمان بن عبدالله لعجم مجموعة مواعظ وكلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط دار الفتح للنشر صفحة ٣٦.

بصوت عال لتسمع النساء في البيوت وقد يتلوا من الدعاء غير ذلك مما يفيدهن[١] ومن آثار الحبيب أحمد بن عمر بن سميط أن النساء بشبام لم يعد يغنين الأغاني الماجنة عند مزاولتهن أعمال البيت بل إنهن يقرأن الأدعية والأناشيد الدينية. ومر الحبيب أحمد بن حسن العطاس (١٢٥٧-١٣٣٤هـ) تحت أحد بيوت شبام فسمع امرأة من داخل الدار تطحن البر على رحاها رافعة صوتها بما تحفظه من كتاب فتح الرحمن الذي يوصي الحبيب أحمد بن عمر بقراءته وتردد حديث شريفا فتوقف الحبيب أحمد بن حسن وقال لله درك يا أحمد بن عمر بن سميط[٢].

وحفظاً لستر المرأة ألزم الحبيب أحمد بن عمر بن سميط النساء بلبس سروال طويل تحت الثوب يصل إلى القدمين صيانة لها من أعين الرجال[٣]. ويذكرنا ذلك بما اقترحه الحبيب علوي المشهور على نساء زنجبار من اللباس المحتشم المسمى البوي بوي والذي لا تزال المسلمات يلبسنه بزنجبار إلى اليوم[٤].

كما اهتم الحبيب أحمد بن عمر بن سميط بالحالة السياسية العامة للبلاد وأخذ ينادي في مجالسه وخطبه بالدعوة إلى إقامة والٍ عادل يصلح وادي حضرموت ويقيم الشرع الشريف وأخذ يتصل بأهل النفوذ والرئاسة لجمع الكلمة وحفظ الشريعة[٥]. واتجه أيضاً إلى تحسين الاقتصاد في شبام فآخى بين التجار والعمال الفقراء ليشتركوا معاً ذاك بماله وهذا

---

(١) دحمان بن عبدالله لعجم مجموعة مواعظ وكلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط دار الفتح للنشر صفحة ٣٨.

(٢) دحمان بن عبد الله لعجم مجموعة مواعظ وكلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط دار الفتح للنشر صفحة ٧.

(٣) دحمان بن عبدالله لعجم مجموعة مواعظ وكلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط دار الفتح للنشر صفحة ٣٨.

(٤) أبو بكر العدني المشهور لوامع النور.

(٥) دحمان بن عبد الله لعجم مجموعة مواعظ وكلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط دار الفتح للنشر صفحة ٣٦.

بعمله فحققوا الأرباح الطيبة وتقاسموها كما رتب طريقة لإقراض المال تبعد الناس عن الاستعانة بالمرابين(١).

كما حرص الحبيب أحمد بن عمر بن سميط (١١٧٧-١٢٥٧هـ) على تعليم أولاد القبائل لهذا نراه يقول في كلامه: تبصروا في عيال القبائل البنات والأولاد خلوهم يتفقهون وهم أبناء سبع سنين أو ثمان معاد يبلغ خمس عشرة سنة إلا وقد أحرز أمر دينه ولو عرفوا من القرآن الفاتحة تكفي فهي أم الكتاب لكنك لو صليت خلفه استأمنت ونرجو من الله أن يكون ذلك بذر السلطان العادل (انتهى)(٢).

ويبين الحبيب أحمد بن عمر بن سميط تأثير التعليم على رجال القبائل وغيرهم وأن ذلك ربما أنتج علماء كبار فيقول: إن الشيخ علي باراس رضي الله عنه كان يرعى الغنم عند الحبيب عمر العطاس فقال الحبيب عمر علموا الراعي لا تخلونه كذا حتى صار من ورد الشيخ علي ربع من القرآن وهو يرعى الغنم ثم ترقى إلى أن صار عين زمانه فأقامه الحبيب عمر داعياً إلى الله(٣).

ويبين الحبيب أحمد بن عمر بن سميط الضرر الحاصل من عدم تعليم أولاد القبائل فيقول: هذا الهوش (السرقات) الجاري في تريس من آل كثير سببه عدم التذكير ودعوة القبائل وربما نحن نشاركهم الذنب يبات الإنسان راكعاً ساجداً وهو شريك في القتل والهوش بسبب سكوته.

ثم قال وواجب على أهل كل بلد يخرجون إليهم (أي القبائل) ويذكرونهم ويعرفونهم أنهم يركضون في طريق النار (انتهى)(٤).

---

(١) دحمان بن عبد الله لعجم مجموعة مواعظ وكلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط دار الفتح للنشر صفحة ٣٧.

(٢) المصدر السابق صفحة ٣١٠.

(٣) المصدر السابق صفحة ٣٩٧.

(٤) المصدر السابق صفحة ٣٨٢.

وأوصى الحبيب أحمد بن عمر بن سميط[١] أهل شبام فقال: أوصيكم وأول الوصية أن تقبلوا على أهليكم وأولادكم فقهوهم وعلموهم فإذا علمتم أنهم عرفوا دينهم ارجعوا إلى أرحامكم ثم جيرانكم ثم أهل محلتكم ثم أهل بلدكم ثم سواد البلد (انتهى).

وقد تأثر بدعوة العلويين وأخلاقهم حتى اللصوص وقطاع الطرق بحضرموت قال ابن عبيدالله[٢] وسمعت من والدي رضوان الله عليه أن لبعض أهل شبام رسالة في مزايا لصوص حضرموت منها أنهم لا يأخذون منيحة طفل ولا يتعرضون لأحد بسوء في يوم الجمعة ولا في ليلتها وأن واحداً من الصيعر ربي عند قوم ثم غزتهم جماعة من أصحابه وكان هو معهم ولما اقتربوا من منازلهم نبحتهم الكلاب فتقدم إلى أحدها فعرفه وبصبص له بذنبه فقال لأصحابه إن القوم في وجهي والله لا يكون الكلب أرعى مني للعهد.

ثم قال ابن عبيدالله وسمعتُ من لسان سيدي الوالد عوض بن عمر شيبان[٣] قال خرج علينا مرة قطاع الطريق وانتهبوا القافلة وبينما هم يأكلون من أزوادنا دعاني بعض رفاقي باسمي فاهتم لها أحد القطاع وجاء إلى عندي وقال لي من أنت وأين دارك فأخبرته ولما أثبتني معرفة نادى في أصحابه أن ردوا جميع ما أخذتم فإن القافلة في ذمتي لأني جئت مرة إلى عند عوض شيبان هذا وأعطاني مداً من أرز بلا ثمن (انتهى).

كما اتصف كثير من رجال القبائل الحضرمية المحاربة بالنزاهة والورع فقد ذكر ابن عبيدالله في إدام القوت ورع الشيخ جعفر بن علي بن عانوز وهو من رجال القبائل الذين شاركوا في موقعة المحائل فقال وهو من الصدق والورع بالمحل الأسنى وكيف لا يكون كذلك وقد شملته عناية شيخ الوادي الحبيب حسن بن صالح البحر (١١٩١-١٢٧٣هـ)

---

(١) مجموع مواعظ وكلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط دار الفتح صفحة ٤٢٦.
(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت جزء ١ من الجزء الثاني صفحة ١٠١.
(٣) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت جزء ١ من الجزء الثاني صفحة ١٠١.

وتأدب به وكان لا يغيب عن مجلسه ولا مجلس سيدي الأستاذ الأبر عيدروس بن عمر الحبشي (١٢٣٧-١٣١٤هـ) من بعده ثم بعده مجلس سيدي الوالد عبيدالله بن محسن السقاف (١٢٦٢هـ-١٣٢٤هـ) ومما يدل على حب الحبيب حسن له أن له معه عدة مكاتبات يقول له فيها إلى الولد جعفر بن علي قال ابن عبيد الله ومن ورع الشيخ جعفر أنه طلب من ابن عبيد الله ولم يكن سنه يتجاوز التاسعة أن يكتب له كتابا للشيخ أحمد بن محمد بارجاء وكلما أطلق عليه وصفاً تحرج فيه حتى لم يستقر رأيه إلا على المكرم المحترم[1].

وظهر بشبام كثير من العلماء بعضهم أخذ عنهم العلويون وأكثرهم أخذ عن العلويين ذكر ابن عبيد الله منهم الشيخ أبو بكر بن عبد الله باصهي وقال ومن أكابر علماء شبام العلامة الفقيه عمر بن عبدالله الشبامي مؤلف كتاب قوارع القلوب وهو إمام جليل من أكابر أعيان القرن العاشر ومنهم الشيخ عمر بن سالم باذيب والشيخ سالم بن علي عباد والشيخ عمر باشراحيل.

ومنهم الشيخ معروف باجمال قال ابن عبيدالله وكان الشيخ أبوبكر بن سالم (٩١٩-٩٩٢هـ) يتردد إلى شبام للأخذ عن الشيخ معروف باجمال وكذلك كان السيد أحمد بن حسين العيدروس المتوفى سنة ٩٦٨هـ والشيخ معروف باجمال أحد صوفية شبام في زمانه ولقيته محن شديدة فزال عن شبام ثلاث مرات أولاها عام ٩٤٤هـ ولما استولى بدر بوطويرق على شبام أهانه إهانة بالغة (انتهى باختصار)[2].

ولم يقتصر التأثير على المدن الكبيرة بل شمل القرى والبلدات الصغيرة ذكر ابن عبيدالله قرية صبيخ فقال: ومنها السيد الجليل جعفر بن محمد العطاس وكانت صبيخ مهد علم حتى لقد اجتمع فيها أربعون عذراء يحفظن إرشاد ابن المقري (انتهى)[3].

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثاني مجلد ٢ صفحة ٥٨.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلدان حضرموت الناشر مكتبة الإرشاد صنعاء صفحة ٢٦١.

(٣) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلدان حضرموت مكتبة الإرشاد بصنعاء صفحة ١٧٩.

أما مدينة سيؤون فقد تأثرت بوجود السادة آل طه بن عمر السقاف وعرفنا من فصول سابقة كيف أن سلطان حضرموت العظيم بدر بوطويرق حرص على وجود العلويين في عاصمة ملكه الجديدة سيؤون فأوحى لمن اقنع الحبيب عمر بن طه السقاف بالزواج بسيؤون بعد أن عرف السلطان بتردده على أحد محبيه بها فتزوج الحبيب عمر عند آل بانجار وهم من أمراء سيؤون السابقين وأثمر هذا الزواج عن إنجاب الحبيب طه بن عمر والذي أصر السلطان بدر بعد ذلك على بقائه بسيؤون ليكون بذرة العلويين من آل طه بن عمر بهذه المدينة فكان الأمر كما أراد السلطان.

ووصف ابن عبيدالله آل السقاف بسيؤون فقال[1] وهم سلالة الحبيب طه بن عمر الثاني المترجم له بالمشرع والمتوفى بسيؤون سنة ١٠٦٣هـ وخلفه ولده عمر المتوفى بمكة سنة ١٠٨٥هـ وسنه سبع وعشرون سنه وخلفه ابنه محمد بن عمر بن طه بن عمر.

وقد رسخت أقدام هذا البيت بسيؤون غير أنهم لم يكونوا يزيدون على سبعة ومتى وجد لأحدهم ولد ذكر مات أحد السبعة حتى كانت أيام الجد سقاف بن محمد بن عمر بن طه (١١١٥-١١٩٥هـ) والذي دعا الله أن يكثر ذريته فبدوا يتكاثرون حتى بلغوا الثلاثين رجلاً عند وفاته.

ووصف ابن عبيدالله آل السقاف بسيؤون فقال: وهم بيت طيب مغرس علم ومنبت صلاح سيماهم التواضع وشانهم الخمول (حب عدم الظهور) يقضون حوائجهم بأنفسهم ولا يتميزوا عن أحد من الناس إلا بالعلم إذا سئلوا وقد حفظوا بوجودهم بسيؤون الطريقة العلوية بعد ما أصابها بعض الخلل كما يعرف من الفوائد السنية لسيدي أحمد بن حسن الحداد ومن العقود اللؤلؤية للعلامة السيد محمد بن حسين الحبشي وغيرها وبقوا على ما كان عليه أوائلهم من التلزم بالفقه وترك البدع والرئآسات لا يدخل مسجدهم طبل ولا يراع وكانوا

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مكتبة الإرشاد صنعاء صفحة ٣٦٨.

يتوسعون في الفقه ويشاركون في التفسير والحديث وليس عندهم من علوم العربية إلا القليل ولبعضهم أشعار لا تنتهي إلى إجادة ولهم من الأعمال الصالحة وتحمل المشاق في مجاهدة النفوس ما لو لم أره عياناً في والدي لم يكن لي بما يذكر عن السلف قوة على التصديق (انتهى النقل)[١].

ولا يفوتني أن أذكر أن هذه الأخلاق العلوية لا زالت موجودة في أهل سيؤون إلى اليوم وتدل عليها القصة التالية فقد كان سيدي الوالد محسن بن علوي السقاف في مجلس بمدينة جدة في السبعينات الميلادية ومعه المكرم الشيخ الفاضل سالم عبيد باحبيشي فذكر الوالد نيته شراء قطعة أرض فقال له الشيخ سالم إن اشتريت فأنا شريك معك في نصفها ومرت الأيام واشترى الوالد أرضاً وكتب فيها مكاتبه مع بائعها إلا أن البائع تراجع عن بيعه لأن أحداً أغراه بضعف الثمن فلم يوافق الوالد لان العربون الذي قدمه الوالد كان جزءا من الثمن حسب الاتفاق وتحاكما للشيخ محمد باحارث وهو قريب للبائع فحكم للوالد بستمائة ألف ريال كتعويض لتنازله عن البيع فما كان من الوالد إلا أن أرسل للشيخ سالم باحبيشي بثلاثمائة ألف ريال حصته في المكسب رغم أنه لم يدفع شيئاً من المال بل قال كلاماً في مجلس ثم نسيه.

وذكر ابن عبيدالله نقلاً عن والده شهرة أهل سيؤون بمحبة الأنس وخروجهم للتروح كل ليلة من ليالي الصيف والخريف إلى جنوبها في الفضاء الرحب بسفوح يثام ويخرجون معهم أولادهم وأهاليهم ثم لا يرجعون إلا بعد العشاء ويكاد من تأخر أن لا يجد مكاناً إلا بجوار الجبل ولا يحتاج أحدهم أن يأخذ ناراً لنحوا إصلاح قهوته لكثرة من يجدها معهم من الناس[٢].

قال ابن عبيدالله: وقل ما يغب عن سيؤون دق الطبول وشارات الأنس لتواصل أفراحهم وغلبة مسراتهم وأطراحهم هم الدنيا بما عندهم من القناعة فهي أصل سعادتهم

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مكتبة الإرشاد صنعاء صفحة ٣٦٨.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مكتبة الإرشاد صنعاء صفحة ٣٦٨.

وكان الجد محسن بن علوي السقاف لا يقر له قرار ولا يطمئن بجنبه مضجع إذا لم يسمع أصوات الطبول والأغاني وشارات الأنس لأن ترك ذلك لا يكون إلا عن ملم يشغل الأفكار ويشوش الخواطر وكان يذكر مثل ذلك عن جده سقاف بن محمد[١] (انتهى).

وقد اهتم العلويون بسيؤون بتعليم أهل القرى المجاورة لسيؤون قال بن حميد في تاريخه (وفي الشهر المذكور ألزم سيدنا الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر (١١٩١-١٢٧٢هـ) الحبيب محسن بن علوي السقاف (١٢١١-١٢٩٠هـ) بالخروج إلى مدودة ويرتب لأهلها مجالس لتعليم ما يجب عليهم ويعرفهم الحلال والحرام)[٢].

كما لم ينس العلويون بسيؤون نصيب أصحاب الحرف والسوق من التعليم والتذكير قال بن حميد في تاريخه «فلما كان يوم الاثنين وقع المدرس بمسجد جامع بلد سيؤون وهو الذي أسسه الحبيب محسن لأهل الحرف من أهل البلد خصوصاً أهل السوق»[٣].

ولقد حمل الحضارمة إلى مهاجرهم هذه الأخلاق التي تفردوا بها عن بقية العرب بفعل تأثرهم بالعلويين بحضرموت ويصف المستشرق الهولندي الحضارمة في جزر الأرخبيل الهندي (اندونيسيا) في كتابه الذي ألفه سنة ١٨٨١هـ فيقول ومن أبرز السمات المميزة لحياة الأسرة العربية في الأرخبيل الهندي الالتزام الصارم بالواجبات الدينية والابتعاد عن ألعاب القمار وتعاطي الأفيون[٤].

وحمل الحضارم إلى أفريقيا نفس الأخلاق التي حملوها للشرق الأقصى ففي كتاب الحضارم في ممباسة ودار السلام يتحدث الشيخ خميس عن تجاربه في التعامل مع الأفريقيين بإظهار شعائرنا الدينية وقيامنا بصلاتنا وزكاتنا والصدقة على الفقراء وقيام بعض المشايخ

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثالث صفحة ١٨٢-١٨٣.

(٢) سالم بن حميد الكندي تاريخ حضرموت تحقيق عبدالله الحبشي مكتبة الإرشاد صنعاء صفحة ٢٢.

(٣) سالم بن حميد الكندي تاريخ حضرموت تحقيق عبدالله الحبشي مكتبة الإرشاد صنعاء صفحة ٢٧.

(٤) مسعود عمشوش العرب في الأرخبيل الهندي صفحة ١٣٥.

والسادة وغيرهم بالتعليم بين المسلمين فكسبنا ثقة أهل السواحل وأثرنا فيهم وليس فقط من خلال التعامل في الدكاكين[١].

قال ابن عبيدالله[٢] وحدث في أثناء حرب آل مبارك بن عمر وآل فلوقه في الوقت الأخير أن صالح بن سالم رئيس آل فلوقه كان بسورابايا فعزم على السفر إلى حضرموت ليشد من أزر أصحابه بها في ذلك الحرب فاكتتب له أصحابه ومعارفه بما يقويه على مهمته ولما علم عدوهم الشيخ عوض بن امبارك بن عمر وأخوه عمر بعزمه إلى حضرموت دفع إليه بطريق الأمانة بسبعة آلاف روبية ليوصلها لقومه بحضرموت فلما وصل منعه أصحابه في دفعها لهم حتى لا يتقووا بها على حربهم فقال لهم لا تتحدث العرب أنني خنت أمانتي ولو كان في ذلك هلاككم بأسركم ثم طلب من يخفره إليهم وسلمها لهم (انتهى).

كما اشتهر الحضارمة بالأمانة والوفاء قال ابن عبيدالله في بضائع التابوت: ومما تقر له العين وينشرح به الصدر وتتزين به الأيام أن الشيخ علي إبراهيم بلجون دفع للشيخ أحمد بن سالم بن مسلم المتوفى سنة ١٣٥١هـ وكلاهما من أهل الغرفة نحواً من الألف ريال ليشركه بها في تجارته بالمكلا على سبيل القرض فما زال ينفق عليه في حياته حتى مات عن ابن وأربع بنات فبقي ينفق عليهن حتى زوجهن وجهزهن بأحسن جهاز وأكمله ودام على مواساتهن بكل ما يحتجن إليه ولما اشتد ساعد الابن ناقش ابن سلم الحساب واستوفي جميع ما بقي له ولأخواته وكان قدراً لا يستهان به وأخذ الشيخ أحمد مسلم وثيقة منهم بالقبض والمخالصة وسرعان ما أتلف الولد المال فعاد الشيخ أحمد لما كان عليه من المواساة والإنفاق ولكن بصفة الدين عليهم ولما مرض الشيخ أحمد مسلم مرض الموت استدعى البنات فجئن على يقين أنه سيطالبهن بما انكسر له عندهن من المال فبدأنه الكلام وقلن له لا نقدر على مكافأتك وما معنا إلا البيوت وهي مبذولة لك إزاء ما اجتمع لك عندنا من الدين وهذه خطوطها (صكوكها) فتسلمها

---

(١) عبدالرحمن بن عبدالكريم الملاحي الحضارم في ممباسة ودار السلام دار حضرموت للنشر صفحة ٦٤.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت جزء ١ من الجزء الثاني صفحة ٩٨.

فقال لأحد أصحابه هات الدفتر الفلاني فأحضره وبعد أن راجعه قال إن الباقي لكنَّ عندي أربعة آلاف ريال وسلمها لهن فلم يكن جوابهن غير إرسال الدموع قال ابن عبيدالله فهذه والله أمانة لو قسمت على أهل مدينة لوسعتهم (انتهى).

ونقل ابن عبيدالله[1] أيضاً عن الشيخ باجمال أن السلطان عبدالله بن علي الكثيري أعطى فاضل بالكروس السعدي فرساً وكان من أتباعه ثم شاء فاضل أن يسكن بقرية جفل عند أعداء السلطان فأرسل بالفرس للسلطان وقال معاذ الله أن أستعين بخيله عليه (انتهى).



(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت جزء ١ من الجزء الثاني صفحة ١٠٠.

الفصل الثامن والخمسون

علاقة العلويين بالشخصيات الإسلامية



جمال الدين الأفغاني

للعلويين أينما ذهبوا وحيثما ساروا اتصال وثيق وعلاقة طيبه بالعلماء المسلمين من كل البلاد إضافة إلى اتصالهم الوثيق بعلماء اليمن وعلماء الحرمين وسأورد في هذا الفصل ما تعرفت عليه من هذه الاتصالات مما ورد في المصادر التي توفرت لي في مكتبتي دون قصد مني بالبحث والمتابعة.

وقد توطدت العلاقة بين السياسي الإسلامي الشهير جمال الدين الأفغاني وبين السيد العلامة فضل بن علوي بن سهل مولى خيله أثناء تواجدهما معاً بالآستانة في عهد السلطان عبدالحميد وكان الاثنان من المقربين للسلطان ثم غضب السلطان على الأفغاني ويقول ابن عبيدالله أنه لما تغير الحال بين السلطان عبدالحميد والشيخ جمال الدين الأفغاني لم يتخل عنه السيد فضل وكان له خير معين أثناء محنته ولعل فتور العلاقة المؤقت بين السيد فضل والسلطان عبد الحميد كان بسبب مساندة السيد فضل للأفغاني ونقارن هنا بين تصرف السيد فضل بن سهل مع جمال الدين الأفغاني وبين تصرف الإمام محمد عبده والذي كان بمثابة الوزير لجمال الدين الأفغاني فقد كان تلميذه ثم زامله في هجرته إلى باريس وأصدر معه مجلة العروة الوثقى لكن الإمام محمد عبده تخلى في النهاية عن الأفغاني وعاد إلى مصر حيث تولى مشيخة الأزهر في عهد الاحتلال الانجليزي إضافة إلى تحريره مجلة المقطم وانقطع عن الأفغاني ولم يكتب له حتى نعياً في جريدته عند وفاته.

ترجمة السيد جمال الدين الأفغاني (١٢٥٤-١٣١٥هـ):

ذكرته الموسوعة العربية العالمية[1] فقالت: هو جمال محمد بن صفدر الحسيني مفكر إسلامي وأحد رجال عصره الأفذاذ الذين ساهموا في إحياء حضارة الشرق ولد في أسعد أباد بأفغانستان ونشأ بكابل وتلقى العلوم الدينية والعربية وبرع في الرياضيات وكان يجيد اللغات العربية والأفغانية والفارسية والتركية وله إلمام بالانجليزية والفرنسية والروسية.

---

(١) الموسوعة العربية العالمية المجلد الثامن صفحة ٤٤٤.

كان كثير الرحلة سافر أولاً إلى الهند وحج سنة ١٢٧٣هـ ثم عاد إلى أفغانستان وشارك في حكومة محمد خان ثم رحل إلى الآستانة سنة ١٢٨٥هـ وانضم إلى أعضاء مجلس المعارف ثم نفي من تركيا إلى مصر سنة ١٢٨٨هـ فاستقر لفترة وعمل على نشر الإصلاح الديني والسياسي وتتلمذ على يده كثيرون منهم الشيخ محمد عبده ثم نفته الحكومة المصرية سنة ١٢٩٦هـ فعاد إلى حيدر أباد بالهند ومنها إلى باريس التي أنشأ فيها مع تلميذه الشيخ محمد عبده جريدة العروة الوثقى وقد أقام أربع سنوات بروسيا وعاش قليلاً بألمانيا وهناك التقى بشاه إيران ناصر الدين الذي دعاه إلى بلاده فرحل إلى إيران ولكن الشاه ما لبث أن ضيق عليه فرحل الأفغاني إلى الآستانة بدعوة من السلطان عبدالحميد الذي طلب منه الكف عن التحريض على شاه إيران فترك التحريض على خلعه والكتابة عنه في الصحف.

كان الأفغاني واسع الإطلاع كريم الأخلاق كبير العقل ولم يكن يكثر من التصانيف لانصرافه إلى الدعوة في السر والعلن ومن مصنفاته تاريخ الأفغان وهو مطبوع ورسالة الرد على الدهريين.

مرض الأفغاني بالسرطان في فكه وتوفي بالآستانة سنة ١٣١٥هـ ونقل رفاته سنة ١٣٦٣هـ إلى أفغانستان (انتهى).

ونقلاً عن الإمام محمد عبده أن الأفغاني سني حنفي مع ميل إلى مذاهب السادة الصوفية[١].

قال ابن عبيد الله وحدثني العم عقيل بن عبد الرحمن بن علوي السقاف بما لا يتسع له المجال من علو شأن السيد فضل بن علوي بن سهل مولى خيله بالآستانة وتمكنه عند السلطان عبدالحميد وأخبرني الثقة الفاضل السيد عبد الله بن عبد الرحمن بن طاهر أن السلطان عبدالحميد كان يقبل يد السلطان فضل وهو يضرب حينئذ على ظهر السلطان ويقول بارك الله

---

(١) عبد الرحمن الرافعي جمال الدين الأفغاني دار المعارف بمصر صفحة ١٤١.

فيك يا سلطان وكان الشيخ أبو الهدى الصيادي والشيخ أحمد أسعد المدني ينافسانه في القرب من السلطان ويحسدانه على عظيم منزلته لديه حتى لقد أشاعا مرة أن السلطان أصدر أمراً بمنعه من دخول القصر فلم يكن من السيد فضل إلا أن ذهب إليه بهمة قوية لم يقدر على اعتراضه معها بواب ولا حاجب حتى انتهى إلى مقربة من مجلس السلطان فنادى بأعلى صوته إن كنت خليفة جدي فهلم إلي فإني أريد الاجتماع بك الآن فخر السلطان ودموعه تتحادر على خديه من ذكر سيد الوجود ﷺ وكان شديد التعظيم له ولآثاره حسب ما يعرف من سيرته المشهورة وتبين للسلطان كذب الواشين على السيد فضل فزاد في إعلاء منزلته وبالغ في التحفي به ورفع الحجاب عنه في أية ساعة شاء من ليل أو نهار وأكد براءة ساحته عند السلطان انبساط يده وسماحة نفسه فقد مات السيد فضل بن سهل وما ترك لأهله مالاً ولا عقاراً مع كثرة ما يصل إليه من إنعام السلطان ومن غيره بخلاف ذينك الدجالين فقد اقتنيا العقار وتأثلا الأموال غير أن الحكومة الدستورية ناقشتهما الحساب بعد ذلك أما هو فقد بقي محفوظ الكرامة في أولاده وأبقتهم الدولة الدستورية على كل ما رسم لهم من الأرزاق والإدرارات السلطانية الضخمة فمازالوا عليها حتى ثارت الحرب العظمى فقطعها عنهم الاتحاديون (انتهى).

قال ابن عبيدالله ورأيت في حاضر العالم الإسلامي لشكيب أرسلان أنه اطلع على نشرة من جانب أبي الهدى الصيادي تناول السيد فضل العلوي الحضرمي أمير ظفار والشيخ ظافر المدني الطرابلسي شيخ الطريقة الشاذلية والشيخ جمال الدين الأفغاني وثلاثتهم من المقربين لدى السلطان عبد الحميد ولكل واحد منهم نصيب وافر من الشتم والوقيعة في هذه النشرة.

❊ ❊ ❊

أبو الهدى الصيادي[١]

شيخ صوفي ذو آصول ريفية متواضعة من شمال سوريا وضع السلطان عبدالحميد تحت تصرف الصيادي مبالغ مالية ضخمة من الخزينتين الإمبراطورية والخاصة ومن الهبات الدينية وبهذه المبالغ مول أبو الهدى الصيادي توسيع الطرق الصوفية في سوريا والعراق وبخاصة الطريقة الرافعية التي كان هو نفسه يرئسها وقام بتعمير التكايا والزوايا الصوفية وعين نائب شيخ لكل تكية ودفع مرتباً شهرياً له ووفر المبالغ لمصروفات التكايا كما صرف النقود على إصلاح التكايا الموجودة وأداة تعمير أضرحة الأولياء.

ولكي يوسع شبكة الحماية هذه عمد أبو الهدى إلى أن يدمج في الطريقة الرافعية الطرق الصوفية الصغيرة للطبقات الشعبية في البلدات والقرى بتلفيق الأنساب لإدخال شيوخ الطرق الشعبية في الجماعة الرافعية وبما أن أعضاء تلك الجماعة حصلوا على ألقاب الشرفاء فإن الشيوخ الصوفيين الصغار اكتسبوا امتيازات ذرية النبي مثل الإعفاء من الخدمة العسكرية والضرائب كما وزع الصيادي المناصب والمنح الدراسية والنياشين للإتباع وبنى جوامع ومدارس دينية جديدة وأعاد إعمار القديمة منها واعتمد الكثير من العاملين في الجوامع من الأئمة إلى المؤذنين إلى النظار على حماية الصيادي.

وقد ازدهرت الطريقة الرافعية في عهد السلطان عبدالحميد وهي طريقة تدعوا إلى الطاعة التامة للسلطان تمنع التمرد عليه[٢].

---

(١) ديفيد دين كومنز الإصلاح الإسلامي ترجمة د مجيد الراضي دار المدى للثقافة والنشر صفحة ١٩٦.

(٢) ديفيد دين كومنز الإصلاح الإسلامي ترجمة د مجيد الراضي دار المدى للثقافة والنشر صفحة ١٩٢.

الأمير شكيب أرسلان

(١٢٨٦-١٣٦٦هـ)



وقد كانت للعلامة السيد محمد بن عقيل بن يحيى (١٢٧٩-١٣٥٠هـ) علاقة وطيدة بالملوك والعديد من الشخصيات الإسلامية الكبرى في زمنه سواءً في الحجاز أو مصر أو حضرموت أو جاوا أو سنغافورا.

وكان أمير البيان شكيب أرسلان من أصدقائه ولما بلغته وفاته نعاه بكلمه عنوانها (مصاب الإسلام محمد بن عقيل منها قوله:ليس فقد الشريف محمد بن عقيل بن يحيى بخطب على السادة الأشراف الحضارمة وحدهم ولا برزء القطر اليمني منفرداً ولا بمصاب الأمة العربية من دون غيرها بل لعمري هو المأتم الذي يحق أن يجلس للعزاء فيه الإسلام من أقصاه والمناحة التي يشترك فيها جميع أقطار أهل كلمة لا اله إلا الله محمد رسول الله ... رحمه

الله وجزاه عن العرب والإسلام خيراً ولقد أتيت على جزء من فضائله بمقالة نشرتها في جريدة العهد الجديد البيروتية عندما جاءني نعيه الأليم وذكرت فيها تشرفي بلقائه في المدينة المنورة قبل الحرب العامة ببضعة أشهر وتجاذبنا أهداب المباحثات السياسية يومئذ .. جاءني نعيه فنزل علي نزول الصاعقة لأني في مقدمة من يقدرون هذا الراحل الجليل الذي فقدناه انطفأ سراج كبير من سرج الإسلام والإسلام هو الذي فقده وأما هو فقد انطلق من سجن هذه الدنيا إلى ساحة القدس التي لا نهاية لها.

أسأل الله أن يحسن عزاء السادة الحضارم وعزاءنا جميعاً بهذا السيد السند وأن يلهمنا وإياهم الصبر الجميل.

جنيف ٢ نوفمبر ١٩٣١م[١]

ترجمة الأمير شكيب أرسلان:

قال عنه صاحب الموسوعة العربية العالمية[٢]: هو الأمير شكيب حمود حسن أرسلان سياسي لبناني شاعر وكاتب ومفكر وعالم موسوعي المعرفة ولد بلبنان وتعلم في مدرسة الحكمة والمدرسة السلطانية ببيروت وأتقن اللغات التركية والفرنسية والألمانية إلى جانب لغته العربية وتعلم على عدة شيوخ منهم عبدالله البستاني صاحب المعجم اللغوي والشيخ محمد عبده وجمال الدين الأفغاني.

تولى عدة مهام علمية وإدارية وسياسية وكان نائب حوران بمجلس المبعوثان بالآستانة وعضو المجمع العلمي العربي بدمشق وعضو في الوفد العربي المدافع عن سوريا وفلسطين عاش مهاجراً ومنفياً في عدة بلدان منها تركيا ومصر وألمانيا وسويسرا وتوفي في بيروت.

---

(١) محمد بن عقيل بن يحيى العتب الجميل تريم للدراسات والنشر ٤٦.

(٢) الموسوعة العربية العالمية المجلد الأول صفحة ٥٠٨.

ترك إنتاجاً علمياً غزيراً وتجاوزت مطبوعاته ثلاثين كتاباً هذا عدى مئآت البحوث والمقالات الصحفية وأهم مؤلفاته كتاب لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم وتعليقاته على كتاب حاضر العالم الإسلامي وكان لرحلاته الكثيرة أثر واضح في تغذيته بالخبرات الواسعة في السياسة والأدب والشعر والتاريخ والجغرافيا والفقه والترجمة والشرح والتفسير ومن أبرز خصائصه في الكتابة النزعة العلمية السلفية والنزعة الثورية فهو يرى في الخلافة الإسلامية العثمانية عزا للإسلام وقوة للعرب ويميل أسلوبه في كتاباته الأولى إلى الجزالة ثم تحول إلى الأسلوب الحضري السهل وأما شعره فينبض بالوطنية المقترنة بالفخر (انتهى).

كما مكث السيد محمد بن عقيل الذي أوردنا ترجمة له في مكان آخر من هذا الكتاب فترة في مصر وتعرف على أكابر رجالها وكان يكتب في الصحف المصرية ولهذا حضر حفل تأبينه في مصر كثير من الشخصيات المرموقة منهم أحمد زكي باشا وطنطاوي جوهري وغيرهم كثير[١].

وكانت بين السيد محمد بن عقيل بن يحيى والسيد محمد رشيد رضا صاحب جريدة المنار صلات أخوية متينة وكان السيد محمد بن عقيل يكتب في المنار ثم حصل بعض التجافي بينهما لم يذكر المترجم سببه ولعلي أعزوه إلى دور السيد رشيد رضا في قضية الإرشاد بجاوا قال المترجم غير أن والدة السيد رشيد رضا المرأة الصالحة كانت شديدة العطف على السيد محمد بن عقيل فأمرت ابنها رشيداً باسترضائه فجاء إليه مسترضياً وكان صاحب المنار يلقبه بالصديق ولما توفي ابن عقيل كتب السيد رشيد له تأبينا في مناره[٢] كما كانت للسيد العلامة محمد بن عقيل اتصالات مع الحكام وأولياء الأمور والشخصيات الذين يشكلون صفوة المجتمع في بلدانهم منهم السيد محمد العرفي السوري المكافح ضد الاستعمار والسيد العلامة

---

(١) محمد بن عقيل بن يحيى العتب الجميل تريم للدراسات والنشر ٤٥.

(٢) محمد بن عقيل بن يحيى العتب الجميل تريم للدراسات والنشر ٣٧.

محسن الأمين في دمشق ومنهم العلامة جمال الدين القاسمي والسيد العلامة محمد الألوسي وغيرهم[١].

وقد أرسل العلامة ابن عقيل بنسخه من كتابه النصائح الكافية لمن يتولى معاوية إلى الشيخ القاسمي بدمشق طالباً منه التعقيب عليها وكتب القاسمي تعليقاته على هامش مقالة ابن عقيل وأرسل نسخه إلى ابن عقيل وأخرى إلى صديق له في جده لكن هذا الصديق نشر المسودة دون معرفة القاسمي ومن ثم كتب جمال الدين رسالة اعتذار إلى ابن عقيل موضحاً أنه لم يقصد الحط منه أو أن يشرع في الجدال[٢].

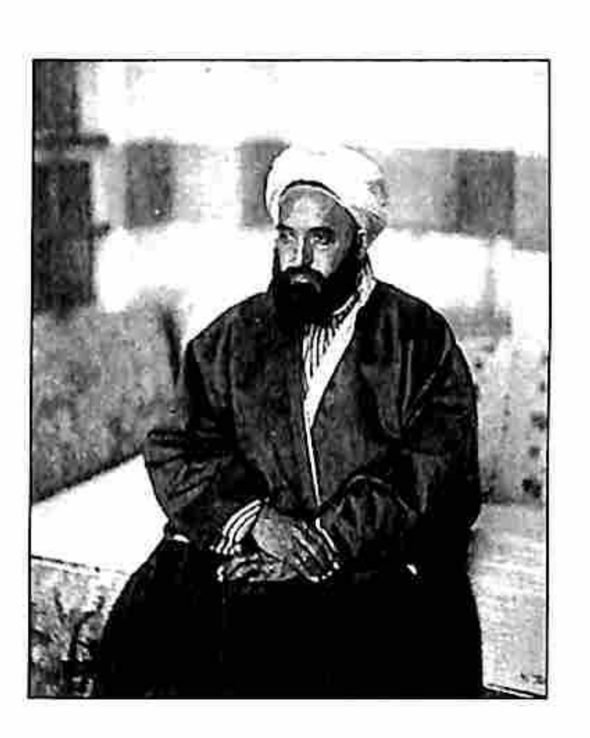
* * *

(١) محمد بن عقيل بن يحيى العتب الجميل تريم للدراسات والنشر ٣٦-٣٧.

(٢) ديفيد دين كومنز الإصلاح الإسلامي ترجمة د. مجيد الراضي دار المدى للثقافة والنشر صفحة ١٥٠.

الأمير عبد القادر الجزائري

(١٢٢٢-١٣٠٠هـ)



كما حصل الاتصال بين السيد أحمد بن عبدالرحمن السقاف (١٢٧٨-١٣٥٧هـ) أثناء وجوده بالحرمين للحج والزيارة بالمجاهد الكبير عبد القادر الجزائري وأجاز كل منهم الآخر كما جاء في تعليقات كتاب الأمالي[١] وهذا تعريف موجز بالأمير عبد القادر وأعماله.

---

(١) طه حسن السقاف تعليقات على كتاب الأمالي للسيد أحمد بن عبد الرحمن السقاف الناشر دار الأصول بتريم صفحة ٦٦.

ترجمة الأمير عبد القادر الجزائري:

ذكره الزركلي في الأعلام فقال: أمير مجاهد من العلماء الشعراء البسلاء ولد بالجزائر وحج مع أبيه سنة ١٢٤١هـ ولما دخل الفرنسيس بلاد الجزائر سنة ١٢٤٦هـ بايعه الجزائريون وولوه القيام بأمر الجهاد فنهض بهم وقاتل الفرنسيين خمسة عشر عاماً ضرب في أثنائها نقوداً وأنشأ معامل للأسلحة والأدوات الحربية وملابس الجند وكان في معاركه يتقدم جيشه ببسالة عجيبة وأخبار معاركه مع الفرنسيين طويلة ولما هادن سلطان المغرب الأقصى عبدالرحمن بن هشام الفرنسيين ضعف أمر عبد القادر حتى تمكن منه الفرنسيون فنفوه إلى طولون بفرنسا ثم زاره نأبوليون وسرحه واشترط عدم عودته للجزائر فاستقر في دمشق سنة ١٢٧١هـ وتوفي فيها[١].

* * *

(١) خير الدين الزركلي الأعلام المجلد الرابع دار العلم للملايين صفحة ٤٥-٤٦.

عبد الرحمن عزام باشا



وحصل نوع من التعارف بين علامة حضرموت ومفتيها السيد عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف وبين عبدالرحمن عزام باشا الأمين الأول للجامعة العربية فقد ذكر ابن عبيدالله في المعجم قلقة الشديد من الحوادث الجارية بفلسطين ووجود من يوطئ مناكب قومه لليهود من الفلسطينيين[١] ومن يبيع الأسلحة لليهود.

قال ابن عبيدالله في المعجم: ولهذا فإني لا أخلوا من ظن بمن تقدمت في تاريخه مع المسلمين نقاط سوداء وأرى أن لا أمل فيمن لا يستمد نفوذه وإمارته إلا من الأجانب لأنهم من أعرف الخلق بشراء الضمائر فلن ينصبوا ولن يرشحوا إلا من يملأ هواهم ويتابع رضاهم ويتفيأ حيث مال ريحهم ويدور حيثما دارت زجاجتهم حتى لقد عزمت أن أبرق إلى عزام

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلدان حضرموت الناشر مكتبة الإرشاد صنعاء صفحة ٣١٨.

باشا ـ لنوع تعارف بيننا ـ بما هذه صورته: إني لأحذركم أن يكون جيشك تمام العشرين ولاسيما بعدما فسرت خم معناه وما أشير به إليه[١].

ترجمة عبد الرحمن عزام باشا:

وتقول الموسوعة العربية العالمية عن عبد الرحمن عزام باشا سياسي مصري ولد سنة ١٨٩٣م وهو أول أمين عام لجامعة الدول العربية منذ إنشائها سنة ١٩٤٥م اشترك مع الجيش العثماني في حرب البلقان سنة ١٩١٣ وشارك في الحركة القومية التي تزعمها سعد زغلول في مصر سنة ١٩١٩م وله نشاطات سياسية وطنية ومواقف متعددة في الدفاع عن قضية فلسطين بالأمم المتحدة عمل فترة مستشاراً سياسياً بالمملكة العربية السعودية ومثل مصر في كثير من المؤتمرات الدولية والعربية[٢] (انتهى النقل).

هذا وقد عرف العلامة خير الدين الزركلي كثيراً من العلويين وترجم لهم في موسوعته الأعلام ومنهم العلامة ابن عبيدالله والعلامة الحبيب أحمد بن عبد الرحمن السقاف وغيرهم.

❊ ❊ ❊

---

(١) عبدالرحمن بن عبيد الله السقاف معجم بلدان حضرموت الناشر مكتبة الإرشاد صنعاء صفحة ٣١٨.

(٢) الموسوعة العربية العالمية الطبعة الثانية المجلد ١٦ صفحة ٩٥.

أحمد الشريف السنوسي

(١٢٨٤-١٣٥١هـ)



والتقى الحبيب محمد بن هادي السقاف للحج في رحلته حجه سنة **١٣٤٧** هـ المجاهد الليبي السيد أحمد السنوسي ويقول عن هذا اللقاء: وصعدنا إلى جبل أبي قبيس وعرجنا في الطريق على السيد التقي العلامة ناصر الإسلام ومجاهد أعدائه الطغام أحمد بن محمد السنوسي لأنه كان يسكن بيتا في منتصف الجبل ولما دخل علينا وجدناه رجلاً مهيب الطلعة تبرق أسارير وجهه بنور التقوى والصلاح فرحب بنا أتم الترحيب وأخذ يسأل سيدي محمد عن وطنه فأخبره عن وطنه حضرموت وشرح له بعض أحوالها وسيرة أهلها السابقين فقال وهل للانكليز تداخل فيها فأجاب بان الانكليز يدعي حمايتها ولكنه في الحقيقة لا تعلق له بها ولا ارتباط وإنما هم مستقلون بأنفسهم وقال السيد حسن بن محمد فدعق بلغتنا أخبار قريبة بأن الانكليز متشوق الآن إلى التداخل فيها ونرجو ألا يصح هذا الخبر ثم ذكر السيد حسن

فدعق للسيد أحمد السنوسي أن الأمير شكيب أرسلان أحد علماء المسلمين عازم على الحج هذه السنة فسر السيد السنوسي واستبشر وقال إنه من أحبابنا وقد عرفنا ثباته في إعماله وصدقه في خدمة المسلمين ومجادلة أعدائه الطاغين وذكر لنا السيد السنوسي أن الطليان لما طالت عليهم الحرب بطرابلس ورأوا ثبات المجاهدين معنا أهدى لنا مليون يطلب منا أن نتنازل عن بعض حدود البلاد فرددناه عليه فظن أننا لم نقبله استقلالاً له فأرسل لنا سبعة ملايين فرددناها ثانياً وهذا سياسة منه لأنه يعلم أننا لو قبلناها لخربت نية المجاهدين معنا ثم طلب منه سيدي الفاتحة وخرجنا من عنده وقصدنا مسجده الملاصق لبيته فرأيناه مواجها للمسجد الحرام ترى منه الطائفين والعاكفين ورأينا في قبلته كوة مسامتة للركن اليماني يرى المصلي منها الكعبة حين يصلي. انتهى[١].

ترجمة السيد أحمد الشريف بن محمد السنوسي[٢]:

من كبار السنوسيين أصحاب الطريقة المعروفة بهم في المغرب كان ذا علم غزير وصنف عدة كتب وقاتل الايطاليين الذين اعتدوا على طرابلس الغرب وبرقه في حربهم على الدولة العثمانية سنة ١٣٣٩هـ وصارت برقه وطرابلس تحت لوائه ولما عقد الصلح بين إيطاليا والعثمانيين حمل عبئ الجهاد وحده إلى أن دب الخلاف بينه وبين ابن عمه السيد إدريس وقل أنصاره فدعي إلى الآستانة فقصدها على غواصة طريق فيينه وتولى في العاصمة العثمانية تقليد السلطان محمد السادس السيف يوم ارتقائه العرش وأنعم عليه برتبة الوزارة وقامت حركة مصطفى كمال فوالاها وأقام بمرسين لكن الكماليين اتهموه بعد ذلك بالاتصال ببعض آل عثمان الذين زالت دولتهم وأوعزوا له بالخروج من تركيا فلم يأذنوا له بالإقامة فرحل إلى الحجاز فأكرمه الملك عبدالعزيز آل سعود فأقام في ضيافته بالمدينة صيفاً وبمكة شتاءً إلى أن توفي بالمدينة المنورة.

---

(١) محمد شيخ المساوى المنحة الإلهية في الرحلة الحجازية مخطوطة صفحة ٣٠٨-٣١١.

(٢) خير الدين الزركلي الأعلام المجلد الأول دار العلم للملايين بيروت صفحة ١٣٥.

الشيخ حسن البنا

١٣٢٤-١٣٦٨هـ



وذكر ابن عبيدالله أنه اجتمع بالشيخ حسن البنا في مكة أثناء حجه سنة **١٣٥٤**هـ إلا أن المستشار انجرامس اتخذ هذا اللقاء ذريعة لوصف ابن عبيد الله بأنه عضو في جماعة الإخوان المسلمين ولكن رد على ذلك السيد العلامة حامد بن أبي بكر المحضار فقال: «ومن أغرب الغريب أن يقول انجرامس إن السيد ابن عبيدالله كان عضواً متقد الحماس في جمعية الإخوان المسلمين بينما لم تكن الجمعية قد وجدت أو عرفت يومئذ أي في التاريخ الذي حدده هو سنة **١٩١٦**». انتهى[١].

---

(١) حامد بن أبي بكر المحضار ترجمة الزعيم حسين بن حامد المحضار عالم المعرفة للنشر والتوزيع صفحة ٢٨١.

ترجمة الشيخ حسن البنا[1]:

مؤسس جمعية الإخوان المسلمين بمصر وصاحب دعوتهم ومنظم جماعتهم ولد في المحمودية قرب الإسكندرية وتخرج بمدرسة دار العلوم بالقاهرة واشتغل في التعليم فتنقل في بعض البلدان واستقر مدرساً في الإسماعيلية فاستخلص أفراداً صارحهم بما في نفسه فعاهدوه على السير معه لإعلاء كلمة الإسلام واختار لنفسه لقب المرشد العام وأقام بالإسماعيلية أول دار للإخوان ثم أصبح في كل بلد سعى إليه دار للإخوان وإنشاء في الإسماعيلية معهد أمهات المسلمين لتربية البنات تربية دينية صالحة ثم نقل للتدريس في القاهرة فواصل نشاطه بها وعظم أمر الإخوان حتى قارب عددهم النصف مليون وأسس جريدة الإخوان المسلمين اليومية وقامت كارثة فلسطين فكانت كتيبة الإخوان فيها من أنشط الكتائب المتطوعة وقد تصدى له ثلاثة أشخاص أمام مركز جمعية الشبان المسلمين في القاهرة ليلاً وأطلقوا عليه الرصاص وفروا.

كان خطيباً فياضاً وتدور آيات القرآن الكريم على لسانه منظماً يعمل في هدوء ويبني في اطمئنان له مذكرات وكتب.

* * *

---

(١) خير الدين الزركلي الأعلام المجلد الثاني دار العلم للملايين بيروت صفحة ١٨٣-١٨٤.

الحاج أمين الحسيني

(١٨٩٧-١٩٧٤م)



والتقى الحبيب محمد بن هادي السقاف (١٢٩١-١٣٨٢هـ) حين سفره لفلسطين لزيارة المسجد الأقصى سنة ١٣٤٧هـ بالحاج أمين الحسيني ويقول عن هذا اللقاء: صلينا الجمعة بالمسجد الأقصى وبعد الصلاة سرنا إلى بيت السيد الشريف الحاج أمين الحسيني مفتي الحرم المقدس ووقعت عنده جلسه عجيبة ولما جلسنا أتى إلينا الخدم بالتنباك ظناً منه أنا نشربه لكونهم لا يرون فيه بأساً فأعرضنا عنه جميعاً .

فقال السيد أمين لسيدي محمد بن هادي لم لا تشربون التنباك أحرام أم حلال فأجابه السيد محمد إنا لا نألفه لأن أبناء جنسنا وأجدادنا المتقدمين ومن رأيناهم ومشايخنا لا

يتعاطونه ولا يشربونه شراباً ولا نشوقاً ولا مضغاً قال السيد أمين وهو أولى بكم وأحسن وأنتم المغبوطون إذ غاية الأمر أنه لو كان مكروهاً فهو ضياع مال بلا فائدة فالأولى والأحسن إعدامه من بلاد المسلمين[1] (انتهى).

ترجمة الحاج أمين الحسيني:

ولد بالقدس وعائلة آل الحسيني من السادة الأشراف وكان مفتي القدس حتى وفاته كما كان جده مصطفى الحسيني مفتي القدس حتى وفاته وكذلك والده. نشأ الحاج أمين الحسيني نشأة دينيه وحفظ القرآن الكريم وهو ابن تسع سنوات والتحق بالأزهر الشريف وتتلمذ على الشيخ محمد رشيد رضا وعند قيام الحرب العالمية الثانية ذهب إلى الآستانة والتحق بالجيش العثماني وكانت له مواقف مشهودة في فلسطين.

* * *

(١) عبدالرحمن بن أحمد الكاف جراب المسكين صفحة ٢٣١.

الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز



هذا وكانت للعلويين علاقة وطيدة بالكثير من العلماء في المملكة العربية السعودية منهم العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز ذكره السيد عبد القادر بن عبد الرحمن الجنيد (١٣٤٥-١٤٢٧هـ) في كتابه فقال[1]: إن الشيخ عبدالعزيز بن باز يعد أكبر شخصية علمية في المملكة العربية السعودية في عصره وكلمته تعد الكلمة النهائية في كل القضايا وهو علامة واسع الإطلاع وخاصة في علم الحديث عرفته منذ كان رئيساً للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وقابلته أول مقابلة بالجامعة سنة ١٣٨٦هـ.

وقال الجنيد ثم استمر الاتصال بيني وبينه فكنت كل ما قدمت للحج أزوره إلى مكتبه بجدة ويضيفني في بيته وزرته في مكتبه بالرياض وكان يسأل عني كل من يزوره من تنزانيا

---

(١) عبد القادر بن عبدالرحمن الجنيد العقود الجاهزة والوعود الناجزة صفحة ٤٨٤.

وإذا زرته يقول لي إن كل وفودنا يثنون عليك خيراً ولا يبلغنا عنك إلا كل خير فأقول له الحمد لله الذي وفقنا ونسأل الله الإخلاص في العمل.

قال الجنيد وللشيخ عبدالعزيز بن باز علي منّة كبيرة حيث زودني بالكتب العلمية الكبرى وخاصة المراجع وقد توفي الشيخ عبدالعزيز بالرياض سنة ١٤١٨هـ (انتهى).

ترجمة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز (معلومات من شبكة الانترنت):

وُلد في ذي الحجة سنة ١٣٣٠هـ في مدينة الرياض وكان بصيراً ثم أصابه مرض في عينيه عام ١٣٤٦هـ شغل منصب المفتي السابق للمملكة العربية السعودية.، ضعف بصره ثم فقده عام ١٣٥١هـ.

حفظ القرآن قبل سن البلوغ واشتغل بطلب العلم للعلماء في الرياض، عُين في القضاء عام ١٣٥٠هـ ولم ينقطع عن طلب العلم حيث لازم البحث والتدريس. وقد عني عناية خاصة بالعلم الذي هو جل ما تربى عليه وظهر أثر ذلك على كتاباته وفتواه وقد أخذ عن علماء نجد ومكة المكرمة وله مؤلفات رسائل مطبوعة تزيد على الستين.

وورد في ترجمته أنه لم يكن الشيخ يحفظ شيئاً من أمهات الكتب. إذ لما سألته مجلة المجلة «تحفظون عن ظهر قلب عدداً من أمهات الكتب؟» قال: «لا، لا أحفظها. قرأنا الكثير ولكن لا أحفظ منها الشيء الكثير، قرأنا البخاري ومسلم مرات، قرأنا سنن النسائي وسنن أبي داود. قرأنا سنن ابن ماجه. قرأنا جملة كبيرة من المسند (أي مسند أحمد) والدارمي، نسأل الله أن يتقبل وينفع بالأسباب».

❊ ❊ ❊

الفصل التاسع والخمسون

الروح المرحة للعلويين



ذكرنا في الفصول السابقة ما كان عليه بنو علوي بحضرموت من المجاهدة في العبادة إلى أقصى حدود الطاقة البشرية وعرفنا اهتمامهم بالعلم والعمل به وما تميزوا به من الزهد والقناعة. وقد نتصور أنهم بعيدين عن اللطافة وخفة الروح ولكن وردت لبعضهم الكثير من القصص والنوادر التي تبين أن حالهم غير ما تصورنا من الجد والصرامة فهم يتبسمون ويستملحون النوادر من غير أن يخرج ذلك عن سمت الوقار ورقة الحياء، وقد وُصف بعضهم بالظرف والكياسة.

وتكلم بن عبيدالله عن ذلك فقال[1]: الظرافة هي الكياسة وهو بالفتح، ونقل شارح القاموس أن بعض المتشدقين يضمه للفرق بينه وبين الوعاء وهو غلط محض لا قائل به وقيل لا يوصف بالظرف سوى الخفيف من الفتيان والفتيات. وقال المبرد: الظريف مشتق من الظرف وهو الوعاء كأنما جعل الظريف وعاء للأدب ومكارم الأخلاق؛ قال الثعالبي وقد نقدوا وصف الخوارزمي للصاحب بن عباد بالظرف بأن الكبراء والمحتشمين لا يرضون بالظرف لأنه من أوصاف الأحداث والشبان والقيان (انتهى باختصار).

ووصف بن عبيدالله آخر مناصب آل إسماعيل وهو السيد محمد بن حسين فقال: كان شهماً شجاعاً محباً للعلماء كثير البر بأمه وله مع المنصب السيد عبد القادر بن سالم العيدروس مداعبات ومفاكهات تشهد بسلامة الصدور والبعد من التصنع والتنطع والتكلف[2]. بل إننا نرى أن واحداً من كبار العلويين وهو الحبيب حسن بن صالح البحر (١١٩١-١٢٧٣هـ) كان على كبير قدره وعلو مقامه له الكثير من النوادر مع الشيخ عتيق باجبير. ووصف بن عبيدالله الشيخ عتيق فقال: إنه رجل تقي نقي صادع بالحق، آمر بالمعروف، ناه عن المنكر، كثيراً ما يجابه الجائرين، يقول الحق لا يهاب ولا يداهن، وكان مع ذلك مضحاكاً مزاحاً[3].

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ١٨١.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلدان حضرموت، مطبعة الإرشاد، صفحة ٤٤٧.

(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلدان حضرموت، مطبعة الإرشاد، صفحة ٢٨٩.

قال بن عبيد الله: ومر الحبيب حسن بن صالح البحر تحت مسكن الشيخ عتيق الصغير بقرية الحوطة في إحدى المرات فناداه عتيق قائلاً: يا حسن ألا تحب أن تزور الملك في قصره (ويعني نفسه)؟ فقال له الحبيب حسن: بلى، ولما عزم الحبيب حسن على الدخول لبيته وكان الباب قصيراً قال له طاطيء رأسك يا حسن كما هي العادة في الدخول على الملوك ففعل الحبيب حسن ثم قدم له طاسة من الفخار تطفح بالماء وقال له: اشرب فإن هذا كاس الملك وسيد الوادي يمتثل لأوامر عتيق بصدر منشرح وخاطر مبسوط (انتهى).

وفي مرة نادى الحبيب حسن بن صالح البحر بصلح بين قبائل آل كثير بأسرها، ولما فرغ المنادي من نداء الصلح قام الشيخ عتيق ينادي ويقول: حسن بن صالح عقد صلح بين القبائل ليتفرغوا لحرب المساكين فتدارك الحبيب حسن الأمر وأمر المنادي الأول أن يقول: ومن تعرض لمسكين فهو خارج الصلح [١].

وقد استمرت ممازحة عتيق لبقية السادة ولكنهم يتقبلون ممازحه على شدتها عليهم بصدر رحب وخاطر منشرح. وقد ذكر الجد بن عبيدالله طائفة من ممازحات الشيخ عتيق للسادة فقال[٢]: ودعا الشيخ عتيق في شهر رمضان السادة آل أحمد بن زين من الحوطة إلى سيؤن للإفطار والعشاء، ولما اكتمل وصولهم لبيته نفخ القرب وأشعل النار في المطبخ لإيهامهم بتحضير العشاء، ثم قام بعدها وأغلق عليهم الدار وركب إحدى خيلهم وهرب إلى الحوطة واستجار بالمنصب.

ومن قصصه الأخرى مع السادة أن أحد السادة كان يتظاهر بالشجاعة فلما دخل الجابية ليغتسل تسورها عليه عتيق وهو في صورة منكرة ليوهمه أنه جني، ولما أشرف على

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلدان حضرموت، مطبعة الإرشاد، صفحة صفحة ٢٩٠.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلدان حضرموت، مطبعة الإرشاد، صفحة المصدر السابق، صفحة ٢٩٠.

السيد وهو بالخابية صاح عتيق فخرج السيد عرياناً فلاقاه عتيق مع جماعة أعدهم له، وقال له: أين الشجاعة التي تدعيها:

ومن قصصه أيضاً أن أحد أعيان السادة آل أحمد بن زين الحبشي طلب من عتيق أن يرافقه إلى قرية هينن فوافق عتيق بشرط أن يعقبه على الفرس إذا تعب وإن لا يأكل إلا ويده معه فلم يفِ السيد بعد الوصول بالشرط الثاني فغضب عتيق وغافل السيد وأخذ فرسه وعاد بها إلى الحوطة، ودخلها وهو يصيح بنعي السيد فصلوا عليه صلاة الغائب واقتسموا تركته ولبست زوجته الحداد وعاد السيد من هينن بعد عدة أيام ماشياً وهو يتوعد بقتل عتيق لأخذه الفرس إلا أنه بعد وصوله وجد أن الأمر أدهى وأمر، ولكن عتيق لاذ بمنصب آل أحمد بن زين الذي أدخله بين عياله حتى سويت المسأله [(١)].

وذكر بن عبيدالله ما كان لجده الحبيب محسن بن علوي السقاف (١٢١١-١٢٩٠هـ) من مداعبات مع أولاده يسقط فيها التكلف وتوضع فيها الحشمة وقال: كان الجد محسن قد فقد إحدى عينيه بسبب الحبل الذى يوضع عليه الستر الذى يفصل الرجال عن النساء ثم لحقتها عينه الأخرى بعد مدة بسبب الماء الأبيض وعاش من عمره عشر سنوات وهو كفيف، إلا أن ذلك لم يقلل من نشاطه أو يؤثر على همته، وقد جاء إلى حضرموت أطباء للعيون فقال له ابنه عبد الله: لو دعوناهم لك يا أبت فقال الجد محسن وايش عاد نحنا بانشوف عاد حد حسن بن صالح ولا أحمد بن عمر بن سميط أو عبد الله بن حسين طاهر.

إلا أن ابنه علوي بن محسن قال لأخيه عبد الله بمسمع من الجد محسن: اسكت فوالله لقد عنانا أبونا وهو أعمى فكيف به لو أبصر فلا يزيد الجد محسن على التبسم (انتهى).

وذكر بن عبيد الله في المعجم بعض نوادر السيد زين بن أحمد بن سميط وهو من أهل

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلدان حضرموت، مطبعة الإرشاد، صفحة المصدر السابق، صفحة ٢٩٠ بتصرف بسيط.

شبام فقال [١]: ولآل الشحر اعتقاد فيه حتى أنهم بسذاجتهم يمكنون نساءهم من مصافحته مع أنه لا يتورع ـ بعض الأحيان ـ من غمز إحداهن فدخل عليه الشيخ أبو بكر بن سعيد الزبيدي وعنده فتاة جميلة فعلقتها نفسه وتبعها هواه فتوسل إليه أن يخطبها له: فقال له يمنعك عنها بخلك، فقال له الشيخ أبو بكر اطلب لها ما تريد، فخرج السيد زين ثم عاد وقال: إن أهلها يطلبون ثلاثمائة ريال، فوافق الزبيدي وواعده السيد بإتمام العقد لكنه عقد له بعجوز قد تغضن وجهها وانتثرت أسنانها ودفع لتلك العجوز عشرة ريالات أو أقل وهرب هو بالباقي إلى شبام حضرموت وكانت سفرة طيبة ووقع الشيخ أبو بكر في الشبكة.

ومن قصص السيد زين التي ذكرها بن عبيدالله أن الجمعدار عبد الله بن علي العولقي كان يأنس به ويتسلى بأحاديثه عن أنكاد حوادث صداع ومعه السيد حسين بن حامد المحضار وكان لا يصبر لهم إلا إذا سلموا له إمامة الصلاة فأذعنوا له بها حتى جاءهم أحد العلماء فاستحيوا أن يقدموا عليه زيناً مع ما عرف به من التهاون في الطهارة ونواقض الوضوء فصلى بهم الشيخ العشاء وقرأ في الأولى (الضحى) فلم يجد زين إليه سبيلاً ولما قرأ في الثانية (الزلزلة) سنحت له الفرصة فقطع الصلاة وقال له : زلزل الله بوالديك يا شر المشايخ وهل للزلزلة مكان بعدما نحن فيه الجمعدار مزلزل والمحضار مبهذل وأنا مسفل ثم تأتي لنا فوق ذلك بالزلزلة قال بن عبيدالله: وهكذا سمعتها ولكن وجود السيد حسين بن حامد في ذلك العهد بصفة النديم أو نحوه للمجعدار عبد الله لا يخلو من البعد فلعل النظر انتقل عن أبيه أو غيره إليه.

ومن قصص السيد زين أنه مر بشبامي ويهودي يتلاطمان في (عدن) فلما أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما انسل الشبامي وترك زيناً مع اليهودي حتى حجز بينهما الشرطة وساقوهما إلى السجن فسأل زين عن المقربين لدى الحكومة فقيل له: صالح جعفر، فأرسل إليه فوصل فاستخف روحه فضمن عليه وأخذه إلى داره وأكرم مثواه فرأى عنده من النعمة

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٢٧٢-٢٧٣.

ما لا يعرفه في بيوت آل شبام بعدن فانقطع عنهم وما زالوا يبحثون عنه حتى ظفروا به فسبهم وقال لقد خرجت من النار إلى الجنة قالوا لكنك لا تدري ما حال صالح جعفر؟ قال: وما حاله؟ قالوا يبغض الشيخين أبا بكر وعمر، فاستعظمها وقال: إذا كان يبغض هذين فأي دين له ومن يحب؟ قالوا: لا يحب إلا فاطمة الزهراء رضي الله عنها وأرضاها وزوجها وأولادها فازدهر وجهه بعد العبوس، وقال: أما إذا كان يحب أهلي فليبغض من شاء، وأنا كبدي محترقة من بو بكر لعجم وعمر بن بو بكر باذيب فسألعنهما جبراً لخاطره ثم نهض من فوره ودخل على صالح جعفر وأوهمه أنه عثر فقال: لعنة الله على أبي بكر وعمر.

أما الحبيب مصطفى المحضار فله كثير من النوادر مع الشيخ بن رضوان وكان لحبه له يصطحبه معه في كثير من رحلاته ويتحمل رده العنيف على تعليقاته. وكان الحبيب مصطفى في مجلس عام على سفح جبل فرأى من على البعد بياضاً فسأل بن رضوان: ما هذا البياض؟ فقال بن رضوان على الفور «يا كلاب يا سادة» فضحك الحبيب مصطفى وأدرك التورية ومعناها باللهجة الحضرمية كلاب أو سادة لأنه يغلب على كلاب حضرموت البياض.

وذكر الأستاذ الشاطري [١] في شرح الياقوت النفيس طرفه عن الحبيب مصطفى المحضار فقال انه ولد لأحد المشايخ من آل العمودي مولود فطلبوا من الحبيب مصطفى المحضار الحضور للتسمية فجاءه ضيوف ولم يتمكن من الحضور فسموا ابنهم كما شاؤا وفي اليوم الثاني اعتذر لهم وسألهم بماذا سميتم الولد فاخبروه أنهم سموه طاهرا فقال الحبيب مصطفى عجيب ما أحد في المشايخ طاهر (اي اسمه طاهر) فأجابوه وقد فهموا التورية ولا أحد في الحبايب سعيد هذه بتلك (انتهى)

وذكر الشيخ عمر بن عبد الله الخطيب [٢] المتوفى بسنقفورا أن الحبيب أحمد بن حسن العطاس وصل إلى تريم ومعه مجموعة من السادة فيهم الحبيب مصطفى بن أحمد المحضار

---

(١) محمد بن احمد الشاطري شرح الياقوت النفيس الجزء الثالث دار الحاوي للنشر صفحة ٣٨١

(٢) عبد القادر بن عبد الرحمن الجنيد، العقود الجاهزة والوعود الناجزة، صفحة ٥٣٨ .

والحبيب علوي بن طاهر الحداد وباتوا عند الحبيب محمد بن عمر بن شهاب في بيته بدمون، وكان الوقت صيفاً فأنزل الحبيب أحمد بن حسن في منزل خاص داخل بيته ولم يتسع المكان لبقية الوفد فأباتهم في حوش البيت وهو مفتوح تدخله الكلاب، وفي صباح اليوم الثاني اجتمعوا كلهم على الفطور فسأل المضيف الحبيب أحمد بن حسن كيف نمت ليلتك؟ فقال الحبيب أحمد بن حسن: ما شاء الله محلكم مبروك، البارحة رأيت النبي ﷺ في المنام فتكلّم الحبيب مصطفى المحضار من فوره وقال: هكذا يا حبيب أحمد أنت بيت مع النبي ونحن بيتنا نتطارد مع الكلاب (انتهى).

وآل المحضار على وجه العموم ميالون إلى الترويح عن النفس بالمزاح الخفيف وكان جدهم الحبيب أحمد بن محمد المحضار كذلك ففي كلام الحبيب أحمد بن حسن العطاس قال[1] «قال لي الحبيب أحمد المحضار امزح مع أحد من الصبح لأن الليل له شيء وإذا لم يخفف الإنسان على نفسه يثقل وشيخنا أحمد زيني دحلان يقول لي كذلك».

هذا، وينطبق حال العلويين على حال التابعين، الذي يقول أحدهم:

أفد طبعك المكدود بالجد راحة	بلهو وعلله بشيء من المزح
ولكن إذا أعطيته المزح فليكن	بمقدار ما تعطي الطعام من الملح

وفي قول الحبيب أحمد المحضار (لأن الليل له شيء) إشارة إلى أن الليل للعبادة كما تشير إلى ذلك قصة سيد جاءه من تريم وقال له: أريد أن أكلمك في موضوع ولن يتأتى ذلك إلا بالليل فقال له الحبيب أحمد المحضار (أما الليل فهو حق ربي).

وأما السيد حسين بن حامد المحضار وزير الدولة القعيطية فله كثير من المهازحات والمباسطات التي يخفف بها عن نفسه ما يتحمله من مسؤوليات تنوء بحملها الجبال وكان يصطحب معه دائماً منصب المشهد للمهازحة والمباسطة.

---

(١) علوي بن طاهر الحداد، مخطوطة زيارة الحب احمد بن حسن العطاس الى هود، صفحة ٧٧.

وقدم إلى مجلس السيد حسين بن حامد بالمكلا سيدٌ من حضرموت وكان في المجلس الشيخ سعد الظفاري من أهل الشحر وهو رجل علم وفضل وله هيئة علمية موقرة لكنه بلغ من اللطافة مبلغاً عظيماً فأحب الحبيب حسين أن يمازحه فأسر في أذن السيد بأننا نريدك أن تنصح الشيخ سعد ليمتنع عن الزنا فجفل السيد وعظم عليه ذلك لأنه لا يعرف الشيخ سعداً وقد أعجبته هيئته فتكلم السيد وامتدح الشيخ سعداً، ثم قال له ولكننا نريدك أن تترك العادة الذميمة فسأله الشيخ سعد ما هي فامتنع السيد عن الجواب وقال قدك عارفها يا شيخ سعد فألح عليه الشيخ سعد فقال السيد: يقولون إنّك زويني، فقال الشيخ سعد: لا لا لا كذبوا عليك يا حبيب أنا مش زويني، أنا لوطي فبهت السيد وضحك الحاضرون وغرق السيد في خجله.

قال بن عبيدالله في إدام القوت [1] وبينما أنا مرة عند السيد حسين بن حامد المحضار بالمكلا ورد شخص من آل العمودي يقال له باحسن، عليه زي البادية فإذا به يحفظ كتاب الله تعالى ويجيد قراءته، ولما اشتد إعجابي به قال لي العم حسين لكنه سارق فسألته، فقال: نعم إني لأحد جماعة من الحفاظ إذا كان أول الليل سرقنا رأس غنم على أحد أهل قيدون واشتويناه، ثم إذا كان من آخر الليل سرنا إلى الجامع نتدارس آيات القرآن بظهر الغيب، وما أدري أقال ذلك عن حقيقة أم مازحاً ليوافق هوى الوالد حسين بن حامد.

قال بن عبيدالله وقد تذكرت عند هذا ثلاثة أمور: الأول ما جاء في مسند الإمام أحمد ونصه: حثني عبد الله حدثني أبي حدثنا وكيع حدثنا الأعمش قال أنبانا أبو صالح عن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن فلاناً يصلي بالليل فإذا أصبح سرق قال إنه سينهاه ما تقول وهذا السند جيد.

والثاني أني لما كنت بسربايا في سنة ١٣٤٩ حضر مجلسنا مقرئ من مكة يقال له محمود

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، امعجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صفحة ١٩٦.

فقرأ لنا حصة من الكتاب العزيز بصوت جميل كاد يقتلع قلبي من مكانه فطربت لذلك وأمرتهم بالاكتتاب له، فقالوا: إنه يشرب الخمر، فقلت لهم من أدرج كتاب الله بين جنبيه وحبره هذا التحبير لجدير أن لا يموت إلا على حسن الختام، وذكرت الحديث فاكتتبوا له على قدر هم مهم بنحو ثلاثمئة روبية فقط.

والثالث قول النجاشي يهجو أهل الكوفة:

إذا سقى الله قوماً صـوب غاديـة	فلا سقى الله أهل الكوفـة المطـرا
التـاركين عـلى طهـر نـساءهم	النـاكحين بـشطي دجلـة البقـرا
والـسارقين إذا مـا جـن لـيلهم	والدارسين اذا ما أصبحوا السورا
ألـق العـداوة والبغـضاء بيـنهم	حتى يكونوا لمن عـاداهم الجـرزا

(انتهى).

وللحبيب حسين بن حامد ممازحات كثيرة مع بن عبيدالله قال بن عبيدالله: وجئت إليه مرة بشبام وبمعيتي أحد السادة ناظر مسجد بسيؤن، واتفق أنه كان مدعواً يومئذ عند الشيخ صالح اليافعي وهو على أموال الدولة بشبام، ولما علم بوصولي خفّ يستدعيني ويستدعي رفيقي فامتنعت، ولما ألح علي صالح علي قال لي العم حسين: أرأيت لو أعطاك هدية في خلوة أكنت قابلها؟ فقلت: نعم، فقال لا تُبالِ بالناس إذن، فحضرت وامتنع صاحبي فكتب الوالد حسين كتاباً لأهل سيؤن جاء فيه: إن بن عبيدالله خطب في الجامع خطبة ذرفت منها العيون ووجلت القلوب ثم صار من الجامع إلى دار صالح عليّ، المكاس (صاحب الجمرك)، ومعه سيد امتنع عن الحضور ثم عرفنا أنه يأكل صدقة مسجد وأنتم يا أهل سيؤون تسألون عن دم البعوضة ولا تسألون عن دم الحسين.

قال بن عبيدالله واتفق أن سرت مرة أخرى إلى شبام فدعانا صالح علي أيضاً فأبيت فألحَّ علي بالمسير، ولما غص المكان بالمدعوين قال لهم السيد حسين: ألا ترون أن ابن عبيدالله

لا يأتي إلا على موافقة ضيافة صالح علي «طير الشوم ما يبرح إلا على شجرة الزقوم» قال بن عبيدالله فقلت له أنا لا أعرف صالح علي إلا منك ومن ساير الدجاج دخلن به إلى الحشوش ومن يكن الغراب له دليلا يمر به على جيف الكلاب

قال بن عبيدالله وكنا اتفقنا قبل ذلك المجلس على عدم التمازح أمام الناس غير أنه خرق ذلك الاتفاق في أقرب وقت ولما عاتبته على ذلك قال ضاق بي المجلس من وجوه الثقلاء فلم أجد ما أرفع به ذلك الكابوس غير المباسطة معك وقد فكرت أنه لا بأس علي من كلامك لفضلك وعلمك ولا بأس عليك من كلامي لأنني أبوك فلا بأس من نيل أحدنا من الآخر إنما العيب لو تكلم الأجنبي.

قال بن عبيدالله: ومن العجب أن السلطان منصور بن غالب الكثيري قال لي ذات يوم لو جمعت ما دار بينك وبين السيد حسين بن حامد لنتسلى به بعد وفاتكم فتبسم السيد علي بن عبد القادر العيدروس ولما سألته عن تبسمه قال: أتعجب من طمع السلطان أن يعيش بعدكم وقد ذرف على السبعين وأنت لم تبلغ الخمسين.

ومن السادة المشهورين بخفة الروح منصب المشهد الحبيب أحمد بن حسين بن عمر العطاس، وكان السلطان صالح يحبه ويستصحبه معه، وقد وصفه بن عبيدالله في المعجم فقال: «أخونا الفاضل المنصب أحمد بن حسين بن عمر العطاس سخي الكف سليم الصدر خفيف الروح قليل الغضب لا يشينه عبوس ولا يبطره غنىً ولا يذله بؤس».

ولقد أخبرني أن السلطان صالح بن غالب القعيطي أراده على حلق لحيته أيام كان معه بمصر لأن أهل مصر لا يحبون اللحاء وبذل له مئة جنيه مصرى فامتنع إلا أنه ندم بعد ذلك[١].

وذكر الشيخ عمر بن عبد الله الخطيب أن السيد محمد بن علي أبو فطيم كان ممن

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٢١٠-٢١٢.

يضحك الشيبان ويحبون كلامه، وفي مرة اجتمع للعواد لدى السيد جنيد بن أحمد أكثر أهل تريم من كل الأصناف والطوائف فقال أبو فطيم: من معه كلمتين ومن معه بيستين خسفوا بالناس [١].

ومن أصحاب النوادر أيضاً السيد محمد باعقيل السقاف المتوفى سنة ١٣٦٧هـ وكان قد أقام بمكة فترة طويلة وقد أوردنا بعض طرائفه بين ثنايا هذا الكتاب. وصفه بن عبيدالله فقال: السيد النزهة النديم الخفيف النسيم صاحب النوادر اللطيفة والحالات الشريفة عبد القادر بن محمد السقاف وهو من المعمرين عاش في أكناف الأكابر وحظي باعتنائهم وصحة ولائهم، وله دالة عظيمة عليهم وكثيراً ما يمثل هيئاتهم وأصواتهم وقراءاتهم وكيفيات مشيهم وحركاتهم فيخفف من حسرتنا على عدم الاجتماع بكثير منهم كسيدي طاهر بن عمر الحداد وابنه محمد، وسادتي عمر بن هادون ومحمد بن صالح وأمثالهم، وفي ذلك التمثيل نوع من الوصال ليس بالقليل وهو الآن بمكة المكرمة على ضيافة صاحب المروءه الشيخ عبد الله سرور الصبان أحسن الله جزاءه (انتهى)[٢].

وذكر بن عبيدالله أولاد السيد عقيل بن يحيى بالحديدة وقال عن أحدهم إنه اتصف باللطافة وله نوادر كثيرة كما تحدث عن منصب الحبشي السيد عمر بن عبد الله بن محمد الحبشي فقال كان فَكِها أديباً له نوادر وولعٌ كثير بالأغاني والأوتار وله تهجد واتصال بالسادة الأخيار[٣].

كما يروى أن الحبيب علي بن محمد الحبشي على هيبته وعظيم قدره كان له كثير من المهازحات مع الشيخ أحمد بريكات، وقد وصف بن عبيدالله الحبيب علي فقال: كان رقيق

---

(١) عبد القادر بن عبد الرحمن الجنيد العقود الجاهزة والوعود الناجزة، صفحة ٥٢٥.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صفحة ١٩٥-١٩٦.

(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صنعاء صفحة ٣٠٣-٣٠٧.

الطبع سليم الذوق يطرب لبدائع الأشعار ويتزيدني منها، وكنت أجد في مجلسه من ضوال شبان الأدب وعشاق المهازح والفكاهات ما لا أجده عند والدي ولا عند غيره[١]

وقد يستغرب بعض الناس مرح العلويين مع هيبتهم ووقارهم وتدينهم. وذكر الأستاذ طه بن حسن السقاف أن الحبيب محمد بن صالح العطاس المتوفى سنة ١٣١٨هـ كان يباسط الحب علي بن محمد الحبشي بالأصوات والحكايات المضحكة فقال له أحد الذين يخدمون الحبيب علي: وأنت يا حبيب محمد تجيب هذه السوقات كالمستغرب لصدورها منه مع جلالة قدره[٢].

وللسيد علوي بوعايض السقاف المقيم بسيؤون قصص وحكايات كثيرة منها أنه اشتكى مرة للحبيب علي بن محمد الحبشي من دوام الفقر، فقال له الحبيب علي يا علوي اشكر ربك شف باسلامه غني ولكنه معذّب بالبواسير، فرد بوعايض على الحبيب علي بقوله: أنا بغيت كما ثروته ولو معها خيل (عذق الخريف) بواسير با اسحبه وراي.

واشترى بوعايض لحماً بسيؤن ولم يكن معه نقود فرهن المغاضيف (ملفوف من لحمة الكرش) عند الجزار حتى يوافيه بالثمن ثم مطله الثمن فاشتكى الجزار لوجهاء العلويين فضحكوا من حيلته وغفلة الجزار.

إلا أن العلويين لا يعجبهم المزاح إذا كان فيه تعرض لشيء من المقدسات، ومن ذلك أنّ الحبيب علي بن محمد الحبشي طلب من أحد الخطاطين بتريم أن يكتب له مصحفاً فلما كتب الخطاط الآية التي فيها ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ﴾ كتب كلمة ﴿يَجُرُّهُۥٓ﴾ كبيرة وهي اللقب الذي يعير به أهل سيؤن فغضب الحبيب علي ليس من اللقب ولكن من سوء الأدب مع آيات القرآن الكريم.

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مطبعة الإرشاد، صفحة ٣٨٤.

(٢) طه حسن السقاف، البحر الملي، صفحة ٣٦١.

وذكر الأستاذ محمد بن احمد الشاطري في شرح الياقوت النفيس [1] أن الشيخ عوض بافضل كان معجبا بذكاء نفسه ويتحدث دائما بان لا احد يستطيع أن يقمره (يخدعه) وكرر مقالته مرة أمام السيد عبدالرحمن بن عبدالله الكاف وهو من اغنياء تريم وكان السيد عمر بن ابي بكر العيدروس حاضرا وكان ذكيا فقال الكاف من يستطيع ان يقمر الشيخ عوض سأدفع له عشرة ريالات فرانصه وهو مبلغ كبير في حينه فقال العيدروس أنا أستطيع ان أقمر الشيخ عوض وزيادة في التحدي سأخبره بالليلة التي سأقمره فيها

وكان الشيخ عوض بافضل يصلى المغرب كل ليله في مسجد السقاف في الصف الأول خلف الإمام مباشرة فحضر السيد عمر العيدروس والسيد عبدالرحمن الكاف قبل المغرب بخمس دقائق وجلسا فوق دكة انتظار الوضوء ولما أقيمت الصلاة واحرم الإمام وبدأ في قراءة الفاتحة دخل السيد عمر العيدروس ووقف بمفرده في الصف الثاني وسحب الشيخ عوض بافضل وكان الشيخ عوض فقيها ويعلم انه اذا سحبه احد يسن له الخروج فما كان من السيد عمر العيدروس إلا إن دخل محله واحرم بالصلاة وترك الشيخ عوض بمفرده في الصف الثاني وخدعه ولما سلم الإمام انفجر الشيخ عوض قائلا هذى ما هي قمراه هذا لعب فقال السيد عمر ما عليك العشرة ريال قدها معي (انتهى).

أما العلامة عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف فله الكثير من النوادر والمهازحات مع السلطان عبدالله بن محسن الكثيرى وقد أورد سيد ى الوالد محسن بن علوي السقاف طائفة منها في كتابه مذكراتي ومختاراتي

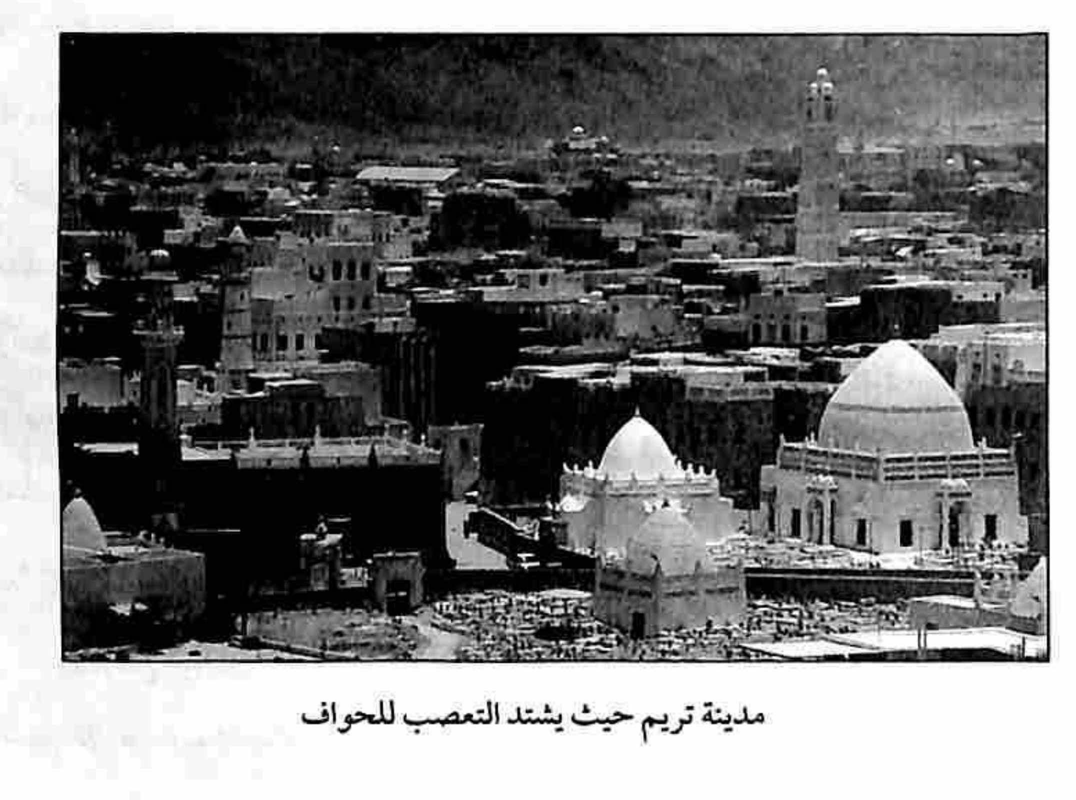
كما أن لسيدي الوالد محسن بن علوي السقاف كثير من النوادر مع أصدقائه وأقاربه وقد ذكر طائفة منها في كتابه «**مذكراتي ومختاراتي**».

---

(١) محمد بن احمد الشاطري شرح الياقوت النفيس دار الحاوي للطباعه والنشر الجزء الاول صفحة ٣٣٤-٣٣٥

الفصل الستون

العلويون والتعصب



مدينة تريم حيث يشتد التعصب للحواف

تكلم ابن القيم الجوزية[١] (المتوفى سنة ٧٥١هـ) عن التعصب فقال: وأما المتعصبون فإنهم نظروا في السنة فما وافق أقوالهم منها قبلوه وما خالفها تحيلوا في رده أو رد دلالته، وإذا جاء نظير ذلك أو أضعف منه سنداً ودلالة، وكان يوافق قولهم قبلوه ولم يستجيزوا رده، واعترضوا به على منازعيهم وأشاحوا وقرروا الاحتجاج بذلك السند ودلالته، فإذا جاء ذلك السند بعينه أو أقوى منه ودلالته كدلالة ذلك أو أقوى منه في خلاف قولهم دفعوه ولم يقبلوه.

وقد عرفنا من الفصول السابقة أن العلويين أبعد الناس عن التعصب، وما أسرع عودتهم إلى الحق متى عرفوا الدليل عليه، مع أن التعصب في الرأي كان سمة من سمات كثير من علماء حضرموت من غير العلويين، كما رأيت مما ورد من الأخبار المتفرقة في الكتب المختلفة. قال بن عبيدالله في معجم بلاد حضرموت: وفتحت في الأخير مدرسة على نفقة خيرات المرحوم السيد شيخ بن عبد الرحمن الكاف، وقد تخرج منها جماعة أنجبهم الشيخ سالم سعيد بكير وامبارك عمير باحريش، وإن كانا أنما توسعاً في الفقه بعد انفصالهم عنها وأصلهما من الحراثين، ثم تشرفوا بالعلم والذكاء والفهم إلى تواضع ونسك، إلا أنه مشوب بشيء من التعصب، فتراهم لا يرجعون عن رأي ولا يذعنون لحجه[٢].

وذكر بن عبيدالله مسألة الخلاف في جمع الظهر والعصر مقدماً في زيارة هود فاعترض بعضهم على بن عبيدالله بأن لا رخصة له فأخبرهم بأنه بركوبه من تريم قد أنشأ سفراً طويلاً منها إلى شعب هود ثم إلى سيؤن بدون تخلل إقامة قاطعة للسفر، وذكر لهم قول العلامة ابن حجر في التحفة بدخول الحجاج مكة قبل الوقوف بنحو يومين ناوين الإقامة بها بعد

(١) ابن القيم الجوزي، أعلام الموقعين، الجزء الاول، صفحة ٨١.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلدان حضرموت، الناشر مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٥٢٤-٥٢٥.

رجوعهم من منى لأنه من مقصدهم فلا تؤثر نية الإقامة إلا عند الشروع فيها فاقتنع بعضهم وأصر آخرون على تخطئتي.

قال بن عبيد الله: ثم ذكر لي الولد الفقيه علوي بن عبد الله بن حسين السقاف (١٣١٥-١٣٩٢هـ) أن البحث طال في نفس الموضوع أيام تدريسي في كتاب «المنهاج» بسيؤن، وكان لا يتخلف إلا الشاذ، وقد وافق الأكثرون على ما قررت وذكر جملة من السادة والمشائخ وخالف الشيخان عمر عبيد حسان ومحفوظ بن عبد القادر حسان واشتد الجدال وتشادقت الرجال وأحضر كتاب الإيعاب فإذا فيه ما صرح به صاحب التحفة وقد نظمه الشيخ محمد باكثير في أرجوزه ذكرها بن عبيدالله، ثم قال: ومع هذا فقد أصر الشيخان عمر عبيد ومحفوظ على خلافي، ولهذا فأنا أجد العذر لمن أنكر عليّ بشعب هود لأن له بهذين الشيخين على ثقوب فهمها أسوة. هذا حاصل ما أخبرني به الولد علوي فتذكرته ونسيت أن أذكر يوم اشتد الجدال في الحالتين الأولى والثانية أن سيدي الأستاذ الأبر عيدروس بن عمر الحبشي (١٢٣٧-١٣١٤هـ) أقام بتريم أكثر من ستة أيام، ثم أنشأ السفر إلى شعب هود، وكان يجمع ويقصر كما تقدم وكفى به حجة، ولو أنني ذكرت ذلك لعمر عبيد ومحفوظ لأذعنا لما ذهبت إليه[1].

وذكر بن عبيدالله حبه وإعجابه بالقاضي الشيخ امبارك عمير باحريش، وهو من طلبة العلم بتريم الذي تولى قضاء سيؤن ووصفه بأسلوبه الذي لا يعرف المجاملة، وقال: كان آية في النزاهة على غرار سيدي علوي بن عبد الرحمن السقاف لولا ضيق خلق وتعصب يقصد به الاحتياط فيوقعه في تعنت الشهود من حيث لا يشعر، ومن المقرر أن الاحتياط في حق القاضي من أصعب ما يكون لأنه إذا احتاط في جانب أضر بالآخر (انتهى)[2].

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلدان حضرموت، الناشر مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٥٨٣-٥٨٤.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلدان حضرموت، الناشر مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٣٨٨.

وعرف عن الشيخ علي بن أحمد باصبرين الحدة رغم أن بن عبيدالله أسهب في مدحه حتى شبهه بالصحابة، ثم لما كان الحبيب أحمد بن حسن العطاس (١٢٥٧-١٣٣٤هـ) في زيارة مصر سنة ١٣٠٨هـ قال له العلامة الشيخ البحيري على سبيل المباسطة: يا سيدي تعرف من الحضارمة الحدة في الطبع إلا آنّا رأينا جنابكم منزهاً عن ذلك، فقال له: من عرفتم من يا مولانا من أهل حضرموت؟ فقال: عرفت الشيخ علي باصبرين وجلست معه سنتين في الحرمين فرأيت من الحدة ما لا مزيد عليه[١].

وذكر الأستاذ الشاطري في أدوار التاريخ الحضرمي العلامة الشيخ عبد الله بامخرمة والذي أطلق عليه لقب الشافعي الأخير لأنه كان أحد المراجع الثلاثة في عصره في فقه الشافعي، إضافة إلى ابن حجر الهيتمي المكي والرملي المصري، إضافة إلى توسعه في أكثر من عشرين علماً من العلوم الشرعية والعقلية والعربية، وكان المستشار السياسي والشرعي للسلطان بدر بوطويرق، ولكنه ذكر قصة تدل على ما في العلماء الحضارمة من الحدة، قال الشاطري ولما حج الشيخ عبد الله بامخرمة سنة ٩٤٩هـ التقى في مكة بالعلامة ابن حجر الهيتمي المكي، وحصلت بينهما بحوث فقهية بحضور علماء آخرين. ويروى أنهما اختلفا في مسألة، فطلب بامخرمة مناظرة ابن حجر فتهيب الأخير مناظرته قائلاً: الرجل تعتريه حدة ولا يصلح للمناظرة[٢].

إلا أن التعصب للرأي ليس بالسمة الغالبة للحضارمة فقد ذكر بن عبيدالله في المعجم الشيخ فضل بن عبد الله بارجا فقال: وإليه انتهى الفقه اليوم بتريم، وله مشاركة في غيره، وهو من أخص تلاميذ سيدنا الأستاذ الأبر (الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي)، وله فيه مدائح، وكان كثير الرجوع إلى الحق عندما يتبين له فلا يتعصب على رأيه إلا بمؤثر من غيره[٣].

---

(١) علي بن أحمد العطاس، ترجمة ورحلات الحبيب أحمد بن حسن العطاس، صفحة ٤٨.

(٢) محمد بن أحمد الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي، الناشر عالم المعرفة، صفحة ٣١٧.

(٣) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، معجم بلدان حضرموت، الناشر مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٥٢١-٥٢٢.

وقد ذكرنا في فصل أخلاق العلويين بُعدهم عن التعصب ورجوعهم إلى الحق إذا تبين لهم طريقه، وأوردنا قصة الحبيب أحمد بن حسن العطاس لما نزل ميناء عصب في طريقه للحج سنة ١٣٢٥هـ وذهابه إلى صلاة الجمعة مع أعيان عصب منهم السيد محمد بن عمر الصافي والشيخ أبوبكر سالم باحمدون والمشايخ آل بامشموس، فلما فرغ الخطيب من خطبة الجمعة قدموه للصلاة إماماً، فصلى بهم، وغالبُ المصلين أحناف فأسرّ بالبسملة في الفاتحة والسورة مراعاة لمذهبهم[١].

إلا أننا لا نستطيع أن ننفي الحدة عن بعض العلماء من العلويين، ولعل حدة العلماء من العلويين وغير العلويين مرتبطة بشدة الذكاء، فالسادة آل بن يحيى على سبيل المثال رغم تبحرهم في العلم وحدة ذكائهم عرفت عن بعضهم الحدة، وأكثر ما تظهر هذه الحدة في تعصبهم المتكرر في مسألة إثبات هلال رمضان وعيد الفطر، كما ذكرنا قصصاً عن ذلك في مواقع أخرى بهذا الكتاب.

وذكر الشيخ عمر بن عبد الله الخطيب المتوفى بسنقفورا أنّ العلامة السيد علي بن زين الهادي كان حاد الطبع، لكنه كان علامة في كل العلوم، وذكر ثلاث وقائع تبين حدته[٢].

إلا أن بن عبيدالله وصف السيد علي بن زين الهادي بالإنصاف وأورد هذه القصة فقال: ولما قدم العلامة ابن شهاب إلى حضرموت في سنة ١٣٣١هـ هنأته بقصيدة نكر بعض أبياتها بعض أهل العلم بتريم، فقال لي السيد عبد الرحمن بن عبد الله الكاف: أتحب أن يبحث معك إخوانك في أبيات انتقدوها من قصيدتك قلت له: نعم بكل فرح وسرور، فأقبل العلامة السيد حسن بن علوي بن شهاب لأنهم نصبوه إذ ذاك للرئاسة العلمية بتريم لينافس الوالد أبا بكر بن شهاب مع مجموعة من طلبة العلم فيهم العلامة الأخ علي بن زين الهادي،

---

(١) علي بن أحمد العطاس، ترجمة الحبيب أحمد بن حسن العطاس ورحلاته، صفحة ٧٤.

(٢) عبد القادر بن عبد الرحمن الجنيد، العقود الجاهزة والوعود الناجزة، صفحة ٥٥١-٥٥٢.

ولم أكره مكان أحد سواه لما اشتهر به من الحدة، فخشيت أن يخرج بنا الجدال عن اللياقة، وما فرغنا من المناقشة إلا وقد رجعوا إلى كلامي، وأول من انحاز إلى جانبي هو السيد علي بن زين الهادي مصداقاً لما يقال إن الحدة تعتري الأخيار، فكان من خيار المنصفين فهابه من رام المغالطة (انتهى)[١].

بل ما زالت مسألة تحديد يوم العيد مثار شغب بين الحبايب في تريم وسيؤن. وذكر بن عبيدالله ما حصل بسبب ذلك بين الحبيب علوي المشهور وآل تريم، وذكر أيضاً أنه شيعت جنازة بسيؤون ونصفُ الناس صائم والآخر يستمتع باليوم الأول للعيد.

ثم لا ننسَ تعصب الحبيب عبد الله بن عمر بن يحيى ضد يافع وموافقته لسلطان شبام منصور بن عمر على الفتك بهم في ليلة العيد وهم غارون بالمساجد رغم استنكار جميع العلويين لذلك، مع أن في كثرة فظائع يافع بحضرموت ما يبرر مانزل بهم من عقاب على يد سلطان شبام، السلطان منصور بن عمر.

إلا أن في الحضارم تعصب من نوع آخر، وهو تعصبهم لبني جنسهم، كما ذكرنا في قصة الأمير عبد الله بن علي العولقي الذي اقتحم بجنده سجن حيدر أباد وأخرج منه أحد الحضارم المسجون لقتله أحد الذميين، وكان الأمير العولقي يرتجز أثناء الاقتحام:

ياهل العلوج القامزيه	وفو لها كيل المعابر
أن قد حكم ولا حكمنا	ما بايقع مسلم بكافر

أما حدة الطبع في عامة الناس فلا أظن أنها أقل في العلويين من غيرهم، فقد عرف عدد من العلويين المتأخرين بحدة الطبع وبعضهم إلى درجة كبيرة، منهم السيد شيخ بن محمد الملقب بالموتر، كما قد تكون حدة الطبع في الشرائف العلويات، وقد ذكر كتاب الخبايا والزوايا أحد العلويين فقال: وأمه الشريفة رقية كانت حديدة الطبع جداً، وكان باراً بها

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلدان حضرموت، الناشر مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٤٨٥.

صابراً على طبعها، لا يستطيع أن يرد أمرها، ولو كان على غير الصواب، وتوفي قبلها سنة ١٣١٧هـ.

ومن التعصب اللطيف ما ذكره الأستاذ الشاطري عن تعصب أصحاب الحواف في تريم، حيث تقسم مدينة تريم إلى حواف أو حارات، ويقوم شيوخ وفتيان كل حي بعمليات الإسعاف وإطفاء الحرائق وانتشال الغرقى، والخدمة في المآتم والأفراح وتطهير الحافة من جيف الجمال والخيول وتجهيز الأموات وحمل الجنائز. ولا يسمحون لأهل الحارات الأخرى بمشاركتهم هذا الواجب. وكل ذلك مجاناً بلا مقابل، ولكل حارة رئيس أو مقدم يطلبونه عند حدوث الحوادث، ويتداعى بقية أهل الحافة إذا سمعوا الصريخ وصيغته حسب نوع الخطر (والنار ـ والبير)[١].

ومن الطرائف أن الصريخ علا بتريم (والبير والبير)، أي إن هناك شخصاً سقط في بير فمر أحد العلويين والناس يصيحون، وكان حاد الطبع فعنفهم وقال: كفوا عن هذا الإزعاج، فقال له الناس: إن الذي سقط في البئر ابنك عمر، فانزعج السيد وصاح إذن صيحوا ـ صيحوا، وصاح معهم (والبير ـ والبير)، ولم يتوقف حتى أخرجوا ابنه عمر من داخل البئر.

قال الأستاذ الشاطري: وتوجد منافسة بين أهل الحارات ولا يسمح أهل الحواف بتدخل أبناء الحارات الأخرى في أمورهم، وإذا تدخلوا بالمساعدة لهم قد يحدث بينهم العراك الذي لا يفصله إلا رجال القبائل المسلحة، وقد قتل سبعة أشخاص في صدام بين حافتين[٢].

وفي كتاب الخبايا والزوايا أنه كان يقام درس بمسجد الأوابين بتريم يحضره كثير من العلماء، وكان أحد الأشخاص من حافة الحاوي مسؤولاً عن توزيع الماء والقهوة في هذا

(١) محمد بن أحمد الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي، الناشر عالم المعرفة، صفحة ٢٨٣.

(٢) محمد بن أحمد الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي، الناشر عالم المعرفة، صفحة ٢٨٤.

الدرس، فلما كثر الناس وصارت الحاجة إلى عدة أشخاص لتوزيع الماء والقهوة قام بعض الناس لعمل ذلك فمنعهم أهل الحارة من ذلك واشتد النزاع بين الفريقين حتى آل الأمر إلى توقيف الدرس لنحو عام أو عامين تقريباً[١].

وذكر الأستاذ الشاطري أن نظام الحارات موجود بتريم والشحر والمكلا، وفي سيؤن توجد حارتان، ولكل حارة حدود، وقد يختلف أبناء الحارات على هذه الحدود فيصل الأمر إلى السلطات، وقد يترتب على ذلك الاختلاف مشاجرات تنتهي بالسجن والغرامة[٢].

وقد يصل التنافس بين الحواف حتى إلى الأطفال، وذكر والدي يحفظه الله أنه كان للأطفال في سيؤن ثلاث حواف، وهي: حافة ساحة طه، وحافة مسجد الرياض، وحافة الحبيب علي. وكان لكل حافة حدود لا يسمح للآخرين بدخولها. قال والدي: وكان رئيس حافتنا السيد حسن بن سقاف وكان قوياً صعب المراس، وكنا نعتمد عليه في صد المهاجمين إلا أنه غاب في أحد الأيام، فدخل منطقتنا مجموعة من أطفال حافة الرياض، وهم يحملون الصمل فلم يكن منا آل حافة طه إلا أن اختبأنا بعيداً منهم فأخذوا يتجولون في ساحة طه وهم يرجزون:

دخلنا ساحة طه تخبوا في المنارة   صميلي فوق رأسي ولا حب السيارة

(السَّيَارة يعني الخفارة أو الحماية).

ويوجد هذا التعصب للحواف حتى بين النساء، فتتعصب كل واحدةٍ لحافتها، وقد تحصل بينهن مشاجرات بسبب ذلك.

وذكر الجد عبد الرحمن بن عبيدالله ما يدل على تأصل التعصب للحواف بتريم حتى بين العلماء، فقال: ولآل تريم تعصب شديد مع أهل الحوف يسري من السفلة إلى العلماء،

---

(١) عمربن علوي الكاف، الخبايا في الزوايا، دار الحاوي للطباعة والنشر، صفحة ٩٦-٩٧.

(٢) محمد بن أحمد الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي، الناشر عالم المعرفة، صفحة ٢٨٥.

وكان يتعاظمني ما أسمعه من ذلك حتى رأيت ما ذكره الخطيب في الحكاية ٣٠٥ من جوهره أنه نشب حرب بين أهل حافة السوق وأهل حافة الخليف وجرى بينهم قتل، وكان أهل السوق أكثر، فكمنوا لأهل الخليف، فعلموا بذلك فشكَوا إلى الشيخ أحمد بن علي بن محمد الخطيب (المتوفى سنة ٧٠٨هـ)، فقال لهم: إذا كبّرت لصلاة الصبح فقعوا عليهم، ففعلوا وهربوهم.

قال بن عبيد الله: فعرفنا من تعصب الشيخ أحمد لحافته أن آل تريم لم يرثوها عن كلالة[١].

قال بن عبيدالله: وفي تريم كثير من الحافات، منها: حارة الخليف ثم الرضيمة ثم النويدرة ثم السحيل، وقال: ومن النوادر أن سيدي عبد الرحمن المشهور على ورعه وتقواه وكماله حكم أيام كان على القضاء بحكم لأحد اهل السحيل بشاهدين من أهل السحيل أيضاً على واحد من أهل السوق، وكان هو أعني سيدي عبد الرحمن المشهور إذ ذاك يسكن السحيل، ولما أمضى الحكم وألزم نائب الدولة بتنفيذه اعترض نائب الدولة وقال: لا أنفذ ولا أرى صحة هذا الحكم، فالمدعي من السحيل والشهود من السحيل والقاضي من السحيل، هذا حكم باطل[٢].

* * *

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلدان حضرموت، الناشر مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٥٢٧.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلدان حضرموت، الناشر مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٥٢٧.

الفصل الحادي والستون

العلويون في الخصام



بن عبيد الله وعن يمينه الحبيب مصطفى المحضار ثم الحبيب حسين بن محمد السقاف إمام مسجد طه، وعن يساره الحبيب علوي بن محمد المحضار

لعلنا نتعرف على رأي العلويين في هذا الباب من كلام الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر (١١٩١-١٢٧٢هـ) الذي يقول عن المنازعة والخصام[١]: اعلم رحمك الله أن المنازعة والمخاصمة مع الناس الأجانب فضلاً عن الأقارب من أضر الأشياء على الإنسان في دينه وحاله وماله، ومشوش له في صلاته وقراءته وذكره وأوراده ويقظته ومنامه وجميع حالاته، وتضطره إلى مخاطبة الأراذل والأنذال والأضداد ومن لا خير فيه من المشاءين بالنميمة المفرقين بين الأحبة. فهذه الآفة يتوجب تركها، ومن لوازمها الغيبة والكذب والكبر والعجب وسوء الخلق والمباغضة والمحاسدة وغيرها من الفواحش، بل ما من رذيلة إلا وهي مشتملة عليها. قال ﷺ: إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم، وقال ﷺ: «**من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزع**»، وقال بعض العلماء: إياكم والخصومة فإنها تمحق الدين، ويقال ما خاصم قط ورع في الدين ثم قال والعجب كل العجب ممن يعلم ما في الخصام من هذه الرذائل والمتاعب بل قد وجدها وذاقها وجربها ولا يكرم نفسه عنها فإنها إذا تمادت وطالت ربما أدّت إلى القتل والكفر والعياذ بالله (انتهى).

وقد قرأنا في هذه المسالة في تراجم بعض العلويين ما يدل على كريم أخلاقهم وسلامة منبتهم، فقد ذكر بن عبيدالله[٢] أن العلامة الجليل نقيب العلويين الشيخ أحمد باجحدب كان ينحى باللائمة على الشيخ أبي بكر بن سالم (٩١٩-٩٩٢هـ) في ظهوره ولما بلغه عن اثنين من تلاميذه مبالغتهم في مدحه وإطرائه. قال: ما مع الشيخ أبي بكر بن سالم إلا بسم الله في الكلام ومثل حبة الطعام، ولما انتهى ذلك إلى الشيخ أبي بكر سجد لله شكرا، وقال: تكفيني هذه الشهادة فخراً ذكره صاحب المشرع وغيره (انتهى).

ونستدل بالقصة التالية على توارث هذه الأخلاق العظيمة بين الأجيال، فقد ذكر بن

---

(١) مجموع كلام الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر، صفحة ١٤٦.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني/ ١، صفحة ٢٣-٢٤.

عبيدالله قصة الخلاف بين منصب آل الشيخ أبي بكر بن سالم الحبيب علي بن أحمد بن علي بن سالم مع القطب الحداد (١٠٤٤ – ١١٣٢هـ)، قال بن عبيد الله عن المنصب: واتسع جاهه بسبب اتساع نفوذ يافع في أيامه حتى لقد كان الشعيب المشهور بحسن مائه إقطاعا له وكان شديد الورع والتواضع، ثم ساء التفاهم بينه وبين القطب الحداد بسبب واشٍ من الطغام قال له إن الحداد يحاول منصباً كمنصب جدك الشيخ أبي بكر بن سالم ويزعم أنه أفضل منه، فلم يكن من القطب الحداد إلا أن ورده إلى عينات للترضية، وبعد الإيناس قال له: إني سائلك: هل خزائن الله ملأى أم لا؟ فقال الحبيب أحمد بل ملأى، قال له: وهل ينقصه أن يعطي أحداً مثل ما أعطى الشيخ أبا بكر؟ فقال له الحبيب أحمد: لا، فقال الحداد: إن الذي أعطى الشيخ أبا بكر يعطينا ويعطيك ويعطي غيرنا من الألطاف والهداية مثل ما أعطاه، فاعتبر الحبيب أحمد وتذكر وجعل يقول ويكرر: يعطيك مثله وأكثر، ثم صار الحبيب أحمد يزور القطب الحداد في كل أسبوع أو في كل شهر مع كثرة أشغاله، وعظم منصبه ويستغرق سحابة اليوم في قراءة الكتب عليه (انتهى باختصار)[١].

وذكر بن عبيدالله في بضائع التابوت قصة أخرى تبين الأخلاق العظيمة للحبيب سقاف بن محمد بن عمر (١١١٥-١١٩٥هـ)[٢]، فقال إن ابنه محمد خطب عروساً من آل مكارم ببلدة الحزم دون علم ولا استشارة منصب الحزم الحبيب عمر بن أحمد العيدروس الذي غضب لما علم بهذه الخطوية التي لم يؤخذ فيها رأيه، فأخذ يهيج حلفاءه من قبائل آل كثير، ولما علم السيد محمد بن سقاف بذلك أراد أن يهيج حلفاء والده من القبائل اليافعية، وما كانوا ليقبلوا له كلاماً دون إشاره من أبيه فطلب من أبيه أن يساعده على تحريكهم، وعقد موعداً لاجتماعهم، فأعد الحبيب سقاف خطة يطفيء بها الفتنة مع المحافظة على شعور ولده، فذهب الحبيب سقاف لأحد رؤساء يافع، وطلب منع عدم الحضور حتى يأتيه محمد بن

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلدان حضرموت، مطبعة الإرشاد، صفحة ٥٥٨.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت.

سقاف بنفسه يدعوه للحضور. ولما اجتمع رؤساء يافع وتغيب ذلك الرجل، كما طلب منه الحبيب سقاف فأرسل له الحبيب سقاف بابنه محمد، ولما خلا المجلس من محمد بن سقاف تكلم فيهم الحبيب سقاف، وقال بأنني سأطلب منكم إذا حضر ابني محمد أن تقوموا ضد العيدروس وحلفائهم من آل كثير مقاربة وجبراً لخاطر ابني محمد، ولكني في الحقيقة لا أريد منكم ذلك، واكتموا عليّ هذا الخبر، ولما حضر ابنه محمد مع اليافعي المتأخر في الحضور تكلم الحبيب سقاف في يافع بما يرضي خاطر ابنه محمد، ثم لم يكن من الحبيب سقاف إلا أن ركب إلى شبام متظاهراً بزيارة الحبيب محمد بن زين بن سميط، وكان معه خادم من آل باصالح فبعثه من شبام إلى الحزم يخبر الحبيب عمر بن أحمد العيدروس أنه عازم على الوصول إلى بيته لترضيته والاعتذار إليه عما أقدم عليه ولده محمد، فلم يكن من الحبيب عمر العيدروس إلا أن قال للخادم: قل له لا يصل بل أنا أصل إليه، وركب فرسه وركضها حتى التقى بالحبيب سقاف في منتصف الطريق ببطحاء شبام فتعانقا وبكيا وطفق الحبيب عمر العيدروس يعتذر ويعزم على الجد أن يرجع إلى سيؤن حتى يكون هو الذي يبدأ بالترضية، فامتنع الحبيب سقاف عن العودة حتى يطأ عتبة داره بالحزم، فقال له الحبيب عمر لا يكفر ما سبق إلا أن أزف بنتي لولدك فأعفاه الحبيب سقاف من ذلك وعاد من فوره إلى سيوون وأخبر رؤساء يافع بزوال الخلاف ونهاية الشر، ثم لم تطل المدة حتى جاء الحبيب عمر بن أحمد العيدروس إلى سيؤن مع أولاده تخفق عليهم راياتهم ومعهم رأس غنم يقودونه هدية للجد سقاف، وكان ذلك داعية الألفة والاتحاد وواسطة الأخوة والوداد. (انتهى النقل عن بضائع التابوت بتصرف بسيط).

قال بن عبيد الله [1] وكان للحبيب سقاف بن محمد بن عمر (١١١٥-١١٩٥هـ) نخل مشترك مع بعض قرابته فرهنه ذلك القريب، فاغتاظ أولاد الجد سقاف لمعرفتهم بحاجة والدهم لحصته من ذلك النخل، فلما رأى ذلك منهم لم يعجبه وطلب منهم أن يأخذوا شيئاً

---

(١) علوي بن عبد الله السقاف، التلخيص الشافي، صفحة ٥٠.

من البن والسكر، وخرج بهم إلى مكانه المعروف بعلم بدر، فلما وصلوا أمرهم بطبخ القهوة والقراءة على عادة مجالسه، ثم لما انتهوا من المجلس وشرب القهوة أخرج لهم وثيقة نذر كتبها لقريبه المذكور في نصيبه من تلك النخلات التي رهنها، وقال لأولاده من يريد الخير والبركة فليضع شهادته على هذه الوثيقة، فلم يسعهم إلا الامتثال لأمر أبيهم، ثم قال لهم: خذوا باقي البن والسكر وبانسير إلى عند عمكم لنرضيه عنكم فإنه قد شق عليه (أغضبه) منكم ما بلغه عنكم، ومن كان يحب جبر خاطري فليتبعني فتبعوه كلهم، ولما وصلوا إليه قال له: إن عيالي هم عيالك ولا نحبك تشتق منهم وجاءوا طالبين العفو والمسامحة، ففرح منهم وسامحهم وأعطاه وثيقة النذر، فرد عليه قريبه وقال له إنما رهنت نصيبك ونصيبي، لأنني قد نذرت لك بالنخل كله، ثم خرجوا من عنده راضين وشكروا صنيع والدهم وتربيته لهم.

ومن كلام الحبيب سقاف بن محمد أيضاً (١١١٥-١١٩٥هـ) قوله[١]: لا أخاصم أحداً من خلق الله، ولو أخذ علي ما أخذ، ماخاصمته.

وقد أخذت على الحبيب سقاف بن محمد قطع أرض مغروسة بالنخيل، وكانت أعز الأموال في تلك الأزمان فتركها ولم ينازع فيها (انتهى).

هذا، ومع ما ينتاب مفتي الديار الحضرمية العلامة عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف أحياناً من الحدة التي قد تغضب من لا يعرفه حق المعرفة، إلا أنه سريع التأثر بمكارم الأخلاق، ورغم أنفته فإنه سرعان ما ينسى الأمر إذا لمس الاعتذار من الطرف الآخر، كما أنه لا يحتمل التدابر والقطيعة.

قال بن عبيدالله[٢]: ومن أدباء تريم وعلمائها الذكي النبيه السيد حسن بن علوي بن شهاب (المتوفى بتريم سنة ١٣٣٢هـ)، وقد لقي امتحاناً بتريم إذ علق طلاق نسائه بتعليق

---

(١) نشر محاسن الاوصاف في مناقب الحبيب سقاف بن محمد بن عمر السقاف، دار الحاوي، صفحة ٢٦٣.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٥١٣.

كان الأصح انحلاله فأجروه عليه وواخذوه به، ومنها أنهم قطعوا أذن حماره ولطخوا باب داره بالعذرة فذهب مغاضباً إلى سنقفورا وأنشأ قصيدة يتذمر فيها، ومنها قوله:

وعليـك الـسلام طيبـة منـي   وعليك الدمار ياحـضرموت

وحوالي سنة ١٣٢٤هـ هجا أعيان العلويين بسنقفورا بتعريض لا يبعد عن التصريح بقصيدة طبعها ووزعها بين الناس.

وبما أن أولئك الأعيان لا يعرفون الشعر فقد طافوا على الشعراء واشتدت الرجة وعظمت الضجة، فأما السيد عبد الرحمن بن عبد الله الكاف فاستعان بالفاضل السيد علي بن سهل، فأقذع في الهجاء، وأما السيد عبد القادر بن عبد الرحمن السقاف فاستعان بي ولكن لم تكن المستأجرة كالثكلى.

ثم دبت الخلافات العلمية بين بن شهاب والسيد محمد بن عقيل بن يحيى الذي نشر كتاب النصائح الوافية فيمن يتولى معاوية، فرد عليه السيد حسن بن شهاب بكتاب الرقية الشافية فرد عليه العلامة أبو بكر بن شهاب بكتاب وجوب الحمية عن مضار الرقية.

قال بن عبيدالله: وبمراعاتي لصداقتي مع العلامة ابن عقيل تحرش بي السيد حسن بن شهاب وجرت لي معه مناقضات كانت كفتي فيها الراجحة، إلا أنني أقذعت له في بعض القصائد والمقالات بما أخجل الآن عن ذكره، إذ لم يكن إلا في نزوة الشباب وجماح الطبيعة، وكان له الفضل إذ بدأني بالمصالحة وتمثل لي بقول المتنبي:

ومرادُ النفوسِ أصغر من أن   نتعـادى عليـه وأن نتفـانى

(انتهى).

فانتهت الوحشة بينهما وعادا إلى صفو الخاطر وطيب المعاش.

وذكر لي والدي أنه حصل خلاف بين بن عبيد الله وبين السيد أبي بكر بن طاهر

السقاف المقيم بسنقفورا، وهو والد الشخصية المشهورة بسنقفورا علي الرضا لسبب لم أعرفه، ولكن لما زار السيد أبو بكر حضرموت زار بن عبيدالله في بيته وتلاشى في الحال كل ما بينهما من خلاف، ثم أقام له بن عبيدالله وليمة في البيت الجديد لابنه حسن بالحوير، وهو أول بيت تعمل له بلكونة في حضرموت، حتى أن بن عبيدالله علق على هذا الحدث بقوله إن ابني حسن ذكي بحيث إنه مد البلكونة في الهواء حتى لا يتكلف قيمة الأرض.

وكتب الجد بن عبيدالله في بضائع التابوت[1]: وقد اتفق أن حدث بيني وبين صديقي الحبيب العلامة الوالد أحمد بن عمر بن يحيى سوء تفاهم بسبب نذر نذره لي وحكم به قاضي تريم فزعم له بعض من يتحرش بالعلم وليس منه في رطب ولا عنب بأن فيه منافذ للبطلان، وكتب له رسالة من غير إمضاء فرددتها برسالة سميتها بستان الأحياء في الرد على بن يحيى، ثم وقع أن اتفقنا وإياه بمجلس القضاء بسيؤن وحضر المتعهدون له بالإبطال ومنهم كاتب الرسالة، فافحمتهم وخرجت عليهم منتصراً، وخرج هو أيضاً طلْق المحيا في جماعة من أصحابه منهم السيد أبو بكر بن شيخ الكاف والشيخ أحمد كرامة التميمي، فقال له الثاني: كيف تتعرض لابن عبيدالله وقد تعلم قوة عارضته؟ قال: ما تعرضت لذلك إلا لأن هؤلاء كذبوا علي وتنقصوا ابن عبيدالله في غيبته، فأحببت كشف الحقيقه، وقد فضحتهم اليوم وتمّ لي المقصود، فأنا مسرور من انكسارهم ونصوع فضل بن عبيدالله (انتهى).

وذكر بن عبيدالله في أدام القوت[2]: إن من آخر مناصب آل إسماعيل بن أحمد وهو السيد محمد بن حسين كان شهماً شجاعاً محباً للعلماء كثير البر بأمه، وكان بينه وبين العلامة الجليل السيد أبي بكر بن شهاب مشاحنة يوسعها العلويون توسيعاً هائلاً كيداً لابن شهاب وحسداً له لأنه كان لهذا المنصب نفوذ كبير على دولة آل عبد الله بتريم وسيؤن، وعلى آل جابر، وعلى كثير من العوامر، وضالة العلويين إذا ذاك أذية العلامة ابن شهاب ومضايقته

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ١٢.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلدان حضرموت، مطبعة الإرشاد، صفحة ٤٤٨.

وإهانته. فأذكوا نار العداوة بينه وبين المنصب المذكور حتى لحقه كثير من الأذى، فلم يكن من ابن شهاب إلا أن جاء ليلة بخفارة قوية إلى دار الشيخ أبي بكر بن سعيد الزبيدي في سحيل محسن، وكانت بينهما صداقة، ومشيا معاً من آخر الليل إلى جامع باعبد الله، حيث كان المنصب يتهجد هناك فتصافحا وتعانقا وتباكيا، واستحالت الصهباء وصار المنصب من أكبر أصدقاء العلامة ابن شهاب، وترافقا في سفرة لهما من حضرموت إلى الشحر، ثم إلى عدن ثم إلى الحج (انتهى).

وفي وصية الحبيب أحمد بن عبد الرحمن بن علي السقاف[1] (توفي ١٣٥٧هـ) لأولاده قوله: واحذروا غاية الحذر يا أولادي .. الكبار خاصة والصغار كذلك، عليكم بالصبر على أخلاق وطبايع إخوانكم خاصة وغيرهم من القرابة والإخوان والجيران عامة، وأن تسامحوهم فيما يأخذونه من حقوقكم ظاهراً وباطناً، وأن تسكتوا لهم من المنازعة والمجادلة والهوى .. وعوض من صبر على الله (انتهى باختصار).

وذكر بن عبيدالله في معجم بلاد حضرموت السيد أحمد بن عمر الشاطري المتوفى بتريم سنة ١٣٦٠هـ فقال: كان شهماً ذكياً نبيهاً، له فهم وافر وفكر نقاد ورثهما عن جده لأمه السيد أبي بكر بن عبد الرحمن بن شهاب، وكان متفنناً مستقيم السيرة طيب السريرة كثير البحث جم التحقيق غزير الاطلاع.

ثم قال بن عبيدالله: وجرت قضية فقهية أفتى فيها السيد أحمد بن عمر الشاطري بصحة النذر وصادق على فتواه قاضي تريم الشيخ فضل عرفان، ولما سئل بن عبيدالله في المسالة رأى أن النذر لا يصح، فاعتمد القاضي كلام بن عبيدالله لكثرة أسانيده وتفنيده وشطب مصادقته السابقة، ورجع إلى كلام بن عبيدالله وأصر العلامة الشاطري على رأيه، وكتب نحو صفحتين في الرد على ابن عبيدالله فنقض بن عبيدالله رده بأكثر من ذلك. قال بن

---

(١) مجموع كلام الحبيب أحمد بن عبد الرحمن بن علي السقاف، دار الفقيه للنشر، صفحة ٢٦١.

عبيدالله: وبعد مدة وصلني السيد الوجيه عبد الرحمن بن شيخ الكاف وقال: إن السيد أحمد بن عمر الشاطري يريد أن ينقض كتابتك السابقة، ولكنه يخشى أن لا تنصفه، فقلت له: معاذ الله وإني أتمنى أن يظهر لي صواب ما يقول ليقع لي شرف الرجوع إلى الحق الذي كثيراً ما أترنم بأمثاله عن أراكين الإسلام. (انتهى)[١].

هذا وقد استمرت المحاورات بينهما حتى رجح كلام ابن عبيدالله وانتهى الخصام وانفصل النزاع، ثم قال بن عبيدالله: ثم جاء العلامة الشاطري لزيارة الطبيب بسيؤن فزارني وأضفته في اليوم الثاني، وكان يوماً سعيداً تساقينا فيه السرور وتجاذبنا أطراف الأنس، ثم ذهبت بعد مدة إلى تريم وجئت إلى منزل الأستاذ الشاطري بعد صلاة الجمعة، وحضر جماعة من أهل العلم والأدب، وعندما انبسطنا وشرعنا في المحاورات والنكات لم يرعنا إلا دخول قاضي تريم السيد علوي بن عبد الله الجفري بهيئة غير عادية، وماكاد يضم ثيابه للجلوس حتى قال: يا عم عبد الرحمن نطلب منك أن توضح لنا الصواب في المسألة التي اختلفتم فيها أنتم والأخ أحمد بن عمر الشاطري، قال بن عبيدالله: فدار بي الفضاء وأظلم عليّ المنزل لأنني وقعت بين أمرين: إما التعرض لمشقة صاحب المنزل وهو علي عزيز، وإما توهم الحاضرين بي الانقطاع عن الجواب وهو ضالة الحساد، وأكثرهم من العلويين فلم يكن بدّ من شرح الصواب مع بسط العذر للسيد أحمد بن عمر الشاطري، والشاطري لا يزيد على حسن الإصغاء إما عن إكرام وتوقير لي وإما عن اقتناع بما قررته.

قال بن عبيدالله: ولما اجتمعت بالمكرم الأخ أبي بكر بن شيخ الكاف شكوت إليه ما صنع بنا القاضي فقال: إنما كان مأموراً بذلك من جهتي، فأنا الذي كلّفته لأذكي بينكم نيران الحرب، ونقف مع النظارة، فقلت له: حسبك الله، لقد نغصت علينا المجلس وشوشت علينا الأنس (انتهى)[٢].

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٥١٧-٥١٨.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٥١٩.

وذكر الشيخ عمر بن عبد الله الخطيب[١] المتوفى بسنقفورا مناقب السيد أحمد بن عمر الشاطري الجمة وغيرته وحماسه الشديد في الفتاوي والقضايا الشرعية، وذكر رجوعه إلى الحق متى ظهر له، قال: وفي أيام قضاء الشيخ علي عرفان مضت عدة أشهر بالكمال فلمّا كان الشهر الرابع أو الثالث أمر الشيخ فضل عرفان القاضي الشيخ علي عرفان بأنه إن رُئي الهلال ليلة ٢٨ فليقبله، بل وأمره بالتعرض له فأخبر القاضي الحبيب أحمد بن عمر الشاطري فغضب وقام وقعد وبقي الشيخ فضل عرفان مصراً على رأيه، ثم روجعت المسأله في بعض المراجع فوجدوا من كلام العلماء أنه إذا تواترت الأشهر بالكمال ثم ظهر ليلة ٢٨ الهلال وجب قبوله لأنه يدل على حصول خطأ في الأشهر الماضية، فسكن الحبيب أحمد بن عمر لأنه كان رجاعاً إلى الحق متى ظهر له ورجع عن رأيه وأذعن للنص (انتهى).

ونستفيد من القصة السابقة عدة دروس: أولها تحري العلويين للحق ورجوعهم إليه عند بيانه، وثانيها أن الخلافات العلمية بينهم لا تفسد للود قضية، وثالثها أخلاق السيد أحمد بن عمر الشاطري واحترامه لبن عبيدالله الذي قال عنه بأنه سريع الانفعال[٢]، ورابعها أن الوجهاء والأغنياء يستمتعون بالمعارك العلمية بين العلماء ويذكون نارها.

وقد كنت أتمنى لو كان الجد بن عبيدالله أكثر دبلوماسية فيتخلص من الورطة ويقول للقاضي الذي أحب أن يشعل الفتنة بينه وبين الشاطري: هذه الأمور قد تم بحثها ولا سبيل للعودة إليها، إلا أنني لا أستطيع أن أتخيل ظروف المكان والزمان لتلك الواقعة التي أملت على بن عبيدالله ذلك التصرف.

* * *

---

(١) عبد القادر بن عبد الرحمن الجنيد، العقود الجاهزه والوعود الناجزة، صفحة ٥٣١-٥٣٢.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٥١٨.

الفصل الثاني والستون

المشاكل بين العلويين



ومع ما ذكرنا في الفصول السابقة من حسن أخلاق العلويين إلا أنهم بشر تثور بينهم أحياناً بعض المشاكل الدنيوية ونورد ما ورد مكتوباً في كتبهم التي توفرت لي قراءتها.

قال بن عبيد الله في المعجم: ولقد لقي القطب عبد الله الحداد (١٠٤٤ – ١١٣٢هـ) أذىً كثيراً من إخوانه، قال الحبيب عمر بن حسن الحداد إنه اشترى مال أهله ثلاث مرات كلما اشتراه ادّعى عليه بعض إخوانه فيه قبل له وكذلك كان حال الحبيب حسن بن أحمد العيدروس فترحم عليه وأكثر ما وقع الأذى على القطب الحداد من أخيه عمر حتى لقد سمعت ـ لكن ممن لا أثق به ـ أنه ادعى عليه بمائة بهار من الذهب فما زال مُحِبّو الإصلاح من أهل التدبير يسفرون بينهم حتى جعلوها مائة بهار تمر من وادي الذهب، وما أدري أكان بوادي الذهب نخل إذ ذاك أم يعنون ثبي، وقال بعضهم إنما كانت الدعوى في بهار واحد من الذهب وهو الأقرب، ثم ما زالوا به حتى أبعدوا الإمام الحداد إلى الحاوي الذي اختطه في شمال (حوطة آل أحمد بن زين) [١].

قال بن عبيدالله: وفي قضاء الشيخ علي بن عبد الرحيم باكثير توجهت على القطب الحداد دعوى لزمته بها اليمين فغلّظها عليه القاضي وجاء معه بمصحف من تريم فقال له الحداد أو ما عندنا مصاحف (انتهى).

وبرر بن عبيدالله فعل القاضي فقال: وبعض الناس ينتقد فعل الشيخ علي بن عبد الرحيم ويعده من إساءة الأدب وليس من ذلك في شيء وإنما هو أداء للواجب وبعدٌ عن المحاباة، مع أن القطب الحداد لم يلاحظ عليه إلا استصحاب المصحف من تريم (انتهى)[٢].

وذكر الجد بن عبيد الله في المعجم أن الحبيب عمر بن حسن الحداد كان من خيار العلويين وصلحائهم وكان كآبائه وأقربائه يسكن الحاوي، ثم حدث بينه وبين المنصب

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مطبعة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٥٣٦.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، صفحة ٥٣٧.

الحبيب علي بن حسن بن حسين شِجارٌ على خادمة منعها الحبيب علي عن الخدمة في بيت الحبيب عمر فانتقل إلى نويدرة تريم ولم يزل بها على العلم والعبادة حتى توفي سنة ١٣٠٨هـ أي قبل وفاة الحبيب علي بن حسن بمدة قصيرة. (انتهى)[١].

وقد يحدث الخلاف بين العلويين بسبب بناء مسجد أو وضع تابوت على قبر ولي من الأولياء كما سيأتي في الأخبار التالية، قال بن عبيدالله في المعجم: إن فتنة قامت بتريم سنة ١١٦١هـ بسبب تابوت القطب الحداد فإنّ آل العيدروس جدوا في منعه ومعهم آل جابر بينما صمم آل الحداد على وضعه ومعهم آل كثير ومنصب الشيخ أبي بكر بن سالم، وأما يافع فافترقوا وواربوا وكانت النتيجة أن التابوت وضع على قبر الحداد ثم أحرق ثم رمم ثم وضع ثم أزيل (انتهى)[٢].

وقال بن عبيدالله في المعجم أيضاً: إن آل أبي فطيم وهم من ذرية الشيخ أبي بكر بن سالم كانت لهم ثروة من المال والرجال فأحبوا أن يبتنوا مسجداً بفناء دورهم الضخمة ببلدة تاربة، وذلك في سنة ١٣٠٧هـ ولما شرعوا في بناء المسجد منعهم السادة آل العيدروس وتداعَوا للقتال، واستعان آل العيدروس بآل كثير، وجاء الشيخ عائض بن سالمين في جمهور منهم بصورة المساعدين لهم ولما وصلوا تاربة أرضي آل أبوفطيم الشيخ عائضاً فأخذ يهول على آل العيدروس بأن منع بناء المسجد من المنكرات ثم إنه انصرف ولم ينفع آل العيدروس بشيء وما زالت القضية تتعقد حتى توسط فيها الأستاذ الأبرّ عيدروس بن عمر الحبشي على أن يكون المسجد صغيراً لا يزيد عن عمودين فسكن الشر وفرغوا من بنائه في سنة ١٣٠٨هـ فكان تاريخه بالحروف «مسجد ضرار» ثم نجم الشر بينهم مرة أخرى يوم العيد في الجامع فتضاربوا بالعصي ثم ضعف أمر آل بوفطيم وقلت رجالهم وتبددت أموالهم (انتهى)[٣].

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، صفحة ٥٣٤.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مطبعة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٤٤٧.

(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مطبعة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٤٤٨-٤٤٩.

ومع أن غالبية العلويين يتحرجون من تولي القضاء ولا يتولونه إلا مكرهين إلا أن منصب القضاء قد يولد لهم العداوة من منافسيهم خصوصاً إذا أحسوا أنهم لا يزيدون عليهم بفضل. وذكر الجد بن عبيدالله في بضائع التابوت أن الحبيب علوي بن سقاف تولى القضاء بسيؤن سنة ١١٩٧هـ مكرهاً ولم يتجاوز سنه بعد الخمس والعشرين سنة بعد أن تنازل له عنه أخوه الحبيب عمر بن سقاف، فتحركت ضده أحساد بني عمه علوي الذين أجمعوا ما عدا حسين بن علوي على بغضه ومناصبته العداوة وقد قعدوا له في الطريق بالصمل ليضربوه، وهو في طريقة ليؤم الصلاة بمسجد طه، حتى إنه قلّما خرج بعد ذلك لإمامة الصلاة بمسجد طه ولا سيما فى البرد إلا ومعه خفارة من أحد أخواله أبناء الإمام على بن عبد الله السقاف، وكانوا أهل شدة وبأس

وقد ترك الجد علوى بن سقاف القضاء بسبب تلك المنازعات ورغم ذلك لم يتوقف أذاهم له، بل بقوا ينازعونه وينازعون أخاه عمراً في الأوقاف وإمامة الصلاة [١].

وذكر بن عبيدالله أن زعيم وادي الأحقاف الحبيب محسن بن علوي بن سقاف زوّج حفيده محمد بن عبد الله على بنت بنته سعود فأساء عشرتها وتعدّى عليها تعدياً أغضب عليه جده المحسن فعاتبه ودعا عليه وسافر هذا الحفيد بعد الحادثة إلى جاوة وانقطع عقبة وشاركه عمه جديد بن محسن في تجارة بجاوا ثم قدم عمه جديد إلى جاوا بعد فترة ليحاسبه، ونزل على شماخ فاستدعى شماخ محمد بن عبد الله وقال له هذا عمك جديد، فقال: الله أكبر لم يكن ليخرج من صلب محسن بن علوي مثل هذه الصورة القبيحة فأنكر نسبة فضلاً عن ماله ورد عمه مكسور الخاطر [٢].

وذكر السيد عمر بن علوي الكاف في كتاب الخبايا في الزوايا أن السيد أبا بكر خرد

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء صفحة.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ٢٦٠.

كان حاد الطبع لا يصبر على ما يراه مخالفاً لمعتقده، وقد رآه مرة الحبيب عبد الرحمن المشهور يدور بالأسطوانة المسماة المعصورة بمسجد باعلوي فقام يسأله كالمنكر عليه فنظر إليه السيد أبو بكر شزراً وقال له: إنما المنكر الكتابة على ظهر مؤلفاتك «ألفه مفتي الديار الحضرمية» وجعل يتبعه بعصاه فهرب السيد عبد الرحمن إلى خارج المسجد [١].

وذكر الكاف في الخبايا والزوايا أيضاً أنه حدث مرة أن أوصى الحبيب أحمد بن محمد الكاف بتغيير مسار جنازته عن المعتاد والمرور بها بحوش العيدروس، فاستفتى أبناؤه الحبيب عبد الرحمن المشهور الذي أمضى الوصية وكان في الجنازة الحبيب علوي بن عبد الرحمن المشهور (١٢٦٣ - ١٣٤١هـ) فلما رأى الجنازة انحرفت عن الطريق المعتاد هرول إلى الحبيب عبد الرحمن المشهور في المقدمة لينكر عليه موافقته على الوصية، وقال له: إن فِعْلَكم هذا بدعة في الشريعة المطهرة، فالتفت إليه مريدا ضربه بعصاة، وقال له إنما البدعة هي الكشاري (نوع من فنون الهند) التي اتخذتها في بيتك ولم يتخذها أحد قبلك من أهل تريم ووجه إليه عصاه ليضربه بها، فهرب الحبيب بعيداً عن العصا (انتهى) [٢].

وذكر بن عبيدالله السيد علوي بن عبد الرحمن المشهور (١٢٦٣-١٣٤١هـ) فقال كان شهماً وقوراً ركين المجلس جميل الهيئة حلو الشارة عذب الكلام، يعطي كل واحد من جلسائه نصيبه من الكلام والنظر، وله رحلات إلى الحجاز والهند ومصر وجاوا والسواحل الإفريقية. ثم قال بن عبيدالله وجرت بين شيخنا علوي المشهور وبين علماء تريم بمن فيهم تلاميذه مناقضات في عدة مسائل منها ما إذا قال رجل لآخر: أنفق على أهل بيتي ولم يقل على أن ترجع علي، وطال النزاع في ذلك وأصفقوا على خلافه، وساعدهم عليه طلبة العلم بسيؤن وهو مصمم على رأيه، ومنها أن أخاه عمر بن عبد الرحمن المشهور كان على قضاء تريم فبلغه ثبوت شهر شوال فصادق عليه وامتنع شيخنا عبد الرحمن المشهور عن الموافقة وتبعه أهل تريم، ولما

---

(١) عمر بن علوي الكاف، الخبايا في الزوايا، دار الحاوي، صفحة ١٢١.

(٢) عمر بن علوي الكاف، الخبايا في الزوايا، دار الحاوي، صفحة ١٢٢-١٢٣.

عيَّدَ شيخنا علوي بن عبد الرحمن المشهور وصلى العيد في المسجد الذي بجوار بيته لا في الجامع اشتد النكير عليه وغاضبوه وهاجروه إلى أن سويت المسألة (انتهى)[١].

وذكر بن عبيد الله نقلاً عن الجنيد أن الحبيب علوي بن محمد المشهور كان آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر وكثيراً ما يصوب سهامه على أهل الرسوم من السادة ولا يعترض عليه أحد من علماء وقته، وكان يغلظ لهم القول حتى لقد حضروا مرة (يقصد معاصريه من العلماء والوجهاء) فصلى عليهم صلاة الجنازة وقال: وددت لو اعترضني أحد من العلماء فأفحمته بأربع آيات من القرآن يستحقون اللعن بكل واحدة منها وصليت على قلوبهم لأنها ميتة (انتهى)[٢].

وروى الأستاذ محمد الشاطري مثل ذلك عن العلامة أبي بكر بن شهاب (١٢٦٢-١٣٤١ هـ) وأورد أبياتاً له في بعض العلماء بالهند حيث كان يعيش، تقول:

تشكوا إلى الله من هذه الغوغاء	شكوى من رماه الزمان
من ماكر ذي سبحة أو مُرا	ء قارى همساً وذي طيلسان
ورامز بالغيب ذي حيلة	يلفظ بالقول الكثير المعاني
رواد صيد كلهم حاذق	في الرمي لا يصطاد إلا السمان
شباكهم دعوى الكرامات	والكشف وتزوير المرائي الحسان
هذا يرى المختار في نومه	وذاك يستخبره بالعيان
كأنه من بعض أتباعهم	يحضر في كل مكان وآن
ومنهم المخبر عن برزخ الموتى	شقي أو سعيد فلان. انتهى[٣].

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مطبعة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٥١١-٥١٢.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ١٥٧.

(٣) محمد بن أحمد الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي، الناشر عالم المعرفة، صفحة ٤٥٤.

وعندما ذكر ابن عبيدالله [١] حبس عبد الله غرامه حاكم وسط تريم للسيد أحمد الجنيد والذي فصلناه في موضع آخر من هذا الكتاب قال: وحسبك أن السيد حسين بن عبد الرحمن بن سهل كان يتهم بالإغراء على أخواله آل جنيد وعلى الجانب الآخر ذكر بن عبيدالله بعدما استعرض أذية ابن عبد القادر حاكم نويدرة تريم لحسين بن سهل فقال: ويقال إن السيد حسين بن سهل اتهم خاله (يقصد السيد أحمد الجنيد) بالوشاية به إلى ابن عبد القادر [٢].

وقد تنشأ المشاكل بين العلويين بسبب أرض أو عقار فقد ذكر السيد عبد القادر الجنيد في كتاب العقود العسجديه أن السيد عبد الرحمن بن أحمد بن علي الجنيد (١٢٥٩-١٣٠٢هـ) ولد بتريم وتلقى العلم على علماء عصره بحضرموت ثم سافر إلى سنقفورا سنة ١٢٧٩هـ (١٨٦٢م) وجمع ثروة كبيرة بها ثم عاد إلى تريم سنة ١٢٨٠هـ ومكث بها أربع أو خمس سنوات، واشترى بتريم في سنة ١٢٨٢هـ الأرض والبير المسماة بير بخيتة من السيد علوي بن عبد الله بن حسين بن طاهر بثمن قدره ٥٣٠ ريال فرانصه واختط له فيها بيتاً واسعاً [٣].

وكان ينوي العودة من سنقفورا والاستقرار مع كل عائلته بتريم بعد اكتمال بيته، الا أن السيد عقيل بن يحيى نازعه الحق في هذه الأرض زاعماً أنها من أوقاف مسجد المسيلة، وهو ناظر ذلك الوقف [٤].

واستمرت الدعاوي في القضيه لمدة ١٦ سنة، كان العمل في بناية بيته الجديد متوقفاً خلالها، وما ابتدأ العمل إلا بنهاية المشكلة سنة ١٢٩٨هـ وتوفي الجنيد قبل أن يعود إلى تريم سنة ١٣٠٢هـ فتوقفت عمارة بيته ثانيةً ثم ابتدأ البناء مرة أخرى واكتمل سنة ١٣٠٤هـ وانتقلت عائلته كلها بعدها من سنقفورا لتريم وسكنت هذا البيت في نفس تلك السنة [٥].

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ١٢٩.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ١٣٣.

(٣) عبد القادر بن عبد الرحمن الجنيد، العقود العسجدية، صفحة ٤٣٦-٤٣٧.

(٤) عبد القادر بن عبد الرحمن الجنيد العقود العسجدية، صفحة ٤٤٩.

(٥) عبد القادر بن عبد الرحمن الجنيد العقود العسجدية، صفحة ٤٥٦-٤٥٧.

وذكر بن عبيدالله أن الحبيب عمر بن عبد الله بن يحيى كان ينتقد بعض كلمات من راتب القطب الحداد، ولم يكتف بانتقاد الراتب حتى تجاوزه إلى مواضع كثيرة من ديوان الحداد ينتقدها، فبقي السادة آل الحداد محنقين لذلك عليه واتفق أن قام السيد عمر بن يحيى يعظُ في تريم بعد صلاة الجمعة في الجامع فأسكته آل الحداد وغيرهم ومزقوا جبته فاستصرخ السلطان غالب بن محسن وكان يومئذ بتريم فلم يكن منه إلا أن ألجأهم إلى التحاكم بسيؤن (انتهى باختصار) [١].

قال بن عبيدالله إن الجد محسن بن علوي السقاف أحب أن يخطب الناس بعد صلاة الجمعة في تريم فاستأذن الأعيان جهراً بقوله دستوركم ياحبايب، ولكنه لما مر بالمسيلة بعد انصرافه من تريم عاتبه الحبيب عمر بن عبد الله بن يحيى على الإستئذان، وزعم له أنها بدعه فلم يقدر الجد محسن على جواب سوى أنه قال له يداعبه: لو خطبت بدون استئذان لمزقوا جبتي وما عندي غيرها، وأما أنت فعندك عشرون جبة إذا مزقوا عليك واحدة رجعت للأخريات (انتهى) [٢].

قال بن عبيدالله ولما وصل العلامة الجليل السيد أبوبكر بن شهاب إلى الشحر رشح مبغضوه السيد حسن بن عبد الله بن شهاب للرئاسة العلمية بتريم والتفوا حوله وغرضهم من ذلك مناوأة العلامة أبي بكر بن شهاب فلم يُلق لذلك بالاً ولم يهتم به بل تلقاه بالقبول والفرح وإن كان ليحضر بعض الدروس التي عقدوها لمنافسته فلا يكون الرجوع في حل المشكلات إلا إليه شاءوا أم أبوا وما الصدر إلا حيثما جلس الصدر (انتهى)[٣].

قال ابن عبيد الله: وفي حدود سنة **١٣٢٣** نشر السيد حسن بن علوي بن شهاب رسالته

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ٢٠٩.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ٢٠٦.

(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثالث صفحة ٣٢١.

المسماة «نحلة الوطن» وفيها انتقادات لبعض المشهورين بالعلم وبعض المشهورين بالثروة بحضرموت فأثارت عليه غضباً نالتني منه شرارة لأنه أرسل منها نسخة مخصوصة لوالدي فأمرني بالرد عليه ونشر جوابي في مجلة المنار فاعتبروا ذلك مني من كبائر الذنوب (انتهى)[١].

وذكر بن عبيد الله أن السيد حسن بن شهاب والسيد محمد بن عقيل بن يحيى على رأي واحد، ثم نزغ بينهما الشيطان وتشاتما هذا بجريدة الإصلاح والحسام وكذلك بجريدة الوطن[٢].

ثم قال: وبمراعاتي لصداقتي مع العلامة ابن عقيل تحرش بي السيد حسن وجرت لي معه مناقضات كانت كفتي فيها الراجحة إلا أنني أقذعت له في بعض القصائد والمقالات بما أخجل الآن من ذكره إذ لم يكن الأمر إلا في نزوة الشباب وجماح الطبيعة وكان له الفضل إذ بدأني بالمصالحه وتمثل لي بقول المتنبي:

ومـراد النفـوس أصـغر مـن أن   نتعادى فيه وأن نتفانى. انتهى[٣].

قال بن عبيد الله: ولما نشر السيد محمد بن عقيل بن يحيى كتاب «النصائح الكافية» والتي لم يستحسنها علماء حضرموت رد عليه السيد حسن بن شهاب بكتاب «الرقية الشافية» ونقضها عليه شيخنا العلامة أبو بكر بن شهاب بكتاب «وجوب الحميه من مضار الرقية» قال بن عبيد الله: وما كان رد السيد حسن بالرقية عن ضمير واعتقاد ولكن لما كان كتابه «النحلة» أثار عليه السخط بحضرموت أحب أن يغسله بالرقيه، ثم قال بن عبيدالله: واتفق أن كان الأديب السيد عقيل بن عثمان بن يحيى في سنقفورا فضمهم حفل، وفي صحة المحتفى به السيد عقيل انحراف فأراد السيد حسن بن شهاب أن يحرك المجلس الذي شمله الوجوم

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مطبعة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٥١٤.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مطبعة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٥١٤.

(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مطبعة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٥١٤-٥١٥.

من اجتماع الخصوم فقال للسيد عقيل: لعل العلاج أفادك فقال له كلا ولكن أفادتني الحمية فشرق بها السيد حسن وتغامز القوم (انتهى)[١].

وذكر الجد بن عبيد الله حادثة حصلت بينه وبين السيد سقاف بن محمد السقاف مؤسس مدرسة النهضة بسيؤون فقال واتفق أن سار أحد الدرسة (الطلبة) لأخذ كرسي السراج من داخل المسجد إلى رحبته حيث ندرس بها بين العشاءين فمنعه السيد سقاف بن محمد صاحب المدرسة، فقمت لأخذه فنازعني إياه وتظاهر جماعة بالحجز بيننا فأمسكوني وتركوه حتى تمكن من إصابتي بطرف ذلك الكرسي الذي بيننا، ثم حالوا بيني وبينه وأرسلوه مخفورا بجماعة منهم إلى بيته، وكانت هذه الحادثه بمسجد القرن في أيام الخريف (انتهى)[٢].

قال بن عبيد الله: وبأثر ذلك ورد الشيخ عبيد صالح بن سالمين في جماعة من آل طالب فيهم الشيخ سالم بن جعفر بن سالم فجاءوا إلى عندي ومعهم السلطان منصور وولده علي وبعض السادة الذين يأكلون مع الذيب ويبكون مع الراعي وما زالوا يسترضونني ويلحون علي في السكوت عن مالي من الحق على سقاف فلم يسعني إلا الموافقة وانضم إلى ذلك انه لم يكن بيني وبينه قبل هذه الحادثة غير الجميل (انتهى)[٣].

وكان بين الجد العلامه عبد الرحمن بن عبيدالله وبين عدد من آل طه بن عمر السقاف وكذلك مع آل حبشي نوع من التضاد وسوء الفهم إلا أن الجد بن عبيدالله كان تواقاً للصلح، ومن ذلك قوله في بضائع التابوت:

ولقد تعهد جماعة من علماء تريم بالوصول إلى سيؤن للإصلاح ثم لم يكن شيء من ذلك، واستمرت القطيعة مع القرابة القريبة وإلى الآن لم ينبس أحد ببنت شفه سوى ما كان من المنصب السيد حسن بن سالم العطاس، فلقد كلمني في ذلك فقلت: حاشا الله أن أرضى

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مطبعة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٥١٥.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ١٣٨.

(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ١٣٨.

بالقطيعة وقد لعن الله فاعلها في ثلاثة مواضع في كتابه. وأجبنا دعوتهم للزواج وأدينا واجب العزاء ومعاذ الله أن نقطع حقاً من حقوق الاسلام [١] (انتهى باختصار).

قال بن عبيدالله: وبلغني بعد ذلك أن المنصب السيد حسن بن سالم تكلم بعد هذا مع أعيان تريم وسيؤون وبعض أعيان دوعن يستنهضهم للتوسط في الإصلاح، ولما عرفوا بتصميمم ذلك الجانب على القطيعة رضُوا بأن يكونوا مع الشيطان في النظارة وفي بلابل التغريد ما يكفي ويشفي بأن ليس في طباع المترفين حب الإصلاح وكنت توهمت الفاضل الأخ علوي بن محمد المحضار أن يكلمني في هذا الموضوع لأنه عرضة ذلك فلم يتكلم بحارة ولاباردة

وقد كلمني الفاضل الولد حامد بن أبي بكر المحضار في الصلح فرحبت به وبالمباهلة فزعم أنه سيستعين بالسادة عبد الله بن طاهر الحداد وحامد بن علوي البار وعبد الرحمن بن شيخ الكاف إذ كانوا مجتمعين في سيؤون ثم كتب لي بأنه أشار عليهم بذلك فلم يرغبوا. وقد رُوي أن سعد ابن أبي وقاص قدم على معاوية عام الجماعة وكان اعتزل الحرب فقال له أين كنت عنا يا أبا إسحاق قال له ما مثلي ومثلكم إلا كرجل أقبل على مدينة ولما رأى ما عليها من الدخان قال لجمَله أخ حتى إذا انكشف عنها أقبل فها أنا ذا، فقال له معاوية: ليس في كتاب الله أخ وإنما فيه: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ (انتهى)[٢].

ولكن كما ذكر بن عبيد الله بعد ذلك فقد توسط بينهم السيد حسن بن أحمد البحر وحصل التزاور بين الطرفين لإتمام الصلح [٣].

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ٣١٧.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ٣١٧-٣١٨.

(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ٢٨٥.

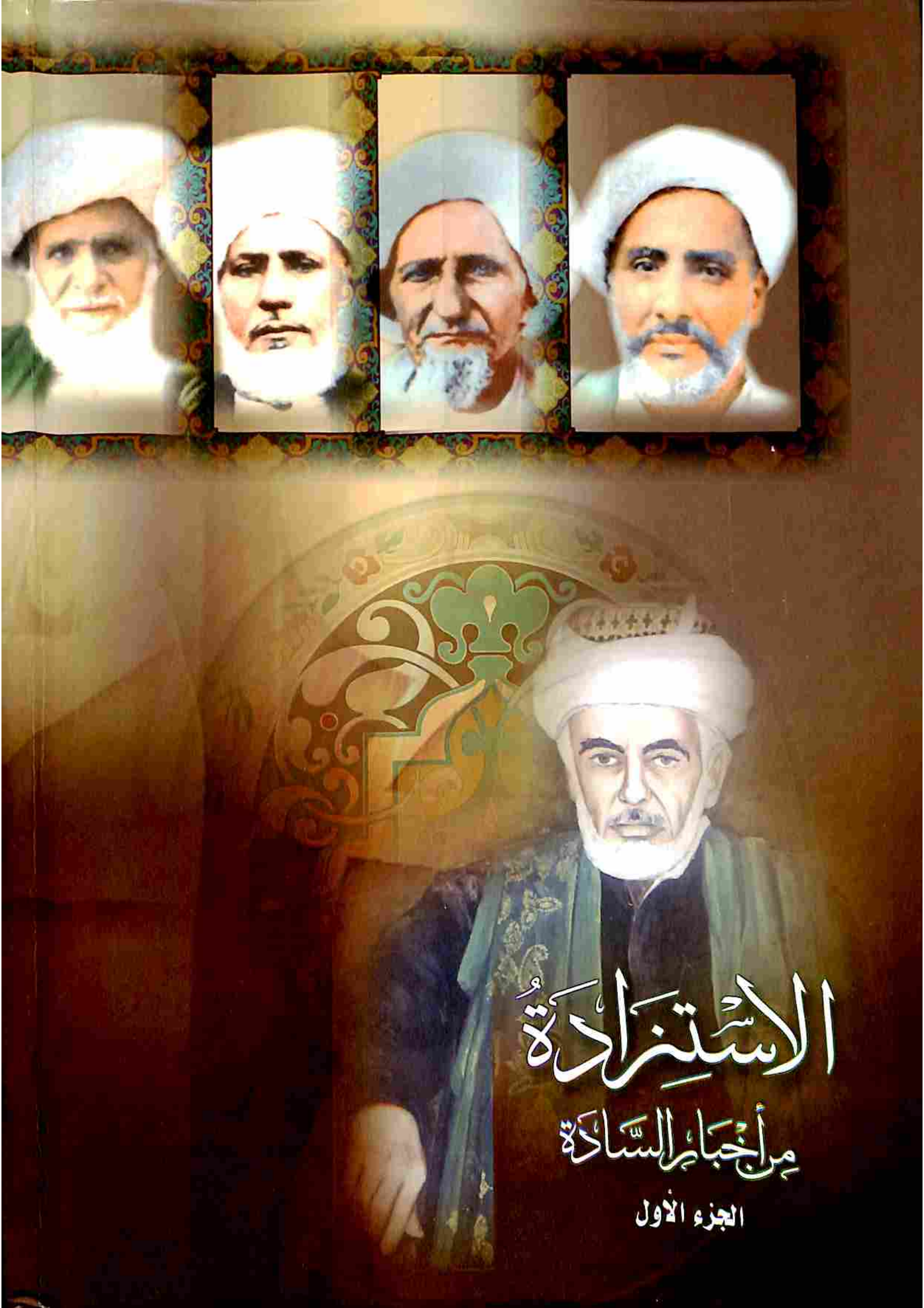
إلا أن ابن عبيدالله المشهور بحدته ومعاندته نراه يندم أشد الندم على مخاصمته عندما اعتذر له الطرف الآخر فكتب في بضائع التابوت تحت عنوان أنا والمنصب يقول: ثم ما رأيتني أشد انكسارا في نفسي ولا أكثر استحقاراً لحالي ولا أحر ندماً على ما فرط مني يوم تنازل الفاضل الجليل الحبيب عمر بن عبد الله بن محمد الحبشي على رئاسته ومنصبه وجاء إلى منزلي لترضيتي مع ظني أنني المتجرم عليه، إذ قلما يعرض ذكره إلا أسأت القول فيه وهترته كما كانت الصديقة عائشه تهتر يزيد بن قيس الأرجي كلما عرض ذكره وذلك لما يكثره عليه أصحابه عندي فلم يكن منه إلا أن أدبني في نفسي بجميل صنعه وحميد تواضعه تاديباً بليغاً أرجو ذخره وبره عند الله إذ قد بغض إلي الاغتياب وتجدد لي بسببه منه خالص المتاب فجزاه الله عنّا أفضل الجزاء (انتهى)[١].

ومن ما سبق يتضح لك أيها القارىء أن هؤلاء الأعلام حتى في بشرياتهم لا يذهبوا مذهباً بعيداً ولا يقطعون حقوق الإسلام ولا يبقى في نفوسهم منها شيء ويتوقون إلى الاصلاح ويشكرون من يسعى إليه ومن يبدأ به كما قرأت فيما سبق.

انتهى الجزء الأول

---

(١) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ٣٢٩.


الاستزادة
من أخبار السادة
الجزء الأول



الاستزادة

من أخبار السادة

الجزء الثاني

جمعها

علي بن محسن السقاف

الاستزادة

من أخبار السادة

علي بن محسن السقاف

الجزء الثاني

فهـرس المحتـويـات للجزء الثاني

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

* * *

الفصل الثالث والستون

العلويون والمشايخ



الحبيب مصطفى المحضار مع بعض السادة والمشايخ بالقويرة

علاقة العلويين بمشايخ حضرموت علاقة متعددة الجوانب، فكما ذكر بن عبيدالله فقد كان أغلب شيوخ الفقيه المقدم من غير العلويين، ولهذا فقد بدأت العلاقة بين الطرفين علاقة التلميذ بشيخه، ثم صار العلويون فيما بعد شيوخاً لمشايخهم، وإن ظهرت بعض الشخصيات من الجانبين أظهرت تفوقاً علمياً مشهوداً.

إلا أن العامل المشترك بين الطرفين والذي امتد فوق الألف ومائة سنة هو الاحترام المتبادل والتعليم والتعلم والرغبة العلمية القوية وتجشم السفر الطويل للدراسة على شيوخ معينين خارج حضرموت.

قال بن عبيد الله[1]: وأكثر مشائخ الفقيه المقدم من غير العلويين كما ذكر الحبيب عيدروس بن عمر في عقد اليواقيت، فقد درس الفقيه المقدم علم الفقه على الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن باعبيد، وعلى القاضي أحمد بن محمد باعيسى وأخذ الأصول والعلوم العقلية عن الامام العلامة علي بن أحمد بامروان والإمام محمد بن أحمد بن أبي الحب، وأخذ علم التفسير والحديث عن الحافظ المجتهد السيد علي بن محمد باجديد، وأخذ التصوف والحقائق عن عمه الشيخ علوي بن محمد صاحب مرباط وعن الإمام سالم بن بصري والشيخ محمد بن علي الخطيب.

ومن علماء المشايخ الأوائل المشهورين الشيخ عبد الله بن عمر بامخرمة، قال عنه الأستاذ الشاطري في أدوار التاريخ الحضرمي[2]: أنه مثال للزعيم الإسلامي الكفء في عصره، وكان أحد المراجع الثلاثة: في فقه الشافعي والآخران هما أحمد ابن حجر الهيتمي المكي ومحمد بن أحمد الرملي المصري.

ولم يكن متضلعاً في الفقه فقط، بل كان أيضاً من كبار السياسيين والأدباء والشعراء

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الارشاد، صفحة ٤٣٥ .

(٢) محمد بن أحمد الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي، الناشر عالم المعرفة، صفحة ٣١١-٣١٩.

والفلكيين وله مؤلفات في هذه الفنون. ولما حج سنة ٩٤٩هـ التقى في مكة بالعلامة ابن حجر الهيتمي المكي وحصلت بينهما بحوث فقهية اعترف له فيها ابن حجر بسرعة الفهم وسعة العلم.

وكان الشيخ عبد الله بامخرمه هو المستشار الشرعي والسياسي للسلطان بدر بوطويرق وكان السلطان بدر لا ينقض له حكماً برغم أن السلطان بدر كان على خلاف شديد مع والده الشيخ عمر بامخرمه حتى أنه فرض عليه الإقامة الجبرية بسيؤن إلى أن توفي بها. وتوفي الشيخ عبد الله بامخرمه في عدن سنة ٩٧٢هـ (انتهى باختصار).

واستمر العلويون بعد الفقيه المقدم في التتلمذ على علماء حضرموت من المشائخ قال بن عبيدالله[١] فالشيخ عبدالرحمن السقاف تتلمذ على الشيخ محمد بن أبي بكر عباد وكان يقصده من تريم إلى شبام للقراءة عليه، وفي الحكاية ٣٠٨ من «الجوهر» عن محمد بن أبي سلمة باكثير قال: صعدت مع بعض آل باوزير إلى شبام فبينما نحن عند العارف بالله محمد بن أبي بكر عباد وهو في آخر عمره إذ جاء الشيخ عبدالرحمن السقاف فأجلّه واحترمه، وأخذا يتذاكران من الضحى إلى الاصفرار لا يرفعان مجلسهما إلا للضروريات، وكان الفقيه باعباد شيخ السقاف ولكنه كان يحترمه (انتهى).

قال بن عبيدالله[٢]وكان الشيخ أبو بكر بن سالم صاحب عينات يتردد الى شبام للأخذ عن الشيخ معروف باجمال وكذلك كان السيد أحمد بن حسين العيدروس المتوفي سنة ٩٦٨هـ، قال بن عبيدالله: والشيخ معروف باجمال هو أحد صوفية شبام في زمانه ولقيْتُه محن شديدة فزال عن شبام ثلاث مرات أولاها عام ٩٤٤هـ ولما استولى بدر بوطويرق على شبام أهانة إهانة بالغة (انتهى باختصار).

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلدان حضرموت، الناشر مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٢٦٠.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلدان حضرموت، الناشر مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٢٦١.

قال بن عبيدالله[١]: وكان الحبيب أحمد بن زين الحبشي يذهب من بلدة الحوطه إلى شبام كل خميس وكل اثنين ماشياً للقراءه على الشيخ الأنور أحمد بن عبد الله باشراحيل وكان يثني عليه ويسند كثيراً من مروياته إليه وقد أخذ الشيخ أحمد باشراحيل العلم عن الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس ثم عن تلميذه القطب الحداد (انتهى).

ومن علماء المشايخ المشهورين بتريم شيخ الاسلام سالم بن فضل بن عبد الكريم بافضل قال عنه الأستاذ الشاطري أنه يتميز بالتوسع في العلوم الشرعية والعقلية والعربية، وقد مكث في العراق أربعين سنة قضاها في تحصيل العلم ثم عاد إلى وطنه تريم لنشر العلم ونصرة المذهب السني مع غيره من العلويين[٢].

وذكر بن عبيدالله الشيخ سالم بافضل فقال: واشتهر من علماء حضرموت الأوائل الشيخ الإمام سالم بافضل الذي ما إن رأى أنَّ معين العلم بحضرموت أوشك أن ينضب حتى هاجر إلى العراق ومكث بها أربعين سنة وانقطعت أخباره وآيس أهله من رجوعه، ثم عاد إلى تريم بأحمال من الكتب وانتعشت بعودته الحياة العلمية في تريم وأقبل عليه الطلاب والدارسون من كل مكان، ومنهم الإمام علي بن أحمد بامروان المتوفى سنة ٦٢٤هـ والإمام عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عبيد المتوفى سنة ٦١٣هـ والإمام محمد بن أبي الحب المتوفى سنة ٦١١هـ.

ومن تلاميذه العلويين الذين أصبحوا فيما بعد أئمة كبار الامام سالم بن بصري والإمام علوي بن محمد صاحب مرباط وأخوه علي. وقد عد الفقيه المقدم من تلاميذ الشيخ سالم بافضل مع أنه لما توفي الشيخ سالم بافضل لم يكن عمر الفقيه المقدم يتجاوز عمر السبع سنوات (انتهى).

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلدان حضرموت، الناشر مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٢٦٢.

(٢) محمد بن أحمد الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي، الناشر عالم المعرفة صفحة.

ووصف الاستاذ الشاطري الشيخ سالم بافضل فقال[١]: وهو شاعر فيلسوف في شعره وكان واسع الاطلاع قوي العارضة، وقام بالاضافة إلى نشر العلم والدفاع عن السنة النبوية ببناء بعض المساجد وهو الذي نظم الأوقات وخصص فترة ما بين العشاءين وما قبل الفجر لتلاوة سبع القرآن ليلياً في المساجد مما لايزال مستمراً إلى اليوم في أغلب مساجد حضرموت وتوفي بتريم سنة ٥٨١هـ (انتهى).

وذكر الحبيب أحمد بن حسن العطاس (١٢٥٧-١٣٣٤هـ) المشايخ آل بافضل في رسالة جمعها في أنساب العرب فقال: والمشايخ آل أبي فضل بيت صلاح وعلم وتواضع وزهد في الدنيا ومحبة وخاصة لأهل البيت[٢]. وورد في معرض كلامه: أنه لم يقع لأحد من مشايخ الجهة مثل ماوقع للخطباء وآل ابي فضل مع السادة آل أبي علوي من المحبة والمودة والامتزاج والاختلاط، ولهذا بقيت أسرار محبتهم ظاهرة في ذريتهم ولم ينصف العلويين في حقهم أحد مثلهم[٣].

ووصف الحبيب عبد الله بن عمر الشاطري[٤] (توفي سنة ١٣٦٠هـ) الشيخ أحمد بن أبي بكر الخطيب فقال: (إنه على غاية من المراقبة والتواضع الكامل وإذا رأيته ورأيت سمته وحاله تتخيل أنه من الصحابة رضي الله عنهم).

ومن علماء آل بافضل الكبار الشيخ محمد بن أحمد بافضل صاحب عدن والشيخ عبد الله بلحاج صاحب الشحر وغيرهم كثير من الصلحاء والأولياء في تلك القبيلة الصالحة[٥].

---

(١) محمد بن أحمد الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي، الناشر عالم المعرفة صفحة .

(٢) عمر بن علوي الكاف، الخبايا في الزوايا، دار الحاوي للطباعة والنشر، صفحة ١٦٥.

(٣) عمربن علوي الكاف، الخبايا في الزوايا، دار الحاوي للطباعة والنشر، صفحة ١٦٥ .

(٤) محمد بن سالم بن حفيظ، نفح الطيب من كلام الحبيب عبد الله بن عمر الشاطري، دار العلم والدعوة، صفحة ٢٦٠.

(٥) عمربن علوي الكاف، الخبايا في الزوايا، دار الحاوي للطباعة والنشر، صفحة ١٦٥.

وقد تتلمذ السيد عبد الرحمن بن علي السقاف (٨٥٠-٩٢٣ هـ) على الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بلحاج بافضل المتوفى بالشحر سنة ٩١٨ هـ، وكتب عدة مدائح في شيخه تدل على عظم تقديره له ومحبته إياه. ويقول في مطلع أحد قصائده التي وردت في تاريخ الشعراء الحضرميين [١].

أقول بحمد الله في مدح من له ... علوم وأسرار ونور بصيرة

إمامي وأستاذي وشيخي وسيدي ... حبيبي ومحبوبي وذخري وعمدتي

وقد فاق اهل العصر علماً وحكمة ... وفهماً عظيماً في معاني الشريعة

وكان السيد عبد الرحمن بن علي السقاف كثير الارتحال لطلب العلم باليمن والحجاز [٢] وله شيوخ لا يُحصَوْن بهذه البلاد ويبدو أنه قد رحل أيضاً للشحر لتلقي العلم على الشيخ عبد الله بافضل، وكانت وفاته بتريم.

أما علاقة الاحترام والتقدير بين العلويين والمشايخ بحضرموت فتظهر في تعظيم العلويين لشيوخهم من المشايخ كما رأينا في طريقة مخاطبة السيد عبد الرحمن بن علي السقاف لشيخه بافضل كما نلاحظ مثلاً كثرة إطلاق العلامة بن عبيدالله لفظة سيدي للعلماء المشايخ في كثير من المواضع بكتبه، مثال قوله وسمعت من لسان سيدي الوالد عوض بن عمر شيبان [٣] وذكر في موضع آخر الشيخ حسن بن عوض بن زين مخدم بلفظ سيدي الشيخ [٤] ويتكرر ذلك في مواضع كثيرة من كتبه.

---

(١) عبد الله بن محمد السقاف، تاريخ الشعراء الحضرميين، مكتبة المعارف بالطائف، الجزء الاول، صفحة ١٠٣.

(٢) عبد الله بن محمد السقاف، تاريخ الشعراء الحضرميين، الناشر مكتبة المعارف بالطائف، الجزء الاول، صفحة ٩٨.

(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، جزء ١ من الجزء الثاني، صفحة ١٠١.

(٤) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، جزء ١ من الجزء الثاني، صفحة ٤٧.

وذكر بن عبيدالله أيضاً أن والده الحبيب عبيدالله بن محسن طلب منه تقبيل يد الشيخ حسن مخدم فامتنع الشيخ حسن إلا أن الحبيب عبيدالله عزم عليه عزمة قوية لم يستطع معها الشيخ الامتناع.

كما نرى في تراجم كثير من العلويين زيارة الصالحين من المشايخ وطلب الدعاء وعلى سبيل المثال ففي ترجمة الحبيب عبد الله بن عمر الشاطرى أنه لما كان بالشحر لركوب البحر متوجهاً إلى مكة في سنة ١٣١٠هـ زار مع والده بالشحر رجلاً عظيماً من الصالحين من آل باوزير وطلب منه الدعاء والفاتحة [١].

وذكر بن عبيدالله في أدام القوت آل بصعر فقال: ومنهم الشيخ عبدالقادر بن سالم بصعر رجل صالح بالمكلا قد ذرف على المائة زرته مراراً وطلبت دعاءه[٢].

بل لا يبخل كثير من العلويين ميسوري الحال على شيوخهم بما توفر لهم من خير الدنيا ففي ترجمة السيد عبد الله باعلوي من المشرع أنه أعطى تلميذه الشيخ محمد علي باشعيب أرضاً واسعةً فغرسها الشيخ محمد نخلا وتسمى بئر باشعيب ووقف على ضيف بلده المسماة بالواسطة نخلاً وارضاً[٣].

وكما أحب العلويون شيوخهم من مشائخ حضرموت فإن علماء حضرموت من المشايخ لم يروا افضل من العلويين ويؤكد ذلك ما يروى عن الشيخ الإمام الفقيه أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بلحاج بافضل أنه قال: طفت كثيراً من البلدان كمكة المعظمة والمدينة المشرفة واليمن الأنيس وغيرها ونظرت كثيراً من الحجاج ممن يفد على بيت الله الحرام من أطراف البلاد وسائر الآفاق، وسألت غير واحد من الثقاة فما ذكروا لي ولا وجدت في

---

(١) محمد بن سالم بن حفيظ، نفح الطيب العاطرى، دار العلم والدعوه، صفحة ٣٥.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلدان حضرموت، الناشر مكتبة الارشاد، صنعاء، صفحة ١٥٠.

(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلدان حضرموت، مطبعة الارشاد، صفحة ٥٧٢.

الإشراف مثل آل ابي علوي وطريقتهم في الاستقامة والاتباع للكتاب والسنة وقد استشهد الشيخ بافضل أثناء الدفاع عن الشحر ضد البرتغال الذين غزو الشحر سنة ٩٢٩هـ[١].

ومن مشائخ تريم الذين لهم فضل كبير على العلويين آل باغريب وذكر بن عبيدالله مدرسة باغريب في تريم فقال من أكابر المعلمين بها الشيخ عمر عبد الله باغريب المتوفى سنة ١٢٠٧هـ أطنب في مدحه الحبيب علوي بن أحمد بن حسن الحداد في كتابه المواهب والمنن وقال أنه تعلم لديه من السادة أكثر من الألف. ومن أواخر من علم بها الشيخ الصالح عمر بن سعيد باغريب توفي بتريم سنة ١٣٤٧هـ[٢].

ومن كبار العلماء الشيخ محمد عمر بحرق ذكره بن عبيدالله في المعجم فقال: وتولى القضاء بالشحر جماعة من أهل الفضل منهم الشيخ محمد بن عمر بن امبارك بن عبد الله بن علي بحرق الحميري الحضرمي صاحب المؤلفات الكثيرة توفي سنة ٩٣٠هـ وكان قد اختلف مع العلامة الجليل عبدالله بن محمد بن عبسين في مسالة استطار فيها النزاع واشتهرت بين الناس فجاء ابن عبسين ومعه كتاب الروضة للنووى فأوقف بحرقاً على النص فلم يكن من بحرق إلا أن صعد المنبر وخطب وقال: إن المسالة التي اختلفت فيها أنا وابن عبسين كان الحق فيها معه قال بن عبيدالله فسجل لنفسه بذلك الاعتراف ثناءً عاطرا واستخرج من الناس له ترحماً وافراً فرحمة الله على أهل الإنصاف (انتهى)[٣].

ووصف الحبيب أحمد بن عمر بن سميط (١١٧٧-١٢٥٧هـ) الشيخ محمد عمر بحرق فقال : الشيخ محمد بن عمر بحرق فحل من الفحول ولو حد يتمنى عيال يتمنى أن يكونوا مثل هذا الإمام ويكفيه من المدح أن كتابه الحديقة لا يزال يقرأ على سيدنا عبد الله الحداد إمام الأئمة[٤].

---

(١) عمر بن علوي الكاف، الخبايا في الزوايا، دار الحاوي للطباعة والنشر، صفحة ١٦٢.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلدان حضرموت، الناشر مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٥٢٤.

(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلدان حضرموت، مطبعة الارشاد، صفحة ٩١.

(٤) دحمان بن عبد الله لعجم، مجموع كلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط، دار الفتح، صفحة ٤٠٣.

ومن علماء المشايخ المتأخرين الشيخ الذين كانت لهم علاقه قوية بالعلويين الشيخ العلامة عبد الله بن أحمد باسودان ذكره بن عبيدالله في المعجم فقال عنه: ومن علماء الخريبة الشيخ العظيم المقدار عبد الله بن أحمد باسودان وهو الشيخ الثامن عشر من مشايخ سيدي الأبر عيدروس بن عمر وقد توفي بها في سنة ١٢٦٦هـ وكان من العلم بالمكانة العالية (١).

ووصفه صاحب تاريخ الشعراء الحضرميين فقال: كان أحد العبادلة السبعة الذين كانوا مصابيح حضرموت المضيئة في عصرهم (٢).

وقد تتلمذ الشيخ عبد الله بن أحمد باسودان على كبار العلويين في عصره مثل الحبيب أحمد بن عمر بن سميط والحبيب حسن بن صالح البحر والحبيب طاهر بن حسين بن طاهر والحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر وغيرهم. وقد كان له اتصال قوي بالعلامة السيد عمر بن عبد الرحمن البار وصحبه في رحلة حجه سنة ١٢١٢، إلا أن الحبيب عمر توفي على ظهر السفينة قبل وصولهم إلى جدة ودفن في مرسى جلاجل بقرب القنفذة.

وكان العلويون يحرصون أن يدرس أبناءهم على يد الشيخ عبد الله بن أحمد باسودان وذكر بن عبيدالله أن الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر طلب من ابن أخته السيد عمر بن حسن الحداد أن يترك الدراسة عند أحد كبار العلويين وأن يذهب للأخذ عن الشيخ باسودان مما يدل على علو مرتبة الشيخ باسودان في العلم (٣).

قال بن عبيدالله: وقد سمعت من والدي وغيره أن الشيخ محمد باسودان كان أوسع في الفقه من أبيه وفتاويه شاهد عدل على ذلك، وأخبرني الشيخ محمد بن سالم باسودان أن

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلدان حضرموت، مطبعة الارشاد، صفحة ١٤٨.

(٢) عبد الله بن محمد السقاف، تاريخ الشعراء الحضرميين، الناشر مكتبة المعارف بالطائف، الجزء الثالث، صفحة ٧٥-٨٨.

(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلدان حضرموت، مطبعة الارشاد، صفحة ١٤٩.

بعض العلويين وردوا على الشيخ عبد الله باسودان وسألوه عن ابنه محمد فقال لهم وهو يسمع من حيث لا يرونه لا باس به، فاستثقلها الشيخ محمد من أبيه ونذر الاعتكاف سبع سنين لدرس العلم في جامع الخريبة [١].

وكان الشيخ عبد الله بن أحمد باسودان شديد المحبه للعلويين قال عنه بن عبيدالله إنه لسان حال العلويين وكان يشبههم هيئة وسكينة ونسكاً وعلماً وتصوفاً وزهداً وورعاً واستقامة [٢]. وتوفي الشيخ عبد الله باسودان بالخريبة من حضرموت سنة ١٢٦٦هـ وعلى قبره قبة عظيمة تفد إليها الوفود لزيارته. وفي كلام الحبيب أحمد بن حسن العطاس في رحلته لهود قوله: آل باسودان لهم منة علينا معاشر العلويين يصلح منّا كلنا ندعو لهم [٣].

ومن علماء المشايخ الكبار الشيخ عبد الله بن سعد بن سمير ترجم له صاحب تاريخ الشعراء الحضرميين فقال: العلامة النحرير والفقيه الشهير والصوفي الكبير، ولد سنة ١١٨٥هـ بقرية ذي اصبح قريباً من سيؤن وهو أحد العبادلة السبعة، وتتلمذ على عدد من العلويين منهم العلامة السيد حامد بن عمر المنفر والعلامة السيد عمر بن زين بن سميط، وأما شيخ فتحه فكان العلامة السيد عمر بن سقاف بن محمد السقاف وكان يكثر التردد عليه إلى سيؤن.

كما تتلمذ على الشيخ عبد الله بن سمير نفر من كبار العلويين مثل الحبيب حسن بن صالح البحر الذي ما لبث أن أصبح أستاذاً له، ثم الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي الذي يعتبر الشيخ عبد الله بن سمير الشيخ التاسع عشر من شيوخه الممتازين [٤].

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلدان حضرموت، مطبعة الإرشاد، صفحة ١٤٩.

(٢) عبد الله بن محمد السقاف، تاريخ الشعراء الحضرميين، الناشر مكتبة المعارف بالطائف، الجزء الثالث، صفحة ٧٨.

(٣) علوي بن طاهر الحداد، مخطوطة رحلة الحبيب أحمد بن حسن العطاس، إلى هود، صفحة ١٠.

(٤) عبد الله بن محمد السقاف، تاريخ الشعراء الحضرميين، الناشر مكتبة المعارف بالطائف، الجزء الثالث، صفحة ١٢٢-١٣٥.

ومن الظواهر العجيبة بحضرموت أن كثيراً من الشيوخ الكبار لايلبثون إذا رأو من تلاميذهم تبحراً في العلم أن يحضروا دروسهم متتلمذين عليهم لا يمنعهم من ذلك كبر ولا غرور، وكما رأينا ذلك في العلامة الكبير الشيخ عبد الله بن سعد بن سمير مع تلميذه الحبيب حسن بن صالح البحر رأيناه أيضا في المتأخرين. فقد ذكر العلامة بن عبيدالله أن الشيخ محمد محمد باكثير كان شيخه وأستاذه ثم ما لبث بعد ذلك أن أخذ يحضر دروس تلميذه بن عبيد الله. قال بن عبيد الله عن الشيخ محمد بن محمد باكثير: كان مستودع علوم ودائرة معارف، وعنه أخذت في علم الصرف والنحو، وكان متخصصاً في هذين العِلمين كثير الانكباب عليهما والولوع بهما، وله مؤلفات كثيرة وأشعار كثيرة، وكان شديد التعلق بوالدي جم القراءة عليه، ثم كان يحضر دروسي في التفسير والفقه والحديث توفي على أبلغ ما يكون من الثبات سنة ١٣٥٥هـ[١].

ومن العجائب الأخرى أن التعليم مجاني في حضرموت فلا يتلقى الشيخ أي مقابل من تلاميذه على تعليمهم بل إنه قد يصرف على مأكلهم ومشربهم ويوفر لهم الإقامة المجانية. ولهذ اندهش العلامة التونسي محمد السنوسي لما حج سنة ١٣٠٠هـ ونظر إلى أمور التدريس في الحرم المكي فقال: ولقد عجبت كل العجب من أمر العلم بالحجاز والشام فكلهم يقرىء العلوم الدينية والآلية احتساباً لربه وليس لواحد منهم معاش عن ذلك من أموال بيت المسلمين ولا من إدارة الأوقاف بحيث إنه لا جراية على التدريس ولا للمدرس أصلاً مع أن صنف العلماء لا محال مستحق من بيت مال المسلمين وإن هذا الأمر عجيب بالنظر الى أمثال هاته الجهات التي هي منبت أصل الدين [٢].

ولما كان الشيخ عبد الله بن سمير على قضاء هينن اجتاحها بن قملا وجماعته سنة

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلدان حضرموت، مطبعة الإرشاد، صفحة ٣٦٥.

(٢) محمد السنوسي، الرحلة الحجازية، تحقيق علي الشنوفي، نشر الشركة التونسية للتوزيع، سنة ١٤٠١هـ صفحة ٢٢٣.

١٢٢٤هـ ولكن الشيخ عبد الله استطاع أن يصلح الأمور مع بن قملا الذي أعجب بسياسة الشيخ عبد الله بن سمير وكياسته وكان للشيخ عبد الله مجاهدات في العبادة والزهد والورع كما كان من كبار محبى العلويين.

ويشبه الشيخ عبد الله بن سعد بن سمير الشيخ عمر بامخرمه في ولعه الشديد بالسماع حتى إنه كان له منشد خاص ينشده متى أراد حيناً على دقات الدفوف وحيناً بدونها، وقد توفي الشيخ عبد الله بن سمير ببلدة خلع راشد في سنة ١٢٦٢هـ.

ثم تكلم بن عبيد الله عن قبيلة أخرى من المشايخ فقال: وآل باعشن بيت علم ومغرس فضل ومنبت صلاح ومنهم الشيخ الكبير أحمد بن عبد القادر باعشن كان من أقران السيد عمر بن عبد الرحمن العطاس أخذ وإياه عن جملة من المشائخ، ومنهم الشيخ سعيد بن عبد الله باعشن أحد مشايخ السيد الجليل علي بن حسن العطاس صاحب المشهد، وقد أكثر من ذكره في ديوانه ومؤلفاته، ومن أواخرهم الشيخ سعيد محمد باعشن وهو من مشايخ سيدنا الأبر عيدروس بن عمر [١].

قال بن عبيد الله ومن آل باقيس الشيخ محمد بن ياسين باقيس المتوفى سنة ١١٨٣هـ أحد تلاميذ القطب الحداد وشيخ جدنا الثالث سقاف بن محمد بن عمر السقاف المتوفى بسيؤن سنة ١١٩٥هـ، ومنهم الصالح الشهير الشيخ فارس باقيس، ومنهم الشيخ عبد الله بن أحمد بافارس باقيس أحد مشايخ الشيخ عبد الله بن أحمد باسودان [٢] شيخ العلويين.

وذكر بن عبيدالله المشايخ آل بلخير فقال ومنهم الفاضل الشيخ محمد بن محمد بلخير ورد إلى سيؤون من دوعن وهو في نحو العاشرة من عمره فآواه والدي وتربى في دارنا،

---

(١) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، معجم بلدان حضرموت، الناشر مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ١٦٦-١٦٧.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلدان حضرموت، الناشر مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ١٦٠.

وعليه تعلمَتْ القراءة والكتابة والدتي الشريفة الجليلة العفيفة نور بنت محمد بن سقاف مولى خيله المتوفاة سنة ١٣٤٠هـ وعليه قرأت القرآن وقد لبث زمناً طويلاً يتعلم الفقه والنحو والعلوم الشرعية على والدي وعلى تلميذه وخادمه الشيخ محمد بن علي الدثني في دارنا وعلى نفقة والدنا وكان الشيخ محمد بلخير كثير التوجه والإقبال على التعلم، حتى لقد التزم بطريقة النذر الشرعي أن لا ينام في كل ليلة حتى يحفظ صفحة من تحفة العلامة ابن حجر [١].

وذكر بن عبيدالله المشايخ آل باحميد النازلين ببلدة مدوده فقال: إنَّ منهم كثير من الصالحين قال: «منهم الشيخ الصالح الشهير عبد الله بن يس المتوفى بمدودة سنة ٩٨٦هـ ومن متأخريهم الصالح الكبير صاحب الفراسة الصادقه الشيخ أحمد بن طه باحميد، كان ضريراً، ولكنه يخيط ويدخل الخيط في الإبرة عن مشاهدة بعيني وكان والدي يحبه كثيراً، وكان جم الدعاء لي والاعتناء بي. توفي بمدودة بعد سنة ١٣٣٠هـ ومنهم الشيخ سالم بن أحمد باحميد كان عابداً متبتلاً حصوراً تقياً. توفي بمدودة سنة ١٣٤٥هـ[٢].

ومن المشايخ الحضارمة المقيمين بمكة المكرمة والذين تتلمذ عليهم الكثير من العلويين الشيخان عمر بن أبي بكر باجنيد ومحمد سعيد بابصيل.

أما الشيخ محمد سعيد بابصيل فهو شيخ الإسلام في عهده وهو من مواليد مكة المكرمة وأصله من الهجرين وقد أخذ عن عدد من علماء حضرموت إلا أن شيخ فتحه هو السيد أحمد زيني دحلان (١٢٣٢-١٣٠٤هـ) الذي كان يقول: من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى الشيخ محمد سعيد بابصيل. وممن أخذ عنه الحبيب أحمد بن حسن العطاس الذي وصفه أيضاً بأوصاف عظيمة مما يدل على عظم قدر الشيخ محمد سعيد.

ومما يبين مقدار المحبة والود بين السادة والعلامة الشيخ محمد بن سعيد بابصيل أن

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلدان حضرموت، الناشر مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ١٧٥.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلدان حضرموت، مكتبة الإرشاد، بصنعاء، صفحة ٣٥٨.

الحبيب أحمد بن حسن العطاس لما قدم للحج سنة ١٣٢٢هـ سار إلى بيت الشيخ محمد سعيد بابصيل بمكة لزيارته فلاقاه الشيخ عند الدرج وتعانقا وجلسا، فقال الحبيب أحمد للشيخ محمد قد وصلت إلى صنعاء وما بقي بينك وبين حضرموت إلا سبعة أيام فقط، ولو علمنا بوصولك إليها لأرسلنا لك المركوب، وقال الشيخ محمد للحبيب أحمد مجيئك هذا يا سيدنا فضيلة تفضلت بها علينا وعلى أهل مكة وعلى الناس كلهم فقال الحبيب أحمد للشيخ سعيد جئنا طالبين مددكم وكرامتكم ألقوا نظركم علينا وهذا سوق الإمداد والاستمداد [١].

وقد توفي الشيخ محمد بن سعيد بابصيل بمكة سنة ١٣٣٠هـ وشيعت جنازته حشود كبيرة يتقدمهم أمير مكة ودفن في حوطة أهل البيت بمقبرة المعلاة [٢].

وهنا لا يفوتني أن أذكر ملاحظة أثارها طلب الحبيب أحمد بن حسن العطاس من الشيخ محمد سعيد بابصيل بإلقاء نظرة عليه وكثيراً ما نسمع مثل هذا الطلب في جلسات العلماء، وقد كنت لا أستوعب طلب بعض الناس من العلماء توجيه النظر إليهم حتى سمعت الداعية الشاب محمد بن عبد الرحمن السقاف يتكلم ويقول: إذا كانت النظرة الخبيثة نظرة الحسد قد تقتل الإنسان، فلماذا لا تنفعه النظرة الكريمة من عباد الله الصالحين؟

أما الشيخ العلامة عمر باجنيد[٣] فقد ولد ببلاد الماء من دوعن الأيمن بحضرموت في حدود سنة ١٢٦٣هـ وماتت أمه في اليوم الثاني لولادته فأرضعته نسوة القرية ولما شب سافر به والده إلى الحرمين حيث يعمل، فطلب من ابنه عمر التفرغ للعلم، فحفظ القرآن وجوده، وأخذ العلم عن السيد أحمد زيني دحلان والشيخ محمد سعيد بابصيل والحبيب محمد بن حسين الحبشي، وبدأ في التدريس بالحرم في سن مبكرة بإذن مشايخه وقد قدم عليه من حضرموت كثير من العلويين لأخذ العلم عليه، وتوفي بمكة سنة ١٣٥٤هـ ودفن بها.

---

(١) لي بن أحمد العطاس، ترجمة الحبيب أحمد بن حسن العطاس ورحلاته، صفحة ٨٣.

(٢) ابو بكر المشهور، لوامع النور، دار المهاجر للنشر والتوزيع، صفحة ٢٧٦-٢٧٧.

(٣) ابو بكر المشهور، لوامع النور، دار المهاجر للنشر والتوزيع، صفحة ٢٧٧-٢٧٨.

ورثاه الحبيب مصطفى المحضار من حضرموت فقال: «نعوذ بالله من سقوط ثلم الإسلام وضعف الإسلام بموت العلماء الأعلام من أجلهم شيخ الإسلام في بلد الله الحرام الشيخ المرحوم عمر باجنيد وهي مرثاة طويلة»[١].

قال بن عبيدالله[٢]: ومن متأخري علماء تريم وصلحائها الشيخ أحمد بن عبد الله بن أبي بكر الخطيب، توفي سنة ١٣٣١هـ كان من كبار الفقهاء الصالحين، ومنهم ابنه العلامة المتفنن الشيخ أبوبكر بن أحمد الخطيب، كان فقيها محققاً مشاركاً، وله فتاوى جمعها الفاضل السيد سالم بن حفيظ، ومنهم العلامة الجليل الشيخ محمد بن أحمد الخطيب كان فقيهاً جليلاً تقياً صوفياً له تعلق كثير بوالدي وسيدي الأستاذ الأبر (الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي)، ومنهم الشيخ فضل بن عبد الرحمن بافضل، كان مضرب المثل في الورع، توفي سنة ١٣٠٨، ومنهم الشيخ محمد بن أحمد قعيطان، كان محبوباً ومعتقداً، ومنهم قاضي تريم الشيخ عبد الرحمن بن أحمد بافضل كان ورعاً نزيهاً عابداً، توفي سنة ١٣٢٤هـ ومنهم الشيخ فضل بن عبد الله بارجاء إليه انتهى الفقه اليوم بتريم، وله مشاركة في غيره، وهو من أخص تلاميذ سيدنا الأستاذ الأبر (الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي) وله فيه مدائح، وكان كثير الرجوع إلى الحق عندما يتبين له فلا يتعصب على رأيه إلا بمؤثر من غيره (انتهى).

وذكر بن عبيدالله المشايخ بسيؤن فقال: وفي آل بارجاء كثير من العلماء والصلحاء، منهم الشيخ محمد بن عبد الرحيم بارجاء مؤلف «تشييد البنيان»، وهو كتاب حافل في ربع العبادات، نقل فيه نقولاً كثيرة الفائدة، فرغ منه في سنة ١٠٣٦هـ، ومنهم الشيخ عمر عبد الرحيم المشهور بقاضي ظفار، ومنهم الشيخ عبد الجامع بن أبي بكر بارجاء ذكره الشللي فأثنى عليه وتوفي بمكة سنة ١٠٨٢هـ ومنهم الشيخ محمد بن محمد بارجاء خطيب جامع

---

(١) محمد بن عبداللاه المحضار، خواطر وأفكار وحكم وأسرار، تريم للدراسات والنشر، صفحة ٣٦٣.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلدان حضرموت، الناشر مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٥٢١-٥٢٢.

سيؤن، كان شهماً صلبياً عارفاً بالتجويد والقرآت إلا أنه كان يأكل طعام الدولة (المعنى يقبل ضيافتهم) إذ كان أكل طعامهم لذلك العهد الصالح بسيؤن من أكبر المنكرات توفي بسيؤن سنة ١٣٢٨هـ . ومنهم الشيخ أحمد بن محمد بارجاء تولى القضاء مرات بسيؤن وكانت له خطابات بجامعها وكان سخياً دمث الأخلاق لين الجانب خفيف الروح فقيهاً مشاركاً في بعض الفنون وكان ممن يحضر علي، وله مكارم ومبرّات، توفي سنة ١٣٣٤هـ[١].

قال بن عبيدالله أما آل باكثير فأكثر أعقابهم ببلدة تريس، ومنهم جماعة بمكة المشرفة ولا يزال بعضهم بسيؤن، ولهم مآثر ومساجد، ومن آخرهم بها الشيخ محمد بن محمد باكثير، كان مستودع علوم ودائرة معارف، وعنه أخذت في علم الصرف والنحو، وكان متخصصاً في هذين العِلْمين كثير الانكباب عليهما والولوع بهما، وله مؤلفات كثيرة وأشعار كثيرة، وكان شديد التعلق بوالدي، جم القراءة عليه، ثم كان يحضر دروسي في التفسير والفقه والحديث، توفي على أبلغ ما يكون من الثبات سنة ١٣٥٥هـ[٢].

ومنهم أخوه أحمد بن محمد باكثير، كانت له خيرات ومبرات وصلة أرحام وكفالة أيتام وقضاء حاجات وتفريج كربات، توفي سنة ١٣٤٣هـ، ومنهم ولده عبد القادر بن أحمد كان تقياً متشدداً في العبادة متحرياً في الطهارة سريع الحفظ ويكاد يحفظ من مرة واحدة، توفي بجاوه في حدود سنة ١٣٤٣هـ.

وآل باكثير كلهم على جانب عظيم من الذكاء وقرض الشعر، وحامل لواء شعرهم اليوم هو الشيخ علي بن أحمد باكثير، نزيل مصر (انتهى باختصار)[٣].

---

(١) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، معجم بلدان حضرموت، الناشر مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٣٦٤-٣٦٥.

(٢) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، معجم بلدان حضرموت، الناشر مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٣٦٤-٣٦٥.

(٣) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، معجم بلدان حضرموت، الناشر مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٣٤-٣٦٥.

وذكر ابن عبيدالله شيخه العلامة المحقق عمر عبيد حسان، فقال كان عابداً ناسكاً قويم السيرة طاهر السريرة غزير الفقه شديد الورع متين التقوى، وكان من أخص تلاميذ والدي وقرائه وهو المخصص لتعليمي الفقه، ثم كان ممن يحضر دروسي، وتوفي بسيؤن سنة ١٣٤٩هـ[١].

وبالاضافة الى العلاقة العلمية المتبادلة بين العلويين والمشايخ بحضرموت فإن هناك بين الطرفين علاقة مصاهرة ونسب فأمهات كثير من كبار العلويين من بنات المشايخ فأم الحبيب طه بن عمر الصافي والذي يرجع إليه نسب جميع آل طه بن عمر بسيؤن هي من آل بانجار[٢].

وأم الامام عبد الله العيدروس (٨١١-٨٦٥هـ) هي الولية الصالحة العابدة الناسكة مريم بنت الشيخ أحمد بن محمد بارشيد[٣]، وذكر المترجم والدها فقال: إنه من تجار الآخرة له المروءة الفاضلة والمعروف الظاهر مجتهدٌ في العبادة باذل نفسه وماله سراً وعلانيةً في حب الله[٤].

وأم أم الحبيب عبد الله العيدروس الطاهرة الزكية عائشه بنت الشيخ عبد الله بن محمد بازغيفان الخطيب[٥].

ووالدة الحبيب أحمد بن محمد المحضار (١٢١٧-١٣٠٤هـ) فهي بنت الشيخ محمد بازرعه[٦].

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلدان حضرموت، الناشر مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٣٨٤.

(٢) علوي بن عبد الله السقاف، التلخيص الشافي من تاريخ آل طه بن عمر الصافي، صفحة ١٩.

(٣) صالح الحامد، تاريخ حضرموت، الجزء الثاني، الناشر مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٧٥٧.

(٤) محمد بن علي خرد، كتاب الغرر، صفحة ٢٨٠.

(٥) محمد بن علي خرد، كتاب الغرر، صفحة ٢٨١.

(٦) طه بن حسن السقاف، فيوضات البحر الملي في مناقب الحبيب علي، صفحة ١٢٨.

وأم الشيخ عبد الرحمن السقاف عائشه بنت الشيخ أبي بكر بن أحمد[١].

وأم الشيخ محمد بن علي وأم إخوانه فاطمة بنت سعد باليث[٢].

وأم الفقيه محمد بن علي هي من آل ابي خطفان وهم فخذ من آل آبي مسلمة[٣].

وأم الحبيب علي بن حسن العطاس من آل بن عقبة من شبام[٤].

وقال بن عبيد الله وأم جدنا علي بن عبد الرحمن السقاف من آل ثبتان وهم من سيون[٥].

وأم السيد أبي بكر بن عبد الله بن طالب العطاس الشيخة سلمى بنت الشيخ محمد بن مبارك باسهل وتعلم القرآن العظيم على المعلم عمر بن عقيل حميد[٦].

وأم الحبيب أحمد بن عبد الرحمن السقاف (١٢٧٨-١٣٥٧هـ) والد الحبيب عبد القادر بن أحمد السقاف هي مهاني بنت الشيخ محمد الخطيب[٧].

كما أن كثيراً من أمهات كبار العلويين المتأخرين من بنات المشائخ، منهم جدي لوالدي العلامة السيد علوي بن عبد الله بن حسين السقاف، فأمه الشيخة نور بنت الشيخ طه باحميد، قال عنها: كانت رحمها الله تقوم آخر الليل وهي ببيت أبيها وتخرج إلى المسجد القريب لتحضر الماء ثم تسخنه في وقت البرد، فإذا قرب موعد أذان الفجر أيقظت أهل البيت ليخرج

---

(١) محمد بن علي خرد، كتاب الغرر، صفحة٣٠٢.

(٢) محمد بن علي خرد، كتاب الغرر، صفحة ٣٠٢.

(٣) محمد بن علي خرد، كتاب الغرر، صفحة ٣٠٢.

(٤) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٣٠٣.

(٥) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٣٦٧.

(٦) طه حسن السقاف، البحر الملي، صفحة ٧٨-٧٩.

(٧) الحبيب عبد القادر بن أحمد السقاف، مجموع كلام الحبيب أحمد بن عبد الرحمن السقاف، دار الفقيه للنشر والتوزيع، صفحة ١٥٠.

الذكور منهم للصلاة فإذا انتهوا من الصلاة وما بعدها من حزوب القرآن عادوا إلى البيت فوجدوها قد حضرت لهم القهوة وما تيسر من الفطور.



الفصل الرابع والستون

محبو العلويين



رئيس جمهورية جزر القمر في زيارة الحبيب أحمد مشهور الحداد في بيته بجده

ومما يلفت النظر ما تمتع به العلويين من محبة داخل حضرموت وخارجها والتي ما زالت باقية في كثير من مناطق حضرموت وفي اليمن عموماً وفي السعودية وخصوصاً مكة والمدينة وفي دول الخليج، أما في إندونيسيا وشرق آسيا فإن محبة العلويين منقطعة النظير وسنحاول في السطور التالية إلقاء الضوء على ملخص هذا الموضوع.

وقد ارتبط كثير من القبائل والمشايخ بحضرموت برباط قوي مع العلويين، وجاءت كثير من أمهات كبار العلويين من المشايخ والقبائل، ومثال ذلك ارتباط آل الكثير بالسادة آل العيدروس، وارتباط آل الشيخ أبي بكر بن سالم بالقبائل اليافعية، كما اشتهر كثير من المشايخ بمحبة العلويين ولعل أشهرهم العلامة الكبير الشيخ عبد الله بن أحمد باسودان، كما اشتهر المشايخ آل بافضل وآل الخطيب وآل باقيس بمحبة العلويين وبقي كثير منهم على ذلك إلى اليوم برغم التغيرات التي طرأت على الأجيال الجديدة التي تربت خارج حضرموت واشتهر كذلك المشايخ آل بلخير بمحبتهم للعلويين.

هذا ولست المؤهل للحديث في هذا الشأن حيث إن معلوماتي لا تتعدى ما تذكرته من قراءاتي القديمة، وبالتالي فإني سأغفل الكثير من الأسماء المهمة. وقد وردت بعض المعلومات المتعلقه بهذا الموضوع في فصول الكتاب الأخرى وسأورد فيما يلي طائفة من الأخبار المرتبطة بهذا الموضوع، إلا أن هناك الكثير ممن أحب العلويين ولا زال يحبهم سواء بحضرموت أو خارجها، ولكننا لا نستطيع في هذا المختصر إلا ذكر بعض الأسماء التي ورد ذكرها في الكتب التي توفرت لي مع اعترافي بالتقصير في هذا الشأن.

الشيخ حسن مخدم

(١٢٦٠-١٣٣١هـ)

من مواليد بور، وهو علامة متأثر بالطريقة العلوية تربّى على علماء بور وسيؤن وتريم وقد تعلق بشيخه العلامة أبي بكر بن عبد الله العطاس (١٢١٦-١٢٨١هـ) حتى وفاته حيث اتصل بعد ذلك بالحبيب عيدروس بن عمر الحبشي (١٢٣٧-١٣١٤هـ) اتصالاً وثيقاً وما برح يتردد عليه إلى الغرفة حتى وفاته واتصل بعده بالحبيب عبيد الله بن محسن السقاف (١٢٦٢هـ - ١٣٢٤هـ).

وله كثير من التلاميذ منهم السيد علوي بن عبد الرحمن العيدروس، ولم يكتف بالتدريس المباشر بل إنه أنشأ مدرسة لتعليم الناشئين القرآن الكريم ومبادئ العلوم و قضى عمره في القربات بأنواعها، وتردد بين تريم وسيؤن والشحر وانتفع الناس بتعليمه وإرشاده في كلّ مكان قصده.

وقال عنه بن عبيدالله: وآخر من أدركت من هذه الطائفة سيدي الشيخ حسن بن عوض بن زين مخدم فإنّ له في هذا المقام قلماً سيالاً متى اعتقله اتى بالغرائب والعجائب، وأملى في مجالسه الكراريس بلا توقف ولا تلعثم ولا ترو ولا تردد، وعلى الجملة فأمره غريب لا يصدقه إلا من رآه مع سخاء نفس وكبر همة واجتهاد في العبادة، حتى إن قدميه لتورمان من طول القيام في رمضان، وقد ترك آثاراً تصدق ما نقول، منها شرحه على الحكم في مجلد ضخم وشرحه على الرشفات في خمسة مجلدات، ومنها رسائله ووصاياه الكثيرة، إلا أنه مظلوم محسود ضيعه قومه وتعصب عليه بعض العلويين مع تواضعه وإلانته لهم الجانب. وقد مات ميتة شريفه جداً مختومة بالتوحيد وجرت له مع موته غرائب (انتهى)[١].

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني/ ١، صفحة ٤٧.

الشيخ عبد الله بن أحمد باسودان

الشيخ عبد الله بن سعد بن سمير

وقد سبقت ترجمتهما في فصل العلويون والمشايخ.

وتحدث بن عبيدالله في بضائع التابوت[1]عن محبي الحبيب حسن بن صالح البحر (١١٩١-١٢٧٣هـ) نقلاً عن والده فقال إن الثروة كانت لذلك العهد في أهل الغرفة، ولهم في الحبيب حسن بن صالح جميل اعتقاد حتى لد كان الشيخ أحمد بن علي طرموم يدفع لمن يبشره بقدوم الحبيب حسن إلى الغرفة كسوة كاملة، فترى الصبيان له بالمرصاد حتى إذا أبصروه تسابقوا إلى طرموم فيكسو السابق ثم لا يحرم الباقين.

وأحب الشيخ أحمد بن علي طرموم هو وغيره من أهل الغرفة أن يشتروا نخلاً للحبيب حسن يكفي لاختراقه واختراف ضيوفه على الأقل وقالوا لا يكلمه في ذلك إلا شماخ خادمه فلما كلمه انتهره وقال له: أيريد أهل الغرفة أن يدخلوا بيني وبين ربي؟ والله لأنا أوثق بما عنده مما في يدي فضلاً عن غيره (انتهى).

وقصة أخرى من قصص محبي العلويين أوردها بن عبيد الله في ديوانه فقال[2]: وأوذي الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي مرة من قبل أحد المناصب أذية بالغة فجاء إلى «سيون» واجتمع بمحبيه أمثال الحبيب عبيدالله بن محسن والحبيب علي بن محمد الحبشي وأخبرهم فأشاروا عليه بالانتقال إلى «سيون» فاعتذر بالحاجة إلى دار كبيرة وكان الشيخ أحمد

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ٢٢٤.

(٢) حسن بن عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، ديوان بن عبيدالله، مطبعة لجنة البيان العربي بمصر، صفحة ٣٢٦-٣٢٧.

بن محمد بارجا حاضراً وقد فرغ من عمارة دار هي أكبر ما يكون في سيون لذلك الوقت، فانتبذ عنهم قليلاً، ثم جاء بوثيقة تتضمن النذر بالدار المذكورة للأستاذ الأبر عيدروس بن عمر فأكبروا عمله وشكروا سعيه وقالوا للإمام أما الآن فقد توجب الانتقال فعاد إلى الغرفة ليتحمل بأهله حتى إذا بلغ منتصف الطريق قال لخادمه قد بدا لي أن لا ننتقل من الغرفة لأسباب منها أنَّ لنا قرابة وجيراناً بها يشق عليهم انتقالنا ونواسيهم بها لا نقدر على إرساله إليهم من سيؤن ومنها أننا نتعلم الصبر في الغرفة على الأذية، وقد قال أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما أحب أن لي بنصيبي من الذل حمر النعم، ومنها أننا نخشى أن تختمر في رؤوسنا عجينة الرئاسة من تعظيم آل سيؤن لنا وهي الداء العضال، ومنها هب أن أحمد بارجا طابت نفسه بإهداء داره فما حسرة أهله وأولاده عليها، ثم أمر خادمه أن يكتب انتقالاً في الدار من ملكه إلى ملك الناذر الشيخ أحمد بارجاء (انتهى).

وذكر بن عبيدالله احترام أهل شبام للحبيب علوي بن الحبيب أحمد بن زين الحبشي فقال: توفي الحبيب أحمد بن زين الحبشي بالحوطة فجأة سنة ١١٤٤هـ وله عدة أولاد منهم علوي، وقد توفي بشبام، وكان أهلها يهابونه هيبة عظيمة حتى لقد قال الحبيب عمر بن زين بن سميط: لقد مات اليوم من يُستحيا منه وآل شبام لا يسمون إلى اليوم (١٣٦٦هـ) باسم علوي إجلالاً له[1].

ومن محبي العلويين ذكر بن عبيدالله في المعجم المقدم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن يماني فقال إن نفوذه اتسع من ضواحي قسم الجنوبية إلى ما وراء شعب نبي الله هود وكانت له ولأبيه شهامة ملك وأبهة سلطان، قال بن عبيدالله وما سمعت والدي يذكر أحداً بالشهامة وجمال الشارة سواه لانشغال والدي بالعبادة عن الناس وذكر والدي ذلك لما رآه يتخلع تخلع الأسد في جنازة الحبيب محمد بن إبراهيم سنة ١٣٠٧هـ ووراءه زهاء الأربعمئة من أبطال آل

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صفحة ٣٠٣.

تميم، ثم لما توفي خلفه ولده علي بن أحمد وكان شهماً كريماً شجاعاً متين الدين وله غلو في العلويين حتى لقد سميّ ولده (عبد علوي) يعني به شيخنا الجليل علوي بن علي الهندوان.

قال بن عبيدالله: ولما عجز المقدم علي بن أحمد عن نفقات حاشيته وعبيده وهم كثر تفرقوا في البلاد وهاجر كثير منهم إلى السواحل الافريقية، وأول ذلك كان بأثر المجاعة التي حدثت بحضرموت سنة ١٣١٥هـ[١]. (انتهى).

ثم قال بن عبيدالله: وقد أضرَّ (فقد بصره) المقدم علي بن أحمد في آخر عمره وثقل سمعه لكن ذلك لم يمنعه من الحج سنة ١٣٥٤هـ، وتوفي عند مرجعه من الحج وكان شهماً شجاعاً متواضعاً لأهل العلم والدين منصفاً للضعفاء والمساكين وخلفه ولده عبد علوي (انتهى)[٢].

ومن محبي العلويين الشيخ سالم بن سعيد بن سالم بكير باغشيان تحدث السيد عبد القادر الجنيد عن محبته وتعظيمه للعلويين وأنه كان يجلهم ويحترمهم ويتواضع حتى للصغير منهم وسنفرد له ترجمة نقلاً عن كتاب العقود الجاهزة للسيد عبد القادر بن عبد الرحمن الجنيد[٣].

الشيخ سالم بن سعيد بن سالم بكير باغشيان[٤]

(١٣٢٣-١٣٨٦هـ)

ولد بتريم وقرأ القرآن الكريم على الشيخ عبد الرحمن باحرمي، ثم التحق في سنة ١٣٣٤هـ بمدرسة جمعية الحق التي أسسها العلويون سنة ١٣٣٤هـ، وأخذ العلم فيها على

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مطبعة الإرشاد، صنعاء صفحة ٥٦٦.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مطبعة الإرشاد، صنعاء صفحة٥٦٧.

(٣) عبد القادر بن عبد الرحمن الجنيد، العقود الجاهزة والوعود الناجزة، صفحة ٥٧-٦٠.

(٤) عبد القادر بن عبد الرحمن الجنيد، العقود الجاهزة والوعود الناجزة، صفحة ٥٧-٦٠.

السيد أحمد بن عمر الشاطري وعلى العلامة حامد بن محمد السري والعلامة الشيخ حسن بن محمد عرفان، ولما تخرج من هذه المدرسة التحق بالدراسة برباط تريم، وكان ملازماً لشيخه العلامة أحمد بن عمر الشاطري وحفظ عليه عدة كتب، كما حفظ القرآن الكريم، وأخذ عن الكثير من العلويين منهم الحبيب عبد الله بن عمر الشاطري، ثم تولى التدريس بمدرسة جمعية الحق وبعدها طلبه شيخه الحبيب عبد الله بن عمر الشاطري للتدريس برباط تريم واستمر يدرس بالرباط حتى وفاته، وكان عضواً في مجلس القضاء الشرعي بتريم مدة طويلة، ثم استعفى وتولى رئاسة مجلس الإفتاء لمدة طويلة وحتى وفاته، وكان المرجع في الفتاوى الشرعية، واشتهر بالحيطة والورع في فتواه، وكان قوي الشخصية واسع العلم قوي الحجة، و لكنه كان متواضعاً رغم علمه وقوة شخصيته، وإذا حضر مجلساً فلا يتكلم إلا إذا طُلب منه الكلام، كما كان مستقيماً كثير العبادة ملازماً لتلاوة القرآن والأذكار والأوراد كريم الأخلاق، وفيه خفةُ روح وحصافة رأي، غير ميّال إلى المظاهر الدنيوية وقد توفي بتريم ودفن بها. (انتهى النقل باختصار).

وقال الأستاذ جعفر السقاف في كتابه حامد المحضار كما عرفته [1] بأن السيد حامد المحضار وهو الشخصية العلوية الكبيرة، وقد تحصل على العالمية من الأزهر سنة ١٣٥٠هـ، وتولى رئاسة الوزارة القعيطية لفترة من الزمن، (كان الوحيد بين الشعراء المعاصرين من العلويين وغير العلويين الذي رثى الشيخ سالم بكير عند وفاته بقصيدة عصماء نشرت في كتاب الفتاوي للشيخ سالم بكير، ومن أبياتها:

فلما قضى نحبا تهلـل وجهـه   سروراً بلقيا الله واهبه الفتحا

ويستغرب الباحث عن سر الاحترام الذي حظي به العلويون ولا زالوا يتمتعون به لفترة تزيد عن الألف سنه هل هو لشرف نسبهم ورفعة حسبهم أم أنه لسبب آخر ولا شك

---

(١) جعفر بن محمد السقاف، حامد المحضار كما عرفته تريم، للدراسات والنشر، صفحة ٥١-٥٢.

أن كثيراً من أهل البيت لا زالو متفرقين في كثير من بلاد العالم وهم أهل نسب وحسب، ولكن أنظر مثلاً إلى الأشراف في مكة ومصر وغيرها من البلاد هل تجد لهم نفس الاحترام الذي يحظى به بنو علوي بحضرموت إلى هذا اليوم في بلاد العرب وبلاد العجم حتى أن بعض العلويين المتأخرين استقبلوا الاستقبالات الكبيرة في أمريكا وأوربا والشرق الأقصى.

إن هذا الاحترام ما هو إلا ما اشتهر من طريقتهم في الإخلاص في العمل وطلب العلم والعمل به والزهد والورع.

والغريب في الأمر انه حتى الإفرنج وغير المسلمين لايملكون أنفسهم من محبة العلويين، قال بن عبيدالله في بضائع التابوت: فلقد كنت سنة ١٣٥٤هـ في الحديدة، وكان بها حكيم إيطالي يقال له تاسي كثيراً ما يزورني، فأذكر له من شمائل النبي ﷺ وآل بيته وخلفائه الراشدين ما يطرب له، ويقسم أنه لم يسمع بمثله، ويقول لي أنا ضامن أن يُسلم على يدك أكثر من مائة ألف نفس لو سمعوا هذا الكلام في إيطاليا، وأعطاني توصية بالرخصة في سبعمئة طرد من السكر إلى مصوع وكان ممنوعاً إذا ذاك إلا بالترخيص فأعطيتها لاثنين من التجار الحضارمة على شرط أن يعطوني نصف الربح فاختانوني.

قال بن عبيد الله: ثم عاملني ربان السفينة الإيطالي معاملة طيبة حتى أذن لولدي حسن أن يجلس معي في غرفة الدرجة الأولى وما كان إلا من أهل الثالثة، ولم يفتشوا متاعي عند سفري من مصوع إلى جدة، وقد تفرس ذلك الاحترام بعض أهل مصوع فأراد أن يودعني كمية من أوراق الفرنك ذات الألف فرأيته من الخيانة فامتنعت ولم يعاملني أحد من الإفرنج مثل هذه المعاملة حتى الضابط انجرامس مع أنه كثير الزيارة لي، إلا أن السياسة لها ألوان والدعايات تفعل كل شيء وتجمع ما بين الأضداد (انتهى)[١].

ومن أخبار احترام الأجانب للعلويين ذكر الأستاذ طه حسن السقاف أنه لما حج

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ٢١٩.

الحبيب أحمد بن عبد الرحمن السقاف (والد الحبيب عبد القادربن أحمد) سنة ١٣١٥هـ ركب باخرة مسافرة من المكلا إلى جده، ولما علم صاحب الباخرة أنه عالم أكرمه وعظمه وفرح به ولم يأخذ منه أجرة وقال جميع نفقات هذا الحبيب العالم عليّ وأكرمه كثيراً (انتهى)[١].

وقصة أخرى حدثت للسيد محمد بن مصطفى بن حفيظ الذي ركب على مركب إفرنجي متوجهاً من المكلا إلى السواحل الإفريقية بصحبة الحبيب علوي بن عبد الرحمن المشهور (١٢٦٣-١٣٤١هـ) وأصيبت زوجة قبطان المركب أثناء الرحلة بصداع شديد لم تنفع معه الأدوية، فقالت لهم خادمتهم: لقد رأيت رجل صالح يسبح بمسبحة من بعد الفجر إلى الإشراق فكلموه فكتب لها الحبيب مصطفى تسعين مرة من (ص) وأخذ مسماراً وضربه عدة مرات، وقال للقبطان أعصبه على رأسها فشفاها الله من الصداع فقال القبطان: ماذا تريد جائزتك قال: أن تضعني في الدرجة الاولى، فقال له: اطلع لها من الآن[٢].

إلا أن هذا الاحترام قد لا يكون مقصوداً، فقد ذكر الرواة أنّ اثنين من أولاد الحبايب وصلوا إلى حيدر أباد بالهند ولما مشوا داخل المدينة بلباسهم العلوي رحّب بهم صاحب مطعم من الهنود وهم لا يعرفون لغته ودعاهم إلى الدخول فظنوا أنه عرفهم واحترمهم، وظن صاحب المطعم أنهم من الزباين القادرين فدخلوا وأكلوا إلا أنهم وقعوا في مشكلة عند الانصراف.

وقد أحب الرؤساء الإفريقيون السادة العلويين منذ القديم، بل لقد أوصل هذا الحب كثيراً من العلويين لتولي السلطنة في بعض نواحي أفريقيا، كما رأينا في الفصل الخاص بأفريقيا من هذا الكتاب، وقد استمر هذا الاحترام من الرؤساء والعامة، ففي أفريقيا نرى شدة تعلق الرئيس عيدي أمين رئيس أوغندا سابقاً بالحبيب أحمد مشهور الحداد، وقد ساعده على الدعوة

---

(١) طه حسن السقاف، تعليقات على كتاب الأمالي، دار الأصول صفحة ١٤٣.

(٢) أبو بكر المشهور، لوامع النور، دار المهاجر للنشر والتوزيع، الجزء الثاني، صفحة ١١٤.

ونشر الإسلام بأوغندا وما حولها لولا أن القوى الاستعمارية حاربت الرئيس عيدى أمين وشوهت سمعته، ثم تمكنت من طرده وتنصيب رئيس مسيحي لأوغندا نكل بالعرب المسلمين الذين اضطروا لمغادرة أوغندا.

وقد تعاطف العلويون بحضرموت بما حصل لعيدى أمين بأوغندا فأنشأ السيد حسن بن عبيدالله السقاف قصيدة طويلة يقول فيها [1]:

أعيـــــذ بعـــــزة الله	مــن الأوغــاد أوغنــدا
ونازلت بحزب النصر	مــن يبغــي لهــا كيــدا

ثم يقول:

إلهــي أنــت مولانــا	وأنت وعدتنا النصرا
وتلك طلائـع الكفـر	علينا تقـضم الجمـرا
لتطفي جـذوة الـدين	وتحذرها بـأن تـورى
فعـــاجلهم بقارعـــة	تردُّ عديـدهم صـفرا

ومن محبي العلويين رؤساء جزر القمر الذين لا يتأخرون عن زيارة الحبيب أحمد مشهور الحداد في بيته كلّما قدموا لزيارة المملكة العربية السعودية.

وذكر سيدي الوالد محسن بن علوي السقاف أنه لما كان يطلب الرزق في الحبشة في الستينيات الهجرية كان يسكن مع السيد أبي بكر المحضار وكان إمبراطور الحبشة لوقياسي الذي سبق هيلاسيلاسي في الحكم وهو مسيحى الديانة يحب السيد المحضار مع أنه ليس من العلماء ولا من الأولياء، وكان يرسل له كل مساء عربته الملكية التي تجرها الخيول ليتسامر معه.

---

(١) حسن بن عبد الرحمن السقاف، ديوان عبر وعبرات، مؤسسة العفيف التجارية، صفحة ١٠٦.

كما أحب بعض الناس صحبة صلحاء العلويين واختص بخدمتهم وكانت اختصاصهم بهم أقوى من علاقتهم بأبنائهم. فا الحبيب عبد الله بن شيخ العيدروس المولود بتريم سنة ٩٤٥هـ كان خادمه الرجل الصالح محمد باغريب [١].

وقد يأتي شخص من مكان بعيد ليلازم عالماً من علماء العلويين ويختص بخدمته ومن هؤلاء الشيخ أحمد بن عبد الكريم الشجار الأحسائي الذي قدم من الأحساء إلى حضرموت بالبحر وقد شارف في طريقه على الغرق، وقد مكث عند الإمام الحداد سبع عشرة سنة وهو في ملازمته دواماً لا يكاد يفارقه في مجلس عام ولا خاص وكان عليه وظيفة الأذان وحمل السجادة والحبوة حتى وفاة الإمام الحداد سنة ١١٣٢هـ.

وكان مقبلاً عليه واقفاً عند إشارته ملتزماً لخدمته يكتب كل ما يتكلم به في حضوره، وكان الإمام الحداد لا يناديه إلا (يا حاج) وفي القليل النادر بلقبه (الحساوي)، وقد جمع الشيخ الحساوي كل ما سمعه من كلام الإمام الحداد وما رآه من احواله في مؤلفه تثبيت الفؤاد [٢].

ومن ممن قدموا من بلاد بعيده لملازمة الحبيب عبد الله الحداد وخدمته الشيخ محمد الكردي الذي سمع بالحبيب الحداد عند قدومه مكه للحج فسافر إلى حضرموت وصحب الإمام الحداد سنتين قبل وفاته [٣].

قال بن عبيدالله: ومن أهل الغرفة آل شيبان منهم الرجل الصالح حليف المكارم وحمال المغارم عوض بن عمر شيبان، توفي بالغرفة سنة ١٣٢٩هـ ومنهم ابنه عمر بن عوض الذي حظي بخدمة سيدنا الأبرّ عيدروس بن عمر الحبشي، وكان يَده ولسانه وموضع ثقته ونجيَّ روحه وأنيسه في خلواته وكاتبه وجامع بعض مناقبه توفي بالغرفة سنة ١٣٥٦هـ [٤].

---

(١) عمر بن علوي الكاف، خلاصة الخبر، دار المنهاج، صفحة ١٩٩.

(٢) مصطفى بدوي، الإمام الحداد، الجزء الثاني، صفحة ٣٤٤.

(٣) مصطفى بدوي، الإمام الحداد، الجزء الثاني، صفحة ٣٤٢.

(٤) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلدان حضرموت، الناشر مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٣٣٧.

كما اختص الشيخ عبيد بافليع [1] بمصاحبة وخدمة الحبيب أحمد بن حسن العطاس (١٢٥٧-١٣٣٤هـ).

وذكر الجد بن عبيدالله الشيخ محمد الدثني الذي اختص بخدمة والده الحبيب عبيد الله بن محسن (١٢٦٢هـ-١٣٢٤هـ) والقراءة عليه وقد مكث في خدمة وصحبة الحبيب عبيد الله بن محسن أكثر من عشرين سنة، ولما توفي الحبيب عبيد الله مكث مع ابنه الجد عبد الرحمن بن عبيد الله اثنتي عشرة سنة ومن الطرائف التي ذكرها بن عبيد الله أن الشيخ محمد الدثني يشارك بن عبيد الله في رحلات النزهات والتي تتوزع فيها الأعمال بين المتنزهين، إلا أن الشيخ الدثني لا يتكلف بعمل شيء، ويعتذر كل ما طلبوا منه شيئاً، ولما حان موعد الطعام ودَعوه للمائدة، جاء وهو يقول: لا أستطيع الآن إلا أن أجيب طلبكم لأنني خجل من كثرة الاعتذار.

أما في أندونيسيا وشرق آسيا فيتمتع العلويون إلى اليوم بحب جارف وتقدير عظيم وذكر لي الأخ عطاس بن حفيظ أنه كان في زيارة لأندونيسيا مع أخوه الداعية عمر بن حفيظ (سنة ٢٠٠٨) وآخرين من طلبة العلم العلويين ورافقهم في رحلتهم الشيخ العامري من تريم وكان لطيفاً وصاحبَ نظر. ولما شاهد العامري الحب الجارف الذي يتلقاه العلويون بكل مكان يذهبون إليه بأندونيسيا وتدافع الألوف لتقبيل أيديهم حتى اضطرت السلطات لإحضار الشرطة لحمايتهم مما أدهش الشيخ العامري الذي قال لمرافقيه من السادة ياحبايب أنتم يكفيكم هذا الحب بهذه البلاد وما ضركم في قايتين من الناس بحضرموت (يشير إلى تعداد حضرموت القليل) إن حبوكم أو بغضوكم.

وذكر الأخ الداعية محمد بن عبد الرحمن السقاف الذي زار الهند في سنة ٢٠٠٨م، قال إن المولد الذي يعقد بجوار مسجد الحبيب شيخ الجفري بالهند يحضره أكثر من نصف مليون إنسان بل إن بعض الهندوس يزورون هذا المسجد لما عرفوه من آبائهم من أخلاق هذا الحبيب.

---

(١) علي بن أحمد العطاس، ترجمة الحبيب أحمد بن حسن العطاس، صفحة ٥٤.

وحيث ما اتجهت في أي بقعة من بقاع العالم لا يجد العلماء العلويون إلا الحب والاحترام والاستقبالات الحاشده سواء في أيامنا هذه أو في سابق الزمان كما بينا في هذا الكتاب.

ونختم هذا الفصل بأبيات العلامة السيد أبي بكر بن شهاب (١٢٦٢-١٣٤١هـ) التي يقول فيها:

حب أهل البيت قربه — وهو أسمى الحب رتبه

ذنب من والاهمو — يغسله ماء المحبه

والذي يبغضهم لا — يسكن الإيمان قلبه

* * *

الفصل الخامس والستون

خوارق العلويين



وردت في تراجم العلويين أخبار متفرقة عن بعض الخوارق الجسمية والعقلية وأحببت أن أوردها هنا ليس من باب الفخر والاعتزاز وإنما لأجل استكمال البحث في فروعه المختلفة.

ففي الحكاية ١٣٣ من كتاب الجوهر أن محمد بن علي مولى الدويلة كان على حمار فسابق محمد بن أحمد النهدي وهو على فرس فسبقه [١] إلا أن هذا قد يعني أن الفرس لم يكن قوياً فتفوق عليه الحمار بقوته وقد يكون التفسير غير ذلك.

وذكر الجد بن عبيدالله [٢] أن السيد جعفر بن طه الحداد كان مضرب المثل في القوة والأيد حتى لقد اجتمع عليه أربعون من الصينيين في بتاوي بجاوة فهزمهم وأثخن فيهم ضرباً ولكماً، ولما رفعت عليه الدعوى قضى له الحاكم الهولندي بالبراءة.

وكان يخرج باثني عشر جملاً موقرة من عدن إلى مكانه بالحاوي بتريم وحده لا يعينه أحد في حطٍّ ولا ترحال (انتهى).

وذكر الجد بن عبيدالله في المعجم [٣] بعض الغرائب عن السيد محمد بن عبد الله بن طه الحداد المتوفى بسيؤون أوائل سنة ١٣٢٤هـ فقال: كان عيشه على قدم التوكل ولا تخلو عصمته عن أربع زوجات، وله نوادر، منها أنه تعشى عند أمه في حوطة آل أحمد بن زين، ثم قال لها أريد السمر عند بعض الإخوان، فقالت له: خذ معك مفتاح الدار حتى لا توقظني بقرع الباب، فعن له أن يذهب إلى الفجير على نحو تسعة أميال من الحوطة ودون الميل من سيؤون. ولما وصلها كره أن يزعج أهله بالقرع والنداء، فعمد لجذع طويل ألفاه هناك فتسلق عليه منزل زوجته، ولما قضى وطرا منها اشتاق إلى سيؤون فحمل الجذع وتسور به على بيت امرأته الأخرى بسيؤون ولما قضى منها مأربه عاد أدراجه يرد الجذع إلى مكانه بالفجير، ثم

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٥٧٧.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٢٩٣.

(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ١٩٣.

سرى ولما كان بالغرفة دخل جامعها فاغتسل وصلى ركعتين ثم أدلج إلى الحوطة، ولما وصل الحوطة عرف أنه نسي المفتاح بجابية جامع الغرفه، فرجع له وأخذه من الميضأة وكَرَّ راجعاً إلى الحوطة وما وصلها إلا ومؤذن الفجر على المئذنه (انتهى).

وذكر الجد بن عبيدالله في المعجم أن السيد أبا بكر بن عبد الله بن الشيخ علي بن أبي بكر من كبار العلويين، وقد اعتزل في سباخ مشطه بوادي روغة، وكان زهداً في الدنيا وأهلها وانجمع عن الناس في ذلك المكان، وبقي يصلي الجمعة بتريم يطلع إليها ماشياً وقد جاوز السبعين سنة[١] وهي مسافة بعيدة.

وذكر والدي حفظه الله السيد حسين عيديد فقال إنه من سكان مدودة، وكان يسكن مدودة، ثم انتقل منها وابتنى داراً ومسجداً بسيؤون ورغم نحافته فقد حج عدة مرات ماشياً على قدميه، وكان يبدأ رحلته قبل ثلاثة أشهر من موعد الحج ويصفه الحبيب مصطفى المحضار فيقول حسين عيديد أضعف من الوليد وأقوى من الحديد.

كما أثارت رحلة الحب أحمد بن حسن العطاس إلى الحج وقد تقدم به السن تعجب السادة من شدة جلده وصبره على مشاق السفر، وكان تمر عليه الساعات الطويلة وهو منتصب على حصانه لا يشتكي ولا يتوجع[٢]. وذكر بن عبيد الله أن (الصالح الكبير صاحب الفراسة الصادقه الشيخ أحمد بن طه باحميد قال كان ضريراً (أعمى) ولكنه كان يخيط ويدخل الخيط في الإبرة عن مشاهدة بعيني)[٣].

وذكر العلامة الجد بن عبيد الله [٤] أن المنصب السيد أبا بكر بن عبد الرحمن بن أبى بكر من ذرية الحبيب عبد الله بن شيخان بن الشيخ أبي بكر صاحب لاموا، وصل إلى حضرة

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مطبعة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٥٥٠-٥٥١.

(٢) علي بن أحمد العطاس، ترجمة الحبيب أحمد بن حسن العطاس، ورحلاته، صفحة ٦٣.

(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٣٥٨.

(٤) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مكتبة الإرشاد صنعاء صفحة ٥٦٣.

الأستاذ الأبرّ عيدروس بن عمر الحبشي للأخذ عنه وهو رجل شهم ذو أسر شديد وقوة مفرطة، فلقد جلس سيدي الأبرّ مع جماعة من مريديه تحت ظل نخلة في بستاننا. وكان فلاحنا في أعلى هذه النخلة يأخذ الخريف للحاضرين إذ سقط منه العذق الذي لايقل وزنه عن أربعين رطلاً حضرمياً وكاد أن يقع على عمامة سيدي الأستاذ لولا أن المنصب المذكور نهض نصف نهضة فتلقاه بإحدى يديه فتعجب الناس من ذلك. (انتهى).

وذكر الجد بن عبيدالله السيد المنصب عبد القادر بن سالم بن علوي العيدروس فقال كان شهماً شجاعاً ذا وجاهة تامة له يد في الإصلاح، وكم سلمت نفوس بحجزه بين المتحاربين لأنهم متى رأوا علمه يرف كفُّوا عن القتال مهما يكن من حردهم وغيظهم، وكان من أجهر الناس صوتاً حتى أنه لينادي بصليله فيسمع من كان بحوطة سلطانه وبينهما نحو من أربعة أميال توفي السيد عبد القادر بن سالم ببور سنة ١٣٦٠هـ [١].



قال بن عبيدالله[٢] وسمعت سيدي العلاّمة حسين بن محمد الحبشي يخبر أن الشريف عزم على تأديب بعض العلويين بالمدينة لأمر جرى منهم، فخيم بعسكره في العريض، ولما تناول الشريف فنجان القهوة قال العلوي لأصحابه سأرميه قالوا: لا تصب الشريف فتعرضنا للبلاء، فقال لهم لا تخافوا ثم التقط الفنجان ببندقيته من بين أصابع الشريف من غير أن يمسها بسوء، فأكبر الشريف هذه المروءة والمهارة فانصرف بالقوم. (انتهى).

وحصل في فتنة تريم التي اشتعلت بين السادة آل الكاف وعبيد تريم في سنة **١٣٥٢**هـ والتي انتهت بهجوم القبائل المحيطة بتريم على تريم وإطلاق الرصاص الكثيف من الجبال المحيطة، قال بن عبيد الله: وامتد الحرب والجبل الشمالي والجبل الجنوبي يمطران الرصاص على آل تريم بلا فرق بين شريف ومشروف حتى لقد أصلوا السيد عبد الباري بن شيخ العيدروس

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلدان حضرموت، مكتبة الإرشاد، بصنعاء، صفحة ٤١٨.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٢٥٠.

والسيد إبراهيم بن حسن بلفقيه نيراناً حامية يقصدون شخصيهما في حين ظهورهما، ولكن الله عصمهما بالآجال. ومن خوارق العادة انه لم يصب أحد بأذى ما عدى طفل أو مسكينةٌ. ولقد خرج آل تريم ذات يوم بقضهم وقضيضهم لتشييع جنازة السيد أحمد بن سميط وساروا إلى الجبانة في الشوارع المكشوفة وأمطرتهم الجبال رصاصاً ولم ينل أحد بأس، مع أن مثل ذلك الرمي لا يمكن معه في مألوف العادة للطير أن يمر في الهواء فضلاً عن ذلك الجمع الحاشد، وقدر بعضهم الرصاص الذي أطلق على السيد إبراهيم بن حسن باكثر من ثلاثمئة خرطوشة، وهو يمشي الهوينى لضعفه كأنما هو قائم (انتهى)[1].

وحصل مثل ذلك للحبيب سقاف بن محمد بن عمر (المتوفى سنة ١١٩٥هـ) عندما كان متولياً للقضاء بسيؤون ففي كتاب التلخيص الشافي أن السلطان محسن بن عمر الكثيري أراد أن يتولى أمر بعض الأيتام فلم يجده الحبيب سقاف أهلاً لذلك، فأمر السلطان عبده بقتله، فترقب العبد الحبيب سقاف حتى بصر به يخرج من بستان أحد محبيه من آل الصبان بمصيف القرن فأطلق عليه الرصاص فوقعت الرصاصة في ثيابه ولم تتجاوزها إلى جسده إلا أنه سقط مغشياً عليه من صوت الرصاص، ثم تماثل ووقف وقال للعبد سامحك الله أنت ومن أمرك (انتهى)[2].

كما اشتهر كثير من العلويين بقوة الحفظ منهم العلامة السيد عبد الرحمن بن عبيدالله الذي بلغ مبلغ الشافعي في قوة الحفظ، ومنهم أيضاً الحبيب علوي بن طاهر الحداد مفتي جوهور بماليزيا، كما ذكر بن عبيدالله أن للسيد محمد بن عقيل بن يحيى حافظة قوية واطلاعاً تاماً وإكباباً على المطالعة [3].

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ١٦٤.

(٢) علوي بن عبد الله السقاف، التلخيص الشافي، صفحة ٥٠.

(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٤٦٤.

واشتهر السيد علوي بن أحمد الجنيد (١٢٩٧-١٣٥٠هـ) المولود بتريم بقوة الحفظ، فقد زار مرة صديقه الشاعر محمد بن حسن بن شهاب إثر فراغ الأخير من قصيدة له كان مشغولاً بتنقيحها وأثناء الكلام كان الجنيد يسترق النظر إلى صفحات القصيدة حتى حفظها بالكامل، فلما أكمل بن شهاب عمله قال لصديقه الجنيد هات ما عندك فقد فرغت لك الآن، قال الجنيد معي قصيدة ألفتها وأريد رأيك فيها فقال الجنيد أسردها لأعرف مبلغ علمك بالشعر، فسرد الجنيد قصيدة بن شهاب كاملة غير منقوصه فذهل بن شهاب وقال: هذه قصيدتي وقد فرغت لتوى من تنقيحها. قال الجنيد: أنت تعرف الشعراء يتفقون في النظم كما يقع الحافر على الحافر، وأصر الجنيد على ملكية القصيده وابن شهاب يؤكد انها قصيدته، وعقدت محكمة أدبيه للفصل في القضية، ولما بدأت المحكمة اعترف الجنيد بأن القصيدة التي ألقاها هي من حفظه وإنشاء ابن شهاب وأنه استرق إليها النظر وحفظها وانتهت بذلك القضية[1].

وحيث أن الشيء بالشيء يُذكر فقد ذكر بن عبيد الله قصة عجيبة عن قوة الحفظ، فقال[2]بأن آل عجاج وآل ثابت من نهد وهم أراكين الأحكام في حضرموت وردوا على جعفر بن عبود بن بدر وهو من آل مرعي فقدموا دعاويهم إليه وكان في أثناء حديثهم يكثر الالتفات من النافذة إلى فخ له في الأرض منصوب لليمام فعاتبوه، فقال إني لا أسمع كلامكم بعيني ولكن بأذني وهي إليكم وفيما هو ينظر للفخ إذ وقعت فيه يمامة، فخرج وذبحها ونصب الفخ مرة ثانيه وأصاخ إلى حوارهم حتى انتهوا من الدعاوي والأجوبة وإقامة الحجج وعرض الوثائق فقدم لهم الغداء وقال: استريحوا وبعد أن انتهوا وأدوا فريضة الظهر استأذنوه في الانصراف وطلبوا موعداً ليعودوا فيه للرسائل وكان قد سودها في أثناء استراحتهم فأعطاهم إياها فتعجبوا من قوة حفظه وحدة فهمه وحسن توفيقه فاقتنعوا لأن العدل مقنع. (انتهى).

---

(١) عبد القادر بن عبد الرحمن الجنيد، العقود العسجدية، صفحة ٤١٨-٤١٩.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٣٢٠-٣٢١.

وذكر صاحب تاريخ الشعراء أن للسيد عقيل بن عمر بن يحيى قدرة خارقة على التواريخ بحروف الجمل من غير عناء كثير وربما على البديهة فتأتي مطابقة للواقع وروي أنه حضر افتتاح مدرسة النهضة العلمية بسيون وارتجل قصيدة في مدحها من خمسة وأربعين بيتاً، وكل بيت منها تاريخ لذلك العام، وممن اشتهر بحضرموت بالمواهب الخاصة في هذا الفن الشيخ عوض بن محمد بافضل والشيخ عبد الله بن أحمد بافلاح[١].

ومن أخبار الذكاء والخوارق الذهنية ما ذكره بن عبيد الله[٢] عن جماعة من آل السقاف مقيمين في صنعاء ويعيشون حالة من الفقر الشديد، وذكر قصة لهم أصلها أن شيخاً زوج بنتاً له على مزين (حلاق) على سبيل المزاح وكلاهما غني ثم طالب المزين بامرأته، واشتد بينهم الخصام حتى وصل الأمر للقضاء وامتد سير القضية حتى حبس الرجل أبا البنت لامتناعه عن تسليم ابنته فأشاروا عليه بالسقاف هذا ليدافع عنه وطلب السقاف خمسمئة ريال للدفاع، ولما اجتمع مجلس القضاء قال السقاف للرجل: زوجتك مبذولة ولكن للشيخ أربع بنات فأيتهن التي عقد بها لك، فأفحم المزين وقال إنما زوجني إحدى بناته مبهمة، ومن هنا جاء بطلان العقد في المجلس وانتهت القضية وضاعف الشيخ للسقاف أجرته (انتهى باختصار).

وللحبيب أحمد بن جعفر الحبشي قصة مماثلة أوردها بن عبيدالله في بضائع التابوت[٣] فقال: كان لأحد الرؤساء امرأة تبغضه لبذاذته وشيخوخته وجمالها وصغرها فغضبت عليه ليلة وقال لها ان لم تكلميني قبل الفجر فأنت طالق ثلاثاً ثم سقط في يده وركب إلى الحبيب أحمد بن جعفر الحبشي وجعل له ثلاثمئة ريال إن خلصه من تلك الورطة، فلم يكن من

---

(١) عبد الله بن محمد السقاف، تاريخ الشعراء الحضرميين، مكتبة المعارف بالطائف، الجزء الخامس، صفحة ١٤٩.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ١١٩.

(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة.

الحبيب أحمد إلا أن سار برجل جهير الصوت إلى مسجد قريب من دار الرجل وقال له: اصعد فراجعها عسى أن تكلمك، فبينا هو يراجعها وهي لا تستجيب أشار السيد على الرجل جهير الصوت فأذن فكلمت المرأة زوجها حينئذ وقالت له أما الآن فقد حرمت عليك بالثلاث فناداها السيد من تحت البيت وقال لها كلا ولكنه أذان النصف الأخير وقد كلمتِهِ فانحلت يمينه فأنتِ على رغم أنفك في عصمته. (انتهى).

وتشبه القصة السابقة ما ذكره بن عبيدالله في المعجم عن أحد آل سعيد وهم سكان هشيمة من قرى جعيمة الذين اشتهروا بالفطنة، قال بن عبيدالله: ومن حكامهم عبود بن بدر بن سلامه بن سعيد بلغ من ذكائه أنَّ رجلاً من آل شبام أكل تمراً هو وامرأته ثم قال لها: إن لم تميزي نواي من نواك فانت طالق ثلاثاً فأعيت على كثير من العلماء، فسُئِل عنها فقال تجعل كل نواة وحدها وتنحل اليمين. وهذه الفتوى هي عين ما يقوله الفقهاء في المسألة[1].



وعلى عكس ذلك فقد يستغفل رجال القبائل بعض الصالحين من العلويين، فقد ذكر بن عبيدالله في المعجم أن السيد صالح بن محمد الحبشي كان صالحاً كاسمه وكان لايتكلم إلا بالإعراب لأنه وصل إلى بيت مفتي الشافعية بمكة الحبيب محمد بن حسين الحبشي أيام كان بالقنفذة، فسأل عنه بالعامية فضحكت منه ابنته آمنة التي تزوجها السيد علوي بن أحمد السقاف واستهزأت به فآلى على نفسه أن يتعلم النحو وأن لا يتكلم إلا بالإعراب فلم يحنث، وكان أبيض القلب لا يعرف حيل آل كثير، حتى لقد ذهب مرة للاصلاح بين آل عبدات وجيرانهم من آل عمر فأجابوا على شرط أن لا يخرج أحد من داره إلا بخفير، فاقتنع بذلك، ولما اجتمع بأخيه عبد الله قال له: أي معنى لهذا الصلح[2]؟

ومن العلويين من عمر عمراً طويلاً. ذكر بن عبيدالله من أحفاد الحبيب علي بن عبد الله

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٢٨٢.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مكتبة الإرشاد صنعاء صفحة ٣٠٤.

السقاف محمد بن أحمد بن علي بن عبد الله، توفي بسيؤون سنة ١٣٠٧هـ عن مائة وخمسة عشر ربيعاً، وقد حضرته وقرأت عليه وبارك علي ودعا لي [١].

وقال بن عبيدالله ومن ذريته الفاضل المحب للعلم وأهله والوصول للأرحام أحمد بن جعفر بن أحمد بن علي بن عبد الله المتوفى بسيؤون سنة ١٣٢٠هـ عن عمر يناهز المائة [٢].

❊ ❊ ❊

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مطبعة الإرشاد صنعاء صفحة ٣٧٨.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مطبعة الإرشاد صنعاء صفحة ٣٧٨.

الفصل السادس والستون

خصوم العلويين



من أشعارهم: «حبيبك السيد لا تنساه   أعطه صميلين في المقذاة»

ولستُ أحب أن أتعرض لما سلف من الخصومة إلا من باب استيفاء حق التاريخ، لهذا لا بأس أن نستعرض في هذا الفصل بعض من خصوم العلويين، ومنهم من كانت خصومته علمية، ولم تتجاوز المحاورات والنقاش مع بقاء الاحترام بين الطرفين، ومنهم من اشتد في عداوته دون سبب واضح وغرض فاضح.

الأمير عبد الله عوض غرامة

وممن بغض العلويين من حكام حضرموت عبد الله عوض غرامة حاكم وسط تريم، قال عنه الجد بن عبيدالله [(١)]:

كان صارماً شجاعاً طائش السيف صادق اللهجة، له شذوذ، وعنده عنجهية، ومن أخباره أن حمل السادة بتريم على الإفتاء بقبول مرجوح يوافق غرضه، ثم أرسل عبيده إلى السيد عبد الله بن عمر بن يحيى يطلب مصادقته على هذه الفتوى، وقال لعبيده: إن لم يكتب المصادقه عليها بخطه فاقتلوه. ولما وصلوا عند الحبيب عبد الله بن عمر وأخبروه شاور أمه ـ وكانت على جانب من العلم والفضل عظيم ـ فقالت: واعجبي منك يا عبد الله أو في هذا رأي، لقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يسافرون المسافات البعيدة في طلب الشهادة، وقد جاءتك إلى بيتك، فكيف تتأخر عنها؟ فمزِّق الكتاب في وجوههم حتى افتخر بك أن قتلوك وأحتسبك عند الله، ففعل ما قالت له أمه، ومزق الكتاب في وجوههم وألقى الله عليهم الهيبة وكفاه شرهم.

وأرسل غرامة في سنة ١٢٢٩هـ عبيده لأذية أهل بلدة المسيلة، ولما وصلوها أحجموا لنفس السبب الذي صرفهم به الله عن الحبيب عبد الله بن عمر، وعند انصرافهم عنها التقوا بالسيد سالم بن أبي بكر عيديد فقتلوه ظلماً، وفي اليوم الثاني أرسل الأمير عبد الله غرامة

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ١١٦.

بتعزية للعلويين قال فيها: إننا لا نريد ذلك ولا نحبه، وقد كان قتله على اختيار منّا. لكنه شؤم أعمالكم والتفاتكم إلى غير الله وعبادتكم للأموات والقبور هو الذي جرّ عليكم المصائب وسيجر عليكم ما هو أعظم.

وكان عبد الله غرامة يذهب إلى مجالس العلويين العلمية ويطلب منهم القراءة في كتب الشيخ محمد بن عبدالوهاب، فقال له السيد الإمام عبد الله بن حسين بلفقيه: نحن وهابية من جدنا محمد بن عبد الله لا نرى فاعلاً ولا خالقاً ولا رازقاً ولا ضاراً ولا نافعاً إلا الله تعالى. قال الجد بن عبيدالله: وأما ما رجم به العلويين من الأوهام وسوء الاعتقاد وعبادة القبور فأمر يكذبه الحس بالنسبة لعلمائهم وعقلائهم، ويكفي لتكذيبه في حق أولئك ما سبق ذكره عن الإمام عبد الله بن حسين بلفقيه، وقد أوردناه في فصل سابق، ثم قال الجد بن عبيدالله: إنني لمن أشد الناس إنكاراً على من يفعل بعض ذلك (يقصد سوء الاتقاد وعبادة القبور)، وكثيراً ما أستمد حجتي في الإنكار من أقوال السادة العلويين وغيرهم.



ثم ذكر بن عبيدالله كلام الشيخ عبد الله بن أحمد باسودان لسان حال العلويين في عصر الأمير عبد الله غرامة الذي يرد سياقه على اتهامات غرامة القادحة في توحيد العلويين[1]. قال: وكان غرامة مع ذلك شديد الاحترام لسيدنا الحسن بن صالح البحر مع خشونته له، وكان كثير التعلق بفريد عصره الإمام أبي بكر بن عبد الله الهندوان، كما كان لغرامة عدة أصحاب من خيرة العلويين ومراجيح رجالهم، منهم السيد الفاضل الجليل حسين بن عبد الرحمن بن سهل، فقد كان غرامة يتحفى به ويفديه بروحه، ولا يخرج عن إشارته، وبلغ به الحال أن تنازل له عن البلدية والمالية لولا أن خاله الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر لام ابن سهل على الدخول في ذلك الأمر وعاتبه عليه فتركه[2]. ومنهم السيد الجليل عبد الرحمن بن أبي بكر المشهور والد شيخنا العلامة علوي بن عبد الرحمن المشهور.

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ١٢٠.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ١٢٥.

ومن الأشياء المثيرة للضحك، ولكنه ضحك كالبكاء، أن الإرشاديين بجاوا وصفوا العلويين بأنهم أجانب عن حضرموت، وهاجم أحد الأشخاص بن عبيدالله وقال إنه أجنبي. قال بن عبيدالله في بضائع التابوت[1]: أما الجواب الذي نشرته لي مجلة الرسالة، فقد اشتمل على عدة مسائل إلا أن رجلاً من أهل سنقفورا ـ لم يسبق لي سماع اسمه قط ـ غضب من تلك الفتوى (فتوى متعلقة بأموال البنوك ـ المؤلف)، وكان جنياً في غضبه فأرغى وأزبد وتهدد وتوعد بأن يكون لي معه شوط طويل إن عدت للكلام في المسأله، ولم أدر ما السبب حتى قال لي أحد عارفيه إنه يتظاهر بالعلم وإن الشيخ سالم بن محمد بن طالب طالما سأله عن هذه المسأله فلم يحر جواباً، فلما جاءته فتواك شق بها ولجأ إلى السفه الفاحش وأنكر حضرميتي رأساً ودفعني عن العلم جملة وملأ فمه شتماً وسباً ووعيداً (انتهى).

الشيخ علي بن أحمد باصبرين

وصفه السيد علوي بن طاهر الحداد في كتاب الشامل في تاريخ حضرموت، فقال: كان فقيهاً ذكياً له تعليق على فتح المعين، وله كتاب إثمد العينين في اختلاف الشيخين (يقصد ابن حجر والرملي).

قال بن عبيدالله: وقد جرت بينه وبين العلويين في عصره منازعات في عدة مسائل منها مسألة التوسل والاستغاثة، ومنها ثبوت النسب بمشجرات العلويين المحررة.

قال بن عبيدالله: وفي سنة ١٢٩٨هـ فرغ الشيخ علي باصبرين من رسالته التي سماها حدائق البواسق المثمرة في بيان صواب أحكام الشجرة، فعلق عليها السيد سالم بن محمد الحبشي بما يشبه الرد، فرد عليه الشيخ باصبرين بقوله: فما وجدنا في ردك زيادة فائدة عما في الأصل، فما زاد إلا إتلاف ورق لم يؤذن لك في إتلافه، ثم إن الشيخ علي باصبرين ألّف رسالة

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني/ ٢ ، صفحة ١٢٢.

ينقض فيها تعليقات السيد سالم الحبشي، سماها إنسان العين. وقد كتب فيها الإمام أحمد بن محمد المحضار (١٢١٧-١٣٠٤هـ) كتابةً طويلة جاء فيها (وما أوضحه الشيخ علي في هذه الجملة فذاك شفاء الصدر، وتبرأ به العلة، وهو مجرب في تجربته وحريص في أجوبته. وكثيراً ما ينشب الخلاف بين الشيخ علي باصبرين وبين علماء العلويين كآل بن يحيى بالمسيلة وغيرهم وتؤلف الرسائل من الجانبين.

إلا أن هذه الخلافات العلمية لم تكن تؤثر في احترام العلويين وتقديرهم لعلم وشخص الشيخ علي باصبرين الذي قال عنه بن عبيدالله في أدام القوت: كان جبلاً من جبال العلم ووصف زيارة والده الحبيب عبيدالله بن محسن السقاف لدوعن في سنة ١٢٩٦هـ ومقابلته الشيخ علي باصبرين، فقال نقلاً عن والده: ولما انتهينا إلى بلدة قرحة آل باحميش أو أن المغرب أدركتنا صلاتها في مسجدها خلف إمام حسن الأداء، شجي الصوت، محافظاً على السنن والهيئات، وبعد أن فرغ من الأدعية والراتبة جلس للتدريس في شرح المقدمة الحضرمية، وكان يكتب عليها حاشية، فسمعنا أحسن تدريس، وأتقن تحقيق، وأجمل إلقاء، وأوضح تفهيم، ثم صلى بنا العشاء بسورتين من أواسط المفصل بصوت عذب، أخذ بقلوبنا وبقي طنينه بأسماعنا، وخيل إلينا أنَّا لم نستمع إلى تلك الآيات، إلا تلك الساعة، وما كاد يخرج عن المسجد وعلى كتفه بندقيته حتى أشعل النار في فتيلها، فقلنا له ما شأنك؟ فقال بيننا وبين قوم قتل، ولم نأخذ صلحاً، فتمثلت لنا رسوم الصحابة والسلف الصالح، حيث اجتمعت مع العبادة الشجاعة والعلم في ذلك الهيكل الشريف، وهو شخص الشيخ علي بن أحمد باصبرين (انتهى)[١].

وعلق الشيخ علي سالم بكير على كتاب الشيخ باصبرين «الجمل من المهمات الدينية»، فقال: «صحيح أنه في بعض هذه المسائل، وهو القليل منها قد يتشدد ويأخذ بالرأي الأحوط، ولكن لا يجوز أبداً أن يكون ذلك سبباً لرفض أفكاره كلها[٢].

---

(١) علي سالم بكير، رجال وكتب من حضرموت، دار حضرموت للدراسات والنشر، صفحة ١١٦-١١٧.
(٢) علي سالم بكير، رجال وكتب من حضرموت، دار حضرموت للدراسات والنشر، صفحة ١٢٥.

وأقام الشيخ علي باصبرين بالحجاز فترة من الزمن متعاطياً التجارة، وسافر إلى مصر سنة ١٢٦٠م، ولما كان الحبيب أحمد بن حسن العطاس في مصر سنة ١٣٠٨هـ قال له العلامة الشيخ البحيري على سبيل المباسطة ياسيدى أحمد نعرف من الحضارمة الحدة في الطبع، إلا أنّا رأينا جنابكم منزهاً عن ذلك، فقال له: عرفتم من يا مولانا من أهل حضرموت، فقال: عرفت الشيخ علي باصبرين وجلست معه سنتين في الحرمين فرأيت من الحدة ما لا مزيد عليه[١].

ووصف الشيخ علي بكير الشيخ علي باصبرين، فقال: إنه كان شجاعاً ذا عزم، وكان يسير متمنطقاً بمسدس أو مسدسين، ثم قال: وأحسب أن له يداً في الثورة التي وقعت بجدة على قناصل الدول الأوروبية، وهي واقعة مشهورة، وقد تمكّن من الفرار، فسلم[٢].

وقصة هذه الفتنة كما ذكرها المغربي في أعلام الحجاز أن أحد ملاك السفن العرب أنزل في سنة ١٢٧٤هـ العلم البريطاني من على سفينته، ورفع بدلاً عنه العلم العثماني، فغضب القنصل الإنجليزي، وذهب إليه وأنزل الراية العثمانية، وداس عليها، فثار الناس على النصارى المقيمين بجدة فقتلوهم ونهبوا أملاكهم، وقتلوا كذلك القنصل الإنجليزي والقنصل الفرنسي، ثم حضرت البوارج الحربية الأجنبية وضربت جدة ضرباً متواصلاً لم يتوقف إلا بعد القبض على المتسببين في الفتنة والحكم على بعضهم بالقتل، والآخرين بالنفي، وكان ممن قتل في هذه الحادثة الشيخ سعيد العمودي كبير الحضارم[٣].

ونسب الشيخ علي بكير إلى الشيخ علي باصبرين إثارة العوام على الأبنية التي أقيمت على الجمرات الثلاث بمنى، فهجم العوام عليها وأخربوها، وبإثر ذلك طلبه شريف مكة فهرب إلى حضرموت عن طريق البر[٤].

---

(١) علي بن أحمد العطاس، ترجمة ورحلات الحبيب أحمد بن حسن العطاس، صفحة ٤٨.

(٢) علي سالم بكير، رجال وكتب من حضرموت، دار حضرموت للدراسات والنشر، صفحة ١١٢-١١٣.

(٣) محمد علي مغربي، أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر، الجزء الثالث، صفحة ٨٧-٨٩.

(٤) علي سالم بكير، رجال وكتب من حضرموت، دار حضرموت للدراسات والنشر، صفحة ١١٢-١١٣.

الرحالة أمين الريحاني



أمين الريحاني لبناني مسيحي هاجر إلى أمريكا عندما كان عمره ١٢ سنة، ويقول عن نفسه: «بأنني غدوت بعد عشر سنين في أميركا معجباً بنشاط الشعب الأمريكي وبحريته»(١)، إلا أنه يقول عن الإنكليز: «إنهم أرقى من الشعب الأمريكي أو أحب إلى من كان مثلي»(٢).

وقد حبب إليه الارتحال في بلاد العرب (اجتماعه بعدد من المستشرقين) وبناءً على ذلك قرأ رحلات المستشرقين السابقين مثل بركهات الذي ادعى الإسلام ودخل مكة حاجاً، وكذلك المستشرق برتن الذي فعل نفس الشيء، أو شارلس دوطي الذي انتحل اسم خليل

(١) أمين الريحاني، ملوك العرب، دار الجيل، بيروت، صفحة ٤.

(٢) أمين الريحاني، ملوك العرب، دار الجيل، بيروت، صفحة ٥.

وساح في نجد وقال عنه: «إنه راح يهول بنصرانيته في وجه البدو»[١]، وغيرهم من الرحالة الأوروبيين. وقد رافق الريحاني في رحلته عبر البلاد العربية ورتب له بعض فصولها لبناني مسيح آخر اسمه قسطنطين، كان يعمل في خدمة الإنجليز بعدن، ثم في خدمة الملك حسين ملك الحجاز ،وسافر مع الريحاني في رحلته من جدة إلى عدن[٢].

وقال الريحاني عن معرفة الإنكليز ببلاد العرب «لست مبالغاً إذا قلت إن ليس في البلاد العربية اليوم رجل واحد يعرف البلاد العربية كلها وليس في العالم اليوم ويا للأسف من يحيط علماً بهذه الأقطار وبشؤونها جمعاً وبحكامها وقبائلها ومشايخها وأمرائها بكل ما يختص بأمورها السياسية الداخلية والخارجية غير الحكومة البريطانية أو بالأحرى وزارة المستعمرات فيها، فهي تصدر كتاباً عن البلاد العربية مبنياً على تقارير وكلائها السياسيين والسياح العلماء تصححه وتعيد طبعه كل بضع سنوات»[٣].

وقال الريحاني: «إن الكتاب لا ينشر للعموم، وقلما يرى خارج الدوائر الرسمية». وفي حاشية الصفحة أن وزارة المستعمرات توزع هذا الكتاب على الوكلاء السياسيين والسفراء والقناصل لدولة بريطانيا فقط[٤].

إلا أنه يبدو أن الريحاني كان من المطلعين على هذا الكتاب لأنه يقول عنه: «وهو مع ذلك لا يخلو من الأغلاط إذا نظر في ما يختص بكل قطر منه ابن القطر العالم بشؤونه كلها»[٥]. ومما لا شك فيه أن رحلات العلماء والمؤرخين الناطقين بالعربية في بلاد العرب ستصحح كثيراً من المعلومات الخاطئه التي قد لا يدركها الرحالة الغربيون والقناصل الأوروبيون.

---

(١) أمين الريحاني، ملوك العرب، دار الجيل، بيروت، صفحة ٧.

(٢) أمين الريحاني، ملوك العرب، دار الجيل، بيروت، صفحة ١٢.

(٣) أمين الريحاني، ملوك العرب، دار الجيل، بيروت، صفحة ١٤.

(٤) أمين الريحاني، ملوك العرب، دار الجيل، بيروت، صفحة ١٤.

(٥) أمين الريحاني ملوك العرب دار الجيل بيروت، صفحة ١٤.

وحيث إن بريطانيا كما يقول الريحاني: «ليس من واجباتها فضلاً عن ميلها ومصلحتها أن تعرف ملوك العرب بعضهم إلى بعض، أو أن تطلعهم على أحوال الأقطار العربية كلها»، لذا فقد وطد الريحاني العزم للقيام بهذا الواجب، وشد العزم للقيام بهذه الرحلة التي قال عنها: «ولا أظن أن أحداً من أبناء العرب يستطيع أن يقوم بهذا الواجب دون أن يرحل الرحلة التي قمت بها فها أنا إذن في هذا الكتاب أعرف ساداتي ملوك العرب بعضهم إلى بعض تعريفاً يتجاوز الرسميات والسطحيات»، ثم يقول: «وغايتي القصوى تمهيد السبيل إلى التفاهم المؤسس على العلم والخبر اليقين».

وقد اعتذر الريحاني عن عدم زيارته حضرموت مع أنه كان بعدن قريباً منها بخطورة السفر في البحر إلى المكلا في فصل الصيف، حيث قال له الملاح الإنكليزي: «إنه فصل الموت فصل المنسون»، وقال له أيضاً: «وليس للمكلا ميناء نرسو فيه وقد لا تسمح الأنواء بالرسو في عرض البحر»[1]، ولا أعتقد أن هذا الاعتذار مقبول خصوصاً وأن ميناء المكلا من آمن الموانىء البحرية، كما لم يزر الريحاني مسقط لظنه (أن العروبة فسدت فيه)، وكذلك الأردن وأميرها فيصل بن الحسين (لأنه لا يعتقد أنها من الإمارات العربية الثابتة الدائمة)[2].

وقد رافق الريحاني إلى بلاد الإدريسي وكيل بريطانيا السياسي في الحديدة طبيب العيون الهندي فضل الدين الذي حضر كل اجتماعاته مع الإدريسي، وكان كما قال الريحاني: «فضل الدين يدفع عني أحياناً مؤنة المقابلات في النهار»[3].

وما أتصوره شخصياً أن لدى الإنجليز ما يكفيهم من المعلومات عن مسقط وحضرموت خصوصاً وأنّ الريحاني ليس من أهلها العارفين ببواطن أمورها فلم يكن هناك

---

(١) أمين الريحاني ملوك العرب دار الجيل بيروت، صفحة ١٦-١٧.

(٢) أمين الريحاني، ملوك العرب، دار الجيل، بيروت، صفحة ١٨.

(٣) أمين الريحاني، ملوك العرب، دار الجيل، بيروت، صفحة ٣٤٦.

داع لتضييع وقت الريحاني في هذه البلاد، وكذلك الأردن، وهي الدولة التي أنشأتها بريطانيا وتولت في ذلك الزمن أغلب أمورها وأمور فلسطين المجاورة لها[١].

وفي اعتقادي أيضاً أن الإنجليز الذين منذ وطئت أقدامهم فلسطين وهم يتحركون على كل الجبهات لتحقيق هدف يسعون إليه، وهو توطين اليهود في فلسطين، ويريدون أن يسبروا غور الحكام العرب ويعرفوا أحوالهم ومدى المعارضة لمشروع فلسطين، وهل هناك احتمال لقيادة تقودهم إلى جهاد مقدس ضد تهويد فلسطين يكون خطراً على نجاح المخططات المرسومة لهذا البلد.

ولست هنا بصدد نقد كتاب الريحاني ملوك العرب وهو كتاب شيق به كثير من المعلومات المفيدة ولكن اهتمامي ينحصر في تفاصيل لقاء الريحاني بعلامة حضرموت السيد عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف وما بدر منه من تعليقات معادية وكانت رحلة الريحاني في سنة ١٣٤٠هـ.

أما العلامة بن عبيدالله فقد ذكر بصورة عابرة لقاءه بالريحاني وهو في طريقه إلى صبيا لتلبية دعوة تلقاها من السيد محمد بن علي الإدريسي وقال: وفي طريقي من عدن إلى جيزان أرست الباخرة بشاطىء الحديدة فركب منها فضل الدين الهندي نائب الإنجليز بها ومعه أحد أدباء الشام النصارى، وجاؤوا به إلى نفس المخدع الذي أنا فيه، وإذا به يتفنج ومعه رجل من شبان عدن يزيد في نغمات الطنبور ويغالي في مدح ذلك النصراني ويزعم أنه خطيب الشرق وشاعره وفيلسوفه، فهالني الأمر من جهة وتعاظمني السرور من الأخرى، إذ كنت شديد التطلع والشوق إلى لقاء الأدباء عامة فضلاً عمن كان بذلك الوصف ولكني التزمت الصمت ريثما أعجم عود الرجل. ولما تبينت أنها جعجعة ولا طحن ولا قعقعة سلاح، وغثيت نفسي من ذلك التفنج والغرور قلت لهم: إن كان هذا الرجل شاعراً فأنا أيضاً شاعر وخطيب، ولا بأس بالمباراة في هذا الميدان حتى نقضي الطريق، فإما أن يقترح موضوعاً

(١) ماري ولسن، عبد الله وشرق الأردن، ترجمة فضل الجراح.

وأخطب فيه ساعة أو أقترح أنا وما عليه إلا أن يخطب ربع ساعة. وإما أن يقترح موضوعاً وبحراً وقافية وأنظم أنا أربعين بيتاً، أو أقترح أنا فلا ينظم إلا عشرة أبيات. فثقل عليه هذا التحدي الذي لا يتوقعه من أحد واحولت عيناه، وقال: أنا لا أنظم الشعر المقفى وإنما أنظم المطلق، ثم اعتذر بعد ذلك بدوران في رأسه ولم أره ينظرني كلما دخلت المخدع إلا شزراً. وقد تعب كثيراً من شعور رفيقه فضل الدين من ذلك الانهزام[١].

أما الريحاني[٢] فقد وصف لقاءه ببن عبيدالله فقال: «كان معنا في الدرجة الأولى رجل من حضرموت ينام في الغرفة لا على ظهر الباخرة ولا يؤاكلنا، رجل طويل القامة حسن الطلعة قوي البنية مفتول الساق وهو من سادات سيؤن مدينة العلم في ذلك القطر ومن أدبائها، حاد الذهن فصيح اللسان حدثته فحدثني متنازلاً متكلفاً، وماكان في ما باح به ليخرج من دائرة التكتم والتأدب إلا أني علمت من تلويحاته أنه عالم من العلماء وخطيب من خطباء حضرموت المشهورين، وهو ينظم كذلك الشعر. قرأ شوقي وحافظ ابراهيم والمنفلوطي والبستاني وغيرهم من شعراء وأدباء مصر وسوريا، ولم يسمع بالريحاني إلا مؤخراً في عدن.



سأله بن عبيدالله ـ سمعت أن الأستاذ جاسوس للإنكليز.

فأجاب ـ قد يكون ذلك.

ثم سأله بن عبيدالله ـ وكيف ينخدع به أمراؤنا يا ترى؟

فأجاب الريحاني ـ العصمة لله.

ثم كتب الريحاني وكان قد أخبرنا الربان أن السيد من تجار حضرموت حسب ادعائه وأنه مسافر إلى ميدي، ولكن رفيقاً من عدن[٣] أخبرني أنه رآه في دار الاعتماد في عدن، ثم

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ١٣٧.

(٢) أمين الريحاني، ملوك العرب، دار الجيل، بيروت، صفحة ٣٣٠-٣٣١.

(٣) هذا الشخص اسمه قسطنطين، مسيحي يعمل على ما يبدو بدار الاعتماد بعدن ورافق الريحاني في رحلته.

علمت أنه من زعماء الحزب الكثيري في حضرموت القائم على الحزب القعيطي وسلطانه، وأنه جاء ليرفع قضيته إلى الإنكليز في عدن وإلى السيد الإدريسي في جيزان[١].

ثم قال الريحاني: أما فضل الدين الذي يعرف السادة من رائحتهم فقال: هو ذا سيد شحاذ كثيرون مثله يجيئون إلى جيزان ويمدحون السيد ويستجدونه، وعندما نزل مساء ذلك اليوم إلى ميدي ظننت فضل الدين متحاملاً فقلت: بل هو تاجر كما قال الربان، فأجابني: هو شحاذ كما أقول وسيرجع وسترى[٢](انتهى).

وهذا الوصف على العلويين أطلقه أيضاً حاكم ممباسا الإنجليزي في تقرير كتبه عن الحضارمة بممباسه وقال فيه: «ونخص بالذكر مجموعة غير محبوبة من المهاجرين المؤقتين من الأشراف الذين يزورون البلاد مرة في العام يجمعون فيها ما يستطيعون جمعه من الأهالي، كما أنهم عنصر خطر يؤجج عدم الرضا والشعور بالسخط بين جاليتهم، ويستقر البعض منهم ولكنه يعيش عالة على الآخرين ولايعمل شيئاً»[٣][٤].

ولا شكّ أن الريحاني كان متحاملاً على بن عبيدالله ولو لم يكن متحاملاً لم يكن لينظر إليه شزراً، وهو بالسفينة، لكنه على طريقة بعض الرحالة وضع الشتيمة على لسان فضل الله الهندي الذي لن يقرأ كتابه ولا يهمه أمره بعد مرافقته في هذه الرحلة.

أما الملازم الدكتور محمد فضل الدين طبيب العيون الهندي ووكيل بريطانيا السياسي في الحديدة[٥] فرغم اسمه الإسلامي إلا أن الريحاني قال عنه: «إن في شخصية فضل الدين

---

(١) مع أن الريحاني أقام بعدن فترة قبل ابتداء رحلته إلا أنه لم يكلف نفسه معرفة أن هناك دولتين بحضرموت.

(٢) أمين الريحاني، ملوك العرب، دار الجيل، بيروت، صفحة ٣٣١.

(٣) دبليو اتش انجرامص، حضرموت ١٩٣٤-١٩٣٥ م تعريب د. سعيد النوبان، دار جامعة عدن للنشر، صفحة ١٦٩.

(٤) أبو بكر المشهور، لوامع النور، دار المهاجر للنشر والتوزيع، الجزء الثاني، صفحة ١١٥.

(٥) أمين الريحاني، ملوك العرب، دار الجيل، بيروت، صفحة ٢٨٠.

الروحية والعقلية من الأدب الشرقي ما هو مزيج من الإسلام والصوفية، بل في عقيدته الإسلامية شيء من الأسرار البوذية والغوامض الهندية»[١]. وأستخلص أنا من كلام الريحاني أن هذا الرجل فضل الدين من أتباع القاديانية (الأحمدية)، فهم كما قالت الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب في شرح عقيدتهم «ويتضح تأثرهم بالمسيحية واليهودية والحركات الباطنية في عقائدهم وسلوكهم رغم ادعائهم الإسلام ظاهرياً»، ولهذا لا نستغرب عداوة فضل الدين للعلامة المسلم بن عبيدالله، ثم من سيثق به الإنجليز ويولونه هذا المنصب السياسي الكبير، غير تابع من توابع الديانة القاديانية.

والقاديانية تعرفها الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب كما يلي[٢]: «حركة نشأت سنة ١٩٠٠ بتخطيط من الاستعمار الإنجليزي في القارة الهندية بهدف إبعاد المسلمين عن دينهم وعن فريضة الجهاد بشكل خاص حتى لا يواجهوا المستعمر باسم الإسلام، ومؤسسها مرزا غلام أحمد القادياني، ينتمي إلى أسرة اشتهرت بخيانة الدين والوطن، ولا يؤمنون بالقرآن، وأن لهم كتاب غير القرآن الكريم وأن (قاديان) أفضل من مكة والمدينة، وهي قبلتهم وإليها حجهم، وكل مسلم عندهم كافر حتى يدخل القاديانية مع الطاعة العمياء للإنجليز، لأنهم ولاة الأمر بنص القرآن. وقالت الموسوعة إن لهم علاقة بإسرائيل التي فتحت لهم المراكز والمدارس» (انتهى).

ولهذا لا تستغرب تحامل فضل الدين الهندي على عالم من علماء المسلمين السنة. قال الريحاني «ولكننا علمنا بعدئذ أن حضرة السيد سبقنا إلى ميدي وسيرافقنا من هناك، فقال فضل الدين: والحمد لله الذي دفع عنا بعض البلية»، ثم أورد الريحاني قصة رحلتهم بالسيارة من ميدي إلى الحديدة، وقد بدر فيها كثير من عدم الاحترام وقلة الأدب والهزء بالدين ورجال الدين مثل قول فضل الدين لبن عبيد الله حين غرقت دواليب السيارة في الرمل «ياسيد يا بن

---

(١) أمين الريحاني، ملوك العرب، دار الجيل بيروت، صفحة ٢٨٥.

(٢) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة الندوه العالميه للشباب الإسلامي بالرياض، صفحة ٣٨٧.

النبي تعال ساعدنا وإلا تبقى هنا فنزل هذه المرة السيد ولبس نعله وجاء على مهل، فوضع يده على السيارة وهو يقرأ الفاتحة وكأنه يريد تسييرها باللمس والصلاة، فازدادت السيارة تمرداً، وفضل الدين غيظاً، فقال للسيد: سيادتك مثل السراب بل السراب أحسن لأنه يسر العين»[١].

ومن عجائب قناصل الإنكليز الهنود ما ذكره محمد علي مغربي في كتابه أعلام الحجاز عن قنصل الإنجليز بجدة إحسان الله الهندي، والذي وصفه بالجاسوس، وقال عنه إنه كان في بداية أمره مسؤولاً عن خدمة باب النساء بالحرم المدني ثم أصبح قنصلاً للإنجليز بجدة لسنوات طويلة، ثم نقله الإنجليز مع عائلته إلى عدن. ويبدو أن نقله كان لما شاع من ارتباطه بالمخابرات البريطانية.

وذكر المغربي أيضاً أنه بعد طرد الأتراك من الشام وفلسطين وتولي فيصل بن الحسين لملك سوريا، ذلك الملك الذي لم يستمر إلا لفترة قصيره جداً وصل الجنرال الإنكليزي اللنبي إلى دمشق لتهنئة فيصل بالعرش، وكان بمعيته إحسان الله الهندي بلباس كبار الضباط، مما أثار استغراب وجهاء الحجاز الذين حضروا المقابلة والذين عرفوا إحسان الله الهندي من قبل[٢]. (انتهى).

وبعد أن شفى الريحاني وزميله الوكيل السياسي القادياني غليلهما من بن عبيدالله بعد أن استفردا به في الطريق الصحراوي بين ميدي والحديدة عادة وعرفا قدره بين الناس لما وصلوا الحديدة ورأوا الناس يتبعون بن عبيدالله وكأنه كما قال الريحاني «حاكم البلد»، وسأل عنه فأخبروه «إنه من كبار سادات سيؤون ومقامه هناك شبيه بمقام أسقف نصراني عندنا»، فتأسف الريحاني عن تصرفاته السابقة وقال: «فأسفت لما بدا ووددته رفيقاً مرة أخرى لأكفر عن ذنبنا فيه سامحني وسامحه الله شريكاً كريماً»[٣].

---

(١) أمين الريحاني، ملوك العرب، دار الجيل، بيروت، صفحة ٣٧٤.

(٢) محمد علي مغربي، أعلام الحجاز، الجزء الرابع، صفحة ٢٢٨-٢٢٩.

(٣) أمين الريحاني، ملوك العرب، دار الجيل، بيروت، صفحة ٣٧٦.

وتتمثل الأخلاق العلوية في بن عبيدالله الذي لم يذكر عن الريحاني إلا ما كان من أمر المبارزة الشعرية، ولم يتحامل عليه ولا على رفيقه القادياني، ولو كان غيره لفعل بهما الأفاعيل، بل إنه لم يتصرف معهما في الطريق إلا بحسن الخلق، ولو كان غير ذلك فلن ينسى الريحاني أن يسجل ذلك كما سجل بالتفصيل الشتائم القذرة والسباب بين ربان الباخرة الإنجليزي وعبيد إفراغ السفن بميناء ميدي[١].

الأستاذ علي بن أحمد باكثير

(١٣٢٨-١٣٨٩هـ)



لا يمكن أن نعتبر الأستاذ علي باكثير من خصوم العلويين، بل هو من محبيهم، وهذا لا يمنع أنه كان متاثراً في شبابه بأفكار الإرشاديين الذيي درس بمدراسهم في إندونيسيا، إلا أن هذه الأفكار تلاشت تماماً، كما سنرى فيما يلي:

(١) أمين الريحاني، ملوك العرب، دار الجيل، بيروت، صفحة ٣٣١-٣٣٢.

ترجم له السيد محمد أبي بكر حميد فقال[١]: ولد الأديب والشاعر الكبير الأستاذ علي بن أحمد باكثير بمدينة سورابايا بإندونيسيا، وتلقى تعليمه الأولي بها بمدرسة الإرشاد الحضرمية، وفي سنة ١٣٣٨هـ جاء بمعية والده إلى سيؤون بحضرموت، حيث تابع دراسته أولاً على يد عمه الشيخ محمد بن محمد باكثير، ثم في مدرسة النهضة بسيؤون، وكان من أبرز طلبتها، ومع أن هذه المدرسة أقامها العلويون ويتولون إدارتها إلا أن هذا لم يمنع أن يتولى الشاب الأديب علي باكثير إدارة مدرسة النهضة بسيؤن سنة ١٣٤٤هـ، ثم غادر حضرموت سنة ١٣٥١هـ بعد وفاة زوجته الأولى، وتوجه إلى عدن، ومنها إلى الحجاز، حيث استقر زمناً بالطائف وكتب روايته الأولى همام في بلاد الأحقاف، وهو فيها. ثم سافر سنة ١٣٥٢هـ إلى مصر والتحق بكلية الآداب قسم اللغة الإنجليزية، وحصل منها على الليسانس، ثم التحق بكلية التربية للمعلمين، وبعد تخرجه عمل بالتدريس في المدارس المصرية لمدة ١٤ سنة، ثم نقل إلى وزارة الثقافة المصرية، ومثّل مصر سنة ١٣٧٧هـ في مؤتمر الثقافة بطشقند[٢].

بدأ حياته في مصر شاعراً، ثم كاتباً مسرحياً، وكتب خمس روايات تاريخية أصبح بها علماً للرواية العربية التاريخية الإسلامية، وله أكثر من ستين مسرحية شعرية ونثرية، كان علي باكثير أحد أعمدة المسرح العربي بمصر، ومن أكثر المساهمين في إعلاء صرح الحياة الفكرية في العالم العربي في عصره، وقد زار حضرموت سنة ١٣٨٨هـ ثم عاد إلى مصر وتوفي بها.

وكان الأستاذ علي باكثير قد خطب بعد وفاة زوجته سنة ١٣٥١هـ إحدى الفتيات فاستشار أبوها أحد السادة فلم يزكِّ الأستاذ باكثير الذي غضب وهجا السيد بقصيدة شهيرة قال فيها:

---

(١) د. محمد أبوبكر حميد، حضرموت فصول في التاريخ والثقافة، صفحة ٦٣ .

(٢) عبد القادر بن محمد الصبان، الحركه الأدبيه في حضرموت، دار حضرموت للدراسات والنشر، صفحة ١٦٤-١٦٥.

ولي الله ذو العمـــــة	والأرديـــة الخـــضر
وذو المسواك في العمة	قد أربـى عـلى الـشبر
وبالمـسبحة الـصفراء	كالحيـــة في الـــصدر
بهـا يـذكر في النـاس	ولا يـــذكر في الـــسر

غير أننا لا نستغرب هذا التصرف من شاعر شاب مرهف الشعور دقيق الحس يتعرض لصدمة عاطفية قوية. وقد روى المستشرق الإنجليزي روبت سرجنت قصة مماثلة عن الشاعر الشعبي الحضرمي المسمى عبود الغرف فقال: إنه تقدم لخطبة فتاة من بلدة السويري فقوبل طلبه بالرفض فأنشأ قصيدة يهجوهم فيها واتجه بعدها إلى تاربة، حيث تمكن من تحقيق طلبه وتزوج هناك[١]. (انتهى).

بل إننا نجد واحداً من كبار العلويين، وهو العلامة أبو بكر بن شهاب يقول في بعض العلويين بالهند حيث كان يعيش أكثر من ما قاله الأستاذ باكثير في أبيات أوردها الأستاذ محمد الشاطري في أدور التاريخ الحضرمي وذكرناها في موضع سابق من كتابنا.

ولعل تصرف الشعراء في وضع الرفض يختلف كلياً عمّا سنعرفه من تصرف الأمير علي بن صلاح القعيطي والي القطن وشبام من جهة القعيطي، كما ذكر ذلك بن عبيدالله[٢] حين قال: إن الثري علي بن محمد التوي أرضى الأمير علي بن صلاح على أن يخطب له بنت الشيخ عوض بن سعيد بافضل، وهو شيخ الأمير ومربيه، ولما قال له الشيخ إنها مخطوبة للسيد علي بن حسن بلفقيه استعر الأمير علي بن صلاح غضباً وصادر جميع أموال الشيخ عوض وأمر عبيده بقتله، فكبر عليهم ذلك فأنذرو الشيخ عوض فهرب إلى سيؤون ولم يرجع بعدها إلى القطن أبداً (انتهى).

---

(١) روبرت سارجنت، نثر وشعر من حضرموت، ترجمة سعيد دحي ، صفحة ١٢٨ .

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صفحة ٢٤٧ .

وقد لقيت حركة الإرشاديين في بدايتها بعض التعاطف من الأستاذ الأديب علي بن أحمد باكثير المقيم بمصر منذ تلك الفترة، فكتب روايته همام في بلاد الأحقاف وضمنها بعض آرائه الإرشادية، إلا أن الأستاذ باكثير رجل العلم والأدب والرجل الذي عرف العلويين حق المعرفة ودرس في مدرستهم بسيؤن لم يوافق على ما يكتب من شتائم مقذعة ضد العلويين بالصحف المصرية، فكتب منتقداً غلاة الإرشادية يقول: «ولولا غلو الغلاة من أهلها (يقصد الدعوة الإرشادية)، وخروجهم عن حدود الدعوة إلى التعرض للأنساب وملء الصحف بالشتائم مما جعل كثيراً من رجال العلم والأدب المتنورين يتحرجون من الانتساب إليها»[١].

وقد زار الأستاذ علي باكثير حضرموت للمرة الأولى بعد هجرته منها، وكان ذلك سنة ١٣٨٨هـ وأقيم على شرفه حفل خطابي، وظن بعض الجهال أن هذا الأديب العظيم ما زال يحمل أفكار الإرشاديين، رغم أنه بلغ من العلم ما بلغ وتمنوا أن يحمل في كلمته على العلويين، غير أنه خيب آمالهم وأثنى في خطابه على العلويين ثناءً حاراً، وخص بالشكر أستاذه بمدرسة النهضه بسيؤن السيد العلامة علوي بن عبد الله السقاف (١٣١٥-١٣٩٢هـ)، وزار مسجد العلويين الشهير بمدينة سيؤون وخطب فيه، وامتدح تجديد بنائه بقصيدة من شعره،

وذكر الجد العلامة علوي بن عبد الله السقاف (١٣١٥-١٣٩٢هـ) في زيارته للقاهره للعلاج سنة ١٣٨٩هـ اجتماعه بالأديب الشيخ علي باكثير الذي كرمه في منزله في مصر، وقال في مذكراته: «وقد تعلم الشيخ علي باكثير بمدرسة النهضة، وكان تلميذاً لي ولم أعرف من قام بحق الأستاذية لي مثل ما قام به هو، فهو لم يزل يذكر تلك الدروس التي ألقيتها له قبل ٤٩ سنة ويذكرها أمام الناس حتى يوم وصوله سيؤن في سنة ١٣٨٨هـ عندما قام فيها محاضراً بمسجد طه بطلب منا وقد أعجب بعمارته الجديدة وأثنى علينا وعلى مساعدتنا فيها». انتهى[٢].

---

(١) الدكتور صالح علي باصرة، دراسات في تاريخ حضرموت الحديث والمعاصر.

(٢) علوي بن عبد الله السقاف، السيرة الذاتيه، صفحة ١٥.

وقد لقي الأستاذ علي باكثير بعض المضايقة في أواخر حياته من الكتّاب المصريين اليساريين الذي سيطروا على أدوات الثقافة بمصر في تلك الفترة، وكان الأستاذ باكثير ككاتب إسلامي يتوقع منهم الأذى، وذكر الشاعر الكبير الشيخ عبد الله بلخير أنه لما كان في مصر برفقة الملك سعود أحب أن يزور الأستاذ علي باكثير فذهب إلى منزله بالمنيل، مع بعض الرسميين المصريين الذين يرافقونه، ولما قرعوا الباب ليلاً تفحصتهم زوجة الأستاذ باكثير من عدسة الباب وأخبرته بأنهم جماعة من الرسميين فأسرع يحرق بعض أوراقه ويرتب أموره لأنه لم يشك للحظه بأنهم جاؤوا للقبض عليه، ولما فتح الباب أخذه الشيخ عبد الله بلخير بالأحضان.

ولما توفي الاستاذ علي باكثير رثاه الخال حسن بن عبدالرحمن السقاف بقصيده طويله من أياتها [1]:

أيها النيل لقد ضاعت على الشاطىء دره

طالما اظفت على صفحته بالشعر نظره

واقامت في بهاء العلم للاعين قره

ثم قال:

أين منا آية الفن العلي الباكثير

ذلك المعدود فردا وهو في الناس كثير

كل أرض مثل من شعره فيها يسير

وقال أيضاً:

أنت أحييت رسول الله من فجر شبابك

---

(١) حسن بن عبدالرحمن السقاف ديوان درب السيف مخطوط اصدار اتحاد الادباء والكتاب اليمنيين شعبة سيؤن صفحة٣١-٣٤

وتعـشقت بــه سر كـمال مـن كمالـك

كيف لاياتي شفيعا لك في يـوم سـؤالك

الأستاذ المؤرخ صلاح البكري



وكما ذكرت في بداية هذا الفصل فإنني لا أحب أن أتعرض لما سلف من الخصومة إلا من باب استيفاء حق التاريخ، ولهذا لا بأس أن نذكر بعض الشيء عن الأستاذ صلاح البكري رحمه الله الذي تزعم جانباً من حركة الإرشاد، وكان نشطاً في مهاجمة العلويين في الصحف المصرية.

فالأستاذ صلاح البكري كما عرف نفسه على ظهر كتابه الجنوب العربي ولد في إندونيسيا عام ١٣٣٠ وتعلم في مدرسة الإرشاد العربية بجاكرتا، ثم سافر إلى مصر عام ١٣٤٨، حيث أكمل دراسته المتوسطة والثانوية، والتحق بعد ذلك بكلية الآداب قسم

التاريخ سنة ١٣٥٧، وحصل على دبلوم التربية وعلم النفس من معهد التربيه العالي سنة ١٣٥٩. ثم اشتغل بالتدريس في المدارس المصرية حتى سنة ١٣٦٩هـ حيث ترك التدريس وسافر إلى هولندا وعمل مذيعاً بالقسم العربي بإذاعة هولندا.

ثم عاد إلى السعودية سنة ١٩٥٢ وعمل مدرساً بمدرسة الفلاح الثانوية بمكة، ثم ترك التدريس والتحق بالإذاعة السعوديه سنة ١٩٥٧م، واستمر في نفس وظيفته حتى انتقل إلى جوار ربه. وكان السيد محمد البيض من زملائه العاملين معه بالإذاعة حتى أن نسخة كتاب الجنوب العربي التي قرأتها كانت إهداءً خاصاً من الأستاذ البكري إلى السيد محمد البيض والتي أهداها فيما بعد لوالدي.

ولعل ما لفت نظري عن قراءتي لهذا الكتاب هو التحامل غير المبرر على السادة العلويين حتى أنه لا يطلق على أحد منهم عند ذكره لقب السيد بل يطلق لقب السيد على زعماء الإرشاد، ولكن هذا الأمر ليس بالمهم. ولقد بحثناه في فصل مستقل بهذا الكتاب، كما يسرد الأستاذ البكري الأمور بشكل متشنج ويسرد بعض الوقائع دون تحري الدقة خصوصاً ما تعلق منها بالفتنة الإرشادية العلوية بإندونيسيا، والذي كان البكري نفسه واحداً من زعمائها، ولولا أنني قرأت مخطوطة بضائع التابوت لمفتي حضرموت الجد العلامة بن عبيدالله التي عاصر هذه الفتنة وبذل مجهوداً كبيراً للإصلاح بين الطرفين وتوسع في كتابة التفاصيل في الجزء الأول من تاريخه الموسع بضائع التابوت الذي ما زال مخطوطاً، بل وقد كان بن عبيدالله في هذه الفتنة متحاملاً أكثر على العلويين ومقارباً للإرشاديين إلا أنه كواحد من قلائل المؤرخين المنصفين كتب الحقائق مجردة ووضح الأمور بحياد تام وبيّن رأيه في أسباب الفتنة.

وما أود قوله هو أنه لولا قراءتي لما كتبه بن عبيدالله في بضائع التابوت فلربما صدقت ما كتبه البكري في تاريخه ولربما تأثرت بأفكاره المثيرة للشغب والفتنة، وهي فتنة أشعلتها واستمرت تؤججها جهات أرادت أن توقف انتشار الإسلام في الجزر الجاوية بزرع الفتنة بين الحضارمة بإندونيسيا، وقد بحثت هذا الموضوع بتفصيل في فصل خاص بهذا الكتاب.

ولنترك تحامل البكري على العلويين في كتابه الجنوب العربي قديماً وحديثاً لحكم التاريخ، كما أننا لا نشير إلى تحامله الأكبر على العلويين في كتابه الثاني تاريخ حضرموت السياسي، لأن كثيراً مما كتبه يخالف حقائق التاريخ، كما أن كثيراً من تعليقاته لم تكن مقبولة حتى من الناحية الذوقية. فهو مثلاً لا يرى في جمعية الحق بتريم إلا وسيلة من وسائل السيطرة السياسية، وقال: «وهكذا استمرأت جمعية الحق أن تتولى زمام إدارة تريم وتنفرد بالسلطة المطلقة والنفوذ الأعظم»[١]. ثم ذكر أن جمعية الحق تفرض الضرائب على الفقراء ولا تأخذها من ذوي المناصب الروحية حتى لو كانوا أغنياء وأن الجمعية حركت بعض القبائل وزودتهم بالمال والذخيرة لإثارة القتال فيما بينهم[٢].

ومن الأمور التي لن يوافقه عليها قراء التاريخ قوله إن العلويين أحبوا أن يكون لهم مركز روحي مستغلين (ما شاهدوه في كثير من الحضارم من السذاجة وحسن النية وسلامة الطوية)، مع أنه يناقض ما قاله في مكان آخر من كتابه حين يقول: «والحضرمي حاد الذكاء قوي الذاكرة سريع البديهة كثير النباهة»[٣]. ثم ينكر نسب العلويين فيقول: «قالوا إنهم من سلالة الرسول (ولم يتبع ذلك بـ ﷺ)، وحين شكّ الحضارمة في أمرهم اضطر آل باعلوي أن يبعثوا واحداً منهم إلى البصرة ليأتي بشهادة قاضيها فيما قالوا»[٤].

وأكبر من ذلك قوله عن العلويين: «وتظاهروا بالصلاح والتقوى وعملوا بكل ما عرفوا به من الدهاء لجلب الناس إلى تقديسهم والتبرك والتوسل بهم»[٥]. ثم قال في الصفحة

---

(١) صلاح البكري، تاريخ حضرموت السياسي، دار الآفاق العربية، الجزء الثاني، صفحة ٥٤.

(٢) صلاح البكري، تاريخ حضرموت السياسي، دار الآفاق العربية، الجزء الثاني، صفحة ٥٤.

(٣) صلاح البكري، تاريخ حضرموت السياسي، دار الآفاق العربية، الجزءالأول، صفحة ٧٥.

(٤) صلاح البكري، تاريخ حضرموت السياسي، دار الآفاق العربية، الجزءالأول، صفحة ٧٧.

(٥) صلاح البكري، تاريخ حضرموت السياسي، دار الآفاق العربية، الجزءالأول، صفحة ٧٧.

التالية: «ثم إنهم لم يكتفوا بذلك، فقد ألف بعضهم كتباً لتضليل عقول الناس وتسميم أفكارهم بما يقصونه عليهم من الحكايات الخرافية والدعاوى الكهنوتية»[١]. واتهم العلويون بأنهم كانوا يسعون إلى الملك فقال: «بل طمحت نفوسهم واشرأبت أعناقهم إلى أكثر من ذلك طمحوا إلى الملك فلعبوا في السياسة أدواراً هامة»[٢].

ولعلنا نوضح هذه الجزئية في ابتعاد العلويين عن الملك وكراهيتهم حتى لظاهرة الأبهة بثلاث قصص: أولاها ذكره بن عبيدالله حين قال: (ولذا كان سادتنا العلويون مبتعدين جهدهم عن الظهور حتى لقد ذكر العلامة السيد أحمد بن حسن الحداد في الفوائد السنية والعلامة الجليل محمد بن حسين الحبشي في كتابه العقود اللؤلؤية ما معناه أن العيدروس الأكبر هو أول من أدخل الخلل على طريقة العلويين بمظهره، وأنهم لاموه، وكان الشيخ الجليل نقيب العلويين أحمد باجحدب ينحي باللائمة على الشيخ أبي بكر بن سالم في ظهوره[٣]. وذكر بن هاشم في تاريخ الدولة الكثيرية أنه لما كره السلطان عبد الله بن عمر بن بدر الكثيري الملك وعزل نفسه، ذهب في سنة ١٠٢٤هـ إلى الشيخ الحسين بن أبي بكر بن سالم، وأخبره بعزله نفسه، وقال له: قد جئت إليك فقيراً مختلعاً، وتركت الولاية بين يديك تمضي وتحكم في حضرموت بما أردت فرد عليه الحسين بن أبي بكر: أما الولاية على الناس فلا نرضاها حتى لخادمنا الذي يجر الماء[٤].



بل لقد كره العلويون تولي ولو جزءًا بسيطاً من الإماره والملك، فقد ذكر بن عبيدالله أن الأمير عبد الله غرامة حاكم وسط تريم كان يحب السيد الفاضل الجليل حسين بن عبد الرحمن بن سهل ويفديه بروحه، ولا يخرج عن إشارته، وبلغ به الحال أن تنازل له عن البلدية والمالية

---

(١) صلاح البكري، تاريخ حضرموت السياسي، دار الآفاق العربية، الجزءالأول، صفحة ٧٨.

(٢) صلاح البكري، تاريخ حضرموت السياسي، دار الآفاق العربية، الجزءالأول، صفحة ٧٨.

(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني / ١، صفحة ٢٣.

(٤) محمد بن هاشم، تاريخ الدولة الكثيرية، تريم للدراسات والنشر، صفحة ٩٣-٩٤.

لولا أن خاله الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر لام ابن سهل على الدخول في ذلك الأمر وعاتبه بقصيدته التي تقدمت في موضع سابق، وقال فيها:

يا حسين اعلم أن الشيطنة قد لها ناس   قد لها ناس قاموا في بناها على ساس

بل إنه كان من السهل على العلويين بفضل ما نالوه في حضرموت من المكانة العظيمة أن يؤسسوا لأنفسهم ملكاً بحضرموت لو رغبوا في الملك كما شأنه في ذلك، شأنَ أبناء الشيخ الصوفي الكبير سعيد العمودي زميل الفقيه المقدم جد العلويين، أو كما فعل بقية الزعماء الدينيين مثل الإدريسي بعسير والسنوسي في بلاد المغرب، ولكن لم يغير العلويون بحضرموت طريقتهم في العزوف عن الإمارة والملك طوال ألف ومائة سنة.

ولنعد إلى الأستاذ صلاح البكري الذي يقول عن الحملة البحرية التي سيرتها الدولة العثمانية لمعاونة السلطان غالب بن محسن الكثيري على احتلال الشحر بقيادة السيد إسحاق بن عقيل بن عمر بن يحيى، ومعه ٤٠٠ من العساكر العثمانية[١]، وفيها السلطان عبود بن سالم الكثيري، فقال بالنص: «سافر إسحاق إلى بعض موانئ البحر الأحمر وجمع من المقاهي والبارات قوماً رحل بهم في أربعة مراكب شراعية»[٢].

ويصف السيد إسحاق بن عقيل بن يحيى شيخ السادة بمكة فيقول: «كان متظاهراً بالصلاح والورع والتقوى كثير البكاء أمام الناس»[٣].

وهاجم شيخ السادة بمكة فقال: «وكان إذا أراد المظلوم منهم رفع قضيته لأمير مكة أحاله هذا إلى شيخ العلويين، فيحكم هذا الشيخ بما تمليه نفسه، والويل إذا عاند في الحكم»[٤].

---

(١) محمد أبو بكر حميد، حضرموت فصول من التاريخ والثقافة والثروة، صفحة ٢٩.

(٢) صلاح البكري، تاريخ حضرموت السياسي، دار الآفاق العربية، الجزء الأول، صفحة ١١٨.

(٣) صلاح البكري، تاريخ حضرموت السياسي، دار الآفاق العربية، الجزء الأول، صفحة ١١٧.

(٤) صلاح البكري تاريخ حضرموت السياسي، دار الآفاق العربية، الجزء الثاني، صفحة ٢٣٦.

ولعل الشيخ البكري لا يعرف أن مشيخة السادة كما ذكر العلامة بن عبيد الله كانت امتيازاً اختصت به الدولة العثمانية السادة العلويين بالحجاز، حتى كانت دولة داخل الدولة، إلا أنهم أحبوا أن يشركوا معهم بقية إخوانهم الحضارم في هذا الامتياز.

وفي كتاب البكري كثير من الأمور التي لا يتقبلها العقل السليم مما لا فائدة من ذكره.

ومع أن الأستاذ صلاح البكري عاش أغلب عمره في مصر وحمل جنسيتها فإنه لم يشر بتاتاً، ولم يتعرض في أي من كتبه لمعتقدات المصريين وزيارتهم للقبور والأضرحة مما يفوق بمراحل كثيرة ما يحدث بحضرموت خصوصاً في الفترة التي عاشها البكري في مصر.

وتكلم البكري عن جريدة المنار المصرية في محاضرة له فقال: «إن مجلة المنار من أعظم الأسباب التي هيأت أفكار العرب لقبول دعوة جمعية الإصلاح والإرشاد ومن أكبر الوسائل التي ساعدت جمعية الإرشاد على إزالة البدع والخرافات ففي قلوب الحضارم لصاحب المنار العلامة السيد محمد رشيد رضا فضل لن يبيد»[1].

ولعلي أتساءل هنا كيف ساعدت مجلة المنار المصرية على إزالة البدع والخرافات بحضرموت التي لا يقرأ أهلها صحيفة المنار، بينما فشلت في إزالتها من مصر.

كما أن الشيخ محمد رشيد رضا من أصدقاء السيد محمد بن عقيل بن يحيى إلا أن المنار على ما يبدو استسلمت مع بقية الصحف المصرية لإغراءات الأموال المرسلة من الإرشاديين بإندونيسيا لمهاجمة العلويين والطعن في أنسابهم، وكان البكري وآخرون همزة الصلة بين إندونيسيا والصحف المصرية.

وفي كتاب البكري الثالث رحلة إلى جنوب الجزيرة العربية، وهو كتاب ممتع حافل بالمعلومات والوصف الدقيق، وهو يشبه رحلة الأديب أمين الريحاني في جزيرة العرب والتي ضمنها كتابه ملوك العرب وأهم وجوه التشابه في نظري بين الريحاني والبكري هي تلك

---

(١) محمد أبو بكر حميد، حضرموت فصول من التاريخ والثقافة والثروة، صفحة ٦١.

العلاقة التي جمعت الرحالتين بالموظفين والمسؤولين البريطانيين، كما سنستعرض ذلك بإيجاز في المواضع المناسبة.



الأستاذ صلاح البكري يغادر أسمرة

وفي وداعه السيد محسن السقاف (الثاني من اليمين) وأعضاء الجالية العربية

وقد كانت محطة توقف الأستاذ البكري الأولى في رحلته إلى جنوب الجزيرة العربية مدينة أسمره حيث احتفى به أفراد الجالية العربية، وكان والدي السيد محسن علوي السقاف يحفظه الله يعمل سكرتيراً لنادي الجالية العربية وكان في استقبال البكري ووداعه بالمطار، وقال البكري في رحلته: بعد أن وضعنا حقائبنا في فندق البرقوا الإيطالي الجميل خرجت ورفيقي الإنجليزي وهو مهندس زراعي بالسودان خرجنا لنشاهد المدينة[1].

(١) صلاح البكري، في جنوب الجزيرة العربيه، دار الثقافة الدينية، صفحة ٨.

ولم يتوقف الأستاذ صلاح البكري عن عادته في مهاجمة العلويين رغم أنه نزل في تريم في ضيافة السادة آل الكاف الذين احتفوا به واحترموه، وكان مرافقه في تجوله بالمكلا السيد العطاس إلا أن ما أثار استغرابي أن البكري انتظر في المكلا أسبوعين قدوم المستر برادلي نائب معارف عدن الإنجليزي ليرافقه في رحلته التفتيشية على المدارس القعيطية[١]، ولم يتجرأ أن يسبقه في السفر إلى حضرموت.

وكما أن الأستاذ البكري لا يترك فرصة دون مهاجمة زيارة الأضرحة والأولياء[٢]، فإنه أيضاً يلمز حجاب المرأة من طرف خفي، مع ادعائه أنه ليس من أنصار السفور[٣]، وعلى طريقة الريحاني نجد أن البكري لا يخفي إعجابه بالموظف الإنجليزي المستر برادلي فيقول: «وكان السيد برادلي كثير الصمت قليل الكلام هادئاً رزيناً نشيطاً، وهي صفات حميدة تظهر بوضوح في الإنجليز أكثر من غيرهم من الشعوب»[٤].

كما لا يخفي الأستاذ البكري إعجابه بالمستر انجرامص ونظام الاستشارية البريطانية، فيقول: «فقد فهم بعضهم أن إمداد حضرموت بالمستشارين الإنجليز ما هو إلا مقدمة للتبشير وبناء الكنائس، ولذلك وجد المستر انجرامص صعوبة شديدة في كسب رضاء الشعب، ولكن سرعان ما تلاشت هذه الصعوبة عندما برهنت المستشارية عملياً، على عكس ذلك فقد استخدم الدين الإسلامي في تثقيف الجنود والطلاب والطالبات في المدارس وأصبح مركز الدين يزيد قوة ونشاطاً»[٥]، ولعمري فهي المرة الأولى التي يعتقد فيها شخص أن وجود المستعمر الإنجليزي يزيد الدين قوة ونشاطاً، ولعله لم يطلع على نشاط الاستعمار التبشيري في

---

(١) صلاح البكري، في جنوب الجزيرة العربية، دار الثقافة الدينيه، صفحة ٦١.

(٢) صلاح البكري، في جنوب الجزيرة العربية، دار الثقافه الدينية، صفحة ٥٧.

(٣) صلاح البكري، في جنوب الجزيرة العربية، دار الثقافه الدينية، صفحة ٦٢-٦٣.

(٤) صلاح البكري، في جنوب الجزيرة العربية، دار الثقافه الدينية، صفحة ٦٣.

(٥) صلاح البكري، في جنوب الجزيرة العربية، دار الثقافه الدينية، صفحة ٢٤٦.

السودان وبقية الأقطار الإفريقية، بل حتى في أندونيسيا نفسها التي يعرفها الأستاذ البكري أكثر من غيره، وذكر الأستاذ عمر فروخ في كتابه عن المستشرقين والتبشير ما نصّه[١]: «وبعد أن استولى الإنكليز على عدن اتخذ المبشرون عدن مركزاً يرسلون منه نشراتهم إلى قلب بلاد العرب أو يخالطون القوافل ليبشروا في أهلها» (انتهى).

ثم أفرد الأستاذ البكري صفحة كاملة ليتحدث عن المبالغ الكبيرة التي يصرفها الإنجليز على حضرموت والمشاريع الكبيرة التي قاموا بها والقروض التي قدموها للمزارعين، وأعمال الإغاثه في المجاعة ووصف هذه الأعمال (بأنها تبعث على الدهشة والاستغراب)[٢].

إلا أن مثار الدهشة والاستغراب حقاً هو أن يصل الأستاذ البكري إلى مدينة سيؤن، وفيها الكثير من العلماء والشعراء والمؤرخين، ليس أقلهم العلامة عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف الذي كان يتحرق شوقاً إلى لقائه وفيهم أيضاً المؤرخ السيد صالح الحامدي، ولكن اكتفى في زيارة سيؤن بزيارة (السيد) عمر بن أحمد باكثير الذي رتب له مقابلة مع نائب المستشار المستر وتس. قال الأستاذ البكري: «ذهبنا إلى منزل العصامي السيد عمر بن أحمد باكثير، وهناك قابلت السيد ووتس نائب المستشار الإنجليزي ومساعده السيد محمد عبد القادر بامطرف، وقد أمضينا معهم فترة قصيرة تبادلنا فيها الحديث الودي في مختلف الشؤون، والمستر ووتس يتكلم العربية بطلاقة»[٣]، ثم لا يفوته أن يكيل المديح للمستر ووتس فيقول عنه: «وهو مثل أعلى للتواضع والتسامح واللباقة والكرم فلا غرو إذا أحبه جميع الحضارم على اختلاف طبقاتهم»[٤].

---

(١) مصطفى خالدي وعمر فروخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، الناشر المكتبة العصرية، بيروت، صفحة ١٥٠.

(٢) صلاح البكري، في جنوب الجزيرة العربية، دار الثقافه الدينية، صفحة ٢٤٩.

(٣) صلاح البكري، في جنوب الجزيرة العربية، دار الثقافه الدينية، صفحة ٨٩.

(٤) صلاح البكري، في جنوب الجزيرة العربية، دار الثقافه الدينية، صفحة ٨٩.

ومما أثار استغرابي حرص الأستاذ صلاح البكري على تكرار زيارة المستر وتس قبل رحيله عن سيؤن، إذ قال: «وبعد زيارتنا للمدرسة ذهبنا لزيارة السيد وطس نائب المستشار في منزله الذي يقع خارج سور سيؤن فاستقبلتنا عقيلته بحفاوة بالغة، وبعد فترة من الزمن شربنا فيها الشاي استأنفنا الرحيل»[١]، مع أنه ـ كما قلنا ـ لم يفكر أبداً في زيارة أي عالم أو أديب من أدبائها الكبار الذين كانوا ولا شكّ سيفرحون بمقابلته ويرحبون بقدومه، وما أستغربه بالذات إعراض الشيخ صلاح البكري عن زيارة بن عبيدالله العالم والمؤرخ العظيم الذي نجده يتشوق لمقابلة البكري، كما ذكر ذلك في كتابه الشهير معجم بلاد حضرموت حينما ذكر بلدة ديار بكر فقال: ويسمونها بابكر، ومنهم الشيخ صلاح البكري صاحب التاريخ الذي لم أطلع إلا على الجزء الاول منه ساعة من نهار، فلم أعرف ماذا له وماذا عليه، وبلغني الآن أنه بالمكلا، وما أظنه إلا يحرص على زيارتي كما أني أشتاق إلى مثله، وبي شغف لاستطلاع أخبار النهضة الحضرمية التي تألفت أخيراً بمصر، فقد وردني من رئيسها الشيخ الأديب علي بن أحمد باكثير كتاب بدرجة منشور عن مقاصدها[٢].

إلا أن الشيخ البكري لم يحقق رغبة بن عبيدالله في مقابلته، ولعله كان خائفا أن يكونوا عرفوا تفاصيل ما كتبه عنهم في كتبه رغم أن ذلك لن يفسد للود قضية.

كما يلاحظ إطلاق الأستاذ صلاح البكري لقب السيد على مشائخ حضرموت، وهو أمر لا يسر المشائخ ولا أظنه يعرف ذلك، وكذلك الإصرار على تسمية رجال الإنجليز بالسيد.

ووجه الشبه بين الريحاني والبكري برغم أن الأول مسيحي والثاني مسلم أن الاثنين قد عاشا بعيدا عن مكان اهتمامهما، فقد عاش الريحاني حياته بأمريكا بعد أن سافر إليها طفلاً، وولد البكري بإندونيسيا وقضى أغلب سنين عمره بمصر ثم السعودية. ثم تشابها أيضاً في

---

(١) صلاح البكري، في جنوب الجزيرة العربية، دار الثقافة الدينية، صفحة ١٠٣.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلدان حضرموت، الناشر مكتبة الإرشاد صنعاء، صفحة ٢٤٥.

دقة المعلومات والوصف، وكان البكري متحاملاً على العلويين، بينما كان الريحاني متحاملاً في كثير من الأماكن على المسلمين وعلماء المسلمين، فالريحاني يقول مثلاً على سبيل التهكم: «ومن مظاهر الحج العجيبة أن بعض الحجاج من الهند لشدة إيمانهم وتفجر بركان اجتهادهم كانوا يرمون بأنفسهم في بئر زمزم تبركاً واستغفاراً واعتقاداً منهم أنها أسرع وأسلم طريق إلى الجنة»[١]، ويقول عن منشور استقلال العرب الذي أعلنه الشريف حسين: «ماذا يهمنا من نهضة أساسها سورة البقرة»[٢]، بل ويصف الطرق الصوفية بالحديدة وعدن، وهي مختلفة تماماً عن طريقة العلويين بحضرموت يصفها بطريقة تهكمية مزرية[٣]، ويقول مثلاً عن مقابلته الإدريسي: «ودخلنا إلى المقام الشريف المنيف إلى قدس الأقداس والتقديس إلى مجلس مولانا ابن إدريس»[٤]، كما تشابه البكري مع الريحاني في هذا الكتاب بمدحه الإنجليز، فنرى الريحاني يحيك كلمات الإعجاب بربان الباخرة الإنجليزي فيقول: «هذا الإنجليزي المهذب الفاضل»[٥]، ثم يتناسى الريحاني كل خبرات الملاحين العرب الذين سبروا أغوار البحر الأحمر وينسبها إلى الإنجليز، ثم يختتم مديحه للإنجليز بقوله: «هو الإنكليزي ابن البحار وسيدها. ليعترف بفضله كل من سير باخرة في البحار الشرقية ولجأ إلى علومه ليسلم من الأخطار»[٦].

وكما عرفنا حرص البكري على انتظار المستر برادلي وتكرار زيارة المستر واطس فإن أغلب تحركات الريحاني في رحلته كانت بالتنسيق مع الموظفين الإنجليز مثل الدكتور فضل

---

(١) أمين الريحاني، ملوك العرب، دار الجيل، بيروت، صفحة ٣٦.

(٢) أمين الريحاني، ملوك العرب، دار الجيل، بيروت، صفحة ٦١.

(٣) أمين الريحاني، ملوك العرب، دار الجيل، بيروت، صفحة ٢٨٩ - ٢٩٠.

(٤) أمين الريحاني، ملوك العرب، دار الجيل، بيروت، صفحة ٣٣٨.

(٥) أمين الريحاني، ملوك العرب، دار الجيل، بيروت، صفحة ٣٢٨.

(٦) أمين الريحاني، ملوك العرب، دار الجيل، بيروت، صفحة ٣٢٩.

الدين وكيل بريطانيا السياسي في الحديدة[١] الذي كان إلى جانبه عندما قابل الادريسي، بل قال الريحاني: «كان فضل الدين يدفع عني أحياناً مؤنة المقابلات في النهار»[٢].

وكان هدف الريحاني المعلن من رحلته التي قطع فيها جزيرة العرب من جنوبها إلى شمالها الدعوة إلى الوحدة العربية وتحقيق المصالحة بين الأمراء العرب[٣] مع أن بعض من قابلهم قد تشكك في هدفه، ومنهم بن عبيدالله الذي رافقه على الباخرة التي أقلتهم من الحديدة إلى جيزان، غير أن مجلة الهلال كشفت مؤخراً في عدد فبراير لسنة ٢٠٠٦ عدداً من الوثائق التي تبين أن الريحاني كان جاسوساً، غير أني أعتقد أن الأستاذ البكري قام برحلته بمبادرته الذاتية دون توجيه أو ترتيب مع أي جهة خارجية أخرى.

وتظهر لك مما سبق عظمة الأخلاق العلوية في تصرف بن عبيدالله مع الريحاني الذي تكلم عليه بدون حق، ولم يشأ بن عبيدالله أن يعلق على الموضوع بأكثر مما قال:

وكما تحامل البكري على السادة في حضرموت تحامل الريحاني على السادة بالحديدة وباقي اليمن مثل قوله: «لا يزال للسادة في اليمن حقوق في الأرض وفي الرجال شبيهة بالحقوق التي كانت لسادة الإقطاع»[٤]. (والسيد طمعان كسلان متكبر)[٥]، كما أنه أفرد فصلاً للكلام اللاذع عن السادة بتهامة اليمن[٦].

ومع أن الفتنة الإرشادية المفتعلة قد تلاشت باحتلال اليابان إندونيسيا أثناء الحرب العظمى وطرد الهولنديين المتهمين برعاية هذه الفتن إلا أن البكري بقي على ما هو عليه من

---

(١) أمين الريحاني، ملوك العرب، دار الجيل، بيروت، صفحة ٢٨٠.

(٢) أمين الريحاني، ملوك العرب، دار الجيل، بيروت، صفحة ٣٤٦.

(٣) أمين الريحاني، ملوك العرب، دار الجيل، بيروت، صفحة ٥٢٣.

(٤) أمين الريحاني، ملوك العرب، دار الجيل، بيروت، صفحة ١٨٩.

(٥) أمين الريحاني، ملوك العرب، دار الجيل، بيروت، صفحة ١٩٠.

(٦) أمين الريحاني، ملوك العرب، دار الجيل، بيروت، صفحة ٣٦٢-٣٦٧.

شتم العلويين، مثله في ذلك مثل الجنود اليابانيين الذين بقوا بعد انتهاء الحرب العظمى في حالة حرب في جزر المحيط النائية دون أن يعرفوا بانتهاء الحرب واستسلام الإمبراطور للحلفاء منذ أربعين سنة. ولكننا لا نريد أن نذكر إلا محاسن الأستاذ البكري بعد انتقاله إلى جوار ربه خصوصاً وأنه رحمه الله قد عانى في شيخوخته كثيراً بعد أن تركته زوجته شيخاً وحيداً، في الوقت الذي كان في أشد الحاجة إلى وجودها وعنايتها، فعانى في الأيام الأخيرة من عمره من الشيخوخة والوحدة والمرض.

ومن أمثلة كتابات الأستاذ البكري المتكررة عن العلويين قوله في تاريخ حضرموت السياسي: «لقد بذل آل باعلوي كل مستطاع في توطيد مركزهم الروحي، وتظاهروا بالصلاح والتقوى، وعملوا بكل ماعرفوا به من الدهاء لجلب الناس إلى تقديسهم والتبرك والتوسل بهم، ولقد نجحوا في ذلك وفازوا بالسلطة الروحية دون غيرهم. ولقد توطدت هذه السلطة عندما شرع آل باعلوي يبنون القباب على بعض موتاهم رحمهم الله ويدعون الناس إلى تقديس تلك المقابر والتوسل بها وتقديم النذور والقرابين لها، هكذا أصبح الحضارم يقدسون آل باعلوي الأحياء منهم والأموات ويتبركون بهم ويتوسلون إليهم في قضاء الحاجات ويقدمون لهم القرابين والنذور لموتاهم رحمهم الله لجلب الرزق وإطالة العمر وإزالة المرض وغفران الذنوب ودفع الخطوب وتفريج الكربات».

ثم إنهم لم يكتفوا بذلك، فقد ألف بعضهم كتباً لتضليل عقول الناس وتسميم أفكارهم بما يقصونه عليهم من الحكايات الخرافية والدعاوي الكهنوتية.

ثم قال الأستاذ البكري: «ولم يقفوا عند ذلك الحد لم يقنعوا بتضليل عقائد الشعب الحضرمي وتسميم أفكاره لم يقنعوا بما نالوه من السلطة الروحية بل طمحت نفوسهم واشرأبت أعناقهم إلى أكثر من ذلك طمحوا إلى الملك فلعبوا في السياسة أدواراً هامة»[١].

---

(١) صلاح البكري، تاريخ حضرموت السياسي، دار الآفاق العربية، صفحة ٧٧-٧٨.

وعندما تحدث الأستاذ البكري عن قبر نبي الله هود عليه السلام قال: «وحاول بعض الدجالين الذين عجزوا عن مواجهة الحياة وفشلوا في الحياة الاقتصادية فأرادوا الرزق عن طريق القربان والنذور حاول هؤلاء أن يصرفوا الناس عن حج بيت الله الحرام فأقاموا بناءً مستديراً وقالوا للناس إن هذا المكان الذي انشقت فيه الصخرة»[١]، وعندما تحدث عن قبائل آل باعلوي في تاريخه السياسي قال: «ولآل باعلوي على وجه العموم سلطة روحية نافذة، ولم تأتهم هذه السلطة من طريق القوة ولا ابتاعوها بالحرب وإنما نالوها بالتظاهر بالصلاح والتقوى ودعوى الانتساب لأهل البيت فسلطتهم تشبه إلى حد كبير سلطة مشايخ الصوفية وأرباب الطرق والمقامات في مصر وغيرها من البلاد الإسلامية. ولقد أكسبتهم هذه السلطة حب الشهرة والظهور بمظاهر الكبرياء والترفع عن غيرهم من طبقات الشعب وعدم التنازل لهم»[٢].

ولا أعتقد أن أي عاقل يعرف تاريخ حضرموت وأحوال أهل حضرموت يمكن أن يتقبل كلام البكري سامحه الله وأنا لا أرى فائدة من التعليق على كلامه، كما لا أرى فائدة من الرد مثلاً على افتراءات سلمان رشدي عن الإسلام ولا على سباب الصحف الدنماركية لرسول الإسلام ﷺ، مع أننا نحب رسولنا أكثر من حبنا أنفسنا وآباءنا وأهلينا. ومن يقرأ فصول هذا الكتاب الذي بين يديك الآن سيعرف صورة العلويين الحقيقية وفضلهم على حضرموت وأهل حضرموت، ونترك البكري رحمه الله ومن سبقه من طبقات العلويين منذ ما يزيد عن ألف عام في جوار العزيز الجبار ليكافئ المحسن على إحسانه والمسيء على إساءته، وهو الحكم العدل والبر الرحيم.

---

(١) صلاح البكري، في جنوب الجزيرة العربية، دار الثقافة الدينية، صفحة ٩٨.

(٢) صلاح البكري، تاريخ حضرموت السياسي، دار الآفاق العربية، صفحة ١١٨.

كتب أخرى:

ولا يمكن أن يكون البكري آخر من يكتب عن العلويين ويتحامل عليهم، بل سياقي مثله كثير. ولقد قرأت كتاب الشحر عبر التاريخ فوجدت أن كاتبه قد خرج عن الموضوع وذكر التصوف بغير علم ولا معرفة، ثم تكلم على ما نسب للفقيه المقدم من شطحات الصوفية، وذلك خلال فترة الغيبوبة الطويلة التي سبقت وفاته[١]، ولم يرجع لرأي العلماء أمثال ابن تيمية الذي قال في هذا الباب في صفحة ٣٣٧ من كتاب السلوك من مجموع الفتاوي: «ويحكم على هؤلاء أن أحدهم إذا زال عقله بسبب غير محرم فلا جناح عليهم فيما يصدر عنهم من الأقوال والأفعال المحرمة، بخلاف ما كان سبب زوال العقل والغلبة أمراً محرماً ... وكما أنه لا جناح عليهم فلا يجوز الاقتداء بهم ولا حمل كلامهم وفعالهم على الصحة، بل هم في الخاصة مثل الغافل والمجنون في التكاليف الظاهرة»[٢].

وقد تكلمنا عن الصوفية والتصوف بحضرموت في بحث منفصل بهذا الكتاب فليراجعه من يريد، كما لم يتوثق كاتب هذا الكتاب من معلوماته فذكر: «إنه لما أبطل السلطان مولد الحبشي سنة ١٣٠٩هـ أجر جماعة باطويح عبداً يصيح تحت القبر وفسره باطويح وجماعته للناس أن السيد علي الحبشي يحتج من قبره على إبطال المولد»[٣].

ولم يعرف الكاتب بأن هذه الحادثة جرت في حياة الحبيب على بن محمد الحبشي الذي توفي سنة ١٣٣٣هـ ولم تكن بنفس الطريقة التي ذكرها، كما ذكر نفس الكاتب أن بعض علماء البلد لا ينكرون على الذبح وعمل الولائم والخروج بها إلى الأضرحة لتقديسها[٤].

---

(١) خميس حمدان، الشحر عبر التاريخ، الآفاق للطباعة والنشر، صفحة ١٧٤.

(٢) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، ١٣٩٢هـ صفحة ٣١.

(٣) خميس حمدان، الشحر عبر التاريخ، الآفاق للطباعة والنشر، صفحة ١٧٥.

(٤) خميس حمدان، الشحر عبر التاريخ، الآفاق للطباعة والنشر، صفحة ١٧٧.

ولعل مشكلة الكاتب في عدم الاطلاع وإلا لما قال ما قاله لو قرأ ما كتبه بن عبيدالله بعد إيراده الخلاف الذي صار بين منصب الحزم والحبيب سقاف بن محمد (١١١٥-١١٩٥هـ) وهي قصة طويلة وردت في موضع آخر بين ثنايا هذا الكتاب، والحاصل أنه لما حصل التصافي جاء المنصب إليه بشاة على عادة أهل حضرموت إلا أن بن عبيدالله علق على ذلك في تاريخ بضائع التابوت بقوله: «أما الشاة التي يقودونها فمعاذ الله أن تذبح بمرأى من الجد سقاف للتعظيم لأن أنهار الدم عبادة ففعلها لغير الله من الشرك الظاهر»[1]. انتهى.

لقد ذكرنا من أخلاق العلويين وعبادتهم وورعهم وتواضعهم في هذا الكتاب ما يغني عن الإعادة في هذا المقام.

والواقع أن بغض الإمام علي وأهل بيت النبي موجود منذ عصور الإسلام الأولى وإلى اليوم، قال بن عبيدالله في بضائع التابوت[2]: غلب ظني أن أول من عوديَ في الإسلام بسبب داء الكمال هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، فلقد كان أهل البصرة يبغضونه، وكثير من أهل الكوفة وأهل المدينة كانوا كذلك. وأما أهل مكه فإنهم كانوا يكرهونه قاطبة، وكانت قريش بأسرها على خلافه، وكان جمهور الخلق ولاسيما بالآخرة مع بني أميه عليه. وروى عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمن بن أبي بكرة قال سمعت علياً عليه السلام يقول: ما لقي واحد من الناس ما لقيت، وروى الشعبي عنه أنه كان يقول اللهم إني استعديك على قريش فإنهم قطعوا رحمي ولا أصفوا إنائي وصغروا عظيم منزلتي وأجمعوا على منازعتي. وروى أبو عمران النهدي عن علي بن الحسين أنه كان يقول: ما بمكة والمدينة عشرون رجلاً يحبنا ولله در ابن أبي الحديد في قوله:

طامنت مجده قريش فأعطـ ـته إلى سدرة السماء رقيا

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ٢٠٠.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ١٨٨.

أخمدت صيته فطار إلى أن | ملأ الأرض ضجة ودويا

وقال الآخر:

لقد كتمت آثار آل محمد | محبوهم خوفاً وأعداؤهم بغضا
ولكن فشت بين الفريقين نبذة | بها ملأ الله السماوات والأرضا

وكان الإمام علي كرم الله وجهه يقول لقومه: لقد ملأتم قلبي قيحاً وشحنتم صدري غيظاً وجرعتموني نغب السهام أنفاساً حتى قالت قريش إن ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب. لله أبوهم، وهل أشد لها مراساً مني؟ لقد دخلت فيها دون العشرين، وها أنا قد ذرفت فيها على الستين، ولكن لا رأي لمن لا يطاع. (انتهى).

هذا ولم يقتصر بغض العلويين على بعض الحضارمة بل شاركهم في ذلك بعض الإفرنج الذين كرهوا الدور الذي يقوم به العلويون في نشر الإسلام، وفي توجيه المسلمين بعدم الرضوخ لحكم الأجانب. وسنذكر في هذا الباب بعض القصص ونبين دلالاتها.

ففي سنة ١٣٣٠هـ قام الحبيب علوي بن عبد الرحمن المشهور (١٢٦٣-١٣٤١هـ) برحلة إلى شرق أفريقيا واستقبل في تنزانيا استقبالاً عظيماً، وانتهز الفرصة كعادته لنشر الدعوة وإصلاح أحوال الناس بتلك الجهات. ولما دخل ممباسه وقع له استقبال عظيم حتى أن الحاكم الإنجليزي ومساعديه استغربوا هذه الاستقبالات، ولما استفسروا أخبروهم بأنّ المشهور داعية للدين الإسلامي، فأمر الحاكم الإنجليزي أن تفرض عليه رقابة مشددة طيلة إقامته بالبلاد، وزيادة في الاحتياط كان حاكم ممباسه يحضر اجتماعات المسلمين الحاشدة مع الحبيب علوي ويستمع إلى كلماته التي تترجم له ترجمة فورية[1].

---

(١) أبو بكر المشهور، لوامع النور، دار المهاجر للنشر والتوزيع، الجزء الأول، صفحة ٩٢.

ولما زاد إقبال الناس على الحبيب علوي المشهور وكثرت تجمعات المسلمين واحتفالاتهم معه ضغط حاكم ممباسا على مستضيفي الجد علوي وأمرهم بتسهيل أمر سفره لخارج البلاد، ولترضية الحبيب علوي قدم الحاكم لهم مبلغاً من المال ليقدموه هدية للحبيب.

ورفض الحبيب علوي أخذ المبلغ، وعزم على السفر ولكن بعض مستضيفيه وخواصه كلّفوه بقبول المال لوصوله له من غير طلب، فوافقهم الحبيب علوي على أن يأخذوا بهذا المبلغ أخشاباً ومعدات بناء ويشحنوها إلى المكلا لبناء مسجد هناك(١).

وقد أتم الحبيب علوي بناء هذا المسجد بالمكلا سنة ١٣٣٠هـ ووقف أرضه وجميع ما عليها من البناء لصالح المسجد. (انتهى).

كما يتبين لنا كره حاكم ممباسا الإنجليزي للعلويين ما ذكره عنهم في تقريره عن الحضارمة بجزيرة ممباسا، وقال فيه: «ونخص بالذكر مجموعة غير محبوبة من المهاجرين المؤقتين من الأشراف الذين يزورون البلاد مرة في العام، يجمعون فيها ما يستطيعون جمعه من الأهالي، كما أنهم عنصر خطر يؤجج عدم الرضا والشعور بالسخط بين جاليتهم، ويستقر البعض منهم ولكنه يعيش عالة على الآخرين ولا يعمل شيئاً»(٢) (٣).

وجرت للحبيب علوي بن عبد الرحمن المشهور قضية مشابهة في جاوا ذكرها بن عبيدالله في معجمه فقال: إن شيخنا العلامة عثمان بن عبد الله بن يحيى أثني عليه بحضرة المستشرق الهولندي سنوك فرغب في الاجتماع به، ولما حضر المستشرق الهولندي إلى بيت السيد عثمان بن يحيى تأخر السيد علوي ولم يحضر بإيعاز من بعض أصحابه، فغضب المستشرق وكاد

---

(١) أبو بكر المشهور، لوامع النور، دار المهاجر للنشر والتوزيع، الجزء الأول، صفحة ٩٢.

(٢) دبليو اتش انجرامص، حضرموت ١٩٣٤-١٩٣٥م، تعريب د. سعيد النوبان، دار جامعة عدن للنشر، صفحة ١٦٩.

(٣) أبو بكر المشهور، لوامع النور، دار المهاجر للنشر والتوزيع الجزء الثاني، صفحة ١١٥.

يسيء الظن بالوالد عثمان، وكانت النتيجه نفي الوالد علوي من جاوا بعد أن دعي إلى المحكمة مراراً وأوذي بطول الانتظار الذي لا تحتمله قلوب الأحرار (انتهى)[١].

وقد فصّلت في فصل آخر من هذا الكتاب الدور الذي لعبه المستشرق الهولندي سنوك خورنييه في محاربة الإسلام والحضارمة المسلمين بإندونيسيا.

وجرت للحبيب عبد الله بن عمر بن يحيى (١٢٠٩-١٢٦٥هـ) مع الهولنديين بإندونيسيا قصة مشابهة أيضاً، ذلك أنه لم يابه بسطوة الحكومة الهولندية، وأفتى ببعض الفتاوى التي رأت هذه الحكومة أن فيها ما يشعر بإنكار حقوق سيطرتها على الجزر الجاوية، فأرسلت شرطتها للقبض عليه وأحاطت الشرطة ببيته، وانفض العرب الذين كانوا عنده من حوله ما عدا الحبيب أحمد المثنى بن أحمد بافقيه، ولم تهاجم الشرطه منزلهم، ولكنهما بقيا محاصرين في البيت لعدة أيام حتى تمكنا من التسلل ليلاً والوصول إلى سفينة شراعية نقلتهما إلى فليمبان في قصة طويلة[٢].

ومن أخبار التحامل على العلويين قيام المستشار الإنجليزي انجرامص بعزل السيد حامد المحضار الذي خلف والده في رئاسة الوزارة القعيطية، وذكر السيد حامد هذا العزل فقال: «وأمر انجرامس السلطان أن يكتب لي إيقافا عن العمل»[٣].

أما سبب العزل فيذكره السيد حامد ويقول: «لأن انجرامص وحكومته لا يرون أنهم يستطيعون إخضاع السلطان لما أرادوا بسهولة ما دمت إلى جانبه»[٤].

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مطبعة الإرشاد صنعاء، صفحة ٥١٢-٥١٣.

(٢) محمد علوي بن يحيى، شرف المحيا، تريم للدراسات والنشر، صفحة ٣٦-٣٧.

(٣) حامد بن أبي بكر المحضار، ترجمة الزعيم حسين بن حامد المحضار، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، صفحة ٢٨٥.

(٤) حامد بن أبي بكر المحضار، ترجمة الزعيم حسين بن حامد المحضار، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، صفحة ٢٨٦.

كما عمل المستشار الإنجليزي على إبعاد العلويين والرجال المخلصين من حول السلاطين، ولهذا فقد أشار المستشار كما يقول الباحث السيد جعفر السقاف الذي كان يعمل بمحكمة سيؤن على السلطان جعفر الكثيري بعزل السيد علوي بن عبد الله السقاف عن القضاء فعزل.

ولكن ماذا كانت النتيجه؟ يقول العم حامد في كتابه: «إن بريطانيا تدخلت في كل شؤون حضرموت تدخلاً أرغم السلاطين على رفع أيديهم عن كل مقدراتهم، وجعل الأمر كله وقفاً على المستشار الإنجليزي، وأصبح السلطان موظفاً، وربما كان بعض الموظفين أكثر نفوذاً منه لقوة صلته بالمستشار». انتهى[١].

ومع أن علاقة الجد العلامة بن عبيدالله لم تكن على ما يرام مع السلاطين بسبب كراهيته للتدخل الأجنبي واتجاهاته الإسلامية نحو الدولة العثمانية وأئمة اليمن إلا أنه لم يسلم من عداوة المستشار انجرامس الذي اتهمه في كتابه بالانتماء إلى جماعة الإخوان المسلمين، كما قال العم حامد المحضار: «ومن أغرب الغريب أن يقول انجرامس إن السيد ابن عبيد الله كان عضواً متقد الحماس في جمعية الإخوان المسلمين، بينما لم تكن الجمعية قد وجدت أو عرفت يومئذ، أي في التاريخ الذي حدده هو سنة ١٩١٦». انتهى[٢].

قال بن عبيدالله في بضائع التابوت[٣] وكان قائد الجيوش العثمانية بلحج يكاتبني، وبعث إلي بوثيقة تقتضي اعتراف الموقعين عليها بتبعيتهم للدولة العثمانية وطاعتهم لها وكلفني حمل الأمراء والرؤساء على إمضائها، فلم أزل بهم حتى وقعوا عليها، فغضبت لذلك

---

(١) حامد بن أبي بكر المحضار، ترجمة الزعيم حسين بن حامد المحضار، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، صفحة ١١٩.

(٢) حامد بن أبي بكر المحضار، ترجمة الزعيم حسين بن حامد المحضار، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، صفحة ٢٨١.

(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني / ٢، صفحة ١١٥.

حكومة عدن وبذلت الأموال الطائلة لمن يغتالني، وكلفت السلطان غالب بحرب آل حضرموت بسبب توقيعهم على تلك الوثيقة، وتهددت الموجودين منهم بسنقورا بالحجز على أموالهم. (انتهى).

ولما ذكر بن عبيدالله المعاملة الطيبة التي تلقاها من الإيطاليين استغرب أنه لم يلق مثلها من انجرامس الذي زاره في بيته عدة مرات، كما قال: «ولم يعاملني أحد من الإفرنج مثل هذه المعاملة حتى الضابط انجرامس مع أنه كثير الزيارة لي إلا أن السياسة لها ألوان، والدعايات تفعل كل شيء وتجمع ما بين الأضداد». (انتهى)[١].

ولعل انجرامس في زياراته لبن عبيدالله كان يحاول أن يتسقط الأخبار ويزيد معرفته عن تاريخ حضرموت وكانت تلك طريقة انجرامس في جمع الأخبار، فقد أسس بالمكلا اجتماعاً لكبار موظفي الدولة القعيطية، كما نقله العم حامد عن انجرامس الذي قال في كتابه عن حضرموت إن هؤلاء الموظفين «يحتسون معاً شراب القهوة أو الشاي معي في كل مساء، وكنت أدفع التكاليف من بند الاحتفالات المصدق به لي، وكان عددنا يصل إلى ثلاثة وعشرين»[٢]، ثم قال انجرامس: «وهذا مكنني من سماع كل ما كان يدور من القيل والقال»[٣].

قال بن عبيد الله: غير أن الضابط انجرامس أطال الإقامة بحضرموت وسواحلها، وكان مقداماً قوي الإرادة لا يتقيد بالقوانين، وقد عرف موضع الضعف من الحكومة القعيطية، وعرف أكثر منها عند الحضارمة بعدما عجم عودهم وساعده المتصلون به على

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ٢١٩.

(٢) حامد بن أبي بكر المحضار، ترجمة الزعيم حسين بن حامد المحضار، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، صفحة ٢٣٤.

(٣) حامد بن أبي بكر المحضار، ترجمة الزعيم حسين بن حامد المحضار، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، صفحة ٢٣٤.

توطئة مناكبهم، حتى لقد أخبرني الولد النبيه عبد الرحمن بن علي بن حسن بلفقيه عنه أنه قال (أي انجرامس): كنت أرى الحضارم في عيني أمثال الأسود، ثم أصبحت لا أراهم إلا كالفيران[١].

ثم قال بن عبيد الله عن انجرامس: «وكثيراً ما يزورني فأعجب بذكائه وتقع بيننا محاورات منها أنه قال إن القضاء الشرعي ليس بكاف لحراسة العدل، فقلت له بلى، ولكن القضاة بساحل حضرموت وداخلها صاروا حجة عليه فلا عبرة بهم، أما القضاء وقانونه الشرعي فلا أفضل منه للعدل وحراسته أبداً، وأنا مستعد لكل إشكال تورده عليه، وعرفت من تكريره هذا في عدة مجالس أن في نفسه أشياء قد يمهدها له قضاة الجور بسوء صنيعهم»[٢].

وطبيعي أن انجرامس لم يكن مهتماً بإقامة العدل في حضرموت بقدر ما يخطط لمحاربة الشريعة الإسلامية، كما فعل اللورد كرومر في مصر، بينما نجد الآن من الغربيين أنفسهم من يقول بأن الشريعة الإسلامية ستكون الأساس لخلافة إسلامية، وقالوا أيضاً إن ترك أحكام الشريعة الإسلامية كان السبب في سقوط الإمبراطورية العثمانية، فقد صدر في الولايات المتحدة كتاب جديد لأستاذ القانون بجامعة هارفارد نوا فيلدمان قال فيه: «إن الصعود الشعبي للشريعة الإسلامية مرة أخرى في العصر الحالي رغم سقوطها سابقاً يمكن أن يؤدي إلى خلافة إسلامية ناجحة، لكن بشروط. وقال إن الامبراطورية العثمانية بدأت تتهاوى حينما دخل الإصلاحيون ومرروا إصلاحات داخلية تحت ضغوط الغربيين من أصحاب الديون، وكان من نتيجة هذه التغييرات تغيير النظام القضائي الإسلامي واستبدال العلماء والقضاة بقوانين وضعية، مما أدى إلى سقوط الخلافة العثمانية وتقسيم أملاكها بين القوى الغربية بقيادة فرنسا وبريطانيا»[٣].

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ١٦٦.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ١٦٦.

(٣) ملحق الرسالة لجريدة المدينة بجدة، الجمعه ٤ أبريل ٢٠٠٨، صفحة ٨.

كما أن انجرامس مثله مثل كثير من الاستعماريين لا يكتب عندما يعود إلى بلده إلا سلبيات العرب والمسلمين فهو يقول عن بن عبيدالله مثلاً: «كنت أعرف هذا السيد لقد كان قاضياً بارعاً ذا عقل ملتوٍ، حتى أنه يستطيع دحض أي فتوى تصدر من أعظم فقيه ويجعلها تعني النقيض مما قصد منها كان خداعاً بالفطرة يكيد للنظام القائم سواء مع الأتراك أو الطليان أو الإمام أو أي أحد، وأصبح عضواً متقد الحماس في جماعة الإخوان المسلمين إنه السيد عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف»[1].

وأنت ترى الفرق بين أخلاق بن عبيدالله الذي كان يكره الإنجليز ويحب الأتراك ولكن لم يمنعه شنآن قوم على أن لا يعدل، فكتب عن انجرامس ما سبق أن ذكرناه، ثم قارن ذلك بما كتبه انجرامس الذي استقبله بن عبيدالله في بيته على الرحب والسعة رغم كرهه للإنجليز فوصف بن عبيدالله بتلك الأوصاف السلبية الكاذبة.

ولا يختلف انجرامس عن بقية الكتاب الاستعماريين في كتاباتهم عن المسلمين. وقد لاحظ القادري بإندونيسيا تركيز المستشرقين والاستعماريين على السلبيات عند كتابتهم عن العرب والمسلمين في إندونيسيا، فكتب يقول: «ولكن هذه هي طبيعة الكتاب الاستعماريين وهي إبراز سلبيات الإندونيسيين الذين اعتبروهم معارضين للحكومة الهولندية، فإن المجاهد ديبانجرا لم يكن في نظرهم مدافعاً عن بلده ودينه، ولكن قالوا عنه إن الهولنديين أخذوا أرضه التي هي ملكه، وقالوا عن الحبيب عبد الرحمن الزاهر في آشيه (وهو قائد المقاومة في آشيه) إنه استسلم للحصول على مبلغ ضخم للتقاعد، وقالوا عن عبد الرحمن القادري الذي كان يحارب السفن الهولندية والفرنسية والإنجليزية في بونتياك إنه قرصان»[2].

---

(١) حامد بن أبي بكر المحضار، ترجمة الزعيم حسين بن حامد المحضار، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، صفحة ٢٧٧.

(٢) حامد القادري، كفاح أبناء العرب ضد الاستعمار الهولندي، ترجمة د. زكي باسليمان، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، صفحة ٣٩.

وقد فند السيد العلامة حامد المحضار تخرصات انجرامس عن بن عبيدالله فقال: «ليس لما ذكره أصل إلا ما تحدث به عن فضل ابن عبيدالله كعالم كبير من محبي الإمام يحيى»[١]، ثم قال: «أما زعم انجرامس بأن ابن عبيدالله يتباهى بأنه يستطيع أن يجعل الشريعة الإسلاميه عرضة للتلاعب، بحيث يجعل الباطل حقاً والحق باطلاً فإنه من الكذب الصارخ، وابن عبيدالله أجلّ وأكبر من أن يكون متلاعباً بالشرع كما يدعي انجرامس»[٢].

وقال السيد حامد المحضار أيضاً: «ومن أغرب الغريب أن يقول انجرامس إن السيد ابن عبيدالله كان عضواً متقد الحماس في جمعية الإخوان المسلمين، بينما لم تكن الجمعية قد وجدت أو عرفت في التاريخ الذي حدده انجرامس وهو سنة ١٩١٦م إذ إن اجتماع بن عبيدالله بالسيد حسن البنا كان في الستينيات الهجرية»[٣].

وتعرض بن عبيد الله لقصة أخرى مع الإنجليز كادت تودي بحياته يرويها في بضائع التابوت فيقول: «وقد اتفق أن حضر جماعة من أمراء المحميات بعدن في أواخر سنة ١٣٢٩هـ عازمين على الركوب إلى الهند بدعوة من الإنجليز لشهود الاحتفال بملكها جورج الخامس، وكنت أنا يومئذ بعدن، فعينت الحكومة لركوبهم باخرة يقال لها دلهوزي، فركبت معهم بدلاً عن السلطان غالب بن عوض القعيطي إذ تأخر عنها لمعرفته ببطئها وآثر الركوب في باخرة البريد، فعوملنا بها مع الأمراء معاملة حسنة وقتما كانت راسية، ومكّنونا من الجلوس على مقاعد الدرجة الأولى في الصالون الواسع، حتى إذا ما أقلعت الباخرة قلبوا لنا ظهر المجن

---

(١) حامد بن أبي بكر المحضار، ترجمة الزعيم حسين بن حامد المحضار، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، صفحة ٢٧٩.

(٢) حامد بن أبي بكر المحضار، ترجمة الزعيم حسين بن حامد المحضار، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، صفحة ٢٧٩.

(٣) حامد بن أبي بكر المحضار، ترجمة الزعيم حسين بن حامد المحضار، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، صفحة ٢٨١.

وأخرونا مع الأمراء إلى الدرجة الثانية، وكنت أنا والسلطان حسين بن أحمد الفضلي في مخدع واحد مكثنا فيه عشرة أيام»[١].

ثم قال بن عبيدالله: «ومن سوء معاملة أهل تلك الباخرة لنا أنهم أجروا ذات يوم تمرينات عسكرية للغرق بدون أن يشعرونا بذلك، فحدث لنا فزع عظيم ولم نشك أن الباخرة غارقة ولا سيما أنها وقفت في البحر قبل ذلك فرمموها، ولقد أخذت أنا والسلطان حسين أداة االسباحة، وبينما نحن صاعدون إلى سطحها لنقفز إلى البحر تداركنا الله بمن كشف لنا الحقيقة وأظنه السلطان فضل بن أحمد بن فضل فقلدنا بذلك منة عظمى». انتهى[٢].

ونختم هذا الفصل بكلام للحبيب محمد بن هادي السقاف عن إساءة الظن بالعلماء والأولياء فيقول: وأما من أساء الظن بهم مثل المبتدعة الذين يعترضون على الأولياء وينكرون عليهم فلا يكون حظهم إلا المقت والطرد من رحمة الله لأن الله تعالى يقول: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بحرب». ومن كان هكذا يبغض الأولياء يُخشَى عليه من سوء الخاتمة والعياذ بالله[٣].

❊ ❊ ❊

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني/ ٢، صفحة ١٤٣.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني/ ٢، صفحة ١٤٤.

(٣) محمد شيخ المساوي، المنحة الإلهية في الرحلة الحجازية، مخطوطة، صفحة ٢٧١.

الفصل السابع والستون

الجرائم ضد العلويين

نبدأ هذا الفصل بالرجوع إلى بدايات وجود العلويين بحضرموت، فقد ذكر الأستاذ محمد الشاطري في أدوار التاريخ الحضرمي أن السلطان المعاصر للإمام علوي بن محمد صاحب مرباط (والده توفي بمرباط سنة ٥٥٦هـ) وهو كما تقول بعض المصادر راشد بن شجعنه، لم يتورع عن دس السم مراراً له مع تظاهره له بالصداقة وقبول شفاعاته وذلك لخوفه من توجه الناس إلى الإمام علوي وخوفاً من أن يأمرهم بالخروج عليه[١].

وقال الأستاذ الشاطري كما ضايق وإلى تريم من فيها من الصلحاء والعلماء وطلب منهم أن يختاروا له أفضلهم فوقع الاختيار على الإمام سالم بن بصرى (توفي سنة ٦٠٤هـ) فدبر هذا الوالي خطة للقضاء على سمعة هذا الإمام وسمعة علماء تريم حتى تذهب هيبتهم فلا يطيعهم الناس إن أمروهم بمخالفته، ولأجل ذلك نصب الوالي شركاً للإمام سالم بن بصرى ليوقعه في مفسدة خلقية مع إحدى الفتيات الجميلات ولكن الله عصمه لمتانة خلقه وقوة دينه وصادق تقواه[٢].

ثم نعود لعصر متأخر من عصور العلويين بحضرموت لنعرف ما تعرض له الحبيب أحمد بن زين الحبشي قال بن عبيدالله في المعجم: كان الحبيب أحمد بن زين داعياً إلى الله وجبلاً

(١) محمد بن أحمد الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي، الناشر عالم المعرفة، صفحة ١٧٣.

(٢) محمد بن أحمد الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي، الناشر عالم المعرفة، صفحة ١٧٣.

من جبال العلم وركناً من أركان الإسلام وكان يصلي ببلدة الغرفة في مسجد ينسب لبعض الفقراء ويدرس لهم العلم فحصل من أولئك الفقراء أذىً فتحمله وما زالوا يؤذونه حتى أخرجوه من المسجد وأخرجوا كتبه وتعرضوا لمن يتردد عليه فلم ينزعج ولم يظهر إلا الصبر والثبات لكنه انتقل إلى الحوطة الغربية وبنى بها مسجده وداره وتوفي فجأة بالحوطة سنة ١١٤٤هـ (انتهى) [١].

وقد يتعرض العلويون للخطر من جهة ورعهم عند توليهم القضاء، من ذلك أن السلطان محسن بن عمر أراد من الحبيب سقاف بن محمد السقاف المتوفى سنة ١١٩٥هـ أن يوليه على بعض اليتامى فامتنع الحبيب سقاف مما حمل السلطان على تهديده بالقتل فلم يستجب فأرسل إليه عبده ليقتله فترصده العبد حتى رآه خارجا من بستان محبه الشيخ عمر الصبان فصوَّب بندقيته وأطلق عليه رصاصة لكنها لم تصبه بمقتل وسقط مغشياً عليه من صوت الضرب وسامح العبد قبل أن يصل الأرض حتى لا يموت قبل أن يسامحه [٢].

وقد حصل مثل ذلك أيضاً لابنه الحبيب علوي بن سقاف المولود بسيؤون في حدود ١١٧٢هـ أثناء قضائه الذي تولاه مرغماً لأنه لم يكن أحد يماثله في العلم والفقه، كما ذكره الجد علوي بن عبد الله السقاف في التلخيص الشافي، وقد أوذي من أهل السطوة والنفوذ أذية بالغة لأنه لم يوافقهم على ما يريدوه من مخالفة الشرع الشريف في قضية من القضايا، فهددوه بالذبح أربعين مرة وربما صبوا الدم من الميزاب بعد دخولهم بيته ليروعوا أهله بأنه قد تم ذبحه فيصيحوا ويخيفوه ولكنه لم يستجب لهم ولم يوافق هواهم [٣].

وممن تعرض بالأذية للعلويين عبد الله غرامة حاكم تريم، وقد ذكرنا في فصل آخر من هذا الكتاب كيف قام غرامة بحبس السادة آل الجنيد والاستيلاء على أموالهم وذكر بن

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلدان حضرموت، مطبعة الإرشاد، صفحة ٣٠٣.

(٢) الحبيب حسن بن سقاف السقاف، نشر محاسن الأوصاف، دار الحاوي، صفحة ٢٠٧-٢٠٨.

(٣) علوي بن عبد الله السقاف، التلخيص الشافي، صفحة ١٠٤.

عبيدالله في بضائع التابوت أن الأمير عبد الله غرامة أرسل في سنة **١٢٢٩** عبيده لأذية أهل المسيلة ولما وصلوها ألقى الله عليهم الهيبة فأحجموا عنها، ولكنهم عند انصرافهم عنها التقوا بالسيد سالم بن أبي بكر عيديد فقتلوه ظلماً.

قال بن عبيد الله: ومن أخبار غرامة أنه حمل السادة بتريم على الإفتاء بقبول مرجوح يوافق غرضه، ثم أرسل عبيده إلى السيد عبد الله بن عمر بن يحيى يطلب مصادقته على هذه الفتوى وقال لعبيده: إن لم يكتب المصادقة عليها بخطه فاقتلوه، ولما وصلوا عند الحبيب عبد الله بن عمر وأخبروه شاور أمّه وكانت على جانب من العلم والفضل عظيم، فقالت وأعجبي منك يا عبد الله أوفي هذا رأي لقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يسافرون المسافات البعيدة في طلب الشهادة وقد جاءتك الشهادة إلى بيتك فكيف تتأخر عنها فمزق الكتاب في وجوههم حتى أفتخر بك إن قتلوك واحتسبك عند الله ففعل ما قالت له أمّه ومزق الكتاب في وجوههم، وألقى الله عليهم الهيبة وكفاه شرّهم (انتهى)[١].

وحدثت للحبيب عبد الله بن عمر بن يحيى قصة مشابهة في جاوا تدل على جرأته وتمسكه بتعاليم الشريعة المحمدية مهما كانت الظروف، ذلك أنه لما كان بجاوا سئل عن أمور أفتى فيها بما رأته الحكومة الهولندية ينكر حقوق سيطرتها، فقررت القبض عليه وأحاطت شرطتها بالبيت الذي يقيم فيه وانفض العرب من حوله ولم يبق إلا السيد أحمد المثنى بافقيه، لكنهما تمكنا بعد أيام من اختراق الحصار المضروب عليهما والتوجه إلى سفينة شراعية أقلتهما إلى فليبمان [٢].

وذكر بن عبيد الله تعرض الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي للأذية من حساده حتى إنهم أوعزوا إلى شخص متمكن من السحر أن يسحره ففعل، ولما انكشف الأمر جاءوا

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء، صفحة.

(٢) محمد علوي الحضرمي، شرف المحيا، تريم للدراسات والنشر، صفحة **٣٦**.

بالرجل إلى الحبيب عيدروس فاعترف وعزم الشيخ صالح بن محمد بلفاس على قتله، لكن الحبيب عيدروس منعه واكتفى منه بالتوبة، إلا أن هذا الرجل خان عهده وعاود السحر برشوة كبرى ولما عرف أمره هرب عن حضرموت واشتهر أمره خارجها فقتل [١].

وذكر بن عبيد الله في بضائع التابوت [٢] أنه صدرت بحقه اساءات من الشيخ صالح عبيد بن عبدات، منها أنه كتب للدولة الكثيرية يأمرهم بتسليمي لحكومة عدن التي غضبت من الوثيقة التي أرسلها قائد الجيوش العثمانية بلحج، فأمضيتها من سلاطين ورؤساء القبائل بحضرموت يعترفون فيها بتبعتهم للدولة العثمانية وطاعتهم لها، مما دفع حكومة عدن لرصد جائزه لمن يغتالني، ثم قال بن عبيدالله: ومنها أنه أمر أحد عسكره من العوامر أن يدعوني ليلاً حتى إذا خرجت أطلق علي الرصاص وأرضى السلطان منصور بن غالب في ذلك فوافق بدسائس بعض العلويين ولكن عصم الله بالأجل وهاب العامري الموقف وخذلهم الله أجمعين (انتهى).

وذكر بن عبيد الله جريمة قتل تعرض لها أحد العلويين المتأخرين فقال في المعجم أنه في ليلة ٢٧ من رمضان سنة ١٣٥٩هـ قتل ناصر بن عوض السيد بو بكر بن عبد الرحمن العيدروس ظلماً بجامع تاربة والجامع يغص بالناس وبجماعات من قبائل العوامر فما تحرك أحد لقتله، واعتذر العوامر بأن لا شأن لهم بعدما بسطت الحكومة الكثيرية نفوذها عليهم، وهرب القاتل إلى نجد العوامر حيث تزوج وبقي يتردد إلى داره بتاربة سراً في بداية الأمر ثم في العلن بعد ذلك ويقال أن الحكومة الكثيرية جدت في طلبه فسافر إلى السواحل الإفريقيه[٣].

وعلى عكسه كان أخوه سالمين بن عبد الله الذي قال عنه بن عبيدالله: كان من أحسن

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلدان حضرموت، الناشر مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٣٣١.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ١٤٦.

(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلدان حضرموت، مطبعة الإرشاد، صفحة ٤٤٧.

الناس سيرة وأصفاهم سريرة وقد أسس مدرسة الرياضة العربية بممباسة وقام بمصالحها، وهو الرئيس الأول لها ويعاونه على التدريس فيها الشيخ صالح بن علي باكثير. (انتهى) [١].

وفي أيام الحكم الاشتراكي تعرض كثير من العلويين وغير العلويين للتعذيب والقتل وأورد عوض العرشاني في كتابه الإرهاب الشيوعي في اليمن الجنوبي قصصاً يشيب من هولها الولدان ومنها ماتعرض له السيد أحمد بن صالح الحداد البالغ من العمر ٧٠ سنه ببلدة نصاب، فقد ذكر العرشاني: أنه في سبتمبر من سنة ١٩٧٢ طلبت منه مسيرة الغوغاء النزول من داره للاشتراك في المسيره التي تطالب (بتحرير المرأه) ولبى السيد الدعوة رهبة من البطش وما أن فتح باب منزله حتى أوثقوه بالحبال وسحلوه في طرقات بلدة نصاب وهم يهتفون «سحقاً للكهنوت .. لا كهنوت بعد اليوم» واشترك الغوغاء في تعذيبه، فمنهم من ضربه على رأسه بالفأس أو الحجارة ومنهم من داسه بنعله حتى فارق الحياة وترك في العراء ليوم كامل ومنعت أسرته من أخذ جثته ودفنها. (انتهى)[٢].

ومن أساليب الترويع خلال هذه الفترة ما ذكره العرشاني من مداهمة المنازل بعد منتصف الليل لخطف الضحيه[٣]، وقد خطف خلال هذه الفترة العلامة السيد محمد بن سالم بن حفيظ ولم يعرف مصيره إلى اليوم.

ومن الجرائم الفظيعة التي تعرض لها العلويون بحضرموت في السنوات الأخيرة ولأسباب فردية قتل السيد الصالح عبد القادر الروشن بمدينة سيؤون فقد خرج السيد عبد القادر لصلاة الفجر في المسجد الملاصق لبيته حيث كان يتولى بنفسه الأذان وإمامة الصلاة، ولما انتهى من الأذان وبدأ في التهليل دخل عليه شخص وطعنه في جنبه وفر هارباً وسقط السيد والمكرفون في يده وهو يتشهد بمسمع من الجيران الذين لم يعرفوا ما حصل إلا بعد أن

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلدان حضرموت، مطبعة الإرشاد، صفحة ٤٤٦.

(٢) عوض العرشاني، الإرهاب الشيوعي في اليمن الجنوبية، صفحة ٢٠٤-٢٠٥.

(٣) عوض العرشاني، الإرهاب الشيوعي في اليمن الجنوبية، صفحة ١٦٩-١٧٠.

حضر المصلون لصلاة الفجر، وقد هرب القاتل وترك السيد يتشحط في دمه إلا أن السلطات قبضت على القاتل فيما بعد واعترف بجريمته التى سببها تطرفه الديني وأودع السجن ثم مات في سجنه ندماً على فعلته.

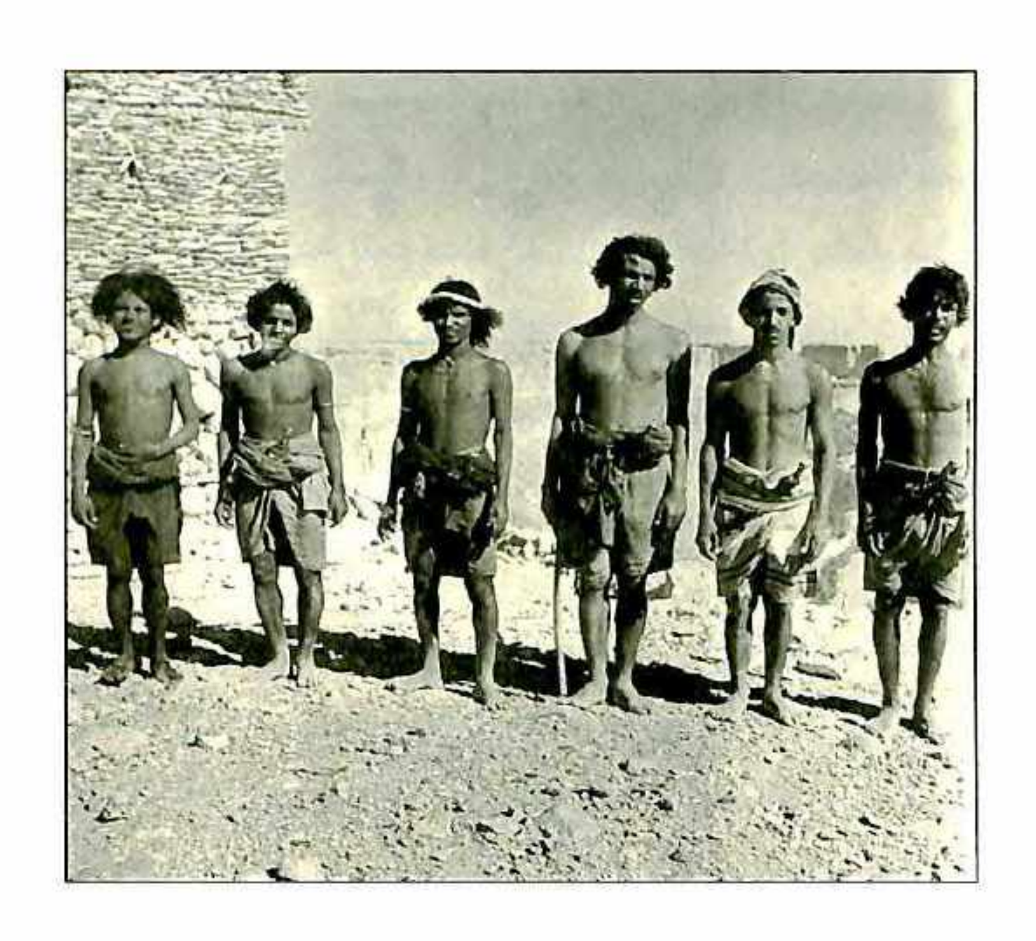
هذا وقد يتعرض بعض العلويين للقتل في حوادث نادرة على يد العلويين أنفسهم قال بن عبيدالله عندما ذكر الثري عمر بن علوي باعقيل المتوفى بسربايا من أرض جاوة حوالي سنة ١٣٢٨هـ قال: وخلف أولادا منهم محمد السابق ذكره، ومنهم أحمد قتله السيد محمد بن عبد الله بن عمر البار ظهر النار علناً وهو راكب سيارته في الطريق العامة بسربايا (انتهى)[١].



(١) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صفحة ١٩٥.

الفصل الثامن والستون

العلويون والبادية



قال بن عبيدالله في بضائع التابوت[١] وأنا من أنصار البادية ومادحيها على تفضيل لم آله تدقيقاً في كتابي بلابل التغريد، ولهذا فإنني أنبسط ما بين الشحر وحضرموت وما بين مكة والمدينة قبل دخول السيارات، ويعجبني هواء البادية وأكل أهلها على ما فيه من خشونة، كما أتعب كثيراً إذا سافرت في الحواضر وقدمت لي الألوان من الطعام، ويقل أكلي وينقص وزني. وفيما ذكرته بكتاب العود الهندي الكفاية للتدليل على فضل البادية وذكر عدة أبيات لعدد من فحول الشعراء لا يتسع المجال لذكرها (انتهى).

وعندما ذكر ابن عبيد الله ما حصل بين قبيلة الحموم والدولتين القعيطية والكثيرية قال[٢]: إن في احتكاك أهل البادية بالحاضرة بلاء شديد، فعن أبي شجرة كثير بن مرة عن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «لن تنفكوا بخير ما استغنى أهل بدوكم عن أهل حضركم، قال ولتسوقنهم السنين والسنات حتى يكونوا معكم في الديار ولا تمنعوا منهم لكثرة من سيرد عليكم منهم يقولون طالما جعنا وشبعتم وطالما شقينا ونعمتم فواسونا اليوم. ولتستصعبن بكم الأرض حتى يغبط أهل حضركم أهل بدوكم من استصعى بالأرض. أخرجه الحاكم وصححه غير أن في سنده سعيد بن سنان قال الذهبي إنه متهم» (انتهى).

ومع خشونة أهل البادية إلا أن بينهم وبين العلويين احترام ومحبة متبادلة، وتشهد على ذلك القصص التي وجدتها متفرقة في كتبهم، ومن ذلك الأبيات التالية التي قالها أحد البدو واسمه أحمد بن سعيد ووجهها للحبيب مصطفى بن أحمد المحضار[٣] (١٢٨٢ - ١٣٧٤هـ):

يالهاشـمي قـال بـدويك دركنـي دراك

كل ماطلع ظرك ظهرت لـه ثـلاه ظـراك

شي من كذا يلكع الخاطر وشي من كذاك

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ١٨١.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ١٧٧.

(٣) محمد بن عبداللاه المحضار، خواطر وأفكار وحكم وأسرار، تريم للدراسات والنشر، صفحة ٢٧.

فرد عليه الحبيب مصطفى من فوره:

خريف في الأرض بايشرب بنجم السماك
يابن سعيد أسعد الله كل ليلة مساك
من بايزوج عياله مالقي الا كماك

ويتقبل العلويون الحكمة والرأي الحصيف من أي شخص كان ومهما بلغوا من العلم أو من السلطة، كما تدل على ذلك القصة التالية. قال بن عبيدالله: «ولقد شهدت اجتماع الحموم بالشحر في سنة ١٣٣٣هـ متنازعين لدى السيد حسين بن حامد المحضار في كثير من القضايا المهمة ولما تحير في تفصيلها قال له رئيسهم حبريش: ردها لي يا بن حامد وأنا أحكم فيها على شرطين: أحدهما أن تجعل لي ألف ريال، والثاني أن أضع أنا ألف ريال، فإن نقض حكمي شرع أو عرف كنت في حل من ألفي. قال بن عبيدالله: فامتد عنقي لذلك البدوي الأغبر الذي لم أعرفه من قبل وأكبرت تحديه للشرع، وقلت له هبك أمنت النقض من جهة العرف والعادة لإتقانك لهما، فمن لك بالأمان من جهة الشرع أفتعرفه؟ فقال لا، ولكني سأخدم بالعدل والعدل لا يتغير ولا يمكن نقضه بحال، فأكبرت ما في طي تلك الأسمال البالية وتحت تلك اللحية الشعثة من الحكمة التي ابتعدت عن مجالس القضاة اليوم»[١]. (انتهى).

واشتهر كثير من أهل حضرموت بالفطنة والذكاء، ذكر منهم بن عبيدالله آل سعيد وهم سكان هشيمة من قرى جعيمة، فقال: ولآل سعيد شهرة بالفطنة. ومن حكامهم عبود بن بدر بن سلامة بن سعيد بلغ من ذكائه أن رجلاً من آل شبام أكل تمراً هو وامرأته، ثم قال لها: إن لم تميزي نواي من نواك فأنت طالق ثلاثاً، فأعيت على كثير من العلماء، فسئل عنها فقال: تجعل كل نواة وحدها وتنحل اليمين، وهذه الفتوى هي عين ما يقوله الفقهاء في المسألة[٢]، فهذه شهادة قيمة من مفتي الديار الحضرمية.

---

(١) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صفحة ٢٣٧-٢٣٨.
(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صفحة ٢٨٢.

قال بن عبيد الله في المعجم[١]: ومن اللطائف أنّا كنا يوماً نتذاكر مساعدة فلسطين، فقال لنا بدوي من آل كثير اسمه محمد بن سالمين: ولم هذه المساعدة؟ فقلنا له: إن اليهود يريدون الاستيلاء على بلاد العرب، فقال أو ليس النصارى مثل اليهود، وقد سعى بعضكم أيها السادة في بيع حضرموت عليهم والثمن مع ذلك منهم لا من النصارى فكان جواباً مسكتاً. (انتهى).

ووصف بن عبيد الله في أدام القوت ورع الشيخ جعفر بن علي بن عانوز، وهو من رجال القبائل الذين شاركوا في موقعة المحائل، فقال وهو من الصدق والورع بالمحل الأسنى: وكيف لا يكون كذلك وقد شملته عناية شيخ الوادي الحبيب حسن بن صالح البحر وتأدب به، وكان لا يغيب عن مجلسه ولا مجلس سيدي الأستاذ الأبر عيدروس بن عمر الحبشي من بعده، ثم مجلس سيدي الوالد عبيدالله بن محسن من بعدهم، ومما يدل على أن الحبيب حسن بن صالح كان يحبه أن له معه عدة مكاتبات يقول له فيها إلى الولد جعفر بن علي

قال بن عبيد الله: ومن ورع الشيخ جعفر أنه طلب مني ولم يكن سني يتجازر التاسعة أن اكتب له كتاباً للشيخ أحمد بن محمد بارجاء، وكلما أطلق عليه وصفاً تحرج فيه حتى لم يستقر رأيه الا على المكرم المحترم[٢].

وكان العلويون يحاولون جهدهم إرشاد رجال البادية وتعليمهم أمور الدين، ولهم في ذلك قصص كثيرة، منها أن السيد محمد بن سالم بن حفيظ عرف أن الباديه بجهة سناء من بلاد حضرموت لا يحسنون الصلاة فشد إليهم الرحال لإرشادهم وتعليمهم الصلاة، لكنه لم يستطع إرشادهم كما يريد، فقرر أن من الأفضل أن يأخذ أحد أبنائهم إلى تريم لتعليمه التعليم الديني في مدرسة الرباط، حتى يتولى دعوتهم وهو بينهم مقيم، فطلب من مقدمهم أن يرسل معه ابنه إلى تريم ليلحقه بمدرسة الرباط. وتعلم الولد وأحسن التعليم، ولما اطمأن عليه الحبائب أرسلوه إلى قومه، وبعد شهر ذهب الحبيب محمد بن سالم بن حفيظ يستطلع

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صفحة ٣١٩.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني جلد ٢، صفحة ٥٨.

نتيجة هذا التعليم وقصد بيت المقدم وساله عن حال ابنه فقال له المقدم: «هذا الولد أتعبنا وحوش بنا (ضايقنا) كل ساعة يقول صليه (صلاة) الصبح صليه والظهر صليه وبالليل صليه صليه فعرف السيد بن حفيظ أن التعليم لم يؤت ثماره بعد».

وفي كلام الحبيب عبد الله بن عمر الشاطري[١]، قال: سِرنا مرة إلى الغيل غيل بن يمين للدعوة إلى الله لأننا رتبنا معنا جماعة من طلبة العلم، وسيرنا كلاً منهم لمكان، ثم اجتمعنا في ضيافة بعض الإخوان، وحضر بدوي وسألناه تزوجت أو عادك؟ فقال البدوي: كيف أتزوج ياحبيب والحرمة عندنا مهرها اثناعشر مائة وزيادة، حتى قال البدوي إن البنت ما تتزوج حتى تأتي بثلاث فروخ.

واستفز هذا الكلام الحبابيب والعلماء وعرفوا بتقصيرهم في تعليم البادية بهذه الناحية، فذهب لهم بعد ذلك الحبيب عبد الله الشاطري بنفسه ومعه اثنا عشر من طلبة العلم بتريم، منهم الشيخ أبو بكر بن أحمد الخطيب (المتوفى سنة ١٢٩٠هـ)، ومكثوا بالغيل عشرين يوماً، وأقبل عليهم الناس وانتفعوا بهم وصاروا يؤدون الصلاة جماعات حتى امتلأ الجامع في الغيل في صلاة الجمعة بعد أن كانوا يصلون الجمعة صفاً واحداً[٢]. (انتهى).

وتكلم الأستاذ محمد الشاطري في شرح الياقوت النفيس عن تقصير العلماء في نشر الدعوة الإسلامية فقال وللأسف انك تجد في قلب الجزيرة أناسا لا يعرفون الإسلام أبدا والمسلمون مقصرون في نشر الدعوة وقد شاهدنا هذا بالفعل فقد كانت جمعية الأخوة والمعاونة بتريم ترسل دعاة إلى البوادي والأودية وهناك وجدنا أناسا جهالا للغاية إلى حد أن يقول البعض منهم الصلاة لا تصلح لي ولا أقدر أصلي لأنني اذا صليت تموت ركابي ولا ندري من غرز هذا الاعتقاد في عقولهم[٣]. (انتهى).

---

(١) مجموع كلام الحبيب عبد الله بن عمر الشاطري، دار العلم والدعوة، صفحة ٢٠٩.

(٢) مجموع كلام الحبيب عبد الله بن عمر الشاطري، دار العلم والدعوه، صفحة ٢١٠

(٣) محمد بن أحمد الشاطري شرح الياقوت النفيس الجزء الثالث دار الحاوي للنشر صفحة ٢٦٢

إلا أن عقيدة بعض أهل البادية عقيدة طيبة كما تدل عليها هذا القصة، قال بن عبيدالله في بضائع التابوت[1]: وأخبرني السيد علوي بن عبد الله الحبشي صاحب رحاب أن الحبيب أحمد بن حسن العطاس كان يحترم أحد الصيعر واسمه عون، وكان من أكبر قطاع الطريق فلامه أصحابه، فقال: غداً تعرفون خبره، فجاءه عون في الصباح التالي فسأله الحبيب أحمد: هل تعرف ربك؟ قال نعم، هو الذي خلق الجبال ورفع السماء وهو الذي يطعمني ويسقيني. فقال له تعرف نبيك ﷺ؟ فقال له: نعم، فقال له معي لك كلام لا يكون ببالك منه لأن لك الخيار فيه، فقال: هات، قال: أنت رجل فقير وقد دفعك فقرك إلى النهب وقطع الطريق وبالأمس أرسل صالح بن عبد الله النهدي ستمئة ريال، وقال: من أراد أن يبيع نصيبه من شفاعة النبي بمائة ريال فخذوه لي، فهل تريد أن تبيع نصيبك يا عون منها بمائتي ريال؟ فحمي الشيخ عون وقال: ومن رفع سبعاً وأوطأ سبعاً لو غيرك قالها لما أجبته إلا بخنجر في لبته، والله لو قالوا لي الدنيا كلها بنصيبي من شفاعة محمد بن عبد الله ما رضيت (انتهى).

هذا وتنبغي الإشارة إلى أن ما أوردناه من الكلام السابق إنما كان في فترة مضى عليها حوالي المائة سنة، أما اليوم فأهل البادية لا يقلون عن أهل الحاضرة في التمسك بالدين وإقامة فروضه وتطبيق أحكامه. وقد انتشرت عندهم المدارس والمساجد وكثر حفاظ القرآن والمتعلمون بينهم.

هذا ومن الحوادث الغريبة التي سببها تشابه الأسماء أن الحكومة القعيطية كلّفت في سنة ١٣٦٩هـ السيد أبا بكر بلفقيه، وهو من أهل تريم ويعمل مديراً للمدرسة الابتدائية بالغيل كلفته بالذهاب إلى قرية عرف، وهي من بادية الشحر، وتسكنها قبائل الحموم لأجل الترتيب لافتتاح مدرسة ابتدائية.

وكان الحموم موتورين من قيام الطائرات البريطانية بضرب مناطقهم ويعتقدون أن

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ١٠١.

الشيخ عبد القادر بافقيه الذي يعمل بسكرتارية الدولة القعيطية بالمكلا هو الذي حرض المستشار انجرامس على ضرب معاقلهم.

ولما وصل السيد أبو بكر بلفقيه ظنه البادية بافقيه، رغم لباسه العلوي المميز فأمسكوا به وهددوه بالقتل رغم أنه حلف لهم بأغلظ الأيمان أن لا دعوى له بالسكرتارية، وأنه ليس بافقيه، وبقي السيد أبو بكر تحت الخطر حتى وصل من الشحر بعض من السادة وتعهدوا للحموم بأن بلفقيه هو غير بافقيه فأخلوا سبيل السيد وعادوا به معهم للشحر، ولكن مشروع المدرسة لم يتحقق[١] (بتلخيص).

وفي سنة ١٣٨٠هـ قامت طائرة من المهرة متوجهة إلى مطار الريان بالمكلا وعلى متنها جنود من جيش البادية الحضرمي، ولما وصلت الريان عجزت عجلاتها عن النزول فأفرغ الطيار حمولتها من الوقود، وهبط بها على الكثبان الرملية بمنطقة دفيقة بلا عجلات، ولما استقرت على الرمال كسر الجنود زجاج النوافذ ببنادقهم وخرجوا جميعاً سالمين ولم يصب أحد منهم بسوء[٢].

* * *

(١) خميس حمدان، الشحر عبر التاريخ، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صفحة ٢١٢-٢١٤.
(٢) خميس حمدان، الشحر عبر التاريخ، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صفحة ٢١٨.

الفصل التاسع والستون

السادة من حملة السلاح (بدو السادة)



هذا وبقي نفر من السادة يعيشون عيشة البادية ويحملون السلاح، وذكر منهم السيد محمد الشاطري [١]:

١ـ آل مولى الدويلة، وهم بيت زين وبيت قطبان وبيت حسين، وهذه القبيلة مرجعها إلى آل الحبشي وهم يسكنون مناطق آل تميم بوادي المسيلة وغيل بن يمين.

٢ـ آل الشيخ أبي بكر وهم مناصب يافع العليا في المحمية الغربية استوطنوا عينات في وادي المسيلة، ومنهم بادية في الخون ووادي عمد ويبعث والغيضة، ومنهم مستقرون بوادي بن علي وساه.

٣ـ بيت حموده ويعرفون بسادة الحموم، وهم حملة سلاح واستوطنوا غيل بن يمين ونواحيها، وكانوا يدخلون في أي حرب أو مهادنة تقع بين الحموم وغيرهم.

٤ـ ومن العطاس بادية يحملون السلاح ويعيشون في وادي حجر، كما يوجد قسم منهم في رضوم ببلاد الواحدي.

٥ـ آل بن حيدر ويسكنون وادي جردان وينحدرون من آل الحامد

٦ـ ومن آل السقاف بادية في غيل بن يمين يشتركون في حل المشاكل المحلية مع مقادمة الحموم، ويتولون الإشراف على الأوقاف.

٧ـ آل مديحج، ويسكنون غيل بن يمين وريدة المعارة ويتولون القضاء الشرعي وتعليم الصبيان وكتابة الوثائق الشرعية بين البوادي وامامة المساجد.

وقال الأستاذ محمد الشاطري [٢] إن معظم البيوت العلوية السابقة تنتسب إما إلى أحمد بن أبي بكر السكران أو إلى محمد مولى الدويلة أو إلى أحمد بن الفقيه المقدم، وهؤلاء القبائل

---

(١) محمد بن أحمد الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي، عالم المعرفة، الجزء الثاني، صفحة ٣٨٤.

(٢) محمد بن أحمد الشاطري، المعجم اللطيف لقبائل وبطون السادة بنى علوى، صفحة ٦١-٦٢.

العلوية البدوية لم يعودوا يعرفون من تراث آبائهم إلا أنهم سادة من آل باعلوي وفيهم شجاعة نادرة ولهم وقائع في حروبهم.

أما آباؤهم فقد كانوا متصلين بأهل البوادي لتعليمهم وإرشادهم لأمور دينهم ودنياهم والإصلاح بينهم وقد تزوج بعض أولئك الآباء عند بعض القبائل البدوية مع احتفاظهم بصفاتهم العلوية التي تلاشت فيما بعد بالتدريج في أبنائهم حتى أصبحت تلك السلالات بدوية محضة (انتهى).

قال بن عبيدالله [١]: وفي أوائل عام ١٣١٨هـ أقبل الحجاج من المكلا إلى حضرموت في قافله كبيرة حمالتها من العوابثة، وفيها السيد سالم بن محمد بن علي بن علوي السقاف، ومعه ابنة له وجارية وفيها أيضا السيد عبد الرحمن بن عبد القادر بن حسن بن صالح البحر والشيخان عوض وأحمد أبناء الشيخ بكران الصبان وغيرهم. ولما انتهوا إلى موضع يقال له الكعش أقبلت عليهم قوم مختلطة من الحموم والعوامر والمناهيل وبيت حمودة وبيت قطبان العلويين يقرب عددهم من الاربعمئة فلم يقصدوا أحداً من السفر بأذى قط ولكنهم أخذوا أكثر المال، ولم يتركوا لهم إلا ما تشتد حاجتهم إليه وكل ما زعموا لهم اختصاصه بالنساء، وهذه من محاسن شطار حضرموت لذلك العهد وما قبله. وما كادت العوابثة وسيبان تعلم بذلك حتى وتجمهرت وانتهزت الفرصة لاعتقادها أن هؤلاء القوم مخذولون بانتهاكهم حرمة الحجيج وكانوا يطالبونهم بثارات فاهتبلوها وتبعوهم على نية أن يثأروا منهم ويردوا المنهوب إلى أهله فلاقوهم ونشبت بينهم الحرب وقتلوا منهم زهاء الخمسين حتى جيفت تلك البقعة من قتلاهم التي ذهبت طعمة للطير والسباع، ثم إن نفوس العوابثة وسيبان لم تطب برد النهب بعدما حصل في أيديهم وأخذوا يقتسمونه فلم يكن من القوم السابقين إلا أن عطفت عليهم وأخذتهم على حين غرة وكثر القتلى من الجانبين حتى زادت على المائة، ثم تحرجت جماعة من سيبان من الغنيمه لما رأت من شؤمها فأقبلت بشيء لا يذكر منه إلى حضرة

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ٨٣.

العلامة السيد أحمد بن حسن العطاس فرده إلى صاحبه السيد سالم بن محمد وكان لهذه القضية دوي عظيم ونبأ منتشر إذ لم يكن لها نظير في كثرة القتلى وتقلب الدوائر في أسرع وقت (انتهى).

ولعل هذه الحادثة تعطي فكرة عن تورع قطاع الطرق بحضرموت عن التعرض للحجاج رغم الحاجة والفقر الشديد وهذا مما يميزهم عن البادية التي كانت تمتهن أيام حكم الأشراف قطع الطريق ونهب الحجاج وقتلهم حتى بلغ بهم الأمر كما ذكر صاحب مرآة الحرمين أن قتل أحد هؤلاء الأعراب حاجاً فلم يجد معه سوى ريال واحد فقيل له امن أجل ريال تقتله فاجاب البدوي الريال أفضل منه.

هذا وكان العلويون مهتمون بإرشاد هؤلاء السادة الذين يعيشون عيشة البادية قال بن عبيدالله [1]: وكان الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر مهتماً بإرشاد السادة آل الشيخ أبي بكر بن سالم إذ يترتب على إرشادهم الخير التام والنفع العام، وكان له اعتناء عظيم بتهذيب المناصب وتثقيفهم وتأديبهم فاتفق مع جماعة من العلويين على إرسال الحبيب عمر بن عبد الله بن عمر بن يحيى إلى عينات فسار إليهم غير أنه تشدد في الدعوة وأغلظ على السادة ولم يسايسهم فلم يقبلوا منه ولم يأخذوا عنه بل أساء بعضهم الأدب إليه.

وفي سنة ١٢٦٦هـ طلب الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر من الجد محسن بن علوي السقاف أن يسير إلى عينات، فسار إلى عينات ومعه أولاده الصغار وخادمه عبدون باصالح الذي يحسن الغناء والسماع فكان ذلك أول ما يبدأ به حتى إذا اجتمع السادة وطربوا تكلم فيهم ووعظهم وذكرهم فقبلوا منه وتأثروا بكلامه وتبرأ الكثير من أزيائهم المشابهة لأزياء القبائل وما جاءت الجمعة إلا ونصفهم في لباس أبيض وعمائم بيضاء وأكثر ما أطربهم وشوّقهم ما سمعوه من لسانه عن آبائهم وأجدادهم من مكارم الأخلاق وأحاسن الشمائل (انتهى باختصار بسيط).

---

(١) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ٢٠٦.

ومما يدل على خشونة حملة السلاح من العلويين ما رواه الجد العلامة في ترجمة الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي فقال[١]: إنه ورده شيخ من السادة آل الشيخ أبي بكر بن سالم ومعه ولده فدخلا بجفاء وغلظة وسلما تسليماً منكراً ولما استقرّ به المجلس أخرج علبة النشوق وأخذ منها حصة وافرة وقال: خذ يا عيدروس. فألطف له الحبيب عيدروس القول وألان له الجانب وقال : لا نحبه ثم قال يا عيدروس ما جئنا إلا لنسألك عن الربا ونطلب منك رخصة فيه فما لنا سبب سواه فالتفت إليه بهمة تغلبت حتى على جثمانه فامتلأت جثته وامتدت قامته ولم يزلْ يعاتبه بكلام ألين من الدهن بالليل حتى انماع الشيخ كما ينماع الملح في الماء فجدد التوبة وبدل الهيئة ودخل بهيئة البدوي الجاف وما خرج إلا بطهارة العذب الصاف (انتهى).

وذكر ابن حميد في تاريخه [٢] أن مجموعة من السادة والعرب ذهبوا إلى شعب هود في الخامس من شعبان سنة ١٢٦٧هـ وبكّر بعضهم بالعودة منهم الحبائب عيدروس وعبد الله أبناء الحبيب صالح بن الحسن بن صالح ولكن لما دخلوا مضيقاً في الطريق وجدوا اثنين بهيئة البدو المسلحين وقد كمنوا لنهب من ظفروا به من ضعفة الزوار فرمى أحدهم السيد عبد الله بن صالح فاصابه في دماغه فخر ميتاً، وهربا وتبين فيما بعد أنهما من بدو السادة من بيت حمودة.

وقد تحدث حوادث مماثلة من العلويين من غير حملة السلاح كما تدل على ذلك الحكاية التالية: قال بن عبيد الله في المعجم [٣]: في سنة ١٣٢٤هـ كان الفاضل الرقيق شيخ بن محمد الحبشي عائداً من تريم إلى سيؤن مع جماعة من أهل الثروة فعرض لهم جماعة من بدو آل عامر فنهبوهم وأخذوا دوابهم وما عليها فجاء سيدي عيدروس بن حسين العيدروس وآل أحمد بن زين لمراجعتهم في ذلك، ولما أثر فيهم كلام الحبيب عيدروس بن حسين وبخعوا له برد

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، ديوان الشعر، مطبعة البيان العربي، صفحة ٣٢٥.

(٢) سالم بن حميد الكندي، تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة، مطبعة الإرشاد، المجلد الثاني، صفحة ٣٨٥.

(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مطبعة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٤٢٧.

المنهوب نفسه آل أحمد بن زين فزينوا لهم اقتسامه فلم يردوا إلا الدواب مع شيء يسير من المال بدراهم تسلموها من المنهوبين (انتهى).

هذا؛ ولا يغب عن بالنا: أن هذه الحوادث حدثت في حضرموت قبل أكثر من مائة سنة، حيث كانت هذه الحوادث هي الغالب على حياة حضرموت كلها، بل ربما لا يمكن مقارنة هذه الحوادث بما ساد حضرموت في تلك الفترة من حوادث مريرة، وحروب كبيرة، شملت الحواضر والبوادي، والتي سنذكر جزءا منها في هذا الكتاب، كما لا يمكن الحكم على أحوال البادية سواء من السادة وغيرهم بأفعال أناس معدودين، ورهط قليلية، في فترة زمنية بعيدة.



الفصل السبعون

العلويون والكوارث الطبيعية بحضرموت



من آثار السيل بحضرموت شوال ١٤٢٩هـ

لقد ذكرت في المقدمة أنه لولا الهجرة العلوية إلى حضرموت لهلك ثلث أهل حضرموت في الحروب القبلية ولهاجر الثلث الثاني خارج حضرموت هجرة أبدية، ولهلك الثلث الأخير من الحضارمة بالكوارث الطبيعية والأوبئة والمجاعات.

وقد فصلنا في هذا الكتاب دور العلويين في إطفاء الفتن وإيقاف الحروب، وأوردنا نصائح زعمائهم مثل الحبيب أحمد بن عمر بن سميط (١١٧٧-١٢٥٧هـ) والحبيب محسن بن علوي السقاف (١٢١١-١٢٩٠هـ)، وذمهم للهجرة الأبدية، وترغيبهم الناس على البقاء في حضرموت والصبر على معيشتها.

أما الكوارث الطبيعية والمجاعات التي أصابت حضرموت فكان العلويون يبذلون الجهود لتخفيف آثارها كما سنقرأ في الفصل التالي عن الحبيب مصطفى بن أحمد المحضار (١٢٨٢- ١٣٧٤هـ) بالقويرة، وقرأنا في فصل سابق عن الحبيب سقاف بن محمد (١١١٥- ١١٩٥هـ) بسيؤن. كما لا يتوقف صلحاء العلويين عن الدعاء في كل الأوقات بحفظ حضرموت وأهل حضرموت وكل ديار الإسلام.

وقد أخبرنا القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى حفظ كثيراً من البلاد بمن فيها من الصالحين، فقد حفظ أهل مكة من سيوف المسلمين الفاتحين لوجود نفر من المؤمنين، كما قال تعالى في الآية ٢٥ من سورة الفتح: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

وفسّر الزمخشري الآية بقوله: إنه كان بمكة قوم من المسلمين مختلطين بالمشركين غير متميزين منهم ولا معروفي الأماكن، فقيل: ولولا كراهية أن تهلكوا ناساً مؤمنين بين ظهراني المشركين وأنتم غير عارفين بهم فيصيبكم بإهلاكهم مكروه ومشقه لما كفّ أيديكم عنهم. ولو تزيلوا أي لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض لحصل العذاب على الذين كفروا.

وقال الله تعالى في سورة هود: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ۞ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٦-١١٧].

قال الشعراوي: ولولا هنا تحضيضية، وقال الزمخشري: والمعنى (فهلا كان)، ومعنى أولوا بقية كما ذكره الزمخشري أي أولو فضل وصلاح ينهون الناس عن الفساد في الأرض، وتفسير ﴿مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ﴾ أي اتبعوا شهواتهم.

وأما الآية التي تليها فقد قال الزمخشري في تفسيرها: استحال في الحكمة أن يهلك الله القرى ظالماً لها إيذاناً بأن إهلاك المصلحين من الظلم. ويفهم من الآيات أن الحفظ من عذاب الله كان بسبب جماعة صغيرة من المؤمنين أو المصلحين كما كان الحال في مكة، وإلا فلو لم يوجد بينهم هؤلاء الصالحون لأهلكهم الله.

وفي فترة طويلة من تاريخ حضرموت كان الرجال المسلحون يعتدون على المساكين ويقتلونهم بلا ذنب ويستولون على أموالهم ويروعون أسرهم وأطفالهم، كما كان الكثير من أهل حضرموت يتهاونون في أمر الصلاة وفي تطبيق أحكام الشرع الشريف، كما ذكر ذلك الحبيب أحمد بن عمر بن سميط، ولكن الله سلم حضرموت وأهلها فيما تعرضت له من كوارث ونكبات.

تاريخ الكوارث الطبيعية بحضرموت



صورة من كارثة السيول بحضرموت شوال ١٤٢٩هـ

في ما يلي سرد لبعض ما أصاب حضرموت من كوارث طبيعية كما وردت في تاريخ ابن حميد الكندي وغيره، قال بن حميد:

وفي الثالث من رمضان سنة ٦٩٩هـ جاء السيل العظيم المسمى الهميم فأخرب الأحجال وأخذ كثيراً من الآدمين والمواشي وأخذ من شبام قطعة فيها ثلاثة مساجد وما ولاها من الديار.

وفي سنة ٦٧٠ احترق زرع حضرموت[1].

وفي سنة ٧٢١هـ ثارت نار بشبام بالليل ترى بين الديار في مواضع بالبلد، فكانت ترى

(١) صالح الحامد، تاريخ حضرموت، الجزء الثاني، الناشر مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٦٦٥.

بالجو ولم يعرف من أين تبدى ظهرها. وعقب هذا الحادث حصل القحط العظيم والموت الذريع في الآدميين والمواشي. فهلك خلق ودام ذلك إلى السنة التي تليها[١].

وفي سنة ٧٧٥هـ وقع قحط بحضرموت وغلت الأسعار، ومات خلق كثير من الضعفاء[٢].

قال بن عبيدالله [٣]: ومن تاريخ باشراحيل أنه وقع وباء شديد في سنة ٧٨٤هـ مات منه خلق كثير بشبام، كان منهم الشيخ محمد عبد الله باجمال والشيخ عبد الرحمن بن عبد الله عباد والشيخ عبد الله بن الفقيه محمد أبي بكر عباد والفقيه عمر بن عبد الله بامهره والفقيه أحمد بن أبي بكر بن حفص والفقيه ابن مزروع، ودام ذلك الوباء أربعة أشهر ثم زال. (انتهى).

وفي سنة ٧٣٨هـ وقعت في وادي عمد رجفة عظيمة حتى ظن كل من سمعها أنها مختصة به وبما حوله من عظمها، كما وقع في نفس السنه وعك عظيم (وباء) حتى أخلى دياراً من أهلها وعم الوادي جميعه إلا من شاء الله، ومات خلق كثير لا يحصي عددهم إلا الله، كما وقع في تلك السنة زلزال في قرن البقر بدوعن حتى انهار قريب من اثني عشر داراً وانصدع في الجبل صدع[٤].

وفي سنة ٨٢٣هـ وقع في جمادى الأولى من هذه السنة قحط مات فيه قوم كثير لا يحصيهم إلا الله، ومات أكثر الخلق من الجوع وأكلوا الحمير والهررة والكلاب، وقيل أكل بعض بني آدم بعضاً في (حريضة)، ومات خلق كثير في ديارهم ولم يغسلوا حتى يبسوا، وخلت بعض ديار شبام ولم تنقطع فيها جمعة وخلت ديار كثيرة بالكسر ووادي عمد[٥].

---

(١) سالم بن حميد الكندي، تاريخ حضرموت، تحقيق عبد الله الحبشي، المجلد الاول، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ١٢٣.

(٢) صالح الحامد، تاريخ حضرموت، الجزء الثاني، الناشر مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٦٧٩.

(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلدان حضرموت، مطبعة الإرشاد بصنعاء، صفحة ٢٦٠.

(٤) صالح الحامد، تاريخ حضرموت، الجزء الثاني، الناشر مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٦٨١.

(٥) صالح الحامد، تاريخ حضرموت، الجزء الثاني، الناشر مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٦٨٨.

قال بن عبيدالله[١]: ونقل الطيب بافقيه أنه وقع موت كثير بحضرموت أوائل سنة ٩٣٠هـ وفيها توفي الفقيه شجاع الدين عمر بن عقيل باربيعة وعبد الله بن عمر باعقبة وأخوه أحمد بن عمر باعقبة وعمر بن أبي بكر باذيب في نحو أربعمئة جنازة من شبام وحدها. (انتهى).

وفي يوم الجمعة ٢٨ صفر سنة ٩٣٩هـ وقع غيث قوي وحصل معه رياح مختلفة، واستمر إلى صباحية السبت وتلف بسببه نخيل كثير في نواحي الشحر، وتحطمت المراكب بالبندر وغرق نفر من الركاب وتلف من النخيل في دوعن ما يزيد على أربعة آلاف نخلة، وتلفت كذلك الذبور، ولم يبق في دوعن من النخيل والذبر إلا القليل[٢].

قال بن حميد[٣]: وفي سنة ٩٦٨هـ في شهر رجب وشعبان ورمضان حصل غلاء عظيم في الجهة الشحرية والحضرمية حتى أن الناس يموتون في الطرقات من الجوع فهلكوا هم ونشرهم (حيواناتهم).

وحدث أيضاً بالجهة الحضرمية ما يشبه السونامي الذي ضرب شرق آسيا في سنة ٢٠٠٦ م، قال بن حميد[٤]: في تاريخه وفي سنة ٩٧٠هـ حصل بشهر شوال ليلة الثلاثاء من آخر ليلة من نوء الإكليل على الشحر ونواحيها غيث عظيم مع ريح عاصفة مزعجة، واستمر

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلدان حضرموت، مطبعة الإرشاد بصنعاء، صفحة ٢٦١.

(٢) سالم بن حميد الكندي، تاريخ حضرموت، تحقيق عبد الله الحبشي، المجلد الأول، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ١٧٤.

(٣) سالم بن حميد الكندي، تاريخ حضرموت، تحقيق عبد الله الحبشي، المجلد الأول، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٢١٠.

(٤) سالم بن حميد الكندي، تاريخ حضرموت، تحقيق عبد الله الحبشي، المجلد الأول، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٢١٠-٢١١.

ذلك ليلاً ونهاراً إلى ليلة الخميس، فحصل مطر غزير من غير ريح، وكان أغزر وأكثر من الغيث الأول، فخرب البيوت والمساجد وعمّ ذلك جميع النواحي والقرى واتصل الخراب بجميع الجهة، ووقع الخلق في حالة يعجز عنها الواصف، حتى أن الناس خرجوا من بيوتهم وعرشوا لأنفسهم وأولادهم في الطرقات أمام بيوتهم خوفاً من انهدام البيوت عليهم وعلى حريمهم وأطفالهم وحصل ذلك لجميع جهة الشحر ونواحيها وحضرموت ونواحيها والمشقاص ونواحيها وهرموز (عمان) ونواحيها. وكان ذلك هول ذهلت منه الألباب والعقول وأخذ سيل حضرموت خلائق من الناس من المسفلة وتريم، فمنهم من ظهر ميتاً بالبحر جهة حيريج (اسم مدينه ساحلية)، وسواحل ونواحيها، وكانوا رجالاً ونساء بحليهن لأنه كان يوم زينة عيد الفطر، وقليل من الناس تعلق بخشب النخل وسلم، وأخربت بيوت كثيرة وأخذ السيل من النخل ما لا يحصى، وأخذ جملة من المراكب في نواحي الهند وهورموز وبنادر حضرموت. (انتهى باختصار).

كما حدثت كثير من الكوارث بحضرموت بفعل الناس أنفسهم حيث كان ذلك من وسائل الضغط الاقتصادي في الحروب التي تدور بين قبائل حضرموت، فيحصل فيها قطع النخيل وإفساد الزرع. وقد تكرر ذلك في عدة وقعات إلى الأيام المتأخرة.

وقال الأستاذ صالح الحامدي: وفي سنة ٧٩٤هـ ثارت الحرب بين آل ثعلب سكان تريس وآل جميل سكان شبام، واستمرت الحرب بينهم، وتكرر القطع في نخيل تريس وأتلفوا نخلاً كثيراً بقطع وحريق[١].

وفي سنة ٨٤٠هـ تحزب السلطان وآل عبد الله وصالوا على الهجرين فوقع بينهم قتال وأخربوا الزرع[٢].

---

(١) صالح الحامد، تاريخ حضرموت، الجزء الثاني، الناشر مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٦٨٢.

(٢) صالح الحامد، تاريخ حضرموت، الجزء الثاني، الناشر مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٦٩٠.

قال بن حميد[١] نقلاً عن عقد الجوهر: وفي الثاني عشر من شهر صفر سنة ١٠٤٩هـ قبل طلوع الشمس بقليل سال وادي عدم الشهير بحضرموت بالسيل المهيل، ثم سال بعده وادي دوعن بسيل عظيم علا على جوانب الوادي وأخذ كثيراً من النخيل والحيوانات والآلات وأربابها. وقد اتفق أن صعد رجل نخلة طويلة ليأمن السيل فاقتلعها السيل فأيقن بالموت، ولكنه استمر عليها وهي تسبح بالماء منتصبة، فمر على جماعة وهو بهذا الوضع، فقال له بعضهم: بكم استكريت؟ فقال: اسألوا الجمال، ثم رماه السيل إلى ناحية، وسلم. فكانت نجاته من أعظم الخوارق. وأخرب السيل دوراً لا تحصى واقتلع نخيلاً لا يعد، ومات منه خلق كثيرون. (انتهى باختصار وتصرف).

قال بن عبيد الله: عندما ذكر وفاة الشيخ عبد الله بن عمر لعجم أنه لما توفي قال الحبيب أحمد بن عمر بن سميط أنه من الأخيار الذين يدفع بهم البلاء، ومن الذين يحييهم ويميتهم الله في عافية، وكانت وفاته بسبب الوباء الذي وقع بشبام وسيؤون وبور سنة ١٢٥٠هـ.

وقال بن عبيد الله في بضائع التابوت[٢]، وحال تبييض هذه السطور وهو اليوم ١٦ من جمادى الأخرى سنة ١٣٦٢هـ: والقحط ضارب أطنابه بحضرموت فهو أشد من قحط سنة ١٣١٥ غير أنه لم يضطر الناس إلى أكل ما لا يؤكل. وأخبرني الثقات بالأمس من تريم أنه دفن بمقبرتها للثلاثة الأشهر الماضية أربعمئة نفس من الجوع، وسيؤون على النصف من ذلك، ولا ندري ما الله فاعل، والفرج منتظر غير أنها لا تنزل عقوبة إلا بذنب، ثم لا ترتفع إلا بتوبة، وهي مفقودة (انتهى باختصار).

وفي هذه المجاعة ظهرت خصائص العلويين، قال المترجم[٣]: وقد باع سيدي الحبيب

---

(١) سالم بن حميد الكندي، تاريخ حضرموت، تحقيق عبد الله الحبشي، المجلد الأول مكتبة الإرشاد صنعاء، صفحة ٢٣٨-٢٣٩.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ٣٨.

(٣) محمد بن عبداللاه المحضار، خواطر وأفكار، تريم للدراسات، صفحة ٢١.

مصطفى المحضار وقت المجاعة سنة ١٣٦٢هـ من أمواله ونخيله ما يقدر بقيمة نحو خمسة وسبعين ألف ريال، وكلها أنفقها على الفقراء والمحتاجين وأبناء السبيل، حتى أنه يقدم أحيانا لضيوفه أكله الخاص. حتى ظهر عليه الضعف، فكانوا أهله يحتالون عليه ويرسلون بأكله الخاص للجيران خوفاً عليه من الضعف (انتهى باختصار).

وقال بن عبيدالله أيضاً[١]: ومن غرائب الصدف أنه حصل في سنة ١٢٦٢هـ نظير ما الناس فيه اليوم من الجدب والغلاء، وذكر الفاضل المرحوم الشيخ عمر بن عوض شيبان عن سيدنا الأستاذ الأبر عيدروس بن عمر الحبشي أنه حصل إذ ذاك قحط شديد وغلاء فاحش في سائر الجهات حتى كادت تفقد الأطعمة، ومات كثير من الغرباء بالغرفة وغيرها من الجوع، فتوسل الأستاذ الأبر إلى الباري عز وجل بدعوات حارة، كان بأثرها انكشاف البلاء وارتفاع الغلاء وعموم الغيث.

وفي مناقب الحب سقاف بن محمد بن عمر السقاف المتوفى سنة ١٢١٠هـ أنه إذا حصلت مجاعة واشتد القحط يشتد به الحال رحمة على الضعفاء والمساكين، فإذا اشتد الأمر فإنه يستدين ويستقرض من الأغنياء ويضع ما استقرض عند أصحاب الدكاكين، فإذا رأى مدنفاً حوله على صاحب الدكان، ويرتب لبعض الناس القوت مدة القحط يريد إحياء نفس ليدخل في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾[٢].

وفي سنة ١٢٥٠هـ انتشر بسيؤن وباء الطاعون ومات به الحبيب محمد بن عبد الله بن قطبان السقاف ودفن بجوار قبة الحبيب علي بن عبد الله السقاف[٣].

وفي سنة ١٣١٨هـ نزل الوباء بحضرموت وهو مرض الكوليرا، ووقع بتريم ونواحيها،

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ٣٨.

(٢) نشر محاسن الأوصاف في مناقب الحبيب سقاف، دار الحاوي، صفحة ٢١٤.

(٣) أحمد بن عبد الرحمن السقاف،الأمالي، دار الاصول، صفحة ٢٣.

بل وبسائر البلدان الحضرمية، ومكث الناس في بيوتهم ولم يخرجوا خوفاً من العدوى[١]. هذا وقد مرّ على حضرموت بعد ماسبق عدد من السيول القوية كان من أقواها السيل الهميم الذي أصاب وادي دوعن في شهر القعدة من سنة ١٣٧٣هـ، وترك وراءه خسائر بشرية تمثلت في غرق أربعة رجال وسبع نساء، إضافة إلى خسائر مادية كبيرة في المباني والمزارع[٢]، كما حدث سيل مدمر كبير في رمضان من سنة ١٣٧٦هـ أحدث أضراراً بالغة بمدينة سيؤن.

وكان آخر السيول العظيمة السيل الكبير الذي ضرب المهرة وحضرموت في أواخر شهر شوال من سنة ١٤٢٩هـ، والذي كان من أعظم السيول تدميراً وضرراً، وقد وصف الشاعر الموهوب حسن عبد الله باحارثه هذ السيل وصفاً بليغاً فقال:

السيل عالواطي وعالرافع عبر — من روس دوعن جا ومن وديان سر
حتى شبام العاليه — للسيل صارت واطيه
بحر السيول امتد على طول النظر — من هود لما ساه مايشتاف بر
والسيل من كل ناحيه — حاصر تريم الغاليه
وضر أمات الاسر

ثمانيه وعشرين ساعة في مطر — واهتزت الصبه وكيف الا المدر
والحضر هم والباديه — صارت قراهم خاليه
كل طير من شجرته فر

في داخل الوادي وفي الساحل ضرر — ولعاد حد من حول بن عيفان مر
وبيوت ضخمه راسيه — تشققت في ثانيه
ياكم وكم جسر انكسر

---

(١) عمر بن علوي الكاف، تحفة الأحباب، دار الحاوي، صفحة ٩١.

(٢) محمد سالم بأحمدان، عهد السلطان صالح بن غالب القعيطي، صفحة ١٣٧.

حتـــى المكـــلا ذي منازلهـــا حجـــر　　بـين الجبـل والبحـر داهمهـا الخطـر

والـسيل في المهـرة تـرادف واستمر　　ومثلنـا هـم عنـدهم نفـس الخـبر

مـــــــروا بأزمـــــــه قاضـــــــيه　　وظـــــروف صـــــعبه قاســـــيه

ولكـــــــن المـــــــولى ســـــــتر

❊　❊　❊

الفصل الحادي والسبعون (١)

الحبيب مصطفى بن أحمد المحضار

ودوره في تخفيف الكوارث والنكبات بحضرموت

(١٢٨٢- ١٣٧٤هـ)



وصف الحبيب مصطفى بن أحمد المحضار السيل الكبير المسمى الهميم والذي سموه من شدته بالطوفان والذي أصاب دوعن في شهر ذي القعدة من سنة ١٣٧٣هـ فقال[١]: الطوفان وما أدراك ما الطوفان إنه السيل الكبير الذي اجتاح الوادي الدوعني فاقتلع نخله وعلوبه وحيضانه وجروبه، وأخذ ما أخذه من الشجر والبشر والأطيان والحجر من الأعالي إلى المنحدر إلى أن قال رحمه الله: كان الطوفان كارثة للدوعنيين وقد ذهب بأموالهم، وفاجعة وقد وقفهم عن أعمالهم (انتهى باختصار).

هذا وقد أتى السيل الهميم على أبيار الحبيب مصطفى المحضار التي تحتوي على ثماني مئة نخله تقريباً كلها يستغلها في خدمة المقام والضيافة والإطعام [٢] إلا أن الحبيب مصطفى لم يهتم إلا بتطييب خواطر الناس وإطعام المساكين وأمر الحبيب مصطفى المحضار في ذلك اليوم بالذبح والقدح [٣].

ولم يختلف تصرفه السابق عن تصرفه لما ضربت المجاعة حضرموت أثناء الحرب العظمى سنة ١٣٦٣هـ ومات الكثير من الناس من الجوع، ففتح الحبيب مصطفى المحضار باب داره بالقويره على مصراعيه لإطعام الطعام فاتاه الجائعون من كل مكان غير العجزه الذين يواسيهم في بيوتهم، وكان من عادته أن لا يبيع شيئاً من تمره الذي يجنيه من نخله مهما كثر بل يدخره ويأكل منه هو وأضيافه، فلما جاءت المجاعة أطعمهم التمر كله وفوق ذلك رهن نخله جميعه وأطعمهم إياه وهو يقول: رخصت الجنة في هذا الوقت ولكن أين الموفقون[٤].

وقد باع الحبيب مصطفى المحضار وقت المجاعة من أمواله ونخيله ما يقدر بقيمة

---

(١) محمد بن عبداللاه المحضار، خواطر وأفكار وحكم وأسرار، مكاتبات الحبيب مصطفى، تريم للدراسات والنشر، صفحة ٣٩.

(٢) محمد بن عبداللاه المحضار، مكاتبات الحبيب مصطفى، صفحة ٤٠.

(٣) محمد بن عبداللاه المحضار، مكاتبات الحبيب مصطفى، صفحة ٤٢.

(٤) محمد بن عبداللاه المحضار، مكاتبات الحبيب مصطفى، صفحة ٢٠.

نحو خمسة وسبعين ألف ريال وكلها أنفقها على الفقراء والمحتاجين وأبناء السبيل حتى أنه أحياناً يقدم لهم أكله الخاص حتى ظهر عليه الضعف وخاف عليه أهل بيته فصاروا يحفظون أكله عند الجيران حتى لا يتصرف فيه [١]

وقال الشيخ حسين بن محمد باقيس أهديت للحبيب مصطفى بهدية من الثياب الفاخرة بما قيمته ألف روبية فلما استلم تلك الهدية قسمها وفرقها على الحاضرين والمحتاجين[٢].

وقد يظن القارئ أن الحبيب مصطفى المحضار من الأغنياء الموسرين، ولكنه قد لا يجد أحياناً أكلةً جيدة يأكلها ونراه يقول: رمضان دخل وبايخرج نودي بحاجه ناكلها زينه فاكهة أو مطبوخة ولا حصلناها قط ما معنا إلا القهوة القارة والشربة الحارة والروبة الحامضة وحرفوف خمير له ثلاث أيام في سفيح وقطبة من بربري وعبورها في الحلق غير مري هذا المأكول وغيره حرام علينا والله ينظر إلينا والعيظه إلا في الجنة[٣].

ورغم صعوبة معيشة الحبيب مصطفى فقد كثر عليه الضيوف في رمضان من عابرى السبيل الذين لا يعرفهم يأتون إليه في رمضان فيجلس بعضهم أيام وبعضهم يبقى الشهر كله وهو متحمل لهم ومتجمل. ويعبر عن ذلك بأسلوبه السجعي اللطيف فيقول: وقد عبر رمضان ونحن في غثاء منهم كل ليلة ستين وساعة أربعين ولا يقصرون عن العشرين اقل ما كان وإذا أفطروا وعشيناهم بما تيسر والغالب شربة وتمر، وأما الخبز قليل لا معنا ولا مع المساجد وإذا تعشوا النشيط يسرى يسرق والعاجز يجلس بغا فلاح (سحور)[٤].

كما كان الحبيب مصطفى المحضار كبقية العلويين يحب العلم وأهله وإذا رأى في احد رغبة في طلب العلم شجعه وسانده وساعده شأنه في ذلك شأن والده الحبيب أحمد بن محمد

---

(١) محمد بن عبداللاه المحضار، مكاتبات الحبيب مصطفى، صفحة ٢١.

(٢) محمد بن عبداللاه المحضار، مكاتبات الحبيب مصطفى، صفحة ٢١.

(٣) محمد بن عبداللاه المحضار، مكاتبات الحبيب مصطفى، صفحة ٢٣.

(٤) محمد بن عبداللاه المحضار، مكاتبات الحبيب مصطفى، صفحة ٢٢-٢٣.

المحضار الذي كان ينفق على عشرين طالباً من طلبة العلم بالقويرة ويهيئ لهم السكن والأكل والشرب حتى يتفرغوا تفرغاً كاملاً لطلب العلم[١]، وقد عرفنا في فصل سابق من هذا الكتاب ضعف حال الحبيب أحمد المحضار وقلة ما في يده من المال.

أما تواضع الحبيب مصطفى المحضار فيضرب به المثل في تواضعه مع الناس أجمعين وانكساره وذلته لإخوانه المؤمنين فيجلس مع الصغير والكبير والشيبة والشاب، وكان أكثر مجالسته مع الفقراء والمساكين يباسطهم ويحب مسامرتهم والأكل معهم [٢].

وصفه بن عبيد الله في أدام القوت فقال بقية السلف وزينة الخلف كهف اليتامى وموئل الأيامى الذي امتزج الجود بلحمه ودمه فحدث عن سماحته ولا حرج وحسبك بما كان منه في الزمن الذي هرج ومرج فلقد مرت أيام الأزمة (المجاعة) وداره ملأى بالجفان المحفوفة بالضيفان.

قال بن عبيدالله: ولقد بلغني أنه باع من صلب ماله بعشرة آلاف ريال ذهبت مع الأكباد الحرى والبطون الغرثى وانتهى به الحال إلى أن رجلاً استماحه إزاره فقال له: سأضعه على الجدار عند دخولي الميضأة فاذهب به ومتى أحسست بعدك زعمت لأولادي أنه سرق حتى يدبروا لي سواه من دون عتاب ولا تثريب (انتهى)[٣].

وكان الحبيب مصطفى يستقبل حيثما توجه استقبالاً حافلاً يضم الأمراء والعلماء وخاصة الناس وعامتهم ويتهافت الناس على مصافحته. ولقد انتهت إليه زعامة العلويين في عهده وله أسلوب سجعي فريد في مكاتباته يتميز بالسجع اللطيف وخفة الروح[٤].

---

(١) محمد بن عبداللاه المحضار، مكاتبات الحبيب مصطفى، صفحة ٣٥.

(٢) محمد بن عبداللاه المحضار، مكاتبات الحبيب مصطفى، صفحة ١٦.

(٣) محمد بن عبداللاه المحضار، مكاتبات الحبيب مصطفى، صفحة ١٨.

(٤) محمد بن عبداللاه المحضار، مكاتبات الحبيب مصطفى، صفحة ١٥.

وكان الحبيب مصطفى خفيف الروح يحب المزاح في المجالس لينفس على نفسه والحاضرين مثله في ذلك مثل والده وقد ذكرنا عن ذلك في فصل آخر، وله ممازحات كثيرة مع الشيخ سالم بن عمر بن رضوان المشهور بذكائه وسرعة بديهته وخفة دمه[١].

وقد ولد الحبيب مصطفى بالقويرة من وادي دوعن وأخذ العلم عن والده ودرس على الحبيب أحمد بن حسن العطاس وتفقه على الحبيب حسين بن محمد البار بالقرين، ومن أشياخه الحبيب علي بن محمد الحبشي[٢].

وقد قضى الحبيب مصطفى أغلب حياته بحضرموت وادي فريضة الحج وزار في شبابه إندونيسيا زيارة قصيرة حيث يقيم أخوه محمد ثم عاد منها إلى حضرموت وتوفي بها[٣].



(١) محمد بن عبداللاه المحضار، مكاتبات الحبيب مصطفى، صفحة ٢٩-٣٢.

(٢) محمد بن عبداللاه المحضار، مكاتبات الحبيب مصطفى، صفحة ١٣.

(٣) محمد بن عبداللاه المحضار، مكاتبات الحبيب مصطفى، صفحة ١٥.

الفصل الحادي والسبعون (٢)

العلويون والغزوات الخارجية



تعرضت حضرموت لعدة غزوات خارجية أثرت على سكانها بما فيهم العلويون، وأحدث الغزاة كثيراً من أعمال القتل والنهب، وقام العلويون بما لهم من وجاهة وقبول لدى قادة الغزاة على تخفيف آثار بعض هذه الغزوات على الحضارمة، كما ورد في كتب التاريخ. وقد أوردنا شواهد من ذلك في هذا الفصل، إلا أنه لم يذكر في تراجم العلويين الأولين شيء عن تفاعلهم مع الغزوات الأولى مثل غزوة الزنجبيلي.

ويقول بن عبيدالله [١]: لا يتمكن الغرباء من الاستيلاء على البلدان إلا بجماعة من أهلها يوطئون لهم المناكب ويمهدون لهم الجوانب سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً. (انتهى).

غزوة الزنجبيلي

وأول هذه الغزوات الخارجية غزوة الزنجبيلي، وذكر الأستاذ الشاطري[٢] أحداثها فقال: إنه بعد أن استولى توران شاه الأيوبي شقيق صلاح الدين على اليمن سنة ٥٦٩هـ أرسل في سنة ٥٧٥هـ أحد قواده واسمه عثمان الزنجبيلي على رأس جيش للاستيلاء على حضرموت، ولما أكمل الزنجبيلي استيلاءه على حضرموت قفل عائداً إلى اليمن وأبقى آل راشد ملوك حضرموت في ذلك الوقت على ملكهم، وتحت سلطة الأيوبيين، إلا أن آل راشد ما لبثوا أن خلعوا طاعة الأيوبيين، فعاد الزنجبيلي بجيشه سنة ٥٧٦هـ حيث أسر سلاطين آل راشد ودخلت حملته تريم وقتلت كثيراً من علمائها وصلحائها بتهمة تحريض آل راشد على خلع الطاعة. (انتهى باختصار).

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ١١٠.

(٢) محمد بن أحمد الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي، الناشر عالم المعرفة، صفحة ١٧٧-١٧٩.

غزوة الحبوظي

ذكر الأستاذ الشاطري[١] غزوة الحبوظي لحضرموت في أدوار التاريخ الحضرمي فقال: إن السلطان سالم بن إدريس الحبوظي من سلاطين ظفار، وقد غزا حضرموت واستولى على أكثر مدنها بين سنة ٦٧٣ الى سنة ٦٧٧هـ وحاصر تريم تسعة أشهر، ولكنه لم يقدر على فتحها.

وقد أمد الحبوظي أهل حضرموت بالأطعمة والنقود في مجاعة سنة ٦٧٦هـ التي ضربت حضرموت، إلا أنه استغل معونة المجاعة في السيطرة على قبائل حضرموت، لكنه لما عاد إلى ظفار خلعت قبائل حضرموت طاعته واستقلوا ببلادهم كما كانوا، ثم عاد الحبوظي فهاجم الشحر براً وبحراً، إلا أن غزوته لم تكلل بالنجاح فعاد إلى ظفار وحاول تعويض خسارته المالية بالاستيلاء على سفينة يمنية جنحت لساحل ظفار كان أرسلها ملك اليمن المظفر يوسف بن عمر الرسولي تحمل الهدايا لملك العجم، فغضب الملك المظفر وأرسل إلى ظفار في سنة ٦٧٨هـ، حملة بحرية وبرية، وتمكن من هزيمة الحبوظي وقتله والاستيلاء على بلاده، كما استولى الملك المظفر في السنة نفسها على حضرموت. (انتهى).

غزوة الإمام أحمد بن الحسن

ذكر الأستاذ بن هاشم[٢] في تاريخ الدولة الكثيرية خروج الإمام أحمد بن الحسن من اليمن إلى حضرموت في سنة ١٠٧٠هـ وأن السيد عمر بن عبد الرحمن العطاس كتب له كتاباً أوفده مع ولديه سالم وحسين فقابلهما الإمام أحمد بن الحسن بكل تجلّة وتبجيل، وقال لهما:

(١) محمد بن أحمد الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي، الناشر عالم المعرفة، صفحة ١٨١-١٨٢.

(٢) الأستاذ محمد بن هاشم، تاريخ الدولة الكثيرية، تريم للدراسات والنشر، صفحة ١٠٠.

أرى عليكما سيماء الخلافة ومخائل النجابة، ولما قرأ الإمام أحمد بن الحسن في كتاب الحبيب عمر قوله: انظر إلى أهل حضرموت بعين الرحمة ينظر الله بها إليك، فقال: إني لما نظرت هذا، طرح الله الرحمة العامة في قلبي لأهل حضرموت.

ومنعت الزيدية قراءة راتب الحداد ونودي بأن يزاد في الأذان (حي على خير العمل)، ولم يقدر أحد على المخالفة إلا عبد الله بن عمر بارضوان بافضل مؤذن مسجد باعلوي فإنه استمر في الأذان العادي من أول خلافة الزيدية إلى آخرها، وكلما هددوه بأنهم سيفعلون به كذا سكت ولم يجب على أحد وسلمه الله من معاقبتهم. (انتهى).

غزوة المكرمي

قال الأستاذ بن هاشم[١]: خرج حسن وهبة المكرمي في أربعة آلاف من جنده إلى حضرموت في زمن الحبيب محمد بن زين بن سميط والحبيب سقاف بن محمد بن عمر السقاف (١١٢٢-١١٩٥هـ) بجيش كبير، وحاصر شبام، وقد اضطربت الأمور في حضرموت بخروجه، وبقي الناس في خوف شديد، وكان الحبيب محمد بن زين بن سميط يهدئ أهل البلاد ويثبتهم، وكتب إلى المكرمي يطلب منه رفع الحصار حتى يجنب جنوده عاقبة ما سيحصل له، وبعد أن هلك من رجال المكرمي الكثير في حصار شبام اضطر بعد أربعين يوماً إلى المصالحة وقفل راجعاً من حيث أتى.

والمكرمي أباضي من جهة عمان، وقد تظاهر بنصر الشريعة الغراء، لكنه ما لبث أن بدأ الدعوة لنحلته الأباضية وانفكت جنوده في نهب الأموال وقطع السبل وانتهاك الحوط وإهلاك الحرث قبل أن ينتهي أمره ويعود. (انتهى بتلخيص).

---

(١) الأستاذ محمد بن هاشم، تاريخ الدولة الكثيرية، تريم للدراسات والنشر، صفحة ١٥٥-١٥٦.

أما بن عبيد الله فقال[١]: إن المكرمي من قبائل صنعاء من أهل البدعة (يقصد الإسماعيلية على ما يبدو) والمكارمة من قبائل صنعاء وأكثر دعاة الباطنية موجودون في نجران حتى الموجود بها الآن وهو الداعي علي بن حسين بن أحمد المكرمي، بينما يتواجد بنو عمه بوادي ظهر قريب من صنعاء، لذلك فمن نسبه إلى صنعاء فليس بمخطئ، ومن نسبه إلى نجران فهو مصيب لأن ذلك محل إقامته. (انتهى).

قال بن عبيدالله[٢]: وفي مناقب الجد سقاف بن محمد رضي الله عنه أنه لما وصل المكرمي ومعه الدولة والجهاورة وآل هرهرة (قال بن عبيدالله وهنا بيت القصيد) ويقصد بن عبيدالله «أن هذا التعاون مع المكرمي يثبت نظريته بأنه لا يتمكن الغرباء من الاستيلاء على البلدان إلا بجماعة من أهلها يوطئون لهم المناكب ويمهدون لهم الجوانب». قال بن عبيدالله: لما جاء المكرمي تزلزلت أركان حضرموت وتحصنوا بالحصون والمعاقل ما عدا سيدنا الحبيب سقاف بن محمد وسيدنا الحبيب علي بن عبد الله السقاف فلم يتحركا عن منازلهم. ولما استقر المكرمي بسحيل شبام توجه الجد سقاف لملاقاته، فقال له: خرجت تريد حضرموت ومعك هؤلاء الدولة والجهاورة وآل هرهرة، وفي صدورهم ضغائن على أصحابهم وعلى سائر أهل حضرموت فأناشدك أن لا تشفي لهم غيظًا وأن لا تساعدهم على الانتقام، فقبل منه النصيحة وأعطاه العهد على ذلك، وكان الحبيب سقاف بن محمد (١١١٥-١١٩٥هـ) يتشفع في أموال الناس وأملاكهم، كلما همّ رجال المكرمي بهدمها أو نهبها قائلاً للمكرمي إنها ملكه. وقد اعترض جنود المكرمي قافلة ليافع محملة بالخريف (التمر الطازج)، فمنعهم الحبيب سقاف من أخذها حتى أوشك الحبيب سقاف أن يعرض نفسه للأذى عندما اعتقد قادة المكرمي أنه بعمله هذا إنما يوادّ يافع ويحابيهم. (انتهى بتلخيص).

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ١٠٥.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ١٠٣.

غزوة الرصاص

وهو السلطان صالح بن ناصر الرصاص، فقد وصل بعسكره إلى حضرموت في سنة **١١٩٣**هـ أي قبل وفاة الجد سقاف بنحو سنتين، قال بن عبيدالله[١]: وفي مناقب الجد سقاف ما يدل على وصول الرصاص وأنه صار له معه مثل ما صار مع المكرمي (انتهى).

قال بن عبيدالله[٢]: وقبيلة الرصاص مشهورة بالشجاعة والكرم والصدق، وعندما جهز إمام اليمن الإمام إسماعيل في سنة **١٠٦٩**هـ ابن أخيه الإمام أحمد بن الحسن إلى حضرموت ونواحيها التقى الإمام أحمد بن الحسن مع الرصاص لأن بلد الرصاص أقرب إلى دولة الإمام، وحصل بينهم قتال. ولما أعجزه استعان بيافع وبقي الرصاص بين يافع وبين الإمام أحمد بن الحسن حتى قتل، وتولى أخوه فصالح الإمام على شروط وفَى له بها، وملك البلاد. (انتهى).

وذكر بن عبيدالله آل الرصاص في سياق آخر بمعجمه عند ذكره السيد حسين بن محمد بن عمر المحضار ابن الشيخ أبي بكر بن سالم فقال إنه وصل إلى مسورة أرض الرصاص، فاقترن بابنة السلطان فأقطعه مكاناً بمرخة يسمى الهجر لا يزال مسكن المحاضير من أعقابهم إلى اليوم وهم مستقلون[٣].

وعلى ما يبدو أن الرصاص من سلاطين يافع لأنني اطلعت على هذا الاسم في ذكر سلاطين تلك الجهة

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة **١٠٤**.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة **٥٤**.

(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صفحة **٥٥٦**.

ويظهر أن أهل حضرموت التواقين إلى إزالة نير مظالم الطوائف القبلية استبشروا بقدوم الرصاص راجين أن يكون خلاصهم مما هم فيه على يديه، كما يفهم من مكاتبة الحبيب أحمد بن حسن الحداد للسلطان ناصر بن صالح الرصاص الذي أرسل رسوله للحبيب أحمد، فرد الحبيب أحمد على الرصاص برسالة يقول فيها: «والذي نوصيكم به حسن النية والشفقة بالرعية ونصرة المظلوم وإعانة الضعيف وإزالة المنكرات وتعظيم شعائر الدين، ويبلغنا على ألسنة القاصدين أن لكم نية صالحة ومقاصد حسنة، فالله تعالى يوفقكم للصالحات، حيث هذه الجهة مؤسسة بالعلم ومحمية بالأولياء، وقد تغيرت أساليب الدولة وكثرت المظالم وانطمس الحق وظهرت الأباطيل، فالله يوفقكم لصلاح هذه الجهة المباركة»[١].

ويفهم أيضاً من كلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط (١١٧٧-١٢٥٧هـ)[٢] أن أهل حضرموت فرحوا بوصول الرصاص بما فيهم الحبيب سقاف بن محمد إلا أن والده الحبيب عمر بن زين لم يفرح، ولما زار الحبيب سقاف بن محمد الحبيب عمر بن زين بن سميط قال له: جميع الناس فرحوا بالرصاص وأنتم ما أظهرتم الفرح، فقال له الحبيب عمر: يكفيه الدعاء في المنابر إن كان مصلحاً أو مفسداً، ويقصد بذلك الدعاء «اللهم أصلح من في صلاحه صلاح المسلمين» الخ. ثم انتهى أمر الرصاص ولم يفد البلاد بشيء، وعاد الحبيب سقاف بن محمد يعتذر للحبيب عمر بن زين، ويقول: نستغفر الله في حقكم، فقال له الحبيب زين: شفت الورم حسبته شحم (انتهى بتلخيص).

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ١٠٤.

(٢) دحمان باذيب، مجموع مواعظ وكلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط، صفحة ٤٢٣.

غزوات بن قملا

قال الأستاذ بن هاشم ووصل بن قملا إلى حضرموت في عهد السلطان جعفر بن علي الكثيري، وتوقفوا عند شبام ولم يتجاوزوها لأن السلطان جعفر لم يمكنهم من المرور إلى أسفل حضرموت، بل ردهم من شبام[١]. وقال بن عبيد الله إنهم وصلوا حضرموت في سنة ١٢١٩هـ ولكنهم كانوا قليلاً إذ ذاك، فصدهم السلطان جعفر بن علي الكثيري، وكان أميرهم علي بن قملا وأخاه ناجي[٢].

قال بن هاشم[٣]: ثم عاد بن قملا وجماعته مرة ثانية في سنة ١٢٢٤هـ، واكتسحوا في هذه المرة حضرموت وتحالفوا مع قبائل حضرموت وحاصروا المسيلة ورموها بالبنادق، فرد عليهم السادة آل طاهر وآل بن يحيى بإطلاق الرصاص، وكان الحبيب طاهر بن الحسين يوزع البارود على الديار بالفنجان لقلته عندهم، ثم احتال السادة فأرسلوا رجلاً يلبس لباس أهل نجد حاملاً علماً أبيض ليسألهم عن مرادهم ويهول عليهم قوة المسيلة وامتلائها بالذخيرة والمؤن، فاكتفوا بالمحالفة ورحلوا عن المسيلة ثم دخلوا تريم ومكثوا فيها أربعين يوماً. (انتهى بتلخيص).

قال بن عبيد الله في المعجم[٤]: ولما مات حاكم الشحر علي بن ناجي بريك سنة ١١٢٠هـ خلفه حسين بن ناجي، ثم ولده ناجي بن علي بن ناجي، وفي أيامه جاء بن قملا وجماعته في خمس وعشرين سفينة، فامتلكوا البلاد ولم يؤذوا أحداً في حال ولا مال، ولم

---

(١) الأستاذ محمد بن هاشم، تاريخ الدولة الكثيرية، تريم للدراسات والنشر، صفحة ١٥٠.

(٢) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٢١٩.

(٣) الأستاذ محمد بن هاشم، تاريخ الدولة الكثيرية، تريم للدراسات والنشر، صفحة ١٥٢.

(٤) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٧٦.

يهلكوا حرثاً ولا نسلاً، وإنما أخربوا القباب وأبعدوا التوابيت ولم يعترضهم آل بريك وأقاموا بالشحر أربعين يوماً، ثم ركبوا سفنهم وعادوا لبلادهم. (انتهى بتلخيص).



الفصل الثاني والسبعون

هجمات البرتغاليين على عدن والشحر



نبذة جغرافية وتاريخية عن البرتغال[1]

البرتغال دولة مجاورة لأسبانيا وتقع في الطرف الجنوبي الغربي من قارة أوروبا ولشبونة هي عاصمة البرتغال وأكبر مدينة فيها. ويعيش معظم البرتغاليين في قرى ريفية ومنهم بحارة مهرة تعودوا الإبحار في مياه المحيط الأطلسي العاصفة في قوارب صغيرة لصيد السمك.

ويعتبر القرن الخامس عشر الميلادي القرن الذهبي للاستكشافات البرتغالية فقد قاد بارثليميوا دياز الرحلة الأولى حول رأس الرجاء الصالح في الطرف الجنوبي لأفريقيا واكتشف فاسكوا داجاما طريقاً بحرياً إلى آسيا كما أبحر بدرو الفاريز إلى ما يعرف اليوم باسم البرازيل ونتج عن هذه الاكتشافات تأسيس إمبراطورية برتغالية شاسعة اشتملت على مستعمرات في أفريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبية. ثم بدأت قوة البرتغال ونفوذها يضعفان في أواخر القرن السادس عشر ولكنها احتفظت بكثير من مستعمراتها لأكثر من ٤٠٠ عام وبقيت بعض هذه المستعمرات إلى القرن العشرين ولكن لم يبق معها حالياً إلا ثلاث مستعمرات هي جزر الازور وماديرا الواقعة في شمال المحيط الأطلسي وماكأو المستعمرة البرتغالية الصغيرة التي تقع على ساحل الصين الجنوبي.

وكانت البرتغال تعيش منذ عام ١٩٢٦ إلى عام ١٩٧٤ تحت حكام مستبدون قيدوا الحريات الشخصية وسحقوا المعارضة ثم حدثت ثوره عسكرية أطاحت بهذا النظام الدكتاتوري ثم تبنت البرتغال في سنة ١٩٧٦ النظام الديمقراطي. ويبلغ سكان البرتغال الحالي ٩,٨٩٤,٠٠٠ وتبلغ مساحة البرتغال ٩٢,٣٨٩ كم.

---

(١)ملخصة من الموسوعة العربية العالمية المجلد الرابع ٢٩٩-٣٠٩.

تاريخ البرتغال:

كانت شبه جزيرة ايبريا التي تحوي أسبانيا والبرتغال تحت حكم الإمبراطورية الرومانية ثم اندفعت قبائل جرمانيه إلى شبه جزيرة ايبريا في عام ٤٧٦م واحتلت إحدى هذه القبائل النصرانية المسماة بالقوط الغربيون شبه جزيرة ايبريا ثم فتح المسلمون في بواكير القرن الأول الهجري (الثامن الميلادي) ما يعرف اليوم بالبرتغال وأسبانيا وأسسوا فيه دولة إسلاميه بقيت حتى سنة ٩٠٠ هجرية (١٤٩٤م).

وعندما قامت حروب نصارى شبه جزيرة ايبريا ضد المسلمين انظم إليهم النبيل الفرنسي هنري البرغندي وكافأه ملك أسبانيا الفونسو السادس بمنحه شمال البرتغال ثم حقق ابنه الفونسوا هنريك انتصارات على المسلمين فمنح عام ١١٤٣م لقب ملك البرتغال ثم أسس مملكة مستقلة عن أسبانيا.

وفي عام ١٣٨٥م استولت على عرش البرتغال أسرة افيز وأصبح الملك جون الأول الافيزي أول ملوك هذه الأسرة وهزمت جيوشه الأسبان وأسس مملكة مستقلة عن أسبانيا وتحالف مع انجلترا وهو تحالف ما زال قائماً الى عهد قريب.

وكان البحارة البرتغاليون قد اكتسبوا مهارات بحرية من رحلات الصيد في المحيط ثم جاء هنرى الملاح ابن الملك جون الأول والذي شجع الرحلات البحرية الطويلة والاكتشافات الجغرافية التي ذكرناها في بداية هذا الفصل واندفع الجنود والمستوطنون البرتغاليون يؤسسون المستعمرات في أفريقيا وآسيا والخليج الفارسي وكسبت البرتغال من مستعمراتها ثروات ضخمة إلا أنه بحلول القرن السادس عشر الميلادي اكتشف البرتغال أن إمكانياتهم العسكرية والسكانية لا تسمح لها بالاحتفاظ بهذه الإمبراطورية الشاسعة وفي خلال القرن السابع عشر الميلادي بدأت الدول الأوروبية الأخرى تنافس البرتغال على مستعمراتها ولكن بقيت البرتغال متمسكة بإمبراطوريتها إلى القرن العشرين.

وفي سنة ١٥٨٠م احتلت أسبانيا البرتغال لمدة ستين سنة ثم استعادت البرتغال استقلالها وساعدتها بريطانيا عدة مرات ضد غزوات الأسبان وفي عام ١٨٠٧ احتل القائد الفرنسي نابليون البرتغال إلا أن بريطانيا حشدت جيشاً تمكنت به من تحرير البرتغال عام ١٨١١م وهي المرة الأخيرة التي خضعت فيها البرتغال لحكم أجنبي.

حاول البرتغاليون بعد اكتشافهم طريق الهند السيطرة على عدن كإحدى المدن الساحلية الإستراتيجية لاستكمال سيطرتهم على تجارة المحيط الهندي وقطع الطريق أمام السفن العربية للوصول إلى الهند والشواطئ الأفريقية وإغلاق المنفذين الرئيسيين للبحرين العربيين المتصلين بمياه المحيط الهندي وهما مضيق هرمز في مدخل الخليج العربي وباب المندب في مدخل البحر الأحمر لتقويض التجارة والملاحة العربية والإسلامية والسيطرة على سواحل الجزيرة العربية والوصول للأماكن المقدسة بالحجاز.

ووصلت أول حملة برتغالية إلى عدن في سنة ٩١٩هـ = ١٥١٣م بقيادة الفونسو بوكيرك ولكنها جوبهت بمقاومة شعبية باسلة أرغمتها على الفرار بعد أن تكبد البرتغاليون خسائر فادحة إلا أنهم لم ييأسوا وعاودوا الهجوم في سنة ٩٢٢هـ = ١٥١٦م بقيادة لوبو سواريز ولكن الجهود الدبلوماسية للطاهريين حكام اليمن حالت دون استيلاء البرتغال على عدن ثم عاود البرتغال هجومهم على عدن سنة ٦٢٣هـ = ١٥١٧م إلا أن استبسال الأهالي ورجال القبائل المحيطة بعدن ووصول النجدات والإمدادات من السلطان بدر بوطويرق للسلطات الطاهرية بعدن أفشل هذا الغزو البرتغالي.

ولما فشل البرتغال في السيطرة على عدن اتجهت أنظارهم نحو الشحر فكانت أولى هجماتهم عليها سنة ٩٢٩هـ = ١٥٢٣م عندما وصلت إلى الشحر تسع سفن برتغالية محملة بالجنود والعتاد وكان السلطان بدر بوطويرق بعيداً وقتها عن الشحر وكان وصولهم يوم الخميس ٩ ربيع الثاني وفي فجر الجمعة نزل أربعمائة من الجنود البرتغاليين إلى الشحر مسلحين

بالبنادق النارية ومعهم معدات الحريق وكميات كبيره من البارود وأخذوا يطلقون النار على كل من يصادفونه من الأهالي ويشعلون النيران في المنازل والمستودعات ولكن تصدى لهم السكان بأسلحتهم البدائية واستمرت الحرب سجالاً لثلاثة أيام ولما شاهد البرتغال جيش السلطان بدر بوطويرق القادم لمساندة الشحر انسحبوا إلى سفنهم تاركين معظم قتلاهم في مواقع المعركة وقد استشهد في المعركة مئات من أبناء الشحر منهم العلماء والفقهاء والأعيان ومن أعيان العلويين الذين استشهدوا في المعركة السيد حسن بن عبدالله العيدروس.

وقد ألقى أهل الشحر بالملامة على السلطان بدر على عدم توقعه للهجوم البرتغالي وعدم تأمينه الشحر بما يدفع عنه ضررهم حيث مازالت أخبار البرتغاليين بعدن تتردد بين الناس.

وفي سنة ٩٤٢هـ =١٥٣٥م عاود البرتغاليون الهجوم على الشحر وأسروا عدداً من النساء والأطفال ولم يكن السلطان بدر بوطويرق مستعداً لجهادهم فصالحهم بعدد كبير من الغنم والبقر والخيول مقابل إطلاق سراح الأسرى.

ثم عاود البرتغاليون الهجوم على الشحر في رمضان من نفس السنة بقوة قوامها أربعة عشر سفينة إلا أن السلطان بدر كان مستعداً لهم هذه المرة بخطه تدل على عبقريته العسكرية ذلك أنه لما خرج الجنود البرتغاليون إلى الشحر كعادتهم أرسل فرقة من الجند لأسر السفن البرتغالية وسحبها إلى البر واحتدمت بين الطرفين معركة بحرية وبرية هائلة واستبسلت حامية الشحر في القتال ولما رأى البرتغاليون في البر سفنهم تجر إلى الساحل استسلموا بعد أن قتل منهم ثلاثين رجلاً وأسر منهم سبعين واستولى السلطان بدر بوطويرق على سفنهم وما تحويه من أموال وعبيد.

وبعد هذا النصر المبين وزع السلطان بدر الأسرى البرتغاليين على قواته الزيدية واليافعية وأشراف الجوف والعبيد لكل فرقة عشرة منهم وأرسل إلى أخيه السلطان محمد سلطان ظفار أحد عشر أسيراً برتغالياً وأرسل إلى السلطان العثماني سليمان القانوني بخمسة

وثلاثين أسيراً برتغالياً وقد استعاد السلطان بدر بوطويرق بهذا النصر سمعته ومدحه الشيخ عمر بامخرمة بأبيات قال فيها:

أمـــست وجـــوه الكفـــر	واهل الكفر يعلوهـا قتـار
فالحمـــــد لله طـــــاب	لاهل الشحر فيها ماء لبار
واســـفر محيـــا الـــدين	وإثرنـا وخـذنا كـل ثـار
مـــن عابـــدي الأوثـــان	في تثليـــثهم لا زاد ثـــار
الله نـــصر لـــسلام بـــك	يـا بـدر يـا عـالي المنـار

وقال الأستاذ ابن هاشم في تاريخ الدولة الكثيرية وكانت المهرة تحت سيطرة السلطان بدر وفي سنة ٩٥٥هـ توجه سعيد بن عفرار إلى الهند[١] مستصرخاً بالإفرنج البرتغاليين فجاء بهم إلى قشن وحصرها بهم ثم استولوا على حصنها وقتلوا جميع عساكر بدر وكان السلطان بدر بحضرموت فاتجه إلى الشحر وجهز على المهرة حملة بحرية ولما اقترب من قشن قابله سعيد بن عفرار واعترف له بولائه وانتهت المسألة دون حرب (انتهى).

* * *

---

(١) محمد بن هاشم تاريخ الدولة الكثيرية صفحة ٧٢ تريم للدراسات والنشر.

الفصل الثالث والسبعون

أسباب ونتائج الغزوات البرتغالية في البحر الأحمر والمحيط الهندي[١]



فاسكو داغاما

---

(١) ملخص عن كتاب «تاريخ الملاحة القديم في البحر الأحمر» لمؤلفه حسن صالح شهاب، مركز الشرعبي للطباعة والنشر (صنعاء).

عرف الأوروبيون بعد احتكاكهم بالمسلمين في إسبانيا وفلسطين السر وراء قوة وثراء الدول الإسلامية وأن ذلك يعود لسيطرة المسلمين على طرق التجارة البحرية بين المحيط الهندي والبحر الأبيض المتوسط، لذا قررت البرتغال وإسبانيا الاستئثار بهذه التجارة فطورتا صناعة السفن وآلات الحرب واهتموا برحلات الاستكشاف البحرية وتمكن البرتغالي فاسكو داغاما في سنة ٩٠٢هـ، من الدوران حول رأس الرجاء الصالح ودخول مياه المحيط الهندي. وانتهت بعد هذا التاريخ سيادة العرب على الملاحة في المحيط الهندي واستؤنفت الحرب الصليبية بصورة مختلفة.

وبدأت الحملات البرتغالية البحرية على العالم الإسلامي، وذكر الدكتور غسان الرمال في كتابه: إن هذه الحملات كانت جزءاً من الحملات الصليبية، حيث اتفقت آراء الأوروبيين على أنه قبل الإقدام على غزو العالم الإسلامي واسترداد الأماكن المقدسة يجب إضعاف العالم الإسلامي مادياً بأن يقطعوا عنه مصادر قوته وثروته[١]، ثم قال بأن هذه الخطة اتضحت بوصول البرتغاليين إلى المحيط الهندي وسيطرتهم على تجارته[٢] (انتهى).

وقال وإذا كان الصليبيون قد واجهوا مقاومة باسلة في حملاتهم البرية على بلاد الشام وفلسطين فإن حملاتهم البحرية التي التفت حول العالم الإسلامي لم تجد أمامها أية قوة بحرية إسلامية تواجهها. فالسفن العربية كانت سفناً تجارية صغيرة لا تحمل من السلاح غير النبال، بينما تسلحت السفن الأوروبية بالأسلحة النارية والمدافع (انتهى).

وقد استخدم البرتغاليون في بسط سيطرتهم وزرع هيبتهم أساليب ترويعية لم يألفها المسلمون من قبل ولا يقبلون عملها فقد ذكر الأستاذ غسان الرمال أن القائد البرتغالي كبرال أقام مركز تجارياً في قاليقوط على الساحل الهندي ثم أخذ يتحرش بالسفن الإسلامية المقلعة

---

(١) غسان محمد الرمال، صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر، صفحة ١٩٥.

(٢) غسان محمد الرمال، صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر، صفحة ١٩٥.

من قاليقوط. وصادف أن أبحرت بعد أيام من وصوله إحدى السفن الإسلامية الكبرى من ميناء قاليقوط وهي محملة بالتوابل فأسرها واستولى على حمولتها، وما أن وصل الخبر إلى المسلمين في قاليقوط حتى ثاروا وهاجموا الوكالة البرتغالية وقتلوا معظم العاملين بها وعددهم خمسون برتغالياً فقام كبرال بضرب المدينة بمدافعه لمدة يومين كاملين إضافة إلى ضرب السفن المصرية بالميناء حتى أغرقها بمن فيها من نساء وأطفال[1]. (انتهى النقل).

وأضاف الأستاذ الرمال: ثم اتجه القائد البرتغالي كبرال نحو كوشين على ساحل الملبار، وفي الطريق اعترض سبيل عشر من أكبر السفن الإسلامية هناك وقام بنهبها وإحراقها ومن ثم قتل كافة بحارتها (٢). ثم اتجه البرتغاليون إلى المواجهة المباشرة مع العرب فقرروا بعد حملة فاسكو داغاما الثانية إلى الهند في سنة ١٥٠٢م إغلاق مدخل البحر الأحمر في وجه السفن التجارية العربية والهندية، فقام البرتغاليون ببث سفنهم في بحر العرب لتقطع الطريق بين الهند وكل من مضيق (هرمز) و(باب المندب) وقبضوا في تلك السنة على سبعة من المراكب العربية وقتلوا بعضاً من ركابها وأسروا الباقين وكان ذلك أول هجوم للبرتغاليين على السفن العربية.

وفي سنة ٩١٠هـ، ١٥٠٥م أبحر من لشبونة القائد البرتغالي (الميدا) على رأس أسطول كبير يقل نحو ألف وخمس مائة جندي بهدف إقامة قواعد بحرية في نحو ست نقاط إستراتيجية وتجارية في كل من ساحل أفريقيا الشرقي وساحل الهند الغربي فسقطت أمام نيران مدافعه المدن الكبيرة على الساحل الأفريقي مثل سفالة بموزمبيق و(كلوه) و(ممباسا) بتنزانيا وفي السنة التالية أخضع (البوكيرك) ميناء (لامو) بكينيا و(براوا) بالصومال وتقدم شمالا إلى جزيرة (سقطرى) وسيطر عليها في سنة ١٥٠٧م وحسب البرتغاليون أن سيطرتهم على (سقطرى) ستمكنهم من شل الملاحة العربية التجارية حيث لم يكن باستطاعتهم اعتراض هذه السفن في المحيط الهندي الواسع، غير أن البرتغال اكتشفوا أن عدن هي بوابة البحر الأحمر وليست

---

(١) غسان محمد الرمال، صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر، صفحة ١٦٩.

(٢) غسان محمد الرمال، صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر، صفحة ١٦٩.

سقطرى. ونظراً لعدم قدرتهم على احتلال عدن في تلك الفترة لقوة تحصيناتها لذا اتجه القائد البرتغالي البوكيرك من سقطرى إلى هرمز ليسد مدخل الخليج العربي وهو الطريق الثاني للتجارة العربية مع الهند. كما هاجم القائد البرتغالي بعض موانئ مملكة هرمز بساحل عمان غير أن هرمز لم تخضع للبرتغال إلا في سنة ٩٢١هـ ١٥١٥م.

أما التهديد البرتغالي للموانئ الهندية فلم يكن أقل خطراً من الموانئ العربية وأرسل السلاطين المسلمون بالهند يستنجدون بالسلطان قانصوه الغوري سلطان المماليك بمصر، واتفقوا معه على أن ترسل مصر أسطولاً إلى الهند، وهناك تنضم إليه سفن سلاطين الهند المسلمين ويشترك الطرفان في مهاجمة قواعد البرتغاليين بالهند، فأرسل السلطان الغوري تجريده من ست سفن حربية بقيادة حسين الكردي فوصلت إلى (ديو) في سنة ٩١٣هـ ١٥٠٨م، وفي هذه السنة هاجم البرتغاليون (دابول) جنوبي (جزرات) وأحرقوها. ثم جهزوا حملة إلى (جزرات) وهاجموا (ديو) بالهند فاشتبك معهم حسين الكردي في معركة في عرض البحر أمام (ديو) وقتل كثيراً من البرتغاليين إلا أن عددهم كان كبيراً فاستطاعوا أن يتغلبوا على المسلمين، وقتل من جنود حسين الكردي خمسمائة رجل وفشلت بعد ذلك جهود المماليك في نصرة السلاطين المسلمين بالهند. ولا يمكن أن ينسى المسلمون الجهود المخلصة التي بذلها السلطان الغوري لحماية دار الإسلام رغم ما كان يعترضه من المشاكل الداخلية والخارجية ومهاجمة القراصنة الصليبيين للسواحل المصرية.

وعندما عرف البرتغاليون موقع عدن الاستراتيجي بالنسبة للبحر الأحمر أمر ملك البرتغال قائده البوكيرك بالاستيلاء على عدن ودخول البحر الأحمر فأبحر في سنة ١٥١٣م من الهند إلى عدن على رأس حملة بحرية كبيرة، وكانت عدن آنذاك محصنة تحصيناً قوياً فلم ينجح في فتحها ولم يستطع العودة إلى الهند في وجه رياح الأزيب التي حملته إلى عدن فدخل البحر الأحمر ومكث بجزيرة كمران إلى حين هبوب الرياح الجنوبية الغربية التي تحمل السفن من الموانئ العربية إلى الهند.

وقال الأستاذ غسان الرمال في كتابه بأن البوكيرك لما وصل جزيرة كمران صادف وجود أربع سفنٍ إسلامية كبيرة محملة بالبضائع إحداها تخص السلطان الغوري فقام بأسرها وتعذيب من فيها من المسلمين، ذلك أن البوكيرك ولكي يعوض فشله في عدن كان يصب انتقامه بقطع أيدي وأنوف وآذان أي أسرى يأخذهم من المراكب الإسلامية التي كان يلقاها في البحر الأحمر [١]. وقال الأستاذ الرمال أنه في سنة ٩١٩هـ (١٥١٣م) دخل البوكيرك كمران وأوقع بمن فيها من المسلمين مذابحه المعهودة وقتل من فيها من أصحاب السلطان عامر بن عبد الوهاب ومن ثم أباحها لجنده الذين نهبوها [٢].

ولم تكن أعمال البوكيرك في الهند لتختلف عن أعماله في كمران، قال الأستاذ الرمال في كتابه إنه لما فشل البوكيرك في الاستيلاء على قاليقوط بفعل صمود مقاومة أهلها توجه واستولى على مدينة جواء، ويقال إن ذلك تم بمساعدة تولاجي أحد أمراء الهندوك وأرسل البوكيرك بخطاب إلى ملك البرتغال يصف ما حدث بعد احتلال المدينة قال فيه بأنه «عرض على السيف كل عربي بمدينة جواء» وأنه «حين أمكنه العثور على عربي كان إفلاته من يده من المحال» «وأنه كان يملأ بهم المساجد ويضرم فيها النار» (انتهى)[٣].

ونعود إلى أخبار رد الفعل الإسلامي على الغزو البرتغالي ومتابعة حملة حسين الكردي الذي فشل في دحر البرتغاليين بالهند فعاد إلى مصر إلا أن السلطان الغوري أمر بتجهيز حملة أخرى إلى الهند وكتب إلى السلطان العثماني بايزيد يطلب مساعدته فأمده العثمانيون بالأخشاب اللازمة لبناء السفن، وبقنطار من البارود وألفين من الجنود الأتراك بقيادة سليمان الرومي، وأقلعت الحملة الثانية من السويس سنة ٩٢١هـ = ١٥١٥م بقيادة حسين الكردي أيضا غير أن أولويات الحملة تغيرت وهي مازالت في البحر الأحمر فعند وصول سفن الحملة إلى جزيرة

(١) غسان محمد الرمال، صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر، صفحة ١٣٩.
(٢) غسان محمد الرمال، صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر، صفحة ١٣٩.
(٣) غسان محمد الرمال، صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر، صفحة ١٨٥-١٨٦.

كمران شرع حسين الكردي في بناء حصن بجزيرة كمران التابعة لليمن ودون استئذان سلطان اليمن عامر بن عبد الوهاب الطاهري فتوجس السلطان عامر خيفة من هذا التصرف، وتوقع أن تكون لهذه الحملة أهداف في اليمن غير هدفها المعلن في مقاومة البرتغال، فامتنع عن تزويد سفن الحملة بالمؤن كما منع السفن التجارية المتوجه إلى جدة من المرور بجزيرة كمران، فغضب الكردي من تصرف السلطان عامر وأعلن الحرب على الدولة الطاهرية واستعان بخصوم السلطان عامر باليمن وساعدته البنادق والمدافع التي لم تعرفها اليمن من قبل على هزيمة السلطان عامر بن عبد الوهاب واكتسح اليمن في بضعة شهور.

وبعد سقوط زبيد عاصمة تهامة خطط حسين الكردي أن يزحف بجيشه إلى عدن لمحاصرتها من جهة البر بينما يحاصرها الأسطول بقيادة سليمان الرومي من جهة البحر، ولكن تعثرت قوات المماليك بزبيد من الوصول براً إلى عدن بسبب ما لاقته من مقاومة من فلول عساكر السلطان عامر بن عبد الوهاب. أما الحملة البحرية فوصلت إلى عدن سنة ٩٢٢هـ = ١٥١٦م وشرعت تضرب تحصينات المدينة بالمدافع ثم نزل جنود الحملة إلى الشاطئ بعد منتصف الليل ولكنهم واجهوا قتالاً عنيفاً من حامية عدن وأهلها فانهزم الأمير سليمان الرومي ونجا بنفسه بمشقة ثم انسحب بمن بقي معه من الجنود وعادوا في اليوم الثاني بسفنهم إلى ساحل زبيد.

وبعد هذا الإخفاق عاد حسين الكردي من اليمن إلى جدة وترك نائبه (برسباي) يقاتل عسكر السلطان عامر عبد الوهاب .

ثم حدث حادث غيَّر مجرى التاريخ ففي سنة ٩٢٣هـ = ١٥١٧م انتصر السلطان العثماني سليم الأول على المماليك واستولى على مصر وأعلن شريف مكة ولاءه للعثمانيين وقام الأشراف بقتل حسين الكردي.

ثم جهز البرتغاليون في نفس السنة حملة من ثلاثين سفينة تحت قيادة لوبو سواريز الذي حل محل القائد السابق البوكيرك وكانت خطة البرتغاليين تهدف إلى الاستيلاء على جدة

والوصول منها إلى المناطق المقدسة للمسلمين وهكذا وصل لوبو سواريز إلى عدن واستفاد من تجارب عدن مع المماليك المصريين فخدع والي عدن من قبل السلطان عامر بن عبد الوهاب وأوهمه بأنه قادم لمحاربة المصريين في جدة ففرح والي عدن بذلك وقابل القائد البرتغالي على الساحل وأرسل إلى سفينته بمائدة عظيمة.

وكان باستطاعة لوبو سواريز الاستيلاء على عدن بسهوله في ذلك الوقت فقد ضعفت تحصيناتها بتأثير مدافع الأسطول المصري الذي خرب أجزاء من سورها البحري لكن القائد البرتغالي أحب أن يحتفظ بقوته للهدف المهم حيث تصور أن بإمكانه الاستيلاء على عدن بسهولة في طريق عودته من جده. كما توقع سواريز أيضاً أن تكون جدة هدفاً سهلاً بسبب هزيمة المماليك أمام العثمانيين ووقوع مصر في أملاك الدولة العثمانية المنشغلة بحروبها الطويلة في أوروبا وفارس. ولكن توقعات سواريز لم تكن صحيحة، فقد صمدت تحصينات جدة التي شيدها حسين الكردي بأمر من السلطان الغوري الذي أرسله في سنة ٩١١هـ مع مجموعة من البنائين والنجارين وكثير من العمال المصريين لبناء سور حول جدة يحصنها من هجمات البرتغاليين الذين خططوا للوصول للحرمين الشريفين.

وقد فوجىء القائد البرتغالي بصمود تحصينات جدة أمام السفن البرتغالية كما فوجىء بقيام بقية السفن المملوكية المتواجدة بجدة بقيادة سلمان الرومي بمهاجمة أسطوله، فلم يتمكن سواريز من إنزال جنوده وهرب بسفنه إلى جزيرة كمران حيث مكث فيها ثلاثة أشهر منتظراً موسم الرياح التي ستحمله إلى عدن والهند وهلك أثناء ذلك الانتظار بجزيرة كمران كثيرٌ من رجاله.

وبعد غزو (سواريز) الفاشل لجدة استنجد أشراف مكة بوالي مصر (خاير بك) أول وال للعثمانيين على مصر فأرسل خاير بك بثلاث مائة جندي تحت إمرة حسين الرومي الذي تعين كأول نائب للدولة العثمانية على جدة وساحل تهامة، أما عدن فبقيت على حالها تحت سلطة الدولة الطاهرية. وكما فشل لوبو سواريز في احتلال جدة فشل أيضاً في احتلال عدن

التي ظن أنها ستكون هدفاً سهلاً لكنه لما عاد إليها وجد أن تحصيناتها قد رممت في غيابه فأحس بعجزه وترك عدن وتوجه مسرعا إلى الهند.

وعلى الرغم من أن الدولة العثمانية كانت من الدول البحرية الكبرى إلا أنها اعتمدت في دفاعها عن البحر الأحمر على ما تبقى من السفن المملوكية. ثم تجهزت أول حملة بحرية عثمانية بميناء السويس مؤلفة من أربعة آلاف جندي وعشرين سفينة وتوجهت نحو السواحل اليمنية سنة ٩٣٢هـ = ١٥٢٦م تحت إمرة خير الدين حمزة وسلمان الرومي قائد الأسطول السابق الذين اختلفوا فيما بينهم. ولما وصل الأسطول العثماني إلى عدن حاصرها خمسة أشهر غير أنه فشل في الاستيلاء عليها فتركها وتوجه إلى الهند ولم يكن لهذا الأسطول دور هام في مقاومة البرتغاليين.

وفي سنة ٩٤٥هـ = ١٥٣٨م غادرت ميناء السويس الحملة البحرية العثمانية الثانية وكانت حملة عظيمة إذ بلغ عدد سفنها ثمانين وقيل ستين سفينة من الأنواع الكبيرة وثلاثين سفينة من أنواع أخرى تحمل عشرين ألف جندي بمعداتهم وعتادهم، وكانت تهدف إلى إيقاف أعمال القرصنة البرتغالية التي تزايدت في خليج عدن والبحر الأحمر ولعقاب البرتغاليين الذين قدموا المساعدات العسكرية لفارس في حربها ضد العثمانيين، كما قتلوا حليف العثمانيين بالهند السلطان بهادر شاه سلطان الجزرات.

إلا أن هذه الحملة القوية التي كان بإمكانها التغلب على البرتغاليين واستئصال شأفتهم بالهند والمحيط الهندي ابتليت بسوء القيادة، فقد تولى قيادتها سليمان الطواشي والي مصر الذي كان خلواً من الدهاء والحكمة والشجاعة ودليل ذلك أنه لما وصل إلى عدن رحب به حاكمها عامر بن داؤد الطاهري آخر سلاطين بني طاهر وجمع له المواد الغذائية اللازمة للحملة وزار سفينة القيادة مرحبا، لكن سليمان الطواشي اهتبل فرصة زيارته الترحيبية لسفينة القيادة فأمر بشنقه وشنق وزيره ونهب ممتلكاتهما، كما أمر جنوده بدخول عدن ونهبها ثم غادر عدن بعد أن عين بهرام التركي حاكماً عليها.

ولما وصلت حملة الطواشي إلى الهند وجدت أن القائد المسلم المسمى بالخواجا ظفر قد استعاد جزيرة (ديو) من البرتغاليين بقوة من المسلمين الهنود والعرب فلجأ البرتغاليون إلى قلعة على الساحل المجاور للجزيرة فضرب عليهم المسلمون الحصار وأمدهم سليمان الطواشي بأربع مئة من جنوده وثلاثة من المدافع الكبيرة ولجأت السفن بسبب هيجان البحر إلى مرسى (مظفر أباد) واستمر المسلمون في ضرب القلعة بالمدافع حتى استسلم من فيها من البرتغاليين، وبعد هدوء البحر عاد الأسطول التركي إلى ميناء (ديو) بقصد مهاجمة آخر حصون البرتغاليين في (ديو) . وشرع المسلمون في حفر نفق تحت قاع البحر إلى الحصن بينما راح الخواجه ظفر وجنوده يهاجمونها من جانب الجزيرة، وحينما أوشك الحصن على السقوط بأيدي المسلمين حدث أمر غريب، فقد أقلع الأسطول التركي فجأة من (ديو) عائداً إلى البحر الأحمر دون سبب معروف وتكهن البعض السبب لهذه المغادرة المفاجئة بأن سليمان الطواشي أهان سلطان الجزرات محمود شاه خليفة بهادر شاه مما دفع الأخير للعمل على إبعاده من الهند بحيله أوحى فيها للطواشي بوصول إمدادات كبيره للبرتغاليين مما أزعجت الطواشي وأثارت مخاوفه فقرر العودة المفاجئة إلى الموانيء العربية.

ثم لعب البرتغاليون لعبة استراتيجية أخرى بهدف إرهاب الأتراك في عقر دارهم والقضاء في نفس الوقت على القدرات البحرية للعثمانيين وهي التي بدأت تهدد وجودهم بالهند، فقرروا تدمير السفن التركية الراسية بميناء السويس وتخريب مواقع بناء السفن التركية فقاموا بحمله بحريه على السويس في سنة ١٥٤٠م مكونة من سبعين سفينة برتغالية وأشاعت أخبار هذه الحملة الرعب في مصر غير أنها وجدت حراسه مشدده على ميناء السويس فعادت أدراجها إلى باب المندب دون تحقيق هدفها.

هذا وكانت المحصلة النهائية للغزوات البرتغالية هو احتلال البرتغاليين مكانة العرب التجارية التي حافظوا عليها لقرون عديدة، فسيطر البرتغاليون طوال القرن السادس عشر الميلادي على التجارة البحرية بين الشرق والغرب عبر طريق رأس الرجاء الصالح وأصبحت

عاصمتهم لشبونة مركز توزيع سلع الشرق إلى بقية الدول الأوروبية كما سيطرت إسبانيا على التجارة مع القارة الأمريكية مع أن تلك الدولتين كانتا قبل سنوات قليله جزءا من الدولة العربية بالأندلس.

ثم أثارت الثروة التي تراكمت للبرتغاليين والإسبان من هذه التجارة أطماع بقية الدول الأوروبية فبدأت الدول الأوروبية الأخرى ببناء الأساطيل البحرية لمنافسة إسبانيا والبرتغال في هذه المكاسب والغنائم، ولم يكد تمر فترة وجيزة حتى نجحت أول سفينة هولندية في الدوران حول رأس الرجاء الصالح ثم ازداد الهولنديون إصراراً على المنافسة، فقام البرتغاليون بمنع السفن الهولندية من دخول ميناء (لشبونة) وكذلك الموانىء الإفريقية التي يسيطرون عليها. فأرسل الهولنديون ابتداءً من سنة ١٠٠٧هـ ١٥٩٩م أساطيل كثيرة إلى الشرق واستطاعوا في فترة قصيرة أن يتمركزوا في الهند واندونيسيا وان يطردوا البرتغاليين من قواعدهم ويحتلونها كما ذكرنا في فصل آخر من هذا الكتاب.

وبعد أن تغلب الأسطول البريطاني على الأسطول الأسباني في معركة (الأرمادا) البحرية سنة ٩٩٦هـ، ١٥٨٨م انطلقت بريطانيا إلى المحيط الهندي لمنافسة البرتغاليين والهولنديين في تجارة الشرق وتأسست في سنة ١٠٠٨هـ، ١٦٠٠م شركة الهند الشرقية البريطانية للتجارة المباشرة مع الشرق، وراحت أساطيلها تحارب البرتغاليين إلى جانب أساطيل هولندا .

وكانت أول محاولة للإنكليز للاتجار مع البحر الأحمر هي تلك التي قامت بها السفينتان (الصعود) و(الرجاء الصالح) في سنة ١٠١٧هـ، ١٦٠٩م، فقد وصلتا إلى عدن بعد رحلة شاقة استغرقت عاماً كاملاً وعليها شحنة من الحديد والرصاص والصفيح والجوخ ولكن بسبب ضعف النشاط التجاري بعدن أثناء حكم الأتراك الأول لليمن فقد تحولت هذه السفن إلى ميناء المخاء الذي كان في ذلك الوقت الميناء الرئيسي لليمن، وهناك سمح للسفن البريطانية ببيع بضاعتها ولكنها أمرت بعدم العودة إلى اليمن دون إذن من القسطنطينية.

هذا وقد كان الأتراك العثمانيون يمنعون السفن الأوربية من الإبحار إلى الشمال من الموانىء اليمنية لأن معنى ذلك اقتراب النصارى من جدة بما يشكل خطراً على الأماكن المقدسة. وفي سنة ١٠٢٦هـ ١٦١٨م حصلت شركة الهند الشرقية الهولندية على إذن الأتراك بالتجارة في الموانئ اليمنية فقط مع عدم الاقتراب من جدة فأثار ذلك غضب الإنكليز فاصطدموا بالهولنديين في معركة بحرية أمام ميناء (المخا) قتل فيها الوكيل التجاري البريطاني.

وفي منتصف القرن السابع عشر امتلأ المحيط الهندي بقراصنة جاءوا من مختلف أنحاء أوروبة وراحوا يقطعون طرق المراكب العربية والهندية ويقتلون ركابها وينهبون ما فيها من السلع الخفيفة والثمينة ثم يحرقونها، فكانت قرصنتهم مكملة للقرصنة التجارية لشركات الهند الشرقية الأوروبية ولقرصنة فرسان القديس بطرس على الموانىء المصرية ووصل هؤلاء القراصنة الأوروبيون إلى البحر الأحمر وتوقفت بسببهم التجارة البحرية العربية.

ثم حاول البحارة العرب الانتقام لفقدان مصدر رزقهم في النقل البحري فبداؤو في أواخر القرن السابع عشر بمهاجمة السفن التجارية الأوروبية في الخليج العربي والبحر الأحمر فاتفقت كل من بريطانيا وفرنسا وهولندا على القيام بعمل موحد ضد العرب وملاحقة السفن العربية في هذه البحار ومنعها من مهاجمة السفن الأوروبية فأخذت فرنسا على عاتقها مهمة حراسة السفن الأوروبية في البحر الأحمر وهولندا في الخليج العربي وبريطانيا في بحار الهند الجنوبية.

وكانت فرنسا قد أسست أسوة بهولندا وبريطانيا (شركة الهند الشرقية الفرنسية) في جزيرة (مدغشقر) وفتحت فرعاً لها في (بند شيري) بإقليم (مدارس) جنوبي الهند، ثم دخلت في مطلع القرن الثامن عشر مجال المنافسة في البحر الأحمر فعقدت معاهدة مع الإمام المهدي إمام اليمن في سنة ١١١٧هـ، ١٧٠٦م تخولها ممارسة التجارة في الموانى اليمنية فأدى ذلك إلى أن تتصالح بريطانيا وهولندا وتتحالفا ضد فرنسا.

ثم قَلّ الاهتمام بالطريق التجاري الأوروبي حول رأس الرجاء الصالح بسبب كثرة الأخطار البحرية التي تصيب السفن الشراعية العابرة لهذا الطريق إضافة إلى طول زمن الرحلة، لذلك لجأت شركات الهند الشرقية إلى مزاحمة التجار المحليين من العرب والهنود في نقل السلع الشرقية وبيعها في موانيء البحر الأحمر والخليج العربي على تجار مصر والشام الذين كانوا بدورهم يبيعونها على تجار البندقية. وفي هذه الأثناء نشبت الحرب بين بريطانيا وفرنسا استمرت سبع سنوات ١١٦٩-١١٧٥هـ (من ١٧٥٦م إلى ١٧٦٢م).

ثم حصل التنافس الفرنسي البريطاني على احتلال مصر والتي تعتبر طريق التجارة الهام بين الشرق والغرب فاحتل نابليون مصر في سنة ١٢١٢هـ ١٧٩٨م، ثم رأى الإنكليز في اقتراب فرنسا من البحر الأحمر تهديداً لوجودهم في الهند فسارعوا إلى احتلال جزيرة (ميون) و(بريم) في مضيق (باب المندب) ليغلقوا الطريق البحري بين مصر والهند، إلا أن انعدام المياه الصالحة للشرب ورداءة الطقس أرغم القوات البريطانية على ترك الجزيرة واللجوء إلى عدن.

ومنذ هذا التاريخ بدأت بريطانيا توجه أنظارها إلى عدن لما تتمتع به من موقع فريد يتحكم في مدخل البحر الأحمر وطريق الملاحة بين السويس والهند فعقدت في سنة ١٢١٦هـ ١٨٠٢م مع سلطان لحج وعدن معاهدة صداقة وتجارة ثم استولت على عدن بالقوة في سنة ١٢٥٥هـ، ١٨٣٩م . وبعد فتح قناة السويس في ١٢٨٥هـ، ١٨٦٩م بقيت الملاحة البحرية العربية محصورة بين موانيء الجزيرة العربية والموانى المجاورة لها من شرقي أفريقيا والهند بينما تولت بواخر الشركات الاستعمارية الأوروبية النقل التجاري البحري بين الشرق والغرب وانتهى بذلك الدور التاريخي للملاحة العربية في نقل التجارة الدولية بين المحيط الهندي والبحر الأبيض المتوسط.

* * *

الفصل الرابع والسبعون

العلويون وظفار



منزل الإمام محمد بن علي صاحب مرباط بظفار[١]

(١) د. مصطفى بدوي، الإمام الحداد، السيرة المصورة، الجزء الثاني، ص٥٤.

أول من اهتم بظفار من العلويين هو الإمام محمد بن علي بن علوي بن محمد المعروف بصاحب مرباط، وكان في بداية علاقته يخفر القوافل المتجهة إلى ظفار بأن يرسل معها سبحته مما يدل على هيبته ومكانته بين السلاطين والعشائر المنتشرة على الطريق بين حضرموت وظفار، ثم إنّه انتقل إلى العيش بمرباط وهي ظفار القديمة التي اندثرت الآن وكان لها مكانة كبيرة في سابق التاريخ وتوفي بها سنة ٥٥٦هـ.

ذكر الأستاذ الشاطري[١] في ترجمته أنه ولد ونشأ بتريم وتربى على يد والده الشيخ علي خالع قسم، وكان له باع في العلوم الشرعية والعربية ورحلات خارجية. ومن طلبته المشهورين شيخ الإسلام سالم بافضل والقاضي أحمد باعيسى وسعد الدين الظفاري.

وللإمام صاحب مرباط الفضل في إدخال العقيدة السنية والمذهب الشافعي إلى ظفار بعدما كان اهلها من غلاة الخوارج[٢]. كما كان له دور دبلوماسي في تحسين العلاقات بين الدولة الراشدية (والتي امتدت من سنة ٤٠٠هـ إلى سنة ٧٠٠هـ تقريباً) بحضرموت والدولة المنجوية ببلاد المهرة وظفار[٣]. هذا وممن ولد ونشأ وتوفي بظفار من العلويين السيد عبد الله بن علوي باجبهان باعلوي وقد ولد بها سنة ٩٩٩هـ وتوفي سنة ١٠٦٢هـ[٤].

وكان العلويون يرتحلون إلى مسقط وظفار للتجارة أو الاستقرار، وفي تاريخ الشعراء[٥] أنه بعد وفاة الحبيب عبد الله بن علوي الحداد (١٠٤٤ف ١١٣٢هـ) لم تطب الإقامة بتريم لابنه زين المولود بتريم سنة ١١٠٥هـ، فسافر إلى العراق وأعجبته البصرة، إلا أنه لم تَرُق له

---

(١) محمد بن أحمد الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي، عالم المعرفة، صفحة ١٩١.

(٢) محمد بن أحمد الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي، عالم المعرفة، صفحة ١٩٢.

(٣) محمد بن أحمد الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي، عالم المعرفة، صفحة ١٩٢.

(٤) عمر بن علوي الكاف، خلاصة الخبر، دار المنهاج، صفحة ٢١٧.

(٥) عبد الله بن محمد السقاف، تاريخ الشعراء الحضرميين، مكتبة المعارف بالطائف، الجزء الثاني، صفحة ١٣٥-١٣٧.

الإقامة بها، فارتحل إلى الإقليم العماني واستقر ببلدة صيره. محبوباً ومحترماً عند كافة أهلها مأخوذين بطيب سيرته وشدة استقامته ووفرة أعماله العلمية وعباداته وتزوج على بنت أحد أعيانها وكانت له منها ذرية انقرضت فيما بعد وله شهرة واسعة لم ينلها غيره رغم اختلاف عقيدة أهل عمان عن عقيدة العلويين، وقد توفي بصيرة هذه سنة ١١٥٧هـ (انتهى بتلخيص).

.وكانت السفن الشراعية القادمة من الهند وأرخبيل الملايو تتوقف في مسقط بعمان والتي كانت من المراكز ألتجاريه المهمة، وكان العلويون العائدون على هذه السفن إلى حضرموت ينتهزون هذه الفرصة للاجتماع بعلماء عمان والأخذ منهم، وذكر تاريخ الشعراء أن السيد عبد الله بن أبي بكر عيديد (١١٩٠-١٢٥٥هـ) كان في طريق أوبته من جاوا إلى تريم عن طريق الشحر فألقت سفينته بمراسيها بمدينة مسقط من الإقليم العماني فانتهز الفرصة للقاء العلامة السيد محمد بن عبد الرحمن الزواوي، وقد اغتبط كل منهما بالآخر وسر سروراً عظيماً رغم الفراق السريع [١].

قال بن عبيدالله [٢]: وقال ياقوت في معجم البلدان مرباط فرضة مدينة ظفار وهي مدينة مفردة على ساحل البحر وأهلها عرب وزيهم زي العرب القديم، وفيهم صلاح مع شراسة وتعصب وقلة غيرة، كأنهم اكتسبوها بالعادة ذلك أن نساءهم تخرج في كل ليلة إلى ظاهر المدينة ويسامرن الرجال الذين لا حرمة بينهم وبينهن. وقد كان خراب مرباط في سنة ٦٢٠هـ فعسى أن تكون العادة انتهت بخرابها (انتهى).

أما طريق القوافل البرية بين ظفار والشحر وشبام في الزمن القديم فقال عنه البكري[٣]: إن القوافل كانت تقوم من ظفار إلى رخيوت فإلى دنقوت ، ثم إلى غيصة ابن بدر ومنها إلى حصوين ثم إلى خشن فإلى سيحوت ، ثم إلى ريدة ابن عبد الودود ، ثم إلى قصيعر

(١) عبد الله بن محمد السقاف، تاريخ الشعراء الحضرميين، الجزء الثاني، صفحة ١٨٠ .

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ٤٤ .

(٣) صلاح البكري، تاريخ حضرموت السياسي، الجزء الأول، صفحة ٢٥-٢٦.

ثم إلى الحاص فإلى الشحر ومنها تسير إلى تبالة ثم إلى عقبة العرشة مخترقة وادي الصفاء ثم إلى الغلاغيل مخترقة وادي الفيران ثم إلى الغييضات ثم إلى عقبة الرميظة فإلى الغبيرة ثم إلى وادي النحر ثم إلى الغر فإلى شبام ومدة هذه المسافة ١٥ يوماً.

نبذة جغرافية وتاريخية عن ظفار[١]

يمتد إقليم ظفار من سيحوت غرباً إلى حدود عمان شرقاً، وهو عبارة عن هضبة يبلغ ارتفاعها ٣٠٠٠ قدم تتدرج نحو الشاطىء شرقاً وغرباً، وتتراجع في الوسط فتضم بينها سهلاً يشبه في شكله الهلال. وتهب على هذا الإقليم الرياح الموسمية الجنوبية الغربية صيفاً، فتلطف مناخه ويسقط المطر على الجبال فتفيض خيراً ورخاءً. وفوق هذه الجبال تنمو أشجار الكندر التي تشتهر به بلاد العرب، و هي مصدر ثروة ظفار منذ أمد بعيد، ويستورده الفراعنة والهنود من قديم الزمن ليستعمل في معابدهم ويبادلونه بالرز والأقمشة والبن والطيب.

وتقيم في إقليم ظفار قبيلتان: الأولى بنو قرا وأصلهم من حضرموت ويسمون أنفسهم الحقالى، ويسكنون في جبال القرا، والثانية بنو كثير ويعيشون في السهول.

قال البكري وعامة الناس مشاغبون محبون للحرب والقبائل متنافرة فيما بينها ومتنافسة، ولم تستطع حكومة إخضاعهم إلا بعد مقاساة الأمرين وبعد أن يستنفد السكان كل مجهوداتهم في مقاومتها. يبدأ تاريخ ظفار بعد الإسلام بحكم محمد بن أحمد المنجوى، وما زالت بقايا عاصمته الدارسة قائمة في خورو ي.

وفي تاريخ ابن حميد[٢] أنَّ السلطان محمد بن أحمد بن منجوة كان أوحد أهل زمانه كرماً وحلماً وتواضعاً وتعظيماً للعلم وأهله، وكانت وفاته بعد سنة ٦٠٠هـ على الحال المرضي

(١) المصدر الأستاذ صلاح البكري، تاريخ حضرموت السياسي صفحة ٢٠١.

(٢) سالم بن حميد الكندي، تاريخ حضرموت المسمى العدة المفيدة، صفحة ٩٠.

من العفاف والتقى والعدل والكرم والتواضع وكان يعتمد على محمد بن أحمد الحبوظى في تجارته ولما توفي قام بعده الحبوظي بالملك.

وقال الأستاذ الشاطري إن الإمام محمد بن علي صاحب مرباط لعب دوراً في تحسين العلاقات بين الدولة الراشدية بداخل حضرموت والدولة المنجوية ببلاد المهرة وظفار[١].

ولما توفي محمد الحبوضي خلفه في حكم ظفار سليم بن إدريس الحبوضي سنة ٦٩٧هـ (١٢٧٩م) وأصله من حضرموت. وفي القرن السادس عشر الميلادي حكم ظفار سيفُ الإسلام الغساني وهو من صنعاء اليمن، ثم بعد قرن من النزاع حكم ظفار شخص من بني كثير تلاه عصر لا يعرف عن تاريخه شيء اللهم إلا أنه استمر طيلة القرن الثامن عشر.

قال البكري: ثم حكم شخص آخر من العلويين في اوائل القرن التاسع عشر لمدة عشرين سنة حتى قتله بنو قرا.

وأوضح بن عبيدالله هذه النقطة المبهمة والتي أوردها البكري بالصيغة السابقة فقال في بضائع التابوت: أما السيد محمد بن عقيل فقد ذكر العلامة أحمد الجنيد في النور المزهر أنه من ذرية أحمد بن أبي بكر السكران يجتمع مع الحبيب علي بن عبد الله السقاف صاحب سيؤن في عقيل بن عبد الله بن أبي بكر بن علوي بن أحمد السكران، واسمه الكامل محمد بن عقيل بن عبد الله، وهو صاحب المراكب الكثيرة والدنيا الواسعة. تولى جهة ظفار ومرباط والقرى ولم تطل مدته بل قتله القرى ظلماً، وله اخوان هما عبد الله وعبد الرحمن لم يقوما مقامه. وأما أبوه الحبيب عقيل فقد توفي بالمخا سنة ١٢١٧هـ وكانت وفاته فجأة وهو من الصالحين، وكانت تعتريه الحدة (انتهى)[٢].

وقال بن عبيد الله[٣]: وجاء في مشجر شيخنا الإمام عبد الرحمن المشهور إن محمد بن

---

(١) محمد بن أحمد الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي، عالم المعرفة، صفحة ١٩٢.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التاابوت، الجزء ٢ من الجزء الثاني، صفحة ٤.

(٣) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ٤.

عقيل بن عبد الله بن عقيل بن عبد الله بن أبي بكر بن علي بن عقيل بن عبد الله السقاف، كان ذا ثروة عظيمة جليلة وهمة عالية تولى جهة مرباط وظفار وأقام بها سنين يعزل ويولي ثم قتله عبده ظلماً (انتهى).

وقد طلب العلويون في أيام الحبيب علوي بن سقاف من السيد محمد بن عقيل حاكم ظفار في حينها الوصول إلى حضرموت لإنقاذها مما تعانيه من فوضى واضطراب، وذكر بن عبيدالله مكاتبة من الجد علوي بن سقاف ذكر فيها «أن السيد محمد بن عقيل وصل إلى البنادر ونفذ إليه بعض السادة والقبائل، ونقلت الأخبار بأنه واصل إلى حضرموت حققه الله وجعله صلاحاً ونجاحاً وفلاحاً». قال بن عبيدالله ولا تاريخ لدولة محمد بن عقيل ولكنه حج سنة ١٢٢٩هـ ويتوقع أن يكون حجه بعد انحلال دولته وتلاشي أمرها[١].

قال بن عبيدالله في بضائع التابوت وفي ذي الحجة من سنة ١٢٩٢هـ وصلت الخطوط من بندر ظفار يذكرون أن أهلها ونواحيها أذعنوا وأطاعو للسيد العلامة فضل بن علوي بن سهل مولى خيله وأتو إليه بزكوات أموالهم، وقال أيضاً: وفي سنة ١٢٩٦هـ كانت عودة السيد فضل بن علوي هو ومن معه من أولاده وحاشيته إلى المكلا بعد خروجه من بندر ظفار، وكان من خبره أنه لما استقر بظفار دانت له القبائل بأسرها قراي وكثيري وغيرهما وتساقطوا الدماء الواقعة بينهم وأخذ عليهم العهود أن النفس بالنفس من مقامهم هذا وأن الأمور تجري على حكم الله ورسوله، ومرجعها إلى السيد فضل وأنه ملك البلاد وسلطان العباد، ثم إن رجلاً قتل غيلة تحت أحد محلات آل كثير فجاءت قبيلة المقتول إلى عند السيد فضل وقالوا له إن قاتله من آل فلان، فقال لهم عينوا القاتل حتى نقتص لكم منه فقالوا لا نعرف إلا قبيلته لا غير فقال لهم لا يحكم الله بهذا، وقد توثقنا عليكم أن مرجع الأحكام إلى الشريعة فلم يكن من قبيلة المقتول إلا أن خلعت الطاعة وأحاطت ببيت السيد فضل وأثارت عليه الحرب وحصرته هو ومن معه نحواً من ثلاثة أشهر حتى تمكن من الخروج بعد ذلك وغادر ظفار

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ٦.

مقهوراً مكسوراً ولم يساعده أحد. ثم ركب إلى المكلا أولاً ومنها إلى اليمن ثم إلى جدة وفي سنة **١٢٩٧**هـ ورد كتاب من الحبيب عبد الله بن محسن بن علوي السقاف بعد حجه في السنة التي قبلها وذكر أن السيد فضل ورد اسطمبول والتقى بسلطان الإسلام وبث إليه الشكوى مما جرى عليه بظفار، فأكرم السلطان وفادته ووعد بنصرته، هذا معنى ما قاله ابن حميد (انتهى).

وقال صلاح البكري المعروف بتعصبه ضد العلويين ما نصه [١]: وفي سنة **١٢٩٨**هـ قدم شخص يدعى فضول بن عليوى وهو حضرمي الأصل وادّعى أنه موفد من قبل الحكومة العثمانية، ولكنه طرد فوجّه أهل ظفار أنظارهم إلى السلطان سعيد بن تركي بن سعيد جد سلطان مسقط الحالي فوجه لهم عبده سليمان بن سويلم المشهور بالشجاعة والإقدام وشدة المراس، وهو خير كفء لحكم بلاد مضطربة كظفار، واستطاع أن يثبت دعائم الحكم بعد ثلاث سنوات من المناوشات والقتال مع القبائل الثائرة، ثم خلفه على ولاية ظفار من قبل سلطان عمان عبدٌ اسمه بخيت، وقد أوصاه سلفه سليمان بأن لا يترك أي رئيس من بني كثير بعد انتخابه، فقتل عشرة من رؤساء بني كثير خلال ولايته التي امتدت سبع سنوات (انتهى).

وقال بن عبيدالله في بضائع التابوت [٢]: وفي التنبيهات المضافة إلى تحفة الأعيان أن تركي بن سعيد استولى على ما كان تحت نفوذ أئمة عمان حول القطر العماني وأقرب ذلك ظفار فاستولى عليها وألحقها بمملكته فهي في نفوذ سلاطين مسقط إلى الآن ومن تحفة الأعيان المذكور أن تركي بن سعيد مات سنة **١٣٠٥**هـ وخلفه من بعده فيصل بن تركي وقد تولى بعد فيصل بن تركي ولده تيمور، ولكن سلاطينهم صاروا آلة في يد الإنجليز يقلبونهم كيف أرادوا ولذا لم يرضوا عن سلوك تيمور فعزلوه ونَفَوْهُ إلى سنقفورا وأقاموا ولده في مقامه (انتهى).

* * *

---

(١) صلاح البكري، تاريخ حضرموت السياسي، دار الآفاق العربية، صفحة ٢٠١.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ٤٤.

الفصل الخامس والسبعون

العلويون ودولة العمودي



قال بن عبيدالله عن بلدة قيدون [١] هي من قدامى البلاد، وهي موطن الشيخ الكبير سعيد بن عيسى العمودي، ويقال إنَّ نسبه يرجع إلى أبي بكر الصديق[٢] وهو أي الشيخ سعيد والفقيه المقدم (جد العلويين) أول من سلك طريق التصوف بحضرموت، وقد ترجمه غير واحد من أهل العلم، وكان صادعاً بالحق لا يخاف فيه لومة لائم وكان كثير التردد على حضرموت (يقصد سيؤون وتريم وما حولها) حتى لقد قال السيد علي بن حسن العطاس في كتابه القرطاس: لا إله إلا الله عدد خروج الشيخ سعيد بن عيسى العمودي إلى حضرموت، ولم يزل يسلك الطالبين ويوصل الراغبين إلى أن توفي بقيدون سنة ٦٧١هـ (انتهى).

وقال بن عبيدالله في أدام القوت[٣] ومما يدل على عظم حال الشيخ سعيد ورسوخ مقامه في التصوف ما أجاب به ابن أبي الجعد لما سأله عن حال الشيخ وهو قوله حرام على الشيخ النجاح إذا رضي أن يقال له يا شيخ. وكان ذلك نصيبه من الآخرة بل لا بد للشيخ أن يكون جوال الفكرة جوهري التفكر جميل المنازعه كريم المراجعة عظيم الحلم كثير العلم واسع الصدر ذليل النفس، تكلمُّه تبسّم واستفهامه تعلُّم، يذكر الغافل، ويعلم الجاهل لا يشمت بمصيبة ولا يذكر أحداً بغيبه مأموناً على الأمانات بعيداً عن الخيانات لا يجهل على من جهل عليه، مسروراً بمن أتى إليه أنساً للغريب عوناً للمسلمين في كل أمر تعيب أباً لليتيم معيناً للضعفاء، محزوناً قلبه، مسروراً بربه، مستوحشاً من أهل الدنيا، لا يبخل ولا يعجل ولا ينتصر ولا يغتاض على من يؤذيه بل يحلم ويصفح، ولا يخوض فيما لا يعنيه إن شُتم لا يشتم وإن سُئل لم يمنع وإن منع لم يغضب، ألين من الزبد وأحلى من الشهد، قريباً من الخير وأهله، بعيداً عن الشر وأهله، لا يغضب إلا بحكم عدله عالماً بأصول الدين وفروعه. (انتهى).

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مطبعة الإرشاد، بصنعاء، صفحة ١٨٨.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ٧.

(٣) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ٤.

قال بن عبيدالله: وخلف الشيخ سعيد بن عيسى العمودي على منصبه ولده الشيخ محمد بن سعيد وما زال آبناؤه يتوارثون منصبه حتى انتهى إلى دولة ورئاسة دينية فاختلفوا وانقسموا وجرت بينهم وبين آل فارس النهديين وبينهم وبين السلطان بدر بوطويرق الكثيري حروب يطول شرحها، كما جرت بين آل العمودي وأعقاب بدر بوطويرق إلى أيام السلطان عمر بن جعفر الكثيري أحوال كثيرة (انتهى باختصار بسيط).

قال بن عبيدالله: وكان للسادة دور مهم في التوسط فيما جرى من حروب بين المشائخ العمودي وبقية القبائل المتحاربة لإنهاء القتال وحقن الدماء وحفظ الأموال.

قال بن عبيدالله: وفي سنة ٩٧٠هـ كانت غارة الجرادف من أصحاب العمودي ونهبوا في هذه الغارة بيت السيد محمد بن عبد الله عيديد [١].

ويصف العلامة بن عبيدالله إحدى هذه الوقائع نقلاً عن تاريخ باعباد فيقول[٢]: وفي آخر رمضان من سنة ١١٢٣هـ أغار الشيخ حسن بن مطهر العمودي على الهجرين بأقوام كثيرة فنهبوا جميع ما في البلاد من حلي وأثاث وتمر وطعام وبهائم وغير ذلك، ولم يتركوا لأحدٍ نقيراً ولا قطميراً، ثم جاء السلطان عمر بن جعفر بأقوام من يافع، والتحم القتال من طلوع الشمس إلى ضحوة النهار، وكان النصر للسلطان فانهزم العمودي وقتل من عسكره الكثير، وحاول السلطان أن يتبعهم إلى دوعن، غير أن الشيخ علي بن سعيد باوزير توسط بصلح لمدة ثلاثة اشهر، وذكر السيد أحمد بن حسن العطاس أن الذي عقد الصلح هو الحبيب محسن بن حسين بن عمر العطاس، وفي كتاب أرسله الحبيب عبد الله بن علوي الحداد للحبيب حسين بن عمر العطاس بتاريخ الحجة ١١٢٣هـ يطلب فيه منه التوسط بين السلطان عمر وبين الشيخ حسن بن مطهر العمودي ويقول فيه: «وكل منهم يبذل لصاحبه

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مطبعة الإرشاد، بصنعاء، صفحة ١٦٤.

(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ٩.

النصيحة وتكون لهم فيه صلاح المسلمين وأمان الطرق وكف أيديهم عن الأنفس والأموال» (انتهى باختصار).

كما كان للعلويين دور إصلاحي فيما ينشأ من خلاف وحرب بين أفراد أسرة العمودي انفسهم، قال بن عبيدالله[١] وفي سنة ١١٩٨هـ التهب الشر بين آل العمودي بدوعن فبعث الحبيب أحمد بن حسن الحداد بولده عبد الله وقام معه الحبيب علوي بن عمر البار للإصلاح فيما بينهم (انتهى باختصار).

ونواصل النقل عن بن عبيدالله باختصار وتصرف[٢] الذي قال: كما اشتعلت الحرب بين العمودي والكسادي حاكم المكلا فقد أرسل الكسادي سنة ١٢٨٦هـ جيشاً استولى على أغلب وادي دوعن الأيمن وجرت بينهم بعد ذلك عدة وقائع امتدت إلى سنة ١٢٨٨هـ حين تمكن الكسادي من الانتصار على المشائخ. ثم جمع المشائخ جموعهم وتمكنوا من طرد الكسادي من دوعن.

أما سبب خروج الكسادي إلى دوعن فهو اختلاف المشائخ فيما بينهم، فأراد بعضهم أن يستعين بالكسادي على إخوانه فامتلك عليهم الوادي اجمعين.

قال بن عبيدالله [٣] ولم تجيء سنة ١٣٠٠هـ إلا ووادي دوعن مليء بالجور والظلم والانقسام، وآل العمودي إذ ذاك فريقان آل محمد بن سعيد واليهم قيدون وما نزل عنها إلى قيدون وآل مطهر واليهم بضة ولهم عدة رؤساء وبين هؤلاء الرؤساء منافسات ومشاحنات وضغائن كثيرة فكل منهم يعمل على الإضرار بالثاني. وقد أفضى بهم ذلك إلى فحش الجور بالرعية لما تضطرهم إليه الحرب والمناوشات من الحاجة للمال، ثم استعان بعضهم بالسلطان غالب بن عوض القعيطي، فتم الاتفاق على أن تكون الرئاسة العامة بالوادي للقعيطي ويكون

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ١٠.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ١١.

(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ١٤.

للشيخ عبد الرحمن بن علي بن عبد الكريم استقلال داخلي، إلا أن ابن عبد الكريم نقض ذلك الاتفاق فبعث السلطان بوسطاء منهم السادة حامد بن أحمد المحضار وحسين بن محمد البار وحسين بن عمر بن هادون فلم يقبل ابن عبد الكريم الوساطة فسير له القعيطي جيشاً ولم يثبت ابن عبد الكريم إلا نحواً من أربعين يوماً، ثم هرب بعدها وتحالف مع الشيخ محمد عبد الرب العمودي فجمع له جيشاً كثيفاً وسيّر القعيطي جيشاً وطلب من الأمير صلاح بن محمد صاحب القطن أن يلاقيه بمن يستطيع جمعه من الرجال، وهاجم جيش القعيطي الخريبة في رمضان واستولى به عليها وأكثرَ السلبَ والنهب، وانضم إليهم الشيخ علي بن محمد بن منصر العمودي، إلا أنّ السلطان غالبَ بنَ عوض تمكن من هزيمتهم في سنة ١٣١٧هـ وكان في نية قواد القعيطي مطاردتهم واستئصال شأفتهم إلا أن السلطان غالب أمرهم بالتوقف عن ذلك.

ونقلاً عن بن عبيدالله[١] أيضاً أن القعيطي لما استولى على ممالك آل مطهر العموديين بالوادي الأيمن أسند العمالة للمقدم عمر بن أحمد باصره الذي اتجه نظره للاستيلاء على الوادي الأيسر من دوعن، وكان حكمه موزعاً بين مجموعة من المشائخ، وقد سنحت أول فرصه للمقدم باصره لتحقيق هدفه عندما نشبت الفتنة بين الخنابشة وآل باهبري.

قال البكري[٢] فقد استنجد آل باشجيرة بالخنابشة سكان الجحي، كما استنجد آل باهبري بالحالكة سكان وادي الأيسر. وقد أمد المقدم باصرة الخنابشة بالمال والسلاح وبمقاتلين من يافع وأرسل للسلطان غالب بن عوض القعيطي فأرسل إليه ذخائر وأسلحة وهبت قبائل الحالكة تحارب يافعاً بكل مالديها من قوة. وظل آل محمد بن سعيد العمودي على الحياد إذ كان من مصلحتهم انهيار نفوذ آل بلحمر وتحطيم سلطتهم في وادي الأيسر، واستمرت الحرب نحو سنة، انتهت باندحار قبائل الحالكة وتشتيت شملهم، أما بلحمر فقد غادر العرسمة وهام على وجهه حتى إذا بلغ ريدة الجوهيين أقام بين قبيلته سيبان.

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ٢١.

(٢) صلاح البكري، في جنوب الجزيرة العربية، مكتبة الثقافة الدينية، صفحة ٢٢٥.

وفي سنة ١٣٢٥هـ سار بلحمر ورؤساء الحالكة والشيخ أحمد حسين العمودي وحالفوا القعيطي ونادوا بذلك في الأسواق (انتهى). ثم استولى المقدم باصره على القرى بالحرب وبالشراء ثم أرسل القعيطي بجيش من المكلا تولى قيادته المقدم باصره واستولى بهذا الجيش على أهم المدن، وكان ذلك في سنة ١٣٢٨هـ. وكان الحبيب أحمد بن حسن العطاس قد عقد هدنة بين الأطراف المتحاربة إلا أن المقدم باصره كان يرسل الأسلحه لقومه متخفياً بظلام الليل.

والمقدم عمر بن أحمد باصره (١٢٧١-١٣٥٢هـ) هو الحاكم الشهير لإقليم دوعن، وهو من رجال الحبيب حسين بن حامد المحضار، وقد تربى على يد عمه سعيد باصره الذي ألحقه بكتّاب القرية ثم أرسله سنة ١٢٨٨هـ للدراسة بمصر، وأمضى في الدراسة بمصر ثماني سنوات تحت إشراف الشيخ محمد بازرعة، ولما أكمل دراسته عاد إلى حضرموت سنة ١٣٠٩هـ وعندما توفي عمه اختارته قبيلته لرئاستها، واختاره بعد ذلك السلطان عوض بن عمر القعيطي لإخماد الفتن بوادي دوعن، فكانت له السيطرة على جميع الوادي ما عدا بضة التي أبقاها القعيطي تحت وصاية العمودي[١].

قال بن عبيدالله[٢]: وآل مطهر العمودي يحكمون بضة ورئاستهم اليوم ومن قبله بزمان إلى الشيخ الفاضل عبد الله بن صالح وعنده عكازة الفقيه المقدم وخرقته المسماة بالقبع.

ووصف بن عبيدالله المقدم باصره فقال[٣]: وكان رجلاً شهماً كريماً طويل الحلم وافر الأناة إلا أنه كانت في صدره حزازات على كثير من الناس ولا سيما على الحالكة أهل الوادي الأيسر.

---

(١) سالم عبد الله بن سلمان، دوعن الوادي الجميل، دار حضرموت، صفحة ١٥٧.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ١٤.

(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ١٧.

وقال السيد حامد بن أبي بكر المحضار وهو وزير سابق للدولة القعيطية[١] بأن المقدم باصره والحبيب حسين بن حامد المحضار كانا صديقين حميمين قبل اتصالهما بالسلطنة القعيطية، وهو الذي رشحه لرئاسة لواء دوعن في السلطنة القعيطية. وقد وقف السيد حسين بن حامد إلى جانب المقدم باصره مسانداً له ضد المكائد والوشايات التي قدمت للسلطان القعيطي ضده فبقي في مركزه كنائب لواء دوعن إلى أن توفي. وكان السيد حسين بن حامد لا ينزل في دوعن إلا في قصر المقدم باصره الذي يراه كقصره ويأنس فيه.

وقال السيد حامد بن أبي بكر إن المقدم باصره كان متواضعاً يدل على ذلك استجابته لدعوة كل من دعاه من أهل دوعن ليتولى الإشراف على مؤنة توزيع الطعام وطبخه في المآتم والأفراح[٢] (انتهى بتصرف).

قال بن عبيد الله[٣]: ولو أن آل العمودي أحاطوا ما أنعم الله به عليهم من سعة الجاه وبسطة النفوذ بالعدل وحصنوه بالاجتماع لامتد حكمهم على أساس متين من قواعد العمران وطبيعة الوجود، غير أنهم لم يحوطوا النعمة بشكرها، بل انشقت عصاهم وتخاذلت أيديهم فانتهى أمرهم إلى التداعي لولا سماحة السلطان غالب بن عوض الذي كف عن كثير من بلدانهم كقيدون وبضة وخريش وقرن ماجد فأبقى لها حرمتها اعتقاداً في سيدنا الشيخ سعيد بن عيسى العمودي وإكراما للشيخ الجليل صالح بن عبد الله وللقحوم.

ثم وصف بن عبيدالله المشايخ آل العمودي فقال[٤]: وإن بقاء البقية منهم إلى اليوم على جمال الشارة وطول اليد واحترام الجناب وهيبة المقام مع ما شجر بينهم من الخطوب

---

(١) حامد بن أبي بكر، صفحة ٢٩٨.

(٢) حامد بن أبي بكر، صفحة ٢٩٨.

(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ٢٢.

(٤) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ٢٣.

وكاد أن يجتاحهم من الحروب لخير كبير يدل على ثبات الأساس وكرم الخيم وطيب المنبت وعلى بقاء شيم العروبة في قبائلهم (انتهى باختصار).

هذا وليس كل المشايخ العمودي برجال حرب، فقد برز منهم عدد من الفقهاء مثل الشيخ عمر بن أحمد العمودي الذي كان من كبار الفقهاء، وتوفي بالقنفذة إثر عودته من الحج سنة ٩٤٧هـ[١].

قال بن عبيدالله[٢]: وفي صفر من سنة ٩٣٤هـ جهز البرتغال على المشقاص بأربع عشر سفينة، فنهض الشيخ الفقيه عمر بن أحمد العمودي في جماعة من أولاده وأقاربه وفقهاء قيدون بنية الجهاد، وقد خاف أهل الشحر خوفاً عظيماً فوقاهم الله شر البرتغال وصرفهم عنهم وكفى الله المؤمنين القتال (انتهى).

وذكر الجد العلامة بن عبيدالله في بضائع التابوت[٣] أنه لما زار الشيخ عمر بن أحمد بن محمد بن عثمان العمودي الشيخ أبا بكر بن عبد الله العيدروس الملقب بالعدني (٨٥١-٩١٤هـ) بعدن ذبح له على كل درجة صعدها رأسا من الغنم فوقع في نفس العمودي أن ذلك إسراف، فتفرس الشيخ العدني ذلك فيه فقال أكرمناهم، قالوا: إسراف (انتهى).

ومن علماء آل العمودي الفقيه العلامة عثمان بن محمد العمودي (المتوفّى سنة ٩٤٨هـ) والفقيه العلامة أحمد بن عثمان العمودي، وهو من أم يمنية، وقد تولى التدريس في مدينة تعز وكان ينفق من ماله على الطلبة والفقراء، وتوفي بتعز سنة٩٦٥هـ[٤].

ومن علماء المشايخ المتأخرين الشيخ عبد الرحمن بن عمر العمودي باجماح[٥] (١٢٨٣-

---

(١) سالم عبد الله بن سلمان، دوعن الوادي الجميل، دار حضرموت، صفحة ١٠٧.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ٥.

(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ٥.

(٤) سالم عبد الله بن سلمان، دوعن الوادي الجميل، دار حضرموت، صفحة ١٠٧.

(٥) سالم عبد الله بن سلمان، دوعن الوادي الجميل، دار حضرموت، صفحة ١١٠.

١٣٥٠هـ)، تغرب إلى أقطار الدنيا للتجارة ونشر العلم، وتوفي بحضرموت وله ثلاثة مؤلفات في الفقه.

وأضاف بن عبيدالله في المعجم[١]: ومن آل العمودي الشيخ عبد الله بن عثمان العمودي كان الحبيب عبد الله بن علوي الحداد يكثر الثناء عليه ويقول: ما نحن مستأمنين بأهل الوديان إلا على السيد حسين بن عمر العطاس والشيخ عبد الله بن عثمان العمودي صاحب الدوفة، وهو من مشائخ الحبيب علي بن حسن العطاس، ومنهم العلامة الشيخ أحمد بن عبد الرحيم العمودي (انتهى).



(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلدان حضرموت، مطبعة الإرشاد، صفحة ١٨٠.

الفصل السادس والسبعون

العلويون والدويلات الطائفية



شاد السلطان بدر بوطويرق دولة متينة البنيان، مترامية الأطراف. ولما مات سنة ١٥٦٩ انقسم خلفاؤه من بعده وبذر الشرّ بذرته بينهم، وبقي الصراع بينهم متواصلاً حتى تولى السلطنة بدر بن عمر سنة ١٠٢٤هـ، ١٦١٥م، فنافسه عليها ابن أخيه بدر بن عبد الله، فذهب بدر بن عمر إلى الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم ليستعين على ابن أخيه فأرسل الإمام المتوكل بجيشه إلى حضرموت بقيادة الصفي أحمد وأعاد حليفه إلى الحكم إلا أن حضرموت أصبحت منذ سنة ١٠٦٩هـ، ١٦٥٩م ولاية تابعة لليمن، وانتهت بذلك الدولة الكثيرية المستقلة التي أنشأها السلطان بدر بوطويرق[١].

ثم ضعفت قبضة الدولة المتوكلية على حضرموت فتمرد آل كثير على سلطتها واستعان آخر سلاطينهم بدر بن محمد المردوف بمقاتلين من جبل يافع وبسط بهم في سنة ١٧٠٥م سيطرته على حضرموت ثم ما لبث آل كثير أن اختلفوا فيما بينهم فانتهزت القبائل اليافعية الفرصة، واقتسمت حضرموت بين عشائرها فصارت سيؤن لآل الضبي، وتريس لآل النقيب، وتريم لآل لبعوس، وشبام للموسطي، والشحر لآل بريك، والمكلا للكسادي، كما كان للقبائل الحضرمية الأخرى وبعض السادة والمشايخ نفوذ محدود في مناطقهم التي يسكنونها، وخاصة قبيلة آل تميم التي استقلت بالسلطة في مناطقها، وهكذا اختفت بحلول سنة ١٧٣٧م الدولة الكثيرية الأولى التي أسسها السلطان العظيم بدر بوطويرق، وتوزعت حضرموت إلى دويلات يافعية صغيرة غطت مختلف المدن والقرى[٢].

قال الأستاذ بن هاشم: وبنهاية السلطان جعفر بن عمر بن جعفر يسدل الستار على حياة الدولة الكثيرية الأولى، تلك الدولة الزاهرة التي لعبت دورها في أربعمئة سنة فتقوضت أطنابها وتفرق رجالها في أكناف البلاد، فسكن منهم آل عبد الله قارة الصناهجة، ومنها إلى

---

(١) ثابت صالح اليزيدي، الدولة الكثيرية الثانية في حضرموت، دار الثقافة العربية، صفحة ٧١-٧٣.

(٢) ثابت صالح اليزيدي، الدولة الكثيرية الثانية في حضرموت، دار الثقافة العربية، صفحة ٧٤.

السحيل القبلي وإلى غنيمة في وادي تاربة، واختار فريق منهم بلدة باعبد الله، وهي حوطة السادة آل العيدروس[١].

ثم قال الأستاذ بن هاشم: وبنهاية الدولة الكثيرية الأولى تفرقت السلطة على الطوائف اليافعية وغير اليافعية وكل منها لا يستحق لقب دولة لضيق نطاق سلطته، فقد حكمت تريم وحدها ثلاث سلطات يافعية، هي: سلطة عبد الله غرامة بالمجف والسوق، وسلطة ابن عبد القادر بالنويدرة، وسلطة آل همام بالخليف، كما سيطر ابن يماني على مدينة قسم وضواحيها، وسيطرت كل قبيلة من تميم على بلدة تحكمها، كما استقر بعض السادة والمشائخ من ذوي الفضل في بلدات تسمى (حوط ومفردها حوطة) محترمة بين القبائل دون أن يكون لهم جنود ولا عبيد.

واستأثر آل الضبي وهم فخذ من يافع بمدينة (سيؤن)، كما انفرد بنو النقيب اليافعيين بمدينة تريس، وسيطر الموسطة اليوافع على مدينة شبام، وبنوبكر وهم من يافع أيضاً على قرية مريمة، كما كان لكل قبيلة من قبائل الشنافر الكثيرية بلدة تمضي عليها سلطتها[٢].

ولم تكن هذه الطوائف اليافعية تطمح إلى تأسيس دولة يافعية قوية الشكيمة تملك البلاد وتحكم العباد وتقيم شرع الله، وإنما كان هدفهم المطامع السافلة والأغراض الشخصية، ولهذا عاشت حضرموت لمدة مائة وخمسين سنة منذ سقوط الدولة الكثيرية الأولى وقيام الدولة الكثيرية الثانية على يد السلطان غالب بن محسن الكثيري في فوضى شاملة واضطراب عام، واختل الأمن، وعبث العسكر اليافعيون بالمدن وتلاعبت القبائل بالضواحي وعاشت البلاد فترة من أحلك فترات تاريخها[٣].

---

(١) محمد بن هاشم، تاريخ الدولة الكثيرية، تريم للدراسات والنشر، صفحة ١٤٠.

(٢) محمد بن هاشم، تاريخ الدولة الكثيرية، تريم للدراسات والنشر، صفحة ١٤١.

(٣) محمد بن هاشم تاريخ الدولة الكثيرية، تريم للدراسات والنشر، صفحة ١٤٢.

وقال اليزيدي إنه بعقب سقوط الدولة الكثيرية الأولى سنة ١٧٣٧م (أو ١٧١٧ بحسب ابن هاشم) على أيدي القبائل اليافعية تجزأت البلاد بينهم إلى دويلات طائفية متناحرة، وأصبحت البلاد مسرحاً للحروب الطاحنة والفتن، وانتشرت أعمال السلب والنهب، وعمّت الفوضى ووجد الناس أنفسهم تحت رحمة رجال القبائل المتناحرين ورؤساء العشائر اليافعية المتنافسين، ولم يكن بمقدور الأهالي التصدي لهذه الأعمال وحماية أرواحهم وممتلكاتهم، وتدهورت أوضاع البلاد الاقتصادية، فلم يعد الفلاح قادراً على زراعة أرضه خوفاً على حياته وإتلاف أو سرقة محصوله، وأدى ذلك إلى هجرة الحضارم بأعداد كبيرة إلى خارج حضرموت[١].

قال الأستاذ بن هاشم: ولولا الدور المهم الذي قام به المناصب من السادة والمشايخ الذين كرسوا أوقاتهم للإصلاح بين المتحاربين، ولولا جهود الدعاة والعلماء ونصائحهم ورسائلهم التي يرسلونها لرؤساء هذه القبائل والدويلات، لولا ذلك لم يعلم بشر إلى أيّ مدى من الويل والثبور يمكن أن تصل إليه البلاد والعباد في تلك الفترة الحالكة التي تخضبت بالدماء وشاعت فيها المظالم والفتن، ولم تقم حرمة للأرواح ولا للأموال، واستباح العسكر والقبائل أرواح الناس وأموالهم وتعاظمت الاضطرابات والفتن، وكابد الناس الأهوال من الضيم والقهر[٢].

وتنحدر قبائل يافع المشهورة بقوة الشكيمة وشدة البأس من جبل يافع، وكانت بين قبائل يافع والعلامة الشيخ أبي بكر بن سالم علاقة روحية قوية، ويقال إن الشيخ أبا بكر بن سالم نصب قبل وفاته في سنة ٩٩٢هـ العلامة الشيخ علي هرهرة وهو من أشراف بيوتات يافع مصلحاً ومرشداً دينياً في يافع العليا، وخلفه على ذلك أولاده[٣].

---

(١) ثابت صالح اليزيدي، الدولة الكثيرية الثانية في حضرموت، دار الثقافة العربية، صفحة ٨٧-٨٨.

(٢) محمد بن هاشم تاريخ الدولة الكثيرية تريم للدراسات والنشر، صفحة ١٤٢-١٤٣

(٣) محمد بن هاشم، تاريخ الدولة الكثيرية، تريم للدراسات والنشر، صفحة ١١٧.

ثم درج سلاطين آل كثير على الاستعانة بأبناء الشيخ أبي بكر بن سالم بعينات كلّما احتاجوا إلى المقاتلين من جبل يافع وأولهم السلطان بدر بن محمد المردوف الذي شخص في سنة ١١١٦هـ إلى جبل يافع ومعه توصية من الحبيب علي بن أحمد بن الشيخ أبي بكر لجلب المقاتلين من يافع لمحاربة السلطان عمر بن جعفر الكثيري الذي تنصب بقوة الإمام الزيدي، واتهم بانتحال المذهب الزيدي، كما ذكرنا في فصل سابق، وقد استقرت أقوام من يافع بحضرموت، ولما توفي السلطان بدر بن محمد المردوف حوالي سنة ١١٢٠ خلفه ولده محمد سلطاناً صورياً، ثم ضعف السلاطين الكثيريون الذين جاؤوا من بعده ولم تفلح محاولاتهم في دحر يافع التي استبدت بالسلطة الحقيقية في حضرموت حتى انتهت الدولة الكثيرية كلياً في عهد السلطان جعفر، كما قدمنا سابقاً[1].

ولما وصلت الأخبار بوصول السلطان بدر بن محمد المردوف من يافع حصل سوء تفاهم بين السلطان عمر بن جعفر الكثيري والسادة آل الشيخ أبي بكر بن سالم بسبب اعتقاد السلطان بأنهم يفضلون مصلحة يافع على مصلحته، وحتى لا يستفحل الأمر تدخل القطب الحبيب عبد الله الحداد بالصلح بينهم وأشار على السلطان بالشخوص إلى عينات لزيارة المنصب، ففعل وسويت القضية بين الطرفين[2].

قال الأستاذ بن هاشم: وأصبحت قرية عينات وهي حوطة الشيخ أبي بكر بن سالم العلوي مركز المفاوضات السياسية، يقصدها السلاطين والأمراء والعسكر وغيرهم نظراً لنفوذهم الكبير على قبائل يافع. واستغل السادة آل الشيخ أبي بكر نفوذهم هذا في تسوية المشكلات وإصلاح الأحوال وإغاثة الملهوفين[3].

---

(١) محمد بن هاشم، تاريخ الدولة الكثيرية، تريم للدراسات والنشر، صفحة ١١٨.

(٢) محمد بن هاشم، تاريخ الدولة الكثيرية، تريم للدراسات والنشر، صفحة ١٢٧.

(٣) محمد بن هاشم، تاريخ الدولة الكثيرية، تريم للدراسات والنشر، صفحة ١٢٥.

إلا أن دور السادة آل الشيخ أبي بكر قد يؤدي بهم إلى المشاكل، ففي سنة ١٢١٨هـ عاد إلى حضرموت السلطان جعفر بن علي بن عمر بعد هجرة طويلة في جاوة، وبث الدعاة لإحياء الدولة الكثيرية وطرد يافع من البلاد، وناصره السادة العلويون ونهد والشنافر الكثيريون، واشترى العبيد وهجم على شبام واستولى عليها، إلا أنه لم يتمكن ولم يتمكن خلفاؤه من بعده من إنشاء دولة قوية تطرد يافعاً من حضرموت، وهو الأمر الذي لم يتحقق إلا للدولة الكثيرية الثانية التي أسسها السلطان غالب بن محسن الكثيري، كما فصلنا تاريخها في فصل مستقل بهذا الكتاب.

وكان من عوامل الضعف لهذه الدويلة الجديدة اصطدام سلطانها جعفر بن علي بمنصب عينات السيد الحبيب أحمد بن سالم بن الشيخ أبي بكر بن سالم، وقامت الحرب بينهما، وأرسل الحبيب في طلب جنود من يافع، وامتد أجل الحرب حتى أخمدت بجهود المصلحين ونتيجة لما أصاب جيش السلطان من الضعف والوهن والتكاسل والتمرد، حتى أن ذلك سبب للسلطان جعفر أسفاً عظيماً أثر على صحته وتسبب في وفاته سنة ١٢٢٣هـ[1].

وسنستعرض فيما يلي بعض وجوه الحياة السياسية في هذا العهد المظلم الذي سماه المؤرخون بعهد سلطات الطوائف.

قال بن عبيدالله: ولشدما أبغض الناس يافعاً من حين وصولهم، ففي مقدمة ديوان القطب الحداد ما يصرح بأنه لم ينشئ القصيدة التالية إلا من أجلهم وفيها يقول:

حبيبي رسول الله إني قصدتكم	لكشف مهم في مرابعنا طرى
حبيبي رسول الله قادة فرقة	مضللة ليست لنور الهدى ترى

قال بن عبيد الله: ثم لم يزل بغض العلويين يشتد ليافع ولا سيما بالآخرة لما شاع بينهم

(١) محمد بن هاشم، تاريخ الدولة الكثيرية، تريم للدراسات والنشر، صفحة ١٥١.

من مذموم الأخلاق وقبائح الأفعال، ولو أنه وقف منهم الجور عند الأموال لكان أهون الشرّين، ولكنه تجاوزوها إلى الأعراض، وقد انتهى الحال ببعض سفهائهم إلى أنه يأتي بيت الحائك مثلاً فيضع نمشته في دهليزه فلا يجرؤ على الدخول إذا عرف أنه مع أهله.

وقد أسكن بعض يافع بعض الفواجر بجوار مسجد طه بسيؤن فتكدر من ذلك الجد محسن بن علوي السقاف حتى تكلّف شراء الدار مع ضعف ماليته[١].

قال بن حميد في سنة ١٢٦٦هـ[٢]، وفي ليلة الجمعة خامس شهر رجب سرى عبيد من عبيد يافع لإيذاء المساكين ووصلوا إلى شرقي بلد تريس فوجدوا عمر بن سعيد بلطيور وولديه اثنين صغيرين أصغرهم ابن سنتين عند محل له بقرب البلد، وذلك وقت العشاء الأخير فقتلوه هو وأولاده عدواناً وظلماً وغشماً قاتلهم الله أنى يؤفكون. وفعلوا فيه طعناً ما يفعل بكافر أو عدو، ثم إن العبيد عادوا في الليلة الثانية في الشهر المذكور وقطعوا خريف سواد (تمر نخيل) تريس بقرب البلاد لسيدنا الحبيب الإمام علوي بن سقاف الجفري عمداً. (انتهى).

وذكرنا في فصول أخرى من هذا الكتاب ما كان من أفعال عبد الله غرامة حاكم وسط تريم اليافعي ضد العلويين كبارهم وصغارهم وضد غيرهم من رعاياه، وقد وصفه بن عبيد الله[٣] بقوله: كان صارماً شجاعاً طائش السيف صادق اللهجه له شذوذ وعنده عنجهية.

وكان غرامة يتعرض للأغنياء من أهل تريم بالأذية والحبس حتى يبتز ما يريده منهم من المال، وذكر بن عبيدالله أنه أرسل عبيده لأخذ السيد محمد بن أحمد الصليبة العيدروس من مكانه المعروف بالصومعة، وكانت له ثروة طمع غرامة في شيء منها، فذهب عبيده

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ١٥٦-١٥٧.

(٢) سالم بن حميد الكندي، تاريخ حضرموت، مطبعة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٢٩.

(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثاني، صفحة ١١٥.

وأخذوا السيد من مكانه وساقوه إلى تريم يرمونه في طريقه بالزيت المغلي مبالغة في إيلامه كي لا يصل إلا وقد جاشت نفسه، فيرضخ لما يطلبه الأمير (انتهى)[١].

قال بن عبيدالله[٢]: أما آل تميم فقد بلغ من أذية غرامة لهم أنه كان يجلس عند أحد المساكين واسمه بريمة فجاءه غرامة ذات يوم يناديه يابريمة، فقال له: أما اليوم فقد انكسرت بريمتي وبريمتك، فقال غرامة: وما ذاك؟ قال: آل تميم قطعوا علي أربع خبر من نخلتي الفلانية، فقال له غرامة: لا تخف نحن نعوضك بأحسن منها، ثم أعطى زوجته البنّ لتعمل القهوة، ثم غاب غير بعيد وعاد يتحدث مع بريمة وامرأته كالعادة، وماكادت المرأة تصب القهوة إلا وعبيد غرامة ينادونها هلمي لتقبضي الخبر (محامل التمر)، فأشارت إلى مكان ليضعوها فيه، وهي تظنه خريفاً بدلاً مما أخذ منهم، ولكنها لما أقبلت نحو الخبر أدبرت تولول لأن ما فيها ليس بخريف وإنما هو رؤوس أربعة من آل تميم .(انتهى).

هذا، وقد غلت الأحقاد بين حكام تريم الثلاثة غرامة وبن عبد القادر وابن همام، فقد انتهى الأمر في سنة ١٢٤١هـ إلى تعدد الجمعة بتريم، فكانت إحداها وهي الأصلية بالمسجد الجامع عند غرامة، والأخرى بالنويدرة بمسجد الزاهر عند بن عبد القادر، والثالثة بالخليف بمسجد الوعل عند ابن همام[٣].

ومات عبد الله غرامة في سنة ١٢٥٥هـ وخلفه ابنه عبد القوي الذي تظاهر في أول أمره بالصلاح والعدل، ثم سرعان ما تغير فألقى القبض في سنة ١٢٥٧هـ على السيد العلامة أحمد بن علي الجنيد، وهو من رعايا بن عبد القادر لأنه يقيم بالنويدرة، وكان معترضاً على تعدد الجمعة، فذهب للصلاة بجامع تريم بخفارة من يافع وآل تميم وبعد فراغه من صلاة

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ١١٦.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ١٢٧.

(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ١٢٨.

الجمعة أحاط به عبيد غرامة ولم تغنِه الخفارة شيئاً، وبقي مسجوناً في غرفة منفردة بدار غرامة لمدة أربعة عشر شهرا[(١)].

قال بن عبيد الله: والأدهى من ذلك أن بن عبد القادر لما علم بالقبض على الجنيد وهو من رعاياه الذين يتوجب عليه الدفاع عنهم، ولكنه بدلاً من ذلك أرسل عبيده لنهب دار الجنيد وقبض على عائلته ولم يطلقهم إلا بفدية كبيرة.

ولم يختلف ابن عبد القادر حاكم النويدرة عن غرامة في الظلم والبطش، ذلك أنه لم علم في إحدى المرات بوصول السيد حسين بن عبد الرحمن بن سهل، وهو من الأثرياء المعروفين لزيارة خاله الحبيب أحمد الجنيد بالنويدرة أرسل عبيده للقبض عليه حال خروجه من زيارة خاله وساروا به إلى حصن بن عبد القادر وطالبه بفدية كبيرة، إلا أن الحبيب حسين استأذن لدخول الخلاء وربط عمامته بنافذة وتدلى بها إلى الأرض، و لم يشعر بن عبد القادر بذلك إلا بعد وصول السيد حسين إلى مأمنه.

ولم يكن حال السادة بسيؤون في فترة سلطة الطوائف اليافعية بأفضل من حال أهل تريم، فذكر الجد بن عبيدالله نقلاً عن بن حميد(٢) أن آل الظبي حكام سيؤون قبضوا في سنة ١٢٦٤هـ على عشرين من السادة والأعيان، وفيهم الجد محسن بن علوي السقاف، وساقوهم إلى دار الشيخ محمد بن عبد الله بارجاء، خطيب جامع سيؤن، فلم يرض الشيخ أن يؤذى أحد من الأعيان بالحبس في داره فألح على يافع بإخراجهم من داره، فأخذوهم إلى دار باسلامة، ومكثوا بالحبس أربعة أيام، ثم رأى بعضهم الترخيص للحبيب محسن بالخروج إلى بيته في الليل، ولكن جاء آخرون وتكلموا على الحبيب محسن بكلام قبيح، ثم رخصوا للحبيب محسن بالخروج لصلاة الجمعة إلا أنه رفض، ثم قدم الحبيب علوي بن سقاف الجفري وبمعيته محسن بن غالب بن هرهره وتوسط في إطلاق المساجين (انتهى).

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ١٣٠-١٣١.
(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ٢٨.

قال بن عبيدالله[١]: وفي صفر من سنة ١١١٨هـ طلع ثلاثة من يافع إلى دار السادة آل عيديد وأساؤوا الأدب وضج النساء وكل من جاء للنجدة إذ علم أنهم يافع رجع أدراجه ولا يزال الصياح ليلاً ونهاراً، وحصل فساد كبير من يافع بين تريس والغرفة وسيؤن، ولم ترفع شكوى إلى الدولة لأنهم لا يغنون في شيء ولم ينفعوا أحداً (انتهى).

ثم تدهورت أمور القبائل اليافعية بحضرموت وتمكن آل كثير وحلفاؤهم من أشراف الجوف من هزيمة يافع بتريم، فكان ذلك بداية النهاية. قال بن عبيد الله: وأخذ الحبيب محسن بن علوي يمهد الطريق لفتح سيؤن وكان من تمهيده لذلك أن عقد الصداقه بين آل عبد الله الكثيريين وبعض آل الظبي من يوافع سيؤن حتى يفتحوا الأبواب لجيش الدولة الكثيرية يوم نزوله بساحتهم أو على أن يكفوا بالأقل عن مساعدة أصحابهم[٢].

ثم زحف عساكر دولة آل كثير على سيؤون وانتهى الأمر بجلاء يافع آل الظبي عنها. قال بن عبيدالله: وكان لجلائهم لا سيما عند نسائهم وأطفالهم رنات حزن مؤثرة، وكيف لا ولفراق الأوطان عامة ما لا يخفى من الحسرة واللوعة حتى قرنه الله بالانتحار[٣]: (يشير إلى الآيه ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم).

قال بن عبيد الله: وكان الجد محسن لرقة شمائله وفرط حنانه يتعمد مبارحة سيؤن كلما سمع بعزم طائفة من يافع على مغادرة سيؤن حتى لا يحس بشيء من تلك العبارات والزفرات[٤].

وهكذا آذن الله بزوال يافع عن سيؤون وتريم وما حولها، ولقد حاول اليافعيون

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ٧٦.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ٢٨.

(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ٣١.

(٤) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ٣١.

العودة مرة أخرى إلى سيؤون وتريم بمساعدة القعيطي وجهزوا جيشاً كبيراً إلا أن هذا الجيش لم يحقق المطلوب وعاد منهزماً رغم كثافة عدده وقوة عدته، وقد جاء ذكر أخبار هذه الحملة في كلامنا عن الدولة الكثيرية.





الفصل السابع والسبعون

خلافة الحبيب طاهر بن الحسين بن طاهر



ولد الحبيب طاهر بن الحسين[١] (١١٨٤-١٢٤١هـ) بتريم وحفظ القرآن الكريم ونشأ بها نشأة دينية ثم انتقل مع أسرته من تريم إلى مسيلة آل شيخ في حدود سنة ١٢٠٨هـ بسبب ماتعرضت له أسرته من التعسف والظلم على يد حاكم تريم عبد الله غرامة. عرف الحبيب طاهر بالاستقامة التامة والأخلاق الفاضلة والاقتصاد في الملبس والمطعم، وكان شغوفاً بإطفاء الفتن والإصلاح بين المتخاصمين، وقد أصلح بين الكسادي صاحب المكلا وبين ابن بريك صاحب الشحر حين استفحل بينهما الشر ونشبت الحرب وتضرر الناس بسب توقف القوافل التي تصل الداخل بالساحل فانطفأت بجهود الحبيب طاهر هذه الفتنة وزالت عن الناس تلك المحنة، وعاد سير القوافل بين الساحل والداخل إلى حالته الطبيعية.

قال الأستاذ محمد الشاطري في أدوار التاريخ الحضرمي وقد تدهورت في أيام الحبيب طاهر بحضرموت الأمور تدهوراً شديداً وسبب ذلك غياب الدولة القوية التي تسيطر على القبائل المتحاربة وتكبح جماحها، فاستبدت القبائل اليافعية وأمعنت في الفوضى والظلم، وشاركتها القبائل الأخرى بنسبب متفاوتة في ظلم العزل من المواطنين الذين يسمونهم بالرعايا، وبلغ الظلم حداً كبيراً حتى وصل لدرجة ترويع النساء والأطفال وبيع الأحرار واختطافهم ونهب الأموال وقطع الطرق وإتلاف النخيل وقتل الأبرياء.

وعندما تتخاصم العشائر والقبائل الحضرمية تكون من أساليبها المعتادة الانتقام من رعية القبيلة الأخرى فيذوق الرعايا العزل ألواناً من الاضطهاد والظلم والاستبداد الذي لم ينقطع طيلة مرحلة حكم الطوائف القبلية الذي استمر مائة وخمسين سنة.

وقال الأستاذ بن هاشم[٢]: ولم يكن بامكان الرعايا التنقل بين القرى والمدن والأودية إلا بخفير من القبائل المتنافسة كما أنه لم يكن بإمكان الزراع ومالكي النخيل التمتع بالثمار وإنتاج المزارع إلا بمشاركة رجال القبائل المسلحة الذين لاينجوا منهم إلا من احتمى بقبيلة

---

(١) تاريخ الدولة الكثيرية، محمد بن هاشم، صفحة ١٦٠.

(٢) محمد بن هاشم، تاريخ الدولة الكثيرية، تريم للدراسات والنشر، صفحة ١٦٦.

قوية أو اعتصم بإحدى الحوط لأصحاب النفوذ الروحي. وقد يجتمع رجال القبائل المتنافسة أثناء الاحتفالات والمناسبات العامة فيحصل التصادم فيما بينهم ويتأهبون للقتال ويهرب العزل والمساكين ويتركون حوانيتهم وبضاعاتهم بلا حراسة خوفاً على حياتهم، ولا تسمع عندئذ إلا أصوات حشو البنادق وقرقعة الأسلحة ودعوات الحرب بالصريخ، ويستمر هذا الجو المتوتر إلى أن تشتعل الحرب او تنطفيء الفتنة بتدخل المناصب وأصحاب النفوذ الروحي فيتم الصلح وينزع فتيل الفتنة.

واستمرت حضرموت تعيش تلك الظروف الصعبة لسنوات طويلة وبعد أن فشلت كل جهود العلويين لإقامة والٍ عادل يقيم شرع الله ويحقن الدماء البريئة ويحفظ الأموال السليبة. كما ذكرنا سابقاً عند ذلك اضطر الإمام طاهر بن الحسين إلى دعوة أولاده ورجال عشيرته وأهل بلدته لحمل السلاح والدفاع عن أنفسهم وأموالهم وأعراضهم رغم كراهية العلويين لذلك السلوك.

قال الأستاذ بن هاشم[١] ثم اتفق السادة ورؤساء القبائل من تميم وآل كثير في آخر محرم من عام ١٢٢٦هـ على حمل السلاح لنصرة الشريعة وبايعوا الحبيب طاهر بن الحسين بن طاهر إماماً عليهم، وحمل الإمام طاهر بنفسه السلاح وتلقب بناصر الدين وكان يخطب الناس في الجمعة متقلداً سيفه وحاملاً بندقيته رغم أن بعض العلويين أنكروا عليه ترك المبدأ الذي نشأوا عليه ووضعَه لهم جدهم الفقيه المقدم الذي كسر السيف وترك السلاح، فرد عليهم الحبيب طاهر بن الحسين بقوله: لو حضر الفقيه المقدم زماننا هذا لأمر بتجنيد النساء فضلاً عن الرجال.

قال الأستاذ الشاطري[٢]: وتم للحبيب طاهر ما أراد ونفذ حكمه في مناطق أتباعه كلها فأمن الناس من القتل ورفع عنهم الظلم وتوسع في نشر العلم وإنعاش الزراعة (انتهى).

---

(١) محمد بن هاشم، تاريخ الدولة الكثيرية، تريم للدراسات والنشر، صفحة ١٦٦-١٦٨.

(٢) محمد بن أحمد الشاطرى، أدوار التاريخ الحضرمي، الناشر عالم المعرفة، صفحة ٣٩١.

قال الأستاذ الشاطري[١]: ثم زحف الإمام طاهر بن الحسين بمن معه من السادة والقبائل على تريم لتخليصها من شر القبائل الظالمة التي تحكمها، وحاصر تريم لفترة من الزمن إلا أن حاكم تريم الداهية عبد الله غرامة أرسل إليه بعض العجائز يشكين ماحصل لهنَّ من الضرر بفعل الحصار الذي أضر بالابرياء والمساكين أكثر مما أضر بالطغاة المسلحين، فرق الحبيب طاهر لحالهنَّ وتأثر من شكايتهن ورفع الحصار عن تريم وعاد بمن معه.

إلا أن تحالف القبائل مع الحبيب طاهر لم يلبث أن انفرط حيث صعب على القبائل الحضرمية التي ألفت السلب والنهب وظلم المساكين أن تتقيد بالأحكام الشرعية، إلا أن الحبيب طاهر حاول محاولة أخيرة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه فأقام نواباً عنه من القبائل والسادة كلٌّ على قومه، ليقوموا بما يتمناه من ردع القبائل عن الظلم وحملهم على تطبيق الشرع الشريف، وعاد الحبيب طاهر إلى محرابه وصلاته حتى وفاته.

قال الأستاذ الشاطرى[٢] وللأسف فإن هذه النهضة المباركة لم تدم طويلاً فكان عمرها أقلَّ من عقد واحد من السنين فخمدت جذوتها، ثم انتهت، إلا أن مبادئها بقيت في صدور رجالها.

وذكر الأستاذ الشاطرى[٣] أربعة أسباب لفشل هذه الحركة أولها عدم تفرغ الحبيب طاهر للحركة، حيث أنه لم ينقطع عن عبادته ونشر العلم والقيام بأمر معاشه، وثانيها مثالية الحبيب طاهر وكبار أعوانه، لأن أمور السياسة تتبع قانون الغاية تبرر الوسيلة ولم يكن ذلك يقبله الحبيب طاهر ولهذا كانت الحركات المثالية قصيرة العمر وثالثها عدم القدرة المالية وضعف التمويل والرابعة صعوبة تغيير طباع القبائل بعد أكثر من قرن من الجهل والفوضى والظلم (انتهى).

---

(١) محمد بن أحمد الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي، الناشر عالم المعرفة، صفحة ٣٩١.

(٢) محمد بن أحمد الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي، الناشر عالم المعرفة، صفحة ٣٩٢.

(٣) محمد بن أحمد الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي، الناشر عالم المعرفة، صفحة ٣٩٢-٣٩٣.

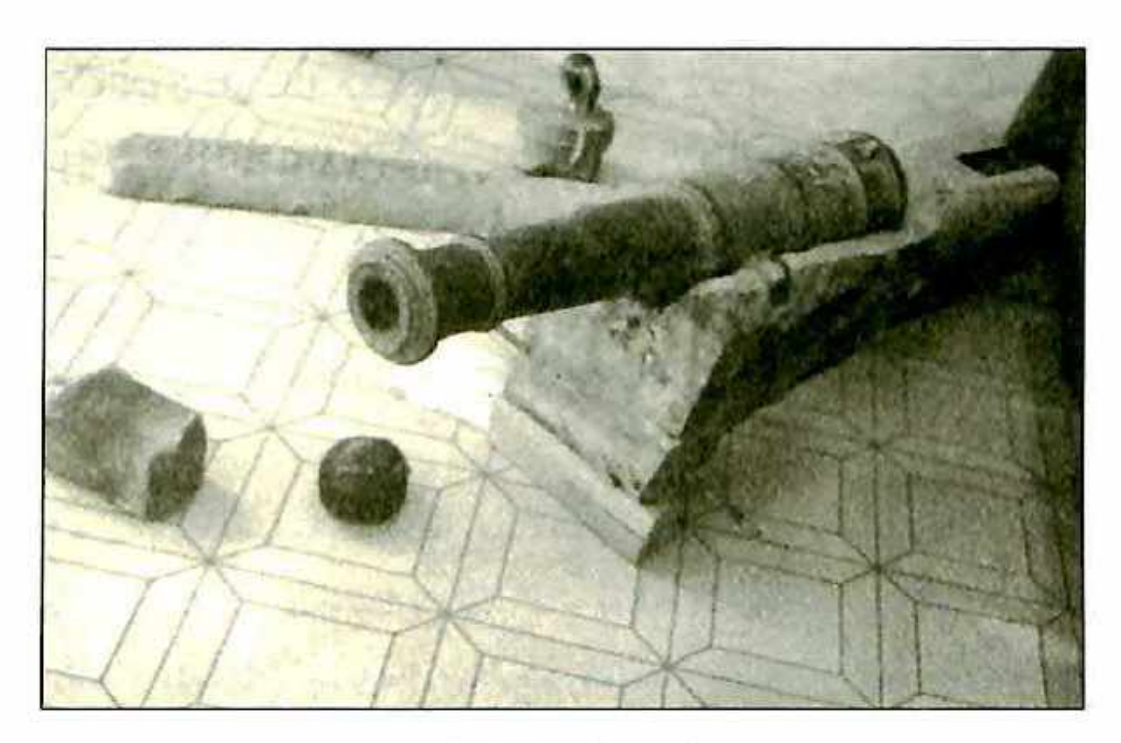
وقال الأستاذ الشاطري ولم يكن للحبيب طاهر بن الحسين من غرض من هذه النهضة سوى نصرة الشرع الشريف ومحو الظلم وإزالة الفساد عن وطنه حضرموت ولم يكن يطمح إلى دولة أو سلطنة لذا نراه لما وجد أن الأمور ليست مهيأه لهذه الخلافة انسحب بهدوء، وكرس مابقي من حياته للتعليم والإرشاد وللعبادة والأعمال الصالحة، ولكنه لم ينس أن يشكل لجنة من العلويين وزعماء القبائل التي تناصره للسير على الطريق التي اختطها وكتب لهم التعليمات والتوصيات، ولكنهم لم يستطيعوا ان يحققوا ما تمناه ورجاه.

وهكذا عادت الأمور في حضرموت إلى ما كانت عليه من الفوضى والاضطراب، وحاول العلويون بعد ذلك تشجيع المقدم بن مقيص لإنشاء دولة بحضرموت، كما سنذكر في الفصل التالي، إلا أن دولة بن مقيص لم تستمر هي الأخرى أكثر من سنتين وعادت الأمور للفوضى والاضطراب بأكثر مما كانت عليه من قبل حتى شاء الله قيام الدولة الكثيرية الثانية على يد السلطان غالب بن محسن الكثيري وبدعم كامل من العلويين، كما سنتحدث عن ذلك في فصل آخر من هذا الكتاب.

* * *

الفصل الثامن والسبعون

العلويون ودولة بن مقيص



مدفع بن مقيص في المتحف

كان العلويون في مرحلة الدويلات الطائفية يتحرقون شوقاً إلى أي جهة قويه يمكن ان تعيد الأمن والاستقرار إلى وادي حضرموت وتوقف جبروت الظلم والسلب والنهب والقتل الذي نزل بكافة سكان الوادي.

قد ذكرنا في فصل سابق الجهود المضنية التي بذلها العلويون لإقامة وال عادل في حضرموت يقضي على الفتن والفوضى ويعيد الأمن والاستقرار لوادي حضرموت، وكيف أنهم لما فشلت جهودهم اضطروا إلى الاعتماد على أنفسهم فحملوا السلاح وتخلوا عن مبدأ جدهم الفقيه المقدم الذي أرساه لهم بحضرموت، وبايعوا الحبيب طاهر بن الحسين (١١٨٤-١٢٢٠هـ) ليقيم العدل ويحمي الشريعة، ولكن إمارة الحبيب طاهر بن الحسين لم تتوفر لها مقومات النجاح فتلاشت سريعاً واستمرت القبائل اليافعية والحضرمية تسوم الناس الخسف وتعبث بأمن البلاد وتريق دماء العباد وتفسد الحرث والنسل.

قال الأستاذ بن هاشم[١]: واستمر العلويون في بذل مساعيهم ومجهوداتهم المتوالية في إقامة والٍ عادل يريح الناس مما هم فيه من الفتن التي لا حد لها ولا نهاية.

ولما رأوا في المقدم الشيخ عمر بن عبد الله بن مقيص الأحمدي اليافعي المقيم ببلدة بيت جبير حُبَّ الصلاح والخير مع شجاعته وعزمه وعصبته التي لا بأس بها طمعوا في أن يكون هو القائد المخلص.

وتمت المفاوضة بينه وبين السادة والأعيان وتعهد المقدم بن مقيص بأن يؤسس مع عشيرته دولة عادلة تؤيد الشرع الأغر وتعمل بما يشير عليه أعيان السادة وعلماؤهم على أن يمدوه بالمال ويعضدوه بنفوذهم واستبشر العلويون بذلك ووقف كبارهم مثل الإمام أحمد بن عمر بن سميط (١١٧٧-١٢٥٧هـ) والإمام عبد الله بن حسين بن طاهر (١١٩١-١٢٧٢هـ) والإمام الحسن بن صالح البحر (١١٩١-١٢٧٣هـ) وغيرهم يدعون لنصرته

(١) محمد بن هاشم، تاريخ الدولة الكثيرية، تريم للدراسات والنشر، صفحة ١٩١-١٩٣.

وأمدوه بآرائهم السديدة وجمعوا له الأموال الكافية واشتروا له مدفعاً وحصناً من حصون آل مطهر اليافعيين ليكون قاعدته الحربية. وهكذا تأسست دولة بن مقيص في بلدة بيت جبير سنة ١٢٤٣هـ.

إلا أن آمال العلويين خابت في بن مقيص، إذ لم يظهر منه عزم ولا قوة، بل خارت عزيمته وعزيمة عشيرته ولم تمر سنتان إلا وتلاشت دولة بن مقيص فكانت أقصر الدول عمراً.

أما الجد عبد الرحمن بن عبيدالله فشكك في كون بن مقيص من يافع ورجح كونه من آل حمد بن يماني التميميين، واستدل على ذلك من ترحيب الحبيب عبد الله بن عمر بن يحيى (١٢٠٩-١٢٦٥هـ) بقدومه من الجهة الجاوية وتعليقه عليه في تنفيذ الشريعة المحمدية لأنه لوكان من يافع لم يعلق عليه الأمل وقد عرف أمرهم بحضرموت حق المعرفة، كما أن إذعان يافع له بتريم لم يكن ليتم لو كان يافعيا من أبناء جلدتها.

وذكر الجد بن عبيدالله أن بن مقيص عاد إلى حضرموت بعد هجرة طويلة في الديار الجاوية وأنه أحضر معه إلى حضرموت ما جمعه من الدراهم ومدفعاً، ولم تكن المدافع معروفة بحضرموت في ذلك الوقت وأنَّ يافعاً أذعنت له بالطاعة وسلمته سلطنة تريم وألقت إليه بالرياسة عن طوع الاختيار، إلا أن يافع أطاعته طمعاً في الدراهم التي أحضرها معه من جاوة وطمعاً في الراحة معه من المشاغبات الداخلية مع شيء من خشية المدفع الذي جاء به معه.

ومع ذلك فان سلطان تريم الأمير عبد الله عوض غرامة لم يزل يعجم عوده حتى بذر الشرَّ بينه وبين بعض جيران تريم من آل تميم فطلب منه الحبايب ألا يضربهم بالمدفع الذي معه فلم يستمع لقولهم ورمى بمدفعه فلم يؤثر المدفع شيئاً فسقطت مهابته.

وقد أرسل له غرامة أحد السماسرة ليختبره فخف ابن مقيص للقائه على باب الحصن فقال الدلال هذه الهنة الأولى، ثم لم يكتف بهذه بل طلب من الدلال أن يتقدمه في الدرج لما سره ما يسمعه منه من المديح، فقال الدلال وهذه الهنة الثانية، ثم أدخله منزله الخاص حتى تسمع زوجته من وراء الستر ما يجازف به الدلال من مديحه.

ولما رجع الدلال إلى غرامة قال له: ليس قدامك أحد فبعث غرامه بعبيده فاستولوا على جميع ما كان مع ابن مقيص وكان ذلك سنة ١٢٤٥هـ (انتهى)[١].

وقد هجا الحبيب عبد الله بن أبي بكر عيديد هذه الدولة القصيرة العمر بأبيات أوردها كل المؤرخين لطرافتها ودلالتها على ظروف هذه الدولة التي أصبحت أضحوكة من أضاحيك التاريخ الحضرمي فقال:

لقد هانها الله من دولة ... تربت على الدجر والحنبص

فخلوا البنادق لأربابها ... وشلوا بدال البنادق عصي

وقولوا عسى الله ينصف لنا ... ويرجم أعداءنا بالحصي

ولما خابت آمال العلويين بدولة ابن مقيص اتصلوا بوالي مصر محمد علي باشا فأرسلوا إليه يطلبون انضمام حضرموت إلى السلطة التي بدأ يكونها في اليمن ويطالبونه بإرسال جنود وموظفين لتنظيم أحوال حضرموت وإعادة الأمن إليها وأن يقيم عليهم والياً عادلاً، إلا أن محمد علي باشا اكتفى بإصدار فرمان بتعيين المقدم علي بن عمر بن قرموص التميمي والياً مؤقتاً من قبله، إلا أن البريطانيين تمكنوا بعد ذلك من إخراج محمد علي باشا من اليمن سنة ١٨٤٠ م فتبخرت آمال العلويين في محمد علي باشا.

كما اتصل العلويون في نفس الوقت (١٨١٦ -١٨٣٥ م) بالامام المهدي في صنعاء يطلبون دعمه وتأييده لإقامة دولة بحضرموت إلا أن الإمام المهدي كان مشغولاً بمشاكله الداخلية ولم يكن مستعداً لإجابة طلب العلويين بحضرموت [٢].

وهكذا بقيت الأمور بحضرموت على ما هي عليه من الاضطراب والفوضى لفترة

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني ٢، صفحة ١٧ -١٨.

(٢) ثابت صالح اليزدي، الدولة الكثيرية الثانية في حضرموت، دار الثقافة العربية، صفحة ٨٠-٨٢.

ليست بالقصيرة، حتى برزت للوجود الدوله الكثيرية الثانيه التي شارك العلويون في إقامتها كما سنرى بعد ذلك.





الفصل التاسع والسبعون

العلويون ودويلة آل عمر بن جعفر بشبام



شبام العالية

نبذة تاريخية

بعد أن تلاشت دولة آل كثير وحلّت مكانها حكومات الطوائف اليافعية ظهرت في أوائل القرن الثالث عشر محاولة لإحياء دولة آل كثير على يد سلالة عمر بن جعفر الكثيري، وهب السادة آل العطاس وآل البار وآل الحبشي لمساندتها، كما قام الحبيب العلامة أحمد بن عمر بن سميط (١١٧٧-١٢٥٧هـ) بنشر الدعاية لنصرة هذه الدولة التي علق عليها الحضارمة الآمال لإنقاذ حضرموت من الفتن والفوضى التي عمّتها، إلا أن هذه الدولة لم تحقق ما كان يؤمل منها كما سترى فيما يلي من أخبارها. قال الأستاذ بن هاشم[1]: إن أول سلاطين هذه الدويلة هو السلطان جعفر بن علي الذي عاد بعد هجرة طويلة إلى الهند وجاوة سنة ١٢١٨هـ، واشترى العبيد وجندهم للقتال وعقد الأحلاف مع الشنافر ونهد واستعان بالسادة العلويين ثم هجم على شبام ودحر يافع واستولى عليها وجعلها حاضرة سلطانه.

ثم أرسل السلطان جعفر الجيوش فاستولى على وادي عمد وبعض دوعن كما حصر سيؤن لمدة سنة لكنه لم يتمكن من هزيمة يافع والاستيلاء على سيؤن، كما لم يستطع الاستيلاء على تريم وانتهى به الأمر لمحالفة اثنين من حكام تريم الثلاثة وهم ابن عبد القادر وابن همام وكان ذلك في سنة ١٢٢٢هـ. وفي عهده وصلت حملة بن قملا من نجد إلا أنه لم يمكنهم من تجاوز شبام فعادوا من حيث أتوا.

كما اصطدم السلطان جعفر بمنصب عينات السيد أحمد بن سالم بن الشيخ بوبكر، وقامت الحرب بينهما واستعان المنصب بجنود من جبل يافع وتمرد بعض جنود السلطان وتركه

---

(١) محمد بن هاشم، تاريخ الدوله الكثيرية، الناشر تريم للدراسات والنشر، صفحة ١٤٩.

بعضهم ثم حصل الصلح بين الطرفين المتحاربين، ولكن السلطان تأثر بما حصل وتوفي على إثر ذلك في سنة ١٢٢٣هـ.

وبعد وفاة السلطان جعفر انحصر حكم هذه الأسرة على مدينة شبام فقط، وجاء بعده ثلاثة من السلاطين وفي سنة ١٢٢٤هـ عاد بن قملا بجيش كبير واكتسح حضرموت ووصل إلى تريم، ولكنه لم يستطع دخول المسيلة لما أبداه الحبيب طاهر بن الحسين وآل بن يحيى من المقاومة، فصالحهم بن قملا واتجه بعد ذلك إلى تريم وهزم أميرها عبد الله غرامة، واحتلوا تريم وكسروا قببها ومنعوا الرواتب والأذكار، لكنهم لم يمكثوا بحضرموت أكثر من أربعين يوماً.

وامتدت هذه الدولة الكثيرية المحدودة بشبام إلى سنة ١٢٤٠هـ إلا أن الأمور اضطربت في شبام في النهاية وتحكم الشنافرة الكثيريون في أحوال الناس وانتشر الظلم والطغيان والسلب والنهب على الرعية، وحاول الحبيب أحمد بن عمر بن سميط الإصلاح فلم يستمع إليه أحد فأشار على أهل شبام بمغادرتها إلى حوط السادة بالحزم وخلع راشد، وتعطل اقتصاد شبام.

ثم تحالف السلطان عمر بن جعفر آخر سلاطين هذه الدولة مع قبائل آل علي جابر اليافعيين وآل عبد العزيز الكثيريين على إصلاح البلاد والقضاء على الفتن والفوضى وجعلوا حكم شبام فيما بينهم، ثم قام آل علي جابر اليافعيين بطرد الشنافر من شبام واستقر الحال بشبام وعاد إليها أهلها.

إلا أن ذلك تزامن مع نهاية هذه الدولة إذ قامت بعض حاميات المدينة بقتل بعض رجال الشنافر الكثيريين فقام الشنافر بالاتصال بعمر بن جعفر بن عيسى صاحب حصن العقاد وطلبوا منه أن يقيم دولة كثيرية بشبام وهكذا تأسست دولة آل عيسى بن بدر بشبام سنة ١٢٣٩هـ (١٨٢٣م) على أنقاض دويلة آل عمر بن جعفر السابقة.

وأول سلاطين دويلة آل عيسى بن بدر هو السلطان عمر بن جعفر بن عيسى بن عمر بن بدر بوطويرق صاحب حصن العقاد الذي قدم من جاوة سنة ١٢٣٠هـ (١٨١٤م).

ولما قرر هذا السلطان احتلال شبام والقضاء على دولة آل عمر بن جعفر وحلفائهم تحالف أولاً مع حكام سيؤن اليافعيين من آل الضبي ثم حاصر شبام لمدة شهرين ثم دخلها منتصراً في سنة ١٢٣٩هـ. إلا أن هذا السلطان لم يتمتع بسلطنته لأكثر من أربع سنوات حيث وافاه الأجل المحتوم في سنة ١٢٤٣هـ (١٨٢٧م).

وخلفه ابنه منصور بن عمر وهو الذي انتهت به هذه السلطنة عندما اغتاله الجمعدار القعيطي كما جاء في فصل الكتاب عن الدولة القعيطية ومنصور بن عمر من مواليد جزيرة مادورا بأندونيسيا، وتوفي والده وهو صغير فبقي تحت وصاية عمه، وكان عبقرياً جباراً مغرماً بالسلطة والقسوة ميالاً إلى الحرب والبطش، كما نال بعض التعليم في مصر. ثم قام يافع الموسطة بمهاجمة شبام واستمرت الحرب بينهم حتى حصل الاتفاق على أن يأخذ منصور نصف المدينة والموسطة النصف الآخر. إلا أن منصور لم يرض بهذا الأمر، قال بن عبيدالله: ولما كانت ليلة الفطر من سنة ١٢٦٠هـ فعل منصور بن عمر فعلته التي فعل وانتهز فرصة خروج أكثر مَنْ بِشبام من يافع إلى منازلهم خارجها للعيد فأعلن ثورته وقتل من بقي منهم بشبام وهم غارون في المساجد، واستقل بملك شبام، وقد أنكر العلويون صنيعه ذلك إلا الحبيب عبد الله بن عمر بن يحيى فإنه هنأه بكتاب. قال بن عبيدالله: وقد نشرت ذلك الكتاب في بضائع التابوت مع ما تعاظمني من أشكال صنيع الحبيب عبد الله بن عمر. وفي سنة ١٢٦٤ باع منصور بن عمر ناصفة شبام على غالب بن محسن الكثيري وعقدوا معه حلفاً، إلا أن هذه البيعة فسخت فيها بعد وبقيت المشاغبات بينه وبين آل كثير وبينه وبين يافع على أشد ما يكون[1].

ومن أسباب ذلك أن منصور بن عمر أمر عبيده بقتل حمود بن عبد العزيز وهومن أعيان الشنافرة الكثيريين وقد درج عبد العزيز هذا على ظلم العُزَّل من الناس فهابوه وصانعوه

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٢٧٩.

اتقاء شره، فمر به منصور وهو يهدد رجلاً عند جامع شبام فأمر عبيده بقتله فقتلوه[١]، وتسبب ذلك في إشعال الحرب بين الشنافر ومنصور بن عمر إلا أن السادة العلويون تدخلوا بالصلح بين الطرفين بعد أن تضرر الناس من استمرار الحرب[٢].

كما تدهورت علاقات منصور بن عمر مع يافع فحاصر جند منصور بن عمر آل جابر اليافعيين بخشامر وأرسل بعض عبيده إلى القطن لمناوشة من فيها من يافع.

غير أن من أعماله الكبيرة إشعاله البارود في دار معمر الخلاقي في القطن[٣] ونتج عن ذلك قتل عدد كبير من الناس، وأحدثت هذه الحادثة استياءً عاماً خصوصاً بين العلويين وأوغرت عليه قلب الجمعدار عمر بن عوض القعيطي وحركت همته نحو الدخول في صراع الحكم الدائر في حضرموت.

وكان منصور بن عمر يرغب في توسيع دائرة حكمه إلا أن الظروف لم تكن مواتية له فقد بدأ السلطان غالب بن محسن يسعى لإقامة دوله كثيرية في سيؤن كما ظهر في الميدان الجمعدار القعيطي اليافعي ليؤسس دولة قعيطية في حضرموت وهو الذي كانت نهاية منصور بن عمر على يديه كما جاء في موضوع الدولة القعيطية.

قال بن عبيدالله[٤] وضاقت نفس منصور بن عمر فباع ناصفة شبام الغربية للسلطان القعيطي بعد أن حذره الحبيب عمر بن محمد بن سميط وقال له إنَّ في هذا هلاكك، وبقي هو وعوض القعيطي على المصافاة في العلانية والمكايدة في السر، فدعوه للمشاورة في أمر وغدروا به، وتغدوه قبل أن يتعشاهم وخلص ملك شبام للقعيطي من ذلك اليوم وإلى الآن (انتهى).

---

(١) محمد بن هاشم، تاريخ الدولة الكثيرية، الناشر تريم للدراسات والنشر، صفحة ١٩٠.
(٢) ثابت اليزيدي الدولة الكثيرية الثانيه في حضرموت، الناشر دار الثقافة العربية، صفحة ١٣١.
(٣) ثابت اليزيدي، الدولة الكثيرية الثانية في حضرموت، الناشر دار الثقافة العربية، صفحة ١٣١.
(٤) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٢٧٩.

العلاقة بين منصور بن عمر والعلويين

لقد استبشر العلويون بدولة منصور بن عمر وتوقعوا أن تسهم دولته بنشر الأمن في حضرموت المضطربة أشد الاضطراب في تلك الفترة، وقد كتب له الحبيب حسن بن صالح البحر[١] كتاباً يطلب فيه الاهتمام بشؤون الرعية ويطلب منه فيها «أن ترحم من ولاك الله عليهم وتشفق بهم وتصطبر وتحتسب وتثق بوعد مولاك الصادق أن يرزقك من حيث لا تحتسب وتسير مع سيرهم، فقد أضرت بهم الحاجات ووصلتهم المكربات من فوات أموالهم وانقطاع سبيلهم وأسبابهم» (انتهى باختصار).

ويفهم من رسالة الحبيب حسن خوفهُ من أن يرهق منصور الرعية بطلب المال لتعويض ما فقده في حروبه خصوصاً وأن هذه الرعية قد أرهقها الحصر وانقطاع السبل وتعطل الأسباب. قال بن عبيدالله[٢] عن منصور بن عمر: كان شهماً شجاعاً حميَّ الأنف أبيَّ الضيم وله تعلق بجبل المجد ونجم الشرف السيد عمر بن محمد بن سميط.

ومن أخباره أن السيد سالم بن صالح الحبشي كان من أثرياء شبام فطلب منه منصور إعانه فشكى إلى الحبيب عمر بن سميط فعاتبه فقال أنا لا أحب الظلم وأكره أن أسيء إلى أحد من أهل البيت، ولكن السيد سالم عنده من جيف الدنيا ولو وضعت جيفة، عند منبر الجامع لأسرعت إليها الكلاب والضرورة تحوج فقال الحبيب عمر للسيد سالم أعطِهِ، وحج السلطان منصور بن عمر مع الحبيب عمر بن محمد بن سميط وأُشيع موتُهما كذباً ثم عادا بالسلامة. (انتهى).

---

(١) محمد بن هاشم، تاريخ الدولة الكثيرية، الناشر تريم للدراسات والنشر، صفحة ١٨٩.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٢٧٨.

إلا أن السادة راعهم تصرف منصور مع يافع وقتله إياهم بالمسجد في يوم عيد ثم إنهم فجعوا مرة اخرى بحادثة تفجير دار معمر السابق ذكرها فنفضوا أيديهم عنه واتجهوا إلى عقد حلف بين القعيطي وآل عبد الله الكثيريين فعقد العلويون اجتماعا بين القعيطي والكثيري لهذا الغرض بدار الحبيب حسن بن صالح البحر بذي اصبح واظهر المجتمعون نقمتهم على منصور بن عمر، غير أنه كان من المستحيل التوفيق بين هذه القوى الناشئة التي يتطلع كل منها للسيطرة على حضرموت.

قال بن عبيدالله: وأنشدت في هذا الاجتماع قصيدة الجد محسن بن علوي السقاف التي يعرض فيها بمنصور بن عمر بعد أن حاول الجد محسن الاصلاح بين السادة آل بن سميط لخلاف نشب بينهم، وحاول أن يقابل منصور بن عمر فتمنع وقال: أنا لا أحب أحد أن يتدخل بين رعاياي، فقال فيه الحبيب محسن [1]:

أيـا مـن تعـاظم في نفسه	وعنّا تـولّى ومنّا شردْ
وأضحى من النصح في معزل	وطينته عجنت بالحسدْ
وظلم العباد له شيمة	خصوصاً رعيته في البلدْ
وقد بطر الحق مستكبراً	ولم يرعوي إن نهاه أحدْ
ستقهر ثم إلى القهقرى	تصير وأمرك يا ذا فسدْ
وتعزل عما وليت ولا ترى	النصر يوماً بحول الصمدْ

وقد فصلنا قصة مقتل منصور بن عمر ونهاية حكمه على شبام في فصل سابق.

* * *

(١) محمد بن هاشم، تاريخ الدولة الكثيرية، الناشر تريم للدراسات والنشر، صفحة ٢٠٣.

الفصل الثمانون

علاقة العلويين بالشحر وبالنقيب بن بريك حاكم الشحر



تطلق كلمة الشحر على المدينة المعروفة بهذا الاسم، أو تطلق على جميع سواحل حضرموت والمهرة حتى عمان. والشحر مدينة واسعة الأكناف بعيدة الأطراف وتضم بلاد وأوديه وقرى وتمثل الشحر أقدم ميناء في جنوب شبه الجزيرة العربية [١].

وتعتبر الشحر وعدن نهايةً لطرق القوافل بجزيرة العرب، ويقام للعرب فيها منذ الجاهلية سوق له شهرة واسعة يقام في منتصف شعبان، وتعرف استمراريته الحالية بزيارة هود التي تقام في شعبان أيضاً.

وظلت الشحر لفترة طويلة ثغر حضرموت ومنفذها التجاري الوحيد على العالم الخارجي، ويستقبل ميناءها عشرات السفن المحملة بالبضائع المختلفة القادمة من بلاد العالم المختلفة، كما يقيم بها بعض التجار الأجانب و بها أيضاً الوكالات التجارية وبعض الفنادق وقد جذب ازدهار الشحر التجاري العديد من سكان قرى ووديان حضرموت الذين انتقلوا للسكن بها.

كما مكّن الشحر موقعها الاستراتيجي لأنْ تكون حلقة الوصل التجاري بين الهند والخليج العربي ومصر وشرق أفريقيا وداخل حضرموت، وازدهرت فيها منذ القديم تجارة اللبان مما أكسبها الاسم القديم المعروف (أرض اللبان) كما ازدهرت بها في بداية القرن التاسع عشر تجارة الرقيق ونظرا لأهمية، الشحر الاقتصادية فقد حاول الإسبان احتلالها سنة ١٥٢٣هـ[٢] كما تعرضت الشحر لعدد من الغزوات البرتغالية.

* * *

(١) ثابت صالح اليزيدي، الدولة الكثيرية الثانية في حضرموت، دار الثقافة العربية، صفحة ٤٤-٤٥.

(٢) ثابت صالح اليزيدي، الدولة الكثيرية الثانية في حضرموت، دار الثقافة العربية، صفحة ٤٥-٤٧.

نبذه تاريخية ملخصة من كتاب الشحر عبر التاريخ [١] وكتاب بضائع التابوت[٢]

كانت الشحر خاضعة لولاة اليمن من قبل الدولة الأموية، وفيها بعد خضعت للدولة العباسية حتى استقل بنو زياد بحكم اليمن عام ٢٠٢م في عهد الخليفة العباسي المأمون فأصبحت اليمن والشحر وحضرموت خاضعة لسيطرة بني زياد.

وكان أول من خلع طاعة اليمن واستقل بالشحر آل فارس الذين أقاموا في سنة ٥٤٧هـ دولة بالشحر ولكن دولتهم تعرضت في سنة ٥٧٥هـ لهجوم الجيش المرسل من قبل الدولة الأيوبية والمعروف بجيش الغز بقيادة عثمان الزنجبيلي وتمكن هذا الجيش من احتلال الشحر والقضاء على دولة آل فارس ثم توجه جيش الغز إلى داخل حضرموت وقام باحتلالها.

وتكرر بعد ذلك هجوم الغز واستعادة آل فارس الحكم واستمر ذلك إلى سنة ٦١٥هـ حيث هجم ابن مهدي اليمنى على الشحر وطرد بقية الغز وواصل سيره المنتصر حتى وصل تريم واحتلها في سنة ٦١٦هـ إلا أن القبائل النهدية تمكنت سنة ٦٢١هـ من دحر جيش المهدي وبسطت سيطرتها على شبام وتريم وبقية مدن حضرموت.

ثم استغل سلطان ظفار سالم بن ادريس الحبوظي ظروف المجاعة التي ضربت حضرموت فقدم المساعدات الغذائية للحضارمة ثم أرسل جيشه واحتل حضرموت بمساعدة قبائل آل كثير، ثم طمع الحبوظي في احتلال الشحر فجهز عليها جيشاً برياً وبحرياً من ظفار، إلا أن قواته انهزمت ولم تحقق أهداف الغزو، وكانت هذه الغزوة وَبالاً عليه فقد

---

(١) خميس حمدان، الشحر عبر التاريخ، مركز الدراسات والبحوث اليمنى.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني/ ٢، صفحة ١٠٧.

أعقبها في السنة التالية لهذه الغزوة الفاشلة هجوم بني رسول حكام زبيد على قاعدة ملكه بظفار الذين تمكنوا من قتل الأمير سالم الحبوظي وأسر عائلته وانهاء دولته.

ودخلت الشحر بعد ذلك تحت سلطة بني رسول الذين استمروا يعينون لها الأمراء ويقبضون منهم الإتاوات التي تصلهم إلى عاصمتهم تعز.

ولكن لما ضعفت دولة بني رسول عاد الأمير سعيد ين فارس بادجانه واستولى على إمارة الشحر وكان ذلك في سنة ٨٣٦هـ وعدل في الناس وحمدت الرعية سيرته، ثم حاول بنو رسول استعادة الشحر بحمله سيروها سنة ٨٣٦هـ لكنهم لم يوفقوا في حملتهم وبقي الأمير سعيد بادجانة يحكم الشحر حتى وفاته، ثم جاء بعده ابنه محمد بن سعيد الذي طمع في الاستيلاء على عدن عندما بلغه ما استشرى بين حكامها من خلاف، فجهز عليها حملة بحرية كبيرة ولم يلتفت لاعتراض أمه الحكيمة ولا لاعتراض أحد قضاته، بل إنه حبس القاضي ومضى يقود حملته البحرية التي تعرضت سفنها لعواصف بحرية شديدة على مداخل عدن فغرقت معضم سفنه وتشتت قوته وفوق ذلك وصل عدن من اليمن الأمير عامر بن طاهر لنجدة عدن ومواجهة حملة أبودجانة التي انتهت على مشارف عدن دون قتال ووقع الأمير محمد بن سعيد بادجانة في الأسر وبقي فيه حتى استنقذته والدته بجهد جهيد وعادت به إلى الشحر سنة ٨٦٢هـ.

كما استغل الأمير عامر بن طاهر هزيمة أبي دجانة وضعف قوته فأرسل حملة بحرية في سنة ٨٦٥هـ احتل بها الشحر وبسط عليها حكمه وطرد الأمير بادجانه منها، إلا أن امارة الشحر لم تَصْفُ له حيث عاود الأمير أبو دجانة مهاجمتها وبقيت إمارة الشحر يتجاذبها أبودجانة والأمراء الطاهريون بحملات متضادة.

ثم تمكن السلطان بدر بن محمد الكثيري في سنة ٨٦٧هـ من إقناع الطاهرين بتعيينه نائباً عنهم على الشحر إلا أن أبادجانة عاد واستولى على الشحر وطرد الكثيري منها وتقهقر الكثيري إلى قاعدة حكمه في شبام واستمر آل بادجانة على حكم الشحر حتى بداية القرن

العاشر الهجري، حيث هاجم السلطان جعفر بن عبد الله الكثيري الشحر سنة ٩٠١هـ واستولى عليها وقضى على إمارة الأمير محمد بن سعيد بادجانة وأعلن أن الشحر عاصمة لدولة آل كثير.

ثم دخلت الشحر تحت سلطة السلطان بدر بن عبد الله الكثيري الشهير بأبي طويرق الذي وحد البلاد الحضرمية وجعل الشحر عاصمته الساحلية وبنى سيؤن لتكون عاصمته الداخلية.

وبقيت الشحر تحت حكم آل كثير حتى سقطت الدولة الكثيرية الاولى سنة ١١٥٥هـ وتوزعت أملاكها على القبائل الحضرمية واليافعية.

ثم تنازعت القبائل اليافعية حكم الشحر لأهميتها التجارية وخراجها الكبير فاستولى عليها آل عياش اليافعيين وبقيت في حكمهم حتى انتزعها منهم الإمام المهدي المتحالف مع الأمير سعيد بن علي بن مطران وتفرقت بقية يافع في داخل حضرموت.

قال بن عبيدالله في بضائع التابوت[١]: استولت يافع على الشحر في سنة ١١١٩هـ ومنهم طائفة يقال لها آل عياش تملكت الشحر، وقد كان حصن الشحر يسمى حصن المصبح، ثم قيل له حصن بن عياش نسبة إلى هذه الطائفة وما زالوا على الشحر حتى اختلفوا فغلبهم عليها آل بريك. قال السيد الفاضل عبد الله باحسن في تاريخه: وفي سنة ١١٦٥هـ وصل إلى الشحر آل بريك وأصلهم من حريضه فابتدءوا بالمصالحة بين الحموم والتحالف معهم وقربوا الناس حتى أحبوهم ثم أقاموا فرضة (ميناء) بالشحر وأقاموا ناجي بن عمر أميراً عليهم فتعصبت عليه يافع وحاربوه لكنه انتصر عليهم واستبد بالملك ولم يخرج عن طاعته إلا ابن معوضه المقيم خارج الشحر بمكان يقال له مرير وله فيه حصن يأخذ فيه العشور على مايصل من الغيل والمكلا وتلك النواحي.

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني/ ٢، صفحة ١٠٧.

ولم يزل الأمير ناجي بن عمر يحارب ابن معوضة وهو متمنع بحصنه صامدٌ ضد الحصار وله في حصنه بئر مالحة الماء يستعين على شرب مائها بالسكر للضرورة ولما مات الأمير ناجي بن عمر سنة ١١٩٣هـ خلفه ابنه علي بن ناجي بن بريك الملقب بالقحوم، وكان مضرب المثل في الشجاعة والإقدام إلى كرم وجود وعدل ورأفة ومحبة زائدة لأهل البيت النبوي وقام علي بن ناجي بتضييق الحصار على ابن معوضه حتى صالحه بن معوضة وبذل له الطاعة، وفي سنة ١٢٢٠ مات علي بن ناجي وكان في أيامه قد أمر بإغراق القاضي سعيد بن عمر بن طاهر في بالوعة لعلمه أنه كان يعمل الأسحار، ثم خلفه على الشحر أخوه حسين بن ناجي ثم ولده ناجي بن علي بن ناجي، وفي أيامه جاءت حملة بن قملا البحرية في خمس وعشرين سفينة وامتلكوا البلاد ولم يؤذوا أحداً في حال ولا في مال، غير أنهم أخربوا القباب والتوابيت فقط ولم يعترضهم آل بريك.

قال بن عبيدالله وفي سنة ١٢٢٧هـ جهز الكسادي أمير المكلا حملة بحرية لنهب السواعي القادمة من السواحل الإفريقية إلى الشحر فأخذها بما فيها وسار بها إلى المكلا فجهز ناجي بن علي جيشاً لاقته عساكر الكسادي بالحرشيات، والتحم القتال بين الطرفين وانهزم الكسادي وغنم ناجي بن علي جميع ما خرج به الكسادي إلى الحرشيات، ثم تقدم ناجي بن علي في اليوم الثاني إلى البقرين وأمسكوا الماء على أهل المكلا وفي اليوم الثالث أشرفوا على قارة المكلا وأطلقوا منها المدافع فتم الصلح بواسطة آل العيدروس وباعمر على أن يرد الكسادي جميع ما نهبه قومه من السواعي (السفن) القادمة من السواحل الإفريقية.

وفي سنة ١٢٣١هـ جهز الكسادي حملة على الشحر لكنه انهزم، وفي سنة ١٢٤٢ توفي ناجي بن علي وجلس على كرسي الشحر ولده علي الثاني بن ناجي ونازعه الحكم عمه محسن بن حسين وافترقت الحاشية (العبيد) واتسعت شقة الخلاف واستعرت الفتنة بينهما في سنة ١٢٤٨هـ وتعطلت البلاد وانقطعت المسالك وهربت الناس ثم اصطلحوا وتنازل محسن بن حسين واعترف بالإمارة لعلي بن ناجي.

ثم لما قامت الدولة الكثيرية الثانية في سيؤن بقيادة السلطان غالب بن محسن الكثيري، كان من أهدافها المهمة السيطرة على الشحر المنفذ البحرى المهم لداخل حضرموت، لذلك فقد خطط السلطان غالب بن محسن لمهاجمة الشحر وطلب من الدولة العثمانية المساعدة، وسعى العلويون ما وسَعهم لدى العثمانيين فأرسلت الدولة العلية حملة بحرية ومعها السيد إسحاق بن عقيل بن يحيى شيخ السادة بمكة، وجهز الكثيري من طرفه حملة برية سنة ١٢٦٦هـ صحبها وفد من السادة، إلا أن سوء الأحوال البحرية أعاق رسو السفن التركية وأصابها ما أصاب حملة أبو دجانة على عدن. وإضافة لما سبق فقد قام الكسادي حاكم المكلا بتقديم المساعدة لبن بريك حاكم الشحر متناسياً ما كان بينهما من عداوة سابقة وتعاون الاثنان على هزيمة آل كثير في معركة مرير وتفرقت القوات الكثيرية بعد الهزيمة وعادت السفن التركية دون أن تحقق الهدف المنشود وفشلت خطة الاستيلاء على الشحر.

إلا أن أمل السلطان غالب بن محسن في احتلال الشحر لم يتبدد، فجرد حملة جديدة في سنة ١٢٨٣هـ وهاجم الشحر واستولى عليها وأنهى إمارة آل بريك عليها.

وكتب اليزدي يقول: وعلى إثر دخول القوات الكثيرية الشحر غادرها علي بن ناجي عن طريق البحر واتجه إلى المكلا ولكن الكسادي رفض استقباله في المدينة بحجة أنه لم يدافع عن الشحر وغادرها قبل أن تصله النجدات الكسادية والقعيطية فغادر المكلا إلى عدن مستنجداً بالإنجليز لينصروه على آل كثير مقابل وضع إمارته تحت حمايتهم وكان يعتقد أنهم سيلبون طلبه ويردون له الجميل لقيامه قبل فترة بإنقاذ بحارة السفينة البريطانية (سير جورج اندرسون) التي غرقت قبال شواطىء الشحر عام ١٨٥٤م إلا أن البريطانيين لم يقدموا له أي مساعدة لأنه لم يعد له وزن سياسي (انتهى)[١].

قال بن عبيدالله: واتجه علي بن ناجي من عدن إلى يشبم وأقام مدة سنة عند الشيخ

---

(١) ثابت صالح اليزيدي، الدولة الكثيرية الثانية في حضرموت، دار الثقافة العربية، صفحة ١٥٦.

فريد بن محسن العولقي ثم راودته الأفكار في استعادة الشحر فعزم على السفر إلى الآستانة ليستغيث بالدولة العثمانية على القعيطي وعلى الكسادي رغم أنه كما رأينا وقف ضد العثمانيين وناصر الإنجليز ثم سار إلى لحج ونزل على ضيافة السلطان فضل بن علي العبدلي وفيها كانت وفاة علي ناجي المفاجئة، وقد حامت الظنون حول الإنجليز والجمعدار عبد الله بن عمر في أنه سُم من جهتهما (انتهى).

وبعد استيلاء السلطان غالب بن محسن على الشحر واستتاب أمورها ارتكب السلطان غالب غلطة استراتيجية مدمرة، فقد طمع في الاستيلاء على المكلا، وزيَّن له السلطان عبود بن سالم هذا الأمر وشجعه عليه وبقي السلطان الحكيم غالب بن محسن متردداً في غزو إمارة الكسادي إلا أن الأمير عبود بن سالم الذي يصفه بن عبيدالله بشؤم الطالع غلبه على أمره فتحركت القوة الكثيرية نحو المكلا ولكنها انهزمت امام قوات الكسادي، ثم جمع الكسادي قوته وانضم إليه القعيطي بقواته وقررا احتلال الشحر وطرد آل كثير، فتحركا بجيشهما نحو الشحر وهزموا القوات الكثيرية واحتلوا الشحر وتمكن السلطان غالب من النجاة بنفسه بأعجوبة، وضاعت عليه الشحر إلى الأبد، وأصبحت الشحر من املاك القعيطي نظير مساهمته في هذه الحرب وكانت هذه أول خطواته للاستيلاء على ساحل حضرموت باجمعه.

علاقة العلويين بآل بريك حكام الشحر:

لقد كان للنقيب علي بن بريك علاقة طيبه بالعلويين بحضرموت الداخل وخصوصاً بسيد الوادي الحبيب حسن بن صالح البحر الذي كان يكرر له النصيحة بالشفقة على رعيته وبالاهتمام بأمر الصلاة.

وأورد ابن حميد الكندي في تاريخه[1] رسالة من الحبيب حسن بن صالح البحر إلى

---

(١) سالم بن حميد الكندي، تاريخ حضرموت، تحقيق عبد الله الحبشي، المجلد الأول، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٤٢٨.

النقيب علي بن ناجي بن علي بريك وفيها يقول له: فنوصيك حفظك الله أن تقوم بحق ربك على نفسك وأهل مودتك وقرابتك ورعيتك بإقامة الصلاة وزجر من تخلف عنها وتهاون بها، ولا يقبل لأحد عذر في تركها من الرجال والنساء والعبيد والأحرار فهي عمود الدين بعد شهادة التوحيد، فما يتركها إلا عدو لله مطرود بعيد قد استحوذ عليه الشيطان المريد ليكون معه في العذاب الشديد، ثم انظر بعد ذلك في رعيتك ومن ولاك الله عليهم بالشفقة والرحمة واحملهم على ما يرضى به ربك وسعدك لديه بترك المحرمات والمنكرات التي تزيل النعم حتى يكون لك جزاء ما عملوا به من الخير وجزاء ما تركوه من الشر، ثم يقول واشفق برعيتك ومن ولاك الله عليهم ولا تغير قلب أحد منهم فيدعوا عليك بدعوه توقعك في بأس الله وسخطه وعذابه الأليم. (انتهى باختصار).

قال بن عبيدالله[1]: وسمعت من جماعة أذكر منهم الآن عبيد صالح بن طالب أنّ الحبيب حسن بن صالح البحر كتب لحاكم الشحر علي ناجي بريك أن لا يمكن لأحدٍ من البادية دخول الشحر إلا بعد أخذ العهد عليه بالمواظبة على الصلاة جماعة في مساجد الشحر ما دام فيها فلم يأنف أحد من ذلك بل اتفقت البادية على قبوله والتزم به حتى أقبل جماعة من العوابثة فارأد صاحب السدة (بوابة الشحر) أن يعاهدهم فامتنعوا وانصرفوا إلى أصحابهم آل عمر باعمر بالغيل وهم يرتجزون بقول أحدهم:

قولـوا لنـاجي بـن عـلي	كلـين يؤخـذ لـه مـلاه
ماراس بن عوبث غلـب	مابايعاهـــد عالـــصلاة

قال بن عبيدالله: وللمسألة وجهان أحدهما أن عهد الإسلام كاف وأنهم لم يريدوا أن يجعلوا لغير الله شوباً في العبادة (انتهى).

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ٧٤.

ولما نشب الخلاف والحرب بين النقيب بن بريك وبين الكسادي وانقطعت الطرق وتضرر الناس أرسل الحبيب طاهر بن الحسين في ربيع الثاني من سنة ١٢٣١هـ برسالة إلى الكسادي وبأخرى للنقيب وقال في رسالته للنقيب ناجي بن علي بن بريك[١]: «ووجبت علينا النصيحة وذلك بما تقتضيه المحبة والمودة الصحيحة فاعلم يا محبنا أن الفتنه آخرها قتال وهلاك المال والرجال ثم يقول: «وقد رأيتم ما حصل في الفتنة السابقة من هلاك البلاد والعباد وتقطع أسباب المعاش والمعاد وباقية آثارها إلى الآن» (انتهى باختصار).

ولم يكتف الحبيب طاهر بالخطاب بل أرسل مندوباً عنه للإصلاح بين الطرفين، لذا نراه يقول في رسالته: ثم إن محبنا الشيخ سعيد بن محمد الزبيدي واصلٌ إليكم لسد هذا الباب وإصلاح ما وقع من الخراب، فليكن منكم الامتثال والقبول فما في هذا الشأن غالب ولا مغلوب ولا طالب ومطلوب. (انتهى باختصار).

علاقة العلويين بمدينة الشحر:

وللشحر مكانة خاصة عند العلويين حيث أنهم يذهبون إليها للاستراوح كما كانت طريق هجرتهم إلى الهند وأفريقيا والشرق الأقصى إذ كانت الشحر هي الميناء الاساسي لحضرموت. وقال بن عبيدالله في المعجم: وكانت للحضارمة تجارة واسعة بالشحر، وكانوا يتيامنون بما يجلبون منها ويجربون فيه البركة ولا يزال العلويون يترددون إليها ولا سيما المحضار والعيدروس لأنهم يجدون فيها من الانشراح ما لا يوجد في سواها إلا أن طرقها ملتوية وشوارعها متسخه[٢].

وفي شمال الشحر إلى جهة الرق غيضة تسمى (دفيقه) يخترف فيها السادة آل العيدروس، فيها جامع وآبار للسناوة، ومن ورائها إلى الشمال (تباله) فيها جامع وأموال لأهل الشحر

(١) محمد بن هاشم، تاريخ الدولة الكثيرية، الناشر تريم للدراسات والنشر، صفحة ١٦٢.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٩٦.

وسبعة معايين يخرج منها ماء شديد الحرارة والناس يقصدون ذلك الماء الشديد الحرارة من جهات بعيده للاغتسال فيه من بعض الأمراض (انتهى)[١].

قال بن عبيدالله: ولا يحصى كثرة من أنجبته الشحر من رجالات الفضل والعلم وقد ألفت لذلك الكتب ككتاب «نشر المحاسن المسكية في أخبار فضلاء الشحر المحمية».

وتولى القضاء بالشحر جماعات من أهل الفضل منهم الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن باكثير المتوفى في نحو سنة ٩٢٠هـ ومنهم الشيخ محمد بن عمر بحرق المتوفى سنة ٩٣٠هـ.

وقال بن عبيدالله: ومن أجلاء علماء الشحر وقضاتها الشيخ عبد الله بن عمر بامخرمة، وقد استوفينا أخباره مع السلطان بدر بوطويرق بالأصل «يقصد مخطوطة بضائع التابوت» ومن أهل الشحر عبد الله بن أحمد بافلاح نشأ بها ثم أبحر إلى الهند زماناً في خدمة السيد الجليل شيخ بن عبد الله العيدروس، ثم صحب بعده ولده العلامة السيد عبد القادر بن شيخ العيدروس[٢].

قال بن عبيدالله: ومن كبار أهل الفضل بالشحر تاج العارفين الشيخ سعد بن علي الظفاري نجع إليها من ظفار واستوطنها وتوفي بها سنة ٦٠٩هـ وله ذرية ومنصب بالشحر يقوم به الآن الشيخ سعد بن سعيد الظفاري رجل خفيف الروح له نوادر أشهى إلى النفوس من نوادر أبي دلامة ولذلك أحبه السيد حسين بن حامد المحضار[٣].

قال بن عبيدالله: وبالشحر جماعة من العلويين منهم آل باحسن جدهم السيد علوي بن عبد الله باحسن كان من المتفننين بالعلم شغوفاً بتحصيل الكتب، وقد دخل الهند في مقتبل شبابه وأقام بها مدة وحصل بها علم الحديث ثم خرج إلى حضرموت وأقام ببور وكان يتردد

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة-٩٧.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٩١.

(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صفحة ٩١-٩٢.

إلى تريم، ثم حج وزار وأخذ عن علماء الحرمين وعاد إلى حضرموت فطلب منه السلطان علي بن بدر أن يتولى القضاء على الشحر، فأقام بها على القضاء والتدريس بالجامع إلى أن مات وكانت له الإمامة والخطابة وهو من تلاميذ القطب الحداد وخلفه على الخطابة والإمامه ابنه عبد الرحمن وما زال أعقابه بالشحر، ومنهم الفاضل السيد عبد الله بن محمد باحسن مؤلف كتاب تاريخ الشحر وصاحب الأشعار الرقيقة. ومن فضلاء العلويين بالشحر السيد أحمد بن ناصر بن الشيخ أبي بكر بن سالم كان أزهد أولاد الشيخ أبي بكر بن سالم، وقد توطن الشحر وتوفي بها سنة ١٠٢٠هـ ومن ذريتهم بالشحر الآن الولد الفاضل عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن القائم بمدرسة الشحر أحسن قيام (انتهى باختصار)[١].

قال بن عبيدالله ومن العلويين بالشحر السيد عبد الله بن شيخ العيدروس المتوفى بها سنة ١٠٧٣هـ وهو جد آل عيدروس بالشحر، ومن العلويين بالشحر آل بافقيه وناس من آل عيديد وجماعة من ذرية السيد أحمد البيض.

ومن فضلاء العلويين بالشحر أيضاً السيد حسين بن عبد الرحمن بن سهل، وكان شهماً كريماً ومن محاسنه الموجودة إلى اليوم عمارته لجامع الشحر، وكان قد هرب من تريم لأذية وقعت عليه من أعوان السلطان الكثيري فسافر إلى الشحر ولم يزل بها حتى مات سنة ١٢٧٤هـ (انتهى)[٢]. (له ترجمة وافية بموقع آخر من الكتاب).

قال بن عبيدالله: ومن متأخري فضلاء العلويين بالشحر السيد الجليل علوي بن علي الجنيد، وتوفي بالشحر وكان بالشحر ناس من آل السقاف ثم نجعوا منها إلى موشح ووادي بن علي[٣].

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صفحة ٩٢.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صفحة ٩٣.

(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صفحة ٩٤.

قال بن عبيدالله: وأول مدرسة بالشحر هي التي بناها بدر بوطويرق سنة ٩٥٩هـ وجلب لها ولده عبد الله بن بدر أستاذاً من بروم هو الشيخ محمد عبد الرحيم باجابر، وفي يوم افتتاحها انشأ السيد عبد الرحمن بن أحمد البيض قصيدة فيها مدح للأستاذ والسلطان[1].

واستمر حب الشحر في قلوب العلويين وبقي الشحر مكان نزهتهم وتروحهم خصوصاً في فصل الشتاء، حيث يكون الجو شديد البرودة بحضرموت معتدل البرودة بالساحل كما كانت الشحر هي الميناء الذي يقيمون به في انتظار هبوب الرياح الموسمية التي تحملهم على ظهور السفن الشراعية إلى بلاد العالم المختلفة.

ومن مشاهير حضرموت الذين قصدوا للراحة والاستجمام الزعيم السيد محسن بن علوي السقاف (١٢١١-١٢٩٠هـ)، وقد توجه للشحر هرباً من ولاية القضاء وابتعاداً عن أمور السياسة بحضرموت خصوصاً بعدما ركبه دَيْن عجز عن قضائه وصادف وجوده بالشحر وجود الحبيب عبد الله بن عمر بن يحيى (١٢٠٩-١٢٦٥هـ) بالشحر أيضاً ومن الطرائف أنه لما جاء رمضان صلى الحبيب عبد الله بن عمر بن يحيى التراويح بالناس فكانت صلاته طويلة حيث أنه يأتي في صلاته بجميع سنن الصلاة وهيئاتها بينما صلى الحبيب محسن بن علوي بقوم آخرين صلاة خفيفة فتبعه أهل الشحر الذين يحبون تخفيف الصلاة، ولما اجتمع الحبيب محسن بالحبيب عبد الله بن عمر بعد ذلك داعبه الأول بقوله أخذت الناس علينا، فرد الحبيب محسن بن علوي عليه نحن نرخص وأنتم تغلون.

وقد سار العلويون القاطنون بالشحر بسيرة أهلهم في نشر التعليم وإقامة المدارس والمساجد وسافر كثير من أهل الشحر إلى تريم وسيؤن لتلقي العلم على كبار العلويين بها، وذكر الشيخ عبد الله الناخبي منهم الشيخ عمر مبارك بادباه الذي بدأ حياته جندياً ثم انتقل إلى تريم لأخذ العلم عن الحبيب علي بن محمد الحبشي (١٢٥٩-١٣٣٣هـ)، ولما قضى مع

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٩٤.

شيخه بسيؤن خمس سنوات استأذن للعودة إلى بلده صداع، وما إن وصلها حتى سارع بنشر العلم والمعرفة وجمع أطفال البلدة وبدأ في تعليمهم وهرع إليه عدد من أبناء القارة والغيل والشحر وعدد من اليوافع وما مرت سنوات قليلة حتى كانت بلدة صداع مقراً لطلبة العلم ومقصداً للطلاب بل إنه لم يكتف بالتعليم بل باشر أعمال الإصلاح بين الناس وتجول في القرى داعياً ومرشداً ومصلحاً (انتهى باختصار)[١].

وذكر الشيخ عبد الله الناخبي من طلبة العلم الذين تخرجوا على يد الشيخ عمر بادباه الشيخ سالم بن مبارك الكلالي فقال كان بادىء امره شاعراً شعبياً يحب اللهو والرقص، ثم لما بلغ الخمس والعشرين استهواه وعظ الشيخ عمر بادباه فاتجه إلى تعلم القرآن وأتقنه مع شيء من علوم الفقه والتوحيد، ولم يستغرق منه ذلك أكثر من ثلاثة أشهر، ثم عاد لقريته تباله بمظهر طلبة العلم فنكره قومه ولم يلتفتوا إلى وعظه وعاداه بعضهم ولكن سانده السيد علي بن عمر بن الشيخ أبي بكر فواصل إلقاء الدروس وفتح كتاباً لتعليم الأطفال، وتولى إمامة مسجد المحضار ولما مر السيد علوي بن عبد الرحمن المشهور (١٢٦٣-١٣٤١هـ) ببلدة تبالة القريبة من الشحر سر كثيراً من هذه الحركة العلمية وأقام لأجل ذلك ببلدة بتبالة لمدة أسبوع مشاركاً في التعليم والإرشاد، ثم لم يكتف بذلك بل إنه لما وصل الشحر أقام حفلاً كبيراً ووليمة كبرى احتفاءً بالكلالي وطلبته، وفوق ذلك أعطى في اليوم التالي لكل طالب من طلبة الشيخ الكلالي كسوة وأعطى الكلالي نفسه كسوة مناسبة، كل ذلك فرحاً منه واستبشاراً بظهور العلم في هذا المكان الذي خيم عليه الجهل في السابق، ولما جاء وقت عودتهم إلى بلدتهم تبالة خرج الحبيب علوي يودعهم حتى أوصلهم إلى خارج السدة[٢].

ومن مواليد الشحر السيد أحمد بن عبد الله بن محسن السقاف الشاعر المشهور الذي ذكرنا ترجمته في فصل آخر من هذا الكتاب، وقد تلقى العلم بالشحر ثم اتصل بالعلماء

---

(١) عبد الله بن أحمد الناخبي، حضرموت، دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، جدة، صفحة ٩٢-٩٣.

(٢) عبد الله بن أحمد الناخبي، حضرموت، دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، جدة، صفحة ٩٦-٩٧.

بسيؤن وتريم وهاجر في شبابه إلى أندونيسيا وشارك في التدريس وإنشاء المدارس بعدد من البلدان الجاوية، ثم لما بلغ من العمر عتياً قرر العودة إلى الشحر إلا أن المنية عاجلته وهو على ظهر الباخرة بعد يومين من إقلاعها من بتاوا.

ومن متأخري العلويين من أهل الشحر الشاعر المشهور السيد حسين بن أبي بكر المحضار والذي ذكرنا ترجمته أيضا في موقع آخر من هذا الكتاب.

وكانت معيشة حضرموت تعتمد على التجارة مع الشحر وتسير القوافل المحملة بين حضرموت والشحر في رحلة تستغرق ثمانية أو تسعة ايام وقد تتعرض في الطريق لسطو القبائل المسلحة.

وقد قام السادة آل الكاف بشق أول طريق ممهد للسيارات بين الشحر وتريم بمسافة تبلغ ٣٠٠ كيلومتر واستغرق إنشاؤه عشرة سنوات، وتم افتتاحه عام ١٣٥٧هـ (١٩٣٨م) وقد بذل السيد أبوبكر بن شيخ مجهوداً كبيراً لإقناع القبائل بعدم التعرض للطريق بعد أن خافوا من كساد تجارة النقل بالجمال التي يعيشون عليها، كما بذل لهم الأموال الوفيرة لحماية الطريق من قطاع الطرق، وكانت رحلة الجمال تستغرق بين الشحر وتريم ثمانية أو تسعة أيام فاختصرها الطريق إلى ساعات.

* * *

الفصل الحادي والثمانون

الكسادي والعلويون[1]



المكلا عاصمة الكسادي

(١) نبذة تاريخية ملخصة عن مخطوطة بضائع التابوت.

قال بن عبيدالله[١] في بضائع التابوت: وفي بستان العجائب للسيد محمد بن سقاف بن الشيخ أبي بكر بن سالم أن الكسادي من ذي ناخب جاء إلى المكلا بعد سنة ١١١٧هـ، وكانت المكلا خيصة تقصدها المراكب عند اشتداد الرياح في البحر، ويقال أن آ ل الجدياني اليافعيين مروا بها سنة ٩٨٠هـ فاعجبتهم فاستوطنوها وصار أمر أهلها إلى عاقلهم، وكان كبير آل كساد إذ ذاك في المكلا واسمه سالم، فاغتال الجدياني واستقل بالمكلا، ثم جاء سالم بن أحمد بن مجحم الكسادي ومعه ولده صلاح بن سالم وأخوه مقبل فاغتالوا سالم الكسادي، ثم مات سالم وخلفه عليها ابنه صلاح، ثم خلفه ولده عبد الحبيب ثم أخوه عبد الرب ثم محمد بن عبد الحبيب ثم ولده صلاح بن محمد بن عبد الحبيب. قال بن عبيدالله [٢] وهو الذي اشترك مع القعيطي في غزوة المحايل التي هاجمت سيؤن وكان حسن السيرة جم العدل إلا أنه شديد الوطأة على المخالف، فقلما تقع من أحد إساءة إلا كفَّنه حياً وربطه بقطعة من الحديد وأرسله إلى قاع البحر. وزعموا أن في حصنه سرداب مفتوح إلى البحر وكان لا يوجد في ملكه زان ولا سارق لأنه لا يغفل عن أحوال رعيته، وكلَّما علم بشيء من ذلك رمى بصاحبه في ذلك السرداب، وكان لا يحتجب عن مظلوم قط بل يجده الداعي متى أراده في أي وقت شاء من ليل أو نهار، وكان يعس متنكرا في كل ليلة، فمر ذات ليلة تحت دار فيه سراج من نصف الليل فقرع بابه مرارا فأجابته امرأة في الثالثة بجواب غليظ جداً، فسأل في اليوم الثاني عن هذا البيت فأخبروه بأن فيه امرأة نفساء بولد مريض، فقال لقد أزعجناها وبعث لها بصلة غير قليلة.

وذكر بن عبيد الله أن الشيخ زين بن عطوفة الغرفي أراد أن يهرب أسماكاً جاءت له في سنبوك في الليل، فبينما هو يحملها بالليل على ظهور الحمّالين إذ بصروا بواحد في زي مسكين، فأوجس الشيخ زين منه خيفة، وكان له أخ من الأم يجالس النقيب الكسادي،

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ١٠٧.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ٦٨.

فأخبره الكسادي بقصة أخيه زين وقال له ائتني به بعد أن تؤمنه وتتلطف به، فجاء به وهو يرتعد مع ذلك من الخوف، فآنسه النقيب الكسادي وقال له: ما الذي حملك على هذا التهريب والرسوم خفيفة جداً؟ فقال زين إني استثقلها مع ذلك، وغرتني نفسي، فقال الكسادي أنا لا أزعج مثلك وأعرف أنك إنما سرقت مالك، ولكن لو اطلع عليك أحد عبيدي وأنت تهرب السمك لنهبوا عليك المال ولم تقدر على الشكاية لأن فيها الفضيحة، ثم ألانَ الكسادي له الجانب وحذره من العودة لمثلها وأعطاه صكاً بتخفيف الرسوم عنه وعن غيره.

وجاءت مرة سفينه مملوءة بالبضائع المختلفة فقرر عليها صاحب الفرضة «مأمور الميناء» ستين روبية فاستكثرها صاحب السفينة فقال له صاحب الفرضة إن شئت أن تراجع النقيب فافعل، فذهب صاحب السفينة إلى النقيب الكسادي يسأله التخفيف فأعفاه عنها كلها، ولكنه رصدها على صاحب الفرضة فقال له: لِمَ ذلك؟ قال: لأنك أحلته علي وهل يمكن أن يصل إليَّ وأخيب رجاءه فهذا جزاؤك، قال بن عبيد الله: وهذا شاهد على أريحيته وكرم نفسه.

قال بن عبيدالله: وكان ابن النقيب الكسادي عمر يتجر في الحبوب حتى كانوا يسمونه عمر الطعام، فاشترى حمولة ثلاث سفن منه، ثم توارد الطعام على المكلا وانكسر سعره فأراد عمر أن ينقلب على البائع فرفع البائع الأمر إلى والده النقيب فَحوّله النقيب إلى حاكم السوق وهو عبد أعجمي للكسادي اسمه خير الله، فاستدعى خير الله عمر الكسادي ابن النقيب، ولما وصل أجلسه بازاء خصمه ولم يقعده كعادته على الكرسي بينما جلس خير الله على الكرسي وحكم على ابن الأمير بدفع الثمن وتسلم الطعام، وبعد أن فرغ من الحكم قام من الكرسي وأجلس ابن النقيب عليه، والنقيب ينظر إلى جميع ما جرى وبأثر ذلك استدعى النقيب الكسادي خير الله وسأله عما صار فأخبره بما حصل فقال له النقيب الكسادي إنك لو حابيت ولدي أو أجلسته على الكرسي قبل فرض الحكم أو قمت له لأوجعتك ضرباً، وأورد بن عبيدالله قصصاً أخرى مماثلة تدل على عدل الكسادي وشجاعته وحزمه (انتهى النقل).

علاقة الكسادي بالعلويين

كان النقيب الكسادي شديداً مهاباً، وفي كتاب الأمالي[١] أن الحبيب عبد الرحمن بن علي السقاف (١٢٢٦-١٢٩٢هـ) توجه للحج طريق بندر المكلا وكان معه منشد ينشد بقصائد الحبيب محسن بن علوي السقاف في نصرة السلطان غالب بن محسن الكثيري ومعه مكاتبات للسيد إسحاق بن يحيى بمكة وللدولة العلية فأخذها منه بعض حراس النقيب ودفعها للنقيب، فلما اطلع عليها النقيب غضب وهمَّ به وبأصحابه بسوء وأمر صاحب السفينة التي حجزوها لسفرهم بالمغادرة الفورية حتى يمكثوا بالبندر ويعاقبهم أو يعاتبهم وبات الحبيب عبد الرحمن بن علي عند أصحابه من أهل البندر في أنس تام، ولما أصبحوا وجدوا السفينة قد غادرت المكلا فعرفوا أن لا أحد يستطيع أن يأمرها بالسفر المبكر غير النقيب صلاح، وعرفوا أنه مغتاظ منهم فأخذهم الخوف والوجل من غضب النقيب وعقابه وغادر الحبيب عبد الرحمن المكلا إلى عريش في طرف البندر إلا أن النقيب صلاح اشتكى في تلك الليلة ألماً في بطنه وأمضى ليله ونهاره في شدة الألم فظن أن ذلك بسبب تعديه على الحبيب عبد الرحمن فأرسل إليه يطلبه أن يحضر، فاعتذر الحبيب بأنه لا يدخل بيوت الدولة، ولكنهم لما ألحوا عليه حضر، فاعتذر منه النقيب وطلب منه الدعاء له بالشفاء (انتهى).

قال بن عبيدالله[٢]: وكان النقيب صلاح محباً لأهل العلم حتى أنه لما جاء الحبيب أحمد بن عمر بن سميط أو غيره من عظماء آل سميط إلى المكلا حرص النقيب على الاجتماع به فلم يقبله الحبيب إلا بعد مراجعات طويله على تكره، و لما وعظه فيما اشتهر عنه من الشدة والقسوة قال له الكسادي لا يمكنني ترك الشدة إلا مع الاستعداد بعسكر كثير، والإكثار من

---

(١) أحمد بن عبد الرحمن السقاف، الأمالي، دار الأصول، صفحة ٦٧.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ٦٨-٧٠.

العسكر يضرّ بالرعية ويكلفهم ما لا يطيقون، وبما أنا عليه من الشدة تحصل الهيبة الكافية عن حشد الجيوش فلا يمكنني أن أدعها ما دمت على الإمارة، وأما إذا أشرت عليّ أن أتخلى عن الحكم وأترك أمر الناس تخليت عنه على يدك، وذهبت إلى مكة أو غيرها فالرأي إليك وما تشير به مقبول، فكان احتجاجه على الحبيب قريباً من احتجاج معاوية بن أبي سفيان على ابن الخطاب إذ أنكر عليه رفاهيته ولباسه.

قال بن عبيد الله: وفي إحدى قدمات الحبيب حسن بن صالح البحر (١١٩١-١٢٧٣هـ) إلى المكلا أراد النقيب صلاح بن محمد أن يجتمع به فلم يقبل حتى هجم عليه بدون استئذان وانطرح يبكي بين يديه وجرى له نحو ما جرى له مع ابن سميط حتى تحقق له حسن نيته وإخلاص طويته وتفانيه في إيثار العدل، وبدا له من تعليل القسوة ما أشار إليه أبو تمام في قوله:

وقسى ليزدجروا ومن يك حازماً فلـيقس أحيانـاً عـلى مـن يـرحم

واختصر بن عبيد الله مكاتبه من الحبيب حسن بن صالح البحر للنقيب صلاح الكسادي لما فيها من الدلالة على محاولة الحبيب حسن التوفيق بين منصور بن عمر وغالب بن محسن وعلي ناجي والكسادي والقعيطي وقال الحبيب حسن بن صالح للنقيب الكسادي في هذه المكاتبه: صدر هذا الكتاب بعد وصول كتابكم بوفاة اخيكم الصائر إن شاء الله إلى رحمة الله، وأعظم الله لكم الأجر وعزم لكم على فقده بالصبر وندعو لكم بالخصوص لما منحكم الله من العدل والإنصاف والشفقة بالرعية وشكرهم لكم وذاك الذي زاد محبة فيكم والله يجعلنا من المتحابين فيه (انتهى).

وفي سنة ١٢٣١هـ أرسل الحبيب طاهر بن حسين برسالة إلى النقيب عبد الرب بن صلاح الكسادي[١] في أمر الإصلاح بينه وبين النقيب ناجي علي بن بريك أمير الشحر،

---

(١) محمد بن هاشم، تاريخ الدولة الكثيرية، الناشر تريم للدراسات والنشر، صفحة ١٦١.

للإصلاح بينهم في ما نشب من خلاف ينذر بحرب ويقول له فيها: «ثم إنه بلغنا ما صار بينكم وبين ابن بريك من الأحوال بأسباب لا توجب هذه الأمور ورجونا خمودها وجمودها وأفضى الأمر إلى جمع أقوام تهلك تحتها الراعي والرعية وتكبر بها الفتنة وتعظم البلية، والفتنة ما تحتها طائل وإنما هي تهلك المال والرجال» (انتهى باختصار).

ولم يكتف الحبيب طاهر بن الحسين بل راسل مندوباً عنه هو الشيخ سعيد بن محمد الزبيدي[1] للإصلاح وطلب من النقيب في خطابه التعاون معه بالموافقة والمطابقة لإطفاء نار الفتنة.



(١) محمد بن هاشم، تاريخ الدولة الكثيرية، الناشر تريم للدراسات والنشر، صفحة ١٦٢.

الفصل الثاني والثمانون

العلويون والدولة الكثيرية



السلطان حسين بن علي الكثيري آخر سلاطين الدولة الكثيرية
والسيد عبد القادر بن محمد الحبشي

نبذة تاريخية عن الدولة الكثيرية الثانية

ذكرنا في الفصل السابق كيف تردت الأحوال الأمنيه والسياسية في حضرموت إلى اسوأ حالاتها وذكرنا أيضاً جهود العلويين الحثيثة لإيجاد والٍ عادل يحكم البلاد ويقيم العدل ويحفظ الشرع الشريف، ولكن لم يكتب لأي من هذه المحاولات النجاح، ثم حصلت القصة البسيطة التي غيرت مجرى التاريخ الحضرمي، فلقد أخبر السلطان عبد الله بن محسن الكثيري الزعيم محسن بن علوي السقاف (١٢١١-١٢٩٠هـ) بإرسال الجمعدار غالب بن محسن بمبالغ من الهند لبناء بيت له بتارية، فعرف الزعيم محسن بن علوي بذكائه أن غالب ما أرسل بهذه الأموال الكبيرة إلا وهو يملك أكثر منها، وبرقت في ذهنه فكرة استعادة الدولة الكثيرية الزائلة خصوصاً وأن محاولات العلويين لضبط الأمور في حضرموت وإقامة الوالي العادل باءت كلّها بالفشل، كما فصلنا ذلك في الفصول السابقة من هذا الكتاب.

ثم تواصلت المكاتبات بين الجمعدار غالب بن محسن الكثيري بالهند وكبار العلويين بحضرموت مثل سيد الوادي الحسن بن صالح البحر (١١٩١-١٢٧٣هـ) والزعيم محسن بن علوي السقاف والسيد علوي بن سقاف الجفري والسيد عبد الله بن عمر بن يحيى (١٢٠٩-١٢٦٥هـ) حيث قام العلويين بتشجيع السلطان غالب على العودة إلى حضرموت واستعادة ملك آبائه وأجداده وتخليص البلاد مما تعانيه من فوضى واضطراب.

ولأن حركة التاريخ محكومة بأقدار يسيرها المولى عز وجل فإن هذه الرسائل والدعوات جاءت في الفترة التي كان السلطان غالب يتعرض فيها لمضايقات من القعيطي في الهند فتحركت همته لإجابة مطالب العلويين وأرسل السلطان غالب بالأموال الكافية إلى أخيه

المقيم بتاربة بحضرموت عبد الله بن محسن الكثيري كما طلب من عمه عبد الله بن أحمد بالتحرك من الهند إلى حضرموت والتعاون مع أخيه عبد الله والتشاور مع العلويين لتحقيق الهدف المطلوب.

ووصل الأمير علي بن أحمد الكثيري إلى حضرموت سنة ١٢٦٠هـ ١٨٤٤م وكانت أولى خطواته إتمام شراء بلدة الغرف باسم غالب بن محسن من قبيلة القرامصة بمساعدة السيد عبد الله بن حسن بن اسماعيل العيدروس الذي يحترمه القرامصة وهم فرع من آل تميم، وقام بتسوير الغرف، إلا أن آل تميم توجسوا من هذه البيعة وطلبوا من إخوانهم القرامصة التراجع عن البيع وإعادة الثمن لأصحابه إلا أن عملية الاسترجاع فشلت[١].

ثم قام السلطان غالب بخطوة أخرى مهمه وهي إرساله ابن أخته الأمير عبود بن سالم الكثيري إلى حضرموت مزوداً بمبالغ كبيرة من المال، وطلب منه الأخذ برأي العلماء ومشاورتهم في الأمر وإقامة العدل ومساندة الحق، وبادر الأمير عبود بن سالم بعد وصوله بشراء حصن ابن مطهر الاستراتيجي على مشارف تريم من آل مقيص اليافعيين وشحنه بالرجال والمؤن والسلاح ليكون قاعدة انطلاقه نحو المدينة.

كما تحرك الأمير عبود بن سالم سياسياً وعقد سلسلة من التحالفات مع القبائل الشنفرية ثم تحرك بلا كلل يجوب مناطق حضرموت ويعقد المحالفات والمعاهدات مع قبائل حضرموت، فحالف الصيعر وسيبان ونهد والحموم وسار حتى وصل إلى عين بامعبد.

ولم يكتف الأمير عبود بن سالم بالتحالفات المحلية بل سار إلى القبائل المحاربة مثل العوالق وجردان ووصل إلى مأرب واتفق مع صاحب مأرب الشريف عبد الرحمن بن محسن على إمداده بما يحتاجه من المقاتلين مستعيناً في إتمام مهمته بما يرسله السلطان غالب من الأموال الوفيرة من الهند.

---

(١) ثابت صالح اليزدي، الدولة الكثيرية الثانية في حضرموت، دار الثقافة العربية، صفحة ٩٩.

وقد يتساءل المؤرخ لماذا لم يبادر السلطان غالب بالعودة بنفسه بدلاً من إرسال عمه وابن أخته إلى حضرموت، إلا أن الجواب على هذا التساؤل ليس صعباً لأن السلطان غالب كان يعرف أن المعارك في حضرموت تحتاج إلى استمرار تدفق الأموال، ولن يضمن ذلك إلا بقاؤه بجوار مصادر ثروته، كما أنه كان لديه كثير من الارتباطات السياسية والمالية والقضايا التي تحتاج إلى حلول قبل أن يتمكن من قطع علائقه بالهند والعودة إلى حضرموت.

وفي الوقت الذي كان فيه الأمير عبود بن سالم يعقد التحالفات ويجند الجنود كان العلويون يقومون داخل تريم بدور سياسي هام، فقد تمكنوا من اقناع واحدٍ من حكام تريم الثلاثة وهو ابن همام صاحب حصن الرناد على أن يتخلى عن حصونه لآل كثير مقابل راتب شهري يضمنونه له مدى الحياة، فوافق على ذلك بعد جهود متواصلة من العلويين وكان ذلك انتصاراً لآل كثير لأنه أضعف الجبهة اليافعية القوية بتريم.

ثم حقق العلويون الانتصار السياسي الأهم عندما دعَوا الأمير عبد القوي غرامة وهو أقوى أمراء تريم إلى الاجتماع بمنزل الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر (١١٩١-١٢٧٢هـ) بالمسيلة حيث تمكنوا من إقناعه بالتنازل عن حكم وسط تريم لآل كثير مقابل مبلغ كبير من المال، وعن الامتناع عن أذية الرعية ومطالبتهم بأي شيء وكتبت بذلك وثيقة، وهكذا مكنت هذه الوثيقة آل كثير من ملك تريم ودخولها دون أن تراق في سبيل ذلك الهدف قطرة دم واحدة بفعل الجهود المخلصة الحثيثة للزعماء العلويين.

ودخل آل كثير تريم سنة ١٢٦١هـ، ١٨٤٥م في مهرجان كبير، دقت فيه الطبول وطارت فيه الأهازيج وكان ذلك نصراً كبيراً وإعلاناً بقيام الدولة الكثيرية الثانية بحضرموت[١]. إلا أن مظاهر الأفراح والأهازيج التي رافقت دخول آل كثير إلى تريم آلمت عبد القوي غرامة ونبهته لفداحة الخطأ الذي ارتكبه، فعمل على الانتقام من آل كثير واستعادة

---

(١) ثابت صالح اليزدي، الدولة الكثيرية الثانية في حضرموت، دار الثقافة العربية، صفحة ١٠٤.

حكمه، فعقد تحالفات سريه مع بعض قبائل آل تميم المجاورين للغرف والناقمين على آل كثير لاستيلائهم على بلدتهم الغرف، ثم استغل عبد القوي غرامة خلاف بسيط نشب بينه وبين آل كثير فأعلن عليهم الحرب في سنة ١٢٦٢هـ ١٨٤٦م، وانضم إليه عبيده وبعض آل تميم من سكان تريم، واحتل بهم أجزاءً من تريم، وبقي موقف آل كثير بتريم حرجاً نتيجة هذا التغير الاستراتيجي.

واستمرت المناوشات بين الطرفين سبعة أشهر إلا أن الأمير عبود بن سالم تمكن من تجنيد ألفين من قوات شريف مأرب ومن بيحان، وهجم بهم على تريم فانفض آل تميم من حول غرامة وبقي عبد القوي غرامة منفردا أمام القوات الكثيرية وحلفائها، فلم يكن أمامه بُدٌّ من الاستسلام، وبذلك انتهت الحرب وبقي غرامة في بيته تحت حماية آل كثير ثم غادر تريم إلى سيؤن ومنها إلى المكلا. هذا ومع كل ما فعله آل غرامة بالعلويين مما ذكرنا بعضه في الفصول السابقة إلا أن العلويين عملوا على ضمان سلامة عبد القوي غرامة وعائلته فسعى الحبيب حسين بن عبد الرحمن بن سهل لتزويج شقيقة عبد القوي غرامة إلى الأمير المنتصر عبود بن سالم، وقد تم له ذلك. وبعد احتلال تريم فكر آل كثير في احتلال سيؤن سنة ١٢٦٣هـ ١٨٤٧م، وكان يحكمها آل الظبي اليافعيون، وهم طوائف متعددة كانت تتصارع فيما بينها مما سهل على آل كثير الوصول إليها واحتلالها.

قال بن عبيد الله: وأخذ الجد محسن بن علوي السقاف يمهد الطريق لفتح سيؤن، وكان من تمهيده أنه عقد الصداقة بين آل عبد الله الكثيريين وبعض آل الظبي اليافعيين من أهلها حتى يفتحوا الأبواب لجيش الدولة الكثيرية يوم نزوله بساحتهم أو يكفوا على الأقل عن مساعدة أصحابهم[1].

ثم حدثت حادثة أخرى أضعفت مقاومة يافع بسيؤن، إذ تعرض آل كثير لقافلة قادمة

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني٢، صفحة ٢٨.

من الشحر لحساب أهل سيؤن ومحملة بالمؤن والمواد الغذائية، مما أضعف يافع المعسكرين بها، إلا أن اعتراض القافلة هدد بحدوث مجاعة بين سكان المدينة فسعى العلويون لتسهيل دخول القافلة إلى سيؤن.

ثم تقدم الأمير عبود بن سالم بقواته نحو سيؤن وحاصرها لمدة ثلاثة أيام ثم هاجمت قواته المدينة، واستمر القتال بينه وبين حكام سيؤن اليافعيين لمدة خمسة عشر يوماً تمكن بعدها الأمير عبود بن سالم من السيطرة على مدينة سيؤن.

ولعل مما يحسب من حسنات الأمير عبود بن سالم أنه لم يهاجم سيؤن إلا بالقبائل الحضرمية أما القوات التي جاء بها من بيحان ومأرب فلم تشترك في اقتحام المدينة لمعرفته أن هذه القبائل الاجنبية لن تتورع عن القيام بأعمال السلب والنهب والقتل في المدينة المفتوحة[١].

كما يحسب للامير عبود بن سالم موقف آخر وهو منعه سفن الحملة التركية والتي جاء عليها من جدة مع شيخ السادة بمكة السيد إسحاق بن يحيى من ضرب المدافع على رجال القبائل المتجمعين على الساحل بعد أن تعرضت السفن التركية للهجوم، وكانت هذه الحملة قد انطلقت من جده لمساعدة آل كثير على بسط سيطرتهم على الشحر، وكان يقودها شيخ السادة بمكة السيد إسحاق بن يحيى، ويرافقه الأمير عبود بن سالم.

وبعد انتصار آل كثير ودخولهم سيؤن سعت طوائف يافع إلى عقد الصلح مع المنتصرين، وتمت بنود الصلح على تسليم الحصون وتثمين الممتلكات واستلام قيمها وأن تودع كل فخذ من فخائذ يافع رهينة منهم يبقى محبوساً لدى الدولة الجديدة التزاماً بالوفاء حتى لا يتكرر ما فعله عبد القوي غرامة بتريم، وحضر توقيع الاتفاق سيد الوادي الحبيب حسن بن صالح البحر والحبيب محسن بن علوي السقاف[٢].

---

(١) ثابت صالح اليزدي، الدولة الكثيرية الثانية في حضرموت، دار الثقافة العربية، صفحة ١١١ .

(٢) ثابت صالح اليزدي، الدولة الكثيرية الثانية في حضرموت، دار الثقافة العربية، صفحة ١١١-١١٣ .

وكان حكام سيؤن آل الظبي اليافعيين قد ألقوا القبض سنة ١٨٤٧م على مجموعة من وجهاء سيؤن فيهم الزعيم محسن بن علوي السقاف، بحجة أنهم يعملون لصالح آل كثير ضد الوجود اليافعي بسيؤن وأنهم على اتصال وثيق مع آل كثير، وظل وجهاء سيؤن محبوسين حتى دفع الأهالي مبلغاً كبيراً من المال لإطلاق سراحهم[١].

إلا أن الحبيب محسن بن علوي السقاف لم يتشف بهزيمة يافع ولم يشمت بهم رغم ما فعلوه به، بل بلغت به الرحمة ورقة العاطفة، كما ذكر بن عبيدالله في بضائع التابوت، أنه أثناء طلوعه لصلاة عيد الفطر أشرف عليه من مشرفة محبسه صالح بن سالم بن هرهرة اليافعي، وهو أعدى عدوه وقال له: ادع لنا يا حبيب محسن بالفرج فإن غداي اليوم في كسرة إبريق من الخزف، فرقَّ له الحبيب محسن وتبادرت دموعه على محجريه وآثره على عياله بأحسن طعامهم في ذلك اليوم، ثم ما زال يتعهده بمثل ذلك حتى هرب من محبسه[٢].

ومع أن تاريخ الحضارم العسكري في حيدر أباد لم يُشر مطلقاً لأي دور للأمير عبود بن سالم وربما لم يعمل بجيش النظام لكنه لعب في تأسيس الدولة الكثيرية دوراً مشابها للدور الذي لعبه أبو مسلم الخراساني في تأسيس الدولة العباسية أو لنقل: إنه قام بنفس المهمة التي قام بها السلطان عمر بن عوض القعيطي في تأسيس الدولة القعيطية إلا أن الأمير عبود بن سالم مع استبساله وضخامة نشاطه التي جعلته يجوب حضرموت معاهداً للقبائل ثم يصل إلى مأرب ويتعاهد مع الشريف ويتعاهد مع العوالق وحكام بيحان ويذهب إلى مكة ويعود مع السيد إسحاق بن يحيى على سفن الحملة التركية المساندة للكثيري في احتلال الشحر، ورغم شجاعته وشهوده الكثير من المعارك الحاسمة إلا أنَّ الأمير عبود بن سالم افتقر إلى الدهاء والسياسة التي امتلك منها القعيطي الكثير، كما أنه كان ظالماً متعسفاً لا يقيم أي احترام للعلويين ولا لكبارهم، قال بن عبيد الله: ثم إنَّ الأمير عبود بن سالم وهو معروف بشدته

---

(١) ثابت صالح اليزدي، الدولة الكثيرية الثانية في حضرموت، دار الثقافة العربية، صفحة ١٠٩.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني/ ٢، صفحة ٤٨.

وقسوته استضرى على الظلم وبلغ به سوء الأدب على الأجلاّء حتى هاجر من ظلمه عدد من السادة عن سيؤن، وكان الحبيب حسن بن صالح بغاية الاهتمام لهذا الحادث ثم توسط السيد عبد الله بن حسن بن إسماعيل في الأمر.

كما لم يكن الأمير عبود يتورع عن القسوة على المساكين فقد طلب من السلطان منصور بن غالب أن يقتل أحد الحراثين، لأنه قام في المسجد الجامع يشتكي من ظلم آل كثير، فاكتفى السلطان منصور بقطع أذنه فقط. كما افتقر الأمير عبود بن سالم إلى الدهاء وحسن السياسة وبُعد النظر، ومما يدل على ذلك نصيحته الخاطئة للسلطان غالب بن محسن، تلك النصيحة التي كان لها أبلغ الأثر على جغرافية الدولة الكثيرية، وقصتها أنه لمّا انتصر السلطان غالب بن محسن على بن بريك حاكم الشحر ودانت له الشحر كلها أشار عليه الأمير عبود بن سالم بالتوجه مباشرة لاحتلال المكلا، وتردد السلطان غالب لكن الأمير عبود بن سالم حمله على رأيه، فانهزمت القوات الكثيرية هزيمة منكرة، ثم تحالف القعيطي مع الكسادي وقاما بمهاجمة الشحر حيث طردوا منها آل كثير ونجا السلطان غالب بن محسن من الموت باعجوبة وضاعت عليه الشحر إلى الأبد.

وما يدل أيضاً على قصر نظر الأمير عبود بن سالم أنه استجاب بسهولة لخديعة اثنين من رجال البادية المدسوسين من قبل القعيطي بعد أن أقنعاه أنهما من العوالق الراغبين في التحالف مع آل كثير، وطلبا منه أن يرافقهما إلى بلاد العوالق فتبعهما الأمير عبود مع عبده فقط ولم يستمع لنصيحة أحد فقتلاه غدراً في الطريق.

وبعد إتمام اتفاقية الصلح مع آل الظبي بسيؤن وصل السلطان عبد الله بن محسن إلى سيؤن قادما إليها من تريم في موكب مهيب وأقام بسيؤون وليمة كبرى لحلفائه ولبعض رجالات يافع الباقين بالمدينة، ثم بدأت يافع في مغادرة سيؤن إلى القطن عند إخوانهم من قبائل الموسطة اليافعية.

وبعد انتصار سيؤن تحرك آل كثير لبسط نفوذهم حول سيؤن فأرسلوا قواتهم إلى تريس

ومريمة واستولوا عليهما. ولكن يافعاً لم تستسلم لضياع سيؤن فقامت بمحاولة لاستعادتها سنة ١٢٦٤هـ، ١٨٤٨م إلا أن هذه المحاولة لم يكتب لها النجاح.

كما عكرت الانتصارات الكثيرية في حضرموت الأجواء بين القادة الحضارم في جيش حيدر أباد، فقد استاء الجمعدار عمر بن عوض القعيطي من انتصارات آل كثير وهزيمة قبيلته يافع، ويقال إنه دبّر مؤامرة لطرد السلطان غالب بن محسن من الهند، ويعتقد بعض المؤرخين أن السلطان غالباً غادر الهند بمحض اختياره ليكون قريباً من قاعدة ملكه وبسبب ما تناهى إلى سمعه من عزم حكومة حيدر أباد مصادرة الأموال الحضرمية فباع السلطان غالب إقطاعياته الكبيرة بحيدر أباد والتي كانت تدر عليه سنوياً مائتين وخمسين ألف روبية هندية[١].

ولا أستبعد أن يكون القعيطي قد ساعد على خروج السلطان غالب بن محسن لأنه يعرف أن فقدانه لمصدر دخله السنوي الكبير من حيدر أباد سيؤثر على استمرارية دولته بحضرموت والتي تحتاج إلى أموالٍ وفيرة للمحافظة على استمرار ولاء القبائل والعبيد وتوفير المؤن والأغذية إلا أنّه ما لم يكن في حسبان القعيطي هو أن أغنياء العلويين في جاوا وسنقفورا لم يتأخروا عندما لزم الأمر عن مساعدة السلطان غالب بن محسن ودولته الجديدة بالأموال وبشراء الأسلحة لضمان استمرار الدولة الكثيرية التي فقدت مصدر تمويلها بالهند.

ولهذا نرى الحبيب حسن بن صالح البحر يبعث في سنة ١٢٦٣هـ، ١٨٤٧م برسالة إلى الحضارم المقيمين بجاوة يستحثهم تقديم الدعم والمساعدة لآل كثير[٢]، وبعث الحبيب محسن بن علوي السقاف رسالة مثلها إلى العلويين المهاجرين. وقد استجاب السيد عمر بن علي الجنيد وأرسل للسلطان غالب بن محسن بالأموال الطائلة و ثلاثين مملوكاً وعدة مدافع حربية مكتوب على كل منها بالعربية (الجنيد) كما تبرع كذلك لدولة آل كثير السادة آل بن يحيى وتبرع غيرهم من أثرياء العلويين. هذا ولم ينس السلطان غالب بن محسن الكثيري

---

(١) ثابت صالح اليزدي، الدولة الكثيرية الثانية في حضرموت، دار الثقافة العربية، صفحة ١١٦.

(٢) ثابت صالح اليزدي، الدولة الكثيرية الثانية في حضرموت، دار الثقافة العربية، صفحة ١٣٨.

فضلُ العلويين ولا دعاءهم ولما دخل سيؤن بعد عودته من الهند ارتجز السلطان عبود بن سالم الأبيات التالية:

قد جيت يا غالب وقدها سابره قد سبروها لي يكنـون المخيـف

فرد السلطان بقوله:

الفـــضل كلـــه للوجـــوه الزاهـــره يدعون لي في الليل في الوقت الشريف

ومـــا بخلنـــا بـــالفلوس اليـــاسره وأقـوام سـقناها كـما سـيل الخريـف

وكان أول عمل قام به السلطان غالب بعد عودته زيارة الحبيب حسن بن صالح البحر في ذي أصبح حيث طلب منه أن يدعو له.

إلا أن آل كثير لم يتمتعوا بالاستقرار التام رغم ما حققوه من انتصارات، فقد تعرضوا بين سنة **١٢٦٤**هـ **١٨٤٨**م، وسنة **١٢٦٨**هـ **١٨٥٢**م لمناوشات وغزوات من قبيلة آل تميم، وقد استغل القعيطي هذه الفرصة لإضعاف آل كثير فأمد آل تميم بما يحتاجونه من المال والسلاح مما مكنه من إلحاق بعض الهزائم بالدولة الكثيرية.

وفي عام **١٨٧٠** قام القعيطي وحلفاؤه من آل تميم بمهاجمة آل كثير في تريم واستمرت بينهم الحرب مشتعلة لمدة سبع سنوات حتى عقدت معاهدة صلح بين الأطراف المتحاربة اعترف فيها الكثيري باستقلالية المقدم أحمد بن عبد الله بن يماني في المناطق والأودية التابعة لآل تميم.

وكان السلطان عوض بن عمر القعيطي قد جعل من القطن قاعدة لانطلاقته القوية للسيطرة على حضرموت وقد ركز جهوده لاحتلال شبام، وحاول أن يمنع أي تقارب بين منصور بن عمر الكثيري حاكم شبام ودولة آل كثير الجديدة بسيؤن بل إنه أحب أن يربك حسابات آل كثير بسيؤون ويرضي في نفس الوقت أطماع يافع الذين استنجدوا به بعد

إجلائهم من سيؤن وتريم، فرتب حملة مشتركة كبيرة هاجمت سيؤن سنة ١٨٤٨م واحتلتها لمدة سبعين يوماً.

وبعد حملة السلطان غالب بن محسن الفاشلة على المكلا والشحر قرر الجمعدار عوض بن عمر القعيطي حاكم الشحر القيام بحرب وقائية ضد آل كثير في وادي حضرموت لتدمير امكاناتهم العسكرية وشل حركتهم حتى لا يفكروا مرة أخرى بمهاجمة الشحر، ولهذا تعاهد في سنة ١٢٨٣هـ ١٨٦٧م مع النقيب الكسادي حاكم المكلا على القيام بحملة لاحتلال سيؤن وتريم وأن تكون تكاليف الحملة مناصفة بين الطرفين.

وخطط الطرفان لقيام حملتين عسكريتين: إحداهما تتجه لاحتلال تريم والأخرى تتوجه إلى سيؤن. وقد استعمل الجمعدار الداهية عوض بن عمر القعيطي الحرب النفسية فأشاع أن دوي مدافع الحملة ستجهض الحوامل وتدمر البيوت، كما وجه الحملة النفسية ضد العلويين ليرهبهم، فأشاعوا بأن مع الحملة قيود كتبت عليها أسماء كبار العلويين مثل السيد محسن بن علوي السقاف، والسيد عبد الله بن عمر بن يحيى، ولم تكن حضرموت تعرف من قبل في حروبها مثل هذه الدعايات المؤثرة، إلا أن آل كثير استبسلوا في الدفاع عن بلدهم وشجعهم العلويون على الصمود، كما دب التخاذل والاختلاف بين أفراد القوة المهاجمة وانتهى الأمر بهزيمة القوة المهاجمة رغم ضخامتها وفشلها في الاستيلاء على سيؤن وعاد المهاجمون من حيث جاؤوا مهزومين.

كما لقيت الحملة التي اتجهت إلى تريم مصير حملة سيؤن فقد تلقاها آل كثير قبل وصولها إلى تريم بشجاعة وبسالة فانهزمت القبائل اليافعية المهاجمة وقتل كثير من أفرادها واستولى آل كثير على أسلحتهم ومؤنهم، وفرّ من بقي منهم على قيد الحياة.

وبعد هذه الهزيمة الثقيلة دب الخلاف بين المتحالفين الأقوياء القعيطي والكسادي وانتهى الأمر بسقوط الإمارة الكسادية على يد القعيطي عام ١٢٩٨هـ ١٨٨١م[١].

---

(١) ثابت صالح اليزدي، الدولة الكثيرية الثانية في حضرموت، دار الثقافة العربية، صفحة ١٨٤.

أما الدولة الكثيرية فقد توطدت أركانها بحضرموت، وذكرنا طائفة أخرى من أخبارها في فصول أخرى من هذا الكتاب واستمرت هذه الدولة قائمة وقوية حتى استولت الجبهة القومية ذات الميول الشيوعية على الحكم بعد مغادرة الإنجليز، وكونت هذه الجبهة دولة اليمن االديموقراطية الشعبية عام **١٣٨٦**هـ **١٩٦٧**م، وانتهت بذلك الدولة الكثيرية الثانية بعد مائة عام من وفاة مؤسسها السلطان غالب بن محسن الكثيري.



الفصل الثالث والثمانون

العلويون والدولة القعيطية



سلاطين القعيطي بالهند

نبـذة تاريخيـة

قال بن عبيد الله: وأقام القعيطي بما أفاء الله إليه من يافع دولة رفيعة القدر، محكمة البناء، جميلة المنظر، مبنية على الرأفة بالرعايا والرفق بهم. والفضل في إقامة هذه الدولة ودولة العولقي ودولة غالب بن محسن عائد كله إلى حكومة حيدر أباد الدكن فهي التي أنبتت دُولَهم كما يُنبت الربيع البقل.

وقال بن عبيدالله[١]: كان الأمير عمر بن عوض بن عبد الله القعيطي عسكرياً عادياً ولا يعرف السبب في هجرته إلى الهند، وهل كان ذلك لضيق معيشته أم لهدف بعيد يضمره، ويتمثل في جمع مال لتكوين دولة، وقيل إن الأمير عمر بن عوض توجه إلى الحجاز فصادف الأمير عبد الله بن علي العولقي فزين له السفر معه إلى الهند وساعده على التدرج في المراتب العسكرية رغم ضعف صلاحيته لعرج في إحدى رجلَيْه، وقيل أيضاً إنما سافر إلى أرض كاتي من بلاد الهند فانتظم في الجندية كما هو الأغلب من أحوال العرب هناك، وظهرت شهامته وشجاعته ودوخ بجيشه المخالفين وأخضعهم واجتمع له مال كثير، ثم انتقل إلى حيدر أباد الدكن وتدرج بها في المناصب العسكرية حتى وصل إلى قيادة جيش عظيم.

ولما تحركت همة القعيطي إلى حضرموت أرسل أولاده الأربعه محمد وعبد الله وعوض وعلي مع عبديه الماس عمر وعنبر، فنزلوا بالكروس وهو موضع بالقطن واشترَوا ما بالكروس من حصون وسكنوها واشتروا حوطة القطن من السادة آل العيدروس أصحاب بور بثمن لا يزيد عن ثلاثة الآف ريال.

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني.

وبعد جلاء يافع من تريم وسيؤن وتريس وفشل جيشها السابق ذكره في إعادة الاحتلال بقيت يافع في غيظ شديد وأسف دائم حتى سار بعضهم إلى الهند يحمل قصيدة للشاعر باعطوة تصف ما حدث ليافع بحضرموت وأحرق بعضهم عمامة من الحرير بين يدي الأمير عمر بن عوض بن عبد الله القعيطي، وما زال به حتى ألهبه غيرةً وأذكاه حفيظةً، غير أن القعيطي سبق وأن طلب من يافع أيام حكمهم سيؤن موضعاً بها لتخزين المؤن لكنهم لم يستجيبوا لطلبه خوفاً من استيلائه على سيؤن، كما كان هناك خلاف في الاستراتيجية والأهداف بين القعيطي الذي لا يفكر إلا في احتلال شبام وبين يافع الذين يريدون استعادة ملكهم بسيؤن وتريم.

ومع ذلك فقد أرسل القعيطي بالأموال الوفيرة إلى جبل يافع وجمع منهم ألفي مقاتل بأسلحتهم وجعل عليهم ثمانين رئيساً منهم السيد محمد بن سالم ابن الشيخ بوبكر بن سالم والسيد زين الحبشي وغيرهم من اليوافع. وكان العلويون قد طلبوا من السلطان أحمد بن عبد الله الفضلي صاحب شقره حيث تقع يافع على أطراف دولته أن لا يمكنهم من المرور بأرضه، فمنعهم أولاً حتى أرضوه بمال، فسمح لهم بالمرور بأطراف بلاده ليوهم السادة أنهم مروا من غير علمه، ثم رأى أن ذلك التمويه لا يفيده فكتب إلى الحبيب حسن بن صالح البحر يعتذر ويقول في خطابه: ومرادنا منكم جواب على خطوطنا دليل على رضاكم عنا، ثم يقول ونحن ما معنا إلا الله ثم دعاؤكم، ومن بعد ما خالفنا كلامكم ومررنا يافع تغيرت علينا جملة أحوال وركت الأرض واختلفت الآراء، وقد اعترفنا واعتذرنا ورجعنا إلى الله ثم إليكم.

ووصلت تلك الحملة إلى المكلا ومنها توجهت بسرعة إلى القطن، وكانت خطة القعيطي بعدم التجهيز على سيؤن إلا بعد الفراغ من السلطان منصور بن عمر الكثيري حاكم شبام، إلا أن يافع الذين تحرقهم أحقادهم وشوقهم إلى عودة ملكهم بحضرموت تحركوا بثماني مائة رجل صوب سيؤن، ودخلوا سيؤن واستمرت الفتنة سبعين يوماً، وانتهت بفشلهم وجلاء يافع عن سيؤن وقد نهبوا خلالها البلاد وقتلوا الأنفس وهتكوا الأعراض. وقد

كان من مهمات يافع قتل الحبيب محسن بن علوي السقاف (١٢١١-١٢٩٠هـ) لمعاونته دولة آل عبد الله الكثيريين ومساندتهم، إلا أنه كان طوال السبعين يوماً ثابتَ الجنان رابط الجأش فلم يستطيعوا أن يصلوا إليه

ثم بعد فشل حملة يافع وصل إلى علم الحبيب حسن بن صالح البحر (١١٩١-١٢٧٣هـ) أن الأمير عمر القعيطي كان يقول لبعض يافع إنه ما دام غالب بن محسن يبتغي نصر الشريعة فلا يمكننا الاعتراض عليه، فعرف الحبيب حسن بن صالح أن القعيطي من طينة أخرى غير طينة يافع التي عرفها بحضرموت من قبل، فأخذ يراسله ويسعى للصلح بينهم وبين السلطان غالب بن محسن، ورغم وجود الاثنان بحيدر أباد فإنهما لم يستبدا بالصلح دون الرجوع إلى قومهم بحضرموت كما كان السلطان غالب لا يبرم أمراً دون آراء العلويين.

وفي سنة ١٢٨٢هـ توفي الأمير عمر بن عوض بن عبد الله القعيطي بالهند، وخلف خمسة أولاد وهم عبد الله وصالح ومحمد وعلي وعوض، وهذا الأخير هو الذي انتهت إليه رئاستهم، وكان قائداً شجاعاً وداهية محنكاً.

ثم نشبت الحرب حول شبام بين الدولة الكثيرية وأتباع القعيطي، حتى تم الاتفاق على تسليم القعيطي الحصون التي حول شبام مقابل عشرة آلاف ريال تسلم للسلطان غالب بن محسن، وكان ذلك في سنة ١٢٨٢هـ.

وفي سنة ١٢٨٥هـ وصل العقيطي والكسادي إلى حضرموت بجيش لم تعرف البلاد مثله من قبل، ويقال إن عدده بلغ سبعة آلاف مقاتل، وحاصر هذا الجيش سيؤن وتريم حصاراً شديداً، ولكن آل كثير دافعوا عن بلدهم دفاعاً مجيداً بالرغم من قلة عددهم، وانتهى الأمر بانسحاب الجيش الغازي وفشله في مهمته رغم ضخامة عدده، كما استخدم القعيطي الحرب النفسية فأرسل إلى أعيان العلويين يخوفهم بذلك الجيش ويطلب منهم مغادرة البلاد إلا أن ذلك لم يؤثر فيهم.

كما هجم القعيطي على الحزم ولم يكن من عادته انتهاك حرم العلويين، ولكن بعد أن زعم له مستشاروه بأن السادة العيدروس يمدون آل كثير ويساعدونهم فأجلى جميع السادة وغيرهم عن الحزم ونقلهم إلى شبام، إلا أن آل كثير انتصروا على هذا الجيش العرمرم في وقعة المحايل وكان انتصارهم على هذا الجيش من خوارق العادات.

ولو أحببنا أن نبحث عن بعض مجريات هذه الحادثة المدهشة من حوادث التاريخ الحضرمي فما علينا إلا الرجوع إلى بن عبيد اللاه الذي يصف ما حدث في هذه المعركة فيقول بأن السلطان غالب بن محسن بكر على حصانه يستشير زعيم البلاد محسن بن علوي السقاف بعد أن قرر الهرب لأن ليس له طاقه بالجيش الزاحف كما، استأجر الحبيب محسن هو الآخر حماراً ليهرب عليه، لأن يافع يطلبون رأسه قبل رأس أي إنسان آخر إلا أن الحبيب محسن بن علوي لما طلب السلطان استشارته أحاله إلى تلميذه الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي (١٢٣٧-١٣١٤هـ) بالغرفة فقصده السلطان غالب فوجده يتعبد الله في بستانه المعروف بالهداهد، فاستشاره السلطان في الهرب فأطرق الحبيب عيدروس ثم أمر السلطان بالثبات على أن لا يرهق الرعية في هذه الحرب فلم يأخذ السلطان من الناس في دفاعه إلا طعام الجنود ثم جاءت بشائر النصر وانتهى الجيش الغازي بالهزيمة، وكما قال بن عبيدالله كان السلطان غالب لا يبرم أمراً دون استشارة العلويين وتبع هذا الانتصار استيلاء آل كثير على الهجرين وإجلاء حكامها من آل يزيد اليافعيين.

وبالرغم من فشل الحملة القعيطية إلا أن نشاط القعيطي لم يتلاش، فقد أرسل في سنة ١٢٨٧هـ جماعة من جنوده إلى المنطقة الساحلية لاحتلال الحامي والديس ومناطق أخرى، كما احتل القعيطي قصيعر سنة ١٢٨٨هـ.

وأمام هذا الخطر تحالف آل كثير مع العولقي صاحب حصن صداع الواقع على مقربة من غيل باوزير، ومع سكان الغيل من آل عمر لمحاولة احتلال الشحر إلا أن القعيطي سارع

بالزحف على الغيل بألف وستمئة جندي، واحتله كما احتل حصن الصداع مفخرة الأمير عبد الله بن علي العولقي الذي يقول فيه:

ألا يـا حـصن مبنـي فـوق قـارة　　　بناك العولقي لي مايعول بالخساره

ولم ينس القعيطي منافساته مع الأمير عبد الله بن علي العولقي في حيدر أباد، فاقتلع بوابة حصن الصداع وأرسلها إلى حيدر أباد واقامها على الشارع الرئيسى لإغاظة العولقي الذي لم يتحمل هذه الإهانة وكانت من مسببات وفاته.

وبقي سلطان شبام الداهية منصور بن عمر متذبذباً بين الانضمام إلى دولة آل عبد الله ومحاربة القعيطي أو مهادنة الطرفين. ونظراً لما كان يعانيه منصور بن عمر من ضائقة مالية فإنه عرض بيع نصف شبام على دولة آل عبد الله الكثيريين، ولكن الأمير عبود بن سالم لم يستجب لطلبه فتوجه منصور بن عمر نحو القعيطي الذي كان يتلهف لهذا العرض الذي سقط عليه من السماء، وبعد هذا الاتفاق دخل القعيطي بحاشيته إلى شبام وبدأ كل واحد من هؤلاء يدبر الخطط للقضاء على الآخر والاستيلاء على شبام بأكملها.

وذكر العلامة بن عبيدالله[1] أن الحبيب عمر بن محمد بن سميط حذر السلطان منصور بن عمر من بيع ناصفة شبام على القعيطي وقال له إن في هذا هلاكك، فقال له لقد ضاق الناس وواحد ولا جماعة (انتهى).

ثم بدأ الجعمدار عوض بن عمر القعيطي بإحداث فتنة بين الدولة آل كثير وبين منصور بن عمر، فأقنع منصور بن عمر بأنه هو الأولى بحكم سيؤون فاقتنع السلطان منصور بن عمر بذلك وكتب كتاباً إلى آل كثير بسيؤون وكان هدف القعيطي الداهية من هذه المكيدة هو دق إسفين الشقاق بين آل كثير ومنصور بن عمر حتى لا يتقدموا لنجدته متى انفرد هو بقتال منصور بن عمر.

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مطبعة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٢٧٩.

ثم دبر الجمعدار عمر بن عوض القعيطي مكيدة لاغتيال منصور بن عمر تشبه المكيدة التي دبرها محمد علي باشا للماليك بمصر فدعاه لوليمة غداء، فذهب السلطان منصور مع ابنه عيسى وثلاثة من عبيده، ثم طلبه القعيطي في الطابق العلوي ليتحدث معه، ولما دخل منفردا عاجله سبعة من صناديد يافع بطعنات من الخلف فتجلد منصور بن عمر وتمكن من قتل أحدهم قبل أن يسقط متشحطاً في دمه، وأصبحت شبام بأكملها منذ ذلك التاريخ في قبضة القعيطي.

وبعد أن استتب الأمر للقعيطي بحضرموت اتجهت أنظاره نحو البنادر الحضرمية لعلمه بأن من يسيطر على بنادر حضرموت يمكنه السيطرة على حضرموت بأكملها. وقد حاول آل كثير احتلال الشحر فنجح السلطان غالب بن محسن في احتلالها سنة ١٢٨٣هـ وهرب أميرها بن بريك إلى الكسادي أمير المكلا.

ثم شجع هذا الانتصار السلطان غالب بالزحف على المكلا خصوصاً مع إلحاح السلطان عبود بن سالم عليه بذلك، إلا أن قوات السلطان غالب قوبلت بمقاومة عنيفة اضطرته للانسحاب، وقد انعكست هذه الهزيمة على موقف آل كثير بالشحر فتجمعت قوى القعيطي والكسادي وزحفوا على الشحر وتمكنوا من هزيمة آل كثير وطردهم من الشحر، إلا أن آل كثير لم ييأسوا من احتلال الشحر فسيّروا في عام ١٢٨٤هـ حملة أخرى لاحتلال الشحر ولكن السلطان عوض بن عمر القعيطي الذي استولى على الشحر مقابل مشاركته الكسادي في ردّ القوات الكثيرية بالشحر ثبت في دفاعه عن الشحر واستبسل في القتال حتى استطاع ان يرد آل كثير على أعقابهم منهزمين.

ثم ساءت الأمور بين النقيب الكسادي والقعيطي، وتوفي النقيب صلاح بن محمد الكسادي ولم يكن ابنه عمر بن صلاح في دهاء وخبرة والده فطالبه القعيطي بدين والده المدفوع في الحملة على سيؤن وتريم، ولم يكن الكسادي يستطيع السداد، فاشتد الخلاف بين الطرفين، وهنا تدخل الإنجليز عن طريق حكومة عدن بما فصلناه في فصل آخر بهذا الكتاب

وانتهى الأمر في نوفمبر من عام ١٨٨١م (١٢٩٥هـ) بجلاء النقيب عمر بن صلاح الكسادي عن المكلا على بارجة بريطانية أبحر على ظهرها إلى عدن ومنها إلى زنجبار ودخلت المكلا وملحقاتها منذ ذلك التاريخ تحت سيطرة القعيطي.

علاقة الدولة القعيطية بالعلويين

دخلت الدولة القعيطية مرحلة أخرى من التوسع السلمي والعسكري بعد تولي الوزير الداهية حسين بن حامد المحضار الوزارة القعيطية، فكان له من التأثير على رقعة الدولة القعيطية واستقرارها ما كان للمستشار الحديدي بسمارك في توحيد المانيا، فلقد استعمل السيد حسين بن حامد دهاءه وذكاءه وسحر شخصيته وما يتمتع به من احترام لكونه من العلويين، إضافةً إلى تضمينه التهديد العسكري في الوقت المناسب ولجوئه إلى الخدع السياسية التي استطاع بها أن يوطىء أكناف غالبية حضرموت للدولة القعيطية سلمياً في أغلب الأحوال، وهكذا استولى القعيطي على وادي دوعن وأخضع آل العمودي بالعمليات العسكرية إلا أن هذا الإخضاع ما كان ليستمر لولا الدور الذي لعبه السيد حسين بن حامد. ويمكننا التعرف على نشاطات الحبيب حسين بن حامد المحضار من قراءة قصة احتلال حجر.

قال البكري[1] وحجر تطل على البحر العربي، وهي أغنى منطقه في الجنوب العربي ويخترقها نهر صغير يصب على مقربة من رأس الكلب وتكون دلتاه إقليم ميفع الخصب، وتسكنه قبائل نوح الشديدة الشكيمة، ولم يخضع الإقليم لأي من حكومات حضرموت من قبل.

وقد حاول القعيطي احتلال حجر فأرسل بجيش قوامه ستمئة جندي ولكنه انهزم،

---

(١) صلاح البكري، الجنوب العربي قديماً وحديثاً، طبعة دار العلم، صفحة ١٨١.

فأرسل السيد حسين بن حامد بمئتي جندي فقط واستطاع بالدهاء والسياسة والحكمة وما يتمتع به من سحر الشخصية والنفوذ الروحي أن يخضع قبائل حجر للدولة القعيطية وليس هذا فقط بل ابتاع السيد حسين بعد ذلك مساحات من أراضي بير علي وبلحاف وضمها إلى حدود القعيطي (انتهى).

وقد توفي مؤسس الدولة القعيطية الحقيقي السلطان عمر بن عوض سنة ١٣٢٧هـ وتولى بعده السلطان غالب بن عوض القعيطي، وكان لوزيره السيد حسين بن حامد المحضار الدور الكبير في استقرار الدولة القعيطية ومد رقعتها في عهده، ومن الأعمال التي تمت في عهده احتلال ساه وقمع شوكة قبيلة الحموم التي كانت تعبث بالأمن وتقطع الطريق، وقد تم في عهده إبرام المعاهدة بين القعيطي والكثيري بإشراف حاكم عدن سنة ١٣٣٦هـ.

وقد توفي السلطان غالب بن عوض سنة ١٣٣٧هـ وقام بالأمر بعده أخوه السلطان عمر بن عوض الذي لم يكن يقيم بالمكلا الا أياماً معدودات ثم يعود لحيدر أباد تاركاً الأمر لوزيره المحنك السيد حسين بن حامد المحضار، ثم توفي السلطان عمر سنة ١٣٥٤هـ وقام بعده السلطان صالح بن غالب القعيطي الذي توفي سنة ١٩٥٦ فخلفه ابنه عوض بن صالح الذي توفي سنة ١٩٦٦م، ومن بعده ابنه صالح بن غالب الذي كان آخر سلاطين الدولة الكثيرية، حيث استولت الجبهة القومية على الحكم بعد جلاء بريطانيا وكونت دولة اليمن الديموقراطية الشعبية عام ١٩٦٧م.

هذا وكان لسلاطين القعيطي علاقات حميمة مع العلويين وبينهم محبة متبادلة استمرت إلى آخر يوم من أيام هذه الدولة، وكان السلطان صالح بن غالب القعيطي يحب منصب المشهد السيد أحمد بن حسين بن عمر العطاس وقد أخذه السلطان في رحلته إلى مصر ووصف بن عبيدالله المنصب[١] فقال: سخي الكف سليم الصدر، خفيف الروح، قليل الغضب، لا يشينه

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مطبعة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٢١٢.

عبوس ولا يبطره غنى. ثم قال بن عبيدالله: ولقد أخبرني المنصب أن السلطان صالح أراده على حلق لحيته أيام كان معه بمصر لأن أهل مصر لا يحبون اللحا وبذل له مائة جنيه مصري فامتنع إلا أنه ندم بعد ذلك خصوصاً بعدما أخبرته بأن الذي اتفق عليه الرافعي والنووي كراهة حلق اللحيه لا الحرمة (انتهى).

وتحدث بن عبيدالله عن السلطان عوض بن عمر القعيطى فقال: ومن محاسنه محبته لرعاياه وشفقته بهم وتحننه عليهم وقربه منهم واحتماله الجفوة لهم حتى لقد دعا الحالكة ذات مرة ليتطارحوا الأشعار على عادتهم فيما يسمونه الشبواني، فما تورع أحدهم أن قال يعنيه «بحري ولكنه طغى وتكبر» فلم يعنفه السلطان ولكنه قال لو قلت هندي لكان أوضح (انتهى)[1].

قال بن عبيدالله وبلغ من جرأة آل شبام عليه أنهم أرخوا سنة ١٣٢٢هـ بموت عوض وانتهى إليه الخبر فلم يزد على قوله أن روحي وروحهم بيد الله ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾[2]. قال بن عبيدالله ومن ذلك أن أهل المكلا لتفانيهم في حب النقيب الكسادي حاكم المكلا السابق زادوا في راتب الحداد عند قراءته كل ليلة قولهم: «يا قريب يا مجيب! زوّل القعيطي ورُدّ النقيب»، فلم يأنف من ذلك[3].

قال بن عبيدالله: والسلطان عوض هو الذي أراح أهل المكلا من الشدة التي يقاسونها من قلة الماء العذب فأجراه لهم من بلدة البقرين على بعد أكثر من ميلين من المكلا في أنابيب الحديد إلى باطن المكلا فكان فضله عليهم في ذلك كفضل زبيدة ابنة المنصور على أهل مكة[4]. قال بن عبيدالله: وكان السلطان عوض على جانب عظيم من التمسك بالدين

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني/ ٢، صفحة ١٠٨.
(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني/ ٢، صفحة ١٠٨.
(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني/ ٢، صفحة ١٠٨.
(٤) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني/ ٢، صفحة ١٠٩.

واحترام شعائره ومحبة العلماء وتقديمهم وإكرامهم وكان شديد الخوف من الله إلا أنه لا يشتد على أهل الفواحش ولا يقيم حد الله على أحد منهم[(١)]. وقد ذكرنا أخبار حجه مع الحبيب حسين بن حامد المحضار سنة ١٣١٧هـ وما ظهر فيها من ورعه وتقواه في فصل آخر من هذا الكتاب.

وبلغ السلطان عوض من الشجاعة وقوة الشكيمه مبلغاً عظيماً، فقد ذكر السيد حامد بن أبي بكر المحضار أن صراع السلطان عوض لم يقتصر مع سلاطين وقبائل حضرموت بل نشب صراع مسلح بينه وبين ملك حيدر أباد الدكن قتل فيه المئات من الناس ووجهت فيه المدافع إلى قصر السلطان وهدده بالإبادة، وكادت أن تنشب حرب أهليه فتدخل الإنجليز وسوى الخلاف بين ملك حيدر أباد والسلطان عوض ونفَوا السلطان عوض نفياً صورياً لمدة عامين[(٢)].

قال بن عبيدالله: وقد تولى وزارة السلطان عوض بن عمر ووزارة ولديه غالب وعمر صاحب الشهامة السيد حسين بن حامد المحضار، وكان موضع ثقة السلطان عوض لإخلاصه في تدبير أموره ومغامراته في حروبه مع أهل حجه وغيرهم[(٣)].

أما السلطان غالب فألقى للسيد حسين بن حامد بزمام الأمور وفوض إليه الرفع والخفض والإبرام والنقض لا رادَّ لأمره ولا معقب لحكمه، ولقد كان يمضى في الأوراق الفارغة ليكتب السيد حسين فيها ما شاء تحت إمضائه بلا شرط ولا قيد، بل كان يرد أمر السلطان غالب وينقض حكمه فلا يجد السلطان في نفسه عليه شيئاً وكان السيد حسين يضيق الأنفاس على السلطان في الإنفاق فلا يثرب ولا يتغير[(٤)].

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني / ٢، صفحة ١٠٩.

(٢) حامد بن أبي بكر المحضار، ترجمة الزعيم حسين بن حامد المحضار، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، صفحة ٣٣.

(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثاني / ٢، صفحة ١٢٦.

(٤) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني/ ٢، صفحة ١٢٦.

وذكر العم حامد المحضار علاقة الحبيب حسين بن حامد المحضار بسلاطين القعيطي وثقتهم في كفاءته وإخلاصه فقال: إن سلاطين القعيطي وأولهم مؤسس الدولة القعيطية البطل العظيم السلطان عوض بن عمر القعيطي والثاني نجله وخليفته الشجاع الكريم البر الرحيم السلطان غالب بن عوض والثالث السلطان الحازم المغوار عمر بن عوض والرابع السلطان العالم الطموح صالح بن غالب القعيطي أقاموه مقام أنفسهم مجتمعين، بحيث يعزل ويولي من يرى عزله أو توليته لمصلحة الدولة دونما رجوع إلى السلاطين بل لقد أعطوه توقيعاتهم بأيديهم على أوراق بيضاء ليكتب فوقها ما يشاء لنفسه إذا ما عزَّ عليه في أنفته أن يطلب منهم شيئا[١].

ثم قال العم حامد المحضار: ولكن حسين بن حامد المحضار لم يكتب حرفاً واحداً على أية ورقة من تلك الأوراق الموقعة بتوقيعات السلاطين القعيطيين الأمجاد، ومات رضي الله عنه وهي في صندوقه فمزقها بعد وفاته ابنه السيد أبو بكر بن حسين المحضار وأحرقها كي لا تكون فتنة لأحد [٢].

إلا أن بن عبيدالله قال: أما السلطان عوض بن عمر فقد ناقش السيد حسين بن حامد في أواخر أمره الحساب وأسمعه مرَّ الكلام وأذاقه حر العتاب، حتى احتاج للإنفاق من خالص ماله في مصالح الدولة[٣].

* * *

---

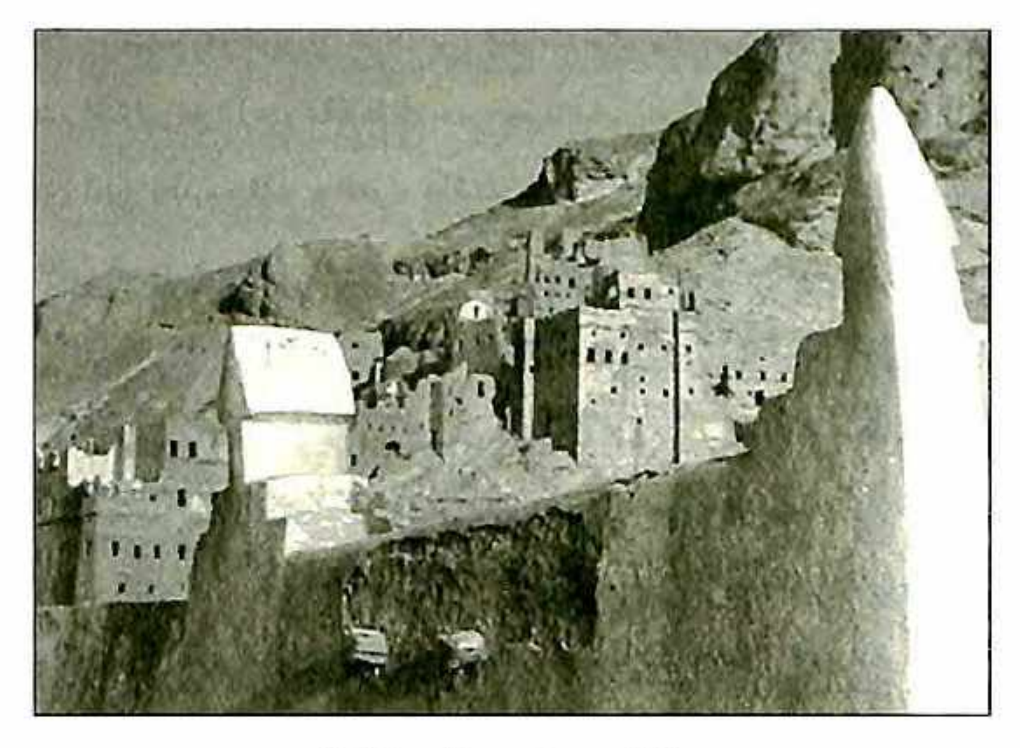
(١) حامد بن أبي بكر المحضار، ترجمة الزعيم حسين بن حامد المحضار، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، صفحة ١٣.

(٢) حامد بن أبي بكر المحضار، ترجمة الزعيم حسين بن حامد المحضار، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، صفحة ١٣.

(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني/ ٢، صفحة ١٢٦.

الفصل الرابع والثمانون

العلويون وبن عبدات في الغرفة



بقايا حصون بن عبدات بالغرفة

نبـذة تاريخيـة مختصرة

قال بن عبيدالله في المعجم[١]: وفي سنة ١٣٤٤هـ نشبت الحرب بين آل خالد بن عمر الذين يرأسهم صالح عبيد (الثري المقيم بجاوا) وينوبه بالغرفة أخوه عمر عبيد وبين آل بابكر الذين يرأسهم عوض بن عزان بن عبدات قال بن عبيدالله[٢]: وسبب الحرب أن محسن قاسم اشترى بيرا (مزرعة) فقال عمر عبيد نحن أولى بها وطلب من أخاه صالح أن يشتريها بأي ثمن يطلبوه فلم يوافقوا، واشتد بينهم الحرب، فلم يكن من آل بابكر إلا أن وضعوا بعض عسكرهم بالغرفة بإشارة عبيد صالح سالمين بن طالب، وكان تمويل الحرب على نفقة محسن بن قاسم الذي قال عنه بن عبيدالله: إنه لما وصل جاوه سنة ١٣٤٦هـ كانت إيراداته الشهرية لا تقل عن خمسة عشر ألف روبية هولندية، ثم ذهبت أدراج الرياح وصار أبناؤه تحت رحمة المحسنين.

قال بن عبيدالله [٣]ونصحت عبيد صالح بن سالمين أن يشير عليهم برفع العسكر فلم يفعل، ثم لم يكن من صالح عبيد بن خالد بن عمر إلا أن هجم على الغرفة وأخذ أكثرها عنوة، ولما وضعت الحرب أوزارها بين آل عبدات أنفسهم رسخت أقدام صالح عبيد بالغرفة اميراً على الغرفة بالنيابة عن أخيه.

ثم تحالف الكثيري مع القعيطي على حرب بن عبدات في الغرفة، ولكنهم لم يظفروا منه

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صفحة ٣٣٨.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صفحة ٣٢٢.

(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صفحة ٣٣٨.

بطائل، قال بن عبيد الله: وأريقت في تلك الفتنة دماء غزيرة من أبرياء أهل الغرفة يغضب لقتلهم جبار السماء، ثم تدخلت حكومة عدن لإيقاف الحرب، وكان الشيخ عمر عبيد من الموقعين على هدنة الثلاث سنوات، التي اقترحها الضابط الإنقليزي انجرامس في سنة ١٣٥٦هـ.

ولما مات الشيخ صالح عبيد بجاوا وصل ولده عبيد صالح من سنقفوره إلى المكلا ومنها إلى الغرفة، ثم بعد وصوله الغرفة بيوم واحد توفي عمه عمر عبيد سنة ١٣٥٣ فاستقل عبيد صالح بحكم الغرفة (انتهى بتلخيص).

ولم يكن بن عبدات مناوئاً للإنجليز فقد ذكر بأحمدان[١] أن بن عبدات لما عرف أن الإنجليز كانوا يحاولون توسعة النفوذ الفعلي لسلطان سيؤون ليشمل بلدة الغرفة حيث يقيم، سعى من جهته في سنة ١٣٦٠هـ ليبرم هو الآخر معاهدتي حماية واستشارة مع الإنجليز مؤكداً لهم أنه سيدفع مرتباً إضافيا لمستشاره البريطاني من جيبه الخاص، وأنه سيضع تحت تصرفه داراً مناسبة في الغرفة ليرفع عليها العلم البريطاني، وقدم إلى المستشار انجرامس وثيقه حررها له محام هندي في مدينة سنغفورة تقول إن ابن عبدات ثالث الراجات في حضرموت أي ثالث السلاطين، وقد رفض الإنجليز ذلك العرض لأنه يتعارض مع سياستهم الرامية إلى دعم السلطانين القعيطي والكثيري بدون ثالث لهما، مما جعله يستمر في مواقفه العدائية من الإنجليز (انتهى).

وقد عملت بريطانيا ممثلة بالمستشار انجرامس وبمساعدة من السيد أبي بكر بن شيخ الكاف الذي بذل من جهده وماله الكثير حتى استطاع إقناع القبائل التي تعيش في دائرة الحرب والاقتتال على التوقيع والقبول بهدنة الثلاث سنوات من سنة ١٣٥٥-١٣٥٦هـ وقد احتُفل بتوقيع الهدنة بسيؤن بحضور المستشار انجرامس[٢].

---

(١) محمد سالم بأحمدان، عهد السلطان صالح بن غالب القعيطي، ٤١.

(٢) جفر بن محمد السقاف وعلي أنيس بن يحيى، الزعيم أبو بكر بن شيخ الكاف، تريم للدراسات والنشر، صفحة ٦٧.

قال بن عبيدالله[1]: ثم ما كادت تنهي هدنة الثلاث سنوات حتى ظهرت منشورات توزع بين الناس بهدنة لمدة عشر سنوات أخرى لوجه السلطانين القعيطي والكثيري، ولولا أن الهيبة الإنجليزية من ورائها لما بالت بها القبائل كما هي عادتهم، ومع ذلك فقد اشمأز منها بعض القبائل وعقدت طائفة منهم صلحاً بينهم لمدة خمس سنوات فاستشعر الضابط الإنجليزي انجرامس أن في ذلك تمرداً ومعاكسة عن قبول الهدنة التي اقترحها، وكان الشيخ عبيد صالح بن عبدات ممن امتنع عن قبول تلك الهدنة، وحدث أن عبيده ضربوا أحد عبيد ابن عمه حسن بن عوض بن عبدات حتى أدموه فأتى بجرحه يسيل إلى سيؤون فطلب السلطان الكثيري من الشيخ عبيد أن يرسل بضاربيه للمحاكة بسيؤن فأبى أن تكون المحاكمة إلا عنده بالغرفة واتهموه فوق ذلك بمساعدة الحموم ضد الدولة القعيطية وما زال الشر يستشرى بينهم حتى عزم عبيد صالح بن عبدات على ترميم كوت (قلعه صغيرة) لأصحابه بضاحية سيؤن الغربية فمنعه السلطان، فلم يمتنع، ثم حدث قتال بين الطرفين واستولى سلطان سيؤن على هذا الكوت.

ثم ألقت طائره إنجليزية كتاباً إلى الشيخ عبيد صالح بن عبدات تطلب منه فيه الحضور في موعد حددته إلى قصر السلطان بسيؤن للمحاكة إلا أن الشيخ عبيد لم يحضر في الموعد وسير كتباً للحكومة والأعيان بأنه مستعد لحكم الشريعة ضد أي تهمه يتهمه بها القعيطي أو الكثيري، على شرط أن لا تكون المحاكمة بواسطة الدولتين وفي مكان خارج سيطرة الحكومتين الكثيرية والقعيطية وبأثر ذلك طلب السلطان من الأعيان بسيؤن أن يكتبوا كتابا يتضمن تخطئة الشيخ عبيد وإلزامه التبعة إذا لم يحضر ليكون ذلك الكتاب حجة للمستشار انجرامس لضرب الغرفة بالطائرات.

قال بن عبيدالله: وقدمت من المكلا قوة قوامها اربعمئة جندي بمدافعها ورشاشاتها،

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ١٧٣ - ١٧٥.

وعسكرت بسيؤن ثم هاجمت الطائرات ضواحي الغرفة وتكرر هجوم الجيش القادم من المكلا على بن عبدات، غير أن هذا الجيش كان يتراجع في كل هجوم بدون نتيجة، وفي اليوم الثامن من بداية الحرب أسقطت الطائرات إنذاراً لأهل الغرفة تتوعدهم بقصف الغرفة وتطلب منهم مغادرتها، فلم يأذن بن عبدات لأهل الغرفة بالخروج لاستبعاده رمي هذه القريه الضعيفة بالطائرات وذهب نفر من أهل الغرفة إلى سيؤن يستعطفون الحكومة بما تشقق له الحجارة، فلم يجدوا قبولاً فعادوا للشيخ عبيد يطلبون الرخصة في الخروج، فامتنع حتى سمع ضجيج النساء وصراخ الأطفال فسمح لهم بمغادرة الغرفة، فخرجوا لا يلوون على شيء فكم من طفل ضاع وكم من حامل أجهضت في هذا الخروج.

واستمرت الطائرات تغدو وتروح على الغرفة وأرباضها عشرين يوماً فوق الأيام الثمانية الأولى وقد بلغت طلعاتها ذات يوم تسعاً في الصباح وتسعاً في المساء، ومن خوارق العادات أنه مع فحش الضرب لم تحصل أضرار تُذكر من تلك القذائف الهائلة.

قال بن عبيد الله: وبينما كان كثير من الناس حتى ممن ينتسبون إلى العلم يخرجون إلى تريس للتفرج على ذلك الأمر الفاحش، كنا بغاية الحسرة والتعب، ومتى سمعنا أزيز الطائرات غصصنا بالماء الزلال، ولا تسل عما لقيناه من التعب لذلك، غير أنه لا صفاء لنا حين نسمع دوي القنابل غير الصلاة والتسبيح والنشيج.

والمفهوم أن الحكومة الإنجليزية لم تكن جادة في رمي الغرفة مع اضطرارها إليه ولكنهم بالغوا في كتم الأخبار فلم يظهر منه شيء بالخارج.

قال بن عبيدالله: ثم لم يكن من الإنجليز بعد دخول الدولة الايطالية الحرب العظمى الدائرة رحاها في أوروبا في تلك الفترة إلا أن اجتمعوا بمندوب بن عبدات الشيخ محفوظ المصلي قاضي شبام السابق وأعلنوا نزول الشيخ عبيد صالح على حكم الدولة الإنجليزية وتعهده بمغادرة الغرفة خلال ستة أشهر والتزامه بدفع غرامة مالية، فلم يكذب الشيخ عبيد

هذا الاتفاق الذي ظهر صورياً بلا مفعول، حيث بقي الشيخ عبيد صالح في مكانه يأمر وينهى، بل إنه وأحدث جمركا على الطريق واستهان بالدولة الكثيرية، ولكنه أمضى على هدنة العشر سنوات بينما امتنع عن إمضائها خلفاؤه من الحموم وطفقوا يخيفون السابلة حوالي الشحر والمكلا ويأتون المنكر ويقطعون الطريق بين تريم وسيؤن (انتهى بتلخيص).

قال صلاح البكري[١]: وسار الوزير السيد حسين بن حامد المحضار إلى شبام في أواخر سنة ١٣٤٤هـ واستدعى رؤساء آل كثير وآل تميم، وطلب منهم مقاطعة الحموم، ومنعهم من الدخول في بلدانهم ليضيق عليهم الخناق فيخضعوا للحكومة القعيطية فعاهدوه على ذلك (انتهى).

قال بن عبيد الله: وبقي الشيخ عبيد متملكاً بالغرفة يأمر وينهى كما يريد، غير أنه بدأ في سنة ١٣٦١هـ يجور على رعاياه ويأخذ حبوب الفلاحين بثمن بخس ينسئهم به إلى أجل غير محدد ثمَّ يبيعهم بعضه لأكلهم بثمن أغلى مما أخذه منهم، فاشتد البلاء وضجت الأرض والسماء. قال بن عبيدالله: وقد تألمت من ذلك وأنشأت قصيدة فصلت فيها الأمور وأنشدتها لكثير من زواري ومنهم السلطان عبد الله بن محسن بن غالب لأن بينه قرابة مع بن عبدات[٢]، وقال بن عبيد اللاه: ولكن ذكر لي أحد أعدائه أنه رأى وصية بن عبدات بين أوراقه وفيها الأمر برد كل مظلمة على صاحبها.

قال بن عبيد الله: ثم إن عساكر بن عبدات اعترضوا سائحاً إنجليزياً ليأخذوا منه العشور ولما امتنع اطلقوا عليه الرصاص للتخويف فقط فأغضب ذلك الحكومة الإنجليزية فجهزت عليه جيشا عرمرما لم تعرف البلاد مثله يقوده الجنرال أحمد محضار العيدروس من جيش حيدر أباد فيه المدافع الضخمة والسيارات المصفحة ومع ذلك فقد استمات الشيخ عبيد صالح في الدفاع وأخذ يطلق الرصاص بدون جدوى لأنه لا يؤثر في تلك السيارات

(١) صلاح البكري، تاريخ حضرموت السياسي، الناشر دار آفاق العربية، الجزء الأول، صفحة ٥٣.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صفحة ٣٤١.

المصفحة، وابتعد عنه كل من كان معه ما عدا قاضيه الشيخ محفوظ المصلي اليافعي وحينئذ وافق على تسليم نفسه فأركبوه على السيارة العسكرية إلى مطار القطن، حيث أخذوه بالطائرة إلى عدن.

ثم إن هذا الجيش انتقل إلى مدينة القطن، واعتقل حليف بن عبدات الأمير علي بن صلاح القعيطي، وأخذوه معه إلى الشحر.

وفي ترجمة السيد أبي بكر بن شيخ الكاف[١] أن الكتيبة التي أرسلها الإنجليز لحرب بن عبدات كانت في طريق عودتها من معركة العلمين بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وأنها دخلت الغرفة سنة ١٣٦٤هـ، ويستنتج من ذلك مشاركة الكتيبة الهندية من جيش حيدر وقائدها الجنرال العيدروس في معارك العلمين إضافة لمساعدته الجيش الإنجليزي في معارك بورما عندما تقهقر الإنجليز أمام اليابان في تلك الحرب فطلب الإنجليز مساعدة جيش حيدر أباد، وذكر بن عبيدالله أن الجنرال العيدروس وفرقته أبدوا في معارك بورما ضروباً من الشجاعة الخارقه[٢].

وبعد هزيمة بن عبدات اعتبرت الحكومة الكثيرية أملاكه بالغرفة غنيمة حرب وأوكلت الدولة للسيد عبد الرحمن بن عمر السقاف مهمة حصر أملاك وأموال بن عبدات وتسليمها للدولة الكثيرية، وبعد إنتهاء الأزمة واستقرار الأمور عمل السيد أبو بكر بن شيخ الكاف على عودة كثير من أملاك بن عبدات المأخوذه كغنيمة حرب إلى أولاد بن عبدات الذين بقوا بحضرموت، كما حل كثير من المشاكل العالقه في الغرفة بين بن عبدات وبعض التجار المحليين[٣].

---

(١) جعفر بن محمد السقاف وعلي أنيس الكاف، الزعيم الحكيم أبو بكر بن شيخ الكاف، تريم للدراسات، صفحة ٧١ .

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صفحة ٤٢٠ .

(٣) جعفر بن محمد السقاف وعلي أنيس الكاف، الزعيم الحكيم أبو بكر بن شيخ الكاف، تريم للدراسات، صفحة ٧١ .

وتساءل بن عبيدالله عن نفقات هذا الجيش العرمرم ومن الذي تحملها فقال: أما نفقات ذلك الجيش فلا يزال أمرها مجهولاً وقد أخبرني من لا يتهم أن أحد رؤساء الإنجليز خطب بالمكلا مع سفره منها فقال في خطبته إنَّ البتّ في نفقات ذلك الجيش مؤجل إلى الفرصة المناسبة ولا شكَّ أنها ستكون باهظة جداً[١].

قال بن عبيدالله أما عبيد صالح فقد بقي بعدن مدة من الزمان موفور الكرامة، ثم أذن له الإنجليز في السفر إلى سنغافورة وبقي يتردد بينها وبين بتاوي (جاكرتا) معتمداً على أمواله[٢].

وهكذا نرى أن دخول إيطاليا الحرب العالمية وانشغال بريطانيا بذلك قد أنقذ بن عبدات في حربه الأولى مع الإنقليز، كما أن افتتاح طريق الكاف للسيارات بين ساحل حضرموت وداخلها سنة ١٣٥٦هـ كان وبالاً على بن عبدات، فقد سهل وصول السيارات المدرعة والدبابات إلى الغرفة، ولولا ذلك لم يستطع الإنجليز أن يصلوا إليه في قلب حضرموت ويهزموه، وهذا يبين الدور الإستراتيجي لطرق المواصلات، فقد فتح هذا الطريق قلب حضرموت للغزاة كما فتحت قناة السويس البحر الأحمر للخطر الأوروبي بعد أن كان بحيرة عربية مغلقة، كما أحكم خط حديد الحجاز قبضة العثمانيين على المدينة المنورة، فلم يستطع الشريف حسين أن يحتلها كما احتل الطائف.

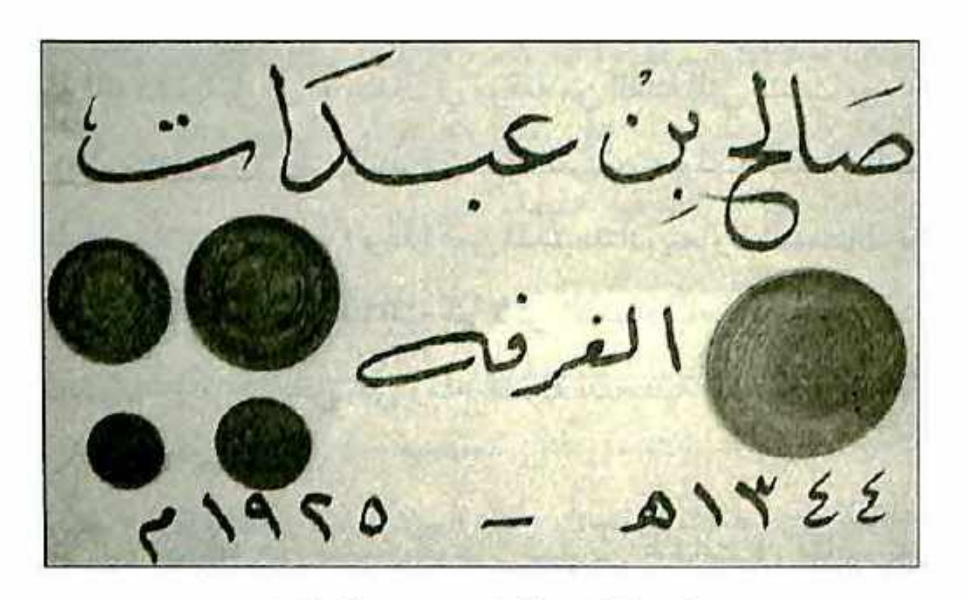
ولا اتفق فيما ذهب إليه الدكتور صالح علي باصره في دراساته في تاريخ حضرموت الحديث والمعاصر حين ذكر أن هدف النهضة التي قام بها بن عبدات في الغرفة كانت لأجل تأسيس دولة جديدة تقوم على حركة الإرشاد لأن الوقائع العملية تقف ضد هذا الاستنتاج.

---

(١) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صفحة ٣٤٢.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صفحة ٣٤٢.

فقد ذكر الدكتور باصره[١] أنه في سنة **١٣٤٣هـ** قام عمر بن عبيد بن عبدات الكثيري بالاستيلاء على مدينة الغرفة وما جاورها مع مشايخ آل باعباد السكان الأصليين للغرفة لتأسيس نواة دولة جديدة تقوم على حركة الإرشاد. وقال أيضاً: لقد تم التخطيط لمشروع تأسيس نواة الدولة الإرشادية وتمويله من قبل الأثرياء والإرشاديين في أندونيسيا، ومن هؤلاء الأخ الأكبر لعمر عبيد بن عبدات وهو صالح عبيد عبدات، وهذا الأخ كان هو القائد الفعلي للمشروع. وقال باصره: ونفذت أسرة آل عبدات في مدينتها الكثير من الأفكار الإرشادية مثل منع حمل السلاح داخل المدينه وتحرير العبيد وتأسيس مدرسة ابتدائية يدرس فيها المنهاج نفسه الذي يدرس في مدارس الإرشاد في جاوى وسكّ عملة باسم دولة آل عبدات (انتهى النقل).



العملة التى سكها بن عبدات في الغرفه

(١) الدكتور صالح علي عمر باصره، دراسات في تاريخ حضرموت الحديث والمعاصر، دار جامعة عدن للطباعه والنشر، صفحة ١٠٨.

أما ما يتعلق بمناهج الدراسة فقد ذكر الأستاذ البكري[١] وهو من زعماء الإرشاديين وقد عمل لسنوات طويلة مدرساً بمصر «إن جميع المدارس الحضرمية وخصوصاً المدارس التي في المهجر (إندونيسيا) بدأت تحذو حذو المدارس المصرية في بعض نظمها وكل الكتب المقرر تدريسها فيها كتب مصرية ومؤلفوها مصريون» ولعل هذه الشهاده تنفي وجود منهج دراسي خاص بالمدارس الإرشادية في جاوا فضلاً عن حضرموت.

وتسمى هذه المدرسة حالياً مدرسة طرموم الأهليه بالغرفة[٢]، وهي امتداد لمدرسة الدعوة الخيرية التي أسسها الشيخ القاضي عبد الرحمن عبد الله باعباد سنة ١٣٤٤هـ بتمويل من صالح عبيد بن عبدات في جاوا بواسطة أخيه بالغرفة عمر عبيد بن عبدات علماً بأن أربعة من أول هيئة تعليمية لهذه المدرسة كانوا من العلويين.

كما ذكر الأستاذ سعيد باوزير عن حليف بن عبدات السلطان على بن صلاح وقد عمل معه لفترة طويلة «انه كان يميل إلى الاعتدال في موقفه من الفتنة التي نشبت بين حضارم جاوا من العلويين والإرشاديين ولا يقر المتطرفين من الفريقين، وله مع كبار السادة العلويين ومناصبهم وعلمائه صلات حسنة[٣]» ولهذا فمن المستبعد أن يتعاون السلطان علي بن صلاح مع بن عبدات لو كان هدف بن عبدات كما ذكر الأستاذ باصره تأسيس دوله إرشاديه بحضرموت خصوصاً وأن القابض على زمام الدولة القعيطية المهيمنة على حضرموت هو السيد حسين بن حامد المحضار.

وقد أثنى بن عبيدالله على الشيخ عوض عبيد بن عبدات في مناصرته له في قضية حاصلها أنه لما كان بن عبيدالله يتأهب للسفر إلى اليمن إذا بعبد لأحد المثرين يسيء الأدب

---

(١) حضرموت فصول في التاريخ والثقافة والثروة، جمع د. محمد أبي بكر حميد، صفحة ٦١.

(٢) التعليم في وادي حضرموت النشأة والتطور ١٩٠٥-٢٠٠٥، إعداد لجنة توثيق تاريخ التعليم بالوادي، صفحة ٥٠.

(٣) سعيد عوض باوزير، سيرة ذاتيه وشهادات حياة جديدة، دار حضرموت للدراسات والنشر، صفحة ١٤١.

فأدبته تأديباً كبّره الأعداء لدى السلطان فاستدعاني السلطان للحضور عنده وما هي بعادة وإنما كان يأتي هو إلي عند الحاجة فأبيت ذلك ولأن القضية لم تكن من اختصاصه ولكنها خاصة بالقضاء الشرعي فعرضت عليهم الترافع إليه فأحجموا فتوجهت في سفري ولما انتهيت إلى حوطة آل حبشي أشاعوا انني أدبرت بالحق، وأعرضت عن الشريعة فعدت إلى ذي أصبح ثم إلى الغرفة وأقمت أياماً والشيخ عوض عبيد بن عبدات يكتب للدولة وللقضاة وغيرهم ويتحداهم بمقابلتي أمام القضاء فأفحموا وما أعانني على إظهار الحق أحد سواه ولن أنساها له (انتهى)[1].

وامتدح بن عبيدالله من آل عبدات الشيخ عبد الله بن عوض بن ناصر الذي توفي سنة ١٣٤٢هـ عن مائة سنة فقال[2]: إنه طلب التوقيع على الوثيقة التي تتضمن اعتراف الموقعين عليها بالتبعية للدولة العثمانية ولما قال له بن عبيدالله ألا تخاف أن يلومك على توقيعك بقية آل بن عبدات أو ينال أولادك بسنقفورا ضررٌ من الإنقليز بسبب التوقيع فقال: أو في دين الله وسلطان المسلمين الذي ندعو له على المنابر محاباة أو وليجة، والله لو أن الإنقليز تذبح أولادي أمامي ما امتنعت عن التوقيع عليها (انتهى).

ويفسر السيد حامد بن أبي بكر المحضار [3] سبب تحالف السلطان علي بن صلاح مع بن عبدات وسبب غضب الإنجليز عليه فيقول: أما الذنب الذي أدانت به بريطانيا علي بن صلاح فهو التآمر مع بن عبدات على قتل شخصية حضرمية كبيرة، وأنهما عثرا على وثيقه تثبت ذلك في حقيبة بن عبدات في عدن، وقال السيد حامد إن هذه التهمة باطلة لأن اغتيال الشخصية المذكورة عديم الأهمية.

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ١٦٢.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صفحة ٣٢٢.

(٣) حامد بن أبي بكر المحضار، ترجمة الزعيم حسين بن حامد المحضار، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، صفحة ٢٨٦-٢٨٨.

ثم أوضح السيد حامد المحضار السبب الحقيقي بقوله: السبب الذي دفع بريطانيا لحرب بن عبدات ونفي السلطان علي بن صلاح أن علي بن صلاح وابن عبدات ومن معهم من رجال الفكر في حضرموت وعدن وغيرهما عزموا على أن يثوروا على بريطانيا في أول فرصة فإذا نجحوا ألفو حكومة واحدة ويقال أنهما اتصلا ببعض الحكومات العربية ولاسيما المجاورة وكونا علاقات مع القبائل الرئيسية بحضرموت وكان الزعيمان علي بن صلاح وابن عبدات ينتظران هزيمة بريطانيا المتوقعة أمام ألمانيا لإعلان الثورة على بريطانيا (انتهى بتلخيص).

ويقول السيد حامد بن أبي بكر المحضار [١]وهو من ضحايا المستشار انجرامص والانقليز مثله مثل بن عبدات والأمير علي بن صلاح، وكان على رأس الوزارة القعيطية قبل أن يطلب انجرامص تنحيته من الوزارة، وكان على علم وثيق بمجريات الأمور بحضرموت في تلك الفترة.

وقال السيد حامد: ولما وقعت حركة بن عبدات ضد الإنجليز اتهموا على بن صلاح بأنه ضالع في الحركة مع بن عبدات فحاكموه وأصدروا الحكم باسم السلطان صالح بنفيه من بلدته القطن، وجاءوا به إلى الشحر وحددوا إقامته وأخرجوا أسرته من قصره ووضعوهم ببيت متواضع بالشحر، ثم مرض السلطان علي في الشحر فأرسلوه إلى عدن للعلاج فتضاعف مرضه فسمحوا بعودته إلى القطن ليموت بين أهله (انتهى).

ويذكر الأستاذ باوزير أسباب الاختلاف بين المستشار البريطاني والامير على بن صلاح فقال: «إن الإنجليز يريدون أن يجعلوا علي بن صلاح كما جعلوا غيره آلة صماء تؤمر فتطيع

---

(١) حامد بن أبي بكر المحضار، ترجمة الزعيم حسين بن حامد المحضار، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، صفحة ٢٨٦-٢٨٨.

دون أن تحاول حتى فهم المغزى الذي يكمن وراء هذه الأوامر ولم يستطع علي بن صلاح أن يكون هذه الآلة[١]».

ومن الأسباب أيضاً تكرر زيارة رجال القبائل الناقمين على الوضع للسلطان علي بن صلاح إلا أن أهم الأسباب هو اتصال السلطان علي بن صلاح بالأمير عبيد صالح بن عبدات أمير الغرفة [٢]. إلا أنه يفهم من كلام بن عبيدالله أن الأمير علي بن صلاح لم يكن جاداً في تأييد ابن عبدات إذ يقول عنه[٣]: واشترك بعدها مع الأمير عبيد صالح بن عبدات في حركاته ووجدوا عنده مكاتيب له منه تصرح بالتمرد على الحكومة القعيطيه والناس يعلمون ان ذلك لم يكن عن عقد ضمير ولا عن عزيمة صادقة ولكن ليقضي حاجة في نفسه من الأمير عبيد صالح فحوكم ونفي إلى المكلا، ثم شفع له المرض فسمحوا له بالرجوع إلى مسقط رأسه بالقطن لكن لا إلى حصنه الذي استولت عليه حكومته القعيطية بل إلى دار أخرى لأنهم صادروه (انتهى).

وكان الأستاذ سعيد باوزير قد رافق السلطان علي بن صلاح في منفاه وعايش معاناته فقال: «كنت أقيم معه في منزل بالشيخ عثمان مؤلف من طابقين في كل طابق غرفة واحدة واختار الطابق الأول ليكون قريباً من طبيبه وزواره، وخلف البيت منزل يتجمع فيه كل مساء السكارى والمعربدون فيحدث منهم الضجيج الصاخب إلى ساعة متاخرة من الليل».

واقتحمت المنزل في إحدى المرات امرأة سقط عليها من جانبنا رشاش ماء ودخلت غرفة السلطان علي فأخذت تسب وتشتم بألفاظ وقحة وصوت عالٍ مرتفع [٤].

---

(١) سعيد عوض باوزير، سيرة ذاتية وشهادات حياة جديدة، دار حضرموت للدراسات والنشر، صفحة ١٥١.

(٢) سعيد عوض باوزير، سيرة ذاتية وشهادات حياة جديدة، دار حضرموت للدراسات والنشر، صفحة ١٥٢.

(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صفحة ٢٤٧.

(٤) سعيد عوض باوزير، سيرة ذاتيه وشهادات حياة جديدة، دار حضرموت للدراسات والنشر، صفحة ١٣٤-١٣٥.

وكان الأمير علي بن صلاح مصاباً بالتدرن الرئوي (السل) ويحمل هموماً كثيرة بالإضافة إلى مرضه وقد فكر في السفر إلى لبنان أو أسمرا للراحة، ولكن فرضت عليه الإقامة الجبرية في عدن فأخذ يتعذب لأنه أبعد قسراً عن عائلته وأطفاله.

كما أن ابتعاده عن مزارعه وأطيانه ونخيله التي هي المصدر الوحيد لتغطية نفقاته الباهظة هدده بكارثة مالية وأخذ يتعذب لأنه بدأ فعلا يبيع ويرهن أعز ما يملك من عقار لتسديد الديون التي أخذت تتراكم عليه، وعندما أدركت السلطات أنَّ أيامه أصبحت معدودة وافقت على طلبه العودة إلى بلده ليموت بين أهله وأطفاله وذلك بعد توسلات ووساطات ومكاتبات يطول شرحها[١].

وبعد أن استعرض بن عبيدالله محنة السلطان علي بن صلاح دون معرفته بالطبع بما رواه الأستاذ سعيد باوزير قال[٢] وكل ذلك دون ما فعله بمربيه الشيخ عوض بن سعيد بافضل إذ إن الأمير علي بن صلاح توسط لصالح الثري علي بن محمد التوي في خطبة ابنة الشيخ بافضل فاعتذر بأنها مخطوبة للسيد علي بن حسن بلفقيه فاستعر الأمير علي بن صلاح غضباً وصادر أموال الشيخ عوض وأمر عبيده بقتله فكبر عليهم الأمر فأنذروا الشيخ فهرب إلى سيؤن وهرب كذلك ولده الشيخ سالم إلى عدن ولم يرجعوا إلى القطن أبداً (انتهى).

وعن تأثير نهاية حركة بن عبدات على قبائل حضرموت قال بن عبيدالله (فقد صار الشنافر بعد قضية بن عبدات أذل من أبناء السبيل حتى لقد منعوا من حمل السلاح ومن إطلاق البنادق في الأفراح[٣].

---

(١) سعيد عوض باوزير، سيرة ذاتيه وشهادات حياة جديدة، دار حضرموت للدراسات والنشر، صفحة ١٣٥-١٣٦.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صفحة ٢٤٧.

(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صفحة ٣٤٢.

الفصل الخامس والثمانون

العلويون والملك



السيد محمد بن أحمد السقاف بسنقفورا

(١٨٣١-١٩٠٦م)

لعل أول ما يلمس الدارس لتاريخ العلويين بحضرموت هو عزوفهم عن الملك والسلطنة رغم أن الناس اجتمعوا عليهم وأحبوهم، إلا أنهم لم يكونوا في يوم من الأيام من طلاب السلطة والجاه. ولقد كسر الفقيه المقدم سيفه واتجه إلى التصوف وقضى على أي رغبة لدى قومه في التطلع إلى الملك، إن كانت هناك رغبه بالأصل.

ومع أن كثيرًا من السلطات الروحية تحولت فيما بعد إلى ملك عضوض تتطلب سفك الدماء وإزهاق الأرواح كما تخبرنا بذلك كتب التاريخ، ولا نستثنى من ذلك حضرموت التي تحولت فيها سلطة الشيخ سعيد بن عيسى العمودي الروحية إلى سلطنة مع أن الشيخ سعيد العمودي نفسه لم يكن إلا صوفيًا صالحاً وهو زميل الفقيه المقدم جد العلويين، وقد سلكا معًا طريق التصوف في وقت واحد.

قال بن عبيدالله: وحال الشيخ سعيد بن عيسى العمودي أشهر من أن يعرف به، وقد توفي سنة ٦٧١هـ وخلفه على منصبه ولده محمد بن سعيد، ثم لم يزل منصبه يتوارث بين أولاده حتى تحول بسعة الجاه وكثرة الأتباع ونفوذ الدعوة إلى سلطنه[١].

قال بن عبيد الله وجرت حروب بين آل عمودي وبين آل فارس النهديين وبين العمودي وبين السلطان بدر بوطويرق. وقد تواصلت هذه الحروب. قال بن عبيدالله: وجرت بين آل العمودي وأعقاب بدر إلى أيام السلطان عمر بن جعفر الكثيري المتوفى أوائل القرن الثاني عشر أحوال كثيرة[٢].

وبالمثل وتحولت سلطة السيد الإدريسي الروحية بعسير إلى ملك دنيوي صحبه سفك دماء، بل إن كثيراً من الدول قامت على دعامة من النسب الهاشمي، مثل الدولة الزيدية باليمن، ودولة الأشراف بالحجاز والدولة السنوسية بليبيا، ثم مملكة الأردن ومملكة المغرب الحاليتين.

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلدان حضرموت، مكتبة الإرشاد بصنعاء، صفحة ١٦١ .

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلدان حضرموت، مكتبة الإرشاد بصنعاء، صفحة ١٨٨ .

ولكنا إذا نظرنا إلى العلويين بحضرموت ورأينا سعة نفوذهم الروحي عبر القرون نجد أنهم يختلفون عن غيرهم في كونهم لم يفكروا مطلقاً في تحويل نفوذهم الروحي إلى إمارة أو سلطنة، بل لقد بلغ العلويون في كراهيتهم السلطة كراهيتهم أن يظهر أحد من العلويين بمظهر الأبهة والجاه.

قال بن عبيدالله: وقد فصل الغزالي آفات الجاه ومضاره بما لم يترك مقالاً لقائل ولا مجالاً لجائل، وكانوا يقولون آخر ما يخرج من قلوب العارفين حب الرياسة، ولذا كان سادتنا العلويون مبتعدين جهدهم عن الظهور حتى لقد ذكر العلامة السيد أحمد بن حسن الحداد في الفوائد السنية، والعلامة الجليل السيد محمد بن حسين الحبشي في كتابه العقود اللولوية ما معناه أن العيدروس الأكبر هو أول من أدخل الخلل على طريق العلويين بمظهره وأنهم لاموه، وكان الشيخ العلامة الجليل نقيب العلويين أحمد باجحدب ينحى باللائمة على الشيخ أبي بكر بن سالم (انتهى)[١].

ومع أن العلويين كانوا على اتصال بالسلاطين والملوك يوجهونهم ويستشيرونهم إلا أن هدفهم كان الحرص على مصلحة البلاد والعباد لا طلباً لمصلحة خاصة، وأكبر دليل على رفض العلويين للسلطه أنه لما قرر السلطان عبد الله بن عمر بن بدر الكثيري التخلي عن الملك والسفر إلى مكة للتفرغ للعبادة أتى متنكراً إلى الشيخ الإمام الحسين بن أبي بكر بن سالم، وبكى السلطان أمام الشيخ الحسين، وقال له: قد جئت إليك فقيراً مختلعاً، وتركت الولاية بين يديك تمضي وتحكم في حضرموت بما أردت، فردّ الحسين: أما الولايه على الناس فلا نرضى بها ولا نوليها إلا صنوك بدرًا لأنه صاحب فضيلة وعدل[٢].

بل قد لا يوافق العلويون حتى على تولي جزء ولو بسيط من أجزاء الملك والسلطة، كما

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني/ ١، صفحة ٢٣-٢٤.

(٢) محمد بن هاشم تاريخ الدولة الكثيرية، تريم للدراسات والنشر، صفحة ٩٤.

تدل على ذلك قصة الثري السيد حسين بن عبد الرحمن بن سهل (توفي سنة ١٢٧٤هـ) مع عبد الله غرامة اليافعي حاكم وسط تريم في عهد الدويلات الطائفية بحضرموت، قال بن عبيدالله في بضائع التابوت[١]: إن السيد حسين بن عبدالرحمن بن سهل كان من أصدقاء عبد الله غرامة، وكان غرامة يحتفي بالسيد حسين ويفديه بروحه ولا يخرج عن إشارته، وبلغ به الحال أن تنازل له عن المالية والبلدية، ولكن الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر (١١٩١-١٢٧٢هـ) لام ابن سهل على ذلك وعاتبه بقصيدة يقول فيها:

يـا حـسين اعلـم أن الـشيطنة لهـا نـاس	قد لها ناس قـاموا في بناهـا عـلى سـاس
دأبهم في بحور الشر من كـاس لا كـاس	خلها فكهـا وانـذق بهـا فـوق انجـاش
مـا تـواتي ولا تـأتي لخـير بمقيـاس خـذ	نصيحة مجرب عسعس الوقت عسعاس

ثم ما كان من السيد حسين بن سهل إلا أن تنازل لغرامة عن المالية وعن ما دفعه من أجلها من مال. وفي تاريخ العلويين بظفار الذي أوردنا له فصلاً خاصاً به تولى اثنان من العلويين ولاية ظفار من قبل الحكومة العثمانية، ولا أظن ذلك إلا أمراً من الدولة العلية لم يكن بد من تنفيذه رغم أن طبيعة العلويين الملتزمة بحكم الشرع الشريف لا تتناسب مع مقتضيات الملك والسلطنة، ولهذا فإن حكم السيد فضل مولا خيله لظفار انتهى خلال فترة قصيرة عند تعرضه لأول امتحان تعارض فيها شرع القبولة مع حكم الشرع الشريف. وقد تطرقنا لذلك عند الحديث عن إقليم ظفار والعلويين.

قال بن عبيدالله في مخطوطة بضائع التابوت إن السيد فضل بن سهل مولا خيله زار حضرموت سنة ١٢٦٦هـ وذلك بعد انفصاله عن إمارة ظفار وذكر أن والده الحبيب عبيدالله بن محسن اجتمع مراراً خلال تلك الزيارة بالسيد فضل في بيتهم وفي حضرة الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي وقال بن عبيدالله إن الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي كان ينتقد

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني/ ١، صفحة ١٢٥.

على السيد فضل الإشارة في إمضائه لإمارة ظفار ولا سيما بعد انفصاله عنها لأن الرجل من تتزين به الوظائف لا من يتزين بها. وقد أعطاه الله من العلم والانتساب إلى فاطمة الزهراء ما يغنيه عن ذلك الظل الزائل والحال المائل. وقد توفي السيد فضل بالآستانة في سنة ١٣١٨هـ.

ولعل المرة الوحيدة التي سعى فيها العلويون إلى إقامة سلطة بحضرموت هي حين نصبوا السيد طاهر بن الحسين (١١٨٤-١٢٢٠هـ) أميرا للمؤمنين والتفّت حوله بعض القبائل بحضرموت وقد بحثنا ذلك في فصل آخر إلا أن هذا التنصيب لم يكن عن رغبة في ملك وإنما نتج عن الوضع المضطرب الخطير الذي وصلت إليه الأمور في حضرموت خلال حكم الطوائف القبلية واليافعية والذي امتد لفترة مائة وخمسين سنة، وقد تعرض أهل حضرموت خلال هذه الفترة لمصائب وويلات وظلم وقتل وإفساد. وبعد أن استنفد العلويون كلّ طريقة لإقامة والٍ عادل يقيم شرع الله ويحكّم سنة رسوله فقد اتصلوا بالدوله العلية واتصلوا بإمام اليمن وأرسلوا كتبهم إلى محمد علي باشا حاكم مصر واتصلوا بالسيد محمد بن عقيل والي ظفار يطللبون منهم إقامة والٍ عادل بحضرموت. ولكنهم لم يوفّقوا في أيّ من هذه التوجهات.

ثم لما فشلت جهود العلويين السابقة على استمرارها وتكرارها عندها اضطر العلويون لاتخاذ قرار يتعارض مع طريقتهم التي ورثوها عن جدهم الفقيه المقدم فاجتمع العلويون وبعض القبائل واتفقوا على تولية السيد طاهر بن الحسين خليفة يقيم العدل ويحكّم الشريعة، إلا أن هذا العابد المتبتل لم يستطع تحمل أعباء الحكم في أجواء قبليه متحاربة ومعتادة على القتل والسلب والنهب، لهذا ما لبث السيد طاهر بن الحسين أن تخلى عن مشروع الخلافة وعاد إلى كتبه ومصلاه.

كما ضعفت قدرات العلويين العسكرية ومهاراتهم القتالية بعد قرون من التصوف والعبادة والزهد قال بن عبيدالله: وفي سنة ١٢٢٩هـ أرسل الأمير عبد الله غرامة بثلة من جنده للتحرش بأهل المسيلة فلم يجسروا على مقابلتهم، وعند نصرافهم التقوا بجماعة من السادة

عسكر الحبيب طاهر بن الحسين، فانهزم السادة بمجرد ما سمعوا إطلاق البنادق انهزامًا فاحشًا مع أن عبيد غرامة لم يتعمدوا إصابتهم وإنما أرادوا كفّهم، فلم يقفوا عند حد الانهزام، حتى لقد سقط إزار أحدهم فتركه وهبّ يجري عرياناً[١]. (انتهى).

بل بلغ الأمر بالعلويين أن لا يتحملوا رؤية القتل وسفك الدماء. ذكر بن عبيدالله في بضائع التابوت أنه في سنة ١٣٥٣هـ قتل الشيخ عمر بن محمد الشبلي مؤسس المدرسة الخيرية بحبان. وقد قتله ابن أخيه في ثأر، وألقت الدولة القبض على القاتل وحكمت بإعدامه، وأجري قتله. وكان مقتل الشيخ عمر وإلى جانبه أحد طلبة العلم من تريم وهو ابن السيد أحمد بن حسين بن عبد الرحمن بن سهل، وكان قد سافر من حضرموت واجتاز حبان فأمسكوه عندهم للتعليم، ولما قتل الشيخ عمر وهو إلى جانبه انفطر قلبه، ولم تطل مدته بعدها بل مات قريباً بحبان. (انتهى)[٢].

أما تولي السيد حسين بن حامد المحضار أمور الدولة القعيطية فإنه كان خاضعًا في تصرفاته لأوامر السلطان منفذًا لأوامره، إلا أنه استغل ما وهبه الله من دهاء وحكمة وشجاعة في توطيد دعائم السلطنة القعيطية وترسيخ أركانها، فنعمت حضرموت في أغلب أجزائها بالأمن والأمان، وطبق الشرع الشريف فحفظت الأموال وسلمت الأرواح. ولقد تحدثنا عن السيد حسين بن حامد في فصل آخر من هذا الكتاب.

ولم يفكر السيد حسين بن حامد رغم شخصيته وهيبته وخضوع القبائل الحضرمية القوية لأوامره لم يفكر في يوم من الأيام أن يستقل بالسلطنة القعيطية رغم أنه خاض لأجلها الحروب وتعرض بسببها للمهالك، وكان من الأسباب المهمة لتوسعها وسيطرتها.

لقد فرضت ظروف الدولة القعيطية على السيد حسين بن حامد المحضار أن يكون المسؤول الأول عن الدولة القعيطية، حيث إن مركز الثقل الرئيسي لسلاطين القعيطي كان

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلدان حضرموت، مكتبة الإرشاد، صفحة ٥٤١.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني / ٢، صفحة ١٥٩.

بحيدر أباد الدكن وكانوا يمضون أغلب أوقاتهم بعيداً عن حضرموت، لذلك أنابوا السيد حسين بن حامد للقيام بأمور السلطنة أثناء غيابهم، فقام بها خير قيام.

ومما يبين بعد العلويين عن السلطة والسياسة أنه لما اجتمع الحبيب محمد بن هادي السقاف أثناء زيارته للقدس سنة ١٣٤٣هـ بالحاج أمين الحسيني مفتي القدس سأله الحاج أمين عن السياسة وأحوال العالم، فقال له الحبيب محمد بن هادي: ما عندنا تحقيق في ذلك، فقال له الحسيني: كيف والجرائد تخبر عن الأحوال، فقال الحبيب محمد ما لنا اطلاع على الجرائد لعدم وصولها إلينا، فقال لكنكم لا بد أنكم تسمعون الأخبار من الغير، فقال الحبيب محمد بن هادي: نحن نقول اللهم أصلح من في صلاحه صلاح المسلمين وأهلِك من في هلاكه صلاح المسلمين، ونسأله أن يعز الإسلام على يد من أراد من العباد المؤمنين (انتهى)[١].

ومن الأخبار التي تؤكد نفس المبدأ أن الحبيب علوي بن عبد الله السقاف (١٣١٥-١٣٩٢هـ) لما زار مصر سنة ١٩٦٨م اجتمع بأحد الصحفيين المصريين وقال عن هذه المقابلة «وقابلني الصحافي القدير كمال حسني فسألني عن مسائل سياسية ودينية فاعتذرت له عن الجواب في السياسة لأننا لا نزاولها ولا نتعرض لها»[٢]. إلا أن ذلك لم يمنع الحبيب علوي بن عبد الله من تولي القضاء بسيؤون لفترتين في أيام الدولة الكثيرية.

وبعد ما ذكرناه سابقا أتوقع أنه لن يوافق أي عاقل من أهل حضرموت على ما كتبه الأستاذ صلاح البكري في ما ذكره في كتابه تاريخ حضرموت السياسي عن العلويين، وقال عنهم: «ولم يقفوا عند ذلك الحد ولم يقنعوا بتضليل عقائد الشعب الحضرمي وتسميم أفكاره، لم يقنعوا بما نالوه من السلطة الروحية، بل طمحت نفوسهم واشرأبت أعناقهم إلى أكثر من ذلك، طمحوا إلى الملك فلعبوا في السياسة أدواراً هامة»[٣]. انتهى.

---

(١) عبد الله محمد الحبشي، الرحالة اليمنيون، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٢٨٢.

(٢) علوي بن عبدالله السقاف، السيرة الذاتية، صفحة ١٥٠.

(٣) صلاح البكري، تاريخ حضرموت السياسي، دار الآفاق العربية، صفحة ٧٧-٧٨.

وقال في مكان آخر من الكتاب نفسه: «ظهر جماعة من آل باعلوي أرادوا الملك فسعوا له سعياً حثيثاً، وكان في مقدمة هؤلاء عقيل بن عبد الله بن يحيى، ثم قال: «فكتب إلى أخيه عوض بن عبد الله بن يحيى ليجمع له مالاً يتوصل به إلى أغراضه ومطامحه، وكان عوض رجلاً متظاهرًا بالورع والصلاح حتى وثقت به الناس الثقة التامة فهب لجمع المال»[١].

أما تولى بعض العلويين الملك في مهاجرهم بالشرق الأقصى فلا يتعارض مع الكلام السابق لأن العلويين وجدوا في مهاجر غير إسلامية بالكامل، وقد يؤدي وجودهم في هذه المراكز إلى تقوية شأن المسلمين بها وتعزيز سيطرتهم عليها، كما أن هذه السلطة لم تكن سلطة قوة قائمة على سفك الدماء وإزهاق الأرواح، بل إنها في أكثرها سلطة روحية تستمد دعائمها مما وقر في نفوس الناس في تلك البلاد من حب واحترام للعلويين واتباع أوامرهم.

وقال الأستاذ الشاطري عن العلويين الذين تولوا الإماره والسلطنة بالشرق الأقصى وأفريقيا: فهؤلاء لا يصح أن نجعلهم حجة على طريق السلف العامة أو على السيرة العلوية ككل، على أن للظروف حكمَها واعتبارها في الأوضاع كلها ولعل المناخ الملائم لم يترك لهم عذراً في عدم النهوض بها[٢].

❊ ❊ ❊

---

(١) صلاح البكري، تاريخ حضرموت السياسي، دار الآفاق العربية، صفحة ١٤١.

(٢) الأستاذ محمد الشاطري، أدوار للتاريخ الحضرمي ا.

الفصل السادس والثمانون

هجرة العلويين القديمة للحجاز



جدة وسورها القديم

بقيت علاقة العلويين بالحرمين قوية رغم انزوائهم في هذا الركن القصي من جزيرة العرب إذ إنهم لم ينقطعوا إلى السفر لأداء فريضة الحج وزيارة خاتم الرسل ﷺ، رغم صعوبة الطريق وخطورة المسالك في تلك الأيام.

ووصف الرحالة ابن جبير جدة عندما حج سنة ٥٧٨هـ فقال: وأكثر سكان هذه البلدة مع ما يليها من الصحراء والجبال أشراف علويون حسنيون وحسينيون وجعفريون رضي الله عن سلفهم الكريم، وهم من شظف العيش بحال يتصدع له الجماد إشفاقاً، ويستخدمون أنفسهم في كل مهنة من المهن من إكراء الجمال إن كانت لهم أو مبيع لبن أو ماء، إلى غير ذلك من تمر يلتقطونه أو حطب يحتطبونه، وربما تناول ذلك نساؤهم الشريفات بأنفسهن، فسبحان المقدر لما يشاء ولا شكّ أنهم أهل بيت ارتضى الله لهم الآخرة ولم يرتض لهم الدنيا، جعلنا الله ممن يدين بحب أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً[١].

كما يستفيد العلويون والحضارمة على وجه العموم من رحلة الحج وزيارة الحرمين في الحصول على ما يحتاجونه من المصنوعات التي لا تتوفر في بلادهم ويأتي بها الحجاج، كما ورد ذلك في رحلة المغربي لحضرموت، حيث ذكر أن أهل حضرموت كانوا مكتفين في جميع شؤون حياتهم بما تنتجه بلادهم الفقيرة من أطعمة ومنسوجات إلا الأمواس وكحل العين فيأتي به الحجاج عند عودتهم من الحج.

كما يقصد العلويون الحرمين لطلب العلم رغم قلة العلماء بالحرمين في تلك الفترة، كما لاحظه الرحالة التونسي والمستشرق بوركهارت.

كما يهاجر كثير من العلويين والحضارمة إلى مدن الحجاز لطلب الرزق والاستيطان، وقد ذكر كتاب أعيان مكة طائفة من العلويين الذين سكنوا مكة منذ زمن قديم، كما سنورد ذلك في هذا الفصل.

---

(١) رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت، صفحة ٥٣.

كما تولى كثير من الحضارمة منصب الإفتاء بمكة، منهم مفتي الشافعية الشيخ محمد سعيد بابصيل، ثم جاء بعده السيد محمد بن حسين الحبشي.

وكان السادة العلويون محترمين بمدن الحجاز على اختلاف مراكزهم، يدل على ذلك أنه وقعت عزومة بمكه عند أحد الكبراء وقد دعي إليها الوجهاء والباشوات، ولما قدم مفتي الأحناف بمكة الشيخ عباس بن صديق وهو رجل محترم ومقرب عند الشريف وجد الكرويتات وهي أرائك يجلس عليها أهل مكة مزدحمة بالجالسين، فقام له الجميع ليجلس، ثم نظر فرأى جماعة من أهل بيت الرسول مفترشين الأرض، وكان على غاية المحبة لأهل البيت وتعظيمهم فما كان منه إلا أن افترش الأرض، وجلس إلى جوارهم فقالوا له: تفضل يا مولانا، فقال: لا أرتفع وأهل بيت الرسول يفترشون الأرض حتى يرتفعوا، فأفسح لهم المدعوون مكانهم على الأرائك المرتفعة رغم فقرهم ورثاثة ثيابهم[١].

بل كان للسادة العلويين بالحجاز وكثير من الولايات العثمانية وضع خاص أشبه كما ذكره العلامة بن عبيدالله بدولة داخل الدولة، فقد كانوا لا يتحاكمون إلا إلى منصب السادة، قال بن عبيدالله: ولكن العلويين لم يضنوا على بقية إخوانهم الحضارمة بهذه الامتيازات، بل أشركوهم فيها، وقد استمرت هذه الامتيازات من أول فرمان صدر بها سنة ١٢٣٧هـ أيام السلطان العثماني عبد المجيد حتى دخول الملك عبد العزيز إلى الحجاز والذي وافق على استمرار هذه الامتيازات.

إلا أنّ رياح الفتنة الإرشادية قد هبت من نواحي الجزر الإندونيسية ووصلت إلى الحجاز، ولم يعد الحضارمة يكنون للسادة العلويين الاحترام السابق، بل أخذوا ينافسونهم في تولي المشيخة، ما أدى إلى الفشل وضياع هذه الامتيازات.

---

(١) محمد بن سالم بن حفيظ، نفح الطيب العاطري من مناقب شيخ الإسلام الشاطري، دار العلوم والدعوة، صفحة ٢٠٦.

وكتب عبد القدوس الأنصاري في موسوعة تاريخ جدة[١] نقلاً عن مذكرات محمد صالح باعشن الخطيه. ما يلي: «ولجدة نظمها وتقاليدها الاجتماعية المتواضع عليها بين أبنائها خلال الزمن، ويبدو من مذكرات المرحوم محمد صالح بن علي باعشن أن كثيراً من تجارات جدة كانت بيد الحضارمة، وأنّ لهم تقاليدهم الموروثة في جدة وكان لهم شأن يذكر في مجتمع جدة باعتبار أنهم من رجالاته، وكانت الدولة العثمانية تعتبر لهم مكانتهم الاجتماعية.

وكانت لهم امتيازات عن السكان الآخرين في مكة والمدينة وملحقات الحجاز، فكانت جميع دعاواهم وتركاتهم وبيع دورهم ومشتراها عند شيخ السادة ولا يتعرضهم والٍ ولا قاض، وكان هذا الامتياز ماشيا بينهم ابتداءً من أول فرمان سلطاني عام ١٢٣٧هـ إلى مدة الملك حسين بن علي سنة ١٣٤٢هـ، ويضيف صاحب المذكرات إلى ذلك ما نصه: بعد زوال الملك حسين بدخول الملك عبد العزيز طلب الحضارمة تأييد امتيازهم فأعطاهم جلالته ما طلبوه. ولكنهم اختلفوا مع بعضهم في أمر المشيخة فكانت اجتماعاتهم في دارنا، وكثر بينهم القيل والقال ولم يتم بينهم أمر، وتركت الامتيازات من وقتها وتغير في الحضارمة كل شيء، فسبحان الذي يغير ولا يتغير». انتهى النقل.

ومما يدل على احترام الملك عبد العزيز آل سعود للعلويين أنه لما حج منصب الشيخ أبوبكر السيد علي بن أحمد بن سالم سنة ١٣٤٥ أكرم الملك عبد العزيز بن سعود وفادته وأعطاه خنجرًا ومائة جنيه ذهباً[٢].

وقد استوطن كثير من العلويين الحرمين ومنهم من كان يقيم إقامة مؤقتة لطلب العلم أو الرزق، ومنهم من أقام إقامة أبديه، وذكر السيد عمر بن علوي الكاف في كتابه خلاصة الخبر نخبة من العلويين الذين استوطنوا مكة المكرمة في القرنين العاشر والحادي عشر وسنقتطف من ما ذكره بعض الأسماء.

---

(١) عبد القدوس الأنصاري، موسوعة تاريخ جدة، صفحة ٢٣١.

(٢) عبد الرحمن بن عبيداللاه السقاف، معجم بلاد حضرموت، مطبعة الإرشاد، صفحة ٥٦٣.

ومنهم السيد علوي بن علي بن عقيل السقاف[١] المولود بتريم سنة ٩٥٨هـ الذي استوطن مكة وتزوج بها وولد له بها أولاد نجباء وأقبل عليه الخاص والعام، واختلفت إليه أكابر مكة وأعيانها، وكان مقبول الدعاء.

من ذلك أن وزير الشريف محسن بن حسين شريف مكة لذلك الزمن أخذ بعض حبوب الجراية التي ترد لمكة من مصر المحروسة فأرسل إليه السيد علوي يتشفع في ردّها، فلم يقبل شفاعته فأرسل إليه ثانياً يدعو عليه بقوله إن أخذت حبوب الفقراء تكون هذه السنة آخر سنة لك ولسيدك، فلم يأبه الوزير لقوله، ولكن ما إن حال الحول حتى استلب الله ملك الشريف وعذب ذلك الوزير بعذاب كبير.

ودعا أيضاً على الوجيه عبد الرحمن بن عتيق الحضرمي وزير الشريف الذي تعرض لبعض العلويين بالأذى فانهدمت دار ابن عتيق عليه وأشرف على الهلاك[٢].

ومنهم الإمام عبد الله ابن العلامة محمد بن عبد الرحمن بلفقيه صاحب الشبيكة، وقد ولد بتريم وتعلم وتزوج بها، ثم رحل بعائلته إلى مكة المشرفة واستوطنها، واشتهر عند الأنام الخاص منهم والعام، وتوفي سنة ٩٧٤هـ وشيع جنازته شريف مكة الشريف حسن بن أبي نمي، وصلى بالناس عليه إماماً شيخ الإسلام والمسلمين القاضي الحسين ودفن في تربته المشهوره بالشبيكة.

وممن استوطن مكة من العلويين أيضاً السيد عفيف الدين عبد الله بن الطيب بن عبد الرحمن بن محمد عيديد، وتوفي بها سنة ٩٥٥هـ ودفن بالمعلاة[٣].

---

(١) عمر بن علوي الكاف، خلاصة الخبر، دار المنهاج، صفحة ٢٤٢-٢٤٣.

(٢) عمر بن علوي الكاف، خلاصة الخبر، دار المنهاج، صفحة ٢٤٤.

(٣) عمر بن علوي الكاف، خلاصة الخبر، دار المنهاج، صفحة ٢٠٥.

وممّن جاور بمكة أيضاً السيد شيخ بن حسين بن شيخ مولى الدويلة كان محباً للفقراء والمساكين وملازماً للعبادات والطاعات، وتوفي بمكة سنة ٩٥٠هـ ودفن بالمعلاة[١].

ومنهم السيد الشريف شيخ بن عمر بن شيخ السقاف، أقام بمكة المكرمة وظهر صيته بالديار الحجازية وتوفي بمكة المكرمة سنة ١٠٠٢هـ[٢].

ومنهم السيد علي بن عبد الله بلفقيه[٣] (صاحب الشبيكه) الذي ولد بتريم وارتحل مع أبيه وهو صغير إلى مكة واستوطنها وتوفي بها سنة ١٠٢١هـ عن عمر يزيد على السبعين.

أما السيد محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بلفقيه الشهير في مكة بالعيدروس، فقد ولد بمكة ونشأ بها وصحب أكابر عصره وكانت الأكابر والأعيان تأتي إلى حضرته، وتستمد بركته، وتوفي بمكة المكرمة سنة ١٠٦٦هـ[٤] ودفن بالشبيكة.

أمّا السيد زين بن عبد الله جمل الليل[٥] فقد ولد بحضرموت، وارتحل إلى الهند ولازم السيد محمد بن عبد الله العيدروس، ثم بعد وفاة شيخه العيدروس اعتنى به أحد ملوك الهند إلا أنّه طلق الدنيا وارتحل للحرمين وأقام بالمدينة المنورة وكان لا يمسك شيئاً من المال فإذا دخل عليه شيء منه أنفقه، وكانت له صلات وهبات جزيلة لاسيما للفقراء والمساكين.

وكان بيته مقصوداً وسماطه ممدوداً لجميع الناس يحضره كل صباح ومساء خلائق من الرجال والنساء، ولا يرى منه ضجر ولا عبوس، ولو كان في غاية الإفلاس والبؤس، ويعمل الطعام الفاخر خصوصاً في رمضان وبلغ من تواضعه أنه كان يحمل أرغفة الخبز عند

---

(١) عمر بن علوي الكاف، خلاصة الخبر، دار المنهاج، صفحة ١٤٧.

(٢) عمر بن علوي الكاف، خلاصة الخبر، دار المنهاج، صفحة ١٥٩.

(٣) عمر بن علوي الكاف، خلاصة الخبر، دار المنهاج صفحة٢٥٩.

(٤) عمر بن علوي الكاف، خلاصة الخبر، دار المنهاج، صفحة ٦٨.

(٥) عمر بن علوي الكاف، خلاصة الخبر، دار المنهاج، صفحة ١٤٢.

الخروج من الدار يقسمها في طريقة على الفقراء والضعفاء والصغار، وقد توفي بالمدينة سنة ١٠٥٨هـ ودفن بالبقيع.

وممن استوطن مكة ودفن بها السيد محمد بن علوي صاحب (مكة)، ولد بالشحر سنة ١٠٠٢هـ، وتلقى تعليمه بها ثم رحل إلى تريم وأخذ عن جملة من السادة، ثم ارتحل إلى اليمن ولازم شيخه السيد عبد الله بن علي صاحب الوهط، ثم ارتحل إلى الحرمين وأقام بمكة المكرمة، وكان حافظاً لأوقاته مقبلاً على طاعة ربه وعبادته حريصاً على سلوك طريق أهل السنة والجماعة، وتوفي بمكة سنة ١٠٧١هـ[١].

أمّا السيد عبد الله بن محمد بن عبد الله باعلوي فقد ولد بمدينة قسم بحضرموت سنة ١٠١٥هـ ولما حج حجة الإسلام استقر بالمدينة حتى توفي بها سنة ١٠٨٥هـ.

وحدث أن سقط القنديل الذي فوق القبر الشريف على صاحبه أفضل الصلاة والتشريف على القبر الشريف، فأرسلوا إلى السلطان الأعظم بالآستانة فأمر أن يخرجه أفضل أهل المدينة فأجمعوا على أن أفضلهم السيد عبد الله بن محمد فأخبروه بأمر السلطان فامتثل ذلك ووضعوه على لوح ثم أنزلوه على القبر الشريف ووجد القنديل وحمله معه وأرسلوا بالقنديل إلى السلطان فوضعه في خزانته[٢].

وذكر صاحب تاريخ مكة أن من مدرّسي الحرم المكي السيد أبي بكر بن حسين العيدروس نزيل مكة والمولود بتريم سنة ٩٩٧هـ وحفظ القرآن الكريم، وكفّ بصره وهو صغير وبرع في الحديث والفقه، وتلقى العلوم عن علماء مكة وجلس للتدريس وانتفع به جماعة من العلماء، ولم يزل بمكة حتى توفي بها سنة ١٠٨٦ (١٦٥٧م) وعاصر عهد الشريف زيد بن محسن[٣].

---

(١) عمر بن علوي الكاف، خلاصة الخبر، دار المنهاج، صفحة ٥٩-٦٠.

(٢) عمر بن علوي الكاف، خلاصة الخبر، دار المنهاج، صفحة ٢٣٢.

(٣) مسعود محمد آل زيد، تاريخ مكة المكرمة، دار القاهرة للنشر، صفحة ٢٢٩

أما السيد جعفر بن محمد البيتي باعلوي السقاف فقد سمي بمتنبي عصره، وله الشعر الجزل الرقيق ولد السيد جعفر بمكة المكرمة سنة ١١١٠هـ وتلقى بها العلم عن والده واجتمع بالسيد عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس صاحب مصر وشبه شعره بشعر المتنبي.

وقد أفرد له المغربي أطول فصل في كتابه أعلام الحجاز[١] وأورد ترجمة المؤرخ المصري الجبرتي له الذي قال عنه وصار إمامًا في الأدب يُشار له بالبنان وكلامه العذب يتناقله الركبان.

وذكر الجبرتي أنّ السيد جعفر البيتي تولى كتابة ينبع، وقال المرادي عنه إنه تولى كتابة الشريف ووزارته، وسافر للديار الرومية واليمنية، ودخل مدينة صنعاء مرات وكان يتردد بين مكة والمدينة.

ومن شعره في وصف ينبع التي تعيّن والياً لها يقول:

نحن بالساحل من ينبـ	ـع في المحنة والكـد
قد ولينا مقعد الكذب	ولكـن أي مقعـد
خدمـة لو كـان فيها	الملك كنا فيه نزهـد
في بلاد ما ترى فيها	سوى الراحة تفقـد
وبها الجرذان والذبان	كالجنـد المجنـد
والندى والطل والأوسـ	ـاخ والطين الملبـد
كـل يـوم بظباها	يحجم الجسم ويفصد
ما تهنأ من أذاها	أحـد قـط بمرقـد
كل يوم ينقضي فيها	هـو السجن المؤبـد

(انتهى النقل عن المغربي باختصار).

---

(١) محمد علي مغربي، أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر، الجزء الثالث، صفحة ٢٠٧-٣٠٥

أما علاقة العلويين بأشراف مكة الذين يحكمون الحجاز، فكانت علاقة مضطربة، وقد ذكرنا بعض أخبار هذه العلاقة في الفصل التالي. وستعرف في الصفحات التالية على أسماء بعض العلويين من أسرة السقاف الذين استقروا بالحجاز وأصبحوا من أعلامه، كما جاء في كتاب في موسوعة أعلام المكيين لعبد الله عبد الرحمن المعلمي.

أبو بكر بن محمد بن أبي بكر بن عقيل السقاف (١٠١٨- ١٠٧٤)، ولد بالقارة، إحدى مدن حضرموت ونشأ بها، وحفظ القرآن الكريم، وصحب جماعة من العلماء، ثم قدم مكة المكرمة وطلب العلم فيها وتوفي بمكة المكرمة.

سالم بن عبد الله بن شيخ بن عمر بن عبد الله بن عبد الرحمن السقاف (١٠٣٨- ١١٢٣)، ولد بجدة ثم رحل به والده إلى المدينة المنورة ونشأ بها، وحفظ القرآن الكريم وغيره من المتون، ثم قدم به والده إلى مكة المكرمة وسكنها، وجدّ في طلب العلم فقرأ على الشيخ علي بن الجمال العلوم الشرعية، وعلى القاضي تاج الدين في العلوم الآلية، ولازم السيد محمد الشلي ملازمة تامة، وأخذ عنه. توفي رحمه الله بمكة المكرمة.

عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن محمد كريشة بن عبد الرحمن السقاف (١٠١٤ - ١٠٥٤)، ولد بمكة المكرمة ونشأ بها، وحفظ القرآن الكريم واشتغل مع خاله عمر بن عبد الرحيم البصري، وتأدب به وصحبه من صغره ولازمه في دروسه وأجازه بمروياته وأذن له في الإفتاء والتدريس، وسلك طريق أهل السنة والجماعة مواظباً على الخير مع أدب باهر. توفي رحمه الله بمكة المكرمة.

عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن محمد كريشة السقاف (١٠١٤-)، ولد بمكة المكرمة واعتنى به والده، فجد في طلب العلم على أيدي علماء مكة المكرمة في عصره وأدرك الشيخ عمر بن عبد الرحيم البصري، وصحب الشيخ محمد بن علوي وأبا بكر بن حسين العيدروس الضرير، وأخذ عنه العلوم الشرعية، وتوفي رحمه الله بمكة المكرمة.

عقيل بن عمر السقاف (١٢٤٧-)، المكي كان عالماً فاضلاً عاملاً بعلمه، أقر بفضله علماء عصره، منهم الشيخ عمر عبد رب الرسول والشيخ محمد صالح ريس والسيد أحمد إدريس، توفي رحمه الله بمكة المكرمة.

علوي بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد السقاف (١٢٥٥ -١٣٣٥)، الشافعي المكي شيخ السادة العلويين بمكة المكرمة، ولد بمكة المكرمة ونشأ بها، وتربى في حجر السيد الحبشي مفتي الشافعية بمكة المكرمة، وجدّ واجتهد بطلب العلم، وتصدّر للتدريس فدرس وأخذ عنه جماعة، وتولي منصب مشيخة السادة العلويين بمكة المكرمة، توفي رحمه الله بمكة المكرمة وله عدة مؤلفات.

علوي بن علي عقيل بن أحمد بن أبي بكر بن عبد الرحمن السقاف (٩٥٨- ١٠٤٨) نزيل مكة المكرمة، ولد بتريم ونشأ بها، ورحل إلى اليمن والحرمين الشريفين، وكان يتعاطي التجارة، ثم تركها وأقام بمكة المكرمة، وتزوج بها وأنجب. كان في عهد أمير مكة المكرمة الشريف محين بن حسين توفي رحمه الله بمكة المكرمة.

عمر بن أحمد بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر بن عقيل السقاف (١١٠٢ -١١٧١هـ) العلوي الشافعي المكي، عالم فاضل محدث سبط الشيخ عبد الله بن سالم البصري، توفي رحمه الله بمكة المكرمة.

محمد بن علوي بن محمد بن أبي بكر بن عبد الرحمن السقاف (١٠٠٢- ١٠٧١هـ) نزيل مكة المكرمة، ولد بالشحر وحفظ القرآن الكريم وأخذ عن علمائها، ثم رحل إلى تريم وأخذ عن علمائها، ورحل إلى الهند وأخذ عن السيد عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروس ومحمد بن عبد الله العيدروس، وحج سنة ١٠١٩هـ، وزار مسجد الرسول ﷺ وعاد إلى مكة المكرمة وتوطنها، وتوفي رحمه الله عليه بها.

عمر بن عبد الله السقاف (١٣٠٥-) العلوي الشافعي المكي الإمام بالمقام الشافعي

والمدرس بالمسجد الحرام، ولد بمكة المكرمة ونشأ بها، وتلقي العلم عن عدة مشايخ أفاضل، منهم السيد أحمد زيني دحلان، وعن الشيخ محمد مطهر وغيرهما، وتصدي للتدريس بالمسجد الحرام، فدرس وأفاد وتولى إمامة المقام الشافعي بالحرم المكي الشريف، توفي رحمه الله بمكة المكرمة.

محضار بن عبد الله بن محمد السقاف (١٣١١-) العلوي الشافعي المكي شيخ السادة العلويين بمكة المكرمة، فاضل أديب شاعر، ولي مشيخة السادة العلويين في ١٣٠١ في عهد أمير مكة المكرمة الشريف عون بن محمد، توفي رحمه الله بمكة المكرمة.

محمد بن عبد الله باعلوي السقاف (١٢٤٥-١٣٣٢هـ) المكي، ولد بمكة المكرمة، ونشأ بها، وقرأ القرآن الكريم وصار أديباً فاضلاً ناظماً وناثراً، تولى إمامة المقام الشافعي بالمسجد الحرام وإقامة الشريف حسين بن علي رئيسًا على حسب جراية أهالي مكة المكرمة ورئيساً ثانياً عليهم، توفي رحمه الله بمكة المكرمة.

هذا، ومع أن أغلب إقامة العلويين تركزت في المدينتين المقدستين مكة والمدينة، إلا أن بعض العلويين استوطن جيزان وبعضهم استوطن القنفذة، وقد وصف الرحالة اليمني إسماعيل بن حسين جغمان في رحلة حجه سنة ١٢٤١هـ مدينة القنفذة، فقال ضمن كلامه: وأكثر أهل البندر الحضارم ورتبته وواليه من الأتراك، ثم قال: وبالقنفذة مسجد عظيم ومنبر، وحاكمه السيد أحمد السقاف من الحضارم، ولعله قد سكن صنعاء وأخذ من طباع أهلها ولطافتهم[١]. (انتهى).

كما استوطن الطائف السيد حسين بن زين بن حسين البار، ذكره السيد أحمد بن سليمان البار في كتابه، فقال[٢]: إنه انتقل إلى الطائف من مكة سنة ١٢٣٠هـ بسبب علاقته

---

(١) عبد الله محمد الحبشي، الرحالة اليمنيون، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ١٦١.

(٢) أحمد بن سليمان البار، الغيث المدرار في نسب آل البار، دار الحارثي للطباعة والنشر بالطائف، صفحة ١٥٧-١٥٨.

القوية بالأشراف حكام الحجاز وله بالطائف ذرية كبيرة، ولا زالت أعقابهم باقية إلى اليوم، وقد تزوج الشريف فواز بن ناصر بن فواز ابنته، وله منها ذرية كبيرة

كما استوطن السيد أحمد بن عبد الله بن عمر البار (المشهور ببن عبود) مدينة رابغ، ذكره السيد أحمد بن سليمان البار في كتابه، فقال: [١] إنه ولد بحضرموت سنة ١٣٠٥هـ، ولما بلغ عمره ١٣ سنه سافر مع جده لأمه السيد مصطفى البار حيث عمل بالتجارة بين جدة ومكة وحضرموت مع مجموعة من أصدقاء والده، حتى تمرس بالتجارة، وقد أصابه مرض خطير اضطره للذهاب إلى الحبشة أولاً، ثم إلى الهند لطلب العلاج وتعرف بالهند على التجار وأصحاب الشركات الكبيرة، فتوسعت تجارته بجدة، وكانت بعض بضائعه تصل عن طريق ميناء رابغ فأعجب به أمير رابغ وطلب منه الانتقال إلى رابغ والسكن بها ففعل، ثم استقر نهائياً برابغ ونقل تجارته إليها، وكان بيته مفتوحاً يستقبل فيه الضيوف والوافدين، وعرف بكرمه وعطائه وأعماله الخيرية، وتوفي برابغ سنة ١٣٨٩هـ.



(١) أحمد بن سليمان البار، الغيث المدرار في نسب آل البار، دار الحارثي للطباعة والنشر بالطائف، صفحة ٢٣٥-٢٣٦.

الفصل السابع والثمانون

العلويون والأشراف حكام الحجاز[1]



قصر السقاف بمكة أيام حكم الأشراف وأمامه سياراتهم

(١) نبذة تاريخية من كتاب جزيرة العرب في القرن العشرين، تأليف حافظ وهبة، الناشر: دار الآفاق العربية، صفحة ١٤٨-١٥١.

كانت مكة حتى سنة ٣٥٨هـ إمارة تابعة لبغداد، شأنها في الإدارة شأن سائر الإمارات التابعة للخليفة، ولما استولى الفاطميون على مصر واقتطعوها مع بعض البلدان الأخرى من بلاد الخليفة العباسي استقل الأشراف الحسنيون بمكة وأولهم جعفر بن محمد بن الحسين بن محمد الثائر، وهؤلاء الأشراف أربع طبقات: الموسويون أو بنو موسى والسليمانيون، والهواشم. وهذه الطبقات الثلاث حكمت مكة من سنة ٣٥٨ إلى سنة ٥٩٨هـ أي ٢٤٠ سنة، والطبقة الرابعة قتادة وبنوه، وهؤلاء حكموا من سنة ٥٩٨ إلى سنة ١٣٤٤هـ، وهي السنة التي أجلي فيها الملك علي بن الحسين عن جدة.

قال حافظ وهبه: والواقف على تاريخ الأشراف في الحجاز يرى أنه تاريخ مملوء بالدماء والفظائع. فالشريف منهم في سبيل الإمارة لم يكن يتورع عن قتل أخيه وأبناء عمومته في سبيل الحكم.

لقد كان الأشراف في سبيل الإمارة يستعينون بكل من يمكن الاستعانة به من أمراء الحج المصري أو الشامي، كما أن النفوذ المصري في الحجاز كان يظهر تارة ويختفي أخرى، وكان تارة مباشراً وأخرى غير مباشر، إلى أن فتح الأتراك مصر سنة ٩٢٢هـ، فقدّم شريف مكة طاعته للسلطان سليم الذي بويع بالخلافة ولقب بخادم الحرمين الشريفين، وعاد نفوذ الأتراك والمصريين يظهر تارة ويختفي تارة أخرى، وكلما أنس الأشراف ضعفًا من الأتراك والمصريين وسّعوا نفوذهم إلى الجهات المجاورة، ولما ضعف الأتراك في القرنين الماضيين وساد الاضطراب مصر أصبح الأشراف ذوي الكلمة المسموعة في الحجاز والنفوذ الفعلي فيه، ولو أنهم ما زالوا يتظاهرون بأنهم خدام السلطان ويخطبون باسمه في المساجد. واستمر الأمر كذلك إلى القرن الثامن عشر حيث كان حق انتخاب شريف مكة محصوراً في بني بركات «نسبة إلى الشريف بركات بن السيد حسن الجعلان الذي خلف أباه سنة ٨٢٩هـ وهو من جهة أمه ينتسب إلى الهواشم الذين خلعوا من حكم مكة سنة ٥٩٨هـ».

وبعد حروب بين بني بركات ومنافسيهم من القبائل الأخرى غلب آل بركات على أمرهم وقسم ذوو زيد الإمارة بينهم، ولم يكن فيهم منصب شريف مكة وراثياً، ولكنه على كل حال بقي في هذه القبيلة حتى غلبت على أمرها، فكان بمجرد موت الشريف يعلو إلى المنصب أقوى العائلة سلطاناً وأكثرهم أنصاراً، وربما كان أقوى الأشراف في القرن الثامن عشر الشريف سرورًا (١١٨٦-١٢٠٣هـ)، فإنه أول من أذل الأشراف وكسر شوكتهم وسلطانهم وأسس حكماً عادلاً في مكة.

لقد كانت عادة الأشراف أن يكون في بيوتهم ٣٠-٤٠ عبداً مسلحاً عدا الخدم والأقارب، ومن يمتّ إليهم بصلة القرابة من البدو الذين يعيشون بتربية الغنم والإبل وعطايا الحجاج. وكان الأشراف قبل حكم الشريف سرور حكام مكة، قلّما يخضعون لأوامر شريف مكة، وكان همهم جمع المال بكل الوسائل الممكنة، فكانوا كثيرًا ما يغتالون الحجاج ويقطعون عليهم الطريق بين جدة ومكة أو مكة والمدينة، بل كثيراً ما كانوا يغتالون الحجاج في بيوتهم مما تأباه شيمة العربي الكريم.

فبعد جهاد طويل تمكن الشريف سرور من إخضاع الأشراف، فجعل سكان مكة يحبونه من كل قلوبهم وكان هو نفسه خير قدوة للطبقة الوسطى في بساطة حياته وتواضعه وكرمه لأهله وعشيرته، مع اشتهاره بالشجاعة النادرة والذكاء المتوقد.

ويلي سرورًا في الشهرة الشريف غالب، وإن كان دونه في حب العدل، وفي أيام غالب غزا السعوديون الحجاز كما حدثت في أيّامه أيضًا غزوة المصريين للحجاز ونجد. وقد قبض عليه محمد علي باشا ونفاه إلى سريلانكا حيث مات هناك.

وبعد استرداد مكة بأيدي القوات المصرية قوي النفوذ التركي المصري وأصبح الأشراف خاضعين تمام الخضوع لأوامر الباب العالي. وقد أراد المصريون أن يكون نفوذهم فعلياً، فعينوا الشريف محمد بن عون وجعلوا إلى جانبه محافظاً في مكة ومحافظاً في جدة، كما

أنهم وضعوا لأول مرة حامية أجنبية في مكة لتضمن لهم السيطرة والسلطان، وتحول دون انتفاض الأشراف عليهم.

ولما انسحبت الحاميات المصرية سنة ١٢٥٦هـ حسب الصلح الذي تم بين السطان عبد المجيد ومحمد علي باشا استبدل الولاة الأتراك بالولاة المصريين، كما استبدلت الحاميات التركية في مكة والمدينة والطائف وجدة بالحاميات المصرية، وأصبح الأشراف يعينون ويعزلون حسب أوامر الباب العالي المطلقة، غير أن هذا لم يمنع الأشراف من إرهاق الحجاج وظلم السكان.

كان الباب العالي يرسل رئيس القضاة إلى مكة كل مدة معينة لضمان العدل وحتى يكون القضاء مستقلاً عن الحكم فلا يكون للأشراف نفوذ أو تأثير في قضاء القاضي، ولكن هذا الغرض لم يحصل إلا نادراً، وكان أكثر القضاة آلة في يد شريف مكة، وفي الغالب لا يحكم في الدعوى قبل أن تقدم الهدايا للقاضي.

وكان سكان مكة معفون من الدوله العثمانية من جميع الضرائب الشخصية والعقارية، غير أن الأشراف كانوا يضعون ضرائب صغيرة على الأغنام والمواشي، كما كانوا يضعون ضرائب على الحجاج وقوافلهم.

وفي سنة ١٣٢٦ -١٩٠٨م رشح كامل باشا الصدر الأعظم الشريف حسين بن علي أميراً على مكة بعد وفاة ابن عمه الأمير عبد الإله الذي كان في طريقه إلى مكة، بعد أن اختير شريفاً لها خلفاً للأمير علي باشا الذي خلع من الإمارة وأبعد مع عائلته إلى مصر.

ولد الشريف حسين بن علي سنة ١٢٣٠هـ بالآستانة، وبقي فيها مدة مع والده، ثم ذهب إلى مكة بمعية والده الذي عين أميراً لمكة، وبقي بها إلى أن تولى إمارة مكة عمه الشريف عون الرفيق سنة ١٢٩٩هـ فطلب إبعاده عن مكة لأنه خطر على الأمن، فأبعد إلى الآستانة، وبقي بها حتى أسندت إليه إمارة مكة. وقد اختير الشريف حسين للعمل على نشر السلم في

بلاد العرب وتقوية نفوذ الأتراك فيها بعد أن كاد نفوذهم يتصدع. وقد عمل شريف مكة في هذا السبيل بكل ما أوتي من قوة لأنها تتفق مع الخطة التي كان يضمرها في نفسه من تقوية نفوذه وبسط يده على بلاد العرب، فسافر سنة ١٣٢٧هـ، على رأس الحملة التي أعدت لتأديب الإدريسي الذي شق عصا الطاعة على الأتراك، فدحر قوات الإدريسي، ودخل بها دخول الفاتح الظافر. وفي السنة نفسها سافر على رأس قوة وصلت للشعرا لإجبار حاكم نجد على الاعتراف بتبعية عتيبة للحجاز.

وإذا كان الأشراف قد سلكوا في الناس مسلك الكبر والجبروت والترفع عن الناس وعدم مخالطتهم فإن الشريف حسين قد امتازت أيام إمارته الأولى بالتواضع والعدل والغيرة على أهل مكة والدفاع عن مصالحهم، كما أنه اشتهر أيضًا بالشجاعة وعلو النفس ونقاء الذيل.

لقد وقف الشريف حسين في وجه جميع الإصلاحات التي كان الأتراك الاتحاديون يريدون القيام بها في الحجاز لأنه رأى من خلالها تقوية نفوذ الأتراك وشلّ يده عن العمل في الحجاز، فعرقل مدّ سكة حديد (جدة ـ مكة) كما عرقل مد طريق مكة إلى الطائف من جهة جبل كري.

وقال حافظ وهبة: ولقد سمعنا ونحن في الآستانه سنة ١٩١٢هـ ما يهجس به الأتراك نحو شريف مكة ومن سوء ظنهم به وبخديوي مصر السابق وعزمهم على التخلص منه، ولكن الشريف تمكن من التغلب عليهم ومن التخلص من مؤامراتهم، واستعد سراً للتخلص من سيادتهم ونفوذهم على الحجاز، فاختار الوقت المناسب له فأعلن الثورة عليهم وتغلب على حامياتهم الواحدة بعد الأخرى بمساعدة بعض القوات المصرية التي أوفدها الإنجليز لمساعدته حتى دانت له الحجاز كلها (انتهى النقل).



العلويون والأشراف

أما علاقة العلويين بأشراف مكه الذين يحكمون الحجاز فكانت علاقه مضطربة. فقد كانت جيدة في بعض الأحيان كما ذكر بن حميد في تاريخه[١] من أخبار سنة ١٢٦٦هـ أن الشريف عبد المطلب بن غالب كان شريفًا أديباً ذا أخلاق حسنة وسكينة ووقار، وكان كل ليلة يختلي بالسيد محمد بن محمد السقاف، وكان يشاوره فيا نعم المستشار (انتهى).

وعلى الجانب الآخر ذكر الشيخ محمد علي مغربي في الجزء الثالث من كتابه أعلام الحجاز صفحة (٣٥٣- ٣٥٤) تصرف شيخ السادة وبقية العلماء والأعيان بمكة عندما صدموا بالتصرفات الغريبة للشريف عون فقال: تولى الشريف عون الرفيق إمارة مكة المكرمة في التاسع من ذي الحجة عام ١٢٩٩ للهجرة وكان الشريف عون غريب الأطوار، وقد ضاق أهل مكة ذرعاً به وبتصرفاته الغريبة مما اضطر أصحاب الفتيا في مكة إلى تنظيم مضبطة إلى السلطان عبد الحميد يشكون فيها الشريف عون ويعددون المآخذ التي ياخذونها عليه. وقد وقعوا بتوقيعاتهم، وهم: الشيخ عبد الرحمن سراج مفتي الأحناف والشيخ محمد عابد بن حسين مفتي المالكية والسيد إبراهيم نائب الحرم مفتي الحنابلة والسيد عبد الله بن محمد الزواوي مفتي الشافعية والسيد علوي بن أحمد السقاف شيخ السادة بمكة إلا أن السلطان عبد الحميد أعادها إلى الشريف عون ليطلع عليها، وأمر السلطان عبد الحميد بتأليف لجنة للتحقيق في أمر هذه المضبطة برئاسة المشير أحمد راتب باشا والي الحجاز، فانتقم الشريف لنفسه من أصحابها وعاقب بعضهم بالسجن. وأصدر الشريف عون في سنة ١٣١٤هـ أمراً بنفي الأعيان السابقة أسماءهم (انتهى باختصار).

---

(١) سالم بن محمد بن حميد الكندي، تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة، مكتبة الإرشاد، صنعاء، المجلد الثاني، صفحة ٢٢٦.

وورد في كتاب مرآة الحرمين أن الشريف عون الرفيق فرش السيد عمر بن سالم العطاس المدرس بالحرم كما فرش السيد محضار السقاف العلوي المجذوب وفرش السيد بافقيه العلوي ثلاثمئة عصا لتزوجه بشريفة هو مثلها في الكفاءة وأكرهه على تطليقها[١].

ومن غرائب الشريف عون الرفيق كما ورد في مرآة الحرمين أنه منع اسم السيد للسادة العلويين خصوصاً ومنع كتابتها لهم في السجلات الرسمية وغير الرسمية، ومن التخاطب بها وتهديده من يسمى أو سمي بها[٢].

وذكر بن عبيدالله في الجزء الثالث من بضائع التابوت هذه الحادثة في سياق حديثه عن أمير الإحسان السيد محمد بن أحمد السقاف ما يلي: ومما يعرفك بشهامة السقاف ما حدثني به الثقات عن السيد علي بن علي الحبشي صاحب المدينة المتوفى سنة **١٣٥٣**هـ وهو ممن سجنهم الشريف عون، قال: جاء الأمر من الآستانة بالإفراج عنّا من سجن الطائف، ولما جئنا إلى مكة تحامانا الناس وتنكر لنا الإخوان والأصدقاء فضاقت بنا الأرض حتى كأنها ليست بالتي نعرف وما ذاك إلا لأن عدونا هو مليك مكة وأميرها، فبينا نحن على تلك الحال السيئة أرسلنا خادماً معنا للسيد محمد بن أحمد السقاف نستأذنه لأن نزوره للتهنئة بعيد الفطر، فقال أهلاً وسهلا وتلقانا إلى الدهليز بكل بشاشة وفرح ثم سار بنا إلى المنزل، فإذا فيه عدونا اللدود أحمد راتب باشا والي الحجاز، فلم يكن من السيد السقاف إلا أن أعرض عنه واستقبلنا بكل وجهه وحديثه، وأكثر من قوله لنا أهلاً بجيران رسول الله، فثابتْ إلينا أرواحنا، وعادت إلينا حياتنا إذ بالغ في إكرامنا أمام عدونا، وهو من هو إكراماً لرسول الله ﷺ (انتهى).

وفي رحلة الحبيب محمد بن هادي السقاف للحج سنة **١٣٤٧**هـ[٣] ذكر له السيد حسن بن محمد فدعق ما كان من المكانة والمنزله للشيخ محمد سعيد بابصيل عند الشريف

---

(١) اللواء إبراهيم رفعت باشا، مرآة الحرمين، دار المعرفة، بيروت، الجزء الثاني، صفحة **٢٧٧-٢٧٨**.

(٢) اللواء إبراهيم رفعت باشا، مرآة الحرمين، دار المعرفة، بيروت، الجزء الثاني، صفحة **٢٧٩**.

(٣) محمد شيخ المساوي، رحلة الحبيب محمد بن هادي للحج، مخطوطه، صفحة **٢٨٣** .

عون حتى أنّه جعله وزيراً للمعارف بمكة، فلا يطبع كتاب إلا بموافقته، فرغب مديرو الطباعة طباعة رسائل فيها شيء من البدع، فلم يأذن لهم الشيخ فطبعوها دون إذنه فاشتكاهم للشريف فوبخهم الشريف وأمر بإحراقها، فحقدوا على الشيخ محمد وبحثوا عن الكتب التي طبعوها بإذن الشيخ حتى عثروا على كتاب شرح العينية للحبيب أحمد بن زين الحبشي، فوجدوا فيه ذكر كرامات لسيدنا الفقيه المقدم فأحضروها للشريف واشتكوا له تعصبه للحضارم فغضب الشريف وأرسل للشيخ محمد ليعنفه، وقال له: ما كنت أدري أنك متعصب إلى هذا الحد، فأطرق الشيخ ساعه ثم تذكر أنه لم يوقع على ورقة الإذن، فقال للشريف: إن هذا الكتاب طبعوه دون إذني فمرهم يأتوا بالسند الذي أذنت لهم فيه فطلبه الشريف ففتشوا ولم يجدوه فلامهم الشريف وعظم قدر الشيخ عنده (انتهى).

وكان من العلويين من كانت له علاقه قوية بالأشراف، فقد ذكر السيد أحمد بن سليمان البار أن السيد حسين بن زين بن حسين البار كان على علاقة قوية بالشريف عبد المعين بن عون قبل أن يتولى ابنه محمد بن عبد المعين إمارة مكة، كما كان صديقاً حميماً للأشراف آل عون، وقد انتقل بصحبتهم من مكة إلى الطائف سنة ١٢٣٠هـ وأقام في قرية تسمى الصفاة، واشترى مزرعة، بل بلغت قوة العلاقه أنه زوج حفيدته للشريف فواز بن ناصر بن فواز بن عون (انتهى بتلخيص)[١].

ومن مشاهير العلويين الذين كانت لهم صلات قوية بالأشراف شيخ السادة العلويين بمكة العلامة السيد إسحاق بن عقيل بن عمر، ونقتطف من ترجمته في كتاب شرف المحيا[٢]: ولد في مكة المكرمة وتلقى العلم على جملة من علماء مكة، كما أخذ العلم عن والده وعن الشيخ عمر عبد رب الرسول العطار الحنفي المكي، ولم تذكر كتب التراجم تاريخ ولادته.

---

(١) أحمد بن سليمان البار، الغيث المدرار في نسب آل البار، دار الحارثي للطباعة والنشر بالطائف، صفحة ١٥٧-١٥٨.

(٢) محمد علوي بن يحيى، شرف المحيا في تراجم عدد من آل بن يحيى، تريم للدراسات والنشر، صفحة ٢٥١-٢٥٦.

وقد تبوأ الحبيب إسحاق مشيخة السادة العلويين في مكة بأمر من الشريف محمد بن عبد المعين بن عون الذي تولى إمارة مكة سنة **١٢٤٣**هـ من لدن محمد علي باشا قائد الحملة المصريه على الحجاز.

وكان السيد إسحاق رجلاً شجاعاً عالي الهمة، اعتمد عليه الشريف محمد بن عون فأرسله إلى صنعاء مع معاونيه توفيق باشا ومحمد بن يحيى الذي هو من أبناء أئمة صنعاء، وأرسل معهم عدداً من العساكر، وذلك أن الشريف محمد بن عون بعدما تمكن من انتزاع الحديدة والمخا وزبيد وبيت الفقيه من يد الشريف الحسين بن علي بن حيدر سنة **١٢٦٥**هـ بلا قتال مقابل مرتبات تصرف للشريف حسين فتشجع الشريف محمد بن عون على الزحف بجيشه إلى صنعاء للاستيلاء عليها، فنجح في مهمته ودخل صنعاء وولى عليها من قبله محمد بن يحيى إماماً، غير أنه لم تمر إلا أيام حتى ثار أهل صنعاء عليه وقتلوه وقتلوا توفيق باشا وبعض العسكر وأخرجوا الباقين منها، ولعل السيد إسحاق عاد مع الناجين إلى مكة ولكن بقيت الحديدة وباقي المناطق تحت سيطرة الشريف محمد بن عون.

هذا وللسيد إسحاق تاريخ حافل بالأحداث، فقد كان على رأس الحملة التركية البحرية إلى الشحر سنة **١٢٦٦**هـ والتي تحركت من جدة، وذكرنا أخبارها في فصل سابق من هذا الكتاب. إلا أن هذه الحملة البحرية واجهت الأعاصير البحرية قرب الشحر، ولم تتمكن من الرسو، ولقيت مقاومة، ففشلت في تحقيق مهمتها وغضب السلطان العثماني عبد المجيد من هذا الفشل فأقال السيد إسحاق من مشيخة الساده وعين بدلاً منه السيد علوي بن أحمد السقاف.

أما وفاة السيد إسحاق فكانت مأساوية، وقصتها أنه لما تولى الشريف عبد المطلب إمارة مكة في شهر رمضان سنة **١٢٦٧**هـ بأمر الدولة العلية لم ينل ذلك رضي السيد إسحاق، لأنه كان يفضل تولية الإمارة للشريف منصور بن يحيى. وقد حاول أن يحسن ذلك الرأي للوالي التركي (آقه باشا) فلم يلق رأيه قبولاً، كما أنه أوغر عليه صدر الشريف عبد المطلب. يضاف إلى

ذلك احترام الوالي العثماني للسيد إسحاق وإعلاء شأنه أكثر من الشريف، ولما رأى الشريف عبد المطلب قوة صلة الولاة العثمانيين ومحبتهم للسيد إسحاق لم يأمنه، وصار يظهر له الكراهية وإذا حضر عنده لم يلتفت له كل الالتفات، ثم عزله من مشيخة السادة وأقام في مشيخة السادة أخاه السيد عبد الله بن عقيل إلا أن حال السيد إسحاق لم يتغير مع ولاة الحجاز من الأتراك الذين زادوا في محبته وتكريمه لاسيما وقد كثرت توصيات السلطان به من الآستانة، فاستحكمت العداوة بين السيد إسحاق والشريف عبد المطلب وزاد الأمر بسعي الوشاة، ثم أرسل الشريف عبد المطلب لما كان بالطائف سنة ١٢٧١هـ عسكراً من عسكر بيشة للقبض على السيد إسحاق والإتيان به إلى الطائف، فجاءوا إليه خفية من طريق الحسينية، وكان السيد إسحاق بداره المعروفة بالهجالية فوجدوه في البستان المتصل بالدار وعنده نجار يصنع له ساقية فقبضوا عليه وسلكوا به طريق الحفائر إلى الطائف، فلما علم الوالي التركي كامل باشا قاد العساكر التركية ليدركه، ولكنهم كانوا قد وصلوا به إلى الطائف، وهناك أركبوه حماراً أسودَ قصيراً، فكان ذلك تعزيراً للسيد إسحاق الطويل القامة ذي الهيئة المهيبة، وطافوا به في شوارع الطائف يحيط به السوقة وعسكر بيشة والعبيد، ثم حبسوه في القلعة التي في المثناة المسماة (مشرفة) تجاه دار الشريف عبد المطلب الكبيرة التي بناها في العام الذي قبله، ثم بعد ليلتين أخرجوه منها ميتاً فمن قائل إنه مات خنقاً، وقائل إنهم عصروا خصيتيه حتى مات، والله أعلم بحقيقة الحال، وقد أعقب من الأبناء عقيلاً وإسماعيل.

ومع أن حياة السيد إسحاق بن يحيى كانت مليئة بالأحداث الجسام إلا أنه لم يبخل بوقته الثمين في خدمة العلم وأهله فقد أفرزت عصارة أفكاره العلمية عدداً من المؤلفات، أبرزها كتاباه: البراهين الحاسمة، وتعطير الكون في التعريف بذي عون.

هذا، ويلاحظ على العلويين المقيمين بسنغافورا أنهم برغم ما حققوه من ثروات ضخمة ومراكز مرموقة إلا أنهم يقومون عند بلوغهم لسن معينة بقطع روابطهم ببلاد الغربة والعودة إلى البلاد العربية، ويختارون مكة المكرمة للإقامة والاستيطان، وربما كان

السبب في اختيارهم مكة بدلاً من بلدهم حضرموت هو ما كانت تعيشه حضرموت خلال تلك الفترة من حكم الطوائف اليافعية من اختلال شديد في الأمن وتعرض الأغنياء للحبس والابتزاز من حكام الطوائف المسيطرين.

وينطبق ما ذكرناه سابقاً على السيد عبد الله بن عمر بن علي الجنيد الذي انتقل إلى مكة، وهو من أسرة الجنيد الغنية. وقد ولد بسنقفورا سنة **١٢٤٣هـ** وانتقل بعد وفاة والده إلى مكة، ولم تطل إقامته بها إذ توفي بها سنة **١٢٨١هـ** وعمره **٣٨** سنة ودفن بمكه[١].

وكذلك السيد علي بن عمر بن علي الجنيد المولود بسنقفورا سنة **١٢٤٥هـ** فقد انتقل إلى مكة المكرمة بعد وفاة والده وامتلك بها عقارا ولم يزل مقيماً بمكة حتى توفي بها سنة **١٢٩٥هـ**.

وكذلك الحال بالنسبة للسيد أبو بكر بن عمر بن علي الجنيد **(١٢٦١-١٣٠٩)** وهو من مواليد سنقفورا، وهو من مؤسسي شركة ميناء سنقفورا والمسلم الوحيد في تلك الشركة التي يتكون كلّ أفرادها من الغربيين. وقد انتقل للإقامة بمكة، وتوفي بها سنة **١٣٠٩هـ** وسنه **٤٨** سنة، وانقرض عقبه بعد وفاته[٢].

أما السيد عبد الرحمن بن علي بن عمر الجنيد المولود بسنقفورا سنة **١٢٧٤هـ** فقد أرسله والده لما شب وترعرع إلى مكة المكرمة لطلب العلم فأقام بمكة مدة لطلب العلم، ثم عاد إلى سنقفورا وزاول التجارة فكسب أموالاً طائلة علاوة عن ما ورثه عن أبيه. وفي سنة **١٣١٦هـ** انتقل بكل عائلته وخدمه إلى تريم بحضرموت[٣].

هذا، ونستعرض فيما يلي العلاقه بين آخر حكام مكة من الأشراف وهو الشريف حسين بن علي مع العلويين معتمدين على توفر لي من الكتب ونبدأها بنبذة تاريخية ذكرها

---

(١) عبد القادر بن عبد الرحمن الجنيد، العقود العسجديه، صفحة **١٨٣**.

(٢) عبد القادر بن عبد الرحمن الجنيد، العقود العسجديه، صفحة **١٨٤**.

(٣) عبد القادر بن عبد الرحمن الجنيد، العقود العسجديه، صفحة **١٨٥ -١٨٧**.

المغربي[١] في كتابه أعلام الحجاز فقال: إن الشريف الحسين بن علي حكم مكة من ١٣٢٦هـ إلى سنة ١٣٣٤هـ وكان طيلة إمارته يهيئ نفسه للانقضاض على الأتراك الاتحاديين، وكان لا يترك للوالي التركي فرصة للعمل، فقد كانت مجالسه تفيض بالنشاط. وكان دائم الاتصال بطبقات الشعب والأهالي، كما كان يستقبل وفود البلاد العربية القادمين إلى الحج، ويطيل في حديثه عما يتوجسه من الأتراك الاتحاديين.

وقد اغتنم الحسين فرصة اندلاع الحرب العالمية الأولى وانضمام الأتراك إلى الألمان في محاربة الإنجليز والفرنسيين فاتفق الحسين كما هو معلوم مع الإنجليز وقام بإعلان الثورة عليهم في مكة في ١٩ شعبان ١٣٣٤هـ.

وبأمر من الشريف الحسين قام الشيخ عبد الله سراج مفتي الأحناف في مكة بالخطابة في المسجد الحرام معلناً الثورة على الأتراك، في الوقت الذي أطلق فيه الشريف الحسين الرصاصة الأولى من منزله معلناً بدء الثورة.

وبدأت ثورة الشريف حسين باحتلال قلعة أجياد التي كانت بها مجموعة من الضباط والجنود والأتراك واشترك الشيخ عبد الله سراج في مهاجمة القلعة تشجيعاً للمهاجمين.

وكان قوام الجيش التركي في الطائف ثلاثة آلاف جندي وكان الشريف حسين يخشى أن يزحف هذا الجيش على مكة فآثر أن يبادئهم بالهجوم، فأرسل ابنه الشريف عبد الله بن الحسين لمهاجمة الطائف.

ويقول الأستاذ حسين سراج نقلاً عن والده: وكان الإنجليز قد ألحوا على الشريف الحسين بمهاجمة الطائف ورفضوا إمداده بالسلاح حتى يهاجم الطائف، وكان الشريف عبد الله بن الحسين يخشى نتائج الهجوم على الطائف نظراً لوجود القوة التركية، فأرسل الشريف الحسين الشيخ عبد الله سراج في أثره لعلاقاته القوية بقبائل الطائف. (انتهى النقل).

---

(١) محمد علي مغربي، أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر، صفحة ٣٨٥-٣٨٧.

وذكر اليزيدي أن الشريف الحسين بن علي أرسل بمندوبين للبلاد الإسلامية، ومنهم شيخ السادة بمكة السيد محمد بن علوي السقاف الذي أرسله مبعوثاً من قبله إلى كل العرب بالقطر اليماني من أجل الدعوة إلى الثورة العربية ضد العثمانيين[١]، وبمعيته نشرة وصفت القادة الأتراك في حكومة الاتحاديين بالفئة الباغية الذين ظهرت نواياهم ضد العرب والإسلام[٢]. هذا وقد ذكرنا في فصل آخر معلومات إضافيه عن هذه الأحداث التاريخية، غير أن ما يخصنا الآن في هذا الفصل هو علاقة الأشراف بالعلويين.

وقد ذكر الريحاني في زيارته للملك حسين بالحجاز سنة ١٩٢٢م أن الكاتب الأول في الديوان الهاشمي هو الشيخ أحمد السقاف وهو كاتب سر جلالته، وجاء يحمل حقيبة فأمره بفتحها، ففتحها وقدمها للملك فأخرج منها أوراقا رسمية أطلعني عليها. (انتهى)[٣].

كما كانت للشريف حسين بن علي علاقة طيبة مع عائلة السقاف الثرية بمكة، وذكرنا في ترجمة السيد إبراهيم بن عمر السقاف أنه كان من أصدقاء الشريف الذي عينه نائباً في مجلس الأعيان. وذكرنا في فصل آخر أن السيد محمد بن عقيل بن يحيى وهو من الأثرياء بسنقفورا انتقل في سنة ١٣٣٨هـ من سنقفورا بصحبة عائلته، وقرر الاستيطان بمكة المكرمة، وعندما كان بمكة عرض عليه الشريف الحسين بن علي منصب إدارة المعارف، لكنه اعتذر وأحال المنصب إلى أحد أصدقائه[٤].

إلا أن السيد محمد بن عقيل لم يطل الإقامة بمكة، وما لبث أن رحل عنها في سنة ١٣٤٠هـ مع جميع عائلته وحاشيته واتجه إلى المكلا وأقام بها[٥].

---

(١) ثابت صالح اليزيدي، الدولة الكثيرية الثانية، دار الثقافة العربية، صفحة ٢٤٨.

(٢) ثابت صالح اليزيدي، الدولة الكثيرية الثانية، دار الثقافة العربية، صفحة ٢٤٩

(٣) أمين الريحاني، ملوك العرب، دار الجيل، بيروت، صفحة ٥٥.

(٤) أبو عبد الرحمن صفحة العلوي، العتب الجميل للسيد محمد بن عقيل، تريم للدراسات والنشر، حاشية، صفحة ٣٠.

(٥) أبو عبد الرحمن صفحة العلوي، العتب الجميل للسيد محمد بن عقيل، تريم للدراسات والنشر، صفحة ٣٩.

ومما يدل على العلاقة الطيبة ما ذكره الحبيب شيخ بن محمد الحبشي (١٢٦٥-١٣٤٨هـ) الذي زار الآستانة سنة ١٣٢٨هـ فاستقبله بها الشريف ناصر بن علي شقيق الحسين بن علي، وذكر في رحلته أنه وصل على زورق إلى بيت الشريف ناصر بن علي، وهو بيت كبير مشرف على البحر وله نوافذ مطلة على بستان من جانبه الآخر، ثم قال: وطلعنا إلى البيت وهيأوا لنا مكاناً خاصاً للإقامة، ثم قمنا لأداء فريضة المغرب، وبعد أداء الصلاة وصل الشريف ناصر من مجلس الأعيان فسلم علينا وسلمنا عليه، وتعانقنا ثم جلس يستخبرنا عن حلّنا وترحالنا، وعن وقت خروجنا من مكة المكرمة، ثم سألنا عن أخيه مولانا الأمير الشريف الحسين وهو الأمير بمكة الآن فبلغناه سلامه وأخبرناه بما مررنا عليه من البلدان والقرى. والشريف ناصر رجل لطيف الأخلاق صاحب استقامة وعقيدة حسنة، وقد سألني عن الوالد حسين في مكة لأنه كان له اعتقاد قوي فيه، ويقول عنه إنه شيخي، وسألني أيضاً عن سيدي الوالد علي بن محمد الحبشي وعن سيدي الوالد أحمد بن حسن العطاس فأخبرته بذكرهم وثنائهم عليه (انتهى النقل من المخطوطه)[1].

ونختم هذا الفصل بذكر بعض أعيان العلويين الذين عاشوا في نهاية عهد الأشراف وبداية العهد السعودي الزاهر، ومنهم الحبيب عيدروس البار والسيد حسن فدعق.

العلامة السيد عيدروس بن سالم البار[2]

(١٢٩٨-١٣٦٧هـ)

ولد بمكة، وتلقى العلم عن والده وعن علماء مكة، مثل المشائخ محمد سعيد بابصيل وصالح بافضل وعمر باجنيد والسيد حسين بن محمد الحبشي والشيخين عبد الرحمن وأسعد الدهان.

---

(١) حسين بن شيخ بن محمد، ديوان ورحلات السيد شيخ بن محمد الحبشي (مخطوطه)، صفحة ١٠٥.

(٢) محمد عبداللاه المحضار، خواطر وأفكار الحبيب مصطفى المحضار، تريم للدراسات والنشر، صفحة ٣٤٩.

كان عالماً ورعاً زاهداً نشأ في بيئة علمية كريمة، وعمل أميناً لمكتبة الحرم الشريف في عهد الشريف حسن، وكانت تسمى (كتب خانه)، له مواقف جليلة في تبصير الناس بأمور دينهم ودنياهم، كما كان ناصحاً أميناً ومحباً لكل من يذهب إلى بيته من علية القوم والشباب، فيشيع في زواره التمسك بآداب القرآن الكريم والسنة النبوية والرجوع إلى الله سبحانه وتعالى، وله بمكة مجلس علمي وفقهي.

وقد ظلّ السيد عيدروس البار ملازماً لداره داعياً إلى الله متردداً بين مكة والمدينة والطائف إلى أن توفاه الله بمكة المكرمة بعد مرض ألزمه الفراش لفترة طويلة.

وذكر الجد العلامة علوي بن عبد الله السقاف زيارته للحبيب عيدروس إبان رحلة حجه سنة **١٣٦٦**هـ فقال: وفي اليوم الثالث من وصولنا إلى مكة زرنا الحبيب العارف بالله خزينة الأسرار ومعدن الحكمة والأنوار سيدنا الوالد العلامة عيدروس بن سالم البار ووجدناه متأثراً مُلقًى على الفراش لا يستطيع الجلوس بسبب إصابة لم يعرف الأطباء علاجها، ومع ذلك فالقراءة عنده في الحديث لا تزال متواصلة. ووجدنا تلميذه الخاص الشيخ عمر اليافعي يقرأ عليه في الحديث، ثم لما انتهت القراءه طلب مني أن يقبّل يدي فامتنعت هيبة وحياء، ثم قربت منه وأدخلت رأسي بإذنه في الناموسية التي عليه وتمكنت من تقبيل وجهه الشريف، عندها أخذ يدي يقبلها فاستحييت خجلاً، ثم رتب لنا الفاتحة[١].

ثم كانت للجد علوي زياره ثانية للحبيب عيدروس البار في مساء اليوم التاسع من وصوله مكة ويقول عن هذه الزيارة: «وفي مساء ذلك اليوم زرنا الحبيب الوالد عيدروس بن سالم البار فوجدناه لا يزال طريح الفراش، ملقًى على فراشه عليه ناموسية وتلميذه الشيخ عمر اليافعي يقرأ عليه في الحديث، ثم لما رآني أشار إلينا بالترحيب والتأهيل. وبعد القراءة طلبنا منه أن نقبّل يده فأبى، وطلب أن يقبل هو يدي، فأدرجت رأسي في داخل الناموسية

---

(١) علوي بن صفحة السقاف، السيرة الذاتية، صفحة **٩٧**.

وقبلت رأسه وجبهته، بينما هو أخذ يدي بشدة وقبلها بعد أن تمنعت، ولم أجد بداً، وكان حامل الدرس يتكلم عن بعض مشكلات الحديث بما لم نسمعه من غيره، مع ما يعانيه من المرض الذي أعيا أطباء الأجسام، وهو مرض باطني لا يعرفه مثل هؤلاء الأطباء».

ثم قال عن الحبيب عيدروس: «وكان من أكبر الشخصيات البارزة في مكة وأكبر معتقد لدى الكبير والصغير ولم نسمع من كلّ أهل البلاد إلا ثناءً عليه ودعاء له بالشفاء»[(١)]. (انتهى).

الحبيب حسن بن محمد فدعق[(٢)]

ولد بمكة في سنة ١٣٠٩هـ ونشأ بها نشأة صلاح وعلم وهداية متردداً على حلقات ومجالس العلم بالحرم الشريف. حفظ القرآن الكريم وعدداً من المتون وعلوم العربية، وكان من شيوخه العلامة محمد بن عبد الله بافيل، كما أخذ عن مفتي الشافعية بمكة الحبيب حسين بن محمد الحبشي، وعن الشيخ العلامة محمد سعيد بابصيل والشيخ العلامة عمر باجنيد، ثم بعد تخرجه تصدر للتدريس والنفع العام، وسافر إلى جاوة إبان عهد الأشراف، واجتمع بعدد من علماء أهل البيت هناك، وتولى الإمامة بمكة في محراب الشافعية زمناً طويلاً، ورحل إلى حضرموت عدة مرات، وأخذ عن جملة من شيوخها ورجالها، وتنقل في العديد من المدن. وقد عجز في آخر عمره عن الخروج إلى ما كان يعتاده من التدريس والصدارة، وتوالت عليه الأمراض فأقعدته في منزله، ومع ذلك استمر زواره ومحبوه يترددون على بيته حتى وافته المنية بمكة.

وقد ذكر الحبيب محمد بن هادي السقاف في رحلة حجه سنة ١٣٤٧هـ مساعدة

---

(١) علوي بن، صفحةالسقاف السيره الذاتيه، صفحة ٩٩

(٢) محمد بن عبد اللاه المحضار خواطر وافكار الحبيب مصطفى المحضار تريم للدراسات والنشر، صفحة ٣٦١.

السيد حسن فدعق لهم في أمور الحج فقال: إن السيد حسن فدعق كان يتولى ترتيب أمور الحجاج الحضارمة وإنه[1] «في صباح يوم الجمعة (الثامن من ذي الحجة **١٣٤٧هـ**) أخذنا نتجهز ونجمع ما نريده من الأمتعة، وقد قام السيد الهمام الفاضل حسن بن محمد فدعق بمهماتنا وقضاء حاجاتنا وبذل غاية الجهد والطاقة في استئجار الجمال والشقاذف واستئجار المنزل بمنى وإعداد الخيمة لعرفات، ورتب الأمور كلها على أحسن نظام وتكفل بشؤوننا بغاية الجد والاهتمام».



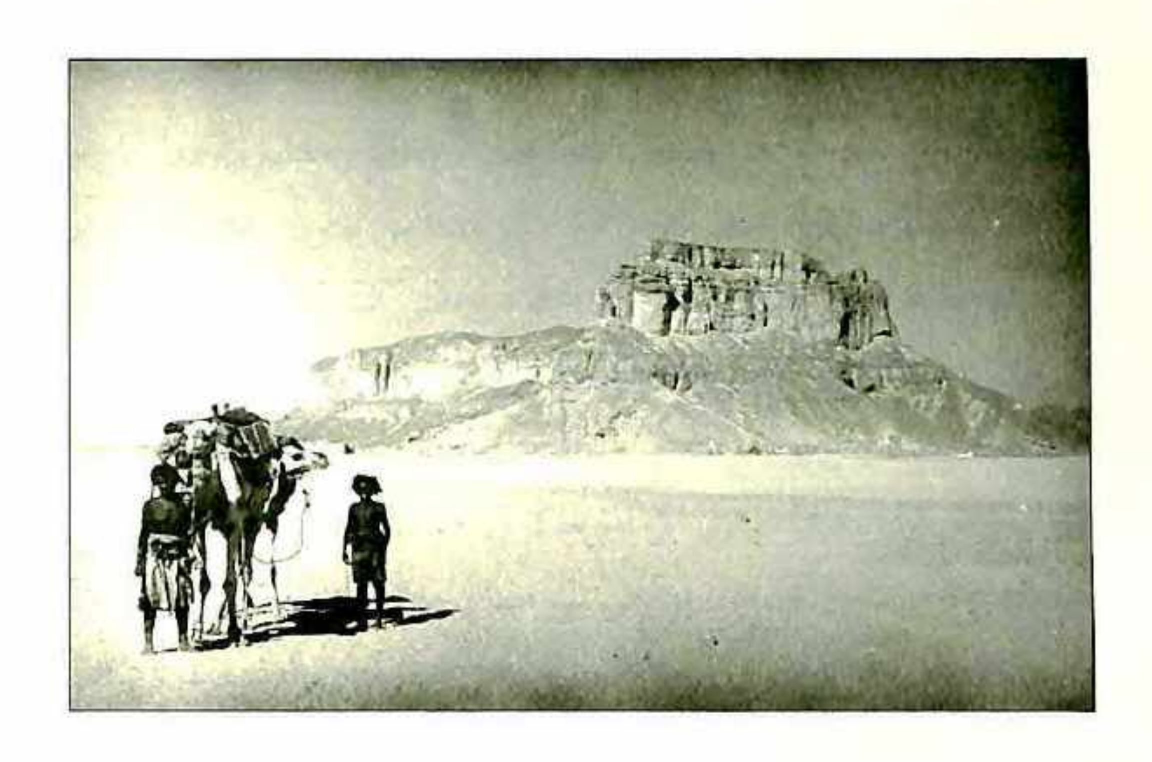


---

(١) رحلة الحبيب محمد بن هادي السقاف للحج المسماة بالمنحة الإلهية في الرحلة الحجازيه، مخطوطة، صفحة ٣٤٠.

الفصل الثامن والثمانون

رحلات طلب العلم القديمة إلى الحرمين



اتجه كثير من العلويين في الزمن القديم لطلب العلم على علماء الحرمين، واستمر ذلك إلى عصور متأخرة، وكانت هذه الهجرة العلمية في أغلبها جزءاً من رحلة الحج والزيارة التي قد يواكبها أيضاً الأخذ العلمي أثناء الطريق عن علماء صنعاء وزبيد أو عن علماء عدن، كما مرّ بعض كبار العلويين مثل الحبيب حسن بن صالح البحر في طريق حجهم على السيد محمد بن علي الإدريسي بجيزان.

ووصف كتاب تاريخ مكة المكرمة طرق التدريس بالحرم الشريف نقلاً عن كتاب المستشرق الهولندي سنوك خورنييه فقال: إن الأطفال يتعلمون القرآن الكريم بالحرم حيث يجتمعون لقراءته بحركة إيقاعية تجمع بين الصوت وحركة أجسامهم، كما يتلقى كبار السن بالحرم مختلف العلوم، وتتوزع حلقات الطلبة الذين يستمعون إلى المدرسين في أرجاء المسجد، وتكون هذه الحلقات في جميع أيام الأسبوع ما عدا الجمعة والثلاثاء.

ويستمر التدريس بالحرم المكي ساعتين بعد صلاة الفجر حتى تدخل أشعة الشمس من الناحية الشرقية للحرم، فينتقل المدرسون بطلابهم إلى داخل الأروقه ويستقبل المدرس بوجهه الكعبة المشرفة ويتحلق الطلبة حول مدرسهم، ويضعون أمامه حاملاً توضع عليه المحبرة وأقلام القصب وسكين خاصة ببري الأقلام وبعض الأوراق للكتابة عليها.

ويتراوح عدد الدراسين بالحلقة ما بين عشرة إلى ستين دارساً، كما تتراوح أعمار الدارسين ما بين ١٦ سنة إلى ٤٠ سنة يجلسون في حلقة تعليمية واحدة.

كما أن حضور هذه الحلقات مفتوح للجميع، ويمكن لأي شخص أن يحضر الدروس لمجرد الاستفادة من وقت فراغه. وفي هذه الحالة عليه أن يجلس في آخر الحلقة حتى ينصرف متى شاء، أما من يريد الدراسة المنتظمة فعليه أن يختار مكاناً قريباً حتى يلحظه المدرس ويناقشه في نهاية الحلقه، علماً بأنه لا يوجد تسجيل للدارسين في هذه الحلقات، وهي حلقات مخصصة لدراسة العلوم الشرعية، ويحق لأي دارس أن يحضر لأي مدرس يختاره،

أما عند دراسة الفقه فيدرس الطالب عند المدرس الذي ينتمي إلى مذهبه حيث يدرس الفقه بالحرم المكي على المذاهب الأربعة.

وتختلف أعداد المدرسين بالحرم المكي من فترة لأخرى، ولكنها لا تقل عن خمسين مدرساً، وبالاضافة إلى علماء مكة يوجد أيضا علماء من الهند ومن آسيا الروسية، ومن بلاد الجاوة ومن مختلف البلاد العثمانية.

ويعطي إجازة التدريس بالحرم المكي شيخ العلماء في الحرم، حيث يعقد اختباراً لمن له رغبة في التدريس بالحرم المكي، وفي هذا الاختبار يجلس شيخ العلماء أو نائبه، مع عدد من المدرسين في حلقه دائرية مع بعض الأصدقاء والمهتمين، كما أن لهذا الاختبار مراقبين يكون عددهم من أربعة إلى خمسة، وتختلف إجازة المدرس حسب موضوعها، ولا يتقاضى المدرسون أجراً في البداية، وبعد فترة ينال المدرس حصة من الأعطيات أو يصرف له راتب سنوي مقرر حسب قناعة شيخ العلماء به، كما يحصل بعضهم على بعض العائدات المالية من المؤسسات الإسلامية ومن تبرعات أثرياء الحجاج، بينما يقوم بعض المدرسين بعمله لوجه الله، ولا يتقاضون عليه أجراً

ومن المواد التي تدرس بالحرم القرآن الكريم مع العناية بحفظه عن ظهر قلب، وعلم التفسير ويقرأ فيه تفسير البيضاوي وتفسير الجلالين للسيوطي، ولا ينتظم الطلاب في دروس تفسير القرآن الكريم إلا بعد دراسة القرآن الكريم عدة مرات أو حفظه غيباً، كما أن لهم معرفة تامة بعلم التجويد والقرءات السبع.

ومما يدرس بالحرم المكي علم الفرائض والحساب والمناسخات وعلم الميقات، كما يدرس الحديث النبوي الشريف في كتب كبيرة الحجم مثل شرح القسطلاني في صحيح البخاري، وشرح النووي على صحيح مسلم، وقد يستغرق بعض المدرسين في تدريس شرح القسطلاني ثلاث سنوات، ويستبدل بعض المدرسين الكتب الكبيرة بكتب صغيرة الحجم تحتوي مختارت من الأحاديث النبوية ذات الصلة بحياة الناس، كما تدرس سنن أبى داود

وسنن الترمذي وسنن ابن ماجه. كما يدرس الصرف والنحو للطلاب المبتدئين، ويسبق ذلك تدريس كافة العلوم الدينية، وتدرس بعد صلاة العصر العلوم المساعدة مثل العروض والشعر والمنطق. ويدرس الفقه على المذاهب الأربعة، ويختار كل طالب دراسة المذهب الذي ينتمي إليه، أما دروس العقيدة والتوحيد فهي لجميع الدارسين ولا خلاف بينهم في ذلك.

وتنتظم الدراسة في الحرم المكي من بداية العام الهجري إلى منتصف شهر رجب، وبحلول هذا التاريخ يخصص العلماء ساعة لشرح قصة الإسراء والمعراج التي تقترب ذكراها في السابع والعشرين منه، أما في بداية شهر ربيع الأول فتُقرأ قصة المولد النبوي، وفي شعبان يشرع جميع المدرسين بقراءة موضوعات الصيام وإعداد التلاميذ لمتطلباته. وبعد عيد الفطر تكون الدروس مخصصة عن الحج ولقراءة باب الحج من كتب الفقه. أما عند ازدحام مكة بالحجاج فتتوقف الدروس بالحرم المكي حتى منتصف شهر محرم.

ويدرس الطلاب القادمون من مكة واليمن وحضرموت جنباً إلى جنب مع الطلاب القادمين من مختلف بلاد العالم الإسلامي (انتهى نقلاً عن كتاب تاريخ الحرم المكي)[١].

ووصف الرحالة التونسي محمد السنوسي في رحلة حجه سنة **١٢٩٩هـ** النشاط العلمي بالحرم المكي فقال: «ووجدت في الحرم المكي كثيراً من العلماء يقرئ الدروس من الفقه والتوحيد والنحو، ومن المبتدئين من يقرئ مناسك الحج. ووجدت مفتي مكة يومئذ وشيخ شيوخها العلامة المحصل الشيخ أحمد دحلان يقرئ تفسير البيضاوي بعد صلاة الصبح، ويحضر درسه كبار العلماء، بحيث إنهم بعد انفصالهم من درسه يتفرقون في جهات الحرم للتدريس بها فتتخرج من بحر درسه تلك الجداول التي تستمر بقية اليوم»[٢].

وقد تلقى العلم بالحرمين كثير من العلويين على علاّمة مكة المحب للعلويين السيد

---

(١) الشريف مسعود آل زيد، تاريخ مكة المكرمة، دار القاهرة، صفحة ٢١٩-٢٢٤.

(٢) محمد السنوسي، الرحلة الحجازية، تحقيق علي الشنوفي، الشركه التونسية للتوزيع، صفحة ١٧٧.

أحمد زيني دحلان المولود بمكة سنة ١٢٣٢هـ، وينتهي نسبه إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما، وقد أمضى اثنتين وسبعين سنة من عمره في العلم والتعليم، وانتشر تلاميذه في غالب بلاد الإسلام، وانتهت إليه مشيخة الإسلام بالبلد الحرام.

وله اتصال وثيق بشيوخ حضرموت القادمين للحج والزيارة أو المقيمين بالحرمين مثل الحبيب محمد بن حسين الحبشي والحبيب عمر بن عبد الله الجفري نزيل المدينة المنورة والحبيب أبي بكر بن عبد الله العطاس، وله تعلّق كبير بالسادة العلويين، ويقوم بنشر كتبهم وطريقتهم، وكان مواظباً على قراءة أورادهم. وكانت له معرفة تامة بفقه الإمام أبي حنيفة واطلاع كامل على المذاهب الأربعة، وله طريقة خاصه في التعليم والتفهيم. توفي بالمدينة المنورة ودفن بالبقيع سنة ١٣٠٤هـ[١].

وقد اعتنى السيد أحمد زيني دحلان عناية فائقة بتعليم الحبيب أحمد بن حسن العطاس الذي رحل إلى مكة عند بلوغه سن البلوغ في حدود سنة ١٢٧٤هـ لأداء فريضة الحج ولتعلم تجويد القرآن الكريم والقراءات، فتلقاه مفتي الحرمين السيد أحمد دحلان وأرسله إلى الشيخ المقرئ علي بن إبراهيم السمانودي الذي يحفظ الجزرية في التجويد والشاطبية في القرءات السبع والدرة في القراءات الثلاث، والطيبة في القراءات العشر، ومختصر أبي شجاع في الفقه، وكان يقرؤها كلها في الطواف ويكملها في نحو سبعة أسابيع[٢].

ولما حفظ الحبيب أحمد بن حسن العطاس القرآن الكريم بالقراءات السبع أقام له السيد أحمد زيني دحلان حفلاً عظيماً في الحرم المكي اجتمع فيه العلماء والرؤساء والقراء ونائب الحرم الشريف، وكان ذلك عقب صلاة الصبح بحصوة باب الصفاء وعطلت المدارس كلها في ذلك اليوم.

---

(١) أبو بكر المشهور، لوامع النور، دار المهاجر للنشر والتوزيع، صفحة ٢٧٤-٢٧٥.

(٢) علي بن أحمد العطاس، ترجمة الحبيب أحمد بن حسن العطاس ورحلاته، صفحة ١٠.

كما تولى السيد أحمد زيني دحلان تحفيظ الحبيب أحمد بن حسن ألفية ابن مالك في النحو ودروس التفسير والحديث والبلاغة والمنطق، وكان رفيقه وجليسه في السفر والحضر نحو خمس سنوات، وبلغ من تقدير السيد أحمد زيني دحلان للحبيب أحمد بن حسن العطاس أنه كان ينيبه ليصلي بالناس التراويح في الحرم إذا منعه عذر من الذهاب. وكان السيد أحمد زيني دحلان يخرج مع الحبيب أحمد بن حسن العطاس إلى البوادي القريبة من مكة للدعوة إلى الله ويأخذان معهما ما يلزم من الزاد وما تتآلف به العامة[١].

ومن علماء مكة الذين أخذ عنهم العلويون السيد عباس علوي المالكي المولود بمكة سنة ١٢٧٠هـ وكان يميل كثيراً إلى السادة العلويين ويجلهم، وله اتصال كامل بعدد منهم، مثل الحبيب أبي بكر بن عبد الله العطاس والحبيب أحمد بن حسن العطاس والحبيب محمد بن حسين الحبشي وولده الحبيب علي.

وقد أخذ العلم عن الشيوخ بمكة بصبر منقطع النظير وحفظ كثيراً من المتون. وإلى جانب تدريسه بالحرم المكي فقد تقلد عدداً من الوظائف الإدارية، وله مؤلفات في فنون متباينة كعلم البيان والفقه، وتخرج على يديه كثير من الطلاب أهمهم ولده العلامة السيد علوي عباس المالكي، وتوفي بمكة سنة ١٣٥٣هـ[٢].

ومن النوادر أن السيد اللطيف صاحب النوادر الكثيرة السيد عبد القادر بن محمد باعقيل السقاف المتوفى سنة ١٣٦٧هـ والذي أقام بمكة فترة طويلة كما ورد في مخطوطة رحلته من أنه أثناء إقامته بمكة جاء للحج علماء أزهريون من مصر، وطلبوا مقابلة عالم من علماء السادة العلويين بمكة فجاؤوا بهم إلى السيد عبد القادر السقاف فسألهم ماذا يريدون، فقالوا مسائل علمية نريد أن نسألك عنها. فوقع السيد السقاف في ورطة فهو ليس من أهل

---

(١) علي بن أحمد العطاس، ترجمة الحبيب أحمد بن حسن العطاس ورحلاته، صفحة ١١-١٢.

(٢) أبو بكر المشهور، لوامع النور، دار المهاجر للنشر والتوزيع، صفحة ٢٧٨-٢٧٩.

العلم، ولا يريد أن يفضح نفسه أمامهم، فقال لهم: أولاً تناولوا فطوركم عندي ثم نتكلم في هذه المسائل. وفي أثناء ذلك قام السقاف يدور في حوش المنزل وهو يقول: اللهم فالق الحب والنوى ومجري الرياح أرسل لي علوي المالكي في هذا الصباح. ويقول السيد علوي المالكي: خرجت من بيتي ونظرت لساعتي فوجدتها قبل موعد مدرسة الفلاح بنصف ساعة فخطر ببالي أن أزور الحبيب عبد القادر السقاف حيث لم أره منذ أسبوع. فلما دخلت عليه أمسك بيدي وقال: الله جابك يا علوي، وكررها مرتين، ثم قدّمني إلى أولئك المشايخ الأزهريين وقال لهم: هذا ولدي اسألوه وهو سيجيبكم، فقال السيد علوي مالكي فسألوني عدة أسئلة وألهمني الله الجواب الصحيح وبعد أن خرجوا قبض السقاف على يدي وهو يقول: فرجت علي الله يفرج عليك دنيا وآخره، وبارك الله فيك وفي أولادك ودعا لي بخير[١]. (انتهى).

هذا وقد ذكرنا في فصل آخر من هذا الكتاب أخذ العلويين عن علماء الحرمين من المشائخ الحضرميين مثل الشيخ محمد سعيد بابصيل والشيخ عمر باجنيد.

ولكي نتعرف على تفاصيل الأخذ العلمي للعلويين بالحرمين دعونا نقرأ الرحلة العلمية لأستاذ الجيل الحضرمي الحبيب عبد الله بن عمر الشاطري الذي رحل مع والده إلى الحرمين سنة ١٣١٠هـ لأداء النسكين وزيارة سيد الكونين وعمره إذ ذاك عشرون سنة، ثم أقام بمكة ثلاث سنوات (١٣١١-١٣١٣هـ) لأخذ العلم عن علمائها، وكانت إقامته في رباط الداؤدية، وقد بذل جهداً خارقاً في طلب العلم في هذه الفترة فكانت فترة نومه لا تزيد على ساعتين بين الليل والنهار، وكان يتلقى عن مشايخه في اليوم والليلة ثلاثة عشر درساً[٢].

ويصف الحبيب عبد الله بن عمر الشاطري طريقة التدريس فيقول: قرأت أثناء إقامتي بمكة على الشيخ عمر بن أبي بكر باجنيد في فترة بعد المغرب في كتاب الإقناع من البيوع إلى

---

(١) محمد زين عبد الله الجاوي، جواهر من تاج الأشراف في رحلة الحبيب السقاف، (مخطوطة)، صفحة ٧٢-٧٣.

(٢) محمد بن سالم بن حفيظ، نفح الطيب العاطري، دار العلم والدعوة، صفحة ٣٣.

آخره وقرأت عليه في فتح الوهاب بعد صلاة الصبح، وذلك بعد انتهائي من درس الشيخ محمد سعيد بابصيل في باب الوقف إلى آخره، وقرأنا في فترة بعد العصر ألفية ابن مالك في النحو على السيد أحمد زيني دحلان، وابتدأنا معه في المغني إلى حرف الباء، وبعد الظهر في شرح الجوهر في علم المعاني والبيان والبديع من آخر علم المعاني إلى آخر الكتاب.

وتتكرر هذه القراءة في سائر الأيام سوى الجمعة والثلوث وفي هذين اليومين قرأنا عليه بعد صلاة الحنفي متن السمرقندية، ثم قرأنا الشرح الذي عليها للسيد أحمد دحلان، ثم حاشية الصاوي على الدرديري في البيان ثم شرح الملوي في البيان، وقرأنا عليه في المنطق شرح الدمنهوري على السلم والأخضري على السلم كذلك، ثم حاشية البيجوري على السلم أيضًا، وشرح الملوي على السلم في المنطق.

وقرأنا كذلك عليه (يقصد على ما يبدو الشيخ عمر باجنيد) بعد العصر في التوحيد في حاشية الجوهرة للبيجوري وشرح الهدهدي على السنوسية. وفي المناسك الإيضاح للنووي. وبعد صلاة الصبح في رمضان قرأنا حاشية الهمزية وشرح البردة للبيجوري[1].

وبالإضافة إلى العلماء المذكورين سابقاً فقد أخذ الحبيب عبد الله الشاطري العلم عن علماء آخرين بمكة، مثل الحبيب حسين بن محمد الحبشي والفقيه السيد أبي بكر شطا والعلامة الشيخ أبو الهدى[2].

هذا، وما ذكرناه سابقاً ما هو إلا أمثلة للأخذ العلمي بالحرمين في ذلك الزمن القديم، ولقد سار على ذلك الطريق مئات العلويين خلال أكثر من ألف سنة.

* * *

---

(١) محمد بن سالم بن حفيظ، نفح الطيب العاطري، دار العلم والدعوة، صفحة ٣٣-٣٤.

(٢) محمد بن سالم بن حفيظ، نفح الطيب العاطري، دار العلم والدعوة، صفحة ٣٣.

الفصل التاسع والثمانون

رحلات العلويين العلمية لليمن



صنعاء في الزمن القديم

ذكرنا فيما سبق اعتناء العلويين بطلب العلم وسفرهم إلى البلاد المختلفة، وأقربها لهم اليمن حيث مراكز العلم المعروفة بزبيد وصنعاء. وسنذكر بعض هذه الرحلات العلمية بحسب ما توفر لي من أخبار موثقة في الكتب، إلا أنني لا أنوى أن أقدم بحثاً تاريخياً وإنما ما سأقدمه لا يتجاوز بعض الأمثلة التي تصور للقارئ صورة عن الحياة العلمية للعلويين في أدوار حياتهم المختلفة.

ولسفر العلويين لليمن أسباب أخرى غير الأخذ العلمي، فمنها الرغبة في الاتصال بالأولياء والصالحين باليمن، ومنها ما يكون للتجارة وطلب الرزق، ومنها ما يكون جزءاً من أعمال طريق الرحلة إلى الحرمين جيئة وذهاباً لأداء النسك وزيارة سيد الكونين عبر طريق الحج اليمني، مع التوقف في اليمن أو في عدن للأخذ العلمي، إلا أن بعض العلويين قد يستقر باليمن أو عدن استقراراً نهائياً، كما سنرى مما يأتي من أخبارهم.

وأول من قرأت عن هجرته العلمية إلى اليمن صاحب الحمراء، ذكره صاحب الغرر فقال[١]: هو عمر بن عبد الرحمن، ينتهي نسبه بعد أربعة آباء إلى الفقيه المقدم. وقد جاور بالحرمين سنين عديدة، وبعد ذلك عاد إلى اليمن فعول عليه العلماء وطلبوه إصلاح قوم من الظلمة، فتألفهم حتى حسنت عقائدهم واستكفى الناس شرهم، وأقام بتلك الجهة يقري الضيف ويكرم الوافدين والغرباء وينفق على الفقهاء والعلماء بعدن، وكانت شفاعته عند السلاطين والأمراء مقبولة، واستطاع بذلك أن يساعد الناس ويقضي حوائجهم، وتوفي بتعز سنة ٨٨٩هـ. (انتهى بتلخيص).

ونقل تاريخ الشعراء الحضرميين[٢] عن المشرع الروي مزيداً من المعلومات عن

---

(١) محمد بن علي خرد، الغرر صفحة ٣٤٨

(٢) عبد الله بن محمد السقاف، تاريخ الشعراء الحضرميين، مكتبة المعارف بالطائف، الجزء الاول، صفحة ٨٧-٨٨.

صاحب الحمراء فقال: إنه قصد الحرمين حاجاً وزائراً ومتلقياً، عن علمائها ثم توجه إلى مدينة عدن فأقام بها مدة يقرأ الصحيحين وغيرهما عن علمائها، ثم سافر منها إلى داخلية اليمن متنقلاً في مدنه وقراه، ولما دخل الحمراء وهي قرية في معشار الجند وجد من أهلها عطفاً شديداً وإلحاحاً صادقاً في الإقامة بين ظهرانيهم والاستيطان عندهم فاستجاب لرغبتهم فكان موضع التجلة والاحترام من عموم اليمنيين قاطبة، حتى كان السلطان عامر بن عبد الوهاب الطاهري لا يرد له شفاعة على كثرتها. وأصبحت الحمراء في وجوده ملاذ الخائفين ومهبط المستفيدين ومظهر العلم والشريعة. توفي بتعز سنة ٨٨٩هـ وأقام السلطان عامر بن عبد الوهاب على ضريحه قبة عظيمة (انتهى).

كما ذكر تاريخ الشعراء[١] أن السيد عمر بن عبد الرحمن البار المعروف بمولى جلاجل والمولود بتريم سنة ١١٢٠هـ كان كثير الأسفار من دوعن إلى اليمن والحجاز والبصرة ومسقط وغيرها طلباً للرزق والعلم. وقد أقام بصنعاء وزبيد متلقياً العلوم والفنون عن العلاّمة الشيخ أحمد بن محمد الصنعاني وعلى العلاّمه السيد أحمد بن علي بحر القديمي صاحب المراوعة اليمنية وكثير غيرهم. (انتهى) باختصار.

وممن أخذ العلم باليمن السيد العلاّمه عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه[٢] (١٠٨٩-١١٦٢هـ) وهو من تلاميذ القطب الحداد، وقد توجه للحج وزيارة سيد الكونين وجعل طريقه يمر على اليمن للأخذ عن علماء زبيد والتي كانت تزخر بالعلم والعلماء في ذلك الزمان، ومكث بها زمناً.

وذكر صاحب تاريخ الشعراء نقلاً عن عقد اليواقيت «احتفاء علماء وأعيان زبيد به واعترافهم بمكانته العلمية الشامخة حيث استمر أياماً يتكلم في شرح البسملة بمدهشات

---

(١) عبد الله بن محمد السقاف، تاريخ الشعراء الحضرميين، مكتبة المعارف بالطائف، الجزء الثالث، صفحة ٣٢.

(٢) أحمد بن زين بلفقيه، ترجمة في كتاب مطالع الأنوار، دار الأصول للنشر، صفحة ٧-١٦.

العلوم»[١]. كما حج ومكث بالحرمين وأخذ العلم عن علمائها، وذكر صاحب تاريخ الشعراء (أن السيد العلامة مشيخ بن جعفر باعبود تلقى عنه بالمدينة المنورة أصول الفقه)[٢].

ومن العلويين الذين توقفوا باليمن أثناء مرورهم بها في طريقه إلى الحج الحبيب أحمد بن عمر بن سميط الذي مر على بيت الفقيه بتهامة اليمن[٣]، كما دخل الحبيب عبد الرحمن بن علي السقاف (١٢٢٦-١٢٩٢) زبيد وأخذ عن علمائها[٤].

أما السيد أحمد بن علي الجنيد (المتوفى سنة ١٢٧٥هـ) فإنه برغم أنه من العلويين القلائل الذي يمكن اعتبارهم من الأغنياء إلا أنه كان أيضاً من العلماء المشهورين، وله ثلاثة مؤلفات علمية أحدها يعتبر من المراجع في التراجم رغم أنها ما زالت مخطوطة، ولم تكن أولى رحلات الجنيد إلى اليمن، بل إلى مسقط وعمان، وذلك سنة ١٢١٥هـ حيث اجتمع فيهما بالعلامة السيد علوي بن حسن مدهر باعلوي وأخذ عنه، كما رحل إلى اليمن لطلب العلم ثلاث رحلات طويلة، أولها كانت إلى زبيد حيث أخذ عن علمائها الكبار مثل السيد سليمان الأهدل وابنه عبد الرحمن، أما رحلته اليمنية الثانية فكانت إلى صنعاء، واستغرقت سنتين، وأخذ فيها العلم عن كبار العلماء بصنعاء أمثال العلامة القاضي محمد بن علي الشوكاني صاحب المصنفات العديدة ومثل السيد عبد الله بن محمد الأمير.

أما رحلته الثالثة إلى اليمن فكانت إلى صنعاء أيضاً وهي أطولها، حيث مكث بصنعاء

---

(١) عبد الله بن محمد بن حامد السقاف، تاريخ الشعراء الحضرميين، الناشر مكتبة المعارف بالطائف، الجزء الثاني، صفحة ٨٥.

(٢) ٢٢ عبد الله بن محمد بن حامد السقاف، تاريخ الشعراء الحضرميين، الناشر مكتبة المعارف بالطائف، الجزء الثاني، صفحة ٨٦.

(٣) محمد أبي بكر باذيب، مجموع مواعظ الحبيب أحمد بن سميط، صفحة ٤٥١.

(٤) عبد الله بن محمد السقاف، تاريخ الشعراء الحضرميين، مكتبة المعارف بالطائف، الجزء الرابع، صفحة ٤٨.

أربع سنوات لهدف محدد وهو دراسة علم التجويد والقراءات السبع وأحوال القراء[١]، وهي من العلوم التي لا يعرفها أهل حضرموت.

وبينما رحل السيد أحمد بن علي الجنيد إلى اليمن لهدف علمي نجد أن شقيقه السيد عبد الله الجنيد سافر إلى اليمن لطلب الرزق والتجارة، واستقر بها، كما رحل شقيقه الثاني عمر الجنيد رحلة بعيدة، فقد سافر إلى سنقفورا لطلب الرزق والتجارة، وكان من أوائل المهاجرين الحضارم إلى تلك الجزيرة.

واستفاد السيد أحمد بن علي الجنيد من رحلات أشقائه التجارية، فكان يقول إن شقيقه عمر كان يصله من سنقفورا بخمسمئة ريال فرانصه سنوياً، كما يرسل له شقيقه عبد الله بن علي من اليمن بمائة ريال فرانصه سنوياً، وكان حسب كلامه يجد بركة في مائة عبد الله أكثر من خمسمئة عمر[٢].

وممن رحل إلى صنعاء وأقام بها فترة طويلة من العلويين السيد عبد الله بن أبي بكر عيديد (١١٩٥-١٢٥٥هـ) وبها قرأ عدة علوم على العلامة الشيخ عبد الله بن عمر بن خليل الزبيدي. وقد حج أربع مرات وتتلمذ بمكة على العلامتين الشيخ عبد الله سراج والشيخ عبد الباقي الشعاب حيث درس عليهم علم الحساب وعلم الهيئة وعلم الفلك.

كما سافر السيد عبد الله عيديد من الحجاز إلى جاوة وتتلمذ بمدينة بتاوى (جاكرتا) على الشيخ عبد الرحمن المصري[٣].

وقد هاجر جماعة من العلويين إلى اليمن هجرة قديمة بغرض التجارة والتكسب ببيع

---

(١) عبد القادر بن عبد الرحمن الجنيد، العقود العسجدية، صفحة ٢٧.

(٢) عبد القادر بن عبد الرحمن الجنيد، العقود العسجدية، صفحة ١٢١.

(٣) عبد الله بن محمد السقاف، تاريخ الشعراء الحضرميين، مكتبة المعارف بالطائف، الجزء الثاني، صفحة ١٧٨.

القماش الحضرمي إلا أن الأمور لم تسر معهم سيرة حسنة فتدهورت أحوالهم الاقتصادية حتى وصلوا إلى درجة شديدة من الفقر المدقع. فقد ذكر بن عبيد الله في بضائع التابوت أنه اجتمع في رحلته إلى صنعاء عام ١٣٤٩هـ بأربعة من آل السقاف يعيشون بصنعاء في فقر مدقع حتى لقد بلغ أكثرهم سن الكهولة ولم يقدر على التزوج، وكان يتعيشون من دلالة البز الحضرمي، ولهم بها مرسوم إمامي شريف عليه إمضاء الأئمة المتوكل محمد بن يحيى بن منصور والثاني هو المنصور بن علي المهدي وقد فقد آل السقاف المذكورين سلسلة انتسابهم، ولكن ذكر السيد أحمد الجنيد ما يفيد برابطة نسبهم التي تتصل بعمر بن عبد الرحمن بن عقيل بن السقاف.

ولأحدهم وهو السيد حسين بن أحمد بن محمد بن طه قصة حاصلها أن شيخًا من شيوخ اليمن زوج بنتاً له على مزين (حلاق) على سبيل المزاح، وكلاهما غني، وطالب المزين بامرأته واشتد بينهما الخصام حتى وصل الأمر للقضاء، وامتد سير القضية حتى حبس الرجل أبو البنت لامتناعه تسليم ابنته، فأشاروا عليه بالسقاف هذا ليدافع عنه، وطلب السقاف خمسمئة ريال، ولما اجتمع مجلس القضاء قال السقاف للرجل إن زوجتك مبذولة، ولكن للشيخ أربع بنات فأيتهن التي عقد لك بها؟ فأفحم الرجل وقال: إنما زوجني إحدى بناته مبهمة ومن هنا جاء بطلان العقد في المجلس، وانتهت القضية وضاعف الشيخ للسقاف أجرته فاستغنى بها برهة من الدهر ثم ذهب المال وذهبت بصائرهم وعادوا لما وصفنا قبل من سوء الحال[١].

❊ ❊ ❊

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة

الفصل التسعون

العلويون والدولة العثمانية



السلطان عبد الحميد الثاني

نبذة تاريخية عن الدولة العثمانية

ملخصة من كتاب تهذيب تاريخ الدول الإسلامية

للسيد أحمد بن زيني دحلان[١]

لما ظهر التتار وأهلكوا الحرث والنسل تفرق الناس في الأرض شذر مذر، وكان أجداد العثمانيين من ملوك بلاد ماهان يعيشون قريب بلخ ثم ارتحل جدهم سليمان مع أولاده وعشيرته إلى بلاد الروم لجهاد الكفار، ولكن سليمان مات في الطريق فأكمل ابنه أرطغل المسيرة، وشرع في جهاد الروم بإذن من السلطان السلجوقي علاء الدين، ففتح الكثير من البلاد وحاز ثقة السلطان علاء الدين السلجوقي. وكان أرطغل هذا ملكاً شجاعاً يراعي الأيتام ويشفق على الأرامل ويحسن إلى الضعفاء ويحب العلماء ويحترم الصلحاء.

ثم توفي أرطغرل في سنة ٦٨٧هـ وخلفه ابنه عثمان. وكان عثمان عابداً صالحاً زاهداً متواضعاً معظماً للدين وأهله وشعائره. ثم لما تقدم السلطان السلجوقي علاء الدين في السن وضعف أمره تسلطن السلطان عثمان في البلاد التي افتتحها، وكان ذلك في سنة ٦٩٩هـ. ثم لما مات السلطان علاء اختلف أولاده من بعده وضعف ملكهم، فضمّ السلطان أرطغرل كثيراً من متلكات السلطان علاء الدين واتسع بذلك ملكه، واستمر في الجهاد والفتح وبقيت السلطنة في أولاده. ولما افتتح ابنه السلطان أورخان مدينة برصه الموجودة بتركيا الحالية اتخذوها قاعدة لملكهم، وذلك في سنة ٧٢٧هـ. واستمرت بورصة عاصمتهم حتى افتتح السلطان محمد الفاتح القسطنطينية سنة ٨٥٧هـ فصارت القسطنطينية هي دار سلطنتهم.

---

(١) أحمد زيني دحلان، تهذيب تاريخ الدول الإسلامية، الناشر دار المشاريع، صفحة ١٧٠-١٨٧.

وتسلسل سلاطين آل عثمان عبر السنين حتى انتهى الأمر إلى السلطان سليم وهو الذي فتح مصر سنة ٩٢٢هـ. ودانت له إلى جانب مصر الحجاز واليمن والشام وجميع أقطار العرب.

وجاء بعده السلطان سليمان القانوني الذي تولى الحكم في سنة ٩٢٢هـ، وقد قاد بنفسه ثلاث عشرة غزوة، وفتح بغداد وغيرها من بلاد العجم وسار بنفسه إلى تبريز، ومات وهو في الجهاد، وله كثير من المآثر بالحرمين، وهو الذي رتب قوانين الملك لأولاده، وكان لهذا السلطان اتصال بالسلطان بدر بوطويرق، كما سيأتي في أخبار الدولة الكثيرية.

وتسلسل سلاطين آل عثمان من بعده حتى السلطان عبد المجيد الذي تولى السلطنة في سنة ١٢٥٥هـ وهو الذي أخمد الفتنة التي كانت بين سلفه السلطان محمود وبين محمد علي باشا صاحب مصر. وتوفي سنة ١٢٧٧هـ. والجدير بالذكر أن السلطان عبد المجيد هو السلطان الذي بعث له الحبيب حسن بن صالح البحر برسالة نصيحة، سنذكرها في محلها.

أما أعظم سلاطين آل عثمان المتأخرين فهو السلطان عبد الحميد الثاني الذي تولى السلطنة في سنة ١٢٩٣هـ وله مآثر متعددة، كما أنه أكثرُ آل عثمان محبة للعرب وللعلويين على وجه الخصوص، وسنفرد له ترجمة خاصة

وقد نجحت مؤامرات الدول الأوروبية في خلعه سنة ١٩٠٩ م، وهي الحادثة التي كان لها أعمق الأثر على تاريخ المسلمين عموماً والعرب خصوصاً، ولعل آثارها لا تقل عن ما حصل بعد قتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه. وتوفي السلطان عبد الحميد سنة ١٣٣٦هـ ودفن في استانبول وحكم ٣٣ سنة، ويعتبر خلعه هو النهاية الحقيقية للدولة العثمانية، حيث تولى بعده ثلاثة من الخلفاء العثمانيين الذين لم يكن لهم أية سلطة. وفي سنة ١٣٤١هـ ألغى مصطفى كمال الخلافة العثمانية الإسلامية وإلى الأبد. وبنهاية الدولة العثمانية انكشفت البلاد الإسلامية أمام الدول المعادية بعد أن ظلت الدولة العثمانية حامية لديار الإسلام والمسلمين لأكثر من أربعمئة سنة.

اتصال حضرموت والعلويين بالسلطنة العثمانية

ولما ظهر خطر البرتغال على الشحر أخذ السلطان بدر بوطويرق يكاتب السلطان سليمان القانوني[١]، وكانت الدولة العثمانية في عهده في أوج قوتها وكمال عظمتها، وملوك الأرض كلهم ينظرون إليه بالدهشة والإعجاب. فاستجابت له الدولة العثمانية، وجهزت جيشاً بقيادة وزيرها بمصر سليمان باشا. وذكرنا أخبار ذلك في فصل آخر بهذا الكتاب.

وقد تقدم إلى الشحر غراب (اسم نوع من السفن) يقل ثلاثين تركياً فقابلهم السلطان بدر بوطويرق بحفاوة عظيمة وحملوا هدايا السلطان سليمان القانوني للسلطان بدر وأخبروه بأن التجريدة المرسلة لحرب البرتغال بالهند ستصل في القريب. وأعقب ذلك أمر السلطان بدر بالدعاء للسلطان سليمان القانوني بصلاة الجمعة مما يعني تبعية حضرموت للدولة العلية، ثم تواصلت الاتصالات بين السلطان بدر والعثمانيين بما هو مفصل في كتب التاريخ.

وذكر الأستاذ بن هاشم[٢] أن السلطان بدر بوطويرق كان أول من استعان بالجنود الأتراك لأول مرة بحضرموت فوردت إليه الجنود التركية في سنة ٩٢٦هـ بقيادة رجب التركي، وظهرت معهم البنادق بحضرموت لأول مرة. وتمكن السلطان بدر بوطويرق بمساعدتهم وبالبنادق أن يبسط نفوذه على كل حضرموت من عين بامعبد غرباً إلى ظفار شرقاً في بضعة شهور واستمر ملكه العادل حوالي الخمسين سنة.

ولأهمية عهد السلطان عبد الحميد واحترامه للسادة العلويين فإننا نفرد ترجمة موسعة لهذا السلطان العظيم مأخوذه عن كتاب التليد والطارف، تأليف السيد: أبو بكر العدني ابن علي المشهور من صفحة (٢٨١) إلى صفحة (٢٨٥).

---

(١) محمد بن هاشم، تاريخ الدولة الكثيرية، الناشر تريم للدراسات، صفحة ٦٦.

(٢) محمد بن هاشم، تاريخ الدولة الكثيرية، الناشر تريم للدراسات، صفحة ٥٩.

كان السلطان عبد الحميد السلطان الرابع والثلاثين من سلاطين الدولة العثمانية، وقد تولى عرش الدولة وهو في الرابعة والثلاثين من عمره، إذ ولد عام ١٢٥٨هـ وتوفيت أمه وهو في العاشرة من عمره، وتلقى صنوف التعليم في القصر السلطاني، وتعلم اللغات العربية والفارسية كما درس التاريخ ونظم الشعر. وكان يميل إلى الاهتمام بالسلاح واستخدامه ورياضاته، واعتنى بالمطالعة والاطلاع على ما تكتبه المجلات والصحف في عصره، وتزوج زوجة واحدة، وعاش في بساطة وتقشف، وكان يميل إلى النجارة واتخذ لنفسه ورشة نجارة في قصره وعاصر مراحل التحولات على يد سلاطين عصره، ومنهم السلطان عبد العزيز والسلطان مراد.

وفي سنة ١٢٩٣هـ تقلد السلطان عبد الحميد الحكم وكانت الدولة مضطربة ومثقلة بالديون وبخزانة مالية مفلسة وأطماع عالمية محيطة ببلاده ومؤامرات سياسية تسعى لاقتسام ما يسمى بتركة الرجل المريض، وهو ما يعني مقاطعات ودويلات وإمارات الدولة العثمانية المترامية إبان ضعفها.

وكانت أول قرارات السلطان عبد الحميد الحاسمة قراره بتحجيم نفوذ العديد من الوزراء والكبراء والقادة، وخاصة بعد أن تسبب بعضهم في الزج بتركيا في حروب خاسرة مع روسيا سنة ١٨٧٧- ١٨٧٨م كان من نتيجتها توقيع معاهدة مجحفة بين الدولة العثمانية والروس ودفع تعويضات الحرب الباهظة واقتطاع مساحة واسعة من الدولة العثمانية سميت بعدها بالمملكة البلغارية. ولهذا عطل السلطان عبد الحميد المجلس البرلماني العثماني ورفض التوقيع على هذه المعاهدة، ثم استعان السلطان عبد الحميد بالدول الأوروبية المتنافسة للضغط على روسيا لإيقاف تنفيذ المعاهدة وتخفيف بنودها وأثرها.

وشهد السلطان عبد الحميد تداعيات الدولة، ومن أخطرها ظهور جمعية الاتحاد والترقي، وفيها جملة من يهود الدونمة الذين أسلموا صورياً وتغلغلوا في مواقع النفوذ في الدولة العثمانية، كما شهد حكمه تمرد الأرمن ومحاولتهم اغتياله. ولمواجهة ذلك قام السلطان

عبد الحميد بإجراءات عديدة كما قام بعدة رحلات إلى مصر وأوروبا وخرج من هذه الرحلات بانطباعات مهمة عرف فيها مواقف وأحوال تلك الدول وكيفية الاستفادة مما شاهده من التقدم العلمي، ولذا بدأ بإدخال المشروعات العصرية في دولته وركز على النواحي التعليمية والصناعية والعسكرية والاتصالات وغيرها من الوسائل.

وقال عنه الزعيم اليهودي هرتزل: إن عبد الحميد سلطان ماكر خبيث جداً ولا يثق بأحد. وقال أيضاً: إن اليهود لن يستطيعوا تحقيق أمانيهم في (الأرض الموعودة) طالما كان السلطان عبد الحميد قائماً في الحكم مستمراً فيه،

كما اعتنى السلطان عبد الحميد بالتربية والتعليم وطور المدارس السلطانية وأسس المدرسة التجارية الحميدية وأكاديمية الفنون والمدرسة الحربية وافتتح مدارس أخرى للمالية والجمارك والشرطة وزاد عدد مدارس المعلمين وطور المناهج الدراسية وفتح الأبواب للنشر ووسائله وللصحافة، وأصدر قراراً بمنع مظاهر الإسراف في الدولة عموماً، وفي القصر الحاكم خصوصاً. واستمال العديد من أعضاء المعارضة في منظمات الاتحاد والترقي وغيرها إلى المناصب الحكومية، وعفا عن البعض حتى شتت شملهم وأضعف شوكتهم وتتبع دعاة الفكر القومي وطارد أصحابه، ورصد حركاتهم حتى أوقف نشاطهم المشبوه. كما جهز الأساطيل الحربية لمحاربة الدول الاستعمارية العابثة بشواطئ الدولة العثمانية، كما هو الحال في الأطماع البريطانية في اليمن والخليج العربي والأطماع الروسية والإيطالية والفرنسية والألمانية واليونانية. وسعى بجد لإقامة الجامعة الإسلامية كتحصين سياسي واجتماعي أمام المد القومي والاستعماري العالمي، وأعاد للمسلمين في العالمين العربي والإسلامي الثقة في القيادة الإسلامية الحكيمة فهرولت الوفود الإسلامية من مختلف بقاع الأرض لتهنئته بما تهيأ على يده من الانتصارات وخاصة في النزاع العثماني اليوناني وانتصاره في الحرب عليهم وعمت البهجة مسلمي أفريقيا والهند وغيرها من بلاد العالم.

واستفاد السلطان عبد الحميد من الدعوة الى اجتماع المسلمين أو ما سمي بالجامعة

الإسلامية في التقريب بين المسلمين من كافة الأجناس فزادت أسباب التواصل بين المراكز الإسلامية في الداخل والخارج وطبعت الكتب الإسلامية واتخذت اللغة العربية لغة الدولة الرسمية لأول مرة في تاريخ الدولة العثمانية. واعتنى السلطان عبد الحميد بالمساجد والجوامع وعمل على ترميمها وإصلاحها، واستمال زعماء القبائل العربية وأنشأ مدرسة خاصة في عاصمة الخلافة لتعليم أولاد العشائر العربية وتدريبهم على الإدارة مما سهل لكثير منهم تولي المناصب العليا في الدوله، كما استمال السلطان شيوخ الطرق الصوفية، وتأثر بالمنهج الذوقي الصوفي، واستفاد من الصحافة الإسلامية في الدعاية، وقام على تطوير النهضة العلمية والتقنية في الدولة، وأنشأ معهداً لتدريب الوعاظ والمرشدين، كما اعتنى بالدول ذات الأقلية المسلمة كالصين وغيرها، واهتم بخدمة الحرمين الشريفين وتعميرهما.

ومد السلطان عبد الحميد خط سكة حديد الحجاز ليربط بين العاصمة استانبول بدمشق والمدينة المنورة، وقد خدم هذا الخط الحديدي حجاج تركيا ومصر والشام وغيرهم، كما أقام خطاً حديدياً بين استانبول وبغداد.

وعمل السلطان عبد الحميد على قطع الطريق على المناوئين للدولة والمتصلين بالدول الأجنبية، فعين الشريف حسين شريف مكة عضواً في مجلس شورى الدولة في إستانبول ليبعده عن مكة، فأدى ذلك إلى تأخر قيام الثورة العربية إلى ما بعد خلع السلطان عبد الحميد الثاني حيث تولى الاتحاديون حكم الدولة العثمانية وأعادوا الشريف حسين إلى مكة.

كما واجه عبد الحميد حملات واسعة من الدول والصحافة الأوروبية التي حاولت تشويه سمعته وتهييج طوائف الدولة العثمانية عليه.

وتحرك القوميون والماسونيون والعلمانيون ودعاة الإنسانية الأوروبية ضد عبد الحميد الثاني وسياسته الإسلامية واستفادوا من بعض العلماء المناوئين لعبد الحميد من أمثال محمد رشيد رضا والكواكبي ومجدي عاكف وغيرهم.

وأخذ محمد رشيد رضا يدعو إلى إصلاح الدولة العثمانية ومحاربة ما سماه بالاستبداد الفردي، وكان محمد رشيد رضا ينادي بدولة عربية منفصلة عن دولة الخلافة العثمانية ويقول: إن من مصلحة العرب السياسية أن تكون لهم دولة مستقلة، بل وامتدح رشيد رضا جمعية تركيا الفتاة العلمانية لأنها تعمل ضد السلطان عبد الحميد وأيد السماح بانتشار عمل هذه الجمعية بمصر ودعا إلى دعمها، وهو الموقف الذي يؤيده الإنجليز الذين كانوا يحتلون مصر في تلك الفترة، بل إنّ الشيخ محمد رشيد رضا كان يؤيد ويمتدح الزيدية في اليمن لأنهم قاتلوا العثمانيين ولم يخضعوا لهم. وقد منع السلطان عبد الحميد مجلة المنار التى يحررها رشيد رضا من القاهره من الدخول إلى البلاد الخاضعة له بصورة مباشرة. هذا وقد أشرنا في فصل آخر إلى الدور الذي لعبه الشيخ محمد رشيد رضا وصحيفة المنار في الفتنة الإرشادية العلوية بإندونيسيا.

وعملت جمعية الاتحاد والترقي على إثارة الأرمن على المسلمين، كما دبرت اغتيالات لبعض الضباط الأتراك، وأشاعوا أن هذه الأعمال من تدبير السلطان عبد الحميد الثاني، ولهذا قامت عناصر الجيش بالزحف على إستانبول لإجبار السلطان على التنازل.

وكما يقال فإن التاريخ يعيد نفسه، فقد نشر في الصحف مؤخراً أن الشرطة التركية قبضت على عدد كبير من الجماعات العلمانية المناوئة لحكومة حزب العدالة والتنميه الذي يحكم تركيا الآن (٢٠٠٨) بعد تورطهم في عدد كبير من التفجيرات التي يريدون بها تشويه سمعة الحكومة وإسقاطها، رغم أن حكومة حزب العدالة والتنمية مدعومة من الشعب وأحدثت في تركيا تطوراً اقتصادياً وصناعياً مذهلاً، ونقلت تركيا إلى مصاف الدول الأوروبية المتقدمة.

ونعود إلى السلطان عبد الحميد الذي خرج بعد خلعه مع أفراد أسرته وعائلته إلى سلانيك، ولم يسمح له الاتحاديون بأخذ شيء من متاعه، وسيطروا على القصر وأعلنوا إسقاط الخليفة عبد الحميد في سنة ١٩٠٩م. وفي سلانيك ظل عبد الحميد ومن معه تحت الحراسة المشددة حتى وفاته في سنة ١٩١٨ م بعد أن قضى في السجن ثماني سنوات وتسعة أشهر.

العلويون والدولة العثمانية

اهتمت الدولة العثمانية بحضرموت منذ عهد مبكر، فقد ذكرنا سابقاً علاقات السلطان سليمان القانوني بسلطان حضرموت بدر بوطويرق، وذكرنا أخبار الحملات البحرية التي أرسلتها الدولة العثمانية لمحاربة النشاط البرتغالي في البحر الأحمر، ومن هذا النشاط ما ذكره ابن حميد الكندي في تاريخ حضرموت من أنه وصل إلى عدن في رمضان من سنة ٩٧٢هـ القبطان صفر الرومي في عشرة غربان (نوع من أنواع السفن) كبار وجملة من العساكر لقتال الإفرنج الذين يتأهبون لمهاجمة جدة، وتوفي بعدن في شهر شوال ودفن في قبة الشيخ أبي بكر بن عبد الله العيدروس[١].

أما علاقة العلويين بالدولة العثمانية فقد اتخذت مظاهر مختلفة ووردت أخبارها متفرقه في هذا الكتاب، ومنها ما ذكره بن عبيدالله[٢] في معجمه عن السيد عباس بن علوي بن عبد الرحيم فقال: إنه يسكن الآن كآبائه بالمدينة المشرفة، وهو ملجأ العلويين، بل وغيرهم من الحضارم، وقد بلغ الستين وإليه مشيخة العلويين بالمدينة وأول من تولى المشيخة منهم السيد عبد القادر بن عبد الله بن عمر، وكان لمشيخة السادة شأن عظيم ولا سيما في أيام السلطانين عبد المجيد وابنه عبد الحميد، إذ كانت عبارة عن دولة في باطن الدولة، ثم وهت أسبابها ولم يبق لها إلا الاسم، وأصابها ما أصاب المنصبة بحضرموت، وكان السيد علوي بن عبد الرحيم حسن الأداء جميل القراءة، وكان أحد أئمة المسجد النبوي، وعند نوبته في الجهرية يحتشد الناس وربما أغشي على بعضهم من حسن أدائه، ولذا طلبه السلطان عبد الحميد العثماني

---

(١) سالم بن حميد الكندي، تاريخ حضرموت، تحقيق عبد الله الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٢١٢.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، الناشر مكتبة الإرشاد بصنعاء، صفحة ٥٥٤.

ليصلي به التراويح، ففعل إحدى السنين، وأراده أن يقيم عنده بما يتمناه فأبى إلا الرجوع إلى المدينة المشرفة، وبها كانت وفاته سنة ١٣٤١هـ عن تسعين ربيعاً. (انتهى).

وممن كانت له اتصالات قوية من العلويين بالعثمانيين السيد فضل بن علي علوي بن محمد بن سهل مولى الدويلة، ذكره السيد أبو بكر المشهور في لوامع النور فقال: إنه ولد في المليبار من بلاد الهند سنة ١٢٤٠هـ وانتقل في سنة ١٢٦٨هـ إلى مكة، ثم استقر منذ سنة ١٢٦٩هـ في الآستانة مقر الخلافة العثمانية، وكان مقرباً من السلطان عبد الحميد، ثم صار يتردد بين مكة وتركيا، ومكث في الآستانة قرابة الثلاثين سنة، وبها توفي دون دون أن يخلف أرضاً ولا داراً ولا درهماً ولا ديناراً، وأنه ممن أشار على السلطان عبد الحميد بمد الخط الحديدي من تركيا إلى الحجاز، وقد ولته الدولة العلية في سنة ١٢٨٧هـ ولاية ظفار[١].

وقال بن عبيدالله في مخطوطة بضائع التابوت: وحدثني العم عقيل بن عبد الرحمن بن علوي السقاف بما لا يتسع له المجال من علو شأن السيد فضل بن علوي بن سهل مولى خيله وتمكنه عند السلطان عبد الحميد وأخبرني الثقة الفاضل السيد عبد الله بن عبد الرحمن بن طاهر الذي كان مقيماً بالآستانه أن السلطان عبد الحميد كان يقبل يد السيد فضل، وهو يضرب حينئذ على ظهر السلطان ويقول: بارك الله فيك يا سلطان. وكان الشيخ أبو الهدى الصيادي والشيخ أحمد أسعد المدني ينافسانه في القرب من السلطان ويحسدانه على عظيم منزلته لديه، حتى لقد أشاعا مرة أن السلطان أصدر أمراً بمنعه من دخول القصر، فلم يكن من السيد فضل إلا أن ذهب إليه بهمة قويه لم يقدر على اعتراضه معها بوابٌ ولا حاجب، حتى انتهى إلى مقربة من مجلس السلطان فنادى بأعلى صوته: إن كنت خليفة جدي فهلم إلي فإني أريد الاجتماع بك الآن، فخر السلطان ودموعه تتحادر على خديه من ذكر سيد الوجود ﷺ، وكان شديد التعظيم له ولآثاره حسب ما يعرف من سيرته المشهورة، وتبين للسلطان كذب الواشين على

---

(١) أبو بكر بن علي المشهور، لوامع النور، دار المهاجر للنشر، صفحة ٢٨٣.

السيد فضل، فزاد في إعلاء منزلته وبالغ في التحفي به ورفع الحجاب عنه في أية ساعة شاء من ليل أو نهار.

قال بن عبيدالله: ومما أكد براءة ساحته عند السلطان انبساط يده وسماحة نفسه، فقد مات وما ترك لأهله مالاً ولا عقاراً، مع كثرة ما يصل إليه من إنعام السلطان ومن غيره، بخلاف ذينك الدجالين، فقد اقتنيا العقار وتأثلا الأموال، غير أن الحكومة الدستورية التي جاءت بعد السلطان عبد الحميد ناقشتهما الحساب بعد ذلك، أما السيد فضل فقد بقي محفوظ الكرامة في أولاده، وأبقتهم الحكومة الدستورية على كل ما رسم لهم من الأرزاق والإدارات السلطانية الضخمة، فما زالوا عليها حتى ثارت الحرب العظمى فقطعها عنهم الاتحاديون. هذا مما يقوله بمعناه السيد عبد الله بن عبد الرحمن بن طاهر.

قال بن عبيدالله: ورأيت في حاضر العالم الإسلامي لشكيب أرسلان أنه اطلع على نشرة من جانب أبي الهدى الصيادي تناول فيها السيد فضل العلوي الحضرمي أمير ظفار والشيخ ظافر المدني الطرابلسي شيخ الطريقة الشاذلية والشيخ جمال الدين الأفغاني، وثلاثتهم من المقربين لدى السلطان عبد الحميد، ولكل واحد منهم نصيب وافر من الشتم والوقيعه في هذه النشرة.

قال بن عبيدالله في مخطوطة بضائع التابوت وذكر والدي أنه اجتمع بالسيد فضل مراراً في الفجير وفي بيتنا وفي حضرة سيدي الأستاذ الأبر عيدروس بن عمر الحبشي، وذلك عند زيارة السيد فضل لحضرموت سنة ١٢٦٦هـ وكان له عنه أخذ تام، ثم اتصلت بعده المكاتبات. قال بن عبيدالله: وكان الأستاذ الأبر عيدروس بن عمر الحبشي ينتقد على السيد فضل الإشارة في إمضائه لإمارة ظفار ولا سيما بعد انفصاله عنها، لأن الرجل من تتزين به الوظائف لا من يتزين بها، وقد أعطاه الله من العلم والانتساب إلى فاطمة الزهراء ما يغنيه عن ذلك الظل الزائل والحال المائل. وتوفي السيد فضل بالآستانة في سنة ١٣١٨هـ.

وممن كان له شأن بالعلويين بالآستانة الشريفة آمنة بنت محمد بن حسين الحبشي (١٢٦٠-١٣٣٣هـ)، ونقل الأستاذ جعفر بن محمد السقاف[1] عن كتاب الجامع لليمنين لبامطرف عن الشريفة آمنة أنها تلقت تعليمها بسيؤون وهي أخت الإمام الكبير الحبيب علي بن محمد الحبشي، وقد تزوجت على شيخ السادة بمكة العلامة علوي بن أحمد السقاف صاحب المؤلفات بمكة المكرمة والتي منها «شرح فتح المعين» في الفقه المكون من أربعة أجزاء، وقد أخذت المزيد من الدراسة على والدها وزوجها، ثم سافرت مع زوجها إلى استانبول حيث قامت بنشر الدعوة الإسلامية في الأوساط النسائية التركية، وانتفع بها خلق كثير، وعادت إلى لحج باليمن لتقيم مع زوجها الذي نفاه الشريف عون الرفيق عن الحجاز مع مجموعة من أعيان مكة، ثم بعد وفاة زوجها بلحج عادت الشريفة آمنة إلى تركيا واستأنفت نشاطها الدعوي وتوفيت باستانبول بتركيا. (انتهى).

ونعود لذكر العلاقات السياسية والعسكرية بين الأتراك العثمانيين وحضرموت ومسعى العلويين للاستعانة بالأتراك لإقامة والٍ عادل بحضرموت المضطربة في ذلك الزمن، وأنهم فشلوا في مسعاهم هذا، إلا أن العلويين لم يقطعوا الأمل في الاتراك، كما قال بن عبيدالله في الجزء الثالث من بضائع التابوت[2]: قد أسلفنا أن العلويين لم يقيموا دولة الحبيب طاهر بن حسين بن طاهر إلا بعد فشلهم في مخاطبة الإمام والأتراك، غير أن السيد فضل بن علوي مولى خيله ومن على شاكلته لم يقطعوا الأطماع عن الأتراك، فما زالوا يحركون آمال إخوانهم ويعلقونها على الآستانة بالمكاتبة أولاً ثم بالمشافهة ثانياً، فقد وصل السيد فضل إلى حضرموت لذلك الغرض، وكان وصوله في سنة ١٢٦٦هـ، وكان السيد إسحاق بن عقيل بن يحيى شيخ السادة العلويين بمكة المشرفة كبير الهمة جزل الرأي حصيف العزم، وقد تأكد الاتصال بينه وبين العلويين بحضرموت فتبودلت بينهم الكتب، ثم سير العلويون عدة رسائل للوزير

(١) جعفر محمد السقاف، محاضرات عن دور الحضارم، جامعة الأحقاف، صفحة ٣٨.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ٨-٩.

الأعظم حبيب باشا ولأمير مكة الشريف محمد بن عون ولشيخ السادة إسحق بن عقيل، منها رسالة بخط العلامة الجليل السيد عبد الله بن عمر بن يحيى أمضى عليها سيد الوادي الحبيب حسن بن صالح البحر وسائر أكابر العلويين لذلك العهد، وكان من نتيجتها أن سير السلطان عبد المجيد حملة قوية لإصلاح اليمن والتهائم والشحر والمكلا وحضرموت.

ولما انتهت الحملة المذكورة إلى بندر الحديدة نزل الشريف محمد بن عون وعساكره إليها فصالحه أميرها الشريف محمد بن حسين بن علي بن حيدر من غير قتال، فأقره عليها بشرط أن يدفع للدولة العلية خمسة وأربعين ألف من الريالات الفرنسية في كل سنة، إلا أن أصحاب القلعة الشامية بالحديدة أطلقوا الرصاص على العساكر العثمانية فقُتل اثنان من الأتراك فحمل الباقون على القلعة واستولوا عليها في أسرع وقت وأحصوا من فيها قتلاً. ومن هناك سيروا الكتب لمحمد عبد الحبيب الكسادي صاحب المكلا ولعلي ناجي صاحب الشحر يأمرونهم برفع الحصار الذي ضربوه على داخل حضرموت، وسيروا كتباً أخرى لسيد الوادي الحسن بن صالح البحر ولسائر الأعيان من العلويين، وللسلطان عبد الله بن محسن يخبرونهم بأنهم متوجهون إلى حضرموت بعد فراغهم من اليمن وكان مفتي الشافعية بمكة السيد محمد بن حسين الحبشي بمعية تلك التجريدة. وقد رافقهم من القنفذة إلى الحديدة.

قال بن عبيدالله: وفي رجب من سنة ١٢٦٥ وصل سنبوق إلى بندر المكلا فيه رجل من الأتراك يحمل كتابين من الشريف محمد بن عون والسيد إسحق بن يحيى لمحمد عبد الحبيب الكسادي ولعلي ناجي يؤكدان ما جاء في الكتب السابقة، إلا أنهم لم يحسنوا الجواب، وصرح الكسادي بالعصيان ومنع الناس من الاجتماع بالتركي وتبعه في تصرفه علي ناجي. وفي يوم الاثنين ٤ شعبان من السنة نفسها، وصل المندوب التركي إلى مسيلة آل طاهر فسار في لقائه السلطان عبود بن سالم والسلطان علي بن أحمد، ثم وصل المندوب التركي إلى سيؤون في ٦ من شوال واستقبله فيها السلطان عبد الله بن محسن استقبالاً فخماً وأطلق له مدفعين وسلم التركي له كتابين من الشريف محمد بن عون والسيد إسحق، ثم سار المندوب التركي

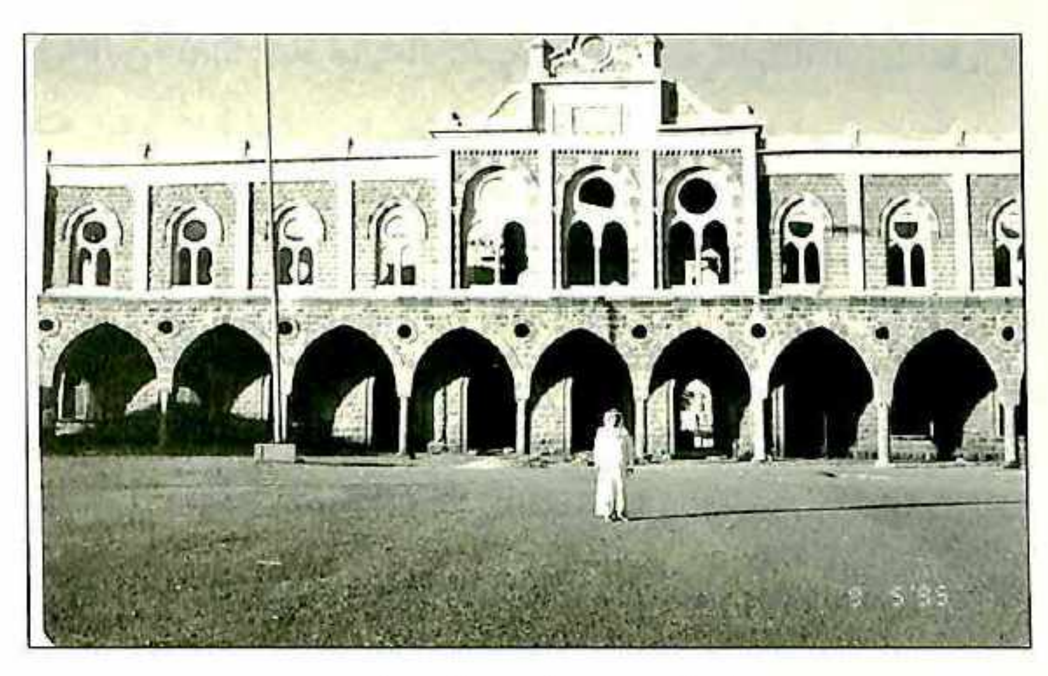
إلى ذي أصبح لمقابلة سيد الوادي الحبيب حسن بن صالح البحر فأضافه الحبيب البحر ضيافة فاخرة، واجتمع هناك بسائر العلويين. (انتهى النقل).

* * *



الفصل الحادي والتسعون

العلويون وسكة حديد الحجاز



محطة سكة حديد الحجاز بالمدينة المنورة

ومن أعظم أعمال السلطان عبد الحميد إنشاء خط حديد الحجاز الذي امتد من دمشق الشام إلى المدينة المنورة مع تفرعات جانبية أهمها التفريعة التي تربط الخط الرئيسي بمدينة حيفا الساحلية بفلسطين، واختصر مسافة السفر للحج من دمشق إلى المدينة من أربعين يوماً إلى أربعة أيام.

ولم تكن مسافة الرحلة هي المشكلة التي يواجهها الحجاج في رحلة الحج، بل إن كثيراً منهم يلقى حتفه في هذه الرحلة عطشاً بسبب نقص المياه، أو غرقاً بالسيول الجارفة، أو قتلاً على يد قطاع الطرق من العُربان الذين يتربصون بالحجاج طول الطريق.

وذكر السيد أبو بكر المشهور في لوامع النور أن السيد فضل بن علي علوي بن محمد بن سهل مولا الدويلة كان ممن أشار على السلطان عبد الحميد بمد الخط الحديدي بين تركيا والحجاز، وذكر أن السيد فضل ولد في مليبار من بلاد الهند سنة ١٢٤٠هـ وانتقل في سنة ١٢٦٨هـ إلى مكه، ثم استقر منذ سنة ١٢٦٩هـ في الآستانه مقر الخلافة العثمانية، وكان مقرباً من السلطان عبد الحميد، ثم صار يتردد بين مكة وتركيا، ومكث في الآستانه قرابة الثلاثين سنه، وتوفي بها سنة ١٣١٨[١].

وقد صدرت الإرادة السلطانية ببناء الخط الحديدي في أول مايو سنة ١٩٠٠ وسميت اللجان المكلفة بتنفيذ المشروع. وتولى الفيلد مارشال كاظم باشا الإدارة العامة للخط الحديدي، وعين معه المهندس الألماني ميسنر باشا صاحب الخبرة العظيمة في مد الخطوط الحديدية، وعمل الجنود الأتراك والأهالي المجاورون في تنفيذ المشروع إضافة إلى مقاولين نمساويين وإيطاليين. وجاءت القضبان الحديدية من المصانع البلجيكية والأمريكية، واستوردت العربات والقاطرات من ألمانيا[٢].

---

(١) أبو بكر بن علي المشهور، لوامع النور، دار المهاجر للنشر، صفحة ٢٨٣.

(٢) السيد محمد الدقن، سكة حديد الحجاز الحميدية، صفحة ١١٧.

وقد تبرع السلطان عبد الحميد لبناء الخط من ماله الخاص، ودعا المسلمين في جميع أنحاء العالم للتبرع لهذا المشروع العظيم فتبرعوا بحماس شديد لإتمام هذا المشروع الإسلامي العملاق. وتبرع أثرياء العلويين المقيمون بجاوا وسنقفورا لهذا المشروع، ومنهم السيد عبد الرحمن بن شيخ الكاف والسيد حسن بن عبد الرحمن الكاف والسيد طاهر بن يحيى وغيرهم[١]. كما ساهم السيد محمد بن عقيل بن يحيى مع السيد شيخ الهادي في جمع التبرعات لمشروع خط سكة حديد الحجاز وكذا لمشروع عين زبيدة بمكة[٢].

وصل الخط الحديدي إلى المدينة المنورة سنة ١٣٢٦هـ، ١٩٠٨م وبدأ سير القطارات على الخط بأكمله من المدينة إلى دمشق في شهر سبتمبر من السنة نفسها، وكان هناك ثلاث رحلات أسبوعية للقطار من دمشق إلى المدينة المنورة تستغرق كل منها ٥٦ ساعة بالحساب الرسمي، كما كان هناك سبع سفرات بالقطار من حيفا إلى دمشق تستغرق كل منها ١٢ ساعة، ومع الانتظار في المحطات تبلغ مدة السفر أربعة أيام، وهي مدة قصيرة إذا عرفنا أن قوافل الحج البري تقطع هذه المسافة في أربعين يوماً[٣].

وكان قد أقيم في السادس من أكتوبر ١٩٠٧م الموافق سنة ١٣٢٥هـ، احتفال كبير لوضع حجر الأساس للمحطة الرئيسية بالمدينة المنورة. وفي أغسطس من سنة ١٩٠٨م انتهى العمل في بناء الخط الحجازي، ووصل أول قطار إلى المدينة المنورة في ٢٢ من أغسطس ١٩٠٨، غير أن الاحتفال الرسمي بافتتاح الخط أرجئ إلى ٢٥ شعبان ١٣٢٦هـ الموافق أول سبتمبر ١٩٠٨ ليوافق عيد الجلوس السلطاني[٤].

قال السلطان عبد الحميد عن خط حديد الحجاز: لقد أثبت الخط الحديدي الحجازي

---

(١) السيد محمد الدقن، سكة حديد الحجاز الحميدية، صفحة ١٠١.

(٢) محمد بن عقيل بن يحيى، العتب الجميل، تريم للدراسات والنشر، صفحة ٥٧.

(٣) السيد محمد الدقن، سكة حديد الحجاز الحميدية، صفحة ٢٦٧.

(٤) السيد محمد الدقن، سكة حديد الحجاز الحميدية، صفحة ١٦٢.

أن بلادنا لم تفقد قابليتها للتطور وأنه يمكننا إحباط محاولات إنكلترا المتكررة في عرقلة أي عمل نقوم به لخدمة بلدنا وأمتنا، وسيتم إن شاء الله مد هذا الخط، وسنستغني عن قناة السويس، وسنربط استانبول بالمدينتين المقدستين مكة والمدينة وسنتمكن من تأمين المواصلات المدنية والعسكرية بكل أمان واطمئنان[١]. (انتهى).

ويتكون خط الحديد الحجازي من **٢٥** قاطرة و**٤٠** عربة مغطاة و**٥٠** عربة ركاب درجة ثالثة و١٠ عربات درجة أولى وعربتي ركاب دي لوكس[٢].

ووصف الأستاذ محمد الدقن حفل افتتاح الخط بالمدينة المنورة فقال: أقيم بالمدينة المنورة احتفال مهيب حضره كبار رجال الدولة العثمانية في الشام والحجاز بالإضافة إلى كاظم باشا مدير عام الخط ومختار بك رئيس المهندسين وعدد كبير من الأعيان والشيوخ وممثلو الصحف الأجنبية[٣].

وقال أيضاً: كما احتفل في نفس اليوم بافتتاح مبنى المحطة الرئيسية للكهرباء بالمدينة المنورة، وقد أنيرت المحطة بمصابيح الكهرباء حيث دخلت الكهرباء المدينة المنورة لأول مرة مع افتتاح الخط الحجازي، وبنَت الحكومة العثمانية محطة كهرباء، واستوردت ماكينات ضخمة تمكنت من نقلها بسهولة على الخط الحديدي، وأضاءت بها المسجد النبوي، كما وضع حجر الأساس لبناء مسجد الحميدية (العنبرية) الذي يطل على ميدان المحطة[٤].

هذا ولخط الحديد الحجازي تفرعات أخرى كان من أهمها الخط الذي يربط درعا بحيفا، ورغم الصعوبات الفنية العالية في هذا الجزء من الخط فقد تمكن المهندسون والعمال

---

(١) محمد قربان نياز ملا، السلطان عبد الحميد، نشر وتوزيع مكتبة المنارة بمكة المكرمة، صفحة ١٤٠-١٤١.

(٢) السيد محمد الدقن، سكة حديد الحجاز الحميدية، صفحة ١٥٧.

(٣) السيد محمد الدقن، سكة حديد الحجاز الحميدية، صفحة ١٦٣.

(٤) السيد محمد الدقن، سكة حديد الحجاز الحميدية، صفحة ١٦٣.

من تنفيذ الالتقاء بالخط الرئيسي في درعا في أقل من ثلاث سنوات، وكانت هذه التفريعة مهمة في نقل الحجاج الذي يصلون إلى يافا بالمراكب، كما سنرى فيما بعد.

وقد تكلف المشروع في إحدى الروايات ثلاثة ملايين جنيه عثماني، جُمع أكثر من ثلثها من الهبات التي تبرع بها المسلمون في جميع أقطارهم. ويرى آخرون أن التكلفة بلغت حوالي ثمانية ونصف مليون ليرة عثمانية، وهي تكلفة تعتبر قليلة جداً بالنسبة لطول الخط، وللبوادي الشاسعة القاحلة التي يمرّ بها الخط. وقد قلل من تكاليف المشروع استخدام الجنود الأتراك في العمل وبأجور زهيدة[١].

وذكر حافظ وهبة في كتابه جزيرة العرب[٢] أن الشريف حسين وقف في وجه جميع الإصلاحات التي كان الأتراك الاتحاديون ينوون القيام بها في الحجاز لأنه رأى من خلالها تقوية نفوذ الأتراك وشل يده عن العمل في الحجاز، فعرقل مدّ سكة حديد الحجاز إلى جدة ومكة، كما عرقل مد طريق من مكة إلى الطائف من جهة جبل كري.

واستكمالاً للموضوع نستعرض بعض رحلات العلويين المدونة والتي استخدموا فيها خط حديد الحجاز لنتعرف عن كثب على هذا الإنجاز الإسلامي الكبير، ومن أوائل العلويين الذين سافروا بسكة حديد الحجاز الحميدية الحبيب شيخ بن محمد الحبشي (١٢٦٥-١٣٤٨هـ)، وقد ابتدأ رحلته من المدينة المنورة في ربيع الأول من سنة ١٣٢٨هـ (١٩١٠م) متوجهاً إلى دمشق، ويقول في وصف رحلته[٣]:

أشرق الصباح وإذا جمع غفير في محطة السكة الحديدية بالمدينة المنورة لوداعه، وهنالك وضعوا متاعه (في واحد من الفراقين المعدة)، ولعلها حافظات للعفش، ثم قال وودعنا

---

(١) السيد محمد الدقن، سكة حديد الحجاز الحميدية، صفحة ١١١.

(٢) حافظ وهبة، جزيرة العرب في القرن العشرين، الناشر دار الآفاق العربية، صفحة ١٤٨-١٥١.

(٣) عبد الله بن محمد الحبشي، الرحالة اليمنيون، صفحة ٢٤٨.

الجميع وركبنا في بابور البر (يقصد القطار) المسمى عندهم في اصطلاحهم بالشهمندوفر، ثم توجه البابور على بركة الله قاصداً دمشق الشام.

وقال: وكانت أجرة القطار إلى دمشق أربعة جنيهات اسطمبولي، وكان التوجه الساعة خمسة من النهار قبل صلاة الظهر وما زال القطار يمشي بهم حتى وصل بهم تبوك على ليلتين من المدينة المنورة، وهناك يجد مكتب الحجر الصحي الكرنتينة. وقال: ومن حسن تدبير الله أن صحبنا صاحب البوسطة الكبيرة، وكانت له كلمة نافذة فصار يراعينا ويأمر بمراعاتنا. ثم أخذوه ومن معه إلى خيمة كبيرة مع كمال الاحتشام والرئيس الكبير صاحب الكرنتينة هو إسماعيل أفندي أحبنا حباً شديداً، وصار يتردد علينا ويقضي أغراضنا ويصلي معنا الجماعة.

وفي إحدى الليالي طلب منا أن نقرأ له قصة المولد النبوي، فاجتمع في الخيمة خلق كثير، ثم إننا شرعنا في قراءة المولد ووقع حضور تام وبعد انتهاء المولد قام الحبيب شيخ فخطب فيهم ودعاهم الى الله ووعظهم ولم يترك الفرصة لدعوة هؤلاء الجند إلى الله وحثهم على أداء الفروض المكتوبة.

ثم واصل القطار سيره بعد أن مكث في تبوك خمسة أيام وظل يقطع بهم الفيافي والقفار حتى وصل إلى محطة (معان) وهي محطة كبيرة فيها استعداد كبير للصادر والوارد من جميع ما يلزم. وقبلها محطة يقال لها بطن الغول، وهو محل مرتفع لا تمشي فيه العربات إلا بآلتين: آلة من أمام وآلة من خلف. وقد لاحظ الحبيب شيخ تشكل الرمال الناعمة في هذه المنطقة بالأحمر والأخضر والأصفر والأزرق، والحكمة الغريبة وضع كل لون على حدة من غير اختلاط بالآخر حتى أن بعض العساكر الفطنين يأخذون البطحاء الملونة ويضعونها في قوارير. ثم يصل إلى محطة عمان، وهي محطة كبيرة تستوقفه فيها الخضرة والأشجار والزروع المختلفة التي يبدأ ظهورها من هذا المكان. وقال: إن فيها قوماً من الشراكسة المهاجرين من أرض الروس يزيدون على ألفين يعملون بالزراعة ومشهورون بالشجاعة والحماسة، ولا يمشون إلا متسلحين حتى إن البادية لا تحوم حولهم.

ثم يصل إلى دمشق ويقول: «ونزلنا من بابور البر (القطار) وجمعنا ما معنا من أثاث ووضعناه في عربة يجرها بغل وكراها ريال مجيدي ونصف، واتجهنا بها إلى اللوكنده» (انتهى النقل).

ولعل ما استوقفني في هذه الرحلة هو الاحترام الذي يلقاه العلويون أينما اتجهوا حتى من الموظفين الأتراك والجند التركي المشهورين بجلافة الطباع، ثم إصرار الموظفين الكبار على الصلاة خلف الحبيب شيخ وطلبهم منه قراءة المولد النبوي الذي استمعوا له جميعاً بمنتهى الحضور والسكينة.

كما أن الحبيب شيخ كبقية العلويين لا يفوت فرصة دون دعوة الناس إلى المحافظة على الصلاة وفروض الدين كما بينا فيما سبق. ويواصل الحبيب شيخ رحلته بالقطار من دمشق إلى بعلبك ثم إلى حمص، ثم استقل البابور البري القادم من حماة إلى بيروت ثم اللاذقية ثم إلى يافا بفلسطين، ثم إلى بيت المقدس، ثم عاد إلى بيروت ومنها ركب مركباً أمريكياً إلى الآستانة. وقد فصل تفاصيل أحداث الرحلة ووصفها وصفاً دقيقاً في جميع أجزائها لمن أراد الرجوع إليها، حيث إن هذه التفاصيل خارجة عن حاجة هذا الفصل[١].

وتتمثل أهمية سكة حديد الحجاز الحميدية في نقل الحجاج في رحلة السيد حسن بن عبد الله بن عبد الرحمن الكاف (١٢٩٧ - ١٣٤٧هـ) للحج [٢] فقد تحرك من تريم في أربع من شهر شوال سنة ١٣٣٠هـ (١٩١٢م) متوجهاً إلى المكلا، وتصادف وصول البابور الخاص بوكيل حاكم عدن فتوسط لهم الحبيب حسين بن حامد المحضار، فحملهم هذا البابور هم ومجموعة من الحجاج إلى عدن.

ثم ركب في الخامس والعشرين من شوال البابور النمساوي المتجه إلى السويس،

---

(١) عبد الله بن محمد الحبشي، الرحالة اليمنيون، صفحة ٢٤٦-٢٧٤.

(٢) حسن بن عبدالله الكاف رحلة وديوان ٩٩-١٠١

ووجد فيه كثيراً من حجاج الهند والبصره فوصل السويس بنهاية شهر شوال. وبعد جولة في مصر ركب بابور الخديوي المتجه إلى حيفا مع مجموعة من الحجاج الذي وصلوا من حضرموت، منهم أحمد بن محمد بلفقيه ومنهم عوض بن حميد بامصري من سكان تريم. وتحرك بهم المركب عشية يوم الأحد لتسع في شهر القعدة فوصل إلى مرسى يافا ضحى يوم الاثنين ونزل من المركب بعض الركاب ثم مشى المركب حتى وصل حيفا مغرب ليلة الثلاثاء ١١ من ذي القعدة، فنزلوا بها مع جملة من الحجاج.

قال السيد حسن بن عبد الله الكاف: ولما أصبحنا سألنا عن سفر البابور البري إلى المدينة المنورة فقيل لنا يوم الأربعاء فأخذنا أوراق النول من أربع جنيهات إلا ربعاً وأقمنا بحيفا يوم الثلاثاء ونقلنا إليها متاعنا يوم الاربعاء، فلما كانت الساعة الثامنة من الليل تحرك القطار مقلاً للمسافرين إلى حبيب الزائرين ومنتهى آمال القاصدين وله في طي الوعور والسهول عدوُ الخيول بل جريِ السيول بل فوق ما تتخيل العقول. فأول محطة حط فيها تل الشمام ثم عفونة ثم شطة ثم بيسان ثم جسر المجامع ثم سمخ ثم الحجة ثم زيزون ثم تل شهاب ثم مزيريب ثم درعا وهي بلدة واسعة، ويستقر فيها البابور ريثما يأخذ المسافر زاده وماءه ويقضي حاجته.

ثم يواصل السيد حسن بن عبد الله الكاف وصف رحلته بالقطار فيقول: وبعد التقاء خط حيفا الفرعي بالخط الرئيسي المتجه إلى المدينه المنورة ذهبت بنا العربات صاعدة منحدرة تخترق مسالك منقورة في جبال شاهقة ومنها ما تجوزه مشياً في ثلاث دقائق باعتبار سيرها، وذلك دليل على حذاقة مهندسها ونفوذ همته. ومررنا أثناء سيرنا على أنهار غزيرة ينبع بعضها من أعالي الجبال ممدودة عليها جسور من الحجارة والحديد في المواضع التي يكون عليها مرور السكة الحديد، ومن المحطات الكبرى أيضاً معان وهي بلد عامر بالسكان.

ثم قال: وفي ليلة الجمعه ١٤ من شهر القعدة قرأنا المولد النبوي فداخلت الأرواح نشوة الأفراح، ولما سمع بالتلاوة بعض الجنود الأتراك المنقولين إلى معركة الحرب البلغارية

جاءوا إلينا لسماع الأوصاف النبوية، فظهرت عليهم آثار الوجدان لسماع تلك الشمائل الحسان، وحين انتهت قراءة المولد شرع شاب منهم في التذكير بالصلاة على البشير النذير ﷺ بنغم حسن يثير الشجن فأشرنا إليهم أن يسمعونا آيات من كتاب الله تعالى، فشرع أحدهم في تلاوة عمّ يتساءلون وحبرها تحبيرا يسلي المحزون، فسبحان من خبأ سره في عباده وعلى وجوههم آثار الشجاعة والحماسة وهم ذاهبون إلى المدينة الشريفة، ومنها إلى الآستانة العلية. ولما انتصف الليل وقفت بنا السكة في تبوك.

واستمر السيد حسن بن عبد الله الكاف في وصفه فقال: وحين أصبحنا يوم الجمعة أمرنا بالنزول إلى محل الكورنتينة، فسلمنا الأمر لله تعالى. وبعد تبخير الثياب وتسليم اللوازم أدخلنا إلى فضاء متسع مضروب عليه من الأسلاك الحديدية المشبكة، وفيه خيام منصوبة معدة للحجاج وحواليها مضخات الماء وهي الآلة المسماة بالبور، ويؤتى بكل ما يحتاجون إليه من طعام وإدام وحطب وأقمنا بها ثلاثة أيام على بسط تام. ولما كان يوم الاثنين ١٧ من شهر القعدة أذن لنا في الخروج من الكرنتينة فسافرنا.

ولم تزل القاطرة تجري بنا في شعاب وهضاب، وقد جزنا محطات كثيرة وأكبرها مدائن صالح وهي التي سماها الله بالحجر في كتابه العزيز، وهي بلدة كبيرة عامرة، وحواليها بالجانب الشمالي ديار ثمود وهي مد النظر، وبيوتهم منحوتة من الحجارة، وامتد وقوفنا بها إلى أن مضت ساعة ونصف الساعة، وما زال ذلك الفلك البري يجري بنا وقلوبنا مستبشره باقترابنا من الرحاب المقدسة الطاهرة.

ولما كانت الساعة العاشرة من يوم الثلاثاء لثماني عشر من شهر ذي القعدة لاحت من طيبة أعلامها ودنت ربوعها وخيامها (انتهى باختصار).

ولعل المتمعن لهذه الرحلات يدرك حرية الحركة في السفر للمواطنين العرب أيام الدولة العثمانية حيث كانوا يتنقلون كما رأينا بين حضرموت والحجاز ومصر والشام ويصلون الآستانه دون أن يطالبهم أحد بإبراز هوية أو إظهار جواز. ولعل العائق المتعب الوحيد

في هذه الرحلات هو الحجز الكرنتيني والذي يستمر لعدة أيام. كما نلاحظ أيضاً تأثير العلويين على الناس حتى ولو كانوا جنوداً أتراكاً أو بلغاراً، واحترامهم لهم وتقربهم منهم واستحسانهم لموالدهم التي ينشدونها وصلواتهم وعبادتهم. وسنرى ذلك يتكرر في عدة مواقع في مختلف البلاد العربية والأعجمية.

ومن الملاحظ أن الحجاج الحضارم كانوا يذهبون إلى مصر ثم فلسطين للوصول إلى المدينة عبر سكة حديد الحجاز.

نهاية سكة حديد الحجاز الحميدية



المؤلف مع بعض بقايا من سكة حديد الحجاز في محطة المدينة المنورة

ذكر الدكتور السيد محمد الدقن في دراسته سكة حديد الحجاز الحميدية أن بريطانيا كانت تتوجس من مشروع السكة الحديد، وكانت تراقب خطوات إنشائه بشيء من الحذر والريبة. ولما قامت الحرب العالمية الأولى في سنة ١٩١٤هـ ودخلتها تركيا إلى جانب الألمان أقنع الإنجليز الشريف حسين بالخروج عن طاعة الأتراك وإعلان الثورة عليهم، ووعدوه

بإمبراطورية عربية كبرى يكون هو ملكها فأعلن ثورته على الأتراك في سنة ١٩١٦ وحاصر قواتهم بمكة والطائف.

ثم تحرك الضابط الانجليزي لورنس بجيش الشريف لضرب الأتراك المدافعين عن فلسطين من الخلف بعد أن فشلت الحملات المتكررة التي قادها الجنرال الإنجليزي اللنبي في زحزحة الأتراك عن مراكزهم بلفسطين رغم الأعداد الكبيرة لحملات اللنبي في القاهرة.

وقال الأستاذ محمد الدقن: ولقد كانت من الأولويات التي قام بها لورنس تدمير الخط في المنطقة الواقعة بين معان والمدينة المنورة فنسفت الجسور وانتزعت القضبان ودمرت الورش والمستودعات والمحطات في عدة أجزاء من الخط في تلك المنطقة، مسوغاً عمله بمنع الجيش العثماني من استخدام الخط للقضاء على الثورة العربية في مهدها[١]. (انتهى).

ويصف أنتوني ناتنغ في كتابه لورنس لغز الجزيرة العربية نشاطات لورنس في هذا المجال فيقول[٢]: «وكان لورنس يختار بعض الرجال ويتسلل معهم أثناء الليل إلى ما وراء خطوط الأتراك لتنفيذ بعض أعمال النسف والتدمير ثم يعودون سالمين إلى مخيماتهم. والواقع أن لورنس استطاع أن ينسف قطاراً بالقرب من عمان وأن ينسف جسراً بالقرب من درعا». انتهى النقل.

ثم قال ناتنغ: إن لورانس سار على رأس إحدى الوحدات إلى قلب الصحراء حيث قام بنسف عدة أميال من الخطوط الحديدية القريبة من المدينة المنورة.

ويصف عملية أخرى من عمليات لورنس تمكن فيها من نسف أربعة أميال من خط السكة الحديد بالإضافة إلى ثلاثة جسور وبعض بنايات المحطة في الحسا التي تبعد مسافة ستين ميلاً عن معان ومحطة أخرى تقع إلى الشمال من الحسا[٣].

---

(١) السيد محمد الدقن، سكة حديد الحجاز الحميدية، صفحة ٢٦٩.

(٢) أنتونى ناتنغ ولويل ثوماس، لورنس لغز الجزيرة العربية، مكتبة المعارف، بيروت، صفحة ١٢٧.

(٣) أنتوني ناتنغ ولويل ثوماس، لورنس لغز الجزيرة العربية، مكتبة المعارف، بيروت، صفحة ٢١٧.

وفي موقع آخر من الكتاب ذكر نفس الكاتب[١]: «قام لورنس بوضع حقيبة من الجلنجايت تحت قضبان السكة الحديدية بمساعدة زملائه من العرب وأخذوا ينتظرون مقدم القطار، ولكن لسوء الحظ عندما ضغط الأزرار لم ينفجر اللغم، ومر القطار بسلام، وكان ذلك القطار مليئا بالقوات التركية الذاهبة لدعم الجبهة في فلسطين». ثم يكمل الكاتب وصف ما حصل فيقول[٢]: «جلس لورنس ينتظر قدوم القطار التالي، ومن حسن الحظ أن القطار التالي كان هدفاً ممتازاً تجره قاطرتان ويقل عدداً من الجنود بينهم جمال باشا نفسه الذي كان مسرعاً للوصول إلى القدس للدفاع عنها في وجه تقدم اللنبي. ولما ضغط على الزر وقع انفجار هائل فتحطمت القاطرة الأولى». انتهى النقل.

و يبدو أن الشريف حسين لم يكن يرغب في تدمير سكة حديد الحجاز حيث ورد في هذا الكتاب أيضاً[٣]: «وذكر الأمير عبد الله أن والده (الشريف حسين) كان قد أوعز للإنجليز بألا يتعرضوا لقطع خط سكة حديد الحجاز، وذلك للإبقاء عليه صالحاً للاستعمال حين يفكر بالزحف على مدينة دمشق». انتهى.

وبهذا أسدل الستار على هذا المشروع الإسلامي العظيم الذي لم يعش طويلاً رغم ما بذل فيه من جهد عظيم وما أنفق عليه من أموال وفيرة لم يعش أكثر من ثماني سنوات (١٩٠٨ - ١٩١٦هـ)، وانتهى هذا الحلم الإسلامي الكبير في غمضة عين.

* * *

---

(١) أنتوني ناتنغ ولويل ثوماس، لورنس لغز الجزيرة العربية، صفحة ١٨٣.

(٢) أنتوني ناتنغ ولويل ثوماس، لورنس لغز الجزيرة العربية، صفحة ١٨٣.

(٣) أنتوني ناتنغ ولويل ثوماس، لورنس لغز الجزيرة العربية، صفحة ٥٧.

الفصل الثاني والتسعون

العرب والترك



إن ما يذكره العرب من تاريخ الدولة العثمانية هو أن الأتراك هم السبب في تخلف الدول العربية، وكأنما أدى زوال الحكم العثماني إلى وصول العرب إلى مصاف الدول الأوروبية.

ولا يذكر أحد من العرب أن الأتراك قد حافظوا على بلاد المسلمين لأربعمائة سنة متوالية، وكانت حروبهم المتواصلة وسيلة ردع قوية لكل القوى التي حاولت الاقتراب من حدود الدولة الإسلامية العثمانية، وأنهم لم يفرطوا في شبر واحد من بلاد المسلمين، ولهذا لما أذن الله بغروب شمس الدولة العثمانية حلت بالمسلمين وبالعرب على وجه الخصوص صنوف من الكوارث وضروب من المآسي، واحتل بلادهم الأجانب، وضاعت عليهم فلسطين. ولا زال العرب يعانون آثار زوال الدولة العثمانية إلى يومنا هذا.

لقد محت الدعاية الأوروبية كل حسنات العثمانيين بل الصقوا بهم كل الأعمال المشينة ولم يذكروا لهم حتى المشروع العظيم الذي مدّ خط الحديد عبر الصحاري العربية ليربط الأناضول والشام وفلسطين بخط حديدي يصل إلى المدينة المنورة وكان الأتراك يعتزمون توصيل الخط إلى مكة المكرمة لولا أن اعترَض رغبتهم شريف مكة خوفا على نفوذه من الزوال.

وبينما نجد كل أنواع الدعاية المضادة للسلطان عبدالحميد إلا أن أحد لم ينتقد الإمبراطور الروسي بطرس الأكبر والذي كان دكتاتورا ونجح في نفس الفترة في بناء دولة روسيا القوية وأجرى الإصلاحات الضرورية بطريقه إجبارية دون قبول أي معارضة أو مشاركه في السلطة[١].

بل ولقد كانت الحقائق تقلب، وأظهرت الدعايات العربية الاحتلال الفرنسي لمصر

---

(١) وجدا سندسنى الثورة الفرنسية والحملة الفرنسية على مصر وجهة نظر المؤرخ العثماني أحمد جودت باشا مكتبة مدبولي صفحة ٢٣.

وكأنما هو عمل تنويري عظيم أحدث نقلة تطويرية في مصر وغيرها من بلاد العرب بينما بقيت فظائع هذا الاحتلال في بطون كتب التاريخ القديمة، لا يتعرض لذكرها أحد وحتى المطبعة التي استقدمها نابليون لطباعة منشوراته الدعائية التي يهدد فيها الأهالي ويستميلهم إلى صفوفه اعتبرت من أعظم الأعمال التنويرية، رغم أن الفرنسيين لم يتركوها للمصريين بل اخذوا مطبعتهم معهم عند مغادرتهم مصر بل أن التظاهرة العلمية التي رافقت الحملة كما يقول المؤرخ التركي أحمد جودت باشا كان هدفها إظهار، سيادة وعظمة العلوم الفرنسية للمصريين، ووسيلة أخرى للتأثير على الشعب وقمعه لكي يعتقد العالم بحملة حقيقية للتنوير السلمي الإنساني[1].

أن نهضة مصر الحقيقية هي التي بدأها محمد علي باشا والذي ذكر المؤرخ التركي أحمد جودت باشا بعض إصلاحاته فقد بنى مدرسة للمهندسين لتعليم العلوم الدقيقة كما أنشأ مسبكا للمدافع واهتم بتطوير الزراعة والصناعة وبنا عددا من السفن الصغيرة والكبيرة لتحمل منتجات مصر التي باعها لأوروبا وكسب مكاسب كبيرة، وضاعف السفن التجارية في البحر الأحمر لزيادة التجارة مع الهند وأعاد بناء حصن الإسكندرية وبنا السد الكبير[2].
غير أن إصلاحات محمد علي رغم شموليتها وتحويلها مصر إلى قوة اقتصاديه وعسكريه عظيمه انتهت عندما دخلت مصر تحت الاحتلال الإنجليزي.

وذكر العلامة والمؤرخ التركي أحمد جودت باشا العلاقة بين فرنسا والدولة العثمانية فقال: إنه بعد قيام الثورة الفرنسية وقفت جميع الدول الأوروبية ضد فرنسا إلا أن الدولة العثمانية التي كانت لها علاقة صداقة مع فرنسا ممتدة لقرون لم تشارك في هذا العداء ولولا

---

(١) وجدا سندسنى الثورة الفرنسية والحملة الفرنسية على مصر وجهة نظر المؤرخ العثماني أحمد جودت باشا مكتبة مدبولي صفحة ١٢٠.

(٢) وجدا سندسنى الثورة الفرنسية والحملة الفرنسية على مصر وجهة نظر المؤرخ العثماني أحمد جودت باشا مكتبة مدبولي صفحة ١٢٠.

وقوف العثمانيين معها لما استطاعت الجمهورية الفرنسية مقاومة حصار بحري وقاري كامل وعوضا عن الشكر قام الفرنسيون فجأة بغزو أحسن أقاليم الإمبراطورية العثمانية ألا وهي مصر (انتهى) [١].

ويعتقد المؤرخ التركي أحمد بهجت الذي عاصر الثورة الفرنسية ان نهضة أوروبا بدأت بعد احتكاك الأوروبيين بالعالم الإسلامي أثناء الحروب الصليبية فقد انفتحت عيونهم على مستوى الحرية والعلوم بالبلاد الإسلامية حيث انه منذ ألازمنه السحيقة كان النبلاء ورجال الكهنوت يملكون في فرنسا الغنى والثروة وثلثي الأراضي بينما كان بقية الشعب يعيش في عبودية تامة وخاضعا لكل أنواع الضرائب الباهظة [٢].

ويقول المؤرخ التركي إن التسامح الديني غير موجود في البلاد المسيحية فالملك لويس الرابع عشر الذي شجع العلوم والفنون وأصبحت فرنسا أثناء ملكه نموذجا لكل أوروبا ذبح البروتستانت ودفعهم للهجرة[٣].

قال الأستاذ إبراهيم حليم[٤] إن التقهقر في الدولة الإسلامية لم يحصل إلا بعد تفرقهم وانحرافهم عن الشرع الشريف فسلط الله عليهم الأمة التترية من الشرق والإفرنجية من الغرب فاستولت الأولى على ثلثي ممالك الإسلام تقريبا واستولت الثانية على معظم بلاد الشام وهددت مصر مرارا، فكانت وطأة الأولى هائلة وفظيعة فوق ما يتصور، ولكن الله منّ على الأمة الإسلامية بعد تأديبها بإسلام التتر فعادت القوة لها كما كانت بل أكثر.

---

(١) وجدا سندسنى الثورة الفرنسية والحملة الفرنسية على مصر وجهة نظر المؤرخ العثماني أحمد جودت باشا مكتبة مدبولي صفحة ٤١-٤٢.

(٢) وجدا سندسنى الثورة الفرنسية والحملة الفرنسية على مصر وجهة نظر المؤرخ العثماني أحمد جودت باشا مكتبة مدبولي صفحة ٤٨.

(٣) وجدا سندسنى الثورة الفرنسية والحملة الفرنسية على مصر وجهة نظر المؤرخ العثماني أحمد جودت باشا مكتبة مدبولي صفحة ١٥٠-١٥١.

(٤) ابراهيم بك حليم تاريخ الدوله العثمانيه العليه مؤسسة الكتب الثقافيه صفحة ٢٢.

وأما الثانية فبعد الحروب العديدة المتقطعة بينها وبين المسلمين المعروفة بالحروب الصليبية نحو قرن ذهبت مغلوبة من حيث أتت. وبعد انقراض الدولة العباسية في منتصف القرن السابع قطعت آمال المسلمين من رجوع القوة الإسلامية، ولو بأقل مما كانت عليه قبلاً، ولكن لم يمض على ذلك قرن حتى منّ الله تعالى برجوع القوة وزيادة، فظهرت الدولة العثمانية بقوة عظيمة وبهجة عجيبة (انتهى).

وقال السيد إبراهيم بك حليم في تاريخ الدولة العلية[١]: وهذه بلاد اليمن والحجاز وطرابلس الغرب التي هي من عنصر الإسلام مدينة للدولة العلية بالحقوق كحق الوالد على ولده، حيث إنها تصرف مبالغ جسيمة سنوياً على حفظ هذه البلاد، مع أن إيراداتها ربما لا تبلغ ربع المصاريف، وأهلها معافون من الخدمة العسكرية حتى لحفظ بلادهم ما عدا أهالي طرابلس الغرب، فإن مولانا السلطان حفظه الله علّمهم فنّ الحرب بكل عناية وذلك للمساعدة على حفظ بلادهم من الاعتداءات الخارجية عليها لبعدها عن سائر بلاد الدولة ولقربها من بلاد الغرب، مع أنهم في أول الأمر عصوا الدولة عند طلبها تعليمهم فنون الحرب. فأهل هذه البلاد يكثرون العصيان للدولة ويسمعون ويصدقون دسائس الأجانب وأكثرهم يبغضون الدولة أكثر مما يبغضون أعداءهم الأجانب الساعين لابتلاع بلادهم (انتهى). وقد تحقق ما تفرسه الكاتب، ففي سنة ١٩١١م أغارت إيطاليا معتدية على طرابلس الغرب التابعة للدولة العثمانية، وذكر الأمير شكيب أرسلان من الفظائع التي أحدثها الطليان بطرابلس الغرب ما تشيب منه الولدان[٢].

قال الأمير شكيب أرسلان[٣]: إن السلطان عبد الحميد كان في الواقع داهية من أعاظم دهاة العصر الحديث وسياسياً في منتهى الحصافة. ثم قال: وكان ارتقاؤه العرش في

---

(١) إبراهيم بك حليم، تاريخ الدولة العثمانية العلية، مؤسسة الكتب الثقافية، صفحة ١٠.

(٢) الأمير شكيب أرسلان، حاضر العالم الإسلامي، المجلد الأول، الجزء الثاني، ٦٦-٨٣.

(٣) الأمير شكيب أرسلان، حاضر العالم الإسلامي، دار الفكر العربي، صفحة ٣٠٨-٣٠٩.

سنة ١٨٧٦م في آن شديد عصيب، فقد كانت الدولة على أبواب الحرب العثمانية الروسية، وكانت الحكومة في أيدي عصبة من الساسة يسعون سعي المصلحين في تجديدها على الطراز الحديث والنهج بها على المناهج السياسية الدستورية الغربية، فلما أخذ عبد الحميد بزمام الأمور نقض جميع ذلك نقضاً واهتبل سانحة تضعضع الدولة عند خروجها من الحرب الروسية فألغى مجلس النواب وجعل نفسه السلطان المطلق. ولما استوثق له الأمر شرع يقوم بسياسته الخاصة التي نحا بها منحى الجامعة الإسلامية، وأخذ يستصرخ الأمم الإسلامية في كل رقعه من رقاع العالم الإسلامي لتمدّ يد العون إليه وتشد أزره بالالتفاف حوله قاصداً بذلك قذف الرعب في روع الدول الغربية التي كانت تتآمر للانقضاض على المملكة العثمانية (انتهى بتلخيص).

واستطاع عبد الحميد أن ينشر الدعوة في سبيل الجامعة الإسلامية الكبرى في أوسع آفاقها ويحيي الشعور بالوحدة العامة والتضامن في جميع الأمم الإسلامية إحياءً نشيطاً، فلما حدثت ثورة تركيا الفتاة سنة ١٩٠٨ تبدلت الحال تبدلاً كبيراً.

لقد استوعب السلطان عبد الحميد أضرار نمو القومية، وهو شعور اكتسح أوروبا في القرن التاسع عشر، وهو الاعتقاد بأن الولاء لأمة بعينها ولأهدافها السياسية والاقتصادية يسبق أي ولاء آخر. وقد أدى الشعور القومي الذي تقوى في أوروبا خلال سنوات القرن التاسع عشر بين أفراد الشعب الذين يشتركون في لغة واحدة وتاريخ أو ثقافة واحدة أدى إلى قيام دولتين جديدتين تأسستا على مبادئ القومية، وهما إيطاليا وألمانيا، إذ تأسستا من تجمع عدة دول صغيرة، كما كان الشعور القومي من الأسباب التي أدت إلى الحرب العالمية الأولى[١].

لهذا حاول السلطان عبد الحميد بفكرة الجامعة الإسلامية أن يعيد القوة للدولة العثمانية من جديد، لكن الدول المعادية تنبهت لأهداف السلطان وشجعت النزعات القومية العربية والطورانيه لأجل تفكيك الدولة العثمانية تمهيدًا للقضاء عليها.

---

(١) الموسوعة العربية العالمية، المجلد التاسع، صفحة ١٩٧.

ويؤيد إبراهيم بك حليم سياسة السلطان عبد الحميد بحل البرلمان فيقول[١]: وبما أن مثل الدولة العلية ذات شريعة سماوية السائرة في أحكامها بمقتضى الفتاوى الشرعية لا تحتاج إلى قوانين وضعية مخالفة للشرع ولا إلى تشكيل مجلس يكون خصماً لها كبرلمانات أوروبا، حيث إن الشريعة السماوية كافية لكل ما يحتاجه الإنسان إلى يوم القيامة وغاية ما تحتاج إليه الدولة هو تنفيذ الشرع الشريف والقوانين المسنونة منه ليس إلا.

ثم قال: ولقد تشكل هذا المجلس في أوائل جلوس مولانا السلطان بأمر جلالته وكانت نتيجة مداولات أعضائه مهيئة للحرب الروسية الأخيرة التي أضرت بالدولة.

والحاصل أن وصف أعداء الدولة لها بأنها استبدادية ما هو إلا من ضمن التعصبات الحاصلة، يريدون بذلك الشرّ لها لمآرب في النفوس. (انتهى النقل).

وصدر في الولايات المتحدة في سنة ٢٠٠٨ كتاب جديد لأستاذ القانون بجامعة هارفارد نوا فيلدمان قال فيه: إن الصعود الشعبي للشريعة الإسلامية مرة أخرى في العصر الحالي رغم سقوطها سابقاً يمكن أن يؤدي إلى خلافة إسلامية ناجحة، لكن بشروط. وقال: إن الإمبراطورية العثمانية بدأت تتهاوى حينما دخل الإصلاحيون ومرروا إصلاحات داخلية تحت ضغوط الغربيين من أصحاب الديون وكان من نتيجة هذه التغييرات تغيير النظام القضائي الإسلامي، واستبدال العلماء والقضاة بقوانين وضعية ما أدى إلى سقوط الخلافة العثمانية وتقسيم أملاكها بين القوى الغربية بقيادة فرنسا وبريطانيا[٢].

ثم قال: ومع ذلك فللدولة مجلس شورى مشكّل من أعظم رجالها لإعطاء أفكاره بالحرية التامة، حيث يعرض بعد ذلك قرارهم على مجلس الوزراء، ثم على جلالة السلطان، ومجلس آخر يعقده السلطان عند اللزوم يتكون من مشيري الدولة والصدور العظام السابقين.

---

(١) إبراهيم بك حليم، تاريخ الدولة العثمانية العلية، مؤسسة الكتب الثقافية، صفحة ٢٢-٢٣.

(٢) ملحق الرسالة لجريدة المدينة بجدة، الجمعة ٤ أبريل ٢٠٠٨، صفحة ٨.

ولا شكَّ أن هذه المجالس هي عبارة عن الشورى الشرعية الواردة في القرآن. (انتهى باختصار بسيط).

ويتفق الزعيم الألماني أدولف هتلر مع السلطان عبد الحميد في رأيه عن البرلمان، فنراه كتب في كتابه كفاحي ما يلي: «فالبرلمان يتخذ قراراً ما ومهما يترتب على قراره من نتائج سيئة فإنك لا تجد من يتحمل مسؤولية هذا القرار، ولا يمكنك بالتالي أن تحاسب أحداً عليه». ثم قال بعد ذلك: «وأي معنى يبقى للمسؤلية إذا لم يتحملها شخص معين»(١).

وقال هتلر أيضاً: «عندما يقدم المبدأ البرلماني سلطة الأكثرية على سلطة الفرد ويستعيض عن الرئيس بالعدد فإنه يتنكر للمبدأ الأرستقراطي الطبيعي الذي يكل الأمور إلى النخبة»(٢).

وقال: «ويكفي للحكم بفساد النظام البرلماني أن تقع العين مرة واحدة على أحد لصوص السياسة وهو يستجدي بقلق وقبل أن يتخذ قراره موافقة الأكثرية على هذا القرار مؤمناً بذلك العدد اللازم من الشركاء، حتى إذا قام من يناقشه الحساب تنصّل من كل مسؤولية»(٣).

وعن الديمقراطية الغربية تكلم العبقري الماليزي مهاتير محمد في القمة الثامنة لمنظمة المؤتمر الإسلامي سنة ١٩٩٧م فقال(٤): على الرغم من جميع الادعاءات والمزاعم التى تسوقها الدول الغربية من أن الديمقراطية على النمط الغربي هي الديمقراطية الصحيحة فان الحقيقة هي أن الديمقراطية أو النظام الديمقراطي قد فشل حتى الآن في إثبات جدواه وفاعليته سواء بالنسبة للدول الغربية أو حتى بالنسبة لأي دوله في أي مكان في العالم.

---

(١) أدولف هتلر، كفاحي، بيسان، صفحة ٣٣.

(٢) أدولف هتلر، كفاحي، بيسان، صفحة ٣٤.

(٣) أدولف هتلر، كفاحي، بيسان، صفحة ٣٥.

(٤) محاضير محمد الإسلام والأمة الإسلامية خطب وكلمات مختارة دار الفكر بيروت، صفحة ١٥٨ -١٥٩.

ففي كثير من الحالات يتم بموجب هذا النظام اختيار أشخاص غير ملائمين أو غير صالحين لتولي مسؤولية الحكم وفي هذه الحالة نجد مثل هؤلاء الأشخاص يهتمون بمصالح الخاصة على حساب مصالح الشعب الأمر الذي يؤدي بدوره إلى تفشي الفساد وانهيار القيم الأخلاقية ولكي يتمكن هؤلاء الناس من صرف الأنظار عن المشاكل التي تواجهها بلدانهم نجدهم يركزون على سلبيات وعيوب الحكومات والدول الأخرى ولذلك نجد هذه الدول تتهمنا نحن في الدول الإسلامية على وجه الخصوص بأننا ننتهك حقوق الإنسان ونمارس العنف والإرهاب ونفتقر إلى الكفاءة الإدارية اللازمة لتدبير أمور شعوبنا بل تصل الاتهامات في بعض الأحيان إلى حد الزعم بأننا نقوم بتدمير البيئة وبواسطة المنظمات غير الحكومية نجدهم يتدخلون بفاعلية في شؤوننا الداخلية وتحريض شعوبنا على استخدام العنف ضد حكوماتهم بل وضد بعضها بعضا كما تقوم هذه الدول أيضا بتوفير المأوى والأمان للإرهابيين الذين يقومون بأنشطة تخريبية في بلادنا (انتهى النقل).

وتقول الكاتبة ماري ولسن[١]: «إن اسطنبول عبد الحميد كانت تنعم بفترة من النهضة السياسية والثقافية، فبفضل السنوات الخمسين السابقة من الإصلاحات العثمانية جنباً إلى جنب مع أشكال التقدم التقني في الاتصالات، كانت العاصمة في وضع غير مسبوق النظير من السيادة السياسية ربما منذ أيام سليمان القانوني. فقد تكاثرت المطابع وزادت أعداد الجرائد والدوريات والكتب فضلاً عن اتساع دائرة تداولها، رغم خضوعها للرقابة. وزادت المدارس المهنية التي تأسست في منتصف القرن أو قبل ذلك وفقًا للنماذج الأوروبية مثل مدرسة الهندسة ومدرسة الطب والمدرسة السلطانية للعلوم العسكرية والمدرسة الملكية للإدارة، جرى توسيعها، فدار الفنون ما لبثت أن أصبحت جامعة اسطنبول فيما بعد فتحت أبوابها في عام ١٩٠٠م.

---

(١) ماري ولسن، عبد الله وشرق الأردن، ترجمة فضل الجراح، صفحة ٣٣-٣٤.

وجاء عدد كبير من طلاب هذه المدارس من الأقاليم العربية بحثاً عن الوظائف والمناصب في الجهاز البيروقراطي المتخصص والمركز حديثاً. فالشهادة الصادرة من اسطنبول كانت قد أصبحت جواز المرور الأكثر ضماناً إلى المناصب العليا سواء في العاصمة نفسها أم في الأقاليم المختلفة التي هي أوطان أولئك الطلاب (انتهى).

وكان العثمانيون شديدو الاحترام لبلاد الحرمين وأهلها، وقد ذكر المغربي في أعلام الحجاز طائفة من أخبار الولاة العثمانيين في الحجاز فتندهش مما كانوا عليه من الصلاح والتقوى وحب الخير، كما كان لهم كثير من الأعمال العظيمة.

وذكر المغربي في تاريخ الحجاز بعض أخبار هؤلاء الولاة فقال: إن أول والٍ عثماني لجدة، وقد تولى سنة ١٢٥٧هـ وهو عثمان باشا القرملي، وذكر المساجد والقلاع التي عمرها وعمر سور جده[١].

أما الوالي محمد شريف باشا فتولى سنة ١٢٦١هـ، وكان رجلاً صالحاً خيراً يحب الفقراء والعلماء ويواسيهم ويتآلف الناس، وكلما دخل إلى المسجد الحرام أو ركب إلى عرفات يعطي الناس ما في جيبه من النقود، فيجتمع عليه الفقراء حتى يرفع جبته ليقول لهم: لم يعد معي إلا الجبة ولو شئتم خذوها[٢].

أما الوالي حسيب باشا الذي تولى سنة ١٢٦٤هـ فقد رتب خلاوي لفقراء الحرم ورتب لهم العيش والشوربة وعمل خستخانه للمرضى الفقراء والمنقطعين وأخرج مكاتب الصبيان من الحرم الشريف وفرقهم بالزوايا، ورتب لكل فقيه مائة قرش. وبالإضافة لأعماله الإصلاحية فإنه ربما كان يعس بنفسه ليلاً ويدور بمكة بزي أحد العساكر ويختفي بالقهاوي ويتفقد المحتاجين بالبيوت[٣].

---

(١) محمد علي مغربي، أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر، الجزء الثالث، صفحة ٨٣.
(٢) محمد علي مغربي، أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر، الجزء الثالث، صفحة ٨٤.
(٣) محمد علي مغربي، أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر، الجزء الثالث، صفحة ٨٥-٨٦.

أما الوالي علي باشا الكهتيلي الذي تولى الولاية سنة ١٢٧٦ فقد بلغ من اعتنائه بالوضوء أن يستخدم فيه خمسة أباريق، ويظن أنه لم يحسن وضوءه. وخلفه على الولاية في سنة ١٢٨١هـ محمد وجيهي باشا، فكان صاحب لطافة وحمدت سيرته في الناس، وكان كثير الطواف، وقد عمر القلاع وأصلح الآثار وأتقن الأبراج[١].

أما الوالي محمد معمر باشا فقد كان بمصر ووصل جدة سنة ١٢٨٤هـ وبدأ بزيارة المسجد النبوي الشريف، ثم لما رجع إلى مكة دخلها متواضعاً صاحب عبادة وتواضع وانكسار، وإذا طاف بالبيت طاف منفرداً كأحد العامة، وربما أراد استلام الحجر فلا يعرفه الحجاج فيدفعه هذا ويلكزه آخر حتى يقبل الحجر بتواضع كأحد الناس، ويقبل معاريض الناس بنفسه. كثير العبادة محب للعلماء. ولما أرادت الدولة العلية أمراً وجد فيه هذا الوالي مشقة على الناس طلب الاستعفاء من الولاية فوجهته الدولة والياً على أنقرة[٢].

إلا أن هذا لا يمنع أن يكون بعض الولاة حديدي الطبع مثل الوالي قاسم باشا الذي قال الحضراوي عنه إنه بدأ ولايته بحبس محتسب السوق ومحاسبة كلّ من أخذ شيئاً منه من الرشوة. وقال الحضراوي: إن تصرفات هذا الوالي كانت كلها حميدة إلا حدّته فقد يتكلم ببعض الكلمات القبيحة أو يضرب بيده، إلا أن ولايته لم تستمر إلا سنة واحدة وعُزل بعدها سنة ١٢٨٩هـ[٣].

ونقل المغربي في كتابه أنه في سنة ١٢٩١هـ أسندت ولاية الحجاز إلى محمد رشيد باشا الذي تولى قبل ذلك الصدارة العظمى (رئاسة الوزارة) بالدولة العثمانية فدخل مكة محرماً ناسكاً طائعاً، ولما شاوره خواصه في الدخول لمكة بموكب رسمي قال: لا موكب بعد الصدارة العظمى ولا ينبغي في مهبط الوحي ومتنزل القرآن غير التواضع، وترك العجب.

---

(١) محمد علي مغربي، أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر، الجزء الثالث، صفحة ٩٠.

(٢) محمد علي مغربي، أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر، الجزء الثالث، صفحة ٩١-٩٢.

(٣) محمد علي مغربي، أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر، الجزء الثالث، صفحة ٩٧-٩٨.

وهو داغستاني الأصل على معرفة بالفقه، يحب العلماء والفقهاء ومجالس العلم، عربي اللفظ، عليه سكينة ووقار، وله صدقات وخيرات كثيرة، وكرمه يضرب به المثل إلا أنه توفي بعد شهر وبضعة أيام من توليه[١].

ومع قصر فترة ولايته إلا أنها كانت حافلة بالإصلاحات في مكة والطائف، فقد أصلح عين زبيدة وعمّرها وعمّر مسجد ابن عباس بالطائف وقضى حوائج السائلين وأوصى بجنيهات من ماله تفرق على أهل مكة المشرفة ففرقت، وأمر بشراء مدرسة كتبخانه (مكتبه) في مكة بجوار المسجد الحرام، وضع فيها الكتب النفيسة وعين لها المباشرين[٢].

ويقوم الولاة الأتراك بحماية الرعايا من بطش الشريف وأعوانه وظلمهم فكان الأهالي يسيرون للولاة الأتراك في بعض الليالي مستجيرين من الشريف فيحميهم الباشا بعزمه وحزمه ويسكن روعهم بملاطفته لهم.

وأرسل الوالي عثمان نوري باشا الذي تولى سنة **١٢٩٩**هـ يهدد الشريف إن لم يرجع عن البطش بهؤلاء الضعفاء وإلا أجريت عساكري ومدافعي محاماة عن رعية مولانا السلطان[٣]. وقد أتبع نورى باشا قوله بالعمل، فجهز حملة عسكرية حاصرت قلعة الشريف عبد المطلب وألقت القبض عليه ليلاً وولت مكانه الشريف عبد الله باشا، فسكنت البلاد وقرت الناس[٤].

كما أجرى عثمان نوري باشا إصلاحات كبيرة بالمسجد الحرام وعين زبيدة، وبنى في سنة **١٣٠٢** سراية الحميدية لتكون مقراً للدوائر الحكومية[٥]. إلا أن أعظم أعماله التي ذكرها

---

(١) محمد علي مغربي، أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر، الجزء الثالث، صفحة ١٠٠-١٠١

(٢) محمد علي مغربي، أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر، الجزء الثالث، صفحة ١٠١-١٠٢.

(٣) محمد علي مغربي، أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر، الجزء الثالث، صفحة ١١١.

(٤) محمد علي مغربي، أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر، الجزء الثالث، صفحة ١١٢.

(٥) محمد علي مغربي، أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر، الجزء الثالث، صفحة ١٢٩.

الحضراوي بناؤه دارًا للطباعة، وهو أول من شغل الطبع بمكة وأجرى التلغراف من جدة إلى مكة والطائف، وعمل داراً للتلغراف، كما بنى مستشفى بمنى وبازاناً للماء بخيف منى وعمّر قلعة أجياد.

وهنا نتوقف قليلاً عند هذه الإصلاحات التي تمت في فترة قصيرة وفي فترة كانت الدولة العثمانية منشغلة بحروبها المتعددة في مختلف البقاع، ونقارن ذلك بإصلاحات الاستعمار البريطاني في البلاد العربية التي احتلها مثل: حضرموت مثلاً فنجد أن الفرق شاسع، بل لا مجال للمقارنة مع اختلاف الإمكانات. وقال محمد قربان نياز ملا في كتابه: والواقع أن السلطان عبد الحميد الذي دعا إلى الجامعة الإسلامية وعمل الكثير من الإصلاحات، وتولى الأمور في وقت عصيب من تاريخ الدولة العثمانية وأوقف تدهورها لمدة ثلاثين سنة، ولهذا أثار مخاوف دول أوروبا من عودة القوة العثمانية مجدداً، فبدأت دسائسها المباشرة والخفية.

وبالإضافة إلى استمالة الدول الأوروبية لبعض الأتراك بدعوى الإصلاح ومحاربة استبداد السلطان مثل الصدر الأعظم مدحت باشا وكذلك صهر السلطان عبد الحميد الذين وفرت لهم أوروبا بفرنسا وجنيف القاعدة لنشر نشاطهم المعادي للدولة العثمانية، بالاضافة إلى ذلك كانت مصر الواقعة تحت النفود البريطاني كانت القاعدة الرئيسية للهجوم على السلطان عبد الحميد، فقد أخذت الصحف التي يصدرها خريجو مدارس الإرساليات التبشيرية مثل المقطم والأهرام والهلال والمقتطف تهاجم السلطان عبد الحميد وتصفه بالسلطان الأحمر المستبد.

بل إن بعض الكتاب العرب مثل عبد الرحمن الكواكبي المولود بحلب بالشام وجد طريقه إلى مصر سنة ١٨٩٢، حيث شارك في الحملة على السلطان عبد الحميد وألف كتابه طبائع الاستبداد موجهاً ضد السلطان عبد الحميد، وحمل في كتابه الثاني حملة شعواء على الاتراك العثمانيين وعلى تاريخهم(١).

---

(١) محمد قربان نياز ملا، السلطان عبد الحميد، نشر وتوزيع مكتبة المنارة بمكة المكرمة، صفحة ١٦٨-١٦٩.

ومن هؤلاء الكتاب الشيخ محمد رشيد رضا صاحب جريدة المنار التي تصدر من مصر، فقد كان يدعو إلى إصلاح الدولة العثمانية ومحاربة ما سماه بالاستبداد الفردي، وكان محمد رشيد رضا يرى ضرورة وجود دولة عربية منفصلة عن دولة الخلافة العثمانية، ويقول: إنها مصلحة العرب السياسية أن يكون لهم دولة مستقلة، بل إنه امتدح جمعية تركيا الفتاة وطالب بدعمها، وكان يؤيد ويمتدح الزيدية في اليمن لأنهم قاتلوا العثمانيين ولم يخضعوا لهم، مما اضطر الدولة العثمانية إلى إقامة الصلح مع الزيدية وقبول حكم الإمام وإمامته.

وقد توافقت حملة الكواكبي ومحمد رشيد رضا وغيرهم من المفكرين العرب على السلطان عبد الحميد بحملة أخرى من باريس قادها عربي نصراني هو نجيب عزوري الذي تولى وظيفة نائب متصرف القدس، ثم انفصل عن وظيفته وطاف بلاد الشام داعياً إلى إنشاء حزب رابطة الوطن العربي، ثم فرّ إلى باريس، ثم غادرها إلى القاهرة التي مكث فيها إلى أن مات.

وقد أسس عزوري في باريس رابطة الوطن العربي لتحرير بلاد الشام والعراق وتكوين دولة علمانية يتولى حكمها أحد أفراد أسرة خديوي مصر، مع تكوين دولة عربية إسلامية مستقلة تكون عاصمتها مكة، وتحكمها أسرة عربية، ويلقب حاكمها بالخليفة ويباشر سلطة روحية على جميع المسلمين[١]. ويلاحظ أن عزوري يردد نفس الأفكار التي دغدغ بها الإنجليز خيال الشريف حسين والتي تمكنوا بواسطتها من هدم الخلافة الإسلامية.

ونشر الشيخ علي عبد الرازق كتاب الإسلام وأصول الحكم، وهو كتاب ضعيف في مادته لم يعمل شيئاً إلا أنه أكد ما يطالب به الإنجليز، فقد هاجم الخلافة الإسلامية قبل سقوطها، وإن الشريعة الإسلامية شريعة روحية محضة لا علاقة لها بالتطبيق وإن الجهاد لأجل الملك وليس لأجل الدين[٢].

---

(١) محمد قربان نياز ملا، السلطان عبد الحميد، صفحة ١٧١.

(٢) كامل سعفان، علي عبد الرزاق، الإسلام وأصول الحكم، صفحة ٣٣-٣٤.

وقد تتبع الشيخ محمد بخيت المطيعي مادة هذا الكتاب ورد عليه بكتاب «حقيقة الإسلام وأصول الحكم»، وقال في رده عليه أن هذا الكتاب المنسوب ظاهراً للشيخ على عبد الرازق إنما وضع أفكاره المستشرق اليهودي مرجليوث الذي اجتمع به الشيخ على عبد الرازق عند قضائه ثلاث سنوات بجامعة أوكسفورد فترجمه الشيخ علي عبد الرازق وأضاف إليه بعض الهوامش والفقرات والآيات والأشعار لتكون أقرب إلى تأليفه. وقد راجعه الدكتور طه حسين قبل طبعه وهو أيضاً أي الدكتور طه حسين ممن كاد للإسلام في كتابه الشعر الجاهلي. وكان مرجليوث أول من هاجم الخلافة العثمانية[١]. وقد شغلت صحافة ذلك العهد بكتاب الأستاذ علي عبد الرازق حتى صار أحاديث العامة في الطرقات والمقاهي[٢]، ولعل ذلك مما يساعد على تحقيق الغرض المطلوب من انتشار هذا الكتاب.

وقال محمد قربان نياز ملا في كتابه: ومن هؤلاء أيضًا سليمان البستاني وهو ماروني مسيحي، وقد هاجم السلطان عبد الحميد بشدة لمعارضته الدستور وطالبه بالحرية إلا أن البستاني كان يعتقد أن في بقاء الدولة العثمانية ضمانًا لحقوق المسلمين وغير المسلمين[٣].

كما يذكر البستاني فضل السلطان عبد الحميد في إنشاء سكة خط الحجاز الحديدي، وفي فتح المدارس والمعاهد في أنحاء السلطنة[٤]. ومن هؤلاء الكتّاب خليل غانم العربي وهو أيضاً نصراني أصدر في جنيف جريدة الهلال، ثم أصدر من باريس جريدة تركيا الفتاة، وهاجم استبداد عبد الحميد في الصحف الفرنسية[٥].

وقال محمد قربان نياز ملا في كتابه: وغير هؤلاء كثير، غير أن أكبر ضربة وجهت

---

(١) كامل سعفان، علي عبد الرزاق، الإسلام وأصول الحكم، صفحة ٢٩-٣١.

(٢) كامل سعفان، علي عبد الرزاق، الإسلام وأصول الحكم،، صفحة ٣٨.

(٣) محمد قربان نياز ملا، السلطان عبد الحميد، صفحة ٢٠٠.

(٤) محمد قربان نياز ملا، السلطان عبد الحميد،، صفحة ١٧٤.

(٥) محمد قربان نياز ملا، السلطان عبد الحميد، صفحة ١٧٤.

إلى السلطان عبد الحميد هي استمالة المعارضين لزوج شقيقته محمود باشا الذي فر إلى باريس وانضم إلى جمعية تركيا الفتاة، ووعد بطبع رسالة عن دسائس السلطان وحاشيته في قصر يلدز[١]. ويفسر الدكتور محمود صالح منسي سبب الحملات الشديدة على السلطان عبد الحميد فيقول: إن السلطان عبد الحميد الثاني تعرض لحملة قاسية من النقد بدافع الحقد بسبب سياسته الإسلامية. وقد أثار هذه الحملة أولاً الكتّاب الأوروبيون ثم جاراهم في ذلك الكتّاب العرب[٢].

أمّا الكتّاب الغربيون ومنهم كارل بروكلمان وماري باتريك فقد افتروا على السلطان الكثير من الافتراءات الكاذبة أو التي دحضتها الوثائق التاريخية التي كشفت فيما بعد، وقد ذكر محمد ملا عدداً منها[٣].

ونحن نعرف في يومنا هذا أن نشر الأكاذيب هو إحدى وسائل الحرب النفسية، وقد استعملها الإنجليز بنجاح ضد الألمان في الحرب العالمية الأولى، ثم اعترفوا مؤخراً بها، وقال جي براون في كتاب أساليب الإقناع وغسيل الدماغ: إن مما لا شك فيه كذلك ـ كما تبين فيما بعد ـ أن الألمان لم يقترفوا الفظائع الوحشية التي نسبها إليهم الحلفاء مثل غلي الجثث لصنع الصابون واستخدام أجساد رجال الدين كالسنة لأجراس الكنائس[٤].

وقال أيضاً: إن الألمان قد بقوا مصرين على أن الدعايه كان لها الدور الأول في خسارتهم للحرب[٥].

---

(١) محمد قربان نياز ملا، السلطان عبد الحميد، صفحة ١٧٥.

(٢) محمد قربان نياز ملا، السلطان عبد الحميد، صفحة ١٨٨.

(٣) محمد قربان نياز ملا، السلطان عبد الحميد، صفحة ١٧٦-١٨١.

(٤) جي اي براون، أساليب الإقناع وغسيل الدماغ، عرّبه بتصرف عبد اللطيف الخياط، دار الهدى للنشر والتوزيع بالرياض، صفحة ٥٠.

(٥) جي اي براون، أساليب الإقناع وغسيل الدماغ، عرّبه بتصرف عبد اللطيف الخياط، دار الهدى للنشر والتوزيع بالرياض، صفحة ٥٢.

وإذا قرأنا الكـلام السابـق نستطيع أن نعـرف الأكاذيب التي ألصقوها بالسلطـان عبد الحميد والتي تقشعر من سماعها الأبدان كقولهم إنه أحرق طلاب الطب والبحرية في المراجل أو إنه ربط أرجلهم بسلاسل حديدية وألقاهم في البحر[١]. إنما هي من مثل الأكاذيب التي ألصقها الحلفاء بالألمان. وقال محمد قربان نياز ملا في كتابه: ومن دسائس الدول الكبرى تزيينها الشعارات البراقة مثل الحرية والمساواة والعدالة لبعض السياسيين الأتراك والدعوة إلى تنظيم الدولة باستحداث دستور للبلاد ينظم قوانينها وسلطاتها، وكان الداعية الأكبر لهذا الدستور هو الصدر الأعظم مدحت باشا.

ويعبر السلطان عبد الحميد عن مفهوم دقيق لطريقة التطور المفيد وهو ما أخذت به اليابان في تطورها، يقول: «الأوروبيون يتوهمون أن السبيل الوحيد في الخلاص هو الأخذ بحضارتهم جملة وتفصيلاً مع أن أكثر رجال العمل يعترفون بأن الثقافة العثمانية الإسلامية جديرة بالهيمنة كالثقافة الغربية على أقل تقدير، ولا شك أن طراز التطور عندنا هو غير ما عند الأوروبيين، وعلينا أن نتطور تحت ظروف طبيعية ومن تلقاء أنفسنا وأن نستفيد من الظروف الخارجية في حالات خاصة»[٢].

وقال محمد قربان نياز ملا في كتابه: وقد ترجم السلطان عبد الحميد رغبته في التطور عملياً فتضاعفت المدارس منذ اعتلائه العرش عشرة أضعاف، وأنشأ في السنة التالية لتوليه المدرسة الملكية لتخريج الموظفين المدنيين وفتحها للطلبة الوافدين من الأقاليم العثمانية بعد أن كانت مقصورة على أبناء استانبول، كما أنشا السلطان المدارس العليا (الكليات) للحقوق والشؤون المالية (التجارة) والفنون الجميلة والتجارة والهندسة المدنية والطب البيطري والشرطة والجمارك، ولم يقلّ على عهده عدد المدارس العليا عن

---

(١) محمد قربان نياز ملا، السلطان عبد الحميد، نشر وتوزيع مكتبة المنارة بمكة المكرمة، صفحة ١٦٦.

(٢) محمد قربان نياز ملا، السلطان عبد الحميد، نشر وتوزيع مكتبة المنارة بمكة المكرمة، صفحة ١٢٤.

١٨ مدرسة إضافة إلى دار العلوم السياسية الجامعة بفروعها العلوم والحقوق والآداب، ومدرسة الزراعة العلياء ومدرسة التجارة البحرية ومدرسة الأحراج والمعادن ومدرسة اللغات ومدرسة المعوقين ودار المعلمات ومدرسة الفنون النسوية.

وقد فرض السلطان عبد الحميد ضريبة خاصة للتعليم، ومن حصيلتها أنشأ عدداً من المدراس من سبعة فصول في عواصم الولايات ومدارس من خمسة فصول في السنجقيات.

وأنشأت الدولة العثمانية دوراً للمعلمين تغذي هذه المدارس بالمعلمين وصل عددها إلى ٣٨ مدرسة بالولايات والصنجقيات. وقد جعل السلطان عبد الحميد شؤون التعليم من اختصاص المجالس المحلية التعليمية لأنها أدرى بنوع التعليم الذي يحتاجه الإقليم وبحسب توفر المدرسين وقلتهم.

أمّا التعليم العسكري فقد ظفر بأوفى عناية من السلطان عبد الحميد، حيث دعم الكليات الحربية وأنشأ كليات حربية في أدرنة ومناستير وبغداد ودمشق.

وأنشأ السلطان عبد الحميد مكتبات عامة عديدة، وساعدت الطباعة على طباعة آلاف الكتب، وخطت الصحافة في عهده خطوات هامة للأمام[1]. (انتهى).

وقال محمد قربان نياز ملا في كتابه أيضا: كما انشأ السلطان عبد الحميد مدرسة خاصة بالعشائر العربية باستانمبول، واستطاع العرب المتخرجون منها أن يصلوا إلى أعلى المناصب في الدولة العثمانية، كما شكل كتائب الزحوف العربية واتخذها حرساً خاصاً بالقصر. كما توج السلطان عبد الحميد جهوده بإنشاء جامعة استانمبول والتي فتحت أبوابها للطلاب سنة ١٩٠٠م، وقد ضمت أربع كليات هي: كلية العلوم العالية الدينية وكلية العلوم الرياضية وكلية العلوم الطبيعية وكلية العلوم الأدبية إضافة إلى اهتمام السلطان بشؤون التعليم الديني ورغبته في تطوير معاهده العليا، لولا صعوبة ذلك نتيجة معارضة العلماء التي يقول عنها:

---

(١) محمد قربان نياز ملا، السلطان عبد الحميد، صفحة ١٢٦-١٢٨.

«إننا بحاجة إلى تطوير المعاهد العليا، وهذا أمر في غاية الصعوبة بسبب جمود علمائنا المفرط، أما الأزهر في مصر فقد فهم علماؤه ضرورة الاستجابة لمتطلبات العصر فاستقطب عدداً كبيراً من شبابنا فإذا بقيت معاهد استانبول لا تقدر على تخريج علماء مؤهلين فلن تصل أبداً إلى ما وصل إليه الجامع الأزهر»[1]. (انتهى النقل).

إلا أن من أعظم إنجازات السلطان عبد الحميد هو الخط الحديدي الحجازي الذي يقول هو عنه: «لقد أثبت الخط الحديدي الحجازي أن بلادنا لم تفقد قابليتها للتطور وأنه يمكننا إحباط محاولات إنكلترا المتكررة في عرقلة أي عمل نقوم به لخدمة بلدنا وأمتنا. سيتم إن شاء الله مد هذا الخط وسنستغني عن قناة السويس وسنربط استانبول بالمدينتين المقدستين مكة والمدينة، وستمكن من تأمين المواصلات المدنية والعسكرية بكل أمان واطمئنان»[2].

والذي يثير الإعجاب قدرة السلطان عبد الحميد على إجراء هذه الإصلاحات في وقت عصيب، فأرقام ديون الدولة الهائلة من جهة، والحرب الروسية والثورات في مناطق الدولة من الجهة الأخرى، ما يدل على اهتمامه الشديد بنشر العلم الذي يقول عنه: «إن من يملك شيئاً من رجاحة العقل لا يعادي العلم ولا يمنع أي شيء جديد شرط، ان يكون علماً نافعاً أما العلم الضار فأنا أعاديه إلى آخر نفس في حياتي»[3].

وقد عرف السلطان الداهية عبد الحميد ما يمكن أن يؤدي إليه هذا الدستور المقترح للدولة من ضرر، وما كان تعطيله للدستور عن رغبة في الاستبداد أو الاستئثار بالسلطة وإنما لمعرفته خطره على نظام الدولة وبقائها وقد ذكرنا في أول المقال ما قاله أستاذ القانون بجامعة هارفارد نوا فيلدمان من أن هذا الدستور كان من العوامل التي أدت إلى سقوط الدولة العثمانية. وكان السلطان عبد الحميد متابعاً لنشاط الجمعيات الماسونية المنتشرة في دولته، وقد

---

(١) محمد قربان نياز ملا، السلطان عبد الحميد، صفحة ١٢٧.

(٢) محمد قربان نياز ملا، السلطان عبد الحميد، صفحة ١٤٠-١٤١.

(٣) محمد قربان نياز ملا، السلطان عبد الحميد، صفحة ١٢٥.

اتخذ الكثير من الجواسيس لمراقبة عناصرها إضافة إلى معرفته التامة بدسائس الدول الكبرى وخططها.

وكتب في مذكراته يقول: «للماسون عندنا تصرفات مزعجة يحاولون بحماس زائد نشر أفكار تجديدية لا يفهمها الناس إذ الأغلبية عندنا لا تأبه بالأفكار التحررية والذين يميلون إلى التعاون مع هؤلاء حفنة من الناس بقيت خارج البلاد ردحاً من الزمن فانقطعت عن جذورها، وتثقفت ثقافة أوروبية سطحية براقة. هذا الصنف من الناس عندما يعود إلى بلده يجهل ما ينتظره منه شعبه فيعمل على نشر الأفكار الغربية (في سبيل جعل تركيا دولة حضارية) إنهم عمي في بصائرهم»[1].

وبالطبع فإن هذا المجهود الدعائي ضد السلطان عبد الحميد كان يسير جنباً إلى جنب مع التدابير العسكرية والسياسية والتي انتهت بعزل السلطان عبد الحميد عن الخلافة وما تبع ذلك من إلغاء الخلافة العثمانية وتمزيق أطرافها وتقسيم ممتلكاتها بين الحلفاء.

إلا أن السلطان عبد الحميد كان مستوعباً لما يدور حوله مما لا يدركه الناس وعامة الأمة وحتى النابهين منهم، ويقول: «إن الأمة تنسى بسرعة أقولها مستميحاً العذر الذين يجادلونني سياسياً دون تبصر بما يدور من وراء الستار من ألاعيب وما تهيئه الدول الكبرى من مؤامرات عدوانية»[2].

واستمرت الدولة العثمانية مرهوبة الجانب رغم ضعفها العسكري والمالي جراء الحروب المستمرة التي واجهتها والثورات المتكررة التي كافحتها، ومع كل ذلك تمكنت من تحقيق انتصارات عسكرية مهمة على أعدائها.

ففي الحرب العالمية الأولى هاجمت السفن الحربية الروسية والفرنسية والإنجليزية

---

(١) محمد قربان نياز ملا، السلطان عبد الحميد، نشر وتوزيع مكتبة المنارة بمكة المكرمة، صفحة ١٩٢.

(٢) محمد قربان نياز ملا، السلطان عبد الحميد، نشر وتوزيع مكتبة المنارة بمكة المكرمة، صفحة ١٩٩.

مضيق الدردنيل، ولكن القوات العثمانية ردتهم على أعقابهم، ثم أنزل الحلفاء في أبريل سنة ١٩١٥ قواتهم على الشاطئ الغربي للدردنيل واشتبكوا في حرب خنادق مع العثمانيين، وحاول الحلفاء تخفيف ضغط العثمانيين عليهم فشنوا في أغسطس من السنة نفسها هجوماً آخر من الشمال، ولكنه فشل فاضطر الحلفاء لإجلاء قواتهم في شهر ديسمبر بعد أن تكبدوا في معركة الدردنيل ٢٥٠ ألف قتيل[١].

وكعادة الأوروبيين في تعليل هزائمهم أمام الأتراك وتقليل شأنها نراهم يقدمون المبررات لتقليل قيمة النصر العثماني وتبرير هزيمتهم، ويتلقف المؤرخون العرب كلامهم وكأنه نص مقدس لا يقبل المراجعة والمناقشة وينقلونه عن المصادر الأجنبية كما كتب، ومثال ذلك ما كتبه الديراوي في عرضه المصور للحرب العالمية الأولى[٢] حين وصف هزيمة الدردنيل بقوله: «فحملة الدردنيل كانت مرتجلة وكل شيء مرتجل قليل النجاح» «كما أن من الغباء الداعي إلى الضحك أن قائد الحملة السير هاملتون كان مقدماً على هجوم لا يعلم عن خصمه فيه شيئاً» وقال: «هذا علاوة على أن خبرة الجيش البريطاني في الإنزال على أرض عدوة كانت ضئيلة جداً إن لم نقل معدومة»، ولا أدري متى يكون الإنزال الحربي على أرض صديقة.

وفي العراق تكبد الإنجليز خسائر فادحة في جميع المعارك التي خاضوها ضد الأتراك وأصبحت قواتهم في حالة يرثى لها[٣]، ففي كوت العمارة تمكن العثمانيون من محاصرة القوات الإنجليزية التي أصبحت مهددة بالهزيمة والاستسلام فلجأت الحكومة البريطانية إلى محاولة أخيرة لإنقاذ الموقف فعرضت على قائد القوات العثمانية خليل باشا أن تدفع مبلغ مليون جنيه استرليني مقابل فك الحصار عن قواتها المحاصرة في كوت العمارة وتسليم جميع

(١) الموسوعة العربية العالمية، المجلد التاسع، صفحة ٢٠٤.

(٢) عمر الديراوي، الحرب العالمية الأولى عرض مصور، دار العلم للملايين، صفحة ١٠٩.

(٣) أنتوني ناتنغ ولويل توماس، لورنس لغز الجزيرة العربية، صفحة ٤٠.

الأسلحة والذخيرة الموجودة مع هذه القوات وتبادل الأسرى، فلم يوافق الأتراك حتى مع رفع المبلغ إلى مليونين، وأرسل وفداً لمفاوضة القائد خليل باشا الذي لم يتجاوز عمره ٣٥ عاماً فاستقبلهم باحترام، لكنه أخبرهم بأن القائد الإنجليزي المحاصر قد استسلم مع فرقته بلا قيد ولا شرط. وسببت أنباء استسلام الحامية البريطانية في كوت العمارة الذعر والقلق في بريطانيا، وشنت على القائد المستسلم تاونسند حملة شعواء لأن المتوقع منه هو أن يحارب إلى آخر جندي من جنوده[١].

ويصف أنتوني ناتنغ في كتاب لورنس العرب مفاوضات الإنجليز مع القائد التركي خليل باشا والتي شارك فيها لورنس فيقول: «ثم دار البحث حول تبادل الأسرى ومصير المرتزقة العرب الذين كانوا يحاربون إلى جانب القوات البريطانية ضد الأتراك ورد الجنرال خليل على السؤال الأخير بقوله إنه لا يبالي كثيراً بموضوع المرتزقة من العرب والمصير الذي سيؤولون إليه، ولم يكتم عنهم أنه كان قد نفذ حكم الإعدام بتسعة منهم ثم حاول أن يخفف من وطأة هذا الخبر على قلوب مفاوضيه بقوله إنه كان يوفر لجرحاهم ومرضاهم العناية الطبية اللازمة»[٢].

وهاجم الإنجليز الحديدة أثناء الحرب العالمية الأولى ويقول الريحاني عن ضرب الحديدة: ضربت هذه المدينة من البحر مرتين: الأولى سنة ١٩١٢م في الحرب التركية الإيطالية والثانية سنة ١٩١٨م في الحرب العظمى عندما حمل الجنرال اللنبي على الترك في فلسطين، فكان ضرب الحديدة جزءاً من الهجوم العام، وكان قنصل الإنكليز بالحديدة يومئذ على ظهر البارجة التي كانت تصدر منها الأوامر بإطلاق المدافع[٣].

ويصف بن عبيدالله هذا الهجوم فيقول: وفي الليلة التاسعة من رمضان من سنة

---

(١) انتونى ناتنغ ولويل ثوماس، لورنس لغز الجزيرة العربية، صفحة ٤٤.

(٢) أنتونى ناتنغ ولويل ثوماس، لورنس لغز الجزيرة العربية، صفحة ٤٣.

(٣) أمين الريحاني، ملوك العرب، دار الجيل، بيروت، صفحة ٢٧١.

١٣٣٣هـ أبصر أهل الحديدة سراج بارجة بعيد في البلاد، ولما أصبح الصباح إذا بخمس بوارج إنجليزية وواحدة فرنساوية بميناء الحديدة، وخرج من إحداها بوت يحمل رسالة من القائد العام يعرض على الترك الباقين بالحديدة التسليم أو الحرب، فاختاروا الحرب. وكانت البوارج قد أنزلت عساكرها المقدرة بأكثر من ألفين ليلاً فاحتدم القتال وانهزم الفرنجة رغم قلة الترك وانسحبوا إلى بوارجهم تاركين وراءهم أمتعتهم وأسلحتهم، ولكن البوارج أمطرت الحديدة بقنابلها لمدة شهر حتى دمرت مبانيها ومرافقها، ثم حصلت الهدنة وطلب الإنجليز منهم اختيار من يريدون لحكمهم فاختاروا الأتراك أو المصريين، فقال لهم الإنجليز: أما هذا فليس إليه من سبيل. فقالوا: نريدكم. فقالوا: إن معاهدة لوزان تقضي علينا بإرجاع بلاد العرب لأهلها ثم لم يشعروا إلا بدخول جيش الإدريسي بقيادة السيد مصطفى عبد العال فسلمهم الإنجليز الحديدة، وعادوا إلى بوارجهم وغادروا، وكان ذلك في سنة ١٣٣٩هـ. وبقيت الحديدة وأكثر بلاد تهامة تحت الإدريسي إلى أن توفي وخلفه ابنه السيد علي[١].

وتكلم بن عبيد الله عن معركة لحج فقال: وفي سنة ١٩١٥م بدأت القوات التركية بالتحرك نحو لحج وذكر حسن شهاب أن الأتراك حاولوا استمالة سلطان لحج علي بن أحمد فخاطبه والي صنعاء محمود نديم باشا وخاطبه أيضاً علي سعيد باشا قومندان الحركات العسكرية وطلبا منه الانضمام إلى صفوف المجاهدين ونصرة الدين الحنيف إلا أن السلطان اختار الوقوف إلى جانب الإنجليز ربما خوفاً من استيلاء الأتراك على بلده، ولما يئس الأتراك من استمالة سلطان لحج إلى صفهم أمروا قواتهم بالتقدم إلى لحج، ولما وصلت قواتهم منطقة نوبة الدكيم انضم إليها جيش المجاهدين وقبل أن يتحرك الجيش التركي ومن معه من المجاهدين إلى لحج بستة أيام ذهب الكولونيل الإنجليزي جيكوب إلى لحج ليستأجر سبعمائة جمل كاحتياطي عسكري فجهزها له السلطان في ثلاثة أيام[٢]، وكانت فصيلة من جيش

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ١٣٤-١٣٥.

(٢) حسن صالح شهاب، العبادل سلاطين لحج وعدن، صفحة ٧٦.

عدن ترابط في نوبة الدكم فانسحبت فيما بعد إلى الحوطة وحشد سلطان لحج ألفين من المقاتلين رتبهم في نوبة الدكيم لكنهم انهزموا أمام الأتراك وانسحبوا إلى الحوطة وتحركت حامية عدن نحو حوطة لحج، ثم احتدم القتال بين الأتراك ومن معهم من المجاهدين من جهة وبين المقاتلين الذين جمعهم سلطان لحج والجنرال جيكوب إضافة إلى جنود حكومة عدن من الجهة الأخرى، وانتهت المعركة بانتصار الجيش العثماني واحتلال لحج وهروب السلطان والعائلة المالكة[١]. وقد غادر السلطان علي بن أحمد سلطان لحج بلده قبل الفجر فمر بكمين من جيش عدن فظنوه من الأتراك فأردوه قتيلاً[٢].

قال حسن شهاب نقلاً عن مصادره: وأصاب الإنجليز ذعر شديد حينما سيطر الجنرال علي سعيد باشا على لحج في أقل من يوم فأمروا حامية عدن بالانسحاب من منطقة الشيخ عثمان إلى خور مكسر، بينما كان الإعداد يجري بشكل سري لانسحاب الإنجليز من مدينة عدن وتركيز الدفاع حول محطة الفحم على ساحل التواهي[٣].

ويستغرب حسن شهاب من عدم انتهاز العثمانيين الفرصة والتقدم لاحتلال عدن بعد إخلائها وضعف حاميتها، ويتساءل هل كان الجنرال علي سعيد باشا مأموراً بألا يتجاوز حدود لحج. ألا أن العثمانيين أرسلوا بعد خمسة أيام ثلة صغيرة من الجنود استولت على مدينة الشيخ عثمان، إلا أن الإنجليز أرسلوا بقوات من السويس تمكنت من إجلاء الأتراك من الشيخ عثمان، لكنهم لم يجسروا أن يقارعوا الأتراك في لحج[٤]. وبعد هذه الهزيمة اتهم الإنجليز والي عدن بعدم الكفاءة في إدارة العمليات العسكرية وعزلوه من منصبه[٥].

---

(١) حسن صالح شهاب، العبادل سلاطين لحج وعدن، صفحة ٧٧.
(٢) حسن صالح شهاب، العبادل سلاطين لحج وعدن، صفحة ٧٧.
(٣) حسن صالح شهاب، العبادل سلاطين لحج وعدن، صفحة ٧٨.
(٤) حسن صالح شهاب، العبادل سلاطين لحج وعدن،، صفحة ٧٩.
(٥) حسن صالح شهاب، العبادل سلاطين لحج وعدن، صفحة ٧٩.

أما لحج فقد بقيت تحت الحكم التركي لأكثر من ثلاث سنوات حتى انتهاء الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨ واستسلام الدولة العثمانية للحلفاء وترتب على ذلك استسلام علي سعيد باشا للإنجليز بأمر من حكومته[١].

ولم يختلف الأستاذ حسن شهاب عن بقية المؤرخين العرب في نقله الحرفي لمبررات الهزيمة من وجهة نظر الإنجليز مثل: (كثافة الجيش التركي الذي قدره الجنرال جيكب بثلاثة آلاف، وسحب الإنجليز نصف حامية عدن إلى الصومال وصعوبة سير العربات على الطريق الصحراوي بين الشيخ عثمان ولحج وهروب الجمالين وما إلى ذلك من الأعذار[٢]. إلا أن عذر الأستاذ شهاب يمكن أن يكون في أنه لم تتوفر له أية مصادر تركية عن تلك الأحداث، ولم يكن من معلومات متوفرة إلا التي نقلها في كتابه عن مصادرها الأجنبية.

هذا، وبعد ذهاب الأتراك تحسر العرب على أيامهم بعدما رأوا من أعمال الدول الأجنبية، وروى السيد حامد المحضار أبياتاً طريفة للسلطان أحمد فظل يقول فيها[٣].

يـالله طلبنـاك تـصفى كـل مربوشـة	وتعين أهـل المـروة يـصلحوا المربـوش
أمـور أرض العـرب عيفـة ومغـشوشة	ونا مـن النـاس لي مـايقبلوا المغـشوش
راح الأفنـدي سـلينا جـور طربوشـه	وآلاف معنا عرب يبكوا على الطربوش

وذكر مدحت باشا في مذكراته أنه لما زارت سفينتان عثمانيتان جزيرة البحرين بعد انقطاع لفترة طويلة قابلها شيخ البحرين بالحفاوة والفرح لرؤيته سفينتين عثمانيتين، وقال لقائدها عارف بك إننا لم نر منذ قرنين سفينة عثمانية في هذا البحر، ثم تبرع شيخ البحرين بما

(١) حسن صالح شهاب، العبادل سلاطين لحج وعدن، صفحة ٨١-٨٢.

(٢) حسن صالح شهاب، العبادل سلاطين لحج وعدن، صفحة ٧٦-٧٧.

(٣) حامد بن أبي بكر المحضار، ترجمة الزعيم حسين بن حامد المحضار، صفحة ٣١٧-٣١٨.

يلزم من الأراضي لبناء مستودع للفحم اللازم للسفن العثمانية، وقدم حجة بذلك، وطلب أهالي الجزيرة بخروج العساكر العثمانية من السفن طائفة طائفةً، وقدموا لهم الأطعمة اللذيذة وأنواع التحف[١].

هذا ومازال الأتراك على إخلاصهم للعرب والمسلمين رغم مرور عشرات السنين على انتهاء الدولة العثمانية وحكم الجمهورية التركية العلمانية ولقد اندهش العرب مؤخرا من تصرف الأتراك حيال الهجوم الوحشي الإسرائيلي على غزة في شهر محرم من سنة ١٤٣٠هـ ولقد قام رئيس وزراء تركيا طيب رجب أردوغان بالتنديد بالعدوان بشجاعة وقام بجولة على دول المنطقة لتوحيد الجهود ووقف العدوان ولم يلتفت إلى مصالح تركيا المتعددة مع الدول الغربية ولا لعضوية بلاده في حلف الناتو حتى لقد قال بعض قادة العرب ان موقف تركيا كان أفضل من موقف كثير من البلاد العربية ونسأل الله أن يجمع كلمة المسلمين ويوحد جهودهم لخدمة الإسلام والمسلمين.



(١) مدحت باشا، حياته مذكراته ـ محاكمته، الدار العربية للموسوعات، صفحة ٢٤٩.

الفصل الثالث والتسعون

العلويون وأئمة اليمن



الإمام أحمد حميد الدين

التعريف بالمذهب الزيدي[١]

الزيدية أقرب فرق الشيعة لأهل السنة والجماعة، حيث تتصف بالاعتدال والقصد والابتعاد عن التطرف والغلو، وترجع نسبتها إلى الإمام زيد بن علي بن زين العابدين رضي الله عنه (٨٩-١٢٢هـ) الذي دفعه أهل الكوفة للخروج على الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك، إلا أنهم خذلوه فيما بعد عندما علموا بأنه لا يتبرأ من الشيخين أبي بكر وعمر ولا يلعنهما، بل يترضى عنهما، فاضطر لمقابلة جيش الأمويين وما معه إلا ٥٠٠ فارس فأصابه سهم في جبهته قضى عليه. وقد تلقى الإمام زيد العلم عن أخيه الأكبر محمد الباقر واتصل بشيخ المعتزلة واصل بن عطاء وتدارس معه العلوم وتأثر بأفكاره ونقل بعضها إلى المذهب الزيدي. وممن تتلمذ على يد الإمام زيد الإمام أبو حنيفة النعمان.

ويتفق المذهب الزيدي مع مذاهب أهل السنة بشكل كامل في العبادات والفرائض سوى اختلافات قليلة في الفروع، فهم يرسلون أيديهم في الصلاة، ويزيدون حي على خير العمل في الأذان ويزيدون تكبيرة في صلاة الجنازة، ويعدون صلاة التراويح في جماعة بدعة، كما يرفضون الصلاة خلف الفاجر. ويتفق الزيدية مع الشيعة في زكاة الخمس وفي جواز التقية إذا لزم الأمر، ويخالفونهم في زواج المتعة ويستنكرونه، كما يرفضون التصوف رفضاً قاطعاً.

وباب الاجتهاد عندهم مفتوح لكل من يريد الاجتهاد ومن عجز عن ذلك قلد، وتقليد أهل البيت أولى من غيرهم، كما يقولون بوجوب الخروج على الإمام الجائر الظالم،

---

(١) ملخص عن الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة صفحة ٢٥٧-٢٦٢، الندوة العالمية للشباب الإسلامي بالرياض

ولا تجب طاعته. ويبدو تأثر الزيدية بالمعتزلة جلياً في تحليلاتهم للجبر والاختيار، وفي تقديرهم للعقل في الاستدلال إذ يجعلون له نصيباً وافراً في فهم العقائد وفي تطبيق أحكام الشريعة. ويقولون بوجوب الإيمان بالقضاء والقدر مع اعتبار الإنسان حراً مختاراً في طاعة الله أو عصيانه. ولا يوجد عند الزيدية إمام منتظر. ثم بعد أن تكلمنا عن المذهب الزيدي نتكلم في الصفحات التالية عن تاريخ أئمة اليمن.

تاريخ أئمة اليمن[1]

هاجر الإمام أبو محمد الحسن بن علي (٢٣٠-٣٠٤هـ) إلى بلاد الديلم داعياً إلى الإسلام على المذهب الزيدي، وصار له أتباع كثيرون، كما كون الإمام الحسن بن زيد بن محمد دولة زيدية بطبرستان جنوب بحر الخزر وذلك في سنة ٢٥٠هـ. وأول من بويع بالإمامة الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم وهو حفيد القاسم بن إبراهيم المرسي بن عبد الله بن الحسين بن علي بن أبي طالب (١٧٠-٢٤٢هـ) وهو عالم من علماء الزيدية وقد تشكلت باسمه طائفة زيدية عرفت باسم القاسمية.

ولد الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم في منطقة الرس القريبة من المدينة المنورة سنة ٢٤٥هـ ومع إكماله العشرين عاماً رحل إلى طبرستان لإقامة دولة زيدية بها فوجدها مشغولة بأبناء عمومته، فعاد إلى المدينة، وانتشر أمره فقصده جماعة من خولان دعوه لليمن فدخل اليمن أول مرة سنة ٢٨٠هـ ثم لما استوثق السمع والطاعة من أهل صعدة عاد إلى صعدة في سنة ٢٨٤هـ وحارب القرامطة وقضى أربع عشرة سنة إماماً حتى توفي بصعدة سنة ٢٩٨هـ. ثم بعد وفاته خلفه ولده المرتضى، لكنه أقال نفسه بعد عام وانقطع للعبادة حتى توفي سنة ٣١٠هـ.

---

(١) ملخص عن كتاب نظرات في التاريخ العام لليمن لمؤلفه عبد الرحمن طيب بعكر الحضرمي صفحة ١٩٨-٢١٣، مع إضافات من بضائع التابوت لبن عبيدالله

ثم تسلسل من الأئمة بعد الهادي ثلاثة عشر إماماً حتى جاء الإمام عبد الله بن حمزه المولود سنة ٥٦١هـ، وقد صارت بينه وبين السلطان الأيوبي طغتكين سنة ٥٨٥هـ وقائع وحروب وتوفي سنة ٦١٤هـ.

أما الإمام يحيى بن حمزة فترتيبه بين الأئمة الذين حكموا اليمن هو العشرين، وكان كثير العمل، وهو حسيني النسب خلافاً لسائر الأئمة من الحسنيين. وقد ولد بصنعاء سنة ٦٦٩ وتولى الإمامة سنة ٧٢٩هـ واستمر إماماً حتى توفي سنة ٧٤٩هـ، وكان أكثر أئمة اليمن حباً إلى النفوس ورفقا بالمسلمين واجتنابا لسفك الدماء.

وجاء بعده الإمام أحمد بن يحيى المرتضي، وهو من ذرية الهادي يحيى بن الحسين، ولد سنة ٧٦٤هـ وتوفي سنة ٨٤٠هـ.

ثم جاء بعده الإمام شرف الدين يحيى بن شمس الدين بن أحمد بن يحيى المرتضى الذي ولد في حدود سنة ٨٧٧هـ، ودعا لنفسه بالإمامة سنة ٩١٢هـ إبان عنفوان الدولة الطاهرية وفي زمن السلطان عامر بن عبد الوهاب وتزامنت هذه الفترة مع زوال دولة الإسلام عن الأندلس وابتداء الكشوفات الجغرافية الأوروبية والغزو البرتغالي للشرق الإسلامي، وهذا هو الإمام الذي دعا مماليك مصر لغزو اليمن والقضاء على الدولة الطاهرية، فكان أن دخلوا اليمن. وعرفت اليمن بدخولهم السلاح الناري لأول مرة، ثم انتهت دولة المماليك في مصر على يد السلطان سليم العثماني في سنة ٩٢٥هـ الذي واصل جهود المماليك في محاربة البرتغاليين في البحر الأحمر وحماية الحرمين الشريفين. وقد توسعنا في ذكر ذلك في فصل آخر من الكتاب، ثم تمكن سليمان باشا الخادم من دخول عدن والقضاء على آخر معقل للدولة الطاهرية، وبدأت السيطرة العثمانية على اليمن والتي استمرت حتى عهد المؤيد محمد بن القاسم بن محمد في القرن الحادي عشر الهجري، وتوفي الإمام شرف الدين سنة ٩٦٥هـ.

ثم جاء القاسم بن محمد وولده المؤيد وقد ولد سنة ٩٦٧هـ وتوفي إماماً ملقباً بالمنصور سنة ١٠٢٩هـ وهو أقوى شخصية يمنية واجهت الدولة العثمانية باليمن وواليها على صنعاء سنان باشا، واستمرت مناوشاته مع الولاة العثمانيين وتوطد أمره حتى لم يعد الأتراك العثمانيون يسيطرون إلا على صنعاء، وكان بحق مؤسس الدولة اليمنية الموحدة. وبعد وفاته في سنة ١٠٢٩هـ خلفه ابنه المؤيد المولود سنة ١٠٢٩هـ والمتوفى سنة ١٠٥٤هـ وقد أشاع العدل وأقام شعائر الإسلام وأخذ الزكاة وصرفها في مصرفها الشرعي. وتمكن أخواه الحسن والحسين من مواصلة توطيد حكم هذه الدولة القاسمية في جميع أرجاء اليمن بما فيها عدن. وخرج الأتراك من اليمن ولم يعودوا إلا في سنة ١٢٥٦هـ وبقوا باليمن حتى انهزامهم في الحرب العالمية الأولى في سنة ١٣٣٦هـ أيام الإمام يحيى حميد الدين.

علاقة أئمة اليمن بحضرموت

كانت نهاية الدولة الكثيرية الأولى التي ذكرنا أخبارها في فصل آخر من هذا الكتاب على يد الإمام أحمد بن الحسن، فقد ذكر ذلك ابن حميد الكندي في تاريخ العدة المفيدة[١] في أحداث سنة ١٠٥٧هـ فقال: ثم لم يزل ملك الكثيري متداولاً بين أولادهم مدداً مديدة وأعواماً عديدة حتى ساروا بسيرة ذميمة، وظلموا مظالم عظيمة، فخرج عليهم إمام الزيدية أحمد بن الحسن الملقب سيل الليل بخيله ورجله، واستولى على ممالكهم، وزاد في الأذان حي على خير العمل وعمت طاعة الإمام في جميع حضرموت والشحر وظفار.

ونقل عن عقد الدرر للشلي قوله: وفي سنة ١٠٧٠ استولى إمام الزيدية إسماعيل بن القاسم على حضرموت كلها وانتهت دولة آل كثير من تلك البلاد. (انتهى باختصار).

---

(١) سالم بن محمد بن حميد الكندي، تاريخ حضرموت، المجلد الأول، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٢٤٢-٢٤٣.

قال بن عبيدالله[١]: وانفصل الجيش يوم الخميس ١٨ شوال من سنة ١٠٦٩هـ بقيادة الشهم الهصور أحمد بن الحسن بن الإمام القاسم بن محمد، فسار ومعه السلطان بدر إلى وادي السر بمخلاف خولان ثم إلى مخوان ثم إلى رعوان، ثم صار إلى وادي حجر، ثم تجرد من حجر تجرد الحسام لا يعارضه معارض إلا اجتاحه كما يكتسح السيل هشيم الأشجار، وكان السلطان بدر بن عبد الله الكثيري قد أرسل عسكراً إلى عقبة حجر لمنع أحمد بن الحسن عن صعودها فطلع عليهم إليها طلوع الليث المشبل، ففروا عن مراكزهم كأنهم حمر مستنفره فرت عن قسورة، واستولى على ذخائرهم، ثم ما زال يغذ السير حتى انتهى إلى ريدة بامسدوس، وهي التي يقال لها ريدة الدين، وفيها وصل الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن العمودي بمن أطاعه من عسكره وغيرهم، وبذل الطاعة للصفي أحمد بن الحسن، وكان العمودي والياً على أكثر وادي دوعن ووضع يده في يده وألقى إليه مقوده، ثم تقدم الإمام أحمد بن الحسن إلى الهجرين وعسكر قريباً منها، فخافه أهلها فلم يدخلها من عسكره إلا القليل، ولم ينهبوا ولم يسلبوا ولم يهيجوا أحداً قط، ثم سار إلى قريب من سدبة حتى التقى بالسلطان بدر بن عبد الله وعساكره من أهل حضرموت، وما هي إلا جولة وانهزم السلطان وتفرقت عساكره شذر مذر، ونجا السلطان مع من فرّ منهزمين إلى شبام، ثم واصل الصفي السير حتى دخل هينن ثم شبام وأخذها بسلام، وهناك لاقته جماعة من أهل سيؤن باذلين الطاعة. ولما انتهى الصفي إلى أسافل حضرموت وصله خطاب من السلطان بدر بن عبد الله يطلب فيه الأمان لنفسه فأمنه، كما أمن إخوانه وأولاده، وكان بين انفصال الجيش إلى أسر السلطان تسعة أشهر (انتهى).

ثم قال بن عبيدالله[٢]: وفي رمضان من سنة ١٠٧٠هـ طلب السلطان بدر بن عبد الله الكثيري من الصفي أن يجهزه إلى حضرة الإمام فوجهه إليه، فوصل في رمضان فأمر الإمام

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ٥٢.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ٥٢-٥٣.

ولده علياً أن يتلقاه بالاحترام وهيأ له داراً واسعة مؤثثة بأجمل الأثاث، وأجرى له ولأصحابه النفقات الكبيرة، ثم استأذن السلطان الإمام في العودة إلى حضرموت، فعاد وأقام بسيؤن إلى أن توفي بها سنة ١٠٧٥هـ. أما الصفي فإنه لم يطب له المقام بحضرموت لشدة حرها، فعاد بطريق الشحر، ومنها ركب إلى عدن، وذلك بعد أن أخذ على أهل حضرموت العهود للسلطان بدر بن عمر الكثيري بالنيابة عن أمير المؤمنين المتوكل على الله إسماعيل. وفي السيره المتوكلية أنه وصل إلى تريم وأبقى أكثر عساكره بسيؤون لعدم الحاجة إليهم بعد الطاعة، ولقلة أقوات البهائم بها إذ ذاك. (انتهى).

ونقل بن عبيدالله عن سفينة الحبيب أحمد بن حسن العطاس[١] أن الإمام أحمد بن الحسن انتهى إلى سيؤون ولم يتعداها إعظاماً للحبيب عبد الله الحداد. (انتهى).

ونقل بن عبيد الله[٢] أيضاً عن الحبيب أحمد بن حسن بن عبد الله الحداد قوله: كان خروج الإمام أحمد بن الحسن في سنة ١٠٧٠هـ، وأقام بجيشه في حضرموت نحو نصف شهر واستخلف السلطان بدر بن عمر الكثيري وخلف عنده جملة من عسكر الزيدية، واستمر أمرهم نحو خمسين سنة إلى خروج يافع من الجبل سنة ١١١٧هـ في أيام عمر بن جعفر الكثيري. (انتهى).

وذكر الأستاذ بن هاشم[٣] أن خروج الإمام أحمد بن الحسن إلى حضرموت كان في سنة ١٠٧٠هـ، وأن السيد عمر بن عبد الرحمن العطاس كتب له كتاباً أوفده مع ولديه سالم وحسين، فقابلهما الإمام بكل تجلة وتبجيل، وقال لهما: أرى عليكما سيماء الخلافة ومخائل النجابة، وقرأ في كتاب الحبيب قوله: انظر إلى أهل حضرموت بعين الرحمة ينظر الله بها إليك، فقال: إني لما نظرت هذا طرح الله في قلبي الرحمة العامة لأهل حضرموت.

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ٥٣.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ٥٣.

(٣) محمد بن هاشم، تاريخ الدولة الكثيرية، تريم للدراسات والنشر، صفحة ١٠٠.

وذكر الأستاذ بن هاشم[١] أنه لما وصلت الأراجيف إلى حضرموت بقدوم الزيدية تهيأ السلطان بدر بن عبد الله بن عمر الكثيري لقتالهم وأرسل يستشير الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس في ذلك فنصحه ألاّ تفعل، ثم سار السلطان بنفسه إلى الحبيب عمر ومعه الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن العمودي، فقال الحبيب للسلطان: هل تشاورنا وتمتثل رأينا أم تلقي لنا مثل النساء شاوروهن واعصوهن؟ فقال: بل نشاورك ونمتثل رأيك. فأشار عليه السيد عمر العطاس بعدم قتالهم. إلا أن السلطان خرج من عنده مضمراً القتال، فكان ما كان وانهزم السلطان بدر، إلا أن الحسن الصفي أمّنه على حياته وإخوته وأولاده وأكرمه وخلع عليه الخلع السنية.

قال بن هاشم[٢]: ومنعت الزيدية قراءة راتب الحداد ونودي بأن يُزاد في الأذان (حيّ على خير العمل)، ولم يقدر أحد على المخالفة إلا عبد الله بن عمر بارضوان بافضل مؤذن مسجد باعلوي فإنه استمر في الأذان العادي من أول خلافة الزيدية إلى آخرها، وكلما هددوه سكت ولم يجب على أحد وسلمه الله من معاقبتهم. (انتهى).

قال بن عبيدالله[٣]: والمشهور أنهم منعوا قراءة راتب الحداد من المساجد، غير أن ذلك لم يكن إلا بعد استقرارهم بحضرموت، ولم يكن إنشاء الراتب كما في شرح الشيخ عبد الله باسودان إلا في سنة ١٠٧١هـ. وقرأه بعض بني سعد في موشح من تلك السنة، وأما في الحاوي فلم ترتب قراءته إلا في سنة ١٠٧٢هـ. (انتهى). وذكر الأستاذ بن هاشم[٤]: أن السلطان علي بن بدر بن عمر بن بدر المتوفى سنة ١١٠٧هـ أعاد قراءة راتب الحداد في المساجد بعد منعه من قبل الزيدية.

---

(١) محمد بن هاشم، تاريخ الدولة الكثيرية، تريم للدراسات والنشر، صفحة ١١١.

(٢) محمد بن هاشم، تاريخ الدولة الكثيرية، تريم للدراسات والنشر، صفحة ١٠٠.

(٣) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ٦٩.

(٤) محمد بن هاشم، تاريخ الدولة الكثيرية، تريم للدراسات والنشر، صفحة ١١٥.

قال بن هاشم[1]: وبدخول جيش الإمام إلى حضرموت انتهت السلطنة الكثيرية تماماً وأصبح السلطان عديم القوة والشوكة، واستبدت يافع بالإدراة، واستولت على أملاك الدولة وقسمتها بين عشائرها، فصارت سيؤن لآل الضبي، وتريم لآل اللبعوس، والشحر لآل بريك.

أما آخر الأئمة قبل الإمام أحمد فهو الإمام يحيى حميد الدين الذي ولد سنة ١٢٨٦هـ وقتل في سنة ١٣٦٧هـ عن واحد وثمانين عاماً، وكان الذراع الأيمن لوالده الإمام المنصور عند قيامه بالحكم سنة ١٣٠٧هـ وبويع بالإمامة سنة ١٣٢٢هـ واستمر يحكم مناطق من اليمن على فترات، وبقاع محدده، ثم أخذ في التوسع والسيطرة. ولما خرج الأتراك من اليمن سنة ١٣٣٦هـ تمكن من دخول صنعاء وأرسل البعوث لاستكمال الاستيلاء والسيطرة على أطراف اليمن ومناطقه.

إلا أن الإنجليز كانوا قد احتلوا عدن سنة ١٨٣٩م وتوسعوا فيما حولها وعقدوا معاهدات الحماية مع المناطق الجنوبية المحيطة باليمن، كما تفاوضوا مع الإمام واحتفظوا بوضعهم هذا طوال عمر الدولة الحميدية. وقام بعد الإمام يحيى ابنه الإمام أحمد المولود سنة ١٣١٣هـ والمتوفى سنة ١٣٨٢هـ.

قال بن عبيدالله: وقرأت في صحيفة المقطم الخميس ١٣ جمادى الاولى سنة ١٣٤٥هـ ما يأتي: والذين يدرسون تاريخ اليمن يعرفون أن مسلمي الجبال الذين يطلق عليهم اسم الشيعة الزيدية، وفي مقدمتهم أئمتهم السائدون على اليمن من نحو ألف سنة فهم أقدم الأسر الحاكمة في هذا العصر لم يطيقوا صبراً على سوء تصرف الموظفين الترك الذين كانت تقذف بهم الآستانة إلى ذلك الجزء الخصيب من بلاد العرب فأعلنوا الجهاد الديني وأصلوا الترك حرباً عواناً مدة قرنين ونصف، فازوا عليهم فيها غير مرة حتى أجلوهم عن بلادهم وسواحلها

---

(١) محمد بن هاشم، تاريخ الدولة الكثيرية، تريم للدراسات والنشر، صفحة ١٠٠.

نهائياً، ولكن هؤلاء يأتون بقوى جديدة يعيدون بها الكرة على الحديدة وغيرها من الموانئ، ويتقدمون حتى صنعاء عاصمة البلاد حتى أطلق بعض الكتاب على اليمن مقبرة الأناضول وألبانيا. ومع أن الحكم التركي استمر في اليمن أربعة قرون فإن نفوذ الترك لم يصل المنطقة الجبلية التي بقيت تتمتع بالاستقلال المطلق تحت رئاسة الأئمة.

وبعد عزل السلطان عبد الحميد قامت الحكومة الاتحاديه بحملة كبيرة بقيادة المشير أحمد عزت باشا، واختارت له هيئة ممتازة من كبار قواد الترك على رأسهم البكباشي عصمت بك اينونو رئيس الوزارة التركية الحاضرة، وأطلقت يد القائد في معالجة هذه المشكلة، وبعد المفاوضات عقدت معاهدة سنة ١٩١١هـ ومنحت تركيا لليمن استقلالاً إدارياً داخلياً، ونص فيها على أن لا يعين الوالي الذي يمثل الحكومة العثمانية إلا بعد موافقة الإمام. ومن ذلك اليوم توقف القتال وتصافى الفريقان وتناسيا العهد القديم، ولم تطلق رصاصة على تركي خلال السنوات التسع التي قضاها الترك بعد ذلك باليمن. (انتهى)[١].

وقال بن عبيدالله نقلاً عن أحد الموظفين الأتراك: ولما أعلنت الحرب العظمى بسط الإنجليز سيطرتهم على البحر الأحمر واحتلوا المنافذ البحرية وانقطعت كل صلة بين اليمن وتركيا وأصبح موقف الترك حرجاً باليمن فدعاهم الإمام يحيى إلى اجتماع عام وقال لهم ما معناه: أنتم إخواننا وجيراننا لكم ما لنا وعليكم ماعلينا، فكل ما يصيبكم يصيبنا، وثقوا أننا سننفق آخر درهم نمتلكه في سبيلكم، وإذا لم تبق سوى حفنة من ذرة اقتسمناها بيننا وبينكم، فطيبوا نفساً واطمئنوا بالاً. فقابل هؤلاء عمل الإمام بالشكر والثناء وقد برّ بوعده فلم يدخر وسعاً في مد يد المساعدة لهم زمن الحرب، وحفظ لهم عهدهم ووفى أعظم وفاء سجله تاريخ العرب في العصر الحاضر ولما عقدت الهدنة أعلنت الحكومة التركية تنازلها عما لها من حقوق في بلاد العرب، وصدرت الأوامر إلى الجيش التركي المرابط باليمن بالجلاء. (انتهى)[٢].

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني/ ١، صفحة ٦٠-٦١.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثانى/ ١، صفحة ٦١.

علاقة العلويين بأئمة اليمن

قال بن عبيد الله[١]: وسمعت من بعض الشيوخ ولا أجزم بأنه شيخنا أبو بكر بن عبد الرحمن بن شهاب أو غيره أن الاتصال كان وثيقاً بين العلويين وأئمة اليمن إلى أثناء القرن السادس، وعن بعض آخرين أن العلائق كانت قوية بينهم إلى آخر ذلك القرن، فإن قبلنا الرأي الأول عرفنا أن ذلك الاتصال لم ينقطع إلا لما حدث من دخول العلويين في أتباع الأشعري، وأما إن كان الرأي الثاني عرفنا أن تراخي العلائق إنما كان بسبب استيلاء الرسوليين على حضرموت وهم أعداء الأئمة الطاهرين.

قال بن عبيدالله: وكما منعت الزيدية الرواتب فقد منعت القنوت إلا بالقرآن، فلم يسع الناس إلا الامتثال. غير أن أحد المشائخ وكان ظريفاً أخذ يقنت بهذه الآية ﴿ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ۞ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾، فعاتبوه على ذلك، فقال: لم أليست آية؟ قالوا: بلى، ولكنك تتعمدنا بذلك وأرادوه على الترك فلج في الامتناع عن القنوت إلا بها حتى وافقوه على الدعاء المشهور وهو من أعدل الشواهد على إعطائهم (يقصد الزيدية) للحجة نصيبها. (انتهى).

قال بن عبيدالله[٢]: ورأيت في القنوت والجهر بالبسملة بحثاً ممتعاً في زاد المعاد لابن القيم حاصله أن النبي ﷺ جهر وأسر وقنت وترك، وكان إسراره أكثر من جهره، وتركه القنوت أكثر من فعله. وأهل الحديث لا ينكرون على من داوم فعله ولا يكرهون فعله ولا يرونه مخالفاً للسنة، فمن قنت فقد أحسن، ومن تركه فقد أحسن، ومتى عرف هذا فلا معنى

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ٧٠.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ٧٠.

للمشادة فيه ولا في أمثاله من مسائل الخلاف سوى التعصب الذي لا يرضى به المحققون من الأئمة مع ما أعطاهم الله من فضل العلم. (انتهى).

قال بن عبيدالله[١]: وما رأيت أشأم من التعصب، يأخذ بمراجح العقول حتى يصرفها عن وجه النظر الظاهر الصحيح، ألا ترى إلى حديث الفرقة الناجية، فقد زعم كل متمذهب أنها فرقته، ولو صح لأحد منهم ما يدعي لهلك أكثر أراكين الدين وباء بالخسار والتعذيب أكبر عظماء المسلمين، وما زلت في إشكال من ذلك حتى فرج الله عني بقول الشوكاني في صفحة ٨٣ ج أول من البدر الطالع أن الفرقة الناجية ليسوا بعض أهل هذه المذاهب الإسلامية على التعيين، بل هو كل متمسك بالشريعة المطهرة ومهتدٍ بهدي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم على أي مذهب كان وفي أي عصر وجد، (انتهى نقل بن عبيدالله عن الشوكاني)، قال بن عبيدالله: فبرد عليه قلبي واطمأن به خاطري. (انتهى).

وتحدث ابن عبيدالله في رسالته المسماة نسيم حاجر[٢] عن أخذ العلويين عن بعض أئمة الزيدية وقراءة كتبهم فقال: «فمن ظن بأحد من أهل البيت النفور عمن يخالفهم في المذهب من أهل الفضل فإنما ظن بهم التعصب الممقوت والتحزب المذموم، وحاشاهم من ذلك. وكان شيخنا الأستاذ الأبر الحبيب عيدروس بن عمر يعتد بالاخذ بواسطة شيخه الجليل أحمد بن علي الجنيد عن الإمام المهدي لدين الله وعن السيدين الجليلين علي وعبد الله ابني إسماعيل الأمير والسيد يحيى الأمير والشيخ محمد العنسي والقاضي محمد بن علي الشوكاني، وقد قرأ والدي (يقصد الحبيب عبيدالله بن محسن) كثيراً من كتب السادة الزيدية على أبيه وكان مغرماً بمؤلفات آل الأمير وآل الوزير.

قال بن عبيد الله: ولي الفخر إذ كتب لي إمام العصر القاضي المعمر الشيخ حسين

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ٧١.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، نسيم حاجر في تأييد قولي بمذهب المهاجر، صفحة ٢٨.

العمري إجازتيه الطويلتين في سنة ١٣٤٩هـ وقد طالعت النفس اليماني للإمام الحجة السيد عبد الرحمن بن سليمان الأهدل ورأيت فيه من الود والوئام والمصافاة والالتئام بين علماء المذهب ما تقرّ به العين. (انتهى).

ويصف بن عبيدالله كيف أن الزيدية قد تغيروا مع مرور الزمان فيقول: ولقد كان التعصب أمنع حجاب بين الزيدية ومن سواهم من أهل المذاهب، وأشد عقدة ولا سيما بينهم وبين الشافعية للمجاورة والمخالطة مع ما عليه محققوهم، كالإمام عبد الله بن حمزة والإمام محمد بن إبراهيم الوزير والإمام محمد بن إسماعيل الوزير من اطراحه (أي التعصب) ظاهرياً، ولكنه لم يتلاش أو يكد إلا في أيام الإمام الحالي (يقصد الإمام يحيى)، وكان ولي عهده وأخوه الشهيد محمد كذلك على مثل رأيه، فاجتمعت بهم الأيدي بعد افتراقها والكلمة بعد اختلافها والقلوب بعد تباغضها. وذهبت الحسائك أو كادت بعد اشتعال نيرانها. فالساكت عن التأمين لا ينكر على من يجهر به والذي يرفع يديه مع التكبير ثم يضمهما على صدره لا ينكر على المرسل وعكسه غالباً. (انتهى).

ولكي يدلل بن عبيد الله تدليلاً عملياً على تلاشي التعصب للزيدية يقول: وكان الشهيد (يقصد الأمير محمد ولي عهد الإمام يحيى وأخاه) يقدمني للصلاة وأنا شافعي فأراعي سائر أوضاع مذهبي وهو مثلوج الخاطر (انتهى). ثم شرح بن عبيدالله رغبة الأمير الشهيد في التقريب بين المذاهب ونشاطه في طبع الكتب فقال[1]: وقد اقترح علي قاموساً يجمع المذاهب الأربعة ومذهب الإمامية ومذهب الإمام زيد بن علي مع ترجيح الأسعد بالدليل وتعهد بالنفقات وإحضار الكتب، فقلت له إذا أحببت أن يكون مرجعاً على مرّ الأيام فلا بد من الاستعانة بعالم بعيد عن التعصب من كل مذهب لأن في الاجتماع بركة، فوافق على ذلك، ولكن مثل هذا العمل الجليل لا يتفضل به الدهر البخيل فخانه الشباب

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ٧١.

وفجع به الأحباب وهو الذي تكرم بطبع عدة كتب من كتب الزيدية بواسطة العلامة الجليل الكثير المؤلفات محمد بن محمد زباره فكان أفضل وسيلة لمعرفة الناس بأحوال الزيدية وإجلالهم إذ إنهم لم يكونوا يعرفون منها غير إيثار الحق للعلامة ابن الوزير وغير نيل الأوطار للشوكاني.

وقال بن عبيد الله عن الأمير محمد ولي عهد الإمام يحيى وأخيه: ومن فرط إخلاصه وتواضعه لم يذكر اسمه على هذه الكتب التي طبعها، وكان يأمرني بالخطابة كلما تيسر الاجتماع في الجمعيات وغيرها في التآلف ومضار التعصب وكتب إلي ينتقد قصر اسم الرابطة بجاوا على العلوية، كما سبق ذكره في موضعه. وقال إنه من دواعي التفرق. (انتهى)[١].

ثم قال بن عبيدالله[٢]: وقد لاحظت عليه الأذان في الحديدة بحي على خير العمل، مع أنهم لا يرونه لأنهم كلهم شافعية، فقال لي: لو منعته لثاروا علي. قال بن عبيدالله[٣]: وقد استفتى أحد المشايخ آل باوزير القطب الحداد: هل يجوز ترك الجمعة للتكليف بالدعاء لإمام الزيدية، فرد عليه الحداد بأن لا ضير في ذلك، وليس في الدعاء كبير محظور، ولكن المحظور إعطاء الزكاة لهم، يحكمون فيها بخلاف حكم الله ورسوله، فينبغي بل يجب أن لا تسلم إليهم إلا بشرط أن يضعوها حيث وضعها الله، فإذا علمت هذا فلا وجه لترك صلاة الجمعة بسبب الدعاء لأهل البدعة. (انتهى).

ولعل التعصب ضد الزيدية إنما يكون عن عدم المعرفة التامة بالمذهب الزيدي، وذكر بن عبيدالله[٤] في رحلته الإصلاحية للمناطق الجنوبية المجاورة لليمن مقابلته لمن يعملون على إثارة التعصب بين الشافعية والزيدية عن جهل فاضح، وأنه عمل على إزالة ذلك، ثم

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ٧٢.
(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ٧٢.
(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ٦٨-٦٩.
(٤) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ٣٢٣.

قال: وبينما كنت أثني على الإمام مرة في دثينه قال لي أحدهم: ولكنه ليس على الملة وإنما هو على مذهب زيد، فقلت: وهل تدري من هو زيد هذا؟ فقال: لا وإنما هو أحد أهل البدع، فقلت له: كلا، إنما هو زيد ابن الإمام علي زين العابدين بن شهيد كربلاء الحسين بن علي ابن فاطمة الزهراء، فقال لي: بالله عليك، فقلت له: بالله، فقال: اذاً هو أولى بالاتباع من الشافعي، فقلت له: نعم إنه يتفضل بولادته، والأئمه كلهم على هدى. (انتهى).

قال بن عبيدالله[١]: وأما اتصال أمير المؤمنين الحالي (يقصد الإمام يحيى) يحفظه الله بحضرموت فقد كان بدؤه كتاب منه لصاحب بلدنا السلطان المنصور بن غالب الكثيري، وحينما ورده جاء به إلى عندي هو وأخوه السلطان محسن بن غالب الكثيري والتمسا مني الإجابة ففعلت، وأمضياه ثم بعثا به فيما أظن مع صاحب مأرب حامل الكتاب إليهم، وأورد بن عبيدالله نص الكتاب وتاريخه محرم ١٣٢٧هـ. (انتهى).

ثم قال بن عبيدالله[٢]: ولم تزل الرسائل والقصائد في جيئة وذهاب بيني وبين ذلك المقام الشريف حتى وفدت عليه سنة ١٣٤٩هـ وأول ما لاقيته في قرية شمال صنعاء على ساعة منها في السياره يقال لها الروض بمنزل جميل مؤثث بأثاث عادي لا شهرة فيه، تقابلها بركة من الماء في أثنائها فوارة فأنشدته والدمع يقطر بيني وبينه قصيدة توجد بمكانها من الديوان، وكان ولي عهده حاضراً تهتز عواطفه أريحية، وتتوقد عيناه غيرة وحمية، وأخذ بيدي مع خروجي يودعني ويكرر علي: قد أجيبت دعوتكما، وكان على غرار أبيه علماً وحلماً وأدباً وحكماً إلى ما امتاز به من الشجاعة الخارقة، فبحق كانت له ولاية العهد. (انتهى باختصار).

ووصف بن عبيدالله الإمام يحيى فقال[٣]: فلقد رأيت ما يقصر عنه التصوير وينقطع دونه التعبير من كرم أخلاق هذا الإمام ولين جانبه وبسط عفوه وفرط تواضعه وخفة

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ٦٢ .

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ٦٤ .

(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ٦٤ .

حجابه وبروزه كل غداة تحت شجرة بفناء قصره لكل طالب حاجة. وكان بحكم السجية وسوم الطبيعة لا يضع سيفه حيث يكفيه السوط ولا سوطه حيث يكفيه الكلام، وبما غرس الله له من المحبة في القلوب انصرفت عنه شكاية الشاكين ولوم المستعتبين، فلا ينسب إليه أحد مكروهاً وإنما يجعلون التبعة على عماله وحكامه. (انتهى).

كما أن هيبة الإمام يحيى لم تمنع بن عبيدالله المعروف بشجاعته وجرأته من أن يوصل للإمام شكوى الناس من جور عماله قال بن عبيدالله[1]: وقد ذكرت له مرة ما يخوض الناس فيه من ضروب الأقاويل في نوابه بحق وبغير حق، وقلت: ربما كان ذلك بسبب انخفاض المرتبات، فقال: لو أعرف أن الزيادة تمنعهم من الجور لفعلت، ولكنهم لا يرتدون عن الجور ولو أعطيتهم ما أعطيت، فلا حاجة إذن أن أرزأ بيت المال وعلي لأهل كل ناحية أن أعزل من يتظلمون منه، وما عليهم إلا أن يتفقوا على تعيين البدل وأنا محتاج إلى مئات الموظفين، ومن لي بأن أجدهم الأمناء، والناس من قديم الزمان يتألمون لفقد الأحرار وأهل الأمانة فأفحمني. (انتهى).

قال بن عبيدالله[2]: ومن الفكاهة أنني أخبرت الإمام بمروري في السوق، فقال: كيف رأيته فقلت تحت الخطر، قال: لِمَ؟ فقلت له: لأن الدكاكين ضيقة، وفي كل دكان موقدان أحدهما للمداعة والآخر للقهوة، فلو أن شرارة طارت إلى لحية أحدهم لامتنع عليه إطفاؤها، لأن كمه الواسع ينسدل عليه، ويحول بينه وبين تلافي الأمر، وحينئذ تشتعل النار ويذهب السوق ضحية الأكمام الواسعة، كما ذهب إسماعيل بن طغتكين ضحيتها، فتبسم، وبما أنه بعيد الغور لم أعرف ما وقع الكلام من نفسه. (انتهى).

ويفهم الاحترام الشديد الذي يكنه الإمام يحيى لبن عبيدالله من اقتراح اقترحه على

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ٦٤-٦٥.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ٧٤.

الإمام، ثم اكتشف أنه غير لائق مع احترام مقام أمير المؤمنين الإمام، قال بن عبيدالله[١]: وقد اقترحت عليه مرجعي من الحجاز سنة ١٣٥٤هـ أمراً بشيء من سوء الأدب بكتاب سيرته مع البريد، فلم يكن منه، يحفظه الله، إلا أن عجل بالقبول، ولم يدَع للخواطر منفذاً إلى الاعتلاج بصدري. (انتهى باختصار).

ومن العلويين الذين كانت لهم علاقه بأئمة اليمن السيد حامد بن أبي بكر المحضار، فلقد عينه الإمام أحمد حميد الدين سفيراً لليمن في أثيوبيا تقديراً لمكانته وعلمه وتاريخه، فقد رأس في فترة من الفترات الوزارة القعيطية قبل أن يطلب الضابط الإنجليزي انجرامص إبعاده من الوزارة، كما أنه من القلائل الذين حصلوا على العالمية من الأزهر. ولفرط ذكائه حفظ القرآن الكريم في ثلاثة أشهر، وتحصل على العالمية كذلك في فترة قصيرة. ويروي العم حامد لوالدي أنه نصح الإمام أحمد في إحدى المرات بقصيدة يطلب فيها تحديث الأمور في المملكة المتوكلية، فقال له الإمام: ما هذا ياحامد؟ فقال له العم حامد: هذه نصيحة يا مولاي، فقال الإمام: ولكنا لا نحب الناصحين.

قال بن عبيد الله[٢]: ولما عدت إلى الحديدة كنت أنا وخيرة الشباب المغفور له البدر محمد بن أمير المؤمنين كالماء الصافي لا يخفي أحدنا عن الآخر ضميراً. وأشار علي أن أذهب إلى جاوا لأمر يخصني ولنصح الحضارمة بها ولفت أنظارهم إلى إصلاح وطنهم بدل المشاغبات التي استأصلت أوقاتهم وأموالهم بدون طائل، فإن تيسر ذلك وإلا عدت لأطراف اليمن لنشر الدعوة ولإصلاح المخالفات بين رؤساء تلك الأطراف. (انتهى).

وبرغم ما يكتنف ذلك العمل من خطورة فقد قام بن عبيدالله بالطواف على الأمراء والسلاطين في المحميات للدعوة لإمام اليمن غير آبه بما يمكن أن يتعرض له من خطر من

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ٣٢٤.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ٣٢٣.

جانب الإنجليز، وهو في هذا يقول[١]: وبأثر مراجعات توجهت (في سنة **١٣٤٩**هـ) إلى الكور ودثينة وبيحان وغيرها، وألفيت من أهالي تلك النواحي من الإقبال التام والطواعية الكاملة والقبول لدعوة الحق بالرغم من أن بعض الشحاذين الذين لا يمكنهم الاصطياد إلا مع الكدورة يعملون لإثارة التعصب بين الشافعية والزيدية عن جهل فاضح فعملت لإزالة ذلك حسبما يهواه أمير المؤمنين وولي عهده وأخي في الله محمد. (انتهى).

إلا أن بن عبيدالله أحب أن يعرف رأي الإمام فيما يفعل، فقال[٢]: غير أني لم أر من الأدب أن أقطع أمراً دون رأي من مولانا أمير المؤمنين لاسيما وقد بلغه أن بعضهم قد كتب إلى الحضرة الإمامية يحرفون الكلم عن مواضعه، فكتب بن عبيدالله إلى الإمام يحيى في الحجة من سنة **١٣٤٩**هـ يستشيره، فرد عليه الإمام بخطاب قال له فيه: «بأن الأمر الذي تريدونه عظيم الخطر لا يقوم بمثل من ذكرتم من أهل الوجوه الخ ذلك». قال بن عبيدالله: عند ذلك انكشفت الشبهة واستنار وجه الصواب واكتفيت بإقامة الإصلاحات فيما بينهم وانثنيت عن السفر إلى يشبم وغيرها من بلاد العوالق. (انتهى).

وامتن بن عبيدالله لتوجيه الإمام يحيى غاية الامتنان فقال[٣]: وكان في امتثال إشارة أمير المؤمنين الخلاص والسلامة من التبعات التي تعرضنا لها، فله الحمد إذ خار لي فيما صرفني به بإشارته من السياسة التي لا تصلح مع فساد الزمان وتراذل الأيام. (انتهى).

ويفهم من السياق أن الأمير محمد ابن أمير المؤمنين ربما اتفق رأيه مع بن عبيدالله على جمع كلمة هذه القبائل أولاً على إطاعة بن عبيدالله والاستجابة له تمهيداً للقيام بحركة لطرد الإنجليز وضم المحميات، وربما حضرموت كلّها إلى إمام اليمن، لأن بن عبيدالله قال بعد

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة **٣٢٣**.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة **٣٢٣**.

(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة **٣٢٤**.

ذلك[1]: «أما سيف الإسلام البدر فلم يستحسن انصراف العزم إلى هذا وبقي متعهداً بالمساعدة حتى لقد استجلب لذلك الغرض أسلحة ليست بالقليلة من ألمانيا، ووصلت الحديدة قبيل وفاته» (انتهى)، ولا أظن أن الأسلحة ستجلب من ألمانيا لاحتفالات الألعاب النارية.

وقد كان اليمن ملجأ للعلويين كلما دهمتهم المحن في حضرموت، ولما طلبت الحكومة القعيطية من السيد محمد بن عقيل بن يحيى مغادرة المكلا لأن بريطانيا كانت تنظر إليه بعين الريبة والحذر[2]، انتقل إلى عدن، ثم طلبه الإمام يحيى للإقامة باليمن، فانتقل إلى الحديدة سنة **١٣٤٩**هـ حيث شملته حفاوة الإمام.

وهنأه القاضي محمد بن يحيى الأرياني[3] حاكم بيت الفقيه بأبيات منها قوله:

أهــلا بقــادم خــير ... قــد بــر قــولاً وفعــلاً

من طاب في الناس فرعاً ... كمثل ما طاب أصلاً

ومــن رقــى في المعــالي ... فــوق الســماك وأعــلا

وقد توفي السيد محمد بن عقيل في الحديدة بعد سنة من وصوله في سنة **١٣٥٠**هـ.

ولما اشتد أذى السلاطين بحضرموت على بن عبيدالله اشتكى ذلك إلى الإمام يحيى فطلب منه الانتقال بأهله إلى اليمن في ضيافة الإمام إلا أن بن عبيدالله لا يمكن أن يستبدل بمدينة سيؤن التي يحبها أي مكان آخر.

ولعل ما يدل على نبذ الأئمة للتعصب واحترامهم للعلويين القادمين من حضرموت ما حصل للسيد العلامة إبراهيم بن يحيى الذي ذكر مؤلف شرف المحيا[4] بأنه انتقل من

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة **٣٢٣**.

(٢) أبوعبد الرحمن عبد الله العلوي محمد بن عقيل بن يحيى، العتب الجميل، صفحة ٤١ ..

(٣) أبوعبد الرحمن عبد الله العلوي محمد بن عقيل بن يحيى، العتب الجميل، صفحة ٤٣ .

(٤) محمد بن علوي بن يحيى شرف المحيا، تريم للدراسات والنشر، صفحة ١٩٦ .

حضرموت إلى الحديدة ليلحق بعمه السيد محمد بن عقيل بن يحيى. وبعد وفاة عمه انتقل إلى زبيد ثم سكن فترة في جبل صبر ثم انتقل في آخر المطاف إلى مدينة تعز حيث عينه الإمام أحمد حميد الدين عضواً في الديوان الملكي، ثم وزيراً للمعارف في محافظة تعز حتى قيام الجمهورية باليمن حيث عين مفتياً للمحافظة نفسها ورئيساً لجمعية كبار علماء اليمن. (انتهى).

وقد استمر الإمام أحمد حميد الدين في احترام العلويين واستقبالهم بما يليق بهم عند وصولهم اليمن وإكرامهم والاحتفاء بهم، وذكر والدي[١] في مذكراته مقابلته للإمام أحمد وما استقبله به مع مرافقيه بالحفاوة والتكريم.

ويلخص الحبيب مصطفى المحضار (١٢٨٢-١٣٧٤هـ) علاقة العلويين بحضرموت باليمن وأئمتها، ويكرر رغبة العلويين بأن تكون حضرموت جزءاً من اليمن الخالي من الكفار فيقول[٢]: ونحن نود بعزة الإسلام وخصوصاً أرض الإسلام النظيفة من الكفار واللئام على يد مولانا الإمام بغيناها تصفى له من أعلى اليمن إلى سفاله وحضرموت داخلة في اليمن ومذكورة في اليمن وحدودها في اليمن، واليمن منها وهي من اليمن صفيحة وحدة لا عقبة ولا رحبة ولا بحر ولا غبة (يصف سهولة الاتصال بين اليمن وحضرموت)، من سرح من أعلى اليمن بايضوي سيحوت طرف حضرموت ليش ما هي ملك واحد، وكل دولة يبقى في مكانه وكل سلطان في بلدانه وهم والإمام شيء واحد وهم في بعضهم البعض أحسن من غيرهم ويلقون نية للجهاد يسوقون من أرضهم الجراد إذا اتفقوا ما هم قليل. (انتهى).

ويؤكد الأستاذ صالح الحامد في تاريخ حضرموت علاقة حضرموت باليمن فيقول: سبق لنا أن ذكرنا تبعية حضرموت لليمن وأنها كانت من حيث السياسة جزءاً منها لا ينفصل وأنها كانت مربوطة باليمن سياسياً في أكثر الفترات من عهود التبابعة، إلا أنها صارت بعد

---

(١) محسن علوي السقاف، مذكراتي ومختاراتي.

(٢) محمد عبداللاه المحضار، خواطر وأفكار من مكاتبات الحبيب مصطفى المحضار، صفحة ٣٣٣-٣٣٤.

متعلقة بعدن بوجه خاص، أي أن عدن غدت همزة الوصل بينها وبين اليمن وذلك من عهد الصليحي. (انتهى)[1].

هذا وبعد توحيد اليمن كما تمنى ذلك الحبيب مصطفى المحضار استمر العلويون يتمتعون باحترام الدولة اليمنية وتقديرها بأكثر مما سبق في الماضي.

* * *

(١) صالح بن علي الحامد، تاريخ حضرموت، الجزء الثاني، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٥٤٥.

الفصل الرابع والتسعون

العلويون والإدريسي



السيد محمد بن علي الإدريسي

نبذة تاريخيه عن أمارة الإدريسي[١]

ولد السيد أحمد الإدريسي سنة ١٧٥٨م في بلدة العرائش من أعمال فاس وهو شريف حسني من الأدارسة المشهورين ببلاد المغرب درس العلوم في مدينة فاس ثم سافر وهو في العقد الرابع من عمره إلى مصر وأقام بها قليلاً ثم سافر إلى مكة فأقام بها ثلاثين سنة يناقش العلماء ويدرس العلوم الروحية وقد لزمه في مكة السيد أحمد السنوسي من علماء المغرب الذي نشر بعد عودته إلى المغرب طريقة الإدريسي الصوفية في المغرب كما صحب الإدريسي في مكة محمد المجذوبي من أولياء السودان ونشر فيما بعد طريقة الإدريسي الصوفية بأفريقيا. ثم اجتمع السيد أحمد الإدريسي في مكة بمفتي زبيد السيد عبدالرحمن بن سليمان الأهدل وقام الأهدل بنشر صيت الإدريسي في بلاد اليمن ونظراً لعلاقة السيد عبدالرحمن الأهدل بالعلويين في حضرموت حيث تتلمذ على يده كثير منهم مثل الحبيب محمد بن حسين الحبشي المتوفى بمكة[٢] (١٢١٣-١٢٨١هـ) ولهذا فليس بمستغرب أن ينتشر صيت الإدريسي بين العلويين بحضرموت.

ثم تحركت همة السيد أحمد الإدريسي لزيارة اليمن ونزل في ضيافة السيد عبد الرحمن الأهدل وأقام بزبيد عشرين يوماً طاف بعدها تهامة ثم عاد مرة ثانيه إلى زبيد وأقام بها عدة أشهر وقد ذاع صيته في جميع الجهات وانتشرت طريقته الصوفية وأجاز فيها السيد عبد الرحمن

---

(١) مأخوذة باختصار عن كتاب ملوك العرب، تأليف أمين الريحاني صفحة ٢٩٣-٣٢٠، مع زيادات من مخطوطة بن عبيد الله.

(٢) أحمد بن عبدالرحمن السقاف الأمالي تعليقات طه حسن السقاف دار الأصول صفحة ٥٥.

الأهدل و أولاده إجازة عامة في جميع العلوم المقربة من الله تعالى ولا تزال زعامتها في بيت الأهدل إلى اليوم.

ثم تحرك السيد أحمد الإدريسي شمالاً فزار الحديدة ومراوغه وباجل ثم استقر واستوطن صبيا البلدة المشهورة القريبة من أبي عريش واتصل به بصبيا الشيخ إبراهيم الرشيد ولزمه سبع سنين وهو صاحب الطريقة الرشيدية وله أتباع بعدن وقد توفي السيد أحمد الإدريسي سنة ١٨٣٧هـ ودفن بصبيا وأصبح ضريحه مزاراً.

ولما حج الحبيب حسن بن صالح البحر (١١٩١-١٢٧٣هـ) مع الحبيب أحمد بن علي الجنيد (١١٩٧-١٢٧٥هـ) مرا في طريق حجهما على السيد أحمد الإدريسي بصبيا فوجدا درسه غاصاً بالناس فقرأ عليه الحبيب الجنيد الرشفات فتكلم الإدريسي على كل بيت فيها واستشهد في كل بيت بشاهد من الكتاب العزيز وشاهد من السنة وقرأ عليه الحبيب حسن رسالته التي ألفها وسماها (صلاة المقربين) فقال الإدريسي لئن كان صاحب هذه الرسالة موجود تضرب إليه أكباد الإبل ولكن الحبيب حسن لم يعرف بنفسه[١].

وكانت تهامة وعسير يوم توفي السيد أحمد الإدريسي في حكم مضطرب ومع أن البلاد من القنفذة حتى المخا كانت في حوزة إبراهيم باشا ابن محمد علي الذي احتلها بجنوده سنة ١٨٢٦م باسم الباب العالي إلا أن الأهالي لم يذعنوا له بالكليه برغم حملاته الإحدى عشر التي حملها عليهم من الطائف ومن البحر.

وقد استمرت الحالة المضطربة السابقة عشرين سنه ثم قررت الدولة العلية سحب جنودها من تهامة وعسير سنة ١٨٤٠م فطمع في خلافتها على هذه المنطقة كل من شريف مكة محمد بن عون والشريف حسين بن علي حاكم أبي عريش والإمام الزيدي في صنعاء إلا أن محمد علي باشا قرر تسليمها لحاكم أبي عريش الشريف حسين بن علي مقابل أن يدفع سنوياً مبلغاً من المال لخزينة الدولة العلية.

---

(١) طه حسن السقاف فيوضات البحر الملي صفحة ٥٨.

وكان الشريف حسين بن علي مستبداً ظالماً ونشبت بينه وبين إمام اليمن حرب استمرت بضع سنين تناوبته فيها الهزيمة والنصر ثم تمكن من بسط سيادته على موانئ تهامة كلها حتى المخا. ثم رجعت جيوش الدولة العثمانية مرة ثانية بقيادة توفيق باشا ونزلت الحديدة سنة ١٨٤٩ واسترجعت الحكم من الشريف حسين الذي عاد إلى مقر حكمه في أبي عريش أما الجيش العثماني فسار في طريقه إلى صنعاء فعاد الاضطراب والفراغ السياسي مرة ثانية إلى تهامة.

ولما كثر الزوار من تهامة وعسير ومن اليمن لمقام الإدريسي بصبيا وجد السيد محمد بن أحمد الإدريسي أن الفرصة سانحة لتحويل مقام والده إلى دولة فبدأ أبناء إدريس يستخدمون العشائر الموالية لهم لمناهضة أشراف أبي عريش حتى تغلبوا عليهم ثم حاربوا الأتراك فلم يفلحوا إلا أن السلطة الروحية سهلت لملكهم أن يتقوى ويستمر كما وصل جاههم إلى مصر وبلاد المغرب.

ثم سافر السيد عبدالمتعال ابن السيد محمد إلى مصر وتزوج وأقام هناك في قرية الزينية قرب الأقصر ورزق بعدة أولاد سافر بعضهم إلى المغرب وتزوجوا هناك من بيت السنوسي وأقاموا في القيروان. كما تزوج السيد محمد بن أحمد الإدريسي بجارية سودانية ولدت له ابنه علي وقال الريحاني وكان ذلك بداية الدم الأسود في سلالة بني إدريس ثم تزوج السيد علي بفتاة هندية وأنجب منها ابنه السيد محمد الذي ولد في صبيا سنة ١٨٧٦م ولما بلغ سن الشباب انتقل إلى مصر والتحق بالأزهر وأمضى به سبع سنوات وتخرج منه ثم سافر إلى المغرب وقرأ هناك على السيد السنوسي ومنها انتقل إلى دنقله بالسودان وأقام ثلاث سنوات وتزوج هناك بابنة شيخ الطريقة الأحمدية ثم عاد إلى صبيا بأمر والده وتوفي والده بعد وصوله بنحو ثلاث أو أربع سنين.

وكان الحكم التركي بعسير غير مستقر في تلك الفترة وكثرت المشاغبات بين رؤساء القبائل فاستغل السيد محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن إدريس هذه الفرصة وتمكن بدهائه

وحسن سياسته أن يسود على العشائر ويؤسس حكماً قوياً وقد سطع نجمه أثناء الحرب العظمى الثانية فحالف الإيطاليين أولاً ثم الانجليز تالياً وحارب الأتراك والشريف وإمام صنعاء وعقد مع الانجليز معاهدة بعدن سنة **١٩١٥** وباشر بعدها القتال ضد الأتراك ووصلت جنوده شرقاً إلى قرب صعدة وشمالاً في تهامة إلى القنفذة التي أخلاها فيما بعد للملك حسين ابن علي إكراما لأصدقائه الانجليز وقد ساعدت الحرب العظمى على مد نفوذه الذي امتد بعد إعلان الحرب فشمل الحديدة ومعها اللحيه والصليف وباجل وتوفي السيد محمد بن علي في سنة **١٩٢٣**م.

وكانت للعلامة ابن عبيد الله علاقة بالسيد محمد بن علي الإدريسي سببها كما ذكر ابن عبيد الله في بضائع التابوت[١] كتاب أرسله إليه سنة **١٣٣١**هـ العلامة الشيخ سالم بن عبد الرحمن باصهي وهو شيخ السيد الإدريسي وأحد تلاميذ والد ابن عبيد الله الحبيب عبيد الله بن محسن السقاف (١٢٦٢هـ - ١٣٢٤هـ) وقد ذكر العلامة باصهي في هذا الكتاب المرسل إلى مفتي حضرموت جملة من أخبار وعلوم الإدريسي بتفصيل شافي وكيف وصل به الحال إلى ما صار من الإمارة كما أوضح ابن عبيد الله أن الإدريسي لم يخرج عن الدولة العلية وإنما هي قد جهزت عليه عندما حركها بعض حساد الإدريسي فلم يكن منه إلا المدافعة فقط كما أوضح له اجتهاده الكبير في الورع والزهد ثم تواردت الكتب بين الإدريسي وابن عبيد الله.

قال ابن عبيدالله ثم استدعاني السيد محمد بن علي الإدريسي في سنة **١٣٣٥**هـ فحالت الموانع حتى تمكنت من تلبية دعوته في سنة ١٣٤٠هـ فبالغ في التحفي بي إلى ما لا نهاية واستجاز مني وأجازني بإجازة مطوله.

وكانت وزارة الشريف الإدريسي إلى رجلين يقال لأحدهما يحيى زكريا وللثاني محمد بن يحيى باصهي وهو حضرمي من أسرة الشيخ سالم باصهي وعندما كنت هناك استرسل

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثالث صفحة **١٣١-١٣٤**.

معي محمد يحيى وقال لي إن الشريف الإدريسي صعد قلعة صبيا ذات يوم فأطل على هذه البناية التي أنزلوني فيها وهي بالحقيقة صغيرة ليس فيها إلا منزل واحد بمرافقه فقال متجاهلاً لمن هذه قالوا لمحمد يحيى فقال ما هي إلا قلعة فاستشعرت الخوف من بعدها فماذا ترى فقلت له إن لم ترتكب بظلم مع قيامك بهذه الدولة فلا بأس عليك ثم لم تطل بعدها مدة الشريف الإدريسي بل مات وشيكاً في سنة ١٣٤٢هـ قيل بمرض الدماغ من كثرة الأعمال والأشغال وقيل مسموماً ولم يخلف مالاً مع كثرة ما يقبض منه وقد وردتني منهم تعزية فيه بترسل بديع بإمضاء أخيه الحسن بن علي (انتهى باختصار وتصرف).

قال الريحاني: وبعد وفاة السيد محمد بن علي الإدريسي طلب الناس الخلافة لشقيقه حسن بن علي إلا أنه رفضها متعللاً بانحراف صحته وحبه للعزلة فبايع الناس ابن الأمير السابق علي بن محمد بن علي إلا أن ابن عبيد الله ذكر كما سنرى فيما بعد أن الاثنان تنازعا الخلافة ووقعت بينهما حرب.

وقد ولد الخليفة الجديد السيد على بن محمد في دنقله بالسودان من أم سودانية سنة ١٩٠٥م ثم انتقل إليها مع أمه وهو ابن سبع سنين حيث تلقى علومه بعسير. إلا أن الإدريسي ومن معهم من العشائر لم يستطيعوا الصمود إمام غارات الإمام يحيى الذي استولى في سنة ١٩٢٥م على الحديدة وعلى الموانى الأخرى بتهامة ثم استمر حكم الإدريسي بعد ذلك مضطرباً فتنازل الأمير على عن الإمارة لعمه الأمير حسن الذي عقد معاهدة حماية مع الملك عبد العزيز آل سعود وفي سنة ١٩٣٣م ضمت عسير نهائياً إلى المملكة العربية السعودية.

ويوضح ابن عبيدالله[١] الأحداث المتابعة التي مرت بإمارة الإدريسي فيقول وفي الليلة التاسعة من رمضان من سنة ١٣٣٣هـ أبصر أهل الحديدة سراج بارجة بعيد في البلاد ولما أصبح الصباح إذا بخمس بوارج انجليزية وواحدة فرنساوية بميناء الحديدة وخرج من أحدها بوت يحمل رسالة من القائد العام يعرض على الترك الباقين بالحديدة التسليم أو

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثالث صفحة ١٣٤-١٣٥.

الحرب فاختاروا الثاني وكانت البوارج قد أنزلت عساكرها المقدرة بأكثر من ألفين ليلاً فالتحم القتال وانهزم الفرنجة رغم قلة الترك وانسحبوا إلى بوارجهم تاركين وراءهم أمتعتهم وأسلحتهم ولكن البوارج أمطرت الحديده بقنابلها لمدة شهر حتى دمرت مبانيها ومرافقها ثم حصلت الهدنة وطلب الإنجليز منهم اختيار من يريدون لحكمهم فاختاروا الأتراك أو المصريين فقال لهم الإنجليز أما هذا فليس إليه من سبيل فقالوا نريدكم فقالوا إن معاهدة لوزان تقضي علينا بإرجاع بلاد العرب لأهلها ثم لم يشعروا إلا بدخول جيش الإدريسي بقيادة السيد مصطفى عبدالعال فسلمهم الإنجليز الحديدة وعادوا إلى بوارجهم وغادروا وكان ذلك في سنة ١٣٣٩هـ.

وبقيت الحديدة وأكثر بلاد تهامة تحت الإدريسي إلى أن توفي وخلفه ابنه السيد على بن محمد فاختلف مع عمه ثم حاصر عمه وانتصر عليه ثم حصل الشجار بين السيد علي بن محمد والسيد مصطفى عبدالعال من حدود اللحيه وميدي إلى الحديدة ثم انفض الناس من حول السيد مصطفى لبخله وقسوته فهرب ولم يجد طريقاً إلى الطائف غير أرض الزرانيق ولهم عنده ثار فاقتصوا منه ثم مكنوه من الهرب إلى كمران ثم ولي السيد علي خاله عبد المطلب على الحديدة.

وأشار عبدالمطلب هذا على السيد علي بن محمد باعتقال أعيان البلاد من قواد ووزراء وهم أكثر من الثلاثين وفيهم محمد طاهر رضوان قائد الجيوش العام وفيهم يحيى زكريا ومحمد يحيى باصهي فاعتقلهم ونفى بعضهم إلى عدن والبعض الآخر إلى جزيرة فرسان ثم أعلن الحرب على السيد هادي هيج فاستعان الأخير بالإمام يحيى فاستولى الإمام يحيى على الحديدة ونواحيها بدون حرب وهرب عبدالمطلب إلى كمران في سنة ١٣٤٣هـ ثم نزل إلى جيزان وفيها السيد على بن محمد الإدريسي فجمع ألفافاً من الناس ونزل بهم إلى بلدة حبل فصبحهم جيش الإمام واستولى على حبل وميدي وقتل عبدالمطلب في حبل ولم تزد ولايته على الحديدة أكثر من خمسة أشهر.

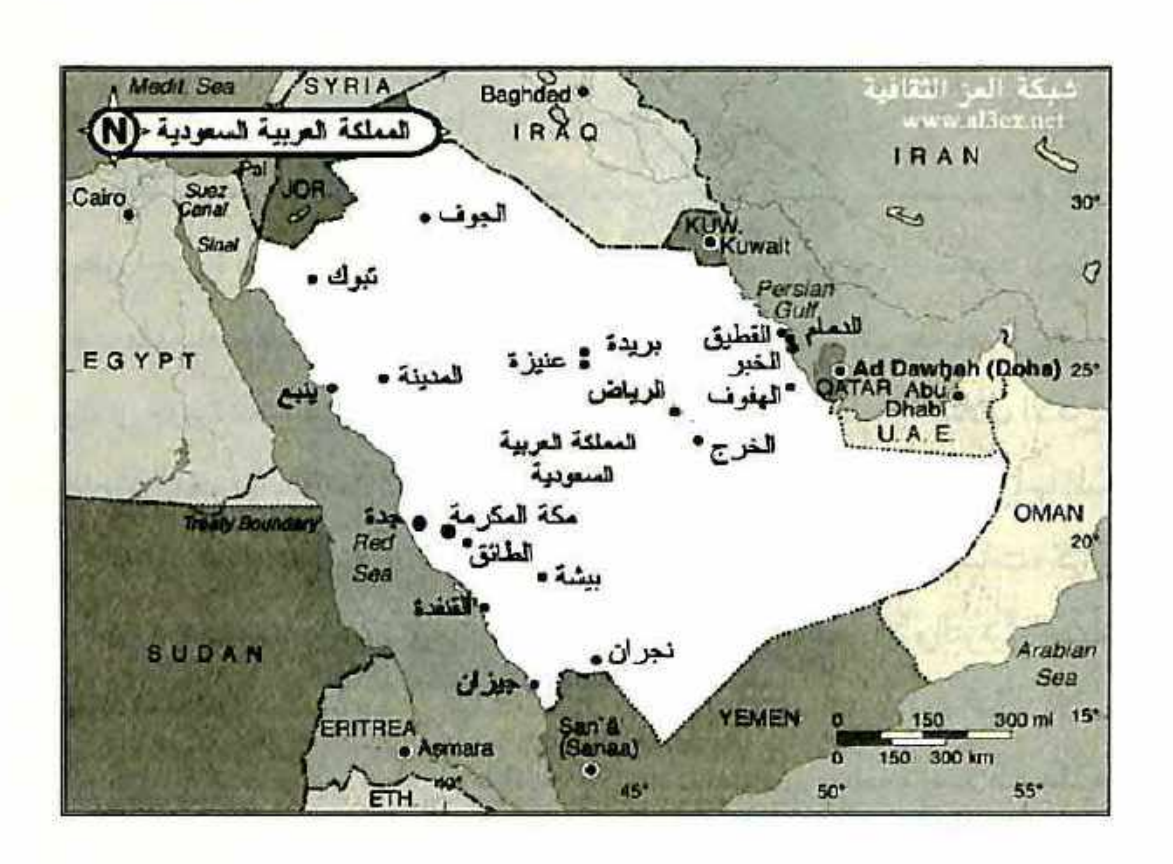
ثم اجتمع أهل صبيا وجيزان على خلع السيد علي بن محمد وتولية عمه الحسن فأكد المعاهدة التي بينه وبين الملك عبدالعزيز آل سعود وسلم له البلاد على أن يكون له استقلال داخلي فيها أو شبه استقلال وان تتلقى العائلة الإدريسية مرتباً شهرياً قدره ١١ألف ريال ومرت الأحوال بسلام ولكن الشيخ محمد يحيى جاء إلى صبيا بعد خلع السيد علي وعمل على إثارة الشر بين الحسن والملك ابن السعود فهجم الحسن على عسكر الملك عبد العزيز في جيزان وقتل وأسر ثم جاءت عسكر الملك عبدالعزيز واستولت على البلاد وهرب الأدارسة ثم عفى عنهم الملك عبدالعزيز وعادوا إلى جيزان.

ولكنهم ثاروا على السعوديين مرة ثانية وزعموا أن الشيخ محمد بن يحيى سول لهم أن يثوروا ثم جاءت العساكر السعودية فلم يكن لهؤلاء طاقه إلا الهرب فهرب الحسن ومن معه من أولاد أخيه إلى الإمام يحيى فأبقاهم في أطراف دولته وكتب الإمام للملك عبد العزيز يسترحمه لهم فاجري لهم ألفي ريال شهرياً بشرط أن يكفوا شرهم وأن لا يتداخلوا في أمر السياسة ثم نشبت الحرب بين السعوديين والإمام يحيى ولما انتهت كان من شروطها تسليم الأدارسة للسعوديين وفاءً بمعاهدة بينهم قديمة ولما وصل الأدارسة جيزان تلقاهم أميرها من قبل الملك عبد العزيز بغاية البشر والترحاب وأولم لهم وليمة عظيمة وأبلغهم أن الملك عبدالعزيز يقول لهم عفى الله عما سلف ثم أخذوهم موفوري الكرامة إلى مكة المشرفة حيث هم بها إلى الآن (انتهى باختصار).



الفصل الخامس والتسعون

العلويون والدولة السعودية



لقد كان توحيد البلاد السعودية وإعلان قيام المملكة العربية السعودية واحدًا من أعظم الأحداث في القرن العشرين، فقد شاءت إرادة الله التي تعهدت بحفظ الإسلام وقرآنه بأن يتهيأ للمسلمين في كل فترة من فترات التاريخ دولة تحمي مقدسات المسلمين وتدافع عنها.

وكما قامت الدولة الأيوبية بحماية المسلمين من الصليبين، وقام المماليك بحماية المسليمن من التتار، ووقف العثمانيون يذبون عن الإسلام خطر الدول الأوروبية ويدافعون عن الإسلام لفترة تجاوزت الأربعمئة سنة.

ولما سقطت دولة الخلافة العثمانية تعرضت البلاد الإسلامية والحرمين لأعظم الخطر لولا أن هيأ الله للإسلام والمسلمين قيام الدولة السعودية الجديدة التي تأسست عام **١٣٣٣**هـ على يد بطل الجزيرة العربية المغفور له الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود لتحمل راية الدفاع عن مقدسات المسلمين ولتؤمن الحجاج والمعتمرين ولتطبق شريعة الله وتنشر الأمن والسكون في جزيرة العرب، بعد أن كانت مضرب المثل في الاضطراب واختلال الأمن، ثم لم تكتفِ الدولة السعودية بذلك، بل إنها لم تنس - عندما أفاض الله عليها الخير - إخوانها المسلمين في أي مكان من العالم فتصلهم بالمواساة والإغاثة حال وقوع المصائب والنكبات، كما بذلت المملكة العربية السعودية الجهود المتواصلة في الإصلاح بين المسلمين والتوفيق بينهم، بل وفتحت المملكة العربية السعودية أبوابها لاستقبال العمال وطلاب الرزق من البلاد الإسلامية المختلفة ليكتسبوا عيشهم فيها في أمن وطمانينة، وكانت بذلك أكبر جامعة إسلامية عالمية تعلم فيها مئات الملايين من هؤلاء المهاجرين أحكام الشريعة الإسلامية، ونبذت القبائل العربية التي هاجرت للعمل بالمملكة العربية السعودية نبذت عاداتها القبلية الذميمة المتمثلة في الأخذ بالثأر والسلب والنهب والجهل بالصلاة وأحكام الدين وتخرجت من هؤلاء المهاجرين أجيال من العلماء والفقهاء وحفظة القرآن. وفيما يلي نبذة تاريخية عن تأسيس المملكة العربية السعودية وعن موحدها رجل التاريخ الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود.

نبـذة تـاريخيـة[١]

عن تأسيس المملكة العربية السعودية



بطل الجزيرة العربية وموحدها الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود

ولد موحد البلاد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود في الرياض سنة ١٢٩٣هـ ونشأ في كنف والده وتعلم القراءة والكتابة، ودرس القرآن الكريم وأصول العقيدة الإسلامية واكتسب مهارات الفروسية منذ زمن مبكر. وقد طور معارفه بمجالسة

(١) ملخصة عن كتاب وزارة التربية والتعليم تاريخ المملكة العربية السعودية للصف الثالث المتوسط طبعة سنة ١٤٢٧-١٤٢٨هـ صفحة ٧٠-٨١.

الأمراء والقادة والعلماء. وقد عاش الملك عبد العزيز مع والده بالرياض المرحلة الصعبة التي انتهت بنهايتها الدولة السعودية الثانية سنة **١٣٠٩**هـ، ثم انتقل مع والده إلى البادية، حيث ساعدته قسوة الحياة في البادية على زيادة مهاراته الشخصية وقدراته القيادية.

ثم انتقل مع والده الإمام عبد الرحمن الفيصل آل سعود إلى الكويت وعمره حينها سبعة عشر سنة، وبقي أثناء إقامته بالكويت على اتصال مباشر بحاكم الكويت الشيخ مبارك الصباح يتردد على مجالسه ويستمع إلى الأحاديث السياسية والاجتماعية التي تدور في مجلسه. وتعرف على مجريات الأحداث العالمية، كما جالس الزعماء والقادة وممثلي الحكومات الأجنبية في الكويت، فاكتسب من ذلك مهاراته وخبراته السياسية والاجتماعية.

ثم استطاع بعمل بطولي خارق مع عدد من أقاربه وأتباعه لا يتجاوزون أربعين رجلاً الاستيلاء على مدينة الرياض في الخامس من شوال سنة **١٣١٩**هـ، ثم خاض بعد ذلك حروباً مريرة استطاع بها أن يضم إلى بلاده نجداً سنة **١٣٢٥**هـ ثم الأحساء سنة **١٣٣١**هـ، ثم جبل شمر (حائل) سنة **١٣٤٠**هـ. بعد هزيمة العثمانيين في الحرب العالمية الأولى وانسحابهم من عسير استقل حسن بن عائض بحكمها ثم تمكن الأمير فيصل بن عبد العزيز من هزيمة ابن عائض وضم عسير للبلاد السعودية في سنة **١٣٤١**هـ.

تمكن الملك عبد العزيز من ضم الحجاز سنة **١٣٤٤**هـ وإنهاء حكم الأشراف للحجاز، أما آخر منطقة تم ضمها للبلاد فكانت جازان في سنة **١٣٥١**هـ والتي كان يحكمها الإدريسي. وبعد أن تم توحيد جميع مناطق البلاد عقد مؤتمرًا بالطائف، وطالب فيه المجتمعون من الملك عبد العزيز تسمية البلاد (المملكة العربية السعودية)، فوافق على ذلك وصدر بذلك مرسوم ملكي في **٢١** جمادى الأولى من سنة **١٣٥١**هـ.

وفي سنة **١٣٧٣**هـ انتقل الملك عبد العزيز إلى رحمة الله تعالى وهو بالطائف، ونقل جثمانه إلى الرياض ودفن بها.

علاقة الملك عبد العزيز بالعلويين

كانت للملك عبد العزيز يرحمه الله علاقه بآل السقاف في مكة، ولما دخل الملك عبد العزيز مكة كان قصر السقاف بمكة هو المكان المناسب لإقامته. وعرف الملك عبد العزيز لعائلة السقاف قدرهم فعيّن السيد إبراهيم بن عمر السقاف في أول مجلس شورى أقامه الملك عبد العزيز.

وذكرنا في فصل آخر أن الملك عبد العزيز وافق على استمرار مشيخة السادة والتي كانت نوعاً من التكريم للعلويين من الدولة العثمانية لولا أن الحضارمة اختلفوا فيما بينهم فيمن يتولى المشيخة، ولهذا لم تقم لمشيخة السادة قائمة بعد العثمانيين.

ولما قامت الفتنة بين الإرشاديين والعلويين في إندونيسيا بعث الملك عبد العزيز بخطابات إلى الطرفين، كما كلف السيد إبراهيم بن عمر السقاف بالتوسط نيابة عنه بين الطرفين. وقد حاز الملك عبد العزيز بفروسيته وشجاعته وتدينه محبة العلويين، بل إنهم تمنوا أن تنضوي بلادهم تحت حكمه، وذكر علاّمة حضرموت بن عبيداللاه في بضائع التابوت: إنه لما قابل الملك عبد العزيز في مقره بالمعابدة قبيل حج سنة ١٣٥٤هـ قال له الملك: إنّ حكومة الإنجليز أرسلت إلي في رمضان من هذه السنة من يفاوضني بشأن حضرموت، وقال بن عبيداللاه: فسرني هذا الكلام كثيراً وبنيت عليه الآمال الطويلة العريضة غير أن السياسة لا لون لها، كما أنها تتلون بألوان الظروف (انتهى).

هذا، واستمرت علاقة آل سعود الطيبة مع آل السقاف، فقد كانت للملك فيصل علاقة طيبة بالسيد إبراهيم بن عمر السقاف، إلا أن أقوى علاقه كانت بين الملك فيصل والسيد عمر عباس السقاف الذي عينه الملك فيصل وكيلاً دائماً لوزارة الخارجية، ثم وزير دولة للشؤون الخارجية، وكان الساعد الأيمن للملك فيصل في الشؤون الخارجية، وعمل

السيد عمر السقاف في الخارجية ستة وعشرين عاماً، كانت هي مشواره في الحياة إلى أن وافته المنية وهو يؤدي عمله في نيويورك عام ١٩٧٤م عن عمر بلغ (٥١) عاماً.

وقد أصبحت المملكة العربية السعودية وطناً للعلويين وغيرهم من الحضارمة والعرب والمسلمين يجدون فيها الرعاية والاحترام وينعمون بالأمن والسكينة، ويكسبون فيها معيشتهم ويسعدون بتطبيق أحكام الشريعة الغراء في الشعائر والمعاملات والأحكام والتعليم.

❊ ❊ ❊

الفصل السادس والتسعون

العلويون أثناء حكم الحزب الاشتراكي لحضرموت



عندما تعاظمت المشاكل التي يواجهها الإنجليز في عدن والمحميات قرروا مغادرة جنوب اليمن كلياً ورغم أنه كانت هناك عدة قوى سياسية عاملة في الجنوب مثل رابطة الجنوب العربي وجبهة التحرير وغيرها إلا أن الإنجليز اختاروا الجبهة القومية لسبب غير واضح وسلموا لها مقاليد الأمور واختاروها لتخلفهم في حكم هذه البلاد العربية.

ولم يكن هذا الاختيار عشوائيا فالإنجليز يعرفون ا الميول الماركسية للجبهة القومية ويعرفون ما يمكن أن تصير إليه الأمور تحت حكمها.

وتتوضح لنا أسباب اختيار الإنجليز للجبهة القومية من كلام اللورد همفري تريفليان مهندس الانسحاب البريطاني من عدن وقد أورده عوض العرشاني في كتابه على لسان تريفليان قوله: كانت ضربات الحركة الوطنية قد جعلت الوجود البريطاني مخاطرة غالية التكاليف وكان المطلوب هو انسحاب يحمي المصالح البريطانية ويحول دون اتحاد اليمنيين أو تبني النظام الوريث لسياسة قومية عربية يتيح فرصة وجود دولة متقدمة على علاقة طيبة بالعرب ومقبولة من جيرانها على نحو يهدد المصالح البريطانية في عمان والخليج (انتهى)[١].
ولم تخطر نتيجة هذا الاختيار على عقل أحد فقد توحدت البلاد كلها كما لم تتوحد من قبل لكنها وقعت من أدناها لأقصاها تحت ما سماه عوض العرشاني بالإرهاب الشيوعي في اليمن الجنوبية[٢]والذي استمر ثلاثين عاماً.

ويلخص عوض العرشاني في كتابه الإرهاب الشيوعي في اليمن الجنوبية ما آل إليه الحال فيقول: لقد كانت بلادنا قلعة من قلاع الإسلام والإيمان فحولها الضالون إلى حصن من حصون الشرك والفساد والإلحاد[٣].

---

(١) عوض العرشاني الإرهاب الشيوعي في اليمن الجنوبية صفحة ٨٧.

(٢) عوض العرشاني الإرهاب الشيوعي في اليمن الجنوبية الطبعة الثانية ١٩٧٩.

(٣) عوض العرشاني الإرهاب الشيوعي في اليمن الجنوبية الطبعة الثانية ١٩٧٩ صفحة ٩٨.

وعن علاقة الجبهة القومية بالإنجليز ذكر الأستاذ عبدالرحمن بعكر[١] (أنهم يدينونهم باستعمار بلادهم واستغلال ثرواتها بينما هم في حقيقة الأمر على تواطؤ معهم وتنسيق مستمر كما شهدت به الأحداث وفصله الأستاذ عبده حسين الأهدل في كتابه «الاستقلال الضائع» (انتهى).

وفي الثلاثين من نوفمبر ١٩٦٧م تسلمت الجبهة القومية حكم جنوب اليمن من الإنجليز وكان الإنجليز قد رتبوا قبل هذا التاريخ بقليل رحلة عربية لسلاطين القعيطي والكثيري والمحميات حتى لا يشكل وجودهم عقبة أمام تسليم الحكم للجبهة القومية وتمت أمور التسليم والاستلام والسلاطين متمتعين بجولتهم العربية.

وقد رأس قحطان الشعبي وفد الجبهة القومية للمفاوضة مع الإنجليز بجنيف صبيحة الاستقلال في الثلاثين من نوفمبر ١٩٦٧ ثم تولى رآسة الجمهورية. وفي مارس من السنة التالية اجتمع المؤتمر الرابع للجبهة القومية وأعلن قناعاته الماركسية واعتقل كبار رجال الجيش[٢]. إلا أن قحطان الشعبي لم ينعم برآسة الجمهورية طويلاً فقد أرغمه أنصار الخط الماركسي على إعلان استقالته بنفسه سنة ١٩٦٩م وسارع الماركسيون بعدها بتعيين سالم ربيع رئيساً للدولة وعبدالفتاح إسماعيل أميناً عاماً للجبهة القومية بينما اقتيد الرئيس قحطان ورئيس وزرائه إلى السجن حيث قتل رئيس وزرائه أثناء سجنه وبقي قحطان مسجوناً حتى وفاته.

وذكر العرشاني أن قحطان الشعبي وضع في بيت مهجور بين الجبال وكان حراسه يسمعونه يصيح بالليل ويخاطب جدران معتقله بكلام غير مفهوم[٣]. وبعد تولي سالم ربيع الحكم اتضح الخط الماركسي لهذه الدولة كنظرية والتجربة السوفييتية كتطبيق وقال

---

(١) عبدالرحمن طيب بعكر نظرات في التاريخ العام لليمن صفحة ٢٣٦.

(٢) عبدالرحمن طيب بعكر نظرات في التاريخ العام لليمن صفحة ٢٣٥.

(٣) عوض العرشاني الإرهاب الشيوعي في اليمن الجنوبية الطبعة الثانية ١٩٧٩ صفحة ٢٦٢.

الأستاذ بعكر[١] (وبدافع من فيلسوف الحزب والموجه الأكبر داخله عبدالفتاح إسماعيل تم تنفيذ قانون الإصلاح الزراعي وما جرى باسمه من مصادرات للأرض وانتهاكات للعرض وإزهاق للأرواح وسفك للدماء في بشاعة لا مثيل لها وقد فصلت ذلك في كتابي «لله واليمن» وقد شملت المصادرة المؤسسات والمتاجر وحتى دكاكين التجزءة وسيارات الأجرة وقوارب الصيد. ثم بدأت الحملة الظالمة الآثمة على علماء الإسلام وعقلاء البلد وقد فصل ذلك الأستاذ عبده حسين الأهدل في كتابه «الاستقلال الضائع» والدكتور عبدالولي الشميري في كتابه «ألف ساعة حرب» وأورد أسماء بعض العلماء والكيفية الأليمة لقتلهم (انتهى).

ثم تفجر الوضع بين الرئيس سالم ربيع والأمين العام عبد لفتاح إسماعيل وأدى ذلك إلى مقتل سالم ربيع في سنة ١٩٧٨م وبقي الصراع على السلطة متقطعاً بين الرفاق الماركسيين حتى انفجر بينهم قتال دموي في يناير من سنة ١٩٨٦م وقتل عبد لفتاح إسماعيل ضمن من قتل كما توسع هذا الصراع المسلح في عدن وأدى إلى قتل الآلاف من المواطنين الأبرياء[٢].

ثم انتهت مقاليد الأمور في جنوب اليمن بعد ذلك إلى علي سالم البيض حتى جاءت الوحدة بين جنوب اليمن وشماله في سنة ١٩٩٠م إلا أن علي البيض سرعان ما تراجع عن الوحدة وانفصل بجنوب اليمن وقامت بين الدولتين حرب طاحنة لمدة شهرين انتهت بانتصار شمال اليمن في سنة ١٩٩٤م وتوحيد اليمن في دولة موحدة يرأسها الرئيس علي عبدالله صالح[٣].

---

(١) عبدالرحمن طيب بعكر نظرات في التاريخ العام لليمن صفحة ٢٣٧.

(٢) عبدالرحمن طيب بعكر نظرات في التاريخ العام لليمن صفحة ٢٤٩.

(٣) عبدالرحمن طيب بعكر نظرات في التاريخ العام لليمن صفحة ٢٥٤.

تأثير حكم الحزب الاشتراكي على العلويين

مما لاشك فيه أن العلويين بحضرموت وغيرها من مناطق جنوب اليمن عاشوا كغيرهم من المواطنين كابوساً مخيفاً طوال هذه الفترة ونتج عن ذلك هجرة أعداد كبيرة من العلماء والصلحاء والوجهاء إلى خارج البلاد. وأغلقت كثير من المدارس الدينية مثل رباط تريم وفرضت على رجال الدين كثير من القيود وحرم المواطنون من السفر ومن أراد السفر حتى إلى صنعاء أو تعز فعليه أن يأتي بضامن من قرابته يضمن عودته إلى جحيم الاشتراكي أو يدفع مبلغاً كبيراً من المال كضمان.

وقال عوض العرشاني في كتابه الإرهاب الشيوعي في اليمن الجنوبية: إن الطابع العام للتعليم في ذلك العهد يعتمد على التلقين الإجباري للنظرية الماركسية وتشويه العقيدة الإسلامية وإنكار وجود الله تعالى[١]. وتاكيداً لهذه السياسة انشأ النظام مدارس خاصة لتعليم الثقافة العقائدية الماركسية مثل مدار س النجمة الحمراء ومدارس الزحف الأحمر ومدارس الشعلة والبروليتاريا[٢].

وشجع الحزب الإلحاد في المؤسسات النقابية والثقافية والعمالية والنسائية والجدل في الروحانيات كقولهم: «إذا كان الله خالق فمن خلق الله وإذا كان موجوداً فيلرينا ذاته» ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾. كما شجع نظام الحكم فتح حانات الخمور وبيوت الدعارة أمام بيوت الله[٣]. كما قامت الحكومة بحظر بناء مساجد جديدة وأغلق بعضها

(١) عوض العرشاني الإرهاب الشيوعي في اليمن الجنوبية الطبعة الثانية ١٩٧٩ صفحة ١٠١.

(٢) عوض العرشاني الإرهاب الشيوعي في اليمن الجنوبية الطبعة الثانية ١٩٧٩ صفحة ١٠٢.

(٣) عوض العرشاني الإرهاب الشيوعي في اليمن الجنوبية الطبعة الثانية ١٩٧٩ صفحة ١٠٣.

واعتبار من يؤدي الصلاة رجعياً وخطراً على النظام[١] وقامت بتحويل بعض المساجد إلى مراكز لتدريس الماركسية وأماكن للعرض السينمائي[٢].

وحظر نظام الحكم على أئمة المساجد التعرض للجوانب الروحية ومعجزات الخالق في صنع الكون وعدم التعرض للفساد وظواهر الإلحاد المتفشية في البلاد ومن خالف ذلك من العلماء كان مصيره الموت بالسحل ولقد قام النظام بربط حوالي مائة وخمسين عالماً وخطيباً بحبل في مؤخرة السيارات وجرهم حتى الموت وأطلق عليهم وصف رجال الكهنوت وبعد عملية السحل رموا جثثهم قرب منازلهم وهم يهتفون «أين ربكم يا رجال الكهنوت ليحميكم منا» أو (أين قرآنكم)[٣].

وممن سحل من العلويين بهذه الطريقة السيد أحمد بن صالح الحداد الذي يبلغ السبعين عاماً من بلدة نصاب[٤]. وقال العرشاني وأصبح لجهاز أمن الثورة صلاحيات واسعة فعبث بأمن المواطنين وانتهك حرماتهم واعتدى على أعراضهم[٥]. واستعان النظام بخبراء في التعذيب والقتل والخطف من ألمانيا الشرقية برآسة العقيد متقاعد (ويت)[٦].

وقال العرشاني إن المواطن أصبح يعيش في قلق ورعب مستمر وكان عملاء النظام لا يتورعون عن مداهمة المنازل في أي وقت وإن كان وقتهم المفضل بعد منتصف الليل[٧]. ووصف العرشاني قصص عديدة من وسائل الخطف والقتل والترويع[٨].

---

(١) عوض العرشاني الإرهاب الشيوعي في اليمن الجنوبية الطبعة الثانية ١٩٧٩ صفحة ١٠٥.

(٢) عوض العرشاني الإرهاب الشيوعي في اليمن الجنوبية الطبعة الثانية ١٩٧٩ صفحة ١٠٦.

(٣) عوض العرشاني الإرهاب الشيوعي في اليمن الجنوبية الطبعة الثانية ١٩٧٩ صفحة ١٠٥-١٠٦.

(٤) عوض العرشاني الإرهاب الشيوعي في اليمن الجنوبية الطبعة الثانية ١٩٧٩ صفحة ٢٠٤.

(٥) عوض العرشاني الإرهاب الشيوعي في اليمن الجنوبية الطبعة الثانية ١٩٧٩ صفحة ١٤٨.

(٦) عوض العرشاني الإرهاب الشيوعي في اليمن الجنوبية الطبعة الثانية ١٩٧٩ صفحة ١٤٩.

(٧) عوض العرشاني الإرهاب الشيوعي في اليمن الجنوبية الطبعة الثانية ١٩٧٩ صفحة ١٦٩.

(٨) عوض العرشاني الإرهاب الشيوعي في اليمن الجنوبية ١٩٧٩ صفحة ١٧٠-١٨٠.

ومن خطف من العلويين ولم يعرف مصيره إلى اليوم العلامة السيد محمد بن سالم بن حفيظ كما مات السيد محمد بن عبد اللاه الجفري في سجنه وكان مديراً لبلدية سلطنة الفضلي[١]. وذكر العرشاني على عدة صفحات من كتابه قصصاً مأساويه لهتك الأعراض مما يندى له الجبين وتنفر من سماعها العروق فهذه سيدة راودوها في ابنها وابنتها وانتهى الأمر بمأساة وأخرى عفيفة اغتصبوها وقتلوا خطيبها وقصص أخرى فظيعة لا داع لذكرها كما أورد العرشاني قصصاً عديدة من قصص إجبار المدرسات على ممارسة الرذيلة[٢].

كما أصدر نظام الحكم قانوناً للأحوال الشخصية يتعارض مع الشرع الشريف ويمنع الزواج إلا بإذن خاص من الحزب مع منع زواج الأقارب[٣].

كما أورد العرشاني في كتابه كثيراً من الأحداث المرعبة والوقائع الفظيعة التي لا يتصور أحد أن يقوم بها مسلمون في بلد عربي مسلم كان منارة من منارات الدين الإسلامي ذلك البلد الذي خرج منه الدعاة الذين نشروا الإسلام وعلموا الأخلاق الفاضلة في بلاد العالم المختلفة ولمئآت السنين.

نعم لقد أذاق الله هذه البلاد لبأس الجوع والخوف لثلاثين السنة والله يعلم ما اقترفه الناس من ذنوب استحقوا به هذا العذاب الشديد الذي استمر ثلاثين سنة حتى أن أحداً لم يكن يتصور أن ينقشع هذا الكابوس المخيف ولكن لما شاءت إرادة الله لهذا العذاب أن يزول زال في غمضة عين ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.

---

(١) عوض العرشاني الإرهاب الشيوعي في اليمن الجنوبية ١٩٧٩ صفحة ١٤٥.

(٢) عوض العرشاني الإرهاب الشيوعي في اليمن الجنوبية ١٩٧٩ صفحة ٢٣٦-٢٣٩.

(٣) عوض العرشاني الإرهاب الشيوعي في اليمن الجنوبية ١٩٧٩ صفحة ٢٣٩-٢٤٠.

من ضحايا الحزب الشهيد السيد محمد بن سالم بن حفيظ[١]



الشهيد السيد محمد بن سالم بن حفيظ

ولد العلامة السيد محمد بن سالم بن حفيظ بتريم سنة **١٣٣٢**هـ وأخذ العلم عن مشايخ تريم والتحق برباط تريم وفيه تتلمذ على يد العلماء الإجلاء أمثال الحبيب عبدالله بن عمر الشاطري والحبيب علوي بن عبدالله بن شهاب والسيد أحمد بن عمر الشاطري وغيرهم كثير ثم لما أكمل تعليمه تصدر هو للتدريس بالرباط وتخرج على يديه كثير من الطلبة كما تولى التدريس بمدرسة الكاف ومدرسة جمعية الأخوة والمعاونة إضافة إلى الدروس التي يقيمها في المساجد أو في منزله وكان فقيهاً متضلعاً وله عدة مصنفات فقهية مطبوعة وديوان شعر مطبوع إضافة إلى تدوينه لترجمه وافية لشيخه الحبيب عبدالله بن عمر

---

(١) ملخص من كتاب العقود الجاهزة والوعود الناجزة للسيد عبدالقادر الجنيد.

الشاطري حوت الكثير من الفوائد الدينية والعلمية والتربوية، وكان عضواً بمجلس القضاء الشرعي ثم تولى رآسة مجلس القضاء بعد وفاة العلامة الشيخ سالم سعيد بكير.

وكان الشهيد محمد سالم بن حفيظ داعية مشهوراً لا يحابي ولا يوارب ولا يخاف في الحق لومة لائم حتى أنه أوذي بسبب صراحته قبل هذه الفترة المظلمة فلم يبالي وكان أهل تريم وغيرهم يثقون فيه ويستودعونه أماناتهم.

وكان يقرأ صحيح البخاري في شهر رجب من كل سنة وعند ختمه يقيم حفلاً مفتوحاً يحضره الجمع الغفير من أهل تريم وضواحيها وكان يخرج في كل أسبوع إلى ضواحي تريم للوعظ والإرشاد فينتفع به أهل القرى والبوادي وكان مع علمه وشهرته عظيم التواضع نادر المثال في الجد والنشاط موزعاً أوقاته في العبادة والعلم وعمل الخير وكان مرجعاً للناس في حل المشاكل والمنازعات وكان موفقاً فلا يتوجه لحل نزاع إلا ويكون الحل على يديه. وقد حج حجة الإسلام سنة ١٣٦٨هـ وبعد أداء الحج قام برحلة إلى شرق أفريقيا فزار كينيا وزنجبار وتنزانيا ووعظ في رحلاته ودرس ثم حج بعدها عدة حجات وزار الهند وباكستان.

ولما استولى الحزب الاشتراكي على مقاليد الحكم وطبق الأنظمة الشيوعية لم يتوقف شيخنا الشهيد من إنكار هذه الأمور بشدة وصار يتكلم ضد هذه الإجرآت المخالفة لشرع الله في كل المجالس العامة ونصحه خواصه بأن يلتزم الصمت كبقية العلماء خوفاً من بطش الشيوعيين لكنه لم يقبل إلا الاستمرار في الذب عن الشريعة المحمدية ونصرتها وهددته السلطة بعواقب الأمور إن لم يتوقف عن الكلام فلم يبال وكانت السلطات قد ألزمته مع عدد من العلماء بالذهاب يومياً إلى مكتب المأمور للتوقيع كل في وقت محدد لإثبات وجودهم في البلاد.

ولما كان يوم الجمعة الموافق ٢٩ من شهر الحجة ١٣٩٢هـ ذهب إلى المسجد الجامع مبكراً فلما جاء الوقت المعين للحضور لمكتب المأمور خرج من المسجد وترك رداءه في محله

بالجامع وذهب ليوقع ويعود ولكنه لم يعد ولم يعرف مصيره إلى اليوم وإن كان من المؤكد أنه عذب ثم قتل. ومن أولاده المشهورين الداعية الشهير السيد عمر بن حفيظ والسيد مشهور بن حفيظ ولقد أسسا بتريم دار المصطفى الذي أصبح منارة مشهودة يقصدها الطلاب من كل مكان كما اكتسب السيد عمر عن والده الحيوية والنشاط فهو كثير الرحلات إلى أصقاع العالم المختلفة وله خطب بليغة ومواعظ مؤثرة كما قام السيد مشهور بن حفيظ إلى جانب الوعظ والإرشاد قام بدور والده في الإصلاح والتوفيق بين الناس وهو مرجع لأهل تريم في كثير من أمورهم[١].



(١) عبدالقادر بن عبدالرحمن الجنيد العقود الجاهزة والوعود الناجزة صفحة ٥٠-٥٦.

الفصل السابع والتسعون

العلويون بعد توحيد اليمن[١]



(١) نبذة تاريخية ملخصة من الموسوعة العربية العالمية المجلد ٢٧ صفحة ٣٤٤

كانت اليمن دولتين شمالية وأخرى جنوبية، ثم بفضل المساعي المشتركة بين الحكومتين اليمنيتين حدث توحيد لشطري اليمن في ٢٢ مايو عام ١٩٩٠ م، وتسلم رئاسة الدولة رئيس اليمن الشمالي الرئيس علي عبد الله صالح ونائبه الرئيس علي سالم البيض رئيس اليمن الجنوبي، ومرت على الوحدة أربع سنوات بدأت تظهر خلالها الصعوبات والمعوقات، وتوسعت الخلافات حتى اندلعت الحرب بين الشطرين الموحدين في سنة ١٩٩٤. وحاولت بعض الدول العربية والجامعة العربية التوسط بين الطرفين دون جدوى، وأعلن اليمن الجنوبي انفصاله عن اليمن الشمالي واستعادة اسمه السابق جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية، وتولى السيد عبد الرحمن الجفري منصب نائب الرئيس، وكان الشخص المؤثر أثناء المعركة وأبدى شجاعة فائقة، إذ كان يخرج حاسر الرأس إلى مواقع القتال وأماكن الضرب بالطائرات.

واستمرت الحرب بين الدولتين، ثم أصدر مجلس الأمن قراره فى بداية يونيو ١٩٩٤ م بوقف القتال الدائر فوراً إلا أن الحرب لم تتوقف إلا بعد هزيمة علي سالم البيض وفراره مع وزرائه خارج اليمن، وعندها أعلن توحيد شطري اليمن في دولة واحدة يرأسها الرئيس علي عبد الله صالح.

العلويون بعد توحيد اليمن

ذكرنا في الفصول السابقة معاناة العلويين خلال حكم الطوائف القبلية بحضرموت والذي استمر قرابة المائة والخمسين سنة، وما حصل خلال هذه الفترة الطويلة من اضطراب الأمور بحضرموت وانتشار الفتن والقتل والسلب والنهب وتفشى الجهل والابتعاد عن فروض الدين حتى قال الحبيب أحمد بن عمر بن سميط إن تسعة أعشار أهل حضرموت لا يصلون، وقد قام العلويون ما وسعهم خلال هذه الفترة المضطربة من تاريخ حضرموت بمهمة الإصلاح بين المتقاتلين ونصح قادتهم والدفاع عن المستضعفين الذين وقع عليهم أكبر الضرر فحفظ الله بجهودهم كثيراً من الأرواح والأموال، كما حاول العلويون محاولات

متعددة لجلب قوة خارجية تضبط أمور البلاد فاتصلوا بالقوى الكبرى في ذلك العهد، وعلى رأسها الدولة العثمانية، كما اتصلوا بأئمة اليمن، وبوالي مصر محمد علي باشا، كي يأتوا إلى حضرموت ويخلصوهم مما هم فيه ويقيموا دولة تحفظ الأموال وتصون الأرواح وتقيم الشريعة المحمدية، فلم يوفقوا في مساعيهم فاتجهوا بأنظارهم إلى القوى المتوفرة بداخل حضرموت يبحثون عمن توسموا فيه الخير من رجال القبائل لإقامة دولة قوية تقضي على الفتن وتؤمّن البلاد وتقيم الشريعة الغراء فناصروا بن مقيص الذي أقام دولة بحضرموت كانت أقصر الدول عمراً إذ لم تصمد أكثر من سنتين، ولما لم يجد العلويون البديل مع تفشي اضطراب الأمن وانتشار الفتن واعتداءات القبائل المتكررة على العزل والمساكين عاهدوا السيد طاهر بن الحسين خليفة ليقيم شرع الله ويزيل الظلم ويؤمن الخائفين، وعاهدته مجموعة من قبائل حضرموت، إلا أن دولته لم تدم أكثر من دولة بن مقيص حيث لم تكن القبائل المتعاهدة مخلصة له ولم تتجرد عن مطامعها وعاداتها القبلية، فلم تستمر هذه الخلافة، وتنازل الحبيب طاهر عن خلافته وعاد إلى متعبده.

ثم شجع العلويون آل كثير على استعادة ملكهم، ووقفوا معهم بكل ما أوتوا من قوة حتى تكللت المساعي العلوية والكثيرية بالنجاح، واستطاع السلطان غالب بن محسن الكثيري إقامة الدولة الكثيرية الثانية، كما استولى السلطان عوض القعيطي على شبام ومناطق أخرى من داخل حضرموت وضم مدن الساحل أيضاً، وأقام دولته القعيطية المترامية الأطراف.

واستمر العلويون مستشارين ومؤيدين لقادة هاتين الدولتين الحضرميتين اللتين عرفت للعلويين قدرهم وحفظت لهم مكانتهم. ورغم أن هذه الدول حققت في حضرموت أمناً نسبياً، كما أنها عملت على تطبيق الشريعة المحمدية إلا أن هذه الدول لم تتمكن من السيطرة الكاملة على القبائل والبوادي، واستمرت أعمال السلب والنهب والقتل خارج المدن، كما حتمت الظروف الاقتصادية الصعبة على دولة الكثيري التي لم يكن لها مصدر تمويل خارجي مثل القعيطي الذي يمتلك ثروة واسعة بالهند، ولم تنقطع صلاته بالهند طوال سنين حكمه،

حتمت هذه الظروف على آل كثير التشديد على الرعايا وفرض إتاوات سموها الدفعة، ولا يسامحون فيها حتى المساكين، ما اضطر شخصاً فقيراً مثل المؤرخ سالم بن حميد الكندي لبيع بعض كتبه. قال بن حميد في تاريخه: وأما الدولة (الكثيرية) فلم تزل منهم المطالبة للرعية إلى غاية ألجأوني مع قلة ما بيدي وعلمهم بذلك، إلى بيع كتاب عمدة السالك وأنا ظنين بهذا الكتاب[١].

وكان عبيد السلطان يقومون عند تأخر السلطان في دفع رواتبهم باحتلال بيوت الأعيان وأكل ما عندهم، ولا يتوقفون عن أذية الرعية حتى يتدبر السلطان أمر مرتباتهم. وقال بن حميد في تاريخه: وأمرت الدولة العبيد بالهجوم على الرعية والطلوع إلى بيوتهم وبيوت السادة عدواناً وظلماً وجهلاً[٢].

وقد أورد بن عبيدالله في بضائع التابوت بعض المظالم الأخرى التي حصلت للرعية من الدولة الكثيرية.

وقال الأستاذ الشاطري في أدوار التاريخ الحضرمي: ومن المثالب أيضا تدخل السلطان في أمر القضاء بما يوافق هواه، ويتعرض القضاة للشدة حتى يوافقوا السلطان على ما يريده، إلا أن ذلك لا يكون في الأمور الكبيرة التي تخالف الشرع مخالفة كبيرة[٣].

ويقول الأستاذ علي بن أحمد باكثير: «وكان نفوذ الحكومتين لا يتعدى أسوار المدن التي يقيم فيها السلاطين أو من ينوب عنهم من الحكام، أما ما عدا ذلك من الضواحي والجبال والوديان، فكان مسرحاً لحوادث القتل والنهب بين أفراد القبائل من حملة السلاح، وكانت عين السياسة البريطانية في عدن تغض بصرها عن هذه المذابح ولا تعيرها التفاتاً، على الرغم من وجود التزامات ومعاهدات بينها وبين سلاطين حضرموت فيما يختص بحفظ الأمن

---

(١) سالم بن حميد الكندي، تاريخ حضرموت، المجلد الثاني، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٩٩.

(٢) سالم بن حميد الكندي، تاريخ حضرموت، المجلد الثاني، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ١٢٢

(٣) محمد بن أحمد الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي، الناشر عالم المعرفة، صفحة ٢٥٠-٢٥١.

والاستقرار بين ربوع الأهالي والسكان، وذلك لأنها كانت لا ترى في هذه الحوادث ما يسبب قلقها ويهدد سلامة مواصلاتها المرتبطة بمحميتها عدن، لبعد مراكز هذة القلاقل عنها»[١]. (انتهى).

وذكر الأستاذ باكثير دور المستشار الإنجليزي انجرامص فقال: «واستطاع بعد جهد أن يقضي على أسباب الفوضى بما قام به من وسائل العنف والشدة واستخدامه سلاح الطيران في ضرب القبائل الثائره بالقنابل والقذائف المحرقة، فخضعت له القبائل واستسلمت لسلطان القوة»[٢].

ويقول بن عبيدالله عن حال القبائل الحضرمية بعد تدخل بريطانيا عام ١٣٣٦هـ «صار الشنافر أذل من أبناء السبيل حتى لقد منعوا من حمل السلاح ومن إطلاق البنادق في الأفراح. ومن الغرائب أن ضبعاً وقعت في شباك أحدهم فما جسر أن يطلق بندقيته عليها حتى هربت»[٣]. انتهى.

إلا أنّ التدخل البريطاني كما قال الأستاذ باكثير لم يحقق الأمن بحضرموت، واستمرت أعمال القتل والسلب والنهب، وبقيت الطرقات غير مأمونة، وأورد بن عبيدالله أمثلة كثيرة على ذلك، منها مقتل السيد عبد الله بن شيخ بلفقيه سنة ١٣٥٩هـ عندما قاد سيارته من تريم إلى سيؤن، فصادف الحموم كامنين بجبل كحلان، ولما اقتربت السيارة أطلقوا عليها النار فأصيب، وتوقفت السيارة، ولما عرفوا أنها عزلاء نهبوها وفيها جماعة استنجدوا بآل شملان فقالوا لا وجه لنا ولا يهمنا شيء بعد ظهور الحكومة، وذهب المال ودم السيد أدراج الرياح. قال بن عبيدالله: واضطربت الأمور في كل ناحية، واختل الأمن واستشرى الفساد، وانعكس

---

(١) د. محمد أبو بكر حميد، حضرموت فصول في التاريخ والثقافة، صفحة ٨٢.

(٢) د. محمد أبو بكر حميد، حضرموت فصول في التاريخ والثقافة، صفحة ٨٣.

(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مطبعة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٣٤٢.

ذلك الأمن انعكاساً هائلاً، ولقي أهل شبام من بدو آل كده ومن على شاكلتهم أذى كثيراً وفساداً عظيماً[١].

ثم ذكر بن عبيدالله مقتل السيد العيدروس فقال: بن عبيدالله إنه في ليلة ٢٧ من رمضان سنة ١٣٥٩هـ قتل ناصر بن عوض السيد أبا بكر بن عبد الرحمن العيدروس ظلماً بجامع تاربة، والجامع يغص بالناس وبجماعات من قبائل العوامر فما تحرك أحد لقتله، واعتذر العوامر بأن لا شأن لهم بعدما بسطت الحكومة الكثيرية نفوذها عليهم وهرب القاتل إلى نجد العوامر حيث تزوج وبقي يتردد إلى داره بتاربة سراً في بداية الأمر، ثم في العلن. ويقال إنّ الحكومة الكثيرية جدت في طلبه، فسافر إلى السواحل الأفريقية[٢].

قال بن عبيدالله: وبأثر ذلك تحرك وفد من السادة بسيؤن للإصلاح بين الحموم والحكومتين الكثيرية والقعيطية فلم يتم شيء، ولما عاد الوفد تمكن المناصب آل العيدروس بالشحر من عقد صلح مع الحموم لمدة شهرين، عاد الحموم بعد انتهائه لما كانوا عليه من السلب والنهب، فبعثت الحكومة البريطانية ثلاثين من عسكرها بقيادة بركات الأردني، فحمى الطريق بين سيؤن وتريم[٣].

وقال بن عبيدالله أيضاً: وكثيراً ما ترددت يافع والضابط انجرامس ما بين الشحر والغيل في خفارة بنادقهم، فلم يطلع لهم أحد من الحموم، وكذلك يفعل بركات الأردني في تردده ما بين الغيل وحضرموت، أما عبيد السلطان الكثيري فلا يجسرون إذا عادوا من الغيل أن يمشوا بلا خفارة[٤]. وقال بن عبيدالله: وقد انعقدت في الأخير هدنة بين الدولتين والحموم لمدة خمسة أشهر فنسأل الله الحماية والتسديد[٥].

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ١٧٦.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلدان حضرموت، مطبعة الإرشاد، صفحة ٤٤٧.

(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ١٧٦.

(٤) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ١٧٦.

(٥) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ١٧٧.

كما أننا نفهم مما أورده ابن عبيدالله في تاريخه أن بريطانيا كانت لا تتدخل إلا إذا تعرض أحد مواطنيها للاعتداء، مثل ضربها لآل جابر بالطائرات عند تعرضهم لسيارة بها شخص من الإنجليز[١]، بل قال بن عبيدالله إنّ سبب حرب الغرفة التي شنتها بريطانيا على بن عبدات كان مقتل سائح إنجليزي[٢].

كما لم تهتم بريطانيا بأمور حضرموت الاقتصادية والمعاشية، فلم تظهر الطرق المسلفتة، ولا كثرت المدارس ولا انتشرت المستشفيات. وعن ذلك قال الأستاذ علي بن أحمد باكثير: «وبالرغم من نجاح العمليات الإرهابية التي قام بها عمال الحكومة البريطانية فإنهم لم يوفقوا في إصلاح الحالة الاقتصادية والاجتماعية والصحة العامة، وقد حاولوا بعد انتهاء العمليات الإرهابية أن يقوموا بتنفيذ بعض المشروعات الاقتصادية كبناء السدود وأقراض الفلاحين وإرشادهم للطرق الزراعية الحديثة وإنشاء خطوط المواصلات بين الساحل والداخل، ولكنهم فشلوا في كل أعمالهم ولم يوفقوا في شيء من ذلك»[٣]. (انتهى).

وذكر بأحمدان أن السلطان صالح بن غالب القعيطي سافر بنفسه إلى القاهرة لشراء مولّد وأجهزة كهربائية لتوسعة الإنارة في البلاد[٤]، كما أنجز مشروع الكهرباء بمدينة سيؤن عاصمة الدولة الكثيرية على نفقة الشيخ سالم عبيد باحبيشي. كما أن الطريق المعبد الوحيد بين ساحل حضرموت وداخلها قد بني بمجهود ونفقة السادة آل الكاف، واستغرق العمل في إنجازه عشر سنوات، وبدأ تنفيذه سنة ١٣٤٥هـ[٥].

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلدان حضرموت، مطبعة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٤٦٨.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلدان حضرموت، مطبعة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٣٤٠.

(٣) د. محمد أبو بكر حميد، حضرموت، فصول في التاريخ والثقافة، صفحة ٨٣.

(٤) محمد سالم بأحمدان، عهد السلطان صالح بن غالب القعيطي، صفحة ١٢٥.

(٥) جعفر السقاف وعلي أنيس الكاف، الزعيم أبو بكر بن شيخ الكاف، تريم للدراسات والنشر، صفحة ٤٦-٤٧.

ولاحظ بن عبيدالله ملاحظة جديرة بالاهتمام عند ذكره الموت الفجائي لاثنين من الشخصيات، منهم السلطان ناصر بن طالب، وكانت حكومة عدن تحاول اتحاده مع آل أحمد بن هادي، وجعلهم دولة واحدة، فأما آل أحمد بن هادي فرضوا، وأما هو فأبى، ولكنه توفي فجأة في عدن سنة ١٩٤٠ م، وفي السنة نفسها توفي أيضاً بعدن فجأة نقيب الموسطة الشيخ أبو بكر عقب مقابلته لوالي عدن، وقال بن عبيدالله: وكذلك كل من لم يوافق حكومة عدن على هواها يموت فجأة، لأن لله جنوداً من عسل (انتهى)[١].

وحدثت في البلاد الحضرمية مجاعة عامة أثناء الحرب العالمية الثانية، وذكر خميس حمدان في كتابه عن الشحر أن سبب ذلك أن حضرموت بكافة ألويتها تستقدم من الهند جميع مستلزماتها الغذائية والكمالية، وعمدت بريطانيا على تحويل هذه الصادرات الهندية إليها لتموين جيش الحلفاء مع ما تجلبه من سواحل أفريقيا وغيرها، ووقفت جميع الإمدادات من الهند وفرغت مستودعات الشحر من المواد الغذائية[٢].

ومع أن بريطانيا قدمت بعض المساعدات لإنقاذ الناس من الجوع إلا أن السيد حامد بن أبي بكر المحضار الوزير السابق للدولة القعيطية يتهم انجرامس في كتابه بدور في المجاعة التي حصلت بحضرموت والتي ذهب ضحيتها زهاء عشرين ألف حضرمي في وادي حضرموت[٣]، وسبب ذلك كما ذكر السيد حامد المحضار: أن الخواجة (البس) عرض على السادة آل الكاف رغبته في أن ينشئ مطابخ لسد حاجة الجائعين على نفقته شريطة ألا تكون خاضعة لانجرامس، فقبل السادة العرض، ولكنهما عرضا الأمر على انجرامس فرفض أن يعطي (البس) إجازة بإنشاء المطابخ وترك أبناء الشعب الحضرمي الجائعين يموتون جوعاً

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٣٠.

(٢) خميس حمدان، الشحر عبر التاريخ، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صفحة ٢٧-٢٨.

(٣) حامد بن أبي بكر المحضار، ترجمة الزعيم حسين بن حامد المحضار، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، صفحة ٢٨٢-٢٨٣.

(انتهى)[١]. وذكر بأحمدان في كتابه عهد السلطان صالح بن غالب الكثيري أن بريطانيا لم تحرك ساكناً إلا بعد أن حصد الموت الآلاف[٢].

وعندما نقارن تصرف الحكومة اليمنية في كارثة السيول التي ضربت حضرموت والمهرة في شوال من سنة **١٤٢٩**هـ بتصرف بريطانيا في المجاعة نجد أن البون شاسع والفرق عظيم، فرئيس الدولة اليمنية هبّ بنفسه يتفقد المواطنين في حضرموت والمهرة رغم أن السيول ما زالت تتلاطم والأخطار تتعاظم، ولم يهدأ له بال حتى بدأت طائرات الإغاثه تتوالى إلى مطارات حضرموت والمهرة، وتبرعات الأشقاء تتواصل، ونفوس الناس تهدأ وأرواحهم تسكن. صحيح أن بريطانيا كانت مشغوله بالحرب العظمى، لكن حكومة عدن كان يمكن أن تساعد بأكثر مما ساعدت به.

ولما تولى الحزب الاشتراكي حكم البلاد حدث بعض التشجيع للتعليم وأرسلت البعثات الدراسية للخارج إلا أنّ أهم فائدة حققها هذا الحكم للبلاد هو انتشار ثقافة الخوف الذي صهر البلاد كلها في بوتقة واحدة كما تصهر النار الحديد، وإذا فكر أحدنا في تطور التاريخ الإنساني فإنه ماكان ليمكن أن تحدث هذه الوحدة اليمنية بالانتقال المباشر من الاستعمار البريطاني ودول اتحاد الجنوب العربي إلى دولة الوحدة اليمنية، بل إن حكم الحزب الاشتراكي في جمهورية اليمن الديموقراطي كان الطريق التاريخي الذي أهّل البلاد لأن تتوحد توحداً سلساً يمكن أن تتوفر له عوامل الاستمرار. وقد سبق ذلك عامل آخر وهو ما قام به الاستعمار البريطاني من إرهاب القبائل الشرسة وكبح جماحها وكسر شوكتها كما ذكرنا سابقاً.

كما لا ننسى دور الهجرة الحضرمية الواسعة إلى المملكة العربية السعودية والتي كان لها دور كبير في صناعة أجيال جديدة من قبائل وبادية حضرموت يعرفون أمور الدين معرفة

---

(١) حامد بن ابي بكر المحضار، ترجمة الزعيم حسين بن حامد المحضار، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، صفحة ٢٨٣.

(٢) محمد سالم بأحمدان، عهد السلطان صالح بن غالب القعيطي، صفحة ١٣٥.

تامة ويحتكمون للشرع الشريف ويقيمون أركان الدين وفروضه من صلاة وصيام وحج وزكاة وينبذون شرع القبولة وعادة الشراحة والقتل والسلب والنهب وأخذ أموال الناس بالباطل.

ولقد تحقق للعلويون بتوحد حضرموت واليمن ماكانوا يتمنونه طوال مائة وخمسين سنة من حكم الطوائف اليافعية، هذا إذا استثنينا فترة الاستقرار النسبي خلال حكم الدولة الكثيرية الثانية الذي استمر لمائة سنة. نعم لقد تحقق أخيرها ما تمناه العلويون لخير حضرموت من حكومة تنشر الأمن في طول البلاد وعرضها وتؤمن السابلة وتقيم الشرع الشريف، حتى إن المسافر لينتقل من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف على غنمه إلا الذئب.

بل ولم تتدخل حكومة الوحدة في شؤون العلويين، بل إنها احتضنتهم وعرفت قدرهم وحفظت مكانتهم، وسهلت عليهم أمور عيشهم ومعيشتهم فازدهر التعليم الديني، وانتشرت المدارس، وأعيد افتتاح الأربطة التعليمية التي توقفت أثناء حكم الحزب الاشتراكي مثل رباط تريم. وافتتح العلويون الكثير من المعاهد الدينية والمدارس النظامية، مثل دار المصطفى للبنين ودار الزهراء للبنات وفروعها بسيؤن وغيرها من المدن، حيث يؤمها الطلاب من مختلف بقاع العالم.

كما انتشرت باليمن طرق الإسفلت السريعة التي امتدت بين المدن ووصلت حتى إلى القرى البعيدة، وافتتحت الجامعات وأنشئت المطارات وربطت خطوط الطيران بين الكثير من المدن، واستطاع العلويون وغيرهم من الحضارمة السفر لأول مرة من مطار سيؤن إلى جدة مباشرة خلال ساعة ونصف، وإلى أبو ظبي ودبي في ساعتين، وانتعشت الطرق البرية السريعة بين السعودية واليمن، وانتظمت حركة الأتوبيسات بين المدن الرئيسية في الدولتين، كما حدث تطور كبير في الاتصالات الهاتفية، وانتعش الاقتصاد ونشطت التجارة وأصبح الناس أحراراً يتنقلون بين أطراف البلاد وبين البلاد الأخرى متى شاؤوا وحيث ما أرادوا.

وقد طبقت الدولة أحكام الشريعة الغراء في سائر اليمن، وانتشرت المساجد في كل

مكان، بل يمكننا أن نعكس الآن كلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط والذي قال في زمنه بأن تسعة أعشار أهل حضرموت لا يعرفون الصلاة، أما الآن فإن تسعة أعشار أهل حضرموت يعرفون الصلاة ويصلون.

وختاماً لهذا الفصل أقول: لو أن كبار العلويين الذين ذكرناهم سابقاً في فصول مختلفة من هذا الكتاب والذين أفنوا حياتهم متطلعين إلى والٍ عادل يحفظ البلاد ويؤمن العباد ويقيم شرع الله مثل الحبيب طاهر بن الحسين والحبيب الحسن بن صالح البحر والحبيب أحمد بن عمر بن سميط والحبيب محسن بن علوي السقاف والحبيب مصطفى المحضار والعلاّمة بن عبيدالله، لو قدر لهؤلاء الرجال المخلصين أن يروا ما آلت إليه الأمور باليمن وحضرموت مما كانوا لا يحلمون بتحقق معشاره لقرّت عيونهم وعرفوا أن دعواتهم لبلادهم لم تذهب سدى، وكلّ ما في الأمر أنها تحققت بعد وفاتهم بسنين طويلة.



الفصل الثامن والتسعون

العلويون والسفر والملاحة البحرية



ظلّ العرب من القرن السابع الميلادي إلى القرن السادس عشر سادة المحيط الهندي بلا منازع، تتحرك سفنهم بين الموانئ العربية وموانئ جنوب بلاد الهند وجزيرة سيلان والصين وشرق أفريقيا. وعرفوا مواعيد هبوب الرياح الموسمية التي تهب في شهر ديسمبر من كل سنة متجهة إلى الشمال الشرقي وتظل في اتجاه مضاد نحو الجنوب الغربي.

ووصف ابن جبير مهارة البحارة العرب في رحلة حجه التي بدأها في التاسع عشر من شهر شوال سنة ٥٧٨هـ (١١٨٢م)، وختمها في الثاني والعشرين من محرم سنة ٥٨١هـ (١١٨٥م)، فقال يصف دخولهم مرسى جدة: ودخول هذه المراسي صعب المرام بسبب كثرة الشعاب والتفافها وأبصرنا من صنعة هؤلاء الرؤساء والنواتية في التصرف بالجلبة (السفينة) أثناءها أمراً ضخماً يدخلونها على مضايق ويصرفونها خلالها تصريف الفارس للجواد الرطب العنان السلس القياد، ويأتون في ذلك بعجب يضيق الوصف عنه[١].

ويصف ابن جبير أهوال البحر خلال الثمانية الأيام التي أمضاها في رحلته من عيذاب (حالياً القصير) على شاطىء مصر إلى جدة فيقول: وكانت أهوالاً شتى عصمنا الله منها بكرمه وفضله، فمنها ماكان يطرأ من البحر واختلاف رياحه وكثرة شعابه، ومنها ما كان يطرأ من ضعف المركب واختلاله واقتصامه المرة بعد المرة عند رفع الشراع أو حطه، وربما سنحت (لصقت) الجلبة بأسفلها على شعب من تلك الشعاب فنسمع لها هداً يؤْذن باليأس، فكنا فيها نموت مراراً ونحيا مراراً[٢].

وكما ذكر ابن جبير فإن أعظم الخطر يحدث عند رفع الصاري، فقد ذكر العلامة اليمني يحيى بن مطهر أحداث رحلته من الحديدة إلى جدة لأداء فريضة الحج سنة ١٢١١هـ فقال: إن صاحب مركب رفع الشراع الكبير في ريح قوية فانكسر عود الشراع وانقلب المركب وعاد خالياً من جميع من فيه[٣].

---

(١) رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت، صفحة ٥١-٥٢.

(٢) رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت، صفحة ٥٢.

(٣) عبد الله بن محمد الحبشي، الرحالة اليمنيون، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ١٢٢.

وذكر اشتداد الريح وطغيان الموج حتى أصبح المركب كالقشة في الماء فقال: واشتد الحال إلى غاية لا يمكن التعبير عنها من تمايل المركب والموجات العظيمة[١].

وأثناء عودة الحبيب محمد بن هادي السقاف (١٢٩١-١٣٨٢هـ) وصحبه من السويس إلى عدن قال: «وقعت لنا ضربة شديدة وهاجت الأمواج حتى صار المركب يضطرب يميناً وشمالاً وأماماً وخلفاً وقاسينا مشقة وليلة من الليالي اشتدت فيها الريح حتى خفنا الهلاك وقرأنا ثلاثة أجزاء من صحيح البخارى» حتى وصلوا عدن بعد اثني عشر يوماً في البحر، لأن المركب مرّ بر السودان والحديدة والمخا ومصوع وعصب قبل أن يصل إلى عدن[٢].

وركب الحبيب أحمد بن حسن العطاس (١٢٥٧-١٣٣٤هـ) مركباً عثمانياً من مصوع متوجهاً إلى جدة، وفيه من أهل الحديدة واليمن نحو ستمئة نفر يوم الأربعاء ٢٠ القعدة من سنة ١٣٢٥هـ قال: «وفي يوم الجمعة لما قارب المركب مرسى جدة حاد عن المجرى فاصطدم بصخر في البحر ومال إلى جانب، فخاف أهله خوفاً شديداً، ثم ارتفع ومشى فجاؤوا إلى سيدي وهنؤوه بالسلامة[٣].

وأصيب بعض بحارة المركب بصرع أو نحوه فأقبلوا به إلى الحبيب أحمد بن حسن العطاس ليقرأ عليه، فقام وقرأ عليه: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ إلى آخر الآية فعوفي لوقته[٤].

ومرض الحبيب عبد الله الحداد (١٠٤٤ - ١١٣٢هـ) في طريق الحج[٥] وخاف أن

---

(١) عبد الله بن محمد الحبشي، الرحالة اليمنيون، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ١٢١.

(٢) عبد الله محمد الحبشي، الرحالة اليمنيون، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٢٨٤.

(٣) علي بن أحمد العطاس، ترجمة الحبيب أحمد بن حسن العطاس ورحلاته، صفحة ٧٧.

(٤) علي بن أحمد العطاس، ترجمة الحبيب أحمد بن حسن العطاس ورحلاته، صفحة ٧٧.

(٥) د. مصطفى حسن البدوي، الامام الحداد، صفحة ١٦٥.

ينقطع عن الحج، وكان قد خرج من تريم قاصداً الشحر للسفر على المراكب الشراعية، ونزل بالشحر ببيت السيد حسين بن عمر باحسين السقاف، وكان له مركب سافر عليها القطب الحداد ومرافقوه مجاناً بدون نول. وتوقف المركب بهم في عدن فخرجوا إليها، وقام القطب الحداد ببعض الزيارات، ثم عادوا إلى مركب السيد باحسين، فتحركت بهم إلى الليث، فنزلوا بها واستأجروا منها الجمال لتنقلهم إلى مكة.

ومن أخطار البحر أن يضلّ الربان الطريق فيترك المركب يذهب لشأنه، وخطر ذلك عظيم خصوصاً في الليل إذ ربما صادم المركب جبلاً[١].

وذكر جدي السيد علوي بن عبد الله السقاف رحلة عودته من الحج سنة **١٣٦٦هـ** بطريق البحر فقال: وفي ٧ صفر توجهنا على بركة الله من جدة إلى المكلا، ومرت بنا الباخرة على جيزان بعد أن ضلّ الربان طريقه وبات قبل جيزان في البحر ليلة، ثم بات في الليلة الثانية بميناء جيزان، وبعد ذلك توجهت بنا الباخرة إلى عدن ولاقينا من الريح المعاكسة للباخرة تعباً شديداً فوق ما نقاسيه من ضيق الباخرة وكثرة ركابها بحيث لا يستطيع أكثر الركاب أن يمد رجله ليستريح عند النوم من الضيق، مع كثرة الأوساخ بها لقلة الماء[٢].

ولعل تكديس المراكب بالحجاج عادة قديمة، فقد علق عليها الرحالة ابن جبير فقال: ولأهل عيذاب في الحجاج أحكام الطواغيت، وذلك أنهم يشحنون بهم الجلاب (نوع من السواعي) حتى يجلس بعضهم على بعض، وتعود بهم كأنها أقفاص الدجاج المملوءة، يحمل أهلها على ذلك الحرص والرغبة على الكراء، ويقولون علينا بالألواح وعلى الحجاج بالأرواح[٣].

---

(١) عبد الله بن محمد الحبشي، الرحالة اليمنيون، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ١٢١.

(٢) علوي بن عبد الله السقاف، السيرة الذاتية، صفحة ١٠٨.

(٣) رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت، صفحة ٤٧ – ٤٨.

وذكر الملاحي[١] مواسم الهجرة إلى السواحل الإفريقية فقال إنها مرتبطة بمواسم هبوب الرياح الموسمية، ففي نهاية شهر فبراير تزدحم موانئ جنوب الجزيرة العربية بالسفن الشراعية المتأهبة للإقلاع إلى شواطئ أفريقيا الشرقية وتشحن السفن بالمحاصيل الحضرمية مثل الأسماك المملحة وزيت السمك وتمتلئ الشحر وغيرها من الموانئ بالقرويين الذين قدموا من قرى ووديان حضرموت يجوبون الأسواق لشراء ما يحتاجونه اثناء رحلتهم بعد أن ألجأهم الفقر وضيق ذات اليد إلى الهجرة عن بلدهم.

ثم قال: وعندما تهب الرياح الموسمية الشرقية التجارية المعروفة بريح الأزيب ابتداءً من الأسبوع الأول من شهر ديسمبر تنشر المراكب أشرعتها لتدفعها هذه الرياح باتجاه الجنوب الغربي، ويوافق هبوب هذه الرياح التيار المائي السطحي (الطافي) القادم من بحر البنغال منطلقاً إلى الشواطئ الأفريقية وخليج عدن والذي يبدأ من منتصف شهر سبتمر، ثم يزيد سريانه وقوته حتى يتوافق مع هبوب رياح الأزيب في شهر ديسمبر.

وهكذا تتوالى حركة هذه الرياح والتيارات المائية المرتبطة بها حركة الملاحة بين جزيرة العرب والهند والسواحل الأفريقية، وبها تتعين مواسم السفر ومواعيد العودة[٢] (انتهى النقل).

أما السفر إلى الهند فوسيلته السفن الشراعية التي تنطلق من ميناء سيحوت ومن ميناء الشحر ومن ظفار وعدن، كما توجه بعض العلويين للهند من الحجاز بعد أدائهم فريضة الحج واتصالهم بالحجاج الهنود.

ويعتمد السفر في المحيط الهندي على الرياح الموسمية التي تهب بين شهر مارس

---

(١) عبد الرحمن بن عبد الكريم الملاحي، الحضارم في ممباسة ودار السلام، دار حضرموت للنشر، صفحة ٣٨-٣٩.

(٢) عبد الرحمن بن عبد الكريم الملاحي، الحضارم في ممباسة ودار السلام، دار حضرموت للنشر، صفحة ٣٨-٣٩.

وأبريل وتحمل المسافر من بر العرب إلى غرب القارة الهندية. أما السفر إلى شرق المحيط الهندي فيعتمد على الرياح الموسمية الجنوبية الغربية المعروفة لدى البحارة (بالكوس). وتسافر السفن الشراعية بهذه الريح من غربي المحيط الهندي إلى شرقيّه للوصول إلى ملقا والجزر الجاوية في موسمين: الأول قصير من منتصف مايو إلى أول يونيو، ثم تشتد بعد ذلك الريح فيتوقف السفر في بحر الهند من بداية شهر يونيو إلى نهاية شهر أغسطس، ثم تخف الرياح بعد شهر أغسطس وينفتح بحر الهند عند ذلك للسفر[١].

أما ريح الأزيب[٢] (الشمالية الشرقية) فتحدد مواسم العودة من الهند إلى بلاد العرب وشرق أفريقيا، وتهب بين الثامن من أكتوبر إلى ٢١ مارس. وتختلف المواعيد قليلاً باختلاف الجزء من بلاد العرب الذي تتجه إليه السفن الشراعية.

وقد رسم الملاحون العرب منذ عهد الربابنة المشهورين ابن ماجد وسليمان المهري دروباً على سطح المحيط بما يتوافق مع حركة الرياح والتيارات المائية، ومستدلين بالنجوم، حيث تؤدي هذه الدروب إلى السواحل الإفريقية والبحر الأحمر والمحيط الهندي. وقد وضعوا كثيراً من هذه المعلومات في أراجيز ليسهل على الربابنة حفظها ولم يزل الربابنة العرب المشهورون يضعون خبرتهم في أراجيز، ومنهم الربان سعيد باطايع والمولود بالمكلا سنة ١٧٦٦م، فقد ألف مرشدتين بحريتين توارثها الربابنة وحفظوها، وهي مخصوصة بالطريق الملاحي بين مسقط والمخا وأخرى للمسافر بين ميناء سيحوت بحضرموت وزنجبار[٣].

وذكر انجرامص الملاحة في المكلا بين عامي ١٩٣٤-١٩٣٥، فقال توجد شركتان للملاحة، لكن حركتها غير منتظمة، وتصل البواخر إلى ميناء المكلا والشحر على خط عدن

(١) حسن صالح شهاب، البحار اليمني سليمان المهري، مركز الشرعبي، صفحة ١٦.

(٢) حسن صالح شهاب، البحار اليمني سليمان المهري، مركز الشرعبي، صفحة ٢١.

(٣) عبد الرحمن بن عبد الكريم الملاحي، الحضارم في ممباسه ودار السلام، دار حضرموت للنشر، صفحة ٤٠-٤١.

ـ المكلا ـ الشحر ـ المكلا ـ عدن. وإضافة إلى هذين الخطين فإن الجزء الأكبر من التجارة يُنقل على السفن الشراعية. ويبلغ عدد ما يدخل منها المكلا ويخرج سنوياً حوالي ٣٠٠-٤٠٠، وتشمل ٧٠-٨٠ سفينة كبيرة تصل من بمباي وتصل السواعي من موانئ الخليج، مثل البصرة وعمان والكويت وكراتشي وبمباي وعدن وزنجبار وسواحل الصومال، وتغادر إلى نفس الموانئ، ويرتفع عدد السفن إلى ٥٠٠ أحياناً.

وهناك خدمة مشتركة لشركة لويد روتردام الهولندية وخط آخر أوروبي تصل منه حوالي ٨ رحلات سنوياً على خط السويس ـ سنغفورا ـ السويس، وتصل السفن مرة كل شهر خلال موسم الرياح الموسمية الجنوبية الغربية، وتصل أيضا سفن بومباي ـ فارس في طريقها إلى كلكتا ـ بومباي ـ جدة حوالي ثماني مرات[١].

ذكر ابن خلدون في مقدمته[٢] أن سفر السفن بالبحر إنما هو بالرياح ومعرفة جهات مهابها وإلى أين تصل إذا مرت على الاستقامة من البلاد التي في ذلك المهب، وإذا اختلف المهب وعلم حيث يصل على الاستقامة حوذي به القلع محاذاة يحمل السفينة بها قوانين في ذلك محصلة عند النواتية والملاحين الذين هم رؤساء السفن في البحر.

والبلاد التي في حافة البحر الرومي، وفي عدوته مكتوبة كلها في صحيفة على شكل ما هي عليه في الوجود وفي وضعها في سواحل البحر على ترتيبها ومهاب الريح وممراتها على اختلافها، مرسوم معها في تلك الصحيفة ويسمونها الكنباص، وعليها يعتمدون في أسفارهم. (انتهى).

وذكر ابن خلدون في مقدمته أن رأس الجمحة بين عمان والشحر هو الذي يعود إليه

---

(١) دبليو اتش انجرامص، حضرموت ١٩٣٤-١٩٣٥ م، تعريب د. سعيد النوبان، دار جامعة عدن للنشر، صفحة ٧٧-٧٨.

(٢) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، الناشر دار الكتاب العربي، صفحة ٥٩.

كل مركب صيني أو عربي يريد الرجوع أو السفر فمن هذا الرأس كانوا ينشرون أشرعة مراكبهم في خط مستقيم إلى مليبار بالهند[١].

وذكر الرحالة النمساوي بيركهارت الذي زار جدة سنة **١٨١٤**م السفن في ميناء جدة فقال[٢]: إن عددها مئتان وخمسون سفينة، يمكن إحصاؤها وتخص إما تجار المدينة وإما مالكي السفن الذين يديرونها. ويعتبر المرفأ موطنهم الأساسي.

وتدل الأسماء المختلفة للسفن كساعية وسوم ومركب وسمبوك والدو على أحجامها، والأخيرة فقط هي الأكبر حجماً، وتبحر إلى الهند. ويدير السفن بشكل أساسي أشخاص من اليمن ومن الساحل الصومالي المقابل لعدن بالإضافة إلى العبيد الذين نجد منهم ثلاثة إلى أربعة في كل سفينة بشكل عام، ويتقاضى الطاقم مبلغاً معيناً للرحلة، وكل بحار هو في الوقت نفسه تاجر صغير يعمل لحسابه الخاص، وهذا سبب إضافي لمجيء الأجانب إلى جدة خلال موسم التجارة، حيث يتمكن الأشخاص الذين يملكون مالاً قليلاً من شراء البضائع بمقادير قليلة مباشرة من طاقم تلك السفن.

وقال بيركهارت ولا تتم صناعة السفن من أي نوع في جدة الآن، حيث إن الخشب الضروري لذلك بات نادراً جداً حتى إنه بات من الصعب إيجاد الوسائل اللازمة لترميم سفينة ما وإصلاحها وتعاني ينبع من المشكلة نفسها. أما السويس والحديدة والمخا فهي المرافئ الوحيدة في البحر الأحمر، حيث يتم بناء السفن. ويتم نقل خشب البناء المستعمل في السويس إلى هنا عبر البر من القاهرة. وهو يأتي في الأصل من ساحل آسيا الصغرى، أما الخشب المستعمل في الحديدة والمخا فيأتي جزء منه من اليمن وجزء من الساحل الأفريقي. ويتم شراء سفن عدة في بومباي ومسقط، أما تلك التي تبنى في السويس فهي الأكثر شيوعاً في البحر شمال اليمن. (انتهى).

---

(١) حامد أحمد المشهور، دراسات عن العرب والإسلام في شرق أفريقيا، دار المنهاج، صفحة **٣٧**.

(٢) جون لويس بيركهارت، رحلات إلى شبه الجزيرة العربية، مؤسسة الانتشار العربي، صفحة **٢٩-٣٠**.

قال بن عبيدالله[1]: إن الشيخ أحمد باماجد (ويسمى أيضاً ابن ماجد) كان أشهر ملاح في المحيط الهندي أثناء القرن التاسع، حتى قال أحد الإنجليز إن المحيط الهندي كان بحيرة عربية من القرن الثامن إلى نهاية القرن الخامس عشر، وإنّ أحمد بن ماجد كان أشهر بحار في ذلك المحيط، وهو الذي كان الدليل المفيد لفاسكوديجاما البرتغالي في بلوغه إلى الهند عن طريق جنوب أفريقية. والبرتغاليون يوجهون الثناء العاطر إلى أحمد بن ماجد ويصرحون بأنهم وجدوا لديه خريطة بحرية على غاية الدقة، وأدوات للملاحة لم تكن معروفة من قبل، والخرائط المرسومة الآن للبحر الهندي عالة على خريطة باماجد، وفيه شاهد صدق ودليل حق على ما كان عليه العرب عامة والحضارم خاصة من التفوق في الملاحة وغيرها من أسباب القوة والنهوض، ومن ذلك أن أول دولة آل سعيد بن سلطان في السواحل الأفريقية إنما قامت لأن أهل زنجبار طلبوهم ليأمنوا بهم عادية البرتغال في القرن التاسع، فتملكوا عليهم وحموهم من سائر الطوارئ، وكان استيلاء البرتغال على السواحل الأفريقية في سنة ٩٠٦ وجلاؤهم عن سائرها بجيوش آل عمان في سنة ١٠٧٦م.

قال بن عبيدالله: ولا يزال ناس من آل باماجد إلى اليوم في دوعن، وهذا الملاح الكبير يحتمل أن يكون منهم أو أن يكون من بني مجيد أصحاب ثغر عدن، وقال بعضهم: إنما هو من آل عمان، وفي مؤلفاته ما يدل على ذلك، وقيل إنما هو من البحرين والله أعلم. (انتهى).

وذكر الدكتور عبد الهادي التازي في كتابه ابن ماجد والبرتغال أن أسد البحار الملاح العربي أحمد بن ماجد السعدي[2] عرف بلبس الزي الصوفي العلوي، وكان متصوفاً وأن بعض أراجيزه احتوت على بعض الأبيات للعيدروس، وهو الإمام السيد أبو بكر بن عبد الله العيدروس المشهور بالعدني المتوفى بعدن سنة ٩١٤هـ. وكان العيدروس مكرماً للضيوف

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد صنعاء، صفحة ٥٠٥.

(٢) دراسات عن العرب والإسلام في شرق أفريقيا، للسيد حامد بن أحمد مشهور الحداد، دار المنهاج، صفحة ٥٥.

والأصدقاء والقاصدين، محسناً إلى ذوي الحاجات والأرامل والأيتام. وذكر الكاتب أن الأمر الذي يجعلنا نعتقد أن ابن ماجد كان يتحدث في أراجيزه عن الحالة في سنة ٩١٤هـ = ١٥٠٨ م، وهي السنة التي توفي فيها شيخه السيد أبو بكر بن عبد الله العيدروس، وهي السنة التي اتجه فيها الملاح الإسباني البوكيرك نحو مملكة هرمز[١].

وذكر الهولندي فان دن بيرخ الملاحة العربية في الأرخبيل الهندي في القرن التاسع عشر، فقال إنها وسيلة دخل مهمة، وقال: ومن النادر أن يقود ربان عربي سفينة تعود ملكيتها لشخص غير عربي، ويمكن أن تجد في عدد من السفن العربية نائباً أوروبياً للربان يحمل شهادة في الملاحة، وذلك التزاماً بالشروط التي تفرضها شركات الشحن والتأمين الأوروبية، أما الربابنة العرب فلا يقبلون مطلقاً الخضوع لامتحان للحصول على دبلوم في الملاحة، ولا يقومون بتأمين سفنهم إلا إذا أجبروا على ذلك[٢].

وقال: إن العرب كانوا يحبون في الماضي امتلاك البواخر، ولكن هذا النوع من الاستثمار لم يعد مربحاً بشكل عام[٣].

وقال فان دن بيرخ: من المدهش حقاً أن يصبح سكان الجبال في حضرموت بمن فيهم السادة بحارة جسورين في الأرخبيل الهندي، ويدل هذا الأمر على أن لديهم موهبة خاصة للملاحة، إذ إن غالبية من يقودون السفن في الأرخبيل الهندي ليسوا من المدينتين الساحليتين المكلا والشحر، كما أنهم لم يقودوا سفناً قبل سفرهم، بل إنهم لم يروا سفينة مطلقاً قبل ذلك. ومن الواضح أن حب السفر أصبح سمة مميزة لكثير من الحضارم الذين غادروا موطنهم الأصلي[٤].

---

(١) دراسات عن العرب والإسلام في شرق أفريقيا، للسيد حامد بن أحمد مشهور الحداد، دار المنهاج، صفحة ٥٥.

(٢) مسعود عمشوش، الحضارم في الأرخبيل الهندي، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، صفحة ١٠٤.

(٣) مسعود عمشوش، الحضارم في الأرخبيل الهندي، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، صفحة ٩٥.

(٤) مسعود عمشوش، الحضارم في الأرخبيل الهندي، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، صفحة ١٣٦.

هذا وقد تعرض العلويون أثناء رحلاتهم البحرية لكثير من الحوادث والكوارث، وأشار بعضهم إليه في مؤلفاتهم القليلة، ومن ذلك ما نقله بن عبيدالله [١] عن كتاب المواهب والمنن من أن الحبيب أحمد بن حسن الحداد صاحب العلوم الزاخرة والمؤلفات الشهيره واهمها سفينة الارباح في ثلاث مجلدات كبار و وكان سبب تاليفها انه كان لوالده الحبيب حسن سفينة لا نظير لها في كل فن من العلوم النافعه غرقت فيما غرق على الحبيب أحمد بن حسن حينما انكسر به المركب في حجه سنة ١١٥٧هـ فعمل كتاب «سفينة الارباح» على غرارها.

وذكر ابن حميد في تاريخه أنه بشهر صفر من سنة ١٢٧٣ غرق مركب السيد سقاف بن هود بن أحمد بن زين الحبشي هو ومن فيه، ومات الكل إلا رجلاً بقي متعلقاً لمدة ستة عشر يوماً لا يطعم شيء حتى أنقذه مركب آخر، وعندما وجدوه كان فقد حسه من الجوع والتعب وأخبرهم أن بين الغرقى ثمانية من أهل الغرفة منهم نوخذا المركب المنكوب، وهو السيد عبد القادر بن أحمد بن طه بن عبد الله الحداد، وقد غرق المركب بعد سفره بثلاثة أيام متجهاً من صور إلى ثغر بومبي [٢].

وذكر ابن حميد غرق مجموعة من العلويين في ساعية بأحمدون التي اصطدمت بجبل حانيش، وكانت قادمة من الهند، ومات مع الحبائب مائتا نفر وسلم اثنا عشر نفر [٣].

ومن أكثر حوادث الغرق المأساوية ما أصيب السيد أحمد بن علي بن هارون الجنيد الذي يقول [٤]: إنني امتحنت منذ صغري بالأسفار خدمة لوالدي وسعياً على رزقهما ورزق

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٥٣٢.

(٢) سالم بن حميد الكندي، تاريخ حضرموت، تحقيق عبد الله الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، المجلد الثاني، صفحة ١٦١.

(٣) سالم بن حميد الكندي، تاريخ حضرموت، تحقيق عبد الله الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، المجلد الثاني، صفحة ٨٧.

(٤) عبد القادر بن عبد الرحمن الجنيد، العقود العسجدية، صفحة ١٣٦-١٣٧.

إخوتي الصغار، فلما كبر أخي عبد الله سافر هو وكفاني هذه المئونة لأتفرغ لطلب العلم، وذقت منه بر الإخوة الأوفياء. ولما ترعرع ابني علوي، وقد نشأ على طاعة الله وحب العلم علقت آمالي عليه، لكنهما توجها معاً للحج: أخي عبد الله وابني علوي في مركب باعمر، فلما بلغوا جزيرة كمران انكسر بهم المركب وغرقوا، وكان ذلك سنة ١٢٥٠هـ. قال المترجم: ولما وصله نبأ وفاتهم حمد الله وأثنى عليه وفوض الأمر إلى الله، ولم يتغير له حال مع كمال الرضاء.

ومع ما ذكرنا من أهوال البحر العظيمة إلا أننا نجد كثيراً من العلويين يتنقلون بكثرة بالسفن الشراعية بين الشحر والهند وسيلان وجدة والسويس، حتى أنه يمكن تشبيه كثير منهم بالرحالة ابن بطوطة، وإذا شئنا ضرب الأمثله عن نفر منهم فلدينا الحبيب عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس المولود بتريم سنة ١١٣٦هـ، ذكر صاحب تاريخ الشعراء الحضرميين رحلاته فقال: وإذا تحدثنا عن رحلاته فقد كانت إلى ما يبعد بنا حصره من المدن والقرى والأقاليم منها، الهند والحجاز والديار المصرية وفلسطين وسوريا وبلاد الأتراك واليونان إذا استثنينا تردده على صعيد مصر ست مرات وإلى دمياط ثماني مرات.

وحيثما توجه تستقبله الجماهير الحاشدة ويهرع إليه العلماء والشعراء بمدائحهم حتى في الشام واستنبمبول، ولم يعد إلى وطنه حضرموت إلا مرة واحدة، وذلك عند أوبته من الهند عام ١١٥٥هـ، ثم ما كاد يستقر به المقام حتى رحل ثانية إلى الحجاز، وكان آخر عهده بحضرموت. (انتهى)[١]. ومنهم السيد شيخ بن محمد الجفري[٢] الذي ولد بتريم في أجواء عام ١١٣٧هـ وبدأ رحلة الغربة منذ السنة التاسعة من عمره، وتنقل بين الأقاليم والمدن حتى استوطن مدينة كاليكوت من إقليم المليبار بالهند.

---

(١) عبد الله بن محمد السقاف، تاريخ الشعراء الحضرميين، الناشر مكتبة المعارف بالطائف، الجزء الثاني، صفحة ١٨٩.

(٢) عبد الله بن محمد السقاف، تاريخ الشعراء الحضرميين، الجزء الثاني، صفحة ٢١٨-٢٢٢.

كان كثير التردد من المليبار إلى الحرمين الشريفين ناسكاً ومقيماً بمكة والمدينة والطائف مدداً، ومرّ بمسقط، ودخل باليمن مدينة زبيد وغيرها وتوجه من الحجاز إلى الشام وفلسطين ومصر، وتوفي بمدينة كاليكوت عام ١٢٢٢هـ. (انتهى باختصار).

ومن العلويين الذين رحلوا إلى الهند الحبيب علي بن عبد الله السقاف المولود بمدينة سيؤن سنة ١٠٩٢هـ، تتلمذ في تريم على قطب الإرشاد الحبيب عبد الله الحداد، وعلى الحبيب أحمد بن زين الحبشي، ثم ارتحل إلى الهند، ودرس فيها بمدين سرت على الحبيب علي بن عبد الله العيدروس، وتزوج ببلاد المليبار، ثم عاد إلى حضرموت خالي الوفاض من حطام الدنيا على متن سفينة شراعية ماراً بعمان.

ومن الغرائب أنه لما حج لم يتمكن من زيارة الحبيب الأعظم بسبب اختلال الأمن في الطريق، ولكنه لما آب إلى حضرموت أمره شيخه الحبيب عبد الله حداد بالعودة الفورية إلى المدينة لزيارة الحبيب الأعظم ﷺ، فامتثل لأمر شيخه وارتحل إلى المدينة المنورة[١].

ومن العلويين المتأخرين السيد علوي بن عبد الرحمن المشهور المولود بتريم سنة ١٢٦٣هـ، فقد كانت له بالإضافة إلى رحلاته الكثيرة للشحر والمكلا ونواحي حضرموت، رحلات خارجية كثيرة إلى النواحي اليمنية والسيلانية والديار الفلسطينية والسورية والهندية والجاوية والزنجبارية، وتوفي بتريم سنة ١٣٤١هـ[٢].

وقال عنه السيد أبو بكر المشهور في لوامع النور بعد أن شرح رحلاته الكثيرة وأعماله الجمة: «ولا أعتقد أن أحداً من أقرانه أو من سبقهم من كان له فضل الانتقال الدؤوب والرحلة من مكان لآخر في سبيل الدعوة إلى الله خصوصاً وبهذه الكيفية الجامعة بين الدعوة إلى الله في أودية وقرى حضرموت وأرض القبلة وبين الرحلة عبر البحار والقفار إلى الحجاز

(١) عبد الله بن محمد السقاف، تاريخ الشعراء الحضرميين، الجزء الثاني، مكتبة المعارف، صفحة ٩٨.
(٢) عبد الله بن محمد السقاف، تاريخ الشعراء الحضرميين، الجزء الرابع، صفحة ٢٠١-٢٠٢.

ومصر والهند والسند وغيرها، بحيث لا يخلو العام الواحد من حياته إلا وفيه رحلة أو أكثر لهذا الغرض السامي[١].

ومن طلبته السيد عبد الله بن عبد الرحمن بن الشيخ أبي بكر بن سالم، وكان مثله كثير الأسفار إلى السواحل الأفريقية والصومال. وقال عنه الحبيب أحمد مشهور الحداد: سافرنا مع السيد عبد الله بن عبد الرحمن في المركب فرأيناه يبيت قائماً يصلي.

وسافر معه الشيخ عمر بن حسن بارجاء بالقطار في أفريقيا فطلب أن لا يرافقه أحد في مقصورة القطار، ولما كان آخر الليل قام السيد عبد الله على وقته لصلاته وتهجده حتى طلع الفجر، ثم صلى بنا الفجر واستقبل القبلة في أذكاره حتى طلعت الشمس[٢].

ومن رحالة العلويين السيد محمد بن عقيل بن عمر بن يحيى[٣] (١٢٧٩-١٣٥٠هـ) الذي ترحل بين كثير من أصقاع العالم وقال: سافرت من حضرموت أول المحرم ١٢٩٦هـ إلى جاوة ولم أزل في حط وترحال، وقد تطوفت ببعض جزائر التيمور، وبعض سومطرا وأطراف من الصين، وقد دخلتها مرتين، ودخلت مدناً وجبالاً في اليابان، وذهبت إلى أوربا مرتين: مرة عن طريق البحر الأحمر فمرسليا وحضرت معرض باريس عام ١٩٠٠م، ومرة من طريق الصين فسيبيريا، وذهبت إلى الهند مرات كثيرة لعلها أكثر من العشر، وطفت في نواحٍ منها، وفي جهة مدارس وميسور وسيلان والسند، ووصلت إلى لاهور وما بعدها، ودخلت العراق وزرت من به من الأئمة عليهم السلام، وتكرر دخولي إلى الحجاز وإقامتي بها أشهراً، ومن المدينة ذهبت إلى الشام من طريق تبوك، ثم ذهبت إلى فلسطين عدة مرات.

أما كيف يقضي العلويون أوقاتهم على السفن أثناء السفر فنتعرف عليه من القليل من

---

(١) أبوبكر المشهور، لوامع النور، دار المهاجر للنشر والتوزيع، الجزء الأول، صفحة ٨٣.

(٢) أبوبكر المشهور، لوامع النور، دار المهاجر للنشر والتوزيع، الجزء الثاني، صفحة ٩٩.

(٣) شرف المحيا، صفحة ١٣١.

الأخبار التي وردت في رحلاتهم، فقد ورد في رحلة الحبيب محمد بن هادي السقاف من عدن إلى السويس قوله: «وانتبهنا الساعة الحادية عشرة، وصلينا الفجر وسنته وقرأنا الأوراد، وجلسنا في المركب عشية للروحة (جلسة علمية) على العادة.

وجرى نقاش بينهم حول نجاسة الكلب، وذلك أن بعض النصارى الذين في المركب معه كلب يخدمه غاية الخدمة، فاشمأزت النفوس حذراً من التنجيس، حيث إنه يسير به في مواضع كثيرة من المركب. (انتهى)[١].

وقال السيد حسن بن عبد الله الكاف في رحلته من عدن إلى السويس، وهو في طريقه للحج سنة ١٣٣٠هـ أنه: «ركب البابور النمساوي فوجدنا به كثيراً من حجاج الهند والبصرة، وقد استرحنا فيه بالسعة والنظافة ووجود الماء الحلو بكثرة حتى للاستطابة والوضوء، ويقول: وكل صلاة نقيمها جماعة خلف الشيخ العلامة عبد الرحمن بن أحمد باشيخ ونتخلل الأوقات بالقراءة في كتب المناسك، وفي وصايا وإجازات سيدي الإمام علي بن محمد الحبشي وكلام سيدي الإمام أحمد بن حسن العطاس[٢].

هذا وبرغم ما ذكرنا من رحلات العلويين الكثيرة إلا أن كثيراً من علماء بني علوي يدعون إلى الصبر على معيشة حضرموت وعدم التغرب لطلب الرزق، كما نرى في كلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط (١١٧٧-١٢٥٧هـ) الذي يقول: اجلسوا في حضرموت على طلب علم وعبادة هذه سيرة سلفنا ما نسخى بكم لجاوة ولهند، ولكن سوسو أموركم على القناعة والاقتصاد حتى يتأتى لكم ذلك وإن كان تركتم هذه الحال عاقبكم الله بالغرب في طلب المحال[٣]. (انتهى).

---

(١) عبد الله محمد الحبشي، الرحالة اليمنيون، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٢٧٩.

(٢) رحلة وديوان حسن بن عبد الله الكاف، صفحة ٨٣.

(٣) مجموع مواعظ وكلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط، دار الفتح للدراسات، صفحة ٢٧٨.

ويقول في موضع آخر: قال الوالد (الحب عمر بن سميط) جينا إلى شبام (كان ذلك في منتصف القرن الثاني عشر) وأهلها ثلث منهم يعملون الجوبة (صباغة الثياب)، وثلث يحرثون في الخلا وثلث يسافرون وقت الموسم شهرين يتعوض (يتكسب)، ثم يخرج إلى بلاده، ورجعنا الآن بدل الشهرين سنين يحذفون بها في الغربة[1].

والحبيب محسن بن علوي السقاف (١٢١١-١٢٩٠هـ) يقول لأهل سيؤون:

يا أهل سيون ما هذا السفه والغباوة	يا عجب يا عجب ما ذا الجفاء والقساوة
من ترعرع وشب قالوا له اعزم لجاوة	هات دنيا نعرس لك ونلقي حراوه
فالسناوة ولا جاوه ونعم السناوه	فالقناعة غنى فيها الهنا والحلاوة
من قنع حل عند أهله ولا سار جاوة	صافي العيش ما له من فضول أو غشاوة
يا أهل ذا الوقت ما هذا العمى والغشاوة	همكم راح في دنيا عليها العداوة

رامّة خامّة قزّة عليها طلاوة

* * *

(١) المصدر السابق، صفحة ٣٣٢.

الفصل التاسع والتسعون

رحلات العلويين للحج



ومن أهم الرحلات في حياة العلويين الرحلة لأداء فريضة الحج وزيارة سيد الكونين، وتكتسب هذه الرحلة أهميتها لكونها ركناً من أركان الإسلام. ولم يتأخر أحد من العلويين عن رحلة الحج عند الاستطاعة رغم ما يكتنف رحلة الحج في الزمن القديم من المشقة والخطر، بل إن بعضهم قد كرر الحج عدة مرات.

ويستفيد العلويون من رحلة في ذلك الزمن من الاتصال بالعلماء والصلحاء وأخذ العلم عن مشائخ الحرمين وعلماء اليمن الذين يزورونهم وهم في طريقهم إلى مكة.

كما أن من فوائد الرحلة إحضار ما لا يتوفر بحضرموت مثل إبر الخياطة ومواس الحلاقة وكحل العين كما ورد في رحلة السائح المغربي لتريم سنة ٨٦٥هـ في زمن الحبيب علي بن أبي بكر بن عبد الرحمن السقاف (٨١٨-٨٩٥هـ)[١]. ومن فوائد رحلة الحج الاستطباب والعلاج، ويفهم من ذلك عملية العيون التي أجراها الحبيب عبد الرحمن بن علي السقاف بجدة أثناء قدومه للحج عام ١٢٨٥هـ.

ومع مشقة هذه الرحلة وخطورتها في تلك الأزمان إلا أن تراجم العلويين لم تحفل بتفاصيل وأحداث هذه الرحلات إلا في النادر الشاذ، وكل ما كان يتركز عليه اهتمامهم هو وصف مَن قابلوهم من العلماء والصلحاء ومن أجازوهم ومن أخذوا عنهم من العلماء، ولم يعتنوا بتدوين ما واجهوه في رحلاتهم من أخطار ولا ما تحملوه من مشاق.

أما طريق الحج البري من حضرموت إلى مكة فقد ذكره بن عبيدالله في معجمه فقال[٢]: والمراحل بحسب سير الإبل من قعوضة إلى الخشعة خمس ساعات وهي أرض واسعة طيبة التربة قريبة الماء، ثم يعبر المسافر صحراء واسعة لمدة اثنَتي عشرة ساعة، ومن نهاية تلك الصحراء إلى السور وسكانه من نهد أربع ساعات، ومن السور إلى مرعى ست

---

(١) رحلة السائح المغربي لتريم، مخطوطة، صفحة ١٦.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٢٢٩.

ساعات، ومن المرعى عبر الصحراء اثنتَي عشرة ساعة، ومن نهاية هذه الصحراء إلى قرن الذئاب اثنتَي عشرة ساعة، ومنه إلى العبر سبع ساعات (انتهى).

قال بن عبيدالله: وفي صفة جزيرة العرب للهمداني أن محجة حضرموت من العبر إلى الجوف ثم صعدة ويدخل معهم في هذه الطريق أهل مأرب وبيحان والسروين ومرخة، فهذه محجة حضرموت العليا. وأما السفلى فمن العين في شئز صيهد إلى نجران في شبه ثمانية أيام، ثم من نجران إلى حبونن ثم الملحات ثم لوزه ثم عبالة ثم مريع ثم الهجيرة، ثم تثليث ثم جاش ثم المصامة ثم مجمعة ترج من ديار تميم بالدهناء[1].

وفصّل الزيلعي طرق الحج اليمني إلى مكة المكرمة فقال: هناك اتصال بين اليمن والحجاز منذ العصور القديمة، لذا فقد تعددت طرق الحج اليمنية واختلفت مساراتها وتعددت كذلك المدن التي تسير منها، ولعل أهم العواصم اليمنية التي كانت تنطلق منها جموع الحجاج اليمنيين إلى مكة هي: عدن، وتعز وصنعاء وزبيد وصعدة في شمال اليمن، وتلتقي بعض مسارات تلك الطرق ببعضها البعض في نقاط معينة، مثل طريق تعز زبيد وطريق صنعاء الداخلي إلى صعدة.

وقد اشتهر من طرق الحج اليمنية إلى مكة ثلاثة طرق هي: الطريق الساحلي. والطريق الداخلي أو الأوسط، والطريق الأعلى، ولكل منها مساراته ومحطاته، ومتاعبه التي عانى منها الحجاج قروناً طويلة.

فالطريق الساحلي يمر بجوار البحر محاذياً له من الشرق، ويبدأ من عدن فأبين مروراً بالمخنق، فإلى عارة، ثم عبرة، فالسقيا، فباب المندب، فسهاري، ثم الخوخة والأهواب، وغلافقة، وهي فرضة زبيدة، ثم نبعة، فالحردة، ثم الزرعة، ثم الشرجة، وهي إولى مراحل طريق الحج اليمني الساحلي التي تقع في أراضي المملكة العربية السعودية. ويسير الطريق من

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٢٢٩.

الشرجة إلى المفجر، فإلى التنيدرة، ثم عثر، ثم بيض، ثم الدويمة، ثم حمضة، ثم ذهبان، ثم حلي، ثم قرما، فدوقة، إلى السرين، وهي ملتقى طريق الساحل مع طريق الداخل، ومنها يفترقان أيضاً كل في جهته، حيث يسير الساحلي صوب الليث فالشعيبة إلى جدة.

أما الطريق الداخلي فهو تهامي أيضاً، ويعرف باسم الجادة السلطانية ويبدأ من تعز، ويمر بذات الخيف، فموزع، ثم الجدون، ثم حيس، ثم زبيد وهي ثاني عاصمة في اليمن الأسفل بعد تعز، إذ تتجمع فيها القوافل التي تسلك طريق الجادة السلطانية، ومنها تنطلق في سيرها إلى مكة المكرمة مارة بفشال والضنجاع، والقحمة، والكدراء والمهجم، ومور، والواديين، والساعد، وتعشر، وجازان، والهجر، وبيش، إلى ضنكان، ومنها يتجه الطريق إلى المقعد فحلي العليا ثم يبة ثم قنونا ثم عشم ثم دوقة فإلى السرين حيث يلتقي بالطريق الساحلي. ومنها يفترق في مساره الداخلي إلى الليث، فالخضراء، ثم سعيا، فيلملم ميقات أهل اليمن، ومنها إلى مكة المكرمة.

أما الطريق الأعلى، فيعرف باسم الطريق الجبلي، ومركز انطلاق هذا الطريق هو صنعاء ومنها يتجه الطريق إلى صعدة، ومنها إلى العرقة، ثم المهجرة، ثم أرينب، ثم سروم الغيض، ثم الثجة، ثم بيشة ومنها إلى تبالة، فالقريحاء ثم كرى، ثم تربة، ثم الصفن، ثم العنق، ثم رأس المناقب، وهي منتهى الطريق في اتجاه الشمال، ومنها ينحرف في سيره صوب الغرب إلى قرن المنازل، وهو ميقات أهل اليمن الذين يمرون من تلك الجهة، ويتجهون محرمين صوب مكة مجتازين الزيمة، والطائف عن طريق السيل.

ومن أهم الطرق المفضلة لدى حجاج بيت الله الحرام القادمين من طريق اليمن الطريق الذي يمر بشمال اليمن ويخترق منطقة عسير الجبلية إلى أن يصل إلى الطائف ثم إلى مكة. وعلى الرغم من أن الطريق يجتاز مناطق ذات طبيعة تضاريسية صعبة، إلا أنه كان مفضلاً للحجاج وغيرهم لأنه يمر عبر أراض خصبة دائمة الخضرة، وقرى وبلدات تتوافر فيها المياه ويكثر بها الغذاء.

ولقد حاول العلويون ما وسعهم تأمين طريق الحج البرية من حضرموت إلى مكة المكرمة، فنقل الأستاذ طه بن حسن السقاف عن تاريخ ابن حميد: أن الحبيب حسن بن أحمد العيدروس ساكن بور معه اجتهاد في إصلاح طريق البر من حضرموت إلى مكة المكرمة، وأرسل رسلاً للقبائل التي تمر عليها الطريق حتى وصل الرسل إلى البرك وهي مسكن بني هلال في عسير، كما حسب الرسل المسافة بالأيام من قعوضه إلى مكة المكرمة فكانت خمسة وعشرين يوماً، وحددوا المراحل التي تحتاج إلى ماء، وعزم الحبيب على السعي لحفر آبار في تلك المراحل، ثم بعد أن توفرت له المعلومات توجه السيد حسن بن أحمد العيدروس في عام ١٢٨١هـ إلى الحرمين بصحبة السيد محمد بن أحمد بلفقيه والسيد علوي بن عبد الرحمن المشهور وبعض من آل باجري، ومعهم عدد من أهل حضرموت من القبائل وغيرهم في رحلة الحج عن طريق البر من حضرموت إلى مكة المكرمة وأدوا الحج ذلك العام، وكان الوقوف بعرفة يوم الجمعة، إلا أنه حصل وباء بين الحجاج أتى به كثير منهم، وممن توفي بذلك الوباء مفتي الشافعية بمكة المكرمة الحبيب محمد بن حسين الحبشي (انتهى بتصرف)[١].

وعمل الحبيب أحمد بن حسن العطاس على تأمين طريق الحج البرية إلى مكة ومنازلها، وذكر أنه أخذ من بادية مرة وهمام ويام والكرب عهوداً ومواثيق على تأمين السبيل وعدم التعرض للمارين من أي الأجناس سواء كانوا من البادية أو غيرهم، وقال إنه إن شاء الله إذا استوثقت فسيلقي صلحاً وأماناً بين عامة القبائل لتأمين السبل»[٢].

وقد يسلك الحجاج من حضرموت الداخل إما طريق البحر أو طريق البر وكلاهما شديد المشقة والخطر أما طريق البحر فمحطته الأولى ميناء الشحر بحضرموت، وأما الطريق البري فيمر عبر طرق الحج اليمني الذي ذكرناه سابقاً. وإذا تتبعنا بعض رحلات العلويين للحج نجد أن بعضهم يذهبون للحج مشياً على الأقدام رغم صعوبة الطريق واختلال الأمن

(١) طه حسن السقاف، البحر الملي، صفحة ٢١٧.

(٢) مخطوطة رحلة الحبيب أحمد بن حسن العطاس إلى هود، جمعها السيد علوي بن طاهر الحداد، صفحة ٤٣.

في ذلك الزمان. ومما ذكر في هذا الباب أن الإمام عمر المحضار المتوفى سنة **٨٩٣هـ** حج على قدميه ومكث في سيره إلى الحج والزيارة أربعين يوماً[١].

إلا أن رحلات الحج مشياً على الأقدام لم تقتصر على الزمن القديم، فقد ذكر والدي من المتأخرين السيد حسين عيديد من أهل بور وقال إنه قد حج عدة مرات مشياً على قدميه رغم نحافته وصغر جسمه، حتى إن الحبيب مصطفى المحضار يصفه فيقول: حسين عيديد يشبه الوليد وجسمه من حديد. ولم أقرأ شيئاً عن توجه الفقيه المقدم للحج إلا أن الحبيب محمد بن هادي السقاف ذكر في رحلة حجه سنة **١٣٤٧هـ** أنه ذهب إلى رباط الحضارمة بمكة وقصد أوضة الفقيه المقدم فيه[٢].

ورغم صعوبة السفر في تلك الأيام وخطورة الطريق إلا أن العلويين لم ينقطعوا عن الحج، بل وعن تكرار الحج، فقد حج الحبيب حسن بن صالح البحر **(١١٩١-١٢٧٣)** ثلاث مرات[٣]، وحج الحبيب عبد الرحمن بن علي السقاف خمس مرات.

وليس في رحلات العلويين ذكر ليوميات السفر ومصاعبه ومشاقه، ذلك أن رحلة الحج هي رحلة علمية في أيامها ولياليها، يتدارسون فيها القرآن أثناء السفر ويقرأون الكتب عندما يستقر بهم المقام ويلتقون بالعلماء والفقهاء في كل بلد، ويتعلمون منهم ويعلمونهم ويستجيزونهم ويجيزونهم في ما عندهم من العلم.

ومنهم من يمر بعدن أو زبيد ويلتقي بالعلماء، فقد مر الحبيب أحمد بن عمر بن سميط في حجه سنة **١٢١٥هـ** ببيت الفقيه، وهي مدينة بتهامة اليمن تنسب إلى الإمام الفقيه أحمد بن موسى العجيل، وكانت من المراكز العلمية المرموقة باليمن[٤].

---

(١) صالح الحامد، تاريخ حضرموت، الجزء الثاني، الناشر مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة **٧٤٩**.

(٢) محمد شيخ المساوى المنحة الالهيه في الرحلة الحجازيه مخطوطة، صفحة **٣٣٣**

(٣) طه حسن السقاف، فيوضات البحر الملي، صفحة **٥٨** .

(٤) دحمان لعجم مجموع الحب أحمد بن عمر بن سميط، صفحة **٤٥١**.

وحج الحبيب العلامة عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه (١٠٨٩-١١٦٢هـ) عن طريق البر ومر بزبيد وحضر درس السيد يحيى بن عمر الأهدل متستراً، ثم عرفه وقدمه للتدريس وجلس ثلاثة أيام يتكلم في البسملة[1].

وحج الحبيب محمد بن علي السقاف (١٢٢٥-١٣٠١هـ) مع الحبيب عبد الرحمن بن علي السقاف بطريق البر إلى عدن، ومنها إلى زبيد، وفي صحبتهم جماعة من السادة ولقيا في ذلك السفر جماعة من السادة العارفين والعلماء المحققين والأولياء والصالحين وأخذوا عنهم واستجازوا جماعة من أهل زبيد واليمن[2]. ثم قدما مكة وأسقطا فريضة الحج والعمرة وقابلهم أهلها بالإجلال والتعظيم[3] (انتهى باختصار).

وحج الحبيب حسن بن صالح البحر (١١٩١-١٢٧٣هـ) مع الحبيب أحمد بن علي الجنيد الجنيد (توفي سنة ١٢٧٥هـ) طريق البر ومرّا في طريق حجهما على السيد أحمد الإدريسي بصبيا فوجدا درسه غاصاً بالناس فقرأ عليه الحبيب الجنيد الرشفات فتكلم الإدريسي على كل بيت فيها واستشهد في كل بيت بشاهد من الكتاب العزيز وشاهد من السنة، وقرأ عليه الحبيب حسن رسالته التي ألفها وسماها (صلاة المقربين)، فقال الإدريسي لئن كان صاحب هذه الرسالة موجودًا تضرب إليه أكباد الإبل، ولكن الحبيب حسن لم يعرف بنفسه[4].

وقبل العهد السعودي كان التعرض للصوص وقطاع الطرق لازمة من لوازم الحج لا تخلو منها أي رحلة حج مكتوبة حتى دعا ابن جبير في رحلة حجه سنة ٥٨١هـ عن إسقاط الفريضة عن مسلمي الأندلس لأن بيت الله الآن بأيدي أقوام قد اتخذوه معيشة حرام،

---

(١) محمد بن سالم بن حفيظ، نفح الطيب العاطري في مناقب الحبيب عبد الله الشاطري، دار العمل والدعوة، صفحة ٣٣٣.

(٢) طه حسن السقاف، فيوضات البحر الملي، صفحة ١٢٥.

(٣) أحمد بن عبد الرحمن السقاف، الأمالي، تعليق طه حسن السقاف، صفحة ٧٨.

(٤) طه حسن السقاف، فيوضات البحر الملي، صفحة ٥٨.

وجعلوه سبباً إلى استلاب الأموال واستحقاقها من غير حل ومصادرة الحجاج عليها وضرب الذلة والمسكنة الدنية عليهم[١].

وتعرض السيد محمد السنوسي التونسي في رحلته الحجازية[٢] سنة ١٢٩٩هـ إلى قطاع الطرق فقال: وبمجرد النزول بعسفان بادرت إلى قصد التوضؤ لأداء الصلاة، فتعمدت الخروج من دائرة الشقادف وكان حولها بعض أتباعنا على المشعل فابتعدت على سمته، وجلست للوضوء مستقبلاً لمشاعل منزلتنا، وبينما كنت جالساً حدثتني نفسي شبه أخبار أن هؤلاء البدو إن ظفروا بأحد الحجاج مسكوا على فيه (كمموه)، وأخذوه لصحرائهم لأخذ سلبه، وكان وقتئذ معي مبلغ من المال يستحيل استبقاء الحياة على حامله، فخشيت أن يأتي علي أحد من وراء، ولما التفت رأيت صعلوكاً ليس عليه غير إزار يستر العورة المغلظة وهو أسود وبيده قطعة رافع بها على رأسي لينزل بها عند قيامي، كل ذلك وظلام الليل هو الستار، وعند قيامي وأخذي في الفرار نزل بضربته فأصابت عضدي الأيمن وآيست من سلامة يدي وحمدت الله على سلامة الرأس وناديت أتباعنا، فما تلاقينا إلا والرجل لحق برؤوس الجبال، ورأيت أن السلامة منه غنيمة تلك الليال غير أني وقعت مغشياً علي عندما أحسست بوصولي إلى الأمن (انتهى).

واعترض اللصوص الحبيب حسن بن صالح البحر في إحدى حجاته الثلاث وهو في طريقه بين مكة والمدينة المنورة بصحبة السيد أحمد بن علي الجنيد (المتوفى سنة ١٢٥٧) وأخذ اللصوص جميع ما معهم، فقال الحبيب حسن بن صالح: ما شق علينا (ما أغضبنا) إلا أخذ الختمة (أي المصحف)، ولكن ضرب الحبيب ما يوجع[٣].

وحدث مثل ذلك للحبيب أحمد بن محمد المحضار في حجه مع الحبيب عبد الله بن

---

(١) رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت، صفحة ٥٥.

(٢) محمد السنوسي، الرحلة الحجازية، تحقيق علي الشنوفي، الشركة التونسية للتوزيع، صفحة ٢٠٤.

(٣) طه حسن السقاف، فيوضات البحر الملي، صفحة ٦٠.

عمر بن يحيى، ففي الطريق إلى المدينة المنورة تأخر الحبيب أحمد المحضار عن القافلة فإذا بأحد اللصوص يضربه على رأسه بصميل حتى يسلبه متاعه، فلما أفاق الحبيب أحمد من أثر الضربة قال بدعابته المعروفة عنه (وراها اللا صُمُل يارسولَ الله).

أما الحبيب عبد الرحمن بن علي السقاف (١٢٢٦-١٢٩٢هـ) فقد سافر خمس مرات إلى الحرمين لأداء النسكين، وفي حجته سنة ١٢٨٥هـ عمل عملية جراحية لعينيه استعاد بها بصره وفرح بذلك كثيراً[١].

وننتقل إلى ذكر حجة الحبيب عبد الله الحداد بشيء من التفصيل، فقد نوى القطب الحداد الحج في سنة ١٠٧٩هـ[٢]، وكانت تلك السنة سنة قحط وجوع، وكان رأيه في تثبيت العزم لأنه قد تكون السنة التالية أشد منها، وإن كانت أحسن فالأحسن أن ينهض الإنسان لأمر الله حين يشق عليه فعله. ومرض الحبيب عبد الله الحداد في طريق الحج وخاف أن ينقطع عن الحج، وكان قد خرج من تريم قاصداً الشحر للسفر على المراكب الشراعية، ونزل بالشحر ببيت السيد حسين بن عمر باحسين السقاف، وكانت له مركب سافر عليها القطب الحداد ومرافقوه مجاناً بدون نول.

وتوقفت المركب بهم في عدن فخرجوا إليها، وقام القطب الحداد ببعض الزيارات ثم عادوا إلى مركب السيد باحسين فتحركت بهم إلى الليث فنزلوا بها واستاجروا منها الجمال لتنقلهم إلى مكة. وكان دخولهم مكة في فاتحة شهر ذي الحجة من سنة ١٠٧٩هـ وتكلم القطب الحداد فقال رضي الله عنه: ولما دخلنا مكة كان قصدنا النزول في رباط ربيع المعروف فعرض علينا الشيخ الصوفي الحسين بن محمد بافضل النزول في بيته وفرغ لنا فيه مكاناً حسناً واسعاً وهيأ لنا فيه جميع الآلات المحتاج إليها من الفرش الحسنة وغيرها وقبلنا ذلك حيث وقع ابتداء من الله عز وجل من غير تسبب منّا وهذه طريقتنا وهي إنزال الحوائج والأمور

(١) طه حسن السقاف، فيوضات البحر الملي، صفحة ١٢٣.

(٢) د. مصطفى حسن البدوي، الإمام الحداد، صفحة ١٦٥.

بالله تعالى وما ساقه منها على يد من شاء من عباده سبحانه قبلناه. وسبب فعل الشيخ هذا أنه سمع قصيدتنا قد كفاني علم ربي عن سؤالي واختياري (انتهى باختصار).

وقبل طلوع عرفات بات القطب الحداد في مسجد الخيف بمنى، ثم توجه منها إلى منى ووقف بجبل عرفات يدعو ويبتهل حتى دخل وقت المغرب فصلى بمن معه. وبعد انتهاء الحج وعودته إلى مكة صلى الإمام الحداد بالناس صلاة الصبح في الحرم الشريف، وكان ذلك يوم الجمعة فاتحة شهر محرم، ثم توجه بعد ذلك لزيارة المدينة. وفي المدينه نزل القطب الحداد ببيت السيد الفاضل عمر أمين المهدلي لأنه كان من أصحاب الشيخ حسين بافضل، وكان من المدرسين بالحرم، ومكث القطب الحداد بالمدينة أربعين يوماً.

ومن رحلات حج العلويين المدونة رحلة الحبيب أحمد بن حسن العطاس التي ابتدأها يوم السبت الخامس والعشرين من شوال ١٣٢٥هـ وتحرك بمن معه راكباً فرسه من بلدته حريضه نحو الشحر. وبعد أربع ساعات وثلث من المشي على الدواب وصل المشهد ثم خرج العشية من المشهد، ومشى بركبه حتى وصل (تحوله) وهي قرية من قرى الهجرين حيث بات بها ليلته، ثم تحرك بعد الشروق نحو قيدون فوصلها على ثلاث ساعات ونصف، ثم توجه منها نحو قرية (صيف) ثم خرج من صيف بعد العصر فوصل قرية بضه بعد المغرب حيث بات بها ليلته. وفي الصباح تحرك بركبه فوصل الخريبة، ثم توجه منها إلى القويره وبات ليلته بمنزل الحبيب مصطفى المحضار، ثم توجه منها في الصباح إلى رحاب، ومنها صعد إلى عقبة (شتنة).

وهنا يذكر مرافقه ومدون رحلته: وكم كابدنا في هذه الرحلة من محنة ومشينا في أطم وآكام والرعد يسبح في الغمام حتى استوينا على رأس الجبل بعد معاناة، ولم نزل نمشي حتى أقبلت السماء بأمطارها، ومشينا إلى أن وصلنا عقبة حوفة وهي عقبة كؤود فجاوزناها ودخلنا حوفة وبتنا فيها.

وفي ضحى يوم الأربعاء تمام شهر شوال طلعنا إلى عقبة أخرى ومشينا حتى وصلنا

الكعش وهي من قرى البوادي بعد نحو ثماني ساعات من المشي، وهي مشهورة بشدة البرد، ومنها إلى محل يسمى حاجب القبرين، فنزلنا ساعة للاستراحة، ثم مشينا على رأس الجبل المسطح (الجول) إلى أن نزلنا في عقبة حويرة فجاوزناها، وما كدنا نرى منتهاها حتى بلغت بنا المشقة أدناها، ثم وصلنا قرية البطح، وبها غيل ماء يجري على وجه الأرض ومنه توجهنا يوم الجمعة إلى أعلى غيل الحالكة، وبتنا فيه تلك الليلة. وفي الصباح توجهنا إلى (تحيه) وهو منزل به عين ماء ومنه توجهنا إلى (العقيق)، فوصلنا إليه على نحو ساعتين إلا ربعاً. ولما أصبحنا توجهنا إلى (غفيت) فوصلنا إليه على نحو خمس ساعات ونصف، ومنه توجهنا إلى (رشنيت). ولما أصبحنا مشينا قدر ست ساعات حتى وصلنا (الحدبة)، ومنها رحلنا إلى (الحرشييات)، ومنها إلى المكلا.

حيث تبدأ منها رحلتهم البحرية إلى جدة وهو يصفها فيقول: أما الرحلة البحرية فقد ابتدأت على مركب قادم من السواحل الأفريقية، وتحرك المركب بمن فيه يوم الجمعة وتوقف المركب بمرسى عدن بعد مغرب يوم السبت ثماني من ذي القعدة، ثم سافر المركب من عدن عشية الأربعاء إلى مصوع فوصلها الجمعة.

ثم سافرنا من مصوع يوم الأربعاء ٢٠ ذي القعدة على مركب عثماني فوصل جدة يوم الجمعة ٢٣ ذي القعدة قبل الظهر، ولم يحدث في الرحلة ما يعكرها إلا ماحدث يوم الجمعة عند دخولهم مرسى جدة حيث اصطدم المركب بصخر البحر ومال إلى جانبه، فخاف أهله خوفاً شديداً، لكنه لم يلبث أن اعتدل ووصل إلى مرساه.

أما يومياتهم أثناء الرحلة وكيفية تمضية أوقاتهم، فقد كانت كلها مدارسة للقرآن الكريم والتباحث في القضايا الفقهية والعلمية، وهذا ديدنهم حتى عندما كان السفر بالسفن الشراعية القديمة، كما تدل عليه القصة التالية: ففي عام ١٢١٢هـ توجه العلامة السيد عمر بن عبد الرحمن البار من الشحر على سفينة شراعية قاصداً الحج، وكان معه تلميذه العلامة الشيخ عبد الله بن أحمد باسودان، ورافقهم السيد العلامة عبد الله بن علي بن شهاب الدين،

ولما أخذ السيد بن شهاب يقرأ على شيخه بعض كتب التصوف إذا اشتد عليه المرض، وتوفي بالسفينة التي ألقت مراسيها بمرسى جلاجل القريب من القنفذه حيث قبر بها[١].

أما إذا نزلوا ببلد فإنهم ينتهزون الفرصة لزيارة علمائها وصلحائها وإذ كان حجهم بالطريق البرية فإنهم لا يتوقفون عن الإصلاح بين القبائل المتحاربة لتأمين طرق الحجاج. وسيجد القارئ في رحلة حج الحبيب أحمد بن حسن العطاس المذكورة ما يؤكد ما ذكرناه.

ولا يمكن لمن حج من العلويين أن يترك زيارة سيد الكونين مهما عظمت أخطار الطريق، كما تدلنا على ذلك قصة حج الحبيب علي بن عبد الله السقاف المولود بمدينة سيؤن سنة **١٠٩٢هـ**، فقد حج، لكنه لم يتمكن من زيارة الحبيب **الأعظم** بسبب اختلال الأمن في الطريق، ولكنه لما آب إلى حضرموت أمره شيخه الحبيب عبد الله حداد بالعودة الفورية إلى المدينة المنورة لزيارة الحبيب الأعظم ﷺ، فامتثل لأمر شيخه وارتحل إلى المدينة المنورة[٢].

وللحبيب عبد الله بن عمر بن يحيى قصة مشابهة ذكرها الحبيب علوي بن عبد الله بن حسين بن محسن في مذكراته فقال: إن الحبيب عبد الله بن عمر بن يحيى عزم مع جماعة من إخوانه على الحج عن طريق البر فمروا بالحبيب أحمد بن محمد المحضار بدوعن، وهو إذ ذاك شاب وأخبروه بعزمهم للحج، فسار معهم، وكلما مروا ببلد وسمع حاكمها بهم خرج ليزورهم فلم يمكنوه من مقابلتهم، وإن أرسل لهم شيئاً من المال ردوه تورعاً منهم. ومروا على بعض الحكام في الطريق فأرسل إليهم أن يأتوا إليه أو أن يجيء إليهم للزيارة أو أن يقبلوا منه شيئاً، فلم يفعلوا، ولكنهم طلبوا منه رفع الجمرك عن حاجات الناس ولو مدة إقامتهم فرفعه.

وقلما وجدنا في كتب العلويين ما يدل على ما تعرضوا له في طرقهم من أخطار، ومن

---

(١) عبد الله بن محمد السقاف، تاريخ الشعراء، الجزء الثالث، صفحة ١٤٢.

(٢) نفس المصدر السابق، الجزء الثاني، صفحة ٩٨ .

هذه الأخبار القليلة ما نقل بن عبيدالله[١] عن كتاب المواهب والمنن من أن الحبيب أحمد بن حسن الحداد صاحب العلوم الزاخرة والمؤلفات الشهيرة وأهمها سفينة الأرباح في ثلاث مجلدات كبار، وكان سبب تأليفها أن لوالده الحبيب حسن سفينة لا نظير لها في كل فن من العلوم النافعة غرقت فيما غرق على الحبيب أحمد بن حسن حينما انكسر به المركب في حجه سنة ١١٥٧هـ فعمل كتاب «سفينة الأرباح» على غرارها.

ومن حوادث غرق العلويين المؤلمة في طريق الحج ما حدث للجنيد، ونترك الحبيب أحمد بن علي الجنيد يروي هذه القصة، قال: إني امتحنت منذ صغري بالأسفار خدمة لوالديَّ وسعياً على رزقهما ورزق إخوتي الصغار فلما كبر أخي عبد الله سافر هو وكفاني هذه المئونة لأتفرغ لطلب العلم، ولما ترعرع ابني الوحيد علوي وكبر، وكان قد نشأ على طاعة الله وحبّ العلم، وحينما علقت آمالي عليه توجه مع أخي عبد الله سنة ١٢٥٠هـ لقصد الحج في مركب باعمر، فلما بلغوا جزيرة كمران انكسر بهم المركب وغرقوا[٢].

إلا أننا نجد ما نريد أن نعرفه من أخطار الطريق التي تواجه الحجاج براً وبحراً في مدونات حجاج اليمن الذين أسهبوا في وصف ما تعرضوا له من المشقة والأخطار في رحلات حجهم رغم أنهم أولي قوة وبأس شديد،

فهذا العلامة اليمني يحيى بن مطهر بدأ رحلة حجه من صنعاء في سنة ١٢١١هـ[٣]، أي قبل رحلة الحبيب أحمد بن عمر بن سميط بثلاث سنين والتي كانت في سنة ١٢١٥هـ، وتوجه بن مطهر إلى الحديدة ليركب منها البحر، وهو يصف أنواع المراكب التي تنقل الحجاج في ذلك الزمن من طرادات وسنابيق وزعائم، وغير ذلك. وتختلف في أحجامها، وأما الكبار فتسمى مراكب، وكلها تسير بقوة الريح الذي يدفع الأشرعة.

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٥٣٢.

(٢) عبد القادر بن عبد الرحمن الجنيد، العقود العسجديه في مناقب الأسرة الجنيديه، صفحة ١٣٦-١٣٧.

(٣) عبد الله محمد الحبشي، الرحالة اليمنيون، مكتبة الإرشاد، صفحة ٩٤.

ويصف هذا الرحالة المركب فيقول: وفي مؤخر المقدمة محل مسقوف على القامة فيها طاقات تسمى بالدبوسة يختص ذلك بالحريم، وسطح ذلك المحل المسقوف هو أشرف مكان بالمركب، ويسمى السطحة، ويبقى فيه أعيان الناس والناخوذة (صاحب المركب) والربان.

أما موضع جلوس الركاب فهو وجه المركب الظاهر، وكلما قرب المكان من السطحة فهو أشرف من مقدم المركب محل السفلة والبحارين، وربما ركب ناس في النادر فوق شحنة المركب. أما موضع الطبخ فيسمى الموقد، ويصنع فيه الطعام لأهل البحر (البحارة) وعامة الناس ويأخذ بعض الأفراد مواقد ويصنعون طعامهم في محالهم. وموضع الشرب يسمى الفنطاس، وهو يشبه القبة ويتسع لشيء كثير من الماء وكلما وردوا على محل استقوا منه بقدر ما قد ينقص. ويفرق أهل المركب (البحارة) الماء على الركاب بقدر معلوم.

وأكثر ما يحصل التشكي من أرباب المراكب من شح الماء، ويأخذ أعيان الناس وأهل الغنى معهم أزياراً يتسع الكبير منها لنحو عشر قرب ويستأجرون ذلك بأجرة معلومة. ومحل قضاء الحاجة يسمى زولي، وهو مضلع عيدان يوثق بجانب المركب الذي يلي البحر، ولا خطر في ذلك أصلاً، ثم يستر بستر يشبه الشبابيك يسع الرجل، والدخول إليه من أعلاه (انتهى بتصرف بسيط واختصار).

وعن أهوال البحر يصف الرحالة جغمان[1] الذي سافر من الحديدة سنة ١٢٤١ عند مرورهم بغبة جيزان، فيقول: (وفي غبة جيزان كثر هيجان البحر وتلاطم الأمواج ومضى علينا يوم الجمعة فتكدرت الساعية وضاقت بمن فيها، وجعلت تضرب بمن فيها يميناً وشمالاً حتى أيقنّا بالهلاك وأكثرنا من نطق بالشهادة واستمر الحال من وقت صلاة الجمعة إلى بعد ذلك اليوم ونحوه)، وما كاد المركب يصل بهم إلى القنفذة حتى خرج أغلب الركاب إذ لم يصبروا على أهوال البحر خصوصاً، وقد جاءهم الخبر برخص كراء الدواب وأمان الطريق (انتهى باختصار).

---

(١) عبد الله محمد الحبشي، الرحالة اليمنيون، مكتبة الإرشاد، صفحة ١٥٩.

وإذا أردنا أن نعرف تفصيل صفة الحج قبل ثمانين سنة فسنرجع إلى رحلة حج الحبيب محمد بن هادي السقاف والتي قام بها في سنة ١٣٤٧هـ. وقد ذكر الحبيب محمد بن هادي السقاف رحلة حجه بشيء من التفصيل فقال: وفي صباح يوم الجمعة الثامن من ذي الحجة أخذنا نتجهز ونجمع ما نريده من الأمتعة، وقد قام السيد الهمام الفاضل حسن بن محمد فدعق بمهماتنا وقضاء حاجاتنا وبذل غاية الجهد والطاقة في استئجار الجمال والشقادف (مثل الهودج للجلوس على الجمل) واستئجار المنزل بمنى وإعداد الخيمة لعرفات[١].

وفي عشية ذلك اليوم اغتسلنا غسل الإحرام ولبسنا ثياب الإحرام، ثم جاءت الجمال ووضعنا متاعنا عليها، وبعد أن صلينا المغرب بالبيت خرجنا إلى المسجد الحرام لطواف الوداع، ومكثنا حتى أذان العشاء فصلينا العشاء جماعة ثم أحرمنا بالحج، وخرجنا من المسجد الحرام، وركبنا الشقادف فوق الجمال، واندفعت الجمال تجري بنا، وأخذنا في التلبية والصلاة على النبي المختار حتى وصلنا منى ثم حثثنا الركاب حتى وصلنا عرفات فنزلنا وأخرجوا الشقادف ورتبوها في مواضعها حتى صارت كالسور علينا، ونمنا عليها بقية ليلتنا. ولما دخل الفجر انتبهنا وصلينا الصبح، ثم نصبوا الخيام وتناولنا طعام الإفطار. وبعد مدة قليلة جاءنا أحد الحضارم وأخبرنا بوفاة السلطان منصور بن غالب الكثيري فتاسفنا واسترجعنا، وقام سيدي محمد مع جماعة للصلاة عليه وشهدوا الصلاة عليه ودفنه وصلى عليه الحبيب محمد بن هادي صلاة الميت[٢].

وفي عشية ذلك اليوم ونحن بالوادي انتشر جراد كثير، ثم أعقبه الغيث وأمطرت السماء وابلاً ثجاجاً فاختبأنا في الشقاذف من المطر، ثم لم تلبث أن أقلعت وبرد الهواء واستراح الناس، ثم لما حان وقت المغرب صلينا المغرب جماعة، وعدنا إلى الشقادف نذكر الله ونمجده، ثم لما دخل العشاء صليناها جماعة وشدوا الركاب وعلونا ظهرها ودفعنا من

---

(١) محمد شيخ المساوي، المنحة الإلهيه في الرحلة الحجازية، مخطوطة، صفحة ٣٤٠.

(٢) محمد شيخ المساوي، المنحة الإلهية في الرحلة الحجازية، مخطوطة، صفحة ٣٤٢.

عرفات وأخذت تقطع الفلوات، فلما كنا بالمزدلفه نزلنا عن الجمال لأخذ حصى الرمي وواجهنا المشعر الحرام، ثم عدنا على الجِمال حتى إذا وصلنا منى نزلنا منها، وقصدنا منزلنا وهيأنا متاعنا، ثم ذهبنا لرمي جمرة العقبة، وطلع الحبيب محمد بن هادي مع الشيخ عمر باجنيد إلى مكة للطواف والسعي وتبعه كثير من الرفقة وبقي بعضنا بمنى وتحلل التحلل الأول بالرمي والحلق. وقضى الحبيب محمد بن هادي ومن تبعه ذلك اليوم بمكة، ولم يخرجوا إلى منى إلا ليلاً للمبيت بها، وفي صباح اليوم الأول من أيام التشريق نصبنا الخيام حول منزلنا وتناولنا ماشاء الله أن نتناوله من الفطور الطيب عملاً بقول رسول الله ﷺ أيام منى أيام أكل وشرب إلى آخر الحديث. ثم جاء كثير من أهل مكة للتهنئة بالعيد، وقد رأى الشيخ عمر باجنيد أن ننفر من منى ذلك اليوم النفر الأول، فوافقه الحبيب محمد بن هادي على ذلك[١].

وفي عشية ذلك اليوم بعد صلاة العصر ذهبنا مع الحبيب محمد بن هادي والشيخ العلامة عمر باجنيد لرمي الجمرات الثلاث، وفي اليوم الثاني من أيام التشريق الموافق للثاني عشر من ذي الحجة بعد صلاة العصر وضعنا أمتعتنا على الشقادف وأخذ أصحاب الجمال يشدونها، وتوجهنا لرمي الجمار الثلاث، ونوينا عند رميها النفر، ثم تقدمنا عند مسجد البيعة الذي بايع فيه الأنصار رسول الله ﷺ وجلسنا في انتظار المطايا حتى وصلت قريباً من المغرب، فاستمهلناهم حتى صلينا صلاة المغرب بذلك المسجد، ثم علونا ظهور الجمال فجرت بنا، ووصلنا مكة بعد العشاء، وبتنا تلك الليلة في بيتنا مسرورين شاكرين على قضاء فريضة الإسلام.

ثم يصف الحبيب محمد بن هادي السقاف إجراءات العودة إلى بلده حضرموت بعد فراغه من الحج فيقول: وأقمنا بمكة بعد الفراغ من مناسك الحج ثلاثة أيام، وفي يوم الجمعة الرابع عشر من ذي الحجة استاجر لنا السيد الهمام حسن بن محمد فدعق السيارات لتحملنا إلى جدة.

---

(١) محمد شيخ المساوي، المنحة الإلهية في الرحلة الحجازية، مخطوطة، صفحة ٣٤٤.

وفي صباح يوم السبت الموافق لخمسة عشر من شهر الحجة جمعنا أمتعتنا واستأجرنا الحمالين لحملها إلى محطة السيارات بجرول، ثم خرجنا جميعاً إلى البيت الحرام، وطفنا طواف الوداع، ووصلنا جدة ونزلنا ببيت الشيخ الفاني في محبة أهل البيت عبد الله بن أحمد عجلان، ومكثنا بجدة ثمانية أيام هون علينا صعوبة الإقامة فيها ماكنا نتمتع به من مجالس الحبيب محمد بن هادي السقاف.

ثم يصف في رحلته الصعوبة التي كان الحجاج يواجهونها في الحصول على مركب يعود بهم إلى المكلا فيقول: وأخذنا نخابر أهل المراكب ووكلاءها فلم نجد أحداً يريد أن يعرج على المكلا، وضاق بنا الحال حتى أنّ بعض الحضارمة أنشأ أبياتاً يسأل الحبيب محمد بن هادي أن يستغيث ويتوسل إلى الله في حصول المركب، وما هي إلا يومان حتى جاء وكيل المراكب العجمية يطلب منا أن نعيّن عددنا وندفع النول لأن المركب في المرسى وعازم على السفر.

وفي صباح يوم السبت الموافق ثلاثاً وعشرين من شهر الحجة جمعنا متاعنا واستأجرنا العربيات لحملنا إلى البحر فاستقبلنا الوكيل بالبشاشة والتأهيل وأخبرنا بأنه قد أعد لنا زورقه الخاص لحملنا إلى المركب. فلما وصلنا المركب اخترنا مكاناً فسيحاً بقرب إخواننا الحضارم، أما الحبيب محمد بن هادي فجلس في مخزن خاص مع السيد أبي بكر بن حسين الكاف، وقضينا في المركب ستة أيام: خمسة أيام في البحر ويوم انتظار بمرسى جدة لأجل اكتمال ركاب المركب. وفي صباح الجمعة التاسع والعشرين من ذي الحجة أرسى بنا المركب بساحل المكلا، ومكثنا بالمكلا عشرة أيام قبل العودة إلى سيؤون على ظهور الجمال[١].

أما الجد علوي بن عبد الله بن حسين السقاف[٢] فقد أبحر من المكلا إلى عدن في رحلة

---

(١) محمد شيخ المساوي، المنحة الإلهية في الرحلة الحجازية، مخطوطة، صفحة ٣٤٦-٣٦٥.

(٢) علي محسن السقاف، السيرة الذاتية للحبيب علوي بن عبد الله السقاف، صفحة ٨٨.

حجه سنة ١٣٦٦هـ على باخرة بازرعة المسماة بالبحر الأحمر في الخامس عشر من شوال ويقول: ومكثت في هذه الباخرة الربوع وبكرة الخميس، وفي آخر النهار من يوم الخميس قرب المغرب وصلنا عدن وأقمنا بعدن الجمعة والسبت، وفي يوم الأحد آخر النهار توجهنا إلى جدة على باخرة تابعة للملاحة المصرية، ومكثنا على ظهرها في البحر أربعة أيام، وفي ليلة الخميس وصلنا جدة مساءً.

ويذكر الحبيب علوي الصعوبة في الحصول على مركب يعود بهم إلى المكلا، وما يتطلبه ذلك من الانتظار الطويل فيقول: ومكثنا في جدة اثني عشر يوماً. وفي صفر الخير وصل الخبر بقيام الوابور من السودان إلى جدة فقطعنا فيه تذاكر العودة.

ثم يصف الرحلة ومصاعبها فيقول: وفي سبعٍ من صفر توجهنا على بركة الله إلى المكلا، ومرت بنا الباخرة على جيزان بعد أن ضلّ الربان طريقه، وبات قبل جيزان في البحر ليلة، ثم بات في الليلة الثانية بميناء جيزان، وبعد ذلك توجهت الباخرة إلى عدن، ولاقينا من الريح المعاكسة للباخرة تعباً شديداً فوق ما نقاسيه من ضيق الباخرة وكثرة ركابها، بحيث لا يستطيع أكثر الركاب أن يمد رجله ليستريح عند النوم من الضيق مع كثرة الأوساخ بها لقلة النوم، حتى ماء الوضوء لم نجده إلا بشق الأنفس فإن جلسنا على ظهرها لفحتنا الشمس والريح، وإن جلسنا في بطنها لفحنا وجه نارها وكأنما نزل فينا قول الشاعر «كالمستجير من الرمضاء بالنار»، ولم نكد نصل إلى ميناء عدن حتى كادت أرواحنا أن تزهق، وتغيرت وانحرفت صحة كثير من الركاب مثلي.

ويذكر الجد علوي أن مصاعب الرحلة لم تنتهِ بوصولهم عدن فيقول: ولما وصلت الباخرة إلى عدن نفد البنزين المدخر لوقودها، ولم تتحصل عليه إلا بعد مراجعة لندن، وقيل لنا إنه من المحتمل أن تبقى في مرسى عدن نصف شهر، فانزعجنا وطلبنا النزول منها إلى عدن فلم يرخص القبطان. ولما مضى علينا بها يوم وليلة ضقت بها ذرعاً وخرجت منها هارباً ولم أعد إلى تلك الباخرة المشؤومة.

ومكثت بعدن ثمانية أيام، ثم لما نودي برحيل بابور البس المسمى (يلحق) إلى المكلا عزمت على السفر به، ومشت بنا الباخرة على بركة الله، فوصلنا المكلا على ست وثلاثين ساعة، ثم مكثنا بالمكلا ثلاثة أيام، ثم استأجرنا مقعداً بسيارة أبوسبعة المتجهة إلى سيؤن فوصلناها آخر النهار في آخر يوم من صفر سنة ١٣٦٧هـ. (انتهى باختصار).

وذكر الجد بن عبيدالله في بضائع التابوت[1] أن أول من قطع الجزيرة العربية بالسيارة هو الإنجليزي عبد الله فلبي، فقد اخترق البلاد السعودية حتى نجران، ومنها سار بالسيارة إلى العبر، ومن العبر إلى سيؤون وتريم، وكان وصوله سيؤن في سنة ١٣٥٥هـ. وقد فتحت هذه الرحلة آمال الحضارمة في السفر للحج بالسيارات وهو أمل تحقق فيما بعد، واستبدلت الشاحنات بالجمال وسافر عليها الحضارمة عبر الربع الخالي إلى نجران في طرق غير ممهدة، ومسالك غير معروفه، يهتدون فيها برجال البادية الذين يعرفون الطريق ويستدلون عليها بمواقع النجوم، لكنهم قد يضلون الطريق ويعرضون ركب الحجيج لأعظم الأخطار.

ومن أشهر السائقين لهذه اللواري التي عملت على نقل الحجاج بين حضرموت ومكة السيد حامد بن عقيل، كما وردت سيارت بعض أهالي وادي الدواسر من نجد إلى سيؤون، واشتركت في نقل الركاب، وكان لهؤلاء النجديين ثقة بالحضارمة حيث كان الحضرمي يسافر بلا نول لفقره على وعد منه لصاحب السيارة أن يدفع له أجرة السفر عندما يصل ويجد عملاً بالسعودية، وكان السائقون النجديون يقبلون منهم ذلك لمعرفتهم بأمانة الحضارم وأخلاقهم.

وممن سافر إلى جدة على هذه السيارات العم أحمد بن علوي السقاف الذي سافر عليها سنة ١٣٧٩هـ وذكر لي أن رحلتهم ابتدأت من سيؤون على سيارة لوري مقسمة سطحتها إلى قسمين لتستوعب أكبر عدد من الركاب، وتتجه السيارات أولاً إلى العبر، وفي

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ١٦٧.

العبر يستأجر السائق دليلاً من البادية يستعين بالنجوم لمعرفة الطريق خلال صحراء الربع الخالي من العبر إلى نجران، ولهذا لا يكون السير إلا ليلاً. وتستغرق الرحلة من سيؤون إلى نجران أكثر من أسبوعين. هذا ويصل الحجاج الحضارمة إلى جدة في هذه الأيام بالطائرات والسيارات. وقد ازدادت أهمية السيارات في السنوات الأخيرة بعدما تعبدت الطرق وتوفرت الأوتوبيسات المكيفة المريحة التي يكلف السفر عليها بين جدة وحضرموت حوالي المائتين من الريالات السعودية.

وحيث إن الشيء بالشيء يُذكر فقد كانت أول رحلة حج بالطائرة على الإطلاق في سنة **١٣٥٤**هـ (٩ يناير ١٩٣٦م)، وقام بها المليونير المصري طلعت حرب[١] صاحب بنك مصر ومؤسس شركة مصر للطيران، ويقول عن رحلته هذه: بارحنا القاهرة الساعة ستة ونصف صباحاً على متن الطائرة مصر الجديدة إحدى طائرات شركة مصر للطيران يقودها الطيار محمد صدقي، فوصلنا جدة الرابعة بعد الظهر من اليوم نفسه بعد أن استرحنا في الطور وفي ينبع أكثر من ساعتين. كما أنشأ طلعت حرب خطاً جوياً بين جدة والمدينة، وكانت طائراته تهبط في المدينة في المنطقة المعروفة الآن بسلطانة.

* * *

(١) فتحي رضوان، طلعت حرب بحث في العظمة، دار المعارف، صفحة **١١٥**.

الفصل المائـة

العلويون وخدمة الحجاج



وقد عمل بعض العلويين في الطوافة وخدمة الحجاج، ومنهم السيد عباس السقاف بالمدينة المنورة ذكره الحبيب محمد بن هادي السقاف في رحلة حجه سنة **١٣٤٧** فقال في هذه الرحلة: «ثم ذهبنا إلى بيت السيد الماجد عباس بن علوي السقاف مزور (مطوف) الحضارمة، وأمرنا أصحاب السيارة إذا أكملوا لوازمها أن يمروا بها علينا إلى بيت السيد المذكور[١]، وكان وكيله الشيخ عبد الله بن فهيد هو الذي ينوب عنه في مرافقة الزوار[٢].

ومن المطوفين المشهورين السيد محمد بن صالح المحضار، ذكره الجد علوي بن عبد الله بن حسين السقاف في حجته سنة ١٣٦٦هـ فقال: كان نزولنا على اسمه من بين كل المطوفين لما بلغنا عنه من الاستقامة ودماثة الأخلاق، فوجدناه على مثل ذلك[٣]، وقد توفي السيد محمد بن صالح رحمه الله في هذه السنة ١٤٢٨هـ بعد عمر مديد.

ويعرف من أخبار رحلة الحج للحبيب محمد بن هادي السقاف أن السيد حسن فدعق كان يتولى ترتيب أمور الحجاج الحضارمة، قال الحبيب محمد بن هادي في رحلة حجه[٤]: «وفي في صباح يوم الجمعة (الثامن من ذي الحجة ١٣٤٧هـ) أخذنا نتجهز ونجمع ما نريده من الأمتعة، وقد قام السيد الهمام الفاضل حسن بن محمد فدعق بمهماتنا وقضاء حاجاتنا وبذل غاية الجهد والطاقة في استئجار الجمال والشقاذف واستئجار المنزل بمنى وإعداد الخيمة لعرفات، ورتب الأمور كلها على أحسن نظام، وتكفل بشؤوننا بغاية الجد والاهتمام».

---

(١) رحلة الحبيب محمد بن هادي السقاف للحج المسماة بالمنحة الإلهية في الرحلة الحجازية، مخطوطة، صفحة ١٨٢.

(٢) رحلة الحبيب محمد بن هادي السقاف للحج المسماة بالمنحة الإلهية في الرحلة الحجازية مخطوطة، صفحة ١٢٢.

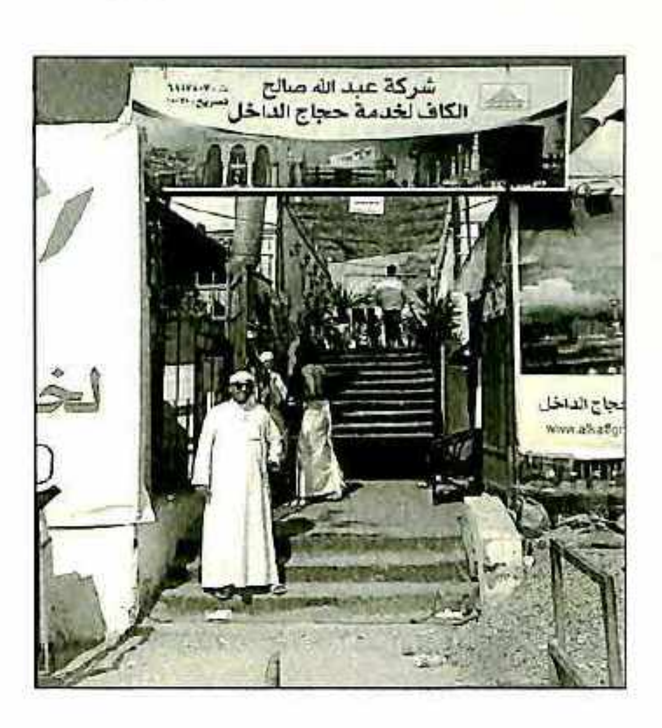
(٣) السيرة الذاتيه للحبيب علوي بن عبدالله السقاف، صفحة ٩٣.

(٤) رحلة الحبيب محمد بن هادي السقاف للحج المسماة بالمنحة الإلهية في الرحلة الحجازية، مخطوطة، صفحة ٣٤٠.

ومن متأخري العلويين الذين عنوا بخدمة الحجاج أولاد المرحوم صالح الكاف، وقد تميزوا في هذه الخدمة وأخلصوا فيها إخلاصاً شديداً حتى يتهيأ لمن حج معهم أنهم لا يقصدون بخدمة الحجاج إلا وجه ربهم، إذ لا يتناسب الأجر الذي يدفعه الحاج على ما يحصل عليه من خدمات ورعاية، وقد حج معهم كاتب هذه السطور مع عائلته في حج سنة ١٤٢٨هـ فلم يجد منهم إلا ما يفوق الوصف من المعاملة الحسنة والخدمة الدائمة والكرم الحاتمي.

وفيما يلي وصف لحملة حجهم كما حضرها المؤلف معهم، ولعل هذا الوصف يكون في يوم من الأيام من الأخبار المفيدة.

وصف حملة الكاف للحج



يوزع الكاف قبل يوم من انطلاق الحملة حقائب خاصة على حجاج حملته يضعون فيها أمتعتهم لتسبقهم إلى مخيمهم بمنى، ويعطى لكل حاج ورقة تحدد له رقم أتوبيسه ورقم

خيمته حتى لا يحدث اضطراب أو تكدس بين الحجاج، وتكون نقطة تجمع حجاج الداخل بمكان يعينونه لهم، ويكون في الساعة الثامنة صباحاً. وفي حجنا كانت نقطة الاجتماع بقصر الكروان للأفراح بجدة حيث قدموا للجميع طعام الإفطار مجاناً وبعده أوضح السيد فيصل الكاف وهو من طلبة العلم للحجاج أمور الحج، وأجاب على تساؤلات الحجاج.

ثم انطلقت أتوبيسات الحملة إلى منى، وتتكون من عدد كبير من أتوبيسات السياحة البولمان المكيفة الهواء وهي مستأجرة من شركات السياحة بمصر، ويزيد عددها على الاثنين والعشرين أتوبيساً، وبكل منها إلى جانب السائق مشرف على الأتوبيس من قبل الكاف، مع دليل من أهل مكة يعرفهم بأسهل الطرق للوصول إلى الهدف فلا يضيعون في الطريق، حيث إن أهل مكة أدرى بشعابها، وحيث إن ملامح مكة ومنى وبقية المشاعر تتغير في أيام الحج ولا يستطيع معرفتها إلا الدليل الخبير اللبيب.

وينطلق الحجاج بهذه الأتوبيسات الضخمة نحو منى مكبرين مهللين حتى يصلوا مكة، ثم يدخلوا منها عبر الأنفاق إلى منى. وعند وصولهم لمخيم الكاف يتوزعون على خيامهم المحددة لهم مسبقاً، وتكون حقائبهم في انتظارهم كل في مكانه. ويتكون المخيم من صوالين واسعة تتسع الواحدة لأكثر من خمسين حاجاً وخيماً أخرى صغيرة تتسع الواحدة لحوالي ستة عشر شخصاً. وهناك غرف خاصة لمن أراد أن يستقل بنفسه مع عائلته. وتزيد الأسعار بالتدرج بين هذه الأماكن.

والخيام مكيفة الهواء، ولكل حاج كنبة جلوس قابلة للتحول إلى سرير لمن أراد النوم، ويعطى كل حاج فرش سرير جديداً مع كيس مخدة، ومخدة وبطانية مكيسة. ويمتد رفّ من الحديد بعرض الخيمة لحمل أمتعة الحجاج فلا تضايقهم الأمتعة في المكان.

ولا يبخل الكاف على الحجاج بشيء، فطعامهم أفخر طعام، ويتراوح بين الرز واللحم أو الرز والسمك، إضافة إلى البوفيه المفتوح لمن فاتته وجبة من الحجاج أو من لا يناسبه الرز واللحم. وللعناية القصوى بالحجاج فقد وضعت طرابيزات عليها تشكيلة من

الفواكه الطازجة، إضافة لصحون الحلويات الشرقية، وذلك متوفر للحجاج في أغلب الأوقات، إضافة إلى الحافظات المبردة الموجودة بين ممرات الخيام والتي تحوي زجاجات الماء المثلجة، ومختلف أنواع العصائر والمشروبات الغازية المثلجة. ومن يحب المشروبات الساخنة فهناك ماكينات صنع القهوة التي تقدم سبعة أصناف منها، إضافة إلى الماء الساخن، وبجواره أكياس الشاهي الأحمر و الأخضر وأنواع أخرى من الشاي، مع قوارير الحليب المحلى لمن يحب الشاهي بالحليب.

أما الفطور فيقدم من بعد صلاة الفجر، وبه الأجبان والمربى والعسل والفول المدمس والحمص والحلاوة الطحينية ورقائق الخبز وبكمية تكفي الحجاج، علماً بأن ما يزيد من الوجبات يوزع على فقراء الحجاج الذين يفترشون أراضي منى بقرب المخيم، فلا يذهب إلا القليل النادر إلى أكياس المزابل.

وللمخيم أكثر من عشرة حمامات نظيفة، بها أيضاً دش للاستحمام، إضافة إلى عشر مقصورات خاصة بالاستحمام، وبها الماء المعتدل الحرارة رغم برودة الجو. ومكلّف بخدمة الحمامات عمال من البنغال على مدار الساعة، يحفظونها جافة ونظيفة، مع إمدادها بما ينقص من مناديل الورق ولصابون وغيره، كما يتوفر أكثر من عشرين حوضاً بمرآة لغسل الأيدي وحلق الذقن وتنظيف الأسنان، مع أماكن مخصصة للوضوء، ولهذا لا يحدث ازدحام ولا انتظار طويل في الحمامات.

وللمخيم طبيب يشرف على صحة الحجاج، كما أن بمدخل الخيمة مكتب الادارة المفتوح على مدى الساعة والذي يتولى حل أي مشكلة يواجهها الحجاج. وقد استعد الكاف بسباك وكهربائي للمخيم، إضافة إلى المباشرين والطباخين وعمال الخدمة.

كما يوجد متجر صغير بالمخيم لبيع الكتب والأشرطة والفوط والطواقي والمساويك علماً بأن الكاف يهدون لكل راكب عند طلوعه من منى لعرفات مصحفاً صغيراً ليمضي فيه وقت الطريق بقراءة القرآن.

وحيث إن النساء من الحجاج في مخيم منفصل وملاصق لمخيم الرجال، فقد توفر لهن من النساء من يقوم لهن بنفس الخدمة التي تقدم بمخيم الرجال، حتى أن بعضهن تمنى أن يستمر الحج طول السنة. وفوق ذلك فقد استعان الكاف بأفراد عائلته من النساء ليشرفن على راحة الحاجات وتوفير طلباتهن.

هذا، وبعد قضاء الحجاج ليلتهم في منى يتوجهون قبل طلوع فجر التاسع من شهر الحجة من منى إلى عرفات لتكون صلاة فجرهم بمخيم الكاف بعرفات، وفيه من الخدمة والاستعداد مثل ما في مخيم منى، مع انفصال قسم النساء عن الرجال بطبيعة الحال.

وبعد أداء صلاة الظهر والعصر بمخيم عرفات، يتناول الحجاج طعام الغداء، ثم يبدأ الجانب الروحي لهذا اليوم العظيم بمحاضرات علمية تولاها السيد العلامة فيصل الكاف، كما تولى العلامة الشاب السيد عبد الله فدعق الإجابه على الأسئلة الفقهية للحجاج، فشفى غليل الحجاج في توضيح مسائل الحج على المذاهب الفقهية الأربعة، وقد تكلم بما دل على سعة علمه ووافر تحصيله.

وفي الثالثة ظهراً تبدأ الأذكار والأدعية، ويخطب السيد عمر بن حفيظ خطبة عرفات، ثم يبتهل إلى الله شاكياً باكياً، ويبتهل معه الحجاج بالدعاء في ذلك اليوم، وتسيل الدموع وتفيض العبرات والزفرات إلى قرب أذان المغرب، فتتحرك السيارات بالحجاج في طريقها إلى مزدلفة، وتوزع عليهم في منتصف الطريق كراتين تحتوي وجبة العشاء، فيها الخبز والجبن وعلبة صغيرة من التونة مع العصير والفاكهة، وكذلك أكياس خاصة من الجلد الصناعي لجمع الجمرات.

ثم عند التوقف بمزدلفة يفرش مشرف الأتوبيس الفرش على أرض مزدلفة لجلوس الرجال وأخرى لجلوس النساء، ويمضي الحجاج ليلتهم بمزدلفة، بعضهم ينام وبعضهم يتحدث ويقومون بجمع حصوات الرمي، ثم يتحركون بعد منتصف الليل بساعة أو أكثر

إلى منى، وعندما يصلونها يغادرون الأوتوبيس لرمي جمرة العقبة، وبعدها يتحللون التحلل الأول بالحلق أو التقصير، ثم يتجهون مشياً إلى مخيم الكاف القريب من مكان الجمرات فيغتسلون ويخلعون ثياب الإحرام ويلبسون لباسهم المعتاد.

ويكون غداء العيد يوم العاشر من ذي الحجة متميزاً، حيث تضاف الهريس للوجبة الرئيسية لتكون دليل الاهتمام بيوم العيد، كما يجد العائدون من عرفات فجر يوم العيد هدية خاصة توضع على مخدة النوم لكل حاج من حجاج الحملة.

ويوفر المخيم في اليوم الثاني الأوتوبيسات لمن يريد الذهاب لمكة لطواف الإفاضة وسعي الحج، ويكون ذلك على فترتين: العاشرة صباحاً والخامسة عصراً، حيث إنهم عرفوا من خبرتهم أن الازدحام يكون أقل في هاتين الفترتين، وينتظر الأوتوبيس حجاج الكاف بمكة ويعود إليهم بموعد محدّد ليأخذهم إلى المخيم بمنى.

وتمضي أيام منى والكاف ومن معه مشغولون بخدمة الحجاج على مدار الساعة مع تزويدهم بما يصلهم من التعليمات الرسمية عن سير أمور الحج، مثل الأمر بتوقف الرمي عند اشتداد الزحام، وذلك بواسطة المكرفونات الموزعة على الخيام والمتصلة بمكتب الإدارة، فيذهب الحجاج لرمي الجمرات متى تيقنوا من قلة الزحام.

وتقام الصلوات الخمس في المخيم الكبير، ويذاع الصوت على بقية الخيام، كما تعقد المحاضرات وجلسات الوعظ والإرشاد فيي كل يوم في المخيم الرئيسي، ويتولى ذلك صفوة من العلماء مثل السيد عمر الجيلاني والسيد عمر بن حفيظ والسيد فيصل الكاف والسيد محمد بن عبد الرحمن السقاف وغيرهم من العلماء وطلبة العلم، ويتخلل ذلك إنشاد المنشدين من ذوي الأصوات الحسنة، فتسعد بإنشادهم النفوس المؤمنة فتحلق إلى عليين في تلك البقاع الطاهرة الشريفة، وتنقل المحاضرات بشبكة تلفزيون بالمخيم إلى قسم النساء.

ولعل من مكرمات الكاف في هذا المخيم أنه لا يُردّ الزوار القادمون لحضور هذه

المحاضرات على كثرتهم، حيث يمتلئ بهم المخيم إلى آخره بقسميه الرجالي والنسائي، وفوق ذلك فإنه يطلب من جميع الزوار البقاء لتناول طعام العشاء ويستعد لهم بما يزيد عن كفايتهم.

ويقوم جميع أفراد أسرة الكاف من أصحاب المخيم صغاراً وكباراً بخدمة الحجاج خدمة تفوق الوصف ويقدمون لهم فوق ما يطلبون مع سعة خلق وتعامل ودي وابتسامة عريضة. وفي نظري فإن هذا المخيم يمثل الأخلاق العلوية بما جبلت عليه من حسن التعامل وصدق الود والتفاني في خدمة الناس. ولقد سرت هذه الأخلاق في الحجاج بالمخيم فلا لا تسمع بينهم شجاراً ولا تخاصماً أو جدالاً، على الرغم من تباين أجناسهم واختلاف بلدانهم، فمنهم الحضرمي العلوي والحضرمي غير العلوي والسعودي من مناطق مختلفة من المملكة، والأردني والسوري والباكستاني والمصري وغيرهم. كما يحمل الكاف في حملته للحج بعض شباب العلويين وغيرهم من الذين تعجز بهم النفقة ذكوراً وإناثاً للمساعدة في خدمة الحجاج فيعينهم على أداء الحج دون تكلّف النفقه رغم قلة ما يطلب منهم من أعمال،

هذا، وفي اليوم الثاني من أيام التشريق تكون النفرة للمتعجلين بها، وقد رتب الكاف هذا الأمر على فترتين: الأولى في العاشرة صباحاً لمن أراد بالأخذ برخصة الرمي بعد صلاة الفجر على قول في مذهب ابن حنيفة، وتكون الفترة الثانية للنفرة في الساعة الخامسة. كما يتبقى قليل من الحجاج لليوم الثالث من أيام التشريق.

ويتجمع الحجاج المغادرون لمنى عند مدخل المخيم حيث يتوزعون على الأوتوبيسات، ويكون الكاف قد حدد العدد المناسب من الأوتوبيسات بحسب الحجاج المسجلين رغبتهم للنفرة بدفاتره. وبعد أن يكتمل جلوس الحجاج على كراسيهم تنطلق بهم الأتوبيسات عائدة إلى نقطة تجمع العودة بجدة، وتوزع على الحجاج المغادرين الهدايا والحلويات وبعض الأشرطة المفيدة.

إنني أعتقد أن الإخوة من الكاف القائمين على هذا المخيم لا يرجون من عملهم هذا

إلا خدمة الحاج بالسقاية والرفادة طلباً للأجر من الله، ولا أعتقد أنهم بما شاهدته يحصلون على مكسب مالي من حملتهم هذه، وإنما يكفيهم أن يشهد كل من رافقهم من هذه الأجناس المتباينة بسمو أخلاقهم وطيب معشرهم وكريم أصلهم. إنّ خدمة الحجاج ورعايتهم من الأعمال الشاقة، ولعلي لا أجد عليهم مأخذاً إلا كثرة الرفاهية بالمخيم بما يتعارض مع مشقة الحج، إلا أن بعض أسباب الرفاهية المقدمة هي من الشروط الرسمية التي يلتزم كل مطوف أن يقدمها لحجاجه.

ومن العجيب ما لاحظته من محبة الناس للعلويون وإعجابهم بطريقتهم والالتصاق بشخوصهم رغم عدم المعرفة السابقة، فحجاج مخيم الكاف من أجناس مختلفة، وبلاد متنوعة، وبعضهم يلتقي بالحضارمة العلويين لأول مرة، ولعل ذلك ناتج من صدق العلويين وإخلاصهم وزهدهم وجمعهم بين العلم والعمل، حتى إنّ حاجاً من داغستان بروسيا التقى بالحبيب عمر بن حفيظ في حج سابق، ثم أصرّ على مرافقته في كل سنة في حجه على مدى عشر سنوات سابقة، وهناك كثير من المصريين والشوام المشهورين في بلدانهم يحرصون على مرافقة العلويون في حجهم بهذه الحملة.

وكل ما أتمناه أن يوفق الله القائمين على هذا المخيم، ويذلل لهم جميع الصعاب حتى يستطيعوا الاستمرار في خدمة الحجاج بهذه الطريقة العجيبة.

❊ ❊ ❊

الفصل الحادي بعد المائة

تأثير العلويين على أفريقيا



مسجد الرياض في لامو[١]

---

(١) حامد أحمد المشهور، دراسات عن العرب والإسلام في شرق أفريقيا، دار المنهاج، صفحة.

كانت للعرب والمسلمين علاقة قديمة بشرق أفريقيا، ويقول المؤرخ اليوناني بطليموس[(١)]: بدأ العرب التجارة مع شرق أفريقيا في العاج والعبيد في النصف الثاني من القرن الأول للمسيح، ووصلوا بتجارتهم إلى حدود موزامبيق وازدادت هذه التجارة بعد ظهور الإسلام ازدياداً عظيماً حتى تحولت في نحو القرن الثامن الميلادي إلى استعمار حقيقي. وشيد العرب في هذه الأندلس الأفريقية سبعاً وثلاثين مدينة، منها مقديشو وبراوا، وانتشر الإسلام بطريقة سلمية اعتمدت على التجارة والأخلاق العربية وسماحة الإسلام وتلهف الفطرة الأفريقية السليمة لتقبل تعاليم الحنيفية السمحاء[(٢)].

ثم جاء إلى أفريقيا بعد العرب بعض الفرس من مدينة شيراز، وذلك في سنة ٩٧٥م وأسسوا مدينة (كليفي) كما توغلوا في السواحل الإفريقية ووجدت إمارات فارسية صغيرة بين الإمارات العربية.

كما أسس العرب إمارات إسلامية على الساحل الشرقي لأفريقيا الممتد من مصر إلى بلاد السودان فالجبرت فالصومال فساحل الزنج الممتد إلى زنجبار وجزر القمر. وحفلت هذه الولايات الإسلامية بالمساجد والجوامع وكانت ذات طبيعة تجارية، وكان بعض ولاتها من العلويين[(٣)].

وكان للعلويين بأفريقيا علاقات قديمة، فقد ذكر الجد العلامة بن عبيدالله في معجم بلاد حضرموت[(٤)] أن السيد أحمد بن عمر الملقب أحمر العيون الثاني بن محمد النظير وهو من نسل عبد الرحمن بن أحمد بن علوي عم الفقيه المقدم هاجر في الألف من الهجرة إلى مرباط، ثم إلى الشحر، وتزوج وأولد بها ولداً سماه علوي، ثم ركب إلى مقدشوه، ووصلها سنة

---

(١) حامد بن أحمد الحداد، دراسات عن العرب والإسلام في شرق أفريقيا، دار المهاج، صفحة ١٩٧.
(٢) حامد بن أحمد الحداد، دراسات عن العرب والإسلام في شرق أفريقيا، دار المهاج، صفحة ٣١٩.
(٣) حامد بن أحمد الحداد، دراسات عن العرب والإسلام في شرق أفريقيا، صفحة ٤١.
(٤) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صفحة ٤٥٣.

١٠٠٣هـ وتوفي بقرية في السواحل سنة ١٠٢٧هـ وله أعقاب بالسواحل وبورنيو، ومن عقبه آل النظير بمقدشوه، وكذلك آل الشنهزي.

هذا، وقد اقتصرت السلطة العربية في أفريقيا على السواحل الأفريقية الشرقية والجنوبية، ولم يكن العرب يتجاوزون الساحل إلى الداخل للتجارة إلا في قوافل محروسة يعودون بعدها إلى الساحل ببضائعهم من العاج وغيره.

ثم تحرك العرب نحو داخل أفريقيا وأقاموا في بداية القرن التاسع عشر مراكز دائمة للحكم والتجارة في المنطقة الواقعة بين السواحل وبحيرة تنجانيقا، واشتهر من هذه المراكز (تابورا) في بلاد أونيا ميامي ومركز (أو جيجي) على ضفة بحيرة تنجانيقا، وكان لكل مركز والٍ معين من قبل سلطان زنجبار.

كما قطع العرب بحيرة تنجانيقا وتوغلوا غربها حتى وصلو الكونغو وأسسو هناك مراكز تجارية وعمرانية أشهرها مركز (نياجوري) ومركز (كاسونجو)، كما توغل العرب المسلمون إلى داخل القارة الأفريقية ووصلوا تمبكتو والصحاري الأفريقية وتشاد.

وقد تولى بعض العلويين هذه الإمارات الإفريقية، فكان سلطان موزمبيق هو السيد محمد العلوي الذي استقبل البرتغالين عند وصولهم موزمبيق ظناً منه بأنهم من التجار المغاربة المحترمين، إلا أنهم غدروا به واستولوا على موزمبيق وبندر سفالة.

بل إن العلويين قد سبقوا العمانيين في حكم زنجبار، فقد ورد في تاريخ جهينة الأخبار أن السلطان أحمد بن حسن العلوي كان آخر سلاطين العلويين الذين حكموا زنجبار قبل أن يحكمها العمانيون. وقد عرف في المدونات الإفرنجية باسم (مني مكي)، ومعناها السيد الكبير، وذكره الرحالة الإنجليزي لانكستر عند زيارته زنجبار سنة ١٥٩١م.

ولما تولى العمانيون السلطة في زنجبار وممباسة سنة ١٦٥٢م عمل الحضارم وهم الأقدم هجرة إلى أفريقيا معهم معاونين ومساندين لحكمهم، حيث تجندوا في الجيش العماني،

كما تولت أسر حضرمية حكم ممباسة نيابة عن العمانيين، ومن أشهرها أسرة المزروعي وآل باخشوين[١].

وذكر الملاحي أن المزاريع هاجروا في القرون الوسطى من الشحر إلى السواحل الأفريقية، وبقوا على مذهبهم الأباضي، ولذا كسبوا مودة العمانيين الذين ولوهم المناصب الرسمية والدينية، إلا أنّ المزاريع استقلوا بحكم ممباسة فيما بعد متحدّين سلطة العمانيين بزنجبار. غير أن الإمام العماني عاجلهم وقضى على قوتهم وأجلى رؤساءهم إلى بندر عباس الواقعة حالياً بإيران، وذلك سنة ١٧٣٧م، غير أن المزاريع بقوا على نفوذهم الديني في ممباسة وما جاورها، واستمر صراعهم مع العمانيين، ولا تزال منهم بقية في ممباسة وخارجها تحظى بالتقدير العلمي والديني، غير أنهم تركوا المذهب الإباضي إلى المذهب السني[٢].

أما اتصال الأوروبيين بأفريقيا فقد بدأ برحلة فاسكوديجاما[٣] في التاسع من يوليو ١٤٩٧م الذى وصل بعد رحلة بحرية استمرت أربعة أشهر إلى رأس الرجاء الصالح، حيث ألقى مراسيه في جزيرة سانت هيلانة، ومنها اتجه نحو المدن الساحلية لشرق أفريقيا بحثاً عن دليل يدله على الطريق إلى قاليقوط بالهند، فزار ميناء سفالة وقضى به مدة يدرس الأوضاع، ثم انتقل منه إلى موزمبيق حيث استقبله أهل البلاد الذين لا يعرفون الإفرنج بمظاهر الود والاحترام ظناً منهم بأنهم من تجار المغرب المسلمين وقد يكونون قد تظاهروا أمامهم بذلك.

وعرف فاسكوديجاما من تقصيه بموزمبيق أن بإمكانه العثور في ميناء ماليندي على ساحل كينيا على مرشد بحري يقوده إلى الهند. ولم تاتَ سنة ١٥٢٠م حتى تمكن البرتغاليون بفضل الأسلحة النارية التي لم يعرفها العرب من قبل من الاستيلاء على كلوة وزنجبار وبمبا وممباسا ولامو وماليندي وبراوة ومقديشو، ولم يحتلوا موزمبيق إلا سنة ١٥٣٠م، حيث

---

(١) عبد الرحمن بن عبد الكريم الملاحي، الحضارم في ممباسة ودار السلام، دار حضرموت للنشر، صفحة ٣١-٣٢.

(٣) غسان علي الرمال، صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر، صفحة ٦٦.

أنشأوا بها القلاع الحربية لأنهم وجدوها أصلح مكان للقيام بهذا الغرض، لكنهم ما لبثوا أن تحولوا عنها إلى (سفالة)، وتقع حاليا في روديسيا الجنوبية، وكانت من أهم المراكز العربية بشرق أفريقيا نظراً لوجود الذهب في مناجمها.

وفي سنة ١٨٥٠م أسس العماني حميد بن محمد المرجبي شبه إمبراطورية عربية تمتد من أقصى الكونغو جنوباً إلى حدود السودان الجنوبية شمالاً، ومن بحيرة تنجانيقا شرقاً إلى ما وراء نهر (لومامي) غرباً، وكان له سلطة مطلقة على القبائل الأفريقية، حيث يولي ويعزل من يشاء من سلاطينها. وقد تمكن من القضاء على شوكة الزعماء المحليين الذين يتعرضون للتجارة العربية، فأمّن المسالك والطرق وأدان له زعماء القبائل بالطاعة.

وقد قدم حميد المرجبي المساعدات للرحالة الأوروبيين الذين قدموا لاستكشاف القارة الأفريقية بدءاً بالرحالة الشهير ليفنجستون. وقد أكرمهم حميد وقدم لهم المساعدات التي مكنتهم من تحقيق أهدافهم، إلا أن نتيجة هذه المساعدات كانت شبيهة بنتائج المساعدات التي قدمها الملاح أحمد بن ماجد للبرتغاليين، فأدت في النهاية إلى الحملات الاستعمارية على أفريقيا واستيلاء البلجيك على مملكة حميد بالكونغو وإبعاد حميد عن مملكته.

وقد شن البلجيك حرباً على عرب الكونغو[١] استمرت سنتين من سنة (١٨٩٢ إلى سنة ١٨٩٤م)، وانتهت بسقوط الدولة العربية بالكونغو بعد أن قتل من العرب عشرات الألوف. ونظراً للفظائع التي ارتكبها البلجيك في هذه الحرب فقد ترك السكان العرب مراكزهم التجارية كما هي. ووصف البلجيكي (هايند) في كتابه سقوط عرب الكونغو سقوط مدينة كاسونجو العربية كما يلي[٢]:

ترك الناس كل شيء في موضعه فوجدنا فيها ثياباً جديدة لجميع قواتنا، وفي تلك

---

(١) حامد أحمد المشهور، دراسات عن العرب والإسلام في شرق أفريقيا، دار المنهاج، صفحة ٢٣٨.

(٢) غسان علي الرمال، صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر، صفحة ٢٤٠.

الليلة نام عساكرنا العاديون على مراتب من الحرير والساتان في سرر من خشب منحوتة عليها ناموسيات من الحرير، أما الغرفة التي اخترتها لنفسي فلها باب يفضي إلى حديقة لشجر البرتقال، وأمامها منظر جميل يمتد إلى خمسة أميال، ووجدنا كثيراً من أدوات الترف من شمع وسكر وعيدان ثقاب وأباريق ولم أصدق أنني في أواسط أفريقيا إلا أن بقع الدم على الحائط وثقوب الرصاص في الأبواب والشبابيك ردتني إلى صوابي.

ثم استمر في الوصف فقال: وكانت الحدائق والبساتين يانعة مترفة، وفيها البرتقال بنوعيه حلوه ومره والجوافة والرمان والأناناس والموز بكثرة تبهر.

وكانت الشوارع مستقيمة والجسور كثيرة على جداول الماء، وكنت أندهش من العمل الرائع الذي قام به العرب، فقد أزال العرب الأحراش لأميال عديدة، وتركوا بعض الأشجار الباسقة على مسافات منتظمة لينتفعوا بظلالها وزرعوا مكان الأحراش غلالاً رائعة من قصب السكر والذرة والأرز والفواكه. وقد يوضح امتداد الزراعة أنني سرت راكباً في حقل واحد ساعتين على خط يكاد يكون مستقيماً. وتحدث هايند عن غرف الاستحمام في بيوت كاسونجوا وكيف يصل الماء من خزان لسهولة الارتشاش، ووصف نظافتهم ومعرفتهم صنع الصابون وتصريف المياه من البيوت في أنابيب من الخشب. وقال هايند في محاضرة في الجمعية الجغرافية الملكية بلندن: لقد حول العرب هذه البلاد إلى بلاد من أخصب وأعمر مناطق وسط أفريقيا.

وبنهاية الحكم العربي في الكونغو تلاشت مراكز التجارة العربية المهمة، ولم يعد لكاسونجو ولا نيا نجوى أي وجود، كما تبدلت طرق التجارة التي كانت أيام العرب تتجه عبر بحيرة تنجانيقا حتى تصل إلى زنجبار وأصبحت تنحدر عبر نهر الكونغو إلى سواحل المحيط الاطلنطي.

أما سلطان الكونغو السابق حميد المرجبي فقد انتقل إلى زنجبار وعاش فيها موفور

الجانب، وامتد به العمر حتى عام ١٩٠٥، وانكمشت سلطنة زنجبار بسبب أعمال الدول الاستعمارية، ولم تعد تشمل إلا جزيرة زنجبار وجزيرة بمبا فقط، كما خضعت السلطنة المنكمشة للحماية البريطانية[١].

وقال الملاحي في كتابه الحضارم في ممباسة ودار السلام: إنه في نهاية القرن السادس عشر الميلادي (عام ١٥٩٢م) ومطلع القرن الحادي عشر الهجري (سنة ١٠٠١هـ) كان للعلويين امتداد مهجري إلى الشاطئ الشرقي الجنوبي الأفريقي وإلى جزره القريبة، مثل جزيرة زنجبار وجزرالقمر وجزيرة مدغشقر. ويعد أحفاد السيد حسين ابن الشيخ أبي بكر بن سالم المتوفى بعينات بوادي حضرموت سنة ٩٩٢هـ (١٥٨٤م) من أبرز الأسر العلوية نشاطاً وتأثيراً في عموم الساحل الشرقي والجزر التابعة له، ويعرفون بآل الشيخ بابوبكر بن سالم ويتفرعون إلى عدة بطون أشهرها آل جمل الليل وآل بن سميط وهم معروفون بهذه الجزر والشواطىء الأفريقية، فقد تبأوا المناصب الدينية الكبيرة وتولوا القيادة السياسية في الدويلات والإمارات الأفريقية، وبخاصة في جزر القمر، وكان آخرهم السيد أبا بكر بن عبد الرحمن ابن الشيخ الذي أجلته فرنسا من جزيرة أنجازية إلى جزيرة مدغشقر بعد معارضته سياستها في الجزيرة، لكنه غادر مدغشقر إلى زنجبار، ومنها إلى سيؤن بحضرموت، حيث جاور الداعية الحبيب علي بن محمد الحبشي (١٢٥٩-١٣٣٣هـ). غير أن فرنسا ما لبثت أن استدعته إلى موطنه فعاد إليه[٢].

وبعد هذه المقدمة نتوسع قليلاً في ذكر الوجود العربي في المناطق المختلفة بأفريقيا مع نبذة جغرافية مختصرة عن هذه الأماكن لزيادة التوضيح.

---

(١) غسان علي الرمال، صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر، صفحة

(٢) عبد الرحمن بن عبد الكريم الملاحي، الحضارم في ممباسة ودار السلام، دار حضرموت للنشر، صفحة ٣٠-٣١.

جـزر القمـر



جزر القمر

ونبدأ بالحديث عن جزر القمر، وتتكون من أربع جزر تقع في المحيط الهندي شمال مدغشقر وجنوب شرق تنزانيا. أما الجزر الأربع فهي: جزيرة القمر الكبرى وعاصمتها مروني، وجزيرة هنزوان، وجزيرة موهيلي، وجزيرة مايوت.

ويعتبر اتصال العلويين بهذه الجزر ودخول الإسلام إليها في مراحل قديمة جداً، إلا أنه لعدم توفر المصادر التاريخية فقد بقيت هجرة العلويين واستقرارهم بهذة الجزر خبراً مجهولاً. وقد صحح السيد محمد بن عبد الرحمن بن شهاب ما ذكره الأمير شكيب أرسلان في حاضر العالم الإسلامي وبين أن ثلاثة عشر فخذاً من العوائل العلوية استوطنت هذه الجزر، وكان منهم سلاطينها، منذ القرن التاسع الهجري وربما قبله. وقد استعمرت هذه

الجزر من قبل فرنسا، ثم نالت استقلالها بعد ذلك. وللسادة آل سميط نفوذ روحي كبير بهذه الجزر. ولقد تطبع المسلمون بهذه الجزر بطباع العلويين ولباسهم، ومنهم حكام الجزر، وما زال هذا الطابع ظاهراً على السكان إلى هذا اليوم.

تنـزانيـا وزنجبـار



تنزانيا وجزيرتا زنجبار وبمبا

أما تنزانيا فتزيد نسبة المسلمين فيها عن نسبتهم في كينيا، وتبلغ ٧٥٪، وقد انفصلت دار السلام عن زنجبار سنة ١٨٨٥ م، ولقد عرفت تنزانيا العرب منذ بداية القرن الثامن الميلادي. وذكر الرحالة الأروبي كابرال عدداً من المدن العربية المزدهرة فيها، وظلت أجزاء من تنزانيا خاضعة للحكم العربي حتى خضعت تنزانيا للاحتلال الألماني بعد عام ١٨٨٤م.

أما قصة احتلال الألمان لهذه البلاد فقد بدأت بالاستكشاف الجغرافي عندما وصل الألماني كارل بيترز مع مجموعة من الألمان إلى زنجبار سنة ١٨٨٤ م، وانطلق من زنجبار إلى

داخل القارة لمدة شهر، وعقد معاهدات مع زعماء القبائل ثم عاد إلى ألمانيا وكون شركة شرق أفريقيا الألمانية التي ادعت جميع الحقوق في منطقة حكم السلطان الزنجباري بناءً على تلك المعاهدات، ثم أعلن المستشار الألماني بسمارك حماية الحكومة الألمانية لحقوق الشركة في هذه المناطق التابعة لسلطنة زنجبار، وعندما احتج سلطان زنجبار على ماحدث تشكلت لجنة ألمانية فرنسية بريطانية لدراسة ما يدعيه سلطان زنجبار من حقوق على أراضيه داخل القارة الأفريقية والتي تشمل تنجانيقا (تنزانيا) وكينيا وجنوب الصومال الإيطالي.

وقررت اللجنة بعد البحث والتداول أنه لا حق لسلطان زنجبار إلا في الجزر الثلاث، وهي زنجبار وبمبا ولامو مع شريط ساحلي على شرق القارة لا يتجاوز عشرة أميال، كما تبقى سيطرته على مدن كسمايو وبراوة ومقديشو. ثم اقتسمت انجلترا وألمانيا أراضي القارة الداخلية الواسعة، فاستولت بريطانيا على كينيا، واستولت ألمانيا على تنجانيقا.

ثم ظهر الأسطول الألماني أمام زنجبار وأطلق عليها قذائف متفرقة كانت بمثابة الإنذار للسلطان بأن يقبل مشيئة الدول الكبرى. كما ضغطت بريطانيا وألمانيا على السلطان الذي فقد معظم أملاكه ليفتح موانئه أمام السفن الأوربية. واستجاب السلطان وفتح لهم موانئ ماليندي وممباسا في كينيا وبنجاني ودار السلام في تنجانيقا، وبذلك فقد السلطان سيطرته حتى على الشريط الساحلي الضيق الذي ترك له. ولم يستطع سلطان زنجبار تحمل هذا الوضع، فرحل إلى مسقط ومكث بها سنتين، ثم عاد إلى زنجبار لكنه لم يتحمل عند وصوله الوضع الجديد الذي آل إليه أمر امبراطوريته الأفريقية فقضى نحبه بعد يومين من وصوله.

وتولى بعده أخوه السلطان خليفة بن سعيد وحكم سنتين (من سنة ١٨٨٨ إلى سنة ١٨٩٠). وفي عهده حصلت الشركة الألمانية على حق إدارة الشريط الساحلي، مع بقاء السيادة الاسمية عليه لسلطان زنجبار.

ومن المناسب أن نتوقف قليلاً للحديث عن دولة آل بوسعيد العمانية بأفريقيا لأنها تمثل مرحلة مهمة من مراحل تاريخ العرب والمسلمين في أفريقيا الشرقية، كما كان لها دور

مهم في صراع العرب والمسلمين مع الامبراطوريات الاستعمارية الغربية، فقد قام هؤلاء السلاطين بدور مهم في مقاومة البرتغاليين، حيث تمكن السلطان العماني سلطان بن سيف من طرد البرتغاليين من مسقط ومن الساحل العماني في سنة ١٦٥٠ م.

ثم استنجدت زنجبار بهذا السلطان لتخليصها من الاحتلال البرتغالي فأبحر باسطوله إلى ساحل أفريقيا الشرقي واستنقذ مدينتي ممباسا وفازا من أيدي البرتغاليين، ثم تمكن العمانيون سنة ١٦٦٩م من طرد البرتغال من موزمبيق.

واستمر الصراع العماني البرتغالي في مد وجزر، وحاول البرتغاليون استعادة ما فقدوه بأفريقيا، ولكن السلطان سيف بن سلطان بن سيف أرسل من عمان أسطولاً لاستعادة ممباسا فانتصر عليهم واسترد ممباسا، إلا أن البرتغاليين انتهزوا بعد ذلك فرصة الصراع بين إمارتي زنجبار وممباسا ونشوب الفتن الداخلية بعمان مما مكّنهم من إعادة الكرة على ممباسا وإعادة احتلالها سنة ١٧٤٠م.

وفي نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر تقلص النفوذ البرتغالي على سواحل أفريقيا مما حمل السلطان سعيد بن سلطان آل بوسعيد على الانتقال بملكه من عمان إلى زنجبار. وقد كان هذا السلطان سعيد بن سلطان آل بوسعيد[1] (١٨٤٠-١٨٥٦م) قوي الشكيمة عالي الهمة بعيد الغور، حكم بلاده بالعدل القائم على الشريعة الإسلامية.

وكان يتولى القضاء بنفسه ويصدر الأحكام. وقد امتد حكمه من مدينة زنجبار التي اتخذها عاصمة لحكمه عام ١٨٣٢م إلى جنوب الحبشة وموزمبيق. وقد اهتم بإصلاح مدينة مقديشو، وبدأ بغرس شجر القرنفل في جزيرتي بمبا وزنجبار. وقد ازدهرت التجارة في عهد السلطان سعيد بن سلطان الذي كان يقول عن نفسه «إنني تاجر قبل أن أكون سلطانا».

وامتلك السلطان سعيد بن سلطان أسطولاً بحرياً قوياً، لكنه لم يستخدمه إلا

---

(١) حامد أحمد المشهور، دراسات عن العرب والإسلام في شرق أفريقيا، دار المنهاج، صفحة ٢٢٢-٢٢٥ .

للأغراض التجارية. وقد اتجه بسياسته إلى التوسع في أفريقيا، فاستطاع عام ١٨٣٧م طرد البرتغاليين والاستيلاء على مدينة ممباسا، كما توسع سلمياً في الساحل الصومالي، وحاول مد سيطرته إلى جزيرة مدغشقر وأسس محطات تجارية على الطرق المؤدية إلى داخل القارة الأفريقية لحماية طرق التجارة والتي امتدت في عهده حتى وصلت إلى حدود الكونغو وإلى البحيرات الاستوائية، كما أسس المدن الكبيرة في المناطق التي وصلها حكمه، واهتم بالزراعة، وطوّر أساليبها.

ومما ساعد السلطان سعيد بن سلطان على تحقيق طموحاته ومشاريعه الأفريقية انشغال الدول الأوربية في فترة حكمه بحروبها الداخلية، إضافة إلى تمتعه بصداقة الدول العظمى في القرن الثامن عشر. كما يدل هذا الامتداد السلمي الواسع للدولة العربية داخل أفريقيا على ما يكنه السكان المحليون من المودة والحب للعرب المسلمين ورغبتهم في الانضمام تحت حكمهم. وأصبحت زنجبار في عهد السلطان سعيد بن سلطان ثالث دولة تجارية في المحيط الهندي وأصبحت المصدر الرئيسي لمنتجات أفريقيا إلى الأسواق الأوربية والأمريكية.

وقد هرعت الدول الأوروبية لعقد المعاهدات مع السلطان سعيد بن سلطان وتعيين قناصل لها في زنجبار إلا أن لعاب الدول الكبرى بدأ يسيل على هذه الإمبراطورية العربية القوية اقتصادياً والضعيفة عسكرياً مقارنة بالدول الغربية التي امتلكت وطورت الأسلحة النارية الحديثة والتي لم يمتلك العرب مثلها أو ما يقاربها، كما كانت لهذه الإمبراطورية العربية مشكلة أخرى وهي اعتمادها في بقائها على حياة السلطان سعيد بن سلطان وشخصيته الجذابة وسياسته الحكيمة، ولهذا لما توفي السلطان سعيد سنة ١٨٥٦م ترك سلطنته مهددة بأطماع الدول الكبرى وترك خلفاء لم يبلغوا مبلغه من الحكمة وبُعد النظر والدهاء السياسي.

وهكذا دعا المستشار الألماني بسمارك[١] سنة ١٨٨٤م إلى مؤتمر برلين لتقسيم أفريقيا

---

(١) حامد أحمد المشهور، دراسات عن العرب والإسلام في شرق أفريقيا، دار المنهاج، صفحة ٢٢٥.

وبدأت ألمانيا بالعمل على اكتساب غنيمتها من أفريقيا فأرسلت بوارجها إلى زنجبار وكانت، الحجة المستخدمة للدول الكبرى في ذلك الزمن هي محاربة تجارة الرقيق، ثم انتهى الصراع بين الدول العظمى على تمزيق السلطنة العربية الأفريقية وتقسيم ممتلكات السلطان سعيد بن سلطان بين بريطانيا وألمانيا، مع احتفاظ بقية الدول الأوروبية بما وقع تحت يدها من أفريقيا.

ومما أضعف هذه السلطنة العربية القوية ما حصل من النزاع الذي دب بعد وفاة السلطان سعيد بن سلطان بين ابنيه ماجد بن سعيد ١٨٥٦–١٨٧٠م الذي خلف والده على السلطنه وأخيه الأكبر تويني الذي نازعه الملك وطالب بالمملكة كلها بجزأيها الأفريقي والعماني.

وهنا وجد الإنجليز فرصتهم للتدخل بحجة الصلح بين الأخوين، فحكموا بأن تكون سلطنة زنجبار للسلطان ماجد الذي كان ميالاً للدعة والراحة، وأن تكون سلطنة عمان للسلطان تويني، وفرضوا إعانة سنوية تدفعها زنجبار لسلطنة عمان، كما حكمت بريطانيا بفصل سلطنة مسقط عن سلطنة زنجبار. ولما توقفت سلطنة زنجبار عن دفع الإعانة المقررة لسلطنة عمان بسبب تدهور إمكانات السلطنة وإلغاء بريطانيا تجارة الرقيق تعهدت بريطانيا بإعانة سلطنة زنجبار، وبذلك أحكمت سيطرتها على السلطنتين بعد أن تأكدت من أن الفصل بينهما سيضعفهما وأنهت بريطانيا بذلك إلى الأبد أمجاد هذه الدولة التي كانت في عهد السلطان سعيد بن سلطان آل بوسعيد إمبراطورية عربية قوية مترامية الأطراف.

أما الابن الثالث للسلطان سعيد فهو السلطان برغش بن سعيد، وقد كان أشبه إخوته بأبيه، وكان طموحاً ذكياً، ولذلك قرر الإنجليز نفيه إلى الهند سنة ١٨٦١م.

كما أن السلطان ماجد بن سعيد لم يكن هو الآخر ميالاً للإنجليز، وكان ينوي استبدالهم بالأمريكان، لكنه توفي مبكراً، ولم يتجاوز عمره بعد سبعة وثلاثين عاماً وخدمت وفاته مقاصد السياسة الإنجليزية.

وقد أشرنا في فصل سابق لما لاحظه العلامة بن عبيدالله من الموت الفجائي لاثنين من الشخصيات لم يوافق هواهم الإنجليز، منهم السلطان ناصر بن طالب، وكانت حكومة عدن تحاول اتحاده مع آل أحمد بن هادي وجعلهم دولة واحدة فأبى، ولكنه توفي فجأة في عدن سنة ١٩٤٠م، كما توفي بعدن فجأة في نفس السنة نقيب الموسطة الشيخ أبو بكر بعقب مقابلته لوالي عدن. وعلق بن عبيدالله على ذلك بقوله: وكذلك كل من لم يوافق حكومة عدن على هواها يموت فجأة لأن لله جنوداً من عسل. (انتهى)[١].

وبعد وفاة السلطان ماجد تولى بعده أخوه السلطان برغش بن سعيد ١٨٧٠-١٨٨٨الذي كان منفياً بالهند، وهو يشبه والده في كثير من الصفات. وقد شهدت زنجبار في عهده كثيراً من الإصلاحات، فقد عمّر القصور العظيمة وعبّد الطرق واهتم بالزراعة وأشاد الحدائق والمتنزهات والحمامات وأنشأ مطبعة عربية لطبع الكتب الدينية والأدبية والعلمية وسكّ في سنة ١٢٩٩هـ عملة باسمة. وذكر الأستاذ الشاطري[٢] اتصال العلامة السيد أبي بكر بن شهاب (١٢٦٢-١٣٤١هـ) بالسلطان برغش، وما كان بينهما من محاورات ذكية، وقد مدح بن شهاب السلطان برغش بقصيدة موجودة بديوانه.

وفي عهد السلطان برغش فتحت قناة السويس وسير خط ملاحي وكابل بحري بين عدن وزنجبار وأعلنت حرية الرقيق، كما تصاعد في عهده تدخل الإنجليز في شؤون السلطنة. وقد توفي السلطان برغش سنة ١٨٨٨ وعمره خمسون عاماً.

وقد تتابع بعد وفاته عدد من السلاطين وعقدت بريطانيا معاهدة للحماية مع السلطنة، تحولت بعدها مقاليد الأمور تدريجياً إلى يد الإنجليز. ولما أعطت بريطانيا لكينيا الاستقلال سنة ١٩٦٣ أبدت بريطانيا استعدادها لدفع مائة ألف جنيه لسلطان زنجبار عبد الله بن خليفة مقابل تنازله لدولة كينيا الجديدة عن الشريط الساحلي التابع لسلطنة زنجبار والذي يضم مدناً

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد صنعاء، صفحة ٣٠.

(٢) محمد بن أحمد الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي، الناشر عالم المعرفة، صفحة ٤٥٧.

ساحلية مهمة مثل ممباسا وماليندي ولاموا، إلا أن السلطان رفض هذا العرض رغم أن رفضه لم يغير شيئاً من سياسة الأمر الواقع.

ثم خلفه ابنه جمشيد بن عبد الله آخر السلاطين العرب لزنجبار، وفي عهده أعطت بريطانيا الاستقلال لزنجبار عام ١٩٦٣، ولكن بعد شهر ونصف من هذا الاستقلال حدثت بجزيرة زنجبار ثورة دموية مجهولة الأسباب رافقتها مذابح فظيعة للسكان العرب، وهرب السلطان جمشيد، وانتهت بهربه السلطنة العربية في زنجبار ولم تقم لها قائمة إلى يومنا هذا. وسنتحدث عن نكبة العرب في زنجبار بشيء من التفصيل في فصل مستقل عن هذا الكتاب.

وبعد أن أسهبنا في الحديث عن السلطنة العمانية بأفريقيا نعود لاستكمال البحث السابق فنتكلم عن الوجود العربي والعلوي في جزيرة مدغشقر[1]، وهي جزيرة تبعد عن ساحل أفريقيا الشرقي مسافة ٢٥٠ ميلاً، وينحدر سكانها من الأفارقة والعرب والماليزيين، وكان سكانها شديدي الارتباط بعرب زنجبار وأفريقيا الشرقية وجزر القمر التي يحكمها السادة العلويون الحسينيون.

و غالبية سكانها حتى سنة ١٨٤٥م من المسلمين، وبها جالية عربية قديمة من السادة العلويين، أما ما يفسر استيطان الماليزيين لهذه الجزيرة فلعل ذلك بسبب خطوط التجارة البحرية العربية بين مدغشقر وسومطرا منذ ٢٥٠٠ سنة.

وختاماً لهذا الفصل أقول إنه إذا قارنا الهجرة العلوية أو العربية عموماً إلى أفريقيا بالغزو الأوروبي لأفريقيا لوجدنا اختلافاً كبيراً، مع أن المدونات الأوروبية التي حاولت ترسيخ المفهوم القائل بأن تجار الرقيق العرب هم المسؤولون الأساسيون عن استعباد الأفريقيين وبيعهم في أصقاع العالم المختلفة، مع أنه لا وجه للمقارنة بعدد الأفارقة الذين نقلهم الأوروبيون والأمريكيون من أفريقيا الغربية إلى العالم الجديد في أوضاع إنسانية مهينة

---

(١) حامد أحمد المشهور، دراسات عن العرب والإسلام في شرق أفريقيا، دار المنهاج، صفحة ٢٠١-٢٠٣.

وبأعداد لا تقل عن ستة عشر مليوناً، وهم أضعاف أضعاف الأرقاء الذين نقلهم العرب إلى بلاد المسلمين خلال عدة قرون[١].

بل إن النظرة الأوروبية إلى الأفريقيين لم تتغير منذ عهد أرسطو الذي عبر عن وجهة النظر الأوروبية في الأجناس الأخرى فقال: إن الآلهة خلقت فصيلتين من الأناسي: فصيلة زودتها بالعقل والإرادة وهي فصيلة اليونان، وقد فطرتها على التقويم الكامل لتكون خليفتها في الأرض وسيدة على سائر الخلق.

وفصيلة لم تزودها إلا بقوى الجسم وما يتصل اتصالاً مباشراً بالجسم ليكون أفرادها عبيداً مسخرين للفصيلة المختارة، فمن واجب اليونان أن يعملوا بمختلف الوسائل على أن يردوا هؤلاء إلى المنزلة التي خلقوا لها، وهي منزلة الرق. وكل حرب يشنها اليونان لتحقيق هذه الغاية هي حرب مشروعة. (انتهى)[٢].

لقد أقام العرب في هذه الأندلس الأفريقية سبعاً وثلاثين مدينة بطريقة سلمية اعتمدت على التجارة والأخلاق العربية وسماحة الإسلام، وتلهف الفطرة الأفريقية السليمة لتقبل تعاليم الحنيفية السمحاء.

وبينما تعالى المبشرون المسيحيون على الزنوج الأفريقيين وعاملوهم باحتقار، نجد أن التجار والدعاة المسلمين نفذوا إلى قلب القارة الأفريقية وتساووا مع الأفريقيين الذين دخلوا الإسلام وتزوجوا من الأفريقيات[٣]. إلا أن العرب والحضارمة بالذات حملوا معهم إلى أفريقيا أخلاقهم التي تربوا بها على يد معلميهم العلويين، فهم لا يشعرون بالتفوق على الأفريقيين بسبب بشرتهم أو جنسهم بل ينادونهم بلفظ (بانا) أي أيها المحترم أو السيد بلغتهم[٤]، واختلطوا بهم وتزاوجوا معهم.

---

(١) حامد أحمد المشهور، دراسات عن العرب والإسلام في شرق أفريقيا، دار المنهاج، صفحة ٩٠.

(٢) حامد أحمد المشهور، دراسات عن العرب والإسلام في شرق أفريقيا، دار المنهاج، صفحة ٣١٩.

(٣) حامد أحمد المشهور، دراسات عن العرب والإسلام في شرق أفريقيا، دار المنهاج، صفحة ٣١٩.

(٤) عبد الرحمن عبد الكريم الملاحي، الحضارم في ممباسة ودار السلام، صفحة ٦٣.

ويتحدث أحد الحضارمة المهاجرين إلى أفريقيا وهو الشيخ خميس عن تجاربه في التعامل مع الأفريقيين المتمثلة كما يقول بإظهار شعائرنا الدينية وقيامنا بصلاتنا وزكاتنا والصدقة على الفقراء وقيام بعض المشائخ والسادة وغيرهم بالتعليم[١].

ويقول الشيخ أحمد قرينون بأنه كان يبيع بالآجل للأفريقيين ويؤمنهم على بضاعته بل إنه فتح مطعماً فكان يطعم المعدمين دون المطالبة بقيمة ما يأكلون[٢]، كما أن الذين يفتحون محلات تجارية من الحضارم في القرى أو في مواقع التقاء الطرق يقيمون مصلى للصلاة يتحول فيما بعد إلى مسجد يساهم في اعتناق الأفريقيين. للإسلام[٣].

ووقف أحد المبشرين أمام كوخ من الأكواخ البسيطة التي تقام داخل الغابات لتؤدى فيها الصلاة، وتقام فيها الشعائر الدينية، فقال: «إن هذه الأكواخ على بساطتها وبدائيتها وقلة إمكانياتها تقف سداً منيعاً أمام جهودنا»[٤].

وبينما يمارس الأوروبيون العنصرية ضد الأفريقيين حتى في الكنائس نجد أن الاختلاط والتساوي في المساجد بين المسلمين من العرب والهنود والأفريقيين ولك أن تقارن بين تأثير دخول المسلمين إلى أفريقيا ودخول الإسبان إلى أمريكا كما وصفه القس مايكل بريور الذي قال: «فقد أدت الحروب الوحشية إلى تدمير مجتمعات هندية وإبادتها بأكملها، بالإضافة إلى الأمراض وسوء المعاملة والسخرة وكذلك الإبادة للأسر بالجملة[٥].

ويقول القس بريور أيضاً: «إن هناك إجماعاً على أنّ الاستعمار في أمريكا أدى إلى نقص

---

(١) عبد الرحمن عبد الكريم الملاحي، الحضارم في ممباسة ودار السلام، صفحة ٦٤.

(٢) عبد الرحمن عبد الكريم الملاحي، الحضارم في ممباسة ودار السلام، صفحة ٦٤-٦٥.

(٣) عبد الرحمن عبد الكريم الملاحي، الحضارم في ممباسة ودار السلام، صفحة ٦٥.

(٤) حامد أحمد الحداد، ترجمة والده الحبيب أحمد مشهور الحداد، صفحة ٣٦.

(٥) القس مايكل بريور، الكتاب المقدس والاستعمار، ترجمة وفاء بجاوي، مكتبة الشروق الدولية، صفحة ٨٥.

عام لشعوب المنطقة. وتثبت دراسات أن عدد السكان كان يقدر بحوالي ١٠٠ مليون عام ١٤٩٢م ولم يتبق منهم إلا ما يتراوح بين ١٠-١٢ مليون نسمه»[١].

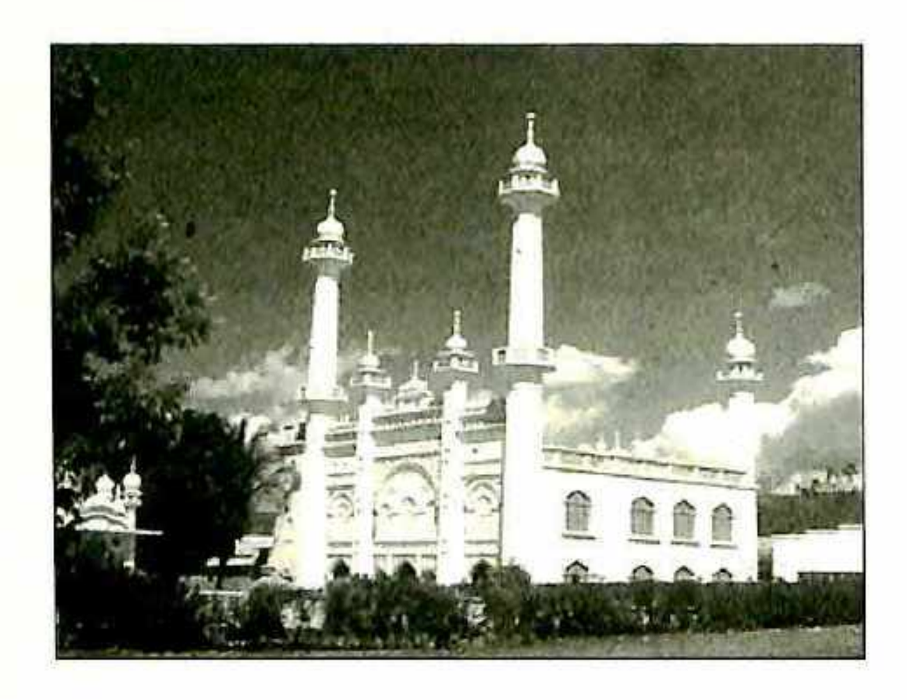
ولا زالت الفطرة الأفريقية ميالة إلى العرب والإسلام. ولقد لاحظ عمال الإغاثة الإسلامية في السنين المتأخرة أن وجودهم في قرية من القرى الأفريقية يدفع المئات للدخول في الإسلام بأقل مجهود يبذلونه.

* * *

(١) القس مايكل بريور، الكتاب المقدس والاستعمار، ترجمة وفاء بجاوي، مكتبة الشروق الدولية، صفحة ٨٤.

الفصل الثاني بعد المائة

نكبـة زنجبـار[1]



(١) مأخوذ عن الإنترنت باختصار وتصرف بسيط.

تتبع جزيرة زنجبار حالياً دولة تنزانيا، وتبلغ مساحتها حوالي ١٦٠٠ كم مربّع، وعدد سكانها حوالي ٣٠٠ ألف نسمة وشعبها خليط من العرب والإيرانيين والهنود والأفارقة المنحدرين من قبائل البانتو القاطنة في شرق أفريقيا وأغلبية السكان مسلمو الديانة. واللغة السائدة هي السواحلية وأساسها اللغة العربية المختلطة بلغات أفريقية قديمة.

وقد دخلت سلطنة زنجبار تحت الحماية البريطانية سنة ١٨٩٠ واستمرت الحماية البريطانية ٧٣ عاماً حتى منحت بريطانيا زنجبار استقلالها في سنة ١٩٦٣، ولكن حدث في السنة التالية لمنح الاستقلال انقلاب دموي بالجزيرة، لم تعرف أسبابه ولا دوافعه، ونسرد فيما يلي قصة هذا الانقلاب.

كانت زنجبار حتّى صباح يوم السبت ١١ يناير من عام ١٩٦٤، جزيرة عربية مستقلة يحكمها السلطان جمشيد بن عبد الله بوسعيد، أحد أحفاد السلطان العماني سعيد بن سلطان. وفي مساء السبت عاد الناس إلى بيوتهم، والهدوء يلفّ الجزيرة، ومرّت الساعات الأولى من الليل شتائية رطبةً، وبعد منتصف الليل شقّ هدوءَ الجزيرة صوتُ رصاص، ولم يستمر كثيراً، وقد ظنّ الناس الذين لم يستسلموا بعد للنوم أن جندياً طائشاً أطلق بعض الطلقات، ولكن ما هي إلاّ ساعة بعد منتصف الليل حتّى اجتاحت الأحياء والدور العربية فرق الجنود الأفارقه وشرعوا في قتل السكان العرب بوحشية فظيعة وسقط في ليلة واحدة ما يزيد على عشرين ألف قتيل، وفي رواية أخرى بلغ عدد القتلى خمسين ألفاً. وما أن أصبح الصباح، إلاّ وزنجبار، برج الزنج، لؤلؤة الممالك، ومقر سلطنة الحكام العرب، لم تعد كما كانت عربيةً.

لقد قام الجنود من ذوي الأصول الأفريقية بانقلاب دموي كان أكثر الانقلابات وحشيّة في القرن العشرين، وقاد الانقلاب الضابط الأفريقي عبيد كرومي الذي عين نفسه فيما بعد رئيساً للجزيرة، لكنه قتل بعد ثماني سنوات من الانقلاب، وخلفه عبده جومبي الذي اتبع نفس السياسة العدوانية ضد بقايا العرب كما تبعها الرؤساء الزنجباريون من بعده.

وبعد الانقلاب بأربعة أشهر أُعلن قيام الوحدة بين تنجانيقا وزنجبار، وأصبح اسم الدولة الجديدة تنزانيا، واختيرت دار السلام عاصمة لها. وتولى الرئاسة جوليوس نيريري وتلاه في الرئاسة حاكم زنجبار. وتشكّلت حكومة محلّية لزنجبار وفوّضت لها بعض الصلاحيات المحلية. وقد ظلت الوظائف العليا وبخاصة في الشرطة والجيش في أيدي الأفارقة ذوي الأصول غير العربية، غير أن هذا الاتجاه قل تدريجياً مع مرور الزمن واستقرار الأحوال بالدولة الجديدة.

وإذا حاولنا التعرف على أسباب هذا الانقلاب الدموي الموجه إلى السكان العرب الذين عاشوا في هذه الجزيرة لمئات السنين فلا نجد سبباً أقوى من الخوف من عودة السيطرة العربية على زنجبار وشرق أفريقيا، كما كانت عليه في عهد السلاطين العمانيين الأقوياء، خصوصاً مع انحسار الاستعمار وتعاظم دور مصر في العالم في عهد الرئيس عبد الناصر، وخوف الدول الكبرى من قيام إمبراطورية عربية إسلامية في شمال وجنوب أفريقيا خصوصاً بعد الزيارة التي قام بها نائب الرئيس المصري أنور السادات لزنجبار في السنة التي سبقت الانقلاب.

هذا وقد قامت حكومة زنجبار في السنوات الأخيرة بمحاولات للتقرب من العرب، فقد قام رئيس حكومة زنجبار المحلية سالمين عامور في عام **١٩٩١** بزيارة عُمان، وقدّم الاعتذار للسلطان قابوس عن أحداث سنة ١٩٦٤، كما تشهد زنجبار حركة ترميم واسعة لآثار فترة حكم السلاطين العُمانيين بزنجبار، مع الرغبة في إعادة العلاقات مع السلطنة العمانية ورغبة الشعب الزنجباري في العودة إلى الأصول العربية والإسلامية.

وقدمت سلطنة عُمان عقب زيارة عامور مساعدات اقتصادية كبيرة لزنجبار وأنشأت مطاراً دولياً ومدرسة تمريض، وقدمت مساعدات طبية للمستشفى الحكومي، كما افتتحت قنصلية عمانية بزنجبار، كذلك سيّرت طيران الخليج خط طيران مباشراً بين دبي وزنجبار لنقل البضائع والمساعدات.

ومع ضعف الاتحاد التنزاني وتدهور اقتصاد الدولة بدأت تظهر نزعة استقلالية جادة بزنجبار، أبرز ملامحها إظهار الوجه الإسلامي لزنجبار، وظهور جماعات دينية وتوجّه نحو إعادة الروابط مع الدول العربية عموماً وسلطنة عمان خصوصاً، واستكشاف سبل بناء اقتصاد وطني مستقل كما نجحت زنجبار في تحقيق قدر من الاستقلالية في إدارة علاقاتها الخارجية، وأنشأت علاقات قنصلية مع مصر وعُمان وموزامبيق والهند والصين، كما نجحت زنجبار في عقد اتفاقيات ثنائية مع هذه الدول حصلت بمقتضاها على مساعدات اقتصادية من عمان، وحصلت من مصر على خبراء في الزراعة والتصنيع وأطباء، وحصلت من الصين على الإذاعة المحلية ومساكن للفقراء.

واحتفظت زنجبار ببعض مظاهر السيادة، مثل نظام تأشيرات الدخول والجمارك للأجانب ولأبناء تنجانيقا على الرغم من إبطال الحكومة المركزية في تنجانيقا قرار حكومة زنجبار المحلية بالانضمام إلى منظمة المؤتمر الإسلامي.

ولا تملك الدولة الاتحادية (تنزانيا أو تنجانيقا) محطة تلفزيونية. وهناك محطة إرسال تذيع برامجَ مُهداة من تلفزيون كينيا وأوغندا وتمثليات إرشادية وخطب مسجلة للرئيس تذاع بعد إلقائها.

ولا تملك زنجبار مصادر ذاتية للطاقة، وتعتمد في تدبير احتياجاتها من البترول والطعام على تنجانيقا، وهو الأمر الذي يُعدّ من معوقات الاستقلال، وينعكس تردّي الوضع سلباً على أوضاع التعليم، فنسبة الأمية بزنجبار تقدر بنسبة ٨٠ في المئة، ويوجد معهد واحد ينتهي التعليم فيه بالمرحلة الثانوية، وتتم الدراسة في الجامعات إمّا عبر جامعة دار السلام أو مِنح دراسية في الأزهر وبكين وموسكو. ولا يوجد سوى مدرستين ثانويتين للبنين والبنات ومدرستين فنيتين زراعية وصناعية إلى جانب معهد ديني، ويتم التدريب كذلك عن طريق الاتحادات الأفريقية أو منح التدريب من روسيا والصين ومصر.

وينعكس الوضع كذلك على الحالة الصحية، فهناك مستشفى حكومي واحد أطباؤه من روسيا والصين ومصر، إلى جانب عدد محدود من الوطنيين، ومستوصف خاص يملكه بعض الرعايا الهنود.

كما تعاني زنجبار أيضاً من أزمة سكانية حادة، إذ تنتشر في المناطق المحيطة بالعاصمة أكشاك خشبية وأكواخ من الصفيح يسكنها الفقراء، ولا يقلل من الأزمة حركة بناء مساكن شعبية تنفّذها الصين كجزء من المساعدات.

وتربط زنجبار بالعالم الخارجي رحلة أسبوعية لشركة «زانا» الجوية وهي شركة مشتركة بين زنجبار وتنجانيقا، ورحلة أسبوعية أخرى غير منتظمة لشركة «إير تنزانيا»، إلى جانب رحلة أسبوعية ثالثة منتظمة مع دبي لشركة طيران الخليج. وترتبط زنجبار بتنجانيقا بحرياً بأربع رحلات يومية.

وبسبب الفقر فوسائل النقل الداخلي بزنجبار عبارة عن سيارات نقل ونصف نقل جهّزت كأوتوبيسات للعمل بين القرى، إضافة إلى سيارات التاكسي (قطاع خاص) وتعد الدراجات الوسيلة الأكثر انتشاراً وشعبية.

ولا يساعد هذا الوضع الاقتصادي على الاستقلال؛ فزنجبار تعتمد ـ وبشكل منفرد ـ على المساعدات الخارجية من مصر وعُمان والصين وشركة فنلندية (تنفّذ مشروع إقامة شبكات للمياه)، إضافة إلى شركات ألمانية وبلجيكية ودانمركية تقوم بتمويل بعض مشاريع للطرق.

ولمواجهة هذا الوضع تحاول الحكومة المحلية الحصول على مساعدات لتوظيفها في مشاريع صغيرة، كما تحاول إيجاد مصادر غير تقليدية للدخل مثل بيع الأعشاب البحرية. وتشجّع الحكومة السياحة، إلاّ أن ظهور التيارات الدينية المعادية لهذا التوجّه يقلل من فرص تشجيع السائحين، ودخلت حكومة زنجبار في مفاوضات لإنشاء صناعات مرتبطة بالصيد كالتعليب ومن ثم التصدير.

وإلى جانب سعي زنجبار على المستوى الرسمي إلى تحقيق نوع أعلى من الاستقلال فإن الشارع والحياة اليومية تشهد نشاطات تطالب بتطبيق «أحكام الإسلام»، و«إزالة آثار العلمانية»، وإغلاق نوادي الفيديو، ومحلاّت بيع الخمور التي أُحرق بعضها خلال أعمال عنف ومنع السياحة.

كما ازدادت نشاطات الجماعات الإسلامية، وزادت كتاتيب تحفيظ القرآن الكريم ومعاهد لتدريس علوم الفقه والتفسير وأصبحت شرائط تلاوة القرآن الكريم سلعة وحيدة لأغلب الباعة المتجولين وأساسيّة في كل المحلات.

ويتنازع حزبان الوجودَ السياسي في الشارع، هما فرع الحزب الثوري الحاكم في الدولة الاتحادية (تشاما تشاما ممندوس) برئاسة سالمين عامور رئيس زنجبار والنائب الثاني لرئيس الجمهورية بمقتضى الدستور، وحزب جبهة الاتحاد المدني الذي يتزعمه سيف شريف حمادي - رئيس وزراء سابق لزنجبار - وهو من سكان جزيرة ممبا، ويحظى منذ تأسيسه العام الماضي بشعبية كبيرة داخل زنجبار، وحتى على مستوى الدولة الاتحادية. وهو حزب له توجهات دينية وإن كان رسمياً ليس حزباً دينياً، ويضمّ هذا الحزب غالبية السكان من الأصل العربي والمسلمين في تنزانيا.

وتستغل الغالبية المسلمة شهر رمضان للتعبير عن انتمائها الإسلامي إذ تشهد المساجد حضوراً أكبر، وتقفل المطاعم اثناء النهار وتغلق محلات الفيديو ومحلات بيع الخمور وتذيع المحطة المحلية الأناشيد والتواشيح الدينية. وهي ملامح اختفت في بدايات الثورة عام ١٩٦٤.

وتحوّل شهر ربيع الأول من السنة الهجرية كل عام إلى مناسبة احتفالية بمولد النبي محمّد صلّى الله عليه وآله وتستمر الاحتفالات طوال الشهر بكامله. وتحولت المساجد الكبيرة إلى مراكز لتجمّع المسلمين بعد صلاة الجمعة كل أسبوع.

ونخلص مما سبق أن مستقبل تنزانيا الدولة الاتحادية في خطر، وأصبح استمرارها

يعتمد على رغبة شعب زنجبار في المزيد من الاستقلال ومدى قدرة الحكومة المركزية على التحمّل، خصوصاً أن استمرار الاتحاد على ما هو عليه الآن أمر مستحيل بالنسبة لشعب زنجبار في ضوء تصاعد المد الوطني والمشاعر الإسلاميّة.





الفصل الثالث بعد المائة

نماذج من الشخصيات العلوية بأفريقيا

الحبيب أحمد مشهور الحداد

(١٣٢٥-١٤١٦هـ)



رئيس جزر القمر يزور الحبيب أحمد مشهور الحداد في بيته بجدة

ولد الحبيب أحمد مشهور الحداد بقرية قيدون بحضرموت سنة **١٣٢٥**هـ وقد تلقى العلم برباط العلم الشريف بقيدون على يد عميه العلامتين عبد الله وعلوي ابني طاهر بن عبد الله الحداد، كما رحل الحبيب أحمد إلى تريم لتلقى العلم عن علمائها من أمثال الحبيب عبد الله بن عمر الشاطري، ثم رحل بعد ذلك مع عمه الحبيب علوي بن طاهر الحداد إلى إندونيسا وهو دون العشرين، ثم عاد إلى حضرموت واستقر بها فترة من الزمن، غير أنه عاود السفر ولكنه اختار هذه المرة السفر إلى أفريقيا الشرقية حيث عاش متنقلاً بين كينيا وتنزانيا وأوغندا حيث كانت حياتها في تلك الفترة تعاني من الفوضى الأخلاقية وفساد الحياة العلمية والاجتماعية.

وقد بذل الحبيب أحمد مشهور الحداد جهده لهداية الناس وإرشادهم فكان يتوجه لهم بالوعظ المناسب لأحوالهم إضافة إلى ما يعقده من المجالس العلمية الخاصة بتعليم الفقه والحديث والتفسير والتي لاقت قبولاً كبيراً من فئات الشعب المتنوعة.

وتحدث ابنه السيد حامد بن أحمد الحداد عن طريقة والده في نشر الدعوة الإسلامية بأفريقيا فقال: إن الوالد قبل أن يبدأ بنشر الدعوة الإسلامية بأفريقيا الشرقية درس أوضاع الناس والجاليات المختلفة من ناحية المعرفة الدينية وثبوت العقيدة، كما لاحظ التأثير الذي أثرته عليهم حملات التبشير النشطة في أفريقيا.

وقد اتخذ الحبيب أحمد مشهور الحداد من مسجد (ناكاسيرو) في العاصمة كمبالا منطلقاً لدعوته، وقد وضع مع الداعية السيد سعيد بن عبد الله البيض حجر الأساس لمسجد الرياض ومدرسة حياة الإسلام، ومسجدين في منطقة (أرينقا) بغرب النيل، واعتنق الكثير من سكان هذه المنطقة الإسلام على يديه. ثم افتتح الحبيب أحمد مشهور الحداد في سنة **١٩٦٦**م في منطقة أرينقا مسجد التقوى ومدرسة النور الإسلامية. ولكثرة من اعتنق الدين الإسلامي بهذه المنطقة أطلق عليها البعض (محافظة المسلمين).

وقام الحبيب أحمد مشهور الحداد برحلات دعوية عديدة مع عدد آخر من الدعاة إلى داخل أفريقيا فوصلوا إلى شمال شرق أوغندا وإلى موطن العراة كراموجا، ووصل إلى غربي كينيا كوسوموا وما حولها.

كما وصل الحبيب أحمد مشهور الحداد مع وفد الدعاة إلى الحدود الجنوبية الشرقية للكونغوا، ودخلوا بعض الأدغال بها، كما وصلوا إلى جوبا و(واو) بجنوب السودان ناشرين للإسلام بين هذه القبائل البدائية.

وقد أسس الحبيب أحمد مشهور الحداد في كمبالا المكتبة الإسلامية، وكان يلقي الدروس بعد صلاة الظهر. وتترجم دروسه إلى اللغة المحلية، وتعلق به كثير من التلاميذ الأفارقة ونهجوا طريقته وأصبحوا بعد ذلك من كبار الدعاة بأفريقيا.

وبقي الحبيب أحمد مشهور الحداد متعلقاً بأمور الدعوة الإسلامية ونشر الدين الإسلامي بأفريقيا، حتى بعدما تقدمت به السن وانتقل بإقامته إلى مدينة جدة ليكون قريباً من الحرمين، فقام برحلات قصيرة إلى أفريقيا لتحفيز واستمرار الجهود التي بدأها، لأن مجرد ظهوره بتلك الجهات يعطي الدعوة دفعة قوية للأمام. وقد ذكر الملاحي في كتابه الحضارم في ممباسا ودار السلام أن جولات العلماء والوعاظ إلى المواقع الأفريقية المختلفة يساعد على انتشار الإسلام[1]، كما كان يزوره في منزله بجدة الدعاة والحكام الأفريقيون.

هذا، وأثناء إقامة الحبيب أحمد مشهور الحداد في جدة كان لي شخصياً شرف حضور مجالسه، فوجدت عليه مهابة الدين وجلال العلم وشرف النسبة، تنجذب إليه النفوس بالفطرة وتحبه القلوب بمجرد النظر إليه لا يتكلم إلا في علم أو إصلاح أو إرشاد تنبئ ملامح وجهه المضيء عن استغراق في العبادة لا يصرح به أحد من أولاده. وقد كان مثالاً على الأخلاق العلوية والطباع الهاشمية، فبقي شاهداً عليها لكل من أسعده الحظ برؤيته ومجالسته.

---

(١) عبد الرحمن عبد الكريم الملاحي، الحضارم في ممباسة ودار السلام، صفحة ٦٥-٦٦.

قال عنه ابنه السيد حامد أنه كان عازفاً عن مظاهر الشهرة وحب الجاه معرضاً عن زخارف الدنيا وترفها، ولكنه يجد نفسه أينما اتجه محاطاً بكل المحبة والتقدير والإجلال والاحترام.

وقال إنه عرف بعض الحكام والوجهاء وأرباب المقامات فسعوا إليه ولم يسع إلى أحد منهم، وكانوا مدفوعين إليه بما له من مكانة علمية وبما خلعه الله عليه من هيبة ووقار وخشوع وسكينة (ملخص عن كتاب السيد حامد بن أحمد مشهور الحداد)[1].

الحبيب عمر بن أحمد بن أبي بكر بن سميط

(١٣٠٣-١٣٩٧هـ)



صورة الحبيب عمر بن سميط على عملة جزر القمر

ترجم له الحبيب أحمد مشهور الحداد[2] فقال إنه ولد عام ١٣٠٣هـ ببلدة أساندا من جزر القمر في بيئة علم وصلاح، ونشأ تحت رعاية والده الذي استصحبه إلى مقر أهله ببلدة شبام بحضرموت، ثم تتلمذ على كبار العلماء وفي مقدمتهم الحبيب عيدروس بن عمر

---

(١) حامد بن أحمد الحداد، الإمام الداعية أحمد مشهور الحداد، دار الفتح للدراسات والنشر، صفحة ١٦-٣٠.

(٢) الحبيب أحمد بن عمر بن سيط، النفحة الشذية إلى الديار الحضرمية، صفحة ٥-٩.

الحبشي والحبيب علي بن محمد الحبشي والحبيب أحمد بن حسن العطاس والحبيب محمد بن طاهر الحداد وغيرهم من علماء حضرموت، ثم لما استكمل تعليمه بحضرموت عاد إلى زنجبار حيث استكمل معارفه وعلومه على يد والده وعلى يد الشيخ الصالح عبد الله بن محمد باكثير.

ثم عاد الحبيب عمر بن أحمد بن سميط بعد ذلك إلى مسقط رأسه (مروني) عاصمة جزر القمر حاملاً راية العلم موزعاً أوقاته فيها بين دعوة أهل المدن والقرى إلى طريق الإسلام الصحيح ماشياً على قدميه بين تلك التلال الأفريقية الخضراء أياماً وليال عديدة، يدعوهم إلى دين الله وشرعه، حتى ليتعجب الناظر حين يرى الأفريقيين بتلك الأصقاع البعيدة متسمين بسمة الصلاح معتزين بدينهم وشعاراتهم الإسلامية معرضين عن المبشرين الذين يحاولون إغواءهم بكافة الطرق والوسائل. وقد أسلمت على يديه طوائف كثيرة وهدى الله به إلى الإسلام بشراً كثيراً. وما من داعية إلى الإسلام في تلك النواحي والأصقاع إلا مدّ له الحبيب عمر بن أحمد بن سميط يد العون المعنوي والمادي.

ثم قال الحبيب أحمد مشهور الحداد: ولما كنت في يوقاندا والكونغو مع فريق من الدعاة الى الله كان الحبيب عمر بن أحمد بن سميط يمدنا بالرعاية والتوجيه ويقول: بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا. وكان يقول: ما من شيء أحب إلى الله ورسوله وأقرب إليهما من الدعوة إلى سبيله.

وقال الحبيب أحمد مشهور الحداد: وكان الحبيب عمر بن أحمد بن سميط ممن يذكرنا سمت أسلافنا وبهجة منظرهم وثباتهم على سيرتهم تعرف الولاية من سجاياه والمجد من محياه، وقد جمع من صفات النبل والكمال ما جمع القلوب على محبته والألسن على الثناء فكان كل من رآه أحبه وأجله.

ورغم تقدم الحبيب عمر بن أحمد بن سميط في السن فإنه لم ينقطع عن تكرار السفر

من شرق أفريقيا إلى حضرموت لزيارة مشايخه وضرائح سلفه، كما لم يتوقف عن السفر للبلاد السعودية للحج والعمرة والزيارة.

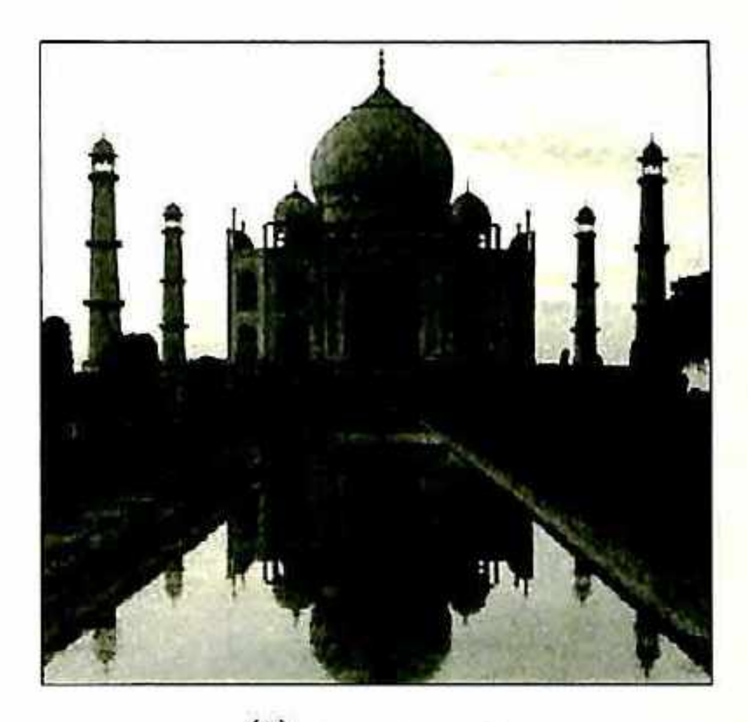
وقد قام الحبيب عمر بن أحمد بن سميط بالكثير من المشاريع الخيرية بأفريقيا من مساجد ومدارس وموارد مياه. وأوقف خزائن كتبه العلمية على العلم وطلابه، ولم يدخر لنفسه شيئاً من ماله، بل صرف ماله في صنائع المعروف وإكرام الضيوف ومواساة الغرباء وصلة ذوي القرب. وكان الحبيب عمر بن أحمد بن سميط رغم شهرته الواسعة وتوليه وظيفة الإفتاء والقضاء بزنجبار يسكن في بيت متواضع بسيط رغم أنه بنى لزواره وضيوفه منزلاً رحبا بضاحية البلد يحتوي على مساكن وحدائق جميلة لأجل إكرامهم وإدخال السرور عليهم، بل قد يتولى الحبيب عمر بن أحمد بن سميط أحياناً خدمة ضيوفه بنفسه.

ويعقد الحبيب عمر بن أحمد بن سميط درساً حافلاً عصر كل يوم بالمسجد الجامع يحضره الجمع الغفير ويحصل به النفع الكثير. وبلغ من إجلاله للعلم وأهله أنهم متى ختموا كتاباً من الكتب العلمية أقام لهم الحبيب عمر بن أحمد بن سميط وليمة كبرى بأحد المتنزهات، وله مؤلفات ومنظومات شعرية ورحلات مطبوعة، وتوفي الحبيب عمر بن أحمد بن سميط سنة ١٣٩٦هـ في بلدة مروني من جزر القمر ودفن بها.

* * *

الفصل الرابع بعد المائة

العلويون والهند



نبذة عن تاريخ الهند[1]

(١) الموسوعة العربية العالمية، الجزء ٢٦، صفحة ١٣٩ .

١٣٠٣

كانت الهند واقعة تحت حكم أمراء الراجبوت الأقوياء، وقد أقام المسلمون في زمن الخلافة الأموية مملكة إسلامية بالسند، وكان ذلك سنة ٩٤هـ ثم تتابعت الحملات الإسلامية على الهند. وقد وصل التجار المسلمون إلى الهند منذ زمن بعيد وأقاموا علاقات تجارية مع السواحل الهندية مثل كوجرات وساحل المليبار، ثم استقروا في تلك المناطق، وسمح لهم ملوك الهند ببناء المساجد وممارسة شعائرهم الإسلامية.

إلا أن السيطرة الإسلامية الكاملة على الهند تمت على أيدي الفاتحين الأتراك الذين كانوا يعيشون في إقليم جيحون، ومنهم السلطان الشهير محمود الغزنوي الذي قام بفتح البنجاب في سنة ٥٨٨هـ وتمكن خلال عشر سنوات من السيطرة على معظم الشمال الهندي حتى البنغال، واختار السلطان محمود أحد قواده وهو قطب الدين أيبك لينوب عنه في حكم دلهي وأوجد هذا القائد في الفترة من سنة ٥٩٧ إلى سنة ٦٠٧هـ سلالة تركية حاكمة حكمت امبراطورية هندية كبيرة عرفت بسلطنة دلهي. وكان قطب الدين أيبك مثله مثل سلفه السلطان محمود الغزنوي مسلماً قوي الإسلام، وقد بنى في دلهي مسجداً كبيراً.

وعندما أسقط المغول الخلافة العباسية في بغداد في سنة ٦٥٦هـ اتجهوا بعدها لغزو الهند وإسقاط سلطنة دلهي التي تحكمها في تلك الفترة أسرة آل طغلق التركية إلا أن مؤسس هذه الأسرة التركية السلطان غياث تمكن من هزيمة المغول في سبع وعشرين معركة حربية، وكان ابنه محمد طغلق جندياً باسلاً وإدارياً ناجحاً، وكان يستقبل في بلاطه العلماء والشعراء ويكرمهم ويشجعهم، ثم خلفه في الحكم فيروز شاه طغلق الذي كان على مثال سلفه في الشجاعة والإدارة، ونَعمت البلاد طوال فترة حكمه بالسلام والرخاء لنحو نصف قرن من الزمان.

ثم غزا تيمورلنك المغولي دلهي عام ٨٠١هـ وخرب السلطنة ونهبها، وتجزأت بعد ذلك الإمبراطورية الإسلامية التركية في الهند إلى عدد من الممالك الصغيرة التي يحكم كل منها سلطان مستقل ويقاتل بعضها بعضاً.

ثم لم يتوقف المغول عن غزو الهند حتى بعد إسلامهم ففي عام ٩٣٣هـ (١٥٢٦م) غزا السلطان المغولي المسلم بابر الهند قادماً من كابول بأفغانستان، واستطاع أن يهزم سلطان دلهي وتمكن خلال سنوات قليلة من السيطرة على معظم شمال الهند، ثم خلفه ابنه همايون عام ٩٣٧هـ(١٥٢٦م) ومن بعده خلفه ابنه أكبر عام ٩٦٤هـ (١٥٥٦م).

وخلف الإمبراطور أكبر كل من الملك جهانجير (١٦٠٥-١٦٢٧م) والملك شاه جهان (١٦٢٨-١٦٥٨م) وهو الملك الذي بنى تاج محل ليكون مقبرة لزوجته المحبوبة التي توفيت وهي صغيرة، ثم جاء من بعده السلطان أورنغزيب (١٦٥٨-١٧٠٧م) الذي قتل إخوته الثلاثة وطرد الامبراطور الحاكم شاه جهان واستولى على العرش. ووصلت امبراطورية المغول الإسلامية بالهند في عهده إلى درجة عالية من القوة والتمكين، وكان حكمه أطول حكم في السلالة المغولية المسلمة بالهند، وكان مسلماً تقياً وجندياً بارعاً إلا أن تكاليف حروبه الكثيرة أضعفت دولته فتمكن أحد زعماء الهندوس من تكوين جيش غزا به المقاطعات الغربية من الإمبراطورية المغولية المسلمة.

ثم توفي الإمبراطور أورنغزيب عام ١١١٩هـ (١٧٠٧م) وبعد وفاته ضعفت الإمبراطورية المغولية المسلمة بالهند حتى أنه بحلول سنة ١٧٣٠م لم يعد للإمبراطور إلا الولاء الاسمي من حكام المقاطعات الذين كانوا مستقلين بحكم مقاطعاتهم استقلالاً تاماً. ثم نزلت الضربة القاضية على امبراطورية المغول المسلمة بالهند سنة ١١٥٢هـ (١٧٣٩م) حين غزا الهند الفاتح الأفغاني الفارسي نادر شاه، واستولى على دلهي، ثم عاد نادر شاه بعد غزوه الهند إلى إيران بعد أن دمر امبراطورية المغول بالهند تدميراً سهل لأعدائها من السيخ والهنادكة والإنجليز الفرصة ليضربوا ضرباتهم القوية في هذا الجسم المغولي المتداعي للسقوط.

ثم غزا الهند أحد قواد نادر شاه واسمه أحمد شاه الابدالي[١]، وهو من القبائل الأفغانية،

---

(١) الدكتور أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، المجلد الثامن، مكتبة النهضة المصرية، صفحة ٣٠٨.

واشتبك في حرب مع جيش الإمبراطور المغولي ناصر الدين محمد بقيادة ابنه أحمد. وقد حقق المغول النصر في هذه المعركة، لكن وفاة الإمبراطور المغولي عجلت بعودته إلى دلهي ليوطد سلطانه، فانتهز القائد أحمد شاه هذه الفرصة واستولى على لاهور سنة ١٧٤٨م ثم امتد سلطانه بعد ذلك إلى دلهي.

وفي وسط الصراع بين المسلمين من الهنود والأفغان تمكن الهنادكة من الاستيلاء على بعض مقاطعات الهند، كما استولى الإنجليز على منطقة البنغال وأصبحت شاهات المغول يعيشون بالهند تحت سلطة الهندوس أو الإنجليز بعد أن كان للمسلمين الحكم المطلق للهند طوال ثمانية قرون تقريباً، وانتهت بذلك هذه الأندلس الهندية.

إلا أن التغير الأكبر في تاريخ الهند بدأ بوصول الأوروبيين وأولهم البرتغالي فاسكودي جاما الذي وصل كاليكوت بالهند سنة ١٤٩٨م، وفي سنة ١٦٠٠م أسس الإنجليز شركة الهند الشرقية التي أصبحت في سنة ١٧٥٦م الحاكم الفعلي في البنغال، بعد أن أبعدت الحاكم الاسمي المغولي. وتمكن الإنجليز باستخدام الثروات الزراعية البنغالية الوفيرة من إنشاء جيش قوي قوامه الجنود الهنود وضباطه من البريطانيين.

ثم توسع الإنجليز في الهند حتى سيطروا على دلهي في عام ١٨٠٤ م، وقامت بالهند ثورة شاملة عام ١٨٥٧م كادت أن تنهي الوجود البريطاني بالهند لولا أن الإنجليز تمكنوا من إخمادها بوحشية كبيرة طالت الثوار والأبرياء معاً، وقتل الآلاف، وانتهى بهذه الثورة دور شركة الهند الشرقية، وتولت بعد ذلك الحكومة البريطانية إدارة أمور الهند مباشرة.

ثم حصل المد الاستعماري الكبير بالهند بين سنة ١٨٥٨-١٩١٤م وحكمت بريطانيا الهند في هذه الفترة حكماً مباشراً وقسمتها إلى ثلاثة أقسام إدارية: القسم الأول في الشمال ويشمل المناطق الجبلية الوعرة في النيبال وبوتان وسكانها من الهندوس الأقوياء، واكتفت بريطانيا فيها بمستشار فقط. أما القسم الثاني فوضعته تحت الحماية البريطانية المباشرة، ويشمل مناطق حيدر أباد وميسور وكشمير وألزمت حكام هذه المناطق بدفع

خراج سنوي للإنجليز مقابل تمتعهم بالحماية الإنجليزية، وقامت بريطانيا بحكم القسم الثالث حكماً مباشراً. ويشمل هذا القسم مناطق البنغال والبنجاب ومدراس وبومباي.

ويصور السير وليم هنتر حال المسلمين في الهند بعد سقوط دولة المغول واستيلاء الإنجليز على الهند بقوله: لقد عاش ملايين المسلمين بالهند بعد سقوط دولة المغول في تعاسة وشقاء بعد أن فقدوا كبرياءهم وأملاكهم وقوتهم[١]. وكتب السفير المقيم في مورشيدأباد في عام ١٧٦٩م: «إن هذا البلد الجميل الذي كان مزدهرا في ظل أكثر الحكومات استبدادا وتعسفا، على شفا الخراب منذ اشترك الإنجليز في إدارته»[٢].

ونظراً للأهمية الكبيرة لحيدر أباد الدكن في التاريخ الحضرمي نتوسع قليلاً في تاريخها حيث إنها المكان الذي عاش فيها القادة الحضارمة العظام الكثيري والقعيطي والعولقي الذين غيروا مجرى التاريخ الحضرمي. وقال الأمير شكيب أرسلان في حاضر العالم الاسلامي[٣]: ويبلغ سكان حيدرآباد الدكن ١٣ مليوناً أكثرهم من الهندوس، ولكن عاصمة البلاد أكثرها مسلمون وسلطانها مسلم يقال له (النظام)، وفيها وزير مقيم من قبل الإنجليز، لكن نفوذه على المملكة محدود، وهناك جيش عدده ٣٠ ألف أكثره عرب من حضرموت. ولحيدر آباد نوعان من الجند: الأول يستقل به سلطان البلاد، والثاني يرصد لحماية المملكة الهندية كلها، وقواده من الإنجليز. والخراج الذي تدفعه حيدر آباد للإنجليز زهيد، واستقلالها الداخلي يكاد يكون تاماً.

ونظام حيدر آباد أوسع ملوك الإسلام ثروة ومن أغنى ملوك العالم. وقد كانت له اليد البيضاء على الخليفة عبد المجيد بن عبد العزيز الذي طرده الأتراك الكماليون وتشرد في أوروبا. ولما بلغ نظام حيدر أباد أن الخليفة قد يصل من الاحتياج إلى حد يمس بكرامة

(١) الدكتور أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، المجلد الثامن، مكتبة النهضة المصرية، صفحة ٣٢٣.
(٢) روجيه جارودي، حفارو القبور، الحضارة التي تحفر للإنسانية قبرها: ص ٣٢٣.
(٣) الأمير شكيب أرسلان، حاضر العالم الإسلامي، دار الفكر العربي، صفحة ٣٣٤-٣٣٥.

الإسلام ورأى أنه لا يليق بالمسلمين أن يصل الرجل الذي كان خليفتهم بالأمس إلى حالة كهذه من البؤس والهوان فرتب له ثلاثمئة جنيه في الشهر، وحفظ شرفه من أن يذل، ثم ازدادت العلاقة بين الخليفة عبد المجيد هذا ونظام حيدر آباد بزفاف كريمة الخليفة على نجل النظام. (انتهى).

وذكر اليزيدي في كتابه استعانة إمارة الهند بالجند الحضرمي فقال: ففي أواخر القرن الثامن عشر الميلادي هاجرت موجة جديدة من الحضارمة إلى الهند بهدف الاشتغال في جيوش الدويلات المسلمة في إقليم (ماراثا) في وسط وجنوب وغرب الهند، وهي الدويلات التي تكونت بعد تفكك الإمبراطورية المغولية وموت الامبراطور أورنغزيب سنة ١٧٠٧م. وقد جندت هذه الإمارات في جيوشها أعداداً كبيرة من المقاتلين الحضارمة حتى أصبحوا عماد الجيش وقوته الفعلية، كما اشتغل هؤلاء الحضارمة بالتجارة، وتملكوا العقارات، وكونوا ثروات ضخمة مثل عمر بن عوض القعيطي وغالب بن محسن الكثيري وغيرهما[١].

ومما يدل على ما وصل إليه الحضارم من القوة والسلطان ما ذكره الجد بن عبيد الله عن الأمير عبد الله بن علي العولقي، وهو أول من مهد الطريق للحضارمة للالتحاق بجيش النظام بحيدر أباد.

وقد وصفه بن عبيدالله فقال[٢]: كان شهماً كريماً وقوراً حليماً محمود الشيم قوي النفس مبسوط البنان يحب العلم وأهله، وكان له مصلى بجانب قصره الفخم يصلي فيه التراويح كل ليلة من رمضان والسيوف حوله منتضاة والفتائل مشتعلة (يقصد فتائل البنادق أبو فتيل)، ثم لا يقوم من مجلسه إلا وقد فرق فيه ألف روبية عدا ما يعتاد إنفاقه في غير ذلك المجلس من الهبات، وما يجزله من الصلاة وما يبذله في طوارئ الوجوه ونوائب الحقوق.

---

(١) ثابت صالح اليزيدي، الدولة الكثيرية الثانية في حضرموت، دار الثقافة العربية، صفحة ٥٦.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ٣٠.

وقال العلامة أبو بكر بن شهاب[١]: حضر مجلس العولقي بعضهم ذات عشية فلحن في قراءته، فرد عليه الأمير عبد الله العولقي وقال له: أتاني من حضرموت مهد العلم ثم لا تقيم لسانك لحناً، فانقطع عنه أياماً أقبل فيها على تحصيل النحو بقلبه وقالبه، ثم لم يعد إلى مجلسه إلا وهو يرد على كل من يلحن في القراءه فسُر منه الأمير وأجزل جائزته.

قال بن عبيد الله في العود الهندي: وقدم أحد مشايخ القبائل الحضرمية على الأمير عبد الله بن علي العولقي ودخل عليه في مجلسه فقال له العولقي: ما شأنك؟ قال الحضرمي: شيبه قصد شيبه بغى شيبه (والشيبه في عرفهم هو الالف) فقال له الأمير العولقي: لقد أمرت لك بثلاثة: أولها طلبك، والثاني هديتك، والثالث نفقة الطريق، وصرفه من يومه[٢].

وقال اليزدي في تاريخ الدولة الكثيرية[٣]: ولم تكن الحكومة البريطانية بأي حال من الأحوال موافقة على أن ترى الحضارم في حيدر أباد منافسين لها في السيطرة وبسط النفوذ، وكانت متذمرة لأنهم لا يحترمون قوة بريطانيا ولا يأخذونها بعين الاعتبار، وبالتالي فقد أعطوا انطباعاً للهنود بأنهم لا يقهرون، فقد تبين للحكومة البريطانية في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي أن الحضارم خطر وتهديد كبير ليس فقط على الهيمنة البريطانية على حيدر أباد، ولكن على قوة بريطانيا في الهند. وقد وصفهم أحد التقارير المبعوثة إلى رئيس المجلس الرئاسي في الهند عام ١٨٥٤م بأنهم (أكبر شوكة في جنب السلطة البريطانية بالهند).

ومما يدل على نفوذ العرب وسطوتهم في تلك الفترة ما ذكره العلامة بن عبيد الله[٤] فقال: إن عشرة نفر من عسكر الأمير عبد الله بن علي العولقي أرادوا أن يتفرجوا على بستان في سكندر أباد، وكانت تحت سيطرة الحكومة الإنجليزية فمنعهم الحرس، وعدتهم أربعة،

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ٣٠.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، العود الهند، دار المنهاج، الجزء الثالث، صفحة ٣٠١.

(٣) ثابت صالح اليزيدي، الدولة الكثيرية الثانية في حضرموت، دار الثقافة العربية، صفحة ٥٨.

(٤) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ٣١.

فقتلوهم كلهم، فغضب الإنجليز لذلك، وصدر الحكم من والي سكندر أباد بقتل أولئك العرب العشرة، ونفذ حكمه فيهم، إلا واحداً أو اثنين تمكنا من الهرب، فالتهب العولقي غضباً وغيرة واستنجد بالقواد العرب الآخرين فقالوا له: إنما جئنا للمعيشة لا لإثارة الفتن، وأنت مسعر حرب. فلم يكن منه إلا أن أرسل بطائفة من عسكره قتلوا كل من وجدوه من عسكر الإنجليز بسكندر أباد. وكان بين القتلى اثنان من كبار القواد الإنجليز، فاحتزوا رؤوسهم وحملوها إلى قصر الأمير عبد الله بن علي العولقي في حيدر أباد، فاشتد غضب الإنجليز لذلك فأرسلوا جيشاً جراراً لحيدر أباد وكتبوا لملك حيدر أباد ينذرونه بالحرب إن هو لم يسلم إليهم العولقي في مدة معينة، فلم يكن من الملك إلا أن استدعى سائر قواده من العرب وغيرهم فأعطوه المواثيق على أن يتفانوا في الذود عن ملكه وأجاب ملك حيدر أباد الإنجليز بقوله: إننا فتشنا عن الأمر فلم نجد للعولقي يداً فيه، ونحن مستعدون لدفع ديات القتلى من القواد والعسكر فإن قنعتم بذلك وإلا فنحن على أهبة الاستعداد للقتال والبادي أظلم. فلما عرف الإنجليز منهم الجد قبلوا الديات، وانفصلت القضية بسلام (انتهى).

وقال بن عبيدالله: وورد حيدر أباد أحد الحضارمة، فانتظم في سلك العسكرية ثم تنازع مع ذمي فقضى عليه فأمسكته الحكومة للتحقيق والقصاص لأن مذهبها هو مذهب الإمام أبي حنيفة، وهو يقيد للذمي من المسلم فلم يكن من الحضرمي إلا أن بعث وهو في محبسه من يقرئ الأمير عبد الله بن علي العولقي السلام وينشده:

يـالمعتني باوصـيك بالقرطـاس	لا عنـد عـارف يفهـم التفـسير
إذا اتفق شـور الخـضر والـيـاس	قل طلعوا يوسف سقط في البير

فما كاد الأمير العولقي يسمعها حتى حمي أنفه وثارت حفيظته واشتعل حميه وأمر بالنفير فضربت الطبول وهبت العساكر وكان بينه وبين الأمير عمر بن عوض القعيطي فتور في العلائق فتناسى جميع ذلك واجتاز بالقعيطي وأوضح له الأمر وقال له: إن السجين

جعلني وإياك الخضر والياس فوافقه القعيطي وسارا بعسكريهما لا يدرون ماذا يراد منهم حتى كانوا على مقربة من السجن فألقى اليهم العولقي بأبيات قال فيها:

ياهـل العلـوق الغاليـه	وفوا لهـن كيـل المغـابر
ان قد حكم ولاحكمنا	مـا بيقـع مـسلم بكـافر

وبإثر ذلك أمرهم بالهجوم على السجن فكسروا الأبواب واستخرجوا الحضرمي، ولم ينتطح في ذلك عنزان.

قال بن عبيدالله[1]: ولما تولى وزراة حيدر أباد الوزير صرار جنك وكان محنكا درس في المدراس الإنجليزية فرأى ازدحام حيدر أباد بالجند من العرب والسيخ والبتان والمغول والرويلة ورأى بدهائه أنه لا يمكن السيطرة عليهم إلا بإيقاع العداوة فيما بينهم، فبينما كان قادة السيخ والرويلة بمجلسه مهنئين بالعيد إذ أقبل عليهم الأمير العولقي فقام له الوزير صرار ولم يقم له هؤلاء القادة فعاتبهم صرار وقال لهم: لماذا لم تقوموا له وهو قائد الحربية؟ فقالوا: لم نشعر بدخوله حتى نقوم له يشيرون إلى صغر جثته، فقال الوزير صرار للأمير العولقي يستثيره: لقد سمعت مقالهم فلماذا لا تجيبهم، فقال الأمير العولقي: لو شئت لأجبتهم ولكني أجل مجلسك، فقال له الوزير صرار: لا عليك، فقال العولقي: إنما كبرت أجسامهم لأنهم من دماء مختلطة أما أنا فابن حرة، فغضبوا واستلوا سيوفهم، فقال الوزير صرار: ليس في هذا المكان، ولكن تواعدوا للقتال موعداً لا تخلفوه فتواعدوا على الحرب غرة الشهر الداخل ببستان العولقي المسمى بالفاتك، وكان عدد السيخ والرويلة يبلغ العشرة آلاف، بينما لم يكن مع العولقي أكثر من ثلاثة آلاف، واستعان بالعرب فخذلوه، ولم يجمع فوق عسكره أكثر من سبعمئة نفر، لكنه لجأ إلى خطة عبقرية، فقد احتفر أمام بستانه عدداً من الخنادق جعل في كل منها مائة رجل، فلما أقبل السيخ والرويلة أصلاهم رجال الخندق الأول

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ٣١.

ناراً، فلما فرغ رصاص بنادقهم جلسوا يحشونها الرصاص بينما بدأ رجال الخندق الثاني في إطلاق الرصاص، وهكذا، فانهزم السيخ والرويلة هزيمة منكرة وقتل منهم ثلاثة آلاف، بينما لم يقتل من العرب سوى أربعين.

ثم رفع السيخ والرويلة دعوى إلى المحكمة الشرعية يطلبون بالقصاص والتعويض فأخذت القضية دورها، وانتهت بفشلهم لأنه ثبت أنهم كانوا هم المعتدين (انتهى).

وقال أحد الحضارمة في الوزير صرار لما تولى الوزارة:

ما اليوم جاء صرار صر الحكم صر	والقى سياسة من سياسة لانجليـز
إن عاد شي تركوب ولا شي بـصر	ولا عـلى الله يـاطيور الـويز ويـز

قال بن عبيدالله: ومن قوة نفس العولقي وعلو همته وتأجج همته غيرة على الإسلام أنه كثيراً ما يأسف على سقوط عدن بيد الإنجليز، ويقول في شعره:

على عن سـدة الإسـلام	خذها الفرنجي بلا مونه
اهوين يهوين ثم يهـوين	أيـن العـول لي يهدونـه
يالله عسانا نكـن معهـم	غيرة على الدين ومعونـه

قال بن عبيدالله لما زار حيدر أباد: ولقد رأيت قصر الأمير عبد الله بن علي العولقي الفخم الضخم بحيدر أباد عندما اجتزت بها سنة **١٣٤٩**ـ وقد صار ذاباً يباباً فتذكرت قول الفرزدق:

فأصـــبحوا لا تـــرى إلا مـــساكنهم	قفراً سوى الذكر والآثار إن ذكروا[١]

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ٣٧.

وقال بن عبيد الله في بضائع التابوت[١]: وتحدث السلطان غالب بن محسن بعد عودته من الهند في زيارته للحبيب حسن بن صالح البحر عن الهند فقال إن خروجي من الهند وخلاصي من كل شبكة نصبت لي فيه ووقعت بها، وكل ما نلته فإنه بسبب الجمعدار عبد الله بن علي العولقي، فأنا أشكره إليكم كثيراً، ولكنه اشترط علي إذا أنا جئت عند الحبائب عبد الله بن حسين بن طاهر والحبيب حسن بن صالح البحر أن أطلب منهما الدعاء له بحسن الخاتمة وقراءة الفاتحة على تلك النية فإنه يقول لا مطلوب لي إلا هذا فقط، فدعا له الحبيب حسن، ثم قرأ الفاتحة بنية حسن الخاتمة للجمعدار عبد الله بن علي العولقي والتأييد لغالب بن محسن (انتهى باختصار).

وقال اليزدي: ثم قامت الحكومتان البريطانية والهندية[٢] بإبعاد الحضارمة وغيرهم من العرب من حيدر أباد والسيطرة عليهم، ففي عام ١٨٥٢م فرضت سلطات بومباي العمل بنظام جوازات السفر للحد من هجرتهم، وفي عام ١٨٦٤م منحت السلطة التشريعية الهندية السلطة التنفيذية القوة لتساعد حيدر أباد على إبعاد العرب، وقد نجحت هذه الإجراءات إلى حد ما في تقليص نفوذ وأعداد الجالية العربية بما فيها الحضارمة. (انتهى).

وذكر بن عبيدالله [٣] ما وصل له العرب من القوة والنفوذ بحيدر أباد، ثم علل سبب تلاشي ذلك فقال: «ولولا ما جبلوا عليه من الأحساد واللجاج في العناد لما كانت حيدر أباد الدكن إلا وطناً عربياً ثانياً لهم، ولكنهم أعطوا النعمة فلم يحسنوا شكرها، وسيق إليهم ملك عظيم فلم يحسنوا سياسته فآل بهم الأمر فيما بعد باستثناء القعيطي إلى الانحطاط والاضمحلال».

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ١٨.

(٢) ثابت صالح اليزيدي، الدولة الكثيرية الثانية في حضرموت، دار الثقافة العربية، صفحة ٥٨.

(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ٣٠.

السادة العلويون بالهند

لبحث هذا الموضوع الشيق نبدأ بالبحث التاريخي التالي المنقول عن مجلة الرابطة العلوية، العدد الثالث، السنة الأولى، القعدة ١٣٤٦هـ وفيها: كان للسادة العلويين أثر عظيم في بلاد الهند، فقد قاموا بنشر العلم ونفع الناس والدلالة على الهدى والخير وحث سلاطين الهند المسلمين ووزرائهم على الصدقات والمبرات، وتصدر منهم للتدريس بها عدد غفير، وانتفع الناس بهم انتفاعاً تاماً. فممن اشتهر اتصالهم به من ملوكها وسلاطينها السلطان شاه جهان والسلطان إبراهيم عادل شاه وابنه السلطان محمود بن إبراهيم عادل شاه والأمير حبش خان والأمير ريحان والسلطان فتح خان والسلطان برهان نظام شاه والملك عنبر والسلطان حزم شاهجان وغيرهم.

وكان السلطان حزم شاهجان من أعظم سلاطين البلاد الهندية، وكان قد اتصل بالسيد الورع العابد الناسك أبو بكر بن أحمد بن حسين العيدروس المتوفى ببلاد الهند بدولة أباد سنة ١٠٤٨هـ، وأنزله بمنزلة الكرامة وبسط له بساط البر وانتفع به انتفاعاً عظيماً.

ومن مشاهير العلويين الذين أقاموا بالهند السيد أبو بكر بن حسين بن عبد الرحمن صاحب بيجافور، وقد مكث ببندر سورت ثم اجتمع بالملك عنبر الذي كان مجلسه يجمع الفضلاء والعلماء، ثم رحل بعد موت الملك عنبر إلى بيجافور، واتصل بسلطانها محمود شاه ابن السلطان إبراهيم عادل شاه فجعله من خواص جلسائه وخاصة أحبائه فتدير السيد أبو بكر بيجافور وصار ملجأ للوافدين وكان كريماً طلق الوجه فعم صيته تلك الأقطار ومات في بيجافور سنة ١٠٧٤هـ ودفن بمقبرة السادة قريباً من سور البلد.

ومن العلويين الذين كان لهم اتصال بملوك الهند السيد جعفر الصادق بن علي بن زين العابدين العيدروس الذي ولد في سنة ٩٩٧هـ وتوفي سنة ١٠٦٤هـ وهو العلامة المتفنن،

كان أبوه نقيباً للعلويين، وبلغ هو من التفنن في العلم مبلغاً عظيماً وقصد إقليم الدكن من بلاد الهند، واتصل بالملك عنبر، وتصدر للتدريس واعتنى باللسان الفارسي، وهو لسان ملوك الهند فأحكمه وترجم إلى الفارسية كتاب العقد النبوي، ثم اتصل بعد وفاة الملك عنبر بولده فتح خان بن عنبر فأكرمه وزاد في محبته.

ومن أمراء الهند المتعلقين بالعلويين الأمير جوهر سحرتي وهو أحد أمراء السلطان برهان نظام شاه، وكان تلميذاً للشيخ الإمام شيخ بن عبد الله العيدروس، وكان شجاعاً كثير الغزو والجهاد، وكانت وفاته ببلد بيجافور سنة ١٠٦٥هـ، ودفن بمقابر السادة بها.

وممن رحل إلى الهند من فضلاء العلويين واشتهر بها السيد زين بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله المعروف بجمل الليل. ارتحل إلى الديار الهندية ودخل بندر سورت وأخذ فيه عن العلامة محمد بن عبد الله العيدروس، ثم حج في سنة ١٠١٧هـ وعاد إلى الديار الهندية. ولما مات شيخه العيدروس اجتمع بالوزير الأشهر الملك عنبر فقابله بالإكرام والتقدير والاحترام، ثم رحل إلى المدينة المنورة فسكن بها، وكان ذا أخلاق عالية، أجمع أصحابه أنه لم يغضب على أحد ولم يدع على أحد، وكان كثير الإنفاق دائم الإطعام للطعام حتى ركبه دين فسمع بذلك بعض وزراء الهند من محبيه فأرسل له مركباً مشحوناً بالمؤن لقضاء ما عليه من الدين، فوصل إلى جدة يوم وفاته. توفي سنة ١٠٨٥هـ ودفن بقبة أهل البيت بالبقيع.

وممن قصد إقليم الدكن بالهند الإمام شيخ بن عبد الله العيدروس (٩٣٣-١٠٤٣هـ) وقد اجتمع بالوزير الأعظم عنبر وسلطانه برهان نظام شاه، وحصل له عندهما جاه عظيم، ثم قصد السلطان عادل شاه فأجلّه وعظمه وعظم أمره في بلاده، وكان لا يصدر إلا عن رأيه، وكان السلطان رافضياً فما زال به العيدروس حتى أدخله في عداد أهل السنة، ولما رأى أهل تلك المملكة انقياد السلطان إليه أقبلوا عليه وهابوه. وله مؤلفات عديدة، ولما توفي السلطان عادل شاه رحل العيدروس إلى دولة أباد وأكرمه بها الوزير الأعظم فتح خان ابن الملك عنبر. وتوفي بدولة أباد من بلاد الهند.

أما السيد محمد بن عبد الله بن شيخ بن عبد الله العيدروس صاحب أحمد أباد وسورت فقد ولد بتريم سنة ٩٧٠هـ. ولما أكمل تعليمه بتريم طلبه جده شيخ بن عبد الله العيدروس المقيم بأحمد أباد من بلاد الهند فرحل إليه ولازمه. ولما مات جده في سنة ٩٩٠هـ قام بمقام جده، ثم رحل من أحمد أباد إلى بندر سورت واستوطنه، وعرف قدره وكرمه سلطانها وأجرى عليه ما يكفيه. وفي خلاصة الخبر[١] أنه كان له عند السلطان جاه عظيم وكان زاهداً في الرئاسة حافظاً لأوقاته، فلا يقضيها إلا في ذكر أو فكر أو تدريس أو مطالعة أو قراءة قرآن، وقام بمنصب جده أتم قيام، وكان كريماً كثير العطايا باذلاً ماله وجاهه في إيصال النفع للخاص والعام من المسلمين، مع المواظبة على إطعام الطعام وصلة الأرحام. توفي ببلدة سورت بالهند سنة ١٠٠٣هـ.

وأما السيد شيخ بن محمد الجفري[٢] فقد ولد بتريم في أجواء عام ١١٣٧هـ وبدا رحلة الغربة منذ السنة التاسعة من عمره، وتنقل بين الأقاليم والمدن حتى استوطن مدينة كاليكوت من إقليم المليبار بالهند.

ويقول عنه تلميذه الشيخ العلامة عبد الله باسودان إنه اتجه في بداية أمره للمنهج التجاري إلا أنه لم يرتح لهذا الاتجاه فتركه، واشتغل بالعلوم والتصوف، وكان نضوجه العلمي والصوفي على شيخه السيد محمد بن حامد السقاف صاحب الوهط المقيم بمليبار.

وكان كثير التردد من المليبار إلى الحرمين الشريفين ناسكاً ومقيماً بمكة والمدينة والطائف مدداً، ومر بمسقط ودخل باليمن مدينة زبيد وغيرها، وتوجه من الحجاز إلى الشام وفلسطين ومصر. وقد تعرض للكثير من الأذى والمكدرات فصبر عليها صبراً جميلاً، وتوفي بمدينة كاليكوت عام ١٢٢٢هـ، وعلى ضريحه قبة عظيمة كثيرة الازدحام بالزائرين. (انتهى باختصار).

---

(١) عمر بن علوي الكاف، خلاصة الخبر، دار المنهاج، صفحة ٥٠.

(٢) عبد الله بن محمد السقاف، تاريخ الشعراء الحضرميين، الجزء الثاني، صفحة ٢١٨-٢٢٢.

اما السيد عبدالله بن حسين بن محمد باقفيه العلوي فقد عمل وزيراً لملك كنور بالهند، وقد ولد بتريم ثم سافر إلى الهند وجال فيها، ثم قصد مدينة كنور في عنفوان شبابه فرغب الوزير عبد الوهاب في مصاهرته، فزوجه ابنته وولاه الوزارة وشاع ذكره وتولى المهام، وله مؤلفات وأيادٍ بيضاء وكرم وإحسان، ومات وهو في الوزارة.

الملك عنبر ملك الهند والسادة العلويون



مسجد عنبر بمدينة سيؤن بعد تجديده وهو من أوقاف السلطان عنبر

الملك عنبر شنببو سنجس خان ملك من ملوك الهند العظام وهو وزير الهند ومرجع أهله، تنقلت به الأحوال حتى صار من عساكر عادل شاه صاحب بيجافور من إقليم الدكن، وكان ينفق المال فلا يكفيه لعظيم جوده فاستزاده من الوزير الأعظم فلم يزده ففارق عادل شاه مفلساً وخرج معه السيد علي بن علوي الحداد باعلوي ثم وصل به الحال إلى أنه لم يكن يقدر على نفقة يومه، ثم أخبر بحاله السيد علي بن علوي الحداد فدعا له الله تعالى بتيسير أموره ثم اتسع بعد ذلك أمره، وكثر عساكره وأتباعه، ولا زال أمره يرتفع حتى ملك بلاداً

كثيرة، وكان كلّما ملك بلداً أو قرية أحسن إلى الرعايا وأظهر العدل والإحسان ونصب قاضياً للأحكام الشرعية، وحاكماً للسياسة المحلية، ثم لما علم بأمره السلطان حسين نظام شاه وهو من سلاطين الدكن استدعاه إلى مقر سلطنته دولة أباد، إلا أن السلطان عنبر لم يتوافق مع الوزير الأعظم للسلطان حسين الذي كان كافراً ولكنه كان شجاعاً فاتكاً كثير الأموال والجيوش، وكان متسلطاً على أمور المملكة، وعجز الملك عنبر عن قهره فصار يداريه ويترصد له حتى قتله على حين غفلة، وتولى الوزارة العظمى مكانه، ولما مات السلطان حسين نظام شاه عقد ولايته لولده وكان صغيراً، فاستبد الوزير عنبر بأمر المملكة وأزال المظالم وعمر البلاد وأخمد الفتن وعمّر المساجد والمآثر وكان موفقاً في حروبه وغزواته مسدداً في رأيه وأحواله إلى أن توفاه الله في سنة ١٠٣٥هـ.

وكان السلطان عنبر كثير الإحسان إلى السادة العلوية وأهل العلم ولمن قصده من الناس من جميع البلدان فغمرهم بإحسانه خصوصاً أهل تريم من السادات، وكان يحمل كل سنة إلى تريم من الأموال والكسوات للسادة والمشايخ والفقراء ما يكفيهم لسنة كاملة، وكان له ديوان مرتب باسم أرباب الرسوم والحاجات. ووقف أوقافاً بتريم. ولا يزال له مسجد بسيون يعرف إلى اليوم بمسجد عنبر. وللسلطان عنبر أخبار كثيرة موجودة بكتاب عقد الجواهر والدرر في أخبار القرن الحادي عشر للسيد العلامة الفقيه محمد بن أبي بكر الشللي العلوي الحضرمي.

وكما عرفنا من المقدمة التاريخية فقد اكتسب العلويون احترام ملوك الهند ومحبة الشعب الهندي، وبقيت علاقة السادة العيدروس قوية بالهند، وربما إلى يومنا هذا، وتولى منهم بعض آل العيدروس مناصب كبيرة بالهند، وذكر بن عبيدالله في أدام القوت[1] نقلاً عن ابن حميد أنه وصلت دراهم من الهند في أيام القطب عبد الله الحداد (١٠٤٤-١١٣٢هـ)، فأمر الحداد بإحصائهم فبلغوا نحواً من ألفين بعد الصغار والكبار والذكور والإناث من السوم شرقاً إلى

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صفحة ١٩٠.

هينن غرباً. ولقد استفادت الهجرات الحضرمية من سمعة العلويين ونفوذهم الديني بالهند مما مكّن الحضارم من الاستمتاع باحترام وتقدير الهنود، وسهل عليهم تبوء المراكز الرفيعة وجمع الأموال الوفيره مما شجع على تدفق موجات جديدة من الهجرة الحضرمية إلى قارة الهند.

هذا ولم يبخل العلويون على إخوانهم الحضارمة بالمساعدة وتسهيل الأمور، ولهذا نجد أن السلطان غالب بن محسن الكثيري عندما وصل الهند في سنة ١٨٣٠م استقر أولاً في بلدة صولافور عند الجمعدار علوي بن سالم العيدروس[١].

وممن أقام بحيدر أباد الدكن من العلويين المتأخرين العلامة أبو بكر بن شهاب المولود بتريم سنة **١٢٦٢هـ** ومكث فيها أكثر من عشرين سنة، وكون فيها أسرة، وكان محط آمال الجميع بها ومطمح أنظارهم وزعيمهم العلمي والأدبي، وكان له اتصال برؤساء الحضارم بالهند، وذكر السلطان غالب بن عوض القعيطي أن ابن شهاب عين شاعراً عربياً لبلاط ملك حيدر أباد السادس المسمى مدير محبوب علي خان وأستاذاً ومصححاً لأشعاره بالعربية[٢].

وقد عاد ابن شهاب إلى حضرموت سنة **١٣٣٢** وقد بلغ من الكبر عتياً، وقوبل بالتجلّة والاحترام، ثم عاد بعد حوالي عامين إلى حيدر أباد لينقل أسرته منها إلى حضرموت، ولكن حال دون ذلك قيام الحرب العالمية العظمى، فبقي في حيدر أباد حتى وافته المنية سنة **١٣٤٧هـ**[٣].

كما كان للحبيب محمد بن طاهر الحداد جاه كبير وقدر عظيم بالهند، وأسلم على يده كثير من الناس، ولما سافر للهند لقضاء دين ركبه بحضرموت لاقاه السلطان عوض بن عمر

---

(١) ثابت صالح اليزيدي، الدولة الكثيرية الثانية في حضرموت، دار الثقافة العربية، صفحة **٨٩**.

(٢) السلطان غالب بن عوض القعيطي، تاملات عن تاريخ حضرموت، صفحة **٩٥**.

(٣) محمد بن أحمد الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي، الناشر عالم المعرفة، صفحة **٤٤٩-٤٦٣**.

القعيطي واستعد لإنزاله بقصره، وعمل لقدومه ضيافة عظيمة إلا أنه بتاثير العلامة أبي بكر بن شهاب والعلامة محمد بن عقيل بن يحيى أعرض عن الذهاب إلى السلطان القعيطي[١].

ومن مكارم الحبيب محمد بن طاهر ما ذكره السيد حسين بن حامد العطاس قال: قبضت له خمسة آلاف روبية هندية، فما زال يحيل عليها حتى نفدت في مكارم الأخلاق في أربعة أيام، وقصده من لا يؤبه له من فقراء العلويين في وجه عيد يؤمّل منه ريالاً أو ريالين، فدفع له كل ما يجده من النقد يومئذ ومقداره ستون ريالاً، فوجم لها السيد حتى اشتبه الأمر عليه بالأحلام وكاد يقضي من الفرح[٢].

ومن أخبار العلويين بالهند ما ذكره بن عبيد الله من أنه اجتمع للسيد حسين بن عمر بن هادون العطاس من الهند مال وفير يقدر بسبعين ألف روبية فدفعها لصاحب له من الهنود ليصرفها ريالات، فاختلسها الهندي بأسرها ولم يقف له السيد حسين على أثر، فتعب لذلك تعباً شديداً أثّر في صحته ولم تطل بعدها أيامه بعد وصوله إلى حضرموت[٣].

وقد استمر احترام سلاطين الهند للعلويين إلى وقت قريب فقد ذكر بن عبيد الله في ديوانه[٤]: ولما كنت في حيدر أباد الدكن سنة ١٣٤٩ عمل لي رئيس الوزارة مأدبة فاخرة حضرها سائر الأمراء والأعيان، واقترح علي تاريخ وقت الاجتماع والتعارف لولعهم بذلك فقلت من غير طول تلبث:

نسج الكمال من العلى ديباجا ... وكساه من أجرى الحيا الثجاجا

صدر الصدور يمين سلطنة الهدى ... وسراج ليل ظلامها الوهاجا

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صفحة ١٩٠.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ١٠.

(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ١٠.

(٤) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، الديوان، مطبعة لجنة البيان العربي، صفحة ٣٥٧.

هذا، وقد عمل بعض العلويين بالسلك العسكري بالهند وذكرنا سابقاً الجمعدار علوي بن سالم العيدروس الذي قصده السلطان غالب بن محسن الكثيري عند وصوله الهند لأول مرة، كما كان من الضباط العلويين لدى نظام حيدر أباد في زمن الحرب العالمية الثانية الجعمدار أحمد بن محضار العيدروس، وذكر السلطان غالب بن عوض القعيطى أن العيدروس كان آخر قائد للجيش النظامي في حيدر أباد[١]، وقال بن عبيد الله في أدام القوت[٢] عن الجمعدار أحمد بن محضار العيدروس إنه كان قائداً محنكاً عند نظام حيدر أباد الدكن، ولما استفحل أمر اليابان في بورما في الحرب الأخيرة وطفح سيلها وامتد ذيلها ضاق صدر الإنجليز فاستنجد بحكومة حيدر أباد فأمدته بالعيدروس فأعطاه الإنجليز القيادة العامة، ورمى به اليابان في بورما ففل نابها وقطع أسبابها وأظهر شجاعة خارقه وتدبيراً حازماً، وكلل الله أعماله بالنجاح حتى لقد سمعت أن ملك الإنجليز رسم بعشرين نيشاناً لتلك الجيوش فحاز هو وعسكره منها سبعة عشر، ولم يقع لبقية الناس إلا ثلاثة أوسمه منها فقط، والله اعلم. وله إلى جانب ذلك البأس أخلاق فاضله وغيرة على العروبة ودفاع عنها فإن انضم إلى ذلك انتهاء عن المحظورات وقيام بفرائض العباده فقد كمل (انتهى).

وقد تولى الجنرال أحمد بن محضار العيدروس قيادة الجيش الذي استقدمته بريطانيا من الهند إلى حضرموت للقضاء على بن عبدات بالغرفة، وفيه من المدافع الضخمة والدبابات الهائلة والسيارات المصفحة بالفولاذ ما تتفسخ له العقول[٣]. وفي اختيار الجمعدار العيدروس لقيادة هذا الجيش يتبين ما عرف به الإنجليز من الدهاء والسياسة.

---

(١) السلطان غالب بن عوض القعيطي، تاملات عن تاريخ حضرموت، صفحة ٩٤.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صفحة ٤٢٠.

(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صفحة ٣٤١.

وذكر السلطان غالب بن عوض القعيطي[1] بعض أسماء لعلويين آخرين اشتهروا بالهند، فقال: منهم حالياً السيد مجتبى بن جعفر بن حسين العيدروس، ويتمتع ـ كما كان أسلافه سابقاً ـ باحترام وتقدير الصغير والكبير والمسلم والهندوكي، ومن آل الشيخ أبو بكر بن سالم الحبيب أبو بكر الذي كان قائداً للحرس الملكي، كما اشتهرت هذه الأسرة مؤخرًا بتقديم اثنين من لاعبي (الكريكيت) للولاية وهما: الأخوان أحمد ومحمد أبناء الزعيم محسن، كما كان ياور (مرافق) أول رئيس لجمهورية الهند الدكتور راجندرا براشاد من آل العطاس، ومن آل مديحج اشتهر السيد عبد الله الذي نال عدة جوائز أدبية (انتهى).

* * *

(١) السلطان غالب بن عوض القعيطي، تأملات عن تاريخ حضرموت، صفحة ٩٥.

الفصل الخامس بعد المائة

جامو وكشمير[١]



(١) ملخص من الموسوعة العربية العالمية، المجلد الثامن صفحة ١٥٨-١٦٣.

جامو وكشمير منطقتان تقعان في أقصى شمال الهند وتشكلان حالياً ولاية واحدة داخل جمهورية الهند. وكشمير منطقه جبلية وهي أكبر ولايات الهند في منطقة الهملايا، ولها حدود دولية مع باكستان والتبت والصين، وتتكون كشمير من ثلاث مناطق مختلفه هي: وادي كشمير الذي يقع جنوب جبال الهملايا، ثم منطقة جامو في جنوب كشمير والمنطقة الثالثة هي اللاداخ الواقعة في شمال كشمير.

ويبلغ عدد السكان ٧,٧١٨,٧٠٠ ومساحة الولايه **٢٢٢,٢٣٦** كم وأكبر المدن سرينجار وجامو وليه وكارجيل والعاصمة الصيفية سرينجار والشتويه جامو.

وتختلف المناطق الثلاث في الطقس والجغرافيا والثقافة والتكوين العرقي فأغلبية سكان جامو من الهندوس، بينما أغلبية أهل كشمير من المسلمين. ولغة الولاية الكشميرية والبنجابية هي اللغة الأردية، أما منطقة اللاداخ التي تعرف باسم التيبت الصغرى فسكانها بوذيون من أصول التيبت ويتكلمون لغة مختلفة.

ويعتمد سكان جامو وكشمير على الزراعة إلا أن ٢٠٪ فقط من أراضي الولاية مزروعة بالمحاصيل والفواكه والخضروات، كما أن وادي كشمير هو المنتج الوحيد في آسيا للزعفران الذي يستخدم في تلوين الطعام وإعطائه نكهة خاصة، ويربي المزارعون الأغنام والضأن وأبقار التيبت الضخمة، وتشتهر كشمير بالمعز والضأن وينتج الكشميريون الصوف الكشميري الناعم (المسمى باشمينا) المشهور بالجودة العالية.

وبكشمير مطارات متعددة. وجامو هي مركز السكة الحديدية لكشمير والتي تربطها بالمدن الهندية الأخرى وقد استثمرت حكومة الهند استثمارات ضخمة في المواصلات. وبكشمير واحد من أطول الأنفاق الآسيوية، وهو نفق جواهر لال نهرو الذي يربط بين جامو ووادي كشمير.

وتقع جامو في الجنوب على حدود البنجال، وتشكل المنطقة الانتقالية بين السهول والجبال، أما وادي كشمير فتحده جبال الهملايا من الخلف وجبال بير بانجال من الأمام،

وتقع سلسلة جبال زانكسار ولاداخ إلى الشمال من جبال الهملايا. وبالمنطقه كثير من الأنهار والبحيرات، وينبع نهر السند وهو أكبر أنهار آسيا من التبت. وتعيش في منطقة جامو وكشمير الكثير من الحيوانات النادرة والثدييات التي لا توجد إلا في لاداخ، وأكثر من مائة نوع من الطيور.

تاريخ كشمير

وصلت طلائع العرب إلى كشمير في وقت مبكر، وذلك في القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) إلا أن العرب لم يتمكنوا من دخول كشمير رغم محاولاتهم المتكررة إلا على يد المسلمين الأفغان والأتراك الذين تمكنوا ابتداءً من القرن السابع الهجري من فتح كشمير وتربع السلطان شمس الدين على حكم كشمير، واستمر خلفاؤه من بعده في حكم كشمير، وقام بنشر الإسلام في جميع أنحائه، واشتهر منهم السلطان زين العابدين (٨٢٣-٨٧٦هـ) الذي تبنى نشر التعليم والفنون، وكانت له صلات ودية مع الهندوس.

ثم تمكن أحد الهندوس من تأسيس مملكة في لاداخ في سنة ٩٦١هـ وجعل مدينة (ليه) عاصمة له، ثم تمكن الإمبراطور المغولي أكبر في سنة ٩٩٧هـ من إقامة مملكة في كشمير، وقام خليفته جهانجير الذي حكم بين ٩٩٧ -١٥٨٨هـ بتجميل وادي كشمير وغرس الأشجار وإنشاء الحدائق والمنتزهات، وساعد الإمبراطور المغولي المسلم حاكم لاداخ في مقاومة الغزاة مقابل إتاوة يدفعها ومقابل أن يبني مسجداً ببلده.

ثم ضعفت قوة المغول المسلمين في كشمير في القرن الثامن عشر الميلادي وحلت فترة من الاضطراب وعدم الاستقرار، وبعد سنة ١٧٨٠م سيطر الهندوس على ولاية جامو الصغيرة وتحالفوا مع السيخ، بينما سيطر الزعماء الأفغان على ولاية كشمير وفي عام ١٨١٩م غزا مهراجا جامو الهندوسي كشمير وضمها إلى ملكه بعد أن سفك من دماء المسلمين الكثير وأحرق المساجد كما قام بغزو إقليم لاداخ.

وفي سنة ١٨٤٥-١٨٤٦م هزم البريطانيون السيخ واستولوا على كشمير، ثم تنازلوا عن كشمير لمهراجا جامو الهندوسي مقابل أن يدفع للبريطانيين مبلغاً كبيراً لمدة مائة عام تنتهي سنة ١٩٤٦م وظل المسلمون طوال هذه الفترة يعانون الاضطهاد تحت سمع وبصر البريطانيين الذين أقروا الوضع وبقي المهراجا الهندوسي حاكماً لجامو وكشمير حتى استقلال الهند سنة ١٩٤٧م.

وعند تقسيم القارة الهندية بين الهندوس والمسلمين رفض المهراجا الانضمام إلى الهند أو الباكستان وأراد أن يستقل بالبلاد تحت حكمه غير أن أهالي كشمير الذين يبلغ المسلمون منهم نسبة ٨٠٪ ثاروا عليه مطالبين بالانضمام إلى باكستان، فهرب المهراجا إلى الهند، وطلب تدخلها في كشمير فأرسلت حكومة الهند بجيشها إلى كشمير، وأرسلت الباكستان بجيشها لحماية المسلمين، وقامت الحرب بين الطرفين، واستمرت مستعرة حتى عام ١٩٤٨م حيث اتفق الطرفان على وقف إطلاق النار وشكل خط وقف إطلاق النار الحدود الفاصلة بين الهند وباكستان، وبقيت المشكلة لعدم موافقة الهند على أي من الحلول المقترحة ومنها جراء استفتاء عام في كشمير ليقرر السكان مصيرهم، كما رفضت الهند مقترحات الأمم المتحدة، وما زال السكان المسلمون يعانون انتهاكات حقوق الإنسان في كشمير.

وفي سنة ١٩٥٩م نشبت الحرب مرة ثانية بين الهند وباكستان بسبب كشمير، وتمكنت الهند في هذه الحرب من الاستيلاء على ثلث مساحة كشمير المسلمة وعلى نحو أربعة أخماس سكان البلاد، بينما احتفظت باكستان بجزء صغير من كشمير يسمى كشمير آزاد أي كشمير الحرة. ثم تجدد النزاع العسكري بين الهند وباكستان على كشمير سنة ١٩٦٥م ثم مرة أخرى سنة ١٩٧١ وفي يناير من سنة ١٩٩٠ بدأت حركة الجهاد الكشميري، وتوحدت الهيئات الإسلامية في هيئة واحدة باسم الجبهة الإسلامية المتحدة لمواجهة تحديات الهندوس (انتهى النقل من الموسوعة).

هذا ويعتقد المؤلف أن الهند التي تتطور حالياً إلى مصاف الدول الكبرى لا بد أن

تصل إلى حل لقضية كشمير يُرضي المسلمين إرضاءً تاماً وإلا فإن تطورها الاقتصادي سيتعثر، وطموحها للوصول إلى نادي الدول العظمى سيتعطل، والسبب أن مشكلة كشمير ستبقى بؤرة قلق في الجسم الهندي، ولن تستطيع الهند بكل ما أوتيت من قوة أن تواجه المسلمين الهنود وحلفاءهم الأفغان. وقد رأينا الأفغان على ضعفهم وقلة عددهم يهزمون أكبر إمبراطوريات العصر، فقد هزموا الإمبراطورية البريطانية في القرن التاسع عشر وهزموا الإمبراطورية السوفييتية في القرن العشرين، وهزموا الإمبراطورية الأمريكية ومعها كل أوروبا في القرن الواحد والعشرين.

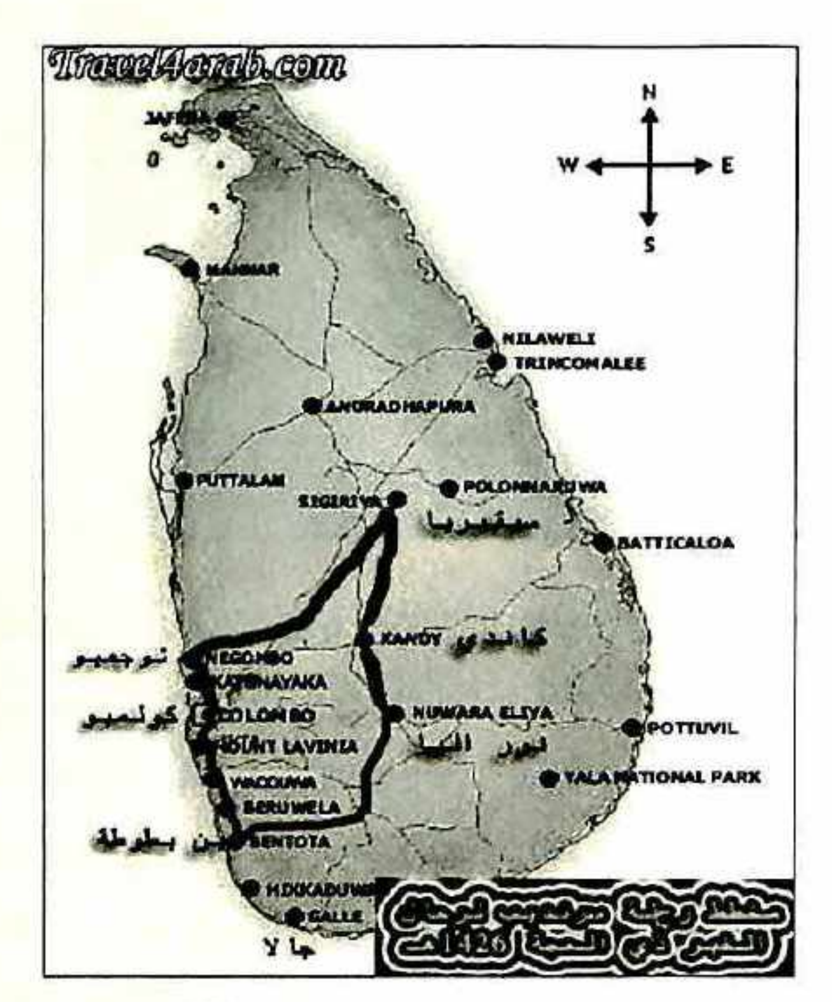
وعما قريب سيغادر الغزاة أفغانستان، وسيجد المقاتلون الأفغان الأشداء أنفسهم بلا عمل، وسيجدون في مشكلة كشمير ما يملأ وقت فراغهم، ولهذا فعلى الهند أن تسارع بحل مشكلة كشمير قبل فوات الأوان، وعليها أن تلبي كل طلبات المسلمين، وستكون بذلك قد حققت لنفسها فائدتين: أولاهما عسكرية وهي إغلاق باب للقلاقل والحروب لا يمكن أن تكسب فيه الهند، وسيقضي على كل مدخراتها المالية وثانيتهما اقتصادية، وهي أن الهند ستجد في البلاد الإسلامية سوقاً واسعة لمنتجاتها وخدماتها، وستحقق بذلك مكاسب مزدوجة.

أما إذا ركب الساسة الهنود رؤوسهم فلا نستبعد فترة من القلاقل والحروب تستنزف اقتصاد الهند وتعرقل نموها. وقد يعبر قائد أفغاني الحدود إلى شمال الهند، كما عبر القائد أكبر أو نادر شاه في القرون الماضية، وعندها لن يتحرك العالم لمساعدة الهند بعد أن تعلمت الإمبراطوريات القوية من الأفغان درساً قاسياً.

❊ ❊ ❊

الفصل السادس بعد المائة

العلويون وجزيرة سيلان

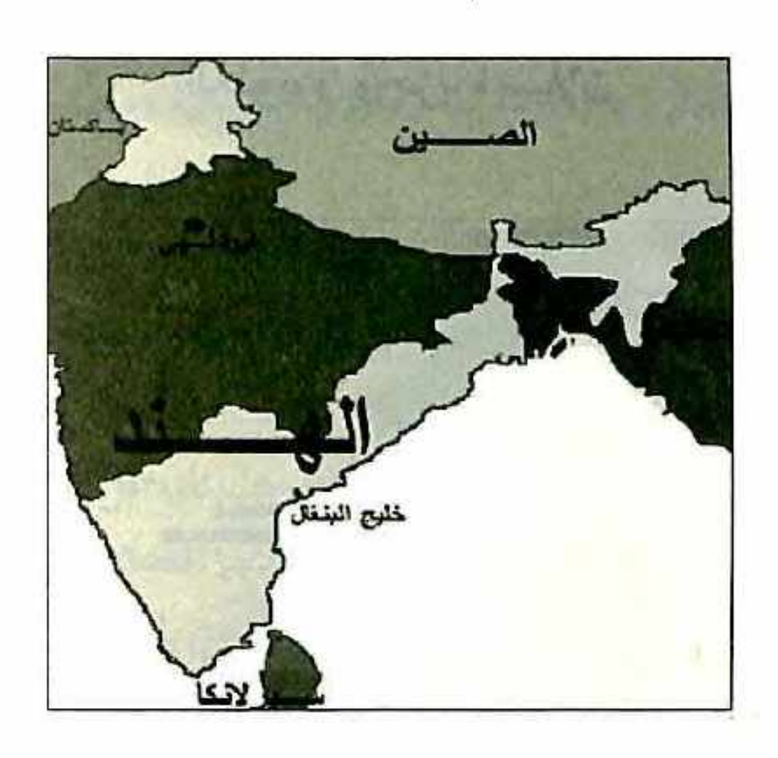


نبذة جغرافية عن سيريلانكا (سيلان)(١)

---

(١) ملخصة عن الموسوعة العربية العالمية الطبعة الثانية مجلد رقم ١٢ صفحة ٢٤٨-٢٤٩.

سيلان جزيرة جميلة تقع في المحيط الهندي على بعد ٣٢كم من الساحل الجنوبي الشرقي للهند وتسمى الآن جمهورية سيريلينكا الاشتراكية وكانت تعرف سابقاً باسم سيلان وباسم سرنديب وقد نالت استقلالها عام ١٩٤٨ بعد ٤٥٠ عاما من الاستعمار الأوروبي وعاصمة سيريلنكا ميناء كلومبو المزدحم بالسكان.



ويبلغ سكانها ثمانية عشر مليون ونصف نسمة ينتمون إلى سلالات عرقية مختلفة وأكبر السلالات هي السنهاليين الذين يشكلون نسبة ٧٤٪ من مجموع السكان وينحدرون من شمال الهند ولغتهم السنهاليه، ومعظمهم بوذيون يليهم التاميل الذين يشكلون ١٨٪ من مجموع السكان وينحدرون أيضاً من جنوب الهند، أما المور (أحفاد العرب) فيشكلون ثالث مجموعة عرقية في سيريلنكا ونسبتهم ٧٪ من مجموع السكان ويتحدث معظمهم لغة التاميل ويدينون بالإسلام. وينتشر في البلاد نظام تقسيم الناس إلى طبقات مغلقة، كما هو متبع في الهند والسكان في سيريلنكا متدينون بطبيعتهم حيث تكثر المساجد والمعابد في الريف وتبلغ نسبة البوذيين ٦٩٪ والهندوس ١٥٪ أما المسلمون فتبلغ نسبتهم ٨٪ .

ومساحة سيلان ٦٥,٦١٠ كم مربع والجزء الأوسط من البلاد جبلي والبقية سهول خضراء غنية بأنواع مختلفة من الأشجار والطيور والحيوانات، وتغطى الغابات الاستوائية معظم الأجزاء الجنوبية الغربية من سيريلنكا.

العلويون وسيلان



لقد وصل كثير من العلويين إلى سيلان واستقروا بها كما سنعلم فيما سيأتي من أخبارهم وقد وصلوا إلى سيلان على متن السفن الشراعية برحلات بدأوها من الشحر أو من بندر جدة بعد أداء الحج في رحلات طويلة يتكبدون فيها الأخطار الجسيمة ويصارعون فيها الموت في غبب البحار، ولكن ذلك لم يكن يثنيهم عن المضي في أسفارهم التي يبتغون بها اتخاذ الأسباب لكسب العيش، و ينتشر معهم الإسلام انتشاراً تلقائياً.

وذكر السيد أبو بكر المشهور في كتابه لوامع النور عن جده السيد علوي بن عبد الرحمن المشهور (١٢٦٣-١٣٤١هـ) أنه كان له شغف بسيلان ومحبة كبيرة لها و يطلق عليها جنة الدنيا لما فيها من الجمال الفطري والأفنان والحدائق وكان يقول أن كل شيء فيها مكسو

بالخضرة والشجر. يعتبر الحبيب علوي بن عبد الرحمن المشهور من أوائل من وصل إلى سيلان من العلويين وتكرر إليها سفره عدة مرات و إذا عاد إلى تريم شرع في تقديم ألوان البر والإحسان إلى الفقراء والمساكين والأرامل والأيتام حتى يفنى ما جمع من مال وتتراكم عليه الديون ولا يرضى في أشد حالات العوز والحاجة أن يطلب مساعدة الأثرياء من الكاف بتريم ويقول قولته المشهورة: «غُبَب سيلان ولا منترة هاشم!»، أي: أن أهوال المحيط إلى سيلان أهون من الذهاب إلى دار الكاف لطلب المساعدة[1].

وقال السيد أبو بكر المشهور إن جده الحبيب علوي المشهور أسس بسيلان لآل المشهور مكانة رفيعة وذكراً حسنا ببركة همته وحسن أخلاقه وسعة علمه كما أقام في نواحي هذه الجزيرة الكثير من المدارس والمجالس والحضرات ذات الصبغة المشتركة بين الطريقه الشاذلية المنتشرة بسيلان والطريقة العلوية المعتدلة التي أدخلها الحبيب علوي المشهور إلى سيلان كما قام الحبيب علوي بن عبد الرحمن المشهور بالاصلاح بين أهل الطرق الصوفية بسيلان وكتب لهم العديد في المدائح النبوية والقصائد الشعرية التي يرددونها في حضراتهم إلى اليوم كما أنه قام بسيلان بالتدريس والتعليم والنفع العام وله بالهند وسيلان المئات من الطلبة والمريدين والأخذين عنه كما اعتني كثيراً بهداية الفئات الوثنية إلى الإسلام فأسلم على يده كثير من عباد البقر والشنقلا والبانيان وغيرهم.

وقال السيد أبو بكر المشهور في لوامع النور ثم جاء بعد الجد علوي ولده السيد أبو بكر بن علوي المشهور وقام بالأمر والدعوة إلى الله بسيلان خير قيام وشيد المساجد وأسلم على يديه الكثير من الوثنيين كما انتقل بعض آل المشهور من تريم إلى جزيرة سيلان حيث استوطنوها واستقروا بها ومنهم السيد محمد بن أبى بكر بن علوي المشهور الذي استقر في العاصمة كولمبو واعتني بالعلم والدعوة إلى الله وبني بها مسجداً لا زال موجوداً إلى اليوم ومات بسيلان ودفن بها وكذلك أخوه السيد عمر بن أبي بكر بن علوي المشهور الذي مكث

---

(١) أبو بكر المشهور، لوامع النور، دار المهاجر للنشر والتوزيع، صفحة ١.

في سيلان داعياً ومعلماً ما شاء الله له أن يمكث ثم رحل عنها إلى جاوة واستقر في فلبانغ وتزوج وأنجب وتوفي بها ثم لحق بهما أخوهما أحمد بن أبي بكر بن علوي المشهور الذي استقر ايضا في سيلان متنقلا بين بلادها داعياً إلى الله ومعلماً ومرشداً.

وقال السيد أبو بكر المشهور في لوامع النور أيضاً: وممن سافر للدعوة إلى الله إلى سيلان بعد هؤلاء كل من سيدي الوالد على بن بكر المشهور وأخيه علوي بن أبي بكر بن علوي المشهور وزار كثير من تلك القري والمدن التي انتشر بها أثر وخبر الجد أبا بكر ووالده.

ونعرف من كلام الحبيب علوي بن عبد الرحمن المشهور أسماء بعض السادة المقيمين بسيلان ممن قابلهم في زياراته الذي قال: ولما وصلنا بلدة ديلكام من جزيرة سيلان حصل الاتفاق بالسادة العلويين الأعيان من آل هاشم وآل الحبشي والبار والسقاف وآل زاهر[1] مثل السيد عمر بن عبد الله الزاهر[2] المقيم بمينة كلومبوا بسيلان.

وفي لوامع النور[3] أيضاً أن السيد عمر بن أحمد بافقيه كان من أوائل العلويين الذين زاروا سيلان وأقاموا بها ولعله تعرف في مكة أثناء الحج ببعض وجهائها فطلبوا منه الوصول لبلدهم لنشر العلم فرحل إلى سيلان ووجد غالبية أهلها على الطريقة الصوفية الشاذلية فاستأنسوا به وقدموه وأعجبتهم الطريقة العلوية وتأثر بها العديد من السيلانيين فارتبطوا بالطريقة العلوية بواسطة بافقيه وتعلموا أوراد العلويين وأذكارهم المعروفة.

وقد التقى الحبيب علوي بن عبد الرحمن المشهور في رحلاته إلى سيلان بأخيه السيد عمر بافقيه في سيلان كما تقابلا في مكة عدة مرات حيث كان هناك تشابه بين الاثنين فكلاهما من أصحاب الرحلات المتعددة لأصقاع العالم المختلفة.

---

(١) أبو بكر المشهور، لوامع النور، دار المهاجر للنشر والتوزيع، صفحة ١٥٧.

(٢) أبو بكر المشهور، لوامع النور، دار المهاجر للنشر والتوزيع، صفحة ٢٤٢.

(٣) أبو بكر المشهور، لوامع النور، دار المهاجر للنشر والتوزيع، صفحة ٣٣٤.

وذكر الأستاذ محمد باذيب [1] أن الأستاذ أحمد بن عمر بافقيه وصل إلى جزيرة سيلان بطلب أبيه عام ١٣٤٦هـ كي يخلفه في مشيخة الطريقة العلوية في كولمبو عاصمة سيلان ولكن لما وصل الشاب المتعطش للأدب والصحافة إلى كولمبوا على متن سفينة شراعية استقبل بما يليق بشيخ المستقبل للطريقة القادرية العلوية إلا أنه لم يرغب في الزعامة الدينية وتسلل مع جماعة من الحضارمة على سفينة شراعية وسافر معهم إلى سنقفورا حيث التحق بالعمل لدى أسرة الكاف الثرية بسنقفورا واتجهت به الحياة في دروب مختلفة عن ما رسمه له والده وقد ذكرنا بعض أخباره فصل الصحافة بهذا الكتاب.

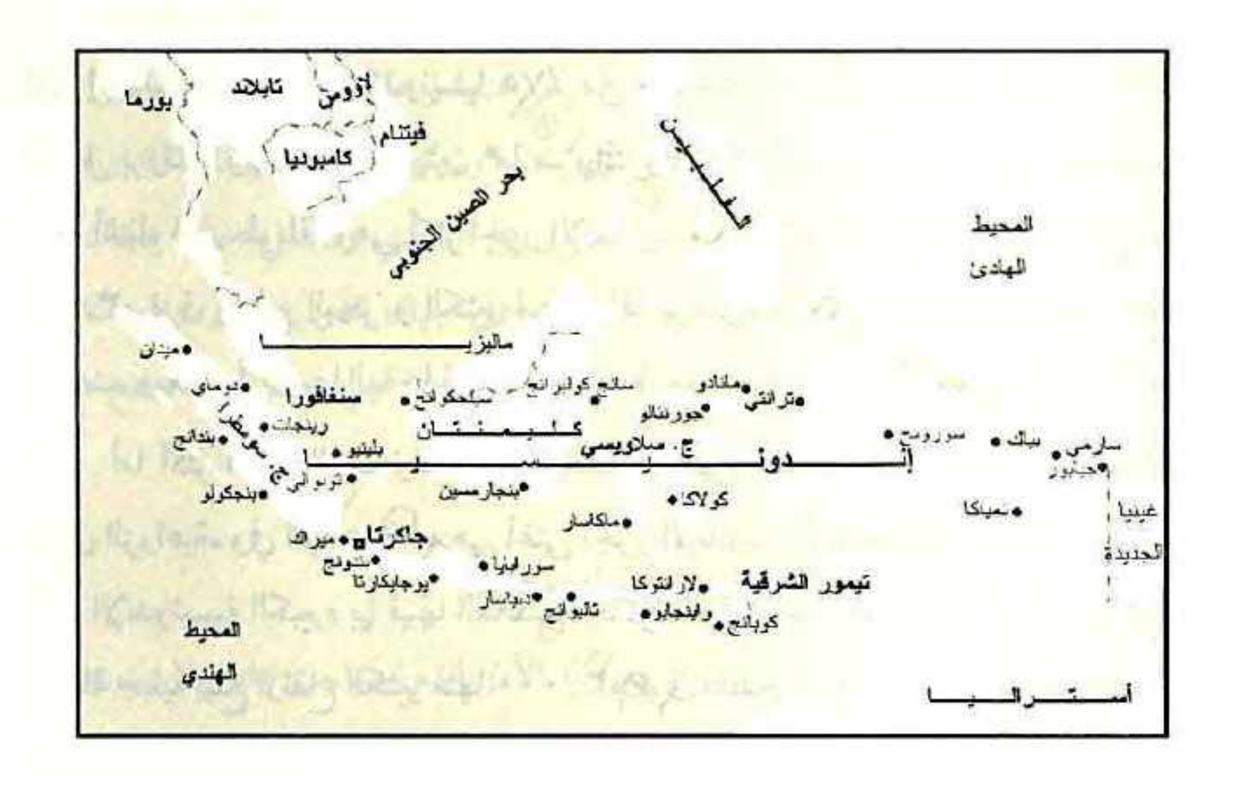
ومما يدل على تأثير العلويين على أهل سيريلانكا ما ذكره العم محمد بن عبد القادر السقاف يرحمه الله والذي زار سيلان في الستينات الميلادية في رحلة عمل رسمية فأعجب بجمال طبيعتها أشد الإعجاب وحضر بالصدفة حفل زواج وفوجئ بأن حفل الزواج مشابه جداً في الأغاني والزفين لما هو في حفلة الدهينة بحضرموت وتصور وهو يحضر ذلك الحفل وكأنما هو عاد إلى حضرموت ليحضر حفل زواج (الدهينة) بسيؤون.



(١) محمد أبو بكر باذيب، السيد أحمد عمر بافقيه، دار الفتح للدراسات والنشر، صفحة ٩٥-١١٧.

الفصل السابع بعد المائة

جغرافية وتاريخ إندونيسيا



يقسم الجغرافيون الجزر الإندونيسية التي يتجاوز عددها ١٣,٦٠٠ جزيرة إلى ثلاث مجموعات. هي جزر سوندا الكبرى و جزر سوندا الصغرى. وجزر المولو كاس. كما تشمل إندونيسيا الحالية إيريان جايا والتي تشكل جزءاً من غينيا الجديدة.

وتشمل مجموعة جزر سوندا الكبرى كلاً من جزر بورنيو وسولاويسي وجاوة وسومطرة ويعيش معظم سكان إندونيسيا في هذه الجزر، كما يتركز فيها معظم النشاط الاقتصادي للبلاد.

وتعتبر بورنيو ثالث أكبر الجزر في العالم بعد جرينلاند وغينيا الجديدة، وهي ليست كلها إندونيسية، بل تملك إندونيسيا ٧٥٪ من مساحتها أما الجزء المتبقي (الجزء الشمالي) فيشمل بروناي وولايتين ماليزيتين هما سرواك وصباح. أما جزر سولاويسي فتتألف من أربعة أشباه جزر طويلة، وهي أكثر الجزر الإندونيسية وعورة، إذ يبلغ متوسط ارتفاع جبالها ٣.٠٠٠م فوق سطح البحر.و الكثير من جبالها بركاني، وبعضها نشط. وتغطي معظمها الغابات. وبعض أراضيها الداخلية خصبة. ويعمل سكان السواحل في صيد الأسماك.

أما أكثر الجزر الإندونيسية كثافة بالسكان فهي جزيرة جاوة وتنتشر فوقها آلاف القرى الزراعية، وفي الوقت نفسه هي أغنى الجزر الإندونيسية بالصناعة. وعليها تقع معظم المدن الإندونيسية الكبيره بما فيها العاصمة جاكرتا. وتمتد عبر جاوة من الشرق إلى الغرب سلسلة جبلية يبلغ ارتفاع الكثير منها ٣,٠٠٠م فوق سطح البحر. أما جزيرة سومطرة فهي سادس كبرى الجزر في العالم وتمتد فيها جبال باريسان التي تعلوها سلسلة من القمم البركانية على امتداد الساحل الجنوبي الغربي.

والمجموعة الثانية من الجزر الإندونيسية هي جزر سندا الصغرى. وتمتد من بالي باتجاه الشرق نحو ١.١٠٠كم إلى تيمور. وتضم بالي غالبية السكان وفيها كبرى مدن هذه الجزر ومعظم المدن ساحلية، وتعتبر مراكز تجارية. وتيمور هي كبرى جزر هذه المجموعة. وتشمل هذه المجموعة من الجزر عدة جبال أعلاها جبل رنجاني على جزيرة لومبوك.

أما المجموعة الثالثة من الجزر الإندونيسية فهي جزر المولو كاس وتقع هذه الجزر على خط الاستواء ما بين سولاويسي وغينيا الجديدة وكبرى جزر هذه المجموعة هي جزيرة هالماهيرا، ومعظم الجزر الصغيرة في هذه المجموعة غير مأهولة بالسكان ويعيش معظم سكان مولوكاس في المراكز التجارية الساحلية وكبرى المدن هي ميناء أمبون. وقد اشتهرت هذه الجزر قبل مئات السنين عندما بدأ التجار يجمعون منها التوابل لبيعها في دول أوروبا لذلك سميت جزر التوابل .

أما غينيا الجديدة فهي ثانية الجزر الكبرى في العالم يسمى نصفها الغربي باسم إريان جايا، وهي مقاطعة إندونيسية. أما النصف الشرقي منها فيشكل جزءاً من دولة بابوا غينيا الجديدة. تعد إريان جايا أقل المناطق الإندونيسية تنمية وسكانا وتغطي الغابات المدارية نحو ٩٠٪ من أراضيها وتمتد عبرها الجبال من الشرق إلى الغرب، وتشمل جبالها بنكاك جايا البالغ ارتفاعه ٥.٠٣٠م فوق سطح البحر، وهو أعلى جبال إندونيسيا. ومعظم مناطقها الساحلية منخفضة ومستنقعية. أما كبرى مدن إريان جايا فهي جايا بورا، وتقع معظم أراضيها الزراعية على امتداد السواحل.

نبذة تاريخية

في معظم تاريخها، تألفت المنطقة المعروفة الآن بإندونيسيا من عدة ولايات بعضها كبير وبعضها صغير وقد عرفت المنطقة سابقا باسم جزر الهند الشرقية، وكان يطلق على الجزء المعروف الآن باسم إندونيسيا جزر الهند الهولندية. وقد استعملت تسمية إندونيسيا لأول مرة عام ١٨٥٠م ولم تتشكل الأمة الاندونيسية الحديثة حتى الأربعينيات من القرن العشرين حيث أخذ سكانها بعد ذلك يسمون أنفسهم الإندونيسيين.

وكتب السيد أحمد بن عبد الله السقاف (١٢٩٩-١٣٦٩هـ) بحثاً عن دخول الإسلام إلى إندونيسيا ذكر فيه أن سكان هذه الجزائر كانوا على حالة سيئة من حيث الاعتقادات

الفاسدة التي كانوا متمسكين بها فكانوا يعبدون الأحجار والأشجار وكل ما له روح كالحيوانات أو ما كان له مظهر عظيم كالجبال أو ما كان له تأثير ظاهري كالأسلحة وكانوا يعتقدون أن حياة الإنسان بعد الموت تضاهي حياته في الدنيا، ولذلك فإنهم إذا مات أحدهم ووضعوه في القبر وضعوا في قبره الأطعمة والآلات التي كان يستعملها في حياته والأسلحة التي يمكنه استعمالها للدفاع عن نفسه ولا يقفون عند هذا الحد بل يرون أن من كمال الإحسان إلى ذلك الميت أن يقتلوا عند موته جميع أسرته وكل عبيده، لتكون أرواحهم قائمة بواجب خدمته بعد موته ولهم عقائد فاسدة غير هذه تدل على أنهم كانوا في جاهلية جهلاء .

أما دخول الهنود إلى هذه الجزائر فلا يعرف بالتحقيق تاريخه ولا أي بلده أو جزيرة دخلوها أول مرة، ويقال إنّ جالية منهم كانت موجودة في جاوة في القرن الثاني الميلادي، وقد كان لدخول الهنود إلى هذه الجزائر أثر في تغيير بعض عادات الأهالي وديانتهم حيث انتشرت بهذه الجزر الجاوية ديانات الهنود كالبرهمية والبوذية.

وكان من عادة مهاجري الهنود الترفع عن مخالطة العامة فلا يعاشرون إلا الرؤساء الوطنيين وعظمائهم، أما العوام فلا يتنازلون لمعاشرتهم بل يحتقرونهم أشد الاحتقار ويعتبرونهم كالعبيد الأرقاء، ذلك لأن دين البراهمة في الهند يعتبر الناس أربع طبقات:

١ـ البراهمة هم رجال الدين.

٢ـ الكساتريا وهم الملوك ورجال الحرب.

٣ـ الوسيا وهم أهل التجارة والزراع والصناع.

٤ـ السودرا وهم بقية الرعية.

وقد انتقل هذا التقسيم مع الهنود إلى الجزائر الجاوية، ولسوء حظ الأهالي فقد اعتبر الهنود معظم السكان من القسم الرابع الأقل درجة عندهم من البشر ولذلك لا يرى الهنود في قتلهم أو تعذيبهم أي حرج.

وانتقل سكان الجزر الجاوية الوثنيين بواسطة الهنود إلى حاله أسوأ مما كانوا عليهما أيام وثنيتهم، فقد نقل لهم البراهمة اعتقاداتهم في الأصنام التي يعبدونها فاعتقدوا ان احد اصنامهم هو مصدر الخير وخالق العالم وأنَّ صنماً آخر هو مصدر الشر والهلاك وأن الصنمَيْن في صراع مستمر ومن اعتقادات عباد الصنم الأخير أنهم يشبهونه بالنار لكونها تحرق الأشياء. ولذلك كان من عاداتهم أنه إذا مات ملك أو عظيم جمعوا له الحطب وأوقدوا النار حتى إذا اشتد ضرامها ألقوا بذلك الميت فيها ثم تتقدم زوجاته وحظاياه الواحدة تلو الأخرى فتلقي بنفسها في النار. وقد انتشرت عبادة الأصنام في عهد الهنود بجاوه انتشاراً هائلاً ولا تزال بقايا تلك المعابد والهياكل والأصنام موجودة في بعض المناطق الجاوية.

ولما دخل الإسلام الجزر الجاوية قام مولانا زين العابدين بن مولانا رحمة الله الملقب سنن امفيل والذي كان وزيراً للسلطان عبد الفتاح فاتح جاوة قام بقيادة الجيوش التي تحارب عبدة الأصنام، وكان هذا القائد شديد الغيرة على الإسلام شديد البغض للأصنام وعبدتها شجاعاً لا يخاف في الله لومة لائم. فكان البراهمة يفرون منه وكان كلّما استولى على بلدة حطم ما فيها من الأصنام والهياكل والمعبودات الشيطانية، بل إنه كان يذهب إلى الجبال والغابات لقطع الأشجار المعبودة التي يعكف عليها الوثنيون.

وبقي بعد انتشار الإسلام بإندونيسيا بعض الملوك الوثنيين حتى سنة ١٥٩٧ ميلادية مثل ملك بلدة فناروكان (بجاوة الشرقية) الذي كانت له مائة زوجة ولما مات أحرقه قومه وأحرقوا معه كل زوجاته، ولا تزال هذه العادة باقية عند بعض الوثنيين في جزيرة بالي لمبوك (انتهى).

وذكرت الموسوعة العربية أن الإسلام جاء إلى إندونيسيا مع التجار المسلمين من الهند والجزيرة العربية. وقد انتشر الإسلام تدريجيا بين الإندونيسيين، قبل انتهاء فترة النفوذ الهندي بوقت طويل. وفي العقد الأخير من القرن الثالث عشر الميلادي اعتنق الإسلام أحد الحكام الإندونيسيين المحليين في شمال سومطرة ويدعى الملك الصالح وكان حاكماً لباساي. وقد

وجد نقش على بلاط ضريحه يفيد بأنه توفي عام ١٢٩٧م. وزار الرحالة ابن بطوطة باساي عام ١٣٤٥م، فوجد سلطانها كريماً، مولعاً بالحوار الديني، متواضعاً، يذهب للمسجد أيام الجمعة. وقام هذا السلطان بإرسال البعثات الدينية لتدعو الناس إلى الإسلام.

ثم أصبحت ملقا وتنطق (ملاكا) في حوالي سنة ١٤٠٠م والواقعه على الساحل الغربي لشبه جزيرة الملايو مركزاً تجارياً مهماً وبؤرة للنشاط الإسلامي ويعتقد سكان الملايو أن أميراً من سومطرة يدعى بارامسوارا انتقل إلى ملقا، وكانت قبل ذلك قرية صغيرة يسكنها القراصنة وصيّادو السمك فأصبحت ملقا تحت حكمه مركزاً تجارياً مهماً وعاصمة لإمبراطورية تجارية جديدة، وربما كان هذا الأمير مسلماً إلا أن المؤكد أن ابنه الذي خلفه كان مسلماً بل إنه كان مهتماً بنشر الإسلام وأصبحت ملقا على يده قاعدة لنشر الإسلام. كما ساعد هذا الأمير المسلم التجار العرب على نشر الإسلام في تلك الجهات. وكتب لغة الملايو بالحروف العربية، واستمر الإسلام في انتشاره منذ ذلك الزمن حتى وصلت نسبة المسلمين الحالية من سكان إندونيسيا ٨٥٪ وهي أكبر دوله إسلاميه من حيث عدد السكان.

وفي مطلع القرن السادس عشر الميلادي وصل أول التجار الأوروبيين إلى جزر الهند الشرقية ولم يكن الأوروبيون يعرفون هذه البلاد ولم يزرها منهم قبل ذلك إلا بعض الرحالة والمستكشفين مثل ماركو بولو الذي زارها عام ١٢٩٢م ويعتبر البرتغاليون أول شعب أوروبي اتصل بإندونيسيا. ففي عام ١٤٩٧م، أبحر المكتشف البرتغالي فاسكو دي جاما حول رأس الرجاء الصالح، واتجه شرقاً عبر المحيط الهندي إلى ميناء كاليكت بالهند و تبعه مكتشفون آخرون للبحث عن البلاد الجديدة.

وفي عام ١٥٠٩م أرسل البرتغاليون أربع سفن تجارية إلى ملقا وقد استقبلهم سلطانها بلطف وترحاب، ثم خاف منهم فهاجمهم وأسر بعضهم. ولما تمكن البرتغاليون عام ١٥١٠م من الاستيلاء على مدينة جوا على ساحل الهند الغربي أرسلوا أسطولاً بحرياً في عام ١٥١١م من جوا إلى ملقا واستولوا عليها وبذلك تمكن البرتغاليون من السيطرة على التجارة في غربي

إندونيسيا وبَنوا حصوناً لهم فيها بعد أن كان المسلمون سادة التجارة في هذه البحار وكان هدف البرتغال القضاء على التجارة العربية ومحاربة المسلمين لأنهم يرون فيهم أكبر عدو للنصرانية.

واستمر النفوذ البرتغالي في إندونيسيا حتى مطلع القرن السابع عشر الميلادي حيث بدأت الدول الأوروبية الأخرى تنازعها هذه السياده فقد تأسست شركة الهند الشرقية البريطانية عام ١٦٠٠م. وشركة الهند الشرقية الهولندية في عام ١٦٠٢م، وتنافست الشركتان الإنجليزية والهولندية للسيطرة على التجارة في جزر الهند الشرقية وعلى الاستيلاء على المواقع الإستراتيجية، وحاول كل منهم أن يبقى الطرف الآخر خارج تجارة التوابل، وذلك من خلال عقد اتفاقيات مع الحكام المحليين، ثم حصل الصراع بينهم وبين البرتغاليين الذين فقدوا في وقت قصير كافة مستعمراتهم الآسيوية ولم يتبق معهم سوى تيمور التي احتفظوا بها حتى عام ١٩٧٥م عندما عادت إلى إندونيسيا، لكن الأوروبيين بقوا يصارعون حتى تمكنوا من فصلها مؤخرا عن إندونيسيا بعد أن أزاحوا من طريقهم رجل إندونيسيا القوي ذو الاتجاهات الإسلامية الرئيس سوهارتو.

وقد أحدث وصول الأوروبيين إلى إندونيسيا تغيرات كبيرة في تاريخها، فقد أجبروا الأمراء المحليين على التجارة معهم وفق شروطهم، وتدخلوا في النزاعات المحلية وحصلوا على نفوذ لدى من ناصروهم، وبمرور الزمن فقد الحكام المحليون نفوذهم وسيطرت الشركات التجارية الاستعمارية على بلادهم.

وزادت قوة شركة الهند الشرقية الهولندية خلال القرن السابع عشر واستولت على كثير من مناطق إندونيسيا بالتدريج وتحكموا في التجارة الخارجية وفي الإنتاج الزراعي فقصروا الاتجار بجوزة الطيب والقرنفل على جزر باندا وأمبون ودمروا أشجار القرنفل في تيرنيت وتيدور وأجبروا الإندونيسيين على إنتاج محاصيل معينة وبأسعار محددة ثم تولت الحكومة الهولندية عام ١٧٩٩م القيام مباشرة بدور شركة الهند الشرقية الهولندية.

وتأثرت إندونيسيا بما يجري في أوروبا في فترة الحروب النابليونية بين ١٨٠٢-١٨١٥م حيث استولت فرنسا خلالها على هولندا ولذلك دخلت ممتلكات هولندا في الشرق الأقصى تحت سيطرة فرنسا وأقام الحاكم العام الفرنسي وهو أحد قادة نابليون في باتافيا (جاكرتا حاليا) وقام ببناء تحصينات لحمايتها من البريطانيين. ولكن البريطانيين هاجموا بتافيا في عام ١٨١١م واستسلمت لهم القوات الهولندية والفرنسية، وسيطر الإنجليز على البلاد، ولكن تمكنت هولندا في عام ١٨١٦م من استعادة جاوه وجزر الهند الشرقية وقامت بتطبيق أساليب جديدة لتنظيم الزراعة والضرائب، وبمقتضى هذا النظام فرض على المزارعين أن يتركوا ٢٠٪ من أراضيهم الزراعية جانباً لتزرع بالمحاصيل التي تأمر بها الحكومة، وقد وضعت الحكومة أسعاراً ثابتة لهذه المحاصيل التي تبيعها في أوروبا بأسعار مرتفعة محققة بذلك أرباحاً كبيرة.

وقد قاوم المسلمون السيطرة البرتغالية كما أشرنا إلى ذلك في فصل آخر ولم يستطع الهولنديون بسط سيطرتهم خارج جاوة وسومطرة إلا بعد عام ١٨٧٠م.

ونتيجة لعدم اتحاد الولايات الإندونيسية ضد الهولنديين، فقد سقطت هذه الولايات في أيدي الهولنديين واحدة تلو الأخرى.

هجرة العلويين إلى إندونيسيا والشرق الأقصى[١]

لابد لنا من القول إن الهجرة العربية إلى إندونيسيا والشرق الأقصى كلمة ذات شقين أو ذات عهدين متباعدين: هجرة بعيدة تعود إلى تاريخ بعيد يصل إلى العهد العباسي حين هاجر الإمام أحمد بن عيسى بن محمد بن علي بن الإمام جعفر الصادق إلى حضرموت كما

---

(١) ملخص عن مقال للأستاذ حسن الأمين بجريدة العربي الكويتية، حسن الأمين، الهجرة العربية إلى الشرق الأقصى، مجلة العربي الكويتية العدد ١٧٠، يناير ١٩٧٣، صفحة ٥١-٥٤.

ذكرنا في فصل سابق، ثم بدأت هجره ثانية من حضرموت إلى الهند والصين والمالايا وإندونيسيا والفلبين حاملين معهم الإسلام ينشرونه حيث حلّوا.

وقال المقريزي في الخطط (ج١ ص١٦): «في جانب هذا البحر الشرقي مما يلي الصين ست جزائر أيضاً تعرف بجزائر السبلي نزلها بعض العلويين في أول الإسلام خوفا على أنفسهم من القتل».

وقال المؤرخ الإندونيسي محمد تمين إبراهيم أستاذ الدراسات الإسلامية والتاريخ الإسلامي في جامعة جاكرتا من محاضرة له: إن أول مملكة إسلامية هنا يرأسها شخص يلقب بلقب شيخ كانت بأيدي العرب من الهاشميين. وقد ذكر هجرات العلويين إلى جزر الشرق الأقصى كل من المستشرقين الهولنديين: فن دن بيرخ، وفرين ميس، في كتاب تاريخ البلدان الجاوية وكذلك نور الدين محمود عوفي.

يقول فن دن بيرخ في كتابه: «حضرموت والمستوطنات العربية في الجزائر الهندية» الصادر باللغة الفرنسية: إن نجاح الدعوة الإسلامية في جاوا كان لان الدعاة كانوا من ذرية النبي، ويقول المؤرخ الهولندي سبات في كتابة «الإسلام في الهند الهولندية»: إن حَمَلة الإسلام إلى هذه البلاد هم الأسرة العلوية آل علوي.

ويقول نور الدين عوفي عن انتشار الإسلام في الصين: إن الأشراف العلويين هربوا إلى بلاد الصين ونشروا الإسلام فيها. ويذكر محمد تمين في محاضرته التي ألقاها في الندوة التاريخية في ميدان سومطرة الشمالية: إن الأشراف العلويين انتشروا في كامبوديا والصين وسيام وغيرها من البلاد، وإن من أوائل الواصلين إلى كامبوديا الحسين الملقب بجمال الدين الأكبر. وأنه كان للحسين هذا ولدان أحدهما إبراهيم.

وتقول الروايات الجاوية إنَّ إبراهيم وصل مع أبيه الحسين إلى سيام وجاوا وتزوج أميرة من جامبا اسمها بانداوولاق فولدت له ولدين علياً وإسحق كانا من أنجح العاملين على نشر الإسلام، وأن أعظم نجاح لإسحاق كان في بانيو وانقي.

ووصل العلويون إلى الفلبين فاستوطنوها ونشروا فيها الإسلام ثم أقاموا فيها مُلكاً واستمر حكم العلويين فيها حتى سنة ٨٨٥هـ (١٤٦٥م) وقيل إلى سنة ١٥٢١م حين هاجم الإسبان بلاد المسلمين في الشرق الاقصى وفشل السلطان عبد القاهر في صد هجومهم فاستولى الإسبان على بلاده وحولوها للنصرانية، وفي تاريخ الفلبين ذكر مجيء الشريف أولياء بسفينة طافت في تلك الجزر لنشر الإسلام.

وذكر كتاب «دراسات عن المسلمين المورو وتاريخهم» المطبوع بمانيلا سنة ١٩٠٥م أن مجيء الإسلام إلى الفلبين كان بواسطة شريف علوي اسمه حسن بن علي من ذرية أحمد بن عيسى المهاجر، وقد عمل هذا العلوي على نشر الإسلام أول الأمر في جزائر (يوايان) الفليبينية فأسلم ملكها على يديه وانتشر الإسلام في (مندانا ومافينيدانا وسبيو وسولو وكوتا بارو وتمبارا ولبيمنغان وباكمبايان) وجاء في ذلك الكتاب أن هؤلاء العلويين كانوا أول من علم الأهلين هناك الكتابة العربية.

ولا تزال قبور المهاجرين الأولين بإندونيسيا وقبور أحفاد أولئك الرواد الأوائل وقبور أحفاد أحفادهم لا تزال مزاراً للزائرين من كل مكان. ويمكن أن نعد منهم كلا من مولانا إبراهيم المدفون في مدينة قرسيء بجاوا، ومولانا حسن الدين المدفون في مدينة بانتن بجاوا الشرقية، ومولانا هداية الله المدفون في مدينة شربون بجاوا الشرقية، وهو ابن عبد الله المتوفى في كامبودجا بالهند الصينية، ومولانا زين العابدين المتوفى بمدينة دماك بجاوا الوسطى، ومولانا رحمة الله المتوفى بمدينة سورابايا بجاوا الشرقية ،ومولانا محمد الملقب بعين اليقين المتوفى في مدينة قرسيء بجاوا، وكل هؤلاء ينتهي نسبهم إلى المهاجر أحمد ابن عيسى المهاجر.

ويبدو من بعض النصوص التاريخية أن استقرار هؤلاء العلويين في الجزر الإندونيسية وشهرة مقامهم فيها قد شجع بعض الخائفين من العرب على الهجرة إلى الشرق والإقامة بينهم والإصهار إليهم، وكان من بين هؤلاء النازحين إلى الشرق الأقصى من بلاد العرب أحد أحفاد

خلفاء بني العباس المسمى عبد الله والذي نجا بنفسه من مذابح المغول بعد سقوط بغداد على يدي هولاكو .

ومهما يكن من شيء فإن هذه الهجرة العربية الكبيرة قد انطوت في غمار التاريخ ولم تترك لنا من أثر سوى أنها كانت من أكبر العوامل في انتشار الإسلام في تلك الأصقاع البعيده. إلا أن تلك الأصول العربية قد انصهرت كما لاحظ المستشرق الهولندي فان دن بيرغ في المجتمعات الجديدة وتغيرت ملامحها وأسماؤها وعادت إندونيسية خالصة وإن ظلّ بعض رجالها يسلسل آباءه مبتدئاً باسمه الإندونيسي واسم أبيه وجده، وهكذا حيث يعود إلى الأسماء العربية. فهناك مثلا: ابوكو سنو حوكر وسويو سو الذي ينتمي إلى آل عظيمة خان إلى أن تنتهي السلسلة إلى علي بن عبد الله بن أحمد بن عيسى المهاجر.

وقد بدات في تاريخ العلويين بحضرموت حركة نزوح أخرى وليس بين أيدينا ما يحدد لنا التاريخ الذي بدأت فيه هذه الهجرة الثانية من حضرموت والتي اتجهت إلى جنوب آسيا تحديداً دقيقاً، ولكننا نستطيع القول استناداً إلى بعض المصادر أنها بدأت في أواسط القرن الثاني عشر الهجري، بل نستطيع أن نذكر بأن ذلك كان في حدود سنة ١١٥٠هـ.

وكان الدافع لهذه الهجرة هو السعي وراء العيش الكريم، وقد استقبل هؤلاء المهاجرين في البلاد التي وصلوها أحسن استقبال، وبلغ بهم الأمر إلى الزواج ببنات السلاطين الإندونيسيين حيث عرف هؤلاء السلاطين كريم أخلاقهم وحسن معاملتهم وشريف نسبهم فسعوا إلى تزويج بناتهم من هؤلاء الغرباء العلويين تشريفا لهم ولبناتهم.

ثم تطور الأمر بعد ذلك حين تولى بعض أبناء المهاجرين السابقين أو أحفادهم ملك البلاد لأن السلاطين رأوا في الأسباط المتصلين بالنسب النبوي ما يفضلون به الأحفاد غير المتصلين بهذا النسب. وهكذا نجد أن من بين سلاطين سياك وفونتيانك وغيرهما من كان من الأشراف العلويين أبناء وأحفاد بعض أولئك المهاجرين.

إلا أن هذا التزاوج والاختلاط أدى إلى ذوبان أعقاب المهاجرين في الوسط الإندونيسي فلم يعودوا يُعرفون بالطابع العربي ولا باسم الأسرة العربي.



الفصل الثامن بعد المائة

العلاقة بين العلويين وهولندا



نبذة جغرافية وتاريخية عن هولندا[١]

هولندا دولة صغيرة تقع في شمال غربي أوروبا في مواجهة بريطانيا تواجه بريطانيا وتسمى بالأراضي المنخفضة لأن كثيراً من أراضيها تقع تحت مستوى البحر، ولهذا نجدها مغطاة بمياه البحر ومياه البحيرات والمستنقعات، إلا أن الهولنديين قاموا بضخ المياه عن هذه الأراضي وتجفيفها لتصبح اراضٍ زراعية غنية وأقاموا عليها مدنهم الكبيرة، إلا أن بقاء الأراضي جافة يستوجب الضخ المستمر للمياه.

ويقيم الهولنديون الكثير من الحواجز والسدود لمنع البحر من إغراق أراضيهم وفي سنة ١٩٥٣م حطمت العواصف بعض الحواجز المائية فغرق أكثر من ١٥٠ ألف هكتار من الأراضي الزراعية ومات أكثر من ١٨٠٠ شخص. يبلغ سكان هولندا في عام ١٩٩٦ ١٥,٦١٢,٠٠٠ نسمة، ومساحتها ٤١,٥٢٣ كيلومتراً مربعاً، وعاصمتها أمستردام، ومقرّ حكومتها مدينة لاهاي.

أما تاريخ هولندا القريب فيبدأ بسيطرة الدوقات الفرنسيين على البلاد وتوحيدها في بداية القرن الرابع عشر الميلادي، ثم دخلت هولندا في عام ١٥١٦م تحت الحكم الإسباني، ثم حصل صراع ديني ومعارك عديدة بين الإسبان الكاثوليك والهولنديين الذين اعتنقوا العقيدة البروتستانتية، واستمر ذلك سنوات عديدة وشن الإسبان معارك مظفرة على الهولنديين ثم انقسمت البلاد إلى جزء جنوبي تحكمه العقيدة الكاثوليكية وأصبح فيما بعد يسمى بلجيكا، وقسم شمالي بروتستناتي يسمى هولندا، وبقي القسمان تحت سيطرة الإسبان

---

(١) مختصرة من الموسوعة العربية العالمية المجلد ٢٦ صفحة ٢٦٥-٢٧٧.

ولكن أعلنت هولندا في عام ١٥٨١م استقلالها عن الإسبان واستمرت حرب الاستقلال حتى اعترفت إسبانيا باستقلال هولندا عام ١٦٤٨ م.

ثم رأى الهولنديون تعاظم الأسطول البرتغالي في القرن السابع عشر وقيام السفن البرتغالية بحوالي نصف عمليات نقل البضائع في العالم. لذا تكاتفت الشركات الهولندية في عام ١٦٠٢م وكونت شركة الهند الشرقية الهولندية، وجعلت من مدينة بتافيا (جاكرتا حالياً) عاصمة لها وطردت البريطانيين والبرتغاليين من المنطقة التي عرفت فيما بعد بالهند الهولندية (أندونيسيا) كما أمن الهولنديون طريقهم البحري إلى أندونيسيا بالاستيلاء على الطرف الجنوبي من قارة أفريقيا، كما استولوا أيضاً على جزيرة سيلان.

كما أسّس الهولنديون في عام ١٦٢١م شركة الهند الغربية للتجارة مع أمريكا واستعمرت هذه الشركة مناطق في شرق الولايات المتحدة، ومنها مدينة نيويورك، كما استولوا على جزر الأنتيل.

وفي عام ١٦٧٢م تحالفت بريطانيا وفرنسا ضد هولندا وهاجمتها براً وبحراً إلا أن الألمان والإسبان قدموا المساعدة للهولنديين فتمكنوا من هزيمة الإنجليز وطرد الفرنسيين الذين استولوا على أجزاء من الأراضي الهولندية.

وفي عام ١٦٨٩م أصبح وليم حاكم هولندا ملكاً على بريطانيا أيضاً بسبب أن زوجته من العائلة المالكة البريطانية لهذا اشتركت هولندا مع بريطانيا هذه المرة في عدة حروب ضد فرنسا انتهت عام ١٧١٤م بعد ان ارهقت موارد هولندا، وانتهت بنهاية هذه الحرب فترة التوسع التجاري والاستعماري الهولندي وفقدت هولندا مستعمراتها التي آلت إلى ملك الإنجليز.

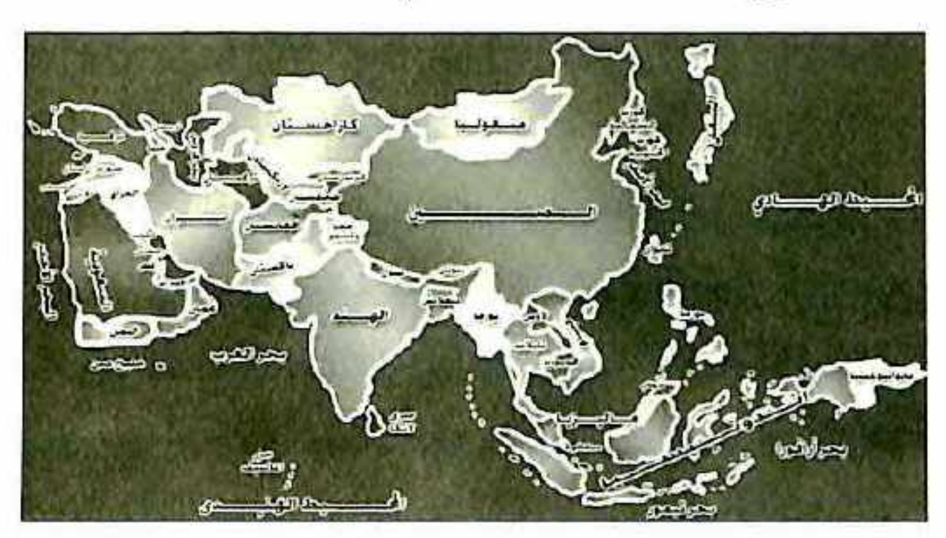
ولما ساند الهولنديون الأمريكيين المطالبين بالاستقلال عن بريطانيا قامت بريطانيا بمهاجمة هولندا وهزمتهم هزيمة قاسية عام ١٧٨٤م ثم انتهزت فرنسا ضعف الهولنديين

فاستولت على هولندا عام ١٧٩٥م، وضمتها لفرنسا، كما استولى الإنجليز على المستعمرات الهولندية وراء البحار.

ثم تمكن الهولنديون من طرد الفرنسيين، وبعد هزيمة نابوليون عام ١٨١٥م قرر القادة الأوروبيون في مؤتمر فينا توحيد هولندا وبلجيكا في مملكة هولندا لتقوية مركزها ضد الأطماع الفرنسية إلا أن الاختلاف في العادات والاقتصاد واللغة والدين بين البدين دفع بلجيكا إلى إعلان الانفصال عام ١٨٣٠م.

وبقيت هولندا على الحياد أثناء الحرب العالمية الأولى إلا أن هتلر غزا هولندا في الحرب العالمية الثانية واستسلم الجيش الهولندي لألمانيا سنة ١٩٤٠ بعد أربعة أيام فقط من القتال، ووقعت هولندا تحت الاحتلال الألماني، كما استولت اليابان حليف ألمانيا على أندونيسيا سنة ١٩٤٢م.

أطماع الهولنديين واتصالهم بالشرق الأقصى



بعد أن رأى الهولنديون ما حققه البرتغاليون من ثروة وقوة تحركوا بأساطيلهم نحو بلاد المسلمين في الشرق بعد أن عرفوا من مبعوثيهم إلى هذه البلاد أنها الحلقة الأضعف في منظومة

الدفاع الإسلامي بذلك العهد والمتركزة في الشام ومصر وهي الدفاعات التي أفشلت الحملات الصليبية الأوروبية السابقة وقضت على آمال الأوروبيين في الامتداد نحو الشرق الإسلامي.

ولم يكن المحيط الهندي في ذلك الزمن إلا بحيرة عربية تقطعها السفن العربية التجارية محملة بخيرات الهند وما وراءها من البلاد لتنقلها إلى جزيرة العرب، ومنها لمصر والشام حيث ينتظرها التجار الأوروبيون الذين اعتقدوا لقرون بأن هذه المنتجات المطلوبة تأتيهم من بلاد العرب وليس من غيرها وبفضل هذه التجارة أصبحت الدول الإسلامية في مصر والشام قوة اقتصادية كبيرة، كما تنامت قوتها العسكرية البرية والبحرية.

ولقد عرف البرتغاليون والإسبان سر القوة الاقتصادية العربية بفضل احتكاكهم بالمسلمين الذي حكموا بلادهم لفترة ثماني مئة سنة، ولهذا فإن البرتغاليين والإسبان بعدما تمكنوا من طرد المسلمين من الأندلس وأسقطوا آخر دويلة إسلاميه وهي غرناطة وذلك سنة ١٥٩٢م تحركوا بأساطيلهم نحو منابع الاقتصاد العربي في الشرق ليحرموا العرب المسلمين من هذه الثروات وليضعفوا بالتالي قوتهم الإقتصادية التي تعتمد عليها قوتهم العسكرية. ومع أن البرتغال استعانوا بالعرب في الوصول إلى الهند عبر رأس الرجاء الصالح، إلا أنهم بعدما حققوا هدف الوصول وضعوا الخطط الحربية لإقصاء العرب عن هذه التجارة والسيطرة التامة على تجارة المحيط الهندي وأنشأوا لتحقيق هذا الهدف مراكز عسكرية ساحلية بإفريقيا والخليج العربي وجنوب الهند وواصلوا سيرهم حتى انتهوا إلى مضيق ملقا.

ثم جاء الهولنديون بعد البرتغاليين وتبعهم بقية الأوربيين وابتدأ الهولنديون بطرد البرتغاليين من مستعمراتهم الإفريقية والآسيوية بعد أن ضعف وضعهم فيها، ثم بدأوا الاستيلاء على الجزر الأندونيسيه باسم الشركة التجارية الهولندية الشرقية، وباستيلائهم على جاكرتا عام ١٦١٩م تقوى وضعهم العسكري والاقتصادي في البلاد ثم لما تمكنوا من الاستيلاء على ملقا سنة ١٦٤١م أعلنوا القضاء التام على الهيمنة البرتغالية بالمحيط الهندي.

ولم تكن الجزر الجاوية أرضاً بكراً بلا شعب وإنما كانت دولاً إسلاميةً متحضرةً، وقد قاومت هذه السلطنات الإسلامية الغزو الهولندي بما توفر لها من السلاح والرجال، فدافعت سلطنات ماترام في جاوة وآشية وترناتي بكل قوة للمحافظه على استقلالها، إلا أن الهولنديين تفوقوا بالأسلحة النارية الحديثة والمدافع مما مكنهم من نزع السلطة من هذه الممالك الإسلامية. ومن العوامل التي ساعدت البرتغاليين والهولنديين على ترسيخ أقدامهم في الجزر الجاوية تعاون بعض الممالك غير الإسلامية معهم في محاربة المسلمين [١].

وهناك اختلاف في الأهداف بين الحملات الهولندية والحملات البرتغالية إذ كان هدف الهولنديين هو السيطرة التجارية بينما كان الهدف الرئيسي للحملات البرتغالية هو الرغبة في القضاء على المسلمين ومحاولة إبادتهم. وبعد أن استقر الهولنديون بأندونيسيا عرفوا أن أعظم خطر يهدد بقاءهم بهذه الجنان الشرقية هو الإسلام، وأن العرب هم القوة الوحيدة التي ستعرقل استقرارهم، ومن هنا ابتدأ اهتمامهم بالمسلمين في هذه الجزر وعداوتهم للإسلام.

ولم يضيع الهولنديون وقتهم بلا فائدة بل بدؤوا في محاربة الإسلام والعرب بإندونيسيا فوضعوا القوانين التي قسمت السكان إلى سكان أصليين وسكان أجانب و اعتبروا العرب من الأجانب الشرقيين[٢] رغم وجودهم لمئات السنين بهذه الجزر ورغم أن منهم من أصبح من سلاطين وملوك هذه البلاد ورغم اندماجهم في السكان اندماجاً تاماً حتى اختفت في كثير منهم الأصول العربية.

ونظرت هولندا إلى العلاقة الوثيقة والتعاون بين السلاطين الإندونيسيين والدعاة المسلمين وارتباطهم بعلاقات المصاهرة والنسب، فاتبعت هولندا سياسة فرّقْ تسد لفصل

---

(١) حامد القادري، كفاح أبناء العرب ضد الاستعمار الهولندي، صفحة ٦١-٦٢.

(٢) حامد القادري، كفاح أبناء العرب ضد الاستعمار الهولندي، صفحة ٦٨.

العلاقة الوثيقة بين الملوك والعلماء[1]. لذا عارضت الحكومة الهولندية الاندماج العربي بسكان الجزر ووضعت القوانين التي تمنع ذلك والتي تقول: «من تجرأ على الاندماج فقد اقترف جرماً».

وأعلن المستشرق الهولندي سنوك خورنييه الذي وضع سياسة محاربة الإسلام والعرب للهولنديين بأنه لن يكون هناك اندماج آخر مثلما صارت إليه أسرة رادين صالح وأسرة حاكم ماجلانغ وغيرهم بفضل مراقبة الحكومة الشديدة لمنع ذلك الاندماج[2]. وحول الاندماج الذي حصل في الماضي قال سنوك: «حدث ذلك قبل أن تتخذ حكومتنا الموقف الصارم وقبل تطبيق القوانين التي فرقت بين أبناء البلاد وبين الشرقيين الأجانب»[3]. ووضع الهولنديون القوانين التي تمنع الاندماج مثل إلزام العرب بعدم التزيّي بالأزياء الوطنية الجاوية وبعدم التشبه بالوطنيين الإندونيسيين في أمور معاشهم وطرق حياتهم.

وتتبع حامد القادري في كتابه كفاح أبناء العرب تتبع سياسة هولندا في فصل الوجهاء والأعيان الجاويين عن الأئمة والدعاة العرب وصولاً إلى ضم هؤلاء الوجهاء لجانبها وصداقتها، وتلت ذلك خطوة أخرى لفصل العرب عن الأئمة[4]. وهدف هولندا من إحداث القطيعة بين الأئمة والدعاة العرب من جانب، والحكام والوجهاء هو التمهيد لسوق هؤلاء الوجهاء إلى طريق الحياة العصرية البعيدة عن تعاليم الإسلام مما يضعف شوكتهم ويسهل السيطرة عليهم.

كما روج الهولنديون في حربهم على العرب لنظرية أن الهنود وليس العرب هم الذين

---

(١) حامد القادري، كفاح أبناء العرب ضد الاستعمار الهولندي،، صفحة ٥١.

(٢) حامد القادري، كفاح أبناء العرب ضد الاستعمار الهولندي، صفحة ٦٧.

(٣) حامد القادري، كفاح أبناء العرب ضد الاستعمار الهولندي، صفحة ٦٧.

(٤) حامد القادري، كفاح أبناء العرب ضد الاستعمار الهولندي، صفحة ٨٩.

أدخلوا الإسلام إلى الجزر الإندونيسية[١] حتى يكون ذلك من ضمن الأسباب التي تساعدهم على قطع العلاقة العاطفية القوية بين الإندونيسيين والعرب المسلمين.

كما واصلت الصحف اليومية والمجلات الهولندية التي تقرأها الطبقة المثقفة من الإندونيسيين تشويه سمعة العرب ووصفهم بأنهم مرابين يمتصون دماء الإندونيسيين والمشكلة كما قال القادري أنه ليست لدى العرب وسيلة يحطمون بها تلك الصورة المشوهة عنهم، فقليل جداً منهم يتكلم الهولندية ولا يملكون صحفاً فلم يكن لهم حول ولا قوة في رد تلك الهجمات المتواصلة التي كانت توجه ضدهم يوميا[٢].

وهذه الأساليب ليست غريبة فقد اتبعتها كل الدول الاستعمارية الأوروبية في الأماكن التي أرادت تثبيت أقدامها فيها، ووجدوا أن العرب قد استوطنوها قبلهم بمئات السنين، ففي إفريقيا قامت الدول الاستعمارية بتشويه سمعة العرب وترسيخ الاعتقاد في عقول الأفارقة بأن العرب هم وحدهم المسئولون عن تجارة الرقيق وما عاناه الأفارقة من مهانة وعذاب، مع أنه لا وجه للمقارنة بين الأوروبيين والعرب في هذا المجال لا من حيث أعداد الرقيق ولا من حيث المعاملة التي يلقاها الرقيق كما أشرنا لذلك في فصل سابق.

كما حاول الغرب في السنين الأخيرة تشويه سمعة العرب ووصمهم بالإرهاب للتحريض عليهم وجلب التأييد العالمي لشن الحروب العالمية عليهم.

ونقل القادري عن هاري بند قوله: «إن هولندا واجهت منذ مجيئها إلى أندونيسيا في القرن السابع عشر مقاومة من المسلمين وكانت سلطة هولندا مهددة على الدوام من قبل المقاومة الإسلامية، ومن الحكام الذين أسلموا أو من العلماء (المتطرفين) في القرى أو من

(١) حامد القادري، كفاح أبناء العرب ضد الاستعمار الهولندي، صفحة ٢٤.

(٢) حامد القادري، كفاح أبناء العرب ضد الاستعمار الهولندي، صفحة ٢٠.

الأساتذة والدعاة المسلمين ومع أن معظم الجزر الإندونيسية قد وقعت تحت السيطرة الهولندية إلا أن الإسلام استمر في الانتشار في إندونيسيا كما استمر عدد المسلمين في ازدياد مستمر. وفي أوائل القرن الثامن عشر تزايد الاتصال بين الجزر الجاوية والمراكز الإسلامية (المتطرفة) في الشرق[١]»، ويلاحظ وصف الكتاب الغربيين للمسلمين الملتزمين بالتطرف منذ زمن بعيد.



المستشرق الهولندي سنوك خورنييه

وكان أكثر من أعان هولندا في محاولتها القضاء على المقاومة الإسلامية في إندونيسيا هو البروفيسور كريستيان مستشار هولندا لشؤون الإسلام والعرب، وهو شخصيه استعمارية بارزة وقد أورد القادري طائفة من نصائح سنوك السرية للحكومة الهولندية لمحاربة الإسلام بإندونيسيا والتي سمح الهولنديون بنشرها والاطلاع عليها الآن[٢].

---

(١) حامد القادري، كفاح أبناء العرب ضد الاستعمار الهولندي، صفحة ٢٤.

(٢) امد القادري، كفاح أبناء العرب ضد الاستعمار الهولندي، صفحة ٢٢.

ومن هذه المقترحات السرية للبرفيسور سنوك هور خرونييه التوصية بمنع الهجرة العربية إلى إندونيسيا وإقصاء الإندونيسيين عن الإسلام والعرب لاعتقاد سنوك أن العرب من حضرموت يشكلون خطراً على هولندا فقط إذا ما استقر بهم المقام في إندونيسيا.

لذا أعاقت هولندا هجرتهم إلى إندونيسيا بشتى الوسائل مثل صعوبة الحصول على تذكرة الباخرة إلى إندونيسيا ثم عرقلة نزولهم من الباخرة بعد وصولهم ثم عرقلة وصولهم إلى المكان المقصود وتصعيب الحصول على الإذن بالإقامة وإذا حصل الحضارمة على الإذن بالإقامة كان عليهم البقاء في مدينة معينة فقط والسكن في جزء معين من تلك المدينة كما يلزمهم الحصول على إذن بالتنقل من مدينة لأخرى، بل من جزء من المدينة إلى جزء آخر من نفس المدينة، وليس الحصول على هذه الأذونات بالأمر السهل بل يعاملون عند تقديمها للشرطة بأسلوب فظ، وإذ وجد أحد الموظفين الهولنديين مخالفة لعربي ولو بسيطة لنظام التنقل السابق قدمه للمحاكمة أمام الشرطة التي كان الحضارمة يهابونها لبطشها وكل هذه القوانين الجائرة ناتجة من اعتقاد هولندا بأن الإسلام هو عدوها الأول وأن العرب وأبناءهم والإسلام كيان واحد[١].

وأورد القادري نقلاً عن مصادره أمثلة للممارسات السيئة التي تمارسها السلطات الهولندية ضد العرب فذكر إرغام رجل عربي على ترك المنطقة الشعبية التي هي مسقط رأسه ومكان إقامته وحكم عليه بالسجن لمدة ثمانية أيام لأنه كان يقيم بين أبناء البلد الوطنيين مخالفاً بذلك نظام التنقل. كما أجبر أحد العلماء العرب المعروفين على إنهاء خطبته بالمسجد الجامع بجاكرتا ومنعته الحكومه من المبيت في المنطقة الشعبية حيث تقيم زوجته، وقال محرر الصحيفة الذي أورد هذه القصص من المؤلم أن السلطات الهولندية لم تنتقد هذه الأعمال بل أيدتها وساندتها بشكل صريح وقدمت لها التبريرات غير المنطقية[٢].

---

(١) حامد القادري، كفاح أبناء العرب ضد الاستعمار الهولندي، صفحة ١٠٠.

(٢) حامد القادري، كفاح أبناء العرب ضد الاستعمار الهولندي، صفحة ١٠٥.

وجاء تاجر مسلم من الصين إلى سورابايا وكان يصلى مع المسلمين فقال له رئيس الجالية الصينية بأنه والصينيين في سورابايا يشعرون بالخزي لذهابه إلى المسجد والصلاة هناك مع المسلمين وأمرت الحكومة فوراً بطرده من سورابايا وأوضحوا له أنه لا يمكنه بعد هذا الجرم العودة ثانية إلى جاوة والمناطق المحيطة بها وكانت جريمته الوحيدة في كونه مسلماً[١]. ولأجل محاربة الإسلام خصوصاً بين طبقة النبلاء الإندونيسيين افتتحت لهم هولندا المدارس الابتدائية الهولندية الخاصة بالإندونيسيين ومدارس تدريب الموظفين وكان سياستها قائمة على إضعاف إيمان الطلاب بدينهم ليسهل استخدامهم فيما بعد في مراقبة الأئمة والعرب. كما كانت هولندا تختار لوظيفة الحاكم المحلي من الإندونيسيين من كان إيمانه بالإسلام سطحياً في ذلك الوقت كما كان سنوك هورخورنييه يعقد الاجتماعات المتكررة بمنزله مع أولاد النبلاء الإندونيسيين لتحقيق أهدافه وأرسل مجموعه منهم للدراسة بهولندا لنفس الغرض السابق[٢].

وكانت هولندا تخاف من العرب والإسلام، وحصل لديهم ما أسموه بالفزع من العرب (عرب فوبيا) أو الفزع من الإسلام (إسلام فوبيا) نتيجة الدور الهام الذي قام به العرب المسلمون في مقاومة الاستعمار الهولندي[٣]، حيث إن الهولنديين لا يخافون من الجاويين الأصليين بل يقولون صراحة في الصحيفة اليومية التي تصدرها الحكومة الهولندية ودون حرج «إن الجاويين بلهاء جداً إلى حد أنهم لا يحكمون إلا بالبطش والخداع»[٤]. ولقد اندمج العرب بالسكان المحليين قبل دخول البرتغاليين والهولنديين جزيرة جاوة ووصلوا إلى مكانة عالية كحكام للسواحل الشمالية وهذه المكانة هي التي زرعت العداوة في نفوس الغربيين

---

(١) حامد القادري، كفاح أبناء العرب ضد الاستعمار الهولندي، صفحة ١٠٦.

(٢) حامد القادري، كفاح أبناء العرب ضد الاستعمار الهولندي، صفحة ١٠٦-١٠٧.

(٣) حامد القادري، كفاح أبناء العرب ضد الاستعمار الهولندي، صفحة ٦٣.

(٤) حامد القادري، كفاح أبناء العرب ضد الاستعمار الهولندي، صفحة ١٠٥.

ضد الإسلام والعرب، وعندما وصل البرتغاليون والهولنديون إلى جزيرة جاوة كانوا يدركون جيداً بأن هؤلاء الحكام من أصل عربي(١).

إلا أن البروفيسور الهولندي فان دن بيرخ كان اقل عداءً للعرب والمسلمين من خلفه سنوك هور خرونييه وقد لاحظ في أبحاثه عن العرب في إندونيسيا بأن العرب قد اندمجوا كليا بالسكان الأصليين منذ قرون، وكان من رأيه أيضاً أن العرب هم أبناء الأرض وأضاف إن العرب تزوجوا بنات النبلاء والحكام الإندونيسيين إلا أن الحالة تبدلت حين أحس هؤلاء النبلاء الإندونيسيين أن الحكومة الهولندية لا تحب اندماج العرب بالوجهاء من أبناء البلاد(٢) فتوقفوا عن مصاهرتهم.

وطالبت إحدى المجلات الهولندية المهمة في وقتها بطرد العرب، وكتب محررها: لا أستطيع فهم تخاذل الحكومة التي تقف موقف المتفرج بكل هدوء ولم تتخذ أي إجراء لطرد العرب وقد ثبت أنهم العنصر الأكثر خطورة على أمن واستقرار المستعمرة الهولندية (٣).

وقدم سنوك هورخرونييه مقترحات سريه لمنع الإندونيسيين من الحج، حيث يتعرض الحجاج عند السفر للتفتيش الدقيق لمعرفة المبالغ التي سيأخذونها معهم تحت مبرر حمايتهم من أن يقعوا في أزمة مالية بالأراضي المقدسة كما ألزموا بشراء تذكرة الذهاب والإياب حتى لمن ينوي الإقامة والدراسة هناك لعدة سنوات كما أصدروا نظام شهادة الحجاج ولا يسمح إلا لمن حصل على هذه الشهادة بإرتداء لباس الحج وذلك بحجة استبعاد الحجاج المزيفين. وشمل هذا القانون منع لبس العمائم، فقل لذلك عدد لابسي العمائم من مدرسي الدين وغيرهم نتيجة هذا القانون، وكان الهولنديون يرون أن العمائم تزيد من تأثير لابسيها على المسلمين كما تلقى القنصل الهولندي بجده التعليمات بعدم تسهيل أمور الحجاج(٤) الجاويين.

---

(١) حامد القادري، كفاح أبناء العرب ضد الاستعمار الهولندي، صفحة ٤٢.

(٢) حامد القادري، كفاح أبناء العرب ضد الاستعمار الهولندي، صفحة ٣٥.

(٣) حامد القادري، كفاح أبناء العرب ضد الاستعمار الهولندي، صفحة ٨٥.

(٤) حامد القادري، كفاح أبناء العرب ضد الاستعمار الهولندي، صفحة ٩٨-٩٩.

ولو عرفنا خطورة الطرق البحرية في ذلك الزمن وما يتعرض له الحجاج في صحاري ومفاوز الحجاز من الأخطار والمهالك وما يقابلونه من قطاع الطرق بالحجاز قبل أن تبسط الدولة السعودية يدها على الحجاز وتؤمن طرق الحج وتضمن سلامة الحجاج لعرفنا قوة إيمان هؤلاء الإندونيسيين الذين كانوا يعرضون حياتهم للخطر الشديد لأجل أداء فريضة الحج، ولم يتوقفوا عن القدوم للحج في كل الأوقات العصيبة في تاريخ جزيرة العرب.

وعلى جانب الحرب الاقتصادية على العرب نجد أن الحكومة الهولندية أعطت الصينيين الوضع الأفضل للقيام بدور الوسيط التجاري مما أضعف التجارة العربية بإندونيسيا وأصبح الوضع خطيراً بالنسبة للعرب.

وعلى سبيل المثال كان للتجار العرب وضع متميز في سلطنة بونتياناك حيث كان أول سلطان عربي للمدينة يشجع أبناء جنسه على الاستقرار في المدينة بمنحهم امتيازات تجارية، مما ضاعف ثرواتهم إلا أن الحكومة الهولندية تدخلت وألغت هذه الامتيازات، ونتج عن ذلك أن أصبحت تجارة الجملة بأكملها في أيدي الصينيين والبنغاليين ولم يعد هناك إلا قليل من عرب حضرموت الذين يمارسون تجارة التجزئة وفي حدود ضيقة جداً[١].

ومن الأعمال التعسفية الأخرى ضد العرب قيام الحكومة الهولندية في مطلع القرن التاسع عشر بحجز مساحات واسعة من الأرض الزراعية التي يملكها العرب واشتراطها ضمان عودة ملكية هذه الأراضي لورثتها من السكان المحليين[٢].

وبرغم كل ما قام به الهولنديون لإضعاف الإسلام بإندونيسيا إلا أن الإسلام استمر في الانتشار بقوة وذكر القادري نقلاً عن كتاب البروفيسور ورتهايم قوله: «ظهر في القرن التاسع عشر عامل جديد إذ اعتنق الفلاحون الإسلام في العديد من مناطق إندونيسيا»[٣].

---

(١) مسعود عمشوش، الحضارم في الأرخبيل الهندي، صفحة ٨٠-٨١.

(٢) مسعود عمشوش، الحضارم في الأرخبيل الهندي، دارج صفحة ١٠٦ .

(٣) حامد القادري، كفاح أبناء العرب ضد الاستعمار الهولندي، صفحة ٧٥.

كما أن العرب لم يقفوا مكتوفي الأيدي خصوصاً بعد إلغاء نظام التنقل سنة ١٣١٨هـ (١٩٠٠م) والذي ثبت فشله في الحد من انتشار الإسلام بين الإندونيسيين فتأسست سنة ١٣٢٣هـ (١٩٠٥م) جمعية خير التعاونية بجاكرتا لحماية مصالحهم وعكست شعور مؤسسيها الديني القوي وفتحت المدارس العربية وجيء بالمدرسين من البلاد العربية[١].

وقد شارك العلويون بشكل فعال في أعمال المقاومة ضد الاستعمار الهولندي وأشهرهم على الإطلاق هو الحبيب عبد الرحمن الزاهر[٢] المولود بآشيه، وأبرز قادة حرب المقاومة في آشيه وأعظم القادة العسكريين قاطبة بعد سنة ١٢٩٥هـ (١٨٧٨م)، وقد استطاع الحبيب عبد الرحمن الزاهر إنشاء قوة عسكرية للنضال ضد هولندا وكان إلى جانب خبرته العسكرية دبلوماسياً محنكاً، فقد ذهب إلى تركيا للحصول على المساعدة من أجل آتشيه، وقد أشاد جميع المسؤولين الغربيين والأتراك بعقله النفاذ ونظرته السياسية العميقة ومعلوماته الواسعة بينما يصفه أعداؤه الهولنديون بالمشاغب المتعصب. وقد قاد الحبيب عبد الرحمن الزاهر عدة معارك حربية ناجحة ضد الهولنديين إلا أنه وقع فيما بعد في قبضة الهولنديين الذي نفوه إلى مدينة جدة بالحجاز،

وقد حاول الحبيب عبد الرحمن الزاهر الحصول على المساعدات في منفاه إلا أنه فشل في مساعيه فعاد إلى آتشيه متنكراً، وجمع القوات الكافية لقتال الهولنديين الذين عززوا قوتهم وتمكنوا بأسلحتهم الحديثة من هزيمة الحبيب عبد الرحمن ومن معه من المقاتلين.

كما شارك العلويون وغيرهم من العرب في كثير من حركات المقاومة ضد الهولنديين في ثورات لومبوك وفي ثورة بورنيو التي كان الحبيب علي أخطر المحركين لهذه الثورة[٣].

---

(١) حامد القادري، كفاح أبناء العرب ضد الاستعمار الهولندي، صفحة ١٠٧.

(٢) حامد القادري، كفاح أبناء العرب ضد الاستعمار الهولندي، صفحة ٧٨-٨٣.

(٣) حامد القادري، كفاح أبناء العرب ضد الاستعمار الهولندي، صفحة ٨٥.

وقد أدى الدور الذي قام به الحبيب عبد الرحمن الزاهر إلى تأكيد مخاوف هولندا من الإسلام والعرب وذريتهم، ولهذا طلب الحاكم الهولندي العام من البروفيسور فان دن بيرخ تأليف كتابه الذي سماه «الحضارم والمجتمعات العربية في الجزر الهندية» وأنشأت حكومة هولندا منصب المستشار لشؤون الإسلام والعرب تحت إدارة الدكتور سنوك هورخرينييه[١] وذلك حتى يتعرف المسؤلون الهولنديون على أحوال الحضارم تمهيداً لوضع السياسات الكفيلة بإضعافهم وتشتيت قوتهم.

وحيث إن كتاب فان دن بيرخ حوى كثيراً من المعلومات التي لم يرغب الهولنديون في أن يطلع عليها العرب لذا فقد نشروا هذا الكتاب باللغة الفرنسية التي لا يعرفها أحد من عرب إندونيسيا. وقد قام البروفيسور فان دن بيرخ بجمع المعلومات الكثيرة عن حضرموت من مئات المهاجرين الحضارم في باتافيا ومدن الأرخبيل الهندي حتى أن القارىء الحضرمي لهذا الكتاب يعتقد بأن هذا المؤلف الأوروبي عاش طول حياته في حضرموت.

وذكر فان دن بيرخ أن السفر من حضرموت إلى الأرخبيل الهندي (جاوا) كان يستغرق في السابق عدة شهور، وكان على المسافر أن يركب البحر من المكلا أو الشحر باتجاه بومباي ومنها يذهب إلى جزيرة سيلان ثم إلى آتشيه أو سنغفورا، وكل ذلك بواسطة المراكب الشراعية التي لا يزال بعض المسافرين يستخدمونها إلى اليوم (١٣٠٣هـ (١٨٨٦م) أما الأشخاص الذين يتوفر لديهم المال فيفضلون ركوب السفن الأوروبية التي تنقلهم من عدن إلى سنغافورة مباشرة[٢].

وعن المناطق التي يأتي منها المهاجرون الحضارمة ذكر فان دن بيرخ أن أغلب المهاجرين إلى جاوا يأتون من منطقة واحدة في حضرموت تمتد من شبام غرباً إلى تريم شرقاً

---

(١) حامد القادري، كفاح أبناء العرب ضد الاستعمار الهولندي، صفحة ٨٣.

(٢) مسعود عمشوش الحضارم في الارخبيل الهندي صفحة ٨٤.

بينما يحبذ سكان وادي دوعن الذهاب إلى عدن وجيبوتي وسواكن أو القاهرة ويفضل سكان المناطق الساحلية من حضرموت السفر إلى سواحل مالابار وحيدر أباد أما البدو فمن النادر أن يتركوا أرضهم.

ولاحظ البروفيسور فان دن بيرخ أنه لم يستطع أحد من الأمراء والزعماء العرب الذين سكنوا جاوه في القرن الخامس عشر الميلادي أن يترك سلالة محتفظة بالسمات العربية إذ أن إمبراطورية متِرام التي تأسست في النصف الثاني من القرن السادس عشر في وسط جاوة ضمت إليها معظم الإمارات التي أنشأها العرب وباستثناء إمارة شيربون وإمارة بانتام لم يكن لأي إمارة أخرى كيان مستقل حين جاء الهولنديون وقد فقد حتى أحفاد العرب الذين أسسوا هاتين الإمارتين سماتهم العربية ولم يعد هناك مايميزهم عن الأمراء المحليين الآخرين[١].

ويتابع فان دن بيرخ نشاط العرب بإندونيسيا فيقول بأنه منذ القرن الثامن عشر لم يمارس العرب تأثيراً سياسياً في مصير الجاويين مثل التأثير الذي مارسوه عند إسقاطهم إمبراطورية موجوباهيت، وبقي العرب بعيدي التأثير عن سلاطين بانتام ومترام كما بقوا في أجزاء من جزيرة جاوة تابعة لشركة الهند ثم خضعت هذه الأجزاء بعد ذلك للحكومة الهولندية. وفي الولايات الملايوية في ما عدا (اتشيه) يعود التأثير السياسي للعرب إلى القرن الثامن عشر فقط وأهم ما يميزه عن تأثير العرب في جزيرة جاوة في القرن الخامس عشر أنه لم يؤد إلى سقوط إمارات وثنية وأنه تم أساساً بواسطة العرب الحضارم[٢].

ويدلل فان دن بيرخ على آرائه بأمثله منها استقرار أحد أفراد عائلة السقاف الحضرمية في مدينة سياك منذ منتصف القرن الثامن عشر، وقد تزوج من أخت السلطان كما وصل قبله

---

(١) مسعود عمشوش، الحضارم في الأرخبيل الهندي، صفحة ١٤٤.

(٢) مسعود عمشوش، الحضارم في الأرخبيل الهندي، صفحة ١٤٤-١٤٥.

إلى نفس المنطقة عثمان بن شهاب وتزوج بنت سلطان سابق للمدينة، ثم أصبح سلطاناً لسياك ولا يزال ابنه السيد علي عثمان بن شهاب يحكم المدينة التي صارت خاضعة لحماية الحكومة الهولندية، كما استطاع عبد الرحمن بن عثمان بن شهاب أن يصبح حاكماً لبالوان التي كانت تتبع لسلطان سياك، ثم صارت منذ سنة ١٢٢٦هـ (١٨١١ م) امارة مستقلة.

وفي منطقة سياك أيضاً حاكم عربي آخر هو السيد محمد بن علوي الجفري أبوه من مواليد حضرموت، أما هو فمولده بإندونيسيا، كما يرتبط سلاطين مدينة جامبي منذ سنوات طويلة بعلاقة زواج بأشخاص من عائلة الجفري.

كما أن للعرب أثر سياسي كبير في إمارة آتشيه يعود لقرون عدة وأشهر شخصية حضرمية في آتشيه هو الحبيب عبد الرحمن بن محمد الزاهر الذي قاد المقاومة المسلحة ضد الهولنديين. وفي منطقة ادي التابعة سابقاً لإمارة آتشيه يعيش أربعة من السادة الذين ولدوا في حضرموت وأصبحوا من الزعماء.

كما أسس السيد عبد الرحمن القادري سلطنة بونتانياك العربية، ومن قبله أسس السيد عيدروس بن عبد الرحمن العيدروس مدينة كوبو[١]. وفي تيودور الواقعة في جزر الملوك قام شخص من عائلة السقاف بتنظيم جيش السلطان وذلك قبل نصف قرن (من عام ١٣٠٣هـ (١٨٨٦م).

وذكر فان دن بيرخ ايضاً أن سلطان سومينب الذي تولى الحكم بين ١٢٢٧-١٢٦١هـ كان مولعاً بالآداب العربية والجاوية وكان قد تعلم العربية في صغره على يد السيد عبد الرحمن البيتي القادم من مكة المكرمة، وحينما تولى هذا السلطان الحكم شجع العرب على الاستقرار في سلطنته[٢].

---

(١) مسعود عمشوش، الحضارم في الأرخبيل الهندي، صفحة ١٤٥-١٤٩.

(٢) مسعود عمشوش، الحضارم في الأرخبيل الهندي، صفحة ١١٨.

وذكر فان دن بيرخ أن من أبرز السمات المميزة لحياة الأسرة العربية في الأرخبيل الهندي (جاوا) الالتزام الصارم بالواجبات الدينية والابتعاد عن ألعاب القمار وتعاطي الأفيون وهاتان الآفتان تشكلان جرحين عميقين في حياة السكان المحليين [١].

وقال فان دن بيرخ: وترتدي نساء العرب وبناتهم الملابس نفسها التي ترتديها النساء المحليات من المستوى الاجتماعي نفسه والحجاب فقط هو الذي يميزهن[٢]. وذكر فان دان بيرخ أن السيد حسين بن أبي بكر العيدروس كان أول عالم عربي اشتهر في باتافيا وبعد أن قام بالتدريس لعدة سنوات توفي بها سنة ١٢١٣هـ وبعد وفاته أعتبر من الأولياء وانتشر صيته في كثير من جزر الأرخبيل وفوق قبره الواقع عند دلتا نهر باتافيا شُيد مسجدٌ كبير، واليوم تعد زيارة هذا الولي من أهم الزيارات السنوية في الأرخبيل الهندي فبالإضافة إلى السكان المحليين يأتي المولدون الصينيون والأوروبيون ليطلبوا النجاح في مشاريعهم أو أن يمنحهم الله الذرية[٣].

وذكر الأستاذ حسن الأمين بمجلة العربي الكويتية[٤] الأسر العلوية المهاجرة التي ظلت محتفظة بأصولها العربية وذكر أبرز من خرج منها من العلماء والشعراء والأدباء، فذكر من آل الجفري السيد عقيل بن زين العابدين الجفري الذي وصفه بأنه كان عالماً مرموقاً خرج من إندونيسيا إلى تركيا ودخل جامعة إسطنبول ثم سافر إلى أوروبا وكثير من بلدان آسيا، واتصل بالكثيرين من عظماء العالم الإسلامي، ثم صار من أقطاب السياسة الإندونيسية فقاوم الاستعمار الهولندي مقاومة شديدة أدت إلى أن تعتقله السلطات الهولندية وتسجنه سنة

(١) مسعود عمشوش، الحضارم في الأرخبيل الهندي، صفحة ١٣٥.

(٢) مسعود عمشوش، الحضارم في الأرخبيل الهندي، صفحة ١٣٥.

(٣) مسعود عمشوش، الحضارم في الأرخبيل الهندي، صفحة ١١٣-١١٤.

(٤) حسن الأمين، الهجرة العربية إلى الشرق الأقصى، مجلة العربي الكويتية، العدد ١٧٠ يناير ١٩٧٣، صفحة ٥١-٥٤.

١٣٤٧هـ ثم صادرت أملاكه وأبادت مكتبته الكبيرة القيمة. ثم أطلقته فقيراً لا يملك شيئاً. وعاش حتى أدرك الاستقلال فكانت فرحته فيه فرحة تتناسب مع نضاله وتضحيته. وتوفي سنة ١٣٧١هـ عن عمر ناهز التسعين .ويعتبر السيد عقيل من الأدباء المؤلفين باللغة العربية. وقد ترك العديد من المؤلفات التي ظلت مخطوطة لصعوبة الطباعة العربية في تلك البلاد.

وذكر كاتب المقال من آل شهاب السيد علي بن شهاب فقال عنه: كان من الكتاب المؤلفين، ولكن مؤلفاته ظلت هي الأخرى مخطوطة. وهو من المكافحين للاستعمار الهولندي ومن أركان الحركة التحررية وأبرز زعمائها. وكان الداعي إلى تأسيس جمعية خير سنة ١٣٢٥هـ كما كان عضواً في الحزب الإسلامي الإندونيسي (شركة إسلام) وفي العام ١٢٩٨هـ هوجم اجتماع وطني كان يرأسه فساقته الشرطة الهولندية إلى السجن حيث قضى فيه فترة، وبعد خروجه من السجن ساح في البلاد الإسلامية فزار تركيا ومصر وسورية، ثم أدى فريضة الحج، ثم عاد إلى إندونيسيا متابعاً الكفاح من أجل الاستقلال، وظل حياً حتى دخول الجيوش اليابانية إلى إندونيسيا، ثم توفي سنة ١٣٦٤هـ في أواخر العهد الياباني عن عمر ناهز الخامسة والتسعين (انتهى النقل).

وبعد هذه المقدمة المفيدة ستتضح لنا كثير من الأمور التي حدثت للعرب فيما بعد في إندونيسيا وتتبين لنا الدوافع والعوامل التي أدت إلى التفريق بين الحضارم أنفسهم في ما عرف بالفتنة العلوية الإرشادية.



الفصل التاسع بعد المائة

الفتنه الإرشادية العلوية



الشيخ أحمد محمد السوركتي

ليس من المستحسن استعادة الحديث عن الفتن السابقة خصوصا لما يمكن أن يثيره التذكير بها من إثارة العصبيات الممقوتة التي جاء الإسلام ليحاربها، وقد درج العلويون على عدم الخوض في أحداث الفتن السابقة فهم مثلاً لا يتعرضون البتة لما حصل من فتن بين الصحابة في صدر الإسلام ولا يخوضون في هذه الأحاديث غير المفيدة إلا أن ما دفعني للحديث عن هذه الفتنة هو العبرة من هذه الفتنة وتأثيرها المدمر على انتشار الإسلام وعلى الوجود العربي في الجزائر الإندونيسية خصوصاً مع ما ظهر لنا عنها من معلومات جديدة توضح لنا بعض الأسرار التي خفيت على الناس في ذلك الزمن، وأنا لا أنوي في هذا السياق أن ألقي باللائمة على أحد أو أدافع عن أحد فتلك أمة قد خلت لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت.

ولقد وجدت أن كل من تحدثوا عن هذه الفتنة لم يتعرضوا للأساس الذي بنيت عليه والأهداف المرسومة لها والتي تتضح لك من قراءة الفصل السابق عن العلاقة بين الهولنديين والعرب والمسلمين بإندونيسيا. ولا قيمة عندي الآن لمسببات هذه الفتنة لأنها تبدوا لنا الآن أسبابًا لا قيمة لها، والأصل في المشكلة أن القوة الاستعمارية اهتدت إلى أسلوب فعال لشق صفوف الحضارمة بإشعال الفتنة بينهم ليكون ذلك جزءاً من حربها على الإسلام بإندونيسيا.

ولعل أكثر من كتب عن هذه الفتنة وبذل قصارى جهده لإطفائها هو العلامة عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف الذي أفرد لهذا الموضوع بحثاً مطولاً في الجزء الأول من موسوعته العظيمة بضائع التابوت والتي لا زالت للأسف مخطوطة، وقد كان بن عبيد الله بما جبل عليه من الفكر النير وبعد النظر محترماً من كل الأطراف بل أنه أبدى استغرابه في عدة مواقع من السبب في استمرار الفتنة رغم اقتناع أطرافها بالصلح وما هو السر في أنه كل ما تقاربت الأطراف قامت جهة ما بنسف أساسيات هذا التقارب.

قال بن عبيد الله: وفي البداية استهوتني الرابطة العلوية وقد تكفلت للحضارمة في

أوطانهم ومهاجرهم بما لا يرجونه من المهدي المنتظر آخر الزمان ثم قال: ولكني لما تأملت في قانونها بعين العدل والإنصاف انكشفت لي جملة من الملاحظات منها حصر اسمها على العلوية، وقد كتب لي صديقي الجليل سيف الإسلام البدر محمد بن الإمام يحيى ينتقد هذه التسمية لما فيها من إظهار التعصب وإثارة التحزب[1].

وفي ذلك يقول بن عبيد الله: وكلما هدأت الثورة وسكنت الفورة أذكاها عشاق الفتنة المتصيدون في الماء العكر بجريدة (يقصد منشور) أو مقالة أو خطبة فاضطربت الحبال وزادت الأنكاد وكثرت الأحقاد فسقط مقام الحضارمة من النفوس وانمحى احترامهم من الصدور وبعد أن كانت الاهالي تتشرف بالانتساب إليهم بالصهر والجوار عادت تتقززهم وتنفر منهم وتستهزئ بهم وتجعلهم مضرب المثل في فساد الطباع وخبث الأخلاق وكثرة الظلم وسوء المعاملة (انتهى)[2].

ولعل كلام ابن عبيدالله يلخص السبب ويبين النتيجة لما حدث، وكما عرفنا في الفصل السابق عن علاقة هولندا بهذه الفتنة فإن الصحف الهولندية كانت ترسخ هذه الصوره السيئة عن الحضارم في أذهان الإندونيسيين بما تنشره عنهم من هجوم متواصل يشوه سمعتهم. وقد تساءل بن عبيدالله في عدة مواضع عن وجود فئة مستأجرة لإحداث الشقاق ولو عرف بن عبيدالله ماتوفر لنا من المعلومات التي نشرها القادري في كتابه عن كفاح أبناء العرب في إندونيسيا لعرف السبب الحقيقي لهذا النزاع.

لقد استثمرت القوى الاستعمارية أسلوب إثارة الخلاف والفتنة لتوطيد سلطتها في كل البلاد التي احتلتها، ولعل إثارة الفتن القائمة على مبدأ فرق تسد هي إحدى وسائل الاستعمار المعروفة فقد حصلت في إفريقيا كما حصلت في جاوة وحصلت في الهند وبقية

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، بضائع التابوت، مخطوطة الجزء الأول، صفحة .

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، بضائع التابوت، مخطوطة الجزء الأول، صفحة ٢٥١-٢٥٢.

المستعمرات فقد ذكر انجرامس عن الحضارمة في زنجبار فقال: «إنه حدث في الأعوام ١٣٤٢-١٣٤٧هـ اضطرابات يقال إن الحضارم كانوا في معظمها إن لم يكن كلها المتسببين وكان ضحية هجومهم من البلوش والخوجه والهندوس وعرب مسقط وصور.

وقد حدثت أعنف اضطرابات سنة ١٣٤٧هـ حين نشب القتال بين الحضارم وآل عمان واستمر لمدة أربعة أيام قتل خلالها أربعة أشخاص وجرح ثلاثون وقد طرد من المحمية (زنجبار) ناصر عبد الله الكثيري الذي يقال إنه تزعم القتال مع أربعة آخرين» (انتهى)[1].

بل إنه قد حصلت فتنة أريقت فيها الدماء بين الصينيين والعرب بجاوا الشرقية في حدود سنة ١٣٢٧هـ وقامت جمعية خير العربية بالمساعي الحثيثة لإزالة أسباب الخلاف بين الصينيين والعرب بإندونيسيا وفي الهند وصل الجنرالات الحضارم العظام مثل القعيطي والكثيري والعولقي إلى أرفع المناصب العسكرية في حكومة حيدر أباد، بل لقد أصبحت مملكة حيدر أباد كلها تحت سيطرتهم، ولما تولى الوزراة صرار جنك رأى أن لا سبيل إلى القضاء على سيطرة الجنرالات الحضارمة إلا بإشعال الفتنة بينهم وبينهم وبين السيخ، فدبر لهم المكائد التي أدت إلى تقاتلهم وإضعافهم. وقد ذكر بن عبيدالله في مخطوطة بضائع التابوت الكثير من أخبار الفتن والحروب التي نشبت بين هؤلاء الجنرالات المستوطنين في حيدر أباد الدكن.

ولعل مبدأ فرق تسد من المبادئ المهمة لتكريس الاحتلال فقد حدثت إبان احتلال الإنجليز لأريتريا فتنة عظيمة قام فيها الأحباش بمهاجمة العرب وأغلبهم من عرب حضرموت وقتلوهم في الشوارع والبيوت. وأحرقوا بيوتهم ومتاجرهم بدعوى أنهم أجانب جاؤوا ليستغلوا بلادهم ويستأثروا بثرواتهم، ثم لم يمض شهر على هذه الحادثة حتى تمردت الفرقة السودانية بالجيش الإنجليزي وأحدثت في الأحباش مقتلة عظيمة، وفي كلا الفتنتين

---

(١) دبليو اتش انجرامس، حضرموت ١٩٣٤-١٩٣٥، تعريب سعيد عبد الخير النوبان، صفحة ١٧٥.

وقف الجنود الإنجليز على دباباتهم يتفرجون على الوضع ولا يحركون ساكناً، مع أن الأحباش والعرب عاشوا قبل ذلك عشرات بل مئات السنين في وئام وتعاون تام(١).

ولعل من خصائص الطبيعة العربية السهولة في إثارة الخلاف وتأجيج النعرات. وقد أتى الحبيب المصطفى ﷺ بدين الإسلام ليوحد القلوب ويؤلف بينها كما قال تعالى في سورة الأنفال الآية ٦٣: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾.

وقد شهد تاريخ العرب من أيام الجاهلية حروباً دامت عشرات السنين وأحرقت الأخضر واليابس لأسباب غاية في الحقارة، فهذه حرب البسوس وقعت بين بكر وتغلب ابني وائل، وقد دامت ٤٠ سنة وتتلخص قصة الحرب في أن كليب بن وائل تزوج جليلة بنت مرة ولها عشرة إخوة أصغرهم سناً جساس بن مرة ثم نزلت البسوس خالة جساس ضيفاً على جساس وجاءت بناقة لها فصيل (ابن الناقة) تركتها ترعى بين إبل جساس فقتل كليب الفصيل ورمى الناقة في ضرعها لأن جساساً لم يستأذنه في إقامتها بينهم، واحتمل جساس الضيم حفاظاً على وحدة الحي ثم شرعت البسوس تحرض جساساً وأوغرت صدره على كليب حتى ظفر به وقتله وكان لكليب أخ اسمه مهلهل حرضه قومه على طلب ثأر أخيه ووقعت بينهم حروب طويلة وانتهت بمقتل جساس ثم سئم بعدها الحيان الحرب فتداعوا للصلح فاصطلحوا.

أما حرب داحس والغبراء فقد وقعت بين عبس وذبيان واستمرت ٤٠ سنة وقد أثار هذه الحرب رهان على سباق بالأفراس بين قيس بن زهير من بني عبس وحذيفة بن بدر من ذبيان. وادعى حذيفة السبق وأبى قيس ذلك لأن حذيفة أكمن في طريق الخيل بعض فتيان ذبيان ليردوا فرس قيس. وطلب حذيفة حقه في الرهان وأرسل ابنه إلى قيس بذلك فقتله

---

(١) محسن علوي السقاف، مذكراتي واختياراتي، صفحة ١٦٧.

قيس. نشبت إثر ذلك الحرب بين عبس وذبيان، وظلوا يتراوحون القتال ٤٠ سنة. ولما كثرت الوقعات وكادت القبيلتان تفنيان تداعى هرم بن سنان والحارث بن عوف لعقد الصلح بين القبيلتين. وتحمل الرجلان ديات القتلى ووضعت الحرب أوزارها.

ولا زلنا إلى اليوم نرى السهولة التي يمكن أن تتحرك بها الفتن المذهبية أو القبلية أو العصبية خصوصاً مع ضعف الارتباط الديني والذي هو أقوى رباط يوحد قلوب المسلمين، كما قال تعالى في الآية ٦٣ من سورة الأنفال: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾.

أدت هذه الخلافات إلى وقوع المسلمين فريسة سهله لأعدائهم وما ضياع الأندلس وسقوط الإمبراطوريات الإسلامية إلا بسبب هذه الخلافات، كما قال تعالى في سورة الأنفال الآية ٤٦: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾.

وقد أصاب آخر الإمبراطوريات الإسلامية هذا المرض العضال فقد ثار الخلاف بين أهم عناصر الدولة العثمانية وهما العرب والترك ففي سنتي ١٩١٢ و١٩١٣[1] أخذت الصحف العربية والتركية تناقش بعضها بعضاً مناقشات كانت حادة في كثير من الأحيان وأخذ متطرفوا الأتراك يؤلفون الكتب في الطعن في العرب وكل ما له علاقة بالعرب، وواجههم العرب بنفس الطريقة وتوجت هذه العداوة بالثورة العربية الكبرى التي أعلنها الشريف حسين في مكة وأعلن بعدها الحرب على العثمانيين مما سهل على القائد البريطاني اللنبي فتح القدس بعد أن ردته عنها القوات العثمانية مرتين.

ولا زالت الخلافات المدمرة تنشأ إلى يومنا هذا بين الطوائف الإسلامية ويكون لها أعظم الضرر على الإسلام والمسلمين، ومن آخرها ما نشهده هذه الأيام (سنة ٢٠٠٧ م) من

---

(١) حافظ وهبة، جزيرة العرب في القرن العشرين، صفحة ١٥٣.

خلاف وقتال بين الفلسطينين تزهق فيه الأرواح المسلمة البريئة ولا ينعقد الصلح رغم العدو المتربص أمامهم لأن قوة الاحتلال تريد استمرار الفتنة وإضعاف الطرفين.

وقد بني الخلاف الإرشادي العلوي على خلفية واهية ذكرها الأستاذ صلاح البكري مؤرخ الإرشاديين وأحد أقطابهم فقال[1] حدث في سنقفورا سنة ١٣٢٣هـ أن تزوج هندي مسلم بعلوية فأحدث ذلك رجة عنيفة في المجتمع العربي وتقدم أحدهم بسؤال لفضيلة الشيخ عمر بن سالم العطاس فأفتى بعدم صحة الزواج ولو رضيت أو رضي وليها، ونشرت الفتوى في منشور وزع على الناس في سنغافورا.

ثم استعان الإرشاديون بصاحب المنار محمد رشيد رضا فأسهب في رد تلك الفتوى بما يصل إلى درجة التحريض الشعوبي مع أن العلماء العلويين أنفسهم لم يكونوا ليروا رأي العطاس.



السيد محمد رشيد رضا

---

(١) صلاح البكري، الجنوب العربي قديماً وحديثاً، طبعة دار العلم للطباعة والنشر، صفحة ١٠٩.

من الغريب أن أحداً لم يلتفت إلى فتوى جاءت في هذه المسألة من أكبر علماء العلويين بحضرموت، فقد أرسل أمير الإحسان السيد محمد بن أحمد السقاف في سنة ١٣٢٣هـ من سنقفورا يستفتي العلامة السيد علوي بن عبد الرحمن السقاف قاضي سيؤن في هذا الموضوع لما كثر فيه الجدل والخصومة فأجاب هذا العلامة الكبير بما اتفق عليه متأخرو الشافعية من أنه لا اعتراض على من يزوجها الولي الأقرب برضاها من غير الكفؤ، قال بن عبيدالله، وبمثل ذلك أفتيت أنا في سنة ١٣٥٨هـ بشأن رجل جاء من الهند وتزوج بشريفة برضاها من وليها مستنداً في ذلك على قول المنهاج وشروحه ولو أذنت في تزويجها بمن ظنته كفؤا فظهر بعد ذلك فسقه أو دناءة نسبه أو حرفته فلا خيار لها لتقصيرها بترك البحث (انتهى)[١].

قال بن عبيد الله: ورفعت فتواي لكثير من أهل العلم ومنهم إنسان عين تريم لذلك العهد السيد عبد الله بن عمر الشاطري فلم يقدح فيها أحد وأُمضي النكاح إلى اليوم (حال تأليف الكتاب ١٣٦٦هـ).

ومن الطريف ما ذكره الجد بن عبيدالله بأنه بذلت له مئتا ريال وهو مبلغ كبير في ذلك العهد بواسطة الشيخ سالم بن محمد الخطيب ليفتي ببطلان العقد فلم يوافق الجد على مخالفة الشرع لأجل مصلحة[٢]. قال الجد بن عبيدالله وفي مجموع الأجداد رضوان الله عليهم عن السيد يوسف بن عابد أن السيد عبد الرحمن بن شهاب أرسل إليه بشريفة من تريم غاب وليها ليزوجها من باحنان ففعل وما سبب الإحاله إلا خشية السيد بن شهاب من عتب السادة بتريم.

ومن ذلك أيضا أن السيد أبا بكر العيدروس العدني خرج إلى تريم وزوج الشرائف بآل بافظل (انتهى)[٣].

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، بضائع التابوت، مخطوطة الجزء الأول، صفحة ٢٤٩.
(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، بضائع التابوت، مخطوطة الجزء الأول، صفحة ٢٤٩.
(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، بضائع التابوت، مخطوطة الجزء الأول، صفحة ٢٤٩.

وذكر الأستاذ جعفر السقاف في كتابه حامد المحضار كما عرفته أن السيد العلامة حامد بن أبي بكر المحضار وهو الحائز على شهادة العالمية من الأزهر سنة ١٣٥٠هـ (كان يرى جواز تزويج المرأة الهاشمية من رجل كفؤ من قبيلة عتيقة) انتهى[١].

وذكر بن عبيدالله السيد عمر العطاس ولا أدري أكان هو صاحب الفتوى أم أنه شخص آخر، فقال في بضائع التابوت: وكان بعض أهل تريم يتعمد إغاظة العلامة السيد أبي بكر بن شهاب وكان السيد عمر العطاس موجوداً بتريم وقتما قدم العلامة ابن شهاب فكانوا ينصبونه ليفتيَه في المسائل والسيد عمر معروف بالحدة والشكاسة[٢].

ثم ماذا نقول إذا عرفنا أن بعض العلويين بحضرموت رفضج لانتفاء الكفاءه كما تدل عليه هذه القصة فقد ذكر الجد بن عبيدالله في الجزء الثالث من مخطوطة بضائع التابوت ما يلي: وسمعت من غير واحد من المشائخ الأجلاء أن الحبيب أحمد بن محمد الحبشي خطب إلى أحد آل باعباد بنتاً له تحفظ الإرشاد فأبى أن يقبله لعدم كفاءته في زعمه ولكن البنت كانت راغبة فيه فقالت في تشهدها بحيث يسمعها أبوها اللهم صل على محمد وعلى آل باعباد فانتهرها، فقالت له بعد سلامها أو ليس آل باعباد أفضل من آل محمد فعرف مغزى الكلام وأجاب السيد أحمد بالقبول، ولعل هذه المرأة هي التي أشار إليها سيدنا الحبيب أحمد بن زين الحبشي في شرح العينية بقوله تزوج الجد منهم بإشارة وبشارة.

ولعل ذلك يختلف عن تصرف الأمير على بن صلاح القعيطي والي القطن وشبام من جهة القعيطي، وقصة ذلك كما أوردها بن عبيدالله في المعجم أن الثري على بن محمد التوي أرضى الأمير على بن صلاح القعيطي حاكم القطن على أن يخطب له بنت الشيخ عوض بن سعيد بافضل وهو شيخ الأمير ومربيه ولما قال له الشيخ إنها مخطوبة للسيد علي بن حسن

---

(١) جعفر بن محمد السقاف، حامد المحضار كما عرفته، تريم للدراسات والنشر، صفحة ٥٧.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ٣٢١.

بلفقيه استعر الأمير علي بن صلاح غضباً وصادر جميع أموال الشيخ عوض وأمر عبيده بقتله، فكبر عليهم ذلك فأنذرو الشيخ عوض فهرب إلى سيؤون ولم يرجع بعدها إلى القطن أبداً[١].

وذكر صاحب مرآة الحرمين أن الشريف عون الرفيق أمير مكة فرش السيد بافقيه العلوي ثلاثمئة عصا لتزوجه بشريفة هو مثلها في الكفاءة كما أكرهه على تطليقها[٢].

وكتب بن عبيدالله في بضائع التابوت ومن الأحداث في أيام السلطان علي بن منصور أن أحد آل ريس قتلوا أحد عبيد الدولة واسمه خير الله بن إدريس بسبب أنه تزوج امرأة منهم بغير رضاهم فنازعوه في صحة نكاحها وراجعه السلطان في تسريحها ولما أمضهم العار ببقائها تحته وهو عبد قتلوه في **٢٣** من صفر **١٣٤٨**هـ[٣].

ولقد ظهرت مسألة الكفاءة في نكاح هذه الأيام (١٤٢٨هـ) في أعظم من هذه الصورة بعد أن أفتى بعض القضاة بتطليق زوجة من زوجها لانتفاء الكفاية بين قبيلة الزوج وقبيلة الزوجة رغم أن لديهم أطفال وتكرر ذلك في حالات أخرى وقد بحثت القضية بحثاً شافياً في الصحف السعودية وتحدث فيها العلماء والفقهاء[٤] وقد اقتطفت بعض المقتطفات من هذه الأبحاث وضعتها بفصل مستقل عن الكفاءة في النكاح لمن يريد الاطلاع. ومن الغريب أن شرارة الفتنة بدأت في سنقفورا لكنها لم تُحدث أثراً هناك حيث لم يكن لدى الهولنديين ولا للإنجليز خوف من مسلمي سنقفورا لقلة عددهم وضعف تأثيرهم الروحي حيث أن أغلبهم من التجار وطالبي المعيشة الذين يعيشون في بحر من الصينيين والهنود السيخ ولكن

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صفحة ٢٤٧.

(٢) براهيم رفعت باشا، مرآة الحرمين، دار المعرفة بلبنان، صفحة ٢٧٨.

(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، بضائع التابوت، مخطوطة الجزء الثالث، صفحة ١٦٣.

(٤) د. سعد بن مطر العتيبي، ملحق الرسالة، صحيفة المدينة المنورة، الجمعة ١٢ صفر ١٤٢٨ الموافق ٢ مارس ٢٠٠٧، صفحة ٧.

الفتنة استعرت في جاوى حيث يشكل انتشار الإسلام السريع خطراً على الوجود الهولندي فيها.

وقد تصادف انبعاث شرارة الفتنة وصول الشيخ أحمد بن محمد السوركتي من مكة إلى بتافيا (جاكرتا) في سنة ١٣٢٩هـ لتعليم اللغة العربية والعلوم الدينية لأبناء العرب المهاجرين ولأبناء البلاد الأصليين بناءً على طلب من المدرسة العربية لجمعية خير التي أسسها العلويون، وقد اختاره لهم العلامة الشيخ محمد يوسف الخياط بمكة المكرمة والشيخ السوركتي من مواليد أدفو بالسودان عام ١٢٩٢هـ وكان قد درس العلوم الدينية بالسودان ثم رحل إلى مكة للمجاورة والتدريس بالحرم المكي. وقد استقبله جميع العرب عند وصوله إلى ميناء بتافيا استقبالاً مشهوداً وعقدت له احتفالات الترحيب

قال صلاح البكري[١] وفي مجلس من مجالس العرب بمدينة صولو سأل السيد عمر بن سعيد بن سنكر فضيلة الشيخ أحمد السوركتي عن صحة جواز العلوية بغير علوي فأفتى فضيلته بصحة ذلك، فبهت الحاضرون وانسحب بعضهم من الجلسة وكانت هذه هي الشرارة التي أشعلت نار الفتنة في طول البلاد وعرضها.

وقال الأستاذ البكري[٢]: وقد أدى هذا الخلاف جانباً كبيراً من أوقات الحضارمة في المهجر وامتد الخلاف حتى وصل إلى حضرموت، وتدخلت الحكومتان القعيطية والكثيرية في العمل للتوفيق بين الفريقين، ولكن من غير جدوى. وأصدر الإرشاديون الصحف لعرض وجهة نظرهم، وكان للعلويين أيضاً صحفهم التي تدافع عنهم.

ومما يدل على أن هذه الحركة لم تكن ناتجة عن تعصب وإنما لها أسبابها السياسية ما ذكره العلامة بن عبيدالله من قيام بعض العلويين في سنة ١٣٣٣هـ ببث مبادئ الإرشاد نكاية

---

(١) صلاح البكري، الجنوب العربي قديماً وحديثاً، طبعة دار العلم، صفحة ١١٨.

(٢) صلاح البكري، الجنوب العربي قديماً وحديثاً، طبعة دار العلم، صفحة ١٢٥.

في مراجيح العلويين بجاوا في ذلك العهد مثل قاضي القضاة عثمان بن عبد الله بن عقيل والحبيب محمد بن أحمد المحضار وأمثالهم، حتى لقد اتخذ أولئك الرهط غرفة يجتمعون بها وسماها بعض الناس خشامر تشبيها لها بمكان آل علي جابر اليافعيين بحضرموت لأخذهم بالمبادئ السلفية في الاعتقاد.

قال بن عبيدالله: وبلغ من تعصب هؤلاء العلويين أنهم رفضوا أن يستقدموا لمدرسة جمعيتهم (جمعية خير) مدرسين من حضرموت بعد أن طالبهم بذلك الشيخ سالم بن محمد بن طالب والشيخ عمر بن يوسف منقوش فلم يسمعوا لهم رأياً ولم يقبلوا لهم مقالاً وجلبوا لمدرسة جمعيتهم معلماً من الحجاز أصله من السودان وبالغوا في الاحتفاء به وتعظيمه حتى نام كبيرهم تحت سريره وكتب لبعض أصحابه يبالغ في الثناء عليه ويطعن في الحبيب محمد بن أحمد الحبشي والحبيب محمد بن عيدروس الحبشي ومن على شاكلتهم من أهل اللباس الأخضر وبلغ من تقليدهم لذلك المعلم وإعراضهم عمن سواه من مشايخهم ومعلميهم وأسلافهم أنهم قرأوا عليه الفاتحة ليصلح لهم منها ما حرفه عليهم منها بزعمهم مشايخهم المغفلون من حضرموت.

قال بن عبيدالله ثم نزغ الشيطان بينهم وبين السوركتي، وانتهوا في العداوة إلى أقصى غاية فلجأ السوركتي إلى زعيم العرب بجاوا الشيخ عمر منقوش، فطلب منهم المنقوش أن يدفعوا له ما يوصله إلى بلده فلم يقبلوا طلبه وأغضبه لجاجهم فقام المنقوش بنصرة السوركتي وشجعه على نشر مبادئء الإرشاد التي تلقاها عن رهط العلويين الذين انقلبوا ضدها فلم يكن من أولئك الرهط إلا أن اشتدوا في عداوتهم للسوركتي والشيخ عمر منقوش.

وقال الجد بن عبيدالله أبياتاً في القضية توضح بعض الخفايا ومنها قوله:

ودس قـوم بجـاوا فتنـة فنمـت	لكن مقصودهم مـن بثهـا فـشلا
فحاربوهـا وعـادوا مـن تأثرهـا	وقام في نقضها الرهط الذي غزلا

وعود إلى الأستاذ صلاح البكري[١] الذي قال: وانتقل الخلاف والنزاع من المهاترات إلى معارك بالسلاح الأبيض كما حدث في مسجد بندووسو وقرسي وشربون.

كما أرسل الإرشاديون بالأموال إلى مصر يستكتبون الصحف المصرية لمهاجمة العلويين فأجابوهم لما طلبوا، كما اتصلوا بصاحب المنار الشيخ محمد رشيد رضا يستفتونه في مسألة الكفاءة في الزواج وأطلعوه على فتوى العطاس بسنقفورا فأجابهم صاحب المنار بفتوى مضاده للعطاس وفيها من العبارات ما يهيج الفتنة ويشعلها[٢].

ويعترف الأستاذ البكري بدور صحيفة المنار فيقول في محاضرة نشرتها صحيفة الفتح عام **١٣٥٣**هـ: وهنا يجب علينا أن نذكر أن مجلة المنار من أعظم الأسباب التي هيأت أفكار العرب لقبول دعوة جمعية الإصلاح والإرشاد، ومن أكبر الوسائل التي ساعدت جمعية الإرشاد على إزالة البدع والخرافات، ففى قلوب الحضارم لصاحب المنار العلامة السيد محمد رشيد رضا فضل لن يبيد[٣] (انتهى).

ومن المعروف أن الصحف تكتب لمصلحة من يدفع، ومن الطرائف أن الجد علوي بن عبد الله السقاف التقى أثناء زيارته الاستشفائية لمصر في سنة **١٩٦٨**م مجموعة من الصحفيين المصريين بأحد المآدب فانفرد به أحدهم وقال له إننا نحب أن نكتب عنكم وعن بلدك ولكن قل لي أولاً هل معك شيء من الدولارات فقال الجد لا نحب أن تكتب عنا وليس معنا دولارات.

وقد أقذعت الصحف المصرية السباب للعلويين حتى أنها شككت في أنسابهم دون

---

(١) صلاح البكري، الجنوب العربي قديماً وحديثاً، طبعة دار العلم للطباعة والنشر، صفحة ١٢٦.
(٢) صلاح البكري، الجنوب العربي قديماً وحديثاً، طبعة دار العلم للطباعة والنشر، صفحة ١١١-١١٧.
(٣) د محمد أبو بكر حميد، حضرموت فصول في التاريخ والثقافة والثروة، الناشر جمعية أصدقاء علي باكثير، صفحة ٦١.

أن يعرف هؤلاء الصحفيون شيئاً عن العلويين أو حتى عن حضرموت نفسها بغير ما قدمه لهم الإرشاديون المقيمون بمصر مثل الأستاذ صلاح البكري من معلومات حتى أن الأستاذ الأديب علي بن أحمد باكثير المقيم بمصر والذي تعاطف في البداية مع الأفكار الإرشادية سرعان ما ابتعد عن الإرشاديين لما رأى ابتعادهم عن جادة الصواب منتقداً غلاة الإرشادية بقوله: «ولولا غلو الغلاة من أهلها (يقصد الإرشاديين) وخروجهم عن حدود الدعوة إلى التعرض للأنساب وملء الصحف بالشتائم مما جعل كثيراً من رجال العلم والأدب المتنورين يتحرجون من الانتساب إليها»[١].

قال الجد بن عبيدالله في معجم بلاد حضرموت [٢]وقد تشكلت في مصر جمعية الدفاع عن العلويين لمجابهة الحملة الإعلامية الظالمة في الصحف المصرية قال الجد بن عبيدالله ولما سألنا عنها بعض من وصل حضرموت من أعضائها قال: أنها لا تزيد عن أربعة نفر رابعهم رئيسهم ثم انقسموا بعد ذلك ولم يبق إلا الرئيس ومعه واحد فقط.

قال البكري عن تأسيس جمعية الإرشاد[٣]: وأراد الله تعالى لكلمته أن تعلوا وللحق أن يتألق فهدى عصبة من العرب لتأسيس (جمعية الإصلاح والإرشاد) وإقامة مدرسة كبرى لها، قام بالنفقة عليها عدد من أغنيائهم وعلى رأسهم السيدان عمر منقوش وسعيد مشعبي (لاحظ لقب «السيدان»). وقد افتتحت المدرسة في أواخر سنة ١٣٣٣هـ في مدينة بتافيا والأهداف التي من أجلها أنشئت الجمعية ومدرستها يمكن حصرها في الآتي:

أولاً: تأسيس مدارس في إندونيسيا للغة العربية وعلوم الدين.

ثانياً: نشر المساواة بين المسلمين عملاً بقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾،

---

(١) الدكتور صالح علي باصره، دراسات في تاريخ حضرموت الحديث والمعاصر.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صفحة ٢٤٥.

(٣) صلاح البكري، الجنوب العربي قديماً وحديثاً، طبعة دار العلم للطباعة والنشر، صفحة ١١٨-١١٩.

وقول رسوله المصطفى عليه الصلاة السلام: «لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى».

ثالثاً: محاربة البدع والخرافات والتوسل بالقبور والأحجار والأشجار والأولياء الأحياء منهم والأموات.

وأول من تولى التدريس في مدرسة الإرشاد الشيخ أحمد محمد السوركتي بالتعاون مع الأستاذ الشيخ أحمد العاقب والأديب الشيخ محمد عبيد بن عبود (انتهى النقل)[١].

قال صلاح البكري[٢]: على أن كثرة كثيرة من هؤلاء وخاصة من آل العمودي وآل باوزير انضموا إلى الإرشاد وساعدوا في نشر دعوتها، كما انضم إليها معظم القبائل وغير القبائل بعد شهور معدودات وساعد الجميع الإرشاد بكل مرتخص وثمين .وفي الوقت الذي أخذت دعوة الإرشاد تنساح في مدن جزيرة جاوة وتُفتتح فروع كثيرة للجمعية أخذ غضب المعارضين يزداد حتى تطور إلى مهاترات وإهانات في الصحف المحلية بصورة مخزية يمقتها العقل والذوق السليم .ولقد اضطر العلامة الشيخ أحمد السوركتي للرد على ما كتبوه في الصحف ضده وضد أنصاره (انتهى النقل).

وقال البكري أيضاً: وكان لهذا التنافس بين الإرشاديين والعلويين أثر حسن في المجتمع العربي، فقد اندفع الناشئون إلى المدارس بنينَ وبناتٍ حتى اكتظت بهم فصول المدارس العربية (علوية وإرشادية) وأخذت اللغة العربية تنتشر بين المواليد يتحدثون بها ويكتبون بعد أن كانوا يجهلونها كل الجهل[٣].

إلا أنه قال إنَّ المواد التي تدرس في هذه المدارس (الإرشادية والعلوية) محدودة جدا،

---

(١) صلاح البكري، الجنوب العربي، صفحة ١٢٤.

(٢) صلاح البكري، الجنوب العربي قديماً وحديثاً، طبعة دار العلم للطباعة والنشر، صفحة ١١٩.

(٣) صلاح البكري، الجنوب العربي، صفحة ١٢٤.

فليس هناك شيء يذكر من العلوم الرياضية والجغرافية والخريج فيها لا يستطيع مواصلة دراسته الثانوية [١].

وحاول كثير من الملوك والسلاطين الإصلاح بين الطرفين، وذكر البكري أن الملك عبد العزيز آل سعود تدخل للصلح بين الطرفين فبعث برسائل لزعماء الفريقين يدعوهم لنبذ الخلاف والنزاع ويحثهم على الاتحاد والتضامن والتعاون على البر والتقوى، كما كلف السيد إبراهيم السقاف بالتوسط للصلح بين الفريقين فاتصل بزعماء الفريقين [٢].

إلا أن رد الإرشاديين على رسالة السيد إبراهيم السقاف كما ذكر صلاح البكري كان شديداً جداً في لهجته، ولذلك انسحب السيد السقاف من لجنة الإصلاح [٣].

وحاول سلاطين حضرموت جهدهم في الإصلاح فلم يوفقوا لما أرادوا، وكتب سيف الإسلام بدر الدين ابن الإمام يحيى كتاباً لبن عبيدالله يستحثه مواصلة محاولة الصلح بين الفريقين، كما أخبره بانتقاده لتسمية الرابطة بالعلوية لما لهذه التسمية من دلالة شعوبية تتنافى مع الاخوة الإسلامية.

وقد اجتمع بن عبيدالله أثناء مكثه بسانقفورا إثر عودته من جاوا بوفد من الرابطة العلوية وحاول جاهداً مع السيد إبراهيم السقاف والسيد عبد الرحمن بن شيخ الكاف إقناع وفد الرابطة بالصلح فتظاهروا بقبول الصلح ولكن ذلك لم يَنْطَلِ على الكاف فعاقبهم على عنادهم بحرمانهم مما اكتتبه لرابطتهم [٤].

ويؤخذ على البكري ما أخذ على بقية الكتاب والصحفيين بإندونيسيا من إذكائهم جمرة الخلاف وتهييجهم المشاعر كلما تقاربت فرص الإصلاح بل استعان البكري بالصحف المصرية لكتابة المقالات المدفوعة التي تقذع في قدح العلويين كلما زادت قيمة المكافأة.

(١) صلاح البكري، الجنوب العربي، صفحة ١٢٤.
(٢) صلاح البكري، الجنوب العربي قديماً وحديثاً، طبعة دار العلم للطباعة والنشر، صفحة ١٢٦.
(٣) صلاح البكري، الجنوب العربي، صفحة ١٢٩.
(٤) السيد عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الأول، صفحة ٢٦٧.

والحقيقة أن الباحث يستغرب من قوة الجهات التي تدخّلت للإصلاح ومع ذلك فإن جهودها ذهبت أدراج الرياح، خصوصاً وأن مسألة الخلاف مسألة في غاية البساطة مما يثير الريبة بأن هناك جهات لها مصلحة في إذكاء الخلاف واستمراره.

على أن مسألة الكفاءة في الزواج لم تكن نقطة الخلاف الوحيدة، بل ظهرت مسألة ثانية وهي أن الإرشاديين تقدموا للحكومة الهولندية بجاوى طالبين إباحة اسم السيد لمن يريد دون اختصاصه بالعلويين فأجابتهم لطلبهم.

وعلق بن عبيد الله على ذلك فقال في بضائع التابوت إن كبار العلويون لم يكن يطلق عليهم إلا لقب الشيخ ولعل أشهر هذا الألقاب ما لصق بالشيخ أبي بكر بن سالم صاحب عينات المتوفى سنة ٩٩٢هـ والذي لا يزال يُعرف به إلى اليوم. وقال السيد عبد الله بن محمد السقاف في تاريخ الشعراء الحضرميين إنه أطلق عليه لقب الشيخ لعظم حاله ومكانته في المجتمع.

وللعلويين شيوخ في العلم من غير العلويين يطلقون عليهم لقب السيد فمن ذلك ما أورده تاريخ الشعراء الحضرميين من أبيات للسيد عبد الرحمن بن علي السقاف المتوفى سنة ٩٢٣هـ يمدح فيها شيخه العلامة عبد الله بن عبد الرحمن بلحاج بافضل المتوفى بالشحر سنة ٩١٨هـ.

أقول بحمد الله في مدح من له ... علوم وأسرار ونور بصيرة
إمامي وأستاذي وشيخي وسيدي ... حبيبي ومحبوبي وذخري وعمدتي

ثم يستمر في مدح شيخه بافضل[1].

وفي كتاب سيرة العلامة علي بن حسن العطاس منه «إلى حضرة سيدي الولد الأمجد

---

(١) عبد الله بن محمد بن حامد السقاف، تاريخ الشعراء الحضرميين، الجزء الأول، الناشر مكتبة المعارف، صفحة ١٠٣.

الشيخ الأكرم الفاضل المحترم عفيف الدين وسلالة الصالحين وبركة المسلمين عبد الله بن سيدي الشيخ العفيف ابن الشيخ عمر بن الشيخ عبد الله ابن الشيخ العفيف ابن القطب الشيخ عبد الله بن أحمد بن محمد العفيف»(١).

واستفاض بن عبيد الله في شرح لفظ السيادة، وقد أفردنا لهذا الموضوع فصلاً خاصاً وعلق في نهاية البحث على ما حصل بجاوا فقال: ولقد قامت حول السيادة ضجة بجاوا بين أهل الرابطة العلوية والإرشاديين لا محل لها من الإعراب إلا ما قلناه قبل من تصيد أموال المغفلين التي جعلوا من دونها أقفال الحديد، فلم تخرج إلا بتلك المشاغبات الممقوتة، وقد بذلوا كمية من تلك الأموال لتأكيد الافتراق وتوطيد الاختلاف، وترافعوا إلى الحكومة المحلية فقضت فيما سمعت بإباحة استعمال ذلك اللفظ لمن شاء، وعندي أن كلاً من الفريقين مخطئ: أما الإرشاديون فلما أطرد به العرف المتأخر واشتهر بين الناس حتى أنه لو أوصى أحد للسادة أو أوقف عليهم وقفاً لم يدفع إلا للعلويين ومن لفهم، كما هو مصرح به في التحفة التي هي قبلة الاعتماد عند الحضارم بأجمعهم.

ثم قال بن عبيد الله: وأما خطأ الرابطة فإنه لا مشاحة في الاصطلاح. وهذه كتب المناقب لآل باعباد وآل باجمال وغيرهم، وفيها إطلاق السيد على كثير من غير العلويين والأشراف، وهي متداولة بالقبول بين عظماء العلويين ومن أظهرها مفتاح السعادة والخير في مناقب السادة آل باقشير للعلامة الحجة صاحب القلائد. إذن فلا منشأ لذلك الاختلاف سوى الجهل والتعصب.

قال بن عبيد الله: وقد اتفق أن أحد آل محمد بن طالب (عاد من جاوة بمال وتلقب بالسيد فكان لا ينادى إلا بالسيد)، ثم أهين وأخذ سلاحه في شبام فأسرع يتذمر إلى عند الشيخ عبيد صالح بن سالمين بن طالب وقص عليه الأمر، فقال: لا أعظم ولا أفحش مما

---

(١) عبد الرحمن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صفحة ٢٠٦.

جرى عليك ولكنه لا يشوبنا ولا يلومنا لأنك سيد ونحن قبائل، ولكن اذهب إلى محمد بن عبد الرحمن العيدروس بالحزم أو عمر بن عبد الله بن محمد الحبشي بالحوطة فهؤلاء سادة وهم أصحابك عسى أنهم ينفعونك (انتهى النقل).

ولم يكن أحد من الناس أكثر إنصافاً في هذه الفتنة من العلامة بن عبيدالله، فهو يرد على من يدعي بأن الإرشاديين ينتقصون أجداد العلويين على رؤوس الأشهاد فيقول: «على انني لم أسمع من مثل الشيخ ربيع بن طالب وهو رأس الإرشاديين إلا كل ذكر جميل وثناء حسن على أولئك الرجال وأراكين الكمال وإنما هو ينقم على الكثير من متأخري العلويين انغماسهم في حمأة المخالفات»[١].

بل إن بن عبيدالله امتدح الشيخ ربيع بن طالب فقال: «وطيلة سفري لم أتعرف بأحد من الإرشاديين سوى الشيخ ربيع بن طالب فإنه تردد علي وسرت عنده نحواً من ثلاث مرات، وأعجبت بصدقه وسلامة قلبه وسيره بسوق الطبيعة ورأيت رفاقه مرتين: مرة في بيته وأخرى في بيت آخر وما رأيت منهم إلا حسن الإصغاء للعظة وجميل التأثر بالكلام»[٢]. إلا أن بن عبيد الله ذكر «أن الشيخ ربيع ومن على رأيه لم يسلموا من المحترفين بالشقاق والمستأجرين بالافتراق كما هو موجود عند أصحابنا»[٣].

وقد استعمل بن عبيد الله السياسة وحاول الابتعاد عن زعماء الإرشاديين رغم علاقته الطيبة بهم، وذلك حتى لا يتهم بمحاباة الإرشاديين فيضعف قبول أهل الرابطة لنصائحه، ولكنه حتى مع ابتعاده عن الإرشاديين لم يظفر برضا الرابطة العلوية.

ونتعرف من هذه الحقائق التاريخية والتي لن يعرفها إلا من قرأ الجزء الأول من مخطوطة بضائع التابوت أن هذه الفتنة لم تكن في أساسها بين العلويين وغيرهم من أهل

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، بضائع التابوت، مخطوطة الجزء الأول، صفحة ٢٥١.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، بضائع التابوت، مخطوطة الجزء الأول، صفحة ٢٦٨.

(٣) السيد عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الأول، صفحة ٢٧٠.

حضرموت بل إن عصبة من العلويين أنفسهم كما ذكر بن عبيدالله شاركوا في مهاجمة إخوانهم العلويين بل لقد بلغ ببعض العلويين أن يتكلموا بذم أسلافهم العلويين على رؤوس الأشهاد، كما ذكر بن عبيدالله وأوردناه سابقاً.

وكان العلامة بن عبيدالله قد وصل إلى جاوا في سنة ١٣٣٦هـ وتوسط للإصلاح كما قال على ثلاثة شروط وضعها: أولها اجتناب السباب، والثاني الرجوع في كل ما يختلفون فيه إلى مذهب البلاد الحضرمية الوحيد وهو المذهب الشافعي، والثالث مبادلة الحقوق الإسلامية. وقال بن عبيد الله فتلقاها الإرشاديون بالقبول من أول وهلة، بينما أقام أهل الرابطة في سبيله العثرات. وقد لمح بن عبيدالله إلى أنَّ لدى هؤلاء رغبة في استمرار الخلاف. وقد بذل الجد بن عبيد الله جهداً جباراً للإصلاح بين الجماعتين، والتقى بالفريقين وألقى الخطب وكتب المقالات ودبج القصائد ولقي من وراء ذلك أذى كثيراً.

وقد بلغ سوء الفهم بين الفريقين أنَّ الجد بن عبيد الله تكلم أثناء وجوده بجاوا في اجتماع، وأكثر في كلامه من الترضي على الشيخين أبي بكر وعمر فنقم عليه بعضهم لذلك ونسبوه إلى النصب، كما أنكر عليه بعضهم ذكر الآل في صلاته على النبي ﷺ، ووصمه بالرفض، فقال له الجد ما تقول في تشهدك فأتى الرجل بالصلاة الإبراهيمية ورجع إلى الحق بعدما تبين له الدليل.

قال الجد بن عبيدالله ولما وردت سوربايا ورأيت ما بين السادة والمشائخ من التهاجر والتدابر ساءني كما يسوء كل غيور على أمته وكل محب لوطنه وكل مؤمن ينبض فيه عرق من عروق الإيمان فتوسطت من تلقاء نفسي للصلح دون طلب من أحد.

وتمكن بن عبيدالله من إقناع مجموعة من العلويين وزعيم المشائخ بقبول الصلح على المبادىء الثلاثة السابقة إلا أن الصلح لم يخل من المعارضة كما تعرض بن عبيدالله للغمز واللمز واتهم بالتحيز، لكنه لم يكن ليهتم في سبيل الإصلاح وجمع الكلمة بما يحصل له وقد أورد الأبيات التالية يصف حاله، وهي للشيخ أحمد بن عمر باذيب:

والناس لم ينج من أفواههم أحد حتى لقد شتموا طه وجبريلا
وقيل في الله جلَّتْ ذاته كلم منها يرتلها القالون ترتيلا

والخلاصة أنه برغم المجهود المخلص المتواصل لمفتي حضرموت العلامة بن عبيدالله إلا أن طرفي النزاع استعصيا على الصلح وانعدمت لديهما نية الاجتماع، ولعل هناك من العوامل الخارجية ما يدفع الطرفين لهذا الحال.

وقد استغرب العلامة بن عبيدالله ما يحدث، وعلق عليه بقوله: «وفي القضية خبيء لا يخفى على أحد»[1].

ووضح بن عبيدالله الأمر أكثر في موضع آخر فقال: «وما كاتب إلا يبيع ضميره ويتبع هوى نفسه وميول قومه ولا يبالي بشيء متى اقتضى أجره وملأ رضاهم واتبع هواهم»[2]، ثم قال: «وربما تصير الأكاذيب حقائق بعد برهة من الزمان والحال أن لا ثقة بما يكتبه أحد الفريقين على الآخر لحرص كل على تبرئة نفسه وإلصاق العار بخصمه فلا ينبغي للبعيد ولا لمن يأتي بعدنا أن يصدقهم في شيء مما يكتبون»[3]. وقال أيضاً: «ولطالما حضرنا مجالس وشاهدنا أموراً وتكلمنا بكلام ثم قرأناه في جرائدهم المفتونة بغير الصورة التي عليها جرى»[4]. وانتقد بن عبيدالله الصحف فقال بن عبيد الله: «فقد رابني أن المجلة (يقصد مجلة الرابطة) ضربت بالحظ الأوفى من التشغيب ومن راجع أعدادها لذلك الوقت ساء ظنه لا محاله»[5].

---

(١) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، بضائع التابوت، مخطوطة الجزء الأول، صفحة ٢٦٦.
(٢) السيد عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الأول، صفحة ٢٧٤.
(٣) السيد عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الأول، صفحة ٢٧٤.
(٤) السيد عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الأول، صفحة ٢٧٥.
(٥) المصدر السابق، صفحة ٢٦٧.

وذكر بن عبيدالله ما سيلحق من قاموا بهذه الفتنة من العار والشنار فقال (وإن من كان السبب في هذا الانقلاب المنكود هو في الحضارم أشأم مولود وإثمه أكبر من إثم من أخرج في حقه الشيخان مرفوعاً عن سعد بن أبي وقاص أعظم المسلمين في المسلمين جرماً ممن سأل عن أمر لم يحرم فحرمه على الناس من أجل مسألته ولله در البحتري في قوله:

وإني لئـــيم إنْ تركـــت لأسرتي   أوابدَ تبقى في القراطيس والصحف

قال بن عبيد الله: «وقد ترك هؤلاء الأشرار الأوابد فماذا يكون حكمهم والحقيقة مجلوة وغرة المريب صحيفة مقرؤة وأنت فطين والأمر لا يحتاج إلى تبيين، ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم بلحن القول»[١].

كما انتقد العلامة بن عبيدالله صرف الأموال الوفيرة في تلك المشاغبات الصبيانية، ولو أن تلك الأموال صرفت على حضرموت وعلى مساعدة رجال العلم لكان فيها الفائدة الكثيرة.

ومما لا شكك فيه أن هذه الفتنه كانت هدية سماوية للهولنديين الذين لم يدخروا أي وسيلة للحد من تأثير العرب على الجاويين الوطنيين، وقد بحثت هذا الجانب في فصل منفصل بهذا الكتاب، ولقد جهدت نفسي لأجد ما يشير إلى دور للحكومة الهولندية في هذه الفتنة فوجدت ما كتبه حامد القادري حين قال: ورغم أن أسباب الخلاف بين الجماعتين شديدة إلا أنَّ محاولة حلّ النزاع من الجانبين أشد قوة وجدية، وليس مستبعدا أن يكون سبب فشل محاولة الوفاق بين الطرفين هو سياسة هولندا التقليدية التي ترمي إلى التقليل من تأثير العرب في إندونيسيا لأجل مصالحها[٢].

ووافقه على هذا الرأي الباحث علي عقيل بن يحيى في كتابه حضرموت حين قال:

---

(١) السيد عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الأول، صفحة ٢٧٤.

(٢) حامد القادري، كفاح أبناء العرب ضد الاستعمار الهولندي في إندونيسيا، صفحة ٨٧.

«وتراءى لحكومة هولندا أنّ هذه الجمعيات الحضرمية ستكون خطراً عليها فاستخدمت مكرها في التفريق بينها مستغلة رعونة نفسيات بعض زعماء الحضارمة وهكذا حدث النزاع السخيف بين العلويين وحزب الإرشاد»[١].

وكتب الأستاذ محمد بن أحمد الشاطري في دراسة بعنوان الهجرة[٢] «ومنذ أصبحت الجالية لحضرميّة عنصراً فعالاً في إندونيسيا وقدوة للمواطنين خشيت منهم حكومة هولندا الدولة المستعمرة لها فضايقتهم وكانت تفرض على دعاتهم الإسلاميين الرقابة، ثم بذرت بذور الشقاق والفتنة بينهم فانقسموا على أنفسهم نتيجة الجهل والأنانية، وسرى بينهم داء الحسد وبددوا كثيراً من طاقاتهم في المنازعات، كما حط ذلك من أقدراهم بين الجاويين الوطنيين مما جعل أبناء المواليد يبتعدون عنهم».

وقد وردت عرضا معلومة صغيرة تقودنا إلى التعرف على دور هولندا في هذه الفتنة ففي ترجمة السيد محمد بن هاشم في كتاب تاريخ الشعراء[٣] أنه تولى تحرير مجلة حضرموت بسورابايا سنة ١٣٤١، وتصدى لمناظرة زعيم الحركة الإرشادية الشيخ أحمد السوركتي بمدينة سورابايا سنة ١٣٣٧هـ بدعوة رسمية من الحكومة الهولندية، إلا أن المناظرة لم تتم حيث انسحب الشيخ السوركتي من سورابايا إلى بتاوا. ولا أظن أن الحكومة الهولندية ستنظم هذه المناظرة حباً في الإرشاديين أو العلويين وما هدفها إلى إذكاء نار الخلاف وإبقاء الفتنة بين الفريقين مشتعلة مما يخدم أهدافها ويحقق مراميها.

وقد وصل رذاذ من هذه الفتنة إلى حضرموت إلا أن حضرموت كانت بعيدة عن نشاط الهولنديين، وكانت مليئة في ذلك الزمن بمراجيح الرجال من السادة والسلاطين والقبائل،

---

(١) الدكتور صالح علي باصره، دراسات في تاريخ حضرموت الحديث والمعاصر، صفحة ١٠٠.

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) عبد الله بن محمد بن حامد السقاف، تاريخ الشعراء الحضرميين، الجزء الخامس، مكتبة المعارف، دار محمد سعيد للنشر، صفحة ٢٩٢.

ممن عرفوا قدر العلويين عبر أجيال من أسلافهم تعاقبت خلال مئات السنين، ومنهم السلطان غالب بن عوض القعيطي والسلطان منصور بن غالب الكثيري والحبيب حسين بن حامد المحضار وعلاّمة حضرموت ومفتيها السيد عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف الذي عرفنا رأيه في هذه الفتنة فيما سبق.

وتلخص قصيدة الزعيم ابن شيبان التي أوردها السيد حامد المحضار في كتابه[1] رأي الحضارمة بحضرموت في هذه الفتنة وفيها يقول:

القبولـة والمـشيخة وقعـت لبـوهن كـسورة

يشكين يتبـاكين مـن فعـل الوجـوه المغـدرة — لعبت بهم جاوه وهم لعبوا بهـا لعـب الكـرة

ذا محجـم الحجـام ملقـى في خـورهم زرزرة — حـراث شـل المشيخة مـن عنـبرة لا عنـبرة

قفز بها سـاعة طرحهـا وسـط كـم المسدرة — والقبولـة دبـاغ يـدبغ في خلـود امـشعطرة

بـاعوا رياسـتهم وعـدوا في طريـق المعـبرة — بحكي بنور الله ما شـهبر كما أهـل الـشهبرة

ما طيع في عرى ونـاموسي ولا أخـذ معـذرة — سـبوا حبـايبهم مـساخر يتبعـون المـسخرة

مـن عـاثرات الـشور جمعيـاتهم والعـسكرة — قـوم البطالـة مـا لهـم شيء في كـلام المخـيرة

أكباش بربـر جـابوا الراعـي لهـم مـن بربـرة — وتمعـيروا فيهـا وقـالوا ذا أزمـان المعـيرة

قمـراه في قمـراه وقعـت للجماعـة مقمـرة — بنت اليهـودي لي سـقتهم شـاربين المـسكرة

عقـالهم قـدامهم ملقـين قفـز العـوشرة — والعبـد يـترزح بعـشرة يفقعـون الطنـبرة

سرح بهم خمسة بخمـسة في ظـلال الحـومرة — شرع بجوبة نيل عبد إبليس مثـل القـوصرة

ألقـى عـلى قـوم الرزالـة والغـسالة كنـترة — مثل الرخم فوق الرمم هم والكلاب امداقرة

والـشور في كـور الحـمار منـاكرة ومحـامرة — ركبتـه بعـير اليـوم قـدها ناشـبة في الحنجـرة

---

(١) حامد بن أبي بكر المحضار، ترجمة الزعيم حسين بن حامد المحضار، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، صفحة .

إلا أن ذلك لم يمنع حصول بعض الحوادث البسيطة بحضرموت فقد ذكر العلامة بن عبيدالله أن الشيخ عبد الله باسعيد باسلامة سافر إلى جاوا وعمل بالتجارة وأثرى ثراءً كبيراً وكان جميل الاعتقاد في الجد محسن بن علوي السقاف، وقد وصل حضرموت في أثناء العقد الأول من هذا القرن (الثالث عشر) فلم يَدَعْ أحداً إلى أهدى إليه ولا مسجداً إلا فرشه بالسجاد الهندي وأرسل ولديه سعيداً وعمرَ ليتربيا بإشراف الحبيب علي بن محمد الحبشي إلا أن سعيداً تشرب بالمبادئ الإرشادية وكان في حضرموت سنة ١٣٤٠هـ فاتفق أنه اجتمع بالسيد إبراهيم الحبشي في أحد المساجد وكان شاباً مثله وجرى بينهما كلام من جنس ما يجري بين العلويين والإرشاديين فلم يكن من إبراهيم إلا أن لطم سعيد لطمة فاحشة فاستشاط إبراهيم غضباً ورفع الأمر للسلطان وهاج العلويون وماجوا لما بلغهم من القدح في أنسابهم وانتهى الأمر إلى أهل تريم فكانوا أكثر غضباً من أهل سيؤون.

ولا يختلف حال مثيري الفتنة في جاوا عن حال إخوانهم الذين يعملون على إثارة التعصب بين الشافعية والزيدية في اليمن فكلاهما يتساوى في الجهل الفاضح قال بن عبيدالله في بضائع التابوت: بينما كنت أثني على الإمام يحيى مرة في دثينة قال لي أحدهم ولكنه ليس على الملة وإنما هو على مذهب زيد فقلت له وهل تدري من هو زيد هذا قال لا وإنما هو أحد أهل البدع فقلت له كلا، إنما هو زيد بن الإمام علي بن زين العابدين بن شهيد كربلاء الحسين بن علي وابن فاطمة الزهراء، فقال لي بالله عليك فقلت له: بالله قال: إذا هو أولى بالإتباع من الشافعي فقلت نعم انه ليتفضل بولادته ﷺ والأئمة كلهم على هدى (انتهى).

ويلخص كلام الحبيب عبد الله بن عمر الشاطري الآتي العلاقة بين الحضارم من علويين ومشايخ وقبائل وكان قد قام بزيارة على ما يبدوا لدوعن فتكلم في الناس وقال في كلامه: قال الله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ وكل من يسعى في الافتراق والشتات على خطر ـ والعياذ بالله ـ بغينا إلا الائتلاف والصفا مع إخواننا المسلمين كلهم «لاتباغضوا ولا

تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا» وإذا اتلفتوا باتشكرون كلكم وأما من فضله الله وشرفه مانقدر نرده من شرفه ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ ورمضان أفضل الشهور ومكة أفضل من غيرها والمساجد كذلك أفضل من غيرها من البقاع ما بغينا شي يقع افتراق، وجينا إليكم ولا قصدنا إلى انتشار العلم ونحبكم ولا نسخى بكم يا محبين وكانوا سلفنا على غاية من المحبة والمودة فيما بينهم ويكفي نحن الفقيه المقدم والشيخ سعيد العمودي كيف كانوا والله الموفق(١).

ومن الغريب أن صراع الإرشاديين مع العلويين استحوذ على اهتمام الباحثين حتى الغربيين الذين لا يتركون بحث هذه الظاهر ويقيسون نتائجها فهذه الباحثة الأسترالية ناتالي موبين كيشة تقول: إن هدف الإرشاديين دوافع برجماتية نفعية كما عزت الباحثة الألمانية اولريكا فرايتاج الخلاف إلى علاقته بالتحالفات الدولية وفرض هؤلاء الباحثين فرضيات نظرية لأسباب الخلاف ودواعيه(٢).

كما ربط الدكتور صالح علي باصره في دراساته في تاريخ حضرموت الحديث والمعاصر بين الحركة الإرشادية في إندونيسيا وحركة بن عبدات في الغرفة وقال: إن هدف النهضة التي قام بها بن عبدات في الغرفة كانت لأجل تأسيس دولة جديدة تقوم على حركة الإرشاد بالتعاون مع مشايخ آل باعباد السكان الأصليين للغرفة (٣).

وقال الدكتور باصرة: لقد تم التخطيط لهذا المشروع وتمويله من قبل الأثرياء والإرشاديين في إندونيسيا وإن القائد الفعلي للمشروع صالح عبيد عبدات الأخ الأكبر للقائم

---

(١) محمد بن سالم بن حفيظ، نفح الطيب العاطري، دار العلم والدعوة، صفحة ٢٦٨.

(٢) الدكتور صالح علي عمر باصرة، دراسات في تاريخ حضرموت الحديث والمعاصر، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، صفحة.

(٣) الدكتور صالح علي عمر باصرة، دراسات في تاريخ حضرموت الحديث والمعاصر، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، صفحة ١٠٨.

بالحركة عمر عبيد بن عبدات، وقد نفذ آل عبدات في الغرفة الكثير من الأفكار الإرشادية مثل منع حمل السلاح داخل المدينة تحرير العبيد وتأسيس مدرسة ابتدائية يدرس فيها المنهاج نفسه الذي يدرس في مدارس الإرشاد في جاوى وسك عملة باسم دولة آل عبدات (انتهى النقل).

ولا أعتقد شخصياً بصحة الاستنتاج السابق لأن بن عبدات من الساسة المحنكين ولم يكن من الغفلة ليعادي السلطان الكثيري ويعادي العلويين بحضرموت ويعادي الدولة القعيطية القوية وعلى رأسها السياسي الداهية الحبيب حسين بن حامد المحضار.

بل على العكس كان بن عبدات شديد الاحترام للعلويين وله علاقة متينة مع السيد حسين بن حامد المحضار وزير السلطنة القعيطية الرجل القوي في السلطنة ومع كثير من العلويين ومنهم مفتي الديار الحضرمية الجد عبد الرحمن بن عبيدالله.

أما ما يتعلق بمناهج الدراسة فقد ذكر الأستاذ البكري[١] وهو من زعماء الإرشاديين وقد عمل لسنوات طويلة مدرساً بمصر «إن جميع المدارس الحضرمية وخصوصاً المدارس التي في المهجر (إندونيسيا) بدأت تحذوا حذو المدارس المصرية في بعض نظمها وكل الكتب المقرر تدريسها فيها كتب مصرية ومؤلفوها مصريون» ولعل هذه الشهادة تنفي وجود منهج دراسي خاص بالمدارس الإرشادية في جاوا فضلاً عن حضرموت.

وتسمى هذه المدرسة حالياً مدرسة طرموم الأهليه بالغرفة[٢] وهي امتداد لمدرسة الدعوة الخيرية التي أسسها الشيخ القاضي عبد الرحمن عبد الله باعباد سنة **١٣٤٤هـ** بتمويل من صالح عبيد بن عبدات في جاوا بواسطة أخيه بالغرفة عمر عبيد بن عبداتٍ، علماً بأن أربعه من أول هيئة تعليمية لهذه المدرسة كانوا من العلويين.

---

(١) حضرموت فصول في التاريخ والثقافة والثروة، جمع د. محمد أبو بكر حميد، صفحة ٦١.

(٢) التعليم في وادي حضرموت النشأة والتطور ١٩٠٥-٢٠٠٥، إعداد لجنة توثيق تاريخ التعليم بالوادي، صفحة ٥٠.

ويرى الباحث عبد الله البجره[1] «أنَّ مسألة الخلاف لم تكن مسألة الكفاءة في الزواج أو مسألة استئثار العلويين بلقب السيد والحبيب دون غيرهم، بل المسألة مسألة صراع على السلطة» ولعلي أختلف مع هذا الباحث لأنها لم تكن هناك من سلطة يتصارع عليها العرب المغتربين في بلاد يتعرضون فيها جميعاً لمضايقات الهولنديين ويعاملون جميعاً معاملة سيئة كما سيأتي لاحقاً اللهم إلا إذا كان قصده ما اكتسبه العلويون من احترام وتقدير بين أفراد الشعب الإندونيسي بتأثير الأخلاق والمعاملة والدين.

وأعتقد شخصياً بعد كل ما ذكرناه في هذا الفصل والفصل الذي قبله أن السلطات الهولندية وعلى رأسها المستشرق الهولندي سنوك خورنييه قد خطط لهذه الفتنة واستأجر أقواماً من الطرفين ليسعروا أوارها كلما خبت نارها تحقيقاً للأهداف الاستعمارية وقد ذكرت في البحث مجموعة من الشواهد التي تؤكد هذا الاستنتاج.

والخلاصة من البحث السابق أن لهذه الفتنة عوامل سياسيه ومصالح هولندية ساعدت على استمرارها وأنها حققت جزءاً من الأهداف التي كان المستشرق الهولندي سنوك خورنييه يسعى لتحقيقها وأن الصحافة العربية في إندونيسيا والصحافة المصرية المستأجرة من الإرشاديين على وجه الخصوص برعاية الأستاذ صلاح البكري المقيم بمصر قد ساهمت في إذكاء الفتنة وإشعال أواها وعدم السماح بتقارب أطرافها.

كما أن من المستغرب حصر الاهتمام بفتوى السيد عمر العطاس مع أنه لا يأتي في مرتبة العلماء الأعلام بحضرموت الذين أفتوا بما ينقض فتواه من أساسها ويطفئ نار الفتنة كما أوردنا ذلك سابقاً، ومع ذلك لم يلتفت أحد إلى فتوى علماء حضرموت، مع أن الاعتماد إنما يكون عليها بل اقتصر الاهتمام بفتوى العطاس وفتوى صاحب المنار والتي أسهب فيها إرضاء

---

(١) التعليم في وادي حضرموت النشأة والتطور ١٩٠٥-٢٠٠٥، إعداد لجنة توثيق تاريخ التعليم بالوادي، صفحة .

لطالب الفتوى، بل لم يكلّف أحد نفسه بالنظر لمواضيع الخلاف الأخرى مثل إطلاق لقب السيد وتقبيل اليد والذي فصله العلامة الجد بن عبيدالله في مخطوطته واختصرت بعضاً منه في فصل آخر من فصول هذا الكتاب.

كما لم يتقبل الطرفان محاولات الشخصيات الحضرمية الكبيرة في الإصلاح ولا مطالبات الملوك والسلاطين بالإصلاح، بل لم يرغبوا إلا في كل ما يساعد على استمرار الفتنة من الفتاوي المثيرة والمقالات المهيجة.

وهكذا استمرت الفتنة بجاوا مستعرة ولم تنطفيء نيرانها إلا على قنابل الطائرات اليابانية التي احتلت الجزر الإندونيسية أثناء الحرب العالمية الثانية سنة **١٩٤٢**م وأنهت اليابان بذلك السيطره الهولندية على إندونيسيا و انتهت معها الفتنة وتعرض العلويون والإرشاديون على حد سواء أثناء فترة الاحتلال الياباني لصنوف من الوحشية والقسوة من اليابانيين ولم يعد أحد يتكلم حتى بعد انتهاء الحرب عن الإرشاد والعلويين، بل اقتصرت جميع الأحاديث على فظائع اليابانيين أثناء تلك الفترة.

ولم نعرف ما حصل لقادة هذا الخلاف من الطرفين بعد ذلك إلا بن عبيدالله ذكر الشيخ طالب بن مرعي[1] فقال: رجل شهم مستوى السريرة والعلانية إذا وعد صدق، وإذا قال وفى ذهب مع ظلم اليابانيين وكان آخر العهد به رحمة الله عليه (انتهى).

* * *

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صفحة **٢٩٤**.

الفصل العاشر بعد المائة

بحث في الكفاءة بالزواج[1]



(١) منقول عن ملحق الرسالة لجريدة المدينة، عدد الجمعة ١٢ صفر١٤٢٨هـ الموافق مارس٢٠٠٧، د. سعد بن مطر العتيبي، عضو هيئة التدريس بالمعهد العالي للقضاء

الأصل في دين الله وشرعه أنه لا فضل لأحد الناس على أحد إلا بالتقوى سواء كان عربياً أو غير عربي، قبلياً أو غير منتسب لقبيلة «سواء كان مخفياً لها لسبب من الأسباب كخشية ثأر أو لكونها من أصول قبلية غير عربية مع عيشة في مجتمع عربي مثلاً أو غير عارف لها أو غير منتسب أصلاً» لجملة أدلة منها: قول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾، وقول النبي ﷺ: «**لا فضل لعربي على عجمي ولا عجمي على عربي إلا بالتقوى ولا فضل لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى**» رواه أحمد وغيره وصحّحه جمع من أهل العلم بالحديث.

وأما في شأن النكاح فإن الارتباط بعقده له جوانب أخرى تحتاج إلى العناية بالأسباب التي تقويه والابتعاد عن الأسباب التي تنغصه أو تفشله، ومن ذلك مراعاة الأعراف والعوائد السائغة في الشريعة تحقيقاً للمقاصد، وقد تكلم الفقهاء في هذه الجوانب تحت شرط الكفاءة (المساواة) في النكاح، ومع أن المعتبر شرعاً بالدليل الشرعي هو الكفاءة في الدين لجملة أدلة من الكتاب والسنة منها قول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ ومنها حديث أبي حاتم المزني قال: قال النبي ﷺ: «إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير قالوا: يا رسول الله وإن كان فيه؟ قال: «إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه ثلاث مرات رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب وصحح إسناده الحاكم. ومنها أن النبي ﷺ زوج أسامة بن زيد بن حارثة رضي الله عنه وهو مولاه وعتيقه على فاطمة بنت قيس رضي الله عنها وهي قرشية رواه مسلم .

ومع أن الكفاءة في النسب ليست شرطا تتوقف عليه صحة النكاح لكن قد نص الفقهاء على أنه أمر ينظر إليه عند التزويج من قبيل مراعاة العرف الاجتماعي درءاً للمفاسد؛ بل نص بعض الفقهاء على أنه إذا كان تزويج غير ذي النسب يزري بالمرأة أو أهلها فإن الكفاءة فيه تكون شرطاً للزوم عقد النكاح، وإن لم تكن شرطاً لصحته لأن المحافظة على هذا القدر

من مقامات الناس وشرفهم مما سمح به الشرع مع تأكيده على أصل التسوية في الشرع بين الناس في الحقوق.

فإذا كان الناس يأنفون من تزويج من ليس من قومهم أو من كان غير منتسب لقبيلة ويعدونه عاراً ونقصاً فهذا أمر عرفي ينبغي مراعاته لا لصحة مستنده وإنما خشية من عواقب تجاهله لأن له ـ والحال ما ذكر ـ فيما بعد آثاراً على العلاقة الزوجية قد تهدم مقاصد النكاح وآثاراً على علاقات الأقارب فيما بينهم قد تؤدي إلى قطع الرحم التي أمر الله تعالى بصلتها، فعدم مراعاته تؤدي في الغالب إلى مفاسد منها التقاطع بين الأرحام وهو أمر مشاهد معروف ومنها التعدي على الأشخاص فقد يصل فيه الأمر ببعض من تأخذه الحمية والعصبية الجاهلية إلى حمل السلاح والاعتداء على من رضي بذلك من قرابته بزعم المحافظة على شرف الأسرة وحماية القبيلة!

ولهذا قال شيخنا عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى في جواب له في الموضوع: «ولكن الناس بعد ذلك خصوصاً في نجد وفي بعض الأماكن الأخرى قد يقفون عن هذا ويتشددون فيه على حسب ما ورثوه عن آباء وأسلاف، وربما خاف بعضهم من إيذاء بعض قبيلته إذا قالوا له لو زوجت فلاناً هذا قد يفضي إلى الإخلال بقبيلتنا وتختلط الأنساب وتضيع إلى غير ذلك قد يعتذرون ببعض الأعذار التي لها وجهها في بعض الأحيان ولا يضر هذا، وأمره سهل، المهم اختيار من يصلح للمصاهرة لدينه وخلقه، فإذا حصل هذا فهو الذي ينبغي سواء كان عربياً أو عجمياً أو مولى أو خضيرياً أو غير ذلك. هذا هو الأساس، وإذا رغب بعض الناس أن لا يزوج إلا من قبيلته فلا نعلم حرجاً في ذلك والله ولي التوفيق» (مجموع فتاوى ومقالات الشيخ عبد العزيز بن باز :٥/ ١٤٧).

وعلى هذا فتوقف الولي عن تزويج موليته بسبب عدم كفاءة النسب ؛ درءاً للمفاسد غير داخل في العضل الممنوع وهذا من حكم الولي في النكاح والله تعالى أعلم .

وعلى كل حال فالذي ينبغي مراعاته هو الكفاءة في الدين والخلق وعدم رد من رضي الناس دينه وأمانته لاعتبارات أخرى ما دام قد رضيته المخطوبة إلا إذا خيف وقوع مفسدة من ذلك من نحو قطيعة أو فتنة وشر وذلك أن الأصل وهو الكفاءة في الدين كافية.

ثم إن من يعتبر عند هؤلاء وضيعاً قد يكون في حال عظيمة الشأن من الخير والصلاح يقل مثله، ومثل هذه الحال تخفف وطأة العرف ويستسيغ العقلاء من أهل العرف التغاضي عن صاحبها من التزويج. ولعل مما يرشد إلى هذا الملحظ حديث أبي هريرة أن أبا هند (مولى وحجام) رضي الله عنهما ـ حجم النبي ﷺ فقال ﷺ: «يا بني بياضة [فخذ من العرب في الأنصار] أنكحوا أبا هند وأنكحوا إليه» حسّنه الحاكم وابن حجر في بلوغ المرام، وجوّد إسناده واحتج به غير واحد من أهل العلم. هذا مع ما تقدم من تزويج النبي ﷺ أسامة بن زيد المولى العتيق بفاطمة بنت قيس القرشية والوقائع المماثلة في عهد النبي ﷺ وفي عهد صحابته الكرام كثيرة.

ولعل مما يكشف أن التعلق بمثل هذه الأمور عرفي يقبل التساهل ويمكن أن يتجاوز مع الزمن: أنها توجد في مناطق دون غيرها وأن بعض من يتشدد في ذلك يستسيغ الزواج من خارج الدولة، دون سؤال عن قبيلة من يريد نكاحها ولا يجد معارضة من المتشددين أمثاله من قبيلته ثم إن غير القبيلي لا ذنب له فيما يؤاخذ به في عدم تزويجه لأن مسألة القبيلة ليس للإنسان فيها خيار فهو يخلق ثم ينتسب لواقعه شريفاً كان هذا الواقع أو وضيعاً.

والذي ينصح به أن يعالج هذا الأمر معالجة متوازنة مدروسة الآثار، فمعالجة العوائد والأعراف ليست كمعالجة السلوك الفردي فقد يؤدي بعض الطرح إلى تعميق الشعور العرفي بأساليب معالجة خاطئة تعيد التشدد في هذا الأمر والتعصب فيه جذعا كما ينبغي أن يبحث للمستشارين عن حلول أقل ضررا في حال وقوف الكفاءة في النسب في طريق من يستشيرونهم فقد يكون الأمر خارجاً عن إرادة الخاطب أو المخطوبة أو أسرتيهما بسبب العشيرة أو القبيلة وهو أمر يراعى في الشريعة حفاظاً على اتصال ذوي الأرحام ودرءاً للمفاسد التي قد يجلبها

التعلق بالعرف وإن كان خاطئاً، ولاسيما أنها من المسائل ذات الخلفية الاجتماعية المتوارثة بين من يحافظون على الانتساب إلى قبائلهم ويعلقون في خلفيات مجالسهم العائلية رسماً لشجرة أنسابهم حتى صار المساس به أمراً له من التبعات والمخاطر ما قد اشتهر أمره بين الناس وعرفت خفاياه الجهات الأمنية والقضائية.

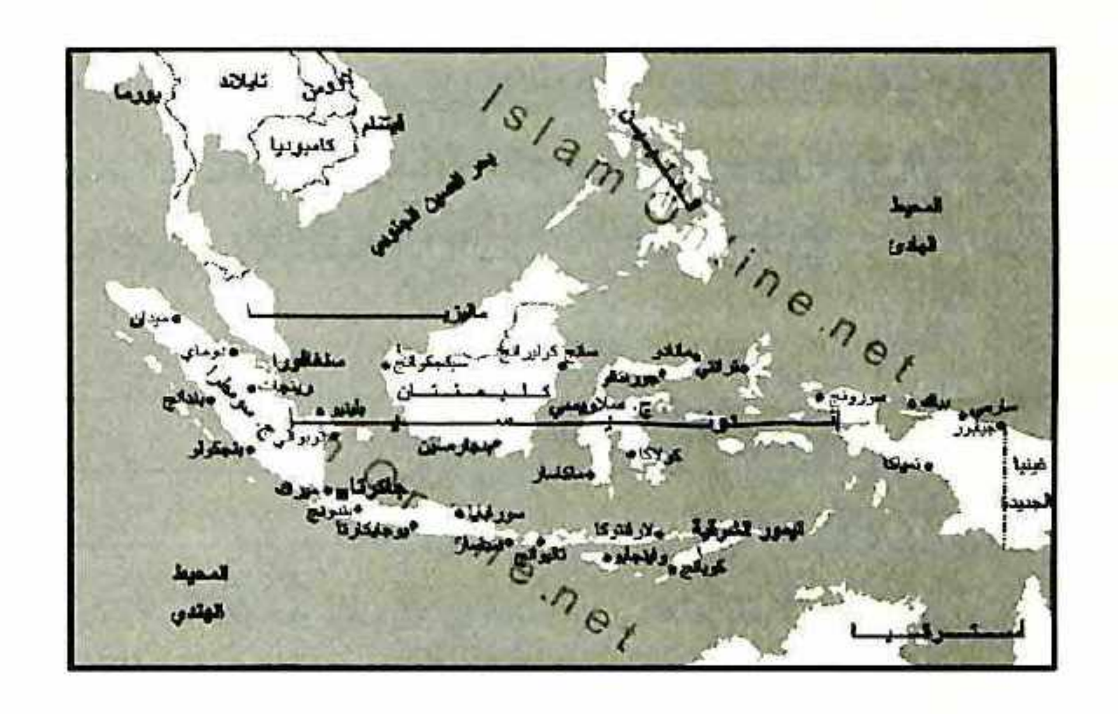
والعتب على من يكتب في الموضوع دون وعي بتغلغله النفسي ومخاطر تجاهل اعتباره في الواقع فيعيب القضاء الشرعي أو يعيب على القضاة في أحكامهم! (يقصد على مايبدو من كتب منتقداً القاضي الذي طلق زوجه من زوجها لانتفاء الكفاءة بين قبيلتي الزوجين رغم أن بينهما أطفال)

وقد قرأت لبعض من خارج بلادنا عن هذا الموضوع فنقد وتهكم! وهو ممن لا يعرف عن مجتمعنا ما يؤهله للنقد فضلاً عن التهكم. هذا والله تعالى أعلم.

* * *

الفصل الحادي عشر بعد المائة

قضية تيمور الشرقية



تقع تيمور الشرقية على بعد ٢٥٠٠ كلم إلى الشرق من جاكرتا العاصمة ومساحتها ١٥٠٠٠كم مربع ومجموع سكانها مليونان وستمائة ألف نسمة أما تيمور الغربية فهي مستعمرة هولندية سابقة تشكل جزءاً من اندونيسيا منذ عام ١٩٤٥م.

احتل البرتغاليون تيمور الشرقية في القرن السادس عشر وبقيت تحت سيطرتهم على مدى أربعة قرون بفعل التأييد الأوروبي للبرتغال رغم تهاوي دولتهم البرتغالية وبعد معارك بين البرتغال وأعوانهم بالجزيرة وبين المقاومة الاندونيسية اضطرت البرتغال إلى منح تيمور الشرقية الاستقلال وكان ذلك سنة ١٩٧٥م ولكن بعد عشرة أيام من إعلان استقلال تيمور الشرقية اجتاحتها القوات الاندونيسية وأعلنت ضمها لاندونيسيا لتصبح الولاية الاندونيسية رقم ٢٧ لكن الأمم المتحدة لم تعترف بهذا الضم كما لم يعترف الغربيون الاستراليون على وجه الخصوص بعودة تيمور إلى اندونيسيا رغم أنها جزءا من اندونيسيا شعباً وجغرافيا لأن لعابهم كان يسيل على هذه المنطقة الغنية بخيرات الطبيعة ولهذا عمل الغربيون والاستراليون خلال الثلاثين السنة التي أعقبت انضمام التيمور الشرقية لاندونيسيا عملوا على تشجيع الثورات والتمرد المسلح ضد اندونيسيا وذهب ضحية ذلك عشرات الألوف من مواطني التيمور الأبرياء.

وفي السنوات الأخيرة استغل الأوروبيون والاستراليون ضعف العالم الإسلامي وسقوط الاتحاد السوفيتي فنشطت قضية تيمور الشرقية مرة ثانية وأصبحت قضية عالمية يتحدث عنها الإعلام الغربي في كل يوم ومنح المونسينيور كارلوس فيلبي بيلوا وجوزيه هورتا ممثلاً المقاومة التيمورية ضد اندونيسيا جائزة نوبل للسلام.

إلا أن ما كان يفسد الأمور على خطط الغربيين والاستراليين هو وجود الرئيس الاندونيسي القوي سوهارتوا الذي كان يعرف خطط الغربيين ونواياهم بل إن سوهارتوا اعتمد في سنوات حكمه الأخيرة على وزراء من العرب أشهرهم السيد العطاس وزير الخارجية مما أضاف إلى رصيده الكثير من البغض والكراهية لدى الغربيين والاستراليين كما

استطاع الرئيس سوهارتوا ان يحرك النموا الاقتصادي والصناعي باندونيسيا حتى أصبحت اندونيسيا واحدة من النمور الآسيوية الاقتصادية القوية وكان يمكن أن تتفوق اندونيسيا على كل النمور الآسوية الأخرى لامتلاكها البشر والشجر والماء والغذاء و البترول.

بل إن المهندس الاندونيسي العبقري حبيبي والذي درس الهندسة في ألمانيا استطاع أن يطور صناعة الطائرات الاندونيسية إلى آفاق متقدمة حتى قاربت أول طائرة يصنعها المسلمون الاندونيسيين أن تحلق في الفضاء معتمدة على كفاءة تكنولوجيه هائلة لولا أن تدخلت القوى الغربية وأوقفت مشروع صناعة الطائرات الاندونيسي.

ثم تعاظمت الجهود الغربية للإطاحة بالرئيس سوهارتوا وامتلأت الصحف بأخبار فساده وفساد عائلته ونشطت الجهود المحمومة للتركيز على مساوئه داخل اندونيسيا باستخدام كل الوسائل المتاحة من صحافة وتلفزيون وانترنت حتى تكللت هذه الجهود بالنجاح فسقط الرئيس سوهارتوا سنة ١٩٩٨م وتعرضت اندونيسيا بعد سقوطه لأعظم الأخطار الاقتصادية والأمنية والجغرافية التي تهدد وجودها.

وبعد سقوط سوهارتوا تعين رئيس ضعيف لهذه الدول الإسلامية الكبيرة وهو الرئيس وحيدي وهو شخص ضعيف الشخصية غريب الأطوار ولكن الأوروبيين الذين لا يتركون أي احتمال لفشل خططهم اتجهوا بعد سقوط الرئيس سوهارتوا إلى التركيز على قائد الجيش الاندونيسي الجنرال وارنتي لأنه كان رجلاً حازماً قوي الشخصية كما أنه مسلم ملتزم لا يشرب الخمر ويحافظ على صلواته ويمكن أن تؤهله هذه الصفات ليكون بديلاً محتملاً للرئيس سوهارتوا فتفشل الخطط الموضوعة لفصل تيمور الشرقية وأضعاف اندونيسيا ولهذا تسلطت الدعاية المضادة بعد سقوط سوهارتوا على الجنرال وارانتي واستمر الضغط على الرئيس وحيدي حتى كتب أمراً بإقالة الجنرال وارنتي من قيادة الجيش وإحالته إلى التقاعد.

وبسقوط الجنرال وارنتي خلا الجو من الأخطار المحتملة لخطة الفصل فنشطت خطوات فصل تيمور الشرقية عن اندونيسيا واستمرت الجهود بلا توقف ولا كلل وقامت

المظاهرات المرتبة في تيمور الشرقية مطالبة بإجراء استفتاء حول تقرير المصير لهذا الإقليم التابع لدولة مستقلة وكبيرة. وقد كان الرئيس سوهارتوا على معرفة بهذه الخطط الغربية والاسترالية خصوصاً وأن هذا الاستفتاء بين شعب تغلب عليه الجهالة والبساطة والمسالمة ما هو إلا مكيدة غربية معروفة النتائج وستؤدى بلا شك لفصل التيمور بمبرر شرعي.

بل إن كثير من المسلمين استغربوا النشاط الغربي المحموم لإجراء الاستفتاء في تيمور الشرقية رغم أن أحداً منهم لم يفكر ولم يرغب في إجراء استفتاء لشعب كشمير الذي يرغب جدياً في الاستقلال والتخلص من الاحتلال الهندي مع أن ظروف كشمير وطبيعة تكوينه وكثرة مشاكله تستوجب هذا الاستفتاء.

ولهذا فإن موافقة الرئيس حبيبي على إجراء الاستفتاء في تلك الظروف المريبة كانت بمثابة التخلي الفعلي عن تيمور الشرقية.

وكانت استراليا هي الدولة التي تتزعم التحالف الأوروبي الداعي لفصل تيمور الشرقية عن اندونيسيا ولهذا لم تتوقف جهود استراليا الحثيثة في هذا المجال منذ انضمام تيمور الشرقية إلى اندونيسيا لولا أنه كان يقف في طريقها طوال الوقت الماضي رئيس اندونيسي قوي وجيش جبار وشعب كبير وبلاد غنية.

ومن المضحك المبكي أن المجتمع الدولي عهد إلى استراليا إجراء الاستفتاء على حرية تحديد المصير لتيمور الشرقية وطبيعي أن تكون النتيجة معروفة سلفاً لهذا الاستفتاء وما إن أعلن الاستفتاء باستقلال الجزيرة عن اندونيسيا حتى دخلت قوات حفظ السلام الدولية للمحافظة على النجاح الذي تحقق بعد أكثر من عشرين سنة من العمل المتواصل الدءوب وأعلنت تيمور الشرقية جمهورية مستقلة في سنة ٢٠٠٢ ورئيسها شنانا غوسماو وخسرت اندونيسيا الرئيس وحيدي ولايتها رقم ٢٧ لأجل غير معروف.

* * *

الفصل الثاني عشر بعد المائة

العلويون والموالدة



كتب المستشرق الهولندي فان دن بيرخ بحثاً موسعاً عن الحضارمة في إندونيسيا، وذكر فقدان الموالدة لمعظم الصفات العربية الموجودة في هوية أجدادهم وانصهارهم الكلي في المجتمع المحلي[١] برغم العوامل التي أخرت هذا الاندماج مثل (رفض العلويين تزويج بناتهم من السكان المحليين ورفضهم أحياناً تزويج أولادهم من النساء المحليات وكذلك سياسة السلطات الهولندية التي سعت إلى عزل العنصر العربي عن بقية السكان[٢].

إلا أن سياسة العلويين هذه أدت إلى وجود أعداد كبيرة من بناتهم العوانس وكانوا لهذا يترصدون القادمين من حضرموت لتزويجهم بناتهم.

وذكر لي والدي أن أحد السادة أخذ على عاتقه تزويج البنات العلويات بجاوة فما إن يعلم بوصول أحد العلويين إلى مدينته أو قريباً منها حتى يبادر إلى الذهاب إليه والترحيب به ويطنب في مدحه ومدح تربية حضرموت وعلم أهل حضرموت، ويصفه بالعلم والمعرفة حتى يوقعه في شباك الزوجية الذي لا يستطيع العريس أن يخرج منه بعد ذلك.

وقد اختلف الموالدة عن آبائهم في الأخلاق والصفات. ويبين المستشرق الهولندي فان دن بيرخ الفرق بين الحضارم والمولدين في إندونيسيا فيقول: أول ما يلفت الانتباه لدى الحضارم نشاطهم وحيويتهم، لكن من المؤسف أن هذه المزايا تختفي بسرعة في أبنائهم الذين تجدهم بعد بعثرة وضياع ثروات الآباء يعيشون في الغالب حياة فقر وفاقة خالية من العزيمة والقدرة على استعادة مراكز آبائهم[٣].

وقال المستشرق الهولندي فان دن بيرخ أيضاً: ولهذا يبدو أن سمعة المولدين كانت في نهاية القرن التاسع عشر أدنى من سمعة العرب المولدين في حضرموت وقال: «إن رجال

---

(١) مسعود عمشوش، الحضارم في الأرخبيل الهندي، صفحة ٤١.
(٢) مسعود عمشوش، الحضارم في الأرخبيل الهندي، صفحة ٤١.
(٣) مسعود عمشوش، الحضارم في الأرخبيل الهندي،، صفحة ١٩-٢٠.

الأعمال يفضلون الحضارم المولودين في حضرموت على غيرهم للعمل لديهم لاسيما في الوظائف التي تتطلب أشخاصاً موثوقاً فيهم. أما بالنسبة للمولدين فلا يتم قبولهم إلا في الوظائف الدنيا وبأجر أقل من العرب الوافدين من حضرموت[١]. ولاحظ أن التدهور الخلقي في المولدين يصبح حاداً إذا كان الأب نفسه مولداً ولم يستطع إرسال ابنه إلى شبه الجزيرة العربية[٢]. ولهذا تتبين لنا الأهمية القصوى لحرص العلويين على إرسال أبنائهم المولدين بإندونيسيا إلى حضرموت أو إلى الحرمين لإتقان اللغة العربية وعلوم الدين واكتساب العادات والأخلاق العربية الكريمة.

وينقل مسعود عمشوش عن الأستاذ صالح الحامد أبرز سمات سكان جاوة المحليين فيقول: «اللين ودماثة الأخلاق ومحبة الغريب وحسن معاملته ولين الجانب معه واشتهروا بالأمانه والقناعة والرضا بما قسم الله، غير أن هذه القناعة قد خرجت عن حدها إلى التكاسل وعدم العناية بالتجارة وجمع المال وتنميته حتى قل بينهم الأغنياء. وأكثر نشاطهم متجه إلى الزراعة، ولديهم استعداد وقابلية للفنون الجميلة وحسن الخط والرسم[٣].

ولا توجد بجاوة امرأة ولدت بحضرموت أو حتى مولدة عربية تلقت تعليمها بحضرموت[٤] ومع أن من الشائع نقل الأولاد الذكور لتلقي العلم بحضرموت إلا أن رحلة الإناث إلى حضرموت والتفريق بينهن وبين أحبابهن يعتبر كالموت ومعناه الوداع الأخير[٥].

ويعتقد الحبيب علوي بن طاهر الحداد أنه لو قدر الله أن الحضارم تعودوا منذ البدء على السفر بنسائهم لأصبحت جاوة كلها عربية[٦]. ومن الحالات النادرة التي رصدها فان

(١) مسعود عمشوش، الحضارم في الأرخبيل الهندي،، صفحة ٢٠.
(٢) مسعود عمشوش، الحضارم في الأرخبيل الهندي،، صفحة ٢٠.
(٣) مسعود عمشوش، الحضارم في الأرخبيل الهندي، صفحة ٤٦.
(٤) مسعود عمشوش، الحضارم في الأرخبيل الهندي، صفحة ١٣٣.
(٥) مسعود عمشوش، الحضارم في الأرخبيل الهندي، صفحة ٤٨.
(٦) مسعود عمشوش، الحضارم في الأرخبيل الهندي، صفحة ٤٩.

دين بيرخ امرأة مولدة قضت شبابها في حضرموت وعادت إلى جاوة، كما اصطحب أحد العرب أمة شابة من حضرموت وأحضر آخرون خمس إماء من مكة[١].

وتتشابه حالة الحضارم في مهاجرهم المختلفة، فقد ذكر انجرامس عن الحضارمة في زنجبار «أنّ المرأة بحضرموت ضد الهجرة باستمرار ويندر أن قام حضرمي بنقل زوجته أو بعضاً من أقاربه من النساء إلى زنجبار، ويندر أن تعود المولودات في زنجبار بعد أن ينقلن إلى حضرموت، ولذلك فإن من يولد هنا لا يمكن أن يكون من دم عربي صاف إلا ما ندر. وكقاعدة عامة فإنه لا يوجد عقد زواج لغير المستقرين من الحضارم بزنجبار، ولكن يمكن أن يرتب زواج متعة خصوصاً مع النساء الأفريقيات، أما المستقرون في الجزيرة فيتزوجون من العمانيات من عرب مسقط وأحيانا من الأفريقيات». (انتهى)[٢].

ولجاوة تأثير غريب على الحضارمة الذين استوطنوها حتى الذين قدموا إليها من حضرموت فكم من عالم كان له بحضرموت شأن ذهب لجاوة وعاش بها وتغير حاله، ومن هؤلاء القوم السيد محمد كريسان السقاف كان من تلاميذ الحبيب محمد بن هادي السقاف النجباء، وله في الفقه باع طويل، وتولى القضاء بسيؤن، ولكن تلاشى علمه بعد هجرته الطويلة بجاوة والتي انتهت بوفاته فيها، بل ربما نسي بعض الحضارمة اللغة العربية بعد العيش لسنين عديدة في المجتمعات الجاوية.

ويصف العلامة السيد عبد الله بن أبي بكر عيديد[٣] (١١٩٥-١٢٥٥هـ) جاوة وتأثيرها، بالأبيات التالية[٤]:

رحيل المرء من ذي الأرض أولى　　　فهل من سامع للنصح أم لا

(١) مسعود عمشوش، الحضارم في الأرخبيل الهندي، صفحة ١٣٣.

(٢) دبليو اتش انجرامس، حضرموت ١٩٣٤-١٩٣٥م، صفحة ١٧٦.

(٣) عبد الله بن محمد السقاف، تاريخ الشعراء الحضرميين، الجزء الثاني، صفحة ١٧٨.

(٤) محمد بن هاشم، تاريخ الدولة الكثيرية، تريم للدراسات والنشر، صفحة ١٩٤.

فـلا إن مـت ترضـاها مقـراً ولا إن عـشت ترضـاها محـلا
ومـن عاداتهـا الإنـسان ينـسى بهـا وطنـاً وأولاداً وأهـلا
كـأن بمائهـا نفثـات سـحر تـصيره عـلى الآذان قفـلا
فجد العزم وارحـل كـم خليـل لـه خـل ففارقـه وخـلى
فلـو فكـرت فـيما بعـد فيهـا لمـا في سـوحها طولـت حـبلا
متـى أدركـت فيهـا نيـل عـز فقـد أدركـت في التحقيـق ذلا

ولكن هذا ليس حكماً عاماً، ولكن وجد في جاوة في العقود الماضية من العلويين وغيرهم علماء كبار ساهموا في نشر الإسلام وهداية الناس، وتحضرني أسماء السيد علي بن عبد الرحمن الحبشي والسيد أنيس بن علوي الحبشي، كما أن السيد أبا بكر بن يحيى أتقن العربية وعلومها وتفوق فيها على أبناء حضرموت رغم أنه لم يغادر إندونيسيا، ومن الموالدة المتأخرين الأذكياء النابهين والمتضلعين في علوم العربية السيد نجيب بن طه بن عبداللاه السقاف والسيد توفيق بن قيدان السقاف وغيرهم كثير. بل إنّ بعض الزعماء المرموقين الذين كان لهم دور كبير في تاريخ حضرموت كانوا من مواليد إندونيسيا مثل السلطان الشهير منصور بن عمر المعجا حاكم شبام الذي قتله القعيطي وأنهى دولته، كما ذكرنا ذلك في فصل خاص.

وفي كثير من الموالدة فطنة وذكاء، فقد ذكر الشيخ عمر بن عبد الله الخطيب[١] المتوفى بسنقفورا بعض أولاد السادة الذين ولدوا في جاوة، ثم نقلهم أهلهم إلى حضرموت وهم صغار، وقال إن منهم أولاد السيد عبد الرحمن بن عبد الله الكاف وأولاد الحبيب عبد الله بن علي بن شهاب وأولاد السيد زين بن محسن الهادي، وقال إنهم درسوا بحضرموت وصاروا كلهم طلبة علم، وكانوا يدرسون على الشيخ محمد بن أحمد الخطيب، وذات يوم لم يقدر

---

(١) عبد القادر بن عبد الرحمن الجنيد، العقود الجاهزة والوعود الناجزة، صفحة ٥٢٦.

الشيخ محمد الخطيب أن يأتيهم، فانتدب الشيخ فضل عرفان بدلاً عنه، وكان الدرس في باب التيمم، فلما بدأ الشيخ فضل الدرس بقوله التيمم لغة القصد .. فأجابه السيد محسن الهادي في الحال بقوله نعم ومنه قول الشاعر:

تيممتكم لما فقدت أولي النهى ومن لم يجد ماءً تيمم بـالترب

فعرف الشيخ فضل أنه يعنيه، فقام ولم يكمل الدرس واستمتع الطلاب بيوم إجازة (انتهى بتصرف بسيط).

كما أن رائد العمارة الطينية بحضرموت المهندس العبقري علوي بن أبي بكر الكاف (الخضيب) والذي خصصنا له فصلاً من هذا الكتاب، كان من مواليد مدينة سورابايا بإندونيسيا سنة ١٣١٤هـ، ثم انتقل وعمره سبع سنوات إلى حضرموت[١].

ولا أدري السبب الذي يجعل الناس في حضرموت يتندرون بأخبار الموالدة الذين يصلون حضرموت للزيارة أو لتعلم اللغة العربية وعلوم الدين ويروون كثيراً من أخبارهم الطريفة.

ومن هذه الأخبار: أن أحد الموالدة جاء متأخراً إلى جلسة علمية وهو ينهج، فلما سألوه السبب قال إنه اعترض طريقة أربعة نفر كلب.

وتزوج أحد الموالدة بسيؤن، وكان يوماً في ضيافة أم زوجته، ولما حضر وقت الصلاة طلبت منه خالته أن يتقدمها للصلاة، فامتنع وقال: لا يمكن أبداً أن أتقدم في الصلاة على خالتي!!.

وسمع بعض شباب الموالدة المرسلين لسيؤن للدراسة عن رباط تريم وأنه طلابه يشبعون من التمر، وكان يعيشون مع مضيفهم بسيؤون عيشة ضنكاً، فهربوا من سيؤن إلى تريم

(١) محمد الجنيد وحسين الكاف، المهندس علوي الكاف رائد العمارة الطينية، صفحة ٥٠.

مشياً على الأقدام، ولما وصلوا رباط تريم قابلوا المسئول وطلبوا الانضمام للدراسة بالرباط، فقال لهم لا بد من موافقة ولي أمركم، فأجابوا بصوت واحد: نحن إلا شردنا. وهناك قصص كثيرة أخرى ليست صالحة لأن تكون في هذا الكتاب.

ومع أن بعض الموالدة تعلموا اللغة العربية في جاوا ولم يزوروا حضرموت، إلا أن لغتهم العربية كانت سليمة لا تشوبها لكنةٌ، ولكن الأغلب أن تشوب لغة المولدين لكنة واضحة ودائمة.

وقالت إحدى المولدات التي أحضرها أهلها إلى حضرموت شعراً فقالت:

ماشفتو بلاد كما حضرموت   سراجه قمر عشاؤه قضوض

وقد يتأخر تعلم الموالدة للغة العربية، وقد قابلت شخصياً امرأة من مواليد جاوا، وقد عاشت بحضرموت أربعين سنة، ولم تتعلم العربية ولم أتفاهم معها إلا بواسطة ابنها الذي ترجم الكلام فيما بيننا، والسبب أنها عاشت في حضرموت بين نساء يتكلمن مثلها اللغة الجاوية.

ومن الطرائف أيضاً: أن التوأمين علياً وأبا بكر باسهل أرسلا وهما أطفال من جاوة لحضرموت لتعلم اللغة العربية وبعد عدة سنوات بحضرموت لم يتقنا العربية، ولكنهما نسيا الجاوية، ثم رحلا إلى السعودية لطلب الرزق، وبعد سنوات وصلت أمهما من جاوة لأداء الحج بعد أربعين سنة من فراق أولادها. ولما وصلت جدة وقعوا في مشكلة، فأمهم لا تتكلم إلا الجاوية، وهما لا يعرفان إلا العربية، واضطروا آخر الأمر إلى الاستعانة بمترجم طوال إقامة أمهما وحجها.

ولم يتوفر لي شيء عن حال المولدين الحضارمة في الهند غير ما ذكر أن الأمير عبد الله بن علي العولقي جاءه أحد الحضارم فخوراً بابنه بعد أن تعلم العربية بحضرموت وطلب من الأمير أن يختبره، فقال له الأمير العولقي: هل تعرف كلمة (يالوماه) فلم يجب، فقال أرسله

ثانية إلى حضرموت. وأسمعه آخر قصيدة شعرية بقافية رائية لابنه، فقال له الأمير: هذا ليس شعراً ولكنه كلام آخره راء.

ووصل مجموعة من الطلاب من مواليد الهند العرب إلى العلامة السيد أبي بكر بن شهاب ليقرؤوا عليه كتب العلم، فلما وصلوا قالوا له: «جئنا لنخرأ (لنقرأ) عليكم»، فقال لهم: «الحمام في الجهة الثانية»!.

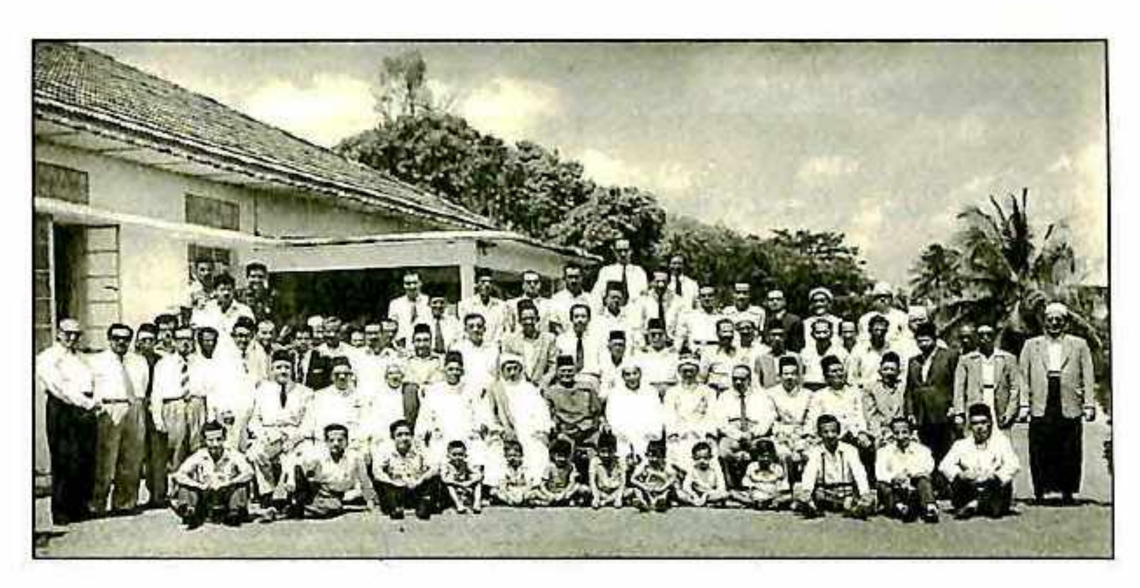
إلا أننا لا نغفل أنه ولد بالهند كثير من الزعماء والقادة الحضارمة، وليس أدل على ذلك من السلاطين القعيطيين الذين بلغوا شأواً كبيراً في العلم والأخلاق والشجاعة والهمم العالية.





الفصل الثالث عشر بعد المائة

العلويون المؤسسون بسنقافورا



مجموعة من العلويين بسنقفورا

سنتحدث في بداية هذا الفصل عن الأسر العلوية الغنية التي شاركت في بناء وتأسيس نهضة سنقفورا والتي لا زالت سنقفورا تعترف بفضلهم، وتحتفظ بتماثيلهم في متحف شمعها إلى اليوم، وتعترف لهم بأنهم الآباء المؤسسون لهذه المستعمرة. وسنبدأ بالحديث عن بعض أفراد أسرة الجنيد نقلاً عن ما ورد في كتاب العقود العسجدية في نشر مناقب بعض الأسر الجنيدية لمؤلفه السيد عبد القادر بن عبد الرحمن الجنيد.

وقد أفردنا عدة فصول للحديث عن أمير الإحسان السيد محمد بن أحمد السقاف وعائلته. أما السيد شيخ الكاف الذي هو أيضاً من الآباء المؤسسين لسنقفورا، ومن كبار أثريائها فقد تحدثنا عنه في الفصل المخصص لأثرياء العلويين. وسنذكر في نهاية هذا الفصل بعض الشخصيات المهمة الأخرى التي عملت وعاشت في سنقفورا.

وكان العلويون والحضارمة يصلون إلى سنقفورا على السفن الشراعية بعد أن يمروا على الهند أو سيلان ولم يكونوا يحملون جوازات أو أوراقاً رسمية، إلا أن السلطات البريطانية قررت فيما بعد تقنين الهجرة الحضرمية إلى الشرق الأقصى، فشجعت الدولة القعيطية على تنظيم الهجرة وإنشاء إدارة للجوازات في المكلا تتولى إصدار الجوازات للمسافرين من أبناء حضرموت[١].

كما طالبت السلطات في المستعمرة البريطانية سنقفورا الحضارم القادمين إليها بجوازات سفر، ووقع الحضارمة في ورطة، فقد ذكر السيد عبد القادر الجنيد في كتابه: إن الحكومة في سنقفورا أعلنت أنه لا يسمح لأحد بالنزول في سنقفورة إلا إذا كان يحمل جواز السفر. ولم تكن الجوازات معروفه في ذلك الوقت، وخاصة في الجهات اليمنية، فوقع الحضارم في ورطة، إلا أن السيد جنيد بن عمر الجنيد اهتدى إلى طريقة للتغلب على المشكلة، فجمع لديه عدداً كبيراً من رسوم الكعبة المشرفة وأعطاها لمن يصلون من اليمن، وقال لهم: إذا سألوكم عن

---

(١) ثابت صالح اليزيدي، الدولة الكثيرية الثانية في حضرموت، دار الثقافة العربية، صفحة ٢٥٠.

الجواز فأعطوهم هذه الصور، ولما عرضت الصور على مسؤولي الهجرة بسنقفورا قالوا: نحن لا نعرف هذه الجوازات ولا مصدرها، وسنسأل السيد جنيد بن عمر وكان من كبار الوجهاء بسنقفورا فإن عرفها سنسمح لكم بالنزول، فقال لهم السيد جنيد: نعم أنا أعرفها فاسمحوا لهم بالنزول فسمحوا لهم[1].

السيد عمر بن علي بن هارون الجنيد

وهو من الشخصيات العلوية الغنية بسنغفورا، وقد رحل من مسقط رأسه تريم في أواخر سنة **١٢٣٩**هـ قاصداً سنقفورا، وكان عمه السيد محمد بن هارون الجنيد قد سبقه إليها ومرّ السيد عمر الجنيد في طريقه على الهند ثم جاوة، حتى انتهى به المطاف في جزيرة سنقفورا، فكان من الآباء المؤسسين لهذه القلعة الاقتصادية الآسيوية.

وكعادة العلويين في تربية أبنائهم فإنّ السيد عمر الجنيد تلقى قبل سفره حصة وافرة من العلوم الدينية على يد كبار العلماء في حضرموت مثل الحبيب حسن بن صالح البحر (**١١٩١-١٢٧٣**هـ) والإمام طاهر بن الحسين وأخيه عبد الله بن حسين بن طاهر (**١١٩١-١٢٧٢**هـ) والإمام عبد الرحمن بن عبد الله بافرج وغيرهم من العلماء.

وكان السيد عمر قوي الذاكرة ثاقب الفكر بعيد النظر عاقلاً لبيباً حازماً مستقيماً ذا خلق وتواضع. ولما استقر بسنقفورا اشتغل بالتجارة فأثرى ثراءً طائلاً، وامتلك العقارات والأراضي الواسعة، إلا أن ذلك لم يغير طباعه وأخلاقه التي تربى عليها بتريم، فاستمر على ورعه وصدقه ونزاهته مع المحافظة على الجماعات والعبادات والأذكار والأوراد، ولم يغير أبداً زيه العلوي الحضرمي طوال إقامته بسنقفورا.

ولعل هذه الأخلاق جذبت إليه الألوف من غير المسلمين فاعتنقوا الإسلام على يديه

---

(١) عبد القادر بن عبد الرحمن الجنيد، العقود العسجدية في مناقب الأسرة الجنيدية، صفحة ٢١٨.

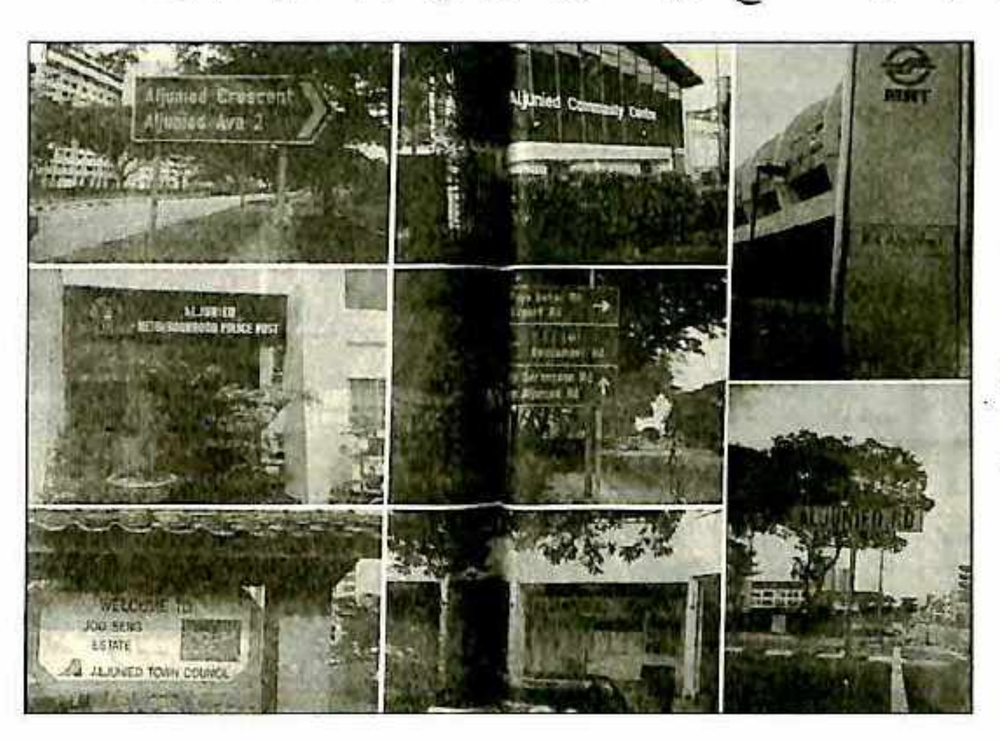
فعلمهم تعاليم الإسلام، وبث فيهم روحه وآدابه، وانتشرت العادات العلوية بسنقفورا والملايو من الحزوب القرآنيه والأوراد الصباحية والمسائية وعادات شهر رمضان والمواسم الدينية، ولا زال هذا التأثير العلوي باقياً إلى اليوم، وقد شاركه في هذا الجهد والتأثير ابنُ عمه السيد علي بن محمد الجنيد المتوفى بسنقفورا سنة ١٢٧٥هـ والسيد الفاضل الثري أبو بكر بن محمد المشهور الذي كان زميل السيد عمر في دراسة العلم وتعليم الناس وإصلاح ذات بينهم والمحافظة على الأذكار والأوراد حتى أنه لما وصل الحبيب العلامة عمر بن حسن الحداد إلى سنقفورا من تريم ورأى حالهم بسنقفورا. قال كأنكما لم تخرجا من تريم لأن حالهم لا يختلف قط عن حال أهلهم بتريم.

ولم ينس السيد عمر الجنيد أهله وقومه بحضرموت، فكان دائم الصلة والبر لأهله وعشيرته وشيوخه وصلحاء ووجهاء حضرموت وذوي المراتب والمناصب بحضرموت، قائماً بنفقة أكثر عائلات قبيلته وأصدقائه مع المساهمة في المشاريع الخيرية والاجتماعية بحضرموت. وكان يرسل إلى قومه بحضرموت هدايا من القماش المعروف باسمه، حيث إنّ الحضارمة لم يكونوا يلبسون ذلك الوقت إلا الأقمشة المحلية.

وكان محباً لأخيه الأكبر السيد أحمد بن علي الجنيد المقيم بتريم لا يخالف له أمراً حتى إنه لما طلب منه أخوه أحمد القدوم إلى حضرموت ليقف معه بعد الأزمة التي تعرض لها بغرق ابنه وأخيه عبد الله بن علي قرب كمران، وهم في طريقهم إلى الحج ما لبث السيد عمر أن لبى دعوة أخيه رغم اضطراب الأمن بحضرموت في تلك الفترة التي حكمت فيها القبائل والطوائف اليافعية، فترك السيد عمر الجنيد ثروته وحياته الطيبة بسنغفورا واصطحب معه جميع أبنائه الذكور، واصطحب كذلك ابن عمه السيد علي بن محمد الجنيد وسافر الجميع إلى حضرموت رغم مشقة السفر العظيمة في تلك الأيام عازماً على الإقامة بتريم ليكون في خدمة أخيه، ولكنهم لم يكادوا يستقرون بتريم سنة ١٢٥١هـ حتى قام حاكم المنطقة الوسطى من تريم عبد الله غرامة اليافعي بالقبض على السيد عمر وعلى أخيه الأكبر السيد أحمد بن علي وابن

عمهما السيد علي بن محمد طمعاً في ابتزازهم، ولم يطلق غرامة سراحهم إلا بعد أن دفعوا له فدية عظيمة، ولهذا فإنّ السيد عمر الجنيد لم يطب له المقام بعد هذا الحبس، فغادر حضرموت مباشرة بعد خروجه من السجن، وعاد إلى سنقفورا ومكث بها حتى وفاته سنة ١٢٦٩هـ.

وقد دفعته هذه التجربة الحضرمية على العمل لإزالة الفتن والمظالم بحضرموت فأخذ يكتب إلى زعماء ووجهاء حضرموت للعمل على إصلاح البلاد والإصلاح بين القبائل ومحاربة الجنود الظالمين المفسدين، ولهذا لما قام السلطان غالب بن محسن الكثيري وطلب منه الحبيب حسن بن صالح البحر مساعدته أرسل السيد عمر للسلطان غالب بالأموال الطائلة وثلاثين مملوكاً، وعدة مدافع حربية مكتوب على كل منها بالعربية (الجنيد).



بعض الشوارع والمرافق الرسمية بسنقفورا التي تحمل اسم الجنيد

وكان السيد عمر الجنيد يتمتع في سنقفورا باحترام الحكومة المحلية واحترام الطوائف المختلفة، وقد تمتع بامتيازات منها تسمية أحد الشوارع العامة بسنقفورا باسمه المعروف به إلى اليوم (عمر رود)، كما أن الشرطة لا تلقي القبض على أي مطلوب في حمى بيته مهما عظمت

جريمته، بل تنتظر حتى يخرج فتقبض عليه، كما أن إدارة البريد مكلّفة بتوصيل رسائله قبل توزيع البريد العام بساعتين.

وقد ذكر لي أحدهم أن حصوله المبكر على البريد نتيجة لوصول بريده قبل الآخرين ساعده على تجنب الخسائر وتحقيق الأرباح.

وقد وقف السيد عمر الجنيد أرضاً واسعة بسنقفورا لدفن أموات المسلمين، ولا تزال تستعمل لهذا الغرض إلى اليوم، كما بنى بسنقفورا عدة مساجد أهمها المسجد الموجود في الشارع الذي يحمل اسمه، كما تبرع بأرض واسعة لحكومة سنقفورا لتقيم عليها المنشآت العامة والمصالح الحكومية.

وكان بيته مقصد الضيوف والزائرين من كل الطوائف عرباً وعجماً لأنه كان أعظم شخصية بسنقفورا في وقته، وكان يقوم بنفسه على خدمة ضيوفه، ويبالغ في إكرامهم، كما كان يقدم العون والمساعدة للمحتاجين والنصح والإرشاد إلى من يطلبه منه.

وكان قلّما يأكل وحده، بل يجلس مع ضيوفه على مائدة واحدة رغم أنّه يصنع له طعام خاص لأسباب صحية،

ومما يدلك على بعد العلويين عن مظاهر الترف الفاحش رغم ثروتهم، ورغم إنفاقهم الأموال الطائلة في وجوه البر والخير أنّ السيد عمر بن حسن الحداد وصل من تريم ونزل ضيفاً على السيد عمر الجنيد، ثم أعجبته قلنسوة ممتازة بسنقفورا، فاشترى واحدة لنفسه مع أن سعرها ثلاث ريال فرانصه، فلما رآها الجنيد على رأسه قال له: كم كان سعر البر لما تركت حضرموت؟ قال الحداد: القهاولين بريال (والقهاول ١٢ مداً)، فقال له الجنيد: أنت الآن تضع على رأسك ستة قهاول (٧٢ مداً)، فهل تستطيع حملها؟ فاتعظ الضيف وأعاد القلنسوة لبائعها واسترد الثمن.

وبعد وفاة السيد عمر بن علي الجنيد بقيت الثروة في أولاده من بعده منهم السيد

عبد الله بن عمر الجنيد ١٢٤٣-١٢٨١هـ، وهو أول من دخل في تجارة مناجم الذهب، وقد انتقل إلى مكة المكرمة للإقامة بها، وتوفي بها.

ومنهم السيد أبو بكر بن عمر الجنيد (١٢٦١-١٣٠٩هـ) وهو من الأعضاء المؤسسين لشركة ميناء سنقفورا، والمسلم الوحيد بها، وبقية الأعضاء من الأوروبيين، وقد انتقل إلى مكة وتوفي بها.

ومنهم السيد علي بن عمر الجنيد (١٢٤٥-١٢٩٥هـ)، وقد ترك سنقفورا وأقام بمكة المكرمة، واشترى بها عقاراً، وتوفي بها وقد خلف ولداً نبيهاً هو السيد عبد الرحمن (١٢٧٤-١٣٤٦هـ) وهو الشخصية المهابة القوية في الجيل الثالث من أسرة الجنيد الثرية.

وقد ولد السيد عبد الرحمن بن علي بن عمر الجنيد بسنقفورا سنة ١٢٧٤هـ، ثم أرسله أبوه لطلب العلم في مكة المكرمة، ولما تحصل منها على بغيته عاد إلى سنقفورا واشتغل بالتجارة، وكسب منها ثروة طائلة علاوة على ما ورثه عن أبيه من مال. وقد شابه جده في الاستقامة والطاعة والمحافظة على الزي العلوي والأخلاق العلوية مكرماً للضيوف معيناً للضعفاء والمساكين.

ثم قرّر الانتقال بعائلته من سنقفورا إلى تريم فاشترى بتريم أرضاً زراعية واسعة وابتنى بها داراً واسعة، ثم انتقل إليها مع عائلته عام ١٣١٦هـ، إلا أنه لم يطب له المقام بحضرموت، فقرّر بعد سنتين الانتقال بعائلته إلى مكة المكرمة، وقضى بمكة ثلاث سنوات، ثم قرّر العودة ثانياً إلى حضرموت، ولما طالبه بعض أفراد عائلته بالتمهل أصرّ على رأيه، فلما سألوه عن السبب، قال قولته الحكيمة التي تعبر عن شديد حرصه على تربية أولاده وهي: «إنني منذ وصلت إلى مكة حتى اليوم رأيت أخلاق أولادي وطباعهم التي كانوا عليها بتريم قد تغيرت وتبدلت، وذهب ثلاثة أرباعها، ولم يبق معهم من أخلاقهم الطيبة إلا الربع فقط، فالأولى أن نعجل بهم مع ما بقي معهم من الأخلاق إلى تريم لتعود إليهم أخلاقهم وطباعهم الحسنة»، وله مشاريع خيرية بتريم، منها عمارة رباط تريم والمشاركة في عمارة رباط عينات

وعمارة المساجد والزوايا. وكان بيته بتريم مجمع العلماء والأولياء والفقهاء وما أشبه قاعة الاستقبال ببيته حلقة درس أو قاعة جامعة.

وكان السيد عبد الرحمن الجنيد ذا هيبة قوية، يهابه حتى الأكابر وأصحاب السلطة والنفوذ ولا يسمح لأحد أن يدخل عنده دون أن يسلم عليه قبلاً ويأمره بالرجوع ثم السلام والدخول، ويحرص على تربية أولاده. ونظراً لبعد منزله عن مساجد تريم، كان يقيم صلواته الخمس جماعة في بيته بأذان مرتفع مع أولاده وأحفاده وخدمه وعبيده ومن عنده من الضيوف، ولا يسمح لأحد بالتأخر عن الجماعة إلا بعذر شرعي، ويقوم بين المغرب والعشاء بقراءة الحزوب القرآنية والأوراد وكأنه في مسجد من مساجد تريم.

وفي شهر رمضان يصلي التراويح في بيته جماعة بإمامة ابنه، وبعدها يقرأ المدائح النبوية، ويستضيف في كل ليلة من ليالي رمضان طائفة من طلبة الرباط ويوزع عليهم الدراهم والكسوة بعد العشاء، وكانت تلك عادته كل سنة.

وبرغم أن هذا الثري لم ينصرف في غناه عن المجاهدة في العبادة و المحافظة على الأوراد والأذكار، إلا أنه كان أيضاً يتتبع أخبار العالم ومشتركاً في بعض الصحف والمجلات العالمية التي تصله إلى بيته في تريم ويقرأها بعد أدائه صلاة العشاء ورواتبها، وفي أثناء تهيئة أهله لطعام عشائه. وقد توفي بتريم سنة ١٣٤٦هـ.

الجو العلمي بسنقفورا القديمة

كان يقيم في سنقفورا في تلك الفترة إلى جانب من ذكرنا من أسرة الجنيد الغنية، ومن سنذكر في الفصل التالي من أسرة السقاف الثرية عددٌ من الشخصيات العلمية والأدبية مثل السيد محمد بن عقيل بن يحيى والسيد حسن بن علوي بن شهاب وغيرهم، كما كان يزورهم من الهند بين وقت وآخر العلامة السيد أبو بكر بن شهاب، وكانت تعقد بينهم المناظرات وتثور بينهم أحيانا الخصومات، إلا أنها خصومات علمية يكون مجالها على الأغلب الكتابات

الصحفية والإصدارات الأدبية. وقد ذكرنا بعض ذلك في موضع آخر من هذا الكتاب، كما ذكرنا في فصل آخر أسماءَ عدد من الصحف التي كانوا يصدرونها في سنقفورا. هذا وسنستعرض فيما يأتي أخبار بعض الشخصيات الأخرى المهمة التي عاشت في سنقفورا في القرن الماضي.

السيد العلامة محمد بن عقيل بن يحيى



ولد في المسيلة بحضرموت سنة ١٢٧٩هـ واحتاج للهجرة عن وطنه وهو صغير بعد وفاة والده المبكرة فوصل سنغفورا سنة ١٢٩٦هـ ثم دخل جزيرة جاوة واشتغل في بعض نواحيها وفيما جاورها بالتجارة والزراعة والتصدير، فكانت له صلات تجارية واسعة الأطراف ببلاد متعددة، منها: الصين واليابان وجزر الفلبين وسومطره وغينيا الجديدة والهند والسند وبورما وسيلان واليمن والحجاز ومصر والشام والعراق والآستانة والأناضول وبعض أوروبا، وله معارف ببعض تلك البلاد وحضر معرض باريس التجاري سنة ١٩٠٠م.

وذكر الدكتور عبد الله يحيى الزين في كتابه «النشاط الثقافي والصحفي لليمنيين في المهجر» أن تجارته قد بلغت ٤٠٠,٠٠٠ روبية، وهو مبلغ خيالي في ذلك الوقت، وكان يتاجر في الماس والكتب وغير ذلك، وكان دقيقاً في توثيقه لحساباته بشهادة بعض المتخصصين الذين وقفوا على دفاتره المخصصة لذلك.

ويقول عنه العلامة السيد علوي بن طاهر الحداد مفتي جوهور بماليزيا: إن ابن عقيل كان يرى المال وسيلة فقط فليس له عنده منزلة للمال إلا بمقدار الحاجة الحاضرة، وكان سخياً متلافاً، ولذلك كان اشتغاله بالتجارة كعادة من سبقه من أجداده وأسلافه الذين حملوا هم الدعوة الإسلامية على ظهورهم وهو أن يستعين بالمال على نشر الدعوة والعلم[(١)].

ووصفه بن عبيدالله فقال: كانت له حافظة قوية واطلاع تام وإكباب على المطالعة. (انتهى). وكانت داره أشبه بمكتبة عظيمة تحوي كتباً ومجلات وجرائد كثيرة في مختلف المجالات[(٢)]. وقال عنه الحبيب علوي بن طاهر الحداد إنه لم يكن ينام أيام اعتدال صحته حتى يقرأ مائة وخمسين صفحة غالباً، وكان يقيد في مطالعته كل ما يحتاج إلى التقييد، ويصحح الأغلاط ويعلق الملاحظات بصبر وعناء قلما يوجد[(٣)].

ومن أعماله في سنقفورا تأسيس المجلس الاستشاري الإسلامي الأعلى الذي كان أمير الإحسان السيد محمد بن أحمد السقاف أول رئيس له، كما أنشأ بسنقفورا سنة ١٣٢٦هـ جريدة الإصلاح ومجلة تدعى الإمام بلغة الملايو وبحروف عربية، كما أسس رحمه الله في سنة ١٣٢٥هـ مدرسة سماها مدرسة الإقبال وأتى لها في سنة ١٣٢٦هـ بمعلمين من مصر[(٤)].

---

(١) محمد بن عقيل بن يحيى، العتب الجميل، تريم للدراسات والنشر، صفحة ٢٨-٢٩.

(٢) محمد علوي بن يحيى، شرف المحيا، تريم للدراسات والنشر، صفحة ١٣٢.

(٣) محمد بن عقيل بن يحيى، العتب الجميل، تريم للدراسات والنشر، صفحة ٤٩.

(٤) محمد علوي بن يحيى، شرف المحيا، تريم للدراسات والنشر، صفحة ١٣١-١٣٢.

كما ساهم السيد محمد بن عقيل بن يحيى مع السيد شيخ الهادي في جمع التبرعات لمشروع خط سكة حديد الحجاز وكذا لمشروع عين زبيدة بمكة، كما اهتم بدعم جمعيات دعم منكوبي طرابلس الغرب لما حل بها من الإيطاليين وغيرها من بلاد الإسلام[١].

وبعد هجرة طويلة قرر السيد محمد بن عقيل بن يحيى العودة إلى البلاد العربية، فاختار أولاً الإقامة بمكة المكرمة، وأرسل في سنة ١٣٣٨هـ عائلته وحاشيته إلى مكة، ثم تبعهم بعد ذلك وأقام بمكة ستة أشهر، وعلى ما يبدو فإنه ترك عائلته بمكة وواصل أسفاره ثم عاد إلى حضرموت فوصل المكلا سنة ١٣٤٠هـ واستقر بها.

وكانت بريطانيا تنظر إلى ابن عقيل بنظر الريبة، ولم ترتح لوجوده في أي مكان بمستعمراتها ومحمياتها، ذلك أن أعماله كانت متصادمة مع مصالحها[٢].

وكان في المكلا صريحاً في انتقاد أوضاع البلاد والمطالبة بإصلاح القطر الحضرمي فاتهمته الحكومة القعيطية بالاتصال بأئمة اليمن وأمرته بمغادرة المكلا والانتقال إلى عدن فأرسل عائلته إلى حضرموت، وسافر هو إلى عدن حيث لقي فيها استقبالاً حاشداً، وتحولت داره في عدن إلى مكتب استفتاء ومعهد وناد أدبي، يدرس عنده الطالب ويأتيه السائل والمستفهم وتنعقد مجالس الأدب والظرف، ومنضدته تتكدس عليها الأوراق، فيلازمها في وقت معين من كل يوم للإجابة على الرسائل الواردة إليه من مختلف الأنحاء، إضافة إلى ما تعوده من القراءة اليومية وتقييد الفوائد والشوارد.

وقد مكث العلامة ابن عقيل فترة بعدن ولا أدري هل لقي مضايقة من الإنجليز أم اختار هو قبول دعوة الإمام يحيى للإقامة باليمن التي توجه إليها سنة ١٣٤٩هـ وتوفي فيها بعد سنة من وصوله سنة ١٣٥٠هـ.

---

(١) محمد بن عقيل بن يحيى، العتب الجميل، تريم للدراسات والنشر، صفحة ٥٧.

(٢) محمد علوي بن يحيى، شرف المحيا، تريم للدراسات والنشر، صفحة ٤١.

السيد العلامة حسن بن علوي بن شهاب

ومن شخصيات سنقفورا الأخرى السيد العلامة حسن بن علوي بن عبد الله بن أحمد شهاب الدين ولد بتريم عام ١٢٦٨هـ ونشأ فيها تحت كفالة والده، وتلقى عن علماء تريم ودمون، وهاجر إلى سنغافورا ليتولى الإشراف على ممتلكات والده بها.

وأقام في سنغافورا وتعاطى التجارة وكون له بها أسرة بعد أن أقام زمناً في جاكرتا حتى عام ١٣٢٠هـ. وكان يكتب المقالات في الصحف المصرية فيما يتعلق بأعمال الإصلاح الاجتماعي والتعليمي، ويرى أنه يجب أن يكون التدريس في الأربطة العلمية بحضرموت على مستوى الجامعات في مختلف العلوم.

له تآليف تتعلق بإصلاح حضرموت. ومن مؤلفاته «الرقية الشافية من سموم النصائح الكافية» و«نحلة الوطن»، وظهر رد عليه من السيد علوي بن عبد الرحمن بن أبي بكر المشهور بكتاب «إتحاف أهل القبيلة»، ورد عليه السيد أبو بكر بن عبد الرحمن بن شهاب الدين بكتاب «وجوب الحمية من مضار الرقية».

كان السيد حسن من الناهضين بالحركات الإصلاحية معروفاً بقوة العارضة قوياً في النقد جريئاً في أبحاثه، وعاد إلى تريم حوالي عام ١٣٣٠هـ وتوفي بها عام ١٣٣٣هـ، وله أشعار لعل بعضها نشر في جريدته «الوطن» التي كان يصدرها في سنغافورا، ودامت سنتي.ن له أبناء محمد وعلوي وعبد الرحمن وأحمد.

وتلقى ابنه السيد العالم الأديب محمد بن حسن بن علوي (١٣١٠-١٣٦٣هـ) علومه في تريم والحجاز، واتصل برجال العلم والأدب في مختلف الأقطار ومكث زمناً في سنغافورا، وتولى بها التدريس في مدينة جوهور وله أشعار جيدة وتوفي في جوهور.

رجالات سنغفورا في الأيام المتأخرة(١)

السيد علي رضا بن أبي بكر بن طه بن عبد القادر السقاف

١٣٤٦-١٤١٨هـ



السيد علي الرضا في الوسط بين الحبيب عبد القادر بن أحمد السقاف
والسيد عبد القادر الروش السقاف

ولد بسنقفورا ودرس بمدرسة الجنيد الإسلامية بسنقفورا وبعد تخرجه منها لازم الدراسة على يد والده الذي كان مديراً لمدرسة الجنيد الإسلامية منذ تأسيسها سنة **١٣٤٦هـ**. وقد عاد والده بعد ذلك إلى مدينة سيؤن وتوفي بعد أشهر من وصوله.

وكان السيد علي الرضا مثابراً وطموحاً، واحتل عدداً من المراكز الحكومية والاجتماعية

---

(١) عبد القادر بن عبد الرحمن الجنيد، العقود الجاهزة والوعود الناجزة، صفحة ٥٦٩-٥٧١.

المرموقة بسنغفورا فعين من قبل رئيس جمهورية سنغفورا حاكم صلح، وهو أول عربي يتولى هذا المنصب بعد استقلال سنقفورا سنة ١٩٩٠ م، أما قبل الاستقلال فقد تولى المنصب كثير من العرب أمثال السيد عبد الرحمن بن جنيد الجنيد وإبراهيم بن عمر السقاف وأحمد بن محمد السقاف وغيرهم.

وقد عين السيد علي الرضا من قبل حكومة سنغفورا عضواً في المجلس الوطني لمحاربة الإجرام وعضواً زائراً لمراقبة السجون والمؤسسات الحكومية، كما تولى العديد من المناصب الاجتماعية والإسلامية والحكومية، ورشح عام ١٩٥٩م لمنصب محافظ سنقافورة، كما قلده رئيس جمهورية سنقفورا عام ١٩٨٧م وسام الخدمة الاجتماعية، وحصل على جائزة التقدير من المجلس الإسلامي بسنقفورا عام ١٩٩٣م، وهو مؤسس برنامج المنح الدراسية لأبناء المسلمين وتولى إدارتها حتى وفاته.

وكان السيد علي كريماً مضيافاً وبيته مفتوح للضيوف والوافدين إلى سنقفورا، وكان وصولاً لرحمه بسنقفورا وحضرموت، يتعهدهم بالعناية والمساعدة، كما كان ملازماً لدروس العلامة الشيخ عمر الخطيب المقيم بسنقفورا. وقد أسند إليه كثير من أصحاب العقارات أمر عقاراتهم بسنقفورا لأمانته وحسن تصرفه فأنقذ كثيراً من هذه العقارات من الضياع والإزالة.

وقد اتصلت به شخصياً عند وصولي سنقفورا سنة ١٩٩٨م فاحتفى بي رغم قلة شأني ومشاغله الكثيرة وطوف بي سنقفورا على سيارته الخاصة، ودعاني للطعام وجاء بنفسه يقود سيارته لإحضاري من فندقي إلى بيته، فيا لها من أخلاق عظيمة وكرم حاتمي. وقد حج السيد علي رضا وزار حضرموت عدة مرات، وتوفي بسنقفورا. (انتهى النقل).

ولا نستطيع أن نكمل الحديث عن العلويين بسنقفورا دون أن نذكر العلامة الشيخ عمر بن عبد الله الخطيب الذي استوطنها، وكان منارة علم وفهم وصلاح وتقوى وسنعرض فيما يلي ترجمة مختصرة.

الشيخ عمر بن عبد الله بن أحمد الخطيب



الشيخ عمر الخطيب الثاني من اليسار في مسجد عبدالرزاق بسنقفورا

ذكره السيد عبد القادر الجنيد فقال[١] إنه من علماء تريم الأفاضل وفقهائها الأكابر، ولد بتريم سنة ١٣٢٦هـ، وحفظ القرآن الكريم، وطلب العلم على علماء عصره.

وكان الشيخ عمر فقيهاً ضليعاً في الفقه ومسائله ونوادره وشوارده، واسع الملكة في علوم العربية، وخاصة في النحو، فهو سيبويه زمانه كثير المطالعة قوي الحافظة، وبالجملة فهو علامة نادر المثال مستقيم الحال كثير التلاوة للقرآن والأوراد والأذكار، حسن الخلق لطيف المعشر حلو الحديث سهلاً ليناً يميل إلى الدعابة والمباسطة محباً مخلصاً لأهل البيت.

ولما رشح لقضاء تريم سنة ١٣٥٥هـ فر هارباً إلى الشحر ومنها إلى سنقافورة، وبقي بسنقفورا إلى سنة ١٣٧٥هـ، ثم عاد إلى تريم وبعدها سافر إلى المملكة العربية السعودية،

---

(١) عبد القادر بن عبد الرحمن الجنيد، العقود الجاهزة والوعود الناجزة، صفحة ٥٢٠-٥٢٢.

وأقام مجاوراً بمكة لمدة عشر سنوات، ثم عاد إلى سنقفورا فأقام بها مقيماً للدروس العامة ببعض المساجد والدروس الخاصة بمنزله، فانتفع به خلق كثير وتخرج على يديه كثير من العرب والملاويين، وكان كثير الاتصال بالعلامة السيد علوي بن طاهر الحداد مفتي جوهور بماليزيا. (انتهى).

هذا وقد اجتمعت به أثناء زيارتي القصيرة لسنقفورا سنة ١٩٩٠م، وكان يجلس بمسجد عبد الرزاق، يدرس لمجموعة صغيرة من طلبته، ولم أكد أصدق عيني عندما مشيت بالسيارة متجها إلى مسجد عبد الرزاق عبر مدينة سنقفورا الحديثة بكل ما فيها من بنايات شاهقة وحدائق غناء ونظام عصري عجيب، حين انتقلت فجأة إلى حلقة علم لمشايخ وطلبه يلبسون الصواريم وكأنما هم جلوس في حلقة علم بمسجد في تريم ومركز الحلقة الشيخ عمر الخطيب. وقد وجدت الشيخ عمر كما ذكره الجنيد عالماً متبحراً في كل فن، ووجدته يدرس علم النحو لشاب هندي أسلم على يديه وعلمه العربية والنحو فتفوق فيهما على العرب الأصليين.



طلبة يدرسون على الشيخ عمر الخطيب بسنقفورا
والى اليمين الشاب الهندوسي الذي اسلم على يديه وأتقن العربية

ومما يدل على سعة علم الشيخ عمر الخطيب وحافظته القوية تلك المعلومات المتنوعة الوفيرة التي نقلها الجنيد عنه وأوردها كتابه[١]، وقد ظهر لي إعجاب الشيخ عمر الخطيب بالجد العلامة عبد الرحمن بن عبيدالله من كثرة ما يذكره عنه من الأحاديث الشيقة التي لم يسبق أن سمعنا بها من قبل. وقد توفي الشيخ عمر بن عبد الله الخطيب بمدينة سنقفورا سنة ١٤١٨هـ وشيعته الجموع الغفيرة من كل الطوائف ودفن بها[٢].

* * *

(١) عبد القادر بن عبد الرحمن الجنيد، العقود الجاهزة والوعود الناجزة، صفحة ٥٢٢-٥٦٥.

(٢) عبد القادر بن عبد الرحمن الجنيد، العقود الجاهزة والوعود الناجزة، صفحة ٥٦٥.

الفصل الرابع عشر بعد المائة

الإمبراطورية التجارية لعائلة السقاف بسنغافورا



باني الإمبراطورية السيد محمد بن أحمد السقاف[1]
(١٨٣١-١٩٠٦م)

---

(١) مجلة signature نوفمبر ١٩٨٠.

لقد لعب العرب من قديم الزمان دوراً مهماً كتجار ومعلمين وناشرين لدين الإسلام في أرخبيل الملايو، وقد تزايدت أعدادهم بكثرة في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، وبرزت منهم قيادات إسلامية قوية وفعالة في سنغفورا. ومن أبرز هذه القيادات الإسلامية في المجتمع العربي السيد محمد بن أحمد السقاف وهو من الجيل الثالث من الرواد العرب الذين استقروا في سنغفورة، وهو سليل أسرة عربية غنية.

وقد رفع السيد محمد بن أحمد السقاف اسم عائلته إلى أعلى المراتب التجارية والدينية وكان اسماً عظيماً. وقد مارس جميع الأعمال التجارية الكبرى في زمنه، وأصبح من المقربين للعوائل الملكية، ومن المساهمين في الأعمال الخيرية التي استمرت إلى هذا اليوم بعد أكثر من مائة سنة على وفاته.

وتبدأ قصة السيد محمد بن أحمد السقاف في الأيام الأولى لاستيطان سنغفورا وقبل جيلين سبقوه من عائلته، فقد قدم والده السيد أحمد بن عبد الرحمن السقاف من ملقا إلى سنغفورا في سنة ١٨٢٤م. وكان تاجراً ومغامراً، واستوطن سنغفورا واشتغل بتجارة البهارات والتوابل وأنشأ علاقات تجارية قوية مع جزر جاوا وسومطرا وسليبس. وقد أثرى من تجارته ثراءً كبيراً، وأصبح اسماً لامعاً في المنطقة وأضاف وهجاً للتطور التجاري في سنغفورا وكوّن في عام ١٨٤٨م شركة السقاف وشركاه، وكانت له سفنه التجارية الخاصة التي تمخر البحار وتحمل تجارته إلى بلدان العالم المختلفة لسنوات عديدة.

وكانت ملكية السفن التجارية الخاصة تجعله حتى بمقياس هذه الأيام من ألمع التجار ورجال الأعمال العالميين. وبنهاية القرن التاسع عشر كانت العائلات الغنية بسنقفورة هي عائلة السقاف والجنيد والكاف، وكانت هذه العائلات الغنية قد استقرت بالشرق الأقصى قبل سنوات عديدة من تأسيس سنغفورا.

وقد تزوج العرب من الفتيات المسلمات الملاويات حيث كانت الهجرة العربية مقتصرة

على الرجال فقط الذين درجوا على تجنيب نسائهم مشاق الرحلة البحرية القاسية لهذه الأوطان الغريبة، ولكن رغم هذه الدماء المختلطة التي تجري في عروق العرب السنغفوريين فإن هذه العوائل العربية بقيت مرتبطة بوطنها الأصلي حضرموت، كما حافظوا على عاداتهم وتقاليدهم العربية وعلى الالتزام الكامل بتعاليم الدين الإسلامية، كما دأبوا على إرسال أبنائهم إلى حضرموت لتعلم اللغة العربية والعادات الإسلامية، وحرصوا على تزويج بناتهم من العرب الأقحاح ذوي الدماء العربية الأصيلة. ثم تزايد المجتمع العربي بسنغفورا مع ازدياد عدد القادمين الجدد من حضرموت الذين عملوا بجد واجتهاد في التجارة، وتمكنوا من تملك مزارع الشاي والتوابل واشتروا العقارات المتعددة والأراضي الواسعة بسنغفورا خصوصاً في مناطق جي لانق وسيرانقون.

وعندما توفي التاجر الكبير ومالك السفن السيد عبد الرحمن السقاف في جاوا خلفه ابنه أحمد الذي توسع في تجارة والده. وقد كان السيد أحمد بن عبد الرحمن السقاف الذي يمثل الجيل الثاني في فرع هذه العائلة العريقة محظوظاً بالاقتران من ابنة الحاجة فاطمة وهي سيدة ثرية من مالقا ومالكة سفن، وهي متزوجة من أحد الأمراء البوقيسيين.



مسجد الحاجة فاطمة في سنقفورا

وقد أدى اقتران السيد أحمد بابنة الحاجة فاطمة إلى اندماج أعمال العائلتين في شركة ضخمة تتولى إدارة وتوجيه الأسطول التجاري الضخم لآل بوقس والسقاف، وتمكنت بذلك شركة السقاف وشركاه من تسيير الخطوط الملاحية المنتظمة بين سنقفورا والمراكز التجارية العالمية مما يعد في تلك الأيام ميزة تجارية عظيمة.

وقد ابتنت الحاجة فاطمة منزلاً بسنغفورا في طريق جاوة بكامبونق قلام، إلا أن هذا المنزل تعرض للسرقة مرتين وأحرقه اللصوص، فتركته وابتنت في موقعه مسجداً عاماً ومسجداً خاصاً بعائلتها وحولت الحدائق المحيطة به مدفناً خاصاً بكبار أفراد عائلتها، وبقي المسجد والمدفن كواحد من المعالم الوطنية المهمة بسنغفورا. ويتميز المسجد بتصميمه الفريد و مئذنته المميزة. كما ابتنت بجوار المسجد مساكن لإيواء الفقراء لا زالت موجودة إلى يومنا هذا، وتتولى أسرة السقاف مصاريف المسجد والمساكن.

ولعب السيد أحمد بن عبد الرحمن السقاف بعد وفاة الحاجة فاطمة دوراً مهماً في تأسيس سنغفورا، وأصبح منزله المسمى بالقلعة (كوتا) نظراً لشكله المميز مركزاً مهماً لتجمع العائلة في المناسبات المهمة. ثم توفي السيد أحمد بن عبد الرحمن السقاف كواحد من أكبر أغنياء سنقفورا، وخلفه ابنه السيد محمد بن أحمد السقاف الذي أكمل مجهودات أبيه وجده في مجال التجارة والأعمال لتصبح شركة السقاف وشركاه من أكبر الشركات التجارية العالمية في ذلك الوقت.

ويعتبر السيد محمد بن أحمد السقاف أول مولود لعائلة السقاف بسنقفورا بعد نزوحها من ملقا، وبما أنه تجري في عروقه الدماء الملكية من جهة والدته التي تنحدر من أمراء البوقيس فإنه كانت تربطه صلة قرابة بالسلطان أبي بكر سلطان جوهور. وقد استفاد السيد محمد بن أحمد من هذه القرابة في مشاريعه التجارية حيث أقطعه السلطان أبو بكر مقاطعة كوكوب في سلطنة جوهور وأطلق عليها السيد محمد بن أحمد السقاف اسم مقاطعة اصطمبول. ونظراً للعدد الكبير من العمال الذين احتاجهم السيد محمد بن أحمد السقاف لتنمية هذه المقاطعة فإن

سلطان جوهر أذن له بسكّ عملته الخاصة به من فئة الخمس وعشرين والخمسين سنتاً والدولار والدولارين.

وبفضل طاقة السيد محمد بن أحمد السقاف العظيمة وأساليبه التجارية الخلاقة استطاعت شركة السقاف وشركاه أن تسيطر على تجارة أرخبيل الملايو من القصدير والمنتجات الزراعية وتحتكر تصديره إلى أوروبا والبلاد العربية.

كما تركز الجزء الثاني من نشاطات شركة السقاف وشركاه على تجارة العقارات التي تقع مكاتبها في شارع بتارى بسنغفورا، كما تعتبر شركته الأخرى شركة المضيق من الشركات الكبيرة. وبالإضافة إلى ما سبق، فقد شارك السيد محمد بن أحمد السقاف في كل المشاريع التجارية الكبيرة في سنغفورا وملقا وبينانق سواء كانت شركات تجارية ضخمة أو مشاريع فردية لأفراد من التجار، فقد كان السيد محمد بن أحمد السقاف تاجراً بطبيعته، ولديه أسطول من البواخر والسفن التي يعتمد عليها في تجارته العالمية، كما أن السيد محمد بن أحمد السقاف هو المالك الوحيد لفندق رافلز العلامة المميزة الشهيرة لسنغفورا، ولكنه قام بتحويل إدارة هذا الفندق الشهير لعائلة سركيس.

ثم أصبح السيد محمد بن أحمد السقاف بسبب خصائصه القيادية ونجاحاته التجارية من أشهر الشخصيات المعروفة ليس فقط بسنغفورا وجوهور وملقا وسليبس وأرخبيل الملايو، بل امتدت شهرته إلى البلاد العربية وبلاد الشرق الأقصى والأوسط وتركيا ومصر.

ونظراً لخدماته الجليلة فقد منحه السلطان عبد الحميد رتبة الباشوية وعيّنه القنصل الفخري لتركيا بسنغفورا. كما كان الصديق المقرب للملوك والحكام في زمنه مثل شريف مكة وسلاطين الجزر الإندونيسية والحاكم الإنجليزي العام لحكومات الملايو، وبالطبع للسلطان أبي بكر سلطان جوهور.

ولم يسبق أحد من العرب السيد محمد بن أحمد السقاف في مساهماته الخيرية العظيمة

لمدينة سنغفورا، فقد تبرع تبرعاً كبيراً لبناء قاعة فيكتوريا التذكارية وغيرها من المساهمات الخيرية الكبيرة، كما أنه المؤسس لمؤسسة الوقف الإسلامية بسنغفورا التي لم يوجد قبلها ما يماثلها، وجذب لهذه المؤسسة بعض الأثرياء من العائلات المسلمة الكبيرة بسنغفورا، إلا أنه لم يدرك إلا سنتين من عمر هذه المؤسسة الخيرية التي مضى عليها الآن ما يزيد على مائة سنة، وقامت هذه المؤسسة الخيرية بالتمويل والإشراف على عدد من المساجد بسنغفورا، كما مولت وأدارت مركز سنغفورا لرعاية الأيتام، وكذلك المستوصف الخيري ومدرسة السقاف العربية، وهي المدرسة الإسلامية الأولى بسنغفورا. وقد بنيت هذه المدرسة من الأرصدة التي اعتمدها لها السيد محمد بن أحمد السقاف. وقد اقتصرت المدرسة فى الخمسين سنة الأولى من إنشائها على قبول الطلاب فقط، ثم تحولت في الستين سنة الأخيرة إلى مدرسة خاصة بتعليم البنات، ولا زالت المدرسة باقية إلى هذا اليوم بشارع جالان سولطان، حيث تعمل بنظام اليوم الدراسي الكامل، وتدرس فيها اللغة العربية وعلوم الدين إضافة إلى تدريس الإنجليزية والرياضيات والعلوم.



مدرسة السقاف العربية بسنقفورا

ومن مساهمات السيد محمد بن أحمد السقاف الأخرى لسنغفورا المقاطعة المحمية بسراي جيلانق والتي استولت عليها الحكومة السنغفورية بعد ذلك لأجل التطوير العمراني، وعلى هذا الموقع يقع الآن مطار سنغفورا الدولي والمدينة المجاورة للمطار جيلانق سراي والتي تشهد على مجهودات السيد محمد بن أحمد السقاف في بناء سنغفورا، كما لم ينس السيد محمد بن أحمد السقاف من خيراته الكثيرة أقاربه وأفراد عائلته سواء منهم القريبي الصلة به أو الأقرباء الأباعد المنتشرين في سنغفورا وماليزيا والهند والسعودية واليمن فأنشأ مؤسسة وقف السيد محمد بن أحمد السقاف والذي لا زالت خيراته تصل المنتفعين منهم إلى اليوم بعد مائة سنة على وفاته.

وقد اشتهر السيد محمد بن أحمد السقاف بكرمه المتناهي وحبه للآخرين، ولهذا كان محبوباً جداً من كل من عرفه. وقد أطلق عليه معارفه لقب أمير الإحسان (نونق شيك).

وقد أطلق اسم السيد محمد بن أحمد السقاف على ثلاثة شوارع بسنغفورا هي جالان السقاف بضاحية جالانق سراي بسنغفورا وشارع جالان نون شيك في جوهور بهرو وشارع في بونتيان بجوهور.

وفي بداية القرن وبالتحديد عام ١٩٠٦ انتقل السيد محمد بن أحمد السقاف حفيد السيد عبد الرحمن محمد بن أحمد السقاف إلى جوار ربه وهو في عز ثروته وشهرته، وانتهت بوفاته أسطورة من أساطير الشرق الأقصى.

❊ ❊ ❊

الفصل الخامس عشر بعد المائة

أخبار أمير الإحسان



السيد محمد بن أحمد السقاف مع سلطان جوهور

لقد تمتع السيد محمد بن أحمد السقاف (١٨٣١-١٩٠٦م) بصداقة العظماء والملوك وله رحلات متكررة إلى الحجاز ومصر والآستانة حيث يستقبل بالحفاوة والترحاب من الملك حسين بن علي ملك الحجاز ومن صديقه خديوي مصر عباس حلمي ومن السلطان العثماني عبدالحميد في الآستانة الذي كانت له مكانة كبيرة عنده.

إلا أن صلة السيد محمد بن أحمد السقاف بالحجاز كانت الأقوى، حيث تقيم والدته وأخواته وأفراد من أسرته بقصر السقاف بمكة، كما يقيم وكيله التجاري السيد عمر بن محمد السقاف في قصره الفخم بجده والذي[1] وصفه اللواء رفعت باشا في مرآة الحرمين في رحلة حجه سنة ١٣١٨هـ بقوله إنه من أجمل قصور جدة إلا أن هذا القصر لم يعد له أثر في الزمن الحالي. وكان أمير الإحسان يتنقل أثناء تواجده بالحجاز بين جدة ومكة حيث يجتمع في جدة بقناصل الدول والوكلاء التجاريين، كما أنه يقيم بقصر السقاف بمكة الحفلات الفاخرة التي يحضرها الشريف والوالي والأمراء و الباشوات وكبار الحجاج.

وقد اشتهر أمير الإحسان بشجاعته وله شخصية مهيبة وحضور طاغ وتظهر شهامته في القصة التالية[2]: ففي سنة ١٣١٤هـ وقع عدد من علماء الحرمين مضابط ضد الشريف عون وبعثوا بها إلى السلطان عبد الحميد فأعادها السلطان إلى الشريف عون ليطلع عليها تصحبها لجنة تحقيق على رأسها الباشا المهيب أحمد راتب باشا. وقد أثارت هذه القصة غضب الشريف فانتقم الشريف لنفسه من أصحابها وعاقب بعضهم بالسجن والبعض الآخر بالنفي ومنهم الشيخ عبد الرحمن سراج مفتي الأحناف والشيخ محمد عابد بن حسين مفتي المالكية والسيد إبراهيم نائب الحرم والسيد علوي السقاف شيخ السادة بمكة والسيد عبد الله بن محمد الزواوي، ونسي الراوي ذكر السيد علي بن علي الحبشي نزيل المدينة. وقد

---

(١) اللواء إبراهيم رفعت باشا، مرآة الحرمين، دار المعرفة بيروت، صفحة.

(٢) محمد علي مغربي، أعلام الحجاز، الجزء الثاني، صفحة ٣٥٣.

هاجر السيد علوي السقاف بعد خروجه من السجن إلى لحج بجنوب الجزيرة العربية ونزل بضيافة السلطان العبدلي الذي احترمه وقدره وأكرم ضيافته، ثم واصل أبناء السلطان العبدلي بعد وفاته إكرام السيد علوي السقاف واحترامه.

أما القصة كاملة فنعرفها من كلام ابن عبيدالله في الجزء الثالث من مخطوطة بضائع التابوت الذي قال: ومما يعرفك بشهامة السيد محمد بن أحمد السقاف ما حدثني به الثقات عن السيد علي بن علي الحبشي صاحب المدينة المتوفى سنة ١٣٥٣ قال: جاء الأمر من الآستانة بالإفراج عنا من سجن الطائف، ولما جئنا إلى مكة تحامانا الناس وتنكر لنا الإخوان والأصدقاء فضاقت بنا الأرض حتى كأنها ليست بالتي نعرف وما ذاك إلا لأن عدونا هو مليك مكة وأميرها فبينما نحن على تلك الحال السيئة أرسلنا خادماً لنا إلى السيد محمد بن أحمد السقاف يستأذنه لأن نزوره للتهنئة بعيد الفطر، فقال السقاف: أهلاً وسهلاً وتلقانا إلى دهليز قصره بكل بشاشة وفرح، ثم سار بنا إلى المنزل فإذا فيه عدونا اللدود أحمد راتب باشا والي مكة فلم يكن من السيد السقاف إلا أن أعرض عنه واستقبلنا بكل وجهه وحديثه وأكثر من قوله لنا أهلا بجيران رسول الله فثابت إلينا أرواحنا وعادت إلينا حياتنا إذ بالغ في إكرامنا أمام عدونا وهو من هو إكراماً لرسول الله ﷺ.

قال بن عبيد الله: وقد صحب أمير الإحسان في إحدى جولاته التي شملت مصر وتركيا وأوربا العلامة الشهير والشاعر الكبير السيد أبي بكر بن عبد الرحمن بن شهاب، وقد ألقى العلامة ابن شهاب قصيدة في الحفل الذي أقامه الخديوي عباس حلمي (١٢٩١-١٣٦٣هـ) موجودة في ديوانه إلا أن الخديوي عباس الذي اشتهر بالبخل لم يمنح العلامة بن شهاب أية جائزة. كما رافقه في بعض رحلاته إلى أوروبا الأديب السيد محمد بن عقيل بن يحيى، الذي تحدثنا عنه في فصل آخر من فصول هذا الكتاب.

كما حظي أمير الإحسان السيد محمد بن أحمد السقاف بتقدير الباب العالي ومنحه السلطان عبد الحميد أعلى الأوسمة العثمانية وتبادل معه الهدايا، قال بن عبيدالله في بضائع

التابوت وفي إحدى زيارته للسلطان عبد الحميد أهداه السلطان جارية نفيسة فسار في مدة الاستبراء إلى أوروبا وتركها أمانة لدى أحد العلويين المقيمين بالآستانة (وذكر بن عبيدالله اسمه) ولما عاد أمير الإحسان من سفرته ألفى السيد قد استولى على الجارية، قال إنما هي لي فأنكر السيد محمد ذلك وقال إنما تركتها أمانة لديك فغلبه هواها والله أعلم أي ذلك كان.

كما تمتع أمير الإحسان بالشرف الأعلى بسنقفورا وكافة أرجاء أرخبيل الملايو وكان صديق الملوك ومنهم سلطان جوهور الذي سمح له باستصدار عملة نقدية خاصة به، كما أن حكام الجزيرة الإنجليز يحرصون على صداقته وهو عضوا مهم في كل المناسبات الرسمية والاجتماعية.

وقد اشتهر أمير الإحسان بحبه للخير وكرمه ومساعدته للمحتاجين ومن ذلك أنه قدم إليه أحد المحتاجين من سكان حضرموت ولما وصل سنقفورا لم يجد فيها أمير الإحسان فتبعه لجوهور ولم يجده، ثم ظفر به في مدينة بعيدة فقال له أمير الإحسان لماذا تطلبني؟ قال المسكين سمعت من أخبارك فأكبرتك وتمنيت أن أشاهدك عياناً فقال له أمير الإحسان ماذا أحضرك من حضرموت فقال المسكين طلب الرزق فقال أمير الإحسان: وكم تطمع أن تجمع في غربتك؟ قال المسكين إن أكثرت خمسة آلاف من الريالات الفرانصه، فقال له أمير الإحسان خذ مني خمسة عشر ألف ريال وعد إلى بلدك، فلم يصدق الرجل نفسه واستلم هديته وعاد إلى حضرموت غنياً.

ومن القصص التي تدل على كرم أمير الإحسان ومحبته للعلماء ورجال الدين أن أحد الصالحين بحضرموت وهو السيد محمد بن علي السقاف عزم على الحج ولما وصل الشحر استعدادا لركوب البحر تمنى أن لا يسافر إلى الحج على مركب يملكه نصراني فحقق الله أمنيته ووصل إلى الشحر مركب من مراكب السيد محمد بن أحمد السقاف المتنقلة بين الموانئ العربية وموانئ الشرق الأقصى ففرح السيد محمد بن علي السقاف وركب وصحبه مركب أمير الإحسان قاصداً جدة ولما وصل الخبر إلى السيد محمد بن

أحمد السقاف فرح وأصدر أمره لربان مركبه بالانتظار في جدة حتى يفرغ السيد محمد بن علي السقاف من حجه وزيارته ليعيده ومن معه إلى بندر الشحر على حساب أمير الإحسان.

وكانت من أكبر المصاعب التي تعترض حجاج حضرموت بعد انتهائهم من الحج هو العثور على مركب يعيدهم إلى الشحر وهكذا حقق أمير الإحسان رغبة الرجل الصالح في الحج على مركب يملكه مسلم ولم يعبأ أمير الإحسان بما سيتكبده من خسائر من بقاء الباخرة بميناء جدة لفترة طويلة وقد مات هذا الرجل الصالح السيد محمد بن علي بعد ذلك بفترة وهو ساجد في الصلاة بمسجد المحضار بتريم.

وكما عرف أمير الإحسان بكرمه الحاتمي فقد اشتهر أيضاً بذكائه وصفاء ذهنه وشجاعته واعتداده بنفسه وذكر أنه وصل مع حاشيته إلى ميناء سنقفورا لركوب إحدى بواخر السياح الأمريكية الكبيرة المتوجهة إلى إندونيسيا وقد أحدث وجوده بالميناء ضجة كبيرة مما جعل السواح الأمريكان يمتعضون من هذا العربي الذي يتمخطر في الميناء ويحظى بكل هذا الاحترام ولما سمع ذلك أمير الإحسان طلب من معاونيه ترتيب شراء الباخرة الأمريكية قبل أن يبحر عليها وتمت إجراء الصفقة والباخرة في عرض البحر ولما أخبر الربان أمير الإحسان بأن الباخرة الضخمة أصبحت من أملاكه أمره أمير الإحسان بالتوقف في عرض البحر لأنه يريد الاستمتاع بما حوله من المناظر وعند توقف السفينة انزعج السياح الأجانب فاخبرهم الربان بأن السفينة قد أصبحت من أملاك هذا العربي الذي رأيتموه في ميناء سنقفورا وقد طلب مني التوقف في البحر ولا نستطيع التحرك إلا بعد أن يعطينا الإذن بالتحرك، وفي اليوم الثاني استجاب أمير الإحسان لتوسلات السياح الأمريكيين وسمح للباخرة أن تواصل سيرها.

ولم يكن أمير الإحسان يقيم كبير وزن لحاكم المستعمرة الإنجليزي رغم علاقته القوية بحكام المستعمرة الإنجليز والذين يحترمونه ويعتبرونه من أكبر شخصيات سنقفورا إلا أن أمير الإحسان كان شجاعاً مهاباً ولا يكترث للحاكم الإنجليزي الذي طلب منه التبرع في

إحدى المرات لإحدى المناسبات الحكومية فتبرع أمير الإحسان بدولار واحد تعبيراً عن استيائه غير آبه لغضب حكام الجزيرة من الإنقليز رغم شهرته بالتبرعات الضخمة التي يتبرع بها للجمعيات الخيرية وللفقراء المسلمين.

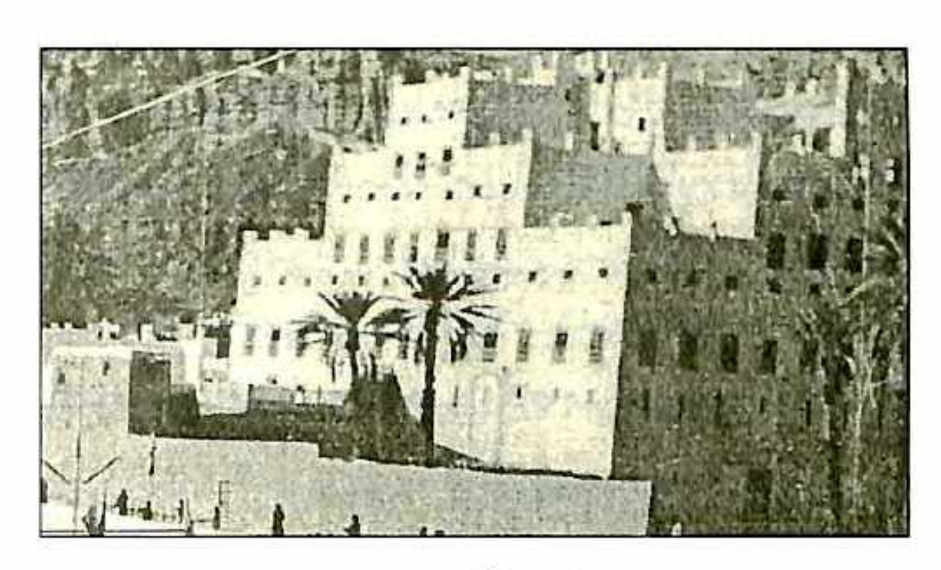
وفي قصة أخرى تحكي قوة شخصيته وما انطوت عليه من التحدي رغم طيبته وتواضعه أنه لما وصل إلى مدينة سورابايا حظي باستقبال حافل من العرب المقيمين بإندونيسيا فقد طبقت شهرته الآفاق وتقدم السادة العلويون لاستقباله، ولكنهم لم يعجبهم ماكان يرتديه أمير الإحسان من اللباس الأوروبي وكونه لا يضع على كتفه الشال المعروف بلباس للعلويين، ولعل أحدهم نصحه بعدم استحسان ظهوره بدون الشال فما كان من أمير الإحسان إلا أن دعاهم جميعا للغداء في يومهم الثاني وأرسل من يشتري له كل ما يوجد في سورابايا من الشالات ولما وصل المدعوون من السادة والمشايخ والعامة بلباسهم التقليدي والشالات الفاخرة على أكتافهم استقبلهم أمير الإحسان أحسن استقبال، غير انه لما جاء وقت تقديم الطعام فاجاء الضيوف بمد الشالات الجديدة عشرات الأمتار ووضع عليها أوعية الطعام المتنوعة ودعاهم إلى تناوله عليها وكان هذا أسلوب من أساليب أمير الإحسان في الرد على منتقديه.

ومن القصص الطريفة التي تروى عن أمير الإحسان أن ممن زاره السيد علوي بوعايض السقاف المقيم بسيؤون حضرموت وكان محبوباً ومشهوراً بالمرح وخفة الدم، يقول السيد بوعايض فلما جاء وقت الصلاة قدمني أمير الإحسان لإمامته ومن معه في المجلس فعزمت أن أُحسن الصلاة وأطيل حركاتها بما يليق بمقام أمير الإحسان، ولكنى لما ركعت ركوع الركعة الاولى لمحت أمير الإحسان يسبقني إلى الركوع فقلت في نفسي (ذلا تحب السرعة ماذحين تعصر) أي مادام عرفت محبتك للسرعة فشد مئزرك استعداداً للسباق ثم أنهيت الصلاة بأسرع ما استطعت.

وقد عرف السيد محمد بن أحمد السقاف باستقامته ومحافظته على واجباته الدينية

وعدم شربه الخمر رغم مشاركته في الحفلات الرسمية ومخالطته الملوك والأمراء ولهذا فلم يكن يتقبل من أولاده من الأفعال ما يخرج عن دائرة الأدب والأخلاق الحميدة.

قال بن عبيدالله وكان السقاف بالرغم مما يزن من نزوات الشباب لا يترك صلاة ولا يشرب خمراً إلى بر تام بوالديه ورابعة حسنة جميلة (أي خصلة) وهي أنه لين للفقراء شديد على الرؤساء والأمراء حتى لقد كاشف رجال الحكومة العدواة بسنقفورا في قضية كان لها ضجة طارت أصداؤها ثم انتهت بفوزه وقد ساقته تلك الفضائل إلى ما ختم الله له بالحسنى ووفقه له من الوصايا الجارية والخيرات الباقية.



قصر بنقالة بسيؤون

ولما رأى السيد محمد بن أحمد ما عليه هؤلاء الشباب من النزق والطيش قرر تأديبهم بإرسالهم إلى حضرموت حيث الحياة القاسية والتربية الدينية الصارمة فكلف مساعده الأيمن وزوج شقيقته السيد عبد القادر بن عبد الرحمن السقاف أن يبتني بيتاً لعائلته بحضرموت فأرسل السيد عبد القادر إلى الحبيب علي بن محمد الحبشي بسيؤون يطلب منه الإشراف على بناء منزل لعائلة السقاف بسيؤون، وبالفعل تم اختيار الموقع وبني القصر الذي يليق بعائلة السقاف بسنقفورا وهو القصر المعروف بسيؤن بقصر بنقالة وزار السيد عبد القادر

بن عبد الرحمن سيؤون ورأى قصر بنقالة وكان قصراً شامخاً، وكلف بناؤه خمسة عشر ألف ريال فرانصه إلا أن أحداً من عائلة السيد محمد بن أحمد السقاف بسنقفورا لم يسكنه كما أن السيد عبد القادر بن عبد الرحمن السقاف الذي بني القصر باسمه لقي مصرعه بعد ذلك بسنقفورا.

وقال بن عبيدالله في بضائع التابوت وأخبرني السيد هُود بن محمد الجفري في مرضه أن المنافسات استحكمت بين أمير الإحسان السيد محمد بن أحمد بن عبد الرحمن السقاف وبين السادة جنيد وأبي بكر ابني المرحوم محمد بن علي بن هارون الجنيد المتوفى بسنقفورا سنة ١٢٦٩ وإلى الثلاثة المذكورين يشير شيخنا العلامة ابن شهاب في قصيدته التي أنشأها في تلك البلاد:

ومهما ضقت ذرعا فاقصد السيـ	ـد السقاف والسند المهيبا
جمال الدين مهما نال خطب	ولُذْتَ به تَرَ العجب العجيبا
عظيما إن دعي لعظيم أمر	يكسر كعبه أو يستجيبا
تدرع بالعلى والعز إرثاً	وكان بنفسه لهما كسوبا
ومن كابني شجاع الدين جوداً	وعلماً أو كمثلهما أديباً
إذا زرت الجنيد وجدت حبراً	أبِيَّ النفس أواهاً منيباً
قرين النصر في الجلي وكم قد	ثنى بذكائه العود الصليبا
وإن تقصد أبابكر فبحر	يعم نداه خصباً أو جديباً
كريم النفس والأخلاق طبعاً	وليس نواله بأذى مشوباً
هما فرسا الرهان هما رضيعا	لبان المجد فادعهما يجيبا

قال بن عبيدالله: وكانت المهابة أظهر صفات السيد محمد بن أحمد السقاف لشجاعته وقوة قلبه كما كانت المحبة في القلوب أجلى مظاهر السادة آل الجنيد، فسعى السيد محمد

السقاف لإقامة جمعية بسنقفورا ليصل بها جناحه وكان ذلك قبل وفاته بمدة ليست بالطويلة ولعله في حدود ١٣١٩، وقد انتهت في آخر وقتها إلى مشاغبات سيئة، وكان من قانونها أن لا حظَّ في مالها لمن ينفصل عنها وقد انفصل عنها الأكثرون ولم يبق إلا الفاضلان السيدان محمد بن عقيل بن يحيى وحسن بن علوي بن شهاب فاستأثرا به.

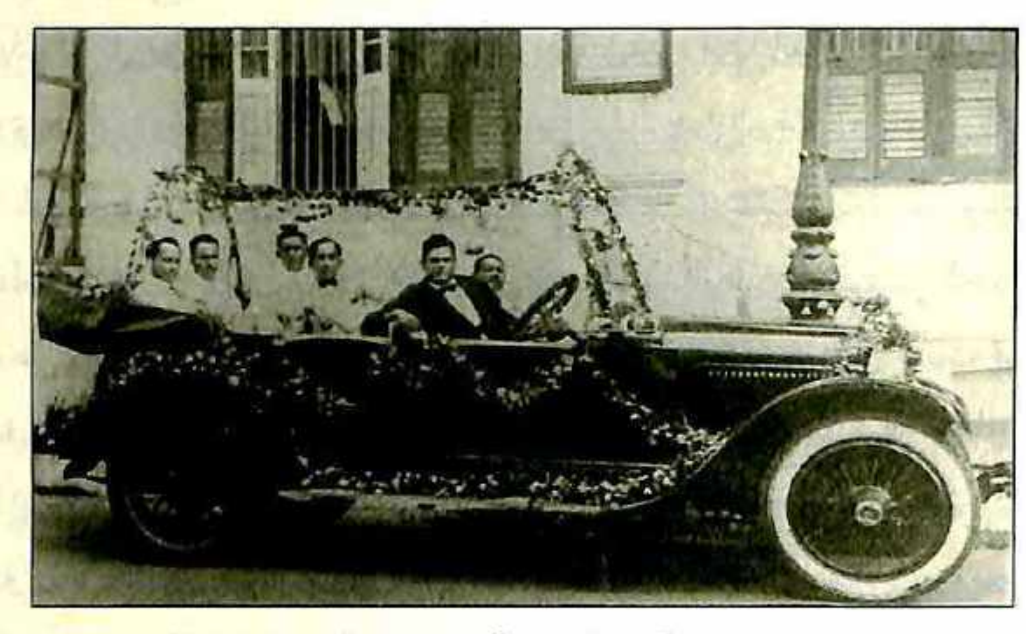
وكان السيد محمد بن أحمد السقاف يتصل بالوجهاء والعلماء الحضارمة الذين يصلون إلى سنقفورا وذكر الجد بن عبيدالله في معجم بلدان حضرموت[1] فقال حدثني المرحوم الوالد أحمد بن عمر بن يحيى قال: كتب إلي بعض أهل التيمور يطلب كمية من البقر فأخذتها وفي العشي كنت أنا والشيخ سالم بن عبد الرحمن باسويدان بمنزل أمير الإحسان السيد محمد بن أحمد السقاف بسنقافوره فذكرت لهم شراء البقر فقالوا: كيف شراؤك لها؟ فقلت بالوزن فغضب الشيخ سالم باسويدان، وظن أن فيه تنكيتاً عليه، حيث أنه من أهل شبام الذين يغضبون من وزن الهرة إلى اليوم بل يكرهون من غيرهم لفظ الوزن وإن لم يذكر معه الهر.

* * *

(١) السيد عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلدان حضرموت، المسمى إدام القوت، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٢٧٤.

الفصل السادس عشر بعد المائة

عائلة أمير الإحسان السيد محمد بن أحمد السقاف



زواج ابن أمير الإحسان أحمد بن محمد في سنغافورا

نتعرف في البداية على والدة السيد محمد بن أحمد السقاف، وهي الأميرة راجا سيتي ابنة احد أمراء العائلة الملكية المعروفة بالبوقيس والحاكمين لسلطنة قوا في جزيرة سيلبيس والتي تعرف الآن باسم سنق قوميناس التي أصبحت فيها بعد جزءً من جمهورية اندونيسيا أما جدته لأمه فهي السيدة المشهورة بالحاجة فاطمة بنت أنجي خميس بن دينج تايور و كانت امرأة ثرية وذات نفوذ في ملقا وترتبط بعلاقات دم مع كثير من الراجات الأمراء في ولاية مالاي وكانت لها تجاره ضخمه وأساطيل تجاريه متعددة، وتوفيت الحاجة فاطمة بعد أن بلغت عمرت طويلاً يصل قرابة المئة عام وقد دفنت في مقبرة متواضعة بالقرب من المسجد الذي بنته بسنغافورا ولا يزال يذكرها كل من عرف تاريخ إحسانها وتقواها، وبعد وفاتها اندمجت تجارتها وأسطولها التجاري مع تجارة وأسطول زوج بنتها السيد أحمد بن عبدالرحمن السقاف والد أمير الإحسان.

أما والدة أمير الإحسان الأميرة سيتي فقد اختارت الإقامة بمكة بعد وفاة زوجها السيد أحمد السقاف وانتقلت مع بناتها وخدمها إلى مكة إلا أن السيد محمد بن أحمد السقاف خاف على والدته وأخواته من شظف العيش بمكة في تلك السنين التي كانت فيها الحياة شديدة القسوة بمكة فاقترح عليهم الإقامة بمصر واشترى لهن قصراً كبيراً بحلوان كانت تملكه زوجة الخديوي إسماعيل جد الملك فاروق وأقامت العائلة بمصر لمدة سنة إلا أن الإقامة لم تطب لوالدته في مصر التي كانت تتمنى أن تقضي أيام عمرها الأخيرة بجوار بيت الله الحرام فقررت الانتقال إلى مكة وسكنت في القصر الفريد بمكة والمسمى قصر السقاف والذي لازال موجوداً إلى اليوم ولم تغادر مكة حتى وفاتها.

والسيد محمد بن أحمد السقاف هو الابن الوحيد للسيد أحمد بن عبدالرحمن بن علوي بن عبداللاه السقاف وله تسع أخوات، وقد تزوجت أخته رقية بالسيد عبدالقادر بن أحمد بن عبدالرحمن السقاف والذي أصبح اليد اليمنى للسيد محمد بن أحمد السقاف في امبراطوريته المالية بسنغافورا.

ولأمير الإحسان ثلاثة أبناء أكبرهم السيد حسن بن محمد السقاف وقد ولد بمكة عام

١٨٨٧ ميلادية ثم لما بلغ العاشرة من عمره انتقل إلى مصر حيث درس علوم اللغة العربية بالقاهرة بالمدارس المصرية لمدة خمس سنوات ثم انتقل وسنه ستة عشر سنة من القاهرة إلى سنغافورا. وعند وصوله إلى سنغافورا التحق بمعهد رافيللز حيث أكمل تعليمه الانجليزي وقد تولى في عام ١٩١٤ رآسة الوقف الإسلامي بسنغافورا وفي عام ١٩١٥ أسس إعماله الخاصة في الاستيراد والتصدير.

أما الابن الثاني للسيد محمد فهو السيد أحمد بن محمد السقاف وقد ولد بسنغافورا عام ١٨٩٦ وعندما بلغ التاسعة من عمره انتقل مع جده لأمه الحاج أرشد إلى مكة لتعلم القرآن والعلوم الدينية واللغة العربية وبعد أن أمضى في مكة أربعة أعوام نقله أهله إلى سوريا ليبدأ تعليمه الرسمي تحت معلمين مخصصين لتعليمه ثم التحق بالكلية السورية البروتستنتية والتي أصبحت تسمى الآن بالجامعة الأمريكية في بيروت وقد شغف أثناء دراسته بهذه الكلية بالحركة الكشفية التي بدأت في تلك السنوات علي يد اللورد بادن باول فانخرط في هذا المجال وبعد انتهاء دراسته الجامعية انخرط في خدمة الهلال الأحمر التركي.

ثم عاد في عام ١٩١٩ إلى سنغافورا واستمرت اهتماماته بالحركة الكشفية والخدمة العامة وقد حصل عل عدد كبير من الميداليات لخدماته العامة للمجتمع ومشاركته في أعمال الدفاع المدني أثناء الحرب العالمية الثانية. كما عينه حاكم سنغافورا في عدد من المناصب المهمة بالمستعمرة كما منحته ملكة بريطانيا عام ١٩٥٣ الوسام الأكثر تميزاً للإمبراطورية كما اختارته لعضويتها كثير من الجمعيات والنوادي الرياضية بسنغافورا وكان صديقاً حميماً لملك جوهور وملك بونتياك وسلطان سياك.

وقد خلف السيد أحمد بن محمد أربعة أبناء وأربع بنات وعمل اثنان من أبنائه كضباط في جيش الاتحاد الماليزي.

أما الابن الثالث فهو علي زين العابدين ولم يعمر طويلاً ولم أعثر على معلومات عنه وخلف ابنا واحداً هو محي الدين بن علي.

الفصل السابع عشر بعد المائة

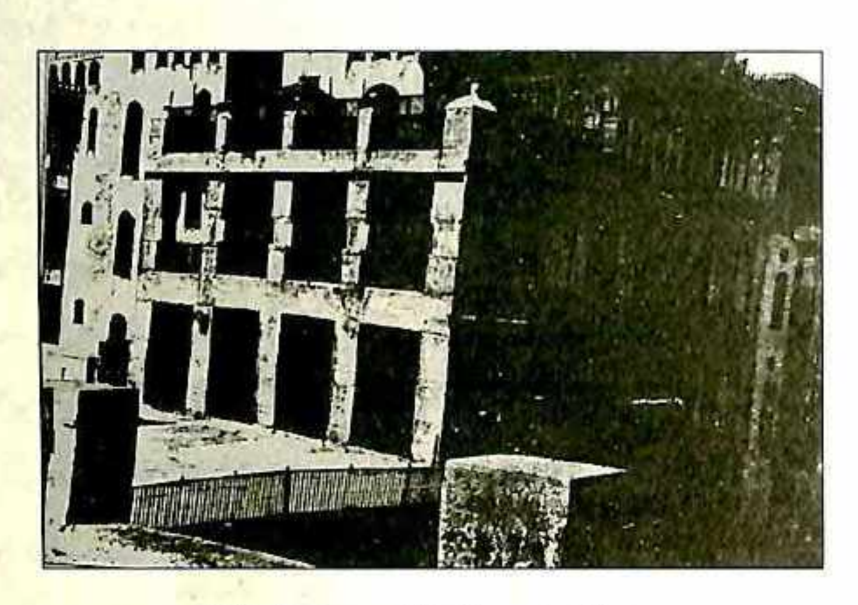
فرع عائلة السقاف التجارية بمكة وجدة



السيد عمر بن محمد السقاف

عرف السيد عمر بن محمد السقاف بقاضي الصلح بسنقفورا وهو منصب مرموق بسنقفورا، إضافة إلى تمتعه بلقب الباشوية من الدولة العثمانية، والحاصل على أعلى المراكز لدى الشريف حسين أمير مكة إضافة إلى أربعة أخرى من الألقاب الدولية.

ولد السيد عمر بن محمد السقاف في مكة عام ١٨٥٠ ميلادية وهو ابن أخت أمير الإحسان السيد محمد بن أحمد السقاف، وخلف خاله في إدارة شركة السقاف وشركاهم بسنقفورا، كما أسس بسنغفورا ومدينة جدة شركة السقاف للعقارات والتجارة العامة والحج ومكاتبها بسنقفورا وجدة.



بيت السيد عمر السقاف بجدة عام ١٣١٨

وقد قضى السيد عمر بن محمد السقاف وقتاً طويلاً مقيماً بجدة وله فيها قصر عظيم، ووصف اللواء إبراهيم رفعت[1] منازل جدة عند قدومه للحج عام ١٣١٨هـ في ذلك الزمن فقال إنها مبنية بالحجر الأبيض المستخرج من البحر، ويتكون المنزل من طبقتين إلى خمس طبقات والوجهات الأمامية من البيوت بها الرواشن المصنوعة من الخشب الهندي والبيوت

(١) مرآة الحرمين، للواء إبراهيم رفعت باشا، صفحة ٢٢.

العالية ذات الموقع الجميل والمنظر البهيج، يسكنها أكابر البلد وقناصل الدول، ومن أفخم بيوتها بيت السيد عمر السقاف. (انتهى باختصار).

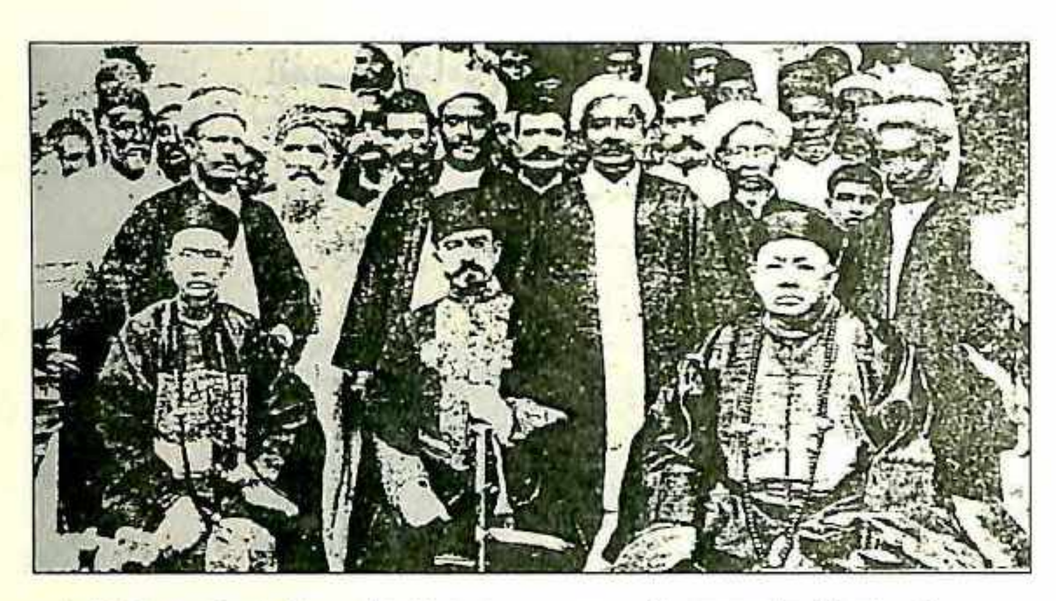
وذكر عبد القدوس الأنصاري في موسوعة جدة: أنه بجوار فندق الكندرة إلى الشمال، تقع مربعة السقاف المشهورة التي أطنب في وصفها أيوب صبري باشا في كتابه باللغة التركية (مرآة الحرمين) المطبوع بالآستانة سنة ١٣٠٦هـ وقال عنه: إنه أروع وأضخم وأفخم بكثير من أفخم قصور القسطنطينية نفسها!!)، ونقل الباحث مازن بن عبد الله السقاف عن الشيخ محمد المانع المؤرخ والمترجم الخاص للملك عبدالعزيز قوله: إن الملك عبد العزيز سكن في بيت فخم ذي طابق واحد يسمى الكندرة، وكان من البيوت المشهورة التي بنتها أسرة السقاف بجدة، انتهى.

كما تولى السيد عمر بن محمد السقاف بسنغفورا رئاسة مؤسسة الوقف الإسلامي لفترة من الزمن، وكان من أكبر الشخصيات المرموقة في سنقفورا وله علاقات صداقة وطيدة مع الشريف حسين في مكة، ومع السيد أبي بكر سلطان جوهور ومع الحاكم الإنجليزي العام لمستعمرة الملايو ومع سلطان سننقفورا ومع الشخصيات الكبرى الأخرى بسنقفورا وخارجها. كما كان ناظراً لوقف خاله السيد محمد بن أحمد السقاف ووكيلاً للسلطان الكثيري بحضرموت ووكيلاً لسلطان مسقط.



السيد عمر بن محمد السقاف مع سلطان جوهور وحاكم سنقفورا وزوجته

وتقديراً لمكانته وشرفه فقد عينته الحكومة البريطانية بمنصب قاضي الصلح بسنقفورا تقديراً لخدماته العامة للمستعمرة، كما أسبغ عليه الشريف حسين بمكة أعلى الرتب والألقاب.



صورة التقطت في عام ١٨٧٥ للسيد عمر بن محمد السقاف مع السفير الصيني إلى اليسار والسفير التركي في الوسط قبل رحلتهم لأوروبا وسفير آخر لليمين وظهر السيد أحمد بن شيخ الكاف خلف السفير الصيني والسيد عبد القادر بن عبد الرحمن السقاف خلف السفير على اليمين ومعهم بعض الشخصيات المهمة في سنقفورا

انتقل السيد عمر إلى جوار ربه وهو في السابعة والسبعين من العمر أثناء زيارة له لمنطقة سوكابومي بإندونيسيا ونقل جثمانه من هناك على سفينة خاصة ليدفن في مقابر عائلته بسنغفورا، وقد خلف من زوجتيه ثلاثة من الأبناء هم السيد محمد بن عمر والسيد إبراهيم بن عمر والسيد أحمد بن عمر وبنتين.

* * *

الفصل الثامن عشر بعد المائة

أبناء السيد عمر بن محمد السقاف



السيد محمد بن عمر السقاف

١ ـ السيد محمد بن عمر السقاف

وهو الابن الأكبر للسيد عمر بن محمد السقاف، وقد كُرِّم مثل والده بمنصب قاضي الصلح بسنقفورا، وكذلك مفوض المجلس البلدي لمستعمرة سنقفورا تقديراً لمكانته وخدماته للمستعمرة وهو العربي الوحيد الذي جمع بين هذين المنصبين.

ولد السيد محمد بن عمر في القسطنطينية بتركيا في العام ١٨٨٩م من أسرة أرستقراطية عربية تركية غنية، كان شاباً أرستقراطياً وسيما يتكلم اللغات الفرنسية والألمانية والإيطالية والإسبانية بطلاقة، إضافة إلى لغته العربية والتركية، ولهذا كان مثقفاً ولغوياً. والتحق بجامعة كامبردج في بريطانيا عام ١٩٠٨ وبعد تخرجه منها عاد إلى سنقفورا ليشارك والده في شركة السقاف للعقارات والحج والتجارة العامة، ثم أصبح بعد وفاة والده عام ١٩٢٧م المسؤول الأول عن هذه الشركة. وأصبح السيد محمد بن عمر السقاف من أهم الشخصيات الغنية بسنقفورا وكان مولعاً بالرياضة والسيارات الفاخرة، كما كان لديه أصطبل لخيول السباق الأصيلة. وبالإضافة إلى مناصبه الرسمية مثل قاضي الصلح بسنقفورا وكذلك مفوض المجلس البلدي لمستعمرة سنقفورا، فقد تولى كثيراً من المناصب الشرفية مثل رئيس النادي الاجتماعي العربي ورئيس مؤسسة الوقف الإسلامي بسنقفورا إضافة لرئاسته للنادي الرياضي الأول في الملايو وهو نادي الفتح القريب بسنقفورا.



صورة قديمة لقصر السقاف بمكة قبل أكثر من مائة وخمسين سنة

كان السيد محمد بن عمر وسيم الوجه نبيل الخلق ذكياً كريماً وقد تمتع بحب وتقدير جميع من عرفه، كما عرف السيد عمر بأسلوب حياته الباذخة التي تتناسب مع نشأته الأرستقراطية في أسرة غنية كما أنه كان يرعى الكثير من المؤسسات الخيرية.

وكان السيد محمد يتمتع بحياته طولاً وعرضاً، كثير السفر والسياحة إلى أوروبا. وقد رأى والده أن يكبح نزعته العبثية فأرسله إلى حضرموت حيث الحياة القاسية وحيث العلماء الأعيان والعباد الزهاد والالتزام الديني الذي يشابه في ذلك الزمن لحياة المسلمين في عصور الإسلام الأولى.

وتزوج السيد محمد بن عمر السقاف أثناء وجوده بحضرموت ببنت السيد علي بن صالح الحامدي، وهو من أثرياء ذلك الزمن ومن أصدقاء مفتي حضرموت العلامة عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف، وقد أنجب ابنته الشريفة بثينة بحضرموت، لكنه ما لبث أن عاد إلى سنقفورا فترعرعت ابنته في كنف جدها، ولما شبت تزوجت من السيد محمد بن شيخ السقاف الملقب بن حزم، وأنجب منها ولديه أبا بكر وعمر اللذين حملا مسحة من وسامة جدهم السيد محمد بن عمر السقاف.

وفي عام ١٩٣٢ كان السيد محمد بن عمر السقاف في رحلة سياحة إلى بريطانيا مستمراً في تمتعه بحياته وسهراته، وقد خسر في إحدى المرات مبلغاً ضخماً، وكان هذا المبلغ ثروة خيالية في تلك الفترة التي شهدت الكساد الكبير الذي عم أوروبا وأمريكا، ولم يتحمل السيد محمد بن عمر هذه الخسارة فمات في نفس الليلة في بريطانيا عام ١٩٣٢م ودفن هناك، وقد خلف ثلاثة من الأبناء وأربعا من البنات.

٢ـ السيد علي بن محمد بن عمر السقاف



وهو من مواليد قصر السقاف بمكة وله سبعة من الأولاد، كانت ولادة اثنين منهما بقصر السقاف بمكة وهما حسين بن علي السقاف والسيد محمد بن علي السقاف.

٣ـ السيد إبراهيم بن عمر السقاف



السيد إبراهيم السقاف مع الملك فيصل بن عبد العزيز

وهو الابن الثاني للسيد عمر بن محمد السقاف وقد ولد بمكة في عام **١٨٩٩** وقد تلقى تعليمه الأولي بمكة وحيث إنه سليل أسرة أرستقراطية غنية فقد عينه الشريف حسين عضواً في المجلس التشريعي بمملكة الحجاز. كما أنه حضر بداية العهد السعودي ولم ينس المغفور له الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود فظل هذه الأسرة الكريمة فعين السيد إبراهيم بن عمر السقاف عضواً عضواً في مجلس الشورى عام **١٩٢٦** م.

إلا أن ظروف أسرة السقاف التجارية اضطرت السيد إبراهيم بن عمر السقاف إلى ترك مكة والانتقال إلى سنقفورا بعد وفاة أخيه الأكبر لتولى إدارة شركة السقاف الضخمة التي أسسها والده والتي تمتلك الأراضي الواسعة والعقارات المتعددة بسنقفورا إضافة إلى الأشراف على تنظيم قدوم حجاج الشرق الأقصى على البواخر التي تمتلكها الشركة.

تقلد السيد إبراهيم بن عمر السقاف في سنقفورا عدداً من المناصب الاجتماعية فكان رئيس جمعية المسلمين بالملايو عام ١٩٣٢ وقاضي الصلح في عام ١٩٣٦ إضافة إلى عدد كبير من الجمعيات التي دعته للاشتراك في إدارتها كما تولى منصب المفوض البلدي لسنقفورا كما عينه الحاكم البريطاني للمستعمرة عضواً في مجلس الشؤون الداخلية للمستعمرة. كما عينته مملكة العراق قنصلاً فخرياً لها بسنقفورا وعموم الملايو وعينه رئيس تونس الحبيب بورقيبة قنصلاً فخرياً لتونس وأنعم عليه عام ١٩٦٠بأعلى الأوسمة للجمهورية التونسية كما قلده الملك حسين ملك الأردن الأول وسام النهضة العربية والذي لا يعطى إلا لولاة العهد من الأمراء ولرؤساء الوزارات والشخصيات الكبرى.

وقد قدم السيد إبراهيم السقاف كثيراً من التبرعات لبناء الكليات والمدارس والمساجد بسنقفورا والجمعيات الخيرية المختلفة وتبرع لبناء المركز الإسلامي لكل الملايو مرتين مرة عند بنائه الأول ثم لإعادة بنائه بعد تدميره أثناء الغزو الياباني لسنقفورا وفي ذكرى عيد ميلاده عام ١٩٦٠ تبرع السيد إبراهيم السقاف بثلاثة منازل لصندوق المنح الدراسية للطلاب المسلمين. وخلال زيارته الأخيره للبلاد العربية عام ١٩٦٠ كان السيد إبراهيم السقاف موضع حفاوة الرؤساء والملوك العرب في مصر والسعودية ولبنان بما فيهم الرئيس سوكارنو أول رئيس لجمهورية أندونيسيا.

وذكر الكاتب الصحفي أنيس منصور مقابلته للسيد إبراهيم السقاف عند زيارته لسنقفورا في كتابه حول العالم في ثمانين يوماً فقال: وقابلت السيد إبراهيم السقاف وهو من أغنى أغنياء سنقفورا ويقولون بأنه يملك مئات الملايين وله عمارات بالقاهرة من بينها عمارة الإبراهيمية على كورنيش النيل أمام سينما الجزيرة.

ووصف أنيس منصور السيد إبراهيم السقاف فقال: وهو رجل نحيل قصير القامة يتحدث العربية بلهجة أهل الحجاز يتولى رئاسة المجلس الاستشاري الإسلامي لسنقفورا ورئيس جمعية الدعوة الإسلامية لبلاد الملايو ورئيس مجلس إدارة الكلية الإسلامية العليا في بلاد الملايو وقاضي الصلح ورئيس منظمة زعماء الأديان بسنقفورا.

وذكر أنيس منصور أيضاً أن السيد إبراهيم السقاف اشترى جزيرة القمر التي تبعد عن سنقفورا بخمسة كيلومترات ومساحتها ٣٥ كيلومتر مربع وأهداها لجامعة جوجا جاكرتا بأندونيسيا. كما ذكر أنيس منصور في كتابه أيضاً أن السيد إبراهيم السقاف هو الذي أهدى قصر السقاف للملك عبد العزيز آل سعود عند دخوله مكة وقد نشرت الصحف المصرية أن عبد الناصر قابل الملك عبد العزيز في مكة بقصر السقاف ولا زال الناس في مكة يسمون هذا القصر بهذه التسمية إلى الآن (انتهى النقل عن كتاب أنيس منصور). وذكر الباحث مازن عبدالله السقاف في بحث له «نسخة الكترونية»: أن ملكية هذا البيت تعود إلى أحد ابناء السيد محمد بن عمر السقاف.

هذا وتعيش أسرة السقاف في مجمع سكني خاص بعوائلهم يقع في سفح جبل ولا يسمحوا لموظفيهم بالسكن بداخله[1]. ولما نزل الملك فيصل بن عبد العزيز بسنقفورا وهو في طريقه لحضور مؤتمر باندونج بأندونيسيا استقبله السيد إبراهيم السقاف استقبالاً حافلاً وأنزله في ضيافته بقصره.



من الأواني المستخدمة بقصر السقاف بمكة وعليها اسم السيد عمر السقاف

(١) عبدالله محمد المساوى، مذكرات على الطبيعة، صفحة ١٢، مخطوطه.

وللسيد إبراهيم ولع بجمع المجوهرات النادرة وقد جمع منها مجموعة نادرة وقد وقع ضحية لإحدى عصابات المافيا الدولية التي عرفت مقتنياته الثمينة من الجواهر النادرة فاتصلت بالسيد إبراهيم بن عمر إحدى شركات المافيا الوهمية وعرضت عليه ثمناً خيالياً لمجوهراته ولم تكن جرائم عصابات المافيا منتشرة بالشرق الأقصى في ذلك الوقت لذا راقت للسيد إبراهيم فكرة البيع خاصة مع تقدمه في السن وزهده في مقتنياته واتفق مع هذه الشركة على البيع على أن يكون تسليم المجوهرات واستلام القيمة في جنيف بسويسرا فوضع السيد إبراهيم مجوهراته في شنطة يد كبيره وحملها معه وسافر بالطائرة من سنقفورا إلى سويسرا وكانت الرحلات الجوية في ذلك الزمن تتم عبر عدد من المطارات

وكانت عصابات المافيا تراقب السيد إبراهيم من بداية الرحلة إلى نهايتها واستطاعوا استبدال شنطته في إحدى المطارات بشنطة مماثله لها في اللون والشكل والوزن ولما وصل السيد إبراهيم إلى جنيف واستقر به المقام بالفندق اتصل بمندوب الشركة الذى طلب منه أن يفتح الشنطة أولاً ويفحص ما بها استعداداً للتسليم ولكن فوجئ السيد إبراهيم بن عمر عندما فتح شنطته بأنها لا تحتوى إلا مجموعة من الأحجار لا قيمة لها وضاعت عليه الجواهر والأحجار الكريمة ولم تستطع الشرطة السويسرية مساعدته للقبض على العصابة التي ذابت ذوبان الملح في الماء.

وبقيت علاقة السيد إبراهيم بن عمر السقاف قوية بالمملكة العربية السعودية، وبالملك عبدالعزيز آل سعود وأبنائه من بعده، وقد كلفه الملك عبدالعزيز بالتوسط باسمه للإصلاح بين العرب في إندونيسيا، إبان اشتعال الفتنة بين الإرشادية والعلوية، كما ذكرنا في فصل آخر من هذا الكتاب.

❋ ❋ ❋

الفصل التاسع عشر بعد المائة

صندوق رعاية أوقاف

السيد محمد بن أحمد السقاف



وللتعرف على خيرات السيد محمد بن أحمد السقاف حتى بعد وفاته نتعرف على بعض بنود صندوق الوقف الذي أقامه والذي لا يزال قائماً إلى اليوم بعد أكثر من مائة سنة على وفاة مؤسسه السيد محمد بن أحمد السقاف الذي استحق عن جدارة اللقب الذي أطلق عليه وهو أمير الإحسان.

وقد أنشئ هذا الصندوق بعد وفاة السيد محمد بن أحمد السقاف وبناءً على وصيته في الثالث من يوليو من عام ١٩٠٦م الموافق السابع من جمادى الآخر من عام ١٣٢٥.

وقد تم استثمار أموال تركة السيد محمد بن أحمد السقاف في شراء أراضٍ ومنازلَ في سنغافورة وتحصيل الإيجارات الواردة التي تقسم حسب وصية السيد محمد بن أحمد السقاف إلى مائة حصة في ثلاثة أقسام.

ويشمل القسم الأول حصص للأغراض التالية:

١ـ صيانة مسجد الحاجة فاطمة بسنقفورا.

٢ـ مصاريف مدرسة السقاف العربية بسنقفورا.

٣ـ تذاكر للمسافرين المسلمين الفقراء (من عابري السبيل).

٤ـ مدافن لفقراء المسلمين في سنغافورة.

٥ـ صدقات للفقراء تدفع في السابع والعشرين من رمضان كل سنة في مسجد الحاجة فاطمة.

٦ـ طعام الإفطار للفقراء أثناء شهر رمضان.

٧ـ إطعام الفقراء في الذكرى السنوية لوفاة الموصي.

٨ـ مساعدة مالية لأقرباء الفقراء داخل وخارج سنغافورة.

٩ـ مساعدة مالية لاقربائه وللأشخاص الفقراء في سيون وحضرموت.

١٠ـ مساعدة مالية للطلاب المسلمين الفقراء في مكة والمدينة.

١١ـ احتياطي لماء زمزم وفرش للمصلين في المسجد الحرام في مكة.

١٢ـ تلاوة القرآن الكريم عند قبره في سنغافورة، وإهداء ثواب ذلك له في سيون وفي مكة.

أما القسم الثاني فيشمل ١٣ حصة لغرض مساعدة أقارب الموصي الحاليين وأسلافهم.

ويشمل القسم الثالث ٢١ حصة لغرض دعم أهداف ونشاطات المؤسسة التعليمية وجمعية رعاية المسلمين والتي تشكل دار الإحسان للأيتام أحد أهم جزء أجزائها.



الفصل العشرون بعد المائة

العلويون وماليزيا



تكوين دولة ماليزيا[1]

(١) الموسوعة العربية العالمية، الطبعة الثانية، العدد رقم ٢٢، صفحة ١٥٢.

أصبحت ماليزيا دولة مستقلة في أغسطس ١٩٥٧ واختير تنكو عبد الرحمن أول رئيس للوزراء، وفي عام ١٩٦٣ اتحدت كل من الملايو وسنغافوره وولاية صباح، وتكونت بذلك دولة ماليزيا لأن سنغفورا ما لبثت أن انسحبت من الاتحاد في عام ١٩٦٧، ثم بعد ذلك غادرت بريطانيا ماليزيا بعد فترة استعمار طويلة، وانتخب تون عبد الرزاق رئيساً للوزراء.

وتعد ماليزيا ملكية دستورية تتقاسم السلطة فيها حكومة مركزية و١٣ مجلساً تشريعياً في الولايات ورئيس الحكومة المركزية هو الملك، بينما يرأس تسعاً من الولايات سلاطين، ويشرف رئيس الوزراء والوزراء على الحكومة المركزية.

ويتم اختيار أعضاء البرلمان والمجالس بالانتخاب العام والحزب الذي يفوز بأكبر عدد من المقاعد هو الذي يتولى حكم البلاد.

وتولى حسين بن عون رئاسة الوزراء من سنة ١٩٧٦-١٩٨١هـ وخلفه رئيس الوزراء العبقري محاضير محمد من سنة ١٩٨١-٢٠٠٦م وهو باني ماليزيا الحديثة (انتهى باختصار وتصرف بسيط).

العلويون وماليزيا

قرأنا في الفصل الخاص بأمير الإحسان محمد بن أحمد السقاف أنه كانت تربطه علاقة متينة وصداقة خاصة مع ملك جوهور، وهي جزء من ماليزيا الحالية حتى أن ملك جوهور قطعه مقاطعة كبيرة ليقوم بزراعتها واستثمارها، بل وسمح له بإصدار عملة خاصة به. كما تولى السيد علوي بن طاهر الحداد منصب مفتي جوهور، وكان للعلويين شأن كبير في ماليزيا وعلى يدهم انتشر الإسلام في تلك المناطق.

ويستحسن أن نتعرف على السيد العلامة علوي بن طاهر الحداد الذي عاش في جوهور وتوفي بها.

ولد السيد علوي بن طاهر الحداد [1] بقيدون سنة ١٣٠١هـ وتلقى العلم بها وكان من أجل شيوخه الحبيب أحمد بن حسن العطاس.

وكان كثير السفر إلى الحرمين وجاوة ثم استقر ببلدة جوهور بماليزيا وعينته حكومتها للقضاء والإفتاء، فقام بمهمته خير قيام، وكان يتصدر للوعظ والتدريس والخطابة، ويخصص من وقته الثمين للتأليف والتصنيف والإفادة العامة والخاصة.

وله عدة مؤلفات منها الشامل في تاريخ حضرموت وعقود الألماس في ترجمة الحبيب أحمد بن حسن العطاس وكتاب جامع لتراجم العلويين وقد توفي الحبيب علوي بن طاهر الحداد بمدينة جوهور سنة ١٣٨٢هـ ودفن بتربتها.



السيد جعفر بن حسن البار

ومن العلويين من كان له دور سياسي بارز في ماليزيا مثل السيد جعفر بن حسن البار

(١) أبو بكر بن علي المشهور، لوامع النور، دار المهاجر للنشر والتوزيع، صفحة ١٣٣-١٣٦.

وقد ترجم له الأستاذ محمد أبو بكر باذيب فقال [١]: إنه وُلد في جزيرة مندناو (جنوب الفلبين حالياً) وقد غادر والده السيد حسن بن حسين البار حضرموت وتنقل بين عدد من الأقطار ومنها الفلبين، ودرس ابنه السيد جعفر في مدرسة الجنيد الإسلامية في سنغافورا، وانخرط في السلك السياسي منذ زمن مبكر.

ولما أصدر الأستاذ أحمد عمر بافقيه صحيفة العرب في سنغافورا كتب فيها السيد جعفر عدة مقالات تدل عناوينها على ميوله الإسلامية واعتزازه بلغته العربية، ومن عناوين هذه المقالات «واجبنا نحو لغتنا، نشر بالعدد ٦» ومقال «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ونشر في العدد ١٨».

ويعتبر السيد جعفر بن حسن البار من كبار مؤسسي حزب اتحاد المنظمات الوطنية الملاوية (أمنو) والذي تأسس سنة ١٩٤٦م وتولى حكم البلاد وصار السيد جعفر نائباً للأمير تنكو عبد الرحمن أول رئيس وزراء لماليزيا بعد الاستقلال، ومن رؤساء رابطة العالم الإسلامي بمكة فيما بعد، والسيد جعفر بن حسن البار هو أمين عام هذا الحزب.

وذكر الأستاذ باذيب أنه حصل التعارف بين السيد البار والسيد بافقيه أثناء مشاركته الكتابة في صحيفة العرب بسنغافورا وبرغم أنّ هذه العلاقة كانت قصيرة إلا أن السيد البار حرص أثناء زيارته الرسمية لمصر في نهاية الخمسينيات الميلادية على زيارة الأستاذ بافقيه الذي أقام بمصر في تلك الفترة وكانا يتنزهان معاً.

كما أصبح ابنه السيد حامد بن جعفر البار وزيراً لخارجية ماليزيا، ولا زال إلى الآن (٢٠٠٨) ولم ينس هذا الوزير عند زيارته جدة سنة ٢٠٠٠م زيارة صديق والده السيد أحمد بافقيه بمنزله والذي كان قد بلغ مرحلة متأخرة من الشيخوخة.

---

(١) محمد بن أبي بكر باذيب، كتاب السيد أحمد بن عمر بافقيه، دار الفتح للدراسات والنشر، صفحة ١٦٠-١٦١.

وكان السيد جعفر البار مهتماً بحقوق الأغلبية الملايوية التي أصبحت في بلدها مواطنة من الدرجة الثانية بعد أن اكتسح الصينيون البلاد بعد أن شجعهم الإنجليز على الهجرة إلى ماليزيا وسهلها لهم مع الهنود السيخ من غير المسلمين مما أحدث تغيير ديمغرافياً كبيراً ولعل ما حدث بسنغفورا وماليزيا يشبه من نواحي معينة ما حصل للعرب بفلسطين مع الفرق حيث إن المهاجرين الصينيين والسيخ لم يرغبوا في اقتلاع الملايوين من وطنهم وطردهم خارجه.

ولهذا فإنه لم يكن مستغرباً أن يكتسب السيد جعفر البار عداوة الزعيم الصيني السنغفوري لي كوان يو الذي أصبح أول رئيس وزراء لسنغفورا والذي قال في مذكراته عن السيد جعفر البار: كان السيد جعفر البار من أشد زعماء (آمنوا) عداوة لسنغفاورا وكان إندونيسياً من أصل عربي جرئ وممتلئ حيويةً، وله وجه مستدير وشارب وصوت قوي[1]. ثم قال عنه: وكان رجلاً مثيراً للمتاعب ماهراً في استثارة وتحريض الجماهير، وقال كانت لغته الإنجليزية غير ملائمة للخطابة ولكن لغته الملايوية جيدة وأداؤه قوياً (وكان يركز على الصحافة الملايوية ويخصص معظم تصريحاته الحادة لها[2].

ومن الطبيعي أن لا يرضى لي كوان يو ولا الصينيون ولا الهنود السيخ المسيطرون على اقتصاد البلاد عن السيد جعفر البار ولا إلى أي زعيم ملايوى أو أي عربي يكون قوياً وذكياً وجريئاً ويعمل على استفادة المواطنين الملايويين من خيرات بلادهم.

وقد أورد لي كوان يو في مذكراته مقطعاً من خطبة للسيد جعفر البار يقول فيها «أنا سعيد جداً اليوم لأننا معشر الملايويين والمسلمين في سنغفورا قد أظهرنا الوحدة ونحن مستعدون أن نعيش أو نموت معاً من أجل عرقنا وأجيالنا المستقبلية وإذا كنا متحدين فلا

---

(١) لي كوان يو، قصة سنغافورة، نقله للعربية د هشام الدجاني، مكتبة العبيكان، صفحة ٥٥٣.

(٢) لي كوان يو، قصة سنغافورة، نقله للعربية د هشام الدجاني، مكتبة العبيكان، صفحة ٥٥٣.

توجد قوة في العالم تستطيع أن تقهرنا أو تذلنا أو تقلل من شأننا لا لي كيوان يو واحد ولا ألف من أمثاله» ثم قال: «مهما تعرضنا للقمع والضغط ومهما ضيق الخناق علينا من قبل حكومة حزب (باب) (الحزب ذو الأغلبية الصينية) وفقاً لمنطق لي كيوان يو»[١].

ومن ما سبق نعرف حرص العلويين على أن لا تهضم حقوق المواطنين المسلمين في بلدانهم، وهم يعملون ما وسعهم لنصرتهم والوقوف معهم بل إننا رأينا سابقاً كيف قاد الحبيب عبد الرحمن الزاهر المقاومة المسلحة في آتشيه بأندونيسيا ضد الهولنديين.

وقد تولى الدكتور مهاتير محمد زعامة حزب (آمنوا) ذي الأغلبية، وفاز في الانتخابات وتولى رئاسة الوزراء وهو الرجل الذي حقق المعجزة الماليزية وصنع ماليزيا الحديثة وقد زار الدكتور مهاتير محمد اليمن زيارة رسمية وأصر أثناء زيارته على الذهاب إلى تريم بلد العلويين اللذين جاؤوا بالإسلام إلى أندونيسيا وماليزيا والبلد الذي خرّج ولا زال يخرج العشرات والمئات من رجال العلم والدين ممن كان لهم أكبر الأثر في حياة الشرق الأقصى وأفريقيا.

وعندما وصل مهاتير إلى مطار سيؤون لم يكن بالإمكان أن يصل إلى تريم لانقطاع الطريق بالسيول إلا أن مثل هذا الزعيم لا يمكن أن يثنيه أي شيء عن الوصول إلى هدفه، ولهذا طلب أن تصله طائرة هيلوكوبتر استقلها إلى تريم حيث رأى مخدع العلويين ومساجدهم وقبورهم ومعاهدهم وأربطتهم ولما عاد إلى سيؤن كانت تنتظره مفاجأة أخرى فقد رتبت له زيارة للسيد علوي بن شيخ الحبشي الذي تربط أسرته علاقات قوية مع ماليزيا واكتشف مهاتير أن هذا السيد الضعيف البنية والذي يعيش في هذه الأرض القفراء المعزولة وهذا البيت المتواضع من المؤسسين الأوائل لحزب (أمنو)، الحزب الذي يحكم ماليزيا ويترأسه حالياً الدكتور مهاتير محمد، وكان أول أمين عام له كما ذكرنا من العلويين وهو

---

(١) لي كوان يو، قصة سنغافورة، نقله للعربية د هشام الدجاني، مكتبة العبيكان، صفحة ٥٥٦.

السيد جعفر بن حسن البار فلم يتوقع مهاتير محمد هذه المفاجأة وقدم الدعوة للسيد علوي بن شيخ الحبشي لزيارة ماليزيا حيث قلده وساماً من أرفع الأوسمة، ولعل الدكتور مهاتير استغرب كما استغرب كثير من الأوروبيين والمستشرقين كيف يترك العلويون نعيم الحياة في الشرق الأقصى ويفضلون العودة للعيش في هذه البلاد القاحلة ذات الجو القاسي والمعيشة الضنك.

وبالإضافة إلى السيد حامد بن جعفر البار وزير خارجية ماليزيا الحالي فلا زال عدد من السادة آل الحبشي يحتفظون بالمناصب الرفيعة في دولة ماليزيا وفي برلمانها.

هذا وقد تصادف في فترة قريبة ماضية أن السيد حامد البار كان وزيراً لخارجية ماليزيا والسيد العطاس وزيراً لخارجية إندونيسيا والسيد حيدر العطاس رئيساً لوزراء اليمن، بحيث ارتبط الوطن الأم بمناطق الهجرة عن طريق العلويين.



الفصل الحادي والعشرون بعد المائة

الإسلام والعولمة محاضره للدكتور محاضير محمد رئيس وزراء ماليزيا[1]



(١) من كتاب الإسلام والأمة الإسلامية خطب وكلمات مختارة، الناشر دار الفكر المعاصر بيروت لبنان صفحة ٢٣-٣٥.

العولمة بحسب الصياغات المتداولة حالياً هي اختراع من بنات أفكار دول شمال الأطلنطي ويمكننا أن نقول وبكل ثقة أنها مصممة لزيادة ثروة أهل تلك البلدان وتعزيز هيمنتهم التي فرضوها منذ زمن بعيد على الشعوب الأخرى في مختلف بقاع العالم.

نعم لقد فرضت تلك البلدان هيمنتها على العالم منذ مدة بعيدة لكنها ما زالت تسعى في الوقت الحالي إلى إحكام سيطرتها وتعزيز قبضتها بما يكفل لها عدم بروز أي منافس حقيقي سواء من البلدان الكبرى في شرق أسيا أو حتى من الدول الإسلامية التي لم تفق من غفوتها بعد.

لقد أثبتت الوقائع التاريخية أن الشعوب الأوربية بطبيعتها تنطوي دائماً على نزعة عدوانية وتتملكها روح السيطرة على حقوق ومقدرات وأراضي الآخرين.

فعندما كانت تلك الشعوب غير قادرة على عبور المحيطات لم تتوقف في يوم من الأيام عن مقاتلة بعضها بعضا بغرض التوسع داخل القارة الأوربية باحتلال أراضي الأمم المجاورة ويستفاد من التاريخ أنه لم يمر عام واحد على مدى الألفيتين الماضيتين من دون أن تقع حرب بين مجموعتين أو أكثر من المجموعات الأوربية المتناحرة.

ولعل الثقافات والاقتصاديات الأوربية ذاتها تقوم في الأساس على الحروب والتوسع إذ لا ينفك الأوربيون عن التفكير في كل وقت في ابتكار وإنتاج الأسلحة الجديدة الأكثر فتكا بالجنس البشري وحتى يومنا هذا نرى الأوربيين مولعين بابتكار أدوات جهنمية جديدة لقتل البشر بفعالية أكثر ونلاحظ أنهم لا يتورعون عن إجراء التجارب لاختيار مدى كفاءة هذه الأسلحة في البلدان الأخرى متى وأينما كان ذلك ممكناً بما يؤدي إلى قتل العشرات بل والآلاف في بعض الأحيان لكن هذه المرة بذريعة حفظ الأمن والسلم في العالم.

وفي إعقاب إجادتهم لفنون الإبحار اتجه الأوروبيون بنزعتهم العدوانية التوسعية إلى بقية أنحاء المعمورة ولم تكد تمضي إلا سنوات معدودة من مطلع القرن الماضي حتى وقع معظم أجزاء العالم تحت حكمهم الاستعماري الاستغلالي ومن الناحية العلمية كانت لكل دولة أوربية منطقة تسمى مستعمرة باسمها.

لم يقتصر الأمر على إخضاع الدول الأسيوية والأفريقية وفي الأمريكتين للحكم الأوربي الاستعماري المستبد والوحشي المباشر فحسب بل تم استغلال ثروات وموارد تلك الدول ونهبها لتنمية وتعزيز البلدان المستعمرة وقد افترض الأوربيون في الأجناس الأخرى في مختلف بقاع العالم أنها وضيعة ومتخلفة وتعاملوا معها من هذا المنطلق لدرجة أبادوا فيها بعض المجموعات لم يتجرأ أحد في ذلك الوقت على التحدث ولو بالمصادفة عن حقوق الإنسان لأن ذلك كان يتعارض تماماً مع مصالحهم وأهدافهم الخاصة وبنهاية الحرب العالمية الثانية بدأ الأوروبيون يتخلون تدريجياً عن سيطرتهم على البلدان الأخرى بمنحها الاستقلال لكن ذلك لم ينبع أبدا من تغيير في ذهنيتهم التوسعية كما حاولوا الإيحاء لضحاياهم لكنهم كانوا في الواقع يخشون من أن تشق الشعوب المضطهدة عصا الطاعة عليهم بالتمرد والانضمام إلى المعسكر الاشتراكي الذي برز آنذاك بديلاً آخر في غمرة المواجهة بين الغرب الرأسمالي والشرق الشيوعي فيما عرف بالحرب الباردة.

ولابد من الإشارة في هذا المقام إلى أن الأوروبيين المستعمرين لم يتخلوا أبدا على فكرة الهيمنة ففي أثناء انسحابهم من المستعمرات الواحدة تلو الأخرى كانوا يقومون بتعضيد نفوذهم بما يضمن لهم استمرار الهيمنة على العالم وبعد ذلك أدركوا الحاجة إلى تقارب بعضهم من بعض فشكلوا المجموعة الاقتصادية الأوربية التي تحولت في وقت لاحق إلى الاتحاد الأوربي كما أنهم كونوا منظمة معاهدة شمال الأطلسي المعروفة بحلف شمال الأطلسي الناتو وعندما انتهت الحرب الباردة بانهيار المعسكر الاشتراكي اقتضت مصالحهم أن يندمجوا فصاروا الآن كياناً أوربياً أكثر تماسكاً تقوده الدول السبع الأقوى في العالم.

لقد كشر الغربيون في الوقت الحالي عن أنيابهم وكشفوا نواياهم الرأسمالية الكالحة فبعد أن اطمأنوا إلى أن الشيوعية لم تعد تشكل خطرا يهدد مصالحهم طرحوا عقيدتهم الجديدة ممثلة في حرية التجارة التي أصبحت تشكل لهم كل شيء لأنها بحسب زعمهم ستؤدي إلى جلب الثراء لكل البشرية وسوف تحقق جنة الله على الأرض لكن كثيراً من الناس تناسوا وعودا مماثلة

قطعها البعض بجعل الدنيا فردوساً عندما كانوا يبشرون بالشيوعية والمساواة المطلقة والآن عاد الغربيون يبشرون من جديد بالوعود ذاتها ويبدو أن بعضنا ما زال على استعداد لأخذ الأكاذيب الغربية على محمل الجد.

إن حرية التجارة التي يروج لها الغرب الاستعماري تعني رفع أو إزالة الحواجز التجارية كافة بما يسمح للسلع والخدمات بالتدفق عبر الحدود من دون عائق وتوصف حرية التجارة على أنها بمنزلة تسوية وتهيئة أرض الملعب وهو أمر يفهم من ظاهره أنه يكفل منافسة عادلة للاعبين لكن المفارقة تكمن في تعمد تلك الأصوات إغفال التحدث أو الإفصاح عن حجم وقدرات اللاعبين ويبدو أن تلك الوعود أصبحت عاملاً مخدراً للشعوب إذ أن دولاً فقيرة عديدة أخذت تتحدث عن تهيئة المسرح لتحرير التجارة متناسية أنها لا تملك شركات أو مؤسسات عملاقة ولا بنوكاً ضخمة ولا منتجات تؤهلها للمنافسة من خلال عرض بضاعتها في الأسواق ومن الواضح بجلاء أن أولئك الذين يملكون المال والمنتجات هم وحدهم القادرون على فرض سيطرتهم ومنتجاتهم على الأسواق.

إن قضية تحرير التجارة التي لم تكتشف أبعادها الخطيرة عند بدايات طرحها اكتسبت نوعاً من القدسية عبر الاتفاقية العامة للتعرفة والتجارة (الجات) ومنظمة التجارة العالمية كما وجدت في الوقت نفسه دعماً وترويجاً كبيرين من البنك الدولي وصندوق النقد الدولي ووسائل الإعلام الدولية الخاضعة للسيطرة الغربية ويلاحظ أن تلك الجهات درجت على تصوير كل معارض لتحرير التجارة الدولية على أنه مهرطق وكافر يعمل على عدم إسعاد الفقراء ويسعى لإبقائهم في حالة دائمة من العوز والفقر والتعاسة.

لم تكشف الأيام عن الأبعاد الحقيقية المدمرة لحرية التجارة إلى أن بلغت حرية الاتجار بالعملات ذروتها بالمأساة التي ضربت في صيف عام ١٩٩٧م منطقة شرق وجنوب شرق آسيا ممثلة بالأزمة المالية الاقتصادية الطاحنة فقد انهارت تلك الاقتصاديات الغنية الناشئة فجأة ودون مقدمات بسبب تخفيض قيمة عملاتها والاتجار بها لجني الأرباح الطائلة وزعم

التجار المضاربون بالعملات أن النظم الاقتصادية للنمور الآسيوية صدئة وفاسدة تلوثها الممارسات القائمة على المحاباة والمحسوبية الأمر الذي تسبب بتدهور قيمة عملات هذه الدول من تلقاء نفسها.

غير أن الواقع ليس كذلك إذ وجد المضاربون بالعملات فرصة سانحة لجني ومراكمة أرباح هائلة من خلال تخفيض عملات النمور الآسيوية وقد حصد هؤلاء المغامرون مليارات الدولارات في لمح البصر لا لاستثمار أقاموه ولا رأسمال وظفوه بل بواسطة تدمير ثروة بذلت شعوب هذه المنطقة تضحيات جسيمة لمراكمتها عبر عقود عديدة من الزمن.

الأخطر من ذلك أن الأزمة المالية الاقتصادية في بلدان النمور الآسيوية تسببت بإفقار شعوب هذه البلدان وألقت بالملايين منهم في الشوارع ودفعتهم إلى الركون إلى أعمال الشغب والتظاهرات والتي تفاقمت واتسعت لدرجة أدت إلى مقتل عدد كبير من المواطنين في مختلف دول المنطقة وأطاحت بحكومات بحالها وبرغم وقوع هذه الأزمة في صيف ١٩٩٧م فإن شرائح واسعة من المواطنين الذين كانوا أغنياء قبيل ذلك ما زالوا حتى يومنا هذا يتخبطون على غير هدى بسبب الفقر وانعدام التوازن والاستقرار.

من الواضح أن تحرير التجارة وما تمخض عنه من مآس غير مسبوقة بمنطقة شرق وجنوب شرق آسيا والذي يقف شاهداً لا يدحض على المخاطر الحقيقية لتلك العملية لم يكن كافياً لإقناع بعض الفئات بأن هذه التجربة لا تشكل مطلقاً حلاً للصعوبات الاقتصادية للدول الفقيرة وشعوبها.

وللأسف الشديد نجد أن قضية تحرير التجارة بمآسيها التي شهدناها قد تم تطويرها إلى مسمى جديد هو العولمة التي تعني عالماً من غير حدود أو حواجز ويحاول الغربيون مرة أخرى أن يسوقوا لنا هذه الصيغة (العولمة) على أنها سوق تجلب الثراء لكل الناس في كل شبر من المعمورة.

دعونا نقف قليلاً لنتفحص محتويات العولمة هذه العملية تشتمل من بين جوانب عديدة على ممارسة الأنشطة التجارية والاقتصادية دون أن تكون للدولة ولاية أو سيادة على إقليمها الجغرافي القطري الذي يصير مجرد اسم يطلق على منطقة بعينها على خارطة المعمورة لذلك فان الدولة القطرية تصبح عاجزة تماماً عن تحصين نفسها من وراء حدودها لوقف أو منع جحافل الغزاة القادمين من الدول الغنية من أن يدمروا مؤسساتها النامية وبنوكها وصناعتها الناشئة إلى أن يتم الإجهاز عليها تماماً.

هذا الغزو السافر يتم التمهيد له من خلال الآلة الإعلامية الغربية الرهيبة التي تروج له بالقول إن احتكار الشركات الأجنبية العملاقة للأنشطة الاقتصادية في البلدان النامية والفقيرة سيؤدي إلى رفع الكفاءة والارتقاء بنوعية المنتجات والخدمات التي يتلقاها مواطنو البلد المستهدف وتحسين المستوي المعيشي والحياتي بوجه عام.

نعم ربما يتحسن مستوانا المعيشي وربما نكسب مزيداً من النقود لكننا قطعاً سنصبح خدماً للأجانب بيد أن المأساة لا تكمن في هذا الجانب فحسب فالأسوأ من ذلك أن هذه الأعمال التجارية الضخمة ستسيطر على اقتصادنا تماماً وتزحف في وقت لاحق لبسط هيمنتها على حكوماتنا هذه الوضعية سوف تجعل من بلداننا أسوأ من جمهوريات الموز حيث يكون أصحاب المؤسسات الأجنبية أقوي وأكثر نفوذاً من قادة تلك البلدان ورؤساء حكوماتها ولا شك أن مالكي هذه المؤسسات العملاقة سيحددون بمفردهم من يحكمنا من قادة ورؤساء حكومات والسؤال الذي يطرح نفسه هل يجوز لنا في هذه الحالة أن نقول إن بلداننا مستقلة ومكتملة السيادة بالطبع لا يمكن لعاقل أن يدعي ذلك ولا يمكن له أن يزعم أننا نقرر مصائرنا ومصائر شعوبنا وبلداننا بما نشاء نحن في هذه الحالة نكون عملياً قد عدنا القهقرى دورة كاملة لنخضع مجدداً للاستعمار الأوربي.

في بداية هذه المحاضرة قلنا: إنه متى ما جاء الأوربيون بفكرة ما فإنها لا تعني غير تكريس هيمنتهم على العالم وعليه فإن العولمة من بنات أفكارهم وسنرى كيف أنها تصب في

اتجاه يكرس إعادة بناء إمبراطوريتهم العالمية ونشير هنا إلى أن الدول النامية ستدفع ثمناً باهظاً إذا ما استمرت في الأخذ بكل ما يأتي من أوروبة من رؤى وأفكار من دون فحصها بعين بصيرة ناقدة.

وانطلاقاً من حقيقة كونها بلدانا نامية فإن الدول الإسلامية جميعها ستصير في يوم من الأيام جزءً من إمبراطورية شمال الأطلسي إذا ما سارت العولمة بمفاهيمها المطروحة والتي نراها ماثلة أمامنا في الوقت الحالي وتقتضي المصلحة أن نقر بأن الصورة مروعة دون أدنى مبالغة ذلك أن الدول الإسلامية كافة ضعيفة ولا يوجد بينها بلد يمتلك الأسباب التي تمكنه من التأثير على الشؤون الدولية لقد مضى الآن قرن كامل والمسلمون يعانون بصمت من القهر والاضطهاد هذه الوضعية المأساوية تنطبق تماماً على ما يجري حالياً في الأراضي الفلسطينية المحتلة فنحن نشاهد يومياً على شاشات التلفاز جنود الاحتلال الإسرائيلي يتصدون بالطلقات الرصاصية الحية للأطفال الفلسطينيين الذين يلقون الحجارة عليهم في المقابل نجد أن أكثر من مليار مسلم يقفون مكتوفي الأيدي يتفرجون على ما يجري في فلسطين اللهم إلا من مناشدات للمجتمع الدولي وللاعبين الأساسيين على المسرح العالمي للتحرك لوضع حد لهذه المذابح لكن لسخرية القدر إن ردود الفعل الصادرة عن تلك الجهات تطالب المسلمين بالتحرك لوقف العنف الفلسطيني بمنع الأطفال من رشق الإسرائيليين بالحجارة أولاً قبل التحدث عن العنف الإسرائيلي الذي يأتي بحسب رأيهم في سياق الدفاع عن الجنود والمستوطنين الصهاينة هذه الحالة شاذة كونها تعني أن رد الفعل الطبيعي لأي جندي أو شخص ما يتعرض للرشق بالحجارة أن يضغط على زناد بندقيته ويلقي بالشخص الآخر صريعاً ومع ذلك فإن هذه الجهات التي تدافع عن أعمال التقتيل والبطش والتعذيب التي تمارسها قوات الاحتلال الإسرائيلي ضد الأطفال والنساء والشيوخ الفلسطينيين العزل تتحدث في الوقت نفسه وباستمرار عن حقوق الإنسان والعدالة وحكم القانون.

لقد ركزت في الشق الوارد أعلاه على الوجه الكالح للعولمة وكيف أنها يمكن أن

تكون سبباً في قمعنا والرجوع بنا القهقرى لنعود خدماً للمستعمرين الأغنياء لكن ذلك لا يعني بالضرورة أن تنتهي هذه العملية إلى هذه النتائج السالبة في كل الحالات بمعنى أن العولمة يمكن أن تكون بعكس تلك الصورة وتتمخض عن نتائج تصب في مصالحنا وخدمة قضايانا كدول إسلامية وبلدان نامية.

ولكي نسخر العولمة لتحقيق مصالحنا وخدمة قضايانا علينا أولاً أن نشخص ونستوعب تماماً الكيفية والأدوات التي تعمل بها والتفسيرات والمفاهيم المتوافرة عن هذه الظاهرة في وقتنا الحالي هذه النقطة حاسمة ومهمة ولنأخذ التجربة الماليزية لندلل على أهميتها فعندما تعرضت بلادنا لهجوم تجار العملات في صيف ١٩٩٧م أغشتنا الصدمة لأننا اكتشفنا في وقت حرج جداً مدى جهلنا وعدم إلمامنا بالأنظمة المالية الدولية وكيف يتم الاتجار بالعملات وكيف يتم تحويلها من دون نقل فلس واحد.

نحن نطالع في الوقت الحالي أن مئات المليارات من الدولارات يتم تسديدها لشركات من قبل أخريات ترغب في النمو السريع والتوسع بواسطة اكتساب أو دمج شركات أخرى كما نقرأ عن اندماج شركات ومؤسسات عملاقة لتكون عملاقة أكثر من وضعها الذي هي فيه لكننا نجهل الكيفية التي يفعلون بها ذلك ومن أين يأتون بتلك الأموال الهائلة.

هؤلاء المضاربون افلحوا بإيجاد أساليب وابتكارات أخرى مكنتهم من توظيف مبالغ طائلة من الأموال لخدمة مصالحهم وإذا كنا نحن على علم مسبق ودراية كافية بهذه السبل والصفقات لتسنى لنا لعب دور مماثل وفق القوانين والنظم الخاصة بنا ولربما كان بإمكاننا اختراق شبكاتهم على الأقل على النحو الذي تتسلل به الفيروسات لشل قدراتهم وحركتهم وبث اليأس فيهم.

وقد يبدو لنا أن هذه الشركات من الضخامة بما يوحي بأنها محصنة ضد أي محاولة استهدافية غير أن الحجم لم يكن كافياً في أي يوم من الأيام لمنع الفشل وهذه المجموعات يمكن

أن تفشل مثلما يحدث في عدد كبير من الحالات ويمكن أن تخسر تريليونات الدولارات وتدمر نفسها بنفسها.

نحن نعرف قصة صندوق إدارة رأس المال بعيد الأجل (ال.تي.سي.ام) وهو صندوق استثماري طويل الأجل الذي كان من الضخامة بما يعجز كثيرون عن تصورها وكان يتعامل بمليارات الدولارات لكنه خسر فجأة ولولا الدعم الذي وجده من المحسوبين والمنتفعين من داخل الحكومة لأطاح بالنظام المالي للأثرياء.

إن البنوك العملاقة والمؤسسات الضخمة يمكن أن تتعرض لأزمة شبيهة بأزمة (ال.تي.سي.ام) إذا لم تكن إدارتها على قدر عال من المهارة والكفاءة ومما لاشك فيه أن انهيار مؤسسات مالية واستشارية أو صناعية بهذا الحجم يمكن أن يتسبب بانهيار واضمحلال دول بحالها مهما بلغت من القوة.

لقد تمكن المسلمون في يوم من الأيام من بسط نفوذهم على العالم قبل إن تضمحل حضارتهم وينحسر نفوذهم وتسقط دولتهم ونتج الاضمحلال والسقوط عن المشاحنات والخصومات التي مزقت وحدة المسلمين والتي نتجت بدورها عن الخلافات في تفسير العقيدة والتعاليم والأحكام الإسلامية.

وقد ظلت الحكومات الإسلامية على مدار التاريخ الإسلامي عرضة لهجمات وحملات الغلاة المتشددين في أوساط المسلمين وتسبب انشغال المسلمين وحكوماتهم بالمعارك الجانبية بتراجعهم عن المركز الصدارة والريادة وإضاعتهم فرصة الإفادة من الثورة الصناعية التي كانت آنذاك تنمو وتتسع في أوربة وقد تراجع المسلمون وتخلفوا لأنهم لم يساهموا ولم يشاركوا في الثورة الصناعية في أوربة وبالتالي لم يكن بوسعهم الإفادة منها بمعني آخر أن تراجع المسلمين عن ركب الأمم لم يقتصر على الناحية الكمية لجهة الثروة والممتلكات ولكنه شمل أيضاً تخلف قدراتهم الصناعية وملكاتهم الإبداعية والابتكارية إضافة إلى ضعف القدرة على

الإبداع وتصميم وإنتاج أدوات ووسائل التقدم والتطور لقد انتهى المسلمون إلى مرحلة اعتمدوا فيها كل الاعتماد على استيفاء حاجياتهم الأساسية وأدواتهم الدفاعية مما ينتجه غيرهم بمن فيهم الأعداء.

نحن نشهد في وقتنا الحالي بزوغ فجر عصر المعلومات في كل مكان لكن يبدو أن المسلمين سيضيعون للمرة الثانية فرصة الإفادة من الثورة المعلوماتية بمثل ما سبق لهم إن فرطوا في المساهمة والإفادة من الثورة الصناعية وللأسباب نفسها إذا أنهم مازالوا منشغلين بخصوماتهم الجانبية التافهة من دون إعارة القضايا والتحديات الجوهرية الاهتمام الذي يستحق.

ومما يؤسف له حقاً إننا المسلمين نملك قدرات وطاقات لا حد لها من شأنها أن تتيح لنا المساهمة في تطوير تقنية المعلومات وفي تطبيقاتها ألّا محدودة لكننا مازلنا مكتفين بدور المستهلك.

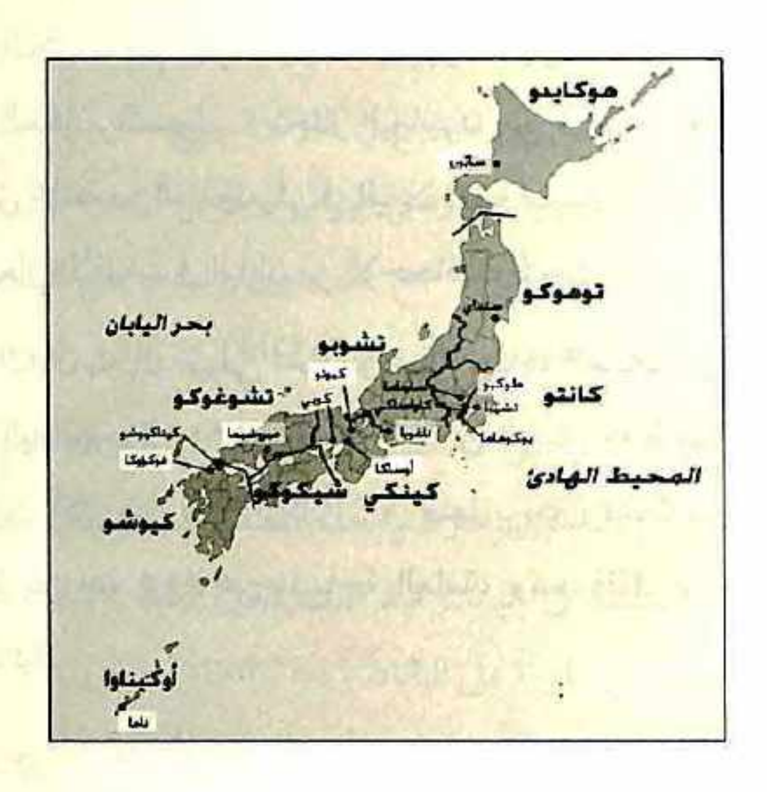
هناك بالطبع عدد كبير من العلماء والخبراء المسلمين الماهرين والمؤهلين تأهيلاً عالياً في مجالات علمية وتكنولوجية متطورة غير أنهم يعيشون حالياً ببلدان شمال الأطلسي هؤلاء الخبراء والعلماء لم يختاروا الإقامة خارج بلدانهم الأصلية طواعية لكنهم لم يجدوا البيئة والمناخ الملائمين للبحث العلمي والتقني فاختاروا الهجرة إلى ارض الله الواسعة حيث يتوافر ما يفي بحاجاتهم البحثية وتطلعاتهم الإنسانية لذلك نجد أن أبناء أمتنا وإخواننا في العقيدة يساهمون من دون اختيارهم في بعض الأحيان ببناء الرصيد المعرفي والمهارات ذات الصلة بعصر المعلومات في بلدان أجنبية قد تلجأ في يوم من الأيام إلى استخدام تلك الحصيلة المعرفية والتقنية ضد البلدان الأصلية للعلماء الذين أنتجوها. الفرصة على أي حال ما زالت متاحة أمامنا لإغراء هؤلاء العلماء والخبراء بالعودة إلى بلداننا للإفادة من مهارتهم وإمكاناتهم التقنية العالية في تطوير وتعزيز قدراتنا في مجال تقنية المعلومات بما يمكننا من مجابهة النتائج السالبة المترتبة على العولمة على دولنا ودرئها.

هناك أساليب عديدة يمكن من خلالها العمل سوياً لتوفير الحماية اللازمة لاقتصادنا وبلداننا على السواء بمعنى أننا يمكن أن نبقي على بعض الحواجز والقيود للحد من تدفق السلع والمنتجات التي نري أنها لا تتناسب بيئتنا أو أسواقنا إلى حين تكييف وإعداد البيئة المحلية بما يمكننا من درء سلبياتها ويمكننا أيضاً أن ندخل التعديلات التي تناسبنا على معني ومضامين العولمة كأن نطلق عليها تعريفاً أكثر شمولية يتضمن التأكيد على حقوق مواطني الدول الفقيرة في العبور السلس إلى الدول الغنية هذه الخطوة ستساهم بكسر حدة الفقر وتضييق نطاقه في بلداننا من خلال التحويلات التي يرسلها المهاجرون إلى بلدانهم الأصلية كما أن زيادة حجم وعدد الجاليات الإسلامية في البلدان الغربية والغنية سيمكن المهاجرين منا من المحافظة على معتقداتهم وثقافتهم بما يمكن أن يعزز نفوذهم على مختلف الأصعدة في بلدان المهجر وننوه هنا إلى أن الوضع الديمغرافي العالمي سيتغير إلى حد بعيد خلال بضعة عقود وسوف لن يتمكن أي بلد في الدنيا من المحافظة على النقاء العرقي لسكانه الأصليين وهذه نقطة يمكن توظيفها أيضاً لصالح الأمة الإسلامية إذا ما نجحنا باستغلالها بذكاء.



الفصل الثاني والعشرون بعد المائة

العلويون واليابان



نبـذة تاريـخية[1]

اليابان دولة يبلغ سكانها ١٢٦,٣٢٠,٠٠٠ ومساحتها ٣٧٧,٨٠١كم مربع، وتتكون من عدة جزر، أهمها أربعة جزر هي هونشو، وهوكايدو، وكيوشو، وشيكوكو، وتحتل الجبال والتلال معظم أجزاء اليابان. وتظهر السهول الصغيرة في كثير من المناطق ويعيش معظم السكان بالسهول. وينحدر اليابانيون من شعوب عدة هاجرت إلى جزر اليابان من مناطق مختلفة من آسيا وتعيش في اليابان أقلية صينيه وكوريه ومجموعة بسيطة من جنس الاينوا وتعاني الأقليات في اليابان من الإجحاف والتحيز.

وتتمتع اليابان بجمال طبيعي أخاذ، وتغطي جبالها الغابات وتكثر فيها الشلالات المائية. وتشهد اليابان حوالي ١٥٠٠ هزة أرضية في السنة، معظمها خفيفة، ولا تُحدث أضراراً. وباليابان أكثر من ١٥٠ بركاناً، ٦٠ منها براكين نشطة. ولا تتجاوز مساحة اليابان الصالحة للزراعة ١٥٪ من المساحة العامة، ومع ذلك تنتج اليابان ٧٠٪ من احتياجاتها الغذائية.

أما التاريخ السياسي لليابان فقد تأثرت اليابان بالحضارة الصينية وأخذت عنها الديانة الكونفوشية والنظم الإدارية. وشجع إمبراطور اليابان تبني الأنظمة الصينية. وحكم اليابان أمراء تحولوا إلى أباطرة إلا أنهم بقوا في حالات كثيرة حكاماً اسميين، بينما بقيت السلطة في يد الإقطاعيين والقادة العسكريين، وقد حاول القائد المغولي قبلاي خان غزو اليابان مرتين، إلا أن الأعاصير البحرية أفشلت حملته، ثم عرف الأوروبيون اليابان

---

(١) ملخصة عن الموسوعة العربية العالمية المجلد ٢٧ صفحة ٢٦٩-٢٨٩، مع إضافات من مصادر أخرى

في القرن الثالث عشر الميلادي بواسطة الرحالة ماركوبولو الذي زار اليابان. وفي القرن الخامس عشر الميلادي وصل البرتغاليون لليابان ووصل المنصرون لنشر الديانة المسيحية باليابان.

وفي عام ١٦٠٣م تولى زمام اليابان الإمبراطور أياسو، وكان عبقرياً فخاف أن تكون بعثات التنصير مقدمة لغزو أجنبي، لذلك طرد المنصرين الأوروبيين، وأجبر من تنصر من اليابانيين على الارتداد وقتل من رفض منهم ذلك، وانتهت بذلك النصرانية تماماً من اليابان في عام ١٦٣٠م.

كما عزلت اليابان نفسها عن الخارج في القرن السابع عشر. ومنعت اليابان رعاياها المقيمين بالخارج من العودة إلى اليابان، وقتل اليابانيون بعض البحارة الأوروبيين الموجودين باليابان، ولم يبق لليابانيين تعامل إلا مع الهولنديين بسبب عدم ارتباطهم بإرساليات المنصرين، وسمح للهولنديين فقط بإرسال سفينة واحدة إلى اليابان في السنة.

إلا أن الأوروبيين لم ييأسوا كعادتهم، واستطاعوا في عام ١٨٥٨م عقد معاهدات تجارية مع اليابان، إلا أن اليابانيين عارضوا هذه المعاهدات وأرغموا الحاكم شوغن على الاستقالة، وأعيدت السلطة في اليابان منذ ذلك الحين (سنة ١٨٦٧م) إلى الإمبراطور موتسوهيتو الذي أصبح إمبراطوراً على اليابان.

وعرفت الفترة التي حكم فيها هذا الإمبراطور اليابان والتي امتدت من سنة ١٨٦٧ إلى سنة ١٩١٢م بالعهد الميجي، ونقلت فيه العاصمة اليابانية من كيوتو إلى إيدو التي سميت فيما بعد طوكيو، وتطورت اليابان خلال هذه الفترة لتصبح قوة صناعية وعسكرية كبيرة، فشيدت آلاف المدارس وأنشأت شبكة برق، وبدأ اليابانيون ببناء السكك الحديدية، وأرست اليابان نظاماً حديثاً للمصارف المالية والضرائب، وشجعت الحكومة التصنيع وأسست عدداً من المصانع التجريبية، وتمت الاستعانة بالخبراء الأوربيين والأمريكيين لتدريب اليابانيين

على استخدام التقنية الحديثة، وألغيت قوات الساموراي وهي القوة التي كان الإقطاعيون يستعينون بها لحمايتهم واستبدلوا بها جيشاً وأسطولاً حديثاً.

وفي عام ١٨٨٢م أرسل الإمبراطور أحد قادته لأوروبا لدراسة أنظمة الحكم الدستورية. وفي عام ١٨٨٩م صدر أول دستور ياباني وأصبح الإمبراطور بموجبه رأس الدولة والقائد الأعلى للجيش والبحرية. ومن مهامه تعيين الوزراء. وتضمن هذا الدستور الياباني إنشاء مجلس نيابي (دايت) مكون من مجلس للنواب ومجلس للشيوخ.

ثم بعد أن تقوت اليابان اقتصادياً وعسكرياً انطلقت في مشاريعها الاستعمارية، فشنت حرباً على الصين في سنة ١٨٩٤م لانتزاع كوريا منها، كما حصلت من الصين على تايوان وجنوب منشوريا.

وفي عام ١٩٠٢م استفحل الخلاف بين اليابان وروسيا وتحالفت بريطانيا مع اليابان. وفي سنة ١٩٠٤ أعلنت اليابان الحرب على روسيا وهاجمت الأسطول الروسي وكسبت نصراً سريعاً في البحر والبر. وسجل هذا النصر دخول اليابان إلى نادي الدول العظمى.

وعلق الأمير شكيب أرسلان[١] على هذا النصر في حاضر العالم الإسلامي فقال: فهب غالب المسلمين يبتهجون لانتصار اليابان وتمنى كثير من دعاة الجامعة الإسلامية ورجالاتها لو ينتحل أبطال اليابان الإسلام. وأرسل السلطان العثماني وفداً إلى اليابان على بارجة حربية، وقالت صحيفة مصرية سنة ١٩٠٦ «إن بريطانيا العظمى وفي حكمها ستون مليونا من المسلمين لتخشى كل الخشية أمر إسلام اليابان، الأمر العظيم الذي لو حدث لتغير مجرى السياسة الإسلامية العامة تغيراً كاملاً». وقال شيخ من شيوخ مسلمي الصين «إذا شاءت اليابان أن تدرك منزلة لم تدرك مثلها دولة فيما مضى، وشاءت أن ترفع شأن آسيا على سائر القارات، فلا يتم لها ذلك إلا بانتحال الإسلام ديناً».

---

(١) الأمير شكيب أرسلان، حاضر العالم الإسلامي، الجزء الأول، دار الفكر العربي، صفحة ٣١٤.

ثم قال أمير البيان: فاستقبلت اليابان وفد المسلمين استقبالاً جليلاً وأحلته محل الرعاية والإكرام، بيد أنها لم تكشف عن رغبة في الدخول في دين الرسالة، وكانت النتيجة أن وضع أساس للعلاقات الودية الحبيبة بين الشعوب المسلمة والشعوب غير المسلمة في آسيا. (انتهى النقل).

ثم لما قامت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤م أعلنت اليابان الحرب على ألمانيا لكونها متحالفة مع بريطانيا واستفادت من ذلك باحتلال الممتلكات الألمانية في آسيا والمحيط الهادئ. وفي عام ١٩٢٣م ضربت اليابان هزة أرضية عنيفة وأعاصير شديدة أودت بحياة ١٤٣٠٠٠ نسمة من سكان اليابان، كما أثر الكساد العالمي في الثلاثينيات على الاقتصاد الياباني، فاستغلت الصين هذا الوضع لإعادة سيطرتها على منشوريا، إلا أن العسكريين اليابانيين أخذوا الأمر في أيديهم وأعادوا في عام ١٩٣١م احتلال منشوريا وكذلك منغوليا وأجزاء أخرى من الصين. ولما ندّدت عصبة الأمم باليابان انسحبت اليابان من عصبة الأمم.

ثم قامت حرب بين الصين واليابان في سنة ١٩٣٨م أدت إلى وقوع معظم شرق الصين تحت سيطرة اليابان، كما وقّعت اليابان معاهدات مع ألمانيا وإيطاليا لمحاربة الشيوعية.

ولما قامت الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩م وسقطت فرنسا أمام هتلر، بادر اليابانيون باحتلال الممتلكات الفرنسية في الهند الصينية، ثم أكملوا بعد ذلك احتلال الهند الصينية، ثم ضرب اليابانيون الأسطول الأمريكي في بيرل هاربر بهاواي والقواعد الأمريكية بالفلبين، وحقق اليابانيون انتصارات مذهلة في فترة قصيرة. وتابع اليابانيون هجماتهم بنفس السرعة والكفاءة التي تميزت بها هجمات القوات الألمانية في أوروبا فقد جهزوا في اليوم نفسه الذي ضربوا فيه بيرل هاربر حملةً برمائية على ماليزيا وسيام، وتمكنت القوات اليابانية من احتلال سنقفورا، واضطر قائدها الإنجليزي للاستسلام مع ستين ألف رجل من جنوده[١].

---

(١) رمضان لاون، الحرب العالمية الثانية عرض مصور، دار العلم للملايين، صفحة ١٧٣.

كما لم يتمكن قائد القوات البريطانية الهندية في بورما والجنرال الأمريكي الذي يقود الجيش الصيني، لم يتمكنا من إنقاذ جيوشهم في بورما إلا بالانسحاب، تاركين خلفهم معداتهم الثقيلة. ثم استطاع الأسطول الياباني الانتصار على الأساطيل الإنكليزية والهولندية والأمريكية في بحر جاوا، وبذلك تمكن اليابانيون من احتلال جزيرة جاوة وغينيا الجديدة ومعظم الجزر في المحيط الهادي وهاجموا بطائراتهم القواعد البحرية في أستراليا، وبهذا ضمنوا الهيمنة على الشرق الأقصى، كما استولوا على هونغ كونغ وغوام، واتجهوا نحو الفلبين التي تعتبر من أهم القواعد الأمريكية، واستطاعوا في فترة قصيرة هزيمة الأسطول الأمريكي، واستسلمت القوات المدافعة عن الفلبين لليابانيين، وهرب الجنرال الأمريكي ماك آرثر إلى أستراليا، ووقعت الفلبين تحت السيادة اليابانية[١].

وفي خلال خمسة أشهر فقط تمكن اليابانيون من تكوين الإمبراطورية التي يحلمون بها، ووضعوا أيديهم على رقاب ٤٠٠ مليون إنسان وعلى مخزون لا ينضب من الموارد الاقتصادية والاستراتيجية.

والواقع أن هزيمة الجنس الأبيض السريعة والمؤلمة قد نالت من هيبتهم ومرغتهم بالوحل وأساءت إليهم إساءة بالغة أمام الشعوب التي كانوا يحكمونها[٢].

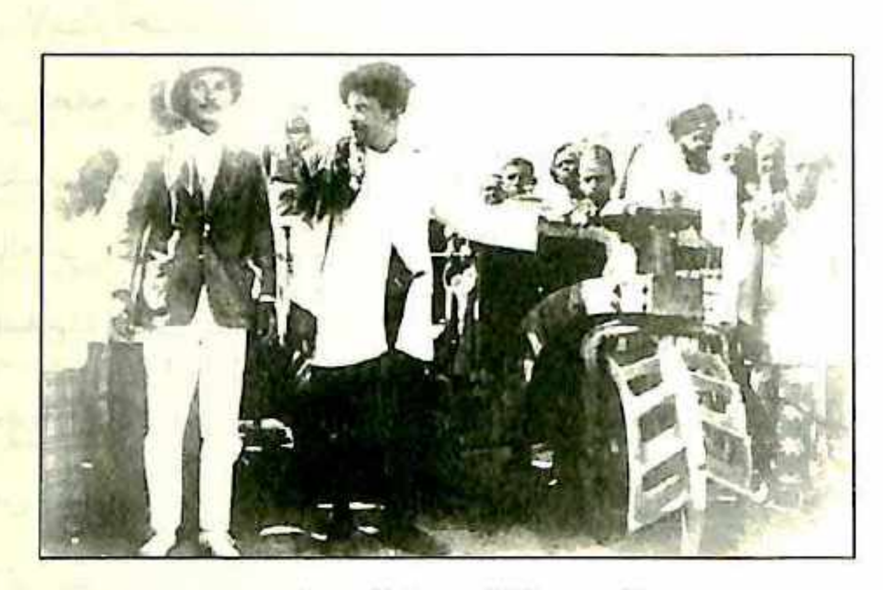
إلا أن هزيمة الألمان في أوروبا وانتصار الحلفاء على ألمانيا وإيطاليا ركز جميع الجهود الحربية لكل دول أوروبا تجاه المارد الياباني، ولكن اليابانيين لم يستسلموا رغم كل ذلك إلا بعد إلقاء القنبلة الذرية الثانية على نجازاكي والتي ألقيت بعد قنبلة هيروشيما. وكان ذلك في عام ١٩٤٥، واحتل الحلفاء بعدها اليابان وتلاشت الإمبراطورية اليابانية الواسعة.

---

(١) رمضان لاوند، الحرب العالمية الثانية عرض مصور دار العلم للملايين، صفحة ١٧٩.

(٢) رمضان لاوند، الحرب العالمية الثانية عرض مصور، دار العلم للملايين، صفحة ١٨٠.

العلويون واليابان



المهندس الياباني هرياما في مدينة سيون

لقد كانت هناك بعض الاتصالات والاحتكاكات الخفيفة بين العلويين واليابانيين أثناء الحرب العالمية الثانية، كما زار اليابان بعض العلويين قبل نشوب الحرب العالمية الأولى مثل السيد محمد بن عقيل بن يحيى، ووصل مهندس ياباني إلى حضرموت في سنة ١٣٤٧هـ، كما سببت التحركات العسكرية اليابانية في الحرب العالمية الثانية مجاعة شديدة في حضرموت سنة ١٣٦٣ أودت بحياة الكثير من الحضارمة.

وعانى العلويون أثناء الغزو الياباني لسنقفورا وأندونيسيا، وممن عايش الغزو الياباني لسنقفورا السيد أحمد بن عمر بافقيه[١] الذي كان يقيم وقتها بمدينة جوهور الملاصقه لسنغفورا، ويذكر تلك الأحداث فيقول: روعت في إحدى الليالي بأصوات

(١) محمد أبوبكر باذيب، السيد أحمد عمر بافقيه، صفحة ١٧٦.

القذائف والصواريخ فظننتها مناورات بحرية، ولم يدُر بخلدي أنه الغزو الياباني للأراضي الماليزية. وفي صباح اليوم التالي ذهبت كالعادة إلى عملي بالمدرسة العطاسية بجوهور فوجدت أن المدرسة أغلقت وصرف التلاميذ بسبب الغزو.

قال الأستاذ أحمد بن عمر بافقيه: ولا تسل عن ما ارتكبه الجيش الياباني في المسلمين وغيرهم من فظائع وجرائم، وقال الأستاذ أحمد بن عمر بافقيه إنه بعد احتلال اليابانيين لسنقفورا تشكلت لجنة لترعى المصالح العربية، وقد طلبت السلطات اليابانية من هذه الهيئة وضع رسالة عن عادات العرب وتقاليدهم وأديانهم لتترجم إلى اللغة اليابانية، وكلّف الأستاذ بافقيه بهذه المهمة.

وبعد أن ازدادت المخاوف من الإرهاب الياباني في سنغافورا اضطر الأستاذ بافقيه إلى بيع بيته بثمن بخس والاستعانة بثمنه للهجرة إلى جزيرة سومطرا بإندونيسيا.

إلا أن بافقيه وجد الحال في سومطرا الواقعة أيضاً تحت الاحتلال الياباني كمثله في سنقفورا، ويتذكر الأستاذ أحمد بن عمر بافقيه هذه الأحداث فيقول[١] إن اليابانيين كانوا يعاملون الناس كالسوائم والأنعام ولا يحق لأحد أن يفكر أو يبدي رأياً أو يعرب عن وجهة نظره حتى في أخص شؤونه، وربما خرج الإنسان ليبحث عن لقمة يسد بها جوع أطفاله، فما يشعر إلا وقد أطبق عليه الجنود اليابانيون وأركبوه شاحنة، ويكون ذلك آخر العهد به. كما يقتحم الجنود اليابانيون منازل الأسر الكريمة ممتهنين شرفها وعرضها، كما أنهم يشجعون السكان المحليين على فتح بيوتهم للعهر والدعارة، ويتحرك رجالهم عراة الأجسام أمام النساء دون خجل وحياء، كما يجبر جميع الناس مهما اختلفت أديانهم على عبادة الإمبراطور والسجود له يومياً، كما وضع السيد بافقيه في المعتقل الياباني وتعرض للتعذيب والضرب[٢].

---

(١) محمد أبوبكر باذيب، السيد أحمد عمر بافقيه، صفحة ١٨٨.

(٢) محمد أبوبكر باذيب، السيد أحمد عمر بافقيه، صفحة ١٨٩.

وذكر الجد بن عبيدالله في معجمه[١] أن الإنجليز لما استفحل أمر اليابان في بورما وتضعضع وضعهم العسكري استنجدوا بحكومة حيدر أباد بالهند فأمدتهم بقوة على رأسها الجنرال أحمد بن محضار العيدروس فأعطاه الإنجليز القيادة العامة ورموا به اليابان في بورما فأظهر شجاعة خارقة وتدبيراً حازماً، وحقق انتصارات على اليابانيين حتى أنه حصل وجيشه على سبعة عشر نيشاناً من النياشين العشرين التي أمر بها ملك الإنجليز للجيوش المحاربة في تلك الجبهات. قال بن عبيدالله: والجنرال العيدروس له إلى جانب تلك الشجاعة وشدة البأس أخلاق فاضلة وغيرة على العروبة ودفاع عنها. (انتهى بتصرف بسيط).

وذكر الجد بن عبيدالله في معجم بلدان حضرموت[٢] عند ذكره بلدة سحيل الفقراء أن من سكانها السيد عبد الله أحمد بن سالم سبول السقاف، وهو أحد صدور العلويين ووجهائهم بسنغفورا، توفي بها أيام اليابان (انتهى).

وذكر أيضاً صديقه الوفي الشيخ طالب بن مرعي[٣]، فقال: رجل شهم مستوى السريرة والعلانية، إذا وعد صدق وإذا قال وفى، ذهب مع ظلم اليابانيين وكان آخر العهد به رحمة الله عليه. (انتهى).

وذكر السيد عبد القادر بن عبد الرحمن الجنيد[٤] أنه لما استولت اليابان على سنقفورا في الحرب العالمية الثانية سنة ١٣٦٢هـ (١٩٤٣م) أرادت تغيير نظام مدرسة الجنيد الإسلامية بسنقفورا، وتغيير المنهج المقرر لها، واستبداله بمواد أخرى تدرس بها، وإلغاء بعض الحصص الدينية إلا أن ناظر المدرسة السيد عمر بن علي الجنيد عارضهم في ذلك معارضة شديدة،

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صفحة ٤٢٠.
(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صفحة ٢٩٦.
(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صفحة ٢٩٤.
(٤) عبد القادر بن عبد الرحمن الجنيد، العقود العسجدية، صفحة ٢٦٥.

فقابلوه بالتهديد الشديد والضغط فلم يبال بشيء مما هددوه به وصمم على أن تمضي المدرسة طبق وثيقة وقفيتها، عندئذ اقتنعوا وتركوها على ما هي عليه (انتهى).

أما إذا أردنا أن نعرف شيئاً عن الاتصالات المدنية القديمة بين العلويين واليابان فإننا لا نجد منها إلا النزر اليسير، وربما كان العلوي الوحيد الذي زار اليابان بملابسه العلوية هو السيد محمد بن عقيل بن يحيى (١٢٧٩-١٣٥٠هـ) الذي زار بلدان عدة من بينها اليابان[١].

كما قام السيد محمد بن أحمد بن شيخ الكاف برحلة إلى الصين واليابان سنة ١٣٥٤هـ (١٩٣٥م) استغرقت أربعة أسابيع[٢].

كما وصل أحد المهندسين اليابانيين إلى حضرموت في حدود سنة ١٣٤٧هـ، وقد استقدمه السيد الثري هود بن أحمد السقاف الملقب بالتويني، وسبب ذلك أن السيد هود أحضر إلى مدينة سيؤن أول مضخة مياه، ووصلت مفككة على ظهور الجمال، ووصل معها المهندس الياباني هيرياما الذي قام بتجميعها في قصر السيد هود، إلا أن المهندس هرياما اكتشف فيما بعد أنهم يريدون المضخة في مزرعة السيد هود وليست في قصره، فقام بتركيب عجلة أمامية للمضخة وجعلها تتحرك بنفسها إلى مزرعة السيد هود، وكانت تلك أول آلة تتحرك بنفسها على أرض سيؤن وترى صورة ذلك الحدث أعلاه.

وقد أقام هيرياما بقصر الحبيب هود السقاف، ثم قرر الدخول في الإسلام، وتزوج من إحدى مماليك السيد هود، وكان هرياما مصوراً محترفاً، فالتقط بعض الصور النادرة لرجالات حضرموت لذلك العهد، ومنهم السلطان منصور بن غالب والسيد هود السقاف[٣].

---

(١) محمد بن علوي بن يحيى، شرف المحيا، تريم للدراسات والنشر، صفحة ١٣١.

(٢) محمد الجنيد وحسين الكاف، المهندس علوي بن أبي بكر الكاف رائد العمارة الطينية، مركز النور للدراسات، صفحة ١٨٢.

(٣) محسن علوي السقاف، مذكراتي ومختاراتي.

الفصل الثالث والعشرون بعد المائة

مدارس العلويين بالشرق الأقصى



صورة حديثة لمدرسة السقاف العربية بسنقفورا وقد مضى على تأسيسها أكثر من مائة سنة

ذكرنا في الفصول السابقة جهود العلويين لفتح المدارس والكتاتيب في حضرموت، إلا أن العلويين لم يقتصروا في هذه النشاط على حضرموت وحدها، بل إنهم سعوا إلى نشر الدين وتعليم اللغة العربية وعلوم الشريعة في كل البلاد التي وصلوها، فأقاموا المدارس في كل مكان استوطنوه، وفتحوا المدارس المجانية لتعليم أبناء الحضارم وأبناء البلاد التي هاجروا إليها، وفي ما يلي بعض ما وجدت من أخبار هذا النشاط.

وقد بدأ النشاط العلمي للعلويين بإندونيسيا بتأسيس جمعية خير في سنة ١٣١٩هـ، فكانت أقدم جمعية خيرية إسلامية منظمة وتهدف إلى إعانة الفقراء، ورفد المعوزين وتعليم الأطفال وإعانة المحتاجين. واعترفت بها الحكومة الهولندية في سنة ١٣٢١هـ واشترطت أن لا يكون لها فروع في غير منطقة بتافيا (جاكرتا)، وانتخب أول رئيس لهذه الجمعية وهو السيد علي بن أحمد بن محمد بن شهاب الدين.

ثم قدمت الجمعية طلب الإذن لفتح مدرسة في سنة ١٣٢٤هـ وفي سنة ١٣٢٧هـ افتتحت الجمعية أول مدرسة لها للتعليم المجاني، كما رتبت دروساً أسبوعية عامة للنساء وأخرى للرجال في أيام معينة في الأسبوع، ثم سعت الجمعية في نفس العام في إبطال القانون الهولندي الذي يقتضي حصول العرب على إذن رسمي عند الرغبة في الذهاب إلى خارج جاكرتا، وخصوصاً إلى جاوا الوسطى.

و في سنة ١٣٢٨هـ فتحت الجمعية مدارس في معظم أحياء جاكرتا والمدن الغربية، كما بدأت تفكر في استقدام معلم من مصر أو استانبول أو غيرها من بلاد الإسلام.

وأقامت الجمعية سنة ١٣٢٨هـ قسماً داخلياً للطلاب برسوم معينة يدفعها القادرون. أما الأيتام والفقراء فإنهم يقبلون بالقسم الداخلي مجاناً، كما تعطى لهم الملابس والغذاء بالمجان.

وانضم إلى جمعية خير كثير من العرب المقيمين بإندونيسيا واتصلت الجمعية برجال

الحركات الإسلامية بالشرق الأوسط كالسيد علي يوسف صاحب جريدة المؤيد، وعلي كامل مدير جريدة اللواء، وعبد الحميد زكي صاحب جريدة السياسة المصورة، وأحمد حسن طبارة صاحب ثمرات الفنون ببيروت، ومحمد سعيد المجذوب صاحب جريدة القسطاس المستقيم، وعبد الله قاسم مدير شمس الحقيقة، ومحمد بكر بك مدير جريدة العدل، وغيرهم.

وبقيت جمعية خير على اتصال بما يحدث في العالم الإسلامي فأقامت احتفالاً بمناسبة تولية السلطان محمد رشاد، وأقامت مأتماً على شهداء طرابلس الغرب عام ١٩١٢م (١٣٣١هـ) في حربهم ضد إيطاليا.

ومن أعمال جمعية خير دورها في إزالة الخصام الدموي بين العرب والصينيين في جاوا الشرقية، كما قامت الجمعية بجمع التبرعات لأيتام المجاهدين في طرابلس الغرب ومنكوبي البراكين والحرائق والفيضانات، وجمعت التبرعات لصالح مشروع سكة حديد الحجاز، إلى غير ذلك من الأعمال الخيرية. وفي عام ١٩١٣م (١٣٣٢هـ) فكرت الجمعية في إيجاد مطبعة ومكتبة. هذا وقد لقي بعض رجال الجمعية عنتاً من حكومة هولندا وتعرض آخرون للمحاكمة كما سجن بعضهم.



هذا ولا يفوتنا أن نذكر هنا المربي الجليل الأستاذ الشاعر أحمد بن عبد الله بن محسن السقاف (١٢٩٩-١٣٦٩هـ) والذي قضى معظم حياته بالتدريس في إندونيسيا، وإذا كان الحبيب عبد الله بن عمر الشاطري استحق في نظري لقب أستاذ الجيل الحضرمي لقيامه بالتدريس المتواصل في رباط تريم لأكثر من خمسين سنة فإن الأستاذ أحمد بن عبد الله السقاف هو أستاذ الجيل في إندونيسيا، حيث قضى حياته كلها في التدريس. وقد هاجر السيد أحمد السقاف إلى إندونيسيا في مطلع شبابه، وكان أول ناظر للمدرسة الخيرية بسورابايا، وتخرج على يديه كثير من الطلاب، وكان تربوياً من الطراز الأول، حتى إنه التحق بمدرسة لتلقي علم النفس والتربية ليتقن فن التدريس، ثم زاول التجارة ولم يصب فيها نجاحاً، فعاد إلى التدريس وتولى زمام التعليم في مدرسة خير بجاكرتا وألف الكتب المدرسية، ووضع الأناشيد التي كان يلحنها بنفسه، وله خبرة في ممارسة أعمال كثيرة في الكهرباء والآلات، حتى لقد اخترع إضافة لآلة الطرب المعروفة بالأرغُن.

كما لا ننسَ دور الأستاذ السيد محمد بن هاشم بن طاهر (١٣٠٠-١٣٨٠هـ) الذي ولد بتريم ثم هاجر سنة ١٣٢٥ إلى جاوا، وباشر التدريس في مدرسة جمعية خير في مدينة بتافيا (جاكرتا)، ثم انتقل إلى وسط جاوة وأسس مدرسة (شمائل الهدى)، وتخرج على يده الكثيرون، ثم انتقل إلى مدينة سورابايا فأسس المدرسة الحضرمية التي طبق فيها نظريات التربية الحديثة، حتى إنه كان يجمع بين الجنسين في الصفوف الدراسية الأولى، ثم بدأ نشاطه الصحفي فشارك بالكتابة في جريدة الإصلاح التي يصدرها من سنقفورا السيد محمد بن عقيل بن يحيى، ثم رأس تحرير جريدة الإقبال فجريدة حضرموت في سورابايا.

كما رأس سنة ١٣٤٤هـ البعثة العلمية المتجهة من جاوة إلى مصر لإلحاق المبتعثين بالدراسة في المعاهد والمدارس المصرية، ثم طلبه السادة الكاف للعودة إلى حضرموت، فغادر مصر سنة ١٣٤٥هـ حيث تولى إدارة مدرسة جمعية الحق بتريم، وتولى إلقاء المحاضرات والكتابة في الصحف.

هذا وسنذكر فيما يلي بعض المدارس المشهورة التي أسسها العلويون بجزيرة سنقفورا وهي مدرسة السقاف العربية ومدرسة الجنيد العربية.

مدرسة السقاف العربية بسنقفورا



مدرسة السقاف العربية هي المدرسة الإسلامية الأولى بسنغفورا، وقد بنيت هذه المدرسة من الأرصدة التي اعتمدها لها السيد محمد بن أحمد السقاف، وقد اقتصرت المدرسة في الخمسين السنة الأولى من إنشائها على قبول الطلاب فقط، ثم تحولت في الستين سنة الأخيرة إلى مدرسة خاصة بتعليم البنات، ولا زالت المدرسة باقية إلى هذا اليوم بشارع جالان سولطان بعد أكثر من مائة سنة على وفاة مؤسسها السيد محمد بن أحمد السقاف، ولكن بعد أن تطورت مناهجها وأصبحت تعمل بنظام اليوم الدراسي الكامل، وتدرس فيها اللغة العربية وعلوم الدين، إضافة إلى تدريس الإنجليزية والرياضيات والعلوم.

مدرسة الجنيد العربية في سنقفورا[١]



قام السيد عبد الرحمن بن جنيد الجنيد بالتخطيط لإنشاء مدرسة إسلامية كبيرة بسنقفورا على نفقة أوقاف أسرة آل جنيد، تدرس فيها شتى العلوم الإسلامية والعربية وفقه الإمام الشافعي، خاصة قاصداً بذلك نشر العلم والثقافة الإسلامية في جهة الملايا التي كانت موحدة في ذلك الوقت.

فسعى سعياً حثيثاً لتأسيس هذه المدرسة، وحصل على ترخيص الحكومة المحلية على إقامة المدرسة وجلب لها الأساتذة من الخارج، واختارهم من ذوي المكانة السامية في العلم والأدب، كما جلب لإدارتها علامة شهير وصاحب خبرة بإدارة المدارس. وقد زاول التدريس لفترة طويلة، وتولى إدارة مدرسة النهضة العلمية بسيؤن وهو السيد أبو بكر بن طه السقاف، وقد تم افتتاح مدرسة الجنيد الإسلامية بسنقفورا سنة **١٣٤٦**هـ وكان لهذه المدرسة الفضل العظيم في نشر العلم الديني والثقافة الإسلامية وتنوير أفكار الأجيال في تلك الجهات البعيدة (انتهى).

---

(١) عبد القادر بن عبد الرحمن الجنيد، العقود العسجدية في مناقب الأسره الجنيدية، صفحة **٢٦٣**.

جهود السيد محمد بن عقيل بن يحيى في مجال التعليم

ويعتبر السيد محمد بن عقيل - في وقته - من أكبر علماء العالم الإسلامي وأعظم رواد الإصلاح فيه، وقد أسس في دار هجرته بجزيرة سنغافورا دعوة إسلامية إصلاحية امتدت إلى إندونيسيا وغير إندونيسيا. وتمثلت طريقته في إنشاء الجمعيات وتأسيس المدارس ونشر الصحف، وتعتبر جريدته التي أصدرها بسنغافورا أول جريدة عربية في تلك المهاجر، وكذلك جمعيته ومدرسته التي حرص على أن تكون مدرسة عربية وإسلامية.

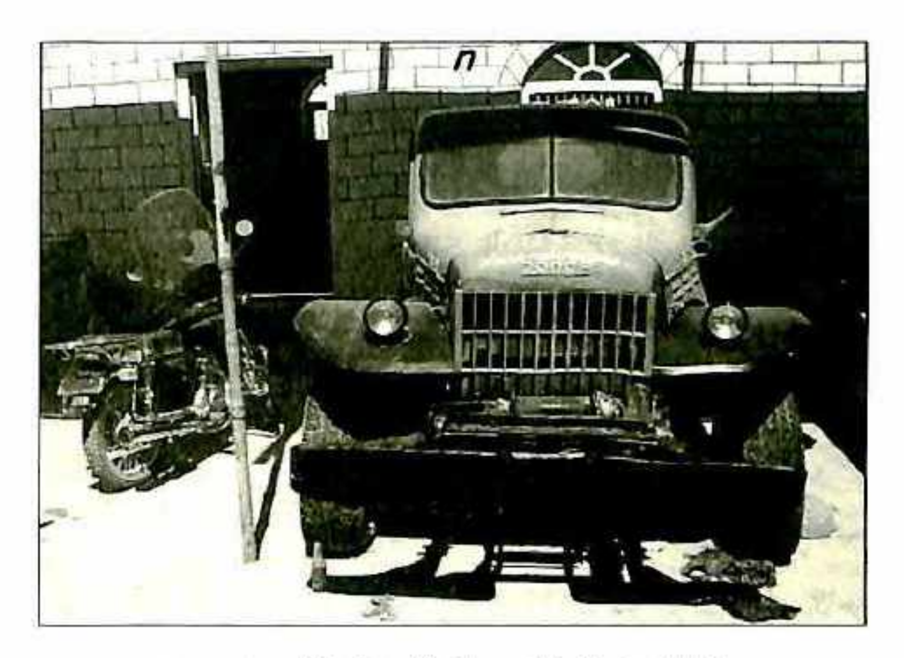
وكان تأسيس الجمعية سنة ١٣٢٢هـ وتولى رئاستها السيد أحمد السقاف، كما كانت نواةً لجمعيات الإصلاح في البلاد الجاوية كلها، وصارت مركزاً عاماً يقصده المثقفون، بل سبباً لجمع شمل العرب المتفرق في تلك المهاجر البعيدة. ثم أضاف السيد محمد بن عقيل إلى نشاطه إصدار مجلة عربية سماها (الإمام)، وأسس سنة ١٣٢٦هـ (١٩٠٨) مدرسه سماها مدرسة الإقبال، ونظراً لصعوبة الحصول على مدرسين يدرسون باللغة العربية، فقد جلب لمدرسته مدرسين من مصر، ثم صدرت بمساعيه جريدة الإصلاح التي لم تعمر طويلاً، شأنها شأن مجلة (الإمام)، وكانت هذه النهضة العربية في سنغافورا مدعاة لأن تقوم مثلها في إندونيسيا وبلدان جنوب آسيا التي كانت تصلها مجلة الإمام وجريدة الإصلاح،

فتأسست في جاكرتا جمعية خير سنة ١٣٢٤هـ وتأسست معها أول مدرسة لجمعية خير في جاكرتا وفي فلمباغ بمسعى السيد علي بن عبد الرحمن المساوي والسيد محمد بن عبد الرحمن المنور سنة ١٣٢٦. كما تأسست مدرسة سورابايا بنفس السنة بمسعى السيد شيخ بن زين الحبشي. ومدرسة في جاكرتا بمسعى السيد عبد الله بن علوي العطاس. وكلها مدارس عربية التدريس إسلامية المناهج.

وكان ابن عقيل يزور إندونيسيا بين الحين والحين لدعم النهضة فيها وبث الإصلاح بين رجالها، وكانت آخر زيارة له لجاوا سنة ١٩١٨.

الفصل الرابع والعشرون بعد المائة

سياحة الإفرنج بحضرموت



سيارة المستشرق فيلبس، ذهبَ وتركها في حضرموت

قد يندهش الإنسان من الرغبة المحمومة للمستشرقين وعلماء الغرب في زيارة حضرموت وتجشم المشاق وركوب الأخطار لأجل هذا الغرض العلمي المهم وقد وردت في هذا الفصل أسماء بعض هؤلاء المستشرقين ونبذة من أخبارهم، ثم تتابعت هذه الرحلات مع السنين وتنوعت جنسيات المستشرقين، وكتب بعضهم أبحاثاً قيمة عن حضرموت مثل البعثة الروسية التي أجرت أبحاثها بحضرموت بين سنة **١٤٠٣**هـ وسنة **١٤٠٤**هـ ثم لخص الباحث الروسيم. أ. رودينوف ما توصلت له هذه البعثة من عادات وتقاليد حضرموت الغربية في كتاب عادات وتقاليد حضرموت الغربية[١].

وذكر السيد أبو الحسن الندوي أنه يرغب في زيارة اليمن لأنه القطر العربي الوحيد الذي لا يزال على الحضارة القديمة والحياة الأولى ولا يزال على طابعه القديم، أما الأقطار العربية الأخرى فأصبحت على غرار واحد ولون واحد من الحضارة الأوروبية فلا يستفيد الإنسان من زيارتها جديداً[٢].

واعتنى بعض المستشرقين بدراسة الأدب الحضرمي والأشعار والأراجيز الحضرمية وترجمها وفسر معانيها وأساليبها، كما نشر بعض الباحثين كتباً مصورة عن مظاهر الحياة بحضرموت وفي السنين الأخيرة حلّ السواح محل الباحثين والمستشرقين حتى أنك لتندهش من وجودهم في بعض مناطق حضرموت النائية المقفرة يتجولون بين القرى وأطلال البلدان القديمة.

ولعل حضرموت كانت هي البقعة الباقية في جزيرة العرب، والتي استعصت على المستشرقين بعد أن تمكنوا حتى من الوصول إلى مكة وأداء الحج، وقد ذكر خير الدين الزركلي[٣]

---

(١) م أ رودينوف، عادات وتقاليد حضرموت الغربية، ترجمة علي صالح الخلاقي، دار جامعة عدن للطباعة.

(٢) أبو الحسن الندوي، مذكرات سائح في الشرق العربي، مؤسسة الرسالة، صفحة ٨٦.

(٣) خير الدين الزركلي، شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز، دار العلم للملايين، صفحة ٥٢٥.

نقلاً عن الدكتور دوجي في كتابه حج مكة أسماء من دخلوا مكة والمدينة من الأوروبيين ابتداءً من العام ٩٠٩هـ حتى سنة ١٣٤٨هـ وقد بلغ عددهم ١٨ مستشرقاً.

وكتب المؤرخ الأستاذ صلاح البكري[1] «ومنذ أكثر من مائة سنة اهتم الأوروبيون بجنوب الجزيرة العربية اهتماماً عظيماً، فقد ذهب إلى حضرموت كثيرون من الألمان والإنجليز والهولنديين. وأول شخص قام برحلة بالمعنى الصحيح هو أدولف فون ريدي الذي رحل إلى حضرموت سنة ١٢٤٦هـ.

ثم قام الألماني ليو هيرش سنة ١٣١٥هـ برحلة إلى حضرموت ونشرها في كتابه سنة ١٣١٥هـ بعنوان «رحلة في جنوب بلاد العرب في مهرة وحضرموت» وقد استمرت رحلته داخل البلاد سنة كاملة ذهب فيها من عدن إلى الشحر ثم سيحوت فالقشن ثم المكلا وهنا خانته شجاعته فآب إلى عدن، ولكنه عاد ثانية مزوداً بحماية الحكومة البريطانية إلى المكلا وهو أول أوروبي وقع نظره على شبام وسيؤن وتريم.

وتكلم السيد العلامة عبد الرحمن بن عبيدالله في مخطوطة بضائع التابوت عن زيارات الإفرنج لحضرموت وذكر رحلة هيرش فقال: وفي حدود سنة ١٣١٠هـ ورد أحد الألمان واسمه فيما يقال هرش إلى حضرموت ليكتشفها ويكتب رحله عنها وأشيع أنه جاسوس، وهو أول إفرنجي رأته البلاد فيما نعلم، ونزل بالقطن على ضيافة الأمير صلاح بن محمد القعيطي، وقد جدَّ في عبوره بطن الوادي، غير أن كثيراً من الناس أفهموا الحبيب عبد الله بن حسن البحر ما أشيع من جاسوسيته فاشتد في منعه وتألى بعد صلاة الجمعة في مسجد ذي أصبح أن لا يمر إلا على رأسه، فنهض بعض أعيان القبائل وقال له ما بوجهك بوجوهنا وكان الشيخ عبيد صالح بن سالمين حاضراً والمفاوضة بينه وبين الأمير صلاح بن محمد جارية على أن يخفره إلى سيوون بما يرضيه من الدراهم لكنه لم يقدر على شئ بعد رأى من

(١) صلاح البكري في جنوب الجزيرة العربية، مكتبة الثقافة الدينية بمصر، صفحة ٤١.

تحمس الحبيب عبد الله بن حسن ما رأى غير أن الألماني استطاع بمساعدة القعيطي أن يمر بطريق الجبال إلى تاربة حيث نزل على الشيخ أبي بكر بن سعيد الزبيدي، ثم سار معه ابنه الشيخ سعيد بن أبي بكر بخفارة خشنة إلى تريم ونزل بها في دار السيد عبد الله بن عبد الرحمن بن شهاب طائفة من النهار، لم يستطع فيها أن يخترق شوارع تريم لأن أهلها أغروا به الصبيان فاضطر إلى مغادرتها سريعاً. وتعالم الناس بأن الشيخ عمر باعطوة قدم له قصيدة يمدحه بها فأعظم جائزته عليها.

قال بن عبيدالله: ورأيت طنطاوي جوهري يقول: اعلم أن أول من فكر في كشف آثار آبائنا العرب مثل ثمود وسبأ وحمير ومعين ولحيان إنما هم الألمان في أواسط القرن الثامن عشر وما دعاهم لذلك إلا ما سمعه الإفرنج في أسفارهم إلى الهند عن شواطئ اليمن وحضرموت وأن عندهم آثاراً مدفونة عليها كتابات لا تعرف، وأول من فكر في ذلك ألماني يقال له منجاليس، توفي سنة ١٢٠٥هـ، فهو الذى اقترح على ملك الدنمارك أن يرسل جماعة لذلك فأرسلهم فماتوا إلا رجلاً منهم يسمى نيوبهر فقد سَلِم وكتب كتاباً عن بلاد اليمن فانتشر ذلك الكتاب في أوروبا. وفي القرن التاسع عشر عرفت اللغة الهيروغليفية بمصر فطمع علماء أوروبا في معرفة علوم جيرانها، ثم سافر رتسن الألماني سنة ١٢٢٥هـ إلى اليمن فعثر على مدينة ظفار ثم انتبه الإنقليز لذلك.

فأول الباحثين إذن كانوا من الألمان ثم الإنقليز فالفرنسيين وهم أوسع مجالاً، ومنهم هاليفي فقد بلغ مأرب سنة ١٢٨٦هـ وعاد ومعه ثمانية وستون نقشاً، ومر ببلاد الجوف ثم كشف معين وهو سائر إلى نجران، وبعد ذلك سار إلى اليمن إدوارد قلازر وهو نمساوي ونقل معه ألف نقش، وفيها كيفية سد مأرب وإصلاحه (انتهى).

ونعود للأستاذ صلاح البكري [١] الذي قال: وفي نفس السنة بعد هرش بزمن يسير

---

(١) صلاح البكري، في جنوب الجزيرة العربية، مكتبة الثقافة الدينية بمصر، صفحة ٤٢.

قام المستر تيودور بنت وزوجته برحلة ولكنهما لم يبرحا شبام ولم يصرح لهما بزيارة قبر هود وبرهوت، وقد نشرت الرحلة سنة ١٣١٨هـ في لندن وفي سنة ١٣٣٦هـ أرسلت الحكومة البريطانية ضابطين: أحدهما لي وارنر ونشر تقريرهما في المجلة الجغرافية سنة ١٣٤٩هـ.

ونشر الدكتور ويلهلم هين مقالة في المجلة الجغرافية الألمانية سنة ١٣٣٢هـ وكان قد اصطحب معه تروهين في سنة ١٣٢٠هـ وذهبا إلى القشن وهناك ظلا أسيرين لمدة شهرين جمعا في خلالها معلومات لا بأس بها عن حضرموت، وفي سنة ١٣٤٢هـ طلبت الحكومة القعيطية إلى الحكومة المصرية أن تبعث لها بمهندس لمساحة المنطقة الواقعة بين المكلا ووادي حجر وكشف ما فيها من المعادن، فأوفدت حكومة مصر الإنجليزي ليتيل الذي نشر بحثاً بالقاهرة سنة ١٣٤٣هـ بعنوان جغرافية وجيولوجيا المكلا.

وقام الكولونيل فان در ميولين قنصل هولندا في جدة برحلته الأولى لحضرموت عام ١٣٥٠هـ، واستغرقت ستة أسابيع، وصحبه فيها صديقه العالم الجغرافي الألماني الدكتور فون فيسمان ثم قام برحلة ثانية إلى حضرموت ونشر قصة رحلته في كتاب.

وتساءل الدكتور القدال[1] مترجم الكتاب عن الأهداف التي دفعت قنصل هولندا للقيام بهذه الرحلة إلى حضرموت، وأجاب على تساؤله بأن للرحلة أهدافاً متشابكة. أولها وجود عددٍ كبير من الحضارم في مستعمرة هولندا بجاوى، وتريد هولندا أن تعرف أوضاعهم في موطنهم الأم حتى تتمكن من ضبط حكمها في مستعمراتها. فالرحلة هدفها سياسي ومرتبط بسياسة هولندا الاستعمارية.

ثم قال صلاح البكري: وألف الهولندي الدكتور فان دن برخ كتاباً عن حضرموت بأمر الحكومة الهولندية، طُبع بالفرنسية سنة ١٣٠٣هـ، ومع أنه لم يذهب إلى حضرموت مطلقاً إلا أنه كتب كتابه عن حضرموت بمساعدة بعض المثقفين الحضارمة في بتافيا (انتهى).

---

(١)

ثم قال الأستاذ صلاح البكري: وبعدهما بزمن ذهبت مس ستارك إلى حضرموت وكتبت ثلاثة كتب عن رحلاتها، وبعدها سافر هارود انجرامس هو وزوجته وأصدر كتاباً طبع في سنة ١٣٦١هـ.

قال بن عبيدالله في بضائع التابوت: وفي تلك الأثناء ورد حضرموت المستشرق المشهور عبد الله فلبي (سنة ١٣٥٦هـ) وهو من أعاظم رجال الإنقليز وقد اعتنق الإسلام بمكة المشرفة وصفا له بها العيش، وكان من أخص الناس بملك الحجاز ونجد، وهو أول من اخترق السهوب الفيحاء بسيارته من الحجاز إلى نجران إلى العبر إلى حضرموت، ولما وصل تريم أظهر أن لا بد له من أدوات يحتاجها للسيارات، فركب إلى المكلا لذلك الغرض فيما يزعم والناس كافة على أنّ له أغراضاً ومخابرات سياسية مع حكومة عدن ومما يصدق ذلك ما يتعالم به الناس أنه شغل آلة البرق هناك زماناً طويلاً، ثم رجع إلى تريم وسيؤون ورجع من حيث جاء (انتهى).

وذكر الصبان [١] الرحالة السابقين وزاد بعض الأسماء على ما سبق ذكره فقال: وتتابعت الرحلات إلى حضرموت بين عامي ١٣٥٦و١٣٥٧هـ فجاء فلبي وفريا ستارك وهارولد انجرامس وزوجته وفان درميولين الهولندي وقامت كاتون تومسون بحفريات في وادي عمد وجاءت بعثة أمريكية تحت رئاسة وندل فلبس عام ١٣٧١هـ، ثم جاءت بعثة الجامعة العربية عام ١٣٧٢هـ ثم قامت بعثة معهد سمث سونيان عام ١٣٨٢هـ وأجرت مسحاً أثرياً سطحياً لوادي حضرموت بقيادة الدكتور فان بيك.

وبالرغم من الجانب العلمي لهذه الرحلات إلا أن لها ولا شك جانباً سياسياً وورد في كتاب الصور الفوتوغرافية لجزيرة العرب الصادر عن مكتبة الملك عبد العزيز هذا التعليق «وقبل الحرب العالمية الأولى جاب علماء الآثار الأوروبيون بلاد العرب وخاصة

---

(١) عبد القادر محمد الصبان، تعريفات تاريخية، صفحة ٥.

الجزيرة العربية وجمعوا المعلومات الجغرافية والإنسانية وأشهرهم الإنكليزي لورنس والفرنسي جوسين.

ويصف الكتاب الفرنسيّ جوسين فيقول[١] «إنه التحق في مصر بسلاح المخابرات وبدأ عمله كمخبر للبريطانيين في المكتب العربي الجاري تكوينه حيث التقى زملاءه باحثي الآثار خاصة ليونارد وولي ولورانس». ثم ذكر الكتاب «أن البعثة الأركيوكلوجية إلى شبه الجزيرة العربية هي الجهة التى قدمت أفضل وصف وأحدثه لمنطقة طالما استهدفتها بالخصوص اهتمامات باحثي الآثار البريطانيين الشبان الذين تحولوا عشية الحرب إلى ضباط مخابرات». انتهى[٢].

ولم يفرح العلويون بحضرموت بزيارات الإفرنج لبلادهم، مع أنهم لم يمانعوا من استقبالهم، بل إن بعض السادة آل الكاف جعلوا بيوتهم أشبه بفندق مجاني لاستقبال هؤلاء الضيوف.

ونحن نرى العلامة بن عبيدالله مثلاً لم يمانع من استقبال كل من قدم لزيارته من هؤلاء المستشرقين ويقول عن الضابط الإنجليزى إنجرامص[٣] بأنه كثيراً ما يزورني فأعجب بذكائه وتكون بيننا محاورات (انتهى). كما لم يتأخر بن عبيدالله عن مساعدة المستشرق سرجنت في مهمته العلمية. قال بن عبيدالله[٤]: ثم زارني البحاثة المؤرخ سارجنت يحمل كتاباً اسمه تاريخ المستبصر مؤلفه جمال الدين أبو الفتح الدمشقي المعروف بابن المجاور فإذا عبارته ضعيفة وبه مناقضات وتجازيف تطلب كثيراً من البساطة (انتهى باختصار).

---

(١) صور فوتوغرافية من المملكة العربية السعودية (١٩٠٧-١٩١٧م)، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، صفحة ٢٨.

(٢) صور فوتوغرافية من المملكة العربية السعودية (١٩٠٧-١٩١٧م)، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، صفحة ٢٨.

(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ١٦٦.

(٤) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صفحة ٣٩.

لكن بن عبيد الله كما ذكر في كتابه بضائع التابوت لم يستحسن من بعض أعيان حضرموت فرحهم ومبالغتهم في الاحتفاء بهؤلاء الفرنجة.

وكذلك كان الحبيب مصطفى المحضار الذي استقبل المستشرق الهولندي فان دير ميولين، ومع ذلك نجده ينتقد الفرح باستقبال هؤلاء الفرنجة فيقول في كلامه[١] في ذم لهذه الاستقبالات «ومن اتفق بكافر كأنه بالكرامة ظاهر ويا خزوة المسلمين وفرحهم بالكافرين، أما في الأراضي البعيدة قلنا في طلب معيشه وأما في هذه السواحل وبرورها وتقريب كفورها فأخيبه لجارها ومجرورها ومن سعى فيهم فهم من الفسالة على شفيرها».

ثم يتوقف الحبيب مصطفى عن الكلام حتى لا يثير غضب السادة بتريم ويقول: «وذا باب معاد بانطول فيه الكلام ونعود إلى خصام وخلهم وربهم يسدون ولا بانقول عن سبيله يصدون».

ويستغرب الحبيبي مصطفى المحضار من اهتمام الفرنجة بحضرموت على فقرها وحقارة معيشتها ويدعو لها بالحفظ فيقول[٢]: «ويا راد الضالة نظّف هذه البلاد من جميع الأضداد فإنها يا رب بلاد المسلمين وأحقر بلاد العالمين، وأفقر بلاد المشرقين، مخدع آل باعلوي ولا أحد إليها يلوي ولا هي على بال أحد من قرب أو بعد ولا إليها شطة (انتهى باختصار). وقال أيضاً في نفس الموضوع[٣] «وكل يوم تظهر عينه من الفئات اللعينة وايش بغوا من حضرموت لا ماء ولا قوت مخدع للعلويين ما هي مهيع للملاعين (انتهى باختصار).

واستكمالاً للفائدة نذكر ما كتبه إبراهيم بك حليم[٤] عن طرق الدول الأوروبية في

---

(١) محمد عبدالله المحضار، خواطر وأفكار الحبيب مصطفى المحضار، تريم للدراسات والنشر، صفحة ١٤٩.

(٢) محمد عبدالله المحضار، خواطر وأفكار الحبيب مصطفى المحضار، تريم للدراسات والنشر، صفحة ١٥٠.

(٣) محمد عبدالله المحضار، خواطر وأفكار الحبيب مصطفى المحضار، تريم للدراسات والنشر، صفحة ١٥٠.

(٤) إبراهيم بك حليم، تاريخ الدولة العثمانية العلية، الناشر مؤسسة الكتب الثقافية، صفحة ٧.

التدخل فقال: «ومبادئ الاغتصاب أنهم يبعثون رجال السياسة الموصوفين بما ذكر آنفاً جواسيس ويسمون أنفسهم سواحين إلى البلاد والأقطار ويساعدونهم بكل ما يلزمهم من مال ورجال وسلاح وغير ذلك، فهؤلاء ينظرون البلاد بعين الناقد البصير ويحررون مذكرات بما يرونه من الأحوال وعوائد البلاد وطباع أهاليها وما يلزم إجراؤه من وجوه الاحتيال بما يناسب لكل قطر وبلد وبعد عودتهم إلى بلادهم يعرضون هذه المذكرات ويزيدون عليها بأحاديثهم الشفاهية». (انتهى).

وذكر غسان محمد الرمال[١] في كتابه صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر أن البرتغاليين في القرن الخامس عشر كانوا حريصين على جمع المعلومات قبل تنفيذ خططهم، فقال بأنَّ اثنين من الجواسيس البرتغاليين انطلقوا من جزيرة رودوس وتظاهرا بالتجارة كغيرهم من الألوف الذين تغص بهم موانئ الدولة المملوكية على السواحل المصرية ومن القاهرة انطلق الاثنان مع جماعة من التجار العرب إلى الطور ومن ثم إلى سواكن ثم عدن.

وذكر أيضاً في موقع آخر من نفس الكتاب[٢] أنه قبل أن يقلع فاسكودي جاما بحملته سنة ٩٠٢هـ زود بنسخة من ترجمة رحلة ابن بطوطة وغيره من الرحالة العرب، وكذلك بنسخة من تقارير الجاسوس البرتغالي دي كوفلهام.

أما الدكتور أحمد عبد الحميد غراب فيوضح كتابه رؤية إسلامية للاستشراق الهدف من رحلات المستشرقين العلمية إلى حضرموت وغيرها من بلاد العالم الإسلامي، ويستعرض في بداية بحثه أهمية الجغرافيا والجمعيات الجغرافية في تلك الحقبة الاستعمارية فيقول: اكتسبت الجغرافيا أهمية كبيرة بالنسبة للدولتين الاستعماريتين (بريطانيا وفرنسا): ففي سنة ١٢٨٨هـ أعلنت الجمعية الجغرافية في باريس أن نشاطاتها لم تعد محصورة في «التأملات العلمية» ودعت

---

(١) غسان علي الرمال، صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر، صفحة ٨٢.

(٢) غسان علي الرمال، صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر، صفحة ٦٥.

إلى التنافس من أجل انتصار الحضارة الغربية على الهمجية (الشرقية طبعاً). وأبرزت النشرات الحكومية الرسمية مزايا ومنافع الرحلات الاستكشافية الجغرافية، والمغامرات الاستعمارية، والفرص المغرية في أفريقيا، واستكشاف النيل الأزرق، وتحولت الجغرافيا العلمية إلى جغرافيا استعمارية. وأعلن بعض المتحمسين للجمعيات الجغرافية أنها «تكونت لتحريم السحر القاتل الذي يقيدنا بالأغلال داخل شواطئنا». ولذلك شجعوا الرحلات والاستكشافات الجغرافية، إذ بواسطتها يتحقق التوسع الاستعماري، كما يتحقق اتخاذ الشرق مزرعة للغرب.

وفي بريطانيا كان الاستعماري البريطاني لورد كيرزون رئيساً للجمعية الجغرافية سنة ١٣٣٠هـ (١٩١٢م) عندما أعلن أن ثورة قد حدثت في الجغرافيا ليس فقط في منهج تدريسها بل وكذلك في احترام الرأي العام وتقديره لها: «فقد أصبحت المعرفة الجغرافية جزءاً ضرورياً من الثقافة العامة وعن طريقها نفهم عمل القوى الطبيعية وتوزيع السكان ونمو التجارة، وتوسع الحدود وتطور الدول، والإنجازات العظيمة للطاقة الإنسانية في مختلف مظاهرها. إن الجغرافيا خادمة للتاريخ، وشقيقة للاقتصاد والسياسية، ومتصلة بعلوم أخرى كثيرة منها: طبقات الأرض، والحيوان، والإنسان، والكيمياء، والطبيعة ومن ثم فهي ضرورية لمفهوم المواطن المهتم بالشؤون العامة.

ويواصل الدكتور غراب فيقول: ولذلك كانت خريطة العالم الشرقي والإسلامي تثير فيهم ذلك الفهم الاستعماري الذي يدعوهم إلى احتلاله واستغلال ثرواته، وبخاصة تلك المناطق التي سموها المناطق الخالية والتي دعوا إلى الرحيل إليها واحتلالها. ولم تكن في الواقع خالية بل كانت مأهولة بسكانها الأصليين، ولكن هذا لم يكن يهم المستعمرين كثيراً، لأن السكان الأصليين بدو متخلفون، وهنا تقدم النظريات العنصرية التبرير العلمي لاحتلال الغرب المتفوق عرقياً وحضارياً للشعوب المتخلفة.

وتكلم الدكتور عبد الحميد غراب عن الكليات والمعاهد والمراكز التي تقوم بالدراسات الاستشراقية فقال وكلها مؤسسات «أكاديمية» تابعة للجامعات أو التعليم العالي، وتعد

أخطر مؤسسات الاستشراق التي ارتبطت منذ نشأتها في الغرب بخدمة الاستعمار، كما رأينا في مدرسة اللغات الشرقية الفرنسية التي كان المستشرق دي ساس مديراً لها، والتي أسست سنة ١٢١٠هـ في باريس .

ولعل أبرز مثال في بريطانيا هو إنشاء مدرسة (كلية) الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن فقد كان اللوردان كيرزون وكرومر (وهما من أشهر الشخصيات الاستعمارية البريطانية) عضوين متحمسين في لجنة تكونت سنة ١٣٢٧هـ للمطالبة بإنشاء مدرسة (كلية) للدراسات الشرقية. (كان كيرزون يتحدث دائماً عن الشرق كأنه ملكية خاصة لبريطانيا، أي أن العلاقة بين بريطانيا والشرق علاقة تملك وأن المالك حاكم استعماري كفء.

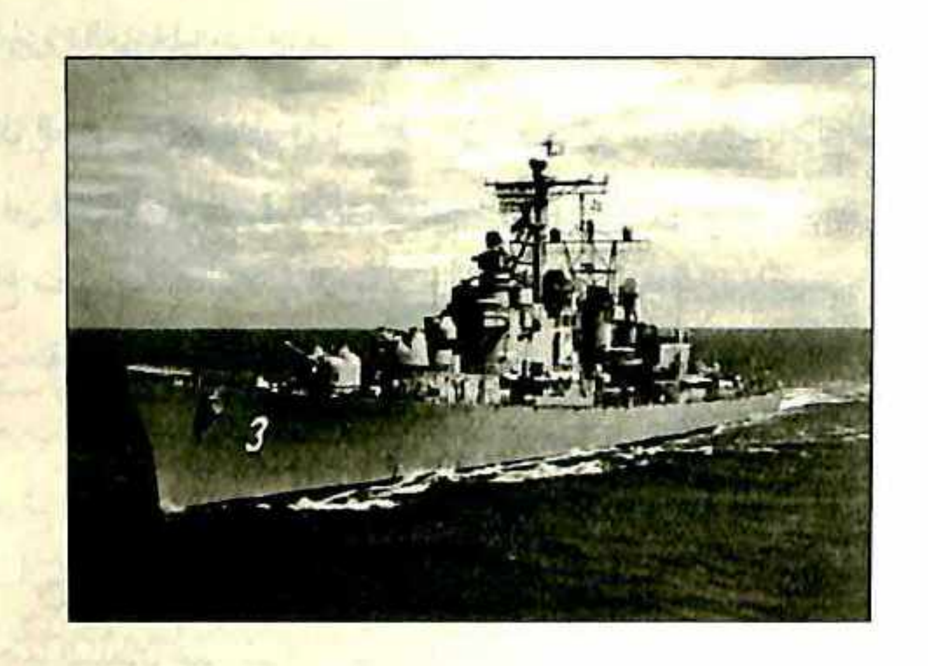
وفي سنة ١٣٢٧هـ قال كيرزون في مجلس اللوردات: «إن معرفتنا الوثيقة ليس فقط بلغات الشعوب الشرقية، بل كذلك بمشاعرها وتقاليدها وتاريخها ودينها، ومقدرتنا على فهم ما يمكن أن يسمى عبقرية الشرق وكل ذلك هو القاعدة الوحيدة التي يمكن على أساسها أن نحافظ في المستقبل على وضعنا الذي اكتسبناه. وليس هناك خطوة تتخذ لتقوية هذا الوضع يمكن أن توصف بأنها لا تستحق اهتمام حكومة صاحب الجلالة، أو (إجراء) حوار عنها في مجلس اللوردات».

وفي سنة ١٣٣٢هـ (١٩١٤م) أعلن كيرزون في أحد المؤتمرات أن الدراسات الشرقية ليست ترفاً عقلياً، وإنما هي مسؤولية إمبراطورية عظيمة، ومن ثم فإنّ إنشاء مدرسة (كلية) للدراسات الشرقية والأفريقية في جامعة لندن هو «جزء من الأثاث الضروري للإمبراطورية». ولذلك تعد المساهمة في إنشاء تلك الدراسات أداءً لواجب وطني نحو الإمبراطورية. (انتهى النقل عن الدكتور غراب).



الفصل الخامس والعشرون بعد المائة

وصول الإنجليز إلى جنوب بلاد العرب



كتب الأستاذ صلاح البكري[1] عن احتلال الإنجليز لعدن فقال: منذ عهود قديمة كانت عدن من أعظم الأسواق التجارية في جنوب شبه الجزيرة العربية وقد خضعت لدول كثيرة ولما ضعفت الدولة العثمانية صار أمر عدن وابين ولحج إلى يافع (١٠٤٠-١٠٥٣هـ) ثم جاء صفي الإسلام أحمد بن الحسن اليمني بجيش سنة ١٠٥٣هـ وهزم الأمير حسين اليافعي واحتل عدن ثم آل أمر عدن إلى العبادلة حكام لحج سنة ١١٤٥هـ.

وعندما قامت فرنسا باحتلال مصر سنة ١٢١٣هـ (١٧٩٨م) بدأ اهتمام الإنجليز بجنوب الجزيرة العربية ليؤمنوا طرقهم البحرية إلى مستعمراتهم بشبه الجزيرة الهندية.

قال العلامة بن عبيدالله في مخطوطة بضائع التابوت[2]: إن الإنقليز انتبهوا لذلك وارتاعوا من غزو نابليون لمصر فسعوا في حصول قواعد لهم على ساحل البحر الأحمر، وعندما تم اختراع سفن البخار اقترحوا أن تكون المكلا وعدن محطتين للفحم فأرسلوا في سنة ١٢٥٠هـ بعثة تحت رئاسة الملاح هينز فقضى بسفينته الصغيرة ثلاث سنوات يمسح سواحل جزيرة العرب ووصل عدن ثم المكلا وهي إذ ذاك صغيره لا يزيد سكانها عن ٤٥٠٠ ثم ابحر إلى الشحر ثم إلى قصيعر ثم إلى سيحوت ودارت بينه وبين سلطان المهرة مفاوضات وفي سنة ١٢٥٩هـ أتيح لهينز أن يمسح سواحل سقطرى فعرف أنها مناسبة لاستيداع الفحم، فعرض على صاحبها السلطان عمر المهري ثمناً طائلاً فامتنع وقال إنها هبة من الله للمهريين تلقاها الأحفاد عن الأجداد فلن أضيعها عليهم.

ولما أخفق الإنكليز في سقطرى، اتجهوا إلى عدن إذ لم يجد الإنجليز مكاناً أصلح لتموين بواخرهم بالفحم من عدن فاتفقوا في عام ١٢٤٥هـ مع سلطان لحج على استعمال عدن محطة للفحم، وفي نفس الوقت كان الإنجليز يتحينون الفرص لاحتلال عدن فوافتهم الفرصة سنة

---

(١) صلاح البكري، في جنوب الجزيرة العربية، مكتبة الثقافة الدينية، صفحة ١٤.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء ٢ من الجزء الثاني، صفحة ١٥٠.

١٢٤٢هـ عندما جنحت السفينة الهندية (داريا دولت) التي ترفع العلم الإنجليزي على ساحل عدن فسطا الأعراب على بضائع السفينة ونهبوا ركابها وادعى الإنجليز أن قائد المهاجمين هو الابن الأكبر لسلطان لحج.

ثم تمكن الكابتن الإنجليزي هينز من الاتفاق مع سلطان لحج على التخلي عن عدن مقابل مبلغ من المال، ثم ندم السلطان على تساهله وتراجع عن هذا الاتفاق فعاد هينز إلى بومباي ثم عاد إلى عدن فواجه مقاومة عربية فانسحب إلى جزيرة صغيرة ينتظر الإمدادات فوصلته في سنة ١٢٤٥هـ (١٨٢٩م) فحمل على عدن وتمكن من احتلالها خلال يومين.

قال بن عبيدالله[١] ويقال إن محمد علي باشا عندما سمع بوقوع عدن في يد الإنقليز وكان جنوده حينئذ بساحل تهامة قال لقد أخذوا عين اليمن في يوم واحد بينما كنت أنا أطمع فيه عبثاً منذ سنين (انتهى النقل).

قال البكري: وكتب محمد علي باشا لقائده باليمن إبراهيم يكن باشا يستفسر عن الوضع ويأمره بعدم السماح للصناع وأرباب الحرف بالتوجه من المخا إلى عدن.

إلا أن الكابتن هينز شرع في تقويض النفوذ المصري باليمن بالتودد بالهدايا والمرتبات إلى مشائخ القبائل المجاورة لعدن وتحريضهم على عدم دفع الزكاة المفروضة لحكومة اليمن المصرية وقد نجح في ذلك إلى حد كبير.

ثم بدأ الإنجليز في الضغط على محمد علي باشا عندما علموا برغبته في إرسال الجيوش لتقوية المراكز المصرية باليمن وطلبوا منه سحب جيشه من اليمن، إلا أن محمد علي باشا لم يذعن للتهديد البريطاني مما يدل على قوته وقدرته على مواجهة أكبر إمبراطورية في ذلك الوقت، إلا أن سياسة الدول العظمى مجتمعه كانت تعمل ضد محمد

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء ٢ من الجزء الثاني، صفحة ١٥٠.

علي باشا وتخاف من إمكانية نجاحه في تأسيس إمبراطورية مصرية قوية تخلف الدولة العثمانية وتفسد على الدول العظمى خططها في اقتسام ممتلكات الدولة العثمانية خصوصا وأنه قد نجح في حملته على اليونان ووصلت جيوشه إلى قلب إفريقيا فاجتمعت عليه الدول العظمى الإفرنجية واضطرته إلى سحب جيشه من اليمن سنة ١٢٥٦هـ.

وكان العلويون قد استبشروا بوصول محمد علي باشا إلى اليمن وتمنوا ان يصلهم إلى حضرموت فسيروا له كتاباً يطلبون فيه أن تكون حضرموت خاضعة للحكومة المصرية التي ينشئها باليمن إبراهيم يكن باشا خصوصاً وأنهم كانوا يرزحون في تلك الفترة تحت الحكم الغاشم للطوائف اليافعية المستبدة وتوجد بالمحفوظات الملكية بقصر عابدين صورة من الرسائل التي طالب فيها أعيان حضرموت بإرسال موظفين وجنود لتنظيم أحوال حضرموت وإعادة الأمن عليها ووقع عليها الزعيم محسن بن علوي السقاف والسيد علي بن عمر بن سقاف والشيخ سالم بن حماد باعبيد[١].

وأضاف بن عبيدالله[٢] بعض التفاصيل فقال: إن هينز جاء في ايام السلطان محسن بن فضل يطلب منه موضعاً للفحم ووعده المواعيد ومنّاه الأماني وأفاض عليه وعلى خاصته الهدايا فأعطاه السلطان خيصة كمندر ثم ما زال يزين له نحت طريق بالجبل الذي بين التواهي وعدن فأذن له وشرع في شق الجبل حتى فتح الطريق، أما النفق الذي يخرج بالجبل إلى جهة الشيخ عثمان فقد كان حفره أيام حمير.

وفي سنة ١٢٥٤هـ وصل بعض رؤساء الإنجليز ورغب إلى السلطان محسن فظل تسليم عدن إليه إزاء ثمانية آلاف ريال يدفعونها له كل سنة، فلم يقبل، فطالبه بها أنفق في قطع الجبل وغيره من الإصلاحات التي قام بها في عدن وهي مبالغ جسيمة فلم يقدر على الدفع

(١) صلاح البكري، في جنوب الجزيرة العربية، مكتبة الثقافة الدينية، صفحة ١٧.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ١٥٠.

فراجعت حكومة الإنجليز في ذلك الباب العالي بالآستانة فكان جوابها إن لم يدفع لكم ما عنده فشأنكم وإياه. وتحصلت بذلك على وثيقة من السلطان عبد المجيد فلم يكن من ذلك الرئيس الإنجليزي إلا أن حاصر عدن بما كان عنده من القوات ثم تتابعت له النجدات والتحم القتال فتراجع العبدلي وسلم عدن وفي سنة ١٢٥٥هـ انعقدت معاهدة بينه وبين الحكومه الإنجليزية وتعهدت له ثم لأولاده من بعده بستة آلاف ريال في كل سنة غير أن السلطان محسن كلما ظن سنوح الفرصة وثب على الإنجليز وفعل ذلك عدة مرات ولكنه انهزم فيها جميعاً نظراً لقوة الإنقليز وأسلحتهم الحديثة ثم إنه رجع وصالح الإنقليز في سنة ١٢٥٩ وأجروا له مما رتبوه (انتهى).

ولم يكن العلويون بحضرموت راضين بسقوط عدن في أيدي الإنقليز، كما يدل على ذلك كتاب السلطان أحمد بن عبد الله الفضلي[1] للحبيب حسن بن صالح البحر مؤرخ سنة ١٢٦٥هـ والذي يقول فيه: ومن طرف الكافر الذي في عدن أمرتوا نحن نحاصره فقد حاصرناه في الحجة، ولكنه كتب للمساعدين له الطامعين في دنياه وتعاونوا علينا هم وإياه ونحن إن شاء الله متمسكين بالشريعة ومعتصمين بدعائكم بالنصر والظهور على الكافر ومن عاونه من المفسدين (انتهى).

قال بن عبيدالله[2] وبعد سقوط عدن بيد الإنقليز كتب الشيخ أحمد بن محمد الميار السكندري الشاذلي كتاباً لأعيان العلويين بحضرموت يتذمر من استيلاء الإنجليز على عدن ويطالبهم بمقاومته، إلا أن العلويين كانوا يعيشون أسواء مراحل حياتهم في تلك الفترة المضطربة التي حكمت فيها الطوائف اليافعية حضرموت، وما حصل أثناء هذه الفترة المظلمة من عسف وظلم بالرعية.

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ٤٠.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ١٥١.

فلم يستطع العلويون أكثر من الطلب من الحبيب أحمد بن محمد المحضار بإرسال رد على خطاب الشيخ السكندري مع شرح فضل الجهاد. ومن ما جاء في رد الحبيب أحمد المحضار «البدار البدار السباق السباق يا طلاب فضل الخلاق وقد أخذ علينا الميثاق بتحمل المشاق في الذب عن دين صاحب البراق، وقد حل بنا ما لايطاق وبلغت النفوس التراق وسالت الدموع على الآماق وظهر الإفرنجي بجزيرتنا وضرب عليها الرواق وقيل من راق ونادى المنادي ولم تجبه الرفاق، إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق وتمضي الرسالة طويلة تدعو الحضارمة بقوة لجهاد الكفار بالمال والنفس».

قال بن عبيدالله: وبعد موت السلطان محسن فضل تولى بعده ابنه أحمد محسن فضل ثم علي محسن فضل ثم فضل بن علي محسن ولهذا السلطان تعلق كبير بأراكين العلم والصلاح بحضرموت مثل الأستاذ الأبر عيدروس بن عمر والحبيب عبد الله بن حسن بن صالح وغيرهم، وبينه وبينهم مكاتبات يوجهون له فيها النصائح بالعدل بين الرعية.

قال بن عبيدالله: وفي سنة ١٢٩٨هـ انعقدت بين السلطان فضل بن علي وبين حكومة عدن معاهدة تمنع السلطان عن معاملة أية دولة أخرى أو أية سفينة بالبحر إلا بالإجازة من حكومة عدن، وبذلك انسحب عليها حكم الحماية وفي أيامه أيضاً انفصلت قرية الشيخ عثمان عن إمارة لحج وألحقت بحكومة عدن بمساعدة عم السلطان محمد محسن وقاضي لحج السيد عمر حسين برشوة تسلماها من الإنقليز، فما زالا بالسلطان حتى أمضى على الوثيقة المكتوبة في ذلك ثم ندم حيث لا ينفع الندم، ويقال أنه جفا بعد ذلك عمه وأحس السيد عمر حسين بالشر فهرب في زي امرأة إلى بير أحمد، ثم إلى شقره، ومنها إلى الهند حيث مكث بها خمس سنوات حتى عفى عنه السلطان وسمح له بالرجوع وتوفي السلطان فضل بن علي في الحجة سنة ١٣١٥هـ (انتهى).

علاقة الإنجليز بحضرموت



ملكة بريطانيا تقلد السيد أبا بكر بن شيخ الكاف وسام الإمبراطورية

تحدثنا فيما سبق عن احتلال الإنجليز لعدن، ونتحدث الآن عن بداية اهتمام الإنجليز بحضرموت وقد بدأ ذلك بعد قيام الدولة العثمانية بتجهيز حملة بحرية بقيادة السيد إسحاق بن عقيل بن يحيى سنة ١٢٦٥هـ لمساعدة آل كثير على احتلال الشحر، وبترتيب كامل مع العلويين المناصرين للدولة الكثيرية بحضرموت، وكان الإنجليز حريصين إلا تمتد سلطة العثمانيين إلى أي نقطة يمكن أن يهددوا منها الطريق البحري إلى الهند ولهذا كانت هذه الحملة مهمة في لفت أنظار الإنقليز إلى حضرموت.

وكان الإنقليز بعد احتلالهم عدن قد عملوا على تقويض سلطة محمد علي باشا باليمن حتى أرغموه على سحب قواته كلها من اليمن، ثم عاد العثمانيون مرة أخرى وتمكنوا من احتلال شمال اليمن سنة ١٢٨٩هـ وشعر الإنقليز لأول مرة بالخطر الشديد يتهدد وجودهم

بعدن فقاموا بتوطيد علاقتهم مع مشائخ وسلاطين المحميات المحيطة بعدن، وعقدوا معاهدات الحماية مع القبائل المحيطة بعدن، ثم اتجهت أنظارهم إلى حضرموت وبقوا يراقبون الوضع خوفاً من حصول العثمانيين على موطىء قدم بحضرموت، ويتحينون الفرصة لإدخال حضرموت تحت حمايتهم.

ثم نجح حاكم عدن وليام كوجلان في إيجاد مسوغ للاتصال بحكام المكلا والشحر في سنة ١٢٨٠هـ عندما أبرم معاهدة مع كل من نقيب المكلا صلاح بن محمد الكسادي ونقيب الشحر علي بن ناجي بن بريك بمنع وتحريم تجارة الرقيق في مينائي الشحر والمكلا واستخدمت بريطانيا هذه المعاهده لتعزيز نفوذها في الشحر والمكلا[١].

وتدخل الإنجليز في الصراع الدائر بين الكثيري والقعيطي على الشحر في يناير سنة ١٢٨٤هـ عندما أرسلوا من الهند ببعض الأسلحه والذخائر والمدفعية[٢] لتقوية المركز الحربي للقعيطي فاستعان الكثيريين بالدولة العثمانية فأرسل العثمانيون سفينة حربية في سنة ١٢٨٤هـ وطلبوا من القعيطي التخلي عن الشحر للعثمانيين تمهيداً لعقد الصلح بين الطرفين إلا أنَّ بريطانيا تدخلت لدى الباب العالي لمنع التدخل في الشوؤن الداخلية لحضرموت[٣].

ولما توجهت القوات الكثيرية نحو المكلا في سنة ١٢٨٦هـ مستعينين بالعثمانيين للانتقام من الكسادي الذي شارك في الحملة القعيطية على حضرموت اشتكى الكسادي للقائم بالأعمال البريطاني من الزيارات المريبة للسفن الحربية العثمانية ومن تحرشات القعيطي وآل كثير وأنه يرغب في وضع نفسه تحت الحماية البريطانية ويبدي استعداده لوضع المكلا تحت نفوذ الإنجليز[٤].

---

(١) ثابت صالح اليزيدي، الدولة الكثيرية الثانية، دار الثقافة العربية، صفحة ١٩٣.

(٢) ثابت صالح اليزيدي، الدولة الكثيرية الثانية، دار الثقافة العربية، صفحة ١٩٤.

(٣) ثابت صالح اليزيدي، الدولة الكثيرية الثانية، دار الثقافة العربية، صفحة ١٩٥.

(٤) ثابت صالح اليزيدي، الدولة الكثيرية الثانية، دار الثقافة العربية، صفحة ١٩٥.

ورغم أن هذه الزيارات العثمانية لم تكن إلا زيارات فردية لبعض الموفدين الأتراك إلا أن الكسادي حاول أن يستغلها لتأكيد وجهة نظره لمعرفته بحساسية الإنجليز تجاه التواجد العثماني بسواحل حضرموت، إلا أنَّ بريطانيا أخبرته بأنه يمكنها مخاطبة الدولة العثمانية لوقف تدخلها في شؤونه، ولكن مطلب الحماية غير قابل للتنفيذ حيث أن بريطانيا كانت منشغلة في تثبيت أقدامها في عدن وإخماد أي محاولة للمقاومة[١].

وكانت بريطانيا حتى هذه اللحظة منشغلة بمراقبة النشاط العثماني في حضرموت ومنع تدخل العثمانيين في الشؤون المحلية لحضرموت.

ثم سنحت الفرصه للإنجليز بالتدخل في شئون حضرموت عندما دب الخلاف بين القعيطي والكسادي أمير المكلا وحصلت بينهما المناوشات العسكرية، فطلب الكسادي سنة ١٢٩٠هـ من حاكم عدن الجنرال شنايدر تدخل السلطات البريطانية في عدن لمساعدته في نزاعه مع القعيطي[٢].

قال بن عبيد الله[٣] وفي أثناء المناوشات بين الكسادي والقعيطي أقبلت باخرتان انجليزيتان من عدن أرست إحداهما في بروم وبقيت الأخرى تتردد بين الشحر والمكلا وبروم وعقد الإنقليز هدنه بين المتحاربين لمدة نصف شهر ثم أخرج الإنقليز القعيطي وجماعته بما معه من الأسلحه والذخائر في سفينتين شراعيتين قادتها الباخرة الإنقليزيه إلى الشحر، ثم أقبلت بعد ذلك باخرتان إنقليزيتان تطلبان وصول الكسادي إلى عدن للإصلاح بينه وبين القعيطي، وهناك خير الإنقليز النقيب الكسادي ثلاث خيارات: إما أن يبيع نصف المكلا للقعيطي أو يشترى نصف القعيطي من المكلا ويدفع الثمن في الحال أو أن يحكم المكلا مناصفة مع القعيطي فلم يرض النقيب بأي من هذه الخيارات.

---

(١) ثابت صالح اليزيدي، الدولة الكثيرية الثانية، دار الثقافة العربية، صفحة ١٩٧.

(٢) ثابت صالح اليزيدي، الدولة الكثيرية الثانية، دار الثقافة العربية، صفحة ٢٠٠.

(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء ٢ من الجزء الثاني، صفحة ٧٥.

وعاد الكسادي إلى المكلا يقضم أنامله من الغيظ، وبعقب ذلك أرسل الإنجليز بثلاث بواخر من عدن، استولت الأولى على بروم وأرست الأخريان بالمكلا تتهددان النقيب الكسادي إن لم يختر واحدة من الخيارات الثلاث السابقة، فلم يكن من النقيب الكسادي إلا أن عزم على الرحيل فتحمل بمن معه وعدتهم ثماني مئة نفس في عشر من السفن الشراعية الكبار ورحل عن المكلا إلى زنجبار، وبخروجه انتهت الإمارة الكسادية في سنة ١٢٩٨هـ. وبعد استيلاء القعيطي على المكلا تطورت العلاقات البريطانية القعيطية تطوراً كبيراً ووقعت معاهدة «(الصداقة» بين الطرفين سنة ١٢٩٩هـ، وفيها إشارة صريحة إلى المساعدة البريطانية للقعيطي في احتلال المكلا وبروم[1]، ثم قامت الحكومه البريطانية بتوقيع معاهدة (الحماية) مع الدولة القعيطية في سنة ١٣٠٥هـ (١٨٨٨م)

ونقل الأستاذ بامطرف ما حصل للنقيب الكسادي بعد مغادرته المكلا ووصوله عدن نقلاً عن رسالة كتبها النقيب الكسادي نفسه يقول فيها: إنه لم يسمح لي ولا للذين كانوا برفقتي بالنزول في عدن ولم يسمح لي حاكم عدن بمقابلته، ولو لخمس دقائق، ولم يرد على مكتوب بعثت به إليه. ولقد صعد كل من الكابتن هنتر وصالح جعفر إلى ظهر السفينة الشراعية التي كنت بها وطلبا مني التوقيع على عقد البيع «بيع المكلا وبروم» وكان مكتوباً باللغة الإنجليزية فرفضت أن أوقعه وهكذا تركت أنا وأفراد عائلتي وأتباعي وعددهم ٢٨٠٠ شخص ذكوراً وإناثاً مدة اثنين وعشرين يوماً على ظهر السفن الشراعية في الميناء، فمات خلال هذه المدة من جماعتي ١٥٠ شخصاً، وبعد مضي وقت سُمح لبعض الذين كانوا معي بالنزول إلى الميناء، وطُلب من الآخرين أن يذهبوا إلى حيث شاؤوا، ولم يسعني إلا أن أسلك الطريق المؤدية إلى سلطنة زنجبار (انتهى)[2].

---

(١) ثابت صالح اليزيدي، الدولة الكثيرية الثانية، دار الثقافة العربية، صفحة ٢١٣.

(٢) محمد عبد القادر بامطرف، في سبيل الحكم، دار الهمداني للنشر والتوزيع، صفحة ١٥٠.

أما لماذا فضل الإنجليز القعيطي على الكسادي فلا أظن أن السبب هو العرض الذي قدمه عبد الحبيب بن عامر القعيطي إلى حاكم عدن بأن يضع القعيطي الشحر والمكلا ومتعلقاتها تحت السيادة البريطانية[١]. فالإنجليز لا يعطون مثل هذه التعهدات أية أهميه ولكن ما أعتقده أن الإنجليز يعرفون حق المعرفة مصالح القعيطي الحيوية بالهند والتي يعتمد عليها لبقاء نفوذه في حضرموت، وهناك يستطيع الإنجليز بسهولة تهديد مصالح القعيطي ليفرضوا عليه ما يريدونه بحضرموت.

بل ربما يكون هذا هو السبب الذي دعى الإنجليز لتقليص النفوذ الكثيري إلى ابعد درجة حتى أصبحت الدولة الكثيرية مثل إمارة موناكو بالنسبة لفرنسا إذ إنْ لم يكن بإمكان الإنجليز بدون مساعدة القعيطي أن يفرضوا إرادتهم داخل حضرموت لأن سياسة بريطانيا في جنوب الجزيرة العربية تعتمد على تحريض القبيلة المؤيدة لبريطانيا على الأخرى الرافضة، وهذا يقلل الاعتماد على القوات البريطانية الإضافية[٢].

وقد أعطى الإنجليز إشارات للقعيطي ليعرف أن مصالحه في الهند مهددة من الإنجليز وتحت رحمتهم فقد ذكر الأستاذ بامطرف أن بريطانيا سمحت في سنة ١٢٩٥هـ للجمعدار عوض بن عمر القعيطي بالسفر إلى حيدر أباد بعد أن كانت قد أوقفته بالشحر لمدة ستة أشهر، وكان سماح الحكومة البريطانية له بالسفر مقيداً بشرطَين: الأول أن لا تطول إقامته بالهند أكثر من شهر والثاني أن يصفي أعماله وأمواله هناك ويستقيل من خدمة النظام وينقل أسرته من حيدر أباد إلى حضرموت [٣].

وقد رأينا كيف استفاد الإنجليز من الخلاف بين القعيطي والكسادي لمصلحتهم حيث

---

(١) محمد عبد القادر بامطرف، في سبيل الحكم، دار الهمداني للنشر والتوزيع، صفحة ١١٣.
(٢) ثابت صالح اليزيدي، الدولة الكثيرية الثانية، دار الثقافة العربية، صفحة ٢١٨.
(٣) محمد عبد القادر بامطرف، في سبيل الحكم، دار الهمداني للنشر والتوزيع، صفحة ١٠١.

أن الإنجليز لا يضيعون هذه الفرص لذا نجدهم ينتهزون فرصة أخرى ظهرت للتدخل في الشؤون القعيطية، وذلك عندما نشب الخلاف عقب وفاة الأمير عبد الله بن عمر القعيطي بين ولديه الأمير حسين والأمير منصر وعمهما عوض بن عمر بسبب مطالبة الأميرين بحقهما في ممتلكات أبيهما. وقد تدخل المقيم السياسي في عدن لحل النزاع بين الجانبين كما تم تحكيم منصب عينات السيد أحمد بن سالم، ولكن الأمر استغرق حوالي السنة وفي النهاية وقفت بريطانيا بشدة في جانب السلطان عوض بن عمر القعيطي[١].

ثم سعت بريطانيا إلى الحصول على اعتراف العثمانيين بنفوذها في جنوب الجزيرة العربية مستغلة ضعف الدولة العثمانية وما تجابهه من مشاكل في أراضيها الشاسعة، فتم في الفترة بين ١٣٢٠-١٣٢٢هـ تحديد الحدود بواسطة اللجنة الأنجلو عثمانية، وتم الاتفاق النهائي على ذلك في عام ١٣٣٢هـ وهكذا نجحت السياسة البريطانية في إبعاد النفوذ العثماني عن حضرموت وفرض الهيمنة على الدولة القعيطيه بفضل معاهدة الصداقة ثم معاهدة الحماية أما الدولة الكثيرية فقد استمرت علاقتها بالدولة العثمانية[٢] لفترة أطول.

ولما قامت الحرب العالمية الثانية ودخلت تركيا إلى جانب ألمانيا ضد بريطانيا وفرنسا، خاف الإنقليز أن تثور الحمية الإسلامية وتدفع القبائل إلى جهاد الكفار خصوصاً وأنَّ الوالي العثماني في اليمن محمود نديم باشا كتب إلى سلطان لحج يحثه على إعلان الجهاد الإسلامي ضد الإنجليز لنصرة الدين الحنيف[٣] فنشرت السلطات البريطانية في عدن منشوراً وعدت فيه العرب بالمحافظة على حرمة البلاد المقدسة وحمايتها وتعهدت باحترام الحرمين الشريفين والبلاد المقدسة[٤].

---

(١) ثابت صالح اليزيدي، الدولة الكثيرية الثانية، دار الثقافة العربية، صفحة ٢٢٠.

(٢) ثابت صالح اليزيدي، الدولة الكثيرية الثانية، دار الثقافة العربية، صفحة ٢٢٣.

(٣) ثابت صالح اليزيدي، الدولة الكثيرية الثانية، دار الثقافة العربية، صفحة ٢٣٣.

(٤) ثابت صالح اليزيدي، الدولة الكثيرية الثانية، دار الثقافة العربية، صفحة ٢٣٢.

كما ساعدت الثورة العربية التي شنها الشريف حسين ضد الدولة العثمانية في سنة ١٣٣٤هـ (١٩١٦م) والدعايات التي بثها ضد العثمانيين في ابتعاد العرب عن العثمانيين، كما وصل شيخ السادة بمكة السيد محمد بن علوي السقاف مبعوثاً من قبل الشريف حسين بن علي إلى كل العرب بالقطر اليماني من أجل الدعوة إلى الثورة العربية ضد العثمانيين(١) وبمعيته نشرة وصفت القادة العثمانيين في حكومة الاتحاد بالفئة الباغية الذين ظهرت نواياهم السيئة ضد العرب والإسلام وهدفهم محو الشرائع(٢).

ولا أدري هل كانت هذه الزيارة المهمة كانت بمبادرة من الشريف حسين بن علي شخصياً أم قد رتبها له الإنجليز لإنقاذ وضعهم الحرج وتحسين صورتهم أمام عرب الجنوب الذين يرونهم كدولة كافرة تحارب دولة الإسلام.

ومما لا شك فيه أن بريطانيا استفادت من الثورة العربية على العثمانيين لهذا حاولت تصدير هذه الثورة إلى العراق لمساعدة المجهود الحربي البريطاني في العراق خصوصاً وأن البريطانيين قد أصيبوا بهزيمة منكرة على يد القوات العثمانية في العراق، وقد سافر ضابط الاستخبارات البريطاني الشهير لورنس إلى العراق لهذا الغرض وفي كتاب لورنس لغز الجزيرة العربية قال أنتوني ناتنغ: إن لورنس قبل سفره «اجتمع إلى الكولونيل كلايتون رئيس قلم الاستخبارات فزوده هذا بالإرشادات والتعليمات اللازمة بغية البحث فيما إذا كان بالإمكان إشعال ثورة عربية في العراق ضد الأتراك»(٣).

وقد وقفت الحكومة الكثيرية إلى جانب العثمانيين أثناء الحرب العظمى وأعلنت ولاءها المطلق للعثمانيين وكان الحضارمة يقيمون الاحتفالات كلما سمعوا بانتصار للعثمانيين أما القعيطي فقد اتخذ موقفاً موالياً للبريطانيين بحكم معاهدة الصداقة مع بريطانيا سنة ١٢٩٩هـ

---

(١) ثابت صالح اليزيدي، الدولة الكثيرية الثانية، دار الثقافة العربية، صفحة ٢٤٨.

(٢) ثابت صالح اليزيدي، الدولة الكثيرية الثانية، دار الثقافة العربية، صفحة ٢٤٩.

(٣) أنتوني ناتنغ ـ لويل ثوماس، لورنس لغز الجزيرة العربية، مكتبة المعارف بيروت، صفحة ٣٩.

(١٨٨٢م) ومعاهدة الحماية سنة ١٣٠٥هـ (١٨٨٨م) ولشعوره بأن عداءه لبريطانيا قد يؤدي إلى محاصرة مينائي الشحر والمكلا ومصادرة ممتلكاته المهمة في حيدر أباد بالهند[١].

وقد يتساءل القارئ عن الموقف الصعب لوزير الدولة القعيطيه السيد حسين بن حامد المحضار فهو ولا شك بحكم نشأته الدينية العلوية يفضل العثمانيين على الإنجليز ولذا نجده كما قال العلامة بن عبيدالله يشجعه على الاتصال بالقائد العثماني علي سعيد باشا بِلَحج ويدفع له أجرة البريد[٢]، بينما يتظاهر بعكس ذلك ومع معرفة السيد حسين التامة بجميع الشؤون الحضرمية إلا أنه فيما يبدو يترك البتَّ في الشؤون الدولية لمعرفة السلطان القعيطي بحكم معرفته بالإنجليز في حيدر أباد، كما أنه لم يكن بمقدور أحد في حضرموت في تلك الفترة ولا حتى في السنين التي تلتها أن يتصور الأهداف والنتائج البعيدة لوجود الإنقليز في حضرموت، كما أن السيد حسين بن حامد، وهو الرجل المخلص للقعيطي عرف من السلطان القعيطي الإنجليز سيعملون على بسط نفوذ القعيطي على كل حضرموت وهو الهدف الذي عاش السيد حسين بن حامد طول حياته يعمل على تحقيقه.

ومما يؤكد لنا عزوف السيد حسين بن حامد المحضار عن محاربة القوات العثمانية المسلمة أنه افتعل بعض المناوشات الصورية مع آل كثير وهي المسماة بحرب قسبل وقال عنها بن عبيدالله إنها حرب صورية هدف السيد حسين منها الاعتذار عن إرسال قوات لمحاربة العثمانيين بلحج فيما إذا طلب الإنجليز منه ذلك[٣] خصوصاً بعدما عرض السلطان القعيطي غالب بن عوض على السلطات البريطانية في عدن المشاركة بقوات قعيطيه لطرد العثمانيين من لحج[٤]، إلا أنه من حسن حظ السيد حسين بن حامد أن بريطانيا اعتذرت عن قبول هذا العرض في حينه إذ لم تكن تنوى التورط فيما وراء عدن.

---

(١) ثابت صالح اليزيدي، الدولة الكثيرية الثانية، دار الثقافة العربية، صفحة ٢٣٣.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، بضائع التابوت.

(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، بضائع التابوت.

(٤) ثابت صالح اليزيدي، الدولة الكثيرية الثانية، دار الثقافة العربية، صفحة ٢٤٠.

أما الأمراء والسلاطين في جنوب اليمن فلم يقفوا في صفوف العثمانيين خوفاً من بطش بريطانيا، أما الإمام يحيى فبقي على التأني والحياد مع الميل والعطف على العثمانيين دون التعرض لعداء بريطانيا وحلفائها[١].

هذا وقد ألغى إعلان الحرب العالمية الأولى ضمنياً اتفاقية ترسيم الحدود بين العثمانيين في اليمن والإنجليز في عدن وما جاورها من المحميات، وتوقع الإنجليز هجوماً عثمانياً على عدن فحركوا بعض العناصر العربية الموالية لهم في المنطقة مثل سلطان لحج لخدمة مصالحهم بطريق غير مباشر[٢].

ثم تمكنت القوات العثمانية التي يقودها علي سعيد باشا من احتلال لحج في سنة ١٣٣٣هـ (١٩١٥م) وفر السلطان العبدلي مع بعض رجاله إلى عدن، وقد أطلق الجنود البريطانيون عليهم النار ظناً منهم أنهم من طلائع الجيش العثماني فأردوا السلطان قتيلاً، ثم تقدم العثمانيون واحتلوا الشيخ عثمان، إلا أن الإنقليز تمكنوا من إخراجهم منها فعادوا إلى لحج وظلّوا فيها حتى إعلان هزيمة الدولة العثمانية وألمانيا في الحرب العالمية الأولى[٣].

وقد استمرت المراسلات بين القائد العثماني علي سعيد باشا وبين السلطان منصور بن غالب الكثيري وبين العلويين ومن بينهم ابن عبيدالله الذي أخذ على عاتقه أخذ البيعة للعثمانيين من رؤساء القبائل والسلاطين ليكون تبعاً للدولة العثمانية. وقد كان الجو العام مشحوناً بالحماسة الإسلامية، فقد ذكر بن عبيدالله[٤] الشيخ عبد الله بن عوض بن ناصر من آل عبدات الذي وقع على العريضة التي قدمها له بن عبيدالله بالتبعية للدولة العثمانية العلية، قال بن عبيدالله، فقلت له ربما يلومك عمر عبيد بن خالد أو حفيدك عوض بن عزان أو تنال

---

(١) ثابت صالح اليزيدي، الدولة الكثيرية الثانية، دار الثقافة العربية، صفحة ٢٣٧.

(٢) ثابت صالح اليزيدي، الدولة الكثيرية الثانية، دار الثقافة العربية، صفحة ٢٣٨.

(٣) ثابت صالح اليزيدي، الدولة الكثيرية الثانية، دار الثقافة العربية، صفحة ٢٣٩.

(٤) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٣٢٢.

أولادك مشقه من الإنقليز بسنقفوار أو عدن فقال أو في دين الله وسلطان المسلمين الذي ندعوا له على المنابر محاباة أو وليجة والله لو أن الإنقليز تذبح أولادي أمامي ما أنجزت عن التوقيع عليها فأمضى عليها وبعثنا بنسختها إلى قائد الجيوش العثمانية بلحج علي سعيد باشا فلم تصله إلا بعد إعلان الهدنة (انتهى).

وقد نصت معاهدة فرساي على انسحاب العثمانيين من مواقعهم في آسيا وأفريقيا وأن تستسلم قواتهم في اليمن للسلطات البريطانية فقام علي سعيد باشا قائد الجيش العثماني بتسليم نفسه للبريطانيين في عدن ومعه حوالي ألف جندي، ثم غادرت القوات العثمانية شمال اليمن إلى مالطة ثم الأناضول وانتهى بذلك الاحتلال العثماني لليمن[١].

وفي هذه الأثناء كانت بريطانيا تعمل على تقوية موقف القعيطي وعلى مساعدته للسيطره على كافة حضرموت ووضع السلطنة الكثيرية تحت نفوذها ففي عام ١٣٣٥هـ قدمت بريطانيا مساعدة مالية للقعيطي حتى يتمكن من مواجهة المؤامرات العثمانية على بلاده وتثبيت حكمه في حضرموت[٢]، كما قامت بإمداده ببعض الأسلحة[٣].

ثم بدأ الضغط القعيطي والإنجليزي على الدولة الكثيرية لإرغامها على ترك العثمانيين ووضع كل حضرموت تحت سيطرة الدولة القعيطية ففرض القعيطي حصاراً منع فيه الرعايا الكثيريين من النزول في بلاده أو السفر منها كما منع نقل البضائع عبر موانيه لحضرموت الداخل ومن جانبها قامت بريطانيا بتشديد الخناق على الدولة الكثيرية بحجز التحويلات المالية الواردة لرعايا الدولة الكثيرية ومنع وصولها لأصحابها مما أدى إلى تأزم الوضع الاقتصادي للدولة الكثيرية[٤].

---

(١) ثابت صالح اليزيدي، الدولة الكثيرية الثانية، دار الثقافة العربية، صفحة ٢٣٩.

(٢) ثابت صالح اليزيدي، الدولة الكثيرية الثانية، دار الثقافة العربية، صفحة ٢٥٣.

(٣) ثابت صالح اليزيدي، الدولة الكثيرية الثانية، دار الثقافة العربية، صفحة ٢٥٤.

(٤) ثابت صالح اليزيدي، الدولة الكثيرية الثانية، دار الثقافة العربية، صفحة ٢٥٥.

ثم طلبت الدولة القعيطية من السلطات البريطانية في عدن التدخل لحل النزاع بين الدولة الكثيرية والقعيطية فوافق المقيم السياسي في عدن (ستيوارت) القيام بدور الوساطة، وكان ذلك في الوقت الذي شارفت فيه الحرب العالمية الأولى على الانتهاء[١]. ويأتي هذا القرار البريطاني تمشياً مع مصالحها بإخضاع حضرموت للنفوذ البريطاني وفرض الحماية على الدولة الكثيرية وإنهاء الحرب بين الكثيري والقعيطي والعمل على استتاب حالة الأمن والاستقرار، مع الإبقاء على حالة التجزئة السياسية القائمة فيها[٢].

وقد بدأت المفاوضات بين الدولتين القعيطية والكثيرية في المكلا تحت إشراف الوكيل البريطاني وارنر، وقد اتفقا الطرفان على صيغة معاهدة من إحدى عشرة مادة في سنة ١٣٣٦هـ (١٩١٨م).

وقد ورد في أحد بنودها أن تقبل الدولة الكثيرية بالمعاهدة التي وقعت بين القعيطي وبريطانيا سنة ١٣٠٥هـ (١٨٨٨م) وأن تكون جميع معاملات الدولة الكثيرية ومراسلاتها مع بريطانيا بواسطة السلطان القعيطي كما جعلت من حضرموت إقليماً واحداً تابعاً للسلطان القعيطي، ويصبح من متعلقات الدولة البريطانية، كما حددت المعاهده مناطق نفوذ الدولة الكثيرية، ولم تحدد المناطق الخاصه بالدولة القعيطية[٣].

ولما في هذه المعاهدة من إجحاف شديد بالدولة الكثيرية، فقد رفضها آل كثير إلا أن القعيطي استعان بالإنقليز للضغط على الكثيري بقبول المعاهدة، ولم تجد بريطانيا أفضل من الضغط الاقتصادي على المهاجرين الحضارمة بسنقفورا وجاوا وأغلبهم من الأثرياء التابعين للدولة الكثيرية، وتعتبر تحويلاتهم رافداً مهماً من روافد الاقتصاد الكثيري.

---

(١) ثابت صالح اليزيدي، الدولة الكثيرية الثانية، دار الثقافة العربية، صفحة ٢٥٥.

(٢) ثابت صالح اليزيدي، الدولة الكثيرية الثانية، دار الثقافة العربية، صفحة ٢٥٦.

(٣) ثابت صالح اليزيدي، الدولة الكثيرية الثانية، دار الثقافة العربية، صفحة ٢٦٢.

ففي سنة ١٣٣٦هـ وصل إلى عدن وحضرموت وفد من آل كثير المتواجدين بسنقفورا لإقناع السلطان الكثيري بوقف مؤامراته مع العثمانيين والتوصل إلى اتفاق مع القعيطي والسلطات البريطانية في عدن وقد شعروا بالأخطار التي تهدد مصالحهم بسنقفورا إذا استمرت تلك السياسة العدائية[(١)].

كما وصل الضابط البريطاني وارنر وقابل السلطان الكثيري عند قرية الحزم في سنة ١٣٣٧هـ وقد ذكر وارنر للسلطان الكثيري بأن من أهداف زيارته لحضرموت تحذير السلطان الكثيري من استمرار تدخل رعاياه في الشؤون السياسية للاستعمار الهولندي في جاوه[(٢)]. وقد أصيب السلطان الكثيري بالذهول لدى سماعه الخبر لما يترتب على طرد رعاياه من جاوة من إضرار بدولته التي تعتمد على تحويلات رعاياها المهاجرين[(٣)].

كما قام وارنر بالضغط على السلطان الكثيري لحمله على قبول المعاهدة مع القعيطي محذراً من أنه في حالة امتناع بريطانيا عن تقديم مساعدتها للكثيريين فانَّ ذلك يعني تهديد هجرتهم إلى جاوة[(٤)] كما فرضت السلطات البريطاينة في عدن حضرا على الأموال الكثيرية المرسلة من سنقفورا.

ثم آتت التحركات السابقة ثمارها وسافر ولي العهد الكثيري علي بن منصور إلى المكلا ورافقهما السلطان القعيطي غالب بن عوض مع كبار رجال الدولتين على سفينه إنجليزية إلى عدن حيث وقعت بين الدولتين المعاهدة التي سميت معاهدة عدن.

ولا يبدو أن الإنجليز كانوا حريصين على استتباب الأمر بين الدولتين القعيطية

---

(١) ثابت صالح اليزيدي، الدولة الكثيرية الثانية، دار الثقافة العربية، صفحة ٢٥٧.

(٢) ثابت صالح اليزيدي، الدولة الكثيرية الثانية، دار الثقافة العربية، صفحة ٢٦٦.

(٣) ثابت صالح اليزيدي، الدولة الكثيرية الثانية، دار الثقافة العربية، صفحة ٢٦٧.

(٤) ثابت صالح اليزيدي، الدولة الكثيرية الثانية، دار الثقافة العربية، صفحة ٢٦٧.

والكثيرية، كما يفهم مما كتبه العلامة الجد بن عبيدالله في بضائع التابوت[١] حين قال: «وكثيراً ما يشتكي أهل حضرموت من حيف معاهدة عدن ويطالبون بتعديلها فيجيبهم أولئك (زوار حضرموت من الإنقليز) بأن لا سبيل إلا بثورة تقومون بها ضد الحكومة القعيطية حتى تتدخل الحكومة الإنقليزية بالإصلاح الذي ربما ينتهي إلى التعديل إن رجحت كفتكم على القعيطي في الثورة» (انتهى).

قال بن عبيد الله في بضائع التابوت[٢] عن تدخل الإنجليز المباشر في شؤون حضرموت: وفي ربيع الأول من سنة **١٣٥٥**هـ توجه الساده آل الكاف إلى المكلا لتهنئة السلطان صالح بن غالب بالوصول والجلوس على كرسي الملك وتفاوضوا معه في الترنسيت فحال وزيره دون إتمام أي شيء بينهم، غير أنهم انتهزوا فرصة توديع السلطان لهم عند ركوبهم البحر من المكلا إلى عدن فأعدوا كتاب توصية من السلطان بهم إلى والي عدن فأمضاه السلطان فكان بمثابة التأكيد لهم فيما يشهدون به من سوء إدارة الحكومة القعيطية وبأثر ذلك ارتفعت الشكايات بسوء إدارة الحكومة القعيطية وجور رسومها، وكثرت الكتابات في الجرائد المصرية عن ذلك وانهالت الاقتراحات السرية على دار الاعتماد بعدن بوجوب الإشراف على حكومة القعيطي قال بن عبيدالله وأخبرني السلطان عبد الله بن محسن بأن السيد أبا بكر بن شيخ يحمل توكيلاً منه ومن السلطان علي بن منصور في المفاوضة مع الحكومة الإنجليزية وإبرام ما يريد ولكنه لم يتم شيء بذلك التفويض، والسبب كما أخبرني بعض مدعي العلم بالسياسة أن الضابط انجرامس لما رأى فرط رغبتهم في الدخول تحت حماية الإنجليز وكان انجرامس كرجال دولته يتوهم أن من دون ذلك الهدف المصاعب الشديدة والخسائر الباهظة فاشتد فرحة إذ جاءه القوس بلا ثمن ورغب أن يكون شرف ذلك عند حكومته له لا لغيره (انتهى).

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ١٦٦.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ١٦٧.

إلا أن تدخل الإنجليز المباشر في شؤون حضرموت لم يحصل إلا عند وصول الضابط الإنجليزي انجرامس إلى حضرموت في سنة ١٣٣٦هـ ولعلّه ذكر ذلك في مذكراته إلا أنه لا يفهم السبب الذي دفع الإنجليز للموافقة على خطة انجرامس للسيطرة على أمور حضرموت بحيث أصبحت جميع الأمور بيد المستشار البريطاني ما عدا أمور الدين فقد تركت للسلطان الحقيقي.

ويقول السيد حامد المحضار الوزير السابق للقعيطي في كتابه «إن بريطانيا تدخلت في كل شؤن حضرموت تدخلاً أرغم السلاطين على رفع أيديهم عن كل مقدراتهم وجعل الأمر كله وقفاً على المستشار الإنجليزي وأصبح السلطان موظفاً وربما كان بعض الموظفين أكثر نفوذاً منه لقوة صلته بالمستشار». انتهى[١].

وقال العمّ حامد المحضار أيضاً «لقد شكى أمامي السلطان علي بن منصور وشكى السلطان صالح بن غالب بما فعل بهما انجرامس ولكنهما لم يكونا من الشجاعة بحيث يصرحان له ليوقفاه عند حده». انتهى[٢].

وقد عبر الشاعر صلاح الأحمدي عن الوضع بصورة واضحة فقال من قصيدة طويلة:

راحت جهة لحقاف لحمة　　　فـاس سرحـت بـالبرود

راحت مع الصاحب بلا　　　قيمـة ولا عـسكر يقـود

والصاحب هو اللقب الذي اختاره انجرامس لنفسه في حضرموت.

---

(١) حامد بن أبي بكر المحضار، ترجمة الزعيم حسين بن حامد المحضار، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، صفحة ١١٩.

(٢) حامد بن أبي بكر المحضار، ترجمة الزعيم حسين بن حامد المحضار، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، صفحة ٢٨٢.

وذكر السيد عمر بن علوي الكاف في كتاب تحفة الألباب أن السلطان جعفر بن منصور الكثيري قدم إلى الحبيب علوي بن عبد الله بن شهاب سنة ١٣٦٦هـ وبكى بكاءً شديداً وقال جاءت حكومة يا حبيب علوي ولم تبق لنا أمراً ولا نهياً ونرى المناكر بين أعيننا ولا نستطيع أن ننكرها وصرت الآن سلطان صورة فقط وأنا الآن أحببت عزل نفسي عن السلطنة وجماعتي بصرهم بأنفسهم فطلب منه الحبيب علوي أن يتريث سنة وإن لم تصلح الأمور فليعزل نفسه إلا أن السلطان مات قبل انتهاء السنة (١٣٦٧هـ) انتهى[١].

ويتكلم الحبيب مصطفى المحضار[٢] عن هذا الوضع قبل حدوثه فيقول: «والذين فتحوا هذا الباب فتحوا باب الخراب ومسعف الجهة ومستورها وأزاحوا مستورها وكسروا ناموسها ومهدوا لدابوسها وجذب فلوسها واركبوا بغولها على خيولها وردوا الراس ذنباً وحلقوا غزير الشنب وردوا الأذناب رؤوس ولا عطر بعد عروس» (انتهى باحتصار).

لقد كانت حضرموت وما زالت دولة فقيرة وحقيرة وفي منطقة معزولة عن العالم فما الذي يدفع الامبراطورية البريطانية الغنية التي تحكم نصف العالم أن تفكر في هذه البقعة النائية والمنسية ما الذي يجعل الباشا الغني أن يشتهي بصلة بيد فقير.

ويستغرب ذلك الحبيب مصطفى المحضار فيقول[٣] «وكل يوم تظهر عينه من الفئات اللعينة وايش بغوا من حضرموت لا ماء ولا قوت مخدع للعلويين ما هي مهيع للملاعين» (انتهى باختصار).

وللإجابة على هذا التساؤل نعود للنظر فيما تتميز به حضرموت عن باقي بلاد الدنيا

---

(١) عمر بن علوي الكاف، تحفة الأحباب، دار الحاوي للطباعة والنشر، صفحة ١٥٢-١٥٣.

(٢) محمد عبداللاه المحضار، خواطر وأفكار، الحبيب مصطفى المحضار، تريم للدراسات والنشر، صفحة ١٥٠.

(٣) محمد عبداللاه المحضار، خواطر وأفكار، الحبيب مصطفى المحضار، تريم للدراسات والنشر، صفحة ١٥٠.

هو القيام بأمور الدين على أفضل صورة فقد حافظ العلويون ومن تبعهم من علماء حضرموت على بقاء الدين الإسلامي نقياً صافياً، كما كان عليه الصحابة والتابعين قبل ألف وأربعمئة سنة حتى غدت حضرموت منارة إشعاع إسلامي وكان لأهلها من العلويين على وجه الخصوص دور بارز في نشر الإسلام إلى الأصقاع النائية من العالم.

فهل كان للدين دور في ذلك الاهتمام البريطاني بحضرموت ذلك سؤال وجيه ولكن لا يوجد عليه دليل وقد ذكر الأستاذ عمر فروخ في كتابه عن المستشرقين والتبشير ما نصه[١] «وبعد أن استولى الإنكليز على عدن اتخذ المبشرون عدن مركزاً يرسلون منه نشراتهم إلى قلب بلاد العرب أو يخالطون القوافل ليبشروا في أهلها» (انتهى).

كما أننا نعرف أنه كان لبريطانيا نشاط تبشيري بارز في نفس تلك الفترة في السودان خصوصاً في جبال النوبة وفي تحديد المناطق المقفولة التي لا يسمح للعرب المسلمين بدخولها خوفاً من انتشار العربية والإسلام، مع تقديم كل وسائل العون والتسهيلات للبعثات التبشيرية الأوربية لتتمكن من القيام بواجبها على أكمل وجه ونص قانون المناطق المقفلة الذي صدر سنة ١٣٤٠هـ (١٩٢٢م) بأمر الحكومة الثنائية للسودان «على منع نزول القبائل العربية الشمالية إلى جنوب خط ١٠ درجه شمال خط الاستواء أو صعود القبائل الجنوبية الزنجية إلى شمال هذا الخط إلا بأمر الحاكم العام أو ممثله». وقد خلق هذا القانون فاصلاً جغرافياً وبشرياً ونفسياً بين القبائل الشمالية العربية وبين العناصر الزنجيه أو الغير عربية[٢].

ولا يوجد في المؤلفات الحضرمية على قلتها شيء يشير إلى هذا الموضوع ما عدا السؤال البريء الذي سأله المستشار انجرامص لمفتي الديار الحضرمية عندما زاره في بيته عن عدم

---

(١) مصطفى خالدي وعمر فروخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، الناشر المكتبة العصرية، بيروت، صفحة ١٥٠.

(٢) مشكلة دارفور، الجذور التاريخية، للدكتور زكي البحيري، مكتبة مدبولي، صفحة ٥٢.

مقدرة الشريعة الإسلامية على حراسة العدل، قال بن عبيدالله في بضائع التابوت[1]: وكان انجرامص كثيراً ما يزورني فأعجب بذكائه وتقع بيننا محاورات منها أنه قال إن القضاء الشرعي ليس بكاف لحراسة العدل، فقلت له بلى ولكن القضاة بساحل حضرموت وداخلها صاروا حجة عليه فلا عبرة بهم، أما القضاء وقانونه الشرعي فلا افضل منه للعدل وحراسه أبداً وأنا مستعد لكشف كل أشكال تورده عليه وعرفت من تكريره هذا الكلام في عدة مجالس أن في نفسه أشياء قد يمهدها له قضاة الجور بسوء صنيعهم (انتهى).

كما حاول انجرامس أن يبعد من كان حول السلاطين من علماء الدين المخلصين ومن الساسة المحنكين ففي السلطنه القعيطية قام انجرامص بالإشارة على السلطان بعزل السيد حامد المحضار من رئاسة الوزراء وهو شخصية ممتازة ومن الحضارمة القلائل الذين حصلوا على الشهادة العالمية من الأزهر كما أبعد انجرامس السياسي الداهية أحمد البطاطي وتخلص فيما بعد من السلطان علي بن صلاح القعيطي صاحب القطن،

وهناك جانب آخر يستحق التمحيص وهو أن الإنجليز استقدموا لبعض الوظائف بحضرموت موظفين من عدن لم تحمد أخلاقهم ومنهم الطبيب الهندي كفيل الدين الذي استقدم لمستشفى سيؤن وكان فاسد الأخلاق وتمكن من إفساد مجموعة من أولاد السادة الذين عملوا معه بمستشفى سيؤون.

كما أثرت الكورسات التدريبية بالمكلا والغيل والتي رتبت لموظفي الدولة الكثيرية من أولاد السادة وغيرهم على تغيير نمط الحياة الدينية التي تعودوا عليها بسيؤن وتريم.

ولقد ظهرت المسكرات لأول مرة بحضرموت في تلك الفترة وعاقرها بعض من شباب السادة العاملين بالوظائف الحكومية ولعل انجرامص قد لاحظ هذا التغير فأشار إليه في مذكراته فقال: «إن هناك تطوراً آخر يدعونني إلى التأمل ذلك هو تزايد تعاطي المشروبات

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ١٦٦.

الروحية، ففي العهد الماضي كما أخبرني السلطان صالح كان هناك ٤٪ أو ٥٪ من المعروفين بتناول المسكرات أما الآن فأكثر التقديرات اعتدالاً تشير إلى أن من بين كل مائة رجل رشيد في المكلا يوجد ثلاثون من رفاق الكأس»[١].

ثم قال انجرامس «ولقد كنت أيام عملي هناك أعمل على منع دخول الخمور إلى حضرموت بإصرار على أن يراعي الأوروبيون القوانين المحلية التي تحظر استيرادها الأمر الذي أثار سخط الأوروبيين ثم قال انجرامس وبطبيعة الحال لم يكن ممكناً إيقاف سلاح الطيران الملكي من جلب المسكرات»[٢].

وهناك نقطة أحب أن أشير إليها وهي الاعتقاد بأن السيد أبا بكر بن شيخ الكاف هو من دعى الإنجليز لاستعمار حضرموت، وكما عرفنا فإن الإنجليز قد عقدوا أول معاهدتهم مع السلطان القعيطي قبل أن يولد السيد بوبكر سنة ١٢٩٩هـ (١٨٨٢م)، وكما عرفنا مما سبق فإن موافقة السلطان علي بن منصور على معاهدة عدن سنة ١٣٣٦هـ (١٩١٨م) كان بضغط بريطاني قعيطي شديد، وكان هدفها الرئيسي إبعاد الأتراك العثمانيين عن جنوب الجزيرة العربية ولم تكن تهدف إلى التدخل المباشر في شؤون حضرموت.

إلا أنه يبدوا أن الأمر اختلف عندما قدم المستشار هارولد انجرامس إلى المكلا لأول مرة فقد كانت لديه رغبة في الإدارة المباشرة لشؤون حضرموت، وقد بدأ مهمته في المكلا عندما حمل السلطان القعيطي على قبول المستشارين البريطانيين رغم تخوف السلطان من هذه الخطوة وكان هذا القبول هو الذي وضع مقاليد السلطنة فيما بعد في أيدي المستشار.

---

(١) حامد بن أبي بكر المحضار، ترجمة الزعيم حسين بن حامد المحضار، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، صفحة ٢٣٢.

(٢) حامد بن أبي بكر المحضار، ترجمة الزعيم حسين بن حامد المحضار، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، صفحة ٢٣٢.

قال بن عبيدالله في بضائع التابوت[1]: وفي محرم من سنة ١٣٥٨هـ (اكتوبر ١٩٣٩م) أبرمت هذه المعاهدة بين السلطان جعفر بن منصور وحكومة الإنجليزية، ومن شروطها (تقبل حكومة جلالة الملك في المملكة المتحدة أن تعين مستشاراً مقيماً للسلطان والسلطان يرتضى لأجل سعادة مملكته أن يقبل نصيحته في جميع الأمور ما عدا المسائل المتعلقة بالديانة والعادة الإسلامية (انتهى). وكان انجرامس من الموقعين على هذه المعاهدة كما جرى في نفس السنة تجديد المعاهدة بين القعيطي والكثيري والتي أبرمت لأول مرة سنة ١٣٣٦هـ، كما ورد سابقاً ووقع على النص المجدد كل من السلطان صالح بن غالب القعيطي والسلطان جعفر بن منصور الكثيري وكذلك الضابط انجرامس.

ونعيد ذكر ما جاء في كتاب تحفة الأحباب[2] من أن السلطان جعفر بن منصور بن غالب الكثيري جاء في سنة ١٣٦٦هـ لزيارة الحبيب علوي بن عبد الله بن شهاب بتريم، فلما جلس بين يديه طلب أن يختلي بالحبيب علوي فخرج من في المجلس من الحضور إلا الخواص فبكى السلطان بكاءً شديداً فقال له الحبيب علوي: ما الذي شق عليك؟ فقال السلطان يا سيدي أنا اليوم جئت مستشيراً وسآخذ بما تشير به علي،

جاءت حكومة يا حبيب علوي ولم تبق لنا أمراً ولا نهياً ونرى المناكر بين أعيننا ولا نستطيع ننكرها، وصرت الآن سلطاناً صورة فقط وأنا الآن أحببت أن أعزل نفسي عن السلطنة وجماعتي بصرهم بأنفسهم.

فقال له الحبيب علوي لا لا، لا تعزل نفسك وأنت عادك أحسن من غيرك وأطلب منك أن تبقى في السلطنة سنة كاملة إن رأيت الأشياء صلحت فياحبذا، وإلا رخصه اعزل نفسك، فقال السلطان جعفر مرحباً شوركم المبارك (انتهى). إلا أن الأجل لم يمهل السلطان فقد توفي في السنة التالية ١٣٦٧هـ.

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ١٧١.

(٢) عمر بن علوي الكاف، تحفة الأحباب، دار الحاوي، صفحة ١٥٢.

ولم تختلف سياسة الإنقليز في حضرموت عنها في البلاد الأخرى ففي نقاش بين حافظ وهبة وأحد شيوخ البحرين الذي قال له البحريني عن الإنقليز: لقد رأيت ما صنعوا في البحرين؟ إنهم في خمسين سنة قضوا على كل نفوذ لشيوخ البحرين [١].

وقد قدم انجرامص إلى سيؤن ليفرض هذا الأمر أيضاً على السلطان الكثيري علي بن منصور ولم يعدم الكثير من الوسائل التي تمكنه من تحقيق غرضه بسهولة.

لهذا فإن دور السيد أبي بكر بن شيخ كان عرضياً ولم تكن مساعدته أو عدمها لتغير من الأمر شيئاً إلا أن انجرامص بدهائه استطاع أن يوظف جهود وأموال السيد أبي بكر بن شيخ الكاف لمصلحته.

وحيث أنَّ معاهدة عدن التي قال عنها حاكم عدن بأنها أبرمت لأجل السيطرة على قبائل الحموم لم تحقق الاستقرار والأمان بحضرموت وبقيت حوادث القتل والنهب وقطع الطريق على ماهي عليه فقد كان السيد أبو بكر المولود بسنقفورا والذي قضى شبابه هناك يحلم بتحقيق الأمان في حضرموت ويعتقد أن ذلك لن يتحقق إلا بقوة جوية ضاربة ترهب القبائل المشاغبة. لهذا انتهز السيد أبو بكر بن شيخ الفرصة بقدوم انجرامص واعتقد أنه الشخص القادر على إحضار الطائرات المطلوبة لتأديب القبائل وفرض الأمن على حضرموت.

ونختم هذا الفصل بدعاء الحبيب مصطفى المحضار بحفظ حضرموت من الأجانب[٢] بأسلوبه السجعي المشهور «ويا راد الضالة نظف هذه البلاد من جميع الأضداد فإنها يا رب بلاد المسلمين وأحقر بلاد العالمين وأفقر بلاد المشرقين مخدع آل باعلوي ولا أحد إليها يلوي ولا هي على بال أحد من قرب أو بعد ولا إليها شطه» (انتهى باختصار).

---

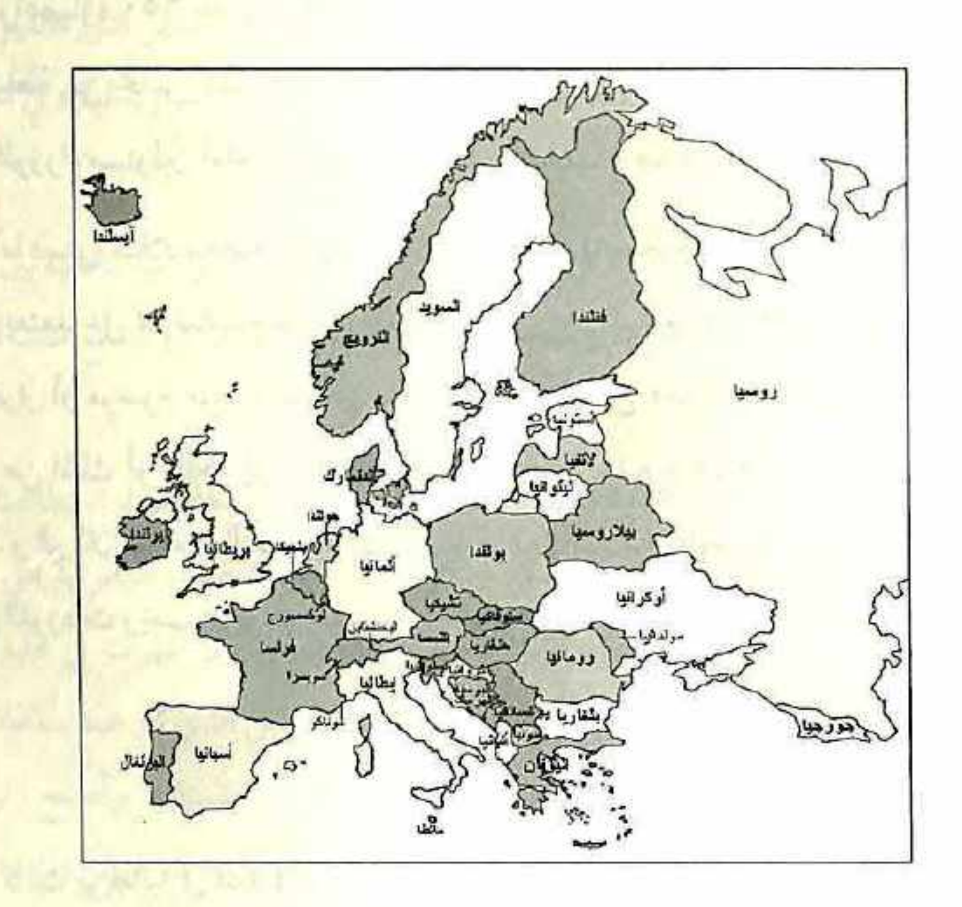
(١) حافظ وهبة، جزيرة العرب في القرن العشرين، دار الآفاق العربية، صفحة ١٤٦.

(٢) محمد عبداللاه المحضار، خواطر وأفكار، الحبيب مصطفى المحضار، تريم للدراسات والنشر صفحة، ١٥٠.

الفصل السادس والعشرون بعد المائة

جغرافية بريطانيا (المملكة المتحدة)

ونبذة عن تاريخها[١]



(١) ملخصه من الموسوعة العربية العالمية الجزء ٢٤ الطبعة الثانية، صفحة ١٤٨-١٩٩.

بريطانيا مملكة أوروبية والاسم الرسمي لها هو المملكة المتحدة لبريطانيا وايرلندا الشمالية وعاصمتها لندن، وتتكون من أربع دول متحدة هي انجلترا وايرلندا الشمالية واسكتلندا وويلز وبالرغم من قلة مواردها فقد بدأت فيها الثورة الصناعية التي مكنت الانجليز من إنشاء أكبر إمبراطوريه في التاريخ كما انجبت بريطانيا العديد من القادة والعلماء المفكرين وتبلغ مساحة بريطانيا **٢٤٤** ألف كم مربع ويبلغ عدد سكانها حالياً حولي **٥٩** مليون نسمه.

ونظام الحكم ملكي دستوري إلا أن الحكم الفعلي في يد الوزراء الذين ينتمون لحزب الأغلبية بمجلس العموم الذي يسيطر على البرلمان ويتكون البرلمان من مجلسين مجلس العموم وأعضاؤه **٦٥٠** عضواً ومجلس اللوردات وأعضاؤه **١١٧٠** عضواً ومجلس العموم أقوى سلطة من مجلس اللوردات ويختار البرلمان رئيس الوزراء ويضع ويشرع القوانين ويكون الوزراء مسئولين أمام البرلمان الذي يمثل الشعب وهو لذلك مسئول أمامه.

أما دستور البلاد فبعضه مكتوب ويأتي من وثائق قديمة تحدد سلطات الملك وبعضه غير مكتوب يعتمد على ممارسات وعادات طورها الناس عبر السنين ويمكن تغيير الدستور في أي وقت بقرار أو مرسوم من البرلمان أو بمجرد قبول الناس فكرة أو ممارسة جديدة. وينتقل العرش من الملك أو الملكة إلى الابن الأكبر وفي حالة عدم وجود ابن ترث الابنة الكبرى العرش. و البرلمان هو الهيئة التشريعية التي تضع قوانين البلاد ويتألف من الملك ومجلس العموم ومجلس اللوردات ويجب أن يوافق الملك على مشروعات القوانين قبل أن تصبح قانوناً.

نبـذة تـاريخية

كانت بريطانيا في الفترة من سنة **٥٥** قبل الميلاد إلى سنة **٤١٠** ميلادية مجموعة من القبائل يحكمها ملوك وملكات ثم احتل الرومان بريطانيا ولكنهم لم يستطيعوا السيطرة على المناطق الشمالية منها وتأثرت بريطانيا بالحضارة الرومانية في كل نواحي الحياة ودخلت مع

المستعمرين الرومان الديانة النصرانية ثم لما تدهورت الإمبراطورية الرومانية وانتهى حكم الرومان قامت القبائل الألمانية بغزو بريطانيا.

وأعقب الفترة السابقة أي من سنة ٤١٠ إلى سنة ١٠٦٦م فترة تسمى فترة العصور المظلمة اتسمت بالوحشية وعدم التحضر وفيها حكمت بريطانيا القبائل النورمانديه.

ثم غزا الفايكنج القادمين من البلاد الأسكندنافية بريطانيا وأحدثوا في البلاد خراباً ودماراً ثم استقروا في بريطانيا ومارسوا التجارة مع البلاد المجاورة.

أما الفترة من سنة ١٠٦٦-١٣٣٧م فقد شهدت سيطرة النورمانديين على بريطانيا وتزايدت في هذه الفترة سيطرة النبلاء والاقطاعيين على البلاد واشتهر النورمانديون ببناء الكنائس والقلاع وأشهر ملوكهم ريتشارد قلب الأسد الذي أهدر موارد البلاد في الحروب الصليبية.

أما الفترة من ١٣٣٧-١٤٨٥م فتسمى سنوات الصراع والحروب الأهلية بين النبلاء والتي انتهت بمجيء عائلة آل تيودور للحكم وتولى منهم الملك هنري السابع ملك انجلترا سنة ١٤٨٥م.

وسميت الفترة من سنة ١٤٨٥-١٦٠٣م بفترة الآفاق المتسعة حيث استطاعت أسرة آل تيودور تقوية سلطان العرش وتأسيس حكومة قوية كما فرضت سيطرتها على البلاد وحمت الطبقات الوسطى من طغيان النبلاء وطورت التجارة كما ظهرت في هذه الفترة بدايات الحركة الاستعمارية وأشهر ملوك هذه الفترة هنري الثامن الذي ثار ضد سلطان البابا وفصل الكنيسة في انجلترا عن سلطان روما وانشأ الكنيسة البروتستانتية وأصبح رئيساً لها ولا زال ملوك بريطانيا إلى اليوم يتولون رآسة الكنيسة البروتستانتية كما فرض الملك هنري الثامن سيطرته على ايرلندا.

واختلفت آراء الملوك الذين جاءوا بعده في مسالة الكنيسة فقد قامت الملكة ماري

بإرجاع سلطة البابا وأحرقت البروتستانت بالنار لكن تأثيرها لم يستمر بعد ذهابها ثم جاءت بعد الملكة ماري الملكة إليزابيث الثانية التي ازدهر عهدها اقتصادياً وثقافياً وسياسياً وظهر في عهدها الشاعر شكسبير وكان عهدها عهد الاكتشافات البحرية وإنشاء الشركات الاستعمارية مثل شركة الهند الشرقية التي تأسست سنة ١٦٠٠ وهي الشركة التي مهدت طريق استعمار الهند كما شهدت هذه الفترة مرحلة التنافس العسكري مع أسبانيا وحرب الارمادا سنة ١٥٨٨م والتي هزمت فيها بريطانيا الأسطول الأسباني.

أما الفترة التالية من سنة ١٦٠٣-١٧١٤م فتسمى بفترة التغيرات الدستورية حيث حصل النزاع بين الملك والبرلمان ونشبت سنة ١٦٤٠ الحرب الأهلية بين أنصار الملكية وأنصار البرلمان وأعدم الملك تشارلز الأول سنة ١٦٤٩ وأقام القائد كرومويل حكماً عسكرياً استمر حتى سنة ١٦٦٠م حيث أعيد الحكم الملكي تحت حكم الملك تشارلز الثاني الذي ازدهرت في عصره الثقافة والفنون كما زاد تعصب الدولة والبرلمان ضد النصارى الكاثوليك.

وتسمى الفترة من ١٧١٤-١٨٣٧م بفترة التحول فقد ظلت انجلترا حتى بداية القرن الثامن عشر بلداً ريفياً يسكن أهلها القرى والأرياف ولكن تغير الحال في منتصف القرن الثامن عشر بقيام الثورة الصناعية وازدهرت التجارة البريطانية ووفرت المستعمرات الأسواق والمواد الخام للمصانع البريطانية وتحولت بريطانيا إلى بلد صناعي كبير وادي التنافس الاستعماري مع فرنسا على قيام حرب السنوات السبع بينهما وانتهت هذه الحرب بسيطرة بريطانيا على الهند وكندا إلا أن الثورة الصناعية تسببت في ازدياد البطالة ومعاناة العمال من السكن السيئ وظروف العمل القاسية. كما فقدت بريطانيا خلال هذه الفترة مستعمراتها الأمريكية سنة ١٨٣٧م واشتبكت في حروب ضد نابليون استمرت حتى سنة ١٨١٥م من أشهرها معركة الطرف الأغر بقيادة نلسون سنة ١٨٠٥م.

كما أضافت بريطانيا لمستعمراتها خلال هذه الفترة أجزاء جديدة منها استراليا ونيوزيلندا وأرسلت إليهما السجناء سنة ١٧٨٨م لاستيطانها وتعميرها كما استعمرت

بريطانيا غيانا وترينداد وسيلان وموريشيوس ومالطا وراس الرجاء الصالح. كما نشطت تجارة الرقيق البريطانية خلال هذه الفترة من غرب أفريقيا إلى جزر الهند الغربية وكانت ركنا من أركان تجارة بريطانيا مع أمريكا حتى ألغيت سنة ١٨٣٣م.

وتسمى الفترة من سنة ١٨٣٧-١٩٠٦م بسنوات التقدم حيث تعاظم أثر الثورة الصناعية خلال عهد المملكة فكتوريا الطويل (١٨٣٧-١٩٠١م) وتوسعت الإمبراطورية البريطانية خلال هذه الفترة إلى أقصى حدودها وتطورت الطرق البرية والحديدية والسيارات ودشن أول قطار بخاري سنة ١٨٢٥م كما عمل المصلحين الاجتماعيين على إصلاح أحوال العمال الاجتماعية والاقتصادية.

وخاضت بريطانيا خلال هذه الفترة عدة حروب منها حرب القرم (١٨٥٤-١٨٥٦م) إلى جانب فرنسا ضد روسيا بسبب المنافسة بينهم على أملاك الدولة العثمانية وهزمت بريطانيا البوير في جنوب أفريقيا وأسست بعد انتصارها اتحاد جنوب أفريقيا، وقد ازدهرت الثقافة والفنون في هذا العصر ووضع دارون نظرية النشوء والارتقاء.

وفي القرن العشرين تأثرت بريطانيا اقتصادياً بدخولها الحربين العالميتين الأولى والثانية واستقلت كثير من مستعمراتها في أعقاب الحرب العالمية الثانية كما انتهت مشكلة ايرلندا باستقلال جنوب ايرلندا والاعتراف بها جمهوريه مستقلة عاصمتها دبلن مع بقاء ايرلندا الشمالية تابعة لبريطانيا. وقد تمكنت حكومة حزب العمال البريطانية التي حكمت بريطانيا ١٩٤٥-١٩٥١من إرساء دولة الرفاه الاجتماعي فعممت نظام النظام الاجتماعي على كل المواطنين وكذلك نظام الرعاية الصحية واتبعت سياسة التاميم فأممت مناجم الفحم ومصانع الحديد والصلب والسكك الحديدية وشبكة الطرق وأسست بنك انجلترا المركزي.

* * *

الفصل السابع والعشرون بعد المائة

علاقة العلويين بمصر



السيد محمد بن عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف يتوسط السلطان الكثيري والقعيطي
في رحلتهم التي سبقت سقوط الدولتين

نبــذة تــاريخية عن مصر[١]

كانت مصر قبل الفتح الإسلامي تخضع لسيطرة الإمبراطورية البيزنطية التي جعلت عاصمتها الإسكندرية قبل أن يفتحها المسلمون بقيادة عمرو بن العاص في عام ٢٢هـ وأصبحت مصر منذ ذلك التاريخ جزءاً مهما من العالم الإسلامي.

ولما ضعفت الدولة العباسية قامت في مصر الدولتان الطولونية والإخشيدية بين عامي ٢٥٥-٣٥٩هـ ثم استولى الفاطميون على مصر في سنة ٣٥٩هـ وأسسوا مدينة القاهرة والجامع الأزهر.

ثم انتهت الدولة الفاطمية سنة ٥٦٧هـ (١١٧١م) على يد صلاح الدين الأيوبي الذي حقق انتصارات ساحقة على الصليبيين، وأسس صلاح الدين الدولة الأيوبية بمصر التي استمرت حتى عام ٦٤٨هـ (١٢٥٠م). وحين ضعفت الدولة الأيوبية نجح مماليك الأيوبيين في الانقلاب عليهم وإنشاء دولة المماليك بمصر والتي كان لها الفضل في حماية بلاد المسلمين من خطر المغول، حيث تمكن المماليك من هزيمة المغول في موقعة عين جالوت بفلسطين سنة ٦٥٩هـ (١٢٦٠م)، ثم تصارع المماليك فيما بينهم على حكم مصر لمدة ٢٠٠ سنة حتى سقطت دولة المماليك على يد السلطان العثماني سليم الأول سنة ٩٢٣هـ (١٥١٧هـ)، وبقي بعض المماليك يحكمون مصر تحت مظلة الدولة العثمانية.

ومن الاتصالات الأولى للعلويين بمصر قيام الحبيب أحمد بن حسين العيدروس[٢] المتوفى سنة ٩٦٨ بجلب سبعة منشدين من مصر إلى تريم، وقد استوطن هؤلاء المصريون

---

(١) عن الموسوعة العربية العالمية المجلد ٢٣ صفحة ٣٣٠-٣٣٢ مع إضافات من مصادر أخرى

(٢) محمد بن أحمد الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي، الجزء الثاني، عالم المعرفة للنشر، صفحة ٢٦٤.

الذين عرفوا بآل بومصري تريم، وما زالت سلالتهم تقوم بالإنشاد الديني في تريم إلى اليوم بعد أكثر من ٤٥٠ سنة من وصولهم حضرموت.

ولعل أول مهاجر علوي إلى مصر كان السيد عبد الرحمن بن محمد العيدروس، ذكره الجبرتي وهو من تلاميذه، في تاريخه عجائب الآثار في التراجم والأخبار، فقال الجبرتي[١]: ولد الإمام القطب وجيه الدين أبو المراحم عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس في سنة ١١٣٥هـ، وفي سنة ١١٥٣هـ توجه صحبة والده إلى الهند وأمضى بها عشر سنوات، ثم عاد إلى تريم، ومنها توجه للحج، ثم أقام بالطائف. وفي سنة ١١٥٨هـ ركب من جدة إلى السويس ومصر وهرعت إليه أكابر مصر من العلماء والصلحاء والأمراء، وصار أوحد وقته، وخضعت له أكابر الأمراء على اختلاف طبقاتهم، وصار مقبول الشفاعة عندهم لا ترد رسائله ولا يرد سائله، وطار صيته في المشرق والمغرب، وقام برحلات متعددة إلى الصعيد ودمياط ورشيد وإسكندرية، وسافر إلى فلسطين والشام، وهرعت إليه علماء الشام، وزار الآستانة وبيروت وقبرص ثم عاد إلى مصر وتوفي بها وخرجوا بجنازته من بيته الذي تحت قلعة الكبش بمشهد حافل وصُلي عليه بالجامع الأزهر، وصلى عليه إماماً الشيخ أحمد الدردير، ودفن بمقام ولي الله العتريس تجاه مشهد السيدة زينب. (انتهى باختصار).

وممن وصل مصر من العلويين في وقت مبكر السيد شيخ بن محمد الجفري[٢]، وقد ولد بتريم في أجواء عام ١١٣٧هـ، وكان كثير التردد من الهند إلى الحرمين الشريفين ناسكاً ومقيماً بمكة والمدينة والطائف مدداً طويلة، ومرّ بمسقط ودخل مدينة زبيد باليمن وتوجه من الحجاز إلى الشام وفلسطين ومصر. ومن أخباره بمدينة القاهرة بمصر مناظراته لأحد علماء الأزهر، كما يروي السيد عبد الله باحسن جمل الليل في تاريخ ثغر الشحر. وقد تعرض

---

(١) عبد الرحمن الجبرتي، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، الجزء الأول، الناشر دار الجيل، بيروت، صفحة ٢٨.

(٢) عبد الله بن محمد السقاف، تاريخ الشعراء الحضرميين، الجزء الثاني، صفحة ٢١٨-٢٢٢.

في حياته للكثير من الأذايا والمكدرات، فصبر عليها صبراً جميلاً، وتوفي بمدينة كاليكوت بالهند عام ١٢٢٢هـ وعلى ضريحه قبة عظيمة كثيرة الازدحام بالزائرين. (انتهى باختصار).

هذا ونعود مرة أخرى إلى تاريخ مصر التي غزاها الفرنسيون في عام ١٢١٣هـ (١٧٩٨م) بقيادة نابليون بونابرت وهزمت قواته المماليك واحتلت مصر.

إلا أن المماليك لم يستسلموا للفرنسيين، ففي موسوعة التاريخ الإسلامي[1] أنه لما أدرك المماليك عدم قدرتهم على مواجهة الأسلحة الفرنسية الحديثة شنوا على الفرنسيين حرب عصابات أرهقت القوات الفرنسية، واستمرت هذه الحرب المتقطعة حتى زوال الفرنسيين عن مصر، ثم تدخلت الأقدار لطرد نابليون من مصر لأن الإنجليز خافوا أن يتمكن نابليون من قطع طريقهم إلى الهند، فقاموا بمهاجمة الأسطول الفرنسي وتدميره في موقعة أبي قير الحربية في سنة ١٢١٣هـ (١٧٩٨م)، كما قامت من الجامع الأزهر ثورة ضد الفرنسيين مما أغضب الفرنسيين ودفعهم إلى إطلاق المدافع على الدور والقصور، ثم دخلت الجنود الفرنسية حرم الأزهر بخيولهم وعاثوا بالأروقة والحارات، وكسروا خزائن الطلاب. وكتب نابليون في مذكراته «إن الثوار فقدوا ألفي قتيل، وقال نابليون: إنه تُقطع في كل ليلة رؤوس حوالي ثلاثين من الرجال وكثير من زعماء الأهالي، وأظن أن هذا سيكون درساً قاسياً لهم». (انتهى باختصار).

وفي سنة ١٢١٣هـ (١٧٩٨م) أعلنت تركيا الحرب على فرنسا، وتحالفت معها إنجلترا لهذا الغرض، وأعد السلطان العثماني جيشاً للزحف على مصر فاستبقهم نابليون وغزا الشام واستولى على العريش، واستسلمت له حامية غزة ويافا بعد أن أعطى أهلها الأمان، إلا أنه خان عهده وأعمل السيف في هؤلاء المستسلمين، لكن والي عكا أحمد باشا الجزار صمد أمام الفرنسيين صموداً بطولياً، فاكتفى نابليون بضرب عكا بالقنابل، ثم رجع

---

(١) الدكتور أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، صفحة ٣١٨-٣٢١.

نابليون إلى القاهرة، إلا أن الطاعون وحرارة الجو فتكا بجيشه في طريق العودة. وأرسل الأتراك حملات لاستنقاذ مصر من الفرنسيين، لكنها لم تنجح في مهمتها، ثم قاد العثمانيون والإنجليز حملة مشتركة تمكنت من هزيمة الفرنسيين وإجلائهم عن مصر سنة ١٢١٦هـ (١٨٠١م)، وكان الضابط الألباني محمد علي باشا ضمن جنود هذه الحملة.

محمد علي باشا



ثم مكث القائد الألباني محمد علي باشا في مصر وقوى بها نفوذه، ثم دبر مذبحة للمماليك بالقلعة، تمكن بعدها من السيطرة التامة على مصر وأسس إمبراطورية مصرية مرهوبة الجانب، لها جيش قوي وأسطول بحري كبير، وأحدث كثيراً من الإصلاحات في إمبراطوريته القوية.

وقد تمكن محمد علي باشا من إخضاع الجزيرة العربية، ووصل إلى اليمن، كما توغل في جنوب السودان. واستعانت به الدولة العثمانية لإخضاع اليونان، فأخضعها واحتل الشام وحارب الدولة العثمانية نفسها في الأناضول.

ثم خافت بريطانيا من تعاظم إمبراطورية محمد علي باشا، فنجحت بمعونة الدولة العثمانية من تحجيم الجيش المصري إلى قوة لا تتجاوز ١٨ ألف جندي.

ثم جاء بعد محمد علي باشا ابنه سعيد باشا الذي حكم مصر بين عام ١٢٧١-١٢٨٠هـ، وفي عهده حفرت قناة السويس، ثم خلفه ابنه إسماعيل باشا الذي حكم مصر في الفترة (١٢٨٠-١٢٩٦هـ)، وهو أول من تلقب بالخديوي من سلالة محمد علي باشا. وقد أحدث إسماعيل باشا الكثير من الإصلاحات في دولته، وكان له جيش قوي، وقاوم النفوذ الأجنبي، فكان أشبه في أعماله وإصلاحاته بجده محمد علي باشا، ولهذا عملت بريطانيا على الإطاحة به، ونصبت بدلاً منه ابنه توفيق الذي خضع للدول الأجنبية خضوعاً تاماً.

ثم ثار بعض الضباط المصريين بين سنتَي ١٢٩٨و١٢٩٩هـ (١٨٨١-١٨٨٢م) بقيادة أحمد عرابي ضد النفوذ الأجنبي بمصر، وطالبوا الخديوي توفيق ببعض الإصلاحات، فأرسلت إنجلترا وفرنسا أسطولاً لحماية الخديوي توفيق الذي ترك القاهرة وانتقل إلى الإسكندرية ليكون قريباً من حماية الأسطول.

ثم هدد الأسطول الإنجليزي عرابي، وبدأ في غزو الإسكندرية، فقاومهم عرابي والمصريون مقاومة باسلة، فالتف الأسطول الإنجليزي حول شواطئ مصر، واتجه نحو السويس، وكان أحمد عرابي قد قرر ردم قناة السويس حتى يمنع مرور الأساطيل الأجنبية فيها، إلا أن الفرنسي ديلاسيبس صاحب مشروع القناة خدعه وأكد له أن حيادية القناة لا تسمح للسفن الإنجليزية بالعبور فيها، ولكن الأسطول الإنجليزي عبَر القناة، فقابلهم عرابي في معركة التل الكبير، ولم تكن القوى متكافئة، فهزم عرابي في المعركة ووقع أسيراً، واحتلت بريطانيا مصر بعد هذه الهزيمة، وذلك سنة ١٢٩٩هـ (١٨٨٢م)، ونفت بريطانيا عرابي ورفقاءه إلى خارج البلاد وأعادت الخديوي توفيق إلى عرش مصر.

هذا وقد التقى الخديوي توفيق بالسيد محمد بن أحمد السقاف وبالعلامة السيد أبي

بكر بن شهاب، وذكر بن عبيدالله أن العلامة أبا بكر بن عبد الرحمن بن شهاب (١٢٦٢-١٣٤١هـ) زار مصر كما زار تركيا والشام، وقلّده السلطان عبد الحميد الوسام المجيدي وأهدى له سيفاً، وله قصائد في خديوي مصر توفيق باشا. (انتهى)[١].

وجاء بعد توفيق بن إسماعيل ابنه عباس حلمي الثاني، ولكن بريطانيا لم تعجبها سياسته فعزلته في سنة ١٩١٤م وعينت بدلاً منه حسين كامل بن إسماعيل الذي اتخذ لقب سلطان عند توليته، وجاء بعده الملك فؤاد الأول بن إسماعيل سنة ١٩١٧م الذي اتخذ لقب ملك.

وخلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين كان أعضاء أسرة محمد علي مجرد حكام اسميين، بينما كانت مقاليد الأمور بيد المندوب السامي البريطاني، ولكن قامت بريطانيا في عام ١٣٤١هـ (١٩٢٢م) بالاعتراف باستقلال مصر بشرط بقاء قوات لها في البلاد.

وكان الخديوي عباس حلمي الثاني محباً للعلويين. ذكر ابن عبيدالله أن مرتبات أبناء السيد العلامة فضل بن علوي بن سهل مولى خيله المقيمين بالآستانة استمرت إلى أن قطعها الاتحاديون في أيام الحرب العظمى، وكانت للسيد فضل مكانة كبيرة لدى السلطان العثماني عبد الحميد، قال بن عبيدالله: وكنا نتحدث ذات يوم عن خديوي مصر عباس حلمي بن توفيق باشا ونذكر ما يصمه به أعداؤه من البخل، فقال لنا السيد عبد الله بن عبد الرحمن بن طاهر لا تقولوا ذلك، فلقد نشبت الحرب العظمى ونحن جماعة من العلويين بالآستانة فينا أولاد السيد فضل، وقطع علينا الاتحاديون كل ما نعتاد من مواساة الدولة والتي أكثرُنا معتمد عليها في معاشه، فضاقت بنا الأحوال وأظلمت علينا الدنيا، ولم ندر ماذا نفعل مع ارتفاع الأسعار وتعذر الاكتساب وانقطاع المواصلات حتى صليت الظهر ذات يوم بمسجد اتفق أن صلى فيه الخديوي عباس حلمي، فعرفني وتبيّن أثر الضنك في وجهي وقال لي إزيّك؟ يعني: ما شانك؟ فقلت مصلوم من المقام، فخلص بي نجياً وقال: كم على شاكلتك

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مطبعة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٤٨٢.

هنا من العلويين؟ فأخبرته بعددهم، فقال: وافوني اليوم الفلاني إلى هذا المسجد في مثل هذا الوقت فإني أريد أن أعمل معكم صنيعاً لوجه الله، ثم محبة لجدكم الأعظم، ولا أحب أن يكون بيني وبينكم واسطة فيه أبداً، فأخبرت أصحابي ووافيناه إلى الميعاد، فدفع لكل واحد منا خمسين جنيهاً ذهباً، وقال: هذه لكم مني في كل شهر حتى تضع الحرب أوزارها، وميعادكم هذا المسجد في غرة كل شهر، فوفى لنا وأثلج صدورنا وكشف كروبنا وجبر خواطرنا وحفظ علينا مياه وجوهنا، فالله يكافئه بما هو أهله.

وترجم الزركلي في كتابه الأعلام للخديوي عباس حلمي الثاني[1] فقال: بأنه تولى الخديوية بعد وفاة أبيه سنة ١٣٠٩هـ (١٨٩٢م) بإرادة سلطانية من الآستانة، وفي أيامه نبغ مصطفى كامل ومحمد عبده وأحمد شوقي وظهر عشرات من المؤرخين والكتاب والأدباء، ونشبت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤م وهو في الآستانة، فاتخذت الحكومة البريطانية تأخره وسيلة لخلعه وتعيين غيره، وبسطت حمايتها على مصر وكان فيه دهاء وذكاء ينقصه الكتمان والحزم، وفيه بخل، إلى جانب إسرافه في الملذات. (انتهى باختصار).

وتولى المُلك بعد الملك فؤاد ابنه الملك فاروق الذي كان آخر من حكم مصر من سلالة محمد علي باشا، حيث انتهى ملكه بقيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢. (انتهى باختصار).

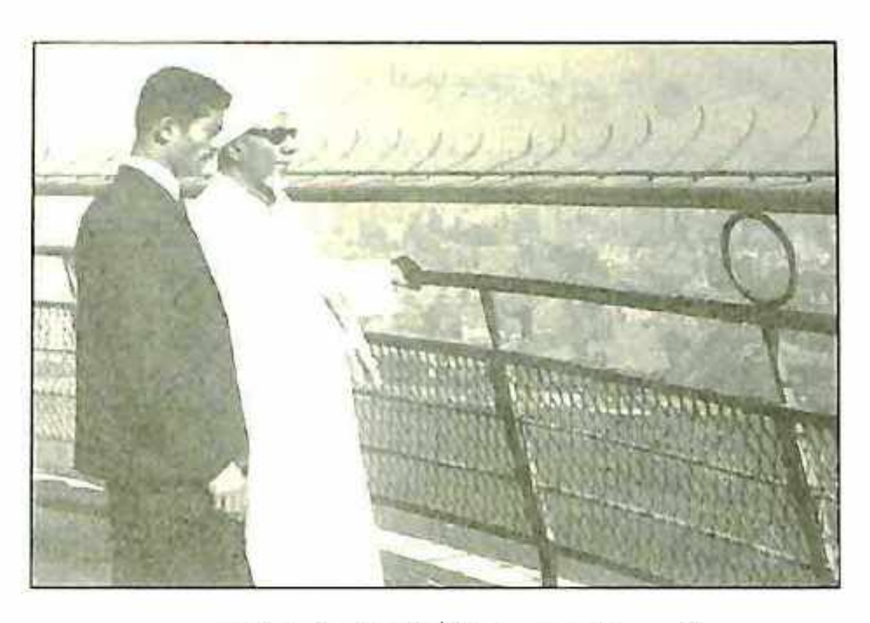
وكما تبرع الخديوي عباس لفقراء العلويين تبرع الملك فاروق الأول، وتبرعت الحكومة المصرية لمنكوبي المجاعة بحضرموت سنة ١٣٦٣هـ، وقد أرسل الشاعر زين العابدين بن أحمد الجنيد بقصيدةِ شُكر طويلة إلى الملك فاروق الأول يقول فيها[2]:

يــا أيهــا الملــك الميمــون طالعــه	دامت على حبك الأشياع والخول
هزتك عاطفة نحو الحضارم حتى	كنت أول من جادوا ومـن بـذلوا

(١) خير الدين الزركلي، الأعلام، الناشر دار العلم للملايين، المجلد الثالث، صفحة ٢٦٠-٢٦١.
(٢) زين العابدين الجنيد، ديوان عابدين، صفحة ٩٣-٩٥.

أتحفـتهم بـوفير المـال تكرمـة كـأنهم بفنـاك الرحـب قـد نزلـوا
صال القـضاء عليهم مبرمـاً وإذا ما حمّ أمر القضاء لا تنفـع الحيـل

رحلات العلويين القديمة إلى مصر



الحبيب علوي بن عبد الله السقاف في زيارة مصر

ومن أوائل العلويين الذين زاروا مصر واجتمعوا بعلمائها الحبيب أحمد بن حسن العطاس (١٢٥٧-١٣٣٤هـ) الذي زار الديار المصرية في سنة ١٣٠٨هـ وهو في طريقه إلى الحرمين الشريفين لحج بيت الله الحرام وزيارة مسجد سيد الأنام عليه الصلاة والسلام[1].

وقد نزل الحبيب أحمد بن حسن العطاس في ضيافة الفاضلين الكريمين عمر بن محمد باجنيد وأخيه عبد الله بن محمد باجنيد، فلقي منهما ومن جميع الحضارمة كل حفاوة وإجلال

---

(١) علي بن أحمد العطاس، ترجمة الحبيب أحمد بن حسن العطاس ورحلاته، صفحة ٤٥.

وإكرام[١]. وهذه الرحلة حافلة بالأحداث التي تبين العلاقة بين علماء مصر وحضرموت، وشغف كل منهم بمعرفة أحوال الآخر والتعرف على طريقته مع الاحترام الشديد المتبادل بين الطرفين.

وما إن عرف شيخ الأزهر لذلك العهد الشيخ محمد الأنبابي بمقدم الحبيب أحمد بن حسن العطاس، حتى بعث رسولاً يخبره أنه يودّ أن يحضر إليه لزيارته والاجتماع به، فقال الحبيب أحمد للرسول إن شيخ الإسلام أحق أن يؤتى إليه ويزار في منزله، ثم ذهب لزيارته بمنزله بجهة الظاهر فتلقاه بالترحاب والإجلال ووجد لديه كثيراً من مشاهير علماء الأزهر، ودارت بينه وبينهم أحاديث طريفة[٢].

وسأل شيخ الأزهر الحبيب أحمد بن حسن عن حضرموت وسكانها وسلطانها وعن من يتولى الإفتاء والتدريس فيها، فأجابه الحبيب أحمد بن حسن بالجواب الشافي، ثم سأله عن معايش حضرموت وأقواتها، فقال له الحبيب أحمد بن حسن العطاس: أقواتها البُرّ والذرة والتمر واللحم، وأما باقي الأشياء فتنقل إليها على سبيل التفكّه من الخارج، فقالوا كأن معيشتها ضنكة، فقال الحبيب أحمد بن حسن العطاس لا يخفى عليكم أن الله تعالى لما دحا الأرض جعل في كل قطر كفايته، كما قال تعالى: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾، وأما الرزق المشار إليه في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾، فليس في تلك الجهة شيء منه فضحكوا[٣].

ثم سأل شيخ الأزهر الحبيب أحمد بن حسن العطاس عن الكتب التي يقرأونها، وعن مذهبهم وطريقتهم فأجابه الحبيب أحمد بما شفى غليله، فعند ذلك اغتبط شيخ الإسلام ومن حضر من العلماء، وقالوا: يا ليتنا نصل إليها ونتشرف برؤيتها، فقال لهم الحبيب أحمد بن

---

(١) علي بن أحمد العطاس، ترجمة الحبيب أحمد بن حسن العطاس ورحلاته، صفحة ٤٥.

(٢) علي بن أحمد العطاس، ترجمة الحبيب أحمد بن حسن العطاس ورحلاته، صفحة ٤٦.

(٣) علي بن أحمد العطاس، ترجمة الحبيب أحمد بن حسن العطاس ورحلاته، صفحة ٤٦-٤٧.

حسن العطاس: بلدكم خير لكم، وأنتم يا أهل مصر لكم المنة على أهل الإسلام جميعهم لأنكم اليوم حملة لواء الشريعة المحمدية والعلوم الدينية، وطلب منه شيخ الأزهر الإجازة فأجازه الحبيب أحمد بن حسن العطاس إجازة عامة مطولة[١].

وقد أقام شيخ الأزهر للحبيب أحمد بن حسن العطاس وليمة عظيمة بمنزله حضرها كثير من العلماء والأعيان، ولما حضرت صلاة المغرب قدم شيخ الأزهر الحبيب أحمد بن حسن العطاس للإمامة، فقال الحبيب أحمد: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤم الرجل في سلطانه»، فقال له شيخ الأزهر: أذنت لكم أذنت لكم، فقال له الحبيب أحمد: وأنتم أحق منّا سناً وعلماً وعملاً، قال شيخ الأزهر وإن كان تقدم فقال الحبيب أحمد: ولا يخفى عليكم ما قيل في إمامة الأعمى، قال شيخ الأزهر: وإن كان.

فتقدم الحبيب أحمد للصلاة، فقرأ في الركعة الأولى والمرسلات، وفي الثانية إذا السماء انفطرت، فقال شيخ الإسلام بعد الصلاة الذي قرأناه في الكتب عن المتقدمين من حسن القراءة سمعناه اليوم من هذا السيد[٢].

ولما مدت مائدة الأكل في بيت شيخ الأزهر ووضعت الملاعق على الأواني فأخذوا يأكلون بها، وابتدأ الحبيب أحمد الأكل بيده فسأله شيخ الأزهر: لِمَ لا تأكل بالملعقة؟ فقال الحبيب أحمد بن حسن العطاس لبيت ابن مالك في ألفيته وهو:

وفي اختيار لا يجيء المنفصل   إذا تأتى أن يجيء المتصل

فرمى شيخ الأزهر الملعقة وأكل هو والحاضرون بأيديهم، وقال بملء فمه: فلتُحيَ السنّة ولتمُت البدعة[٣].

---

(١) علي بن أحمد العطاس، ترجمة الحبيب أحمد بن حسن العطاس ورحلاته، صفحة ٤٨.

(٢) علي بن أحمد العطاس، ترجمة الحبيب أحمد بن حسن العطاس ورحلاته، صفحة ٤٩.

(٣) علي بن أحمد العطاس، ترجمة الحبيب أحمد بن حسن العطاس ورحلاته، صفحة ٥٠-٥١.

وقد زار الحبيب أحمد بن حسن العطاس الصعيد فاجتمع به بكثير من العلماء وسألوه طول الإقامة، فتمثل بقول الشاعر:

ما مصر إلا منزل مستحسن فاستوطنوه مشرقاً أو مغربا
هذا وإن كنتم على سفر به فتيمموا منه صعيداً طيبا[١]

رحلة السيد حسن بن عبد الله الكاف

وممن زار مصر من العلويين السيد حسن بن عبد الله الكاف الذي توجه للحج في شوال من سنة ١٣٣٠هـ، وعلى ما يبدو من أخبار هذه الرحلة أن طريق بعض رحلات الحج من حضرموت يكون بالتوجه بحراً من المكلا إلى السويس، ومن مصر إلى فلسطين ومن فلسطين إلى المدينة المنورة على خط حديد الحجاز.

قال السيد الكاف إنه ركب البحر من المكلا إلى عدن، وفي عدن وصل البابور النمساوي المسافر إلى السويس وبورت سعيد فقطعوا التذاكر عند وكيله بثلاث وأربعين روبية لكل راكب، وكان بالمركب كثير من حجاج الهند والبصرة، فوصلوا السويس بعد خمسة أيام في البحر، ثم عبروا قنال السويس الذي يصفه بقوله وهو كهيئة مسيال لا يكتنفه عرض سوى بابورين، وعن يسار ويمين الداخل مبانٍ لطيفة وأشجار ونخيل وآلات الحرث، ويتحرك فيه البابور رويداً رويداً لحرج المجري[٢].

ثم قال: وقف البابور في المرسى قدر ساعتين ونصف، وطلع حكيم البلد إلى المركب، ودار على العبرية لجس النبض وغيره ثم أخذ صاحب البابور رجلاً من أهل السويس ومعه

---

(١) علي بن أحمد العطاس، ترجمة الحبيب أحمد بن حسن العطاس ورحلاته، صفحة ٥٢.
(٢) رحلة وديوان حسن بن عبد الله الكاف، صفحة ٨٣.

مصباح من النور الكهربائي ليكون في مقدم المركب ويجيزه في الترعة المشهورة، ثم مشى بنا فانتهينا إلى قنال السويس أعني الترعة المذكورة، وتسمى الخليج أيضاً فجازه البابور رويداً لحرج المجري وفي الساعة الرابعة من الليل بلغنا إلى بورسعيد.

وفي مرسى بورسعيد رأينا مراكب كثيرة راسية، وقد ازدادت تلك البلد قوة وعمارة بكثرة المراكب الواردة إليها من أقاصي الدنيا، فلم يستقر المركب إلا وقد أحاطت بنا الزوارق لأخذ الحجاج إلى البلد، ولأصحابها ضوضاء ونزاع وخصومات شديدة وقت إنزال المسافرين، ويأخذون من كل نفر روبية أجرة حمله في الزوارق ونقل أمتعته إلى الجمرك فنزلنا مع رجل يسمى محمد المكاوي، وقد قابلنا بأخلاق حسنة واهتمام كلي، وحين وصلنا إلى طرف البلد مروا بنا على رجل يأخذ أسماء النازلين، ويتعرف على أماكنهم ويأخذ من كل أحد شيئاً، ومن عملاء ذلك الرجل أناس آخرون يفتشون المارين، وكانت أرجاء البلد كلها مضاءة بالكهرباء، ولا تزال كذلك إلى طلوع النهار.

فأنزلنا محمد المكاوي المذكور في بيت ظريف جميل وهو المسمى عندهم باللوكندة، وهو معد لكل من أراد النزول ولصاحبه كل ليلة على الواحد سبعة قروش ساغ، ويجد فيها النزيل كمال الراحة وكل ما يطلب ما عدا الأكل، فأخذنا مضاجعنا وانتبهنا لصلاة الصبح واجتمع الرأي على السفر إلى مصر (القاهرة) لزيارة من بها من الأولياء الصالحين وفضلاء العصر فسألنا عن السكة الحديدية متى يكون مشيها، فقيل إنها تمشي أول النهار وبعد الظهر فلم نتمكن من السير أول النهار لما مسنا من لغوب.

ثم صلينا الظهر وسافرنا في القطار الحديدي والساعة السابعة في النهار وصحبنا الأخ محمد بن صالح الحبشي وعبد الله بن عوض التوي وأخذوا منا على النفر نصف جنيه في الدرجة الثانية، ومشت بنا ساعة فلكية ووقفت في محطة البفدان نحو دقيقتين، ثم مشت بنا إلى الإسماعلية وأقامت بها نحو خمس دقائق وهي بلدة لطيفة وبها أبنية ظريفة وأشجار ونخيل وزروع، وكل ما جاورناه من الأراضي معمور بالمزارع والنخيل وتمتد

إليها جداول من بحر النيل، ثم وقفت في الزقازيق وهي بلدة كبيرة وحدائقها وفواكهها كثيرة، وقد تناولنا شيئاً من العنب والتين والخريف، ثم مشت بنا إلى بنها وهي قرية واسعة، ومنها يخرج العسل، وما زالت تجري بنا حول أشجار وأنهار حتى انتهينا إلى محطة مصر القاهرة في الساعة الحادية عشر ونصف.

زيارة الحبيب محمد بن هادي السقاف
والحبيب شيخ بن محمد الحبشي لمصر

توجه الحبيب محمد بن هادي السقاف بحراً من المكلا إلى السويس سنة ١٣٤٣هـ، وقام في رحلته بزيارة مقابر الصالحين والعلماء مثل الإمام الشافعي، كما زار الأهرامات وحديقة الحيوان ومتحف الفراعنة، كما ركب القطار من مصر وزار بيت المقدس بفلسطين، ثم عاد إلى مصر، ومن السويس ركب البحر عائداً إلى عدن[١].

وممن زار مصر الحبيب شيخ بن محمد الحبشي، وقد ركب باخرة الشركة الخديوية المسماة بالعثمانية من الآستانة في شعبان ١٣٤٨هـ فوصل الإسكندرية بعد سبعة أيام في البحر ونزل في فندق لمدة ثلاث أيام على كل شخص في مقابل الأكل ستة قروش مصري عن نصف ريال فرانصه.

ويصف الإسكندرية فيقول: وجدناها بلدة منظمة في غاية الحسن، وفيها القصور العالية وأزقتها مرصوفة بالحجارة، وبعضها بالإسمنت الإفرنجي، وفيها دكاكين وبنوك ومستودعات قلّ أن يوجد في غيرها من حسن البناء وتركيب الأبواب التي من الزجاج المتين، هذا منظر البلد بالنهار، ولما نظرناها ليلاً فكأنها بلدة أخرى من إشراق نور الكهرباء بأنواع

---

(١) عبد الله محمد الحبشي، الرحالة اليمنيون، مكتبة الإرشاد صنعاء، صفحة ٢٧٩-٢٨٠.

مختلفة وزجاجات ملونة، وفي كل محل متسع قهوة يعد لشرب الشاهي والقهوة واللبن. (انتهى باختصار)[١].

ثم يتوجه إلى القاهرة وينزل بها ضيفاً على صديقه الشيخ عمر بن محمد باجنيد ويزور فيها المشاهد والمآثر، ومنها حديقة الحيوان حيث يصف الحيوانات التي رآها لأول مرة في حياته، ويمكث بمصر رمضان وشوال ويغادر مصر بعشر من ذي القعدة.

هذا وقد ذكر بن عبيدالله آل باجنيد الذين ورد ذكر بعضهم في رحلات العلويين لمصر في المعجم فقال: وآل باجنيد منتشرون في رحاب وهدون والجحي والمكلا وعدن والحجاز ومقرهم الخريبة. ويقول الحبيب حامد بن أحمد المحضار إنه قال: دخلت الخريبة فإذا عالمها باجنيد وقاضيها باجنيد وتاجرها باجنيد ودلالها باجنيد وقصابها باجنيد وسائر أعمالها بأيدي آل باجنيد.

قال بن عبيدالله ومنهم العلامة الجليل الشيخ عمر بن أبي بكر باجنيد وهو أحد أكابر علماء مكة المشرفة بل إليه انتهت رئاسة الشافعية بها بعد شيخه العلامة محمد سعيد بابصيل، وقال بن عبيدالله: وقد أخذتُ عن الاثنين، وتوفي الشيخ عمر بمكة سنة ١٣٥٤هـ.

وقال بن عبيدالله: ومنهم صاحبنا الفاضل الشيخ عبد الله بن سعيد باجنيد طلب العلم بمكة وولي قضاء دوعن والمكلا عدة مرات، ودرس مدة طويلة بمسيلة آل شيخ وكان في سنة ١٣٢٥هـ بحوطة آل أحمد بن زين الحبشي يدرس بها، وله اتساع في الفقه وبضاعته مزجاة في النحو، وكان لين العريكة سهل الجانب عذب الروح دمث الأخلاق واسع الصدر توفي بالجحي سنة ١٣٥٩هـ.

---

(١) عبد الله محمد الحبشي، الرحالة اليمنيون، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٢٧١.

دراسة العلويين بالأزهر

وممن درس من كبار العلويين بالأزهر الشريف السيد علي بن محمد بن طاهر بن يحيى المولود بالمسيلة، وقد تربى يتيماً في حجر أمه وتلقى علومه على علماء تريم، ثم رحل إلى مصر للدراسة بالأزهر سنة ١٣٤٠هـ وقضى بمصر ست عشرة سنة، وحصل على شهادة البراءة الملكية، وقد أخذ عن العلماء بمصر من خارج الأزهر، ونشر مقالات بصحيفة الرسالة المصرية، ثم عاد إلى تريم سنة ١٣٥٧هـ، واستقر بها وتزوج وأنجب.

ثم رحل أيام المجاعة التي ضربت حضرموت إلى المكلا، وتعين مفتشاً لمدارس الحكومة القعيطية، ثم درس بأول مدرسة ثانوية تفتح بغيل باوزير، وانتقل بعد ذلك للتدريس بالمعهد الديني بغيل باوزير، ثم تولى إدارته، ثم سافر إلى مصر وبذل مجهوداً كبيراً حتى حصل على موافقة الأزهر باعتبار المعهد الديني بغيل باوزير فرعاً للأزهر الشريف. وأرسل له الأزهر بعدد من المدرسين مع المناهج الدراسية المناسبة، واستمر المعهد يقوم برسالته حتى أغلقته الحكومة الاشتراكية سنة ١٩٧٢ م، فتقاعد عن العمل وتفرغ للقراءة والتأليف حتى وفاته بالمكلا سنة ١٤٠٩هـ.

وممن درس بالأزهر أيضاً من كبار العلويين السيد حامد بن أبي بكر المحضار المولود في حضرموت سنة ١٣٢٣هـ، ويقول عن نفسه: استأذنت والدي للسفر إلى الحرمين للحج والزيارة، ثم الذهاب إلى مصر للدراسة بالأزهر فأذن لي فسافرت إلى الحرمين سنة ١٣٤٧هـ، ووجدت في الروضة المباركة الإمام الحبيب عبد الله بن طاهر الحداد، فطلبت منه أن يدعو لي بتيسير حفظ القرآن الكريم، وطلبته أن يقرأ الفاتحة في الروضة النبوية لذلك الغرض، فقرأها ودعا لي، وابتدأت الحفظ في الروضة النبوية، ثم

توجهت إلى مكة لأداء النسك، وأقمت متنقلاً بين مكة وجدة، وفيهما حفظت القرآن كاملاً في ثلاثة أشهر والحمد لله[١].

وبعد ذلك سافرت إلى مصر واتصلت بالأزهر وانتسبت إليه في القسم العالي، وبعد ثلاثة أعوام تقدمت لامتحان شهادة العالمية، وكان أبرز أساتذتي الذين حضرت دروسهم بالأزهر الشيخ محمود شلتوت، وكان رضي الله عنه فذاً في معارفه وعمقه وذرابة لسانه ونصوع بيانه وقوة حجته، وكان بارعاً في تفسير القرآن بأسلوب لا يجارى فيه، وهو من أجلّ علماء الأصول والجدل، وله نظريات في الفقه وآراء اجتهادية بالغة الأهمية، وكان الإمام شلتوت في علمه الواسع معتزاً بنفسه معتداً بعلمه في كل شيء حتى في شخصه[٢].

وروى السيد حامد قصة له مع الشيخ محمود شلتوت فقال: لما سجلت رغبتي في الامتحان للعالمية نصحني كثير من إخواني العلماء والطلبة بأن أستعين بعالم يعينني على مراجعة ما يعرض لي من المواضيع الهامة، فالتمست عالماً فلم أجد على كثرتهم من يسعفني لاشتغال كل منهم بمن هو أهم لهم مني، وجلست في همّ بالغ، فمر علي الشيخ محمود شلتوت خارجاً من الأزهر فنهضت إليه وسلمت عليه وقبلت يده والتمست دعاءه فسألني عن حالي فقلت له إني بخير، إلا أنني تقدمت لامتحان العالمية، ولم أجد من يعينني على مراجعة أمهات المسائل، فقال لي باهتمام بالغ إنني لا أعرف أحداً غير مشغول وأنا مشغول بمراجعة دروس ابن الشيخ المراغي، ولولا ذلك لأسعفتك، ثم قال إني سأعمل على محاولة الوصول لك كلما سنحت لي فرص فأخبرني عن مكان بيتك ورقمه، فشكرته على فضله وما كنت وما كان غيري يتصور أن الإمام محمود شلتوت في مكانته العلمية والاجتماعية وكبريائه وما عرف عنه من الترفع يتنازل متكرماً ليجيب دعوة غريب مثلي. وما راعني إلا الشيخ

(١) حامد بن أبي بكر المحضار، ترجمة الزعيم حسين بن حامد المحضار، صفحة ٢٠٨-٢٠٩.

(٢) حامد بن أبي بكر المحضار، ترجمة الزعيم حسين بن حامد المحضار، صفحة ٢٠٩.

شلتوت وهو يصل إلى بيتي لأول مرة، ثم يتكرر وصوله وتردده على بيتي طيلة أيام الدراسة، ثم دخلت الامتحان وبعد شهرين ظهرت نتيجة الامتحان وكنت من الفائزين[١].

قال العم حامد: ثم فصلت إدارة الأزهر بإيعاز من القصر ستين عالماً كان من بينهم الشيخ شلتوت، وكنت عازماً على أن أقدم له هدية متواضعة، فذهبت إلى بيته، وكان مجلسه حافلاً بكبار العلماء، فلما خرجوا قدمت له هديتي في ظرف فلم يفتحه وقذفه في وجهي وانتهرني أشد الانتهار، وقال: لعن الله علماء السوء الذين يتصرفون بما يوحي إلى أمثالك، إنه لا يوجد في علماء مصر من يقدم الفضل لمستحقيه وطالبيه لا يبغون عليه جزاءً ولا شكوراً. ولم تهدأ ثائرته وبلغ من غضبه أن أمر بطردي من بيته، ولما تريثت محاولاً استعطافه غادر بيته فتبعته حتى الشارع أستجديه العفو حتى عفا عني مقاطعاً، ثم استقل الترام، قال العم حامد: ورغم تأنيبه لي وغضبه علي إلا أنني أكبرت الشيخ شلتوت. (انتهى)[٢].

وممن درس بالأزهر من العلويين في نفس الفترة السيد علي بن أبي بكر السقاف قاضي جيبوتي والسيد علي بن محمد بن يحيى المفتش الديني بالحكومة القعيطية[٣].

ومن العلويين الذين درسوا بمصر في ذلك الزمن الحبيب عبد الله بن هارون بن أحمد المحضار درس في القاهرة وأقام بها ردحاً من الزمن، ثم رحل إلى إندونيسيا وعاد إلى دوعن وتوفي بها.

وكانت للسادة من آل بن يحيى والجنيد زيارات متكررة إلى مصر وعلاقات متينة مع علمائها ووجهائها، وقام السيد عبد الرحمن بن جنيد الجنيد المولود بسنقفورا بعد أدائه الحج سنة **١٣٤٦**هـ بالسفر من جده إلى السويس يرافقه ابنه عبد الله، ثم توجه إلى القاهرة ونزل

---

(١) حامد بن أبي بكر المحضار، ترجمة الزعيم حسين بن حامد المحضار، صفحة ٢١٠-٢١١.
(٢) حامد بن أبي بكر المحضار، ترجمة الزعيم حسين بن حامد المحضار، صفحة ٢١٠-٢١١.
(٣) حامد بن أبي بكر المحضار، ترجمة الزعيم حسين بن حامد المحضار، صفحة ٢١٠.

ضيفاً على العلامة السيد عبد الله بن محمد بن حامد السقاف، ومكث بالقاهرة شهرين أجرى خلالهما عمليتين جراحيتين لعينيه، ثم غادر القاهرة إلى القدس سنة ١٣٤٧هـ، ومنها إلى بيروت ثم دمشق، ثم عاد إلى مصر ومنها توجه إلى سنقفورا عن طريق بمباي.

وكان العلامة بن عبيدالله يتشوق لزيارة مصر، ولكنه لم يتمكن من ذلك وكتب يقول: وقلما اجتمعنا وكثيراً ما نجتمع نحن والوالد أحمد بن عمر بن يحيى وأولاده إلا فيهيجون عندنا لواعج الأشواق إلى مصر مهد العلم وقبلة الأدب وسرة الدنيا وحاضرة العالم.

وما أكثر ما يستثيرون أسفي للتفريط في شهود مؤتمر الخلافة بمصر، مع أنني المدعو له من بين الحضارم أجمعين، وما زال الوالد أحمد بن عمر يرغبنا في زيارة مصر حتى اقتطعنا على أنفسنا عهداً في صك أمضيناه في شعبان سنة ١٣٤٨هـ، ثم انفسخت نية الوالد أحمد فلم أثرب عليه، وبقي عزمي بحاله سوى أنه انصرف أولاً إلى اليمن[١].

ومن رحلات علماء العلويين المتأخرة إلى مصر زيارة الحبيب علوي بن عبد الله السقاف الذي توجه من عدن إلى القاهرة بالطائرة في ٨ رجب ١٣٨٨ ونزل في بيت أولاده الذين يدرسون بمصر. وكان أثناء إقامته بمصر في حمل حفاوة الشهم الكريم الشيخ سالم باحبيشي، وقال الجد: وفي اليوم الثاني زارني باحبيشي وأخذنا إلى مدينة النصر وجلسنا في مكان مشرف على البحيرة.

وفي اليوم الثالث صلينا الجمعة بمسجد صلاح الدين بالمنيل بمناسبة افتتاحه وصلاة العلماء به، ثم زرنا مسجد الحسين وضريحه ثم الأزهر، وصلينا الجمعة الثانية بجامع الحسين الذي تخيلنا ونحن فيه أننا في الجنة.

وفي ٢١ رجب ١٣٨٨هـ زرنا الشيخ الأكبر شيخ الأزهر الشيخ حسن مأمون، وهو شيخ في العقد الثامن من عمره وعنده نوع من الارتعاش، وكان الحديث معه حول بعض

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ١٦١-١٦٢.

المسائل الشرعية وطلبنا منه أن يتبنى الأزهر إقامة معهد ديني في سيؤن. وقد وعدنا بذلك العام المقبل بسبب أن الدروس في هذا العام قد ابتدأت وحضر المجلس أخونا العلامة عبد الله بن أحمد بن يحيى وهو الذي مهد لنا هذه الزيارة وتكلم معه بجميع ما نحبه.

ثم في اليوم الثاني جاءني الأخ سالم باحبيشي وأخذنا أولاً لزيارة السيدة زينب بطلة كربلاء وأخت مولانا الحسين الشهيد، فصلينا الظهر والعصر بمسجدها العظيم، ثم قمنا بزيارة الضريح فوجدناه مزحوماً بالزائرين والمبتهلين بالدعاء مثل ضريح الحسين، وكان الشارع أمام المسجد مزحوماً بالمارين والواردين بحيث لم نتمكن من دخول المسجد إلا بجهد جهيد، ثم خرجنا لزيارة الإمام الشافعي وهو في حي قديم أكل عليه الدهر وشرب، فزرناه وزرنا بجواره في قبة الشيخ زكريا الأنصاري، وركعنا في مسجده ومنه إلى مشهد السيدة نفيسة بنت الحسين، وزوارها أقل بكثير من زوار السيدة زينب، ودعونا الله عند الجميع تقبل الله ذلك بفضله ومنّه.

وبعد الساعة التاسعة وصل لزيارتنا الشيخ العلامة المطيعي، وكانت جلسة حافلة بالأبحاث العلمية التي دلتنا على غزارة علمه في الحديث والتفسير وفقه الإمام الشافعي، وذكر لنا أنه يعد لمجموع النووي، وهو الآن في آخر ربع منه، وحضر المجلس سقاف وعلي الكاف وقد جاؤوا معه وهم متصلون به.

وفي ليلة الجمعة ٢٥ رجب أخذنا الأخ عبد الله بن يحيى لحضور تأبين صاحبه اللواء حرب رئيس جمعية الشبان المسلمين والتي خلفه فيها إبراهيم الطحاوي الذي قابلنا بكل ترحيب، وابتدأ الحفل الساعة ٣ عربي ليلاً، واستمر ثلاث ساعات ونصف. وقد تداول كرسيّ الخطابة كثير من تلاميذه وغيرهم، وحضره شيخ الأزهر حسن مأمون، ونوفل أمين الجامعة العربية، وتناول الخطباء والشعراء تاريخ حياته الحافل بمكارم الأخلاق والشجاعة وحماية الدين والتمسك به وكانت حفلة رائعة.

وفي يوم الاثنين ١٤ شعبان تجولت أنا وابني عبد الرحمن في متحف القاهرة والذي يجمع من الآثار الفرعونية ما لا يخطر على بال أحد الحصول عليه وأكثره من مقابرهم، ووجدنا في إحدى غرفها ٢٤ من الفراعنة ممن مات قبل ميلاد المسيح بما يقرب من ألفي عام، وأكثر الرؤوس لا تزال محتفظة بملامحها وأعصابها من الجمجمة والعين والأنف والخدود والفم والأضراس والأذقان وجميع أوانيهم وأثاثهم وحليهم الذي يفوق الوصف. وفيها تابوت كان يضم جثمان رمسيس من حجر صلب يدخل في أكبر منه من ذهب، وهذا إلى أكبر منه، وهذا في الرابع الأكبر من الجميع. وقال لنا من يصحبنا بأنهم فعلوا هذه الأمور لأنهم يعتقدون بحياة ثانية بعد عودة أرواحهم، فإذا رجعوا فسوف يجدون ما يحتاجونه مما كانوا يستعملونه في حياتهم موجوداً بجانبهم، حتى آلة الحلاقة ومهود الأطفال، وكلها من الذهب. والمستغرب أنهم وجدوا عطورهم التي يتخذونها من الزهور بحالها مختومة في قوارير مكينة، وقد شرحوا كيفية أخذها من الزهور.

وفي مساء ذلك اليوم زارنا الأستاذ القدير الشيخ علي بن أحمد باكثير الشاعر الفريد صاحب القصص والروايات المفيدة والتي يدرس منها في مدارس مصر الآن رواية تسمى (وا إسلاماه) التي يطبع منها في كل سنة أكثر من ١٥٠ ألف نسخة، وقد أهدى لنا عدداً من روايته (سلامة القس) وأهدى لمكتبة مسجد طه شرح مسند الإمام أحمد للشيخ أحمد البنا وهو في ١١ مجلداً كبيراً، كل جزء منه يشتمل على جزأين.

وقد تعلم الشيخ علي باكثير في مدرسة النهضة بسيؤن، وكان تلميذاً لي، ولم أعرف من قام بحق الأستاذية لي مثل ما قام به هو. فهو لم يزل يذكر تلك الدروس التي ألقيتها له قبل ٤٩ سنة، ويذكرها أمام الناس حتى يوم وصوله سيؤن في سنة ١٣٨٨ عندما قام فيها محاضراً بمسجد طه بطلب منّا، وقد أعجب بعمارته الجديدة وأثنى علينا وعلى مساعدتنا فيها.

وفي يوم الاثنين ١٨ من شعبان زار بنا الأخ عبد الله بن يحيى السيد العلامة محمد بن أحمد بن سميط التريمي المقيم مع أولاده بالقاهرة مدرساً للعلوم العربية والدينية، ثم زرنا

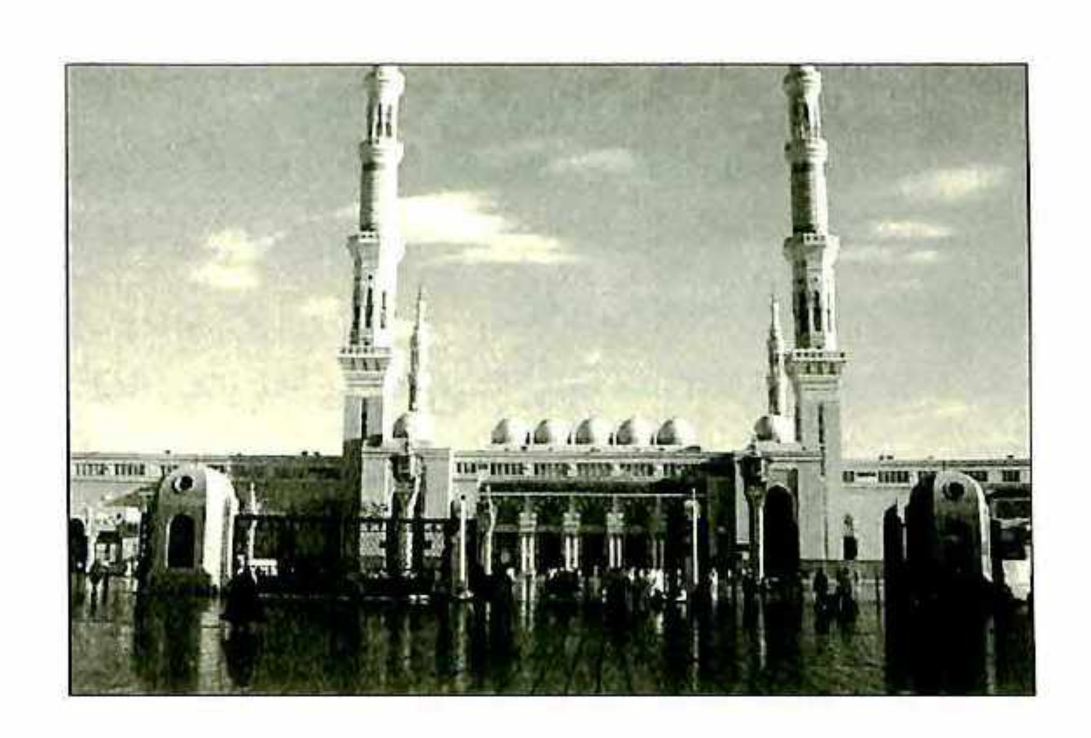
الشيخ العلامة الكبير محمد المطيعي في محل تجارته لبيع الكتب، وهو عالم شافعي المذهب متضلع، له مؤلفات من آخرها إكماله لشرح المهذب الذي شرحه النووي، ثم السبكي ولم يكملاه ونسج على منواليهما، واشترينا منه الجزء الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر والباقي لا يزال تحت الطبع وأخذنا منه تفسير السيد حسن صدقي عشرة أجزاء (انتهى باختصار)[١].



(١) علوي بن عبد الله السقاف، السيرة الذاتية، صفحة ١٤٤-١٥٣.

الفصل الثامن والعشرون بعد المائة

علاقة العلويين بالأوربيين



سنقسم الحديث في هذا الفصل إلى أربعة أجزاء نبدأها بأثر ظهور الإسلام على الحضارات القديمة، ثم نحاول في الجزء الثاني أن نتعرف على أسباب انتصار الحضارة الغربية على المسلمين، ثم ننظر في الجزء الثالث إلى طريقة تعامل الغرب مع المسلمين ونقارنها في الجزء الثالث بتعامل المسلمين مع رعاياهم من المسيحيين، مع توضيح طرق تغلغل الأوروبيين في بلاد المسلمين، وننتهي في الجزء الخامس إلى ذكر العلاقة بين العلويين والأوروبيين.

أولاً: أثر ظهور الإسلام على الحضارات القديمة[1]

قضت غزوات القبائل الرحل بعد عام ٣٠٠م على الحضارات القديمة في كل أنحاء آسيا، وتدفق هؤلاء البرابرة لمدة قرون من أواسط آسيا والأطراف الجنوبية لشمال آسيا، واجتاح الهون من منغوليا شمال الصين في القرن الرابع، ثم اتجهوا غرباً ودخلوا أوروبا حيث أسهموا في سقوط الإمبراطورية الرومانية. وفي حوالي سنة ٥٥٠م قضى الهون على إمبراطورية الهند التي دامت ١٨٠ سنة.

ثم نَعِم شرق آسيا بالسلام منذ بداية القرن السابع حتى القرن الثاني عشر الميلادي، وهي حقبة ظهور الإسلام وازدهاره، وتولت حكم الصين في هذه الفترة أسرتا تانغ وسونغ، وطورتا صناعة البارود والطباعة والعملات الورقية والخزف،

وخلال القرن السابع الميلادي فتح المسلمون الجزء الجنوبي الغربي من آسيا وشمال أفريقيا ومعظم إسبانيا، وكانت الإمبراطورية البيزنطية هي الدولة النصرانية الوحيدة في أسيا وشرق البحر المتوسط، ثم انتهى نفوذها على يد الأتراك السلاجقة المسلمين.

ثم وحّد جنكيز خان القبائل المغولية البربرية بعد سنة ١٢٠٦ م، واجتاح بها شمال الصين وشمال الهند وفارس وأجزاء من أوروبا وكوّن أكبر إمبراطورية في التاريخ امتدت من

---

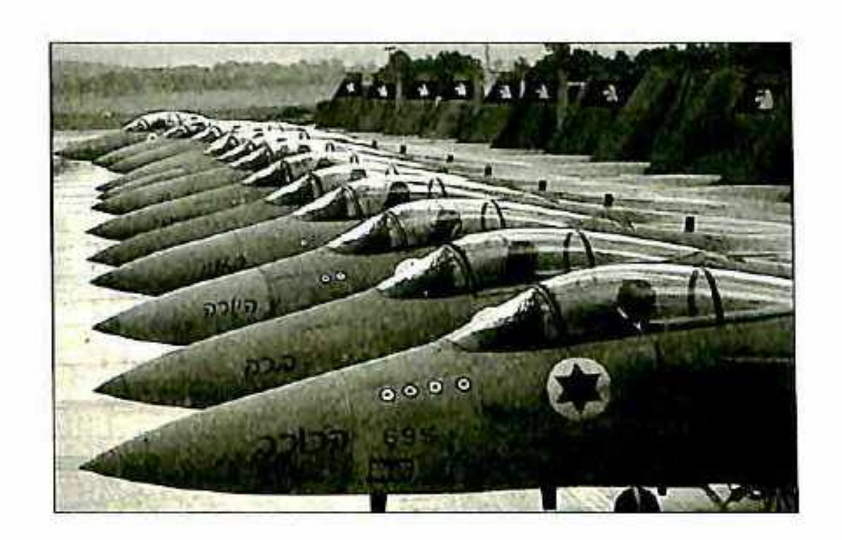
(١) ملخص من الموسوعة العربية العالمية، المجلد الثاني صفحة ١٨٤

الصين إلى نهر الدانوب في أوروبا، واستمرت هذه الإمبراطورية حتى سنة ١٣٦٨ م، وبلغت أوجها تحت حكم قبلاي خان.

وبعد سقوط الدولة المغولية استولت أسرة مينج على حكم الصين، وبسطت نفوذها على معظم شرق آسيا لثلاثة قرون ازدهر خلالها الأدب والفن الصيني.

وفي سنة **١٥٢٦**م غزا المغول المسلمون الهند وأقاموا الإمبراطورية المغولية، كما أقام الأتراك المسلمون في الوقت نفسه تقريباً الإمبراطورية العثمانية التي امتدت إلى أوروبا وشمال أفريقيا وآسيا، إلا أن هذه الإمبراطوريات لم تستمر بعد أن نهض الأوروبيون وانطلقوا لما وراء البحار. (انتهى). وسنعرف فيما يلي من المستشرق الشهير برنارد لويس كيف نهض الأوروبيون وتفوقوا على المسلمين وانتصروا عليهم ثم استلبوا بلادهم.

ثانياً: كيف تقدم الأوروبيون وانتصروا على المسلمين[١]



يقول برنارد لويس: وكان المسلمون على وعي ـ بطبيعة الحال ـ بوجود مجتمعات أخرى تتمتع بقدر ما من الحضارة على وجه الأرض في الصين وفي الهند وفي ديار المسيحية،

---

(١) مقتبسة من مقدمة كتاب أين الخطأ للمستشرق برنارد لويس ترجمة دكتور محمد عناني، إصدارات سطور

ولكن الصين كانت بعيدة عنهم ولا يعرفون الكثير عنها، وكانوا بسبيلهم إلى إخضاع الهند وتحويلها إلى الدين الإسلامي. وأما العالم المسيحي فكانت له أهميته الخاصة لأنه كان يمثل المنافسة الجادة الوحيدة للإسلام من حيث إن المسيحية عقيدة عالمية وقوة عالمية. ولكن تلك العقيدة كان قد حلّ محلها ـ في نظر المسلمين ـ التنزيل الإسلامي النهائي، وكانت تلك القوة تتغلب عليها ـ بصورة مطردة ـ طاقة الإسلام التي تسترشد بالهدي الإلهي.

وكان معظم المسلمين في العصور الوسطى يرون أن العالم المسيحي يعني في المقام الأول الإمبراطورية البيزنطية، وهي التي استمر ضعفها وتضاءل حجمها تدريجياً حتى اختفت نهائياً بفتح الأتراك للقسطنطينية في عام ١٤٥٣، وكانوا ينظرون إلى البقاع النائية في أوروبا نظرتهم إلى البقاع النائية في أفريقيا ـ فيرون أنها مجاهل قصية للبربرية والكفر لا يُرجى منها علم ولا شيء يستورد منها إلا العبيد والمواد الخام، وأن أقصى ما يرجى من برابرة الشمال وبرابرة الجنوب هو الانضمام إلى إمبراطورية الخلفاء حتى يجنوا ثمار الدين والحضارة.

ولم يكن ذلك يبدو مستبعداً في السنوات الألف الأولى بعد نزول الإسلام، أو ما يقرب من هذه الفترة. ولقد بذل المسلمون محاولات متكررة لتحقيق ذلك في القرن السابع الميلادي حين تقدمت الجيوش الإسلامية من بلاد العرب، ففتحت سوريا وفلسطين ومصر وهي التي كانت حتى ذلك العهد جزءاً من العالم المسيحي، بل إن معظم الذين تحولوا إلى اعتناق الدين الإسلامي غربي إيران وبلاد العرب كانوا من المسيحيين. وفي القرن الثامن انطلقت القوات العربية المسلمة من قواعدها في شمالي أفريقيا بعد أن انضم إليها البربر الذين اعتنقوا الإسلام، ففتحت إسبانيا والبرتغال وغزت فرنسا. وفي القرن التاسع فتح المسلمون صقلية وغزوا أراضي إيطاليا نفسها. وفي عام ٨٤٦ للميلاد قامت حملة بحرية من صقلية فدخلت نهر التايبر (تيڤيري) في إيطاليا، واكتسحت القوات العربية أوستيا وروما، وكان ذلك وراء أولى محاولات تنظيم هجمة مسيحية مضادة وفعالة، ولكن سلسلة الحملات التالية لاسترجاع الأرض المقدسة وهي المعروفة بالحملات الصليبية انتهت بالفشل وبالطرد.

وفي أوربا حققت الأسلحة المسيحية نجاحاً أكبر، فما أن انتهى القرن الحادي عشر حتى كان المسلمون قد تركوا صقلية. وفي عام ١٤٩٢م ـ أي بعد نحو ثمانية قرون من وصول المسلمين لأول مرة إلى إسبانيا ـ انتهى النضال الطويل لاسترجاع إسبانيا بالنصر مما فتح الباب أمام الغزوات المسيحية لإفريقيا وآسيا، لكنه وقعت تهديدات أخرى ـ في غضون ذلك ـ من المسلمين لعالم المسيحية في أوروبا، إذ حدث في الشرق ما بين عامي ١٢٣٧ و١٢٤٠ للميلاد أن فتح التتار روسيا واعتنق الخان الأكبر من الشعب التتري الإسلام عام ١٢٥٢، فأصبحت روسيا وجانب كبير من أوروبا الشرقية تحت الحكم الإسلامي، ولم يستطع الروس إلا في أواخر القرن الخامس عشر تحرير بلادهم مما أسموه (بالنير التتري). وفي الوقت نفسه كانت موجة ثالثة من الهجمات الإسلامية قد بدأت ألا وهي موجة الأتراك العثمانيين الذين فتحوا الأناضول، ثم استولوا على مدينة القسطنطينية، وهي المدينة المسيحية العريقة، ثم غزوا واستعمروا شبه جزيرة البلقان، وهددوا قلب أوروبا نفسه فوصلوا في أعماقها إلى فيينا نفسها مرتين.

وعندما وصلت القوة الإسلامية إلى ذروتها لم تكن هناك سوى حضارة واحدة تضارعها في مستوى الإنجاز وامتيازه وتنوعه، وتلك ـ بطبيعة الحال ـ هي الصين. ولكن الحضارة الصينية ظلت في جوهرها حضارة محلية، إذ اقتصرت على إقليم واحد هو شرق آسيا وعلى جماعة عرقية واحدة، وقد صدرتها الصين في حدود معينة، ولكن التصدير اقتصر على الشعوب المجاورة وذات القرابة، على عكس الإسلام الذي أنشأ حضارة عالمية متعددة الأجناس والأعراق ذات طابع دولي، وربما استطعنا وصفها بأنها (حضارة عابرة للقارات).

وظلت رؤية المسلمين للعالم ولأنفسهم قروناً طويلة تستند إلى مبررات قوية فيما يبدو، فكان الإسلام يمثل أعظم قوة عسكرية على وجه الأرض، إذ كانت جيوشه تقوم في وقت واحد بغزو أوروبا وأفريقيا والهند والصين، وكانت القوة الاقتصادية الأولى في العالم، وكان يمارس التجارة في أنواع بالغة التنوع من السلع من خلال شبكة مترامية الأطراف للتجارة

والمواصلات في آسيا وأوروبا وأفريقيا، إذ يستورد الرقيق والذهب من أفريقيا والرقيق والصوف من أوروبا وتشمل مبادلاته شتى ضروب الأغذية والمواد والمصنوعات مع البلدان المتحضرة في آسيا، وكان قد وصل إلى أعلى مستوى شهده تاريخ الإنسانية حتى تلك اللحظة في فنون الحضارة وعلومها فبعد أن ورث معرفة الشرق الأوسط القديم ومهاراته واستوعب تراث اليونان والفرس أضاف إليها عدة ابتكارات مهمة من الخارج مثل استخدام الورق وصناعته من الصين ونظام الأرقام العشرية من الهند. ومن العسير أن نتصور للأدب الحديث أو العلم وجوداً دون هذا أو ذاك. فلقد بدأ في الشرق الأوسط الإسلامي إدراج الأرقام من الشرق الأوسط إلى الغرب حيث لا يزال تعرف باسم الأرقام العربية، وهو الاسم الذي يشرف من أتوا بها إلى أوروبا للمرة الأولى لا من اخترعوها. وأضاف الباحثون والعلماء في العالم الإسلامي إلى هذا التراث الحافل مساهمات بالغة الأهمية من خلال ملاحظاتهم وتجاربهم وأفكارهم، وهكذا كانت أوروبا القرون الوسطى تلميذاً في معظم فنون الحضارة وعلومها، وكانت بمعنى من المعاني تابعة للعالم الإسلامي، وتعتمد على النصوص العربية لكثير من الكتب حتى للكثير من الكتب اليونانية التي لم تكن لتعرف لولا ترجمتها إلى العربية.

وفجأة تغيرت العلاقة، إذ بدأ الأوروبيون حتى قبل عصر النهضة يحرزون تقدماً ملموساً في فنون الحضارة، وبقدوم ما يسمى بالمعرفة الجديدة شرعوا يتقدمون بسرعة لاهثة، فسبقوا التراث العلمي والتكنولوجي ثم الثقافي للعالم الإسلامي بأشواط طويلة.

ولم يكن المسلمون يدركون ذلك، بل ظلوا ردحاً طويلاً من الزمن غافلين عنه، فتوقفت حركة الترجمة الكبرى التي كانت قد أطلعت المسلمين وغيرهم من القراء العرب على الكثير من الكتب اليونانية والفارسية والسريانية، وأما الكتب العلمية الجديدة في أوروبا فكانت شبه مجهولة تماماً لهم، والواقع أنه حتى أواخر القرن الثامن عشر لم يكن قد ترجم من كتب الطب سوى كتاب واحد إلى إحدى لغات الشرق الأوسط ـ ألا وهو كتاب صغير عن مرض الزهري، وضع في القرن السادس عشر ذلك المرض الذي ذاع أنه أمريكي الأصل وجاء إلى

العالم الإسلامي من أوروبا بل إنه ما زال يعرف باللغات العربية والفارسية والتركية باسم المرض الإفرنكي، والواضح أنه كان من المناسب ومن المشروع فيما يبدو اتخاذ علاج إفرنكي لمرض إفرنكي، وفيما عدا ذلك كانت ديار الإسلام لا تكاد تدري شيئاً عن النهضة الأوروبية وحركة الإصلاح الديني والثورة التكنولوجية، إذ كان المسلمون لا يزالون يميلون إلى الاستخفاف بالقاطنين وراء حدودهم الغربية باعتبارهم من البرابرة الذين يعيشون في الظلام، وباعتبارهم أدنى حتى من كفار أسيا في الشرق الذين أحرزوا درجة أعلى من التقدم، إذ كان لديهم من المهارات والمبتكرات ما يمكن الإفادة منه، ولم يكن لدى الأوروبيون شيء من هذا. ولقد كان هذا الحكم يتمتع بدرجة معقولة من الصحة وقتاً طويلاً لكنه عفي عليه الزمن فأصبح ينطوي على خطر داهم.

وعادة ما يستقي الناس دروس التاريخ بوضوح شديد ودون أي لبس أو غموض في ساحة القتال إلا أن فهم الدرس وتطبيقه قد يتأخر بعض الشيء، ففي ديار المسيحية لم يكن من الصعب على الناس أن يدركوا أن الهزيمة النهائية للمغاربة في إسبانيا عام ١٤٩٢ وتحرير روسيا من حكم التتار المسلمين كانا انتصارين فاصلين، ومثلما فعل الأسبان والبرتغاليون طارد الروس سادتهم السابقين حتى اقتحموا عليهم أوطانهم وكانوا قد أحرزوا نجاحاً أكبر وأطول عمراً، إذ فتح الروس استراخان في عام ١٥٥٤، وبذلك وصلوا إلى شواطئ بحر قزوين. وفي القرن التالي وصلوا إلى الساحل الشمالي للبحر الأسود، وهكذا بدأت رحلة الفتح والاستعمار الطويلة التي انتهت بضم مساحات شاسعة من أراضي المسلمين إلى الإمبراطورية الروسية.

ولكن عيون الناس في ديار الإسلام كانت ترى أن هذه الأحداث التي وقعت على الأطراف النائية لدنيا الحضارة تقل في أهميتها بل يشحب لونها على أية حال أمام الانتصارات التي أحرزها المسلمون في قلب عالمهم، وهي انتصارات بالغة الأهمية مثل الطرد المهين للصليبيين من بلاد الشام في القرن الثالث عشر وفتح الإمبراطورية المسيحية الباقية، أي فيينا وهو ما كان يبدو بمثابة قدر لا رادّ له للإسلام وهزيمة محتومة للعالم المسيحي.

كان السلطان العثماني مثل قرينه ومنافسه إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة لا يعدم المنافسين السياسيين والتحديات الطائفية داخل عالمه الديني الخاص، وكان السلطان أشد نجاحاً من صاحبه في التصدي لهذه التحديات، ففي نهاية القرن الخامس عشر ومطلع السادس عشر كان للعثمانيين اثنان من الجيران المسلمين أعرقهما السلطنة المملوكية في مصر وعاصمتها القاهرة، وهي التي كانت تحكم كل بلاد الشام وفلسطين وأهم منها الأماكن المقدسة في الإسلام في غربي بلاد العرب، وكان الجار الآخر هو بلاد فارس التي توحدت من جديد في ظل أسرة حاكمة جديدة وروح نضال دينية جديدة، وكان مؤسس الأسرة الشاه إسماعيل الصفوي (الذي حكم من سنة ١٥٠١ إلى سنة ١٥٢٤) شيعياً يتكلم التركية، ومن أذربيجان. وقد أخضع جميع أراضي إيران لحكم واحد لأول مرة منذ الفتح العربي في القرن السابع، ولما كان زعيماً دينياً إلى جانب كونه وربما إلى درجة أكبر زعيماً سياسياً وقائداً عسكرياً، فلقد جعل المذهب الشيعي الدين الرسمي للدولة، وهكذا فصل بين مملكة إيران الإسلامية فصلاً حاسماً، وبين بقية جيرانها المسلمين على الجانبين، أي في الشرق حيث وسط آسيا والهند (السني)، وفي الغرب حيث الإمبراطورية العثمانية (السنية) ودأب الشاه وخلفاؤه من السلالة الصفوية، ولو لفترة محدودة على منازعة السلاطين العثمانيين تفوقهم السياسي وزعامتهم الدينية، فقام السلطان سليم الأول المعروف بلقب الجهم والذي امتد حكمه من سنة ١٥١٢ حتى سنة ١٥٢٠ بشن حملات عسكرية على الدولتين المجاورتين له الصفوية بإيران والمملوكية بمصر فحقق نجاحاً كبيراً وإن لم يكتمل نجاحه ضد الشاه، ولكنه أحرز نصراً شاملاً ونهائياً على سلطان مصر المملوكي، ومن ثم أصبحت مصر والمناطق التابعة لها من الولايات العثمانية، وبقيت بلاد فارس دولة منفصلة ومنافسة وعلى الأغلب معادية للعثمانيين.



بل إن بوزبق سفير الإمبراطورية الرومانية المقدسة في اسطنبول ذهب إلى القول بأن التهديد الفارسي وحده هو الذي أنقذ أوروبا من الفتح التركي الوشيك لها، فكتب هذا السفير

يقول إننا نرى على الجانب التركي موارد إمبراطورية جبارة وقوة لا يشوبها وهن واعتياداً على النصر وقدرة على التحمل والجلد ووحدة وانضباطاً وتقشفاً ويقظة وانتباهاً، وأما على جانبنا فنجد فقر العامة وترف الخاصة وقوة مثلومة وروحاً منكسرة ونقصاً في قوة التحمل والتدريب، فالجنود عاصون والضباط مفترون، وانتشر الانحلال والتهور والسكر والتبذل.

وأسوأ ما في الأمر أن العدو قد اعتاد النصر واعتدنا الهزيمة، هل لنا أن نشك فيما ستكون النتيجة. إن بلاد فارس وحدها هي التي تتدخل لصالحنا إذ إن العدو وهو يسرع بالهجوم لا بد أن يحذر دائماً من ذلك الخطر المتربص بصفوفه الخلفية، ولكن بلاد فارس تؤخر من وقوع المصير الذي ينتظرنا، ولا تستطيع إنقاذنا. فبعد أن يسوي الأتراك أمورهم مع بلاد فارس سوف ينقضون على نحورنا يساندهم جبروت الشرق كله.

هذا، ولا أجرؤ أن أحدد مدى عدم استعدادنا لذلك، ولقد سمعنا في العصر الحديث بعض المراقبين الغربيين الذين قالوا أقوالاً مماثلة عن الاتحاد السوفيتي والصين وثبت خطؤهم مثلما ثبت خطأ بوزبق.

فلقد أثبتت الأحداث أن مخاوف بوزبق لم يكن لها ما يبررها إذ استمر القتال بين العثمانيين والفرس حتى القرن التاسع عشر، وعندها لم يعودا يمثلان تهديداً لأي أحد فيما عدا رعاياهما، أما قبل ذلك فأحيانا ما كان يطرح على بساط البحث إمكان عقد حلف مناهض للعثمانيين بين العالم المسيحي وبلاد الفرس دون أن يؤدي ذلك إلى شيء، ففي عام **١٥٣٢** أرسل الشاه إسماعيل الصفوي الذي كان لا يزال يتألم من الهزيمة التي لحقت به خطاباً إلى الإمبراطور شارل الخامس يعرب فيه عن دهشته من أن الدول الأوربية يحارب بعضها بعضاً بدلاً من ضم الصفوف في وجه العثمانيين، ولم تلق تلك المناشدة أذناً صاغية ولم يرسل الإمبراطور رداً على الشاه إسماعيل حتى عام **١٥٢٩**، وكان الشاه قد توفي قبل ذلك بخمس سنوات.

وتجمدت تحركات الفرس مؤقتاً، واستطاع العثمانيون بزعامة السلطان سليمان القانوني

الذي حكم من (١٥٢٠-١٥٦٦) خلفاً للسلطان سليم أن يبدأوا أول مرحلة من مراحل التوسع في أوروبا، ففي عام ١٥٢٦ وقعت وقعة موهاك الكبرى في المجر، وكانت الغلبة الحاسمة فيها للترك، ففتحت الباب أمام أول حصار ضربوه حول فيينا في عام ١٥٢٩. وكان الجانبان يعتبران أن عدم الاستيلاء على فيينا بعد ذلك الحصار لا يمثل هزيمة بل تأخراً في إحراز النصر، ومن ثم بدأ الصراع الذي امتد أجله للسيطرة على قلب أوربا.

وقد نجحت الدول المسيحية هنا وهناك في إحراز بعض النجاحات ونصر أوحد مشهود، وذلك في معركة ليبانتو البحرية الكبرى في خليج باتراس باليونان عام ١٥٧١، بل لقد هلّل الناس في أوروبا للموقعة باعتبارها نصراً مؤزراً، وفرح العالم المسيحي فرحاً طاغياً بالظفر، وفاضت مشاعر ملك اسكتلندة ـ جيمس الرابع ـ آنذاك (وهو الذي أصبح ملك انجلترا جيمس الأول فيما بعد)، فألف قصيدة طويلة احتفالاً بهذه المناسبة، ويوجد في دار المحفوظات التركية تقرير قبودان باشا قائد البحرية التركية الذي يشير إلى موقعة ليبانتو في سطرين لا أكثر قائلاً إن أسطول الإمبراطورية التي تهتدي بهدى الله اشتبك مع أسطول الكفار التعس، وشاءت إرادة المولى ألا يحالفنا النصر، وإذا كان هذا تقريراً حربياً فقد نرى أنه يفتقر بعض الشيء إلى التفاصيل، وإن كانت لا تنقصه الصراحة، فأما في كتب التاريخ العثماني فإن هذه الموقعة يشار إليها بكلمة واحدة هي «سينجين»، وهي كلمة تركية تعني الانكسار أو الهزيمة الساحقة.

ولكن ترى ماذا كان أثر موقعة ليبانتو؟ لقد كان حتماً أثراً طفيفاً، فإذا نظرنا إلى الأبعاد الكاملة للقوة البحرية ناهيك بالقوة العسكرية في المنطقة، وهي القضية الأعم والأشمل وجدنا أن ليبانتو لم تكن سوى نكسة محدودة للعثمانيين سرعان ما تجاوزوها. وتتجلى حقيقة الحال في محادثة أوردها أحد كتاب التاريخ العثماني فهو يقول إن السلطان سليم الثاني سأل الصدر الأعظم سوكولو محمد باشا عن تكاليف إعادة بناء الأسطول بعد تدميره في ليبانتو فأجابه قائلاً: «إن جبروت دولتنا عظيم وثراءها مديد، فلو أردنا تجهيز الأسطول كله بمجاديف من

فضة ومعدات من الحرير وأشرعة من الديباج لما استعصى علينا ذلك. والواضح أن في هذا مبالغة شعرية، ولكنه يدل دلالة دقيقة على الأهمية الحقيقية لموقعة ليبانتو - فإذا كانت قد رفعت كثيراً من الروح المعنوية للغرب، فإنها لم تزد عن كونها هزة طفيفة للشرق. وظلّ الخطر الأكبر قائماً. ففي القرن السابع عشر كانت بودابست وبلغراد لا تزالان تحت حكم باشوات أتراك، وكانت سفن القراصنة من بربر الشمال الأفريقي تغزو في عام ١٦٢٧ سواحل إنجلترا وأيرلندا، بل وسواحل أيسلندا، وتعود بالغنائم البشرية للبيع في أسواق النخاسة في مدينة الجزائر.

وفي أواخر القرن السادس عشر ومطلع القرن السابع عشر أصبح الفرس من جديد عاملاً له أهميته في الصراع، وكان الشاه عباس الأول - المعروف باسم عباس الأكبر - أنجح حكام سلالته من عدة نواح. وفي عام ١٥٩٨ وفي أثناء عودته إلى عاصمة بلاده بعد النصر الذي أحرزه على أوزبكستان في وسط آسيا قابلته مجموعة من الأوروبيين بقيادة أخوين انجليزيين هما السير أنطوني والسير روبرت شيرلي، ومن المحتمل أنهم اقترحوا عليه إرسال خطابات ود وصداقة إلى البابا في روما وإلى إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة وشتى حكام أوروبا وملوكها، ومن بينهم ملكة انجلترا ودوق البندقية، ولكن هذه الرسائل لم تسفر عن الكثير، وأما ما كانت له أهميته الكبرى فهو إعادة تنظيم قواته المسلحة وإعادة تجهيزها بمعونة الأخوين شيرلي وغيرهما من الأوروبيين. ونشبت الحرب بين الفرس والأتراك فيما بين عامي ١٦٠٢ و١٦١٢، ثم أدى هذا الانشغال بالشرق إلى إرغام الأتراك في عام ١٦٠٦ على عقد معاهدة سلام مع النمسا.

وترجع أهمية معاهدة سيتفاتوروك التي وقعت في ذلك العام إلى عدة أسباب، إذ إن جميع المعاهدات السابقة كان الأتراك قد أملوا شروطها في عاصمتهم استامبول، وأما هذه المعاهدة فقد عقدت على أرض محايدة - في جزيرة في نهر الدانوب - بين الجانبين، وكان هناك ما تزيد أهميته على ذلك ألا وهو الاعتراف بأن الإمبراطور كان بادي «شاه»، وكان المعمول

به حتى تلك اللحظة عند العثمانيين تعيين حكام أوروبيين وإطلاق ألقاب عثمانية من ألقاب التابعين عليهم، مثل لقب (باك) أو ألقاب يظنونها ألقاباً أوروبية، وكان ذلك أكثر شيوعاً، فكانت خطابات العثمانيين إلى الملكة إليزابيث تخاطبها باسم «قيراليش [ملكة] ولاية انجلترا»، وتخاطب الإمبراطور باسم «قيرال [ملك] فيينا» وأصول كلمتي (قيرال) و(قيراليش) بطبيعة الحال أوربية لا تركية، وكان العثمانيون يستخدمونها على غرار ما كان البريطانيون يفعلون أيام الإمبراطورية، إذ يطلقون ألقاباً محلية على الأمراء في الهند من أبناء البلاد، وأما مخاطبة الإمبراطور بلقب بادي شاه وهو اللقب الذي كان السلاطين العثمانيون أنفسهم يستخدمونه، فكان اعترافاً رسمياً بالمساواة.

وإذا كان المسلمون يكنون الاحتقار بصفة عامة للغرب الكافر فإنهم لم يكونوا غالين عن المهارات الغربية في صناعة الأسلحة وفنون الحرب، وكانت النجاحات الأولى للصليبيين في بلاد الشام قد نبهت رؤساء الإدارات الحربية عند المسلمين إلى تفوق الأسلحة الغربية في بعض النواحي على الأقل، وسرعان ما وعوا الدرس وطبقوه، فكلفوا أسرى الحرب الغربيين بالشروع في بناء التحصينات، واستأجروا المرتزقة والمغامرين الغربيين للعمل لديهم، وبدأت تجارة الأسلحة والمعدات الحربية، واتسع نطاقها باطراد على مرّ القرون، بل إن الأتراك العثمانيين كانوا أثناء زحفهم على جنوب شرقي أوروبا دائماً ما ينجحون في شراء المعدات التي كانت أساطيلهم وجيوشهم في مسيس الحاجة إليها من الموردين المسيحيين الأوربيين وفي توظيف الخبراء الأوروبيين لديهم، وحتى في الحصول على تغطية مالية من المصارف المسيحية الأوربية، وهكذا نرى أن ما يعرف الآن باسم العلاقة البناءة له تاريخ طويل.

ولكن ذلك كله لم يؤثر إلا قليلاً، أو لم يؤثر على الإطلاق في آراء المسلمين ومواقفهم ما دامت جيوش المسلمين تتوغل ظافرة في قلب أوروبا، فإذا كان السلاطين يشترون المعدات العسكرية والخبرة الحربية نقداً فإنهم لم يروا في ذلك سوى معاملات تجارية، وقد اقتبس الأتراك بصفة خاصة بعض المخترعات الأوروبية مثل المسدسات والبنادق والمدافع

واستخدموها ببراعة فائقة دون أن يغيروا من نظرتهم إلى الهمج الكفار الذين حصلوا منهم على هذه الأسلحة.

وارتفعت أصوات بعض المعارضين منذ القرن السادس عشر، إذ قال أحد كبار المسئولين العثمانيين بعد تقاعده (وكان الصدر الأعظم): إن قوات المسلمين متفوقة في البر، ولكن الكفار يزدادون قوة في البحر. وأضاف قائلاً: يجب أن نتغلب عليهم. ولكن رسالته لم يكد يلتفت إليها أحد، وفي مطلع القرن السابع عشر أشار مسئول عثماني آخر إلى تكاثر الوجود المزعج للسفن التجارية البرتغالية والهولندية والإنجليزية في المياه الآسيوية وحذر من الأخطار التي يمكن أن تنجم عن ذلك.

وكان الخطر حقيقياً ومتنامياً، فعندما أبحر الملاح البرتغالي فاسكو دي غاما حول إفريقيا ووصل إلى المحيط الهندي في نهاية القرن الخامس عشر فتح طريقاً بحرياً جديداً بين أوروبا وآسيا، الأمر الذي كانت له عواقبه البعيدة المدى على الشرق الأوسط في مجال التجارة أولاً، ثم في المجال الاستراتيجي بعد ذلك، بل لقد بادرت جمهورية البندقية منذ البداية، أي في عام ١٥٠٢ وكانت المستفيدة الأوروبية الأولى من التجارة الشرقية في البهارات بإرسال مبعوث إلى القاهرة ليحذر سلطان مصر من خطر هذا الطريق البحري الجديد على تجارتها. ولم يبد السلطان اهتماماً في أول الأمر ولكن الانخفاض الحاد في دخل جماركه اضطره إلى تركيز اهتمامه بمزيد من الحدة على هذه المشكلة الجديدة، ولم تفلح الحملات البحرية المصرية في قهر البرتغاليين في مياه بحار الشرق وكان إخفاقها ولا شك من العوامل التي ساهمت في هزيمة السلطنة المصرية ١٥١٦–١٥١٧ وانضمام جميع الأراضي التابعة لها إلى الدولة العثمانية.

وتولى العثمانيون ـ بعد المصريين ـ تلك المهمة دون أن يحرزوا نتائج أفضل كثيراً، إذ كانت جهودهم للوقوف في وجه البرتغاليين في القرن الإفريقي والبحر الأحمر غير حاسمة في أفضل الأحوال، وخير ما يدل على عدم اهتمام العثمانيين بهذه التطورات هو مدى استجابتهم لطلب العون الذي أرسله الحاكم المسلم لإقليم أتشيه في سومطره في عام ١٥٦٣، إذ إنه

١٥٧٣

أرسل في ذلك العام سفيراً إلى استامبول يناشد العثمانيين مدّ المساعدة للوقوف في وجه البرتغاليين. وذكر الحاكم ـ ابتغاء حثهم على الاستجابة ـ أن العديد من حكام المنطقة غير المسلمين وافقوا على اعتناق الإسلام إذا هب العثمانيون لمساعدتهم، ولكن العثمانيين كانوا مشغولين بأمور أخرى أكثر إلحاحاً ـ منها حصار مالطة وحصار زيغتفار في المجر ووفاة السلطان سليمان القانوني. وبعد التلكؤ عامين كاملين تمكنوا آخر الأمر من تجميع أسطول يتألف من ١٩ سفينة صغيرة وبعض السفن الأخرى التي تحمل الأسلحة والمؤن لمساعدة أهل أتشه المحاصرين. ولكن معظم السفن لم تصل إلى غايتها، إذ صدر الأمر بتحويل معظم سفن الحملة لتحقيق مهمة عاجلة ـ أو أشد إلحاحا ـ وهي إعادة السلطة العثمانية في اليمن وتوسيع نطاقها، ولم تصل إلا سفينتان في الواقع تحملان مصانع لصب المدافع ورجال المدفعية والمهندسين، إلى جانب بعض المدافع وغيرها من المعدات الحربية. وعند وصولها إلى أتشيه بدأ الحاكم المحلي يستفيد بها في المحاولات غير الناجحة التي بذلها لطرد البرتغاليين. ويبدو أن الحادثة لم يلتفت إليها أحد في ذلك الوقت ونعتمد في معرفتنا بها على ما ورد في الوثائق بدار المحفوظات التركية وحدها. ومن المحتمل أن العثمانيين قد حالفهم الحظ في عدم التصدي ـ سواء كان ذلك إهمالاً أم عمداً ـ للقوة البحرية البرتغالية في البحار الشرقية فإن أسطولهم الذي يتكون من سفن صغيرة ملائمة للبحر المتوسط لم تكن لتحقق النجاح أمام السفن الحربية الكبيرة للبرتغاليين التي بنيت للإبحار في المحيط الأطلسي، فكانت بذلك أضخم وأثقل وأحسن تسليحاً وأقدر على المناورة.

كان تأثير الطريق الجديد الذي فتح في المحيط بين أوروبا وآسيا على التجارة العابرة في الشرق الأوسط أقل مما كان المؤرخون يفترضونه يوماً ما، إذ استمر في القرن السادس عشر ازدهار التجارة العابرة للشرق الأوسط في البهارات وغيرها من السلع بين جنوبي آسيا وجنوبي شرقها من ناحية، وبين أوروبا المطلة على البحر المتوسط من ناحية أخرى، ولكنه نشأ في القرن السابع عشر موقف جديد وأشد خطراً بكثير على الشرق الأوسط، إذ إن

البرتغاليين والهولنديين وغيرهم من الأوربيين في آسيا لم يعودوا يذهبون للتجارة فحسب، بل إنهم أنشأوا قواعد لهم تحولت آنذاك إلى مستعمرات تابعة. وبازدياد قوتهم وامتدادها من البحر إلى الموانئ، وحتى إلى داخل البلاد أصبحت الإمبراطوريات الأوربية الجديدة في آسيا والتي تتحكم في نقاط وصول ورحيل التجارة بين الشرق والغرب تحيط بالشرق الأوسط وتكاد تحاصره فعلياً.

ولم يقتصر الخطر على توسع أوروبا الغربية في جنوبي آسيا، فلقد اتجهت روسيا إلى التوسع في شمالي آسيا، وهنا أيضاً لجأ الحكام إلى أكبر دولة مسلمة في ذلك الوقت وهي الدولة العثمانية يطلبون مدّ يد العون، واستجابت الدولة العثمانية إلى حدّ ما، ففي عام ١٥٦٨ وضع العثمانيون خطة لحفر قناة في برزخ السويس يصل البحر المتوسط بالبحر الأحمر، وفي العام التالي قاموا فعلاً بحفر قناة بين نهر الدون ونهر الفولجا، وكان هدفهم الواضح هو توسيع نطاق قوتهم البحرية إلى ما وراء البحر المتوسط من ناحية إلى البحر الأحمر والمحيط الهندي، ومن ناحية أخرى إلى البحر الأسود وبحر قزوين، ولكن يبدو أنّ العثمانيين كانوا يعتبرون هذا وذاك بمثابة أنشطة جانبية وتخلوا عنهما عندما ثبت لهم أنهما مصدر قلق ومشقة. وبحلول نهاية القرن السادس عشر كان العثمانيون قد انسحبوا من المشاركة النشطة في الجبهتين الجبهة المواجهة لروسيا وجبهة جنوبي آسيا وجنوبي شرقيها وركزوا جلّ جهودهم بدلاً من ذلك على الصراع داخل أوروبا، إذ كانوا يرون ولأسباب وجيهة أنها تمثل صعيد المعركة الرئيسي بين الإسلام والعالم المسيحي وهما الدينان المتنافسان في سبيل تنوير العالم والسيطرة عليه.

وقد صاحب النجاحات الغربية في ساحات القتال وفي أعالي البحار تحقيق انتصارات أخرى في أسواق التجارة، وكانت هذه الأخيرة ذات أصداء جماهيرية أقل من الأولى، ولكنها كانت تفوقها في عمق تغلغلها وفي اكتسابها خطورة أكبر في نهاية الأمر، فكان اكتشاف العالم الجديد (أمريكا) واستغلاله قد أمدا أوروبا المسيحية لأول مرة بموارد شاسعة من الذهب

والفضة ومكنتهم الأراضي الخصبة فيها امتلكوه من مستعمرات من زراعة محاصيل جديدة، بل لقد كان من بينها بعض ما كانوا يستوردونه من قبل من الشرق الأوسط مثل البن والسكر فصدّروها إلى من كانوا يستوردونها منهم. وأدى الوجود الأوربي المتنامي في جنوبي آسيا وجنوب شرقيها إلى الإسراع بخطى ذلك التحول والتوسع فيه، ومن ثم بدأت الحِرف اليدوية العريقة في مواجهة تحدٍ ذي شقين: أما الأول فهو رخص الأيدي العاملة في آسيا، والثاني هو المهارات التجارية الأوربية، فأصبحت الشركات التجارية الغربية التي تساعدها حكومات تحرص على تعزيز التجارة تمثل قوة جديدة في الشرق الأوسط، وارتفعت آنذاك أيضاً بعض الأصوات التي تعرب عن درجة من القلق، لكن أحداً لم يعرها الانتباه اللازم.

ومع ذلك فقد أدت هذه التطورات وما صاحبها من تغييرات في الشئون الداخلية والخارجية إلى تفاقم المشكلات الجديدة والإتيان بمشكلات جديدة يزداد نطاقها اتساعا ويزداد تعقيدها ـ مشكلات نقدية وضريبة ماليه وتلتها آخر الأمر مشكلات اقتصاديه واجتماعيه وثقافيه .

ولم تحدث تغيرات كبرى في ميزان القوى العسكرية في معظم سنيّ القرن السابع عشر، فلقد كانت أوربا منهمكة حتى منتصف القرن تقريباً في حرب الثلاثين عاماً وما أعقبها، كما انشغل العثمانيون بمشاكلهم الداخلية ومشاكلهم على حدودهم الشرقية، واندلعت الحرب مع جمهورية البندقية في عام ١٦٤٥ ودارت الدائرة في بدايتها على الأتراك. وفي عام ١٦٥٦ استطاع البنادقة الذين كانوا قد ضربوا الحصار على المضايق عدة سنوات أن يرسلوا أسطولهم إلى مضيق الدردنيل ويحرزوا نصراً بحرياً.

وفي ذلك العام نفسه عين محمد كوبرولو الباشا الألباني صدراً أعظم، وفي عهده (١٦٥٦-١٦٦١) وعهد ابنه وخليفته أحمد كوبرولو (١٦٦١-١٦٧٨) شهدت الدولة العثمانية تحولاً بارعاً، إذ تمكن هذان الحاكمان بمهارتهما ونشاطهما وقسوتهما من إعادة تنظيم القوات المسلحة للإمبراطورية وتحقيق الاستقرار في ماليتها واستئناف الصراع في أوروبا

المسيحية. ومن المناطق التي شهدت نطاقاً مكثفاً منطقة بولندا ومنطقة أوكرانيا، وهنا دخل العثمانيون لأول مرة في صراع مع روسيا. وبموجب معاهدة رادزين عام ١٦٨١ تخلى الأتراك عن مطالبهم في أوكرانيا ووافقوا على منح القازاقيين حقوقاً تجارية في البحر الأسود، وكان ذلك تحولاً ينذر بالسوء ويشير إلى ظهور عدو جديد ذي خطورة أعظم وبداية لصراع طويل شاق مرير.

وفي غضون ذلك عين صدر أعظم جديد اسمه كارا مصطفى باشا، وكان صهراً لمحمد كوبرولو، وكان يشعر أنه عليه استعادة أمجاد رؤساء الوزراء من أسرة كوبرولو فشن في عام ١٦٨٢ حرباً جديدة على النمسا بلغت ذروتها بمحاصرة فيينا للمرة الثانية في الفترة من ١٧ يوليو حتى ١٢ سبتمبر ١٦٨٣. وأفضل وصف لهذه المحاولة الثانية التي أخفقت هو ما عبر عنه المؤرخ العثماني المعاصر واسمه السلحدار قائلاً: «كانت تلك هزيمة نكراء ولم نشهد لها مثيلاً منذ إنشاء الدولة العثمانية أول مرة» ولا يسع المرء إلا الإعجاب بالصراحة التي كان العثمانيون يواجهون بها الحقائق المريرة.

وأعقبت الإخفاق أمام أسوار فيينا سلسلة من الهزائم الأخرى، ففي عام ١٦٨٦ فقد العثمانيون مدينة بوده في المجر بعد أن ظلوا يحكمونها قرناً ونصف قرن.

وأتاح الانسحاب من فيينا فرصاً جديدة للأوروبيين إذ قامت النمسا والبندقية وبولندا وتوسكانيا ومالطا في عام ١٦٨٤ بتشكيل رابطة مقدسة ـ بمباركة من البابا ـ لمحاربة الإمبراطورية العثمانية، وانضمت روسيا إلى هذه القوى الكاثولوكية في هذا المسعى الجديد فقامت في ظل حكم القيصر بطرس المعروف باسم بطرس الأكبر بالدخول في حرب مع العثمانيين وحققت بعض النجاحات المهمة. وفي ٦ أغسطس ١٦٩٦ استولى بطرس الأكبر على أزوف ـ أول معقل روسي على ساحل البحر الأسود.

كان العثمانيون قد فقدوا مساحات شاسعة وتكبدوا خسائر فادحة كما اضطروا إلى التخلي عن المفاهيم العتيقة والطرق القديمة للتعامل مع العالم الخارجي واكتساب معرفة

بالعلم الجديد، علم الدبلوماسية والتفاوض والوساطة، فلم تكن الحرب تمثل الهزيمة الكاملة، ولم تكن المعاهدة تمثل الاستسلام الكامل، بل إنهم استطاعوا في مطلع القرن الثامن عشر استرجاع بعض ما ضاع، ومع ذلك فلقد كانت النتيجة العسكرية لا بأس فيها ولا غموض - الهزيمة الساحقة خارج أسوار فيينا والخسائر الفادحة في الأرواح وفي المؤن والمعدات، إلى جانب التخلي عن الأرض بطبيعة الحال. وكان الدرس واضحاً، وشرع الأتراك يعملون حتى يتعلموه ويطبقوه.

ثالثاً: معاملة الأوروبيين للمسلمين(١)



ويلخص الأستاذ أحمد أمين في كتابه يوم الإسلام من منشورات مكتبة النهضة المصرية علاقة الأوروبيين بالمسلمين، ومع أنه مضى على كتابه هذا حوالي الخمسين سنة إلا أننا ما زلنا نلمس ما ذكره حاضراً في يومنا هذا وكأنما هو كتبه البارحة.

---

(١) مقتبس من كتاب يوم الإسلام للأستاذ أحمد أمين، مكتبة النهضة المصرية صفحة ١٢٠-١٢٦

قال الأستاذ أحمد أمين في يوم الإسلام: «الحق أن موقف الأوربيين المسيحيين عجيب، فهم إذا علموا أن شعباً نصرانياً عُذّب أو أهين ثارت ثورتهم، أما إذا علموا أن المسلمين عُذبوا وأهينوا لم تتحرك شعرة فيهم، خذ مثلاً هذا الذي كان بين الأرمن والمسلمين، فقد تعدّى الأرمن على المسلمين وعذبوهم وقتلوهم فلم يتحرك الأوربيون لنصرتهم وتعدى المسلمون على الأرمن وعذبوهم وقتلوهم فثارت ثورة الأوربيين. ولا يقُلْ قائل إنهم لم يكونوا يعلمون لأن هناك دلائل تدل على علمهم، ولما شبت الحرب الريفية في مراكش أرسل الصليب الأحمر بعثة طبية لمعالجة جرحى الفرنسويين وجرحى المسلمين تبعاً، ولكنه لما أراد المسلمون أن يبعثوا بعثة طبية لم يرضوا عن ذلك وقد حموا نساطرة العراق لأنهم نصارى، وتآمروا معهم ضد المسلمين فيه، واتخذوهم لهم بطانة. وقال ملك إسبانية عند حرب الريف بالمغرب إن إسبانيا اشتهرت منذ القدم بقتال المسلمين، وفي هذه النوبة هي مصممة على ألا تترك قتال المسلم للريف حتى تنصب الصليب هناك محل الهلال. وقد بذلت حكومة هولندا الأموال الكثيرة في تغيير عقائد مسلمي جاوة وسومطرة بواسطة رجال التبشير، ولكنها لم توفق إلى تغيير عدد كبير من المسلمين يساوي المبالغ المصروفة، فعمد بعض رجالهم إلى القول بأنهم لا يعدون المسلمين المحدثين مسلمين، إنما المسلمون من أسلموا منذ أربعة قرون فأكثر. ولم يمنع الحكومة الهولندية أن تأخذ بهذا الرأي سوى تحذير بعض عقلائهم من السير في هذا السبيل، لأن الجاويين لا يفرقون بين مسلم قديم ومسلم حديث.

وما لنا نذهب بعيداً وقد سمعنا في الأيام الأخيرة في القتال في فلسطين بين اليهود والمسلمين أنه إذا انتصر المسلمون نادوا بوقف القتال، وإذا انتصر اليهود سكتوا، ويفعل النصارى الأفاعيل في المسلمين فلا يقال إنهم متعصبون ويفعل المسلمون جزءاً صغيراً مما فعله الأوربيون فيرمونهم بالتعصب المقيت. والخلاصة أن فكرة الحروب الصليبية متغلغلة في نفوسهم فإن خفيت في عقولهم فهي كامنة في وعيهم الباطن لا يصدرون إلا عنها ولا يغفرون أبداً للمسلمين أنهم انتصروا عليهم يوماً ما، كما لا يغفرون أيضاً لهم نجاحهم في

إدخال الناس في دينهم حتى من غير تبشير وعجزهم هم حتى مع التبشير. وقد اجتمعت مرة جمعية الرابطة الشرقية وأرادت إرسال بعثة طبية لمساعدة الريفيين في مراكش، فأبت عليها ذلك لأن المسلمين في نفس الحرب يحاربون الفرنسيين المسيحيين. والأمثلة على ذلك لا تحصى، فمن الغفلة أن نقول إن الحرب اليوم حرب سياسية لا دينية لأن المظاهر كلها تدل على ما نقول، وأن النصرانية وعداءها للإسلام كامنة في نفوسهم لم يُزِلها أي عامل، غاية الأمر أنها تحت ستار. وأوضح مثل لذلك أنهم عابوا على ملك إسبانيا قوله المتقدم لأنهم يريدون أن يعملوا من غير أن يقولوا ويستتروا من غير أن يظهروا، وإنما هي فلتات ومقارنات تدل على منحاهم، فليتعظ المسلمون، وإن ما يشيعونه من عدل وإخاء ومساواة ليس إلا فيما بينهم، أما الأجناس المسلمة فليس واجباً عليهم فيهم عدل ولا إخاء ولا مساواة، والحوادث ترينا أن المسلمين أكثر تسامحاً وأقل تعصباً، فإذا تعصبوا فمقابلة للتعصب بالتعصب، هذا تاريخ صلاح الدين مع الصليبية: أيهم أكثر تسامحاً وأقل تعصباً، وهذا الشريف الحسين بن علي كان يقول القول ويحتفظ به، وكان الإنجليز يقولون القول في الظاهر ويعملون ضده في الخفاء، وهذا مما لا يعد ولا يحصى.

إن المسلمين إذا أنسوا من شخص صدقاً ووفاءً وسلماً جروا وراءه اتباعاً لقوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾. والمسيحيون إذا أنسوا من واحد غفلة وقعوا عليه وقوع الحدأة على العصفور أو الصقر على الحدأة.

لقد مر زمن كان المسلمون فيه هم الغالبين فحكموا النصارى واليهود حكماً عادلاً لا نعرف في التاريخ مثله تبعا لتعاليم الإسلام. نعم إن عمر بن الخطاب في أول عهده انتدب يعلي بن أمية لإجلاء النصارى من أهل نجران عن بلادهم، ولكن عذره في ذلك أن رسول الله ﷺ قال: «لا يجتمع في جزيرة العرب دينان»، لأن الإسلام يريد أن تكون جزيرة العرب حصن المسلمين ومنبتهم وتربية الدعاة للإسلام فيها وعدم اختلاطهم باليهود والنصارى والدين غض طري، فأمر بإجلاء أهل نجران. ومع ذلك فإنه لما أجلاهم عوضهم عن بلادهم بخير

منها وخيرهم في الجهات التي يريدونها ـ لم يشأ رسول الله أن يُكرههم على الإسلام، فتركهم وشأنهم عملاً بقوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾، وصالحهم على مال معلوم يؤدونه كل سنة وشرط عليهم أن لا يأكلوا الربا ولا يتعاملوا به. ولما توفي رسول الله ﷺ أقرهم أبو بكر رضي الله عنه على الشروط التي اشترطها عليهم الرسول ﷺ. ولما حضرت أبا بكر الوفاة أوصى عمر بإجلائهم لنقضهم العهد بتعاملهم بالربا، فكان أول عمل عمله أن يجليهم عن أرضهم، وأمر العامل الذي أرسله أن يعاملهم بالرفق ويشتري أموالهم ويخيرهم عن أرضهم بأي أرض شاءوا من بلاد الإسلام، وكان مما أوصى به عامله: «ائتهم ولا تفتنهم عن دينهم ثم أجلهم من أقام منهم على دينه، وأقرر المسلم وامسح أرض كل من تجلى منهم ثم خيرهم البلدان. وأعلمهم أننا نجليهم بأمر الله ورسوله». وكتب لهم كتاباً قال فيه: «أما بعد، فمن وقعوا به من أهل الشام والعراق فليوسعهم من حرف الأرض وما احتملوا من شيء فهو لهم وكان أرضهم باليمن فنزل بعضهم الشام وبعضهم بناحية الكوفة».

وشكوا لعثمان بن عفان لما استخلف ضيق أرضهم ومزاحمة الدهاقين لهم، فكتب عثمان إلى عامله بالكوفة يوصيه بهم، ويأمره أن يضع عنهم مائتي حلة من جزيتهم. وكان قد فرض عليهم تقديم الحلل كجزية، ولما ولي معاوية رضي الله عنه شكوا إليه تفرقهم وموت من مات منهم وإسلام من أسلم، فوضع عنهم مائتي حلة أيضاً، فلما أتى الحجاج أعادهم إلى ما كانوا عليه، فلما ولي عمر بن عبد العزيز شكوا إليه ظلم الحجاج ونقصهم، فأمر بإحصائهم، فبلغوا العشر فألزمهم مائتي حلة فقط، فلما ولي هارون الرشيد أعادوا الشكوى إليه من العمال فأمر أن يعفوا من معاملة العمال لهم، وأمر أن تكون معاملتهم مع بيت المال في العاصمة الإسلامية مباشرة.

فنرى من هذا أن خلفاء المسلمين لم يكرهوا أحداً على الدخول في الإسلام، بل تركوا كلاً ودينه. ثم التزامهم نحو هؤلاء النصارى بالوفاء بالعهود، ثم حرص الخلفاء على التوالي على حمايتهم وإرضائهم ورفع الظلم عنهم. أرأيت معاملة للمخالفين خيراً من هذه المعاملة؟

وقد رأينا أنه لما غزا التتار بلاد الإسلام ووقع كثير من المسلمين والنصارى في أسرهم ثم عادت الغلبة للمسلمين ودان ملوك التتار بالإسلام، خاطب شيخ الإسلام أمير التتار بإطلاق الأسرى فسمح له الأمير التتاري بفك الأسرى المسلمين، وأبى أن يسمح بأهل الذمة، فقال له شيخ الإسلام لا بدّ من فكّ الأسرى من اليهود والنصارى لأنهم أهل ذمتنا فأطلقهم له.

ومما كتبه عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص عامله على مصر: «إن معك أهل ذمه وعهد، وقد أوصى رسول الله بهم وأوصى بالقبط فقال: «استوصوا بالقبط خيراً فإن لهم ذمة ورحماً»، وقال ﷺ: «من ظلم معاهداً أو كلّفه فوق طاقته فأنا خصمه يوم القيامة»، فاحذر يا عمرو أن يكون رسول الله ﷺ لك خصماً، فإنه من خاصمه خصمه».

وكانت آخر وصايا عمر ما كتبه لمن يخلفه من بعده: «أوصيه بأهل ذمة الله وذمة محمد ﷺ أن يوفي بعهدهم ولا يكلفهم فوق طاقتهم وأن يقاتل من ورائهم».

نعم إن بعض اليهود والنصارى ظلموا على يد بعض الخلفاء والأمراء، وقسا عليهم بعض الأتراك عند فتحهم لبعض البلاد الأوربية، ولكن هذا كان من جهة قليلاً، ومن جهة أخرى كان ظلم هؤلاء الولاة والأمراء واقعاً على المسلمين والنصارى على السواء، فكم لقي المسلمون من ظلم بعض الولاة والأمراء.

وعلى كل حال فأين ظلم هؤلاء من الظلم الذي أوقعه الأسبانيون بمسلمي الأندلس وفتنتهم في دينهم، وطردهم لهم عن ملكهم، واغتصابهم تراثهم، وسفكهم دماءهم، حتى لم يبق لهم بعد بضع سنين باقية، وانحطت بعد ذلك مدنية الأسبانيين. وأين تعنت الأوربيين مع المسلمين في كل العصور المتأخرة على النحو الذي ذكرناه وسنذكره؟

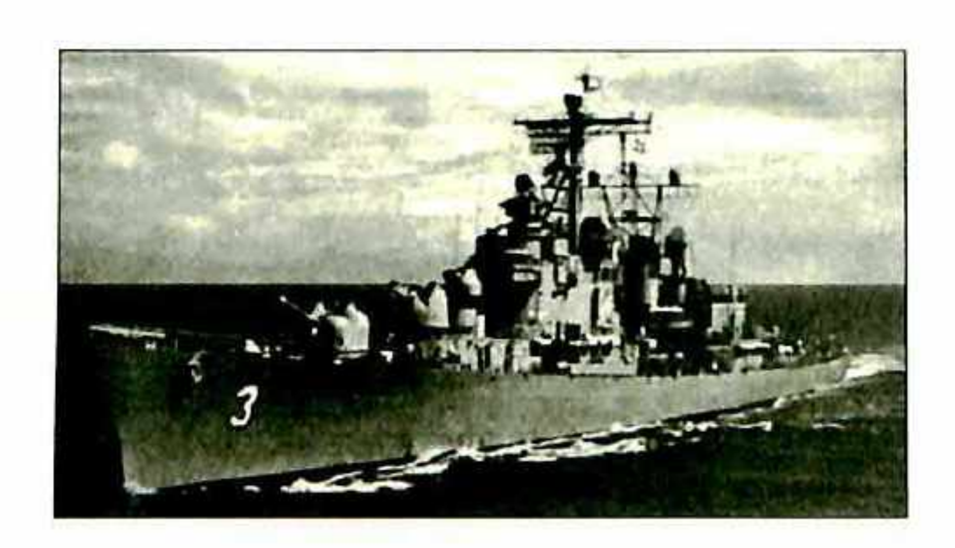
الحق أن الفرق كبير بين معاملة المسلمين للنصارى، ومعاملة النصارى للمسلمين. وحتى في عهدنا هذا لا يتمتع المسلمون بين النصارى بما يتمتع به النصارى واليهود بين

المسلمين. ولكن على كل حال نرجو أن يثوب الأوربيون إلى رشدهم فيحققوا الإخاء والمساواة اللذين يدعونهما.

نعم توالت الضربات على المسلمين في مختلف العصور وعلى أشكال متنوعة، ولكن كلما ضعف المسلمون رزقهم الله ـ من غير سعي منهم ولا قصد ـ بمن يجدد نشاطهم وينشط حياتهم، حتى إذا ضعف هذا الجديد حل محله جديد آخر، ولما اقتتل المسلمون أول الأمر كانت الدولة الأموية في أول أمرها قوة لا يستهان بها، فلما كان آخرها جاء العباسيون بقوتهم ثم ضعفوا، فجاء المغول كتيمورلنك وهولاكو وجنكيزخان فخربوا ودمروا، ولكن الإسلام استولى عليهم أكثر مما استولوا عليه، فدخلوا في الإسلام أفواجاً، وكانوا في أول أمرهم قوة. وما زال خلفاؤهم الأتراك العثمانيون يفتحون ويعمرون حتى ضعفوا أخيراً، وليس يدري إلا الله ما هي القوة الجديدة التي ستَبعث في الإسلام والمسلمين روحاً جديدة، ولكن الطوالع تدل على أن المصلحين من المسلمين سيتغلبون آخر الأمر ويعيدون للمسلمين شبابهم بتجنب ما كان من غلطات في تاريخهم، ويكون شأنهم شأن الطبيب يعرف العلة وأسباب المرض ثم يضع العلاج. فإن سألت لِمَ تأخر المسلمون وتقدم الأوربيون؟ فاعلم أن المسلمين تأخروا لكل الأسباب التي ذكرناها. لقد كان المسلمون الأولون مملوئين بالحماسة والروح وهذا سرّ قوتهم، والإسلام حتى فيما حكي عن غيره من الديانات كانت مزيته أنه ملأها قوة فأصبحت تعاليم الإسلام بعد ذلك العصر عبارة عن أشكال ظاهرة لا روح فيها ـ خلت الروح من الصيام والصلاة والحج وصارت مجرد أشكال.

وقد استولى الصليبيون على المسلمين وجعلوهم خدماً أذلة واغتصبوا حقوقهم لما ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس وأصبح المسلمون يفضلون آباءهم على الله ورسوله. (انتهى النقل).

رابعاً: طرق الأوربيين في التغلغل في بلاد المسلمين[١]



بيّن إبراهيم بك حليم في تاريخ الدولة العلية[٢] حال النصارى من رعايا الدولة العثمانية فقال: إن الدولة العثمانية منحت النصارى وغيرهم الحرية التامة في دينهم ومعابدهم ولغاتهم ومدارسهم، مع احترام رؤساء ديانتهم ومعافاتهم من العسكرية وغير ذلك من تلقاء نفسها قديماً وحديثاً مما لا يتحصلون على معشاره من غيرها.

وليعلموا أنهم إذا صاروا تحت يد دولة أجنبية يكونون غرباء في بلادهم وأذلاء يساقون في الجيش إلى الأمام في المواقع الحربية، لأن ضبّاطهم الأجانب يفضلون بقاء أبناء جنسهم عنهم ويجعلونهم شبه خدم كسياس ونحوهم.

ولقد انخدعت الأمة البولونية وغيرها، وكانت عاقبتها ما هو معلوم من تمزيقها

---

(١) مقتبس عن كتاب تاريخ الدولة العلية تأليف إبراهيم بك حليم

(٢) إبراهيم بك حليم، تاريخ الدولة العثمانية العلية، مؤسسة الكتب الثقافية، صفحة ٢١.

وإذلالها حتى إنهم مُنعوا أن يتكلموا بلغتهم الأصلية وغير ذلك من أنواع الإذلال على يد من خدعهم من أهل ملتهم (انتهى).

وذكر حليم بك الطرق التي يستخدمها الفرنجة للتغلغل في بلاد المسلمين تمهيداً لاحتلالها واغتصابها فقال: «ومبادئ الاغتصاب أنهم يبعثون رجال السياسة الموصوفين بما ذكر آنفا جواسيس، ويسمون أنفسهم سواحين إلى البلاد والأقطار، ويساعدونهم بكل ما يلزمهم من مال ورجال وسلاح وغير ذلك، فهولاء ينظرون البلاد بعين الناقد البصير ويحررون مذكرات بما يرونه من الأحوال وعوائد البلاد وطباع أهاليها، وما يلزم إجراؤه من وجوه الاحتيال بما يناسب لكل قطر وبلد. وبعد عودتهم إلى بلادهم يعرضون هذه المذكرات ويزيدون عليها بأحاديثهم الشفاهية.

وبعد ذلك يجهزون وفداً برياً أو أسطولاً مركباً من أحسن السفن الموجودة عندهم، ويزينون رجاله بأحسن الملابس والأسلحة بقيادة أمهر الرجال في فن الخداع والسياسة الموصوفة آنفا ببعض هدايا وبرسائل من الملوك مزينة بزخارف الكلام الذي يوهم محبة المرسل إليه المنوي نهب بلاده. فبوصول هذا المندوب إلى عاصمة الملك أو الأمير المرسل إليه يطلب مقابلته لتسليمه الهدايا والتحف التي أحضرها من لدن سيده، وليست بالحقيقة هدايا بل رزايا جلبها إليه، وحينما يؤذن له بالمثول بين يديه لا تسل عما يظهره من الإجلال والخضوع عند مقابلته لذلك الأمير المخدوع، ثم يذكر له ما عليه سيده من الشفقة ومحاسن الأخلاق والمروءة والشهامة والغنى والقوة، ويعزز ذلك بأمثلة وهمية مصداقاً لما يقول، ثم يرجو الأمير في زيارة السفن، يقصد بذلك رهبته بعظمة المراكب والأسلحة وملبوسات الرجال وغير ذلك، وليدهش الأمير ورجاله فيجاب إلى طلبه. وفي وقت الزيارة يذكر رجال الوفد لحاشية الأمير والأعيان من تلك الدروس ما ذكره رئيسهم للأمير، ثم يعودون، وربما تكرر مثل ذلك، ثم يذهب وفد أخر سواء كان برئاسة الأول أو غيره

بالصفة المذكورة أو أعظم. وبعد ذلك يلتمسون تعيين قنصل لتوثيق عرى المحبة وتبادل التجارة فينالون ذلك.

ثم يرسلون بعض التجار إلى تلك الجهة للتجارة في الظاهر وعمل المشاكل في الباطن، ويطلبون التصريح بعمل شركة ما، ويشترون قطعة أرض للدرجة المناسبة بشروط مشتملة على ألفاظ مبهمة قابلة للتأويل بجملة معان مختلفة. ثم يطلبون الترخيص بفتح المدارس بحجة تعليم أولادهم ومن يرغب من غيرهم بمصاريف على طرفهم، وعندما يجابون إلى طلبهم يملأونها بطوائف المبعوثين الدينيين بحجة أن وجودهم بالمدارس أمر ضروري، ثم تزيد الامتيازات شيئاً فشيئاً.

وكل هؤلاء يظهرون في البداية من الأدب واللطف ومحاسن الأخلاق ما يبهر العقول، ثم يأتي دور الشكل التصنعي بمعنى أنهم يخترعون المشاكل بأيديهم ويدّعون أنّ الحق معهم، ويساعدهم على ذلك وجود الألفاظ المبهمة ذات المعاني المختلفة بالشروطات الموضوعة لهذا الغرض ليُرى منها ظاهراً أن الحق معهم.

وأما الشعوب المظلومة فإنهم لا يرون من حقائق الأمور شيئا لغفلتهم فيتمسكون بما لهم من الحقوق الظاهرة، ثم يأتي دور التهديد والوعيد وطلب التعويض غير المعقول، ثم التدخل الفعلي، ثم الطامة الكبرى. وهذا هو العدل والتمدن والشفقة والشهامة عندهم.

وتوجد أساليب أخرى يستعملونها لهذه المآرب، منها إلقاء الدسائس بين التابع والمتبوع بأشكال يطول شرحها، ومنها إلقاء الدسائس بين دولتين، ويعتقدون أن كلّ هذه الأفعال وأمثالها ضروب من حسن السياسة والتمدن. (انتهى النقل)[1].

---

(١) إبراهيم بك حليم، تاريخ الدولة العثمانية العلية، مؤسسة الكتب الثقافية، صفحة.

خامساً: تعامل العلويين مع الأوربيين



رحالة أوروبيون بمنزل السيد أبي بكر بن شيخ الكاف بسيؤن

يتبيّن رأي العلويين في الاختلاط بغير المسلمين من كلام الحبيب أحمد بن حسن العطاس لما نزل ميناء مصوع خطَب في الناس بعد صلاة الجمعة، فقال: «الله في المحافظة على دينكم وإسلامكم، وقد ابتلاكم الله بمخالطة هؤلاء الكفار، خذوا مصلحتكم منهم فقط، وقد كان ﷺ يخالط الكفار ويعاملهم ويتوصل بذلك إلى هدايتهم، وقال الله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾[1]».

ومع عدم محبة العلويين للأوروبيين على وجه العموم إلا أن ذلك لم يمنعهم من لقائهم ومجالستهم عند زيارتهم لهم.

فهذا مفتي الديار الحضرمية السيد عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف (١٢٧٩-

---

(١) علي بن أحمد العطاس، ترجمة ورحلات الحبيب أحمد بن حسن العطاس، صفحة ٧٤.

١٣٧٥هـ) يقول عن الضابط الإنجليزي انجرامص[1]: بأنه كثيراً ما يزورني فأعجب بذكائه وتكون بيننا محاورات، منها أنه قال إن القضاء الشرعي ليس بكاف لحراسة العدل، فقلت لا بلى ولكم القضاة بساحل حضرموت وداخلها صاروا حجة عليه فلا عبرة بهم، أما القضاء وقانونه الشرعي فلا أفضل منه للعدل وحراسته أبداً وأنا مستعد لكشف كل أشكال تورده عليه. (انتهى).

ولم يبخل بن عبيدالله بمساعدة المستشرق سرجنت في مهمته العلمية، قال بن عبيدالله[2]: ثم زارني البحاثة المؤرخ سارجنت يحمل كتاباً اسمه تاريخ المستبصر، طبع ليدن سنة ١٩٥١ م، مؤلفه جمال الدين أبو الفتح الدمشقي المعروف بابن المجاور، فإذا عبارته ضعيفة وبه مناقضات وتجازيف تطلب كثيراً من البساطة. (انتهى باختصار).

أما السادة آل الكاف فبيوتهم مفتوحة لاستقبال الضيوف الأوروبيين من أي بلاد، حيث يلاقي الضيوف الأوروبيين الحفاوة والاحترام في قصور هي بمثابة فنادق مجانية فاخرة تقدَّم فيها أطيب الأطعمة بالمجان.

إلا أن الحبيب مصطفى المحضار (١٢٨٢-١٣٧٤هـ) يذم المبالغة بحفاوة الأوروبيين ويقول[3]: ومن اتفق بكافر كأنه بالكرامة ظافر، ويا خزوة المسلمين وفرحهم بالكافرين، أما في الأراضي البعيدة قلنا في طلب معيشة، وأما في هذه السواحل وبرورها وتقريب كفوره فالخيبة لجارها ومجرورها، ومن سعى فيهم فهم من السفالة على شفيرها، وذا باب معاد نطول فيه الكلام ونعود إلى خصام، وخلّهم وربهم يسدون والذين فتحوا هذا الباب فتحوا باب الخراب وأزاحوا مستورها وكسروا ناموسها. (انتهى).

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ١٦٦.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صفحة ٣٩.

(٣) محمد بن عبداللاه، خواطر وحكم وأسرار من مكاتبات الحبيب مصطفى المحضار، تريم للدراسات، صفحة ١٤٩.

إلا أن الكلام السابق لم يمنع الحبيب مصطفى من مقابلة المستشرق الهولندي فان ديرميلين عند زيارته له في وادي دوعن.

وإذا أردنا معرفة رأي العلويين المتقدمين في هذا الموضوع نجد ما كتب عن غضب الحبيب حسن بن صالح البحر (١١٩١-١٢٧٣هـ) من تغيير زي الجنود العثمانيين إلى الزي الإفرنجي في زمن السلطان العثماني عبد المجيد بن محمود، فكتب من حضرموت إلى الصدر الأعظم بالآستانة، يقول: (وقد بلغنا أن جندهم تزيّوا بزي الكافرين الملحدين من النصارى المحادين لله وما ذلك إلا أن استحسنوا دينهم وخلا الإيمان من قلوبهم، ثم يطلب منه إبطال ذلك فيقول: «فإن كانوا بوعد الله مصدقين ولأمره ممتثلين فليخرجوا هذا الذي تشبهوا به وشاركوا فيه الكافرين الملحدين وليقوموا بأمر الله وليغاروا على دين الله ويعزوا المسلمين ويذلوا الكافرين»[١].

كما طلب الحبيب حسن بن صالح البحر من السلطان عبد المجيد عدم السماح للإفرنج والنصارى بالإقامة في جدة فقال في نفس الرسالة: «وعليهم أن يزيلوا من دهليز الحرمين الشريفين جدة من يسكنها من الإفرنج والنصارى، بل ومن غيرها من بلاد المسلمين. وقد بلغنا أنها تقبل شفاعتهم ومساحتهم في عشورهم وجبايتهم وتعزيزهم وتوقيرهم وظهورهم بشرب الخمر»[٢].

قال بن عبيدالله[٣]: ومن النوادر أن طبيب الأسنان الشيخ عبد الله بن علي المغربي دفع إلي منذ أيام كتاباً فيه من فظائع الإيطاليين بالمسلمين ما تقشعر له الجلود، ويذوب منه الجلمود، فضيق عليّ الأنفاس ووقعت في حال شديد من الوسواس، غير أن الولد الفاضل السيد علوي

---

(١) سالم بن حميد الكندي، تاريخ حضرموت، تحقيق عبد الله الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ١٩٦-١٩٧.

(٢) سالم بن حميد الكندي، تاريخ حضرموت، تحقيق عبد الله الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ١٩٧.

(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ٢١٧-٢١٨.

بن الحسن جمل الليل كان يقرأ علي في الجوهرة فتناولت حاشيتها وإذا فيها ما معناه أن عفيف الدين الزاهد تكدر كثيراً وهو بمصر بما فعله التتار بالمسلمين، فلقد أراقوا دماء الأطفال والنساء وقتلوا أكثر من ألف ألف، واستباحوا المدينة وأهلها وعلقوا المصاحف في أعناق الكلاب وملأوا دجلة بكتب المسلمين حتى صارت مثل الجسر، فقال عفيف الدين الزاهد يا رب تسلط الكفار على المسلمين إلى هذا الحد فلما كان الليل رأى أن رجلاً ناوله كتاباً فيه هذان البيتان:

دع الاعتراض فما الأمر لك ... ولا الحكم في درجات الفلك

ولا تسأل الله عن فعله ... فمن خاض لجة بحر هلك

قال بن عبيدالله: فكان منه لغليلي بلة تم بها شفاء العلة، ثم قال بن عبيدالله[1]: كان الجد محسن بن علوي السقاف (١٢١١-١٢٩٠هـ) شديد الشفقة على المساكين، وقد بات ليلة قلق الخاطر مذهوب الفكر مكدر البال منغص العيش بسبب مظالم جرت على المساكين من جند البلد فلم يطمئن مضجعه، ولم تكتحل عينه بنوم إلا لماماً. ولما قام من آخر الليل وهو بتلك الحال يقول في نفسه: يا ربّ سلطت كلابك على المساكين؟ وإذا بالرجل الذي ينبه الناس خارج من مسجد طه ينفض نعاله ليلبسها، ويشرع في العمل، وكان أول ما يبتدئ بآية أو بيت من الشعر فانتظر الجد ما يبدر منه فرفع الرجل عقيرته ببيت الشيخ عمر بامخرمة:

فإن ما طرك ماله ملتقي إلا كنانك ... ذيبها منك والرعيان والضان ضانك

فانثلج خاطره وبرد قلبه وعاد على نفسه بالملام يقول: إن الأمر منه وإليه وعنه وعليه، وعدّ ذلك تنبيهاً له من الله لما حاك في نفسه من التحمل (انتهى).

قال بن عبيدالله[2]: غير أن ما في الكتاب من فظائع الإيطاليين لا يتناسب مع ما رأيت

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ٢١٨.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ٢١٩.

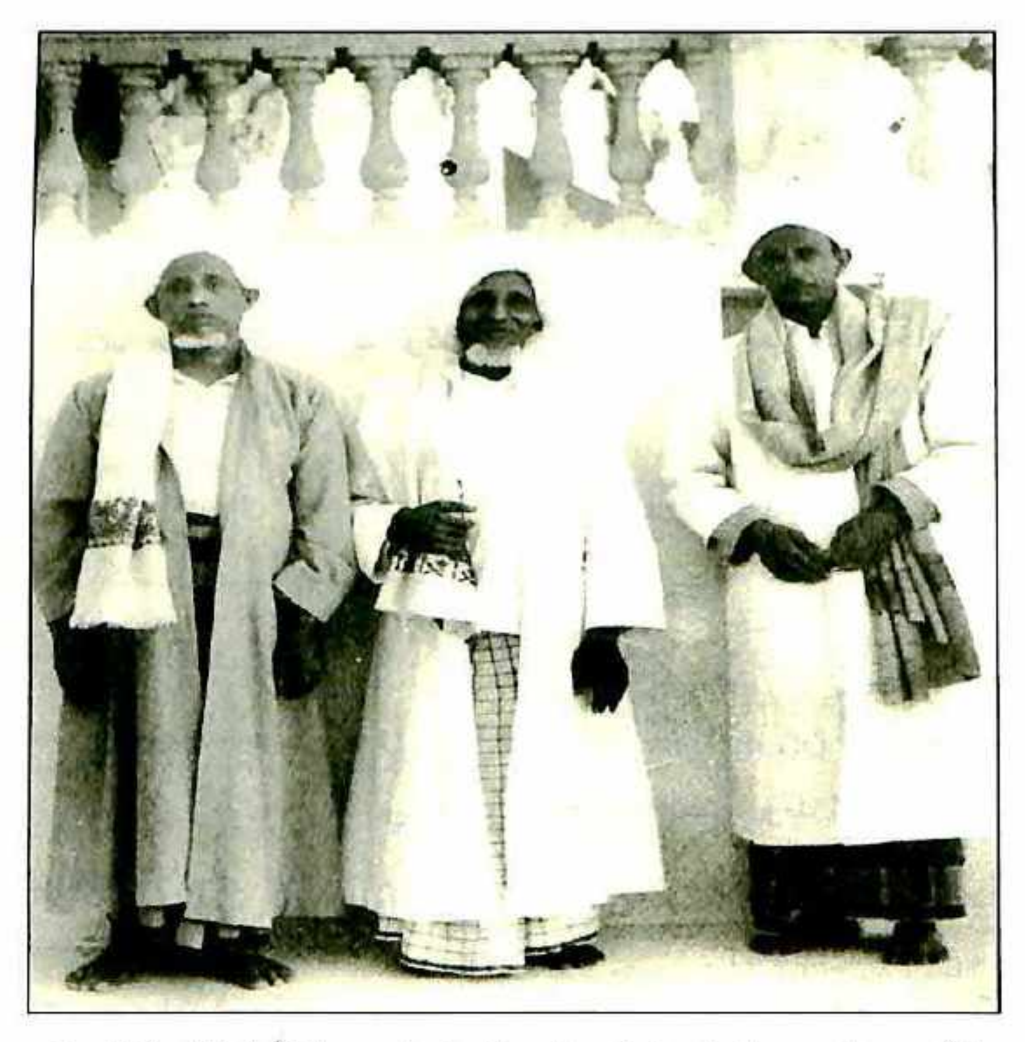
من بعضهم، فلقد كنت سنة ١٣٥٤هـ في الحديدة، وكان بها حكيم إيطالي يقال له تاسي، كثيراً ما يزورني فأذكر له من شمائل النبي ﷺ وآل بيته وخلفائه الراشدين ما يطرب له، ويقسم أنه لم يسمع بمثله، وقال لي: أنا ضامن أن يسلم على يدك أكثر من مائة ألف نفس لو سمعوا هذا الكلام في إيطاليا، وأعطاني توصية بالرخصة في سبعمئة طرد من السكر إلى مصوع، وكان ممنوعاً إذ ذاك إلا بالترخيص فأعطيتها لاثنين من التجار الحضارمة على شرط أن يعطوني نصف الربح، فاختانوني

ثم عاملني ربان السفينة الإيطالي معاملة طيبة حتى أذن لولدي حسن أن يجلس معي في غرفة الدرجة الأولى، وما كان إلا من أهل الثالثة، ولم يفتشوا متاعي عند سفري من مصوع إلى جدة، وقد تفرس ذلك الاحترام بعض أهل مصوع فأراد أن يودعني كمية من أوراق الفرنك ذات الألف فرأيته من الخيانة، فامتنعت ولم يعاملني أحد من الإفرنج مثل هذه المعاملة حتى الضابط انجرامس، مع أنه كثير الزيارة لي، إلا أن السياسة لها ألوان والدعايات تفعل كل شيء وتجمع ما بين الأضداد (انتهى).

❊ ❊ ❊

الفصل التاسع والعشرون بعد المائة

العلويون والمغرب الأقصى



الحبيب علوي بن شهاب في الوسط مع السيد علي بن عبد الله السقاف إلى اليمين

دولة الأشراف العلويين بالمغرب

(من سنة ١٠٥٠هـ الى ١٤٢٩هـ)

لقد شكّل اليمنيون والحضارمة جزءاً مهماً من الجيش العربي الذي فتح شمال أفريقيا، وبقيت العلاقات متواصلة بينهم وبين وطنهم الأم، وما يدل على ذلك وجود بعض الكلمات الحضرمية في اللهجات العربية بشمال أفريقيا، كما أن الاسم القديم لمدينة سوسة بتونس والذي كان يستخدم إلى فترة قريبة هو حضرموت.

قال بن عبيد الله[1]: وكثيراً ما يوجد في شعر العامة بحضرموت أنهم غزوا برقة وقابس، والشعر هو ديوان العرب، وكذلك يوجد تشابه في أسماء الأشخاص، ولا سيما النساء والبلدان والبقاع. (انتهى).

وذكر بن عبيدالله في المعجم[2] عن آل باسالم الذين بحاوي تريم أن جدّهم عمر بن عبد الله كان يكاتب الحبيب عبد الله بن علوي الحداد من المغرب، ثم وصل حضرموت وتزوج بها، فآل باسالم من ذريته. (انتهى).

وذكر بن عبيد الله أيضاً[3] أنه في سنة ٧٥٢هـ قدِم الشيخ يحيى بن أبي بكر بن عبد القوى التونسي إلى شبام في رجب وسافر في رمضان من تلك السنة، وقد ترجمه الطيب بامخرمه قال بن عبيدالله: ولم أطلع على ترجمته ولا أدري هل هو تونسي بلداً أو اسما فقط. (انتهى).

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلدان حضرموت، مطبعة الإرشاد بصنعاء، صفحة ١٧٣.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلدان حضرموت، مطبعة الإرشاد بصنعاء، صفحة ٥٣٤.

(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلدان حضرموت، مطبعة الإرشاد بصنعاء، صفحة ٢٦٠.

ولا ننسَ أن التصوف وصل إلى حضرموت من المغرب فقد ذكر الأستاذ الشاطري[1] أن الشيخ شعيب أبا مدين أحد كبار الصوفية من مدينة تلمسان بالمغرب العربي أرسل في أوائل القرن السابع الهجري تلميذه الشيخ عبد الرحمن بن محمد المقعد إلى حضرموت لنشر طرق الصوفية بها.

إلا أن المنية عاجلت الشيخ عبد الرحمن المقعد وهو بمكة فلم يستطع الوصول إلى حضرموت، ولكنه حين أحس بدنو أجله أوصى الشيخ عبد الله المغربي بأن يقوم بالمهمة وأن يتصل بالشريف محمد بن علي (الفقيه المقدم) الذي لقب فيما بعد بالأستاذ الأعظم وأن يلبسه خرقة التصوف التي حملها إليه. ويظهر أن هذين الشخصين إنما قاما بدور الوساطة فيما بين الفقيه المقدم وبين الشيخ أبي مدين، ثم توجه الشيخ المغربي إلى قيدون للقاء الشيخ سعيد بن عيسى العمودي فألبسه خرقة التصوف، وهكذا انتشر التصوف بحضرموت، ولكن بصورة مهذبة ومنتقاة بعيدة عن الغلو ومجانبة الشرع الشريف. (انتهى باختصار).

كما قام أحد المغاربة برحلة إلى حضرموت زار فيها تريم وكتب مشاهدته عن أهلها، فبعد أدائه الحج رافق هذا السائح المغربي في سنة ٨٦٥هـ بعض العلويين العائدين بسفينة شراعية من جدة إلى الشحر، ثم صحبهم إلى تريم، وكان ذلك في زمن السيد علي بن أبي بكر بن عبد الرحمن السقاف (٨١٨-٨٩٥هـ)، وقد وصف المغربي الفاسي تريم وشبه أهلها من العلويين بالملائكة. وعلى الرغم من أن هناك من يشكك في إمكانية أن تكون هذه الرحلة المخطوطة حقيقية إلا أن واقع الحال يثبت أن حال العلويين حتى إلى وقت قريب يزيد عن ما ذكره المغربي من الورع والتقشف والعبادة والصلاح كما سنرى في ترجمة العلويين المتأخرين مثل الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي (١٢٣٧-١٣١٤هـ) والحبيب عبيدالله بن محسن السقاف (١٢٦٢هـ - ١٣٢٤هـ) وغيرهم كثير.

---

(١) محمد بن أحمد الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي، عالم المعرفة، صفحة ٢٥٤.

قال بن عبيد الله: وكانت حضرموت أرض خصب ورخاء بما كانت تشرب من فضول مياه مأرب، وبما فيها من العيون السائحة على الأرض والمنبثقة من الجبال إلى أن سدها معن بن زائدة حين عاقب أهل حضرموت على قتل أخيه، قال بن عبيدالله: وفي النور السافر والمشرع الروي والفوائد السنية أن بعض المغاربة جاء في أيام بدر بوطويرق وتعهد بفتح هذه العيون ولكن بدراً خاف من رغبة الأتراك في حضرموت[١].

كما قدم من المغرب إلى حضرموت واستوطنها العلامة السيد يوسف بن عابد الحسني الفاسي، قال بن عبيدالله: وقد جاء في أواخر أيام سيدنا الشيخ أبي بكر بن سالم وسكن مريمة بالقرب من سيؤن وكان يتردد بينها وبين الحزم بمأرب. وفي سنة **٩٩٣**هـ اقترن ببنت الشيخ أحمد بن عمر بن عبد الله الحارثي.

قال بن عبيدالله عندما ذكر بلدة قيدون[٢]وكان السيد يوسف بن عابد الحسني أحد تلاميذ الشيخ أبي بكر بن سالم يدرس بها علم التوحيد أوائل القرن الحادي عشر.

قال بن عبيدالله[٣]: ولم تزل ذرية السيد يوسف بن عابد بمريمة إلى الآن منهم السيد حسين بن محمد بن عبد الله الحسني المتوفى بها سنة **١٣٤٠**هـ كان مكثراً من البنين والبنات، وكان بينهم وبين بعض المشائخ الزبيديين من آل الحوطة نزاع وضراب حتى لقد شجوا مرة رأس السيد حسين بن محمد الحسني هذا وتمغثوه فلم يثأر له أولاده على وفرة عددهم وقوة أجسام بعضهم ولم تغنه كثرتهم.

قال بن عبيدالله: ومن ذرية السيد يوسف بن عابد العارف الكامل والسالك الواصل يوسف بن عبد الله الفاسي، وقد انتقل من مريمة إلى سيؤن وتديرها وأثنى عليه الأستاذ الأبر

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد صنعاء، صفحة ١٧.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مطبعة الإرشاد بصنعاء، صفحة ١٨٨.

(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مطبعة الإرشاد بصنعاء، صفحة ٤١٠.

عيدروس بن عمر في عقد اليواقيت ثناءً جميلاً، ومن أعقابه بسيون الشهم الجواد السيد عبد الله بن علوي المشهور سكن سيؤن، وكانت له ثروة ينفق فيها في سبيل الخيرات بسرور نفس وطيبة خاطر. (انتهى النقل باختصار).

هذا ومع عزلة حضرموت ووجودها في هذه البقعة الجنوبية النائية من جزيرة العرب إلا أنها لم تغب عن خيال ملوك المسلمين في كل مكان. قال بن عبيدالله في بضائع التابوت: وفي حدود سنة ١٢٠٢هـ أرسل سلطان المغرب الشريف محمد بن عبد الله بن إسماعيل الحسني[1] بصلة لسادات حضرموت، وقد اعتنى بهذه الصلة السيد علي بن شيخ بن شهاب فجمع شجرة العلويين وحصر الموجودين منهم بحضرموت من وادي عمد ودوعن إلى المسفلة، فوصلت كل واحد منهم ثمانية قروش إلا ربعاً، سواء في ذلك الذكر والأنثى. ولما أتم السيد علي بن شيخ قسمتها بعدما جمع أهل الشحر والبنادر، توفي بالشحر سنة ١٢٠٣هـ ودفن بها. قال بن عبيدالله: وفي مكاتبة من الحبيب أحمد بن حسن الحداد بتاريخ فاتحة جماد أول ١٢٠٢هـ ما يصرح بأن صاحب المغرب المذكور بعث بصلته مع الشريفين عبد الملك بن إدريس الحسني وعبد الكريم بن يحيى شيخ الركب المغربي النبوي، وذكر أن الصلة كانت لجميع الأشراف القاطنين بحضرموت من آل باعلوي الذكر والأنثى، الصغير والكبير، سواء بسواء. وقد وصلا بها إلى مكة عند الشريف سرور بن الشريف مساعد، ثم طلبوا بواسطة حيدر البغدادي ساكن الحديدة بوصول وكيل من حضرموت ليتسلمها، فاجتمع من تيسر اجتماعهم من سادة حضرموت وبعثوا بالسيدين عبد الله بن شيخ بافقيه وأبي بكر بن إبراهيم السقاف.

قال بن عبيدالله: ومن كتاب خاص من السيد أحمد بن حسن الحداد لسلطان المغرب محمد بن عبد الله بن إسماعيل المذكور نوّه له ببعض فضائل حضرموت عامة وتريم خاصة

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الأول، صفحة ١٠٢.

وأشار عليه بأن يضاعف الصلة ويخصها بأهل المدن والقرى ولا يعم أهل البوادي (لصعوبة حصرهم على ما يبدو)، وأن يزيد أهل تريم وعلماؤها. (انتهى).

هذا وليس في إرسال الصلة لآل بيت رسول الله ﷺ بدعا من الأمر فقد ذكر المسعودي في مروج الذهب[١] أن الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كتب الى عامله بالمدينة أن اقسم في ولد علي بن أبي طالب عشرة الآف دينار فكتب إليه العامل أن عليا قد ولد له في عدة قبائل من قريش ففي اي ولده؟ فكتب إليه عمر: لو كتبت إليك في شاة تذبحها لكتبت إلي أسوداء أم بيضاء ؟ إذا أتاك كتابي هذا فاقسم في ولد علي من فاطمة رضوان الله عليهم عشرة الآف دينار فطالما تخطتهم حقوقهم والسلام .

والسلطان محمد بن عبد الله هو سلطان من سلاطين دولة الأشراف العلويين بالمغرب التي أسسها محمد بن محمد الشريف سنة ١٠٥٠هـ، وهي باقية على حكم المغرب إلى اليوم، إلا أن المؤسس الحقيقي للدولة هو أخوه الرشيد الذي بويع بعد مقتل أخيه محمد سنة ١٠٧٥هـ، ثم حكم بعده أخوه إسماعيل (١٠٨٢-١١٣٩هـ) وهو أشهر سلاطين هذه الأسرة وأطولهم عهداً، وقد شكل جيشاً من العبيد الأفارقة واستطاع بهم أن يفرض سلطته على القبائل ويحارب الأجانب فاسترد ما احتله الإسبان من المغرب، ولم يبق للإسبان إلا سبتة ومليلة. كما استعاد طنجة من الإنجليز، ولكن الأمور اضطربت بعد وفاته ونشب الخلاف بين أبنائه حتى استقرت الأمور بيد ابنه عبد الله، وجاء من بعده ابنه محمد بن عبد الله بن إسماعيل (١١٧١-١٢٠٦هـ) الذي أعاد الاستقرار إلى البلاد مرة ثانية، وهو صاحب الصلة التي وصلت إلى العلويين بحضرموت.

ولم يكن للدولة العثمانية سيطرة على بلاد المغرب الأقصى، ولم تتعد سيطرة العثمانيين تونس والجزائر، وكانت علاقة العثمانيين مع دولة الأشراف العلويين بالمغرب علاقة يسودها التوتر أحياناً والتعاون في الأحيان الأخرى ضد العدو الإسباني المشترك.

---

(١) أبي الحسن علي بن الحسين المسعودي مروج الذهب الجزء الثالث دار الكتب العلميه بيروت صفحة ٢٢٦.

إلا أن العلاقات مع العثمانيين تحسنت في عهد السلطان محمد بن عبد الله بن إسماعيل صاحب الصلة للعلويين بحضرموت والذي اتجه في سياسته إلى توثيق الروابط مع الدولة العثمانية والمشرق العربي الإسلامي[١].

وفي عهد السلطان محمد بن عبد الله بن إسماعيل ازدادت الأطماع الأوروبية في بلاد المغرب، وعقدت معهم المعاهدات التجارية، ومنحوا الامتيازات التي مهدت لسلسلة طويلة من الغزوات الأوروبية لبلاد المغرب التي حدثت في عهد خلفاء السلطان محمد بن عبد الله بن إسماعيل، وشهدت هذه الفترة أيضاً تصاعد عمليات المقاومة البطولية (انظر الموسوعة العربية العالمية، المجلد ٢٣ صفحة ٥٢٤-٥٣١) وانتهى الأمر في سنة ١٣٣٠هـ (١٩١٢م) عندما اقتسمت فرنسا وإسبانيا بلاد المغرب فيما بينهما.

ومن النقاط المضيئة في هذا التاريخ معركة الأنوال في سنة ١٣٣٩هـ (١٩٢١م) والتي تمكن فيها الأمير عبد القادر الجزائري مع المقاومة الريفية من الانتصار على الإسبان وإبادة الحملة الإسبانية بأسرها بما فيها القائد العام للحملة، فكانت أكبر هزيمة ألحقها جيش عربي بجيش أوروبي في التاريخ الحديث والمعاصر، وتسببت هذه الهزيمة في انقلاب عسكري في إسبانيا سنة ١٩٢٣م.

وتقول الموسوعة العربية[٢]: واستطاع الأمير عبد القادر الجزائري وقوات الريف الصمود سنة كاملة في وجه ثلاث مارشالات وأربعين جنرالاً يقودون القوات الأساسية لدولتين أوروبيتين، فضلاً عمن استقدمتهم هذه الدول من الطيارين الأمريكيين المرتزقة لأجل قيادة أحدث قاذفات القنابل.

ثم نعود بعد هذا الموجز التاريخي لذكر من زار حضرموت من المغاربة، ففي ترجمة

---

(١) الموسوعة العربية العالمية، المجلد ٢٣، صفحة ٥٣٧.

(٢) الموسوعة العربية العالمية، المجلد ٢٣، صفحة ٥٣٩.

الحبيب أحمد بن حسن العطاس أنه لما توجه الحبيب عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه من حضرموت إلى الحرمين بطريق البر ووصل منطقة الباطنة من حضرموت لقي بها سائحاً من أهل المغرب[١].

ومن السواح المغاربة المتأخرين إلى حضرموت السائح المدعو بالطيب الباسقي، قال بن عبيدالله[٢] عن السائح الباسقي إنه كان يصعد أكمة بجوار بستاني في المخترف (مصيف سيؤن ويسمى القرن) صباح كلّ يوم مدة إقامته لدينا بسيؤون فيطل على نخيلها وديارها، فقال لي إن بلادكم هذه ليست من أحاسن البلاد، ولكن لها منظراً جذاباً، فأنا أرثي لمن يفارقها من أهلها لأنه لا بدّ وأن يطول حنينه ويشتد شوقه إليها، وكان ذلك في سنة ١٣٤٥هـ (انتهى).

هذا وقد كتب السائح الباسقي بصحيفة الأهرام المصرية عن بعض ما يعانيه بن عبيدالله من خصومه وحساده كما ذكر ذلك بن عبيدالله[٣].

وذكر الجد بن عبيدالله[٤] أن ساحراً مغربياً اسمه الشيخ علي كان بتهامة، ثم قدم إلى سيؤون، وانتشرت له دعاية كبيرة في قدرته على استخراج السحر المدفون. ولقد استمرأ الكذب واندفع حتى قال لبعض الفضلاء سحرتك زوج أبيك، وهي امرأة صالحة لا يرقى إليها الشكّ، ثم انتقل الساحر إلى تريم وصارت له فيها دعاية مماثلة، إلا أن بعضهم فتح بيته في غيابه واكتشف حقيقة أمره وكذبه، فلما علم بكشف أمره هرب إلى خارج حضرموت قبل أن تصل إليه يد السلطان. (بتلخيص).

* * *

---

(١) علي بن أحمد العطاس، ترجمة الحبيب أحمد بن حسن العطاس ورحلاته، صفحة ٨١.

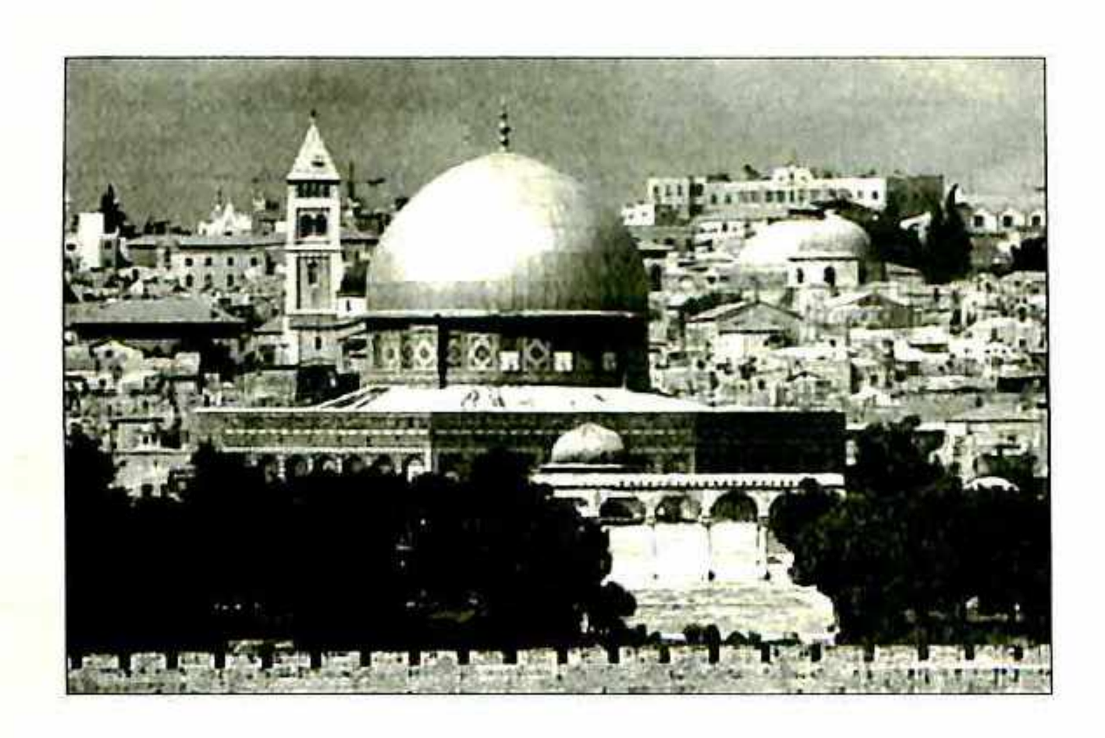
(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ١٨٢.

(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ٤٧.

(٤) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ٢٨٥.

الفصل الثلاثون بعد المائة (١)

رحلات العلويين إلى فلسطين قبل النكبة



رحلة الحبيب شيخ بن محمد الحبشي

سنة ١٣٢٨هـ[(١)]

توجه الحبيب شيخ بن محمد الحبشي (١٢٦٥-١٣٤٨هـ) في جمادي الأولى سنة ١٣٢٨هـ من بيروت على البابور الفرنساوي إلى بلدة يافا ويقول: وأخذنا ليلة في الطريق ووصلناها صباحاً ثم توجهنا منها في سكة الحديدة قاصدين زيارة بيت المقدس وأخذنا نحو ست ساعات إلى بيت المقدس ومعنا ا المزور (المطوف) المعروف الشيخ عبد الله الأنصاري ونزلنا في بيت المقدس بفندق الأروام وسعر الإقامة كل ليلة بمجيدي ونصف .

هذا وما كاد الحبيب شيخ يستقر في الفندق حتى تحرك لزيارة المسجد الأقصى و يقول:قصدنا قبة الصخرة في الموضع الذي فيه أثر قدمه ﷺ وصلينا ركعتين ورأينا الصخرة مرتفعة ومن تحتها جدرات فركعنا ودعونا الله في المحل الذي عرج منه النبي صلي الله عليه وسلم ثم زرنا محراب سيدنا سليمان ثم خرجنا من تحت الصخرة وقبتها إلى ناحية المسجد المعمور الذي يقال له المسجد الأقصى فتوضأنا من بحيرة وسط المسجد وقصدنا المسجد فوجدناه في غاية الحسن وعلى منبره مكتوب فرغ من صلاحه الملك نور الدين سنة٥٦٤ ثم توجهنا إلى محل مغلق ففتح لنا ونزلنا في درج إلى مكان فسيح تحت المسجد يشبه الجزء الأعلى من المسجد وهو مبني بأحجار عظيمة فمشينا في ذلك المحل بين أعمدة مبنية حتى وصلنا إلى محل فيه مهد من حجر منحوت قيل لنا أنه مهد سيدنا عيسي عليه السلام في حال التربية ولم ننظر من هذا المسجد بأسفل المسجد إلا الجزء القليل لأنه متباعد الأطراف ومتسع ثم خرجنا من ذلك المحل وتوجهنا إلى البقعة الكبرى التي فيها ضريح سيدتنا مريم عليها السلام

(١) عبدالله محمد الحبشي الرحالة اليمنيون مكتبة الإرشاد صنعاء صفحة ٢٦١-٢٦٤.

فوجدناه موضع قديم البناء له باب واحد فنزلنا نحو قصرين (دورين) في الأرض فوجدنا بالأسفل منه محل متسع مزخرف وفيه المصابيح مسرجه والشموع الكبيرة ولشمعدانات الذهبية وفيه القسوس والرهبان وبسبب كثرة المصابيح أحسسنا وكأن المحل في رابعة النهار فلما توسطنا المحل رأينا الرهبان والقساوسة قائمين نحو ضريح السيدة مريم ورأينا النساء ساجدات نحو الراهب الكبير وهم يرفعون أصواتهم ويضربون بالصنج فأجلسنا المدير لهذا المحل على كراسي وقال اصبروا حتى يخرج الرهبان من موضع الزيارة فنسمعهم يتكلمون بأصوات مختلفة لباسهم السواد ذكوراً وإناثاً فانتظرنا حتى فرغوا فأخذونا إلى ناحية ثم دخلنا إلى محل مزخرف بالذهب والفضة والمباخر فيها العنبر وأصناف البخور فوجدنا ضريح السيدة مريم إلى جانب الجدار وعليه الستائر وإلى جانبه الشموع فدخلنا وقابلنا الضريح فوجدنا صورة سيدتنا مريم وسيدنا عيسي فوق القبر في الجدار ثم أقبل إلينا القساوسة والرهبان ينظرون إلينا ماذا نفعل ثم إني قمت أمام القبر وزرت بالزيارة الإسلامية المعروفة فوقعت زيارة عظيمة ثم إن القسوس عند رفع أيدينا بالدعاء رفعوا أيديهم أيضاً واخرجوا القلانس من على رؤوسهم حتى انتهينا فتعجبوا منا ثم رفعوا أيديهم بالتسليم وخرجنا من ذلك المحل وفي أثناء خروجنا مررنا على بناء كبير مكتوب عليه بخط فصيح بسم الله الرحمن الرحيم هذه المدرسة المباركة وقفها مولانا الملك صلاح الدنيا والدين سلطان الإسلام أبو المظفر يوسف بن أيوب بن شاذي علي الفقهاء من أصحاب الإمام الشافعي ثم إنا سألنا عن هذا المحل فقيل لنا إنه صار كنيسة للفرنسيين فدخلنا فوجدناه محل متسع وفيه ألواح معلقة مكتوب فيها بالعربية أحاديث رواها الشيخان.

وبعد فراغ الحبيب شيخ من زيارة مآثر بيت القدس الدينية توجه إلى مدينة الخليل لزيارة نبي الله إبراهيم ويقول استأجرنا عربية بخمسة مجيدي وتوجهنا لزيارة سيدنا إبراهيم فأخذنا ست ساعات في الطريق حتى وصلنا الخليل فنزلنا في موضع معد للضيوف والزوار فجلسنا أولاً وتناولنا الطعام ثم توضأنا وكان ذلك الوقت وقت الظهر ثم توجهنا إلى مسجد عظيم وفيه ضريح سيدنا إبراهيم الخليل وسيدنا إسحاق وسيدنا يعقوب وسيدتنا سارة

وغيرهم من الأنبياء وبعد فراغ الحبيب شيخ من زيارة هؤلاء الأنبياء وجد موضعاً كهيئة التابوت ولكنه مكشوف الجوانب ويقول عنه: فرأينا في ذلك الموضع مثل البئر وفيها السرج والمصابيح الكثيرة وعليها بوابين فسألناهم عن ذلك الموضع فقالوا إن بهذه البئر أرواح سبعين من الأنبياء فقرأنا ما تيسر من القرآن وقد وجد في هذا الموضع من الروحانية والخشوع ما يشهد له بأنه مقام نبوة.

ثم يتجه الحبيب شيخ إلى بيت لحم وهو موضع ولادة سيدنا عيسى عليه السلام ويقول فوجدناها قرية عظيمة فيها أبنية عظيمة وجميع سكانها من النصارى وفيهم من الجمال شيء غريب فأتينا إلى دير عظيم مرتفع البناء له باب صغير وبالاتفاق مع وصولنا إلى عند الباب خرج من داخله النساء الراهبات ومنهن ما يزيد على مئة امرأة لابسات السواد فلما خرجن دخلنا ومعنا البواب حتى وصلنا إلى موضع الولادة وهو في محل مظلم وفيه المصابيح والشموع فرأينا موضع الولادة وفي هذه الكنيسة موضع تعليم القسوس حيث يجلس الراهب على كرسي ويتكلم وقد يرى عليه أثر البكاء والناس من حوله جلوس وأكثرهم من العجائز والشيبان.

رحلة الحبيب محمد بن هادي السقاف لفلسطين

سنة ١٣٤٣هـ[١]

توجه الحبيب محمد بن هادي السقاف (١٢٩١-١٣٨٢هـ) ومن معه في ليلة الأربعاء ٢٦جمادي الأولى سنة ١٣٤٣هـ من مصر المحروسة إلى بيت المقدس في سكة الحديد التي عبرت بهم على قري وأماكن كثيرة وأشجار متنوعة لم نعهدها كما قال بقطرنا الحضرمي وجبال صغيرة وكبيرة.

ثم وصلوا إلى القنطرة وهو موضع بينه وبين مصر بالسكة الحديد أربع ساعات فخرج الجميع من ذلك القطار وتحولوا إلى قطار آخر وبين السكتين بحر صغير فيه مركب صغير

(١) عبدالله محمد الحبشي الرحالة اليمنيون مكتبة الإرشاد صنعاء صفحة ٢٨١-٢٨٢.

مكتوب بأعلاه المرور مجاناً يمر فيه من نزل من سكة القنطرة إلى سكة القدس ثم مشت بهم السكة الحديد محاذين لبحر قريب من الطريق وأشجار لم تعهد بحضرموت أيضاً وجبال صغار وكبار وقري كثيرة أيضاً وكان وصولهم بيت المقدس الساعة الرابعة ويقول كاتب الرحلة وبين القنطرة وبيت المقدس عشر ساعات بالسكة الحديد وفي القدس قصدوا زاوية نبي الله داود ريثما استراحوا من تعب السفر ثم ذهبوا لزيارة المشاهد المقدسة التي ذكرناها في زيارة العلامة شيخ بن محمد الحبشي ولم يترك مشهداً إلا زاره ثم رحل من القدس إلى الخليل وزار نبي الله إبراهيم وما هنالك من المآثر واجتمع في القدس بالسيد أمين الحسيني مفتى القدس ويقول وبعد الصلاة سرنا إلى بيت السيد الشريف الحاج أمين الحسيني مفتي الحرم القدسي ووقعت عنده جلسة عجيبة ولما جلسنا أتى إلينا بعض خدمه بالتنباك ظناً منه إننا نشربه لكونهم لا يرون فيه بأسا فأعرضنا عنه جميعاً فقال السيد أمين المذكور لم لا تشربون التنباك أحرام هو أم حلال فأجابه الحبيب محمد بن هادي إنا لا نألفه لأن أبناء جنسنا وأجدادنا المتقدمين ومن رأيناهم من مشايخنا لا يتعاطونه ولا يستعملونه شرباً ولا نشوقاً ولا مضغاً فلذا نجد أنفسنا تعافه فأجابه السيد أمين الحسيني بالموافقة وقال: أولى بكم وأحسن وأنتم المغبوطون إذ غاية الأمر فيه أنه لو كان مكروهاً فهو ضياع مال بلا فائدة فالأولى والأحسن إعدامه من بلاد الإسلام.

ثم سأل الحاج أمين الحبيب محمد عن السياسة وأحوال العالم فقال الحبيب محمد بن هادي السقاف: ما عندنا تحقيق في ذلك فقال له الحاج أمين الحسيني كيف والجرائد تخبر عن الأحوال فقال الحبيب محمد بن هادي ما لنا اطلاع على الجرائد لعدم وصولها إلينا فقال الحاج أمين الحسيني لكنكم لابد أنكم تسمعون الأخبار من الغير فقال الحبيب محمد بن هادي نحن نقول اللهم أصلح من في صلاحه صلاح المسلمين وأهلك من في هلاكه صلاح المسلمين ونسأله أن يعز الإسلام على يد من أراد من العباد المؤمنين.

ثم عاد الحبيب محمد بن هادي السقاف وصحبه من فلسطين إلى مصر على السكة الحديد ومكثوا بمصر قليلاً قبل أن يركبوا البحر من السويس إلى المكلا.

الفصل الثلاثون بعد المائة (٢)

العلويون ونكبة فلسطين



نبذة تاريخية عن نكبة فلسطين

تبدأ مأساة فلسطين في نظري بخلع السلطان عبد الحميد عن الخلافة العثمانية، ذلك الحدث الذي شابه في تأثيره وأضراره على الإسلام والمسلمين مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه. لقد وقف السلطان العثماني عبد الحميد الثاني سداً منيعاً ضد استيطان اليهود في فلسطين، رغم أن الدولة العثمانية كانت تعامل رعاياها اليهود معاملة طيبة وتولى الكثير منهم مناصب ممتازة، كما استجابت الدولة العثمانية لاسترحام الدول العظمى، فسمحت لليهود المعرضين للقمع والاضطهاد بروسيا بالهجرة إلى الدولة العثمانية والإقامة على أراضيها، وهاجر إلى الدولة العثمانية من روسيا وأوروبا بعد قبول السلطان لهذا الاسترحام حوالي المليونين ونصف المليون من اليهود، حيث كانوا يعانون أيضاً من الاضطهاد في الدول الأوربية والتي كانت تسد الأبواب أمام هجرة اليهود إلى بلادها. إلا أن السلطان عبد الحميد الثاني كان واضحاً فيما يتعلق بفلسطين، فلم يسمح لليهود بسكنى فلسطين.



وعندما علم السلطان عبد الحميد[١] بتسلل اليهود إلى فلسطين وإقامتهم لبعض المستعمرات فيها بعد أن وصلته المعلومات بحدوث صدام مسلح بين الفلاحين الفلسطينيين والمستوطنين اليهود أصدر السلطان عبد الحميد مرسوماً أمر فيه بفصل فلسطين عن ولاية الشام وجعل فلسطين تحت إدارته المباشرة حتى يتمكن من مراقبة الاستيطان اليهودي في فلسطين مراقبة دقيقة.

كما قام السلطان عبد الحميد بالضغط على اليهود لحملهم على مغادرة فلسطين رغم

---

(١) د. طارق السويدان، فلسطين التاريخ المصور، الناشر الإبداع الفكري، صفحة ٢٠٨.

ضغوط الدول الأوربية عليه بالامتناع عن ذلك، ثم أصدر السلطان عبد الحميد في سنة ١٨٨٨ (١٣٠٥هـ) فرماناً يمنع الهجرة اليهودية الجماعية إلى الأراضي العثمانية، كما منع السلطان عبد الحميد الزائرين اليهود من البقاء في فلسطين أكثر من ثلاثة أشهر حتى بالنسبة للأفراد.

كما طلب السلطان عبد الحميد من خديوي مصر عباس حلمي مراقبة سواحل فلسطين لانشغال السلطان بمشاكله الأوربية، ثم تعصب اليهود الألمان للهجرة إلى فلسطين وأقاموا فيها المستعمرات، فانتبه السلطان عبد الحميد لذلك رغم انشغاله بما يواجه الدولة العلية من مؤامرات الدول الكبرى، وأرسل قوة عثمانية لطرد اليهود الألمان من السواحل الفلسطينية، وأصدر في عام ١٨٩٢م مرسوماً بمنع بيع الأراضي لليهود حتى لو كانوا من أهل فلسطين.

ثم ظهر في سنة ١٨٩٦م اليهودي ذو الأصل المجري ثيودور هرتزل ودعا إلى إقامة دولة يهودية في فلسطين أو الأرجنتين، وقامت بعد ذلك الحرب العثمانية اليونانية في سنة ١٣١٥هـ (١٨٩٧م) وأفلست هذه الحرب خزينة الدولة العثمانية.

قال بن عبيدالله[١]: ورأيت في بعض الصحف أن اليهود قدموا عريضة على يد أحد زعمائهم إلى السلطان عبد الحميد يسترحمونه في أن يعين قطعة من فلسطين لسكنى اليهود الذين قتلهم الضغط في روسيا وإسبانيا، وفيها ما صورته ـ أن جمعية سيون التي تشكلت في صهيون بعد الميلاد بمائة وخمس وثلاثين سنة قد اختارتني للمثول بين يديكم لأقدم لكم هذه العريضة وتسترحم الجمعية اليهودية من صاحب الجلالة التكرم بتخصيص القطعة الفلانية ـ وحدّدها ـ لإسكان اليهود بفلسطين. ونظراً لما انتاب خزينة الدولة من الضائقة المالية من جراء الحرب اليونانية فإن الجمعية تقدم بواسطتي عشرين مليون ليرة ذهباً إلى خزينتكم الخاصة على سبيل القرض بدون فائدة، وخمسة ملايين ليرة ذهباً إلى خزينتكم الخاصة لقاء ما تكرمتم به من البر والإحسان، واسترحم قبول هذا العرض. فلم يكن من السلطان عبد

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٣٦٢.

الحميد إلا أن استشاط غضباً وطرده وقال قولته التي خلدها له التاريخ الإسلامي[١]: «إنني لا أستطيع التخلي عن شبر واحد من فلسطين لأنها ليست ملك يميني بل ملك شعبي. لقد ناضل شعبي في سبيل هذه الأرض ورواها بدمه».

ولكن جمعية الاتحاد والترقي جعلت ذلك اليهودي فيما بعد على رأس الهيئة التي جاءت لتبليغ السلطان خلعه عن العرش لأن ذلك اليهودي كان من مؤسسي تلك الجمعية، وكان نائباً عن سلانيك في مجلس المبعوثان. لقد قاوم السلطان عبد الحميد الضغوطات البريطانية الشديدة لحمله على إلغاء قانون منع الهجرة اليهودية لفلسطين، غير أنه مع استمرار الضغط وظروف الدولة الصعبة سمح لهم بالاستيطان في شمال فلسطين فقط.

ثم أحاطت بالسلطان عبد الحميد مؤامرات الدول الأوروبية والفتن الداخلية المرتبطة بهذه الدول حتى انتهى الأمر بعزل السلطان عبد الحميد في سنة ١٩٠٩م، وقال السلطان عبد الحميد في مذكراته[٢]: «إن سبب خلعي هو إصراري على منع اليهود من تأسيس وطن قومي لهم في فلسطين».

وفي عام ١٩١٤م قامت الحرب العالمية الأولى ودخلتها تركيا إلى جانب ألمانيا لأنها خافت إن وقفت على الحياد أن تجتمع لافتراسها كل الدول العظمى في نهاية الحرب، ولم تكن لتركيا أية مصلحة بدخول هذه الحرب. ولقد قال الإنجليز عندما دخلت تركيا الحرب: لقد دق الأتراك آخر مسمار في نعش الامبراطورية العثمانية، ولهذا كان إعلان الدولة العثمانية الحرب مبرراً لهجوم الإنجليز على البصرة تمهيداً لاحتلال العراق.

وقال الأمير شكيب أرسلان في حاضر العالم الإسلامي: إن التحالف الغربي رفض طلب الدول الإسلامية التي طلبت الانضمام إليه في الحرب مثل مصر والشريف حسين في

---

(١) د طارق السويدان، فلسطين التاريخ المصور، الناشر الابداع الفكري، صفحة ٢١٠.

(٢) د. طارق السويدان، فلسطين التاريخ المصور، الناشر الإبداع الفكري، صفحة ٢١٤.

مكة، ولكن لما وجد الإنجليز أن مقاومة العثمانيين لا زالت شديدة، خصوصاً في دفاعهم المستميت عن فلسطين والشام، وتكسر الهجوم الإنجليزي المتكرر على ميناء العقبة الذي تركز عليه الهجوم الإنجليزي، بادروا إلى تغيير الخطة ووعدوا الشريف حسين أمير مكة بإمبراطورية عربية لقاء تحالفه معهم لحرب العثمانيين، وقام بالمهمة ضابط المخابرات البريطاني[١] المعروف بلورنس، وبناءً عليه أعلن الشريف حسين أمير مكة الثورة العربية الكبرى على الأتراك في سنة ١٩١٦م بتحالف معلن بين العرب والإنجليز[٢].

ويذكر محمد علي مغربي[٣] في كتاب أعلام الحجاز قصة اندلاع هذه الثورة العربية فيقول: وقد اغتنم الحسين فرصة اندلاع الحرب العالمية الأولى وانضمام الأتراك إلى الألمان في محاربة الإنجليز والفرنسيين، فاتفق الحسين كما هو معلوم مع الإنجليز، وقام بإعلان الثورة على الأتراك في مكة في ١٩ شعبان ١٣٣٤هـ.

ثم قال وبأمر من الشريف الحسين قام الشيخ عبد الله سراج مفتي الأحناف في مكة بالخطابة في المسجد الحرام معلناً الثورة على الأتراك، في الوقت الذي أطلق فيه الشريف الحسين الرصاصة الأولى من منزله معلناً بدء الثورة.

واستطرد المغربي قائلاً: بدأت ثورة الشريف حسين باحتلال قلعة أجياد التي كان بها مجموعة من الضباط والجنود الأتراك، وكان الشيخ عبد الله سراج يشترك في مهاجمة القلعة تشجيعاً للمهاجمين. (انتهى). وقال حافظ وهبة[٤] إن الشريف أعلن الثورة على الأتراك وتغلب على حامياتهم الواحدة بعد الأخرى بمساعدة بعض القوات المصرية التي أوفدها الإنجليز لمساعدته حتى دانت له الحجاز كلها.

---

(١) د. طارق السويدان، فلسطين التاريخ المصور، الناشر الإبداع الفكري، صفحة ٢٢١.

(٢) د. طارق السويدان، فلسطين التاريخ المصور، الناشر الإبداع الفكري، صفحة ٢٢٢.

(٣) محمد علي مغربي، أعلام الحجاز، صفحة ٣٨٥-٣٨٧.

(٤) حافظ وهبة، جزيرة العرب، دار الآفاق العربية، صفحة ١٥٠.

وقد أفاد الإنجليز من تحالفهم مع الشريف حسين فائدة عظمى، إذ إنهم لما أعلنوا الحرب على الدولة العثمانية خافوا من وقوف العالم الإسلامي مع الأتراك المسلمين في حربهم ضد النصارى من الإنجليز والفرنسيين خصوصاً وأن هاتين الدولتين تسيطران في ذلك الوقت على أجزاء كثيرة من العالم الإسلامي، وبالذات مسلمي الهند المتعصبين للدولة العثمانية، فلذا بدا تحالف الشريف مع الإنجليز وكأنما هدفه إسناد ثورته العربية ضد الأتراك الذين يحاولون خنقها، وبالطبع فلم يعدم الإنجليز نشر الدعايات وإرسال المندوبين من قبل الشريف للدول الإسلامية للإعلان بأن الأتراك الاتحاديين قد تنكروا لدين الإسلام وأعلنوا الحرب عليه مستفيدين غاية الاستفادة من الاتجاه العلماني للأتراك الاتحاديين الذين حكموا تركيا بعد إلغاء الخلافة الإسلامية، واستخدموا ذلك في تشويه سمعتهم في العالم الإسلامي[١].

وقال اليزدي[٢]: إن السيد علوي السقاف وصل مندوباً عن الشريف إلى كل العرب بالقطر اليماني، كما بعث الشريف الشيخ عبد الله سراج إلى الصومال. ولا شك أن الشريف بعث المبعوثين لكافة الدول الأخرى.



ويلقي أنتونى ناتنغ في كتاب لورنس لغز الجزيرة العربية بعض الضوء على ظروف الثورة العربية التي أعلنها الشريف حسين على الدولة العثمانية.

يقول الكاتب[٣]: وصعد لورنس إلى ظهر السفينة، وهناك، وبينما كانت تمخر مياه السويس في طريقها إلى جدة بدا يعلل النفس بأنه لا بد أن يعثر في شبه الجزيرة العربية على قائد ما ليشترك معه في قيادة الثورة العربية وتوجيه دفتها إلى شاطئ الأمان.

ويقول أنتونى ناتنغ في موضع آخر[٤]: ولم ينس الأمير عبد الله بن الحسين أن يثني

(١) ثابت صالح اليزدي، الدولة الكثيرية الثانية في حضرموت، دار الثقافة العربية، صفحة -٢٤٩.

(٢) ثابت صالح اليزدي، الدولة الكثيرية الثانية في حضرموت، دار الثقافة العربية، صفحة ٢٤٨.

(٣) أنتوني ناتنغ ـ لويل ثوماس، لورنس لغز الجزيرة العربية، صفحة ٥٦.

(٤) أنتوني ناتنغ ـ لويل ثوماس، لورنس لغز الجزيرة العربية، صفحة ٥٧.

على موقف الجنرال وينغت الذي كان ضابط الاتصال بين القيادة والشريف حسين، إذ أمر بإنزال بعض القوات البريطانية إلى شاطىء رابغ مما عزز عملية الدفاع عن مكة المكرمة.

وقد قام لورنس بقيادة مجموعات من رجال البادية المسلحين الذين حشدهم شريف مكة لمحاربة الأتراك، وقامت هذه المجموعات بعمليات نسف متعددة لخط حديد الحجاز لقطع خطوط إمدادات ومهاجمة القوات التركية المدافعة عن فلسطين من الخلف لإرباكها وإنجاح الهجوم الرئيسي للجنرال اللنبي على فلسطين.

ويصف أنتونى ناتنغ إحدى العلميات التي قام بها لورنس فيقول: «وكانت قد بلغته[1] (يقصد لورنس) بعض المعلومات مفادها أن قافلة من المراكب التركية المقلة للمواد الغذائية تنوي مغادرة المنطقة إلى أريحا تحت حراسة قارب مسلح، وقبل أن تنبلج أولى تباشير الفجر كان العرب قد زحفوا إلى شاطىء البحر ونزلوا في المياه قبل أن يتمكن الملاحون الأتراك من تمالك روعهم. وما هي إلا دقائق حتى كانت العملية كلها قد انتهت ويومذاك أحرق لورنس مخازن المؤن بعد أن استولت جماعته على محتوياتها، كما جرّوا المراكب إلى البحر وأغرقوها، ولم يتكبد العرب أية خسائر، بينما أسروا ستين تركيا. (انتهى).

وبالنظر للفوائد التي جنتها بريطانيا من الثورة العربية للشريف يقول الكتاب: «اجتمع لورنس إلى الكولونيل كلايتون رئيس قلم الاستخبارات فزوده هذا بالإرشادات والتعليمات اللازمة بغية البحث فيما إذا كان بالإمكان إشعال ثورة عربية في العراق ضد الأتراك»[2]. ثم يقول عن الهدف من إثارة ثورة عربية بالعراق: «ولكن بعد الهزيمة النكراء التي لحقت بالإنجليز في العراق أخذ كلايتون يفكر بمحاولة إشعال ثورة عربية هناك علها تصحح الأوضاع وتعيد الأمور إلى مجراها السابق وتطمس معالم تلك الهزيمة»[3].

---

(١) أنتوني ناتنغ ـ لويل ثوماس، لورنس لغز الجزيرة العربية، صفحة ٢١٠.

(٢) أنتوني ناتنغ ـ لويل ثوماس، لورنس لغز الجزيرة العربية، صفحة ٣٩.

(٣) أنتوني ناتنغ ـ لويل ثوماس، لورنس لغز الجزيرة العربية،، صفحة ٣٩.

واستمر أنتوني ناتنغ يصف أعمال لورنس فقال: وتحرك الضابط الإنجليزي لورنس مع مجموعة من قوات الصحراء العربية بقيادة الشريف فيصل بن الحسين، وقطعوا الصحراء ليهاجموا الأتراك المتحصنين بالعقبة من الخلف، حيث لم يتوقع الأتراك هذا الهجوم الخلفي، مما ساعد على سقوط العقبة في يد الثوار، وسارع لورنس إلى القاهرة ليخبر الجنرال اللنبي بسقوط العقبة، وأصبح الطريق ممهداً أمام الإنجليز إلى فلسطين والشام[١].

ولما دخل الجنرال اللنبي قائد القوات الإنجليزية القدس في سنة ١٩١٧م قال قولته الشهيرة (الآن انتهت الحروب الصليبية)[٢].

أما الشريف حسين الذي أشعل الثورة على الأتراك بعد أن وعده الإنجليز بإمبراطورية عربية ومنوه الأماني بخلافة عربية إسلامية، فلم يتحصل بعد انتهاء الحرب العظمى على شيء، وتلاشت أحلامه كما يتلاشى السراب، بل وأعظم من ذلك فإنه فقد ملكه الذي ورثه عن آبائه وأجداده، واستمر عليه من سنة ١٣٢٦هـ إلى سنة ١٣٣٤هـ.

وقال بن عبيد الله:[٣] وإني لأعجب ممن سمي الحسين المنقذ بعدما شاع أنه أخذ المسلمات من نساء الأتراك وهن متعلقات بأستار الكعبة وسلمهن في جملة الأسرى للإنجليز، مع أن الدولة العثمانية هي التى ربت شحم كلاه. أقول هذا لا عن تعصب، بل لو كانت بي محاباة لحابيته إذ لم يكتب لأحد بحضرموت غيري بنبأ تلك النهضة المشؤومة (يقصد الثورة العربية)، ولكن الدين فوق كل عاطفه، ولئن صحت الأخبار بأخذه نساء الأتراك القانتات المؤمنات على تلك الحال فما هو إلا أمر عظيم، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وانظر فرق ما بينه وما فعله الإمام يحيى، فلقد أحسن وأفضل وأعان وأجمل ولم يخذل الدولة العثمانية عندما تقاصرت خطاها. (انتهى باختصار).

---

(١) د. طارق السويدان، فلسطين التاريخ المصور، الناشر الإبداع الفكري، صفحة ٢٢٢-٢٢٣.

(٢) د. طارق السويدان، فلسطين التاريخ المصور، صفحة ٢٢٤.

(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت،، صفحة ٢٩٧.

قال حافظ وهبة في كتابه جزيرة العرب[١] عن دخول الإخوان إلى مكة: «ولقد صدق المثل (كما تدين تدان) فكما سلط الشريف حسين البدو على الأتراك وبيوتهم فأعملوا فيها السلب والنهب كذلك سلط الله عليه الإخوان فقاموا بنفس الرواية التي مثلت مع الأتراك ما عدا القتل فإن يدهم لم تمتد إلى قتل أحد بمكة». (انتهى).

ووصف فلبي نهاية الملك حسين في كتابه فقال[٢]: وهكذا غادر الملك حسين مكة بعد حكم دام ستة عشر عاماً، قضى الشطر الأخير منها ملكاً مستقلاً فعلاً. فأبحر من جدة إلى العقبة، مصطحباً معه نساءه وكنوزه، ومن ثم أخبرته السلطات البريطانية بضرورة مغادرته العقبة إلى قبرص لئلا يغري وجوده بالعقبة الوهابيين فيندفعون إلى الشمال قبل أن تتمكن بريطانيا من التمركز في العقبة، ذلك التمركز الذي تم فيما بعد في صيف عام ١٩٢٥. وخلف الشريف علي بن الحسين والده على الحجاز.. فلم يطالب بمناطق أوسع مما طالب بها الأخير ولا بالخلافة التي انتهى بحثها أو المطالبة فيها من جديد، وإلى الأبد. (انتهى).



إلا أن أحداث التاريخ تتحرك بمشيئة الخالق سبحانه وتعالى، فقد كان من غير الممكن أن يعلن الشريف حسين الثورة على الأتراك والخروج عن طاعة العثمانيين ومحالفة الإنجليز لو لم تكن تركيا الاتحادية قد ساعدته على ذلك عندما ألغت الخلافة الإسلامية واتخذت الخطوات المناهضه للدين الإسلامي الحنيف والتي استفزت مشاعر المسلمين في أنحاء العالم الإسلامي، وكانت هذه الثورة العربية هي العامل الفعال الذي مكن الإنجليز من هزيمة الأتراك والاستيلاء على الشام وفلسطين.

ونقلاً عن الموسوعة العربية العالمية[٣]: ودخل فيصل بن الحسين سوريا ليشكل

---

(١) حافظ وهبة، جزيرة العرب، دار الآفاق العربية، صفحة ٢٦٥.

(٢) سانت جون، فلبي تاريخ نجد، مكتبة مدبولي، صفحة ٤٥٠.

(٣) الموسوعة العربية العالمية، المجلد ٢١، صفحة ٨٧.

الحكومه العربية التي وعده بها الإنجليز إلا أنه لم يكن يعلم بأن بريطانيا وفرنسا قد اقتسمت قبل نهاية الحرب العالمية سوريا ولبنان وفلسطين بموجب معاهدة سايكس - بيكو عام ١٩١٦م والتي قسمت بلاد الشام إلى ثلاثة أقسام فوضعت سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي وفلسطين والعراق تحت الانتداب البريطاني.

ولم يتمتع فيصل بن الحسين بحكومته العربية إلا فترة قصيرة، حيث رفضت فرنسا قيام حكومة عربية بزعامة فيصل بن الحسين، ووجه الجنرال الفرنسي غورو إنذاراً إلى فيصل بن الحسين يطلب فيه قبول الانتداب الفرنسي فوراً وإلغاء قانون التجنيد الإجباري وتسريح الجيش العربي، وعلى الرغم من أن فيصل رد على على طلبات غورو بالقبول إلا أن غورو رفض الرد مدعياً بأن الرد جاء متأخراً عن الوقت المحدد له، وتقدم بقواته نحو دمشق واحتلها بالقوة سنة ١٩٢٠ م، ثم تقدمت القوات الفرنسية واحتلت لبنان الساحل ولبنان الجبل. (انتهى).

ويقول الأستاذ طارق السويدان في أطلس فلسطين[١]: ثم نفذت بريطانيا مخططها المرسوم بفلسطين ففتحت باب الهجرة اليهودية وتربصت بالمواطنين العرب وأشعلت الخلافات بين الوجهاء الفلسطينيين وساعدت على تشكيل القوات اليهودية وأطلقت وعد بلفور سنة ١٩١٧هـ بإقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين.

ولم يضيع الإنجليز الوقت بل بدؤوا الخطوات العملية لتنفيذ مشروعهم بفلسطين فشكلوا لجان الاستقصاء التي تطلع على رأي أهل فلسطين في الدولة اليهودية وأشعلوا الفتنة بين وجهاء فلسطين، وشكلوا حكومة لم يكن للفلسطينيين أي تمثيل حقيقي فيها، وأخمدوا الثورات العربية التي قامت بفلسطين بكل قسوة وأمسكوا بزمام الأمور في فلسطين، وسهلوا للمهاجرين اليهود كل الوسائل التي تضمن لهم التفوق والسيطرة.

---

(١) د. طارق السويدان، فلسطين التاريخ المصور، الناشر الإبداع الفكري، صفحة ٢٢٤.

ويواصل الأستاذ طارق السويدان في أطلس فلسطين قوله[١]: ثم قررت لجنة بيل الإنجليزية سنة ١٩٣٧هـ تقسيم فلسطين بين اليهود والعرب مع الموافقة على طرد السكان العرب من المناطق المخصصة لليهود، واعتبر بن قوريون ذلك أعظم أهمية لليهود من وعد بلفور. وقمع الإنجليز بعنف الثورات الشعبية لفلسطين مثل ثورة ١٩٣٧م، وواجهوا المقاومة الفلسطينية بعنف وخشونة، وجمعوا الأسلحة من السكان العرب، وعاقبوا من يحوز السلاح بالقتل وهدم المنزل.

وأجمعت الدول العظمى بأجمعها على تأييد اليهود ومساعدتهم على تحقيق أهدافهم ولجأ وجهاء فلسطين إلى بريطانيا وتصوروا أن مجرد عرض عدالة القضية عليها كافٍ لتغيير رأيها من اليهود فأرسلوا وفدا لمقابلة تشرشل رئيس الوزراء، ولو عرفوا رأي تشرشل في الموضوع كما نعرفه الآن ما اتجهوا إليه.

وقام بن جوريون رئيس الوكالة اليهودية بتوظيف كل الخلافات العربية لمصلحته، وما كان أكثرها، فهناك خلافات شديدة بين العوائل الفلسطينية العريقة مثل عائلة النشاشيبي وعائلة مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني، كما أن هناك توجساً وانعدام ثقة بين رئيس سوريا شكري القوتلي وملك شرق الأردن وبين الدول العربية وملك شرق الأردن أيضاً.

وكما قوت بريطانيا اليهود داخل فلسطين وأضعفت العرب وأنهكتهم لم تنس أيضاً تأمين حدود الدولة اليهودية المنتظرة، فخلقت بريطانيا دولة شرق الأردن بالصحراء السورية، وجعلت حدودها ممتدة بطول الحدود الشرقية لفلسطين لتكون حاجزاً بين المحيط العربي الصاخب وبين الدولة اليهودية الجديدة خصوصاً وأن هذه هي الحدود التي يمكن أن يصل منها الخطر على دولة إسرائيل. أما مصر فتفصلها عن فلسطين صحراء سيناء المكشوفة، كما أن الحدود مع سوريا ولبنان ليست بذات خطر لوجود الفرنسيين بها وسيطرتهم عليها.

---

(١) د. طارق السويدان، فلسطين التاريخ المصور، الناشر الإبداع الفكري، صفحة ٢٤٩.

أما قصة نشوء إمارة شرق الأردن فقد بدأت بعد استيلاء فرنسا على سوريا سنة ١٩٢٠م وطرد فيصل بن الحسين من سوريا، وهو الذي قام بالمساعدة على طرد الأتراك من سوريا. وفي الموسوعة العربية[١] أنه لما كان فيصل بن الحسين في ميناء حيفاء ينتظر وصول الباخرة التي ستقله إلى أوروبا بعد انتهاء ملكه بسوريا وصله كتاب من المندوب السامي البريطاني في فلسطين يخبره بعزم بريطانيا إقامة إمارة بشرق الأردن، وكان شرق الأردن مقسماً أيام العثمانيين إلى ثلاث مناطق إدارية، تحولت أيام الإنجليز إلى حكومات محلية، ثم وصل من مكة الأمير عبد الله بن الحسين سنة ١٩٢١م وتسلم مقاليد الإدارة بالأردن، واعترفت به بريطانيا أميراً على شرق الأردن وألغيت الحكومات المحلية، وحلت محلها حكومة مركزية واحدة في شرق الأردن وعاصمتها عمان.

ولم يترك الإنجليز لإمارة شرق الأردن الجديدة كامل حريتها، بل كبلوها بمعاهدة سنة ١٩٢٨م والتي تعطي لبريطانيا حق الإشراف شبه الكامل على الإمارة، ثم خففت هذه المعاهدة بمعاهدة سنة ١٩٣٤م. ويتضح مما سبق أنه في عام نكبة فلسطين سنة ١٩٤٨م كانت الدول العربية المحيطة بفلسطين كلها تحت النفوذ البريطاني أو الفرنسي ما عدا المملكة العربية السعودية واليمن البعيدتين عن الأحداث الساخنة.

وحتى تضمن بريطانيا صمود هذه الدولة أمام أعدائها العرب فقد كونت لها جيشاً اعتبر في وقت إنشائه أقوى جيش عربي من ناحية التجهيز والتدريب والأسلحة، وحيث إن الإنجليز لا يتركون شيئاً للمفاجآت والصدف، فقد جعلوا كبار ضباط هذا الجيش من الإنجليز وأوكلوا قيادته للجنرال الإنجليزي غلوب باشا، بحيث لم يكن لحكومة الأردن سيطرة على تصرفاته وقراراته. وذكر الكاتبان الإسرائيليان يوجين روغان وافليم شلايم[٢] الصلة بين وزير الخارجية البريطاني وبين القائد البريطاني الذي أصدر أمر انسحاب جنود

---

(١) الموسوعة العربية العالمية، الطبعة الثانية، الجزء الأول، صفحة ٤٩٤ .

(٢) يوجين روغان وآفي شلايم، الحرب من أجل فلسطين، الناشر مكتبة العبيكان، صفحة ١٩٧ .

الجيش الأردني، ذلك الانسحاب الذي أدى إلى وقوع اللد والرملة في آيدي الإسرائيليين، وهو القرار الذي أثار غضب العالم العربي وأساء الظنون بالملك عبد الله.

كما حاول الإنجليز ربط الملك عبد الله ودولته ببريطانيا برباط قوي لا ينفصم وتكسير كل العلائق التي بينه وبين باقي ملوك العرب تكسير الزجاج الذي يصعب جمعه حتى يبقى الملك مضطراً لصداقتهم مهما بدا له من أمر هذه الصداقه، واستطاع الإنجليز تحقيق هذا الهدف بتشويه سمعة الملك عبد الله عن طريق تسريب معلومات عن اتصالاته بالوكالة اليهودية بفلسطين، ومن ذلك التسريب قيام عبد الله التل الذي عينه الملك حاكماً عسكرياً للقدس بعد استيلاء الجيش الأردني عليها سنة ١٩٤٨م وهو الشخص الذي لعب دوراً هاماً في المفاوضات الأردنية الإسرائيلية سنة ١٩٤٨م، لكنه استقال من منصبه بعد ذلك، وطلب اللجوء السياسي إلى مصر، ولما وصل مصر بدأ في سنة ١٩٥٠ ينشر ما يعرفه عن مفاوضات الملك عبد الله مع الإسرائيليين(١).

ولا أعتقد أنه كان بإمكان عبد الله التل اللجوء إلى مصر والإقامة بها ثم نشر معلوماته في الصحف المصرية لو كان ذلك يتعارض مع مصالح الإنجليز الذين يسيطرون على مصر في تلك الفترة.

ويظهر من الوثائق الإسرائيلية التي درسها المؤرخون الإسرائيليون الجدد أن الملك عبد الله لم يكن موافقاً أو ربما لم يكن متصوراً قيام دولة يهودية قوية في فلسطين، وكان يعرف أن بريطانيا قررت التقسيم وإعطاء اليهود قسماً من فلسطين وأنه لا يمكن لأحد من البشر أن يعارض إرادتها في ذلك الزمن، لهذا كان يتطلع إلى ضم الجزء العربي من فلسطين إلى دولته، ثم بعد ذلك السيطرة على كل فلسطين وإعطاء اليهود حكماً ذاتياً تحت مظلته الهاشمية.

وفي الوثائق الإسرائيلية(٢) أن الملك عبد الله كان يردد على اليهود دائما المرة تلو

---

(١) يوجين روغان وآفي شلايم، الحرب من اجل فلسطين، الناشر مكتبة العبيكان، صفحة ١٨٢.

(٢) يوجين روغان وآفي شلايم، الحرب من أجل فلسطين، الناشر مكتبة العبيكان، صفحة ١٤٨.

الأخرى قوله: «لعلكم تقبلون بأقل من الاستقلال الكامل وإقامة دولة أي بحكم ذاتي كامل أو بكنتون يهودي تحت سقف التاج الهاشمي». وكان الملك يراوغ الإسرائيليين ويلف كلامه بغموض ويرفض أن يخط شيئاً على الورق.

ولم يكن ضم الضفة الغربية إلى شرق الأردن بالعمل السيء، ذلك أن الفلسطينيين المنقسمين على أنفسهم لم يكونوا جاهزين لإدارة دولة، كما أن الإنجليز واليهود لم يكونوا ليوافقوا على قيام دولة فلسطينية في ذلك الوقت، كما أن انضمام الضفه الغربية للأردن كما قال الملك عبد الله يعطيها الأمن والاستقرار ويمنع تكرر مذبحة دير ياسين. وربما لو تأخر ضمها للأردن لابتلعتها إسرائيل في وقت مبكر.

وباعتراف الكتاب اليهود[١] فإن الجيش الأردني الذي أرسل إلى فلسطين «وفر المساندة للمقاتلين العرب غير النظاميين في قتالهم ضد القوات اليهودية ووفر الحماية للقرى ذات الموقع الاستراتيجي».

وتقول الوثائق الإسرائيلية[٢] أنه عندما حاول اليهود الاستيلاء على القدس، وهي من المناطق التي دولها قرار التقسيم فإن الملك عبد الله أصدر أمره بإرسال قوة للمدينة القديمة، وتبع ذلك قتال شرس ثم استسلم الحي اليهودي نهائياً للجيش الأردني.

وبعد وقف الهجوم اليهودي على القدس انتقل الاهتمام إلى اللطرون، وهي نتوء في هضبة مع تحصينات تسيطر على الطريق الرئيسية من تل أبيب إلى القدس وتقع في المنطقة التي خصصتها الأمم المتحدة للدول العربية. ولأهمية اللطرون الإستراتيجية شن عليه اليهود ثلاث هجمات مباشرة وقد صد الجيش الأردني كل هذه الهجمات وأوقع خسائر فادحه بالقوات اليهودية (انتهى باختصار).

---

(١) يوجين روغان وآفي شلايم، الحرب من أجل فلسطين، الناشر مكتبة العبيكان، صفحة ١٨٨.

(٢) يوجين روغان وآفي شلايم، الحرب من أجل فلسطين، الناشر مكتبة العبيكان، صفحة ١٦٠.

وقد قاتل الجيش الأردني لمنع اليهود من الاستيلاء على بيت المقدس، ونجح في كثير من المعارك رغم قيادة جلوب باشا الذي لا يمكن أن يحيد عن مصالح بلاده، ولهذا لما استولى الجيش الأردني على اللد والرملة قرر جلوب باشا الانسحاب وتركها لليهود ليستولوا عليها محملاً الملك عبد الله معرة ذلك.

وقد حاول المؤرخون تشويه سمعة الملك عبد الله نتيجة الاتصالات التي دارت بينه وبين الوكالة اليهودية إلا أن ذلك لا يعني أنه كان متواطئا مع اليهود، ويؤكد ذلك اليهود أنفسهم الذين لن يتورعوا عن أذية الملك عبد الله وفضحه، فقد رفض يغال يادين[١] رئيس علاقات الجيش الإسرائيلي رفضاً باتاً الادعاء القائل إنه كان هناك في أي وقت من الأوقات أي تواطؤ بين الوكالة اليهودية وحاكم شرق الأردن، دعك عن وجود تواطؤ أثناء حرب ١٩٤٨م (انتهى).

إن ملك شرق الأردن كان يعرف أن بريطانيا والدول العظمى قد رسموا وخططوا لتقسيم فلسطين بين العرب واليهود ولن يسمحوا لأية قوة أن تغير خطتهم التي دبروها منذ زمن طويل.

ويعرف ملك شرق الأردن أن بريطانيا وإسرائيل لن تسمحا بقيام دولة فلسطينية في الجزء العربي من فلسطين كما أنه يعرف أن الجيوش العربية الخمسة التي دخلت فلسطين سنة ١٩٤٨ لا قيمة لها خصوصاً وأن الدول التي أرسلت هذه الجيوش تخضع لبريطانيا وفرنسا. والسؤال الذي يطرح نفسه هو: لماذا سمحت بريطانيا وفرنسا لهذه الجيوش العربية الخمسة بدخول فلسطين والاشتراك في الحرب؟ وما أعتقده أن بريطانيا لم تكن لتسمح بدخول هذه القوات لو توقعت لها نسبة ١٪ من النجاح في مهمتها.

إلا أن دخول هذه الجيوش العربية الخمسة يخفف من غضب الشعوب العربية ويوفر

---

(١) يوجين روغان وآفي شلايم، الحرب من أجل فلسطين، الناشر مكتبة العبيكان، صفحة ١٦٠.

الغطاء القانوني لإسرائيل بأنها إنما استولت على فلسطين بعد حرب ضارية ضد خمسة جيوش. وبالتالي لا ضير عليها في امتلاك ما كسبته بحرب، كما يوفر ذلك غطاءً دبلوماسياً للدول الاستعمارية حتى لا تظهر أنها سلمت فلسطين وإنما ما حدث هو أنها انسحبت من فلسطين فنشبت الحرب بين الوكالة اليهودية وخمسة جيوش عربية، وفي الحرب نصر وهزيمة ومكسب وخسارة.

أما الملك عبد الله فإنه كان الوحيد الذي يعرف ما يريد، وكان يعد الترتيبات والاتصالات لضم هذ الجزء من فلسطين لشرق الأردن بدل أن يبقى مسرح اضطراب ينتهي بضمه إلى إسرائيل، وقد أوضح رئيس وزراء شرق الأردن أبو الهدى لبيفن وزير خارجية بريطانيا أثناء اجتماعهما بلندن أن حكومة شرق الأردن تلقت التماسات عديدة من وجهاء فلسطينيين يطلبون فيها أن يوفر الجيش الأردني الحماية لدى انسحاب القوات البريطانية[١]. وقد تحدث الملك عبد الله بن الحسين في برقيته لرؤساء الدول العربية عقب دخول الجيش الأردني فلسطين في ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ بعد انسحاب بريطانيا عن الهدف من قرار الضم وهو «إقرار النظام والأمن وحقوق الشعب والحيلولة دون تكرار ماحدث في دير ياسين»[٢].

ورغم اختلاف ميزان القوى بين العرب واليهود فإن الدول الكبرى بقيت تراقب الأوضاع، وكلما حقق العرب انتصاراً وشارفوا على دحر اليهود أعلنت الدول الكبرى الهدنة، واستفادت منها في إعادة إمداد اليهود بالمزيد من السلاح الحديث والمقاتلين الجدد، بينما استمر حظر توريد السلاح على الدول العربية، ولهذا فإن نتيجة الحرب منذ بدايتها كانت محسومة.

وقد وترتب على الأعمال العسكرية والمذابح التي ارتكبها اليهود نزوح حوالي سبعمئة ألف عربي اقتلعوا من ديارهم إلى الشتات والمصير المجهول. والحقيقة أن نزوح شعب كامل

---

(١) يوجين روغان وآفي شلايم، الحرب من أجل فلسطين، الناشر مكتبة العبيكان، صفحة ١٨٨.

(٢) يوجين روغان وآفي شلايم، الحرب من أجل فلسطين، الناشر مكتبة العبيكان، صفحة ١٩٠.

عن وطن عاش فيه مئات السنين بهذا العدد وبهذه الصورة لمسألة تثير الحيرة، حتى بالنسبة للمؤرخين اليهود أنفسهم.

قال المؤرخ الإسرائيلي بني مورس[١]: كانت الاستنتاجات الرئيسية هي أن اللاجئين الفلسطينيين الذين بلغ عددهم سبعمئة ألف هم أساساً نتاج الحرب والقصف وإطلاق الرصاص والقذائف، ونتائج المخاوف التي ولدتها هذه الأعمال، ولكن هرب الفلسطينيين كان أيضاً ناجماً عن عدم كفاءتهم وقيادتهم الفاسدة التي أخفقت في الإعداد الصحيح للحرب، فخاضتها دون تروٍّ. وفي النهايه هربت عند أول رشقة من قذائف المدفعية مخلفة وراءها مجموعات من السكان بلا قيادة وحائرة ومهزومة. (انتهى).

ولعل هذا النزوح يذكرني بالآية الكريمة رقم ٢٤٣ من سورة البقره: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ صدق الله العظيم.

قال الشيخ الشعرواي[٢] في معرض تفسير هذه الآية: «لقد أراد الله بهذه التجربة أن لا يظن ظان أن القتال هو سبب الموت إنما أمر الموت والحياة بيد واهب الحياة وها هو ذا قول خالد بن الوليد على فراش الموت باقياً ليعرفه كل مؤمن بالله «لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها وما في جسدي شبر إلا وفيه ضربة بسيف أو طعنة برمح وها أنذا أموت على فراشي كما يموت العير فلا نامت أعين الجبناء». (انتهى).

ومع أن الشيخ الشعراوي لم يوضح مسألة الإحياء بعد الموت إلا أنني أنوي عرض مفهومي لهذا الشأن إذ إن الموت المقصود في هذه الآية ليس هو بالضروره موت فناء جسدي بل هو موت نفسي، فالشجرة إذا اقتلعت من تربتها تموت، وإذا زرعت ثانية تعيش،

---

(١) يوجين روغان وآفي شلايم، الحرب من أجل فلسطين، الناشر مكتبة العبيكان، صفحة ٧٢.

(٢) محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، المجلد ٢، صفحة ١٠٥١.

والسمكة إذا أخرجت من الماء تموت، وإذا إعيدت إليه مبكراً تحيا، والإنسان إذا اقتلع من داره ووطنه يموت موتاً نفسياً فإذا عاد إلى وطنه عادت إليه الحياة، ولقد رأينا نزوحاً مشابهاً من الكويت في ظروف أقل خطراً، ولكن همة خادم الحرمين فهد بن عبد العزيز يرحمه الله وعزيمته بعد مشيئة الله أعادت الكويتيين إلى ديارهم فعادت إليهم الحياة من بعد موت.

ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى في الآية ١٢٢ من سورة الأنعام: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ صدق الله العظيم. قال الشيخ الشعراوي[١] في تفسير قوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ أي لو من كان ضالاً فهديناه أو من كان كافراً فجعلناه مؤمناً. (انتهى).

فلعل هذا الهروب الفلسطيني كان ناتجا من ضعف الايمان في ذلك الزمن ونتذكر هنا كلام الحبيب علوي بن عبد الله بن شهاب في هذا الشأن حيث قال: لا تظنوا أن ما حلّ بأهل فلسطين بسبب خفيف وإنما وقع بسبب أعمالهم السيئه فإن أكثرهم ما يصلون ولا معهم إلا اسم الإسلام[٢]. (انتهى). وقد يكون هذا الكلام لا يشمل إلا مجموعة قليلة من الفلسطينيين إلا أن البلاء يعم، وفي القرآن الكريم الكثير من الآيات التي تخبر عن هذه الأمور.

هذا وأثناء المراجعة لهذا الكتاب شنت إسرائيل حربا مدمرة على سكان غزة في بداية شهر محرم من سنة ١٤٣٠هـ واستخدمت ضد الشعب الفلسطيني الأعزل كل أنواع الأسلحة من طائرات وزوارق حربيه ودبابات وأسلحة حديثه وذلك بعد أن فرضت عليهم قبل العدوان حصارا قاسيا لأكثر من سنتين عانوا فيه الكثير من نقص المواد الغذائية والطبية والوقود فظلا عن الأسلحة وما يدافعون به عن أنفسهم إلا أن الفلسطينيين وقفوا هذه المرة

---

(١) محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، المجلد ٧، صفحة ٣٩١٥.

(٢) عمر بن علوي الكاف، تحفة الأحباب، دار الحاوي، صفحة ١٥٤.

رغم الظروف القاسية وقوف الأبطال وتشبثوا بأرضهم وديارهم وكتبوا لتاريخ المسلمين ملحمة بطوله لا تنسى.

ما كتبه العلويون عن قضية فلسطين



ونستعرض فيما يلي بعض ما توفر في كتب العلويين عن قضية فلسطين، فقد ذكر السيد أحمد بن شهاب[١] أن القضية الفلسطينية شغلت شباب جمعية الأخوة والمعاونة التي تأسست بتريم وانبرى جماعة للدفاع والتحمس لقضية فلسطين، وقام الأدباء، ومنهم الأستاذ محمد بن هاشم والسيد علي بن عقيل في هذا الأمر. وفي سنة **١٣٥٦**هـ اجتمعت اللجنة بجماهير الشعب في قصر التواهي بتريم وقام فيهم الأستاذ محمد بن هاشم وأطنب وألهب الحماس في أرواح الجماهير، وطلب الكثيرون المساهمة في الجهاد الاقتصادي فقرروا المساهمة في شراء الأراضي الفلسطينية وقرروا إرسال رسالة منهم إلى الهيئة العليا لفلسطين

(١) أحمد بن عبد الله بن شهاب، تريم بين الماضي والحاضر، الجزء الأول، تريم للدراسات، صفحة **٢١٩**.

يبدون فيه ما تكنه أفئدتهم من العطف الشديد على الشعور الفلسطيني القومي، وجمعت الجمعية التبرعات، ولكنها لم تحصل إلا على نزر يسير من المال قدره ٤٦٠ روبية وأرسلته إلى معالي الدكتور عبد الحميد سعيد بك الرئيس العام لجمعيات الشبان المسلمين ورئيس اللجنة العليا للدفاع عن فلسطين. وقد وصل منه الرد التالي:

٢٩ رجب ١٣٥٦هـ حضرة الأخ المحترم صاحب السيادة محمد بن سالم السري، السلام عليكم ورحمة الله وبعد، فقد تسلمت كتابكم الكريم وما تبرع به أولو الغيرة الإسلامية من جمعيتكم المحترمة وإخوانهم الآخرين وإني أسال الله أن يجزيكم على حسن صنيعكم، وقد ضم المبلغ إلى حساب منكوبي فلسطين ببنك مصر وسيرسل إلى سماحة السيد محمد أمين الحسيني رئيس اللجنة العربية العليا لفلسطين (انتهى).

إلا أن الحبيب علوي بن شهاب قال مرة[1]: لما قام بعضهم يطلب معونة من الناس لأهل فلسطين: أهل فلسطين عندنا هنا فإنكم تجدون هنا شرائف من بني الزهراء وآل علي أفواههن منتنة من الجوع ما يجدون من يواسيهن فهن أولى بجمع الصدقة لهن.

وقال أيضاً: كما ذكرنا سابقا لا تظنوا أن ما حلّ بأهل فلسطين بسبب خفيف وإنما وقع بسبب أعمالهم السيئة فإن أكثرهم ما يصلون ولا معهم إلا اسم الإسلام[2].

قال بن عبيدالله[3]: ونظيره ما انتشرت به الدعايات لفلسطين اليوم مع أن غيرها من بلاد المسلمين لا يقل عنها أهمية وخطراً ولم يكن لها ولا معشار صدى فلسطين كالمسلمين في الحبشة وجاوا وليبيا وغيرها، ومع أني لا آمن أن يكون في الفلسطينيين من يوطىء مناكب قومه لليهود بل رأيت في العدد الصادر ١٣ رجب من عام ١٣٦٧هـ من أخبار اليوم أن عمدة سمخ ورئيس اللجنة القومية فيها حضر لدى المسؤولين وقال أعطونا مالاً وذخيرة

---

(١) عمر بن علوي الكاف، تحفة الأحباب، دار الحاوي، صفحة ١٥٥.

(٢) عمر بن علوي الكاف، تحفة الأحباب، دار الحاوي، صفحة ١٥٤.

(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٣١٨.

وبنادق وإلا فسنضطر للتسليم لليهود، ولما أعطوه ما طلب باع الذخيرة والبنادق لليهود، ومن ذلك العدد أيضاً أن سمخ وهي قرية عربية باعتها اللجنة القومية فحررتها الجيوش السورية، على حين لم يبق إلا أطلال،

ثم قال بن عبيد الله: ولهذا فإني لا أخلو عن ظن سيئ بمن تقدمت في تاريخه مع المسلمين نقاط سوداء وأرى أن لا أمل فيمن يستمد نفوذه أو إمارته إلا من الأجانب لأنهم من أعرف الخلق بشراء الضمائر فلن ينصبوا ولن يرشحوا إلا من يملأ هواهم ويتابع رضاهم ويتفيأ حيث مال ريحهم ويدور حيثما دارت زجاجتهم، حتى لقد عزمت أن أبرق إلى عزام باشا لنوع تعارف بيننا.

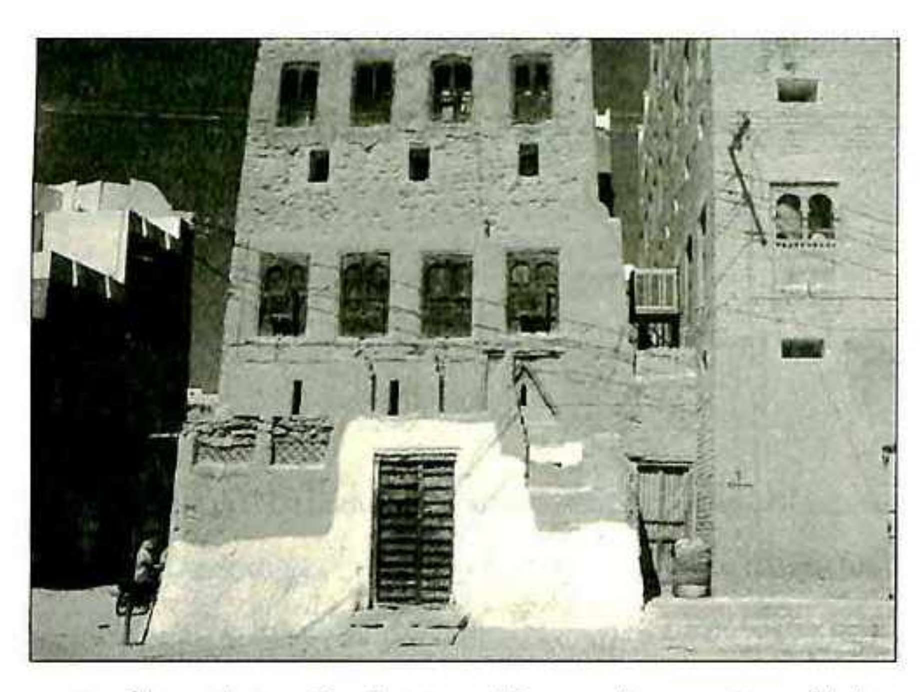
ثم قال بن عبيد الله: ومهما يكن من الأمر فالمستقبل كشاف الحقائق والفشل مأمون والنصر بشرطه مضمون والنصر بيد الله يؤتيه من يشاء، وإنما الواجب على الزعماء والصحفيين وغيرهم أن يشرحوا الوقائع ناصعة ويلزموا كل طائر عنقه، ويذكروا المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، وإلا ساء الظن بهم أجمعين.

قال بن عبيدالله: ومن اللطائف أنا كنا نتذاكر مساعدة فلسطين، فقال لنا بدوي من آل كثير اسمه محمد بن سالمين: ولِمَ هذه المساعدة؟ قلنا له: إن اليهود يريدون الاستيلاء على بلاد العرب، فقال: أوَليس النصارى مثل اليهود، وقد سعى بعضكم أيها السادة في بيع حضرموت عليهم والثمن مع ذلك منهم لا من النصارى؟ قال بن عبيدالله فكان جواباً مسكتاً (انتهى).

❊ ❊ ❊

الفصل الحادي والثلاثون بعد المائة

العلويون والقضاء



منزل الحبيب محسن بن علوي بن سقاف بسيؤن وقد سكنه بعده ابنه عبد الله بن محسن وتسمى الغرفة التي فوق المدخل بمحضرة الحكم والتي تتم فيها أمور القضاء ومقابلات رجال الدولة

لا يحب العلويون تسلم القضاء إلا عند إلزامهم به، إما بأمر شيوخهم أو بتشديدٍ من سلاطينهم، وسبب هذا التمنع ما قد يوقعه فيه القضاء من مخالفة وريبة، ثم ما قد يتعرض له القاضي من السلاطين وأصحاب الأهواء والنفوذ من العنت وتحكم الأهواء، وكما سنذكر عن ذلك في السابقين فإن المتأخرين من العلويين لم يتغيروا في عزوفهم عن تولي القضاء.

فقد ذكر الشيخ العلامة عمر بن عبد الله الخطيب المتوفى بسنقافورا أنه بعد وفاة قاضي تريم السيد عبد الرحمن بن حامد بافرج بقيت تريم مدة بلا قاضٍ، وكلما طلبوا واحداً للقضاء امتنع فاجتمع طلبة العلم وحضر السلطان محسن بن غالب ورشحوا ثلاثة منهم للقضاء، منهم السيد علي بن زين الهادي، فامتنع الثلاثة كلهم، فغضب السلطان محسن بن غالب، وقال: إذا لم يتولّه واحد من هؤلاء الثلاثة فسأنفي الثلاثة خارج تريم، فذهب السيد الهادي إلى قرية ثبي ليستأجر منزلاً يقيم فيه قبل أن ينفيه السلطان، ولم يعد إلى تريم إلا بعد تعيين السيد حسين بن أحمد الكاف على قضاء تريم[١].

وسنقتصر في هذا البحث على القضاء بمدينة سيؤن اعتماداً على ما كتبه بن عبيدالله في هذا الموضوع في مخطوطة بضائع التابوت مع بعض الزيادات من مصادر أخرى.

قال بن عبيدالله: وكان قضاء سيؤون في عائلة آل السقاف من أيام الحبيب طه بن عمر الصافي، ثم انتهى إلى الحبيب سقاف بن محمد بن عمر بن طه، وهو أشهر أولاد الجد محمد بن عمر صاحب مسجد القرن الذي ولد بسيؤن فى حدود عام ١١١٥هـ، ونشأ بها وتولى بها القضاء، وكان غالب أحكامه إصلاحاً وتوفي بسيؤون سنة ١١٩٥هـ.

وأكثر العلماء والفقهاء المنحدرين من أسرة آل طه بن عمر الصافي هم من ذرية الجد سقاف بن محمد، وقد توفي عن سبعة عشر ابناً وكلهم علماء. وقد أدرك الحبيب سقاف من زمن الحبيب عبد الله الحداد سبع سنوات، وحمله إليه والده، وقرأ عليه الفاتحة وبارك عليه،

---

(١) عبد القادر بن عبد الرحمن الجنيد، العقود الجاهزة والوعود الناجزة، صفحة ٥٥٢.

وقال لوالده أن في ولدك سقاف يا محمد علامة من علامات جده عبد الرحمن السقاف، وهي أن أحد منخرية أقصر من الآخر، وقد أدرك الحبيب عبد الله الحداد فيه هذه الصفة بمجرد تقبيل الجد سقاف ليده الكريمة رغم أنه مكفوف البصر. وقد تربى الجد سقاف على يد أبيه وأخيه الأكبر علوي وعلى كثير من علماء سيئون وتريم وكان جل أخذه على شيخه الحبيب علي بن عبد الله السقاف (١٠٩٢-١١٨١هـ). وقد كلفه شيخه الحبيب علي بن عبد الله السقاف تولي القضاء، وكان لا يخالفه فيما يشير به عليه، فقبل ولاية القضاء مع تكلف تام، وحصل له بعد توليته همّ وضيق وأخذ مدة يبكي خوفاً من الله، وقال لأولاده اتبعوني في كل شيء إلا القضاء والزواج، لأنه كان كثيراً ما يتزوج.

قال بن عبيدالله: وكان الجد سقاف بن محمد أعلم وأورع أهل بلده وإليه يرجع أمر البلاد والعباد ولا تُردّ له شفاعة، ولا يبرم أمر اجتماعي بدون مشورته وحضوره، وهو المرجع في الفتاوى الشرعية، وقد أسند إليه القضاء الشرعي، فأقام به العدل، وكان جل فصله فى القضايا بالإصلاح المبني على التراضي بين الخصمين حتى سمي بسقاف الإصلاح، ولم يبرم حكماً جازماً طيلة قضائه إلا فى قضيتين حتى توفاه الله وهو متقلد لتلك الوظيفة.

قال بن عبيدالله: ولما حاول السلطان محسن بن عمر الكثيري تولي بعض أموال الأيتام لم يوافقه الجد سقاف لأنه لم يره أهلاً لذلك، فغضب السلطان وأمر أحد عبيده بقتل الجد سقاف، ولما بلغ ذلك التهديد للجد سقاف قرأ قوله تعالى: (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل). وما زال ذلك العبد يتحين الفرص حتى سمع بأن الجد سقاف قد خرج إلى بستان بعض محبيه بمخترف القرن القريب من مدينة سيؤن، فكمن له العبد عند باب البستان ولما خرج الجد سقاف ضربه العبد بالبندق، فوقعت الرصاصة فى ثياب الجد سقاف ولم تتجاوزها إلى جسده، إلا أنه سقط مغشياً عليه من صوت الضرب، ثم ما لبث أن قام وقال للعبد سامحك الله أنت ومن أمرك.

قال بن عبيدالله: وكان الجد سقاف بن محمد لا ينام في كل ليلة حتى يسامح كل من ظلمه أو اغتابه أو سبه، ومن حاول قتله ومن أمره بذلك، وتوفي في سيؤن سنة ١١٩٥هـ.

قال بن عبيدالله وبعد وفاة الحبيب سقاف بن محمد ترشح للقضاء كثير من العلويين، ومن غيرهم فتولاه الحبيب عمر بن سقاف في عام ١١٩٥هـ لخشيته أن يقع القضاء في غير أهله، ثم تخلى عنه بعد سنتين لأخيه الحبيب علوي بن سقاف فتولاه ولم يتجاوز سنه الخمس والعشرين سنة، غير أن الحبيب علوي بن سقاف لم يبق على القضاء إلا مكرهاً، وزاد الأمر ما تحرك من أحساد بني عمه علوي بن محمد، فلقد أجمعوا ما عدا حسين بن علوي على بغضه ومناصبته العداوة، وقد قعدوا له في الطريق بالصمل ليضربوه وهو في طريقه ليؤم الصلاة بمسجد طه، حتى أنه قلما خرج بعد ذلك لإمامة الصلاة بمسجد طه ولاسيما في البرد إلا ومعه خفارة من أحد أخواله بني الإمام علي بن عبد الله السقاف، وكانوا أهل شدة وبأس. قال بن عبيدالله: وقد ترك الجد علوي بن سقاف القضاء بسبب تلك المنازعات، ورغم ذلك لم يتوقف أذاهم له، بل بقوا ينازعونه وينازعون أخاه عمر في الأوقاف وإمامة الصلاة.

ثم تولى القضاء من بعده أخوه الحبيب محمد بن سقاف وبقي عليه حتى توفي في سنة ١٢٢٢هـ، وعند ذلك كلفوا به الحبيب علوي بن سقاف مرة ثانية، فامتنع حتى غلبوه عليه، فتولاه في سنة ١٢٢٣هـ وبقي في القضاء إلى أن مات، فتولاه من بعده ابنه الحبيب محسن بن علوي السقاف.

وكان الحبيب علوي بن سقاف قائماً بالمدارس على عادة أبيه عامراً للمجالس يدور في مصالح العباد الدينية والدنيوية، وقد تعرض لأذية الغوغاء من الناس فصبر على أذاهم، وقد أنشد في إحدى المرات أمام الحبيب الحسن بن صالح البحر والحبيب محمد بن أحمد الحبشي بأبيات الحبيب عبد الله الحداد التالية مشيراً بها إلى حاله مع غوغاء الناس:

ماذا يقـول المنكـرون　　　فيمن له قلـب سـليم

على جميع المسلمين | وقصده المولى العظيم
ويعتقد في نفسه | بأنه عبد ذميم

فبكيا لما يتعرض له من أذية غوغاء الناس، كما أنه لم يسلم من أذى السلاطين وذوي السلطة، وقد هدده بعض ذوي السلطة بالذبح أربعين مرة، عندما لم يوافقهم في حكمه الشرعي. وكلما اعتذر الحبيب علوي بن سقاف عن القضاء لم يوافقوه على طلبه لعدم وجود من يماثله في سعة العلم ودقة الفهم، وكانت له الفتاوى العظيمة التي تبلغ الواحدة منها مرتبة الكتاب المصنف إلا أن الإهمال ضيعها فلم يبق لنا شيء منها.

وقد عرضت مشكلة ببلدة تاربة استعصت على الحكام والمصلحين حتى كادت أن تقوم حرب بين طرفيها فقالوا: ما لها إلا علوي بن سقاف، فذهب وأصلح بين الطرفين وأطفأ نار الفتنة. وكان الحبيب علوي بن سقاف كريماً جواداً يسعى بصدقاته السرية للقرابات وذوي الحاجات، وكان يقول الشعر، وله ديوان شعر مخطوط، قد توفي بمدينة سيؤون في سنة ١٢٣٥هـ ويقال إن عدد أولاده ثلاثة عشر مات بعضهم في حياته. ثم تولى القضاء بعد وفاته ابنه الحبيب محسن بن علوي السقاف، فكان آيه في فصل الأحكام وحل المشكلات وغاية في العفة والورع[١].

قال بن عبيدالله: وفي سنة ١٢٦٥هـ أسند القضاء بسيؤون للتقي الورع العلامة السيد محمد بن علي بن علوي بن عبد الله السقاف، وكانت توليته من السلطان عبد الله بن محسن بحضرة الحبيب حسن بن صالح البحر والجد محسن بن علوي السقاف، ولكنه عزل نفسه بعد أشهر لعزمه على الحكم في واقعة بما لا يوافق غرض السلطان فتولاه السيد طه بن علوي بن حسن، ثم عزل وعاد السيد محمد بن علي إلى القضاء ثانية في سنة ١٢٦٧هـ ثم نجمت حادثة وأراد أن يقضي فيها بما لا يهواه السلطان فحدثت ضجة اجتمع لها الأعيان، وكاد السلطان غالب أو أخوه عبد الله أن يبطش بالسيد محمد بن علي لولا أنه غادر المجلس وأبقى

(١) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ٢٠١.

ثيابه حتى هدأت الفورة وأعيد السيد طه بن علوي سنة ١٢٧٣هـ وطالت مدته في هذه المرة ثم عزل وتولى السيد محمد بن علي بن علوي للمرة الثالثة، ثم انفصل وتولاه السيد صافي بن شيخ، وكان ورعاً تقياً، وتوفي سنة ١٢٩٩هـ وهو على القضاء[١]. ومن أعماله أنه ألف مجموعة (كتيب) في ضبط أموال سيؤون ذكر فيه الأيدي العادية وما دخل فيه الحرام والشبهة من الأموال بتحرٍ لا يستغنى عنه[٢].

قال بن عبيد الله: ولما توفي السيد صافي بن شيخ أسند القضاء إلى السيد عبد الله بن محسن بن علوي الذي سافر إلى جاوا، وأناب عنه السيد علوي بن عبد الرحمن السقاف الذي لقبه بن عبيدالله بقاضي الآخرة لورعه الشديد. وقد أوردت ترجمته في نهاية هذا الفصل، قال بن عبيدالله: ولما عاد السيد عبد الله بن محسن من جاوا لم يرض بالرجوع إلى القضاء، وامتنع نائبه من الاستمرار فيه، فتولاه السيد عبد الله بن عمر بن أبي بكر المتوفى بسيؤن سنة ١٣٢٠، ثم عزل وولي القضاء مكانه الشيخ أحمد محمد بارجاء، ثم عزل وأعيد السيد عبد الله بن عمر، ثم عزل وأسندوه ثانية إلى عمنا عبد الله بن محسن وبقي عليه إلى أن توفي سنة ١٣١٣، فاجتمع الأعيان والسلطان بدار الشيخ أحمد بن محمد بارجاء، وأرادوا تولية الحبيب علوي بن عبد الرحمن فامتنع فتولى الشيخ أحمد بارجاء القضاء مؤقتاً، ريثما يقنعوا الحبيب علوي بن عبد الرحمن بقبوله[٣]. قال بن عبيد الله: ثم اجتمع الأعيان ثانية اجتماعاً مشهوداً ودبروا أمراً لإلزام الحبيب علوي بن عبد الرحمن بقبول القضاء إذ أقرعوا ثلاث مرات، وفي كل مرة تخرج عنده القرعة بحيلة مدبرة، فلم يكن له بد حينئذ من القبول[٤].

وبعد وفاة السيد علوي بن عبد الرحمن السقاف سنة ١٣٢٨هـ تولى القضاء السيد عبد الله بن حسين بن محسن السقاف، ودامت ولايته إلى سنة ١٣٤٠هـ وتولى القضاء بعده جماعة

(١) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ٢٠٣.

(٢) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، معجم بلاد حضرموت، صفحة ٣٨٦.

(٣) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، معجم بلاد حضرموت، صفحة ٣٨٦-٣٨٧.

(٤) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، معجم بلاد حضرموت، صفحة ٣٨٧.

من المشايخ والسادة، وتكرر العزل والولاية لعدة أشخاص، ثم انتهى القضاء إلى الشيخ امبارك عمير باحريش، وكان آية في النزاهة على غرار سيدي علوي بن عبد الرحمن لولا ضيق خلق وتعصب يقصد به الاحتياط، فيوقعه في تعنت الشهود من حيث لا يشعر. ومن المقرر أن الاحتياط في حق القاضي من أصعب ما يكون لأنه إذا احتاط في جانب أضر بالآخر[1].

هذا، وممن تولى القضاء الحبيب علوي بن عبد الله بن حسين السقاف (١٣١٥-١٣٩٢هـ)، كان ضليعاً في الفقه، ويسميه بن عبيدالله بالولد الفقيه، وقد درس على يد والده، وتولى والده الإشراف المباشر على تعليمه وتربيته، فرباه على حب العلم والتحصيل، فكان دائم القراءة على والده في كتب الحديث والسيرة والسنن وتراجم الرجال خصوصاً ما كان لأسلافه العلويين، كما قرأ عليه فقه الحبيب طه بن عمر الثاني وديوان الحبيب محسن بن علوي ومكاتباته وكتابه تعريف الخلف وكتب الحداد كلها ومكاتبات الحبيب علوي بن سقاف، وكتّب بيده ما لا يملكه والده من الكتب خصوصاً الكتب المخطوطة تمريناً له على الكتابة وحفظاً لهذه الكتب من الضياع، كما واظب على دروس والده الفقهية بمسجد طه، ودروس والده الخاصة في البيت، ولم يفارق والده طيلة حياته.



القاضي السيد علوي بن عبد الله السقاف

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٣٨٨.

وقد درس الجد علوي بن عبد الله في صغره على يد مفتي حضرموت العلامة عبد الرحمن بن عبيدالله، وحضر دروسه بمسجد طه، ثم تولى التدريس بمدرسة النهضة بسيؤن، وتخرج على يديه كثير من العلماء، وهاجر إلى إندونيسيا في شبابه، ومارس التجارة بها، وتزوج وأنجب، وتولى القضاء بسيؤن، وله عدة زيارات للحرمين، كما زار مصر للعلاج سنة ١٣٨٨ ثم زارها في مرضه الأخير، وتوفي بمصر سنة ١٣٩٢ ودفن بها.

وأورد بن عبيدالله طرفة تتعلق بتعيين القضاة فقال: إن السيد طه بن علوي بن حسن كان كثير التواضع، سهل الجانب، لين الأخلاق، وقد تكررت ولايته للقضاء وتكرر كذلك عزله، وكان لولايته في إحدى المرات حديث طريف، فقد انعزل عن القضاء مرة، ومنه معيشته، فتعب لذلك، فوعده الجد محسن بن علوي بإرجاعه إلى القضاء، وقال له إن السلطان سيحضر إلى عندي للمفاوضة فيمن يتولى القضاء، فكن في دارك حتى نستدعيك له عند الاقتضاء، وكانت داره بإزاء دار الجد محسن فطال حوارهم وهو يسمع فيكثر التطلع من النافذة في انتظار الرسول لاستدعائه حسبما وعده الجد، ولما أبطأ عليه الرسول عيل صبره وحضر من دون استدعاء بعد أن عارض الحبيب محسن في كل مرشح للقضاء سواه، فضحكوا عليه وولوه القضاء في غرة محرم سنة ١٢٩٧هـ[١].

وقد ذكرنا في ما سبق محاولة السلاطين التدخل في أمور القضاء، وتعرض القضاة في بعض الأحيان للتهديد بالقتل أو الأذية إذا خالفوا هوى السلطان، إلا أن القضاة قد يتعرضون أيضاً لأذية ذوي النفوذ من الأثرياء حين لا يعجبهم ما يصدره القاضي من أحكام بحقهم، فقد ذكر بن عبيدالله في المعجم أن قاضي تريم السيد عمر بن عبد الرحمن المشهور حكم أيام قضائه على السيد علوي بن محمد الكاف بحبس لأمر اقتضى ذلك، فنفذ الحكم لكنه اضطغنها عليه، فكمن له ليلة مخرجه إلى المسجد فضربه بصَميل على أم رأسه ضربة لم

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ٢٠٤.

تغنِ عنه شيئاً، فيقال إن القاضي أخذ الصميل، وكان جلداً، وكاد أن يسطو به عليه، ولكن كان مع الكاف علي بن سقاف الجنيد، فتلقى القاضي بلكمة من وراء أذنه ألقاه بها صريعاً، فتمكن علوي من ضربه ودوس أحشائه كيفما أراد. وفي اليوم الثاني أكثر القاضي من الكتب يستصرخ الناس، ويستنجد بالسلطان محسن بن غالب، وظن الناس أن ضرب القاضي والجرأة عليه سيكون له رد فعل عظيم، فلم يحدث شيء من ذلك، ولم تطل بعدها أيام السيد عمر المشهور بل مات وشيكاً (انتهى)[1].

ومن الغريب أن السلطان منصور بن غالب تصرف بمنتهى الشدة والحزم في حالتين أقل أهمية من اعتداء الكاف على القاضي المشهور: أولاهما عندما تعرض بن عبيدالله لإساءة الأدب من عبد أرسله أحد الأثرياء، قال بن عبيدالله[2]: فأدبته أدباً كبره الأعداء لدى السلطان وكثروا القول فيه فاستدعاني السلطان للحضور عنده، وما هي بعادة وإنما كان يأتي هو إلي، فأبيت لذلك، ولأن القضية لم تكن من اختصاصه، ولكنها خاصة بالقضاء الشرعي، وللقضيه تفاصيل لا داعي لذكرها. (انتهى).

والحادثة الثانية حاصلها كالتالي: إن الثري بجاوة عبد الله باسلامه أرسل ولديه سعيدًا وعمر ليتربيا بإشراف الحبيب علي بن محمد الحبشي، إلا أن سعيداً تشرب بالمبادئ الإرشادية، وكان في حضرموت سنة ١٣٤٠هـ، فاتفق أنه اجتمع بالسيد إبراهيم الحبشي في أحد المساجد، وكان شاباً مثله، وجرى بينهما كلام من جنس ما يجري بين العلويين والإرشاديين، فلم يكن من إبراهيم إلا أن لطم سعيداً باسلامه لطمة فاحشة فاستشاط إبراهيم غضباً ورفع الأمر للسلطان منصور بن غالب فجمع السلطان العلويين وأغلظ لهم الكلام وكاد أن يصيبهم من السلطان الضرر لولا أن بن عبيدالله تولى الدفاع عنهم وأسقط الحجة ضدهم. والنقطة المهمة في الحالتين أن المعتدي على القاضي المشهور بتريم كان من الأغنياء ووالد

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مطبعة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٥١٢.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ١٦٢.

المعتدى عليه في سيؤن من كبار الأثرياء، إلا أن بن عبيدالله لم يكن معه إلا هيبة العلم ووقار الشريعة، فاختلف رأي السلطان في المسألة في الحالات الثلاث.

إلا انه قد يحدث في حالات نادرة أن يتدخل احد العلويين لعزل القاضي بسبب قضيه هو طرفها فقد ذكر الأستاذ محمد الشاطري في شرح الياقوت النفيس[1] أن الإمام عبدالله بن شيخ خص ابنه نقيب الأشراف علي زين العابدين العيدروس ببعض أمواله عن أخويه شيخ ومحمد فعرض الإمام شيخ بن عبدالله النذر على القاضي لذلك الزمن وهو السيد أحمد بن حسين بلفقيه صاحب المسجد المسمى مسجد الحصاة ليقره لكن القاضي أبطله ولما علم الإمام علي زين العابدين بذلك وهو النقيب كما انه عالم فاضل وله نفوذ قوي طلب من السلطان عزل القاضي لاعتقاده بخطئه فعزله السلطان وولى مكانه السيد أحمد بن عمر عيديد الذي حكم بصحة النذر لأنه خصصه بسبب حيث ان زين العابدين يمتاز عن أخويه بكثير من الفضائل فالنذر لذلك السبب في محله والخلاف الذي حصل في هذه القضية هو نفس الخلاف الذي نشأ بين العلماء الأقدمين. (انتهى).

وكان الأستاذ الشاطري قد ذكر القصة السابقة في معرض كلامه عن النذر وهل يصح النذر إذا خصص بعض الورثة دون البعض وقال إن كان الناذر قصد الحرمان ففيه خلاف قوي وقال ابن حجر: يحل ظاهرا وان قصد الحرمان لكن إذا لم يقصد الناذر الحرمان وإنما امتاز بعض الورثة على غيره إما بعلم أو ببر أو بتقوى فيصح النذر ولكن هناك من العلماء من لم يصححه حتى في هذه الصورة منهم ابن زياد وغيره من علماء اليمن[2]. (انتهى).

ولاستكمال الموضوع نقدم ترجمة موجزة للقاضي الورع السيد علوي بن عبد الرحمن السقاف والذي سماه بن عبيدالله بقاضي الآخرة نظراً لشدة ورعه ونزاهته.

---

(١) محمد بن أحمد الشاطري شرح الياقوت النفيس الجزء الثالث دار الحاوي للنشر صفحة ٤٣٣.

(٢) محمد بن أحمد الشاطري شرح الياقوت النفيس الجزء الثالث دار الحاوي للنشر صفحة ٤٣٣.

قاضي الآخرة

السيد علوي بن عبد الرحمن السقاف

١٢٥٦-١٣٢٨هـ

قال بن عبيدالله: هو قاضي الآخرة[١] وحائز المناقب الفاخرة أستاذنا الفاضل الجليل علوي بن عبد الرحمن بن علوي بن سقاف، قال العلامة بن عبيدالله: ولم تر عيني مثله في الفقه ولا مثل معاصره شيخنا صاحب البغية الإمام عبد الرحمن المشهور، فلقد كانت لهما رئاسته، كما كانت قبلهما للأئمة علوي بن سقاف الجفري وعبد الله بن عمر بن يحيى وعبدالله بن حسين بلفقيه. وقال بن عبيدالله: كان الحبيب علوي بن عبد الرحمن خفيف الروح معتدل المزاج رقيق الطبع دمث الأخلاق يقول الحق ولا يخشى فيه لومة لائم، صادق اللهجة صادعاً بالحق لا يدهن ولا يرشي، كثير الابتسام هشاً بشاً للخاص والعام.

اتفق الناس على نزاهته وبياض سريرته ولا دخل للحكومة في أحكامه إلا بالتنفيذ فقط، كان يقضي حاجاته بنفسه، ويحملها من السوق بيده، وهو القاضي. لاقاه مرة السيد طاهر بن عبد الله بن سميط في جماعة من أهل شبام، وهو يحمل على ظهره الخريف فاستحيا أن يروه على تلك الصورة، غير أن السيد طاهر تمثل له بالبيت القائل:

لا ينقص الكامل من كماله　　　ما جرّ من نفع على عياله

واشترى مرة من دكان أحمد بن محمد جواس الملقب بالعاقل بناً وسكراً وصرّهما في ردائه وهو لا يملك الثمن، ثم استمهله فأبى العاقل، فلم يغضب ولم ينزعج وفكّ الصرر،

---

(١) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثالث صفحة ٢٦٣.

وهو يقول: «ما يحنق ما يحتق أي ما يزعل»، وأعادها لمكانها بالسحارة، مع أن جواس هو أمينه على أموال الغائبين والمحاجير، ولو فعلها مع غيره من القضاة لعزله وسحب منه الأموال المؤتمنة وناقشه فيها الحساب.

كان الحبيب علوي لا يتملق الأغنياء، ولا يعرض عن الضعفاء، يضمن لكل ذي حق حقه دون مماطلة ولا ممانعة ولا حجاب، يعجبه من الشعر قول أبي الطيب:

أبعين محتاج إليك نظرتني	فأهنتني وقذفتني من حالق
لست الملوم أنا الملوم	أنزلت آمالي بغير الخالق

وقد جاوز الحد في التقوى والورع وضيق على نفسه فعاش فقيراً رغم أن غيره استفاد من قضائه. وكان يحب العلاّمة أبا بكر بن عبد الرحمن بن شهاب، ويقول: إن أجمل أيام عمره يوم قضاه في بستان الشيخ أحمد محمد بارجاء المسمى مجروبة مع السيد أبي بكر بن شهاب. ولما قاطع أهل تريم السيد أبا بكر بن شهاب ومنعوا زيارته ذهب الحبيب علوي بن عبد الرحمن إلى تريم لحضور جنازة، ثم انفتل بعدها إلى منزل السيد أبي بكر بن شهاب وقضى يومه معه غير مبال بأحد.

قال بن عبيدالله: وكان الحبيب علوي يرجع إلى الحق لا يستحيي من المراجعة ولا يستنكف من المشاورة، وإذا أشكل عليه أمر بسطه للبحث في درسه مع تلاميذه، ولا يستنكف من الأخذ برأي أصغرهم لو وجده قريبا من الصواب.

هذا، ومن قصصه أنه بينما كان يعظ الناس في حفل مشهود إذا وقف له شخص من آل باحميد وقال له: كيف تعظ الناس وقد جُرت في حكمك علي؟ فلم ينزعج ولم يغضب وإنما قال له: ما أراني إلا راعيت الفقه والأوضاع الشرعية في شأنك، وإن وجد لك أحد نصاً يخالف ما قلناه فارفعه إلينا ولن ندور إلا مع الحق حيث دار إن شاء الله تعالى.

وكان مثالاً في الورع والتقوى، بقي على القضاء أكثر من اثني عشر عاماً، ولم يمتلك

مالاً ولا عقاراً، ولم يخلف ديناراً ولا درهماً، ولم تزد قيمة أثاث بيته وماعونه يوم توفي عن عشرين ريالاً. ومن ورعه أنه مات له قريب بالجدري وهو وارثه، وكان زاره قبل وفاته واكتشف بعدها أن في يده شيئاً من الطيب، فظن أنه تسبب في وفاته لأن أهل حضرموت يعتقدون بضرر الطيب على الجدري فتورع أن يأخذ شيئاً من ورثه مع حاجته الشديدة للمال.

درس الحبيب علوي على كبار الشيوخ أمثال عمه الحبيب محسن بن علوي والحبيب عيدروس بن عمر، كما درس على كثير من المشائخ بأسفل حضرموت ودوعن والحجاز.

قال بن عبيدالله وأوقات الحبيب علوي كلها معمورة بالعلم، فكان يخرج للتهجد بمسجد طه عندما يبقى ثلث الليل الأخير، ثم يصلي الصبح ويجلس لدروس التفسير حتى تطلع الشمس، فيصلي سنة الإشراق، ثم يرجع إلى بيته ويفطر على تمرات من العجوة وقهوة ليس سواها شيء، ثم يرجع إلى المسجد ويصلي الضحى ويجلس للتدريس في الفقه حتى لو تأخر الطلبة، ولو جاء واحد فقط لجلس لتدريسه، حتى يرتفع النهار فيعود للبيت ويجلس للحكم، ثم يتغدى على ما تيسر، ثم يقيل، ثم يخرج لصلاة الظهر، ثم يعود للبيت ويقصده خاصة الطلبة ويقصده معهم أصحاب المسائل للفتوى وأصحاب القضايا للفصل، ويشرب قهوة، ثم يخرج لصلاة العصر ويتلو بعدها بعض أوراد المساء إلى سارية من سواري المسجد، ثم يجلس للتدريس في كتب الرقائق والأخلاق والسير والتاريخ ونحوها، ثم يصلي المغرب ويجلس بعد أداء النافلة وقراءة شيء من الأوراد للتدريس في الفقه حتى موعد صلاة العشاء، وبعدها ينتقل بنوافله إلى البيت، ثم يتناول لقيمات من العشاء يقمن صلبه، ويجلس مع أهله وأولاده يؤانسهم، ثم يصلي الوتر ثم يأوي إلى الفراش. وكان هذا دأبه في يومه وليلته[١].

ولعل ما تنبغي الإشارة إليه أن التدريس مجاني دون مقابل، وكذلك الاستفتاء وأمور القضاء، ما عدا عقد النكاح، فقد جعل له السلطان ربع ريال، وفي مرة أنكح أحد القبائل فأعطوه ريالاً، فقال لهم لا إن حقي ربع ريال فقط، وصرف الريال وأخذ ربعه وأعطاهم الباقي.

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ٢٦٣.

الفصل الثاني والثلاثون بعد المائة

العلويون والشعر والتأليف



مؤلفات الإمام عبد الله الحداد مترجمة باللغة التركية

قال بن عبيدالله[١]: وكثيراً ما كنت استشكل ضعف أشعار السابقين من العلويين وقلة مؤلفاتهم مع ما يذكر من تبحرهم في العلم، وأسأل والدي عن ذلك فيقول: إنهم عكفوا على العلم اللازم فلم يشفني منه إذ ذاك جوابه حتى تبين لي بعد ذلك صوابه، وعرفت أن الغالب عليهم الإخلاص في العمل وأنهم بمنجى عن كل ما يقتضي الشهرة والجاه والظهور، وذكرت أن الإمام الغزالي يقول في نهاية أمره:

تركت هوى ليلى وسعدى بمنزل وعدت إلى مصحوب أول منـزل

وأن شيخه الجويني إمام الحرمين بعدما انتهى إلى الغايات وجاوز النهايات كما ذكره ابن السبكي في ترجمته من طبقاته يقول: رجعنا إلى قوله عليه السلام: عليكم بدين العجائز.

قال بن عبيدالله وقرأت في معجم الأدباء لياقوت الحموي أن جماعة من العلماء أتلفوا كتبهم، منهم أبو عمرو ابن العلاء وداؤد الطاوي ويوسف بن أسباط وأبو سليمان الداراني وسفيان الثوري وأبو حيان التوحيدي، أما أبو سعيد السيرافي فقال لولده: لقد تركت لك هذه الكتب لتكسب بها خير الآجل فإن خانتك فاجعلها طعمة للنار.

قال بن عبيدالله فتبين لي جلياً من هذا وأمثاله أن مبادئ السلف هي نهايات غيرهم من أراكين الفضل ومراجيح العلم، وما أحسن قول القطب الحداد:

كانت بدايته مثل النهاية مـن أقرانه فاستمع قـولي وتبيـاني

وقد قال ابن عبد السلام في قواعده الكبرى بعد تقاسيم العلوم وأفضل ما يتقرب به المتقربون التذلل لعزة الله سبحانه وتعالى والتخضع لعظمته والانخشاع لهيبته والتبري من الحول والقوة وهذا شأن العارفين. (انتهى باختصار)[٢].

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، الكتاب الأول، صفحة ٢٤.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني/ ٢، صفحة ٢٣.

هذا وسنذكر فيما يأتي بعض من اشتهر من العلويين بالشعر والأدب علماً بأننا قد ترجمنا للعلامة بن عبيدالله بفصل خاص في هذا الكتاب.

السيد أبو بكر بن عبد الرحمن بن شهاب[١]

(١٢٦٢-١٣٤١هـ)



قال بن عبيدالله إن ابن شهاب هو باني النهضة الأدبية بحضرموت لأنّ نبوغه جاء في وسط لم يعرف شيئاً من الأدب الرفيع، وأشعار الحضارمة قبله كانت في فج لا يخرجون عنه ودائرة محدودة لا يتجاوزونها فأخرج بن شهاب شيئاً من لا شيء، بل إن بن عبيدالله وهو أعلم أهل زمانه بالشعر واللغة والفقه والتاريخ يقول: إن ابن شهاب هو أشعر الحضارمة في الإسلام بلا استثناء، وأن أحداً لم يبلغ مقامه، لا القطب الحداد ولا الحبيب عبد الرحمن بن مصطفى ولا الشيخ عبد الصمد باكثير، فضلاً عمن دونهم[٢]. (انتهى).

(١) محمد بن أحمد الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي، الناشر عالم المعرفة، صفحة ٤٤٩-٤٦٣.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني/ ٢، صفحة ٢٣.

وقد استفاد بن عبيدالله من العلامة بن شهاب، وسلك في طريق الاستفادة درجات بدأها كما قال باستحسان ما ينتهي إليه من كلامه، ثم بالتمني أن يكون مثله، وفي الثالثة بمجالسته ومؤانسته، وفي الرابعة كما قال بن عبيدالله: عرضت عليه رسالة فنقحها، ورفعت إليه قصائد فامتدحها، وقال ابن شهاب لبن عبيدالله: لو قدرت لنفثت إليك بجميع ما في صدري، وسيكون لك إن شاء الله تعالى من دون نفث[١].

واعترف بن عبيدالله من استفادته من ابن شهاب فقال: وأنا معترف بأنّ ما يوجد على شعري من مسحة الإجادة إنما هي بفضله لأنني أطيل النظر في شعره وأتمنى أن أصل إلى مثله. (انتهى)[٢].

وعن معارف بن شهاب قال عبيدالله: أما في الفقه فكثير من السابقين يفوقه فيه، وأما في التفسير والحديث فلا أدري، وأمّا في الأصلين وعلم المعقول وعلوم الأدب والعربية وقرض الشعر ونقده، فهو نقطة بيكارها، وله فيها المرتبة التي لا سبيل إلى إنكارها، وقد امتحنت شاعرية ابن شهاب في حضرة الشريف عبد الله بمكة المشرفة، فخرج كما يخرج الذهب الإبريز من كير الصائغ، إذ أنشأ في المجلس أكثر مما اقترحوه عليه من القصائد. (انتهى)[٣]. وقال الأستاذ االشاطري عن بن شهاب أنه أمضى صباه وعنفوان شبابه في التحصيل، إلا أنه كان يعتمد على ذكائه أكثر من اعتماده على جده واجتهاده.



وخاف الحبيب عبيدالله بن محسن السقاف أن يفتتن ابنه الشاب عبد الرحمن بن عبيدالله بأشعار ابن شهاب التي تُقرأ في مجلسه فتصرفه عن تحصيل علوم السلف، قال بن عبيدالله: «غير أنّ والدي كثيراً ما يخشى عليَّ الافتتان بتلك الروائع فيغير مجرى الحديث ويأخذ فيما كان فيه قبلها من العلم». (انتهى)[٤].

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني/ ٢، صفحة ٢٣.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مطبعة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٤٨٣.

(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مطبعة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٤٨٢.

(٤) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، صفحة ٤٨٣.

ومما يدل على قوة شعر ابن شهاب أن العلامة والشاعر ابن عبيدالله الذي أبحر في شعر الأقدمين والآخرين، وصاحب الكتاب العجيب في نقد الشعر والمسمى العود الهندي في مجالس الكندي يقول: ولقد كنت معجباً بمختارات حافظ إبراهيم، ومع ذلك فإني أفضل الأستاذ عليه (يقصد بن شهاب)[١].

إلا أن ابن عبيدالله رغم إعجابه بابن شهاب وافتتانه بشعره إلا أن ذلك لم يمنعه من نقد شعره حين قال: «ثم لا يمنعني انتفاعي به واعترافي بفضله عن نقده فإني أستضعف بعض قصائده. وفسّر بن عبيدالله هذا الضعف في بعض القصائد بقوله: فإما أن يكون قد شاخ شيخ شعره وإما أن تكون هذه القصائد مدسوسة عليه»[٢].

لكن العلامة ابن شهاب كان متواضعاً في علمه رغم ما عُرف عنه من اعتزازه بنفسه، فقد رفض أن يضع نفسه فوق مرتبة شاعر النيل حافظ إبراهيم. قال بن عبيدالله: «حتى لقد قلت له مرة ألستَ أشعر من حافظ إبراهيم؟ فقال لي: أينك من قوله:

إني أرى وفؤادي ليس يكذبني ... روحاً يحف بها الإجلال والعظم

أرى جلالاً أرى نوراً أرى ملكاً ... أرى محيا يحيينا فنبتسم

الله أكبر هذا الوجه نعرفه ... هذا فتى النيل هذا المفرد العلم

(انتهى)[٣].

كما انتقد بن عبيدالله خضوع ابن شهاب في بعض القول، فقال في العود الهندي: ومما يلاحظ على شيخنا ابن شهاب خضوعه في بعض القول لممدوحه، فقد قال من قصيدة هي في الاعتبار الأول من الفصاحة والبلاغة وجمال الديباجة للأمير أحمد فضل العبدلي.

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، صفحة ٤٨٧.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثاني، صفحة ٢٤.

(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، صفحة ٤٨٧-٤٨٨.

فيا أيها المولى وما غـيرك امـرؤ   نسميه من بعد الوصي بمولانا

قال بن عبيدالله: ثم إنه لم يقف عند ذلك، بل حنث في قوله وخاطب بعد ذلك غيره بمثله[١]. قال الأستاذ الشاطري: ولابن شهاب مصنفات كثيرة بلغت الثلاثين، أكثرها في المنطق والتوحيد والفقه والتاريخ والطبيعة والفلك والحساب، وقد قام ابن شهاب بدور كبير في النزاع بين علماء الإسلام حول معاوية بن أبي سفيان. وقال بن عبيدالله حول هذا الموضوع: وكان ابن شهاب يتشيع، ولكن بدون غلو بل لقد اعتدل اعتدالاً حسناً جميلاً بعقب زيارته لحضرموت واطلاعه على كتاب الروض الباسم ورسائل الإمام يحيى بن حمزة. (انتهى)[٢].

ولابن شهاب رحلات كثيرة طوف بها بلاد العالم، وبدأها برحلة الحج في شبابه سنة ١٢٨٦هـ، حيث اتصل بعلماء وكبراء الحجاز في ذلك الوقت، وعاد إلى تريم، ثم لم يلبث أن رحل في سنة ١٢٨٨هـ إلى عدن واليمن ولحج.

قال بن عبيدالله: ثم إنه ركب من عدن إلى جاوا وأقام بها نحواً من أربع سنين، ثم عاد إلى تريم سنة ١٢٩٢هـ أيام فتنة النويدرة، وكان له أفضل السعي في إخمادها، ثم اشتد عليه الأذى، فهجر حضرموت سنة ١٣٠٢هـ وهي الرحلة التي يقول عند رجوعه منها:

ثلاثـــون عامـــا بالبعـــاد طويتهـــا   وكـــم أمـــل في طـــي أيامهـــا انطـــوى
وهـــا عـــودتي لمـــا أتيحـــت نويتهـــا   عسى وعسى أن ليس من بعدها نوى

(انتهى)[٣].

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، العود الهندي، دار المنهاج، الجزء الأول، صفحة ٣٨٩.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، صفحة ٤٨٨.

(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، صفحة ٤٨٥.

ويقول الأستاذ الشاطري: ثم سافر ابن شهاب إلى الشرق الأقصى وتعاطى فيه التجارة وعاد بعدها إلى حضرموت واستقر بها مواصلاً زعامته العلمية وإصلاحاته الاجتماعية، إلا أنه لقي بتريم مضايقات كثيرة فاضطر إلى الهجرة، حيث استقر بحيدر آباد الدكن بالهند، وقال عن مغادرته حضرموت بعد محنته بها:

هل في القضية أن أقيم ببلدة	يخشى الكرام بها أذى أوغادها
في الأرض متسع لحر نفسه	عصماء يأمن مستحيل كسادها
فلتثكل الغناء حلولي دورها	وعلي فلتلبس ثياب حدادها

ثم يذكر ابن شهاب في الأبيات التالية جهوده الإصلاحية بحضرموت فيقول:

ولطالما أجهدت نفسي ساعياً	في لَمّ فرقتها ودرء فسادها
كم فتنة فيها اكفهر وباها	حمد الأنام سراي في إخمادها

ثم قارن ابن شهاب بين ما يلاقيه في تريم من أذى وبين ما يلقاه من احترام وإكرام في البلاد الأخرى فقال:

إني لتكرمني الأسود بأرضها	لشريف منزلتي وعظم مفادها
وتسومني بكم ثعالب أرضكم	سوءاً ويأبى الله نيل مرادها

أما السبب فيما تعرض له بن شهاب من أذى بحضرموت فيقول عنه بن عبيدالله: إن ابن شهاب كان يحسد حسداً شديداً من قوة نفسه ومغالاته بها وما يصحبه من التوفيق في المساعي فلا يهيب بمشكل إلا انحل، ولا ينبري لمعضل إلا اضمحل. (انتهى)[١].

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، صفحة ٤٨٣.

وذكر بن عبيدالله: إن أعداءه لم يكن لهم تأثير عليه فقال: ومع تألب الأعداء عليه من كل صوب، فقد وقي شرهم وقياً، ولم يزيدوه إلا رقياً. (انتهى)[١].

وطاف ابن شهاب بعد نزوحه من حضرموت كثيراً من البلاد كمصر والشام وتركيا، كما وصل إلى زنجبار. والتقى بالسلطان برغش بن سعيد ومدحه وقلّده السلطان عبد الحميد الوسام المجيدي وأهدى له سيفاً وله قصائد في خديوي مصر توفيق باشا. (انتهى)[٢].

ووصف ابن عبيدالله ذكاء ابن شهاب فقال: وكان في صفاء الذهن وحدة الفهم آية، فقد نعس مرة بين أصحاب له يقرأون في الفرائض، منهم الحبيب علي بن محمد الحبشي، فعاتبه فأتاهم في اليوم الثاني بمنظومة في علم الفرائض أنهاها بقوله:

وعذر من لم يبلغ العشرينا   يقبل عند النـاس أجمعينـا

(انتهى)[٣].

وقال بن عبيد الله أيضاً: وجرى الاختلاف بمحضر شيخنا المشهور (يقصد المفتي عبد الرحمن المشهور) فيما لو اختلف الماء وزناً ومساحة بماذا يكون الاعتبار بالقلتين فنظم على البديهة سؤالاً سيره لمفتي زبيد، فعاد الجواب على غرار ذلك النظم مصرحاً باعتبار المساحة (انتهى)[٤].

ومن الطرائف التي تدل على سرعة بديهته أن مجموعة من طلبة العلم الهنود الذين يدرسون بالمعاهد الإسلامية بحيدر أباد قدموا ليتباركوا بالقراءة عليه، فاستقبلهم في

---

(١) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، معجم بلاد حضرموت، صفحة ٤٨٣.

(٢) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، معجم بلاد حضرموت، صفحة ٤٨٢.

(٣) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، معجم بلاد حضرموت، صفحة ٤٨١.

(٤) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، معجم بلاد حضرموت، صفحة ٤٨٢.

القهوة المجاورة لبيته كعادته في استقبال ضيوفه، ولما وصلوا قالوا له باللغة العربية: «جينا لنخرأ عليكم»، وقد قلبوا القاف خاءً مثل ما يفعل الهنود، فرد عليهم بقوله: الحمام في الجهة المقابلة.

يصف بن عبيدالله جانباً من شخصية ابن شهاب فيقول: وكان قلمه أقوى من لسانه، أما لسانه مع فرط تواضعه ولطف ديدنه فإنك لا تكاد تعرف أنه هو الذي ملأ سمع الأرض وبصرها إلا إذا سئل فيتفتح عن بحر جياش الغوارب. (انتهى)[١].

قال الأستاذ الشاطري في أدوار التاريخ الحضرمي: ثم عاد ابن شهاب إلى حضرموت سنة ١٣٣٢هـ بعد أن بلغ من الشيخوخة غايتها، فاستقبل بحفاوة كبيرة، واستفاد الناس من علمه وآرائه، ومكث بحضرموت سنتين، ثم عاد إلى الهند ليحضر أهله، ولكن حالت ظروف الحرب العالمية الأولى دون عودته وكف بصره في آخر عمره

وقال بن عبيدالله: وفي سنة ١٣٣٤هـ توجه ابن شهاب من حضرموت إلى الهند ليقطع علائقه منها، ويبيع داراً له بها، وبينما هو يجمع متاعه للسفر النهائي إلى مسقط رأسه ومربعه الذي لا يزال يحن إليه بها يذيب الجماد ويفتت الاكباد، كقوله:

بالهند ناء أخي وجد يحن إلى	أوطانه وسهام البين ترشقه
إلى العرانين من أقرانه وإلى	حديثهم عبرات الشوق تخنقه

إذ وافانا نعيه في جمادى الآخرة من سنة ١٣٤١هـ[٢] ودفن بحيدر أباد الدكن.

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، صفحة ٤٨٨.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، صفحة ٤٨٩.

السيد أحمد بن عبد الله بن محسن السقاف

(١٢٩٩ - ١٣٦٩هـ)



ولد بمدينة الشحر، ثم انتقل وهو في الرابعة من عمره إلى حضرموت، حيث أخذ العلم عن علماء سيؤن وتريم، وقال صاحب تاريخ الشعراء الحضرميين إنه هاجر في سنة **١٣٢٥**هـ إلى الهند وأقام بمدينة حيدر أباد متتلمذاً على السيد العلامة أبي بكر بن شهاب، ثم سافر إلى سنقفورا، ومنها إلى أندونيسيا، واستقر في بمدينة بتاوى (جاكرتا)، حيث اشتغل بالتجارة، لكنه لم يحقق فيها نجاحاً، فانتقل إلى مدينة سورابايا وشارك في إقامة المدرسة الخيرية بها، وكان أول ناظر لهذه المدرسة، وتخرج على يديه كثير من الطلاب، كما تولى إدارة مطبعة جمعية خير. ثم انتقل من سورابايا إلى مدينة الصولو، وتولى إدارة مدرستها العربية، كما التحق في نفس الوقت للدراسة بكلية علم النفس والتربية.

وللسيد أحمد السقاف مواهب أخرى إلى جانب مواهبه الفكرية والأدبية، فهو الذي وضع البرامج التعليمية للمدارس العربية بإندونيسيا وقانون الامتحانات، ووضع قانون مدرسة النهضه العلمية بسيؤن، وعمل الجداول المدرسية، ورسم خريطة حضرموت، وعمل خريطة لفكرة سد ببلاد المهرة، إضافة إلى ديوان شعره.

كما وضع السيد أحمد السقاف الأناشيد المدرسية التي كان يلحنها بنفسه، وأدخل تنظيمات جديدة في أساليب التدريس، وتخرج على يده الكثير من الطلاب. وقد ألف الكتب المدرسية وألف أرجوزة للبنات في الأدب والأخلاق وروايات تهذيبية، منها رواية «تاة قاروت» وكتاب «سهيل الإجابة عن مسائل قواعد الكتابة» وكتاب في علم النفس، وألف كتاب تاريخ بانتن، وكتاب تاريخ الإسلام في إندونيسيا. ووضع المؤلف الشهير خدمة العشيرة في أنساب العلويين.

ومن مواهب السيد أحمد السقاف الأخرى خبرته بالكهرباء والآلات حتى إنه اخترع بعض الإضافات لإحدى آلات الطرب (الأرغن). وكان السيد أحمد السقاف لطيفاً يكره الجدل محباً للهدوء، وكان يحب الأماكن الهادئة ذات المناظر الساحرة في سفوح جبال جاوا الخضراء، لذلك كان لشعره طابع خاص.

وقد طلبه السلطان القعيطي من المكلا لتولي رئاسة المعارف في السلطنة القعيطية، ولكنه اعتذر عن تحقيق رغبة السلطان، وبقي في إندونيسيا، وتولى فيها رئاسة تحرير مجلة الرابطة العلوية. وتشابه السيد أحمد بن عبد الله في مقاومته وهجومه على الاستعمار الهولندي مع ابن عمه في حضرموت العلامة السيد عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف الذي كره الاستعمار البريطاني وحاربه وأيّد الدولة العثمانية، وجمع لها الأنصار والمؤيدين.

وقد رفض السيد أحمد بن عبد الله المساعدات المالية التي عرضتها عليه حكومة هولندا لتمويل المدارس التي يشرف عليها، بينما كان غيره من العرب يركض إليها ركضاً. وزاول

السيد أحمد السقاف في آخر عمره التدريس في «كالي باتا»، وهي قرية صغيرة وحقيرة. وقد زاره فيها السيد أحمد بافقيه فوصف حاله له بقوله:

شاءت الأقدار أن نسكن باتا   فاسألوا من ظل في السجن وباتا

ثم ركب البحر عائداً إلى حضرموت، لكنه توفي على ظهر الباخرة، وقبر في البحر، وفقدت معه مؤلفاته وكتبه وصناديق ملابسه ونقوده.

ومن شعره الذي يستنهض به همم المسلمين:

هل الشرق ذا في الرق باق لأنه من   الدين والأخلاق والعلم مقفر
وها هم بنو الإسلام في قيد أسرهم   على ما ترى في أمرهم قد تحيروا
فماذا الذي يا أهل دين محمد   يساوركم حتام هذا التأخر
وأنتم هداة الناس والحق دينكم   وبينكمو هذا الكتاب المطهر
مواعظه تُتلى عليكم وآيه   تخاطبكم إن تنصروا الله تنصروا
تنادي أعدوا ما استطعتم من القوى   وتنصح من كيد العدو لتحذروا
فما النصر إلا للقوي الذي سعى   له السعي لا للعاجزين مقرر



السيد محمد بن هاشم بن طاهر

١٣٠٠-١٣٨٠هـ

تلقى تعليمه على علماء عصره وتردد بين المسيلة وتريم، وفي مقدمة شيوخه السيد العلامة عبد الله بن عمر الشاطري، كما تتلمذ على العلامة الشاعر الكبير السيد أبي بكر بن شهاب، ثم هاجر سنة ١٣٢٥ إلى جاوا، وباشر التدريس في مدرسة جمعية خير في مدينة بتافيا (جاكرتا)، ثم انتقل إلى وسط جاوة وأسس مدرسة «شمائل الهدى»، وتخرج على يده الكثيرون،

ثم انتقل إلى مدينة سورابايا فأسس المدرسة الحضرمية التي طبق فيها نظريات التربية الحديثة، حتى إنه كان يجمع بين الجنسين في الصفوف الدراسية الأولى، ثم بدأ نشاطه الصحفي، فشارك بالكتابة في جريدة الإصلاح التي يصدرها من سنقفورا السيد محمد بن عقيل بن يحيى، ثم رأس تحرير جريدة الإقبال، فجريدة حضرموت في سورابايا.

كما رأس سنة ١٣٤٤هـ البعثة العلمية المتجهة من جاوة إلى مصر لإلحاق المبتعثين بالدراسة في المعاهد والمدارس المصرية، ثم طلبه السادة الكاف للعودة إلى حضرموت، فغادر مصر سنة ١٣٤٥هـ حيث تولى إدارة مدرسة جمعية الحق بتريم وتولى إلقاء المحاضرات والكتابة في الصحف. واستعان به السلطان علي بن منصور كسكرتير للحكومة الكثيرية، ثم استمر في خدمة الدولة في عهد السلطان جعفر بن منصور. ومن مؤلفاته رحلة الثغرين وتاريخ الدولة الكثيرية في ثلاثة أجزاء، طبع منه جزء واحد.

ومن شعره الذي يخاطب به الصحف المصرية التي استأجرها الإرشاديون الحضارمة بمصر لمهاجمة العلويين قوله:

حنانيك وادي النيل ما تبتغين من	رجال لهم في مشمخر العلى كعب
شدادٌ إذا عودوا لطافٌ إذا رضوا	رزان إذا أوذوا كرام إذا سبوا
شحذت عليهم من يراعك صارماً	ليقتط منهم أنفساً ما لها ذنب
وماذا جنوا يوماً عليك فتثأرى	لنفسك ثاراً روحه الشتم والثلب
ولو كان هذا منك أول مرة	عذرنا وقلنا جيد الخيل قد يكبو
ولكنه يبدو كحقد مؤصل	وذحل تجاه الفاطميين لا يخبو
نشرت قديماً عن عداهم مقالة	تكدر من جرائها وردك العذب
وها أنت أيضاً قد أتيت بمنكر	من القول لا يأتي به من له لب
وللخب من فحوى الخطاب علائم	تنبيء حقاً أنه الرجل الخب

السيد صالح بن علي الحامد[1]

(١٣٢٠-١٣٨٦هـ)

ولد وتوفي بمدينة سيؤن، وهو ركن من أركان الحركة الأدبية بحضرموت، عاش في كنف والده وتربى تربية علمية، وتلقى علوم الفقه والعربية على يد الحبيب محمد بن هادي السقاف، وأخذ الأدب عن العلامة عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، رحل إلى إندونيسيا عدة رحلات، وشارك في الحركة الأدبية بها، وكتب في الصحافة شعراً ومقالة، ثم عاد إلى سيؤن وتولى منصب مفتي مجلس الدولة، ثم عضوية محكمة الاستئناف العليا بسيؤن.

له في الشعر ديوانان هما: نسمات الربيع وليالى الصيف، كما ألف كتاباً من جزأين في تاريخ حضرموت، وله أبحاث قيمة في أصول الفقه الإسلامي، كما طبعت رحلته إلى جاوة المسماة رحلة جاوا الجميلة،

ووصف الصبان شعره فقال بأن فيه رقة لفظ وانسجام عبارة وروح دعابة، وذلك بسبب تأثير حياته الخاصة الهادئة، وبسبب إقامته بإندونيسيا لفترة من الزمن، حيث عاش في كنف الطبيعة الساحرة، كما تأثر الأستاذ صالح الحامد بشعراء المهجر السوريين، وكان ينشر قصائده معهم في مجلة أبولو، وقال الصبان إن شعر الحامدي يختلف بهذه الرقة عن شعر أستاذه بن عبيدالله الذي تميز بالجزالة والقوة.

ويصف الحامد جاوى الجميلة فيقول:

قسما يا جاوا بكل ألية ... لست إلا بنت الجنان العليه

حبذا أنت من بلاد رخية ... ألبستها كف السحاب السخية

---

(١) عبد القادر بن محمد الصبان، الحركة الأدبية في حضرموت، صفحة ١٥٦-١٦٤.

ويخاطب العرب فيقول:

انبـذوا الأضـغان مـن بيـنكم　　واجعلـوا الـشحناء وداً ووئامـا
واجعلـوا الآراء رأيـاً واحـداً　　اطلبوا في الأرض عزاً لا يُسامى
انظـروا كيـف تعالـت أمـم　　ركبوا من صـهوة العـز الـسناما

الأستاذ محمد بن أحمد الشاطري[1]

(١٣٣١-١٤٢٢هـ)



الأستاذ محمد الشاطري بالنظارة مع الوالد محسن علوي السقاف بسيؤن

ولد بتريم وتربى تربية دينية، فوالده هو العلامة أحمد بن عمر الشاطري، فقيه تريم ومفتيها. ساهم الأستاذ الشاطري في خلق الحركة الأدبية بحضرموت، وكان أحد

(١) عبد القادر بن محمد الصبان، الحركة الأدبية في حضرموت، صفحة ١٧٤-١٧٨.

مؤسسي جمعية الأخوة والمعاونة بتريم، وهو فقيه ومؤرخ وشاعر وشخصية بارزة، تولى الكثير من المناصب التعليمية والقضائية، وله الكثير من المؤلفات من أشهرها كتاب أدوار التاريخ الحضرمي، وكتاب في الفقه، كما كتب في المجلات العلمية، وهو خطيب ومحدث، وله أسلوب رصين ومؤثر، ويزين كلامه بالحكم والأمثال والقصص القديمة والطرائف اللطيفة.

وقد انتقل الأستاذ الشاطري بعد تولي الحزب الاشتراكي الحكم في حضرموت إلى المملكة العربية السعودية، واستقر في مدينة جدة، وعمل سنوات بمدرسة الفلاح بجدة، وكان يعقد الجلسات العلمية بمنزله كل يوم اثنين، ويتولى التقرير بالدرس الفقهي مساء كل جمعة في الجلسة التي أسسها الجد علوي بن عبد الله السقاف بمنزل السيد طه بن محمد السقاف.



ولا يتأخر الأستاذ الشاطري عن الاجتماعات والمناسبات، ويتحدث إلى الناس في أمور الإرشاد والتوجيه بكلام مؤثر ومفيد ولطيف. عاد الأستاذ الشاطري إلى حضرموت بعد قيام الوحدة مرة واحدة، مكث فيها شهراً واحداً، وهي زيارته الوحيدة لحضرموت بعد هجرته عنها، وعاد بعدها إلى جدة وتوفي بها ودفن بمكة.

ومن قصائده التي يخاطب بها أهل حضرموت:

فهلم فلنعمل لنصلح أمة ... غلبت على أخيارها أشرارها

غلب الجمود على عقول كبارها ... وأبت محاولة الرقي صغارها

لا دين يحملها على التقوى ولم ... تغضب لدين محمد أخيارها

حسن بن عبد الله الكاف

١٢٩٢-١٣٤٦هـ

قال بن عبيدالله كان معدوداً في جملة علماء تريم وأدبائها، له عاطفة جميلة وشعر عذب، تهز الأريحية عوده، ويستمطر الكلام العذب جوده، ومن خير ما فيه عطفه على العلم وأهله، واستصغاره نفسه بجنب من لا يوزن به منهم، إذ كان وافر الحظ من الإنصاف، خسر العلم بتريم خسارة كبرى بموته[١]. وفي ترجمته أنه كان كريماً جواداً متفقداً لأحوال الضعفاء والمساكين معتنياً بطلبة العلم وأهل الفضل والمروءة والتجمل، فكان يسير النفقة إلى بيوتهم، بل قد يذهب بها بنفسه، وله في ذلك مواقف ذكرها المترجم[٢].

كما نهج طريقة السلف الصالح في أعماله وأفعاله من حفظ الأوقات والسيرة السوية والمحافظة على الأوامر الشرعية والجماعات والأوراد والصلوات وإصلاح ذات البين[٣].

ومن نفقاته العامة عمارة مساجد متعددة، منها مسجد بن عتيق ومسجد باجذيع وغيرها، وزاد على نفقته زيادة إضافية في الجزء الجنوبي من جامع تريم[٤]. وقد حج في سنة ١٣٣٠هـ وزار مصر وفلسطين قبل أن يتوجه منها بخط حديد الحجاز إلى المدينة المنورة.

ومن شعره يصف وادي عيديد بتريم:

منظرك ياعيديد منظر عجيب ... زاهي يسر القلب مرآه
مرعاك دوب الوقت مرعى خصيب ... ما طيبه من مرعى وما أحلاه

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، صفحة ٥١٧.

(٢) رحلة وديوان حسن بن عبدالله الكاف، صفحة ٢٥.

(٣) رحلة وديوان حسن بن عبدالله الكاف، صفحة ٢٤

(٤) رحلة وديوان حسن بن عبدالله الكاف، صفحة ٢٧.

السيد حسن بن عبيد الله السقاف[1]

١٩١٥-١٩٨٥



ولد بقرية ذي أصبح بحضرموت، وتربى على يد والده مفتي حضرموت وعالمها الشهير السيد عبد الرحمن بن عبيداللاه السقاف، وتلقى تعليمه من القرآن والعلوم الدينية واللغة العربية وفنونها على يد عدد من العلماء بسيؤن، وكان أحد مؤسسي النادي العلمي بسيؤن، وكتب في المجلات المحلية والعربية أشعاراً ومقالات. ظهر له ديوان ولائد الساحل ورواية فلسطين وملحمة دولة العرب، وطبع ديوانه عبر وعبرات بعد وفاته.

له مؤلفات لم تنشر في مجال المسرح والقصة القصيرة، وكتاب بعنوان مواليد لغوية في تعريب بعض الألفاظ الدخيلة على اللغة العربية.

---

(١) عبد القادر بن محمد الصبان، الحركة الأدبية في حضرموت، صفحة ١٩٦-٢٠٠.

وقد هاجر السيد حسن في شبابه إلى اليمن، وزاول التجارة بالحديدة وتعز، ثم انتقل إلى المملكة العربية السعودية، واستقر بمدينة جدة في حدود سنة ١٣٧٨هـ، وعمل مدرساً بمدرسة بن لادن الخيرية، ثم عاد إلى حضرموت وعمل مدرساً بالمدرسة الثانوية بسيؤن إلى وفاته. وقد ورث عن والده الروح الثورية والنفور من السيطرة الأجنبية، وله في ذلك قصائد كثيرة، ومن ذلك أنه لما هاجمت القوى المعادية للإسلام حكومة عيدي أمين بأوغندا وخلعته، واستبدلت به رئيساً من النصارى الأفارقة، وانتكب المسلمون العرب وفرّ الكثير منهم خارج أوغندا، انفعل الخال السيد حسن بن عبد الرحمن، وكتب قصيدة طويلة من أبياتها:

أعيــذ بعــزة الله مــن	الأوغـــاد أوغنــدا
ونازلت بحزب النصر	مــن يبغــي لهــا كيــدا

ثم يقول:

إلهــي أنــت مولانــا	وأنت وعدتنا النصرا
وتلك طلائع الكفـر	علينا تقـضم الجمـرا
لتطفى جـذوة الـدين	وتحذرها بـأن تـورى
فعـــاجلهم بقارعـــة	تردّ عديـدهم صـفرا

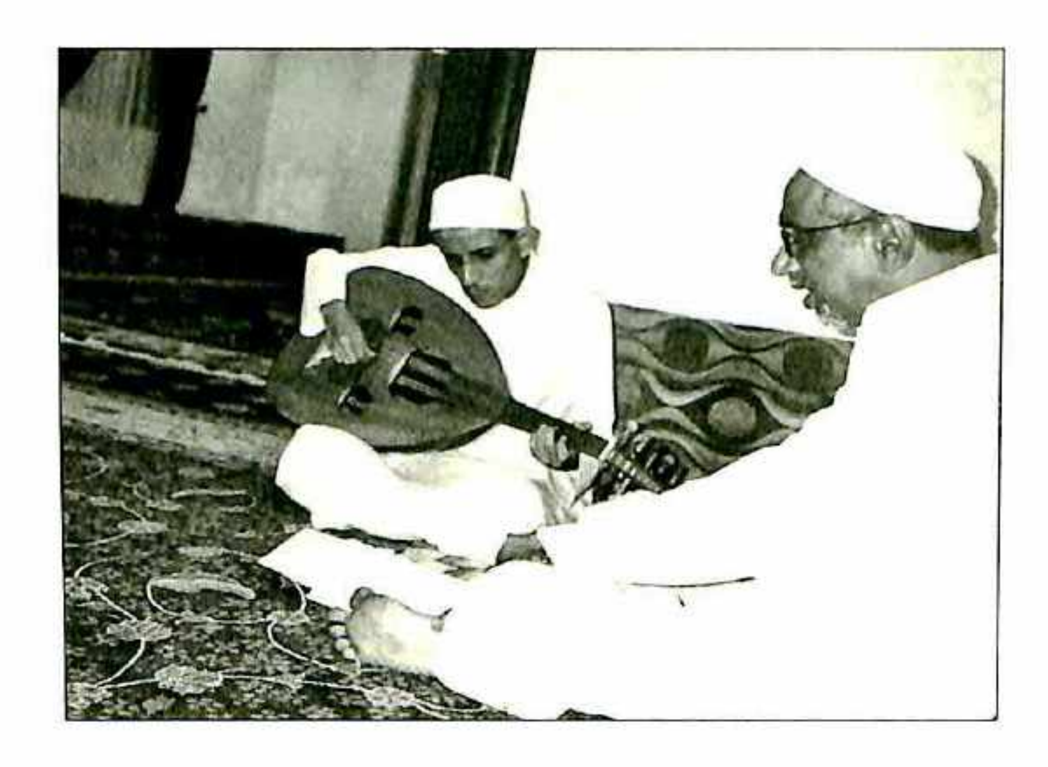
وقد توفي الخال حسن بن عبد الرحمن السقاف بسيؤن ودفن بها.

❊ ❊ ❊

الفصل الثالث والثلاثون بعد المائة

العلويون والفن





ذكرنا في فصل سابق تعلق العلويين بالسماع، بل واستحسان بعضهم سماع الأوتار، مع الاختلاف الشديد في ذلك فيما بينهم، ولا ننس أن بعضاً من العلويين كانوا من أشهر الشعراء الغنائيين، فمن المبرزين في هذا المضمار في الزمن القديم السيد زين العابدين ابن الداعية الحبيب عبد الله بن علوي الحداد المكنى (خو علوي)، والمولود بتريم سنة ١١٠٥هـ قال المؤرخ بامطرف إنه لم يمنعه لا الوسط الديني ولا الانتماء إلى المراتب الروحية والصوفية من أن يكون رائداً للغزل والغناء والموسيقى في تريم وسيؤن[١].

ويشبه حاله حال الشاعر الغنائي بالشحر السيد عبد الله جمل الليل بن محمد باحسن الذي لم يمنعه أيضاً لا الوسط الديني ولا الانتماء إلى المراتب الروحية الصوفية من أن يكون رائداً للغزل والغناء والموسيقى في مدينة الشحر، مع أنه كان فقيهاً وقاضياً ومؤرخاً ولغوياً (انتهى).

كما أنجبت الشحر عملاقاً آخر من عمالقة الشعر الغنائي هو السيد حسين بن أبي بكر المحضار وأنجبت تريم شاعراً غنائياً موهوباً هو السيد حداد بن حسن الكاف. ونلاحظ أن ما يتميز به شعر الاثنين هو العذوبة الشعرية البعيدة عن الفسق والمجون، بل ونجد في بعض أشعارهم أيضا شيئاً من المسحة الصوفية الناتجة من تربيتهم الدينية وأوساطهم المحافظة. فنجد على سبيل المثال أن الشاعر الغنائي المشهور حداد بن حسن الكاف عشرات القصائد الغزلية والغنائية كما توجد له أيضاً القصائد الصوفية مثل أبياته التي يقول فيها:

يـــاعظيم الرجـــاء تحـــت بابـــك	عبــد يطلبــك يــا ذا الجــود يــدعيك
ماد اكفـه ومـسهن ثوابـك مـا لعبـدك	ســوى فــضلك وجــودك ورجــواك
وانــت تــسمع دعــاء مــن دعــا بــك	لا تخيــب دعــاء مــسكين راجيــك
قـــام بالبـــاب خـــائف عـــذابك	ما معه شيء عمل في يوم يحشر ويلقـاك

(١) محمد عبد القادر بامطرف، الشاعر الغزل حداد بن حسن، دار حضرموت، صفحة ١٢.

سـلك تكفيـه شـدة عقابـك   حـين يلحـد في الحفـرة ويـضويك
سـاعة الـضيق سـاعة حـسابك   عم عبدك برحمة شاملة مـن عطايـاك

قال عنه بامطرف[١] إن حداد بن حسن لم يكن يعتمد في صياغة شعره على سند من معاصريه أو من من سبقه من الشعراء الشعبيين، بل كان شعره كله من العامي المفصح المنطوي على المعاني الطريفة والصور الرائعة

ومع قوة الوجد في أشعاره الغزلية إلا أننا لم نسمع عنه إلا أنه كان محباً عفيفاً نقي السمعة متديناً، وقد نما وترعرع وتعلم وعاش كل أيامه في محيط ديني متزمت، وكان والده السيد حسن بن عبد الله الكاف فقيهاً ضليعاً وشاعراً متمكناً له رحلة وديوان مطبوع، وتوفي حداد بن حسن سنة ١٩٦٩ م.

وهكذا نجد أن الوسط الديني الملتزم والانتماء إلى المراتب الروحية والصوفية بين العلويين لم يمنعا الموهبة الأصيلة أن تبرز وأن تؤدي رسالتها الإنسانية، ولم يتعرض أي م[illegible] هؤلاء المبدعين للمضايقة والانتقاد ممن حولهم من العلماء ورجال الدين.

ثم لا ننسَ الشاعر الكبير حسين أبا بكر المحضار[٢] المولود سنة ١٣٥٠هـ الذي صاغ أبدع المعاني شعراً رقراقاً، وقد شكل مع الفنان أبي بكر سالم بلفقيه ثنائياً عبقرياً أبدع فيه الاثنان عشرات الأغاني الإبداعية التي لا زالت تتردد في أسماع الناس إلى يومنا هذا.

وقد قال عنه أخوه العلامة السيد حامد بن أبي بكر المحضار بأنه تفوق في تصوير بعض المعاني على فحول الشعراء في بلاد العرب. والمحضار كبقية العلويين لا يذهب بالشعر الغنائي بعيداً عن دائرة الدين والأخلاق، بل وله كثير من القصائد الصوفية المؤثرة مثل قصيدته التي قالها عند زيارة المدينة المنورة والتي يقول فيها:

---

(١) محمد عبد القادر بامطرف، الشاعر الغزل حداد بن حسن، دار حضرموت، صفحة ١١-١٢.

(٢) حداد بلفقيه، حسين أبو بكر المحضار حنين وأنين، تريم للدراسات، صفحة ٢٢.

إلى طيبه وما في الكون بقعه ... مثل طيبه بها قلبي يطيب

إلى الشباك والمحراب والروضه ... الرحيبه ومسجدها الرحيب

منازل أنزل القرآن فيها ... وروح القدس جبريل

ووقفه يا لها والله من وقفه ... مهيبه لدى طه المهيب

قلوب الناس من خلاقها فيها ... قريبه وهو منها قريب

عليها تاج من آثار عفوه ... ومن رحمته إكليل

يعود الحي لي كتبت له ... العوده وتيسير السبيل

هنا تتنزل الرحمات كل له ... نصيبه عسى حسن النصيب

هنا يرتاح عرف المصطفى ... ونشم طيبه ويا ما أحسنه طيب

هنا نور السماء لي ... تنطفي فيه القناديل

يعود الحي لي كتب له ... العوده وتيسير السبيب

ومن في الكون عند الله أفضل ... من حبيبه ويا نعم الحبيب

ومن غيره يجلي الكرب في الساعة ... العصيبه وفي اليوم العصيب

إذا نادى المنادي وين ... هابيل سافك دم قابيل

يعود الحي لي كتبت له ... العوده وتيسير السبيل

تشفع يارسول الله في دفع ... المصيبه عسى المخطي يصيب

وتتحرر من الأعداء فلسطين ... السليبه وكل موطن سليب

وتتلاقى قلوب الناس ... عالحق لا عالقال والقيل

يعود الحي لي كتبت له ... العوده وتيسير السبيل

(انتهى).

وهناك أيضا الشاعر الأديب حسين محمد البار (توفي سنة ١٩٦٥م) فبالإضافه إلى أشعاره الغنائية التي غناها له مطرب عدن الشهير محمد جمعة خان، وكذلك أغانيه للفنان عبد الرب إدريس نجد أنه أيضاً كاتب صحفي ومدرس، وفوق ذلك كان أديباً وأخذ العلم الشرعي على أحد العلماء من خريجي الأزهر، ويقول عن نفسه: أنا متدين بطبيعتي[١].

وقد يندهش القارىء إذا علم أن الشعراء الغنائيين مثل المحضار والبار وحداد بن حسن الكاف لا يكتفون بسبك القصيدة الرائعة، ولكنهم يقومون أيضاً بتلحينها وبيان طريقة أدائها ويسلمونها للمطربين جاهزة شعراً ولحناً، وما على المطرب إلا أن يغنيها، ولهذا فإن لمعظم الشعراء السابق ذكرهم معرفة بقواعد الموسيقى والتلحين وكتابة النوتة الموسيقية.

وهناك من العلويين أيضاً من اشتهر بالصوت الجميل والأداء الرائع والضرب بالقنبوس، ومن هؤلاء جماعة من آل الكاف وآل الحبشي وآل العيدروس، كما لا ننسَ أن اشهر المطربين الحضارمة على الإطلاق هو من أسرة آل بلفقيه.

كما اقتحم العلويون مجال الفن المسرحي، فهذا السيد موسى الكاظم[٢] بن عبد القادر بن محمد بن يحيى يحصل على بعثة للسفر إلى العراق لدراسة القانون سنة ١٩٥٠ م، ويتحصل على شهادة القانون من كلية الحقوق العراقية، كما درس التمثيل المسرحي في معهد الفنون العراقي، وحصل على دبلوم المعهد.

وبعد إكمال دراسته وعودته إلى تريم سنة ١٩٥٠م قام بتأسيس أول فرقة مسرحية عرفتها حضرموت في ذلك الوقت، ولما كانت هذه الظاهرة غريبة عن العادات والتقاليد فقد منعت هذه الفرقة المسرحية من تقديم عروضها المسرحية بتريم، فنقل السيد كاظم نشاطه المسرحي إلى مدينة سيؤون، واستمر نشاط الفرقه بسيؤن لمدة ثلاث سنوات، وقد توفي السيد كاظم سنة ١٩٥٧م. (انتهى).

---

(١) صحيفة شعاع الأمل، عدد سبتمر ٢٠٠٧، صفحة ٢٧.

(٢) محمد علوي بن يحيى، شرف المحيا في تراجم آل بن يحيى، تريم للدراسات والنشر، صفحة ٢١٧.

وقد قدم السيد موسى الكاظم بن يحيى العديد من المسرحيات الشعبية التي ترتكز على نقد ومحاربة الأوضاع الفاسدة كمسرحيات «الفقر» ومسرحية «الظهور يقسم الظهور» ومسرحية «الضحك يبغي ضروس».

ويقول أحد أعضاء فرقة التمثيل المسرحي[١] التي أسسها السيد موسى، وهو الأستاذ محمد أنيس بدر بأنه اشترك مع السيد موسى الكاظم وستة آخرين من الشباب في تأسيس فرقة التمثيل المسرحي التي تهدف إلى خدمة المجتمع عن طريق تمثيل الروايات التاريخية والأخلاقية والاجتماعية وغيرها. وقال: وكنا نحن الثمانية نخسر من رواتبنا الشهرية مقدار الثلث حتى اجتمع لنا مبلغ يقدر بألف شلن، وكان السيد كاظم يقوم بمهمة الإخراج. وقد نجحت الفرقة في تقديم روايات وطنية تاريخية أقبل عليها الجمهور إقبالاً كبيراً[٢]. (انتهى).

وذكر بأحمدان في كتابه عهد السلطان صالح بن غالب القعيطي أن السلطان صالح كان يعرض الأفلام التي بها مناظر الصيد والقنيص ومصارعة الأسود والنمور على خواصه بالقصر وعلى طلبة المدارس وعلى العامة، وكان يقوم بنفسه بعرض الفيلم، كما تمكن الحضارمة بمساعدة السلطان صالح من إنتاج فيلمين سينمائيين هما: فيلم العلم نور وفيلم عبث المشيب[٣].

وإذا ذكرنا جهود العلويين في تأليف المسرحيات فلا ننسَ أن السيد العلامة عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف (١٢٧٩-١٣٧٥هـ) ألف مسرحية هزلية سماها تسعة رهط، تهكم فيها على اجتماعات يعقدها مع مجموعة من أصحابه وكتبها بطريقة المسرحية التي لا ينقصها إلا المخرج والممثلون.

---

(١) محمد علوي بن يحيى، شرف المحيا في تراجم آل بن يحيى، تريم للدراسات والنشر، صفحة ٢٢٥.

(٢) محمد علوي بن يحيى، شرف المحيا في تراجم آل بن يحيى، تريم للدراسات والنشر، صفحة ٢٢٣.

(٣) محمد سالم بأحمدان، عهد السلطان صالح بن غالب القعيطي، صفحة ٩٩.

كما كتب السيد أحمد بن عبد الله السقاف (١٢٩٩-١٣٦٩هـ) المقيم بإندونيسيا رواية فتاة قاروت، وهي رواية تثقيفية للبنات.

كما ألف السيد حسن بن عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف (١٩١٥-١٩٨٥هـ) روايات شعرية.





الفصل الرابع والثلاثون بعد المائة

العلويون والصحافة



السنة الاولى

الرابطة

مجلة دينية علمية تاريخية اخبارية شهرية

تخدم الرابطة العلوية وتهتم بنشر

ما يتعلق بالعلويين

لمنشئها السيد احمد بن عبد الله السقاف

تصدر من بتاوي «جاوه» الادارة بشارع كربت نمرة ٧٢ تانابانگ

تنبيـــه

من كل من يريد ارسال ما يحب نشره في الرابطة ان يكتب ذلك في وجه واحد
القرطاس بخط واضح وان يبين اسمه وعنوانه وله ان يرمز عن اسمه
الرسائل التي ترد الينا لا ترد لاربابها سواء نشرت او لم تنشر

الذين قد سددوا ثمن الاشتراك

من طباع العلويين عدم التعلق بما يشغلهم عن أمور الدين والعبادة وما يصرفهم عن اتباع طريق السلف. ولذا فهم لا يحبون الاستماع إلى لغو الحديث وما لا فائدة فيه من الأخبار، كما رأينا في فصول أخرى من هذا الكتاب، ولهذا فهم نراهم يعزفون عن قراءة الصحف والاستماع إلى الراديو، مع وجود قليل من العلويين الذين يخالفون هذا النهج، كما سنبين فيما يلي:

ففي تحفة الأحباب[١] من كلام الحبيب علوي بن عبد الله بن شهاب قوله: «ضيعنا أوقاتنا مع الراديو والجرائد وغيرها من الملهيات التي ساقها الشيطان لنا من تلك الجهات، الله يجعل العاقبة خير». (انتهى).

وينتقد رضي الله عنه أعراض الأولاد عن كتب السلف وانشغالهم بالجرايد والكتب التي لم نعلم بمحررها هل هو عالم أو فاسق، وأغلبها كذب[٢].

وذكر في تحفة الأحباب[٣] أن الحبيب علوي بن شهاب حدث عن والده «عن الذين يجلسون في المجالس وتمر عليهم الآية والحديث والحكاية وهم غائبون في دنيا الأفكار، لو قلت له هت شيء مما سمعت يقول ماحفظت شيء، ولو قلت له إيش أخبار الرديو شرع يتكلم مفتخراً، ثم قال: ما هو داري أن هذه الأخبار من فتن الزمان». (انتهى باختصار).

وفي ترجمة السيد الثري عبد الرحمن بن علي الجنيد[٤] المولود بسنقفورا والذي انتقل بعد ذلك إلى حضرموت أنه برغم أن هذا الثري لم ينصرف في غناه عن المجاهدة في العبادة والمحافظة على الأوراد والأذكار إلا أنه كان أيضاً يتتبع أخبار العالم ومشتركاً في بعض

---

(١) عمر بن علوي الكاف، تحفة الأحباب، دار الحاوي، صفحة ٢٨٠.

(٢) عمر بن علوي الكاف، تحفة الأحباب، دار الحاوي، صفحة ٢٦٣.

(٣) عمر بن علوي الكاف، تحفة الأحباب، دار الحاوي، صفحة ٢٩٠.

(٤) عبد القادر بن عبد الرحمن الجنيد، العقود العسجدية، صفحة ٢٠٥.

الصحف والمجلات العالمية التي تصله إلى بيته في تريم ويقرأها بعد أدائه صلاة العشاء ورواتبها، وفي اثناء تهيئة أهله لطعام عشائه. وقد توفي بتريم سنة ١٣٤٦هـ.

ومع ما يبدو من كلام الحبيب علوي بن شهاب السابق من كراهية قراءة الصحف وسماع الأخبار إلا أننا نجد أن بعض كبار العلويين بحضرموت من يطلع على الصحف المصرية والصحف العربية الصادرة بجاوة وسنقفورا، مثل العلامة عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف الذي كانت له مشاركات في الصحف المصرية مثل المنار والرسالة، كما كتب في صحف سنقافورة، كما كان الجدّ العلامة علوي بن عبد الله السقاف يقرأ بحضرموت ما يصله من الصحف المصرية.

وذكر الأستاذ محمد بن أحمد الشاطري[1] انه والده السيد أحمد بن عمر الشاطري المتوفى سنة ١٣٦٠هـ وهو من كبار علماء تريم كان يهتم كثيرا بمطالعة الكتب المبسوطة والمختصرة القديمة في علوم الحديث والتفسير والفقه والأصول العربية والأدب وله عناية بمطالعة الصحف والمجلات على اختلاف أنواعها والاستفادة بما يلائم منها (انتهى)

ومن العلويين من انشغل بالصحافة والأدب، وكان له فيها باع طويل. ومن هؤلاء السيد محمد بن عقيل بن يحيى (١٢٧٩-١٣٥٠هـ) الذي أنشأ في سنقفورا جريدة الإصلاح سنة ١٣٢٦هـ ومجلة تدعى (الإمام) مكتوبة بلغة الملايو وبالحروف العربية. وقد حوت مباحث نافعة تدعو إلى الإصلاح مما أدى إلى تردد صداها في أندونيسيا وبلدان جنوب آسيا[2]، كما كتب الأستاذ محمد بن عقيل في الصحف المصرية لذلك العهد.

ومن العلماء الذين أصدروا الصحف وكتبوا فيها السيد حسن بن علوي بن شهاب المولود بتريم سنة ١٢٦٨هـ. وقد هاجر إلى سنغفورا ليتولى ممتلكات أبيه. وتعاطى التجارة، وكان يكتب المقالات في الصحف المصرية، وله آراء تتعلق بإصلاح التعليم في حضرموت،

---

(١) محمد بن أحمد الشاطري شرح الياقوت النفيس الجزء الاول صفحة ١١

(٢) محمد علوي بن يحيى، شرف المحيا، تريم للدراسات والنشر، صفحة ١٣٢.

وكان معروفاً بقوة العارضة قوياً في النقد جرئياً في أبحاثه، وأصدر في سنغفورا صحيفة «الوطن» التي استمرت نحو سنتين ثم توقفت. ومن مؤلفاته في الإصلاح كتاب «نحلة الوطن»، وهو الكتاب الذي لقي معارضة كبيرة في حضرموت لانتقاده الأحوال السائدة. ومن مؤلفات السيد حسن بن شهاب الأخرى «الرقية الشافية من سموم النصائح الكافية»، يرد به على كتاب السيد محمد بن عقيل بن يحيى الذي هاجم فيه معاوية بن أبي سفيان، فرد على السيد حسن العلامة والشاعر الكبير السيد أبوبكر بن عبد الرحمن بن شهاب على كتاب الرقية بكتاب «وجوب الحمية من مضار الرقية»، وكان لهذا الجدل العلمي صدى واسع بالشرق الأقصى وحواضر العالم الإسلامي وحضرموت، ولكنه لم يفسد للود قضية بين هؤلاء العلماء الذين بقوا على صداقتهم وودهم. وقد عاد السيد حسن بن شهاب إلى تريم وتوفي بها سنة ١٣٣٣هـ.

قال بن عبيدالله في بضائع التابوت[١]: ولما ألف السيد حسن بن شهاب كتابه المسمى نحلة الوطن أرسل نسخة منه للحبيب عبيدالله بن محسن بسيؤن، فطلب ـ لانحراف صحته ـ من ابنه العلامة بن عبيدالله أن يرد عليه فكتب رداً نشره السيد حسن بن شهاب في صحيفة المنار المصرية فاستاء جماعة من أهل العلم في حضرموت من بن عبيدالله[٢].

قال بن عبيدالله: وقد كان السيد حسن بن شهاب والسيد محمد بن عقيل بن يحيى على رأي واحد، ثم نزغ بينهما الشيطان، واشتد الخلاف وتشاتما: هذا بجريدة الإصلاح والحسام وذاك بجريدة الوطن.

قال بن عبيد الله: ومن اللطائف أن السيد الصالح محمد بن حسن عيديد كان قريباً لآل بن يحيى، فبينما هو في سومطره بعث له السيد حسن بن شهاب بعدد من جريدة الوطن، وفيه الخبر بأن سيلاً هائلاً خرج من وادي عيديد فهوى بداره وأهلك أمه وعياله، ويريد بن

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ١٢٣.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٥١٤.

شهاب أن يسوءه بذلك الخبر لقرابته من السيد محمد بن عقيل بن يحيى، ولكن السيد محمد عيديد عرف قبل وصول الجريدة بأنّ السيل كان سيلاً خفيفاً لم يحدث منه ضرر، لكنه استفاد من الجريدة، فذهب إلى أمير تلك البلاد وهو يعصر عينيه حاملاً الجريدة، فرق له الأمير وأكرمه بأضعاف ما كان يؤمل[١].

ومن أساتذة الصحافة الحضرمية الأستاذ أحمد بن عبد الله بن محسن السقاف (١٢٩٩-١٣٦٩هـ). أصدر بإندونيسيا مجلة (الرابطة)، وقد اطلعت شخصياً على كثير من أعدادها فوجدتها مجلة أدبية شيقة زاخرة بالعلم والمعلومات. وقد هاجر السيد أحمد السقاف إلى إندونيسيا في مطلع شبابه، وكان أول ناظر للمدرسة الخيرية بسورابايا. وتخرج على يديه كثير من الطلاب، وكان تربوياً من الطراز الأول حتى أنه التحق بمدرسة لتلقي علم النفس والتربية، ثم زاول التجارة ولم يصب نجاحاً فيها، فعاد إلى التدريس وتولى زمام التعليم في مدرسة خير بجاكرتا، وألف الكتب المدرسية ووضع الأناشيد التي كان يلحنها بنفسه، وله خبرة في ممارسة أعمال كثيرة في الكهرباء والآلات، حتى لقد اخترع إضافة لآلة الطرب المعروفة بالأرغن. كان لطيفاً يكره الجدل، محباً للهدوء، كان كثير المكث في الأماكن الهادئة ذات الطبيعة الخلابة، وكان نابغاً في الشعر سيال القريحة.

أما مؤسس الصحافة العربية بسنقفورا فهو السيد حسين بن علي السقاف[٢] وهو سليل أسرة آل السقاف الثرية بسنقفورا، ذكره باذيب[٣]، فقال: ولد بمكة المكرمة سنة ١٩٠٣م أثناء إقامة أسرته بقصر السقاف بمكة المكرمة، ثم انتقل وهو في سن السابعة، والتحق بمدرسة السقاف بسنقفورا، ثم أكمل دراسته بمعهد رافلز، وتنقل في رئاسة عدد من النوادي والجمعيات الخيرية.

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صنعاء، صفحة ٥١٤.

(٢) محمد أبو بكر باذيب، السيد أحمد عمر بافقيه، دار الفتح للدراسات والنشر، صفحة ١١٨.

(٣) محمد أبو بكر باذيب، السيد أحمد عمر بافقيه، صفحة ١١٨-١١٩.



ويعد حسين السقاف المؤسس الأول للصحافة اليومية في سنقفورا. ولقد ساعدته مكانته وثروة أسرته وحبه للأدب على إنشاء مطبعة تعنى بالصحافة والآداب باللغة الملايوية، وكان رفيقه في هذا الدرب داتو عون بن جعفر أول رئيس لحزب (آمنو)، وهو الحزب الحاكم في ماليزيا إلى الآن. وكان يصدر صحيفة يومية واحدة وصحفاً أخرى أسبوعية، منها واحدة مصورة وأخرى فكاهية.

وكان لهذه الصحف رواج في الأوساط الملاوية، وتغطي مساحة غير قليلة من جزر الأرخبيل إلى جانب صحف أخرى، ثم رغب السيد حسين السقاف في إصدار صحيفة عربية بسنقفورا، فاتصل بالأستاذ أحمد بن عمر بافقيه وطلب منه أن يشاركه في إصدارها. وتعاون الرجلان حتى تمكنا من إصدار أول عدد من جريدة العرب في عام ١٣٥٠هـ. (انتهى باختصار).

وهذا يقودنا إلى إلقاء الضوء على النشاط الصحفي للأستاذ أحمد بن عمر بافقيه الذي

ترجم له الأستاذ محمد باذيب فقال[1] إنه ولد في مدينة كلكتا بالهند عام ١٣٣٠هـ، ولما بلغ الحادية عشرة من عمره أرسله والده للدراسة بحضرموت، فقضى سنتين بدوعن، ثم التحق برباط تريم وأخذ العلم فيه على يد الحبيب عبد الله بن عمر الشاطري والحبيب علوي بن عبد الله بن شهاب، ثم طلبه أبوه عام ١٣٤٦هـ ليوافيه إلى جزيرة سيلان ليخلفه في مشيخة الطريقة العلوية القادرية في عاصمة سيلان كولمبو.



وقد التقى في المكلا بالعلامة السيد محمد بن عقيل بن يحيى (انظر أخباره في موقع آخر من هذا الكتاب)، ورافقه لفترة غير قصيره وتأثر بأفكاره وبسعة أفقه وحرية ضميره.

ولما وصل الشاب المتعطش للأدب والصحافه إلى كولمبو على متن سفينة شراعية استقبل بما يليق بشيخ المستقبل للطريقة القادرية العلوية، إلا أنه لم يرغب في الزعامة الدينية فتسلل مع جماعة من الحضارمة على سفينة شراعية، وسافر معهم إلى سنقفورا، حيث التحق بالعمل لدى أسرة الكاف الثرية بسنقفورا، حيث أتيحت له الفرصة لمتابعة الصحف المصرية

(١) محمد أبو بكر باذيب، السيد أحمد عمر بافقيه، صفحة ٩٥-١١٧.

الشهيرة في ذلك الوقت، مثل الرسالة والمقطم والمقتطف والمنار وغيرها، ثم بدأ الكتابة الصحفية برسالة نشرت له سنة ١٣٤٩هـ في صحيفة حضرموت التي تصدر في مدينة سورابايا بإندونيسيا التي يحررها السيد طه أبو بكر السقاف، ثم بدأ بعد ذلك الكتابة في مجلة الرابطة التي يرأس تحريرها السيد أحمد بن عبد الله السقاف والتي نشرت مقالاته سنة ١٣٤٩هـ. كما عمل بافقيه كمراسل لصحيفة البلاغ المصرية لسان حال حزب الوفد المصري، وكان يرسل لها الأخبار والتقارير الصحفية (انتهى بتلخيص).



حسين البار



كما اهتم العلويون بالصحافة في شرق أفريقيا، وذكر بن عبيدالله السيد عيدروس بن حسين بن سالم السقاف فقال: إنه ركب إلى ممباسا في سنة ١٣٢٢هـ، وهو ابن تسع سنين، وما برح يقاسي المتاعب والمشاق في طلب المعيشة حتى فتح الله عليه بالأموال والأولاد، ونال الأموال والعقار بممباسا والشحر، وكان يصدر في ممباسا جريدة تسمى الإصلاح جلب لها مطبعة على نفقته الخاصة. قال بن عبيد الله: ولكن لما كان الأكثر من

المشتركين في هذه الصحيفة حضارمة لا بال عندهم لأمثال الجرائد فتأخروا عن دفع الاشتراك فلزم تأخرها[١].

كما اهتم العلويون بالصحافة داخل حضرموت. ومن الأدباء والصحفيين أيضاً السيد حسين بن محمد البار (توفي سنة ١٩٦٥م) الذي أسس في المكلا سنة ١٩٦٠م صحيفة الرائد، ورأس تحرير صحيفة الأخبار، كما كان البار شاعراً غنائياً متميزاً. وقد شكل مع المطرب المعروف محمد خان ثنائياً غنائياً متميزاً[٢].

كما ظهرت بسيؤن وتريم عدة مجلات خطيه ذكرها الصبان[٣] ومنها (سيؤن) مجله خطيه أصدرها سقاف محمد السقاف و(عكاظ) يحررها عبد الله ومحمد ابناء أحمد بن يحيى و(الإخاء) وتحررها جمعية الأخوة والمعاونة بتريم.

❊ ❊ ❊

---

(١) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صفحة ٩٤.

(٢) صحيفة شعاع الأمل، عدد رمضان ١٤٢٨، صفحة ٢٢-٢٨.

(٣) عبد القادر محمد الصبان، الحركة الأدبية في حضرموت، دار حضرموت للدراسات والنشر، صفحة ١٢٦.

الفصل الخامس والثلاثون بعد المائة

العلويون والرياضة





السيد محسن بن عمر السقاف وهو في سن متقدمة يسحب سيارة محملة بأسنانه

ومن المهتمين بالرياضة من العلويين البروفيسور محسن بن عمر السقاف المولود بسنقفورا سنة ١٩١٤م وهو سليل أسرة السقاف الثرية. وقد درس بمدرسة فيكتوريا ثم معهد رافيلز بسنقفورا، ثم درس القانون لمدة سنتين والتحق ببعض الأعمال التجارية، ثم ذهب إلى أميركا في سنة ١٩٣٣م، وتحصل على الدكتوراة في الفلسفة وعلم النفس.

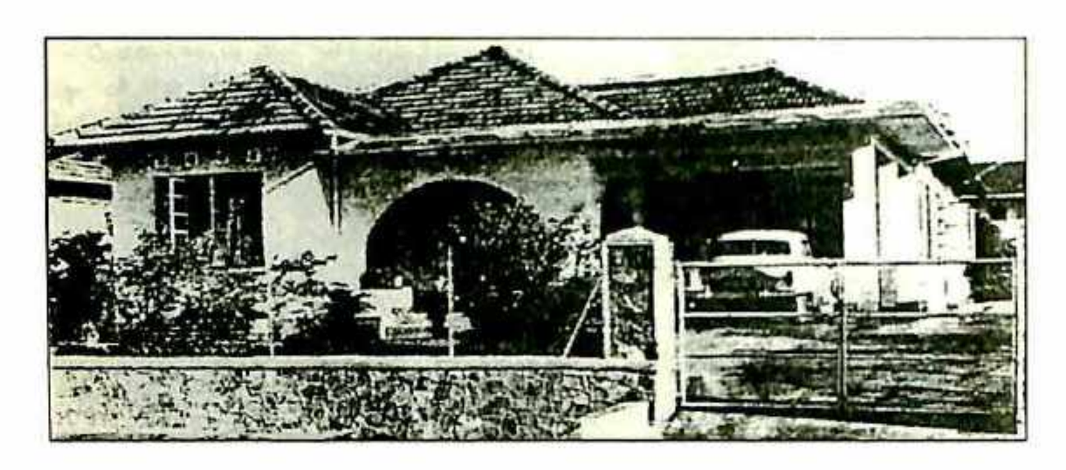
ثم تفرغ السيد محسن لرياضة كمال الأجسام وأسس مدرسة خاصة به لأجل ذلك، وكان يتبعه أكثر من ٢٧ ألف طالب، وحصل على عدة كؤوس وميداليات، كما أسس أشهر مجلة بالشرق الأقصى في ذلك الوقت لكمال الأجسام، كما كان المؤسس والرئيس لرابطة رياضيي كمال الأجسام في العالم. وتشمل هواياته إلى جانب بناء الأجسام الملاكمة والمصارعة ورفع الأثقال وجمع الطوابع البريدية.

وقد كانت له صلات بنوادي كمال الأجسام حول العالم، وكتبت عنه المجلات في أمريكا وبريطانيا وأستراليا وجنوب أفريقيا، كما كتبت عنه جريدة المصور المصرية. كما كانت له نشاطات في المجتمع الإسلامي بسنقفورا، وتولى بعض المناصب العامة في جزيرة سنقفورا.



الكشاف الأول السيد أحمد بن محمد بن أحمد السقاف

والشخص الثاني من عائلة السقاف الذي له اهتمامات رياضية هو السيد أحمد بن محمد السقاف، وهو ابن أمير الإحسان السيد محمد بن أحمد السقاف. وقد ولد بسنقفورا في سنة ١٨٩٦ م، ولما بلغ التاسعة من عمره انتقل مع جدته لأمه إلى مكة المكرمة، حيث أمضى هناك أربع سنوات لدراسة القرآن وعلوم الدين واللغة العربية، ثم أرسله أهله إلى سوريا، حيث أخذ دروساً خاصة قبل أن يلتحق بالكلية السورية البروتستانتية التي أصبحت فيما بعد الجامعة الأمريكية ببيروت.



النادي الرياضي للسيد محسن السقاف بسنقفور سنة ١٩٤٤م

وفي هذه الأثناء بدأت الحركة الكشفية على يد اللورد بادن باول، فحازت على إعجاب الشباب في ذلك الوقت، فانضم السيد محسن إلى الحركة الكشفية السورية.

وعندما أنهى السيد محسن دراسته الجامعية في بيروت سنة ١٩١٢م التحق بالهلال الأحمر التركي، ومنحته سوريا لقب الكشاف الأول، ثم عاد إلى سنقفورا في سنة ١٩١٩م واستمر في اهتمامه بالكشافة، وحصل على العديد من الأوسمة، ومنحته ملكة بريطانيا سنة ١٩٥٣م لقب سير.

أما في حضرموت نفسها فقد تأسس أول نادٍ رياضي ثقافي في تريم، وهو نادي الشبيبة

سنة ١٣٥٠هـ، وترأسه السيد عمر بن شيخ الكاف، وجمع النادي مجموعة من الرعيل الأول من الرياضيين والمثقفين بمدينة تريم، واتخذ النادي مقراً له بمنزل السيد علوي بن أبي بكر الكاف (الخضيب)[1].



(١) محمد الجنيد وحسين الكاف، المهندس علوي بن أبي بكر الكاف رائد العمارة الطينية، مركز النور للدراسات، صفحة ١٣١.

الفصل السادس والثلاثون بعد المائة

العلويون والزراعة





أولاً: مقدمة عن الزراعة في حضرموت[١]

لا توجد في حضرموت أنهار سوى نهر واحد في حجر، ولكن هناك عيوناً غزيرة في الجبال، وأهم هذه العيون وأغزرها ماءً عيون تاربة، وهذه كانت تسقي جميع ما حولها من الأراضي، وكذلك عيون وادي جذع التي لا تزال آثارها من سواقي وأحواض باقية إلى اليوم، وكانت هذه العيون تسقي جميع أراضي الحوير بين مريمة والقرن، وهو من ضواحي سيؤون، وكان يزرع في هذه الأراضي أجود الأعناب وأغلالها وعيون جبل القزة، حيث كانت تزرع الحنطة بكثرة، أما العيون التي بقرب الشواطئ فهي عيون غيل باوزير وعيون جبال المكلا وعيون ميفع.

أما أجود الأراضي الصالحة للزراعة بحضرموت فهي الواقعة بين الفرط غرباً إلى عينات شرقاً، حيث يوجد الماء على مقربة من سطح الأرض، لا سيما في منطقة شبام، وحيث يتكون الطمي الذي تأتي به سيول الأودية العليا.

ويسقى الزرع بالماء الذي ينزح من الآبار بواسطة الثيران أو الجمال أو الحمير أو بالآلات، وأهم أنواع الحبوب التي تزرع القمح والذرة ثم الدخن والسمسم والمسيبلي، ومن التوابل والخضروات البرسيم والباذنجان والبصل والجزر والفوم والكمون ـ والشبرم والحبة السوداء، ومن الفواكه البطيخ والموز.

ويوجد النخل بكثرة في حضرموت، وهو أنواع مختلفة، منها المديني والحمراء والجزاز

---

(١) مقتبسة من كتاب الأستاذ صلاح البكري تاريخ حضرموت السياسي الجزء الثاني صفحة ١٣٠-١٣٤.

والسريع والمجراف والخاشدي إلى آخر ما هناك من الأسماء التي اصطلح عليها الحضرميون. والبلح من أهم الأغذية، وهو أرخص قيمة من الحبوب التي هي الغذاء الأساسي عند أكثر الناس. أما في المناطق المرتفعة كنهد ودوعن ووادي العين وعمد وغيرها في المرتفعات فلا يزرع فيها غير الذرة والنخل الذي يُسقى بماء المطر لبعد ماء الآبار عن سطح الأرض، واقتصار استعماله على الشرب. وقد ينقطع المطر شهوراً أو سنين، فيشتد الجفاف فيموت الزرع ويذبل النخل فيقل محصوله وتستحكم الأزمة، ويكون لها أثرها السيء، ليس في الهضاب المرتفعة فقط، بل وفي سائر حضرموت. على أن هناك عيوناً في دوعن وعمد ولكنها ضحلة ولا تستعمل إلا لسقي البقول والشرب، وهناك في جبال المكلا عيون، ويظهر أنها غزيرة، ولكن الأيدي العاملة تكاد تكون معدومة. وفي غيل باوزير في الجبال الواقعة خلف المسطحات الساحلية تنبع عيون غزيرة تسقي مساحات واسعة من أراضي الغيل، ويزرع فيها التنباك الجيد (الحمي) وهو من أهم الحاصلات، ولا ينمو إلا في الغيل حيث تلائمه التربة والمناخ ويتقن الناس زراعته. وقد حاول البعض زراعته في لحج واليمن، فلم يحصل إلا على نوع آخر أقل مرتبة من الحمي في نكهته، وفي الغيل يسمد التنباك ثلاث مرات بأسمدة مختلفة كل في وقت وبقدر محدودين. ففي أول مرة يسمد بخرء الطيور، وفي الثانية بالسمك، وفي الثالثة بالمواد البرازية المختلفة من الإنسان والحيوان. ويُصدر معظم محصول التنباك إلى عدن ومصر، ومنهما إلى سوريا. وتجفف شجرة لتنباك بورقها وساقها وفروعها، ثم تقطع إلى شرائح صغيرة، ثم تضم إلى بعضها في حزمات تزن الواحدة منها ٣٠٠ رطل وهي حمولة جمل.

* * *

ثانياً: العلويون والزراعة



السيد محسن علوي السقاف مع الشيخ كرامة بلطيور وابنه سعيد في سيؤن

من كلام الحبيب أحمد بن حسن العطاس[١] قوله: عادة السلف الصالح أنهم يصرفون ثلث أموالهم في حرث الأرض وثلثاً فيما يكرمون به وثلثها فيما يأكلونه.

وقال أيضاً: ينبغي لمن أراد أن يباشر أمراً دنيوياً كحراثة أرض أو سفر لطلب العيش أن ينوي به العون على الطاعة والخير لينال ثوابه وتُيسر أموره، ولا يقصد مجرد الأكل والشرب والراحة والبناء ونحو ذلك، والعادة تنقلب عبادة بالنية. (انتهى).

وقد اهتم العلويون من أول قدومهم لحضرموت بالغرس والزراعة. وذكر الأستاذ

---

(١) علي بن أحمد العطاس، ترجمة الحبيب أحمد بن حسن العطاس ورحلاته، صفحة ٢٤.

الشاطري أن المهاجر أحمد بن عيسى حينما نزل الهجرين واستقر أول الأمر بها اشترى بها نخيلاً وعقاراً(١)، ثم ذكر ابنه الإمام عبد الله بن أحمد بن عيسى المولود بالبصرة فقال إنه استكثر من النخل بحضرموت، وكان أحبّ أمواله إليه، وكان إذا أدرك ثمر عام يتصدق بما بقي من محصول العام الذي قبله ويقول هذا شكر نعمة ربي(٢).

وممن اهتم بالزراعة الإمام علي بن علوي المشهور بلقب خالع قسم والمتوفى بتريم سنة ٥٢٩هـ. وقسم منطقة بحضرموت تقع بين عينات والخون على بعد عشرة أميال هاشمية تقريباً من تريم اشتراها هذا الإمام بعشرين ألف دينار، وزرعها بالنخيل وسماها قسم باسم أرض كانت لآبائه بالبصرة، وبنى له بيتاً فيها، ثم تطورت بلدة قسم منذ بداية القرن السادس الهجري إلى اليوم حتى صارت قرية معمورة بالعلماء والصلحاء، هذا، وكان الإمام علي بن علوي خالع قسم أول من استوطن تريم من العلويين وبنى بها أول مسجد للعلويين وهو مسجد باعلوي الموجود بحالة جيدة إلى اليوم، وكان يعمل مع سائر خدمه في بناء هذا المسجد، وينقلون ما يحتاجه البناء من اللبن من قريتهم بيت جبير، وهي منطقة مجاورة لتر كانت المحطة الأخيرة للعلويين قبل انتقالهم إلى تريم واستقرارهم بها(٣).

وذكر الأستاذ الشاطري أن الإمام محمد بن علي بن علوي صاحب مرباط المتوفى سنة ٥٥٦هـ كان يقوم بالإشراف على أرضه الواسعة في الزراعة والغرس وتربية الدواجن، وأكثرها بوادي بيت جبير، وبلغت مزروعاته مقادير هائلة(٤).

أما الفقيه المقدم (٥٧٤ -٦٥٣هـ) جد العلويين فقال عنه الأستاذ الشاطري(٥) بأنه

---

(١) محمد بن أحمد الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي،عالم المعرفة، صفحة ١٥٩.

(٢) محمد بن أحمد الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي، عالم المعرفة، صفحة ١٦٤.

(٣) حامد بن محمد بن شهاب، الدليل القويم في ذكر شيء من عادات تريم، صفحة ١٢٦-١٢٧.

(٤) محمد بن أحمد الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي، عالم المعرفة، صفحة ١٩٣.

(٥) محمد بن أحمد الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي، عالم المعرفة، صفحة ٣٠٦.

من أساطين الزراعة والغرس في عصره، فكان له الكثير من النخيل والمزارع والبساتين، ويعتني بإدارة تلك المزارع وتوزيع ما تنتجه من التمور والمحاصيل الأخرى، ويصرف معظمه في المصالح العامة (انتهى باختصار).

أما الإمام عبد الله الحداد (١٠٤٤-١١٣٢هـ) فذكر الأستاذ الشاطري[١] أنه من أعلام الاقتصاد في وطنه وبخاصة الناحيتين الزراعية والتجارية، فأما الناحية الزراعية فله إرشادات خاصة وعناية بالمزارعين سواء بالنسبة لتوقيت الزراعة أم بالنسبة للطريقة المنتجة، فكان يحثهم على الإكثار من زراعة الحبوب وبالأخص البر، وبما أن توقيت زراعة البر يكون في نجم الحوت، وكان المزارعون إذا تخلفوا عن هذا النجم لا يزرعون، فشجعهم الإمام عبد الله الحداد على زراعة البر ولو في نجم الثريا. وقد أثبتت التجارب صدق ما يقول فاستمروا على طريقته التي رسمها لهم إلى اليوم.

وكان يأمر المزارعين بزراعة ثلاثة صروع في العام في القطعة الواحدة بدلاً مما اعتادوا عليه من زراعة صرعين اثنين، وقال لهم إن ذلك ممكن شريطة أن يكثروا من السماد الطبيعي.

ورغم أن الإمام الحداد يعتبر من متوسطي الحال فإنه قد ورث أطياناً زراعية عن أبيه وأمه، وامتلك الدواجن في مزارعه، بل ورباها في مسكنه وكان يباشر إطعامها بنفسه يومياً، وأضاف إلى العمل الزراعي الذي يباشره أعمالاً تجارية أخرى مارسها أبناؤه تحت إشرافه، كما شجع الإمام الحداد أبناءه على الهجرة لأجل التجارة كعادة أبناء وطنه، إلا أنها ليست الهجرة الأبدية التي ينتقدها أغلب العلويين، وكان الإمام الحداد ينفق من ما يحصل عليه من أرباح التجارة على أسرته وضيوفه وبعض طلبته، وكان يحب تربية الأيتام في بيته. (انتهى باختصار).

ولعل القارئ يعجب إذا علم أن هذا الإمام الضرير كان من أكبر علماء وقته، وله المؤلفات التي انتشرت في جميع أرجاء القطر الحضرمي، بل ووصلت إلى البلاد البعيدة، وترجم بعضها في الزمن الأخير إلى اللغات الأجنبية.

---

(١) محمد بن أحمد الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي، عالم المعرفة، صفحة ٣٢٥-٣٢٦.

ثم إن هذا الفصل ليس حصرا على من اهتم بالزراعه من العلويين، بل هو أمثلة تواردت أثناء قراءاتي لبعض التراجم والسير، ولم أُعنَ بتتبعها وجمعها، ولكني وجدت أن اهتمام العلويين بالزراعة والغرس بحضرموت استمر لأكثر من ألف سنة وإلى يومنا هذا.

ففي ترجمة السيد أحمد بن علي الجنيد (١١٩٧-١٢٧٥هـ)[1] أنه كان من أهل الثروة الواسعة وأكثر ثروته جمعها من حضرموت، وكان أكثر اعتماده على الزراعة، فكان مزارعاً مشهوراً، وله مزارع في أكثر حضرموت، وقد غرس نخلاً كثيراً، ويجتمع لديه وقت حصاد التمر الشيء الكثير، ولم يترك الاهتمام بالزراعة حتى في شيخوخته، وحتى عندما كان مسجوناً بسجن حاكم تريم في زمن عبد الله غرامة اليافعي، وكان إذا زاره مزارعوه وهو في السجن يسألهم عن الزراعة والحراثة والنخل، ويحثهم على الاهتمام بذلك والعناية التامة به فيقولون له ما نبغ بالزراعة والحراثة يا حبيب وأنت مسجون في بيت غرامة، فيقول لهم إنما نزرع ونغرس النخل لأجل أن ننال فضل الزراعة وغراسة النخيل، وما يبقى لنا سننتفع به وينتفع به الأولاد من بعدنا، حتى الذي يهلك من الزرع لنا فضل به عند الله تعالى، وأنتم اخلعوا وازرعوا واعمروا كعادتكم، ونحن راضون بقضاء الله وقدره فينا. (انتهى باختصار).

وذكر الجد بن عبيدالله في المعجم عند ذكره مدينة الهجرين عن السيد أحمد بن حسن بن علي الكاف، فقال: ذكره شيخنا في شمس الظهيرة سنة ١٣٠٧ بأنه ذكي نبيهٌ متفقه، قال بن عبيدالله: وما بقي اليوم (سنة ١٣٦٧هـ) أحد ممن ذكر في شمس الظهيرة غيره. وقد تقدم به العمر ولم يزل متمتعاً بالقوة والعلم والحواس، يخرج بمكتله صباح كل يوم إلى حقله فيؤدي ما تعهد به من الخدمة والتنقية وإثارة الارض على الثيران، ثم يرجع ويتنظف ويجلس في مجلس القضاء لأنه القاضي بالهجرين وما جاورها منذ زمن بعيد. (انتهى بتلخيص).

وذكر الجد بن عبيد الله في المعجم[2] أن الحبيب عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه

---

(١) عبد القادر بن عبد الرحمن الجنيد، العقود العسجديه في مناقب الأسرة الجنيدية، صفحة ١٢١.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلاد حضرموت، مكتبة الإرشاد، صفحة ٢٤٢.

اشترى الباطنة وهي من قرى الكسر وأحسن حرثها، وكان يتردد إليها من تريم، وخلفه ولده عيدروس قاضي تريم ثم أولاده الخمسة. (انتهى).

وذكر الجد بن عبيدالله أيضاً في المعجم[١] أن الحبيب عيدرروس بن حسين العيدروس (المتوفى سنة ١٣٤٧هـ) كان من المترددين على الهند. وفي إحدى قدماته إلى حضرموت وصل بأنابيب الحديد وآلات الآبار الارتوازية وشرع في حفر بير تكبد فيها الخسائر الباهظة، وانتهى الأمر فيها إلى الفشل. (انتهى).

ومن العلويين الذين اهتموا بالزراعة أيضاً المنصب السيد العلامة علي بن عبد القادر بن سالم العيدروس، ذكره بن عبيدالله في المعجم، وقال: إنه كانت له عناية بغرس النخيل، وغرس منه الشيء الكثير، فنمت وأتت أكلها ودرّت عليه من أثمارها خيراً كثيراً.

ثم قال بن عبيدالله: ومع اهتمامه بالزراعة فإنه كان عالماً فاضلاً طلب العلم بمكة المكرمة على كثير من مراجيحها، وله تخصص في علم الأصول ومشاركة قوية في غيره، وعنه أخذت علم الجبر والمقابلة وعلم العروض والقوافي، غير أنه لم يبق في ذهني شيء من هذه العلوم إلا النزر من القوافي وتوفي ببور سنة ١٣٦٣هـ[٢].

واهتم العلويون بإحضار مياه الشرب إلى المناطق المحرومة من المياه، قال بن عبيدالله في معجم بلاد حضرموت[٣] إن أهل القويرة من بلاد حضرموت كانوا يعانون من ندرة الماء، وكان لآل القرين من آل البار وغيرهم عيون ماء في الجبل الذي بجنوب القويرة فرغب الحبيب حسين بن حامد المحضار في إيصال الماء إلى القويرة فساومهم على شراء بعض من العيون وأغلى الثمن فامتنعوا، ولما امتنعوا أجرى الماء بقوة السلطان، ثم سار إلى عند آل البار بالقرين للترضية، وأرضى جل الملاك بمثل القيمة أو بأكثر منها، فرضيَ أغلبهم وبقيت خمسة

---

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف معجم بلاد حضرموت مكتبة الارشاد، صفحة ٢٨٤

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلدان حضرموت، مكتبة الإرشاد، بصنعاء، صفحة ٤١٩.

(٣) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، معجم بلدان حضرموت، مكتبة الإرشاد، صفحة ١٥٩.

أجزاء من أربعة وعشرين أصرّ أهلها على الامتناع إلى اليوم. قال بن عبيد الله: وبلغني أن السيد عبد الله بن هادون بن أحمد المحضار كان يتنزه عن شرب ذلك الماء لقوة ورعه، وإلا فإن للفاضل السيد حسين بن حامد مندوحة فيما صنع، فقد بنى ابن الخطاب المسجد الحرام في سنة ١٧هـ وهدم على قوم دورهم بعد أبوا أن يبيعوها، ووضع أثمان دورهم في بيت المال، حتى أخذوها، وزاد عثمان في المسجد الحرام نفسه في سنة ٢٦هـ وابتاع دوراً من قوم وأبى آخرون، فهدم بيوتهم وأدخلها المسجد، ووضع الأثمان في بيت المال فصاحوا بعثمان فحبسهم وقال: قد فعل عمر بكم مثله فلم تصيحوا فكلمه فيهم عبد الله بن خالد بن أسيد فأطلقهم، ومصلحة الشرب أظهر عن مصلحة المسجد، إذ الماء لا يمنع، ومهما أولوه فبعيدٌ أن يكون شرب بقية السلف، ومنهم الوالد مصطفى بن أحمد المحضار حراماً (انتهى).

وكما اهتم العلويون بالزراعة وحفر الآبار وتوفير مياه الشرب، فقد اهتموا أيضاً بإقامة السدود لزيادة كمية الماء بالآبار، ومنها السد الذي أقامه السيد عقيل بن عبد الله بن يحيى بمساعدة من الشيخ فرج يسر الثري بالحجاز. قال بن عبيدالله في بضائع التابوت: وبمجرد م وصل السيد عقيل إلى حضرموت بنى سداً للماء في مسيال عدم كلّفه نحوا من خمسين ألف ريال فاجتاحه السيل في ليلة واحدة. (انتهى).

وكان السيد محمد بن عقيل بن يحيى (١٢٧٩-١٣٥٠هـ) ممن اهتم ببناء السدود، وقام برحلة شاقة لتفقد سد حضرموت ووصف رحلته بالتفصيل مع ضبط المسافات بالساعات الزمنية مشياً وركوباً مع تصور هندسي علمي لإعادة بناء ذلك السد، أقر له بالبراعة الخبراء المتخصصون وهي رحلة مكتوبة[١].

وتفوق السيد علوي بن أبي بكر بن علوي الكاف الملقب بالخضيب على خبير السدود الإنجليزى المستر بكتن الذي جلبته بريطانيا من قبرص لبناء سد النقرة بين بلدتي قسم

---

(١) محمد بن عقيل بن يحيى، العتب الجميل، تريم للدراسات والنشر، صفحة ٦٤.

وعينات، حيث لم يقتنع الإنجليز بالتصميم الذي وضعه السيد علوي لهذا السد، فبنى المستر بكتن سداً طوله ٤٤٠ قدماً وعرض أساسه ٤٥ قدماً، واشتغل في بنائه ٧٠٠ عامل، واستخدمت لبنائه أموال إغاثة حضرموت من المجاعة، ولكن سد بكتن لم يصمد أمام أول سيل تعرض له، وذهبت أموال إغاثة حضرموت أدراج الرياح[١].

إلا أن السيد أبا بكر بن شيخ الكاف أعاد بناء السد على نفقته وبالتصميم الذي وضعه السيد علوي الكاف فكان أقوى من سابقه.

على أن الاهتمام بالزراعة تراجع في حضرموت منذ فترة بعيدة، وقلّ دخل البلاد وتكلم بن عبيدالله[٢] عن أسباب ذلك فقال: أما النقص في دخل البلاد فمن أسبابه توارد الأغنياء على حياض المنايا، وانعدام البركات في تركاتهم وفي حاصلات الأرض من الزروع والثمار وولوع الفلاحين والحراثين بالهجرة إلى السواحل الإفريقية وغيرها، حتى كاد يبلغ معدل النازحين منهم إليها في كل سنة ثلاثة آلاف نفس، ومنها - وهو أكبرها فيما أرى - انصراف همّ المالكين عن منتوجات الأرض والنخل إلى ما ينتظرونه من دخل من جاوا وسنقفورا، حتى صارت حضرموت أشبه بالدار الآخرة، لا يعمل لها إلا في غيرها. وقد كان أكثر غنى حضرموت من الزروع والثمار والبز والصباغ، ومنها توسع أهلها في الكماليات. وقد كانت حضرموت لا يجلب لها من الخارج سوى الإبر والكحل، ثم قلما يجد الإنسان شيئاً اليوم من منتجات حضرموت في أثاثه أو لباسه، بعدما كان كله منها، بل ولا يجد في طعامه منها غير التمر والبر بعد أن كان التمر والذرة هما الغالب من قوت البلاد، فطغى عليهما الأرز، وصار هو الغالب. وبناءً عليه لا يجوز إخراج زكاة الفطر من التمر لأنه ليس بغالب مع نزوله عن درجة الأرز. (انتهى).

---

(١) جعفر السقاف وعلي أنيس الكاف، الزعيم الحكيم أبو بكر بن شيخ الكاف، تريم للدراسات والنشر، صفحة ٨٣.

(٢) عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوطة بضائع التابوت، الجزء الثالث، صفحة ١٦٥.

على أن أخصب تجربة زراعية مكتوبة كانت لسيدي الوالد محسن علوي السقاف، وقد فصلها في مذكراته[1]. وقد كانت في السبعينيات الهجرية. وفي هذه التجربة كثير من الفوائد المتعلقة بالاستثمار الزراعي في حضرموت وطرق اختيار الأراضي وأساليب الإدارة الزراعية والعلاقة الفريدة بين المستثمر والفلاحين وحل المشاكل الفنية بطرق مبتكرة، كما اعتمدت طرق ذكية في البيع والتسويق.

وقد اشترك سيدي الوالد في هذه المشاريع الزراعية مع مجموعة من أقاربه، وقد شجعهم على هذا الاستثمار الزراعي قيام الحكومة البريطانية بتقديم المضخات بقروض ميسرة غير ربوية وإنشاء ورش الصيانة.

وقد اختار الوالد أن يقيم أول مشروع في منطقة مدودة بقرب سيؤن، وهي منطقة تشتهر بخصوبة أرضها ووفرة مياهها، وتم الاتفاق مع الفلاحين على نسبة معينة من الإنتاج كأجر، وقد حققت هذه التجربة نجاحات مذهلة. وتعتبر مرجعاً علمياً وعملياً لأي استثمار زراعي بحضرموت، كما أنها وضعت بعض القواعد والطرق الكفيلة بجعل حضرموت تعتمد على نفسها في غذائها حتى مع ازدياد عدد السكان.

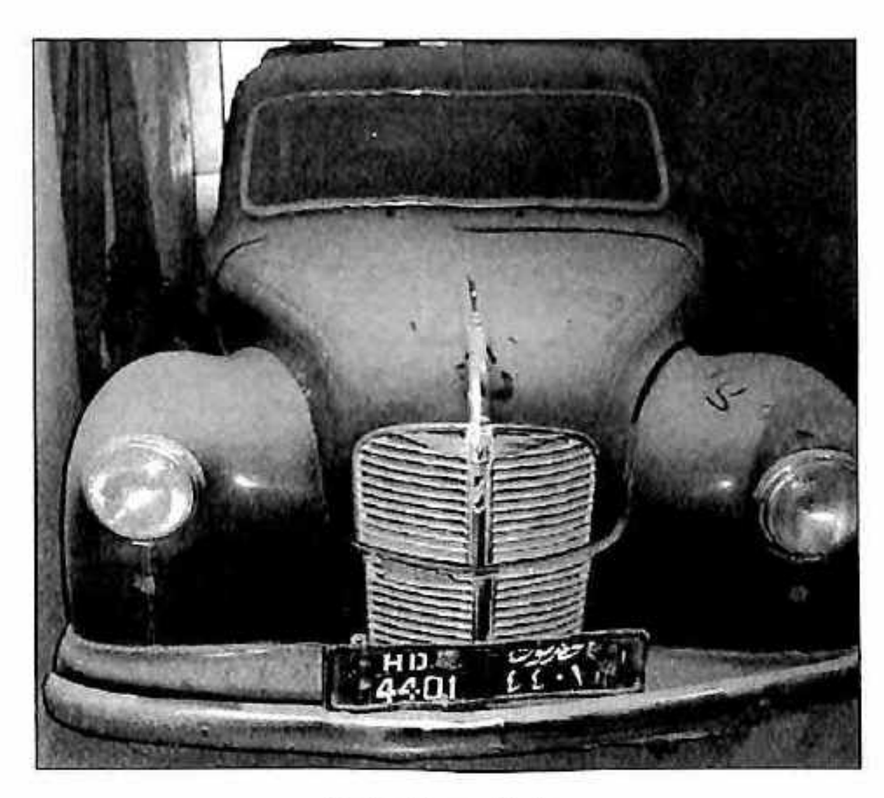
❊ ❊ ❊

---

(١) محسن علوي السقاف، مذكراتي ومختاراتي، صفحة

الفصل السابع والثلاثون بعد المائة

العلويون والاختراعات الحديثة



سيارة أوستن إنجليزية

لقد مكنت الثروة التى حصل عليها العلويون من هجرتهم إلى الشرق الأقصى واحتكاكهم بالعالم المتحضر من نقل بعض المخترعات الحديثة إلى حضرموت. فقد جلب السيد هود بن أحمد السقاف (توفي سنة ١٣٥٣هـ) الذي جمع ثروة من جاوا جلب مضخة مياه إلى بلدة سيئون، ولم يكتف بذلك بل أحضر معها مهندساً يابانياً لتركيبها، كما ذكرنا في فصل سابق.

وجلب السيد علوي بن أبي بكر الجنيد أول مضخة ماء إلى بير حميدون بتريم، وقد خرج الأهالي جماعات ليشاهدوا هذا الاختراع الجديد[١].

كما استخدم أثرياء العلويين وسائل حديثة للبناء الفاخر مثل الإسمنت المسلح لعمل الأعمدة الخرسانية بدلاً من جذوع الأشجار، وجلبوا من سنقفورا الزجاج المعشق وأنواعاً مختلفة من الأخشاب[٢]. كما جلب أولئك الأثرياء الثلاجات المنزلية لصناعة الثلج وتبريد الماء، وجلبوا الأثاث المنزلي الأوروبي من كراسيّ وأرائك ومرايات.

أما أهم الاختراعات التي وصلت حضرموت فهي السيارة التي تولع بها الأثرياء بحضرموت رغم عدم توفر الطرق المعبدة، وعدم توفر الوقود الذي كان يرسل من الخارج في تنك من الصفيح. ومن المدهش أن هذه السيارات تصل من الخارج إلى ميناء الشحر، ثم تنقل إلى تريم أو سيؤون مفككة على ظهور الجمال في رحلة تستغرق عشرة أيام، ثم يجمعها المهندسون في مكان وصولها.

أما أول من عبر الربع الخالي بالسيارة ووصل من مكة إلى حضرموت فكان الإنجليزي هاري سنت جون فيلبي (عبدالله فلبي)، وكان قد وصل إلى حضرموت بالسيارة سنة ١٣٥٦هـ بعد أن قطع المسافة من مكة إلى نجران، ثم من نجران إلى العبر، ومن العبر إلى حضرموت. وقد وصف رحلته هذه في كتابه (بنت سبأ).

---

(١) محمد الجنيد وحسين الكاف، المهندس علوي بن أبي بكر الكاف رائد العمارة الطينية، صفحة ١٧٠.

(٢) محمد الجنيد وحسين الكاف، المهندس علوي بن أبي بكر الكاف رائد العمارة الطينية، صفحة ٢٢٢.

وذكر فيلبي في كتابه بنت سبأ أن السيد أبا بكر بن شيخ الكاف أنشأ ورشة بسيؤن لصيانة وخدمة السيارات وبعض الآليات الأخرى التي أصبحت من معالم وادي حضرموت[١].

وذكر فيلبي أن السيد أبا بكر جلب لهذه الورشة مهندساً تركياً اسمه قادر وأنه يتقاضى مرتباً شهرياً قدره مائة وخمسون ريالاً نمساويا[٢]. وقد بلغ عدد السيارات في تريم وحدها سنة ١٣٥١هـ ثمانية وخمسين سيارة، استعرضها قائد الطيران الإنجليزي بالمسيال وصورها سينمائياً، وكان ذلك أشبه بحلبة سباق السيارات بأوروبا[٣].

إلا أن بعض العلويين لا يوافقون على تقليد الإفرنج واستعمال مخترعاتهم دون حاجة البلاد لها، فهذا الحبيب مصطفى المحضار (١٢٨٢-١٣٧٤هـ) يقول في كلامه[٤]: «ايش بغينا بحق الفرنج وحق الفرنج مسخ بركة الاشياء كلها وقد شلوا فوائد الدنيا كلها واكثر ما افقر الناس وشل فلوسهم المواتر (السيارات) اذا ارسلوا لكم حمل حديد شلوا حمل ذهب والعجب كل العجب يوم الناس ما يفهمون هذا الهوش (النهب) الظاهر ولكن الظاهر ان أصحاب المواتر ما يحسبون خسارة هذه المواتر اذا خطرت بهم (مشت) قالوا هذه الفائدة ولعاد عولوا بالخسارة الزائدة». انتهى.

هذا، وقد اشتهر السيد أبو بكر بن شيخ الكاف بكرمه وقد جعل سيارته الخاصة في خدمة الناس الذين يطلبونها لتوصيلهم إلى المناطق القريبة من سيؤن، وقد بلغ به الأمر أنه قد يتأهب أحياناً للذهاب على سيارته إلى مزرعته فيأتيه من يطلبها منه فيترجل عنها ويرسلها لطالبها، وينتظر حتى تعود السيارة.

---

(١) بنات سبا، تاليف هاري سنت جون فيلبي (عبد الله فيلبي)، صفحة ٣٥١.

(٢) بنات سبا، تاليف هاري سنت جون فيلبي (عبد الله فيلبي)، صفحة ٣٥٦.

(٣) محمد الجنيد وحسين الكاف، المهندس علوي بن أبي بكر الكاف، رائد العمارة الطينية، صفحة ٢١٢.

(٤) محمد بن عبداللاه المحضار، خواطر وأفكار مكاتبات الحبيب مصطفى، صفحة ١٤٢.

أما أنواع السيارات المستوردة إلى حضرموت فمختلف، فمنها السيارات الأمريكية مثل الفورد والبويك[١] والشفروليه التي تكلف شراؤها من جاوا ٢٥٠٠ روبية[٢]، أو السيارات الإنجليزية الصغيرة مثل الأوستن، وتشترى من سنقفورا جديدة أو مستعملة[٣].

وتثير هذه السيارات عند مرورها أو توقفها بسيؤن وتريم فضول الكبار والصغار، وذكر لي والدي أن السادة آل بن يحيى المقيمين بتريم يزورون سيؤن، وتقف سيارتهم الكبيرة أمام بيت مضيفهم السبايا، ويتجمع الأطفال حول السيارة ويتلمسونها بأيديهم، إلا أن سائق السيارة لجأ إلى حيلة تمنعهم من لمس السيارة، فربط البطارية بجسم السيارة فصار كل من يلمس السيارة يتكهرب، إلا أن الأطفال صاروا يتماسكون بالأيدي في طابور ويمسك الأول بالسيارة فيتكهرب الصف جميعه، وأصبحت هذه اللعبة محببة.

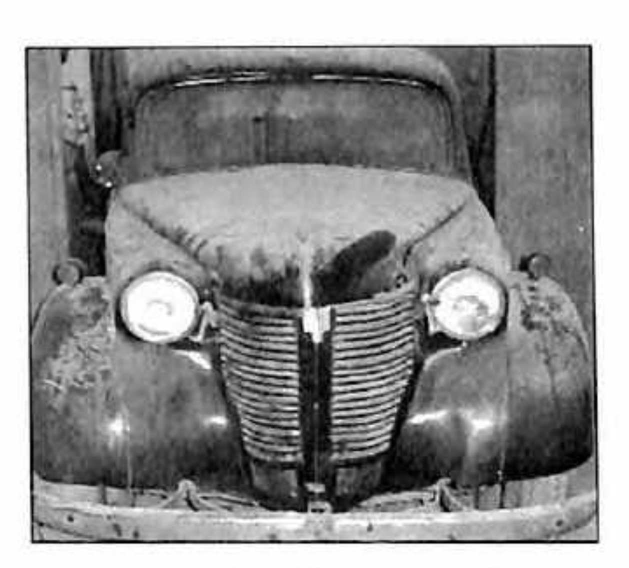
ومن النوادر أن أحد الأثرياء أرسل بسيارة لوري وأخرى صغيرة لعائلته بدوعن، فبقيت الكبيرة واقفة وتركز الاستخدام على السيارة الصغيرة، وفي إحدى المرات احتاجوا السيارة الكبيرة لتدفع الصغيرة فشاهدتها أمهم العجوز من النافذة فصاحت عليهم بأعلى صوتها «السيارة الكبيرة تضرب الصغيرة هذي الكبيرة بوقة بها جالسة عاطلة بدون عمل والصغيرة تعبانة»، ولم تسكت العجوز حتى تباعدت السيارتان عن بعضهما.

---

(١) محمد الجنيد وحسين الكاف، المهندس علوي بن أبي بكر الكاف، رائد العمارة الطينية، صفحة ٢١٩.

(٢) محمد الجنيد وحسين الكاف، المهندس علوي بن أبي بكر الكاف، رائد العمارة الطينية، صفحة ٢٠١.

(٣) محمد الجنيد وحسين الكاف، المهندس علوي بن أبي بكر الكاف، رائد العمارة الطينية، صفحة ٢١٣.



من أنواع السيارات القديمة بحضرموت

ومن المخترعات الأخرى التلفون الذي أدخله السيد هود بن أحمد السقاف في بيته بسيؤن، كما أسست أسرة الكاف شبكة هاتفية تعمل على البطارية السائلة وتربط بين خمسة عشر بيتا من بيوت الكاف بتريم[١].



من أنواع السيارات القديمة بحضرموت

(١) محمد الجنيد وحسين الكاف، المهندس علوي الكاف رائد العمارة الطينية، صفحة ٣٥-٣٦.

كما استورد بعض أثرياء العلويين الراديو الذي يعمل بالبطاريات الكبيرة الحجم، وكانوا يستمعون منه في كل ليلة إلى أخبار الحرب العالمية في أوروبا والشرق. وذكر بأحمدان في كتابه عن عهد السلطان صالح بن غالب القعيطي أن المثقفين والموظفين بالشحر كانوا يتجمعون بعد صلاة المغرب بنادي الإصلاح لسماع أخبار الحرب من راديو يعمل بالبطارية ويتفاعلون مع صوت المذيع العراقي الشهير بإذاعة ألمانيا يونس بحري ويهتفون للزعيم هتلر، بل ورسم بعضهم شعار النازية على أبقارهم[١]. ومن الطريف ما ذكره بأحمدان من أنه حصل عطب لمذياع النادي ولم يوجد بالشحر من يستطيع إصلاحه غير صاحب العظمة السلطان صالح بن غالب فأرسلوا له الراديو فأصلحه السلطان في مدة تتناسب مع ظروف مسؤولياته المختلفة[٢].

ويبدو أن للسلطان صالح بن غالب معرفه هندسية، فبعد أن عجزت رجلاه عن حمل جسمه الثقيل صنع السلطان صالح لنفسه مصعداً يدوياً بقصره، فكان ذلك أول مصعد بحضرموت[٣]، ولا زال هذا المصعد موجوداً إلى اليوم[٤].

كما كان السلطان صالح بن غالب من العلماء أصحاب المؤلفات فلقد ألف كتباً في الهندسة وعلم الجبر[٥] ووضع أول معجم لغوي حضرمي بترجمة مفردات القرآن الكريم إلى اللغة الأوردية وألف كتباً في الفقه والتوحيد وعلم الحديث[٦].

ويذكرني تصرف السلطان صالح بن غالب القعيطي مع راديو النادي بقصة الثلاجة

---

(١) محمد سالم بأحمدان، عهد السلطان صالح بن غالب القعيطي، صفحة ٧١.

(٢) محمد سالم بأحمدان، عهد السلطان صالح بن غالب القعيطي، صفحة ٧١.

(٣) محمد سالم بأحمدان، عهد السلطان صالح بن غالب القعيطي، صفحة ٩٦.

(٤) محمد سالم بأحمدان، عهد السلطان صالح بن غالب القعيطي، صفحة ١١٠.

(٥) محمد سالم بأحمدان، عهد السلطان صالح بن غالب القعيطي، صفحة ٩٦.

(٦) محمد سالم بأحمدان، عهد السلطان صالح بن غالب القعيطي، صفحة ٩١-٩٢.

التي اشتراها جدي قاضي سيؤن السيد علوي بن عبد الله السقاف، وكانت تعمل بالقاز. ولما لم يستطع تشغيلها استعان بالسلطان حسين بن علي الكثيري الذي يملك ثلاجة مثلها، فجاء السلطان حسين بنفسه وعكف على الثلاجة بنفسه وعالجها حتى اشتغلت، مع أنه سلطان الدولة الكثيرية، إلا أن الحبيب علوي بن عبد الله بن شهاب الحريص على حفظ الأوقات وعلوم السلف يقول[1]: ضيعنا أوقاتنا مع الراديو والجرايد وغيرهما من الملهيات التي ساقها الشيطان لنا من تلك الجهات، الله يجعل العاقبة خير. (انتهى).



ونعود إلى وصول الطائرات لحضرموت وما استحدث لأجلها من مطارات، فقد بنى السيد علوي بن أبي بكر الكاف مطاراً بمدينة تريم، انتهى تشييده في سنة **١٣٥٦** هـ في أرض يملكها آل بلفقيه وآل شهاب ولا زال المكان يعرف إلى اليوم بالمطار، إلا أنه لم يعد يستخدم لهبوط الطائرات[2]. وفي سنة **١٣٥١** طارت أربع طائرات فوق تريم قادمة من عدن، ثم هبطت في شبام[3]، وفي رمضان من سنة **١٣٥٣**هـ وصل من عدن المدير السياسي بعدن بالطائرة، وتنقل بالطائرة بين تريم وسيؤن والربع الخالي[4].

---

(١) عمر بن علوي الكاف، تحفة الأحباب، دار الحاوي للطباعة والنشر، صفحة ٢٨٠.

(٢) محمد الجنيد وحسين الكاف، المهندس علوي الكاف رائد العمارة الطينية، صفحة ١٧٠.

(٣) محمد الجنيد وحسين الكاف، المهندس علوي الكاف رائد العمارة الطينية، صفحة ٢١١.

(٤) محمد الجنيد وحسين الكاف، المهندس علوي الكاف رائد العمارة الطينية، صفحة ٢٠١.

وقد أعطي امتياز نقل البوسطة بين عدن وحضرموت إلى شركة البس وهو خواجة فرنساوي، واستعمل طائرات صغيرة تقوم من عدن وتهبط بمطار سيؤن وتريم. وذكر السيد علوي الكاف أنه في يوم الخميس ١٤ شوال من سنة ١٣٥٦هـ نزلت طائرة البس بالبوسطة إلى سيؤن كالعادة، ثم طارت إلى مطار تريم وفيها الأخ أبو بكر بن شيخ وحسن شيبة ومشهور وحسن وشيخ ونزلت في مطار تريم بسلامة الله، ثم ركب فيها الأخ عبد القادر بن شيخ الكاف للتمشي عليها فوق تريم، وركب معه أولاد الأخ حسن بن شيخ الكاف وأولاد الأخ عمر بن شيخ الكاف. ولما أرادت الطائرة الصعود وارتفعت قدر ثلاثة أذرع ارتجت بجانب الميدان وتحطمت، إلا أن ركابها سلموا أجمعين[١].

ومما لا شك فيه أن ظهور الطائرات في سماء حضرموت أثار في نفوس الحضارم الاحترام والهيبة لبريطانيا وزاد من نفوذها عليهم.

وعلق الحبيب مصطفى المحضار على ظهور الطيارات فوق دوعن فقال[٢]: وقد وردت هذه السنة الطيارات عبرت على هذه الجهات أربع مرات كل يوم تصبح إلى دوعن وتسير إلى جهة تطوف وتشوف تسرح من المكلا وتصل إلى دوعن على ثلث ساعة، وتطوف إلى هود وسيحوت وتعود إلى أرض مهرة والحموم وتعود إلى المكلا على ثلاث ساعات والولد أبو بكر بن حسين فيها كل يوم يصبح في واحدة منها ويحوم فوق المكان وفوق الوادي كله وزقل لنا بكتاب من الطيارة، ويذكر أخباره، وقد تجرأ جم على طلوعه في الطيارة، ولكنه يشكرها جم، قال: أحسن من الكريتات والمواتر واريض لا دوخة ولا رجة وأهلها أهل مروءه وحسن معاشرة، وهذه من علائم الساعة (انتهى).

هذا وإذا انتقلنا إلى جانب آخر من جوانب التحديث نجد أن والدي السيد محسن بن

---

(١) محمد الجنيد وحسين الكاف، المهندس علوي الكاف رائد العمارة الطينية، صفحة ١٩٢.

(٢) محمد بن عبدالله المحضار، خواطر وأفكار، مكاتبات الحبيب مصطفى، صفحة ٢٣٩.

علوي السقاف كان أول من فكر بإنشاء مصنع للثلج بمدينة سيؤن، وذلك سنة ١٣٧٦هـ، وبافتتاح هذا المصنع الكبير أصبحت قوالب الثلج البلورية في متناول جميع الناس.

كما أقام في الوقت نفسه بسيؤن مشروعاً لمنجرة حديثه لإنتاج الأبواب والشبابيك بعد أن كان توفيرها يعتمد على النجار المشهور بازياد الذي يصنعها يدوياً، وفي وقت طويل، فأنتجها المصنع بكميات كبيرة وبشكل سريع. ثم فكر والدي في مشروع آخر أقامه بسوق سيؤن وهو طاحونة الحبوب، فخفف عن النساء مؤنة كبيرة، كما سهل الأمر على أهل البوادي الذين يقدمون إلى سيؤن لشراء الحبوب، ثم يبحثون عن من يطحنها لهم فلا يجدونه إلا بصعوبة.

بل لم يكتف الوالد بذلك، بل جلب من المدينة المنورة رضاحة لتكسير نوى حبوب الدوم (النبق) الذي يستخدم كغذاء هام للأغنام.

ومن المبتكرات الأخرى قيام السيد علوي بن أبي بكر الكاف (الخضيب) بعمل سخان ماء لبيت السيد عمر بن شيخ الكاف، فقد بنى خزاناً للماء في الطابق الأخير من بيت السيد عمر، ثم عمل قدراً نحاسياً وجعل تحته فراغاً لوضع الحطب الذي يشعل لتسخين الماء الذي وصله بالمواسير إلى الحمامات[1].

❊ ❊ ❊

---

(١) محمد الجنيد وحسين الكاف، المهندس علوي بن أبي بكر الكاف، رائد العمارة الطينية، صفحة ١٦٥.

الفصل الثامن والثلاثون بعد المائة

العلويون والمستشفيات





مستوصف عيديد الخيري بتريم

قال الأستاذ الشاطري: وبدأ التطور في الطب في حضرموت منذ نصف قرن حيث استقدم السادة آل الكاف على حساب خيرات أبيهم أول طبيب وطني هو السيد عبد الهادي الجيلاني، ثم استقدم السلطان القعيطي بعض الأطباء من الهند، ثم استمرت العناية بنشر الوعي الصحي وبناء الصحيات والمستشفيات وكلها على نفقة الحكومة ما عدا مستشفى الكاف بتريم، ثم قال الأستاذ الشاطري: والذي يستحق الذكر هو قدوم أطباء من الشباب الحضرمي الذين تعلموا في الخارج وبدأوا يقومون بدورهم في العمل في تلك المستشفيات[١].

وبعد سفر الدكتور الجيلاني جلب السيد أبو بكر بن شيخ الكاف من الهند طبيباً آخر إلى حضرموت هو الطبيب الهندي محمد عمر حياة حتى يتواصل تقديم العلاج المجاني لأبناء البلاد. كما كان للسيد أبو بكر بن شيخ الكاف الدور الكبير في إدارة مستشفى الكاف الخيري النموذجي في تريم والصيدلية الخيرية بسوق سيؤن[٢].

وبعد الدكتور محمد حياة جلب آل الكاف لمستشفاهم الطبيب الإيطالي مروشي، فقعد فترة بالبلاد إلا أن أحوال مستشفى الكاف تدهورت في أثناء الحرب العالمية، ثم تضاءل دور مستشفى الكاف تدريجياً حتى تلاشى كلياً. وذكر سيدي الوالد محسن علوي السقاف معاناة الناس بحضرموت في تلك الأيام من عدم وجود الأطباء أو وجود بعض الأطباء الهنود بالمستشفى الحكومي الذين يتعاملون مع الناس بفضاضة وترفع، ومنهم من كان فاسد الأخلاق مما أثر على أخلاق المحيطين به في المستشفى[٣].

---

(١) محمد بن أحمد الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي، الناشر عالم المعرفة، صفحة ٣٤٩.

(٢) جعفر السقاف وعلي الكاف، أبو بكر بن شيخ الكاف، صفحة ٧٩ - ٨٠.

(٣) محسن علوي السقاف، مذكراتي ومختاراتي، صفحة ٥١-٥٥.



السيد محسن بن علوي السقاف

أما أهم وأنجح تجربة للعلاج الخيري بحضرموت فهي تجربة سيدي الوالد محسن بن علوي السقاف الذي أسس على نفقته الخاصة بمدينة تريم مستوصف عيديد الخيري سنة ١٩٩٩م وتولى جميع مصاريفه من مبانٍ وأدوات طبية وأجهزة ومستلزمات، إضافة إلى رواتب الأطباء والممرضين والمستخدمين، وأوقف بعض أملاكه لصالح المستوصف الذي يعتبر إلى الآن من أهم المنشآت الصحية المجانية بحضرموت، بل في اليمن كلها.

ووُضع بهذا المستوصف جهاز من أحدث أجهزة تفتيت الحصوات بالموجات الصوتية تكلف شراؤه أكثر من مليون ريال سعودي وبه عيادة عيون تعتبر من أحسن عيادات العيون تجهيزاً، وبها ما يلزمها من الأجهزة الإلكترونية الحديثة لفحص النظر ومعرفة قياس النظارات وجهاز الموجات الصوتية للعين، كما يتبع عيادة العيون قسم العمليات وبه مكرسكوب حديث لإجراء العمليات مع الأجهزة والأدوات المساندة وأجهزة التعقيم عالية

الكفاءة، وقد استغربت الوفود الطبية الزائرة من بريطانيا وغيرها من وجود هذا التجهيز العالي في هذه المنطقة النائية عن العالم.

وإضافة إلى ما سبق فقد توفر بالمستوصف قسم للأسنان، به عيادة مجهزة وطبيب ومعمل للأسنان الصناعية، وهناك أيضاً عيادات الأطفال والجراحة وقابلة نسائية ومختبر مجهز بأحدث الأجهزة، وغرفة للأشعة السينية مع توفر أجهزة الجراحة بالمناظير من أشهر الماركات.

ويستقبل المستوصف ألوف المرضى في كل شهر، يأتون إليه من كل مناطق حضرموت واليمن، بل قد يصل بعضهم من البلاد المجاورة كالصومال وجيبوتي. والعلاج بالمستوصف مجاني في كل مراحله ما عدا التفتيت بالحصوات وبعض الفحوصات المخبرية فعليها أجور رمزية جدا حيث إن هدف الوالد يحفظه الله استمرار المستوصف في القيام بمهمته الإنسانية.

هذا، وقد قدم للعمل المؤقت بالمستوصف بعض الأطباء الأوروبيين من ألمانيا وأستراليا، واندهشوا من تجهيز المستوصف وإخلاص القائمين عليه وتجردهم لخدمة الناس بلا مقابل.



المستشفى الخيري بتريم

ثم رأى الوالد يحفظه الله أن يستمر في خدمته الطبية فأسس على نفقته الخاصة المستشفى الخيري بتريم ليخلف مستقبلاً المستوصف السابق، وهو مستشفى بمواصفات عالمية قام بتنفيذه بالإسمنت المسلح وعلى أعلى مستوىً المقاول الحضرمي عوض كرامة، فكان مخلصاً في نيته أميناً على مهمته متقناً لعمله.

ويتكون هذا المستشفى من دورين، بني على مساحة تقدر بألفين وثلاثمئة متر مربع، ويحتوي على قسم واسع لخدمات الطوارئ واثنتي عشرة عيادة تخصصية ومختبرات وقسم للأشعة المقطعية والموجات الصوتية وصيدلية وغرفتين للعمليات الرئيسية، مع قسم للعناية المركزة وقسم للنساء والولادة وقسم للتنويم به ٢٤ سريرًا قابلة للزيادة إضافة للخدمات المساندة للمستشفى من مطابخ ومطاعم وغرف للغسيل والتعقيم. ومن المنتظر أن يفتح هذا المستشفى الخيري الجديد أبوابه بعد استكمال أجهزته وتوفير كادره الطبي.



❊ ❊ ❊

الخاتـمة

وبعدُ؛

نصل وإياكم إلى ختام كتاب الاستزادة، بعد ثلاث سنوات من الكتابة والمراجعة والتصحيح والتنقيح، والمواضيع متعددة وواسعة، ولم يكن عملي هذا بحثا تطبيقيا، ولا تراجم متخصصة، وإنما هو تجميع توفرت لي معلوماته فيما توفر لي من وقت، دون أن أجهد نفسي بالبحث عن مراجع متخصصة أو أبحاث متعلقة، بل اكتفيت بما حوته مكتبتي الخاصة من كتب، وربما جاءت بعد ذلك بعض الكتب بتفصيل لم أطلع عليه، أو معلومات غابت عني، رغم كونها ضرورية للتوضيح والزيادة.

وعلى كل حال؛ فأنا مطمئن على أن جهدي كان خدمة ضرورية، خصوصا للشباب الذين انقطعوا عن قراءة سير الأولين، وقد يكونون معذورين لصعوبة لغة الكتب القديمة، لهذا أحببت أن يكون هذا الكتاب باللغة العصرية التي يفهمونها ويحبونها، وقد يأتي بعدي من يزيد على ما قدمت، وينقح ما ذكرت، فأشكره مقدما طالما أن الهدف هو العلم والمعرفة والهداية والتنوير، ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾، صدق الله العظيم.

علي محسن السقاف

جدة ربيع الثاني سنة ١٤٣٠هـ

مصادر الكتاب

١ـ حضرموت، للشيخ عبد الله بن أحمد الناخبي، الأندلس الخضراء.
٢ـ تاريخ حضرموت، الشيخ سالم بن محمد بن سالم بن حميد الكندي.
٣ـ نشر محاسن الأوصاف، حسن بن سقاف السقاف، دار الحاوي بيروت.
٤ـ تاريخ حضرموت، صالح الحامد، الارشاد بصنعاء.
٥ـ ادوار التاريخ الحضرمي، محمد بن أحمد الشاطري، عالم المعرفة للنشر.
٦ـ الإمام الحداد، د. مصطفى حسن البدوي.
٧ـ الحضارم في الأرخبيل الهندي، د. مسعود عمشوش.
٨ـ الإمام الداعية الحبيب أحمد مشهور الحداد، حامد بن أحمد مشهور الحداد، دار الفتح للدراسات.
٩ـ فيوضات البحر الملي، طه بن حسن السقاف.
١٠ـ في جنوب الجزيرة العربية، صلاح عبدالقادر البكري اليافعي، الثقافة الدينية.
١١ـ العقود العسجدية، السيد عبدالقادر بن عبدالرحمن الجنيد.
١٢ـ نظرات في التاريخ العام لليمن، عبد الرحمن طيب بعكر الحضرمي.
١٣ـ يوم الإسلام، أحمد أمين، مكتبة النهضة.
١٤ـ الكتاب المقدس والاستعمار، القس مايكل، مكتبة الشروق الدولية.
١٥ـ حضرموت، محمد ابو بكر حميد، جمعية أصدقاء علي باكثير.
١٦ـ مجموع، الإمام السيد عبد الله بن حسين بن طاهر باعلوي.
١٧ـ عادات تريم، حامد بن محمد بن عبدالله بن شهاب الدين.
١٨ـ التعليم في وادي حضرموت، لجنة توثيق التعليم بالوادي.

١٩ـ كفاح أبناء العرب ضد الاستعمار الهولندي باندونيسيا، حامد القدري، دار جامعة عدن.

٢٠ـ التذكير المصطفى، أبوبكر العطاس بن عبد الله الحبشي، دار الحاوي.

٢١ـ حاضر العالم الإسلامي ومعضلاته، فؤاد البنا، مؤسسة الجمهورية للنشر.

٢٢ـ تراجم علماء جدة من الحضارم، الشيخ علي بن سالم العميري، دار المحمدي.

٢٣ـ فوائد النحو.

٢٤ـ الحضارم في مياسة ودار السلام، عبدالرحمن عبد الكريم الملاحي.

٢٥ـ حياة جديدة، سعيد عوض باوزير، دار حضرموت.

٢٦ـ عبر وعبارات، حسن بن عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف، مؤسسة العفيف الثقافية.

٢٧ـ حضرموت في المؤلفات العربية والأجنبية، د.عبد الله سعيد باحاج، دار حضرموت.

٢٨ـ الحركة الأدبية في حضرموت، عبد القادر محمد الصبان، دار حضرموت.

٢٩ـ طلعت حرب، فتحي رضوان، دار المعارف.

٣٠ـ الخبايا في الزوايا، عمر بن علوي ابي بكر الكاف، دار الحاوي.

٣١ـ البحار اليمني، حسن صالح شهاب، مركز الشرعبي للنشر.

٣٢ـ الشاعر الغزل، محمد عبدالقادر بامطرف، دار حضرموت.

٣٣ـ رجال وكتب من حضرموت، الشيخ علي سالم سعيد بكير باغيثان، دار حضرموت.

٣٤ـ جمال الدين الأفغاني، عبد الرحمن الرافعي، دار المعارف.

٣٥ـ نثر وشعر من حضرموت، روبرت سرجنت .

٣٦ـ الرابطة العلوية.

٣٧ـ بغية من تمنى، عمر بن أحمد بن عبد الله المشهور.

٣٨ـ تعريفات عن وادي حضرموت، عبد القادر محمد الصبان.

٣٩ـ تهذيب تاريخ الدولة الإسلامية، السيد أحمد بن زيني دحلان، دار المشاريع للنشر.

٤٠ـ مجموع كلام الإمام حبيب أحمد بن عبد الرحمن بن علي السقاف، دار الفقيه.

٤١ـ العتب الجميل، السيد العلام محمد بن عقيل بن يحيي العلوي، مكتبة تريم.

٤٢ـ خواطر وأفكار وحكم وأسرار، مصطفى بن أحمد المحضار، مكتبة تريم.

٤٣ـ النفحة الشذية الى الديار الحضرمية، الحبيب عمر بن أحمد ابى بكر بن سميط.
٤٤ـ الجنوب العربي قديما وحديثا، صلاح البكري، دار العلم للنشر.
٤٥ـ لورنس، انتوني ناتنع لويل ثوماس.
٤٦ـ جراب المسكين، عبد الرحمن بن أحمد عبد الله الكاف.
٤٧ـ شرف المحيا، محمد علوي بن أحمد بن يحيي، دار تريم.
٤٨ـ حضرموت، دبليو اتش انجرامس، جامعة عدن.
٤٩ـ جزيرة العرب في القرن العشرين، حافظ وهبه، دار الآفاق العربية.
٥٠ـ الموسوعة الميسرة.
٥١ـ الأمالي، أحمد بن عبد الرحمن بن على السقاف، دار الاصول.
٥٢ـ قوت الألباب، عبد الله بن حسين بن عبد الله بلفقيه، دار المسيرة النبوية.
٥٣ـ التخليص الشافي، علوي بن عبد الله بن حسين بن محسن السقاف.
٥٤ـ الشحر عبر التاريخ، خميس حمدان، مركز الدراسات والبحوث اليمني.
٥٥ـ الزعيم الحكيم، جعفر بن محمد السقاف، دار تريم.
٥٦ـ عادات وتقاليد حضرموت الغربية، د.على صالح الخلاقي، دار جامعة عدن.
٥٧ـ رحلة وديوان، حسن بن عبدالله الكاف، مكتبة تريم.
٥٨ـ حضرموت تاريخ الدولة الكثيرية، محمد بن هاشم، مكتبة تريم.
٥٩ـ تحقيق الفرق، عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف، تحقيق علوي بن عبد القادر بن هادي السقاف.
٦٠ـ تريم بين الماضي والحاضر، أحمد بن عبد الله بن شهاب، مكتبة تريم.
٦١ـ حنين وأنين، حداد أبوبكر بلفقيه، مكتبة تريم.
٦٢ـ ديوان السقاف، حسن بن عبد الرحمن السقاف، لجنة البيان العربي.
٦٣ـ سكة حديد الحجاز الحميدية، د. السيد محمد الدقن.
٦٤ـ تأملات عن تاريخ حضرموت، السلطان غالب بن عوض القعيطي.
٦٥ـ مناظرة أحمد بن ادريس، الحسن بن أحمد عاكش.

٦٦ـ دوعن، سالم عبد الله بن سلمان، دار حضرموت.

٦٧ـ باني منارة المحضار، صبري هادي عفيف، دار الفقيه.

٦٨ـ صور فوتوغرافية من المملكة العربي السعودية، مكتبة الملك عبد العزيز.

٦٩ـ بضائع التابوت، السيد عبدالرحمن بن عبيد الله السقاف.

٧٠ـ السيرة الذاتية للحبيب علوي بن عبد الله بن حسين السقاف، د. علي محسن السقاف.

٧١ـ مذكراتي ومختاراتي، محسن بن علوي السقاف.

٧٢ـ كتاب تاريخ الإسلام باندونيسيا، أحمد بن عبد الله السقاف.

٧٣ـ وثيقة تاريخية.

٧٤ـ جواهر مقتطفه من كتاب تاج الأشراف، محمد زين عبد الله الجاوي.

٧٥ـ بلابل التغريد، الحبيب عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف.

٧٦ـ قصة سنغافورة، د. هشام الدجاني.

٧٧ـ المعجم الطبي الموحد.

٧٨ـ خلاصة الخبر، الحبيب عمر بن علوي أبي بكر الكاف، دار المنهاج.

٧٩ـ لوامع النور، أبو بكر العدني بن على بن ابى بكر المشهور، دار المهاجر.

٨٠ـ تحفة الاحباب، عمر بن علوي ابى بكر الكاف، دار الحاوي.

٨١ـ أحمد عمر با فقيه، محمد أبوبكر عبدالله باذيب.

٨٢ـ ملوك العرب، أمين الريحاني، دار الجليل بيروت.

٨٣ـ العرب والإسلام، حامد بن أحمد مشهور الحداد، دار المنهاج.

٨٤ـ تاريخ حضرموت السياسي، صلاح البكري، دار الآفاق العربية.

٨٥ـ رحلة ابن جبير.

٨٦ـ مطالع الأنوار، عبد الله بن أحمد باسودان، دار الاصول.

٨٧ـ درر وجواهر، الحبيب عبد القادر بن أحمد بن عبدالرحمن السقاف، الحاوي.

٨٨ـ تاريخ مكة المكرمة، الشريف مسعود محمد اليزيد، دار القاهرة.

٨٩ـ تاريخ الشعراء الحضرميين، السيد عبد الله بن محمد بن حامد السقاف، مكتبة المعارف.

٩٠ـ النصائح الدينية والوصايا الإيمانية، عبد الله بن علوي الحداد، دار الناشر.

٩١ـ الدولة الكثيرية الثانية في حضرموت، ثابت صالح اليزيدي، جامعة عدن.

٩٢ـ نفح الطيب العاطري، عبد الله بن عمر الشاطري.

٩٣ـ صفحات من تاريخ حضرموت، حامد ابى بكر المحضار، عالم المعرفة جدة.

٩٤ـ معجم بلدان حضرموت، عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، مكتبة الارشاد.

٩٥ـ الرحالة اليمنيون، عبد الله محمد الحبشي، مكتبة الارشاد.

٩٦ـ الغرر، محمد بن علي بن علوي خرد.

٩٧ـ ادولف هتلر، كفاحي، بيسان.

٩٨ـ بيير بورديو، التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول، ترجمة درويش الحلوجي، دار كنعان.

٩٩ـ غسان محمد الرمال، صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الاحمر.

١٠٠ـ عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف، العود الهندي، دار المنهاج.

١٠١ـ خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين بيروت.



١٠٢ـ جون لويس بيركهارت، رحلات إلى شبه الجزيرة العربية، مؤسسة الانتشار العربي.

١٠٣ـ روبرت سارجنت، نثر وشعر من حضرموت، ترجمة سعيد دحي.

١٠٤ـ ديوان بن عبيدالله، مطبعة لجنة البيان العربي بمصر.

١٠٥ـ عوض العرشاني، الإرهاب الشيوعي في اليمن الجنوبية، الطبعه الثانيه.

١٠٦ـ ديوان الحبيب جعفر بن أحمد بن عبدالقادر العيدروس، دار الأصول للنشر والتوزيع

١٠٧ـ عبد القادر بن عبدالرحمن الجنيد، العقود الجاهزة والوعود الناجزة.

١٠٨ـ مرآة الحرمين، تأليف اللواء إبراهيم رفعت باشا، دار المعرفة بيروت.

١٠٩ـ محمد بن أحمد الشاطري، سيرة السلف من بني علوي الحسينيين.

١١٠ـ محمد بن أحمد الشاطري، المعجم اللطيف، عالم المعرفة للنشر والتوزيع.

١١١ـ علي أنيس الكاف، مختارات من كتابات شيخ الصحافة محمد بن هاشم، تريم للدراسات والنشر.

١١٢ـ أحمد بن سليمان البار، الغيث المدرار في نسب آل البار. دار الحارثي للطباعة والنشر بالطائف.

١١٣ـ محمد علي مغربي، أعلام الحجاز في القران الرابع عشر.

١١٤ـ شيخ بن محمد الحبشي، ديوان ورحلات السيد شيخ (مخطوطه).

١١٥ـ مدحت باشا، حياته مذكراته محاكمته، الدار العربيه للموسوعات.

١١٦ـ المهندس علوي بن ابي بكر الكاف رائد العمارة الطينية اليمنية، تأليف محمد الجنيد وحسين الكاف مركز النور للدراسات.

١١٧ـ محمد بن علوي العيدروس، القراءة والحث عليها، دار الضياء للنشر والتوزيع.

١١٨ـ بنات سبا، تأليف هاري سنت جون فيلبي (عبدالله فيلبي)، مكتبة العبيكان، الرياض.

١١٩ـ محمد سالم بأحمدان، عهد السلطان صالح بن غالب القعيطي ١٩٣٦-١٩٥٦.

١٢٠ـ جعفر بن محمد السقاف حامد المحضار كما عرفته، تريم للدراسات والنشر.

١٢١ـ غازي علي باحكيم، صناعة النحالة في وادي حضرموت، دار حضرموت للدراسات والنشر المكلا حضرموت.

١٢٢ـ محمد بن أحمد الشاطري، شرح الياقوت النفيس، دار الحاوي للطباعه والنشر.

١٢٣ـ حسن بن عبدالرحمن السقاف ديوان درب السيف، (مخطوط)، اصدار اتحاد الادباء والكتاب اليمنيين شعبة سيؤن.

١٢٤ـ أبوالحسن علي بن الحسين المسعودي مروج الذهب، دار الكتب العلميه بيروت.

١٢٥ـ عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف، الرحلة الدوعنية، مخطوط.

١٢٦ـ الحبيب زين بن إبراهيم بن سميط، الفيوضات الربانية، دار العلم والدعوة.

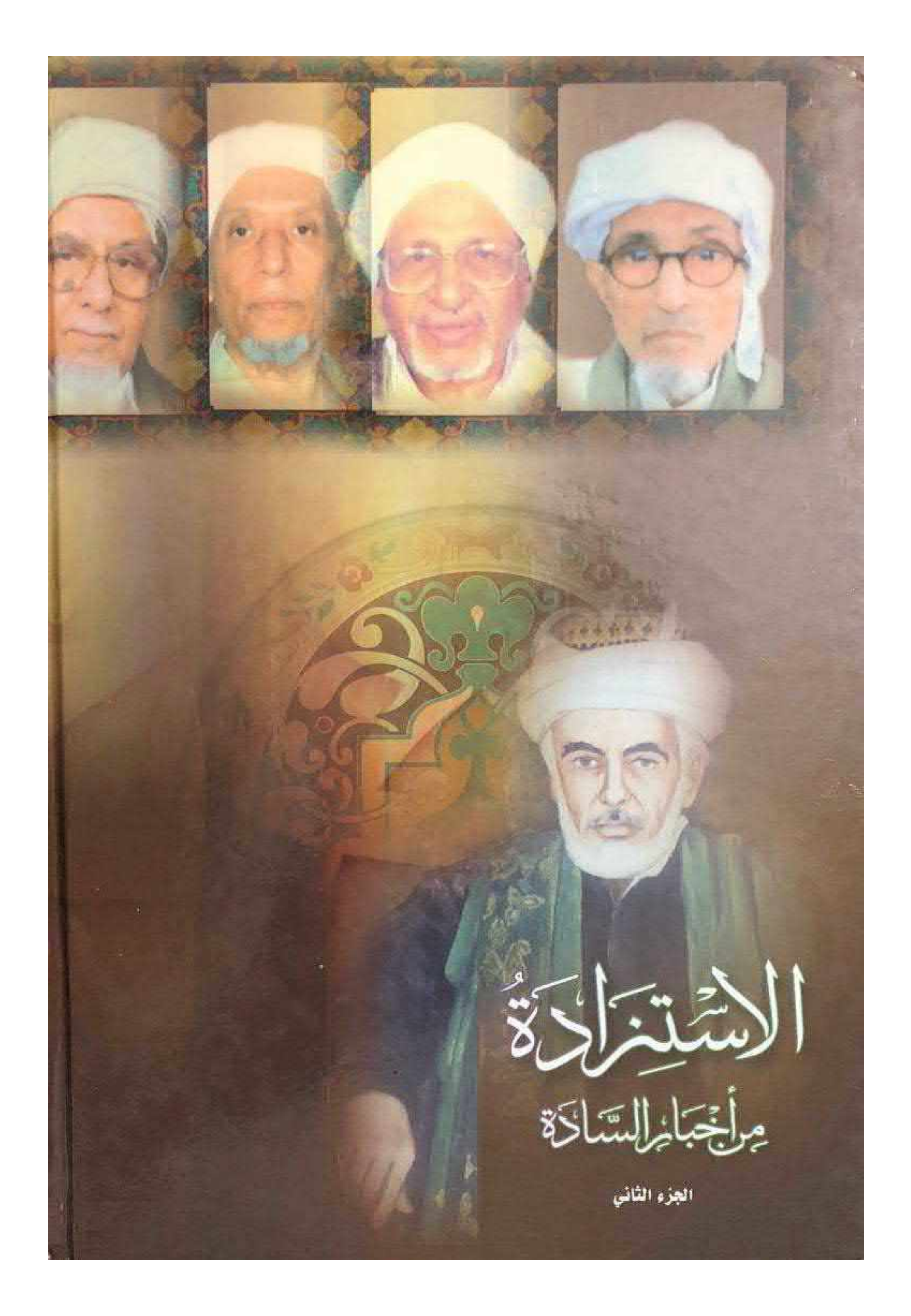
١٢٧ـ وجدا سندسنى، الثورة والحملة الفرنسية على مصر وجهة نظر المؤرخ العثماني، أحمد جودت باشا، مكتبة مدبولي.

١٢٨ـ الشيخ متولي الشعراوي، تفسير القرآن الكريم.

١٢٩ـ في ظلال القرآن، سيد قطب.

١٣٠ـ تاريخ وحقائق قصر السقاف، بحث للسيد مازن السقاف، (نسخة الكترونية).




الاستزادة
من أخبار السادة
الجزء الثاني